مجلة الأزهر

٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف
ALAZHAR AL SHARIF
٣٦١ هجرية
٩٧٢ ميلادية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٨٦

المجلد الخامس والستون ـ القسم الثاني

السنة ١٤١٣هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail: info@saqifat-alsafa.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

العنوان

إدارة الأزهر - بالقاهرة ..

تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩

٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

رجب ١٤١٣هـ

يناير ١٩٩٣م

الجزء السابع

السنة الخامسة والستون

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين

ذلك الدين القيم

وذلك هو الإسلام ، هذا الدين المستقيم .

و « الْقَيِّمُ » فى أبسط معانيه : السيِّد ؛ فهذا الإسلام هو الدين السيد وسيادته طبيعية ذاتية ، وليست وصفا منطلقا من شئون دنيانا كما نفعل نحن حين نطرح هذا الوصف مجاملة أوازدلافا أو تشجيعا أورهبة ، إنه « الدين القيم » بركائزه الذاتية ، فكتابه العزيز هو المهيمن على كل كتب السماء ، هو الرقيب المسيطر عليها ، حفظه الله — تعالى — وتعهد بحفظه ، فكَرَّ هذا الكتاب على ماسبق من كتب ، فبيَّن مافيها من حق وأبطل ما فيها من باطل ، فَسَادَهَا بمجد وشرف أجلى مافيها من الحق وصَدَّقَه ، قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

المائدة الآية : ٤٨

وهو القيم السيد بما أرسخ من «عقيدة التوحيد» فقهر الإلحاد،وأذَلَّ الشرك،وهو سيد قيم بـ«اعتداله» دون ميل إلى طرف أوغُلُوٍّ فيه ، قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا » **سورة البقرة الآية : ١٤٣** فوسطيته ذاتية فيه ، إذ الأطراف يسرع إليها الفساد بما تحمل من هوى وشطط ينأى عن الصراط المستقيم ، يقول ــ تعالى :

﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ » **سورة النساء الآية : ١٧١**

وهو سيد قيم لأنه «عَدْل» ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ **النساء الآية : ٤٠**

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ **الكهف الآية : ٤٩**

وأهل هذا الدين يجب أن يكونوا «عُدُولا» قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾
النساء الآية : ١٣٥ .

وبهذه العدالة صار رسول الله ــ ﷺ ــ وأمته شهداء على الناس أجمعين ، قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾
البقرة الآية : ١٤٣

ومقام الشهادة هذا لرسول الله ــ ﷺ ــ ولأمته مؤكد فى الكتاب العزيز حيث قال تعالى :

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾

الحج الآية : ٧٨

فالمسلمون شهداء لأنهم العدول .

وهذا الدين سيد قيم ، ففى يُمْناهُ كتاب الله ــ تعالى ــ وفى يُسْرَاه سنة نبيه ــ ﷺ ــ فهو سيد قيم بشريعته ، تلك الشريعة التى فَصّلت الحقوق والواجبات لكل إنسان دِيناً ودُنْيا .

فالحاكم وكيل عن أمته يعمل لها بما أوصى الله تعالى به ، وليس وصيا عليها، وعلى المحكوم السمع والطاعة فى غير معصية ، فحق الله أولى .

و حَقُّ الأمة فى خَمْس :

حفظ الدين ، والعقل ، والعِرْض ، والنفس ، والمال .

تلك هى الكليات الخمس التى أجمع فقهاء الأمة على حق المسلمين فيها ، وعرفت اصطلاحا بهذا التعبير :

"الكليات الخمس"، فوجب إنشاء كل مؤسسة علمية أو صحية أو أمنية توفر مطالب هذه الكليات وبها ينشأ ــ فى المواطن ذاتيا ــ (انتماء) صادق أصيل لبلده وأمته يجعله ــ إذا انشق ــ أظلم الظالمين لنفسه ودينه ووطنه .

« إن هذا الدِّين متين فَأَوْغِلْ فيه برفق ، فإن المُنْبَتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أَبْقى » .

الإسلام ــ إذن ــ سيد بطبيعته ، فذاته طيبة تحمل الخير والحق والعدل والإنصاف دون تحامل أو إكراه ؛ لذا كان صريحا حريصا ــ فى إعلانه ــ أنه لا يعنيه مدح ولا استقطاب ، من شاء فليؤمن ... ومن شاء فليكفر ... فإلى الله ــ تعالى وحده ــ المرجع والمآب ، فأين المفر ..!؟ .

د. على أحمد الخطيب

بيان من الأزهر الشريف

وردت الأنباء المؤسفة عن عدوان طائفة الهندوس بالهند على (مسجد أيوديا) الأثرى فى ولاية (أوتار براديس) الهندية ورفعوا العلم فوق قبابه .

وأن الحكومة الهندية اكتفت بدعوة جماهير المسلمين والهندوس إلى تسوية النزاع بطريقة التفاوض .

وإن الأزهر الشريف ليبدى أسفه للتراخى الواضح من تلك الحكومة ، والتقاعس عن حماية المسجد ، وعن مؤازرة المسلمين الهنود فى الدفاع عن مسجدهم وحرمته .

والأزهر الشريف يدعو السيد الدكتور/الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى إلى اتخاذ كافة الإجراءات لدى المنظمات الدولية لا سيما تلك التى تتنادى بحماية حقوق الإنسان إلى التعاون مع المسلمين المعتدى على مسجدهم هذا فى استرداده والعمل على حمايته .

كما يدعو الدول الإسلامية والشعوب الإسلامية قاطبة إلى اتخاذ موقف حازم تجاه هذا الحادث المؤلم والعدوان على مقدسات المسلمين امتثالاً لما روى عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل : يارسول الله أنصره إذا كان مظلوما ، أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تحجزه ــ أو تمنعه ــ من الظلم ، فإن ذلك نصره » رواه البخارى .

ولتتدخل الدول الإسلامية ذات الصلة بالحكومة الهندية لنصرة المسلمين الهنود واسترداد مسجدهم المغتصب ، وليعلموا أن معظم النار من مستصغر الشرر ، فقد يكون هذا مقدمة إلى ماهو أكبر من ظلم وعدوان .

والله معكم ولن يتركم أعمالكم

مع

الإمام الأكبر

أين التقصير أيها السادة ....!؟

نشرت الصحف ما نشرته يوم الاثنين ١٩ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ الموافق ١٤ ديسمبر ١٩٩٢م حول دور الأزهر فى الدعوة ، فأما عن دور الأزهر ، فقد أعد الأزهر بيانا عن دوره تفصيلا بشأن الدعوة ، وأرسل به إلى مجلس الشعب حتى يتاح لكل منصف أن يعرف هذا الدور فيتحث عن الأزهر حديثا موضوعيا ولا يلقى إنسان كلامه جزافا ، وقد استدعى ذلك إرسال هذين الخطابين :

(أ) السيد الأستاذ الدكتور / أحمد فتحى سرور

رئيس مجلس الشعب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد :

فقد طالعت بصحف الأمس ـ الاثنين ١٩ جمادى الآخرة ١٤١٣ه ١٤ ديسمبر ١٩٩٢م ما جاء على لسان السيد الأستاذ كمال الشاذلى عضو مجلس الشعب ، وأمين التنظيم بالحزب الوطنى وهمهمة بعض السادة الأعضاء ـ كما جاء بإحدى الصحف ، حيث طلب السيد الأستاذ كمال الشاذلى من الأزهر أن يشارك فى مواجهة حوادث العدوان الذى قام ويقوم بها نفر من الخارجين على القانون .

وكأن السادة المتحدثين بهذا يقولون : إن الأزهرُ غائب عن ساحة العمل فى البلاد .

وأود أن أشير إلى أنه سبق ـ وبناء على طلب سيادتكم ـ أن أرسل شيخ الأزهر الكتاب المؤرخ ١٩٩٢/٩/٢٩ برقم ٨٣١ ومعه بيان بمواقع علماء الأزهر ـ المتاحة ـ فى كل مكان على أرض مصر .. سواء علماء الدعوة وأساتذة جامعة الأزهر أو علماء المعاهد بل وطلاب الجامعة والمعاهد ، والقوافل المتحركة من علماء الوعظ والدعوة والمدرسين والتى لا تترك جهة ـ مكنوا من الوصول إليها إلا كانوا ، حيث يقومون بواجباتهم فى نشر الكلمة الطيّبة وبيان ما يجب أن يكون عليه المواطنون من التآخى والتعاون على البر والتقوى ، ومن النصح لله ورسوله وللأمة .

وكان المأمول أن يشار إلى بيان الأزهر وقت أن سرت الهمهمة فى المجلس ليحاط علما بأن الأزهر ليس غائبا عن العمل ، ولم يتخل عن أعبائه وواجباته وأنه لا يعمل فى السر ولا فى الخفاء ، وإنما فى كل الميادين المتاحة فى التعليم والدعوة والثقافة ، وهو ينصح ويصحح الأخطاء ، ويقوم معوج الفكر .

وفى البيان الذى أرسل إلى سيادتكم نماذج من ميادين العمل الذى يرتاده علماء الأزهر فى صبر ومثابرة وجدية .

ومن ثم ، فإن الأزهر يأسف لما بدا من حديث بعض السادة الأعضاء من تجاهل الجهد الدائب المستمر الذى يبذله ، والذى إن غاب بعض الناس عن العلم به ، أو تجاهلته بعض وسائل الإعلام ، فإنه لم يغب عن سيادتكم . الأمر الذى كان من

حق الأزهر أن يحاط السادة أعضاء مجلس الشعب الموقر علماً به توقيا لما أثير ، ومن الهمهمة التى حدثت وحتى يكونوا – إن لم يعلموا – على بينة من جهود الأزهر شعورا بواجباته ومسئولياته ، وفى كافة المجالات المتاحة التى يسعى إليها رجاله بالرغم من قصور الإمكانيات .

وإن الأمل أن تتفضل برد غيبة الأزهر المدعاة إلى إبراز صورته الواقعية الزاهرة من واقعات البيان الذى آثر الأزهر ألا يعلن عنه لاسيما فى حقل الدعوة ، والتى أوضحها البيان إلى سيادتكم بالوقائع الماثلة فى كافة الميادين .

هذا ، والتلاوم وغمط الحق على الوجه الذى أثير فى المجلس الموقر قد يؤثر على جهود العاملين المخلصين ويثبط من همتهم ، ونحن فى حاجة إلى دعم الجهود طلبا للمزيد والتجويد ، ولا يبتغى الأزهر أن يحمد بما لم يفعل ، وإنما يذكر ويقدر لا أن يلام دون أن يقصر .

وقد علمنا الله سبحانه أن نشكره طلبا للمزيد من نعمه .

وفقكم الله لقول الحق ودفع الغمط .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

(ب) السيد الأستاذ/ كمال الشاذلى

عضو مجلس الشعب وزعيم الأغلبية فيه ، وأمين التنظيم للحزب الوطنى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد :

فقد اطلعت على ما نشرته الصحف الأمس الاثنين الموافق ١٩ من جمادى الآخرة ١٤١٣هـ ١٤ من ديسمبر ١٩٩٢م من دعوة سيادتكم إلى مشاركة الأزهر فى مواجهة الخارجين على القانون الذين ارتكبوا الحوادث والعدوان هنا وهناك وما تبع حديث سيادتكم من همهمة بعض الأعضاء الموقرين .

وما كنت أحب أن مثلكم يغيب عنه جهد الأزهر وأداؤه فى كل ميادين أعبائه ، التعليم والدعوة والوعظ والإرشاد والتثقيف العام .

ومع هذا فإن السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الشعب لديه بيان من الأزهر الشريف مرسل بتاريخ ١٩٩٢/٩/٢٩ برقم ٨٣١ بناء على طلب سيادته .

كان الأمل أن يحاط المجلس به علماً فى الوقت المناسب ، ولو أن هذا قد تم فعلا لما كان ما حدث فى المجلس الموقر على لسان سيادتكم ، وتابعكم بعض الأعضاء الموقرين .

ومع هذا نسخة من البيان .. أمل أن يكون فيه الغناء والكفاية لإيضاح بعض ميادين عمل علماء الأزهر .

والأمل أن يذكر ذلك ويعلن حتى لا ييأس العاملون ولا ييئسوا من غمط الحق وجحود الجهد .

ولعل من المعلوم أنه ليس للأزهر الشريف صحف ، ولا وسائل إعلام ، وإنما له جهوده التى يشهدها الواقع .

وفقكم الله لقول الحق وطلب المزيد والتجويد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

في ذكرى الإسراء

الرسول صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر الشريف

هذا الإنسان الذى غفل عن سمو جوهره وصفائه الوجدانى ، إذ قد خلقه الله سبحانه بداية روحا أشهدها أنواره وكشف لها عن ذات فطرتها على ما يشير إليه قول الله جلت قدرته فى سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ .. ﴾ **(الآية ١٧٢)**

فالإنسان فى واقعه روح بلغت من كرامة التقدير عند الله الذى خلقها ما نستظهره من هذه الآية .

ثم أهبطت الروح نقية صافية طاهرة تحوى فطرتها لتقوم بمهمة موقوتة على أرض الله ، ثم تعود بعد ذلك إلى عالمها الأول الذى منه أهبطت .

وهذه الروح لن تؤدى هذه المهمة إلا إذا تسربلت لباسا مناسبا .

ألا ترى إلى الغواص فى أعماق البحر لاستخراج شيء ما ، لا يتم له ذلك أو يقدم عليه إلا بأجهزة وملابس تناسب عالم البحار العميقة ، وبعد أن يتزود بعلم وأساليب لأداء هذه المهمة .

وهكذا الإنسان كانت سنة وجوده ـ على الأرض خليفة ـ قد غرست فيه الفطرة : ﴿ .. فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا .. ﴾ ﴿٣٠﴾

(ســورة الروم)

المؤهلة لإجادة الروح لمهامها بعد الهبوط إلى الأرض وكان من تأهيلها أن ألبست الصورة

المناسبة واللباس المناسب وهو هذا الجسد الذى بدأ من طينة هذه الأرض ليتناسب مع طبيعة التكليف الزمنى الأرضى ومن ثم ، فالإنسان روح حلَّت فى جسد أصله من تراب الأرض ..

وهذه الروح أهبطت من عالم الخلد ، وقد أودع الله فيها بقدرته خصائص بها تستطيع أداء مهمتها مالم تغفل عن الإفادة مما فطرت عليه من خصائص أو تنحرف عنها ، أو تهملها ، إذ كل ذلك خيار للإنسان ، وبه تتفاوت درجات أداء الأمانة والامتحان فيها على الأرض:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (سورة الأحزاب)

وهذه الأمانة وإن اختلف العلماء فى ماهيتها فمن الأقوال فيها ؛ أنها هذه الروح أو ذات النفس التى أقسم الله بها فى سورة الشمس فقال :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾

وإذا أصاب هذا القول صحيح الأمانة التى عناها القرآن كان عليها أن تجاهد لتظل على فطرة الله صافية نقية طاهرة ، وترتفع عنها حجب البشرية التى طغت على هذه الروحانية النورانية .

ومن هنا كان فضل الله على بنى آدم عظيماً ففضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا ومد لهم الآجال وأمدهم بالآمال وبعث إليهم الأنبياء إخوة لهم فى الإنسانية ، لكنه سبحانه اصطفاهم ليأخذوا بيد الناس كلما غفوا ، أو هفوا أو طغوا ، أو بغوا ، وأنزل معهم الآيات والكتب وكان خاتمهم وهو فى ذات الوقت إمامهم سيدنا رسول الله محمد ﷺ المثل الأعلى والصورة المثلى للإنسان الذى إذا اقتربت منه الإنسانية واعتنقت هديه والذى جاء به ـ الإسلام ـ كانت حياتها وأثمر وجودها عيشة رغدة يقاس هداها بمقياس هذا الدين المتمثل فى الإيمان ، واليقين ، والصدق ، والأمانة ، والوفاء ، والحق والتعاون ، وغير هذا من أخلاق القرآن إلى آخر الزمان ، فذلك هو المقياس أو المعيار أو الميزان القرآنى الذى ينبغى أن تقيس به البشرية مدى إنسانيتها أو حيوانيتها .

ولقد كان الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ خروجاً به من قيود وسلطان الزمان والمكان ، وتأييدا للروحية المطلقة التى فطر الإنسان عليها وكانت هذه الرحلة ـ الإسراء والمعراج ـ تكريماً لرسول الله محمد ﷺ ، وهو تكريم مطلق سجله القرآن الكريم بما يحمل معنى التذكار الدائم للإنسان تكريماً لإنسانيته حتى تتخلص ـ بإذن الله وبقدرته ـ من قيود الزمان والمكان .

وإذا كانت بعض العقول قديماً وحديثاً قد سيطرت عليها حيوانيتها فترددت فيما إذا كان الإسراء والمعراج كانا بشخص النبى ﷺ أو بمجرد الروح ، فإن هذه العقول بهذا التردد أو سوء الفهم قد غفلت عما حسمه القرآن بقول الله سبحانه : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ إذ التعبير ـ بعبده ـ تعبير تشريف شامل لشخص النبى ﷺ روحاً وذاتاً وهو أن الإسراء لو أنه كان روحياً فحسب لما كان محل التبيان فى القرآن ، فإن أى إنسان حين ينام وتسكن أعضاء جسده يصير وكأنه فى حالة موات مؤقتة تنطلق روحه تسعى بطبيعتها المجردة عن المادة الأرضية فتسافر وتلقى

أناسا فى أماكن بعيدة أمواتا وأحياء ، وهذا أمر واقعى يحدث لكل الناس .

وإذا قال الواهمون ، كيف تتم رحلتا الإسراء والمعراج فى هذا الوقت القصير مع أن المسافات تحسب بملايين السنين أو البلايين ـ إذا قالوا بهذا وأمثاله فهم بلا مراء لم يفقهوا أن القرآن حين يستفتح فى الإخبار بأمر عظيم خارق إنما يبدأ بما ينبه إلى أن أمرا عظيماً وقع بقدرة الله أو سيقع ، ثم إن قوانين الزمان والمكان من صنع الله سبحانه ، وصانع الشيء ـ لابد ـ قادر على إعادة صياغته أو تحويره أو تبديله أو تعطيله متى شاء ، وكيف شاء ، وأنى شاء ، ولقد ساق القرآن مُثُلًا لما كان من تعطيل الله سبحانه لخصائص النار الحارقة حين أُلقِى فيها نبى الله إبراهيم عليه السلام ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الأنبياء/٦٩ وما كان منح الجماد قدرة الحركة أو الفعل المخالف لطبيعته كما حدث لعصا موسى عليه السلام حين ألقاها بأمر الله ﴿ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ الشعراء/٤٥ .

ومن ثم كانت المعجزة العظمى التى لا إعجاز بعدها هى تلك التى جاءت من عند الله تأييدا لخاتم الرسل محمد ﷺ ، معجزة تظل دائمة العطاء الروحى والسمو بالفكر الوجدانى المتأمل تلك المعجزة المتمثلة فى رحلتى الإسراء والمعراج .

وكان فى هذه المعجزة صورة بارزة لتكريم الله الإنسان فى شخص هذا الرسول الكريم ﷺ وللإعلان بارتفاع روحانية الإنسان إلى مدى غير محدود فوق بشريته ، ليتجه دائماً إلى التسامى فوق كل الشواغل والمادية وفى أروع صورة تتحقق فى الصلاة وخشوعها ، فالصلاة فى حقيقتها تجسيد لهذا التسامى ولعل هذا من حكمة فرض الصلاة فى السماء تبيانا لقدرها وقدر من يؤديها بأركانها وشروطها من بنى الإنسان .

فالإسراء والمعراج كانا للنبى ﷺ بالروح وبالجسد معاً ، وأما سائر المسلمين فعليهم أن يسمو بأرواحهم فحسب فى الصلاة .

وتكريم آخر للـــرسول ﷺ فى الإسراء والمعراج تشير إليه آيات سورة النجم تلك التى تقول ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ الآيات (١٣ ـ ١٨) .

ذلك أنه إذا كانت الجنة درجات بقدر أحرف القرآن كما روى عن السيدة عائشة أم المؤمنين ـــ رضى الله عنها ـــ وأن المرء تتحدد مكانته عند ربه بقرآنيته قولا وعملا وسلوكاً ، فمن كانت حصيلته من كل ذلك فوق غيره بآية واحدة فقد ارتفع بها قدره .

فما بالنا ورسول الله ﷺ كان هو القرآن الكامل فقد قالت عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ تصفه ﷺ : (كان خلقه القرآن) ، فمكانته ﷺ فى أعلى الدرجات التى تأوى إليها أرواح الأنبياء والشهداء فى جنة الله التى وعد بها عباده المتقين .

إن رسول الله ﷺ عظيم قدره عند ربه فلما انتهى إلى سدرة المنتهى تزينت السدرة لاستقباله ففى سورة النجم:

﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ .

ألا طبت حيا وعند ربك يا صاحب الذكرى : صلى الله عليك وسلم تسليما كثيرا .

فتوى
ببيان حكم زواج المحلل

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعد ..

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة من السيد / حاتم . ع . م من أبى ظبى قال فيها :

إنه على إثر خلاف حاد بينه وبين زوجته طلقها أمام إحدى قريباتهاومرة أخرى إثر خلاف آخر طلبت على أثره الطلاق ، وأنه ذهب إلى دائرة القضاء الشرعى ـ بأبى ظبى ـ للاستفسار عن إجراءات الطلاق ، فقابل أحد أقربائه الذى يعمل بها ، والذى سأله ، هل طلقتها ؟ فأجاب بالإيجابوكان لم يحصل وقتها منه طلاق ، ولما شك قريبى هذا فى كلامى ، أقسمت بالله أنى طلقتها .

ثم عاد ـ أى صاحب السؤال ـ إلى المنزل ، وقال لها ـ أى لزوجته ـ ما حدث ثم قال لها : (أنت طالق) .

وبعد ذلك سافرت هى ـ أى الزوجة ـ إلى الوطن ، مع اتفاقهما على أن لا تتكلم فى هذا الموضوع حتى يحضر هو ـ أى الزوج ـ إلى الوطن لمناقشة الأمر أمام أهلها ، ولكنها بادرت فأخبرت الجميع بما حدث ، وأضافت أشياء أخرى لم تكن صادقة فيها .

وعند حضورى ـ أى صاحب السؤال ـ إلى الوطن فاجأنى والدها وأخوها بطلب الطلاق .

وأنه ذهب إلى المأذون ، ومعه شاهدان من أقربائه ، وسأله المأذون عما إذا كان قد طلقها قبل ذلك فأجاب بأنه سبق أن طلقها طلقتين ، وهذه هى الثالثة ، وعلى هذا أدرج المأذون بالوثيقة الرسمية العبارة التالية :

(... يقول أنه طلقها أولا ثم أرجعها ثم طلقها ثانيا ثم أرجعها ، وهذه هى الأخيرة المكملة للثلاث) .

وسأل عما إذا كان هناك إمكان الرجوع إليها بعقد جديد أم لا ؟

وإذا لم يكن هذا .. فهل تحليلها عن طريق تزويجها لشخص آخر ثم تطليقها منه حلال أم حرام ؟

وهل الطلقة الأخيرة واقعة ؟ علما بأنه لم ينطق كلمة الطلاق أمامها أو لها .

والجـــواب

إنه لما كان المستفاد مما جاء فى هذه الرسالة ، أنّ صاحبها ـ كما جاء مسطورا فيها ـ قد طلق زوجته ثلاث مرات فى ثلاثة مجالس أو أوقات متفاوتة .

الأولى :

حين حدث خلاف حاد بينهما فى حضور قريبتها وزوج هذه ، فطلقها أمامهما ، وهذا يعنى صدور الطلاق باللفظ الصريح .

والثانية :

عندما اختلفا ليلا وطالبته بورقتها ـ أى ورقة الطلاق ـ فذهب فى الصباح إلى دائرة القضاء الشرعى للاستفسار عن الإجراءات ، وصادفه أحد قرابته الذى يعمل فى هذه الدائرة ، وسأله قريبه هذا ، هل طلقتها ؟ فأجاب بالإيجاب ـ أى نعم ـ وكأن لم يحصل منه التلفظ بالطلاق ، ولما شك قريبه هذا فى قوله ، أقسم له ـ صاحب السؤال ـ بالله العظيم (إنى طلقتها) .

والثالثة :

إنه عاد إلى منزله ووجد زوجته وحدها فى المطبخ ، وحكى لها ما حصل وقال : (... وقلت لها إن قريبى ـ هذا ـ أبدى رغبته فى الحضور للمنزل ليتوسط فى حل المشكلة (وعشان كده) أنا أقسمت (ليه) بالله (فأنت طالق) .

لما كان ذلك وكان الفقهاء قد توافقت كلمتهم على أن أى صيغة من مادة (طلق) ـ سواء كانت إنشاء أو إقرارا أو إخبارا ـ هى من صريح الطلاق يقع بها الطلاق فور النطق بها دون حاجة إلى النية أو القصد أو مواجهة الزوجة بها ، إذا لم تكن هذه الصيغة مضافة أو معلقة وسواء كان النطق بالطلاق ابتداء (كأنت طالق مثلا) أو إجابة على سؤال من آخر ، هل طلقت زوجتك ؟ فأجاب الزوج بالإيجاب نعم أو بلى يقع الطلاق فى الحال كذلك ما لم يكن مضافا أو معلقا ، حيث تعتبر هذه الإجابة إنشاء للطلاق ، وبهذا يكون جوابه لسائله فى دائرة القضاء الشرعى ـ هل طلقتها ـ جوابه بالإيجاب طلاقا ثم أقسم فى ذات المجلس بالله العظيم (إنى طلقتها) يكون هذا منه تأكيدا لما صدر منه فى ذات المجلس قبلا بالإيجاب .

وإذا كان هذا ما وقع من صاحب هذه الرسالة على هذا الوجه ، كان من صريح الطلاق الذى ينفذ بمجرد النطق به وكان حين عاد إلى منزله وحكى لزوجته ما حدث مع قريبه فى دائرة القضاء الشرعى ثم أتبع هذا الحديث بقوله مرة أخرى (أنت طالق) كانت هذه هى الثالثة .

وبهذا كانت الطلقات الثلاثة التى للزوج شرعا قد أستنفدت بهذه الأخيرة فى مجالس متعددة ووقعت فعلا من قبل التوثيق لدى المأذون ، حيث كانت الأولى صراحة مباشرة ، وكانت الثانية جوابا على سؤال قريبه فى دائرة القضاء الشرعى ـ على النحو السابق ـ وكانت الثالثة بالتلفظ بكلمة الطلاق فى مواجهتها وبانت منه زوجته بهذه الأخيرة بينونة كبرى لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره بعقد زواج صحيح بعد انقضاء عدتها من المطلق صاحب السؤال ، ويدخل بها الزوج الآخر ويعاشرها معاشرة الأزواج ثم يطلقها وتنقضى عدتها منه شرعا ، وعندئذ يحل لهما أن يعقدا زواجهما من جديد .

وهذا ما نص عليه القرآن الكريم فى سورة البقرة فى الآيتين ٢٢٩ ، ٢٣٠ حيث بيّن فيهما عدد الطلقات وفى الأخيرة منهما قال الله سبحانه :

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ .

هذا ..

ومَا دَوَّنه المأذون فى ورقة الطلاق منسوبا إلى

المطلق يعتبر إقرارا بما حدث منه فى المرات الثلاثة ، وليس إنشاءً لطلاق جديد ، إذ لو اعتبر قوله ــ فى مجلس المأذون ــ طلاقا جديدا لكان طلاقا رابعا والزوج لا يملك ــ بنص القرآن ــ إلا ثلاث تطليقات فحسب .

ومن ثم يمتنع شرعا ويقع باطلا عقده عليها من جديد قبل أن تتزوج برجل آخر زواجا صحيحا شرعا ويطلقها بعد الدخول بها ومعاشرتها عشرة الأزواج وتنقضى عدتها .

أما زواج المحلل الذى سأل عنه ، وهو أن يتزوج رجل مطلقة غيره ثلاثا بعد انقضاء عدتها ، ليحلها لزوجها الأول ، فإذا كان الزوج المحلل لم يقصد بعقده عليها إلا أن يحلها للزوج الأول وقع هذا العقد باطلا ، لأنه ليست له صفة الدوام قصدا ، وإذا ما اتخذ عقد الزواج وسيلة للتحليل فقط كان فى الواقع زواجا مؤقتا وهو باطل فى الإسلام وحرام ديانة بإجماع مذاهب المسلمين لما رواه عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ :

(ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له)[1] .

أما حكم هذا العقد قضاء فنص قول الإمام أبى حنيفة وفى مذهب الجعفرية هو صحيح مع الكراهة ، وإذا طلقها الزوج الثانى حلت للزوج الأول بعد انقضاء عدتها من الثانى على رأى الإمام أبى حنيفة .

وفى رأى الإمام أبى يوسف أن العقد فاسد ومن ثم فلا تحل المطلقة ثلاثا بهذا الزواج الفاسد الذى اقترن بالدخول .

وفى رأى الإمام محمد بن الحسن صح عقد الثانى ، ولا تحل للأول معاملة له بنقيض مقصوده[2] .

وفى فقه المالكية أن عقد الزواج على الثانى غير صحيح ويفرق بينه وبين الزوجة قبل الدخول وبعده ولا تحل للأول بهذا الزواج[3] .

وذهب الشافعية إلى بطلان العقد إذا تزوجها الثانى بشرط حلها للأول وإذا لم يشترط ذلك وكان فى نيته أن يحلها للأول فإن الزواج يصح ولا تفسد نيته شيئا[4] .

وفى الفقه الحنبلى عقد الزواج للتحليل باطل سواء اشترط التحليل أم لم يشترط[5] .

وقد تحدث ابن تيمية عن هذا فى كتابه[6] "إقامة الدليل على بطلان التحليل" ونقل أقوال الفقهاء وساق الأدلة والمسالك على بطلان التحليل سواء كان مشروطا فى نص العقد أو منويا باعتبار أن اسم المحلل يعم القاصد والشارط فى العقد ولأن عموم الحديث مراد .

وقال فى المسلك الحادى عشر ما يلى :

(دين الله أزكى وأطهر من أن يُحَرم فرجا من الفروج حتى يستعاره تيس من التيوس لا يرغب فى نكاحه ولا مصاهرته ، ولا يراد بقاؤه مع المرأة أصلا ، فينزو عليها ، وتحل بذلك ، فإن هذا سفاح وزنى كما سماه أصحاب رسول الله ﷺ) .

---

(١) رواه ابن ماجه ــ نيل الأوطار للشوكانى جـ٦ ص١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢) حاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار جـ٣ ص٤٣٥ ، ٤٣٦ .

(٣) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ٢ ص٢٥٨ .

(٤) المجموع شرح المهذب للنووى جـ١٦ ص٥٤٩ ، ٢٥٠ ، قليوبى وعميرة جـ ١ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٥) المغنى لابن قدامة مع الشرح الكبير جـ٧ ص٥٤٧ ــ ٥٧٨ .

(٦) ص ٤ وما بعدها و ص ١٨٨ ، ١٨٩ وما بعدهما وص ٢١٦ ط الكردستانة مصر ١٣٢٨ هـ .

وقد روى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه قوله : (لا أوتى بمحلل ، ولا بمحلل له إلا رجمتهما)[٧] ، فسئل ابنه عن ذلك فقال : (كلاهما زانيان) .

أما أن المطلقة ثلاثا لا تحل لمن طلقها ؟ إلا إذا تزوجت برجل آخر ودخل بها حقيقة ثم فارقها هذا الآخر وانقضت عدتها منه فهو نص القرآن فى الآية المتلوة آنفا[٨] .

أما أن الدخول بها من الزوج الثانى مستفاد من هذه الآية فقد بينت السنة النبوية أن الزوج الثانى لا يحلها للأول إلا إذا دخل بها دخولاً حقيقياً وعاشرها معشرة الأزواج ، كما دل الاستعمال اللغوى عند أهل العلم به على هذا أيضا .

فقد روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

« جاءت امرأة رفاعة القرظى إلى رسول الله ﷺ ، فقالت إنى كنت عند (رفاعة) فطلقنى فبتّ طلاق ، فتزوجنى عبدالرحمن بن الزبير ، (وما معه إلا مثل هدبة الثوب) فتبسم النبى ﷺ وقال :

(أتريدين أن ترجعى إلى رفاعة ؟ لا ، حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك) وهذا الحديث صريح فى أن الحل بالزواج الثانى لا يكون إلا بالمعاشرة الزوجية أى الجماع لا مجرد العقد .

ونُقل عن بعض أهل العلم بلغة العرب ، أن فى نص تلك الآية ذاتها دلالة على ذلك فقد قال ابن جنى : سألت أبا على عن قولهم ، نكح المرأة ، فقال : فرقت العرب بالاستعمال ، فإذا قالوا : نكح فلان فلانة أرادوا أنه عقد عليها ، وإذا قالوا : نكح زوجته ، أرادوا به المجامعة ، وهنا قال تعالى :

﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ .

فالمراد منه المجامعة[٩] .

ونقل القرطبى[١٠] فى تفسيره أن النحاس ذكر فى كتابه (معانى القرآن) قال : وأهل العلم على أن النكاح هاهنا[١١] الجماع لأنه قال : (زوجا غيره) حيث تقدمت الزوجية فصار النكاح فى هذه الآية الجماع .

لما كان ذلك .

كان ما وقع من صاحب هذه الرسالة لزوجته طلاقا ناجزا فى ثلاث مرات متفرقات فبانت منه بمقتضاها بينونة كبرى ـ من قبل التوثيق لدى المأذون فلا تحل له من بعد حتى تتزوج رجلا غيره زواجا صحيحا شرعا ليس بقصد التحليل ، ولا مشروطا فى العقد التحليل والتطليق بعده وإلا وقع باطلا ، باعتباره فى حكم الزواج الموقوت وهو باطل ولأن الأعمال بالنيات ولا بُدَّ معَ العقد الصحيح من معاشرة الزوج الآخر لها معاشرة زوجية وقاعا تاما فى مدة الزوجية ، فإذا طلقها الزوج الآخر بعد هذا وانقضت عدتها منه شرعا حلت للأزواج ومنهم مطلقها صاحب السؤال .

هذا هو الحق الذى نرتضيه فى الفتوى مع هذه الحال وهو مقتضى ما قال به أكثر فقهاء المذاهب .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق

---

(٧) رواه الأثرم باسناده عن قبيصة بن جابر ـ المغنى لابن قدامة جـ٧ ص٥٧٤ ، ٥٧٥ ورواه القرطبى فى تفسيره جـ٣ ص١٥٢ .

(٨) الآية ٢٣٠ من سورة البقرة .

(٩) التفسير الكبير للرازى جـ ٦ ص ١١٢ .

(١٠) جـ ٣ ص ١٤٨ .

(١١) أى فى الآية ٢٣٠ من سورة البقرة .

تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم

للاستاذ الدكتور محمد احمد الغمراوى

وفى القرآن الكريم أمثلة أخرى للحقيقة الكونية يجهلها الناس ، فينبئهم القرآن بها فى اسلوب حكيم معجز ، ظاهره صالح لهدايتهم الى الله ، وباطنه يهتدى به أهل العلم ، إذا أذن الله فانكشفت تلك الحقائق لهم : مثل ذلك قوله تعالى كناية عن حركة الأرض اليومية :

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾(١)

وقوله تعالى كناية عن نفس الحركة مع كناية كتصريح عن شكل الأرض :

﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾(٢) .

وقوله تعالى كناية عن حركة الأرض السنوية :

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ .

فى آيات متعددة من القرآن(٣) .

لكنا نكتفى بما ذكرنا من الأمثال من قبل وننتقل إلى بعض الأمثال نذكرها للحقيقة الكونية يصرح بها القرآن الكريم حين يأمن على الناس أن يفتنوا بها ، إذ يمكنهم صرف عبارتها إلى ظاهرة كونية أخرى يعرفونها .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٤ .
(٢) سورة الزمر الآية ٥ .
(٣) انظر الآيات : ٢٧ من آل عمران ، ٦١ من سورة الحج ، ٢٩ سورة لقمان ، ١٣ سورة فاطر ، ٦ سورة الحديد .

من هذا النوع الصريح المأمونة صراحته قوله تعالى : (وَالشَّمْسُ تَجْرِى)[٤] .

فى الآية الكريمة :

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ فالفعل : (تَجْرِى) .

ينطبق فى أعين الناس على حركة الشمس من المشرق إلى المغرب ، وهو فى حرفيته يعبر عن حركة حقيقية أثبتها العلم للشمس بسرعة مخصوصة ، قدروها بنحو إثنى عشر ميلا فى الثانية ، فى إتجاه مخصوص فى فضاء الله هو الجهة التى فيها النجم المسمى (فيجا) فى الأفرنجية ، والنسر الواقع فى العربية . والفعل يدل ليس فقط على حركة انتقالية ذاتية للشمس ، ولكن أيضا على عظم تلك الحركة ، إذ الجرى طبعا أدل على السرعة من المشى أو السير . ولو كانت الشمس غير ذات حركة فى الواقع ، وكان الفعل (تجرى) معبراً فقط عن حركتها فى الظاهر بالنسبة إلى الأرض وجاء العلم الحديث وأثبت أن الحركة إن هى إلا حركة دوران الأرض حول محور لها أمام الشمس لا نفتح لملحد ، أو مستشرق يكفر بالقرآن أن يقول أن جملة (والشمس تجرى) هى من عند إنسان يصف ما يرى ، أما وقد ثبت للشمس جرى حقيقى فى الفضاء متعين المقدار والإتجاه بعد نحو إثنى عشر قرنا من عصر القرآن ، فالجملة القرآنية الكريمة هى من عند خالق الشمس آية للناس على أن القرآن من عند الله .

ومثل آخر من هذا النوع الصريح المأمون قوله تعالى (وأغطش ليلها) : ليل السماء فى ثلاث آيات فى سورة النازعات يقيم الله فيها الحجة على منكرى البعث بالأجساد : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾[٥] .

والمفسرون جميعا : القدامى منهم والمحدثون ، أغفلوا دلالة مرجع الضمير المضاف إليه الليل ، وصرفوه إلى ليل الأرض مع رجوعه صراحة الى السماء . فلو أنهم أخذوا بظاهر الآية كما كان ينبغى لقالوا أن للسماء ليلا غير ليل الارض وإن لم يعرفوه . وهذا وحده سبق إجمالى إلى حقيقة لم يعرف العلم تفصيلها إلا حديثا . عرفها فطريا إستنباطا من أن الضوء لا يرى إلا منعكسا عن المرئيات ، وأن ليس فوق جو الأرض ما يعكسه لخلوه من الهواء وما يحمل ، فلابد أن تكون السماء فوق جو الأرض مظلمة حالكة والأرض وجوها فى إشراق وضياء بالنهار ومن باب أولى تكون السماء فى ليل حالك والأرض مليلة ، أى أن السماء فى ليل متصل ونهار القمر إنما يكون على سطحه ويكون الظل على القمر كقطع الليل المظلم ، وسماؤه تكون أشد ظلاما لخلو جوه من الهواء . ثم جاء عصر سفن الفضاء وصعود الإنسان الى القمر وتصوير الفضاء من سطح القمر فرأى الإنسان ذلك بعينيه وقد نشرت الصحف صورا للأرض من القمر أرسلتها السفن الفضائية

(٤) سورة يس الآية ٣٨ .
(٥) آية ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ من سورة النازعات .

الأمريكية والروسية ، لكن آخر صورة نشرت هى التى ظهرت فى مجلة العربى فى يناير من عام ١٩٧٠ وفيها الأرض كوكب مضىء فى سماء حالكة هى سماء القمر . وظلمة ليل السماء يكفى فى الدلالة عليها كلمة ليل . أما شدة تلك الظلمة فقد دل عليها الفعل (أغطش) . فلو كان يغنى عنه الفعل أظلم الذى فسره به المفسرون لنزل القرآن به لأنه آنس وأوضح .

من هذه الأمثلة بنوعيها — ولا يزال لها نظائر فى القرآن الكريم — يتبين أمران مهمان متعلقان بتفسير الآيات الكونية القرآنية .

أولهما : ألا نقصر تفسير التعبير القرآنى على وجه واحد إذا تحمل التعبير أكثر من وجه حسب قواعد اللغة التى نزل بها القرآن فكل معنى يفيده اللفظ أو التعبير من غير خروج على قواعد اللغة هو معنى مراد لله وإن لم يك معلوما للبشرية قبل . وإفادة الآية القرآنية إياه إرهاص بأن الله سيكشف للبشر عنه ليكون معجزة علمية جديدة للقرآن تثبت من جديد أنه من عند الله .

وثانى الأمرين المهمين : أن للقرآن أسلوبه الحكيم فى مخاطبة الناس على قدر عقولهم من غير مخالفة الحقيقة الكونية فى شىء . بل إذا آن الأوان وأظهر الله عباده على هذه الحقيقة كان التعبير القرآنى دالا عليها إما تصريحا وإما إشارة وكناية فى اللغة التى أعدها الله لتحمل معانيه . وهذا إعجاز فى الأسلوب فضلا عن المعنى لا يقدر عليه إلا الله . ولعل من المهم توكيد أن ليس فى هذا الأسلوب إقرار لباطل معتقد الناس فى الظاهرة الكونية التى تكنى عنها الآية أو الآيات القرآنية فالقرآن الحكيم لا يقر الباطل قط ولكن يمهله حتى يزيله ويحل الحقيقة محله . وليس الأمر فى الكونيات كالأمر فى الشرعيات ، فالشرعيات من حيث الاعتقاد والاحكام ، لابد من أن يتضح الحق فيها ويتم قبل وفاة الرسول — ﷺ — وإلا فاتت فرصة التصحيح والتوضيح . أما الكونيات فتصحيح خطأ معتقد الناس فيها يمكن أن ينتظر حتى يستعد الناس لتلقيها ويحين حين إظهار الحق فيها ، على أيدى أهلها من علماء الفطرة . بل إن آيات الله فى الكون هى من الجلال والعظم بحيث لا يحول تصورها على غير حقيقتها دون الاهتداء بها إلى الله . ومن هنا كان تفسير الآيات القرآنية الكونية فى كل عصر بعد عصر الرسول على قدر علم أهله وكان فى كل تفسير من تعظيم قدرة الله وحكمته ، ما يكفى لحمل السامع على تسبيح الله وتمجيده على ما كان أو قد يكون فى التفسير من بعد عن الحقيقة ، يجهله القائل والمستمع مع القصد إلى تلمس الصواب من المفسر على الأقل . ولعل هذا هو السر فى إباحة النبى — ﷺ — للمسلمين التحديث عن أهل الكتاب فهذا لا شك خاص بما لا يتصل بالعقيدة والأحكام ، فالحق فى هذه واضح فى أساسياته لعامة المسلمين ، وفى فرعياته لعلمائهم وقد أمر النبى — ﷺ — المسلمين فى نفس الوقت ألا يصدقوا أهل الكتاب ولا يكذبوهم وهذا طبعا فيما سكت عنه القرآن والحديث الصحيح . ومن هنا استباح قدامى المفسرين النقل عن كعب الأحبار ومن إليه ، ما كان الأولى تجنبه من مثل قول كعب الأحبار فيما نقل القرطبى : أن الأرض على ظهر حوت . وما نقله عن بعض الصحابة من هذا ومن خلق الأرض والسموات فى أيام الأسبوع ، من الأحد الى الجمعة ، وما الى ذلك مما لم يرفعوه الى النبى — ﷺ — إنما أخذوه عن أهل الكتاب كما يدل عليه على الأقل السكوت عن يوم السبت إذ لم يكن كعب يستطيع أن يقول للمسلمين إن الله استراح فيه والله سبحانه يقول :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٦)

وأكبر الظن أنه لم يكن من الممكن اجتناب الأخذ عن أهل الكتاب ما عندهم فى الكونيات والقصص ، مما لم يرد فى القرآن أو حديث الرسول فالنفس فى تطلعها إلى معرفة المجهول واستتمام المعلوم تأخذ ممن يزعم العلم فان لم تجد من يعطى تخيلت . فلما دخلت الفلسفة اليونانية البيئة الإسلامية ، فى عهد المأمون على الأخص ، وقبلها المسلمون على أنها الحكمة جعل المفسرون المشتغلون بالفلسفة كالفخر الرازى يفسرون الآيات القرآنية الكونية بما يطابق آراء اليونان فى الفلك ، مع إعمال الفخر الرازى رأيه فى بعض المواقف .

فالسموات السبع مثلا عند الرازى هى أفلاك السيارات السبعة التى قررها اليونان ، ولما كان هناك عندهم فلك ثامن للنجوم الثوابت ، وفلك تاسع محيط هو مصدر حركة الأفلاك السبعة ، رجح الفخر الرازى أن تحديد القرآن الكريم عدد السموات بأنها سبع لا يستلزم ألا تكون أكثر من سبع .

وهذا من عجيب مسلك المفسرين فى التفسير أن يخضعوا الآيات الصريحة المحكمة لما يظنونه.أو يعتقدونه حكمة لا يجوز أن يكون بينها وبين الشريعة خلاف . فبدلا من أن يصححوا الفلسفة بصريح الكتاب أولوا صريح الكتاب إلى ما يوافق ما وقر عندهم أنه الحكمة . وليس أصرح ولا أحكم من أن يصف الحق سبحانه السموات التى خلقها بأنها سبع ويكرر ذلك فى كتابه الكريم مرات عدة ، وكان مقتضى هذا أن يستمسكوا بالنص ولو خالف العدد عند اليونان بل تجرأوا وقالوا : إن العدد ليس له مفهوم ، قاله القدامى وقاله المحدثون ، لأنهم لم يجدوا توجيها ولا تفسيرا لهذا العدد الذى وصف الله به السموات مرارا .

والعلم لا يعرف إلى الآن ، ما هى السموات السبع ، ومن قبل لم يعرف أن السماء فوق هواء الأرض سوداء حالكة ، والشمس طالعة بالنهار ، إلا بعد قرون تزيد على العشرة من نزول الآية القرآنية الكريمة التى تنص على هذه الحقيقة العجيبة . وكان الواجب إذ لم يجدوا فى العلم تفسيرا لعدد السموات أن يلتمسوا لعدد السبع تفسيرا فى القرآن ــ كتاب الله ــ ، فهذا من صميم تفسير القرآن بالقرآن . ولو أنهم اتجهوا هذا الاتجاه لكان من المؤكد أن يصلوا الى تفسير صحيح فالتفسير غير بعيد ممن يلتمسه مستعينا باللغة من ناحية ، وبالآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع من ناحية أخرى .

إن اللغة تقول إن السماء ما علا الأرض ، وعلم البديع يقول : إن بين السماء والأرض مقابلة ، حتى عدوا هذه المقابلة من بديعيات قوله تعالى :

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾ (٧)

فاذا ضممنا إلى هذا قوله تعالى فى آخر سورة الطلاق .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ (٨)

أى سبعا كما هو المتبادر وكما عليه جمهور المفسرين ، تبين المقصود من السموات السبع فى القرآن الكريم .

---

(٦) الآية ٣٨ سورة ق .

(٧) الآية رقم ٤٤ من سورة هود .

(٨) سورة الطلاق .

إنه ما دام هناك ست أرضين غير أرضنا ، وكل أرض يقابلها سماء ، فهناك اذن غير السماء المقابلة لأرضنا ، ست سموات أخرى ، لكل أرض سماؤها . فهل هذا معنى بعيد ؟ أم هل فى هذا التفسير تكلف ما ، أو تحميل للآى ما لا تتحمل ، كما يخشى على القرآن من يقول بمنع المطابقة بين الآيات الكونية فى القرآن ، وبين ما يتصل بمعناها من يقينيات العلم الحديث ؟ إذا كان القرآن قد سبق العلم الحديث بتقرير حقائق كونية ، لم يكشفها العلم إلا بعد عصر القرآن يقرون ، مثل جرى الشمس جريا ليس هو ما بين الشروق والغروب فى رأى العين ومثل ليل للسماء غير الليل المعروف فى الأرض ، فلا غرابة فى أن يخبرنا ويخبر الإنسانية التى أنزل لهدايتها بحقائق لم يكشف عنها علماء الفطرة إلى اليوم ، مثل وجود حياة فى السماء تشبه الحياة على الأرض ، ومثل أن هناك أرضين سبعا وسموات سبعا ، كما نصت عليه آية سورة الطلاق لتعلم الإنسانية إذا آن الأوان ، ومكن الله العلم من الكشف عنها :

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ (٩)

إن على علماء الفطرة من المسلمين من بين علماء البشر ، أن يهتدوا فى بحوثهم الكونية بما أنزل الله فى كتابه من آيات كونية ، وما يكشف عنه البحث من حقيقة معنى تلك الآيات نشروه ، ونشروا معه أو قبله ما قد كشف عنه العلم بالفعل ، ودلت عليه الآيات قبل أن يكشف عنه العلم لعل الإيمان يتجدد فى المفتونين بالغرب من شباب الإسلام ونشئه . ومن يدرى ؟ لعل الغرب إذا أحسن نشر ذلك بين أهله أن يهتدى منهم حائرون تركوا دينهم ، الذى رأوا فيه ما يخالف حقائق العلم الحديث .

لكن النظر فى الآيات الكونية فى القرآن إبتغاء الإهتداء إلى ما أودع الله فيها من أسرار الفطرة أو الطبيعة كما يسمونها يحتاج من الاحتياط فى البحث ومن الدقة فى المطابقة والاستنباط ، ما هو دأب علماء الفطرة فى البحث عن أسرار الفطرة . بل يحتاج الى دقة واحتياط أكبر ، ليتجنب مثل ما وقعوا فيه من اخطاء ، جرها عليهم أن غفلوا مع الزمن عن حدود التجارب التى قام عليها البرهان ، فقالوا مثلا إن الذرة لا تنقسم ، وغفلوا عن أن ذلك فى تجاربهم كان خاصا بالتفاعلات الكيماوية . فنبههم الله إلى خطئهم بتمكينهم أو بالأحرى بتوفيقهم الى الكشف عن العناصر الشعاعة وقالوا إن المادة لا تفنى ولا تتجدد ، ونسوا أن ذلك لا يصدق إلا على التفاعلات الكيماوية كذلك فهداهم الله من تركيب الذرة وتحولاتها إلى ما استيقنوا معه أن المادة تفنى بتحولها الى طاقة موجبة تنطلق فى كون الله بسرعة الضوء : (سرعة ثلثمائة ألف كيلو متر فى الثانية) فلا يكون للانسان سبيل الى استرداد ما انطلق منها ، هذا المبدأ العام ، مبدأ الوقوف من القرآن الكريم موقف علماء الفطرة ، إذ الفطرة والقرآن من عند الله يحتاج فى العمل به إلى قواعد لابد منها فى فهم الآى القرآنى ، وفى تحرى الاحتياط والدقة عند التطبيق .

وأول تلك القواعد : بديهية استحالة التعارض والتناقض على القرآن لأن ذلك مستحيل على الله الذى أنزل القرآن فكل ما يبدو للناظر من تعارض بين بعض الآى وبعض ، إنما يرجع إلى سوء فهم فهم أو تقصير فى البحث أو نقص فى العلم .

(٩) سورة الطلاق الآية ١٢ .

وثانية القواعد : بديهية أن التعارض والتناقض مستحيل بين القرآن فى آياته وبين الفطرة فى حقائقها . فكل حق من عند الله ، والحق لا يتعارض ولا يتناقض . فأحكام المطابقة لا يمكن أن ينتج إلا التطابق التام بين حقائق الفطرة وما يتصل بها من آيات القرآن .

وثالثة القواعد : أن لابد من التزام المنطق الصارم فى المطابقة بين الآى القرآنى وما يتصل بموضوعها من الحقائق الكونية ، وطبعا لابد منه فى الاستنباط من آى القرآن . وهذا يقتضى إذا لزم الأمر أن تكون المطابقة بين الحقيقة الكونية وبين جملة ما يتصل بها أو بموضوعها من الآيات القرآنية ، لا بينها وبين آية واحدة قد يخفى معناها على الناظر ولا يتبين إلا فى ضوء آية أو آيات أخرى فى نفس موضوعها .

والقاعدة الرابعة : ظاهرة مما سبق إذ لم يذكر فى القواعد الثلاث إلا الحقائق الكونية عند المطابقة . فلا يطابق بين الآى القرآنى والنظريات التى لا تزال محل فحص وتمحيص عند أهلها ، اللهم الا للحكم عليها بالصحة أو البطلان بموافقتها أو مخالفتها للقرآن .

ويضم إلى هذه القواعد تذكر الأمرين المهمين اللذين سبق التنبيه إليهما فى هذا البحث وهناك طبعا قواعد لابد منها فى فهم الآيات القرآنية تتلخص فيما يلى :

١ ـ أن تراعى معانى المفردات كما كانت فى اللغة إبان نزول الوحى بالقرآن أى ينبغى الاحتراس مما طرأ على معانى المفردات من التطور بالاستعمال :

٢ ـ أن تراعى القواعد النحوية ودلالاتها .

٣ ـ أن تراعى القواعد البلاغية ودلالاتها خصوصا قاعدة ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية فى نفس الكلام .

إن الآيات القرآنية التى سبق ضرب المثل بها فى هذا الحديث المجمل تعلقت بظواهر أو حقائق كونية محددة، وغيرها فى القرآن كثير، لكن بعض الآيات الكونية القرآنية هى من العموم بحيث لا يفى بتفسيرها إلا علوم الفطرة جميعا لا فى حالتها الحاضرة فقط ولكن فى كل امتدادتها فى المستقبل ، مثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(١٠)

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١١)

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾(١٢)

وبعضها أخص فى عمومه مثل قوله تعالى :
﴿ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾(١٣)

فهذا إجمال بعضه أعم ، أو أخص من بعض لا يقوم بتفصيله إلا تضافر وتعاون المختصين فى كل ميدان من ميادين العلم المطلعين على القرآن المتشربين بروحه . وهذا أمر يحتاج الى جهد كبير ، وإعداد كثير ، وأول من مهد لذلك ، وأسس له ورعاه ، مجمع البحوث الإسلامية من ناحية ، والجامعة الأزهرية فى كلياتها العلمية من ناحية أخرى .

---

(١٠) سورة القمر الآية ٤٩ .
(١١) الآية ٤٩ سورة الذاريات .
(١٢) الآية ٣٦ من سورة يس .
(١٣) سورة الحجر الآية ١٩ .

قبس من أنوار النبوة

بين الصدقة والقرض

للشيخ : على حامد عبد الرحيم

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ــ ﷺ ــ « رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوباً : الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر ، فقلت : يا جبريل ، ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة » رواه الترمذى والبيهقى وأبو نُعَيْم

القرض : « ما يدفع للانسان بشرط رد بدله »

فى هذه الأيام الطيبة المباركة تمر بنا ذكرى غالية على كل مسلم ، هى ذكرى الإسراء والمعراج : حيث أسرى الله ــ عز وجل ، بقدرته التى لا يحدها عقل ، ولا يحيط بها علم ــ بعبده محمد ــ جسدا وروحا ــ من مكة البلد الأمين ، من المسجد الحرام ــ ، إلى المسجد الأقصى ، ثالث الحرمين ، ومجمع الأنبياء إلى السموات العلى ، إلى حيث أكرم الله تعالى نبيه ــ ﷺ ــ

تلطفا به ، وإيناسا له ، وطمأنة لخاطره ، وتقوية لمعنوياته فى وقت ضاقت فيه حلقات الاضطهاد ، وتتابعت فيه ألوان العسف وفنون الإيذاء موجهة إليه ـــ ﷺ ـــ وإلى صحبه ، من أعداء الإسلام سفهاء قريش وغيرهم الذين وقر فى نفوسهم أن الجو قد خلالهم بموت خديجة ـ رضى الله عنها ـ وأبى طالب عم الرسول والمدافع عنه .

حتى قال الرسول ـــ ﷺ ـــ يناجى ربه « اللهم أنت رب المستضعــفين ، وأنت ربى الى من تكلنى ؟ الى عدو يتجهمنى ، أم الى عبد ملكته أمرى ؟!

إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى .

وهنا كانت مشيئة الله العليا بالمعجزة الخارقة إلى حيث يظهر التكريم الذى تختصر فيــه المسافات ، إلى حيث لم يرتفع نبى مرسل ؛ ولا ملك مقرب . مما جعل الرسول ـــ ﷺ ـــ يقول ـ فيما رواه البخارى :

« عرج بى حتى صعدت إلى مستوى أسمع فيه صريف الأقلام » لقد رأى ـــ ﷺ ـــ فى هذه الليلة المباركة من آيات ربه الكبرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ثم أنبأ عليه الصلاة والسلام ، ببعض ذلك مما تقضى الحكمة إظهاره والتحدث عنه للاستهداء به والاسترشاد به من مشاهدات ورؤى تحث على الخير وترغب فيه أو تزجر عن الشر وتنفر منه ـــ قصدا إلى اصلاح المجتمع من الأوضاع الفاسدة فيه فكان من مشاهدات رسول الله ـ ﷺ ـ ورؤاه ـ وهى كثيرة ومتنوعة ـ الترغيب فى الصدقة والاحسان إلى المحتاجين وسد حاجة المعوذين ، وتفريج كرب المكروبين كما قال ـ ﷺ ـ فيما يرويه الإمام مسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

إن الاسلام ينظر إلى المال ـــ فى يد صاحبه .. نظرة واقعية فيصفه بأنه زينة الحياة الدنيا ، وسوَّى فى ذلك بينه وبين الأبناء وأمر بتحصيله من طرقه المشروعة ، كما طلب من أهل الإيمان السعى فى تحصيله بمجرد الفراغ من أداء العبادة الأسبوعية المفروضة حيث قال عز من قائل : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ الجمعة

كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ فى شأن تحصيل المال بوجه عام « هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ » الملك ١٥ .

ونظرا لما للمال من فائدة تعم المجتمع وتقضى حاجته ، أضافة الله ـــ تعالى ـــ إلى نفسه تنويها بشأنه ، وجعل المالك له مستخلفا عنه فى هذا المال ـــ حيث قال « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» الحديد ٧

وقال « وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ النور ٣٣ .

وقال ـــ ﷺ ـــ فيما رواه مسلم ـــ يقول العبد مالى مالى وانما له من ماله ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأقنى ـــ وفى رواية لغير مسلم ، أو تصدق فأبقى ـــ وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس .

وروى البخارى — أن رسول الله — ﷺ — قال : « أيكم مالُ وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا : يا رسول الله مامنا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه ، قال : فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر » ومن أجل تطهير النفوس من بواعث الأثرة والأنانية ، حارب الإسلام خلق البخل والشح الذى يمنع من البذل والانفاق . فقال الله — سبحانه

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ آل عمران ١٨٠

وفى رسم طريق المجتمع الفاضل تجد القرآن الكريم يذكر الايمان مقرونا بالانفاق فى سبيل الله ، وإطعام البائس الفقير فمن أوصاف المتقين انهم: « ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ سورة البقرة ٣ .

« ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

الأنفال ٣ ، ٤

روى الترمذى عن أنس بن مالك أن النبى — ﷺ — قال : « الصدقة تطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء . » .

وكما قال — ﷺ — فيما رواه الطبرانى عن ابى أمامه — رضى الله عنه — صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر » .

وما ينفقه العبد باق عند الله فهو القائل

.﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ النحل ٩٦ .

ويروى الرسول — ﷺ — عن ربه — سبحانه وتعالى — « ياابن آدم افرغ من كنزك وعندى لا حَرَق ، ولا غرق ، ولا سرق أوفيكه أحوج ما تكون إليه » .

(البيهقى)

وإذا كان نبى الإسلام قد بين فى حديثه — الذى بين أيدينا — أن الحسنة بعشر أمثالها « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » فإنه قد رأى أن القرض الذى يعود لصاحبه مرة أخرى كاملا غير منقوص بثمانية عشر

فلأن طالب الصدقة قد يسأل ، وعنده ما يسد حاجته — أما طالب القرض المتسلف — فلايستقرض إلا من حاجة ملحة — فهو محتاج أكثر من السائل — ومن أجل هذا كان ثوابه أضعافا كثيرة .

وقد روى أبو داود الطيالسى والحكيم — أيضا — من حديث أبى أمامة بلفظ « رأيت على باب الجنة مكتوباً : القرض بثمانية عشر والصدقة بعشر ، فقلت : ياجبريل ما بال القرض أعظم أجراً ؟ قال : لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا وهو محتاج ، وربما وقعت الصدقة فى يد غنى .

وإن الذين يتعللون بعلل واهية مثل قولهم « السلف تلف والرد خسارة » أو يقصرون فى توثيق دَيْنهم على إخوانهم — مما يكون سببا فى عدم ردها أو يقولون : إن الوقت الذى يكون فيه المال عند فلان — يمكن أن يأتى منه عائد مالى آخر — فهذه طرق الشيطان التى يركز فى الدعوة إليها قال : عز من قائل.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾

البقرة/٢٦٨

الإسلام أول مقومات الأمة

بقلم الشيخ
معوض عوض إبراهيم

إن الدين على رأس مقومات الأمم بعامة ، وهو فى الأمة الوارثة جماع مقوماتها . فلغتها لغة كتاب الإسلام ، وأعرافها وعاداتها لا يُحفل بها ما خالفت مبادىء الإسلام وقواعده وفضائله فى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وفى منهج حياة صحابته رضوان الله عليهم .. والله تعالى يقول :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ .. ﴾ **الاسراء/٩ ويقول :** ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ .. ﴾ **البقرة/١٨٥ ويقول :**

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ **الأحزاب/٢١ .**

والرسول ﷺ يقول : « **خيرُ القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ..** » أخرجه مسلم .

ورحم الله الشيخ محمد أمين الشنقيطى فهو يقول فى كتابه « أضواء البيان » فى تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ .. ﴾ **الاسراء/٩ .**

« إن الرابطة الحقيقية التى تجمع المفترق وتؤلف المختلف ، هى رابطة لا إله إلا الله محمد رسول الله » والشيخ رحمه الله يعنى تمام الشهادتين : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فتلازمهما شرط فى إتيان الإسلام من بابه .. وأردف الشيخ يبسط الحقيقة التى ذكرها .. فيقول : « ألا ترى أن هذه الرابطة التى تجعل المجتمع المسلم كله ، وكأنَّه جسدٌ واحدٌ » ، وتجعله كالبنيان يشدُّ بعضه

بعضاً ، عطفت قلوب حَمَلة العرش ومن حوله من الملائكة على بنى آدم فى الأرض ، على ما بينهم من الاختلاف .. قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾

غافر/٧ ــ ٩

فقد **أشار** تعالى إلى أن الرابطة التى تربط بين حملة العرش ومن حوله ، ومن بنى آدم فى الأرض دَعَوْا لهم بهذاء الدعاء الصالح العظيم ، إنما هى الإيمان بالله جلَّ وعلا ، لأنه قال عن الملائكة « ويؤمنون به » فوصفهم بالإيمان .

قال عن بنى آدم فى استغفار الملائكلا لهم : « ويستغفرون للذين آمنوا » فوصفهم أيضاً بالإيمان .. فدلَّ ذلك على أن الرابطة بينهم هى الإيمان ، وهو أعظم رابطة » وساق الشيخ الشنقيطى دليلًا آخر على أن الرابطة الحقّة هى الإسلام ، ــ ذلك الدين القيم ــ وذلك أن الله تعالى قال عن أبى لهب ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ سورة اللهب/٣ . وأن رسول الله ﷺ دل على فضل سلمان الفارسى ومكانته عند رسول الله ﷺ والمؤمنين(١) بقوله : « سلمان منا آل البيت » أخرجه السيوطى بسنده الصحيح(٢) وقرر الشيخ الشنقيطى أن الإمام السيوطى ذكر هذا الحديث وعليه أمارة الصحة ، وأكثر رواية ثِقَات ، وقد استفاض فى الناس حتى قال قائلهم :

لقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارسٍ
وقد وضع الكفرُ الشريفَ أبالهب

« أضواء البيان » جـ ٤ ص ٤٤١ ــ ٤٤٨ للشيخ الشنقيطى .

وترابط المسلمين بالإسلام يجعلهم أبداً ، كما أرادهم الله « خير أمة أخرجت للناس » بشرط جاء فى قوله تعالى : ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ آل عمران/١١٠ وما تداعت عليهم الأمم ، (كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها) .. كما قال ﷺ ، إلا فى غيبة الدين ، وانحراف بعض المسلمين عن الإسلام ، وانصرافهم إلى غير المحجة البيضاء التى تركهم عليها النبى ﷺ(٣) مأخوذين ببهارج دعوات ، وخالب شعارات ، وزيف مبادئ يتصايح لها أقوام من قريب وبعيد ، ولو أنهم أعْمَلُوا فيها بعض النظر ، لوجدوا صَرْعَاهَا فى جوانب من الأرض ، ووجدوا آخرين ما أفادوا منها شيئا غير اللهث المبهظ ، والعَدْو المضنى ، وجهالة الانتساب إليها بغير بينة ولا سلطان . ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ الجاثية/٦ .

وفى غيبة الدين يشمخ الباطل بأنفه ، ويشيحُ عن الحق بوجهه ، ويبيضُ ويفرخُ إلى حين :

وإذا خلا الميدان من أسدٍ
رقَصَ ابن عُرسٍ ونَوْمَسَ النِّمْسُ !!

حتى إذا وجد الدين أهله ، وهم لا يخلو منهم ــ بشهادة المعصوم ــ زمان ، فهو يقول : « ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله » متفق عليه .

---

(١) ابن الأثير فى « أسد الغابة » من قول الرسول فى حفر الخندق وقول كل من المهاجرين والأنصار « إن سلمان منا ».

(٣) أخرجه أبو داود وأحمد .

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد .

عند ذلك تهب رياح النصر ، ويُظفر الله الخير بالشر ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ **الأحزاب/٦٢** .

أجَل .. إن أهل الدين الذين يترابطون به ، لا يخلو منهم زمان ، والله – تعالى – يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾ **المائدة/٥٤** . ويقول سبحانه : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم (٣٨) ﴾ **سورة محمد**

وأمْرُ الله فى حديث رسوله ﷺ أن يستبدل بمن أعرضوا عن حقه ، وتولّوا غيره ممن لا يدفع عن نفسه ، أقوامًا يحبهم ويحبونه ، وإذا كان حب الله لأوليائه تعاهداً لهم وإحساناً إليهم فإن حب المؤمنين لله ليس زعماً يُزْعَم ، ولا دَعْوَى تُدَّعى ، ولكنه إذعان لله ، وانقياد ، واتّباع لرسول الله ﷺ هو سبيل حب الله – تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٢)

(سورة آل عمران)

والعمل هو المظهر الحقيقى لخوافى الأنفس ، وهو فى الإسلام مظهر العقيدة وشاهد الانقياد ، على نحو ما أراد الله تعالى ، وبلّغ مصطفاه ﷺ ، وهو العمل الذى يُرسى قواعد الأمة ، ويرفع صرحها فما يستقيم فى حكم الإسلام أن تنبهرَ العقول ، بما تكاد تنصهرُ به الحلوق من دَعَاوى الإسلام حتى تُنهِضَـهَا الأعمال وتسندها الافعال وتكون هذه وتلك من معالى الأمور التى يحكمها قول الله – تعالى .. ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ **الكهف/١١٠** – وللعمل الصالح هو الذى خلص لله ، ووافق سنة رسول الله .. ألا وان الدين ليس دَعْوَى ولكنه كما ورد فى الأثر « ما وقر فى القلب وصدّقه العمل »(*) – وقلّما طالعك الإيمان بالله إلا وهو مقرون بالعمل فى القرآن الكريم ولا ذكر الله المؤمنين الاموصولين بعمل الصالحات .

والدّعاوَى إنْ لم تقيموا عَليها
بينـاتٍ دعاتُهـا أدعيـاءُ

وماذا تصنع الأرض واللغة الواحدة والتاريخ إن لم يَلُمَّ شعثها الدين ، وتجتمع فى إطاره لصوغ الأمّة التى كانت كالشياه فى الليلة المَطيرة فى صحراء لا يبلغ الطّرْف مداها ، وقد اعتكر ظلامها فما يتراءى فى كل ذلك اثنان ، حتى كنّا بالإيمان والقرآن والتأسى بالسراج المنير صلوات الله عليه « خير أمة أخرجت للناس » ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ **النور/٤٠** .

وكم ضلّ ساسة وأمعنوا فى غرورهم يوم نَحَّوْا الدين فى محاولتهم صوغَ أممهم من جديد على نهج شرق ملحد ، أو غرب كافر ، وأفضى هؤلاء إلى ما قدَّموا وعليهم وزر ليل تركوا فيه أممهم ، أوْ فى بقية منه ، نرجو أن تكون الصحوة التى غدا فجرها صُبحاً – عما قليل – وضحىً جميلًا نمضى بنور الإسلام معه إلى حياة يعلو فيها الحق ويسود الهدى ، ونكون بحق :

« خير أمة أخرجت للناس » .

(*) ينسب للحسن البصرى .. رضى الله عنه .

شريعتنا والمنظمات الدولية

الأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم إبراهيم البدراوى

أستاذ العلوم السياسية بالجامعات العربية

لكى نبحث مدى علاقة المنظمات الدولية بالشريعة الإسلامية ، يستلزم أن نتناول أولا الجوانب الهامة التى تمهد لهذه العلاقة ثم كيفية تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية الدولية فى المجتمع الدولى المعاصر .

لهذا رأينا أن نقسم هذا البحث إلى الفصول الآتية :

١ ــ لمحة تعريفية للمنظمات الدولية .

٢ ــ نشأة وتطور المنظمات الدولية .

٣ ــ أهمية ودوافع الانضمام إلى المنظمات الدولية .

٤ ــ الأسس الإسلامية فى التنظيم الدولى .

٥ ــ تطبيق وممارسة القواعد الإسلامية الدولية فى المجتمع الدولى المعاصر .

التعريف بالمنظمات الدولية :

تعتبر المنظمات الدولية فى عصرنا الحديث ، الأجهزة المتطورة التى تنطوى تحتها الدول لتتعايش معاً فى حياة جماعية فى ظل ميثاق يتفقون عليه . وفى ساحات المنتظم الدولى تستعرض الدول الأعضاء متطلباتها المختلفة ، وتناقش مشاكلها وتتعاون فى تحقيق رفاهيتها ، وتفصل فى منازعاتها فى ظل القانون الدولى العام .

ومن هذه المنظمات ماهو دولى عالمى يضم جميع الدول على اختلافها دون تفرقة أو تمييز إلا شرط السيادة والاستقلال الذى بدونه لاتكون الدولة كما كان الحال فى «عصبة الأمم» وكما هو الآن فى «هيئة الأمم المتحدة» .

ومن المنظمات ما هو إقليمى ، وهذه تضم مجموعة معينة من الدول ، عادة ما تكون متجاورة ، متجانسة فى بعض من الصفات والأيدولوجيات والمصالح المشتركة ، ومنها على سبيل المثال «منظمة الوحدة الإفريقية» «جامعة الدول العربية» «مجلس التعاون الخليجى» . وللمنظمات الدولية العالمية أهداف عامة ونشاط واسع يشمل نواحى عديدة ، بينما المنظمات الإقليمية يختصر نشاطها وأهدافها على نواحى معينة محدودة فى النطاق الذى أنشئت من أجله ، مما تتناوله بالتفصيل الكتب الدراسية الجامعية .

نشأة وتطور المنظمات الدولية :

منذ فجر التاريخ والمجتمعات البشرية تعرف نوعاً من التنظيمات فى حدود نشاطاتها واحتياجاتها الأمنية والدفاعية والاقتصادية ، كما كان الحال فى حضارات اليونان والفراعنة وفارس ، وبابل ، وأشور ، إذ عرفت كل هذه الحضارات ، أعرافاً دولية كثيرة ، مما نسميه الآن بالقواعد القانونية الدولية ، التى لا تأتى إلا عن طريق تجمعات واتفاقيات بين الشعوب ، وأمكنهم

عن طريق تلك التجمعات الدولية ، إقرار كثير من قواعد السلم والحرب ، وتبادل الأسرى ، وحماية اللاجئين ، واحترام مبعوثى الـدول ، واحتـرام المعاهدات التى تقوم بينهم .

وقد خَطَتْ اليونان قديماً قبل الميلاد خطوات هائلة فى هذا المجال فقـد ألّفـوا حلفـاً يسمـى DELOS (دلوس) عام ٤٧٨ ــ ٤٧٧ قبـل الميلاد ، يضم معظم الدويلات أو الجزر الواقعة على « بحر إيجه » ليقف هذا الحلف أمام الاعتداءات الفارسية ، واتفق فى هذا الحلف على تكويـن أسطول يونانى ، يشترك الأعضاء فيـه كل بما يستطيع من سفن أو جنود أو مال[١] .

ومن خطوات اليونان قديما أيضاً فى هذا المجال ما عرف لديهم عن اللقاءات الدورية المنتظمة كل عام ، يحضرهـا مندوبـو الاتحادات التعاقديـة ، لبحث المسائـل الهامـة ، التـى تخص علاقـات دولهم[٢] .

أما أشكال العلاقات والتنظيمات الدولية فى القرون الوسطى ، فكان أساسها الدين المسيحى ، الذى اعتنقته الامبراطورية الرومانية ، وأنشىء من أجل ذلك القانون الأوربى المسيحـى ، لتنـظيم العلاقات بين دول أوربا المسيحية ، وتطورت هذه التنظيمات بين دول أوربا المسيحية إلى أن كانت « أتفاقية ڤيينا للعلاقات الدبلوماسية » عام ١٩٦١ م التى وضعت الأسس الحديثة للتبادل الدبلوماسى بين الدول .

ثم باستقـراء تاريخ العلاقـات بين الـدول ، وتقلب فتراته السياسية ، وإمعان النظر فى الدوافع والأسباب وراء تكوين التجمعات الدولية ، نجد أن عامل الحرب يؤدى دوراً هاماً وراء تكوين تلك التجمعات ؛ إذ غالبا ما تفكر الدول فى هذه التنظيمات بعد أن تخوض حرباً ضروساً تأتى على كل شىء فيها ، وتوقف نموها وحضارتها ، فتسعى إلى إيقاف تلك الحرب بشتى الطرق وتلهث وراء نظام جماعى تلتئم تحته بأس الحروب والخراب ، ويضمن سلامتها وأمنها فى حاضرها ومستقبلها ، ويحل مشاكلهـا بالطـرق السلميـة الوديـــة فى اجتماعاتها بدلا من ساحات القتال ، واضعة لها ميثاقاً ونظاماً يخضع له الجميع .

فحرب الثلاثين عاماً فى أواسط أوربا فى القرن السابع عشر الميلادى ، التى حطمت اقتصاد أوربا وزعزعت العقائد الدينية ، انتهت تلك الحرب إلى معاهدة فيستفالين فى ولاية NORDRHEIN-WESTFALN فى غرب ألمانيا عام ١٦٤٨ ــ وضم المؤتمر الذى مهد لهذا الصلح وتلك المعاهدة ممثلين عن دول أسبانيا ، وفرنسا ، وسويسرا ، وهولندا ، والبرتغال ، وإيطاليا ، وممثل عن رأس الفاتيكان وقد أسفر هذا التجمع الدولى عن إقرار بعض الأسس والقواعد الدولية منها :

ــ المساواة بين الدول المسيحية على اختـلاف مذاهبها .

ــ ابتكار وظيفة السفير الدائم المقيم ، ليكـون حلقة الوصل للتفاهم بين الدول ، وإذابة سوء الفهم منعاً لقيام الحرب .

ــ الوقوف أمام أطماع أية دولة تريد التوسع فى أراضيها على حساب جيرانها[٣] .

---

(١) لطفى عبدالوهاب يحيى « اليونان » ص ١٦١ وما بعدها ، بيروت ١٩٧٩ .

(٢) على صادق أبو هيف « القانون الدبلوماسى » ص ٧٥ .

(٣) على على منصور « الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام » ص ٤٩ وما بعدها .

ومثلنا الثانى فى استقراء تاريخ العلاقات بين الدول الذى يضيف حلقة أخرى فى سلسلة تجمع الدول وتفاهمها عقب الحروب ، تلك الحروب النابليونية ، التى مزقت أوربا ، والتى انبثق عنها ما عُرِف بالوفاق الأوربى «CONCERT OF EUROPA» تبلور فى فينا عام ١٨١٥ م ، ليضع قواعد دولية جديدة ، كان منها : حرية الملاحة فى المياه الدولية ، وتحريم الاتجار فى الرقيق ، والاتفاق على عقد اجتمعات دورية بين رؤساء الدول الأعضاء ، أو وزرائهم للنظر فى المشاكل التى تعترضهم(٤) .

وتنسى الدول ويلات الحروب ، وتشتعل نيران الحرب العالمية الأولى ، لِتُفِيقَ الدول مرة أخرى على (منظمة) تقيها بأس الحرب فكانت «عصبة الأمم» ويكرر التاريخ نفسه ، وتقوم الحرب العالمية الثانية ، وتلهث الدول وراء (منتظم دولى) آخر أكثر تطوراً وأوسع قاعدة فكانت «هيئة الأمم المتحدة» ومحكمة عدلها الدولية .

دوافع الانضمام للمنظمات الدولية :

لقد رأينا فيما سبق أن المنظمات الدولية يضطر إلى تكوينها المجتمع الدولى ليبعدها عن شبح الحروب ولإيجاد الساحة التى تنهى مشاكل الدول بالحوار والنقاش بعيداً عن ساحات الحرب ، ويلزم لهذا الأمر ، تعاون الدول فى اقتصادها ، فالدول التى تقيم علاقات اقتصادية فيما بينها وتتقاسم مصانعها وتوحد دائرة زراعاتها تكون أبعد عن الاشتباك العسكرى ، فهل تدمر مصانع هى شريكة فيها ، وهل تحرق مزارع تمدها بغذائها !!

وانضمام الدول للمنظمات الدولية يعنى كذلك ضماناً لعدم الاعتداء عليها ، اذ يكون الاعتداء على عضو فى المنظمة ، اعتداءً على بقية الأعضاء .

ومن دوافع الانضمام كذلك التبادل الثقافى بين الدول الأعضاء ، فالدول يزداد علمها وثقافتها ، وتجاربها العلمية ، بالإطلاع على أفكار وثقافات الشعوب الأخرى ؛ فكانت المؤتمرات العلمية الدولية فى شتى شئون الثقافة والعلم ، مما يوفر على كثير من الدول والشعوب تجارب شاسعة ، سبقتها إليها دول أخرى . وباختصار فإن المنظمات الدولية تكون المكان الأمثل (لديناميكية) الحوار من خلال الدبلوماسية متعددة الأطراف ، وتشجيع وتعضيد التسويات بين الأعضاء ، كما أنها تسهل وتمهد الطريق أمام التبادل الثقافى والعلمى والسياسى ، ثم تطوير التعاون الاقتصادى ، وأخيراً تعزيز التعاون الأمنى(٥) .

الأسس والقواعد الإسلامية فى التنظيم الدولى :

لم تأت القواعد الإسلامية فى التنظيم الدولى من تجارب الأمم وحروبها الدامية ، فتكون مبتورة تحتاج إلى إضافات وتعديلات ، كلما تقدم بها

(٤) جعفر عبدالسلام « المنظمات الدولية » ص ٢٣ وما بعدها .

— LEO GROSS "The development of International Law through the United Nations" P.171 in the United Nations, edited By JAMES BARROS -N-Y. 1972.

5) Norman I.Padel ford, George A-Lincoln, Lee D-Olvey "the Dynamics of International Politic" PP. 188,191,345,494.

الزمن ، حيث قصر نظرها على حاضر المجتمعات دون مستقبلها .

وأنما نزلت القواعد الإسلامية من السماء كاملة متكاملة من خالق الكون والبشر من الله عالم الغيب ، لتكون نظاماً وقانوناً لعالم المجتمع البشرى ، متفقة مع الفطرة الإنسانية ، فهى لاتتغير ولاتتبدل ، ولايضاف إليها ولايحذف منها ؛ لأنها فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وطالما هى للإنسان ، فالإنسان هو الإنسان بكل مقوماته فى ماضيه وحاضره ومستقبله ، وعلى هذا الأساس كانت نظم الإسلام وقواعده للمجتمع البشرى ، مثل حقوق الإنسان الطبيعية ، وقواعد الأمن والسلام بين بنى البشر وقواعد وآداب الحرب ، وأسرى الحروب ، وقدسية العقود والمعاهدات بين الدول ، وتنظيم استغلال البحار والأنهار ، وحق الدفاع والمؤازرة ، وإقامة الصلح والقضاء فى المنازعات الدولية .

ولأن هذه القواعد متفقة مع فطر الشعوب نجدها تتمتع بخصائص معينة وتتميز بصفات تنفرد بها منها :

١ ـــ انها قواعد تتفق والفطر السليمة والعدل ، ولذا تتقبلها الشعوب والدول على اختلاف مذاهبها وعقائدها « ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »[٦] .

سورة الروم ـ آية : ٣٠

وقد اهتدت دول غير إسلامية إلى كثير من هذه القواعد بفطرتها السليمة ، لاسيما حين تريد التخلص ... من تعصب ضيق ؛ ومنها ما اهتدى إليه المجتمع الدولى من قواعد للحرب ، كحق الدفاع عن النفس ، والمؤازرة فى المادة ٥١ من ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، وما حرمته اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ من استخدام القنابل الحارقة مثل النابالم والفوسفور الأبيض ، وكما وضعت اتفاقيات جنيف أيضاً لعام ١٩٧٧ حقوقاً لأسرى الحروب .

وكما جاء فى اتفاقيات البحار المختلفة ، لحرية الملاحة والصيد ، والاستكشافات فى أعالى البحار ، واللجوء إلى التحكيم الدولى فى المنازعات التى تنشأ بين الدول ، كما ينص على ذلك الفصل السادس من ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، وكما أنشئت من أجل ذلك المحاكم الدولية وهذه (اتفاقية فينا) لعام ١٩٦٩ تنظم و (تقنن) الوفاء بالعقود والمواثيق .

٢ ـــ بما أن القواعد الإسلامية ليست من صنع البشر ، فهى دائماً تحلق فوق الدول كهدف أسمى ، ومنال عظيم ، كلما حققت منه شيئاً وجدت نفسها أشد تعلقاً به ، وما زالت فى حاجة إليه ، ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ (سورة البقرة)

٣ ـــ طالما كانت القواعد الدولية الإسلامية ، متفقة مع فطر الناس السليمة ، ومحققة لأهدافهم ، فهى صالحة لكل زمان ومكان ، لافرق بين عهد وعهد ودولة وأخرى ، لأن العنصر الأساسى فى ذلك كله هو الناس فى كل العهود والأماكن .

٤ ـــ لما كانت قواعد الإسلام الدولية غير جامدة أو ضيقة ، فهى تتسع لمصالح الناس المرسلة كافة ، والتى تتفق مع العصور المختلفة .

يتبع

(٦) سورة الروم الآية : ٣٠ .

مع نظام الدين الحسن النيسابورى وحديث عن الصلاة معراج المؤمن

للأستاذ / عبدالحفيظ فرغلى على

المسلمون حين يهل شهر رجب تستثيرهم ذكريات الإسراء والمعراج ، وتستحثهم أنباء هذا الحدث العجيب الذى يمتلىء بأعظم صور الاصطفاء والاجتباء والتقريب ، وينطق فى وضوح بشدة حب المولى ـ عز وجل ـ لصفيه وحبيبه محمد ـ ﷺ ـ فيتأملون ما فى ذلك من أسرار ، وما يجب أن يستلهموه من أنوار ويأخذوه من عظة واعتبار .

وعلينا أن نقف جميعا متعاملين أمام فريضة الصلاة ـ الشعيرة الأولى فى أركان الإسلام .

والتى كانت تحفة الله ـ تعالى ـ لنبيه ـ ﷺ ـ فى هذه الليلة المباركة ، ليعود بها إلى قومه المؤمنين ، لتكون لهم معراجا دائما يصلهم بالله آناء الليل وأطراف النهار .

ويستحقون بذلك مقام الخلافة التى أعدهم ـ بسابق فضله ورحمته ـ لها . حين قال لملائكته فى الأزل ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ سورة البقرة ـ ٣٠ .

إن الصلاة معراج المؤمن حقا ، وفى الحديث عن ذلك المعراج نتذكر ما قاله العلماء المحققون ، ونستأنس بما كتبه الإمام الحجة نظام الدين « الحسن بن محمد الحسين النيسابورى » فى كتابه « غرائب القرآن ورغائب الفرقان » .

وقد عاش هذا الإمام المجتهد فى خلال القرن الثامن الهجرى ، ولد بنيسابور مدينة العلماء ونشأ بها ، وأقام فى مدينة « قم » وتوفى بها سنة ٧٢٨ هـ .

كان أعلم أهل زمانه ، مضيء الحجة ، قوى الجنان ، ساطع البرهان ، جامعا للمعقول والمنقول ، بارعا فى توضيح المشكلات وتفسير المبهمات .. كما تقول مقدمة كتابه المشار إليه ، وكما يشهد بذلك ما تقرؤه له فى تفسيره هذا .

ولهذا الإمام مؤلفات جمة ، فى ذروتها هذا التفسير الذى يقول فى مقدمته : طالبنى بعض أجلة الإخوان أن أجمع كتابا فى علم التفسير مشتملا على المهمات ، مبنيا على ما وقع إلينا من نقل الإثبات وأقوال الثقات من الصحابة والتابعين ، ثم من العلماء الراسخين ، والفضلاء المحققين ، المتقدمين والمتأخرين ، فاستعنت بالمعبود وشرعت فى المقصود ، معترفا بالعجز والقصور ..

لقد تناول فى تفسيره الذى يحتوى على عشرة مجلدات تضم ثلاثين جزءا ـ خلاصة وافية شهية لما جمعته كتب التفسير السابقة ، مع إصلاح ما يجب إصلاحه وإتمام ما ينبغى إتمامه ، مضيفا إلى ذلك مالا يحصى من الفوائد ، وما يراه متمما للمعنى من الشواهد ، وما يستحسنه الذوق من الفوائد . مع ذكر طرف من الإشارات المقنعات ، والتأويلات الممكنات ، ونوادر الحكايات وجميل العظات ، والأذواق النيرات ، فكان بحق مطابقا لمبناه ، صادقا مع مسماه .

وقد قدم لتفسيره بمقدمات عدة قبل أن يشرع فى تفسير سورة الفاتحة التى تعد عماد الصلاة فى كل ركعة ، فأفاض فى الحديث عن أسرارها ، وعن الأنوار المنبعثة منها لمن يتدبر فى قراءته ويخشع فى صلاته ، حتى يتخلص من ركام طينيته ، ويسمو إلى آفاق روحانيته ، وينخلع من أوثاق ماديته ليحلق فى ملكوت ربه ، حيث يطالع لوامع الإشراقات ، ويصافح طوالع الإلهامات ، ويستنشق عبير الفيوضات ، ويسعد بوقوفه بين يدى بارىء الأرض والسموات ، يناجيه بكلامه ، ويتزلف إليه بقرآنه ، ويتقرب إليه بخضوعه فى ركوعه وسجوده ، ويتحبب إليه بالثناء عليه ، والاستغفار له ، والإنابة إليه ، والتضرع بين يديه .

أسرار الصلاة :

ليست الصلاة مجرد حركات تؤدى ، ولكنها حياة كاملة ، وروح منبعثة ، ومعان شاهدة ، ومدد متصل بين عالم الأرض والسماء لمن أراد أن يتذكر أو يلقى السمع وهو شهيد .

استمع إلى المؤلف يعلمنا كيف تكون الصلاة ، وكيف ينتفع العبد بها ، ويرتفع إلى مقام الشهود بواسطتها ؟ يقول :

إذا تطهر العبد فليرفع يديه إشارة إلى توديع الدنيا والآخرة ، وليوجه قلبه وروحه وسره إلى الله .

ثم ليقل : الله أكبر ، أى من كل الموجودات ، بل هو أكبر من أن يقاس إليه غيره بأنه أكبر منه ..

ثم ليقل : « سبحانك الله وبحمدك » وفى هذا المقام ينكشف لك نور سبحات الجلال .

ثم ليقل : « تبارك اسمك » إشارة إلى الدوام المنزه عن الفناء والعدم ، ليطالع حقيقة الأزل فى القدم ، وحقيقة الأبد فى البقاء ، فيتجلى له نور الأزل والأبد .

ثم ليقل : «وتعالى جدك» إشارة إلى أنه أعلى وأعظم من أن تكون صفات جلاله ونعوت جماله محصوررة فى القدر المذكور .

ثم ليقل : «لا إله غيرك» إشارة إلى أن كل صفات الجلال وسمات الكمال له - تعالى - لا لغيره ، فهو الكامل الذى لا كامل إلا هو ، وفى الحقيقة لا إله إلا هو .

وههنا يكِلُّ اللسان ويدهش اللب ويتحير العقل والجنان .

ثم عد أيها المصلى وقل :

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ [الأنعام : ٧٩]

تأمل فى دعاء الافتتاح هذا :

فقولك «سبحانك اللهم وبحمدك» هو استشعار لمقام الملائكة المقربين الذين قالوا لربهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة : ٣٠] .

وهو أيضاً معراج النبى - ﷺ - لأن معراجه مفتتح بقوله «سبحانك اللهم وبحمدك» .

وقولك : «وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا» هو استشعار لمعراج الخليل ابراهيم - عليه السلام - لأنه قال هذا الكلام بعد توصله إلى مقام المعرفة للحق - تعالى - بعد ترديد بصره وتقليب فكره بين أجرام الكون وكواكب السماء فقال لقومه :

﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)﴾ [الأنعام: ٧٨] .

وقولك : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٢] هو تمثل لمعراج الحبيب محمد - ﷺ - .

وإذن فقد جمع المصلى بدعاء الاستفتاح هذا فى مقدمة صلاته بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء الأنبياء والمرسلين .

الاستعاذة فى مفتتح الصلاة :

ثم إذا فرغ المصلى من دعاء الاستفتاح . استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وفى هذا دفع للعجب عن النفس ، وقطع لوسواس الشيطان ، واستعداد لتلقى امدادات القرب . إنها التحلية بعد التخلية كما يقول العارفون . إنه فى هذا المقام يُفتح للمصلى المنيب أحدُ أبواب الجنة وهو باب المعرفة .

إمدادات آيات الفاتحة :

فإذا قال المصلى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ افُتتح له باب الذكر .

فإذا قال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ افتتح له باب الشكر .

فإذا قال : ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ افتتح له باب الرجاء .

فإذا قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ افتتح له باب الإخلاص المتولد من معرفة العبودية ، ومعرفة الربوبية .

فإذا قال : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ افتتح له باب الدعاء والتضرع - قال تعالى -

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : ٦٠]

فإذا قال : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر السورة . افتتح له باب الاقتداء بالأرواح الطيبة والاهتداء بأنوارهم .. فجنات المعارف الربانية انفتحت له أبوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية .

• فهذا بيان المعراج الروحانى فى الصلاة .

المعراج الجسمانى :
يقول المؤلف ـ رحمه الله ـ: لقد كان لرسول الله ـ ﷺ ـ معراجان أحدهما : حسى ، والآخر روحى . أما الحسى فهو الانتقال المكانى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى عالم الملكوت .

وأما المعراج الروحى فمن عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ثم من عالم الغيب إلى عالم غيب الغيب . ويستطيع المصلى ـ إذا كان موفقاً ـ أن يحقق بصلاته المعراج الروحى الذى أشرنا إليه فيما سبق . حيث يغنى عن نفسه فى صلاته ، ويتدبر فى معنى ما يقرأ ، ويشهد بعين قلبه أنه بين يدى ربه يناجيه ويكبره ويحمده ويثنى عليه .

أما المعراج الحسى فيتحقق بما أشار إليه المؤلف حيث يقول :

أولى مراتب المعراج الجسمانى فى الصلاة أن يقوم المصلى بين يدى ربه كقيام أصحاب الكهف الذين ورد فيهم ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ﴾ [الكهف : ١٤] .

بل عليه أن يتمثل قيام أهل القيامة .. ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين : ٦] .

ثم يتلو دعاء الاستفتاح الذى أشرنا إليه ، ثم يقرأ الفاتحة وما يتيسر له من القرآن ، مجتهداً فى أن ينظر من الله إلى عبادته حتى يستحقرها ، وليحذر أن ينظر من عبادته إلى الله فيصيبه بذلك الغرور ، وهو إن فعل ذلك هلك . وهذا سر قوله ـ تعالى ـ ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

على المصلى أن يعلم أن نفسه جارية مجرى خشبة عرضت على نار خوف الجلال فلانت ، فليجعلها منحنية بالركوع ، ثم يتركها تستقيم مرة أخرى . فإذا استقامت تركها تنحدر إلى الأرض بغاية التواضع ذاكراً ربه فى سجوده بأوصاف العلو « سبحان ربى الأعلى » .

فإذا سجد العبد مرة ثانية فقد حصل له ثلاثة أنواع من الطاعة : ركوع واحد وسجودان .

فبالركوع ينجو من عقبة الشهـــوات ، وبالسجود الأول ينجو من عقبة الغضب الذى هو رأس المؤذيات ، وبالسجود الثانى ينجو من عقبة الهوى الذى يؤدى إلى كل المعضلات .

سر التشهد :

فإذا تجاوز هذه الصفات وصل إلى الدرجة العالية ، واستحق الباقيات الصالحات ، وانتهى إلى عتبة جلال مدبر الأرض والسموات . فيقول عند ذلك : « التحيات المباركات ـ باللسان ـ والصلوات ـ بالأركان ـ والطيبات ـ بالجنان وقوة الإيمان بالله » .

عندئذ يصعد نور روحه ، متمثلًا نور روح محمد ـ ﷺ ـ الذى جاء بهذه الشريعة المباركة ليلة معراجه ، فيتلاقى الروحان ، ويحصل بذلك الروح والريحان ، فيقول : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . فعند ذلك يتمثل قول سيدنا محمد ـ ﷺ : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

وكأنه قيل له فى هذه الآونة : بم نلت هذه الكرامات ؟ فيقول : بقولى : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

فكأنه يقال له : إن محمداً - ﷺ - هو السبب فى هدايتك فأى شيء تكون هديتك له ؟ إن هديتك لا تكون إلا بالصلاة عليه . فقل : اللهم صل على محمد وآل محمد .

وكأنه يقال له أيضاً : إن محمداً هو إجابة دعوة ابراهيم الذى قال : ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩] . فأى شيء يكون جزاؤه ؟ إن جزاءه أن تقول : كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .. وهو يتمثل أن كل هذه الخيرات من الله - جل وعلا - فيخاطبه مثنياً عليه بقوله : إنك حميد مجيد .

إن العبد إذا ذكر الله - تعالى - بهذه الأثنية والمدائح ، ذكره الله - تعالى - فى محافل الملائكة مصداقاً لما جاء فى الحديث القدسى .. «وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من الملأ الذى ذكرنى فيه» رواه الطبرانى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية للمناوى ق ١٣ حديث رقم ١٥ .

فإذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا إلى العبد وزيارته . فتكون تحية المصلى لهؤلاء الزائرين : «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» إن هذه التحية هى بعينها تحية الملائكة المتعارفة التى يتلقون بها أهل الجنة فى الجنة: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد] .

أرأيت كيف تكون الصلاة معراج المؤمن ؟

ولكنها لا تكون كذلك إلا إذا أداها صاحبها حق الأداء ، وخشع فى ذلك خشوعاً تتحقق به مقامات الخشية التى أشار إليها الحق - تعالى - فى قوله : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] .

لقد وعد الله المؤمن بالفلاح ، وأول أوصاف المؤمن الخشوع فى الصلاة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون] .

أهمية الخشوع :

إن الخشوع الحقيقى هو الذى يُذهل صاحبه عن نفسه ، فلا يُرى إلا متمثلًا مقام ربه ، حتى إنه لا يحس بشيء مما يقع فى عالم الحس من حوله . وليس ذلك بعجيب ، فعروة بن الزبير حين وقعت الأكَلَة فى رجله وأرادوا قطعها احتالوا عليه ليسقوه مرقداً ، فأبى وقال : ارقبوا وقت صلاتى وافعلوا بى ما تشاءون ، فقطعوها ولم يتأوه ، ولم يشعر . فلما انصرف من صلاته أقبلوا عليه يعزونه فى رجله ، فقال : الحمد لله كل الحمد ، كان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً ، فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت ، وإن كنت قد أبليت فطالما عافيت ، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت .. البداية والنهاية ١٠٢/٩ .

وذكر الرواة أن على بن الحسين الملقب بزين العابدين احترق المنزل الذى هو فيه وهو قائم يصلى ، فلم يشعر بذلك ، ولما انصرف من الصلاة أخبروه فقال : اشتغلت عن هذه النار بالنار الكبرى - البداية والنهاية ١٠٥/٩ .

إن مثل هؤلاء عرجت بهم صلاتهم إلى العالم الأعلى فلم يشعروا بالعالم الأدنى ، وفى هذا ذكرى لمن يتذكر ، وما يذكر إلا أولو الألباب ..

الأكراد
الوطن الجنس الدين

للأستاذ ماهر زكريا الشيمى

مقدمة :

تعتبر القضية الكردية من أهم المشكلات السياسية فى منطقة الشرق الأوسط . فهى تعتبر نموذجاً للأقلية القومية وما يمكن أن تؤدى إليه من مشكلات تعانى فيها الدولة مثلما تعانى منها الأقلية القومية نفسها . وهم يمثلون أهم وأخطر أقلية قومية فى الوطن العربى . وقضيتهم هى فى الواقع إحدى قضايا الشرق الأوسط الرئيسية . وتفجرها القريب أو البعيد قادم لا محالة ، وقد يؤدى ذلك إلى تغييرات جذرية فى المنطقة[1] .

وطن الأكراد :

يعيش الأكراد فى وطنهم الذى يعرف باسم « كردستان » منذ عام ٢٤٠٠ ق . م[2] . وهى منطقة وعرة مضرسة متسعة تمتد بين خطى عرض ٢٣ درجة ، ٤٠ درجة شمالًا ، وبين خطى طول ٥٣٧ درجة ، ٥٤٨ درجة شرقاً . وتقدر مساحة كردستان بنحو (٤١٠,٠٠٠) كيلو متر مربع (٤٠٩,٦٥٠ كيلو متر مربع)[3] . ويمتد هذا الوطن فى أراضى عربية فى العراق وسوريا ، وأراضى أخرى فى تركيا وإيران والاتحاد السوفييتى سابقاً وبالطبع لا توجد حدود سياسية لهذا الوطن تجمع شمل الأكراد ، وإنما يعيشون مبعثرين متناثرين بين هذه الدول الخمس .

وتشكل كردستان الرقعة الواقعة فى جنوبى جبال أرارات فى أرمينيا الروسية بين جنوبى بحر قزوين وشمال شرق البحر المتوسط ، وتمتد داخل أذربيجان الإيرانية وجمهورية أرمينيا الروسية ، وقسما كبيرا من شرق الأناضول التركى . وتنحدر جنوبا حتى مشارف الجزيرة العربية من أطرافها الشمالية فى سوريا وشمال العراق وشرقه فالقسم الغربى من إيران ، وينتهى فى الجنوب عند كرمانشاه .

ويمكن القول : إن الأكراد والجبال لا يفترقان ، فكلما ظهرت السهول فإن الأكراد يتركونها للعرب والأتراك . أما السبب العام لفقدان الوحدة بين الأكراد وتفرقهم ، فيرجع إلى الوضع الجغرافى حيث الوديان الكثيرة ، وسلاسل الجبال الوعرة ، ومجارى المياه القوية . فقد أدى ذلك كله إلى تقسيم الحياة السياسية والحياة

---

(١) « مشكلات الأقليات فى الوطن العربى » د. جلال يحيى ، د. محمد نصر مهنا ـ دار المعارف ١٩٨٠ .

(٢) المصدر السابق ..

(٣) « دراسات فى الجغرافيا السياسية » د. صلاح الدين

الاجتماعية . ولكن بالرغم من هذا فإن الشعور بالحرية والاستقلال قوى جدا عندهم ، وهو من مقومات الوجود الكردى ، وينعكس فى تاريخ الحركة الكردية أيضا .

المناخ :

وينتمى وطن الأكراد فى جملته إلى مناخ البحر المتوسط . ومع ذلك فإن الطبيعة الجبلية تتسبب فى تباين كمية المطر من مكان إلى آخر ، ومن ثم كان الرعى هو الحرفة الرئيسية لمعظمهم . وتدعو حرفة الرعى عادة إلى حركة وهجرات فصلية شبه منتظمة سعيا وراء المرعى . ويمكن أن نتبين نوعين من الهجرة الفصلية هما : الهجرة الرأسية والهجرة الأفقية .

أما الهجرة الرأسية فهى فى فصلى الربيع والصيف . إذ يصعدون مع قطعانهم إلى الأجزاء العالية من الجبال والهضبات . وفى الشتاء يهبطون إلى السفوح الدنيا والسهول وبطون الأودية . وهذه الهجرة تخلق النزاع بين القبائل الكردية وتتسبب فى المتاعب . ولكن الهجرة الأفقية تكون فى الغالب أكثر خطرا ، لأنها تمثل التحركات التى لا تتقيد فيها القبائل بالحد السياسى بين دولة ودولة أخرى . ذلك أنهم عندما يتنقلون بين إيران والعراق ، أو بين العراق وتركيا وسوريا ، فإنهم يتسببون فى مشكلات تتفاقم على الحدود ، وتخلق التوتر بين تلك الدول والقوميات ، خصوصا إذا كانت العلاقات بين هذه الدول ليست على مايرام . ذلك انه ليس من السهل فرض الرقابة على تحركات البدو والتنقل مع القطعان من أرض إلى أرض ، كما أنه ليس من السهل إلزام البدو بقانون يحد من حرياتهم وتحركاتهم[٤] .

السلالة والدين واللغة :

ويتميز الأكراد سلاليا عن سائر الجماعات والأمم التى تحيط بهم والتى يعيشون على جزء من أراضيها . فهم يختلفون :

(أ) سلاليا عن العرب فى العراق وسوريا ، كما يختلفون سلاليا عن الإيرانيين والأتراك وهناك اعتقاد بأنهم من طلائع (النورديين) . ويعتقد أيضا أنهم ينتمون إلى السلالة الأرمينية المختلطة ببعض دماء من سلالة البحر المتوسط . كما يمكن تصنيفهم من العنصر الآرى .

(ب) ويختلفون لغويا ، فهم يتكلمون لغتهم الكردية التى تنتمى إلى مجموعة اللغات الهندية الأوربية[٥] .

(جـ) وعلى الرغم من كونهم مسلمين سنيين فى جملتهم باستثناء (اليزيديين)[٦] الوثنيين وهم قلة ، إلا انهم يحسون بكل احاسيس الانفصال وعدم (الانسجام) عن سائر الشعوب المحيطة بهم .

(د) وهم يعيشون فى ظل النظام القبلى ، ويرضخون لسلطة شيخ القبيلة على اعتبار ان هذا من المسلم به . ولذلك كانت سيطرة الروح القبلية وتسلطها ، سببا للتنافر والتناقض الحقيقى بين

الشامى ـ منشأة المعارف ـ الاسكندرية ١٩٨٢ .

(٤ ، ٥) المرجع السابق

(٦) اليزيديون هم طائفة تقيم فى شمال غرب العراق وبالتحديد فى قضاء (شَيْخَان) على جبل (سنجار) ١٦٠ كم غرب الموصل ، ومنهم عدد فى منطقة (ديار بكر) و (حلب) وفى (أرمينيا الروسية) قرب (تفليس) وعددهم الإجمالى لا يتعدى سبعمائة ألف . وهم يعبدون النار والضياء ويحرمون أكل الخس والبقول والسمك ولا يلبسون الأزرق . ولهم أديرتهم . (الأكراد) . باسيل نيكيتين . دار الروائع ـ بيروت ١٩٥٩ .

الولاء نحو الدولة ، والولاء نحو القبيلة . ومعنى هذا ان الأكراد عندما يكونون فى دولة من الدول التى يعيشون على أرضها ، لا يشعرون بالانسجام مع الكيان البشرى فيها ، ولا يستطيعون ـ فى أغلب الأحيان ـ الاندماج أو الانصهار مع شعبها .

لمحة تاريخية :

وجدير بالذكر ان كلمة (كردستان) قد أطلقها آخر ملوك السلاجقة ويدعى (سنجار) على إحدى مقاطعات مملكته فى القرن الثانى للميلاد . ويقال : إن أول من ذكر اسم (كردستان) من المؤرخين هو « القزوينى » الذى عاش فى القرن الثامن للهجرة أى الرابع عشر الميلادى[٧] .

وكانت كردستان تؤلف جزءًا من مختلف الامبراطوريات التى تعاقبت على الشرق من قديم الزمان فكانت من عام ٣٣١ إلى ٢٤٧ ق . م تؤلف جزءًا من الامبراطورية السلوقية . ومن عام ١٢٩ ق . م إلى عام ٢٢١ بعد الميلاد كانت جزءًا من الامبراطورية البارثية[٨] . ومن عام ٢٢٦ إلى ٦٣٦م كانت كردستان تؤلف جزءًا من الامبراطورية الساسانية الفارسية . ومرت (كردستان) بمراحل كثيرة من الارتباط والخضوع لامبراطورية وغزاة وفاتحين من الفرس إلى الرومان . وأخيرا للعرب من عام ٦٣٦ إلى ١٢٥٨م .

واعتنق الأكراد الإسلام ، وأصبحت كردستان جزءا من ممالك الخلافة الإسلامية . وبعد غزوة (هولاكو) خضعت للمغول والتركمان من (١٢٥٨ إلى ١٥٠٩م) ومنذ عام ١٥١٤م وهو بدء تاريخ الفتوحات العثمانية ، ارتبط مصير كردستان بتركيا . وفى القرن السادس عشر خضعت كردستان للتقسيم بين السلطنة العثمانية والامبراطورية الصفوية الفارسية . فنالت الأولى ثلاثة أرباعها ، بينما نالت الثانية الربع[٩] . وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى ، أقحمت القبائل الكردية فى هذه الحرب التى لم يكن لها فيها ناقة ولا جمل ، واشتركت فى القتال على الجبهتين القوقازية والعراقية ، وأصيبت بخسائر جسيمة . وبعد أن وضعت هذه الحرب أوزارها ، أنشأ الإنجليز دولة العراق بموجب اتفاق (سايكس ـ بيكو) ، وضمت حدودها ثلاث ولايات عثمانية هى : ولاية البصرة ، وولاية بغداد ، وولاية الموصل . وبضم الموصل إلى العراق انتقل جزء من كردستان إلى العراق ، وهو أقل من ربع مساحة كردستان بقليل ، وبقى أكثر من النصف فى تركيا ، والباق أصبح فى إيران ، ومساحات محدودة فى كل من سوريا وروسيا . وجدير بالذكر أنه قبل أن تفرض هذه الحدود أى قبل عام ١٩١٨ كان العرب والأكراد يعيشون فى مجتمع واحد مشترك تجمعهم فيه الأخوة الإسلامية دون النظر إلى اعتبار قومى[١٠] .

وقد اندمج الأكراد فى المجتمع الإسلامى اندماجا كاملا منذ أن دخلوا الدولة الإسلامية فى الثلث الأول من القرن السابع للميلاد بل لقد أدَّوا دورا

---

(٧) (الأكراد) ـ كاظم حيدر ـ بيروت ١٩٥٩ .

(٨) البارثيون : شعب اسيوى أنشأ فى شمال إيران وحتى الساحل الجنوبى للبحر الأسود مملكة عرفت باسم (بونتوسى) ازدهرت من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث بعد الميلاد .

(الأكراد) ـ كاظم حيدر ـ بيروت ١٩٥٩ .

(٩) نفس المرجع .

(١٠) « الأكراد » كاظم حيدر ـ بيروت ١٩٥٩ .

كبيرا فى سياسة الدولة الإسلامية ، وشاركوا فى مصيرها فقاوموا الغزاة المغول عندما اكتسحت جحافلهم الدولة العباسية . وقاد صلاح الدين الأيوبى الجيوش الإسلامية التى أنقذت فلسطين ولبنان من الغزاة الأوربيين الصليبيين . ويفتخر به الأكراد كبطل عظيم منهم . وهو الذى أسس الدولة الأيوبية التى حكمت مصر وسوريا وبلاد ما بين النهرين من عام (١١٦٩ م) إلى نهاية القرن الثالث عشر . كذلك حكمت الأسرة الزنلوية التى أسسها (كريم خان زنلو) فى بلاد فارس من عام ١٧٥٠ ـ ١٧٧٩م حيث اتصف حكمه بالعدل . وهاتان الشخصيتان قد حكما خارج وطن الأكراد . وكان الأكراد دائما بجانب الفريق الذى ينتصر للإسلام ويحارب من أجله وفى سبيله وباسمه .

ولا شك إن هذه الحدود السياسية التى أقرتها اتفاقية سايكس ـ بيكو لم تضع فى تقديرها أمر تمزيق وطن الأكراد ، ولم تراع حاجات ومطالب الشعب الكردى وما يمكن أن يؤدى إليه ذلك كله من نتائج تتجلى فى تمسك الأكراد بقوميتهم ورفضهم الاندماج أو الانصهار فى أى كيان بشرى آخر . كما مهدت هذه الاتفاقية السبيل للتغلغل الرأسمالى فى كردستان حين وفدت أعداد كبيرة من البعثات المسيحية الأوربية وبخاصة الانجليزية والأمريكية ، وما قامت به من أعمال تجسسية دعائية . وشهد القرن التاسع عشر سلسلة من الثورات بسبب ظهور النزعة القومية الكردية من الأكراد فى إيران وتركيا على حد سواء . ثم أخذت الحركة القومية الكردية فى التطور نتيجة لانتشار الأفكار القومية وتغلغل شعاراتها بين مجموعات الأكراد الذين تعلموا فى الآستانة وأوربا . كما تأثرت بالحركات القومية للشعوب العربية والأرمينية والبلغارية . فضلا عن تأثرهم بالمصلحين الأتراك والروس والإيرانيين الذين كانوا يناضلون من أجل الدستور .

تعدادهم وتوزعهم :

ويختلف تقدير أعداد الأكراد اختلافا كبيرا ، خاصة وأنهم لم يخضعوا حتى الآن للإحصاء الدقيق . وقد قدر المؤرخ الكردى (محمد أمين زكى) أعدادهم فى الثلاثينات من هذا القرن بحوالى أربعة ملايين ونصف ، منهم نحو ستمائة ألف فى العراق ، وقدر (محمود الدرة) عددهم فى كتابه[١١] بعشرة ملايين . أما الكاتب الكردى (هادى رشيد الجاوشلى) فإنه يؤكد أن عددهم ـ فى العراق ـ مليونان[١٢] .

وعموما فالأكراد يتوزعون بشكل أساسى على تركيا التى تضم معظم الأراضى الكردية ، وتضم معها حوالى ٤٦٪ من مجموع الأكراد حيث يسمون (ترك الجبل) . ثم إيران التى تضم حوالى ٣١٪ منهم . ثم العراق الذى يضم حوالى ١٨٪ منهم . وتأتى بعد ذلك روسيا ثم سوريا بشكل هامشى بنسبة (الـ ٥٪) الباقية حيث يعيش فيهما بضع عشرات الآلاف منهم ، ولا يمثلون فيهما مشكلة حادة . ورغم ذلك التوزيع للثقل السكانى والجغرافى للأكراد والمتمركز أساسا فى تركيا وإيران إلّا أن مشكلتهم لا تظهر ساخنة ملتهبة إلا فى العراق ، وذلك لأسباب سياسية واقتصادية كثيرة قديمة ومعتدة .

(١١) القضية الكردية .

(١٢) « مشكلات الأقليات فى الوطن العربى » دار المعارف ١٩٨٠ . د. جلال يحيى ، د. محمد نصر مهنا .

من بحوث مؤتمــر المجمــع والمجلــس الإســلامى العــالمى

حاضر العالم الإسلامى ونظرة للمستقبل

ورقة عمل مقدمة من الدكتور عبدالسلام العبادى
أمين عام الهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية

● توضح هذه الورقة أن دراسة موضوع « حاضر العالم الإسلامى ونظرة المستقبل » تتطلب الاهتمام بالأبعاد المترابطة فى المجالات الحيوية المختلفة بهدف اقتراح المعالجات المناسبة ، والتخطيط لمستقبل العالم الإسلامى بفضل الله ـ وحده ـ فهو أمر يحتاج إلى دراسة مستفيضة ، والباحث هنا إنما يقدم جملة من الأفكار والخواطر والملاحظات التى تشكل فى مجموعها مؤشرات لصورة المستقبل التى يجب العمل على رسمها فى ضوء الواقع على أساس من مبادىء الشريعة ، وأحكامها الناظمة لشئون الحياة الإنسانية .

توضح الورقة أنه لا يمكن فهم حاضر العالم الإسلامى ، والتخطيط لمستقبله دون دراسة عميقة لعدة أمور أهمها :

الموقع الجغرافى للعالم الإسلامى ، والتركيبة السكانية من حيث الوفرة ، وانتشار الأمية ، وظروف المعيشة .

ثم الأبعاد التاريخية لحاضر العالم الإسلامى ، والأسباب التى أدت إلى أوضاعه الحاضرة .

والقدرات الفكرية والإمكانات المتاحة ، ثم الإمكانات الاقتصادية التى تمكنه من الاكتفاء الذاتى .

والقدرة العسكرية ، وإمكاناته فى الدفاع عن حقوقه وحماية أمنه ، والعلاقات القائمة بين شعوبه ، ومظاهر التكامل والوحدة وأثرها على قوة العالم الإسلامى ، وبخاصة أمام قوة التكتلات العالمية .

العلاقات القائمة بين العالم الإسلامى والشعوب الأخرى فى السلم والحرب ، وبخاصة فى هذه الفترة التاريخية التى يعانى فيها العالم الإسلامى من مظاهر الضعف المادى .

ثم أشارت الورقة إلى أن هذه النقاط متداخلة ، ولا يمكن دراسة بعضها بمعزل عن الآخر . وأن

كل نقطة يتدرج تحتها كمٌّ هائل من القضايا التى تحتاج إلى استقصاء وتحليل لا يسعها بيان عاجل أو ورقة عمل محدودة .

ثم ذهب الباحث إلى أن العالم الإسلامى يعيش فترة من فترات الضعف الحضارى ، لأسباب منها :

طول فترة الجهل التى مر بها العالم الإسلامى قبل وقوعه تحت الاستعمار ، وبعد تفريطه فيما يدعو إليه دينه ، وتعرضه للاستعمار الأجنبى لفترة طويلة ، واستمرار مخططات الغزو الثقافى فى العمل بعد رحيل المستعمر السياسى والعسكرى ، ثم تخبط الساسة والمصلحين فى تلمس طريق المعالجة ، واللجوء إلى المعالجات المستوردة تأثرا بالحضارة المادية ، ثم اللجوء إلى المعالجات الجزئية .

وحين يؤكد الباحث فى ورقته أن هناك صحوة على الذات ، وحرصا على التميز والاستقلال – يطل حينئذ بصيص من أمل ، وإن كان الأمر يحتاج إلى مزيد من الجهود لبلورة المواقف والحلول ، ولنقلها إلى التطبيق والممارسة .

ويركز الباحث على ضرورة الاهتمام والتركيز على العلاقة بين العالم الإسلامى والحضارة المعاصرة . ثم يوضح فى النقطة التالية أهمية التعريف بالإسلام ومواقفه وحججه بطريقة مقنعة للعقل نؤثر عرضها بنصها قال الباحث :

يهمنى هنا أن أختار نقطة من نقاط هذا الموضوع الكبير لأسلط عليها مزيدا من الأضواء داعيا المجلس الكريم للإهتمام بها وهى موضوع (العلاقة بين العالم الإسلامى والحضارة المعاصرة) بما يشمل مواقفها الدينية والفكرية وممارستها العملية .

وتأتى أهمية هذا الموضوع من أن هذه العلاقة بأبعادها المختلفة مفروضة على العالم الإسلامى لاعتبارات وأسباب عديدة منها :

١ – وقوع العالم الإسلامى تحت الاستعمار الغربى والشرقى لفترة طويلة وتأثره بنتاج الحضارة المعاصرة فكرا وسلوكا .

٢ – سهولة الإتصال بين مختلف بلاد العالم وسرعة انتقال الأفكار والتصورات وأنواع الانتاج المادى والفكرى بعد ما حدث من تقدم تكنولوجى وعمرانى .

٣ – قيام المنظمات الدولية والإقليمية التى لابد أن تشارك فيها الدول الإسلامية .

٤ – مرور العالم الإسلامى فترة بناء الذات ومحاولة تحقيق التنمية الشاملة فى الوقت الذى وصلت فيها الحضارة المعاصرة إلى أعلى درجات التقدم المادى والتكنولوجى مما يوجب الاتصال بها ومحاولة الاستفادة من إنجازاتها .

٥ – الاحتكاك المباشر وتبادل المصالح بين الدول والأفراد وانتشار الأقليات الدينية والعرقية فى معظم الدول .

والواقع إن مخاطبة أصحاب المذاهب الأخرى بما لدينا من مواقف أمر يوجبه الدين لتعريفهم بموقف الإسلام وإزالة ما يكتنف هذا الموقف من غموض لديهم وإن سماع تساؤلاتهم بل ونقدهم مطلوب لتوضيح الصورة أمامهم وهو داخل فى واجب الدعوة قال تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ النحل ١٢٥

وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ العنكبوت ٤٦ .

ويلاحظ أن القرآن الكريم قد استقصى حُجج الكافرين ورد عليها وعرض لأقوالهم كما هى ثم ردها بطريقة مقنعة للعقل مطمئنة للنفس .

ثم أوضح أن ذلك لا يصح أن يترك للجهود الفردية والممارسات المرتجلة بل والخاطئة فى كثير من الأحيان إنما لابد أن يكون وفق خطة مدروسة تحدد أهداف العمل ومرتكزاته الفكرية وخطواته فى إطار من تنسيق الجهود وتوزيع الأدوار وتكاملها .

ويجب أن يحكم ذلك النظر العقلى السليم والحرص على تحقيق المصالح المشروعة بعيدا عن العواطف المتشنجة وبطريقة تحرص على أن تكون الوسائل من جنس الغايات فالغاية لا تبرر الوسيلة فى النظر الإسلامى .

● ● ●

ويرى الباحث أنه يجب مراعاة ما أرساه الإسلام من مبادىء وأسس العلاقات الدولية التى يجب أن تظل فى الذهن ، وتكون الأساس فى وضع المرتكزات الفكرية لهذه الخطة المطلوبة وأهم هذه المبادىء والأسس :

وحدة الجنس البشرى ، والاعتراف بحق الإنسان فى الحياة والكرامة والحرية دون النظر إلى لونه أو جنسه أو دينه ، فأصل الديانات الإلهية واحد ، كذلك فإن الأصل فى علاقة المسلمين بغيرهم هى السلم ، والحرب ضرورة تقدر بقدرها ، لها دوافعها وأسبابها المحددة ، والمسلمون فى جهادهم وتبليغهم لدعوة الله لا يقصدون الاستعلاء فى الأرض ، أو التحكم فى مصائر الأمم والشعوب ، إنما يقصدون تبليغ دعوة الله ، وإعلاء كلمته ، وإعمار الأرض وفق منهجه ـ تعالى ـ مع الحرص على هداية الناس ، والتأكيد على مبدأ المعاملة بالمثل مع الحث على التسامح والعفو ، وتقرير مبدأ العدالة مع الآخرين ، والدعوة إلى الرحمة فى المعاملة ، وتأكيد الاهتمام بمصالح الناس ، ووجوب احترام العهود والمواثيق .

تنظيم كل ما يتعلق بالحرب من حيث أسبابها وأهدافها وكيفية إعلانها ، ومعاملة المقاتلين والأسرى والجرحى على أساس من الحرص على هداية الناس ، وعدم جواز الإكراه فى الدين .

ويقدم الباحث العديد من البراهين فى مقدمتها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى توثق بحثه نذكر منها قوله ـ تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ المائدة (٨) . وقوله ـ سبحانه : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ هود (٨٥) .

عن الأسود بن سريع قال : « قال رسول الله ـ ﷺ ـ : لا تقتلوا الذرية فى الحرب ، فقالوا : يا رسول الله أوليس هم أولاد المشركين ؟ قال : أوليس خياركم أولاد المشركين ؟ »[(١)] .

وقال ـ ﷺ ـ : « استوصوا بالأسارى خيرا »[(٢)] .

ثم يركز الباحث فى نهاية بحثه على أهمية بيان وجهة نظر الإسلام والتعريف بأحكامه يقول :

فإذا كانت هذه قواعد الإسلام وأحكامه فى معاملة المحاربين ، وإذا كان هذا أسلوبه فى التعامل فى أوقات الصراع والحروب فكيف إذا

(١) أخرجه أحمد .

(٢) أخرجه البيهقى وابن أبى شيبة .

سالم غير المسلمين وطلبوا أن يسمعوا من المسلمين ويسمعوهم باحترام وموضوعية .

إن المسلمين مطالبون بتعميق هذه العلاقة والاستفادة منها فى توضيح صورة الإسلام كما هى ، وبخاصة أن أعداء الإسلام حاولوا تشويه صورة الإسلام أمام المجتمعات الإنسانية غير المسلمة من أجل الحد من انتشاره وتعطيل دخول الناس فيه بما شنوا من حرب فكرية متجنية أثارت الشبهات والشكوك وطعنت فى كل ما يمت إلى الإسلام بصلة .

كما أن الالتقاء مع غير المسلمين فى مجالات تعود بالنفع على المجتمع الإنسانى وتهدف إلى حماية المستضعفين ومساعدة المحتاجين والدفاع عن حقوق المظلومين أمر مطلوب شرعا قال تعالى :

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾(٣)

وقد قال : الرسول ـ ﷺ ـ عن حلف الفضول « لقد شهدت فى دار عبدالله بن جدعان حلفا لو دعيت به فى الإسلام لأجبت تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألّا يعز ظالم مظلوما »(٤) ويعنى ألّا يعز أى ألّا يغلب .

وعلى ضوء هذه الحقائق :

● فإن الالتقاء مع غير المسلمين لبيان وجهة نظر الإسلام فى مشكلات الواقع الإنسانى وتوضيح منطلقاته فى معالجة هذه المشكلات والتعريف بأى حكم من أحكام الإسلام يزيل أى سوء فهم يمكن أن يكون غير المسلمين قد وقعوا فيه تجاه الإسلام ، كما أن هذا الأمر يبرىء الإسلام من كل ممارسة خاطئة ترتكب باسمه جهلا أو بسوء نية .

● ولا يقف حاجزا أمام هذا تقسيم العلماء للعالم إلى دارين دار إسلام أو سلام ، ودار كفر أو حرب ، وذلك لأنه تقسيم اجتهادى وضعه الفقهاء لتخريج الأحكام العملية المنظمة للواقع الدولى فحيث تطبق أحكام الشريعة فالدار دار إسلام وحيث لا تطبق ، فالدار دار كفر ويمكن أن يقال دار غير إسلامية ولكن لا يعنى هذا أن الحرب يجب أن تظل مشتعلة بين الدارين بدليل وجود دار العهد أو الصلح فى الواقع وتقسيمات الفقهاء ، وإن كانت الحرب وعلاقات العداء قد سادت لفترات طويلة لأسباب كثيرة منها : مبادرة الأعداء لشن الحروب على الدعوة الإسلامية منذ البداية ، ومنها محاولة الظالمين والمستكبرين فى الأرض منع المسلمين من تبليغ دعوة الله إلى الناس كافة ، فإذا قام النظام العالمى على حرية الدعوة والفكر وترك الناس أحرارا ليختاروا دينهم ومواقفهم الفكرية والسياسية بحرية ورضا ثم يطبقوا على أنفسهم ومجتمعاتهم ما يرغبون من نظم دون اعتداء من غيرهم فإن شبح الحروب سينحصر عن المجتمعات الإنسانية إلى حد كبير .. وما يقال عن نظام عالمى جديد يحتاج إلى بلورة وتحديد وبناء على أسس من الحق والعدل والمساواة ، والمشاركة المسئولة ووحدة المعاملة والالتزام الراسخ بذلك من الجميع بعيدا عن المصالح الضيقة المحدودة .

---

(٣) سورة النساء الآية : ٧٥ .

(٤) ابن كثير ــ السيرة النبوية ج١ ص١٥٨

تعقيب

نشرت مجلة الأزهر فى العدد السابق بحثا للأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام بعنوان «المركز القانونى الدولى لمدينة القدس»

قال فيه أنه :

من المسائل التى تثير مشاكل كبيرة فى المفاوضات الجارية بين الأطراف العربيـــة والطرف الإسرائيلى ، إيجاد حل لمشكلة القدس وتحاول إسرائيل أن تباعد بينها وبين أن توضع فى جدول المفاوضات حاليا حتى لا يؤدى الخلاف حولها الى إنهاء المفاوضات كلها .

وفى تقديرى أن أصعب نقط الخلاف بين الطرفين ستكون مسألة القـــدس ، لذلك خصصت هذا البحث للحديث عنها للعديد من الأسباب أجملها فيما يلى :

فالقدس أهم مدينة فى العالم كله من حيث عدد المقدسات الموجودة فيها ومن حيث عدد من يقدسها من الناس ففيها العديد من المقدسات الإسلامية مثل : المسجد الأقصى وقبة الصخرة والعديد من المساجد والأضرحة الإسلامية وفيها أهم المقدسات اليهودية ، المعبد أو هيكل سليمان وفيها أخيرا طائفة واسعة من المقدسات المسيحية على رأسها كنيسة القيامة .

وعلى ذلك فإذا كانت هناك حاجة إلى حماية المقدسات الدينية فإن مدينة القدس تعد المجال الطبيعى لأعمال الحماية القانونية للمقدسات الدينية .

وفى هذا العدد نقدم للقارىء الكريم تعقيب الأستاذ الدكتور عزت جرادات على ذلك البحث وكان تعقيبه عقب إلقاء د. جعفر لبحثه فى المؤتمر ، ثم نتبعه بتعقيب من الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام .

تعقيب الأستاذ الدكتور/ عزت جرادات مدير عام التخطيط والبحث والتنمية بوزارة التربية والتعليم بالأردن على بحث الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام

- تشير القراءة السريعة لبحث الأستاذ د. جعفر عبدالسلام إلى أنه يشتمل على محورين :

- المحور القانونى حول مدينة القدس .

- المحور الفكرى - التاريخى حول مدينة القدس.

- يتسم المحور الأول (القانونى) بتحليل عميق ورؤية واضحة للأبعاد القانونية لهذه القضية ، مما يجعل هذا المحور من المرتكزات الأساسية للقضية .

- أما المحور الثانى (الفكرى - التاريخى) فإننى أتمنى على الباحث الكريم إعادة مراجعة النقاط التالية :

١ - المقدسات اليهودية فى القدس :

لايوجد مايثبت وجود أى أثر يهودى مقدس فى القدس ، وقد فشلت الحفريات الإسرائيلية بعد عام ١٩٦٧ فى العثور على أى أثر يهودى .. كما أن الهيكل المزعوم .. لاوجود له ، فقد اقتلعه الإمبراطور تيطس من أساسه .. والجدار الذى يطلق عليه اليهود (حائط المبكى) ماهو إلا الجدار الغربى للمسجد الأقصى المسمى لدى المسلمين (حائط البراق) .

٢ - العبرانيون وفلسطين :

لابد من التحقق من مدى تغلغل العبرانيين فى فلسطين .. فعند احتلالهم لها لم تخضع لهم سوى القرى الضعيفة ، وبقيت القدس عربية الطابع والسكان ولم يخترقْها اليهود .

٣ - الصراع الصهيونى - العربى :

فى تقديرى أن الجانب العسكرى من هذا الصراع هو صراع (صهيونى - عربى) أما الصراع الحضارى .. فهـــو صراع مابين الأيديولوجية الصهيونية والعقيدة الإسلامية .

٤ - مفهوم القدس :

المعروف تاريخياً أن (القدس) تعنى القدس القديمة - مدينة المقدسات الدينية (الإسلامية والمسيحية) .. ولايوجد قدس شرقية وقدس غربية وليست هذه التسميات إلا مصطلحات إدارية أو سياسية .. كما أن (القدس القديمة) لم تحتل عام ١٩٤٨ فقد حافظ عليها الجيش العربى الأردنى والمجاهدون العرب وبقيت جزءاً من الضفة الغربية .

٥ - مفهوم ضم الضفة الغربية إلى الاردن

هو تعبير غير دقيق .. فالضفة الغربية توحدت مع الضفة الشرقية بموجب مؤتمر أريحا عام (١٩٥٠) الذى عقده الفلسطينيون - أما فك الارتباط فكان استجابة أردنية لمطلب عربى موحد ، واستجابة لمطلب منظمة التحرير الفلسطينية حيث اقتضت المرحلة السياسية اتخاذ هذا الموقف وبالطبع لم يتخلَّ الأردن عن القدس والمقدسات الدينية حفاظا عليها من الاستلاب الصهيونى .

تعقيب

الأخ الكريم / الدكتور على الخطيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

فردا على الملاحظات التى أبداها السيد الدكتور / عزت جرادات عن مقالنا عن المركز القانونى الدولى لمدينة القدس ، فان الحقائق المتصلة بهذا الموضوع تكمن فى الآتى :

بالنسبة للمقدسات اليهودية فى القدس أظهر البحث بجلاء التطور التاريخى لهذه المسألة ، وانتهى إلى أن اليهود يقدسون المدينة بحكم أن النبى داود وابنه سليمان (على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) قد أسسا دولة لهم فيها فى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد ، وأن النبى سليمان بنى معبدا فى المدينة ، فالتقديس جاء من هذه الناحية وأثبتت الدراسة فى صفحة (٣) أن نبوءة المسيح بانهيار المعبد قد تحققت ، وأثبتت ــ أيضا ــ أن الحفريات التى يقوم بها اليهود تهدد الأماكن المقدسة للديانات الأخرى ، كما أثبتت ــ أيضا ــ اقتلاع كل آثارهم على مراحل تاريخ المدينة .

وبالنسبة للملاحظة الثانية والخاصة بمدى تغلغل العبرانيين فى فلسطين وأنه لم يخضع لهم سوى القرى الضعيفة وأن القدس بقيت عربية الطابع والسكان ولم يحترمها اليهود ، فإن البحث يعنيه أساسا المركز القانونى للمدينة ولا يعنيه كثيرا مدى السيطرة التى حدثت للعبرانيين ، إنما الثابت تاريخيا هزيمة داود لأعدائه وتأسيسه لها ــ هو وابنه سليمان ــ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ــ دولة عبرانية فى فلسطين ودخول القدس فى حوزتهم حيث كانت عاصمة لدولة إسرائيل عندما انقسمت الدولة العبرانية الى قسمين ، يهود وإسرائيل وبخصوص ملاحظة الصراع بين العرب وإسرائيل فإن الحضارة العربية هى الحضارة الإسلامية إذ لا يوجد حضارة أخرى للعرب ولم يكن لهم وجود قبل الإسلام ، ولا قيمة لهم الآن بدون الإسلام .

وبالنسبة لمفهوم القدس وتجاهل وجود قدس شرقية وقدس غربية ، فهذا ضد حقائق التاريخ الواضحة حتى الآن ، حيث توجد مدينة قديمة (القدس الشرقية) ومدينة حديثة (القدس الغربية).

وبخصوص فك الارتباط بين الأردن والضفة الغربية فإن ما جاء بالبحث هو أن الأردن وضعت يدها على الضفة الغربية عام ١٩٥٠ (ص ٢٥) ولم يقل البحث أن الأردن ضمت الضفة الغربية إليها .

وفى الختام هذا هو ردى على الملاحظات التى سجلها الدكتور / عزت جرادات أرجو التفضل بنشرها بالمجلة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير المركز

أ.د / جعفر عبد السلام

رياح الفتنة

لفضيلة الشيخ
السيد عبد المقصود عسكر

إن الله بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق سائرًا على درب من سبقه من الأنبياء والمرسلين مؤيدًا لهم ومدعمًا لرسالتهم ومصدقًا لما أنزل عليهم داعيًا كل البشر إلى الإيمان بكل الرسل والتصديق بكل الكتب . وقد اتبعه على هذا كل المؤمنين به .

يقول الله تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾(1) .

وقد أمر الله المؤمنين من أتباع محمد ﷺ أن يعلنوا أنهم مؤمنون بكل الكتب وكل الرسل بلا تفرقة بين أحد منهم ، وأنهم على هذا قد أسلموا وجوههم لله رب العالمين .

يقول الله تعالى ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(2)

وما تحدث القرآن عن نبي من السابقين إلا أولاه إجلالا واحتراما ودفعا لكيد الكائدين عنه والظالمين له .

تحدث عن موسى عليه السلام فقال ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾(3)

وقال أيضاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾(4)

ونحدث عنه وعن أخيه هارون ـ عليهما السلام ـ فقال ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾(5) .

وتحدث عن عيسى عليه السلام فقال ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(6)

وتحدث عن الأنبياء جميعا فقال ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾(7) .

وبرغم تآمر اليهود ضد الإسلام وإعلان العداوة له فلم يمنع ذلك رسول الله ﷺ أن يظل مع الحق مدافعا عنه وناصراً له ومتمسكا به ، وأن يقول لهم ﴿ نحن أولى بموسى منكم ﴾(8) .

وأما حديث القرآن الكريم عن الكتب السابقة فلا يقل نصاعة عن ذلك . يقول الله تعالى عن التوراة : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾(9) .

---

(٥) الكاتب : مدير الدعوة والإعلام الديني بالأزهر .
(١) البقرة ٢٨٥ .
(٢) البقرة ١٣٦ .
(٣) مريم ٥١ ـ ٥٢ .
(٤) الأحزاب ٦٩ .
(٥) الصافات ١١٤ ـ ١٢٢ .
(٦) آل عمران ٤٥ ـ ٤٦ .
(٧) الأنعام ٩٠ .
(٨) متفق عليه .
(٩) المائدة ٤٤ .

ويقـول سبحانـه عن الإنجيـل:

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾(١٠)

ولقد كان تصرف المسلمين مطابقا لعقيدتهم ومتفقا مع دعوتهم منذ أول يوم آمنوا فيه بهذا الدين . لقد شعروا أن أهل الكتاب أحق بودهم وبرهم من المشركين فحين انتصر الفرس المجوس على الروم ـ وهم من أهل الكتاب ـ حزن المسلمون فى مكة مع أنه لم تكن لهم صلة ولا تعامل مع أحد من الفريقين . حتى نزل فى هذا قول الله تعالى ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١١)

إنه لا معنى لهذا الحزن على هزيمة الروم والفرح بانتصارهم عندما يأتى فى المستقبل ـ كما يبشر الله المسلمين بهذا ـ لا معنى لهذا إلا الدلالة على أن المسلمين لا يتعاملون مع الناس بالحقد والضغينة ولا يضمرون عداوة لأحد ـ وبخاصة أهـل الكتاب ـ وأنهم لا يعادون إلا لله ولا يوادون إلا لله .

وكان غريبا ما رد به اليهود على تصرفات رسول الله وأصحابه تجاههم . تلك التصرفات التى تتسم بالسماحة واللين والرفق حيث عاهدهم رسول الله ووفى لهم وأحسن إليهم وبرهم فردوا على الوفاء بالغدر . وردوا على البر والإحسان بالحقد واللؤم والمكر والتآمر .

ووصل الأمر إلى قمة المأساة حين ذهب زعماء يهود وأحبارهم إلى كفار مكة يحرضونهم على حرب رسول الله ﷺ .

وكان المفترض عقلا ومنطقاً وخلقاً ودينا أن يكونوا مع رسول الله يؤازرونه ضد عباد الأصنام من أهل مكة . خاصة وهـم يعلمـون أن محمدًا ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده ويدعو إلى الإيمان بموسى عليه السلام وغيره من أنبياء الله ورسله .

كان هذا التصرف الغريب من زعماء يهود وأحبارهم مثيراً لدهشة أهل مكة أنفسهم حتى قالوا لهم : ننشدكم الله أديننا خير أم دين محمد وطريقتنا أهدى أم طريقة محمد ؟

فردوا عليهم كاذبين عامدين : دينكم خير من دين محمد ، وطريقتكم أهدى من طريقة محمد .

وسجل الله عليهم هذا الموقف المخزى كاشفا عما وراء ذلك من حقد وحسد فقال سبحانه :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾(١٢) .

واليوم تتكرر المأساة بصورة تدعو للاشمئزاز والتقزز فنجد الغرب بكل دوله وشعوبه ـ وهم يزعمون أنهم أتباع المسيح ـ يناصرون أعداء المسيح من اليهود ضد أولياء المسيح ومحبيه من المسلمين أتباع محمد ﷺ .

---

(١٠) المائدة ٤٦ .

(١١) الروم ١ ـ ٥ .

(١٢) النساء ٥١ ـ ٥٤ .

اليهود يتهمون مريم ـ البتول الطاهرة ـ بارتكاب الفاحشة ويعلنون هذا الاتهام على الملا وتسجله عليهم الكتب المنزلة . ويقولون عن عيسى عليه السلام إنه ثمرة هذه الفاحشة وإنه مرتد عن دين اليهودية وكان لابد من الحكم عليه بالإعدام . ويفاخرون بأنهم نفذوا فى هذا المرتد ـ عليهم لعنة الله ـ حكم الإعدام ـ بزعمهم ـ وذلك مدون فى كتب النصارى ومسجل فى القرآن الكريم . يقول الله تعالى :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾(١٣) .

هذه عقيدة اليهود ورأيهم فى عيسى وفى أمه ـ عليهما السلام ـ وهذا موقفهم منهما . بينما المسلمون أتباع محمد ﷺ يقولون عن مريم ماعلمهم ربهم فى كتابه الكريم فى قوله تعالى

﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ﴾(١٤) .

ويقولون عن عيسى ـ عليه السلام ـ ما نزل فى كتاب الله ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾(١٥) .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(١٦)

ويقولون كذلك ما ذكره الله على لسان عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ﴾(١٧) .

كان المتوقع والمفترض بعد هذا وبناء عليه أن يكون كل النصارى أنصارًا للمسلمين الذين يمجدون المسيح ضد اليهود الذين هم أعداء المسيح ـ باعترافهم ـ وبشهادة الله عليهم فيما أنزله على رسله .

ولكن كم فى الدنيا من عجائب . وكم فى هذا الكون من غرائب . لقد حدث العكس وأنقلب الوضع فوجدنا دول الغرب تناصر أعداء المسيح ضد المؤمنين بدعوة المسيح ، والذين يتصدون للدفاع عنه من أمة الإسلام .

ـ وهم مع هذا لا يزالون يزعمون أنهم على دين المسيح . إنه قمة التناقض وذروة المأساة .

واستمرارًا لذلك النهج هاهو الغرب الصليبى يشنها حربا ظالمة على المسلمين ويثيرها فتنة عمياء ضد كل ما هو إسلامى فى كل بقاع الأرض وما بهذا أمرهم المسيح ولكنها العصبيات العنصرية التى نجد لها سندًا من مزيفى الكتب ومحرفى الدين الذين ينسبون إلى الله ما لم يأمر به ويقولون على الله ما لم يقل . والويل لهم من الله فى الدنيا والآخرة .

أما الشيوعيون والملاحدة الذين ينكرون وجود الله بالكلية ولا يؤمنون برسل الله ولا بكتبه ، فمن

---

(١٣) النساء ١٥٥ ـ ١٥٧ .

(١٤) آل عمران ٤٢ ـ ٤٣ .

(١٥) النساء ١٧١ .

(١٦) آل عمران ٥٩ .

(١٧) مريم ٣٠ ـ ٣٣ .

البدهى أن يكون موقفهم من قضايا الإسلام والمسلمين أشد لؤما وأكثر خسة ونحن لا ننتظر منهم غير هذا لعله بهذا قد صار واضحا أن المسلم الحق الذى يتمسك بدينه ويسعى لكى يحيا فى ظل تعاليمه مطبقا شريعته لا يمكن أن يكون مثير فتنة أو ساعيا فى طريق الفساد .

كما أن **المطالبة بتطبيق شريعة الإسلام فى بلاد** الإسلام أو حيث تكون الأغلبية مسلمة لا ينبغى أن تكون محل اعتراض من أحد ، ولا أن تكون سببا من أسباب الفتنة ، لأنها شريعة قامت على أساس العدل بين جميع الخلق بلا تفرقة ولا تمييز .

دليل ذلك قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١٨)

كيف لمنصف أو عاقل أن يعترض على المطالبة بتطبيق شريعة تنصف غير المسلم من المسلم مادام صاحب حق . وقد شهد بذلك القرآن الكريم فى قصة المسلم الذى سرق واتهم بالسرقة يهوديا كانت الشواهد تدينه وهو برىء فينزل القرآن الكريم ليكشف عن وجه الحق وإن كان فى هذا الحق إدانة لمسلم وتبرئة ليهودى فالحق أحق أن يتبع . يقول الله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١٩)

كما سجل القرآن الكريم قصة ذلك اليهودى الذى كان بينه وبين مسلم نزاع ورغب اليهودى فى الاحتكام إلى رسول الله ﷺ ثقة منه أن رسول الإسلام ﷺ لن يحكم بغير الحق ورفض فى نفس الوقت أن يحتكم إلى كعب بن الأشرف ـ وهو من زعماء اليهود ـ ذلك مسجل فى قول الله تبارك وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾(٢٠) .

من هو الذى يثير الفتنة ويشيع الاضطراب ؟ أهو الذى يريد العودة إلى هذه الحياة الطيبة فى رحاب الإسلام لكى يسعد الجميع ويأمنوا على عقائدهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم ؟

أم ذلك الذى يرفض ويعترض ويصر على إقصاء شرع الله عن تنظيم حياة عباد الله بغير حجة منطقية ولا برهان مقبول ؟

على أن الأمر بيد الله ـ تعالى ـ على كل حال ، وأن الأرض لله ، وإنما يورثها ـ سبحانه ـ الصالحين وقد قال تعالى ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٢١) .

وعلى أتباع الحق أن يلتزموا بالخط الواضح الذى رسمه الله لرسوله ﷺ **فى قوله:**

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٢٢)

---

(١٨) المائدة ٨ .

(١٩) النساء ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٢٠) النساء الآيات ٦٠ ـ ٦١ .

(٢١) الأعراف ١٢٨ .

(٢٢) الشورى ١٥ .

﴿ســورة آل عمــران﴾

(ألم) مر لأبى جعفر فى السكت والتوراة فى الإمالة .

قرأ الإخوة « يغلبون ـ ويحشرون » بالغيب فيهما ، والباقون بالخطاب .

« فئة ـ وفئتين ـ ويؤيد » مررن فى الهمز المفرد .

قرأ المدنيان ويعقوب « ترونهم » بالخطاب والباقون بالغيب .

« أؤنبئكم » مر فى الهمزتين من كلمة .

قرأ شعبة « رضوان » حيث وقع بضم الراء إلا « من اتبع رضوانه » فى المائدة ، فاختلف فيه عنه والباقون بالكسر حيث وقع .

قرأ الكسائى « ان الدين » بفتح الهمزة والباقون بكسرها .

قرأ حمزة « ويقاتلون الذين يأمرون » بضم الياء وألف بعد القاف وكسر التاء ، والباقون بفتح الياء وإسكان القاف وحذف الألف وضم التاء .

ومر « ليحكم » لأبى جعفر « والميت » فى البقرة .

قرأ يعقوب « منهم تقية » بفتح التاء وكسر القاف وتشديد الياء بعدها ، والباقون بضم التاء وألف بعد القاف ، وهم فى إمالتها على أصولهم .

«عمران ـ والمحراب» مرَّ لابن ذكوان .

قرأ ابن عامر ويعقوب «وضعت» بإسكان العين وضم التاء ، والباقون بالفتح والإسكان .

قرأ الكوفيون «وكفلها» بتشديد الفاء ، والباقون بتخفيفها .

قرأ الإخوة وحفص «زكريا» حيث وقع بالقصر بلا همز ، والباقون بالمد والهمز وشعبة بنصبه بعد «وكفلها» .

قرأ الإخوة «فناداه الملائكة» بألف بعد الدال مُمَالةً على أصولهم ، والباقون بفتحها .

قرأ الأخوان «يبشرك» معا هنا ، و «يبشر» فى سبحان والكهف بفتح الياء وإسكان الباء وتخفيف الشين وضمها ، وكذا حمزة وحده فى «يبشرهم» فى التوبة ، و «إنا نبشرك» فى الحجر ، و «إنا نبشرك» «ولتبشر به» فى مريم ، وكذا ابن كثير وأبو عمرو والأخوان «يبشر الله» فى الشورى ، والباقون بضم الياء وفتح الباء وتشديد الشين مكسورة .

قرأ المدنيان وعاصم ويعقوب «ويعلمه» بالياء والباقون بالنون .

قرأ المدنيان «إنى أخلق» بكسر الهمزة والباقون بفتحها .

«كهيئة» مر لأبى جعفر فى الهمزة المفرد وللأزرق فى المد .

قرأ أبو جعفر «الطائر ، وطائِراً» هنا وفى المائدة بألف بعدها همزة مكسورة ، ووافقه نافع ويعقوب فى «طائِراً» فى السورتين ، والباقون بياء ساكنة بلا ألف ولا همزة .

قرأ حفص ورويس وروح ـ بخلاف عنه ـ «فيوفيهم» بالياء والباقون بالنون .

ومر «هأنتم» معا فى الهمز المفرد و «أن يُؤْتى» لابن كثير فى الهمزتين من كلمة ، و «يؤده» فى هاء الكناية .

قرأ ابن عامر والكوفيون «تعلمون الكتاب» بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة ، والباقون بفتح التاء واللام مخففة وإسكان العين .

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف ويعقوب «ولا يأمركم» بنصب الراء والباقون برفعها ، وأبو عمرو على أصله فى الإسكان والاختلاس .

قرأ حمزة «لما» بكسر اللام والباقون بفتحها .

قرأ المدنيان «آتيناكم» بنون وألف ، والباقون (بتا) مضمومة بلا ألف .

قرأ البصريان وحفص «يبغون» بالغيب والباقون بالخطاب .

قرأ يعقوب وحفص «يرجعون» بالغيب ، والباقون بالخطاب ، ويعقوب على أصله بفتح الياء وكسر الجيم .

«ملء الأرض» مر فى النقل .

قرأ الأخوة وأبو جعفر وحفص «حج البيت» بكسر الحاء ، والباقون بفتحها .

ومر «تقاته» فى الإمالة «ولا تفرقوا» و «يرجع الأمور» فى البقرة .

قرأ الإخوة وحفص والدُّورِى عن أبى عمرو بخلاف عنه «وما تفعلوا من خير فلن تكفروه» بالغيب فيهما ، والباقون بالخطاب .

قرأ ابن عامر والكوفيون وأبو جعفر «يضركم» بضم الضاد ورفع الراء ـــ مشددة ، والباقون بكسر الضاد وجزم الراء مخففة .

قرأ ابن عامر «منزلين» ـ بالتشديد ، والباقون بالتخفيف .

قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم «مسومين» بكسر الواو ، والباقون بفتحها .

قرأ المدنيان وابن عامر «سارعوا» بلا واو قبل السين ، والباقون بواو .

قرأ الإخوة وشعبة «قرح ، والقرح» بضم القاف ، والباقون بالفتح .

و«كنتم تمنون» مر فى البقرة .

قرأ ابن كثير وأبو جعفر «وكأين» حيث وقع بألف ممدودة بعد الكاف بعدها همزة مكسورة ، والباقون بهمزة مفتوحة بعدها (ياء) مشددة .

ومر تسهيل الهمزة لأبى جعفر والوقف على الياء .

قرأ نافع وابن كثير والبصريان «قتل معه» بضم القاف وكسر التاء بلا ألف ، والباقون بفتحهما وألف بينهما .

«الرعب» مر فى البقرة .

قرأ الإخوة «يغشى طائفة» بالتأنيث ، والباقون بالتذكير ، وهم على أصولهم فى الإمالة .

قرأ البصريان «كله لله» بالرفع والباقون بالنصب .

قرأ ابن كثير والإخوة «بما يعملون بصير» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ نافع والإخوة «متم ، ومتنا ، ومت» حيث وقعن بكسر الميم ، ووافقهم حفص فى غير هذه السورة ، والباقون بالضم ، ومعهم حفص هنا .

وقرأ حفص «يجمعون» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم «يغل» بفتح الياء وضم الغين ، والباقون بضم الياء وفتح الغين .

«ينصركم» مر لأبى عمرو إسكانه واختلاسه .

قرأ هشام ــ بخلاف عنه ــ «ما قتلوا قل» ــ بالتشديد «ولا تحسبن الذين» بالغيب والباقون بالتخفيف فى الأول ؛ وبالخطاب فى الثانى ، ومر اختلافهم فى السين .

قرأ ابن عامر «قتلوا فى سبيل الله» هنا ، و«ثم قتلوا» فى الحج بتشديد التاء فيهما ، والباقون بتخفيفها .

قرأ الكسائى «وإن الله لا يضيع» بكسر الهمزة والباقون بفتحها .

قرأ نافع «يحزن» حيث وقع بضم الياء وكسر الزاى إلا قوله فى الأنبياء : «لا يحزنهم الفزع» فقرأه بذلك أبو جعفر ــ وحده ــ والباقون بفتح الياء وضم الزاى فى الجميع .

قرأ حمزة «ولا تحسبن الذين» معا بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ الإخوة ويعقوب «يميز» هنا ، وفى الأنفال بضم الياء الأولى ، وتشديد الثانية وكسرها ، والباقون بفتح الأولى وتخفيف الثانية ساكنة .

قرأ ابن كثير والبصريان «بما يعملون خبير» بالغيب ــ والباقون بالخطاب .

قرأ حمزة «سيكتب» بالياء «وقتلهم» و«نقول» بالياء والباقون بالنون وفتحها وضم التاء ونصب «قتلهم» و«نقول» بالنون .

قرأ ابن عامر «وبالزبر» وهشام بخلاف عنه ، وبالكتاب بزيادة (با) والباقون بلا (با) فيهما ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة «ليبيننه ، ولا يكتمونه» بالغيب فيهما ، والباقون بالخطاب .

قرأ الكوفيون ويعقوب ــ «لا تحسبن الذين يفرحون» بالخطاب والباقون بالغيب .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «فلا يحسبنهم» بالغيب وضم الباء ، والباقون بالخطاب وفتح الباء .

قرأ الإخوة «وقتلوا ، وقاتلوا» هنا ، «فيقتلون ويقتلون» فى التوبة بتقديم الفعل المجهول فيهما ،

والباقون بتأخيره ، والابنان بتشديد التاء من «قتلوا» هنا ، ومن «قتلوا أولادهم سَفَهًا» فى الأنعام ، والباقون بالتخفيف فيهما .

قرأ رويس «لا يغرنك» هنا «ويحطمنكم» فى النمل «ويستخفنك» فى الروم «ونذهبن بك ، أو نرينك» فى الزخرف بتخفيف النون فى الخمسة ويقف على «نذهبن» بألف ، واختلف عنه فى «يجرمنكم» والباقون بالتشديد فيهن .

قرأ أبو جعفر «لكن الذين اتقوا» هنا وفى الزمر بتشديد النون ، والباقون بتخفيفها .

«ياءات الإضافة»

«ياءاتٍ» الإضافة ست : «وجهى لله ، منى انك ، ولى آية ، إنى أعيذها ، وأنصارى إلى ، إنى أخلق»

«الزوائد»

وزوائدها ثلاث : ومن اتبعن ، وأطيعون . وخافون» . ومر حكم الأمرين .

﴿سُـــورة النســـاء﴾

قرأ الكوفيون «تساءلون» بالتخفيف والباقون بالتشديد .

قرأ حمزة «والأرحام» بالجر ، والباقـــون بالنصب .

قرأ أبو جعفر «فواحدة» بالرفع ، والباقون بالنصب .

قرأ ابن عامر «قيما» هنا وفى المائدة بلا ألف ووافقه نافع هنا ، والباقون بألف .

قرأ ابن عامر وشعبة «وسيصلون» بضم الياء ، والباقون بفتحها .

قرأ المدنيان «وإن كانت واحدة» بالرفع والباقون بالنصب .

قرأ الأخوان «فلأمه» معا هنا ، وفى «أمها» فى القصص ، وفى «أم الكتاب» فى الزخرف بكسر الهمزة فى الأربعة إتباعا ، ولهذا لا يكسرانها فى الأخيرين إلا وصلا فَلَوِ ابْتَدَءَا ضَمَّاها ، وأما «أمهاتكم» حيث وقع فكسر منه حمزة الهمزة والميم والكسائى الهمزة فقط وصلا ، وقرأ الباقون بضم الهمزة وفتح الميم فى الجميع .

قرأ الابنان وشعبة «يوصى بها» معا بفتح الصاد ، ووافقهم حفص فى الأخير ، والباقون بكسرها فيهما .

قرأ المدنيان وابن عامر «ندخله جنات ، وندخله ناراً» هنا «وندخله ، ونعذبه» فى الفتح «ونكفر عنه ، وندخله» فى التغابن ، «وندخله» فى الطلاق بالنون فى السبعة ، والباقون بالياء .

قرأ ابن كثير «اللذان وهذان ، وهاتين ، وفذانك ، واللذين أضلانا» بتشديد النون فى الخمسة ، ووافقه أبو عمرو ورويس فى «فذانك» ، والباقون بالتخفيف فيهن .

قرأ الإخوة «كرها» هنا وفى براءة والأحقاف بضم الكاف ، ووافقهم فى الأحقاف عاصم ويعقوب وابن ذكوان وهشام ــ بخلاف عنه ــ والباقون بالفتح فى الجميع .

قرأ ابن كثير وشعبة «مبينة ، ومبينات» حيث وقع بفتح الياء ، ووافقهما فى «مبينات» المدنيان والبصريان ، والباقون بالكسر .

قرأ الكسائى «المحصنات ومحصنات» حيث وقعا بكسر الصاد ، سوى الأول هنا ، والباقون بالفتح .

قرأ الإخوة وأبو جعفر وحفص «وأحل» بضم الهمزة وكسر الحاء ، والباقون بفتحهما .

قرأ الإخوة وشعبة «أحصن» بفتح الهمزة والصاد ، والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد .

قرأ الكوفيون «تجارة عن تراض» بالنصب والباقون بالرفع .

«يفعلْ ذلك» مر لأبى الحارث .

قرأ المدنيان «مُدْخَلًا» هنا ، وفى الحج بفتح الميم ، والباقون بضمها .

و«سَلُوا» مر لابن كثير والكسائى وخلف فى النقل .

قرأ الكوفيون «عقدت» بلا ألف ، والباقون بألف .

قرأ أبو جعفر «حفظ الله» بنصب الهاء ، والباقون برفعها .

«والصاحب بالجنب» مر إدغامه ليعقوب مع أبى عمرو فى بابه .

قرأ الإخوة «بالبخل» هنا ، وفى الحديد بفتح الباء والخاء ، والباقون بضم الباء وإسكان الخاء .

قرأ المدنيان وابن كثير «حسنة» بالرفع ، والباقون بالنصب .

ومر «يضعفها» للابنين وأبى جعفر ويعقوب ، و«رئاء» لأبى جعفر .

قرأ الإخوة «تسوى» بفتح التاء وتخفيف السين ، وهم على أصلهم فى الإمالة .

قرأ الإخوة «لمستم» هنا وفى المائدة بلا ألف ، والباقون بألف .

«فقيلا انظر» ، «وأن قتلوا أو أخرجوا ، ونعما» مررن فى البقرة .

قرأ ابن عامر إلا «قليلا منهم» بالنصب ، والباقون بالرفع .

«ليبطئن» مر لأبى جعفر فى الهمز المفرد .

قرأ ابن كثير وحفص ورويس «كأن لم تكن» بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

«أو يغلب فسوف» مر فى حروف قريب مخارجها .

قرأ ابن كثير والإخوة وأبو جعفر وروح ـ من طريق أبى الطيب : «ولا يظلمون» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

ومَرَّ «فمال هؤلاء» فى الوقف .

«وبيت طائِفة» لحمزة مع أبى عمرو[1] .

وقرأ الإخوة «أصدق» وفى كل صاد ساكنة بعدها دال نحو «تصديق» ـ «وفأصدق» بإشمام الصاد زايا ، ووافقهم رويس فى «يصدر» فى القصص والزلزلة ، واختلف عنه فى سائر الباب ، والباقون بالصاد الخالصة .

قرأ يعقوب «حصرت صدورهم» بنصب التاء منونة ، ويقف بالهاء على أصله فى المرسوم ، والباقون بإسكان التاء فى الحالين ، وهم على ما أصل فى الإدغام الصغير .

ومر ترقيق الأزرق فى الراءات .

قرأ الإخوة «فتثبتوا» فى الحرفين هنا ، وفى الحجرات من التثبت ، والباقون من التَّبَيُّن .

قرأ المدنيان وابن عامر وحمزة وخلف «السَّلم لست» بلا ألف بعد اللام ، والباقون بألف .

قرأ أبو جعفر ـ بخلاف عنه ـ «لست مؤمنا» بفتح الميم الثانية ، والباقون بكسرها .

قرأ المدنيان وابن عامر ـ والكسائى وخلف «غير أولى» بنصب الراء ، والباقون برفعها .

«الذين توفاهم» مر لابن ـ كثير .

«هأنتم» مر فى الهمز المفرد .

قرأ أبوعمرو وحمزة وخلف «فسوف يؤتيه أجراً عظيماً» بالياء والباقون بالنون .

---

(١) فى التقريب : «بيت طائفة» ذكر فى باب الادغال لأبى عمرو وحمزة ... المحقق .

«نوله ، ونصله» مرّا فى هاء الكناية .

قرأ ابـن كثير والأبــوان وشعبـــة وروح «يدخلون» بضم الياء وفتح الخاء هنا وفى مريم ، والأول من غافر ، ووافقهم رويس فى مريم وأول غافر .

وقرأ ابن كثير وأبو جعفر ورويس الثانى من غافـر وهـو ـ «سيدخلـون جهنـم» بالضم ، واختلف فيه عن شعبة .

وقرأ أبو عمرو «ويدخلونها» فى فاطر كذلك ، والباقون بفتح الياء وضم الخاء فى الخمسة .

«إبراهيم» فى الثلاثة مر فى البقرة .

قرأ الكوفيون «يصلحا» بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام بلا ألف ، والباقون بفتح الياء والصاد واللام وتشديد الصاد وألف بعدها .

قرأ ابن عامر وحمزة «تلوا» بضم اللام وواو ساكنة بعدها ، والباقون بإسكان اللام وبعدها [وَاوَان] الأولى مضمومة والثانية ساكنة .

قرأ الابنان وأبو عمرو «والكتاب الذى نزل» بضم النون «والكتاب الذى أنزل» بضم الهمزة وبكسر الزاى فيهما ، والباقون بفتح النون والهمزة والزاى .

قرأ عاصم ويعقوب «وقد نزل عليكم» بفتح النون والزاى ، والباقون بضم النون ـ وكسر الزاى .

قرأ الكوفيون «فى الدرك» باسكان الراء ، والباقون بفتحها .

قرأ حفص ـ «سوف يؤتيهم» باليــــاء . والباقون بالنون .

قرأ أبو جعفر «تعـدوا» بتشديـد الـدال مع إسكان العين ، وكذا ورش إلا أنه يفتح العين ، واختلف عن قالون بين الاختلاس والإسكان .

وقرأ الباقون بالإسكان والتخفيف .

قرأ حمزة وخلف «سيوفيهم» بالياء والباقون بالنون .

قرأ حمزة وخلف «زبورا» هنا وفى سبحان ، و«الزبور» فى الأنبياء بضم الزاى ، والباقـون بفتحها .

﴿ســـورة المائــدة﴾

قرأ ابن عامر وشعبة وابن وردان وابن جماز ـ بخلاف عنـه ـ «شنـأن» باسكـان النـــون فى الموضعين ، والباقون بفتحها .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «إن صدوكم» بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها .

«الميتة» لأبى جعفر ، و«فمن اضطر» مرّا فى البقرة .

قرأ نافع وابـن عامـر والـكسائى ويعقـوب وحفص «وأرجلكم» بالنصب ، والباقون بالجر .

قرأ الأخوان «قلوبهم قَسِيَّة» بتشديد الياء بلا ألف ، والباقون بالتخفيف وألف .

«رضوانه» معا مرَّ لشعبة «ياويلتى» مر وقف رويس عليه بالهاء فى الوقف على مرسوم الخط .

قرأ أبو جعفر «من أجل ذلك» بكسر ـ الهمزة ونقل حركتها إلى النون ، والباقون بالفتح ، وهم على أصلهم فى النقل والسكت .

ومـرَّ «رسلنـا» لأبى عمـرو فى البقــــرة ، «ويحزنك» لنافع فى آل عمران ، «والسحت» فى البقرة ، وكذا «الأذن» لنافع .

قرأ الـكسائى «والـعين» ومـاعطـف عليها بالرفع ، ووافقه فى «الجروح» الابنان والأبوان ، والباقون بالنصب .

قرأ حمزة «وليحكم أهل» بكسر اللام ونصب الميم ، والباقون بإسكانها .

قرأ ابن عامر «تبغون» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ المدنيان والابنان «يقول» ـ بلا واو قبلها ـ والباقون بالواو ، والبصريان بنصب اللام والباقون برفعها .

قرأ المدنيان وابن عامر «من يرتدد» بدالين الأولى مكسورة والثانية ساكنة ، والباقون بدال واحدة مشددة مفتوحة .

قرأ البصريان والكسائى «والكفار» بجر الراء ، وهم على أصلهم فى الإمالة والفتح ، والباقون بالنصب .

قرأ حمزة «وعبد» بضم الباء .

«الطاغوت» بالجر والباقون بالفتح والنصب .

قرأ المدنيان وابن عامر ويعقوب وشعبة «رسالاته» بالألف والفتح .

«والصابئون» مر فى الهمزة .

قرأ البصريان والإخوة «لاتكون» برفع النون ، والباقون بنصبها .

قرأ الإخوة وشعبة «عقدتم» بالقصر ـ والتخفيف ، وابن ذكوان بالمد والتخفيف ، والباقون بالقصر والتشديد .

قرأ الكوفيون ويعقوب «فجزاء» بالتنوين «مثل ما» برفع اللام ، والباقون بلا تنوين وبالجر .

قرأ المدنيان وابن عامر «أو كفارة» بلا تنوين «طعام» بالجر ، والباقون بالتنوين ورفع طعام فيما مر لابن عامر فى النسَاء .

قرأ حفص «استحق» بفتح التاء والحاء ، ويبتدىء بكسر همزة الوصل ، والباقون بضم التاء وكسر الحاء ، ويبتدءون بضم الهمزة .

قرأ يعقوب وحمزة وخلف وشعبة «الأولين» بالجمع والباقون «الأوليان» بالتثنية ، ومر «الغيوب» فى البقرة ، و«الطائِر وطائرا» فى آل عمران .

قرأ الإخوة «ساحر مبين» هنا ، وفى يونس ، وهود والصف بألف وكسر الحاء ، ووافقهم ابن كثير وعاصم فى يونس ، والباقون بكسر السين وإسكان الحاء بلا ألف .

قرأ الكسائى «تستطيع» بالخطاب «ربك» بالنصب ، والباقون بالغيب ـ والرفع .

وقرأ المدنيان وابن عامر وعاصم «منزلها» بالتشديد ، والباقون بالتخفيف .

قرأ نافع «هذا يوم» بالنصب ، والباقون بالرفع .

ياءاتها المضافة ست

«يدى إليك ـ إنى أخاف ـ لى أن ـ إنى أريد ـ فإنى أعذبه ـ وأمى الهين» .

وزوائِدها «ياء» واحدة «واخشون ولا» ومر حكم الأمرين .

﴿سُــورة الأنعـام﴾

«ولقد استهزى» مر كسر داله فى البقرة وإبدال همزِهِ لأبى جعفر فى الهمز المفرد .

قرأ الأخوة ويعقوب وشعبة «من يصرف» بفتح الياء وكسر الراء ، والباقون بضم الياء وفتح الراء «أئِنكم لتشهدون» مَرَّ فى الهمزتين من كلمة .

قرأ يعقوب «يحشرهم ثم يقول» بالياء فيهما هنا ، وفى سبأ ، ووافقه حفص فى سبأ ، والباقون بالنون .

قرأ الأخوان ويعقوب ـ وشعبة ـ بخلاف عنه ـ «ثم لم يكن» بالتذكير والباقون بالتأنيث

قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص «فتنتهم» بالرفع والباقون بالنصب .

قرأ الإخوة «والله ربنا» ـ بنصب [الباء] والباقون بجرها .

قرأ حمزة ويعقوب وحفص «ولا نكذب» ، ونكون بنصبهما ووافقهم ابن عامر فى الثانى ، والباقون برفعهما .

قرأ ابن عامر «ولدار» بلام واحدة وتخفيف الدال «[و] الاخرة» بالجر ، والباقون بلامين مع تشديد الدال ورفع الآخرة .

قرأ المدنيان ويعقوب «أفلا تعقلون» هنا ، وفى الأعراف ، ويوسف ، ويّس بالخطاب ، ووافقهم شعبة فى يوسف ، وابن عامر وحفص هنا ، وفى الأعراف ويوسف ، واختلف عن ابن عامر فى يّس فالأكثر عنه بالخطاب ، والباقون بالغيب فى الأربعة

«ليحزنك» مر لنافع فى آل عمران .

قرأ نافــع والــكسائى «لا يكذبــونك» بالتخفيف ، والباقون بالتشديد .

ومر «ان ينـزل» لابـن كثير فى البقـرة ، و «أرأيتكم ، وأرأيتم» فى الهمز المفرد .

قرأ ابن عام وابن وردان «فَتَّحْناَ» هنا ، وفى الاعـراف والقمـر «وفتــحت» فى الأنبيـــاء بالتشديد ، ووافقهما ابـن جَمّـاز ، وروح فى القمر ـ والأنبياء ، ورويس فى الأنبياء ، واختلف عنه فى الثلاثة الأخر ، وعن ابن جماز هنا وفى الأعراف ، والباقون بالتخفيف فى الأربعة .

ومر «به انظر» للأصبهانى فى هاء الكناية ، وإشمام «يصدفون»(١) .

فى النساء .

قرأ ابن عامر «بالغدوة» هنا ، وفى الكهف .. بضم الغين وإسكان الدال وواو بعدها ، والباقون بالفتح والألف .

قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب «أنه من فأنه غفور» بفتح الهمزة فيهما ، ووافقهم المدنيان فى الأول ، والباقون بكسرها .

قرأ الإخوة وشعبة «وليستبين» بالتـذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ المدنيان وابن كثير وعاصم «يقص الحق» بضم القاف وصاد مهملة مشددة ، والباقـون بإسكان القاف وكسر الضاد المعجمة ، ويعقوب يقِفُ بالياء كما مر .

قرأ حمزة «توفاه ـ واستهواه» بألف ممالة بعد الفاء والواو والباقون بتاء ساكنة بعدهما .

قرأ روح «قل من ينجيكـم ـ وقـــل الله ينجيكم» هنا «وننجيك ـ وننجى رسلنا ـ ننجى المؤمنين» فى يونس ، «وإنا لمنجوهم» فى الحجر ، «وننجى الذين» فى مريم «ولننجينه ـ ومنجوك» فى العنكبـوت ، «وينجـــى الله» فى الزمـــر «وننجيكـم» فى الصف بالتخفيـف ـ ووافقـه رويس فى غير الزمر ، والجميع غير ابن كثير ، وأبوعمرو وابن ذكوان فى الثانى هنا والكسائى وحفص على الثالث من يونس والإخوة فى الحجر والأول من العنكبوت ـ والكسائى فى مريم وابن كثير والإخوة وشعبة فى الثانى من العنكبوت ، والباقون بالتشديد .

قرأ شعبة وخفية بكسر الخاء هنا وفى الأعراف والباقون بضمها .

قرأ الكوفيون «لئِن أنجانا» بألف بعد الجيم بلا ياء ولا تاء ، والباقون «أنجيتنا» بالياء والتاء بلا ألف .

قرأ ابن عامـر «ينسينك» بفتـح النـون ـ وتشديد السين ، والباقون بالإسكان والتخفيف .

قرأ يعقوب «آذر» بالرفع ، والباقون بالنصب «رأى كوكبا ـ ورأى القمر ـ ورأى الشمس» مررن فى الإمالة .

قرأ المدنيان وابن ذكوان وهشام ـ بخلاف عنه ـ «اتحاجونى» بتخفيف النون ، والباقون بتشديدها .

قرأ الكوفيون «نرفع درجات» من هنا ، وفى يوسف بالتنوين ، ووافقهم يعقوب هنا ، والباقون بلا تنوين .

قرأ الإخوة «واليسع» هنا ، وفى صٓ بتشديد اللام ، وإسكان الياء ، والباقون بإسكان اللام مخففة وفتح الياء .

«اقتده قل» مر كسر هائه والوقف عليه فى الوقف على المرسوم .

قرأ ابن كثير ـ «يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون» بالغيب فى الثلاثة ، والباقون بالخطاب فيها .

قرأ شعبة «ولينذر» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ المدنيان والكسائى وحفص «تَقَطَّعَ بينكم» بنصب النون والباقون برفعها .

«الميت» مر فى البقرة .

قرأ الكوفيون «وجعل بفتح العين واللام بلا ألف .

«الليل» بالنصب ، والباقون ، و «جاعل» بألف وكسر العين ـ ورفع اللام والليل بالجر .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح «فمستقر» بكسر القاف ، والباقون بفتحها .

قرأ الاخوة «إلى ثمره ـ وكلوا من ثمره» معا هنا ، «وليأكلوا من ثمره» فى يٓس بضم الثاء والميم فى الثلاثة ، والباقون بفتحها .

قرأ المدنيان «وخرقوا له» بتشديد الراء ، والباقون بتخفيفها .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «دارست» بألف بعد الدال وإسكان السين وفتح التاء ، وابن عامر ويعقوب بلا ألف وبفتح السين وإسكان التاء ، والباقون بلا ألف وباسكان السين وفتح التاء .

قرأ يعقوب «عدوا بغير علم» بضم العين والدال وتشديد الواو ، والباقون بفتح العين وإسكان الدال وتخفيف الواو .

«يشعركم» مر اختلاسها وإسكانها لأبى عمرو فى البقرة .

قرأ ابن كثير والبصريان وخلف وشعبة بخلاف عنه «أنها إذا» بكسر همزة (إن) ، والباقون بفتحها .

قرأ المدنيان وابن عامر «قبلا» بكسر القاف وفتح الباء ، والباقون بضمها .

قرأ ابن عامر وحفص «منزل» بفتح النون وتشديد الزاى والباقون بالإسكان والتخفيف .

قرأ الكوفيون ويعقوب «كلمة ربك» هنا ، وفى يونس ، وغافر بلا ألف ، ووافقهم ابن كثير وأبو عمرو فى يونس وغافر ، والباقون بألف .

قرأ الابنان وأبو عمرو «فصل لكم» بضم الفاء وكسر الصاد ، والباقون بفتحهما .

قرأ المدنيان ويعقوب وحفص «حرم عليكم» بفتح الحاء والراء ، والباقون بضم الحاء وكسر الراء .

«اضطررتم» مر لابن وردان فى البقرة .

قرأ الكوفيون «ليضلون» هنا . «وليضلوا» فى يونس بضم الياء فيهما ، والباقون بفتحها .

ميتا مر فى البقرة .

قرأ ابن كثير وحفص «رسالته» بلا ألف بعد اللام ونصب التاء ، والباقون بألف وكسر التاء .

قرأ ابن كثير «ضيقا» هنا ، وفى الفرقان بإسكان الياء مخففة ، والباقون بكسرها مشددة .

قرأ المدنيان وشعبة «حرجا» بكسر الراء ، والباقون بفتحها .

قرأ ابن كثير «يصعد» باسكان الصاد وتخفيف العين بلا ألف ، وشعبة بفتح الصاد مشددة وألف وتخفيف العين ، والباقون بتشديدهما بلا ألف .

قرأ حفص «ويوم نحشرهم» هنا ، «ويوم يحشرهم كأن» فى يونس بالياء فيهما ، ووافقه روح هنا ، والباقون ــ بالنون فيهما .

قرأ ابن عامر «عما يعملون» هنا ، وفى آخر هود والنمل بالخطاب ، ووافقه المدنيان ويعقوب وحفص فى هود والنمل ، والباقون بالغيب فى الثلاثة .

قرأ شعبة «مكاناتكم ــ ومكاناتهم» حيث وقعا بألف والباقون بلا ألف .

قرأ الإخوة «من يكون له» هنا وفى القصص بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ الكسائى «بزعمهم» معا بضم الزاى والباقون بفتحهما .

قرأ ابن عامر «زين» بضم الزاى وكسر الياء «قتل» بالرفع «أولادهم» بالنصب «شركائهم» بالجر ، والباقون بفتح الزاى والياء ونصب اللام وجر الدال ورفع الهمزة .

قرأ أبو جعفر وشعبة وابن عامر بخلاف عنه «وان يكن» بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

قرأ الابنان وأبو جعفر «ميتة» بالرفع ، والباقون بالنصب ، ومر تشديدها ــ لأبى جعفر فى البقرة ، وتشديد «قتلوا» للابنين فى آل عمران و «اكله» لنافع وابن كثير فى البقرة «وثمره» هنا .

قرأ البصريان وابن عامر وعاصم «حصاده» بفتح الحاء والباقون بكسرها .

ومر خطوات فى البقرة و «آالذكرين» فى الهمزتين من كلمة .

قرأ ابن كثير والبصريان وابن عامر بخلاف عنه ــ من طريق هشام «المعز» بفتح العين ، والباقون بإسكانها .

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر ــ بخلاف عنه ــ من طريق هشام وحمزة «أن يكون» بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر «ميتة» بالرفع ، والباقون بالنصب ، ومر ــ تشديدها لأبى جعفر ، و «فمن اضطر» فى البقرة .

قرأ الإخوة وحفص «تذكرون» بتخفيف الذال حيث وقع بالخطاب ، والباقون بتشديدها .

قرأ الإخوة «وان هذا» بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها ، وخفف ابن عامر ويعقوب النون ، والباقون بتشديدها .

«فتفرق» مر لابن كثير فى البقرة .

قرأ الإخوة «ان تأتيهم الملائكة» هنا ، وفى النحل بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ الأخوان «فارقوا» هنا وفى الروم بألف ، وتخفيف الراء والباقون بلا ألف مع التشديد .

قرأ يعقوب «عشر» بالتنوين «أمثالها» بالرفع ، والباقون بلا تنوين وبجر «أمثالها» .

قرأ ابن عامر والكوفيون «قيما» بكسر القاف وفتح الياء مخففة ، والباقون بفتح القاف وكسر الياء مشددة .

«إبراهام» مر فى البقرة .

يا آتها المضافة ثمان . «إنى أمرت ــ ومماتى لله ــ إنى أخاف ــ أنى أراك ــ وجهى لله ــ صراطى مستقيماً ــ ربى إلى ــ ومحياى . وزوائدها واحدة ــ وقد هدان .

الفتوى

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

اعداد : الاستاذ عبد المنعم حافظ فوده

السؤال من السيد/ محمود راشد محمد غالب ـ من دولة جيبوتى يقول فيه :

توفى المرحوم حمودى أحمد عن زوجة وتدعى فاطمة قايد ، وبنت وتدعى سلطانة حمودى ولم يوجد غيرهما من صاحب فرض ولا أحد من العصبة .

ثم توفيت الزوجة فاطمة قايد عن ابنتها الوحيدة سلطانة فقط ولم يوجد صاحب فرض ولا أحد من العصبة .

ثم توفيت البنت وهى سلطانة حمودى أحمد عن زوج : السيد راشد محمد غالب فقط ولم يوجد صاحب فرض ولا أحد من العصبة ولا ذوى أرحام وكانت الوفاة فى عام ١٩٨٤م وعندما أردنا توزيع الميراث الشرعى فاجأنا المسئول الدينى فى هذه المدينة بالادعاء الاتى :

أولا لاميراث للسيد/ راشد محمد غالب زوج السيدة/ سلطانة إذ أن السيدة المذكور أوقفت ممتلكاتها حيث قالت:أن تذهب بعد وفاتى جميع ممتلكاتى إلى المسجد وكذلك المرحوم حمودى أحمد قال:تذهب ممتلكاتى بعد وفاتى وقفا على المسجد علما بأنه لم يوجد أى مستندات قانونية تفيد ما يدعيه المسئول الدينى . برجاء اعطائى فتوى شرعية فيما يدعيه المسئول الدينى وما الحكم ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد عن تركة حمودى أحمد بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضاً لانفرادها ولعدم من يعصبها والباقى لها رداً عليها لعدم وجود أحد من العصبة .

وعن الثانى : وهى تركة فاطمة قايد بأن للبنت النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها والباقى لها ردا عليها لعدم وجود أحد من العصبة .

وعن الثالث : أن الوصية ولو كانت لجهات الخير لا تنفذ فيما زاد عن الثلث إلا بإجازة الورثة ولما كان الورثة فى هذه المسألة هو زوج التى أوصت فقط دون غيره فان الوصية ان ثبتت لاتنفذ إلا فى الثلث ويكون الباقى وهو الثلثان تركة للزوج لأنه يرث النصف بطريق الفرض لعدم وجود الفرع الوارث والباقى ردا عليه حيث لا يوجد صاحب فرض ولا أحد من العصبة ولا أحد من ذوى الأرحام عملا بمذهب عثمان بن عفان بالرد على أحد الزوجين وقد أخذت به المحاكم فى مصر وجرى عليه العمل فى الفتوى والله تعالى أعلم ...

السؤال من السيد/ ن.م أحمد :

توفيت امرأة عن أخت شقيقة ، أولاد أخ شقيق ذكور وإناث/ فمن يرث وما نصيبه ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين أما بعد فنفيد بأن للأخت الشقيقة النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها والباقى للذكوّر من أولاد الأخ الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى ولا شىء للإناث من أولاد الأخ الشقيق لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد/ لواء طيار ح.م خضر :

ما الحقوق الشرعية للزوجة المطلقة قبل الدخول علما بأنه قدم لها شبكة ومهراً ــ فما الحكم ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنّ حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول ، لها نصف المهر جميعه مقدمه ومؤخره وكذلك نصف الشبكة ، لأنها جزء من المهر كما أنها تستحق نفقة زوجية من تاريخ العقد عليها إلى تاريخ الطلاق والله تعالى أعلم ،،،

ورد من السيد/ ابراهيم محمد الحمامى

بادارة المراجعة باتحاد الاذاعة والتليفزيون ٠

أن أحد أبنائه فى مدرسة اعدادية يطلب منه معلم التربية الدينية بالمدرسة أن لا يقول صدق الله العظيم فى نهاية قراءة القرآن الكريم لأنها لم يعرف مصدرها ويكره القول بها .

المطلوب : معرفة مصدر قول صدق الله العظيم وحكمها الشرعى أفيدونا أفادكم الله .

مصدر هذا القول هو قول الله تعالى (قل صدق الله) وقوله عز من قائل (ومن أصدق من الله حديثا) وقوله (ومن أصدق من الله قيلا) فهل يوجد أحد أصدق من الله عز وجل فقائل هذه الجملة عقب انتهاء قراءته إنما يمتثل قول الله تعالى (قل صدق الله) بصيغة الأمر وكل القراء يفصلوا بين القراءة وبين الكلام العادى بقولهم صدق الله العظيم حتى يتبين للسامع انتهاء القراءة والأخذ فى حديث آخر غير القرآن فكانت مأمورا بها ليفصل بين القرآن وكلام البشر فمن قال إنها مكروهة لأنه لم يعرف مصدرها لم يوفق للصواب فهذا مصدرها وهذه حكمة قولها وهذا حكمها الشرعى ولا داعى للاختلاف فى أمر يعظم به الله عز وجل وكلامه ــ والله أعلم .

السؤال مقدم من مسلم ــ بتايلاند

أرجو التكرم ببيان كيفية وضع الميت فى القبر على النظام الذى يبينه ديننا الحنيف أفادكم وأثابكم الله وجزاكم خيرا ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين « وبعد » .

فنفيد بأنه يندب وضع الميت فى القبر على جنبه الأيمن ووجهه للقبلة ، وأن يقول واضعه : « باسم الله وعلى سنة رسول الله » ﷺ .

ويستحب أن يسند رأس الميت ورجلاه بشىء من التراب أو اللبن فى قبره ، ويكره أن يوضع الميت فى صندوق إلا لحاجة كنداوة الأرض ورخاوتها ...

كما يكره وضع وسادة وفراش ونحو ذلك تحته ...

والله سبحانه وتعالى أعلم

السؤال من/ هـ ـ و ـ ع ـ السعودية :

هل الاحتفال بمولد النبى ﷺ مشروع أو هو بدعة لا يقرها الدين ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد ، فإن الاحتفال يعطى معنى الاهتمام ، والاهتمام دائماً يكون بشىء عظيم أو خطير ، ويراد به تخليد ذكراه لتكون ماثلة أمام الأعين يأخذ منها الناس العبرة والموعظة ، والإسلام خلد الذكريات الهامة بقصص القرآن الكريم ، وشرع للناس الحج إلى بيت الله فى مكة تخليدا لذكرى تأسيسها ، وما كان يحيط بها من إيمان وتضحية لتنفيذ أوامر الله بإسكان هاجر وولدها إسماعيل فى هذا المكان القفر ، وامتحان ابراهيم بذبح ولده فامتثل وفداه الله ، كما شرع الصيام وخصه برمضان تخليدا لذكرى نزول القرآن فيه .

ومولد النبى ﷺ من أعظم حوادث التاريخ عامة ، لأنه تمهيد لرسالته التى جعلها الله رحمة للعالمين ووجوه الرحمة فيها يعجز عنها الحصر ، كما هو معروف ، والرسول ﷺ نفسه كان يشكر الله على نعمة مولده ونعمة بعثته ، بصيام يوم الاثنين من كل أسبوع كما ثبت فى الحديث الصحيح ، وعلى هذا فالاحتفال بذكرى مولده ﷺ مشروع ، وليس بدعة مذمومة ؟

السؤال : ما الطريقة الصحيحة للاحتفال بهذه الذكرى العظيمة ؟

الجواب : أحسن طريقة هى اتباع الرسول ﷺ ؛ لأنها دليل على محبته ، وفى الحديث « من آحبنى فليستن بسنتى » واتباعنا لهديه يَسُرُّه حيا وميتا ، وقد أوصانا قبيل وفاته بالتمسك بكتاب الله وسنته حتى لا نضل .

ومن وجوه الاتباع البعد عن المعاصى والتسابق لعمل الخير ووحدة الصف والجد فى إعادة مجد الأمة التى جعلها الله خير أمة أخرجت للناس .

ومنها أيضاً مدارسة حياته وأخذ العبرة من سيرته ، وإشاعة ذلك وإظهاره حتى نلفت الأنظار إلى الدين ومن جاء به ، وحتى لا تغيب هذه المناسبات الدينية فى زحمة الاحتفالات الكثيرة بالمناسبات الأخرى .

السؤال : هل من السنة أن نصوم يوم ميلاد الرسول ﷺ كما كان يصومه هو ؟

الجواب : الرسول كان يصوم كل أسبوع يوم الإثنين ، فهو يحتفل ويشكر الله على النعمة لا مرة فى كل سنة ولكن مرة فى كل أسبوع ، ويوم الميلاد مختلف فى تحديده بالنسبة لموعده من شهر ربيع الأول ، وقد قال كثير من المحققين إنه كان فى اليوم التاسع ، وقال آخرون : إنه كان فى اليوم الثانى عشر ، فاليوم نفسه غير محدد بالضبط ، وقد يصادف يوم الجمعة وصومه مكروه أو حرام ، فمن أراد أن يصوم شكراً لله كما صام الرسول ـ ﷺ ـ فليصم يوم الاثنين أيا كان موقعه من الشهر ، أى شهر ربيع الأول أو غيره ، والعبرة بالنية بصرف النظر عن تحديد اليوم .

السؤال : أخيرا ما رأى الدين فى الحلوى الخاصة بالمولد النبوى ؟

الجواب : هى لون من ألوان الفرح ، وإشاعة السرور والإعلان ، وليست محتمة ، وعلى قدر الوسع يكون الأمر ، والأفضل أن يكون الاحتفال إيجابيا عمليا فى اطار المشروع ، وبالله التوفيق

من أعلام الأزهر

الأديب الشاعر والخطيب الثائر

الدكتور مصطفى يونس

للأستاذ/عبدالحفيظ على القرنى

منذ أيام قليلة جرى حديث بين فضيلة الدكتور على الخطيب وبينى ، تطرق إلى ذكر المرحوم الدكتور مصطفى يونس ، الذى تربطنا به معاً ذكريات جميلة ، غذتها الصداقة والجوار والسعى فى طلب العلم فترة طويلة .

وكانت الأيام قد ضربت بينى وبين الدكتور مصطفى ، حتى كنا لم نكد نلتقى إلا لماماً ، ثم ضرب الأجل المحتوم ضربته فانتقل الدكتور مصطفى إلى الرفيق الأعلى فجأة وهو فى أوج نشاطه وقمة آماله ، وروعة تفتحه على مستقبل زاهر مرموق . وهذا هو أمر الله الذى لامرد له ، وحكمته العالية التى قضت أنه «إذا جاء آجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون» .

وقد أشار فضيلة الدكتور على الخطيب فى حديثه بأن واجب الوفاء يقضى بوجوب التنويه بفضل هذا الأخ الكريم وذكر مآثره ، وأن من حقه على مجلة الأزهر أن تتحدث عنه فى سلسلة أعلام الأزهر ، وهو باب يُذكر لهذه المجلة العزيزة بالتقدير والثناء .

وحَمَّلنى هذه الأمانة التى رجوت الله أن يعيننى على أدائها والوفاء بها .

ولما كانت أشغال الحياة ومطالبها قد حالت دون متابعة نشاط الدكتور مصطفى ونتاجه الأدبى والعلمى بدقة ، فقد كان من الضرورى الاتصال بمن لديهم المعلومات الوافية عن ذلك . ومن ثم فقد قمت مع صديق لى وله بزيارة لبيته فى مدينة نصر ، والتقينا بولده الأكبر «المحاسب خالد» الذى قدم لنا ما نريد وفى ضوء معلوماتى السابقة ، وما قدمه لنا الابن العزيز كتبت هذه الصفحات .

المولد والنشأة

فى إقليم أسيوط الذى ينتسب إليه علامة القرن التاسع الهجرى الإمام جلال الدين السيوطى ، ولد الدكتور مصطفى محمود يونس فى الرابع عشر من أغسطس سنة ست وعشرين وتسعمائة والف .. فى مدينة ابوتيج ، وهى مقر مركز يقع جنوبى أسيوط بحوالى ثلاثين كيلو مترا . على الشاطئ الغربى للنيل . وتفصل أبو تيج جنوبا عن (قرية ياقور) بلد فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى — رحمه الله — ببضعة كيلو مترات ، كما أنها تبعد شمالا عن قريتنا (النخيلة) التى نشأ فيها الشاعر محمود حسن اسماعيل بثلاثة كيلو مترات .

وأبو تيج مدينة تجارية علمية ، اسمها قديم ، وهى تقع فى رأس الإقليم الجنوبى ، فقد حتمت

طبيعة البلاد الجغرافية والسياسية فى عهد الفراعنة أن تقسم أقاليم الجنوب إلى قسمين – كما يذكر على مبارك فى الخطط التوفيقية .

ويبدأ أول القسمين من أسوان وينتهى عند أسيوط التى كانت تدعى : رأس الجنوب وينقسم كل إقليم إلى مقاطعات ، منها مقاطعة «أبو تيج» وكان اسم أبو تيج باليونانية «افرود تيوبوليس» وبالقبطية «تابوتوكه» وبمرور الوقت حذفت «تا» فأصبحت «بوتوكة» ثم «بوتيك» وهى بمعنى مخزن ، ثم إلى أبوتيج . ومازال اسم بوتيك مستعملاً حتى الآن فى المحال التى تجمع أكثر من صنف فى التجارة .

لقد كانت أبو تيج بمثابة مخزن للإمدادات على اختلاف أنواعها فى العصور القديمة وما زالت حتى الان مدينة تجارية كبرى بين مدن الوجه القبلى .

وفى مدينة – أبو تيج – مدارس مدنية خاصة وحكومية متعددة المراحل ، وفيها معاهد أزهرية للفتيان والفتيات ، وتحفل بالعديد من المساجد الحديثة والقديمة ، وفيها مسجد عريق تجدده الآن وزارة الأوقاف ، وهو ينسب إلى رجل صالح يطلق عليه الأستاذ الفرغل ، وكان معاصراً للحافظ ابن حجر ، من رجال القرن التاسع الهجرى ، وقد ذكره النبهانى فى كتابه (جامع كرامات الأولياء) والشعرانى فى (طبقاته الكبرى) واسمه بالكامل : محمد بن أحمد الفرغل توفى سنة ٨٦٠ هـ ، وله شهرة مدوية فى أنحاء القطر .

وحفظ الدكتور مصطفى يونس القرآن الكريم صغيراً ، ثم التحق بمعهد أسيوط الدينى ، وكان يطلق عليه : (معهد فؤاد الأول الدينى) ، لأنه هو الذى أنشأه فى صورته الحديثة ، بعد أن كان طلاب الأزهر فى أسيوط يطلبون العلم فى (الجامع الكبير) .

وفى هذا المعهد تعلمنا جميعا فى قسميه : الابتدائى والثانوى على أيدى أساتذة أجلاء أوفياء يعرفون للعلم قيمته ، وللدين حرمته ، يعملون بعلمهم ، فكانوا مصابيح هدى ، ونجوم علم ومعرفة .

كان شيخ المعهد إذ ذاك من أسيوط اسمه الشيخ أحمد حميده – رحمه الله – وكان حجة فى الفقة الحنفى ، أصبح فيما بعد شيخا لهذا المذهب ، وكان من قبله الشيخ أحمد فرغلى الريدى وهو من مدينة – أبو تيج – التى نشأ فيها الدكتور مصطفى .

وتتلمذ الدكتور مصطفى فى أسيوط على الشيخ الدكتور عبدالعظيم الشناوى والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى وفضيلة الشيخ ثابت أبو المعالى ، والشيخ صالح شرف ، والشيخ عبدالمعطى شاهين ، والشيخ محمد الجهنى ، والشيخ عبدالسلام العسكرى ، والشيخ الحسينى سلطان ، والشيخ عبدالرحيم العدوى ، والدكتور محمد خليفة ، وكثير غيرهم ..

ومن هؤلاء الشيوخ نما حب الأدب فى نفس الدكتور مصطفى ، فقد كان كثير منهم أديباً شاعراً ، وكانت هناك ندوات علمية وأدبية منظمة تعقد بصفة دورية فى قاعة المحاضرات بالمعهد ، وهى قاعة أنيقة معدة إعداداً حديثاً .

وكانت للدكتور مصطفى تجارب شعرية مبكرة ، وجدت من هؤلاء الأساتذة الفضلاء تعهداً وتشجيعاً ، فقد كان يلقى فى المناسبات المختلفة قصائد تنال الإعجاب والاستحسان وسنعرض – فيما بعد – نماذج منها .

ثورة مبكرة

فى عام ١٩٤٥ م بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية ظهرت فى البلاد صحوة تنادى الانجليز

بالجلاء عن البلاد ، وتدعو إلى الاستقلال ، ولكن الانجليز كعادتهم أخذوا يماطلون ويسوفون ، فأشتعلت ثورات فى مختلف البلاد ، وتكلفت الحكومات المتعاقبة إذ ذاك بإخمادها ولكن الثورة التى اشتعلت فى أسيوط لم تخمد ، لأن شباب المعهد الدينى هم الذين كانوا يقودونها ، وفى مقدمة هؤلاء الشباب الدكتور مصطفى يونس الذى كان لخطبه الرنانة فعل السحر فى إشعال نار الحماس والوطنية فى النفوس .. وتألفت وزارة النقراشى فى أوائل ديسمبر عام ١٩٤٦ م وقرر الطلاب فى معهد أسيوط ان يسيروا فى مظاهرة سلمية تهتف للجلاء ووحدة وادى النيل والتاج الواحد والشعب الواحد والاستقلال .

ولكن قوات البوليس تجمعت أمام المعهد الدينى لتسد الطريق أمام هذه المظاهرة السلمية ، وكان شيخ المعهد هو فضيلة الشيخ عبدالرحيم العدوى ــ رحمه الله ــ وقد اتصل برؤساء البوليس واتفق معهم على أن يسمح للطلاب بالخروج فى مظاهرة سلمية لأن الحكمة تقضى ألا يكبت هذا الشعور الدافق البرىء .

وسمح للطلاب بالخروج تحت قيادة شيخ المعهد والمدرسين ، وما أن تجاوزت هذه المظاهرة السلمية سور المعهد بخطوات حتى فوجئت بالنيران تفتح عليها من جانب البوليس ، فقتل من قتل من الطلاب ، ومنهم من ألقى بنفسه فى النيل ، ومنهم من فر هارباً على وجهه .. وكانت مأساة فظيعة أهاجت الرأى العام وتحدث عنها العام والخاص .

وتولى د. مصطفى يونس مهمة إبلاغ نبأ هذه المأساة إلى أسماع المسئولين فى القاهرة وأعضاء « البرلمان » فأصدر بيانا وطبعه ، صَدَّرَه بالآيات الأولى من سورة القصص ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (ســورة القصص)

وجاء فى هذا البيان : ياشيوخ الأمة ونوابها ، ويأيها الشعب العزيز . انتهت الحرب ، وقامت كل أمة تأخذ بحقها فى تقرير المصير ، ولم تكن مصر بدعا فى الأمم وهى منشئة الحضارة الأولى ، وصاحبة الصدارة فى مجد التاريخ ، فهبت تعلن حقها المحدد بالجلاء ووحدة وادى النيــل ، وخرجت طلائع الشباب متتابعة الزحف ، مكتملة الوعى ، مشبوبة العزم تعلن إصرارها على الحق ، ومضيها فى النضال حتى يتحرر الوطن العزيز ، ووقعت أحداث ، وسالت دماء ، وجرت أمور ، وراحت وزارة وجاءت وزارة ، وانتهى الأمر بمشروع « بيفــن » المشهــور ، وتكشفت نوايا الانجليز عن الحماية المقنعة .بلجنة الدفاع ، وسلخ السودان ، على هذا النحو الخطير .

وأعلن حاكمهم فى السودان ماأعلن وتصرف ما شاء أن يتصرف ، وتبينت الأمة أنهم كالعهد بهم ــ دائما ــ كاذبون ، وأن هذه المفاوضات والمطاولات كانت تخديرا للشعب اليقــظ ، وتسكينا للشعور حتى يكسبوا الوقت ، وتسنح لهم الفرصة ولم نكن نحن ــ عن ذلك ــ غافلين .

وكان لابد لنا ــ نحن أبناء الأزهر ــ الذى ربى النهضة الأولى فى رحابه وعذاها بمنبره العالى ،

ودمه الغالى ، كان لابد لنا أن نعلن رأى الأمة بصوتنا ، وأن ننفخ فيها من روحنا ، وكذلك فعلنا ، وعلى ذلك عزمنا .. وجاء فى نهاية هذا البيان القوى الذى يدل على ملكة بيانية ، وموهبة خطابية مايلى :

فهذا هو حادث أسيوط الدامى الأليم ، يسجل معه بكل إكبار وتقدير موقف فضيلة أستاذنا شيخ المعهد وأساتذته ومكتب الوعظ من أول الحادث إلى أخرى وحسبنا أن يعلم الرأى العام هذه الحقائق ..

أما شيوخ الأمة ونوابها فنحن نتقدم اليهم بهذه الحقائق الأليمة ، وهى بعض ماقد كان ، وننتظر منهم أن يقوموا بحق هذه الدماء التى أريقت ، والأرواح التى أزهقت ، فإنما كانت حياتها للأمة ، وهتافها للوطن ، وأن يرفعوا أصواتهم لتأديب المعتدين . وعهدنا مع الله نجدده ونؤكده أن نكون للوطن جنوداً ، وللنيل فداء والسلام .

وجاء مصطفى يونس من أسيوط إلى القاهرة ليقدم لكل شيخ ، ولكل نائب ، ولكل مسئول فى الوزارة نسخة من هذا البيان الذى دبجه بقلمه وخطه بأسلوبه ، وقد كان له صدى كبير فى الأوساط السياسية حينذ .

وكان مجيئه إلى القاهرة خفية ، لأن (البوليس) كان يتعقبه بعد هذه المعركة ، وكان قد اختبأ هو وصديق له اسمه الشيخ على محمود جعفر ــ كان يشغل منصب مدير عام الوعظ بالأزهر إلى وقت قريب ــ بعد أن استقلا قارب صيد إلى الشاطىء للنيل ، وظلا عند صديق لهما هو المرحوم (عبدالحميد أبو غدير) كان يشغل منصبا كبيرا فى وزارة التعليم قبل وفاته ــ رحمه الله ــ منذ سنوات .

الصحفى المبكر

وكانت للدكتور مصطفى يونس مبادرات صحفية ، فقد أصدر صحيفة أسبوعية صغيرة الحجم اسمها «صوت الشباب» كانت تطبعها مطبعة فى أسيوط ، وكان هدفه منها تشجيع زملائه الطلاب على الكتابة واظهار مواهبهم الأدبية ، وكانت عبارة عن عدة صفحات محدودة ، وكان المقال لايتجاوز عدة أسطر ليتيح لأكبر عدد ممكن من الزملاء الكتابة ، وهى محاولة جريئة ، تعين على تركيز المضمون الكبير فى أسطر قليلة ، وهذه هى البلاغة ، كما يشهد هذا العمل بالموهبة الأدبية المبكرة فى عالم الصحافة والأدب ، وظلت هذه الصحيفة تصدر بصفة دورية طوال مدة وجوده فى أسيوط ، وكانت تنفد فور صدورها .

الرابطة الإسلامية

وأنشأ مع زملائه من الشباب المتطلعين إلى المثل العليا ، وإحياء القيم الدينية فى ابو تيج رابطة اسماها : (الرابطة الإسلامية) كانت تهدف إلى توعية الناس إلى الاداب الدينية الرفيعة منتهزة فرصة إحياء المواسم الدينية المختلفة ، فتحتفل بها احتفالاً يليق بجلال المناسبة والتذكير بما يجب أن يكون نحوها من استشعار جلال الدين ، وتنقية الروح ، وتهذيب الوجدان ، والتمسك بالفضيلة ، وهذا هو الهدف الأسمى للدين .

فى كلية اللغة العربية

التحق الدكتور مصطفى بكلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٤٨ ، وفى كلية اللغة تفتحت مواهبة أكثر وقد احتضنه فيها من اساتذته القدامى فى معهد اسيوط : الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجة ، والدكتور الشيخ عبد العظيم الشناوى ،

وتوثقت صلته بالدكتور محمد نايل ، وكان هؤلاء الأساتذة الأجلاء يرون فيه رجولة وعلماً وأدباً ، ووجد فى ظلهم كل رعاية وأبوه ، وظلوا يتعهدونه بالتوجيه والإرشاد والنصيحة حتى نال الشهادة العالية فى عام ١٩٥٢ م

كان هؤلاء الشيوخ الأفاضل أصدقاء له مثلما كانوا أساتذته وعلى الرغم من أختلاطه الشديد بهم إلا أنه كان يرعى لهم حقهم الأبوى ، ويحفظ لهم منزلتهم العلمية ويوليها من قلبه كل قيمة واعتزاز ، فكان هذا يزيده فى نظرهم رفعة وفى قلوبهم منزلة .

فى وزارة التربية والتعليم

والتحق بتخصص التدريس بعد تخرجه فى كلية اللغة العربية ، ومكث عاما يدرس فنون التربية النظرية والعلمية وطرق التدريس ، ثم عين مدرسا للغة العربية فى وزارة التربية والتعليم وتنقل فى جهات مختلفة ، فى دسوق واسيوط وقنا حتى استقر به المقام فى مدرسة العباسية الثانوية بالقاهرة حتى سنة ١٩٧٣ م .

وفى خلال هذه المدة لم ينس ان يحقق طموحه فى الفوز بدرجة الماجستير والدكتوراه واستطاع أن يظفر بهذه الاجازة العلمية وهى « الدكتوراه » مع مرتبة الشرف الأولى من كلية اللغة العربية عام ١٩٧٣ م .

وكان موضوع الرسالة التى نال بها الدرجة العلمية هى : «الخطابة فى ظل الحياة النيابية» ولعلك تتساءل عن سر أختيار هذا الموضوع .

والإجابة على ذلك تدعونا إلى ان نشير إلى أنه كان مدفوعاً إلى العمل السياسى دفعاً ، لأنه كان يهدف إلى الاصلاح عن طريقه ، كانت الحكمة التى تقول : يزع الله بالسلطان مالايـزرع بالقرآن.. تحمله على الإيمان بأن الرجل الذى لا سلطة فى يده لا تأثير له . وكلمة من (مسئول) لها فعل السحر فى النفوس ، وحين تولى عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ الخلافة قلب أخلاق الناس رأساً على عقب وأصبح حديث الناس يدور عن الدين وتطبيقه ، والإسلام وأخلاقه . وأصبحوا يتساءلون : كم صليت فى ليلتك ؟ وبكم تصدقت فى يومك ؟ بعد أن كان لا حديث للناس إلا عن السمر والملاهى والمجون .

فاندمج الدكتور مصطفى فى العمل السياسى بغية الإصلاح عن طريقه، حتى عين أمينا للمكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى العربى فى (أبو تيج)

ثم انتخب عضواً بمجلس الشعب عن دائرة ـ أبو تيج ـ فترة أحسبها من سنة ١٩٦٤م وكان عضواً لامعاً فى المجلس حتى لقد عين عضواً بأمانة المجلس خلال فترة عضويته .

كما انتخاب أميناً للحزب الوطنى عن مركز ـ أبو تيج ـ ، وعين نائباً لرئيس مجلس إدارة نادى هيئة تدريس جامعة الأزهر .

ولكنه بعد انتهاء عضويته بمجلس الشعب لم يعد لترشيح نفسه فى الدورة التالية ، ولاتفسير لذلك إلا أنه لم يجد لعضويته الأثر الذى كان يريده ، فأثر السلامة ، وفضل أن يصرف جهوده للعلم وهو أعظم خدمة للوطن .

فى جامعة الأزهر

لقد عين بعد حصوله على درجة الدكتوراه مدرساً للأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فى أسيوط . وكان ذلك سنة ١٩٧٤ م .

وتولى عمادة الكلية الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجة الذى اعتبر الدكتور ساعده الأيمن وتقلب فى مناصب الكلية من مدرس إلى أستاذ مساعد إلى أستاذ حتى أصبح عميداً للكلية سنة ١٩٨١ م .

وسافر إلى الخارج مبعوثاً وداعية عدة مرات .

وحين كان فضيلة الشيخ عبدالعظيم الشناوى فى المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلوات والتسليمات - كان الدكتور مصطفى يونس معه ، وكانا هناك لايفترقان ، فى رحاب الكلية فى الصباح يلتقيان فيرشفان معا رضاب العلم شهية سائغة للشاربين ، وفى روضة المصطفى ﷺ فى المساء يلتقيان فينعمان معا بغذاء الروح ..

وقضيا معا هناك أزهى أيام الحياة ، وتجددت إعارة الدكتور عبدالعظيم الشناوى إلى المدينة ، وتجدد ايضا معه لقاء الدكتور مصطفى يونس هناك

وكان الدكتور مصطفى يلقى على طلابه فى كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة محاضرات فى الأدب والنقد ، وقد اكتسب هناك سمعة طيبة ، فأسند إليه منصب وكيل الكلية .

وعاد إلى القاهرة بعد انتهاء إعارته ، ثم سافر مبعوثا الى عدة دول منها الفليبين ، ونيجيريا لإرشاد مدرسى اللغة العربية من أبنائها إلى طرق التدريس ، وفى ديوانه المخطوط بيده قصيدة بعنوان عائد من اليمن تشير إلى أنه قضى هناك أياما سعيدة .

نتاجه الأدبى والعلمى

رسالته التى نال بها الدكتوراه تشهد ببراعته فى فن الخطابة ، فلم يتحدث عن مجال الخطابة فى ظل الحياة النيابية من فراغ ، ولكنه كان يشير بذلك إلى أن تكون الخطابة لسانا معبرا عن حاجة الناس وأفكارهم وتراثهم وآمالهم وحل مشكلاتهم .

والدكتور على الخطيب - أكرمه الله - يقوم بتدريس مادة الخطابة لوافدى الدورات التدريبية من الأئمة والوعاظ من الدول الأفريقية والإسلامية المختلفة ، هذه الدورات التى تنظمها الأمانة ، العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر ، وهو خير من يجيد تقويم مفهوم هذه الرسالة «رسالة الخطابة» ويدرك أن كاتبها لا بد وأن يكون قد أوتى بياناً قوياً وقدرة على الإفصاح وتناول الموضوع الذى يتحدث فيه بإقناع ، فالحكمة تقول : فاقد الشىء لا يعطيه .

وللدكتور مصطفى يونس خطب رنانة كان يقوم بالقائها فى شتى المناسبات ، وهو بدوره ثائر يدرك مضمون مايدعو إليه .

وتزدهر الخطابة - كما يقول فضيلة أستاذنا المرحوم عبدالجواد رمضان - إذ توفر لها أمران : أحدهما : سبب داع إلى القول ، والثانى : حرية القول .

يضاف إلى ذلك ثقافة واسعة ، وفصاحة مانعة من الخطأ ، وبديهة حاضرة .. وتناولت خطب الدكتور مصطفى يونس جوانب متعددة من الحياة ، منها مايتعلق بالدين ، ومنها مايتعلق بالسياسة ، ومنها مايتعلق بالمجتمع .

والمقام يضيق دون الاستشهاد بنماذج من خطبه ، وحسبنا فى ذلك ماقدمناه فى البيان السابق ، فهو خطبة مدونة فى الواقع .

وله نتاج علمى متنوع إلى جانب مقالاته المختلفة فى المجلات الأدبية والدينية وأحاديثه الاذاعية فى مصر والخارج وله لمسات فنية فى الرسائل التى كان يشرف عليها أو يناقشها .

فى مجال الشعر

وللدكتور مصطفى نتاج شعرى هو ليس بالضخم ، ولكنه يدل على شاعرية دافقة ، وقد رأينا ما جمعه من شعره فى « كشكول » متوسط الحجم كان قد أعده بيطبع ، ولكن الأيام لم تسعفه وصدق ابن زيدون حين يقول .

ما أمتـــــــــع الآمال لولا أنها تعتـــاق دون بلوغهـــا الآجال !

وكان شعره يلقيه فى مناسبات مختلفة أكثرها فى مناسبات دينية كالهجرة والمولد. النبوى وذكرى الإسراء والمعراج ، وذكرى بدْر ، ورمضان والأعياد الدينية ، ولكنه كان يتناول هذه المناسبات بروح جديدة ، كان يتحينها لإشعال الغيرة الدينية فى النفوس وبث العزيمة فى القلوب ، والعزة فى الأرواح .

فهو يقول فى وحى الهجرة :

ياخير خلـــق الله قم ، وتولنـــا فاليـــوم صرنـــا بين جو معتم
نُبِـذَ الكتـابُ وعُطِـلّتْ أحكامُـــهُ فالكـون أصبـح فى سراب مظلـــم
إبلـــيس قاد العـــالمين يلهـــوه والمسلمـــون عضوا لكـــل محرم

إنه يَأْسى لواقع المسلمين المر ، ويتفجع على ماهم فيه من ضياع وتفرق وفى ذكرى بدر فى رمضان سنة ١٣٦٤ هـ وكانت الحرب العالمية الثانية ق توقفت قال :

ساحَـة الحرب ، الهمينـى الجوابــا كم أذقت العبـــاد منك العذابـــا
هذه الحرب بعـــد طول اشتعـــال قد تقضت وقـد شهدنـا العجابــا
هل لمصر وقـــد تقـــاوم عهـــدٌ فى احتــلال أضاع منــا الصوابـا ؟
هل لمصر بأن تقـــادم نومـــاً مستطبـاً ، وأن ئجِــدَّ الطلابــا ؟
كالجهـــاد الجهـــاد ليس سواه يجلب المجد أويــفت الصلابـــا ؟
والـــــــرسول الأمين خير زعيم يرأس الجيش أو يقـــود الحرابـــا

هذه بدر فاسألوهـــا تجبكـــم كيــف قاسى الــرسول فيها الصعابـا

ومن شعر الاجتماع يتحدث عن العلم ، موضحاً دور العلم فى نهضة الأمم :

والعلــــم للأمم الضعيفـــــة قوة يودى بكـــــل قذيفـــــة وسلاح
والعلــــم للأمم الفـــــقيرة ثروة ترسى قواعدهــــــا على الاصلاح
والعلـــم للنـــفس الكـــريمة سلــــم يرقى بصاحبها لكـــــــل فلاح
والعلــــم تاج للـــــرءوس وزينـــــة للعـــــــالمين ورأس كل صلاح
ياعلـــم عيـــدك للعروبـــة شعلـــــة يسرى الهداة لنورهــــا الـــــوضاح

ويذكر المصريين بواجبهم فيقول :

يامصر عيـــد العلـــم أصبـــح روضة غنـــــاء تجمــــــع باسق الأرواح
أقسمت حين رأيت جمعـــــاً حاشداً والعلـــم رفـــرف فوقهـــم بجنـــــاح
ان العروبــــة لن يضيــــع تراثهــــا ولسوف تبلـــــغ غايـــــة الإصلاح
ياقوم لم تعـــد الحيـــــاة صحائفـــــا تتلى لتعلــــــن آيــــــة الإفصاح
والمجد ليس قصيــــدة مطبوعـــــة نقشت على لوح من الألـــــــواح
إن الحيــــــاة عزيمة وثابــــــــة والمجد رهــــن تجلـــد وكفـــــاح

ويتحدث عن الأم وفضلها فيقول :

أنت ياأم فى الوجـــــود ربيـــــع لف هذى الدنـــا بثـــوب جديـــــد
بسمــــــة أنت فى الحيـــــاة ولحن عبقـــرى الغنـــاء حلـــو النشيـــد
الصبــــاح البديــــع منك شعــــاع يقـــبس الضوء من سنـــاك الفريـــد

إنه يرسم صورة للأم توحى بمدى عطائها المتجدد لأولادها ، وماتقدمه للبشرية من سعادة وجمال .

ولم يخل شعره من فلسفة وكامل ، ومن ذلك مانقرؤه له بعنوان : من أنا ؟ وقد نشرت هذه القصيدة فى مجلة (مدرسة التعاون) بدسوق سنة ١٩٥٤ م :

دنياى قد خلت السنون وقد خبرت الأزمنا
وعرفت أسباب السعادة والشقاوة والهنا
وبلوت أصناف الرجال فجاهداً أو مؤمنا
وسبرت أغوار الخليقة أجمعين ، فمن أنا ؟
أنا ذلك السر الدفين يغوص فى قاع الدنا
أنا ذلك اللحن السعيد وإن بدا لك محزنا

أنا ذلك اللغز العجيب تراه سهلاً هينـاً
أنا ثروة فى الكون أبدو مسنكينا ساكنا ...

إنك تلمح فى هذه القصيدة العمق الذى لاتراه فى قصائده التى قالها فى باكورة حياته .

وفى المجال السياسى ، له قصيدة بعنوان : ساعة الغضب ، القاها فى المهرجان الذى استقبلت به هيئة إنقاذ فلسطين فى أسيوط عام ١٩٤٨ م ، ويقول فى ذلك :

الله أكبر إن الـــنصر للعــــرب ... ياهيئة النصر هذى ساعــة الــغضب
شدوا الوثائــق ودكــوا كل عاتيـــة ... واستخلصوا الشرق من عادٍ ومغتصب
ردوا مكائـــد قوم طالما عبثـــوا ... بالدين والأمن والأخــلاق والعـــرب

هذه أمثلة ثليلة من ذخيرة تركها الشاعر مصطفى يونس ، لعل ابنه خالداً الذى قدم لنا هذه المجموعة مكتوبة بخط والده الراحل ان يجدَّ فى طبعها ، بعد تنسيقها لتحفظ فى سجل مطبوع لايتبدد بالضياع أو النسيان ، ونذكره بما قاله ابوه له حين أتم عامه السابع فى ١٩٧٠/١/٢٠ م :

حى الملائك إن سمعت نداء ... واسجـــد لربك بكـــرة وعشاء
فالأرض ضاحكـــة تفـــيض بشاشة ... والكــون مبــتسم يفــيض سنـــاء
والقـــلب مبتهج بمولـــد «خالـــد» ... والنـــفس فى بشر تتيـــه صفـــاء
ياخالـــد لك فى الفـــؤاد مكانـــة ... تسمـــو برفـــعتها سنـــا وبهاء
أقبـــلت فى حلـــل الملائك طاهـــراً ... فمـــلأت قلبـــى بهجـــة ورواء

●

أبنـــى إنى قد دعـــوتك خالـــداً ... لتكـــون سيفـــاً للهـــدى مضَّاء
قد كان جدك خالَـــدُ عنـــد الوغـــى ... أسداً يدك بـــأسه الأعـــداء
فخـــذ الطريـــق إليـــه وانهج نهجـــه ... واحمل بعـــــزمك للسلام لواء

وبعد ، فقد كف هذا البلبل عن الصدح فى ١٩٨٦/٩/١٦ م ، وكنت قد تلقيته قبل هذا التاريخ .. وهو على أهبة سفر .. فى مكتب فضيلة الدكتور عبدالودود شلبى أمين عام الدعوة الإسلامية بالأزهر ، بعد فراق طالت سنواته ، حتى كدت لاأعرفه من شدة ماغيرت الأيام من كلينا ، ولكن صوته حين تحدث أعاده إلى كما كان فى صباه قوياً عظيماً مهيباً ، فقمت إليه معانقاً وقام إلى يضمنى إلى صدره فى شوق جارف ، وماكنت أحسب أن هذا هو اللقاء الأخير بينى وبينه فى عالم الدنيا ، بعد فرقة طالت سنوات وسنوات ولكنها الأيام تفعل فعلها ، وتذكرنا بقول الشاعر الحكيم :

تنفك تسمع ماحييت بها لكِ حتى تكونه

رحم الله الدكتور مصطفى يونس وأحله رضوانه ، وحفظ فى أولاده ومحبيه وأصدقائه ذكراه وأثره ..

الحاج عمر ميتا

رائد الدعوة الإسلامية فى اليابان

د. صالح مهدى السامرائى

الزعيم اليابانى المسلم الحاج عمر ميتا ، يمثل طلائع المسلمين اليابانيين الأول الذين شرفهم الله بأن يكونوا من أوائل قومهم إسلاما ، وأن يكون أول مسلم ترجم معانى القرآن الكريم الى اللغة اليابانية ، وأن يكون المسلم اليابانى الأول الذى حاز على احترام جميع المسلمين فى اليابان وحتى غير المسلمين . توفى عن عمر تجاوز التسعين عاما بقليل ، وبموته انطوت صفحة مضيئة من الجهاد الإسلامى فى اقصى بلد فى الشرق وهو اليابان .

أسلم فى أواخر الثلاثينات من عمره وهو فى الصين ، وأتيحت له فرصة إجادة اللغة الصينية ومعرفة تامة بأحوال الشعب الصينى ، وهناك فى الصين تعرف على الإسلام والمسلمين ، وقارن بين حياة المسلمين وغير المسلمين وذكر عما لفت نظره من حياة المسلمين : « أن بيوتهم نظيفة ومساجدهم طاهرة وثيابهم فى غاية الأناقة والنظافة وطعامهم فى منتهى الحلاوة والطيبة ، يعلو وجوههم نور تحسه عند أول لقاء بهم » .

إن هذه المشاعر تجاه المسلمين وهذا التجاوب الوجدانى معهم أدى فى نهاية المطاف الى أن يشرح الله صدره للإسلام فاعتنقه ، واتخذ (ريوجى ميتا) اليابانى الأصل اسما إسلاميا له هو عمر ولعله اتخذ الاسم متمثلا بمسلم يابانى سبقه بالاسلام بعشرين سنة هو (عمر ياما أوكا) والأخير كان أول يابانى يؤدى فريضة الحج عام ١٩٠٩م .

إن اهتمام عمر ميتا بالإسلام سبقت زيارته للصين حيث ذكر لى ـــ بأنه فى أوائل العشرينات من عمره ـــ سمع عن إسلام (عمر ياما أوكا) فقطع أكثر من ألف كيلو متر من جنوب اليابان إلى طوكيو ليجتمع به ويسأله عن الإسلام ، ولشدة خيبة أمله أجابه عمر ياما أوكا : « إن صغر سنك لا يؤهلك لمعرفة الإسلام » .

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، عاد اليابانيون الذين بقوا على الحياة من مواطن هجرتهم فى المستعمرات اليابانية إلى بلدهم ، ومن بينهم عمر ميتا الذى عين أستاذاً للغة الصينية فى جامعة بجنوب اليابان إلى أن بلغ من العمر ستين عاما فأحيل إلى المعاش ، وانتقل الى طوكيو العاصمة ، واستقر به المقام فيها . وفى طوكيو اجتمع بأخوة له فى الاسلام من اليابانيين الذين أسلموا فى الصين وأندونيسيا والملايو وتداولوا الأمر بينهم ، وشكلوا أول جمعية إسلامية خالصة لليابانيين هى (جمعية مسلمى اليابان) وذلك فى عام ١٩٥٣م وكان أول رئيس لها (إيما يزومى) الذى توفى عام ١٩٥٩م ، فخلفه عمر ميتا فى رياسة الجمعية ـــ رحمهما الله ـــ تعالى .

لقد شهد عام ١٩٥٦م أول اتصال فعلى بين اليابان والعالم الإسلامى فى حقل الدعوة الإسلامية لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث وصل وفد من جماعة الدعوة الإسلامية « التبليغ » من باكستان إلى طوكيو ، واتصلوا بمجموعة المسلمين اليابانيين فيها ، وتعاونوا ـــ جميعا ـــ فى تنظيم جولات للدعوة فى بعض أنحاء اليابان ، وكان رفيقهم ومترجمهم (عمر ميتا) ومن الأماكن التى زاروها (جزيرة شكوكو) رابع جزر اليابان ، ووضعوا هناك أول بذرة للإسلام فى تلك الجزيرة تلك البذرة التى نمت إلى شجرة خضراء مورقة تحتاج الآن إلى من يسقيها ويتعهدها ، فى الزيارة الثانية لهذه الجماعة لليابان عاد معهم (عمر ميتا) للهند وباكستان ، وصحبهم ثمانية عشر شهرا أدى خلالها أول حج له عام ١٩٥٨م ، وترجم كتاب حكايات الصحابة[1] لشيخ الحديث مولانا زكريا إلى اللغة اليابانية ، ووضع كتيبات فى الصلاة وأعمال اليوم والليلة .

---

* الحاج عمر ميتا من دوحة يابانية عالية فهو من سلالة الساموراى الفرسان الذين يمثلون قمة الطبقة الحاكمة فى اليابان لسنين طويلة وهم مثل لمبادىء الشهامة والتضحية والإيثار (صالح السامرائى) .

* كانت قبل الحرب جمعيات اسلامية يابانية مكونة من المستشرقين والسياسيين والعسكريين لدراسة الاسلام من أجل مساعدتهم فى تحقيق حلم اليابان بجميع بلدان آسيا تحت زعامتها تحت شعار آسيا الكبرى .

(١) كنا نود من الأخ الكاتب أن يلقى ضوءا أكثر على هذا الكتاب ومؤلفه .

إن زيارة عمر ميتا للهند وباكستان وأداءه لفريضة الحج أحالت هذا الشيخ اليابانى إلى داعية من الطراز الأول ، يحمل همّ العمل الإسلامى فى اليابان ، ويبذل وقته كله من أجل دعوة قومه لهذا الدين العظيم . كلما جاءت بعثة للدعوة من باكستان ، أو الهند صاحبها لأشهُرٍ يجوب فيها اليابان شمالا وجنوبا شرقا وغربا من مدينة لأخرى ومن قرية إلى قرية فيهدى الله به من شاء ، فإذا عادت بعثة الدعوة إلى بلدها وتكون قد قضت ثلاثة إلى أربعة شهور بَقِىَ هو يتعهد المسلمين الجدد ، ويتفقد قدامى المسلمين ، يزورهم ويذكرهم بواجب الدعوة إلى الله .

أذكر أنى فى اليوم الثانى من وصولى لليابان أول مرة ، وكان ذلك يوم ١٩٦٠/١٠/٢٨م اجتمعت به فى الدار التى كان يسكنها ، وكان ينزل بغرفة مجاورة له أعضاء البعثة الرابعة من جماعة الدعوة بباكستان : رأيت شيخا فى الستينات من عمره متوسط القامة ذا لحية بيضاء أكسبته وقارا وهيبة وعلى محياه ملامح صالحى المسلمين .

جمعية الطلبة المسلمين :

بعد وصولى إلى اليابان التحقت بالدراسات العليا بجامعة طوكيو بكلية الزراعة ، وبالتعاون مع طلبة مسلمين يابانيين وباكستانيين وأتراك وأندونيسيين شكلنا ــ فى أوائل عام ١٩٦١ ــ أول جمعية للطلبة المسلمين فى اليابان ، وبدأنا نفكر فى التعاون مع مسلمى اليابان ، واستقر أمرنا على تشكيل مجلس مشترك من ثلاثة أعضاء من جمعية الطلبة المسلمين هم : عبد الرحمن صديقى أمين عام الجمعية (أخ باكستانى متفرغ فى المركز الإسلامى بطوكيو) ، ومظفر عزى (تركى) ، والفقير إلى الله كاتب هذه السطور (أمين عام مساعد الجمعية) ، وثلاثلا أعضاء آخرون من جمعية مسلمى اليابان هم : الحاج عمر ميتا رئيس الجمعية ، والحاج عبد الكريم سايتو ، وعبد المنير واطانابا . وأصدر هذا المجلس المشترك أول نداء للعالم الإسلامى لفت نظر المسلمين فيه إلى مسلمى اليابان ، وتولى المجلس المشترك التخطيط للدعوة الإسلامية فى اليابان ، فكان يجند المسلمين اليابانيين والطلبة المسلمين الدارسين للتحرك والسفر لدعوة اليابانيين إلى الاسلام ، وكان يرعى المسلمين الجدد ، وكثير منهم طلبة جامعيين ، ويقيم دورات ومخيمات تربوية لهم ، وبعث العديد منهم إلى الأزهر الشريف ، وبعضهم للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وأصدر صحيفة « الاسلام باليابان » ونشر كتيبات منها من تأليف (عمر ميتا) وكتاب (مبادىء الاسلام) للمودودى ، واشترى أرضا لتكون مقابر للمسلمين على بعد مائة وخمسين كيلو متر من طوكيو ، لأن المسلمين اليابانيين كانوا يحملون الهَمَّ ويفكرون فى مصيرهم بعد الموت حيث إن عامة اليابانيين يحرقون موتاهم ، وجل المساعدات فى ذلك الوقت كانت تأتى من المملكة العربية السعودية والكويت .

عشت للعام الأول من وجودى فى اليابان مع (عمر ميتا) فى غرفة واحدة كان يصحو كل يوم مع الفجر فى عز برد طوكيو القارس ، ومعه مفتاح مسجد طوكيو وكنا نسكن على بعد عشر دقائق مشيا فيؤذن لصلاة الفجر . وكنت ألحظ عليه أنه بدأ فى ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

طوائف

بهائية وبكتاشية – ثم جماعة التقريب

لصاحب الفضيلة الشيخ عبداللطيف محمد السبكى
إعداد وتقديم الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات

العمل على تمزيق الصف الإسلامى ، وخلخلة أسسه كان ولايزال مطلباً عزيزاً عند الأعداء ومن لف لفهم .

ولكنهم كانوا يواجهون مواجهة صريحة وصادقة تفحمهم فيبتلعون ألسنتهم :

ولكن دعاة التمزيق والتفريق اليوم ليسوا غرباء عن الإسلام بل هم من أبنائه استغلوا سماحة الإسلام ومرونته فأخذوا يطوحون فيه يميناً وشمالاً بدعوى المحافظة عليه وبئس ما تبتلى به أمة . أن يقع التضارب والتصادم بين أبنائها بسبب عقيدتهم الدينية .

قال الأستاذ رحمه الله :

١ ــ أفصحت لجنة الفتوى بالأزهر عن حكم الإسلام فى البهائية ، بناء على ما قدم إليها من شأن هذا المذهب ، وكذلك أفصح فضيلة مفتى مصر ــ الشيخ حسنين مخلوف ــ عن الحكم فى طائفة البكتاشية ، بناء على ما استند إليه من التاريخ ومن الشريعة . وقد التقت الفتويان فى شأن الطائفتين عند غاية واضحة ، وعرف من لم يكن يعرف ، أنهما على غير الحق الصراح ، مع فارق بينهما فى العقيدة . فالبهائية ــ كما نمى إلى علم لجنة الفتوى ــ قائمة على نسخ الأديان السماوية السالفة كلها ، ثم هى حائرة بعد ذلك بين القول حينا بألوهية زعيمها الأول والقول حينا آخر بنبوة زعيمها الخلف .

ووسيلتها فى الدعوة إلى مذهبها المتأرجح ، لا تخلو غالباً من الإباحة لأمور محظورة ، والتحلل من تكاليف مقطوع بثبوتها ، ونبذ القيود الكابحة عن الغواية .

ثم هى تسمى ذلك الباطل ــ دينا ــ وتكسوه بهذه التسمية ثوبا ريائيا تخادع به البسطاء ، وثوب الرياء يشف عما تحته ، فإذا تكشف أمرهم سارعوا إلى القول بأنهم مؤمنون بكل شىء جاءت به الأديان ، غير أنهم يرون باب الفيض الإلهى لايزال مفتوحاً .

وآخر ماقرأنا عن ذلك مانشره سكرتير حزبهم فى أهرام ٥ من نوفمبر الحالى سنة ١٩٥٢ رداً على فتوى اللجنة ، وإن زعمها هو فتوى فضيلة المفتى .

وهذا الرد مهما كان مخفيا وملتويا لايعفيهم مما تهربوا منه ، إذ هم لايرضون بالإسلام ، ولايقرون بما جاء به القرآن من أن محمد ــ ﷺ ــ خاتم النبيين .

ولا يزالون على ضلالتهم ، فى أن باب الفيض « الوحى » لايزال مفتوحاً ، وأن النبوة ــ بعد أن كانت ألوهية ــ حاصلة لزعيمهم البهاء . وهكذا من خلطهم المصطنع . وفى هذا الزعم وحده

مايكفى لتصحيح القول بإفحاشهم فى الكفر ، وإن تنصلوا بالمحاولات الهزيلة .

٢ ــأما البكتاشية ، فشرذمة من أتبــاع الفاطميين ، الذين يمتون إلى الإسلام ، غير أنهم ــ الفاطميين ــ انشقوا على الجماعة الأولى من عهد على وخلافه مع معاوية ، رضى الله عنهما ، وقد كان تحزبهم ثغرة نفذ منها خصوم الإسلام الذين غاظهم أن تكون له تلك الوحدة المتماسكة ، ولم يجدوا وسيلة إلى النيل من قوته أقرب إليهم من التظاهر بالتفانى فى الحب ، وفى التشيع لآل البيت من ذرية على خاصة .

وسواء أكان التشيع فى أصله غَيْرَةً صادقة على بيت النبوة ، أم كان حقاً أريد به باطل ، فقد استتر به من يعنيهم اقتلاع شجرة النبوة من أصلها ، واستطاعوا أن يفتحوا على الإسلام أبواب الفتنة ، وأن يشقوا وحدة المسلمين فى ألوان شتى من المذاهب والنحل ، مما يفيض فى استيعابه وبيان خَطَرِهِ أهل الذكر من المؤمنين والفقهاء .

. . .

ونحن نعلم أن الدين يدعو إلى الوحدة ، ويحرص على تكوين الشخصية المعنوية للأمة الإسلامية ، وينصح بأن شخصية الأمة لاتقوم على التفرق ، بل على التضامن والانسجـــام والتآخى ، وعلى الرجوع والخضوع للقرآن والسنة ، فى كل مايجد من شأن خاص أو عام ، ويفسح للعقول مجال الفكر المتزن ، والاستمداد من دستور الإسلام ، فى غير التواء ، ولاتسخير للقرآن ، وإخضاعه للنزعات ، وإتباعه للميول ، حتى ليرغب الإسلام إلى أهله فى التكتل ، والتضامن مع أهل الكتاب ، والتعاون معهم فى الشئون المدنية ، والارتباط بهم فى المعاهدات ، والأنساب ، متى كان ذلك التآخى الإنسانى فى غير مساس بالتقاليد الإسلامية .

ومن ذلك ــ وهو جوهر النظام الإسلامى لبناء المجتمع الصالح ــ يتبين أن كل شاذ عن الجماعة ، وكل داع إلى نحلة تباين الأصل ولو قليلاً ، وتشق المسلمين أو نفرا منهم ، يعتبر منتقضا على الدين فى أساسه ، ونابذا لتوجيهاته ، وليس ينفعه أن يتحمل سبباً أو أسباباً يأخذ بها فى تبرير انحيازه .

ولئن كانت هناك طوائف بين هاتيك الطوائف ، ألين جانباً من غيرها وأقرب إلى تحاشى العصبية المسرفة ، فذلك على أى حال تصدع فى صرح الإسلام ، ولولا أن لهذا الدين قوة ذاتية مستمدة من طبيعته وتعاليمه ، ونقاوته من الزيف ، ومطابقته للفطرة فى اتجاهها الأصح ، لعصفت به تلك المنازعة بين الطوائف المنتمية إليه .

ولكن ، مع أن دعوة السوء توطنت بين صفوف هؤلاء ومع أنِ الطائفية همست بها فى آذانهم قديماً ، ومع أن للإسلام خصوما سافرين يقاومونه ، ويدفعونه مااستطاعوا ، ظل الإسلام يحتمل التخاذل من المحسوبين عليه ، ويحتمل مدافعة المقاومين له ، لأن له مدداً من عند الله ، ولأن فى أمته ــ والحمد لله ــ جمهرة عظمى تعتز بصلابتها فى الحق ، وتنحيها عن التشقق ، ورجوعها إلى صراطه المستقيم ، ووقوفها عند المورد العذب : من الكتاب والسنة ، والمأثور عن السلف من أصحاب محمد ، والناهجين منهجهم من الأئمة المعتدلين ، وذلك سبيل المؤمنين ، وسيظل كذلك شأنهم مادام الحق ناهضاً فى رعاية الله ، وما دام الباطل زهوقاً وإن تطاول زمنه .

نحن لانذكى الخصومة بهذا التعــريض ، ولا ننفخ فى بوق الفتنة ، ولا نتحكم فى جماعة أن تكون طوع جماعة ، ولكن نقول بنبذ الجنوح إلى تزعيم زعيم ، والتمذهب له بمذهب خاص ، ولانرضى بالتشاغل عن المصدر الأول فى التشريع الإسلامى ، والتفرغ للأشخاص ممن ننصبهم أئمة ، ونخلع عليهم من المدائح كل باطل ، حتى ندعم تلك الدعاوى المكذوبة بما ليس يثبت من الطرق الصحيحة ، بل ولا من الطرق المعقولة ، ولكنها العصبية المألوفة تعمى وتصم . وكلما قوى الأمل فى نشاط العقلية الإسلامية ، نرى أشياعاً لتلك الخلافات يدأبون على نغمهم الأول ، ويتغنون بما طرب له قديماً الحانقون على الإسلام فى وحدته وتماسكه وقوته .

٣ ـ هذا ، ولدينا اليوم فى مصر مظهر لذلك : « جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية » ، نشط فى تكوين هذه الجماعة شيخ شيعى « من النجف » يقيم فى مصر لعهد قريب أو بعيد ، وقد استجاب لدعوته ثلة كريمة من رجالات مصر ، ولم يكن يسع مسلماً أن يتخلف عن تلبية الدعوة لتجديد وحدة المسلمين التى هتف بها القرآن أول ما هتف :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ سورة آل عمران

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾

جذبتنى هذه الدعوة ، فشرفت بالعضوية المتواضعة بين أولئك الأمجاد ، فماذا أجدَّت جماعتنا ، وقد مضى عليها أربع سنوات تقريباً ؟

نشطت فى صدر عهدها إلى تعاقب الاجتماعات ، فمرة : للتعارف ، واختيار الرئيس ، والوكيل ، والسكرتير الخ . ومرة ثانية : لاستقبال ضيف شرقى مسلم سيزور دارنا ، دار التقريب . وثالثة : لسماع رسائل وردت من جهات إسلامية .

. . .

وبعد ذلك توقفت الاجتماعات ، وانحصرت الجهود فى مجلة تصدرها دار التقريب هذه ، وتسميها (رسالة الإسلام) .

. . .

وكان بودنا أن تصدق النية ، وتسلم الوسائل من الريبة حتى يكون تقريب بالمعنى الذى هرعنا إلى العمل على تحقيقه ، ولكن تبين من أمارات عدة ، أننا مسوقون إلى تأييد النجف فى مواسمها ، وفى الجنوح إلى مذهبها ، دون أن يتقدموا إلينا ـ ولو قليلا ـ نحو الغرض الذى زعموا ، بل ظهر أن التقريب فى نظر القائمين على « رسالة الإسلام » أوسع مما فهمنا ، حتى أصبح تقريبا بين الإسلام نفسه وبين الأديان الأخرى بإسقاط الفوارق ، والتسوية بين الجميع فى الحكم ، متى كان العمل الدنيوى طيباً (هكذا قرأنا لهم يوما ما ، من عهد قريب) .

رابنى هذا التلاعب فى استغلال جماعة التقريب ـ وإن كان غيرى لايزال حسن الظن بها ، وباقياً فيها ، ورابنى ـ ويجب أن يرتاب معى كل عضو برىء ـ أنها تنفق عن سخاء ، دون أن نعرف لها مورداً من المال ، ودون أن يطلب منا دفع اشتراكات تنفق على دار أنيقة ، بالزمالك فى القاهرة فيها أثاث فاخر ، وفيها أدوات قيمة ، وتنفق على مجلتها ، فتكافىء القائمين عليها ، وتكافىء الكاتبين فيها ، وتتأنق فى طبع أعدادها وتغليف ما يطبع ، إلى غير ذلك مما يحتاج إلى مورد فياض .. فمن أين ذلك ؟! وعلى حساب من ياترى ؟!

ثم هل صحيح أن علماء النجف مستعدون للتلاقى مع غيرهم لتعود وحدة المسلمين أو يتحقق شىء من التقريب ؟!

هل يمكنهم أن يحيدوا عن القول بأن لهم أئمة معدودين باثنى عشر ـ مثلا ـ وأن هؤلاء هم وحدهم المهديون ، ومن بينهم الإمام المنتظر ، المختفى حيث يعلم الله وإلى أن يشاء الله .

وهل هؤلاء الأئمة : من ظهر منهم ، ومن اختفى ، معصومون كعصمة الأنبياء : وإن لم يكونوا أنبياء ؟!

وهل الوصية لعلى أمر معقول ، فضلا عن صحته واعتباره من أصول الدين ؟

وهل زواج المتعة قابل للتفاهم معهم فى صحته أو بطلانه وهم يستطيبونه وإن خالفوا .

وهل سب الصحابة والتنكر لأشياخ الصحابة أمر يرتضيه أدب الإسلام ، وتسمح به تعاليم النبى ﷺ ويتفق مع ماصح عنه ﷺ من التنويه بفضلهم ؟

أمور ليست جديدة ، والكلام فيها ليس مستحدثاً ، والأمل فى تصحيحها لامطمع فيه ، ولكن كلفت نفسى ذكرها ، وكلفت القارىء قراءتها ، لتحديد موقفنا من جماعة التقريب فيما هى توهمنا بالعمل على تذليله ، ثم هى فى الوقت نفسه تدب فى خطاها إلى الأخذ بها ، أو على الأقل هى تقود الناس إلى حيرة واضطراب بين مايعرفون من طرق العلم الصحيحة ، وبين مايقرءون لجماعة التقريب ، أو لغيرها من الجماعات المنبثة بأسماء مختلفة ؛ فى جهات متعددة .

وبعد : فما وراءك ياعصام ؟!

لقد أبى الأزهر من أول أمره أن يكون وطنا للتشيع ، وأبت مصر من قديم أن تكون صومعة تفرخ فيها النحل الباطلة كالبهائية ، والنحل المدخولة كالبكتاشية وماغيرها ، فما بالها تطمئن إلى تركيز دعوات الفرقة فيها على مقربة من الأزهر ، وهو المهيمن على التوجيه الدينى ، وهو المرجع المأخوذ عنه فى اطمئنان ؟

أخشى أن يطول الزمن فيصبح للتقريب من الأثر ماأصبح للبكتاشية وأمثال البكتاشية وتتجدد بيننا دسائس دينية ، أو دسائس مذهبية ، كما تتحرك دسائس البهائية فى ظل السكوت عنها ، والتساهل فى شأنها ، والناس يحسون فى أطارف مصر بنشاط المركز البهائى بالقاهرة فى بث دعايته ، فإن يكن عذر مصر فيما مضى أنها لم تكن طليقة اليد فى تدبير أمرها ، وتطهير رقعتها ، ممن لايتحرجون أن يحتموا بدول أخرى ، فعليها أن تدرك اليوم مافاتها بالأمس ، ولتذكر مصر وعلماؤها أنها بلد القرآن حفظاً ، ودراسة ، وصيانة ، وأنها بلد الأزهر ، فما يليق بها أن تدع هذه الطفيليات تتراكم حول هذا المصباح الوضاء .

ولا يصدنا عن ذلك أن يقال : حرية العقيدة مصونة فى الدستور ، فإنما يعنى الدستور حرية العقيدة المعترف بها فى الديار لأهل الكتاب ، أما النزعات الهدامة الغريبة عنا ، والدعوات الشاذة المفرقة للجماعة على حساب الدين ، فباطل كله ، ودستور مصر يجب ألا يحمى الأباطيل ، وألا يحتضن المفسدين .

عبداللطيف محمد السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

طرائف ومواقف

بقلم الأستاذ : عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

« أخى »

قريبك : من قَرُبَ منك خيره ،

وابن عمك : من عَمَّك نفعه .

وعشيرتك : من أحسن عشرتك .

وأهدى الناس إلى مودتك : من أهدى بره إليك .

« أرض الله واسعة »

بلاد الله واسعة فَضَاءُ
ورزق الله فى الدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوان
إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

« حقا »

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا
أصبت حليما أو أصابك جاهل

« نصيحة »

كانت العرب إذا أوفدت وافدا ، قالوا له : إياك والهيبة فإنها الخيبة ، وعليك بالفرصة فإنها مزيلة للغصة .

«المكرمات قليلة»

دخل أعرابى على بعض الملوك ، فقال : إن جهلا أن يقول المادح بخلاف ما يعرف من الممدوح ، وإنى — والله — ما رأيت أعشق للمكارم فى زمان اللؤم منك وأنشد :

مالى أرى أبوابهم مهجورة
وكأن بابك مجمع الأسواق

حابوك أم هابوك أم شاموا الندى
بيديك فاجتمعوا من الآفاق

إنى رأيتك للمكارم عاشقا
والمكرمات قليلة العشاق

«يابنى»

● يابنى : إذا لم يكن الداعى إلى الله أمينا على دينه ، فكيف يأمنه الناس على دينهم ! فإياك والتطلع إلى الخبراء ممن دعوتهم إلى حضرته ، فيكون ذلك خير شاهد فيك على ضلالتك ، قال — تعالى — : ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

● يابنى : العدل أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، والإحسان أن تؤثرهم على نفسك ، ولو كانت بك خصاصة ، والمؤمن الكامل من لاينفك إحسانه عن عدله «إن الله يأمرنا بالعَدْلِ والإِحْسانِ» .

● يابنى : كل شىء فى الوجود خلق من أجلك ، وأنت وحدك خلقت لله ، ومن الضلالة أن تشغل بما خلق من أجلك عمن خلقت من أجله .

قال تعالى :﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾

● يابنى : ربما كان البلاء فى العطاء ، وربما كان العطاء فى البلاء ، كل عطاء يشغلك عن الله فهو بلاء ، وكل بلاء يقربك من الله فهو عطاء .

من كلمات — محمد عبدالشافى — رحمه الله

«قياس فاسد»

قيل للأحنف بن قيس : مَنْ أحلم ، أنت أم معاوية ؟

فقال : تالله ما رأيت أجهل منكم ، إن معاوية يقدر فيحلم ، وأنا أحلم ولا أقدر ، فيكف أقاس عليه أو أدانيه !

«دعاء»

اللهم طيِّبنا للقائك ، وأهّلنا لولائك ، وأدخلنا مع المرحومين من أوليائك ، وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

الإمام الخطيب

تقدم مجلة الأزهر ـ بعون من الله تعالى ـ وباسترشاد من هدى رسول الله ﷺ ، للإخوة الأئمة والخطباء نماذج لأركان خطب الجمعة تسد مطالب الشهر العربى ، لمن أراد أن يسترشد بها .

وإن أصحاب الفضيلة الخطباء ـ أمام كل أنموذج منها ـ يمكنهم أن يعدوا منه خطبة وافية بالغرض المنشود .

ولما كان للخطبة منزلتها الرفيعة ، وأثرها الفعال فى تقدم الأمم وحضارتها ورقيها ـ خاصة خطبة الجمعة ـ حيث تنطلق الدعوة إلى الله من مراكز الإشعاع الروحى والأخلاق ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾ . سُورَةُ النُّور

من أجل النهوض بخطبة الجمعة اقتضت خطة النشر بمجلة الأزهر أن يقوم أعلام متخصصون فى مجال الدعوة إلى الله ، باختيار بعض الخطب وتقديم أركانها وعناصرها مستوفاة .

راجين من الله ـ عز وجل ـ أن يوفق الإخوة الخطباء فى أداء رسالتهم على الوجه الأكمل ـ وأن يجدوا فيما نقدم حاجتهم أو بعضها وإن محرر هذا الباب ـ من جانبه ـ سوف يلبى طلب من يكتب إليه فى خطبة معينة ، أو فيما يراه مما يحقق النهضة بخطبة الجمعة .

والله نسأل أن يفتح بهذا الباب فتحا مؤزرا بالتعاون مع العلماء والخطباء والمحررين المتخصصين حتى يظهر فى المجتمع ـ خطبة لها فائدة العلم وروعته وهداه .

والله ولى التوفيق ..

الشواهد من القرآن الكريم :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ .. ﴾ **سورة فاطر ــ ١ .**

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ **سورة المنافقون ــ ٨ .**

﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ **سورة البقرة ــ ٢٧٣ .**

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ... ﴾ **سورة النساء ــ ٦ .**

أعد خطب الشهر فضيلة
الشيخ محمد حافظ سليمان

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ....... ﴾ **سورة النور ـ ٣٣ .**

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ **سورة يونس ـ ٦٥ .**

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .. ﴾ **سورة الطلاق ـ ١١**

﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ۝٨١ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢ ﴾ **سورة طه**

الشواهد من الأحاديث النبوية :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ليس الغنى عن كثرة العَرضَ ولكن الغنى غنى النفس .. رواه البخارى .

عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال : أزهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس . رواه ابن ماجه .

وعن عبيد الله بن مُحصين عن أبيه رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال من بات آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا .. رواه الترمذى .

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم .. رواه الطبرانى .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال جاء جبريل إلى النبى ﷺ وقال يا محمد عِشْ ما شئت **فإنك ميت واعلم أن شرف المؤمن فى قيام الليل** وعِزُّه استغناؤه عن الناس .. رواه الطبرانى .

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : حفظت عن رسول الله ﷺ قوله : أربع إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حِفْظُ أمانة ، وصِدق حديث ، وحُسن خليقة ، وعفة فى طعمة .. رواه أحمد والطبرانى والبيهقى .

وكان رسول الله ﷺ يدعو ربه قائلا : اللهم إنى أعوذ بك من علمٍ لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها .. رواه مسلم من رواية زيد بن أرْقَم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مَنْ يأخذ منى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ــ قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدى وعدَّ خمساً وقال اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكنْ أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب .. رواه الترمذىّ وأحمد .

البيـان والإيضـاح

القناعة كنز لا يفنى :

القناعة والعفة والعزة والسمو والرفعة والسخاء والوفاء والرضا بما قسم الله من الأرزاق وتجنب سؤال اللئام والالتزام بطاعة الرحمن ومحاربة الهوى والشيطان والبعد عن ارتكاب المحرمات كل أولئك من صفات الأبرار المخلصين لله رب العالمين الذى يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ **آخر سورة النحل .**

ومما لا ريب فيه أن العفة ترفع صاحبها فى سماء العزة مكانا عليا ، لأن مَنْ اعتز بالله فلن يذل لأحد سواه ، ومن طلب العز بغير الله ذل ، والمسلم حقا لا تذل رقبته إلا لله ولا يركع لأحد سواه ليعيش قويا بقوة الإيمان ، جليلا بجلال الحق عظيما بعظمة الإسلام يصل ما أمر الله به أن يوصل وينهى عن الفساد فى الأرض ، والمسلم التقى يسير فى الحياة إلى مرضاة الله على هدى من الله لأنه موصول بربه الذى خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه ، فلا يسأل أحدا إلا الله لأن سؤال الإنسان لأخيه الإنسان مذلة ومهانة وضعف واستكانة ولكن الله قريب مجيب ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ **سورة البقرة ــ ١٨٦ .**

ويقول جل جلاله :
﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ .. ﴾ **سورة الحديد ــ ٤**

والمؤمن لا يذل ولا يضل ولا يكذب ولا يظلم ولا يخلف وعدا ولا ينقض عهدا لأنه يحب معالى الأمور وأشرافها ويكره دنئها وسفسافها : فمن عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته ، ويقص علينا التاريخ أن سيدنا عثمان بن عفان كان غنيا موسرا ، **وكان سيدنا أبوذر فقيرا فأرسل سيدنا عثمان إليه بصرة فيها نفقة وقال لعبده إن قبلها فأنت حر ، فلما ذهب بها إليه أبى أن يقبلها ، فقال له ، اقبلها يرحمك الله ففيها عتقى فقال أبو ذر إن كان فيها عتقك ففيها رِقِّى !!**

هذه نفوس عالية صنعها الإسلام ، والله يقول : ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ **سورة الذاريات ــ ٢٢ .**

ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأسأل أله حرفة ؟ فإن قيل لا سقط من عينى .

وكان رجل يجمع الحطب ليبيعه هو يتغنى ويقول :

وأكــرم نفسى إننــى إن أهــنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقال له رجل رآه واستمع إليه أى إكرام أنت فيه الآن ؟ قال أكرم نفسى بعدم سؤال أمثالك .

أما الطمع والجشع والشح فكل أولئك من أرذل الرذائل لأن الطمع يجر صاحبه فى سبيل الحرص على المال إلى الانحراف بالتزوير وبالغش والسرقة والنصب والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل بوسائل شتى غير مشروعة كالاحتيال

والاتجار فيما هو محرم وكتيسير العقبات أمام المضللين والغشاشين الذين جبلت نفوسهم على سوء النية وخبث الطوية فنفوسهم جائعة وأخلاقهم ضائعة لهذا كان الطمع شراً وداءاً خطيراً حينما يتعدى إلى الإضرار بالناس من غير وازع يراقبه أو رادع يحاسبه .

والطامع ربما سولت له نفسه الأمارة بالسوء أن يبيع ضميره بثمن بخس دراهم معدودات فيلقى بنفسه فى بؤرة المخاطرويلقى بغيره إلى طريق فيه التعرض للدمار والبوار وفيه حدوث الحوادث والكوارث بسبب فساد الذمة وموت الضمير !!

فلقد هانت عليه كرامته التى منحها الله لبنى آدم فقال ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ** ﴾ **سورة الاسراء ـ ٧٠**

ولكن الهزيل من الناس يعيش لبطنه فقط وهو أسير المال فهو حارس ثروته وخادم ورثته ، وينبغى العلم بأن الله لم يحرم الطيبات من الرزق ولا الحلال من المتاع ، وإنما أمرنا بالاعتدال فى كل سلوك اجتماعى ، ورحم الله القائل فى العفة والعزة وعلو الهمة :

إذا أعطشتك أكف اللئام سقيتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى
وهامة رأسه فى الثريا
فإن إراقة ماء الحياة لدون إراقة لماء المحيا

ويقول آخر :

إذا اصطفيت امرءا
فليكن كريم الخصال زكى النسب
فنذل الرجال كنذل النبات
لا للثمار ولا للحطب

آفة اجتماعية

وإذا انعدمت القناعة وبلغ الطمع أشده وتطورت الشراهة إلى أن وصلت إلى ضياع الأمانة فى القيام بالأعمال النافعة وفقدت الذمة فى سبيل الحصول على المال الحرام عن طريق الغش والنصب والتزوير والكذب فى القول والفعل وعمى البصيرة والبصر عن رؤية الضرر والخطر فى غيبة الوازع أو الرادع ثم بطاعة الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والإضرار بالناس وأذى المجتمعات استهتارا بالدين وخروجا على القوانين ـ إذا وصل الطمع إلى هذا كله : يكون الرادع واجبا مفروضا ليكف الطامعون عن إجرامهم وعدوانهم وسوء أعمالهم بخبث طوية وسوء نية . **لابد من عقاب الشاردين** عن ربهم ليردوا إلى صوابهم ، ويتركوا بغيهم وغيهم وليطهر المجتمع من جرائم الفساد وبذلك يستتب الأمن ويستقر الأمر لأن الجشع قد أصبح بهذه الصورة خطرا على سير الأمور التى فيها منافع للناس لارتباطها بعناصر حياتهم كالمسكن والغذاء ولاستقرار الأمن والله يقول :

وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ **سورة الأحزاب**

ورحم الله القائل :

يعز غنى النفس إن قل ماله
ويغنى غنى المال وهو ذليل

والله يقول :

﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ **سورة النساء ـ ٧٧** .

أسس تكوين الأسرة المسلمة

عناصر الخطبة :

١ ـ الزواج آية من آيات الله ، وبه يبدأ تكوين الأسرة .

٢ ـ الأسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع .

٣ ـ الإسلام يدعو إلى تخير الزوجة ذات الدين .

٤ ـ تعاون كل من الزوجين سبيل الى السعادة .

الشواهد من القرآن :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ... ﴾ **الروم ـ ٢١ .**

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً .. ﴾ **الرعد ـ ٣٨ .**

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ .. ﴾ **سورة الفرقان ـ ٧٤ .**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ **النساء ـ ١ .**

الشواهد من السنة :

(قال عليه الصلاة والسلام : إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) رواه الترمذى فى كتاب النكاح .

(قال رسول الله ﷺ : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » رواه أحمد والنسائى وأبوداود بروايات مختلفة .

البيـــان :

تقوم الأسرة على ركائز ثلاث : السكن والمودة والرحمة ، وتلك هى قواعد الحياة المنزلية فى الأسرة الإسلامية المستقرة ، والزوجة المؤمنة الفاضلة قاعدة البيت وأساس بنيانه فهى التى تصنع المودة والرحمة والطمأنينة للزوج بمكارم أخلاقها ، ولطيف المعاملة وحسن العشرة وكذلك الزوج المستقيم الذى يراعى حق زوجته عليه ، لأن الزواج شركة حياة ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾ **سورة البقرة ـ ٢٢٨ .**

أما الذرية :

فهم قرة عين للوالدين ، والله يقول : ﴿ **ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا** .. ﴾ **سورة الكهف ـ ٤٦ .**

والذرية أمانة عند الأبوين يسر بيانها ليكونوا رجال الغد ، وصناع المستقبل وعلى الأبوين أن **يكونا قدوة حسنة لذريتهما لينشأوا على الفضائل** والمكارم وعظيم الشمائل ليكونوا ذرية طيبة صالحة نافعة ، ولا يخفى أن الأولاد هبة من الله للعباد ، ونعمة تستحق الشكر بحسن التربية على طاعة الله عز وجل .

مجتمع التراحم

بقلم : الشيخ محمد حافظ سليمان

العناصــر :

١ ـ التراحم بين الناس سبيل سعادة المجتمع .

٢ ـ بالتراحم بين المسلمين تكتمل الفضائل الإنسانية والشمائل المثالية .

٣ ـ التراحم فضيلة ، والقسوة رذيلة .

٤ ـ أرسل الله رسوله رحمة للعالمين . فكانت سيرته نموذجا للرحماء .

الشـواهد من القرآن :

١ ـ قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ **سورة الفتح ـ ٢٩ .**

٢ ـ قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾ . **آل عمران**

٣ ـ قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ﴾ **سورة الحجرات ـ ١٠ .**

الشـواهد من السـنة

١ ـ عن جرير بن عبدالله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : من لا يرحم لا يرحم ، رواه الشيخان والترمذى .

٢ ـ عن ابن عباس رضى الله عنه-قال رسول الله ﷺ : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر . رواه الترمذى .

٣ ـ عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه . رواه الترمذى .

٤ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه : سمعت أبا القاسم ﷺ الصادق المصدوق صاحب هذه الحجرة يقول : لا تنزع الرحمة إلا من شقى . رواه ابوداود والترمذى .

البيــان :

على أساس من الأخوة فى الله تقوم عواطف التراحم والمشاركة والوجدانية والعملية فيتعاونون على البر والتقوى ، وفى ظل الإيمان والتقوى يتحقق الإحسان المنبعث من المشاعر النبيلة التى ينشدها ، ويريدها من اتباعه الابرار الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل . وينهون عن الفساد فى الأرض .

إن الفطرة السليمة والأخلاق الكريمة تأبى على المسلم أن يرى أخوة له فى الإنسانية قد جرعتهم الأيام غصص البؤس والحرمان بسبب كارثة أو حادثة لم تكن فى الحسبان ، ولا تتحرك لديه نخوة الرجال بكريم الأفعال التى تكشف الضرر ، وتدرأ الخطر ، وتدفع السوء ، وتخفف ألم النكبات والإسلام يقول للمسلمين « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

والإسلام حين نادى بالتراحم الشامل ، جعله دليلا على قوة الإيمان وحب الخير وسعادة المجتمع الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء . أبوداود والترمذى .

بر الوالدين من أقدس الواجبات

العناصـــر :

١ ـ بر الوالدين في الشرائع الإلهية .

لقد فرض الله على البشر منذ أوجدهم أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يحسنوا إلى الوالدين . ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ **البقرة ـ ٨٣** .

٢ ـ بر الوالدين امتثال لأمر الله ، ودليل سمو النفس وطهارة القلب ، ونقاء السريرة .

٣ ـ طاعة الوالدين أساس الانتماء والوفاء وتحمل المسئولية . واعتراف بالجميل .

٤ ـ عقوق الوالدين من أكبر الكبائر ، ومن أخطر الجرائم ، ولا يرتكب ذلك إلا من سفه نفسه .

الشواهد من القرآن :

١ ـ قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا . . . . . . ﴾ سورة النساء ـ ٣٦

٢ ـ وقال سبحانه : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ الانعام ـ ١٥١

٣ ـ وقال سبحانه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا . . . . . . ﴾ الإسراء ـ ٢٣

٤ ـ وقال سبحانه : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ لقمان ـ ١٤

٥ ـ وقال سبحانه : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ الاحقاف ـ ١٥

الشواهد من السنة :

١ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ؟ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أبوك .. رواه الشيخان .

٢ ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : أقبل رجل إلى نبى الله ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله ، فقال : فهل من والديك أحد حى ؟ قال نعم بل كلاهما ، قال فتبتغى الأجر من الله تعالى ؟ قال نعم : قال فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما) متفق عليه .

٣ ـ وعن أبى بكرة بقيع بن الحارث رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أكبر ألا أنبئكم بأكبر الكبائر . قلنا بلى يا رسول الله ، قال : أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين .. البخارى .

البيـــان :

طاعة الوالدين عبادة وأصالة بعد عبادة الله عز وجل ، والإحسان إليهما فريضة مقدسة يؤديها المسلم امتثالا لأمر الله تعالى . حيث يقول : ﴿ وبالوالدين إحسانا ﴾ والإحسان إليهما يكون بتوقيرهما وإكرامهما ، وبلين الجانب وكريم الجميل ، وإدخال السرور عليهما بحسن المعاشرة فهما صاحبا الفضل بعد الله تعالى على الولد ، وفى عقوقهما الشقاء ، فكيف ينسى ما قدماه من إحسان وخاصة الأم التـى حملت ووضعت وارضعت وسهرت الليالى الطوال .

فيأيها المؤمن : اخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا .

وإياك وعقوقهما . فقد حذر الإسلام من ذلك فقد قال رسول الله ﷺ : فيما رواه أبوهريرة رضى الله عنه : قال : رغم انفه ، ثم رغم انفه . ثم رغم انفه (كما تصعق بالرغام التراب) قيل : من يا رسول الله ؟ قال من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة .. رواه مسلم والترمذى .

اللغة والنقد والأدب

ضوابط التخريج النحوى للنص القرآنى

الأستاذ : جمال عبد العزيز أحمد

الحمد لله الذى أنزل الكتـاب تبصرة وذكرى لأولى الألباب والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه تدوم إلى يوم المآب .. وبعد

فهذه مجموعة من الآداب أو الضوابط التى ينبغى على الناظر فى كتاب الله تفسيرا واستنباطا وإعرابا أن يراعيها ويتمثلها ، خاصة إذا كان قد بدأ تفسيره أو أقامه على معطيات علم النحو وترسم فيه خُطى النحاة وقواعدهم وهى آداب تأخذ بيده إلى تحصيل الورع المطلوب عند تناول آى الكتاب الحكيم ، وهذه الضوابط هى :

١ ــ ألّا يتسارع المفسر إلى تفسير القرآن العظيم بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن ، ومافيه من الألفاظ المبهمة ومافيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير ومن ثم فإن مَنْ لم يُحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثُر غلطه ودخل فى زمرة من فسر القرآن بالرأى فالنقل والسماع لابد له منه فى ظاهر التفسير أولاً ، ليتقى به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ومعلوم أن الغرائب التى لاتفهم إلا بالسماع كثيرة ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر .

مثال ذلك قوله تعالى : «وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا» الإسراء / ٥٩ .

معناه : آتيناه آية مبصرة فظلموا بقتلها أنفسهم فالناظر الى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولايدرى بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم فهذا من الحذف والاضمار وأمثال ذلك فى القرآن كثير(١).

٢ ــ أنه إذا أعرب المفسر آية أعربها على أظهر محتملاتها وأرجحها ولا يذكر كل ما تحتمله الآية ــ وإن كان بعيدا جائزاً ــ إلا لقصد التمرين كما حكاه السيوطى(٢) وقد أوضح أبو حيان هذا الضابط وهو يتكلم عن شروط المفسر وما ينبغى له أن يتجنبه حيث رأى أنه يجب أن يكون «متنكّباً» فى الاعراب عن الوجوه التى تنزه القرآن عنها مبينا أنها مما يجب أن يعدل عنه وأنه ينبغى أن يُحْمَلَ على أحسن إعراب وأحسن تركيب ، إذ

---

* مدرس مساعد بقسم النحو والصرف/كلية دار العلوم . جامعة القاهرة

* ينظر فى هذه الضوابط : الاتقان ٢ / ٢٦٠ ــ ٢٦٨ ، البرهان للزركشى ١ / ٣٠٢ ــ ٣١٠، والمغنى لابن هشام ٢ / ١١٩ ــ ١٢٨

(١) القرطبى ١ / ٣٤

(٢) التحبير فى علم التفسير ص ٣٢٦

كلام الله تعالى أفصح كلام فلا يجوز فيه جميع ما يجوِّزه النحاة فى شعر الشماخ والطِّرِمّاح وغيرهما من سلوك التقارير البعيدة والتراكيب القلقة(٣)

مثال ذلك تناولهم لقوله تعالى : «وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا» العنكبوت / ٢٥ .. فالقراءة المشهودة فيها بنصب «مودة» غير منونة وجرّ «بَيْنِ» وهى قراءة حمزة وعاصم فى رواية حفص وقرأ ابن كثير وأبو عمر والكسائى برفع «مودةُ» غير منونة وخفض «بيْنِ».

وقرأ الباقون بنصبها منونة ونصب بينكم «مودةً بينكم»(٤)

وذكر ابن مجاهد وجها رابعا عن عاصم فى رواية أبى بكر برفع «مودةُ» وفتح نون «بينكم»، فحاصل هذه القراءات الصور التالية :

«عَودَّةَ بينِكم ـــ مَوَدَّةً بينَكم ـــ مَوَدَّةُ بينِكم ـــ مَوَدَّةٌ بينَكم»

● وذكر ابن خالوية هذه الوجوه الأربعة وقال(٥) : فالحجة لمن رفع من الاضافة أنه جعل «إنما» كلمتين منفصلتين : «إن» الناصبة ، و«ما» بمعنى «الذى»، و«اتخذتم» صلة «ما»، وفى «اتخذتم» هاء محذوفة تعود على «الذى» و«أوثانا» مفعول به و«مَوَدَّةُ» خبر إن وتلخيصه : إن الذى إتخذتموه أوثانا مودةُ بينكم»

ومثله قول ابن غلفاء :

ذرينى إنما خَطَئى وصَوْبى
عَلَىَّ وإنّما أهلكتُ مالُ
(الوافر)

وله فى الرفع وجه آخر أن يرفع قوله : «مودة» بالابتداء ، لأن الكلام قد تم عند قوله : «أوثانا»، وقوله : «فى الحياة الدنيا» الخبر .

● والحجة لمن نصب أنه جعل «المودة» مفعول «اتخذتم» سواء أضاف أم نوَّن وجعل «إنما» كلمة واحدة أو جعل «المودة» بدلا من «الأوثان».

ومن نصب «بينكم» مع التنوين ـــ المقصود فى مودة ـــ جعله ظرفا ، ومن خَفَضه مع الاضافة جعله اسما بمعنى «وصلكم».

● وإذا التمست إعرابها عند العكبرى فى التبيان وجدت أنه يذهب فى إعراب «ما» فى قوله : «إنما إتخذتم» على ثلاثة أوجه :(٦)

الأول : أنها بمعنى «الذى» والعائد محذوف أى «إتخذتموه» و«أوثانا» مفعول ثانٍ على إعراب «الهاء» فى «إتخذتموه» مفعولا أول أو حالا و«مودة» الخبر على قراءة من رفع والتقدير ذوو مودة .

الثانى : أنها كافةٌ ، و«أوثانا» مفعول «إتخذتم»، و«مودةٌ» بالنصب مفعول له أو صفة بمعنى أوثانا ذوى مودة ، وبالرفع على إضمار مبتدأ (أى هى مودة) وتكون الجملة نعتاً لـ «أوثانا».

الثالث أنها مصدرية ، و « مودةٌ » بالرفع الخبر ولا حذف فى هذا الوجه فى الخبر ، بل فى اسم «إن»، والتقدير : «إن سبب اتخاذكم مودةٌ» ثم يستطرد كذلك فى بيان وجوه «بينكم» فى الإضافة على أنها اسم ووجوهها فى قراءة فتح النون على الظرفية شارحا ومعلِّلا

---

(٣) البحر المحيط ١ / ٥ .

(٤) إنظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٢ /٣٤٣

(٥) الحجة فى القراءات السبع ص ٢٥٤ ـــ ٢٥٥

(٦) التبيان فى إعراب القرآن ٢ / ٩٨ ـــ ٩٩

ومبينا مواضع الظرف من الإعراب بشكل يدهش القارىء ويحيره فى آن واحد .

مثل هذه التخريجات ينوء بها القارىء بل ربما تنفر منها الطباع القليلة الصبر ، فلابد من عرض وجه أو وجهين يركزان فى الذهن ويستقيم بهما المعنى وهذا له أثر كبير فى فتح باب الاجهاد المنطقى فى الدرس النحوى على مصراعيه حتى لينوء طالب العربية بتحمل أعبائها ويعيا عن استيعابها مهما كان مقدار طاقته على التذكر والحفظ .، وربما كان هذا من الأسباب التى تنفر من الدرس النحوى والأجدى والأنفع أن يقتصر فى الآية على القراءة بالوجه المشهور فيها وتتم دراستها الإعرابية بيسر وبساطة(٧)

٣ ـ على المفسر أن يتجنب كل مايُعَدّ من قبيل الحشو فى التفسير كالخوض فى علل النحو وأصوله ، فإن كل ذلك مقرر فى تأليف هذه العلوم وإنما يؤخذ ذلك مسلما فى علم التفسير دون استدلال عليه كما يرى الذهبى(٨) الذى رسم منهجا أمثل يجب على المفسر انتهاجه ، وفيه يلزم المفسر ـــ بعد الفراغ من ذكر مناسبة نزول الآية ـــ أن يبدأ بذكر مايتعلق بالألفاظ المفردة من اللغة والصرف والاشتقاق ، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب فيبدأ بالاعراب ، ثم بما يتعلق بالمعانى ثم البيان ثم البديع ثم يبين المعنى المراد ، ويستنبط ما يمكن استنباطه فى حدود القوانين الشرعية .

٤ ـ عليه أن يتجنب الأعاريب المحمولة على اللغات الشاذة فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش ، فنقل الزركشى عن الزمخشرى قوله(٩) «القرآن لايعمل فيه إلا على ما هو فاش دائرٌ على ألسنة فصحاء العرب دون الشاذ النادر الذى لايعثر عليه إلا فى موضع أو موضعين .

قال(١٠) : وبهذا يتبين غلط جماعة منالفقهاء والمعربين حين جعلوا من العطف على الجوار قوله تعالى : « بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ » (المائدة / ٦) فى قراءة الجر ، وإنما ذلك ضرورة فلا يحمل عليه الفصيح ولأنه إنما يصار إليه إذا أُمِن اللبس ، والآية محتملة ، ولأنه إنما يجىء مع عدم حرف العطف وهو هنا موجود ، وأيضا فنحن فى غُنْيَة عن ذلك كما قاله سيبويه : «إن العرب يقرب عندها المسح من الغسل ، لأنهما أساس الماء ، فلما تقاربا فى المعنى حصل العطف كقوله :

متقلوا سَيْفًا ورُمْحا

وكلما أمكن المشاركة فى المعنى حسن العطف وإلا إمتنع فظهر أنه ليس على المجازرة بل على الاستغناء بأحد الفعلين عنالآخر وهذا بخلاف مالا ينصرف فى قولـــه : « سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا » (الانسان / ٤) فإنما إجيز فى الكلام لأنه رد الى الأصل والعطف على الجوار خروج عن الأصل فافترقا(١١)

٥ ـ أنه ينبغى على المفسر إتباع الأقوى وما كان أوفق للسياق من المذاهب النحوية سواء أكان مذهب سيبويه أم مذهب الفراء ومن ثم عاب الامام الدهلوى على جماعة من المعربين إختاروا مذهب سيبويه ومالم يوافق مذهبه فهم يؤولونه

(٧) لمزيد من الأمثلة حول هذا الضابط ارجع الى كتاب «أثر القراءات القرآنية فى تطور الدرس النحوى» د.عفيف دمشقية صفحات ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٨١ ، ١٩٧

(٨) التفسير والمفسرون للذهبى ١ / ٢٧٨ ـــ ٢٧٩

(٩) البرهان للزركشى ١ / ٣٠٤

(١٠) الكشاف ١ / ٣٢٥ ـــ ٣٢٦

(١١) البرهان للزركشى ١ / ٣٠٤ ـــ ٣٠٥ ، وأنظر المغنى ٢ / ١٩٢

وإن كان التأويل بعيدا وهذا مسلك غير سديد ، عدّة هذا الامام من الخلل العجيب الذى وقع فى نحو القرآن(١٢)

٦ ــ أنه ينبغى أن نتأدب ونتورع عن أن نقول فى نحو : «اغفر لنا» و«اهدنا»: إنها أفعال أمر ، وإنما الأولى ورعاً أن يقال : هى أفعال دعا أو سؤال تأدبا من جهة أن الأمر يستلزم العلو والاستعلاء(١٣) ، قال ابن خالوية فى إعراب «اهدنا الصراط المستقيم» : دعاء ولفظه لفظ الأمر سواء ... والأمر لمن دونك والدعاء لمن أنت دونه ، ويقال : سألت أخى وأمرت غلامى ودعوت ربى وطلبت الى الخليفة»(١٤)

٧ ــ أنه يجب على المفسر أن يتجنب أن يقول عن لفظ فى القرآن : أنه زائد أو فيه تكرار ، إذ لايجوز إطلاق ذلك إلا بتأويل كقولهم : الباء زائدة ونحو ذلك ، فاذا كان المراد بالزائد أن الكلام لايختل معناه بحذفها ولكنها تفيد التأكيد فجائز وإن كان المراد أنه لافائدة فيه أصلا فذلك لا يُحْتَمَل من متكلم فضلاً عن كلام الحكيم العليم(١٥) .

ومثال هذا اللفظ الذى يجب أن يُتَجَنَّب قول معمر بن المثنى عن «إذ» فى قوله ــ تعالى ــ : «وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة » البقرة/ ٣٠ ــ قال(١٦) : « إنها زائدة والتقدير : وقال ربك» وقال ابن عطية فى معرض الرد عليه(١٧) : قال أبو إسحاق الزجاج : هذا إجترام من أبى عبيدة (وفى رواية : هذا اجترام من أبى عبيدة) قال الفقيه أبو محمد (يعنى ابن عطية): وكذلك رَدّ عليه جميع المفسرين وقال الجمهور : ليست بزائدة وإنما هى معلقة بفعل مقدر تقديره : واذكر إذ قال :

وقد إختلف الرأى فى قضية الزائد فى القرآن الكريم وعرض ابن الخشاب فى «المعتمد» لهذا الخلاف واختار عدم وجود الزائد فى كتاب الله قال : «إختلف فى هذه المسألة فذهب الأكثرون الى جواز إطلاق الزائد فى القرآن نظرا الى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم وهو كثير ؛ لأن الزيادة بإزاء الحذف هذا للاختصار والتخفيف وهذا للتوكيد والتوطئة . ومنهم من لايرى الزيادة فى شىء من الكلام ، ويقول : هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصها فلا أقضى عليها بالزياذة ونقله عن ابن درستويه قال : والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل ، لأنه عبث ، فتعين أن إلينا به حاجة ، لكن الحاجات الى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد ، فليست الحاجة الى اللفظ الذى زيد عندها ولا زيادة كالحاجة الى الألفاظ التى رأوها مزيدة عليه وبه يرتفع الخلاف».

ويمكن أن نختار ونحن فى مقام الحديث عن الآداب وقواعد التخريج النحوى ــ لفظ «صلة» بدلا مما أطلق النحاة من نحو : «زائد ، مقحم ، لغط ، غلط ، حشو» إذ قد وقع ذلك كله على ألسنة البصريين من النحاة ولكننا نميل الى اعتبار رأى المفسرين إذ يرد على ألسنتهم لفظ «صلة» ورعاً بدلا من الزائد .

---

(١٢) الفوز الكبير فى أصول التفسير ص ١٤٧

(١٣) البرهان للزركشى ١ / ٣٠٦

(١٤) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه ص ٢٧ ــ ٢٨

(١٥) البرهان ١ / ٣٠٥

(١٦) المجاز لأبى عبيدة ١ / ٣٦

(١٧) المحرر الوجيز لابن عطية ١ / ٢١٦ ، وانظر أيضا القرطبى ١ / ٢٦٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ٢٠٧ ، وابن كثير ١ / ٧٠ ، والبحر المحيط ١ / ١٣٧ ، ومنهج ابن عطية فى التفسير ص ١٥٤ ، ومعالم التنزيل للبغوى ١ / ٦٠

وهـذه القضيـة قد بسط القـول فيها ابـن هشام(١٨)، واختار أن يتجنب المعرب أن يقول فى القرآن بالزائد خشية أن يسبق الى الذهـن أن بالقرآن ألفاظا لا معنى لها وكلام الله سبحانه منزه عن أن يقع فيه المهمل والزائد ، وردّ ابن هشام على القائلين بالزيادة بأن للزائد هذا معنى أصيلاً فى الجملة إذ عن طريقه يتوصل إلى المعنى الأدق ، والأفصح الذى لا يسد غيره مسدّة ، وردّ على الإمام الفخر الرازى وَوَهّمة فى توجيهه لقولـه تعـالى : « فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لَهـــمُ » آل عمران / ١٥٩ حيث ذهب الى أن «ما» فى «فبما» يمكن أن تكون استفهامية للتعجب والتقدير «فبأى رحمة»، والزائد عند النحويين معناه الذى لم يؤت به إلا لمجرد التقوية والتوكيد لا المهمل .

قال إبن هشام : والتوجيه المذكور فى الآية باطل لأمرين ، أحدهما أن «ما» الاستفهامية إذا خُفِضَت وجب حذف ألفها نحو : «عمّ يتساءلون (النبأ /)».

والثانى أن خفض «رحمة» حينئذ يشكل ، لأنه لايكون بالاضافة إذ ليس فى أسماء الاستفهـام ما يضافُ إلا «أيُّ» عند الجميـع و«كم» عن الزجاج ولا بالابدال من «ما»، لأن المبدل من اسم الاستفهّام لابد أن يقترن بهمزة الاستفهام نحو : كيف أنت أصحيح أم سقيم ؟ ولا صفة ، لأن «ما» لاتوصف إذا كانت شرطية واستفهامية ولا بيانا ؟ لأن «ما» صلـة وبعضهـم يسميـه مؤكدا».

٨ ــ تجنب الأعاريب التى هى خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام ، كتجويز الزمخشرى(١٩) فى قوله تعالى : «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا» (الحشر / ٨) أن يكون بدلا من قوله تعالى : «وَلِذِى القربى» (الحشر / ٧) أى الآية التى قبلها وإنما حمله عليه لأن أبا حنيفة يقول : إنه لايستحق القريب بقرابته ، بل لكونه فقيرا ، والشافعى يخالفه .

ونظيره إعراب بعضهـم « الذيـن ظلمـوا » (الأنبياء / ٣) بدلا من المجرور فى قوله تعالى : «إقترب للناس حسابهم» (الأنبياء / ١).

٩ ــ عليه أن يعرف معنى مايريد أن يعربه مفرداً كان أو مركبا قبل إعرابه ، لأن الإعراب فرع المعنى ومن ثم فإنه لايجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ، ولو أخذنا آيـة ــ كدليـل على صلـة الإعراب بالمعنى وعللا ضرورة الوقوف على المعنى الذى يؤكده الإعراب ــ لكانت قوله تعالى : «وإن كان رجلا يورث كلالة» (النساء / ١٢) فالإعراب لكلمة «كلالة يتوقف على المراد منها ، ولها معان ثلاثةٌ : اسم للميت أو للورثة أو للمال ، فإن كان لفظ «كلالة» اسما للميت فهى منصوبة على الحال ، وإن «كان» عندئذ تامةٌ لا خبر لها بمعنـى «وُجِــدَ»، ويجوز أن تكـــون ناقصة و«الكلالة» خبرها وجاز أن يخبر عن النكرة ، لأنها قد وُصِفَتْ بقولـه : « يورث » والأول أوجه .

وإن كانت اسما للورثة فهى منصوبة على الحال من ضمير «يُرَثُ» ولكن على حذف مضاف ، أى ذا كلالـة ، وعلى هذا «فكـان» ناقصة ، و«يـورث» خبر ويجوز أن تكـــون تامـــة ،

---

(١٨) أنظر : الاعراب فى قواعد الإعراب لابـــن هشام ص ١٢٥ ــ ١٢٦ ، وهناك رسالة ماجستير مجازة بكلية دار العلوم بعنوان : «ظاهرة الزيادة فى الدراسات النحوية» ورسالة تتناول هذه القضية بكلية البنات الاسلامية ــ الأزهر ، وأنظر البرهان للزركشى ١ / ٣٠٥

(١٩) البرهان ١ / ٣٠٦ ، وأنظر أثر القراءات فى تطور الدرس النحوى ص ١٨٤

و«يورث» صفة ويجوز أن يكون خبرا ، فتكون صفته .

وإن كانت اسما للمال فهى مفعول ثان لـ «يورث» كما تقول : «ورثت مالا» وقيل : تمييز وليس بشىء .

ومن جعل «الكلالة» الوارثة فهى نعت لمصدر محذوف أى : «وراثة كلالة ، أى يورث بالوراثة التى يقال لها : الكلالة .

هذا كله على قراءة «يورث» بفتح الراء ، فأما من قرأ : «يورث» بكسرها مخففة أو مشددة «فالكلالة» هى الورثة أو المال(٢٠)

١٠ – كذلك يجب عليه أن يبحث عما تقتضيه الصناعة النحوية فى التقدير ولا يأخذ بالظاهر ، ففى قوله تعالى : « لا مَرْحَبًا بِهِم» (سورة ص / ٥٩) يتبادر إلى الذهن أن «مرحبا» نصب على أنه اسم لا وهو فاسد ، لأن شرط عملها فى الاسم ألا يكون معمولا لغيرها وإنما نُصِب بفعل مضمر يجب إضماره ، و«لا» دعاء ، و«بهم» بيان للمدعو عليهم ، وأجاز العكبرى أن يُنْصَب «مرحبا» على أنه مفعول به أى «لايسمعون مرحبا»(٢١) كما أجاز فى جملة «لا مرحبا» أن تكون استئنافية وأن تكون حالا ؛ أى : هذا فَوْجٌ مقولا فيه : لا مرحبا .

وفيه نظر لأنه قدر «مقولا» فمقولا هو الحال ولا «مرحبا» محكية بالقول فى موضع نصب .

ومنه أيضا قوله تعالى : «واعلموا أن فيكم رسول الله» (الحجرات / ٧) فإن الذى يتبادر إلى الذهن أن الظرف قبل خبر «أنّ» على التقديم ، وهو فاسد ؛ لانه ليس المرادُ الاخبار بأن رسول الله ﷺ فيهم وإنما الغرض أنه لو أطاعكم فى كثير من الأمر لعنتم وإنما تعرب «فيكم» حالا ويكون المعنى : واعلموا أن رسول الله فى حال كونه فيكم لو أطاعكم لكان كذا(٢٢)

١١ – وعلى المفسر النحوى أيضا أن يبين مراتب الكلام(٢٣) فإن مرتبة العمدة قبل مرتبة الفضلة ومرتبة المبتدأ قبل مرتبة الخبر ومرتبة مايصل الفعل إليه بنفسه قبل مرتبة مايصل إليه بحرف الجر – وإن كانا فضلتين – ومرتبة المفعول الأول قبل مرتبة المفعول الثانى وإذا اتصل الضمير بما مرتبته التقديم وهو يعود على ما مرتبته التأخير فلا يجوز أن يتقدم ؛ لأنه يكون متقدما لفظا ومرتبة ، وإذا اتصل الضمير بما مرتبته التأخير وهو يعود على ما مرتبته التقديم فلا يجوز أن يتقدم لأنه يكون مقدما لفظا مؤخرا رتبة ، فعلى هذا يجوز : «فى داره زيدٌ» لاتصال الضمير بالخبر ومرتبته التأخير ولا يجوز : «صاحبها فى الدار» لاتصال الضمير بالمبتدأ ومرتبته التقديم . وعلى نحو من هذا قوله تعالى :

«وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ»

سورة البقرة – آية : ١٢٤

وقوله تعالى : «أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»

سورة محمد – آية : ٢٤

١٢ – التنبيه على ماقد يتوهمه بعض الناس من وقوع أخطاء نحوية فى القرآن وذلك نتيجة لجهلهم بالنحو وعدم معرفتهم بقواعده من ذلك توهم أحدهم فى قوله تعالى : «إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُو

---

(٢٠) أنظر البرهان للزركشى ١ / ٣٠٢ – ٣٠٣ ، والقرطبى ٥ / ٧٧

(٢١) التبيان فى إعراب القرآن ٢ / ٢١٢ ، وإعراب النحاس ٣ / ٤٧٠ ، والبرهان ١ / ٣٠٧

(٢٢) البرهان ١ / ٣٠٧ – ٣٠٨

(٢٣) أنظر حول هذا الضابط البرهان ١ / ٣٠٧ ، والقرطبى ٣ / ٢٠٥ – ٢٠٦

ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ» (البقرة / ٢٣٧) أن الأوْلَى أن يقال : «إلا أنْ يعفوا أو يعفو» قال : لأنّ «أنْ» ناصبة والفعل من الأفعال الخمسة .

وهنا يلزم على المفسر أن ينبّه على مثل هذا ويوضح القاعدة ويزيل الفهم المغلوط أو الخاطىء ويشير الى وجود هذا الفهم عند الكثيرين فيقول مثلا : قد نتوهم أن «الواو» فى قوله : «إلا أن يعفون» ضمير الجمع ، فيشكل ثبوت النون ، مع أنْ وليس الأمر كذلك بل الواو فى قوله : «إلا أن يعفون» هى لام الكلمة والنون ضمير جمع المؤنث ، فَبُنِيَ الفعل معها على السكون فإذا وصل الناصب أو الجازم لا تحذف النون ، ومثله «النساء يَرْجُون» ووزنه «يَفْعُلْنَ» فالفعل فى «يعفون» مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة فى محل نصب لتقدم «أن» الناصبة ونون النسوة فاعل وليس الأمر كذلك إذا إتصل الفعل «يعفو» بواو الجماعة ، إذا يكون معها محذوف الآخر والواو الموجودة هى الفاعل وتحذف النون لتقدم «أن» الناصبة فيقال : «الرجال لن يعفُوا ، وقد يعفون».

والمعنى : إلا أن يتركن النصف الذى وَجَبَ لهن عند الزوج وعلى المفسر أن يوضح أن النون لم تسقط مع «أنْ»، لأن جمع المؤنث فى المضارع على حالة واحدة فى الرفع والنصب والجزم فهى ضمير وليست بعلامة إعراب ولذلك لم تسقط ، ولأنه لو سقطت النون لاشتبه بالمذكر ، ولذلك قال النحاة فى نحو «الرجال يعفون والنساء يعفون»: هذا مما اتفق فيه اللفظ واختلف فيه التقدير .

١٣ ــ عليه أيضا أن يتجنب أن يقول : إن فى القرآن ألفاظا أو كلمات غير الأعلام المفردة جاءت على غير أوزان كلام العرب ، **فلا تكون** من القرآن فإن هذه القضية **بُسِط فيها** القول ، وانتهوا إلى أن من الورع **ألّا يقال هذا فى** كتاب الله وإنما مثل هذه الألفاظ إنما اتفق فيها أنْ تواردت عليها اللغات فتكلمت بها الفرس والحبشة والعرب وغيرهم . وفوق هذا فإن القاضى أبا بكر بن الطيب قد بحث عن أصول أوزان كلام العرب ، وردَّ هذه الأسماء ــ محل النزاع ــ إليها على الطريقة النحوية فمن سَلّم للقائلين بهذا وبوقوعه فى القرآن بأنهم قد حصروا أوزان العرب حتى يُخرجوا هذه منها .

وعلى المفسر أن يوضح أن هذه القضيــــة ــ وجود ألفاظ على غير أوزان كلام العرب فى القرآن ــ ربما تستغل لنقد القرآن فى أنه إذا قيل بوجودها وهى غير عربية فيكون القرآن حينئذ غير عربى ولا يكون الرسول ــ ﷺ ــ مخاطباً لقومه بلسانهم وحاشا لله ولرسوله أن يخاطب المسلمين والعباد بما لايعرفون ولا يحسنونه(٢٤)

وبعدُ .. فهذه بعض الآداب أو الضوابط التى رأيت التنبيه عليها ، وهى تخص النحوى المفسر أو المفسر الذى ينحو فى تناوله للقرآن منحى نحويا ، حتى تكتمل عُدَّته ، ويتزود قبل التوغل فى بحار القرآن ليخرج بالأفانين ، ويقدر لقدمه قبل الخطو موضعها ، فيمشى سويا على صراط مستقيم ، نسأل الله أن يمتعنا بالقرآن العظيم ، وأن يجعله ربيع قلوبنا وضياء أبصارنا وجلاء همومنا وغمومنا وصلى اللهوسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(٢٤) أنظر القرطبى ١ / ٦٩ ، والابهاج فى شرح المنهاج ١ / ٢٧٩

١٢ سبتمبر ١٩٩٢ م
١٤ ربيع الأول ١٤١٣ هـ

كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١ هـ

تحقيق : عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائى

عرض وتقديم : الاستاذ عادل خفاجة

لم ننس بعدُ الزلزال ، ولا يحق لنا أن ننساه ، ففيه تذكرة وعبرة ثم هو آية من آيات الله .

وكتاب «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة» أحد تصانيف الإمام العلامة الحافظ جلال الدين السيوطى ، وللكتاب مخطوطات عدة : واحدة منها بالأزهر الشريف ، وأخرى بمكتبة الجامعة العثمانية بحيدر آباد بالهند وثالثة ببرلين (بالمانيا)(١) ورابعة بالمتحف البريطانى .

وقد قام الأستاذ عبد الرحمن الفريوائى بتحقيقه والتعليق عليه معتمدا على المخطوطات الثلاث الأول ـ سالفة الذكر ـ وعلى نسخة مطبوعة من تحقيق الدكتور عبد اللطيف السعدانى بالمغرب ، فخرج الكتاب بصورة طيبة يحمد عليها . وقد عنيت بنشره (مكتبة الدار) بالمدينة المنورة ، فصدر فى طبعته الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

يقع الكتاب فى مائة وإحدى وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، ويبدأ الكتاب بمقدمة المحقق التى شملت : ترجمة موجزة للإمام السيوطى ونسبة الكتاب إلى مؤلفه وإشارة لنسخ الكتاب ، ونبذة عن مادة الكتاب ، ومصادره وعمل المحقق فيه .

اختص القسم الأول من الكتاب بذكر ما ورد فى حقيقة الزلزلة .. ويبدأ من ص ٢١ إلى ص ٤٣ وفيه ذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بالزلزلة .

واهتم القسم الثانى بالمسائل الفقهية المتعلقة بالزلازل : من صلاة وذكر وصدقة وبر وإحسان .

---

(١) لم يذكر المحقق أرقام هذه النسخ بمكان كل منها فى مكتبته ، وبالنسبة لنسخة الأزهر وبرلين لم يحدد مكان كل منهما .

وقد جمعه الإمام تحت عنوان «ما يستحب عند الزلزلة من الوعظ والصلاة والتقرب بوجوه البر : ويبدأ من ص ٤٤ إلى ص ٥٦ .

أما القسم الثالث فهو القسم التاريخى : ويذكر فيه بعض حوادث الزلازل من عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى ولادة النبى محمد ﷺ ثم ما حدث فى عصر النبوة ، فعصر الخلافة الراشدة ، ثم بدأ بسرد حوادث الزلازل مرتبة حتى سنة ٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م أى قبل وفاته بستة أعوام ، وختم الكتاب بذكر الزلزلة التى تقع عند خروج الدجال .

ويمثل هذا القسم معظم الكتاب حيث يبدأ من ص ٥٦ وينتهى فى ص ١٣١ . وهو آخر ماكتبه الإمام السيوطى .

يتبع ذلك زيادات الداودى تلميذ الامام السيوطى . ثم زيادات من عبدالقادر الشاذلى الأزهرى المؤذن الشافعى ، وهى زيادات يسيرة أرخت للزلازل التى وقعت بعد وفاة الإمام السيوطى حتى سنة ٩٩٠ هـ وتبدأ من ص ١٣٢ إلى ص ١٣٥ والصفحات الأخيرة من الكتاب تضم مراجع التحقيق والفهارس .

وفيما أورد السيوطى فى القسم الأول ص ٣٤ ذكر ما قاله النبى ﷺ :

«لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل[1] .

وأخرج الدارمى فى مسنده ، وأبو محمد بن صاعد فى مسند ابن مسعود وابن مردويه فى تفسيره عن علقمة ، قال : زلزلت الأرض على عهد عبدالله ، فأخبر بذلك فقال : إنا كنا أصحاب محمد نرى الآيات بركات ، وأنتم ترونها تخويفا ، بينما نحن مع رسول الله ﷺ فى سفر حضرت الصلاة ، وليس معنا ماء إلا يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بماء فى صحفة ووضع كفه فيه فجعل الماء ينبجس[2] من بين أصابعه ، ثم نادى : ﷺ حى على الوضوء ، والبركة من الله ، فأقبل الناس فتوضأوا ، وجعلت لا هم لى إلا ما أدخله بطنى لقوله : «والبركة من الله»[3] .

وقد عنى الإمام السيوطى ـ رحمه الله ـ بعرض ما يَرْفَع ما يُظن من تعارض بين الأحاديث . وهو جهد واضح وتدقيق ملاحظ للإمام ، وقد ورد ذلك فى ص ٤٢ تحت عنوان : ذكر أثر عن ابن مسعود ظاهره المنافاة لما تقدم .

وأما من القسم الثانى فنذكر ما أورده الإمام السيوطى ص ٤٨ عن صفة الصلاة ، قال :

● أخرج ابن أبى شيبة عن عبدالله بن الحارث أن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ صلى بهم فى زلزلة ، أربع سجدات ، ركع فيها ستا[1] .

● وأخرج البيهقى فى سننه من وجه آخر عن عبدالله بن الحارث عن ابن عباس أنه صلى فى زلزلة بالبصرة فأطال القنوت ثم ركع ، (ثم رفع رأسه فأطال القنوت ثم ركع ثم رفع رأسه فأطال القنوت ثم ركع وسجد ثم قام فى الثانية ففعل مثل ذلك ، فصارت صلاته ست ركعات فى أربع سجدات ، قال قتادة : فى حديثه : هكذا الآيات ، ثم قال ابن عباس : هكذا صلاة الآيات[1]

---

(١) أخرجه البخارى : الاستسقاء ، باب ما قيل فى الزلازل والآيات ٢ / ٥٢١

(٢) أى : ينفجر

(٣) أنظر الدرامى : المقدمة ، باب ما أكرم الله النبى ﷺ من تفجر الماء من بين أصابعه ١ / ١٥ .

(١) المصنف : (٢ /٤٧٢) إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

(٢) السنن الكبرى : (٣ /٣٤٣) وسنده صحيح .

وأما القسم التاريخى ، وهو القسم الثالث فهو : قسم فريد بحق ويعد سجلا طيبا للمهتمين بهذا المجال من طلاب العلم الحديث ـ خاصة ـ فقد ضم هذا القسم مائة وواحد وعشرين زلزالا وقعت فيما بين (سنة ٢٠ إلى سنة ٩٠٥ هـ) يصفها ويصف تأثيرها والبلاد التى مرت بها هذه الزلازل .

فليرحم الله ذلك الإمام الفذ الذى لم يترك علماً إلا وقد ترك لنا فيه تصنيفا ، وتلك مؤلفاته التى تبلغ نحو ستمائة مُؤَلَّف تشهد بذلك .

وقد أحسن الداودى تلميذ الامام السيوطى ببيان وقت وقوع بعض الزلازل حسب التوقيت الذى كانوا يتعرفون به على الزمن ، ومدة الزلزال ، حينما قال ص ١٣٢ :

● وفى يوم الإثنين عشرين محرم سنة ثمانى عشرة وتسعمائة زلزلت ـ كذلك ـ مقدار درجة قبل الظهر .

● ويقول ص ١٣٣ :

وفى أواخر ليلة الجمعة عاشر شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وتسعمائة : زلزلت مصر زلزلة لطيفة جداً نحو نصف درجة .

وفى هذا القسم ذكر الإمام السيوطى وصفاً لمائة وعشرين زلزالاً وقعت فى أنحاء العالم الإسلامى والناظر لها يرى مدى وصولها إلى كل مكان ، ومدى التقارب بينها .

وجمموع ما أصاب مصر من ذلك ثمانية وعشرين زلزالا .

فمما ذكره السيوطى من ذلك :

قوله فى ص ٦٨ :«وفى سنة ثمانين ومائة : كان بمصر زلزلة شديدة سقط منها رأس منارة الاسكندرية».

وقوله فى ص ٧٦ :«وفى سنة ٢٤٥ هـ : عمت الزلازل الدنيا فأخربت المدن ، والقلاع والقناطر ، وسقط من أنطاكية جبل فى البحر ، وسقط منها ألف وخمسمائة دار ، ومن سورها نيفا وتسعون برجاً ، وغار نهر على فرسخ منها فلا يدرى أين ذهب بالكلية ، وسمع من كل دورها أصوات مزعجة جدا ، فخرجوا من منازلهم سراعا ، وزلزلت مصر وسمع بتنيس[1] ضجة هائلة ، فمات منها خلق كثير وغارت عيون مكة وزلزلت فيها ـ أيضا ـ بالس والرقة وحران ورأس العين وحمص».

ويقول فى ص ٨٢ :«وفى سنة ٣٤٤ هـ : زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ..»

وأورد كذلك فى ص ٨٤ :«فى سنة ٣٥٥ هـ / ٣٥٧ هـ : فى أيام كافور الإخشيدى كثرت الزلازل بمصر فأقامت ستة أشهر ، فأنشد فيه محمد ابن القاسم بن عاصم قصيدة منها :

بالحاكم العدل أضحى الدين معتليا
نجل الهدى وسليل السادة الصلحا
ما زلزلت مصر من كيد يراد بها
وإنما رقصت من عدله فَرحا

وأورد فى ص ٩٤ :«إنه فى سنة ٤٦٢ هـ فى يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الأولى : كانت زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها ، وبيت المقدس ، ومصر حتى تغيرت إحدى زوايا جامع مصر وتبعت هذه الزلزلة فى ساعتها زلزلتان أخريان».

وفى ص ١١٨ يقول :«فى سنة ٧٠٢ هـ : وفى ذى الحجة زلزلت مصر والشام ... وكان

(١) تِنِّيس : جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين فرما ودمياط .

تأثيرها بالاسكندرية أعظم وسقطت بمصر دور لا تحصى .

وقال فى ذلك الشريف تقى الدين محمد القنائى :

مجاز حقيقتها فاعبروا
ولا تعمروا ، هوِّنوها ، تهن
وما حسن بيت له زخرف
تراه إذا زلزلت لم يكن

قيل : فوقع فى نفسه شىء لكونه ذكر اسم سور من القرآن فى النظم ، قال : فأتيت ابن دقيق العيد ، فأنشدتهما له ، فقال لى : لو قلت «وما حسن كهف» لكان أحسن فقلت له : «ياسيدى ! أفدتنى وأفتيتنى» .

وفى ص ١٢٧ يقول : فى سنة ٨٨٦ هـ : زلزلت مصر يوم الأحد رابع عشر المحرم من العصر زلزلة صعبة ، ماجت منها الأرض والأبنية موجات وسقط بسببها شرافة وقطعة من علو المدرسة الصالحية على قاضى القضاة (الحنفى) شرف الدين ابن عبد ، فقتلته ،«فإنا لله وإنا إليه راجعون».

وأنشد الشهاب المنصورى فى ذلك :

قد زلزلت مصر يوم مات بها
قاضى القضاة المهذب الحنفى
مازال طول الحياة فى شرف
حتى انقضى العمر منه بالشرف

وكان آخر ما ذكر الامام السيوطى من زلازل وقعت فى مصر ، ذلك الذى وقع سنة ٩٠٥ هـ ، يقول ص ١٢٨ : فى ليلة الجمعة سابع عشر ذى الحجة زلزلت مصر زلزلة لطيفة؟.

وقد ذكر الداودى تسعة زلازل فى الفترة من ٩١٤ هـ حتى ٩٤٠ هـ وزاد على ذلك الشيخ عبد القادر الشاذلى الأزهرى المؤذن الشافعى أربعة زلازل أخرى تنتهى بسنة ٩٩٠ هـ وجميع الزلازل الأخيرة مقصورة على مصر .

ومما قيل فى زلزال وقع بالمدينة الشريفة سنة ٦٥٤ هـ :

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا
لقد أحاطت بنا يارب بأساء
نشكو إليك خطوبا لا نطيق لها
حملًا ، ونحن بها ـ حقاً ـ أحقاء
زلازل تخشع الصم الصلاب لها
وكيف يقوى على الزلزال سماء[1]

وبعد ، فالتحقيق فيه جهد واضح ، وأداء مشكور .

وقد أخذ المحقق على الإمام المؤلف تركه التعليق على بعض النصوص ، وعَمَلُ المحقق واضح إزاء هذه النصوص ؛ فقد استخدم حواشيه استخداما جيدا فى إلقاء الضوء العلمى عليها فى حدود مراجعه .

ونحن بدورنا نأخذ على المحقق :

- عدم ذكر أرقام المخطوطات والتحديد الدقيق لمكان كل منها .
- تركه وضع صور بعض صفحات من المخطوطات ـ موضوع التحقيق ـ بملاحق الكتاب .
- وقوع أخطاء إملائية ، مما يُغَضُّ الطرف عنها ، إلا أنه مما يسوءنا جداً وقوع خطأ فى العنوان الموجود بكعب الكتاب . ولا ينقص ذلك من قيمة التحقيق شيئاً .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[2]

(١) كذا ، وفى نسخة أخرى : سقماء ـ والبيت من البسيط .

(٢) الأعراف : ٢٣ .

بقلم الأستاذ : أحمد مصطفى حافظ

كنت أهمُّ بإنجاز ترجمة شعرية ، لنص بليغ للشاعر الفرنسى : فيكتور هيجو عن الطفولة فى ديوانه **Les Enfants (Les Liver De Meres)** كما وعدت بمقال سابق(١) :

إلا أن عددا تاليا من مجلة الأزهر الغراء ، طالعنا بنص آخر عن الطفولة ، ليهجو أيضاً ، فدفعنى ذلك إلى اختياره للمقارنة ، بعد ترجمة بعض أبياته : (شعرا) إلى العربية(٢) ... عارجا على جولة بين ما أبدعه الشعراء من غرب لشرق ، عن الطفولة .

١ ـ ونبدأ بإثبات ما ترجمناه (شعراً) عن نص فيكتور هيجو الذى يقول فيه :

صفَّق الأهل باصطخاب شديد ... عند إطلالة الوليد الجديد
سبتْهم من طَرْفه نظرات ... حين يرنو .. ذات ائتلاق فريد
وتبدَّت أعتى الجباه .. عُبُوساً ... بتلاشى التقطيب والتجعيد
..رؤية الطفل طافرا بسرور ... حقَّقتْ يومَ بهجة وسعود

إلى أن يقول :

أيها الطفل ، يا وديعا تبدَّى ... أشْقَرَ الشعر ، كالأقاح النضيد
فى رُواءٍ ، وهالة من نُضار ... وابتسام مُشَعْشع فى الوجود
فى خيالاته العذوبة تسرى ... ملء صوت منغَّم الترديد
رحت تهفو ، بلثغة .. لحديث ... مُسْتطاب .. ولم تزل فى المهود

---

(١) أنظر عدد مجلة الأزهر الصادر فى شوال ١٤١٢هـ

(٢) أنظر عدد مجلة الأزهر الصادر فى شهر المحرم سنة ١٤١٣ هـ حيث النص الفرنسى .

ويقول فى ختام القصيدة :

يا إلـــٰهى صُنْ مَنْ أُحبُّ جميعــاً   واعْفُ حتى .. عن العدوِّ اللدود !
عَلَّ عفــوا يكـــون خير سبيــــل   لاكْتساب الوفـاق بعـــد الصدود
.. يا إلٰهى ــ ولا أرى الصيف صيفاً ــ   دون روض منضَّـــــــــد بورود
دون (دَوْح)[٣] مشقشق فى أصيل   بالـــعصافير ملء رحب النجـــود
لا أرى الدار ــ قد خلت من صغار ــ   لو بقصر .. إلا .. كقفـــر البيــد

★ ★ ★

٢ ــ أما الطفل الذى يتحدث عنه (العقاد) فى قصيدته : (المعرى وابنه) فهو طفل من نسيج الخيال ، لأن العقاد والمعرى لم يتزوجا ، وبالتالى لم ينجبا أبناء قط !.. ومن ثم فإن الطفل (المزعوم) يبدو لنا طفلا فيلسوفا ، وليس حدثا بريئا وادعا كما تقتضى الفطرة .. فطفلهما يحاول أن يجادل ــ بحذق شديد ــ أباه : (المعرى) .. أو... (العقاد) الذى أجرى الأبيات على لسانه .. بعد أن اتخذ العقاد من (المعرى وابنه) : (معادِلا موضوعيا) لموقفه ، هو شخصياً ، من ابنه المُتخيَّل الذى لم ينجبه على الإطلاق !..

تماما .. كما اتفق ذلك للمعرى ، سواء بسواء ، ثم إنه ــ أى العقاد ــ فى أخذه وردِّه مع ابن الخيال هنا يحدث بأسلوب فلسفى عميق ، أيضاً .. وكأن الابنَ ، الذى لم يولد بعدِ فى نضج ابن الثلاثين مثلا !!..

ويقدم العقاد لقصيدته تلك ، بقوله : قال المعرى :

إذا أردتــم بالبنيـــن كرامـــــــة   فالحزم أجمع : تركهم فى الأظهـر !

أى فى أصالات الرجال فلا تنحدر إلى أرحام النساء ، ثم يقول العقاد :

« والقصيدة الآتية محاورة بين المعرى وابن له .. فى الغيب يتوسل إليه أن يريه الحياة وهو ــ أى المعرى ــ يذوده عنها وينصح له بالبقاء فى عالم .. العدم ! »

وحين يقول (الابن) بلسان العقاد (بطبيعة الحال) :

يا أبى طال فى الظـــلام قعـــودى   فمتـى أنت مخرجـــى للوجـــود ؟
طال شوق إليك .. فاحلـل قيـودى
يا أبى .. عالم الظـــلام مخيـــــف   ليس يقوى عليه .. طفـل ضعيـف
فأجـرنى من ظلِّـــه المسدود إلخ ..

يجيبه (العقاد) أيضاً .. بلسان والده (أبى العلاء المعرى) بقوله :

---

(٣) استخدمنا هنا لفظة (الدوح) بدلا من لفظه (الأقفاص) التى استخدمها هيجو لأنها الأنسب .. فالقيد قيد ولو قد صيغ من ذهب .

ـ (وكأنه همزة وصْل بينهما) ـ:

ولـــدى ! إننـــى أبـــوك الـــرحيم   أنـــا بالعـــيش يا بنـــــى .. عليم
لا تصدِّق مقالـــة .. من بعيـــد

إلى أن يقول :

إنَّ غُنْـــم الحيـــاة .. من لم يجده   لم يُمنَّـــــع به .. ولم يفتقـــــده
فاغتنم ربح .. شرِّهـا .. المفقـود !

ثم يزجى لابنه فى الغيب .. النصيحة (العقَّاديَّة) التالية :

قف ببـــاب الحيـــاة لا تَدْخُلَنَّهـــا   واعـتصم يا بنى ما اسطعت منها
سوف ألقاك .. فانتظر ـ بالوصيد !

والنتيجة التى انتهى إليها ـ هى قوله فى ختام القصيدة :

هكـــذا أقنـــع المعـــرِّى الوليـــدا   فتنحَّـــى عن الحيـــاة .. بعيـــداً
.. والتقى الشيخ وابنه .. فى اللحود !

أى أنهما : الأب والإبن قد إلتقيا .. فى : (وادى العدم)(٤) !

★ ★ ★

وقد عمل العقاد نفسه بذات النصيحة التى أزجاها لابن المعرى المزعوم فامتنع بدوره عن الزواج وبالتالى عن الإنجاب ..ولا ندرى ، هل حذا فى ذلك حذو أبى العلاء حتى لا يجنى على أحد .. على حدِّ تعبير المعرى فى بيته المشهور .. أم أنَّ كفاح العقاد السياسى ودخوله السجن وتعرضه للضائقات المالية فى بعض مراحل حياته .. كانا وراء عزوفه عن الزواج ؟ أم أنَّ خشية العقاد أن ينجب أبنا أو ابنة يتعرضان لمرض ما ، أو للموت فى حياة العقاد ـ هى السبب فى إحجامه عن الزواج ؟ لأن هذا الأمر ـ لو حدث ـ فسيكون فوق طاقة احتمال العقاد ـ كما كان يردد هذا القول مرارا ، إذا سئل عن السبب فى امتناعه عن الزواج .

والسر ـ أو الرأى فى تقديرى ـ يكمن فى قوله تعالى :

« **وَمَا تَشَاءُون إلَّا أنْ يشاء الله** » .

وقد كان العقاد ينشد : (حُلْمَ الأبد) الذى عناه فى قوله بإحدى قصائده :

فتـــاتى كونى كما قد خُلـــقت   فأنت ـ كما شاءك الله ـ أنت
ومـا شئتـه أنـا .. حلـم الأبـد !

★ ★

---

(٤) وهذا يذكرنا بقول (شوقى) فى مسرحيته (مصرع كليوباترا) .

يا طيب وادى العـــــدم   ـ بعـــد الـــردى ـ من منـــزل
لم تمْش فيـــــه قدم   للعُـــــذل .. وادِ خل

ومهما يكن من أمر ، فإن أبيات العقاد عن (المعرى وابنه) تذكرنا بنصيحة أخرى (للحريرى) فى إحدى (مقاماته) .

٣ ــ لجنين لم يولد بعد يقول فيها :

أنت مستــــعصم يكــــنٌّ كنين ... وقــــرار من السكـــــون مكين
ما ترى ــ ثُمَّ ــ ما يروعك من إلْـ ... ـفٍ مُداج ولا عَدُوٌّ مبين
فاستدم عيشك الرغيــد وحــاذر ... أن تبيــع المحقــوق .. بالمظنـــون

وهيهات !

فالحريرى يطلب المستحيل من الجنين ، حين ينصحه بالبقاء حيث هو فى مَوْضعه من بطن الأم .. دون تهُّيؤ للميلاد وخروج لدنيا الناس ..؟!

٤ ــ وهذا يذكرنا بقصيدة الشاعر الإنجليزى المعاصر : (لويس ماكنيس) بعنوان : (صلاة لطفل لم يولد بعد) ، التى يخاطب فيها الطفل والده عما قد يلقاه من شرور فى هذا العالم المادى المتطاحن ويتمنى عليه أن يبقى حيث هو فى عالم الغيب .. فهل ــ يا ترى ــ كانت وحيا للعقاد ..؟!

٥ ــ وربما يكون الشاعر الراحل محمد فضل اسماعيل (الذى ترجم قصيدة ماكنيس شعرا إلى العربية) قد تأثر بـ (وصية) الحريرى حين قال بقصيدته عن (الأم) :

قد كنت فى ظلمات البطن مضطجعا ... فى مأمن لا أرى .. خوفا ولا فزعا
فلا أجوع ولا أعرى .. ولا أضطربت ... مُنى .. ولا كنتُ للأهواء مندفعاً
ولا بكــيت لأسبــاب تنغُّصنــى ... ولا تجشَّمت آلامــا ولا وجعــا
حتى خرجت إلى الدنيا فأدركنى ... همٌّ بكــيت له فى حينــه تبــع

وكان (فضل) رحمه الله شديد الإعجاب بمقامات الحريرى ويكثر من قراءاتها دواما ، حتى استظهر معظم ما بها من شعر عن ظهر قلب .

٦ ــ ومهما يكن من أمر ، فإن طفل هيجو يبدو من الأسوياء السعداء ، إذ نراه ناعم البال ، هادئ النفس والخاطر ، محاطا باختفاء الناس به وهشاشتهم له وشغفهم واهتمامهم بما يرضيه ، تماما .

٧ ــ كطفل شاعرتنا العربية التى تغنَّت له قديما بقولها :

يا حبــذا ريــحُ الولــــد ... ريح الخزامـــى فى البلــــد
أهكـــذا كل ولـــــد ... أمْ لم يلــد .. قبلى .. أحـــد

٨ ـ وكطفولة (المازنى) ، التى يصورها لنا هو بقوله ـ الأقرب إلى معانى « هيجو » فى قصيدة المازنى التى يقول فيها ـ :

يضاحك ثغرى كل ثغــر ، تودُّدا ويبدى حنانا .. من يرانى شاكيا
ويلقــى بىَ النـــاس السرور كأنما برَى الله ـ من كل القلوب ـ فؤاديا
ولى فرصة من كل لهو ، كأنما تبارى الورى .. كى يبلغونى مراديا

وإن كان المازنى قد عاد بعد ذلك فأنكر أيَّة صلة له بهذا (الطفل) الذى كَأَنهُ فى قصيدة أخرى حين قال :

قد صرت غيرى ، فليس يعرفنـى إذا رآنى صبـــاى ذو الطــــرر
مات الفتـــى المازنــــىُّ ، ثم أتى من (مازنٍ) آخــر على الأثـــر !

أما طفل (العقاد) و (جنين) الحريرى و (ماكنيس) فهم على طرف نقيض من طفل هيجو الذى يقبل على الحياة ببشر وَائْتناس كما قدَّمنا ..

* * *

٩ ـ هذا وقد سبق للأمم المتحدة أن أوْلت الطفولة أكبر قدر من العناية والاهتمام ، حين أصدرت فى العشرين من نوفمبر سنة ١٩٥٩ م قرارًا بالعام العالمى للطفل لإعلان حقوقه ونص فى المبدأ السادس منه على أنه : « لكى يكون للطفل شخصيته كاملة متناسقة ، يجب أن يحظى ـ بقدر الإمكان ـ بالمحبة والتفهم ، كما يجب أن ينمو تحت رعاية والديه ومسئوليتهما .. » .

وكذلك : « على المجتمع والسلطات العامة أن تكفل المعونة الكافية للأطفال المحرومين من رعاية الأسر » .

:أى : الأطفال المشردين الذين قال : (على الجارم) فى وصف أحدهم :

مُشرَّد يأوى إلى همه إذا أوى الـــطير إلى وكـــــره
ما ذاق حلــــو الــــلثم فى خدِّه ولا حنـــــان المسِّ فى شعـــــره
ولا حوتــــه الأم فى صدرهــــا ولا أب ناغــــاه فى .. حِجْــــره

إلى أن تكتمل الصورة بقوله :

إن نام .. أبصرت به .. كتلــــة تجمــــــع ساقيــــــه إلى نحره
(مدرسة النشـــــل) وسلّ المدى أسسهــا الشيطــــان فى جُحــــره

ويتفق الجارم مع هيجو بعد ذلك فى معنى البيت الأخير بقصيدته سالفة الذكر بقوله فى ختامها :

البـــــيت صحـــــراء إذا لم تجد طفولــــــــــة تمرح فى كِسْرِه

* * *

وعلى النقيض من الأطفال المشردين ، هناك أيضاً الأطفال المدللون الذين بلغ من فرط تدليلهم أن إحدى السيدات كتبت إلى ناظر المدرسة التى يتعلم فيها ابنها الطفل تقول :

١٠ ــ سيدى الناظر :

بعد التحية

فإننى أوصيك بابنى (فلان) خيرا فإنه ضعيف رقيق البنية ، وأرجو أن لا توقّعوا عليه عقوبة الضرب ، فإننا فى المنزل لا نضربه إلا .. دفاعا عن النفس !!

★ ★ ★

ولاشك أن الاعتدال ــ دونْ إفراط أو تفريط فى شدة أولين ــ هو الطريقة المثلى لتنشئة الطفل السوىّ على الخلق القويم .

وما أروع تصوير الشاعر الإنجليزى (جون درايدن) ١٦٣١ ــ ١٧٠٠ ، للهناء العائلى الذى يلقاه رب الأسرة عند عودته إلى منزله بعد عناء يوم العمل إذ :

١١ ــ يلقاه عند الباب كل عشيَّة أطفالـــهُ .. من واثب ومُغـــرِّد

فعاطفة الأبوة هى التى تفجّر فى نفوسهم ينابيع المحبة لأبنائهم لأنها تفوق غيرها من العواطف : عمقا وقوة وهى تتولَّد تلقائياً فى النفس عقب ميلاد الابن أو الابنة .. فأما من لم يتزوج فأنّى لهذه المشاعر أن تطرق فؤاده ..؟!

وهذه تتبدى ملتاعة فى قول الشاعر :

لم أذق بعـــد بُشْريـــات الابـــوَّة كيـف أزجـى لك الأمـانى الحلوة
الأمـــانى مضتْ ولازلت أحيـــا فى عذاب وذكريـات وصبْـــوه

وبعد ..

فكم نتمنى على أبناء الجيل أن يعوا ويتدبروا جيدا قول العالم الجليل أبى بكر الطرطوشى فى كتابه (بر الوالدين)(٥) بعد زواجه وإنجابه على كبر فى الاسكندرية :

١٢ ــ لو كان يدرى الابن أية غصة يتجـرع الأبـــوان عنـــد فراقــه :
أم تهيـــج بوجـــــدة حيرانــــةً وأب يسحُ الدمــع من آماقـــه
يتجرعـان لبينــه غُصَصَ الـــرَّدى ويبـــوح ما كتماه من أشواقـــه
لَرَثَـــى لأمّ سُلّ من أحشائهـــــا وبكـى لشيـــخ .. هام فى آفاقـــه
ولبـدَّل الخُلِـقَ الأبـــىَّ .. بعطفـــه وجـزاهما .. بالعـذْب من أخلاقـــه

وكذلك لَامْتثل أولا وقبل كل شيء لقوله تعالى :

« وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا »

---

(٥) أنظر كتابه (أعلام الاسكندرية فى العصر الإسلامى) للدكتور جمال الدين الشيال ط. دار المعارف سنة ١٩٦٥ ص ٨٧ .

نسب عسير
بين عدنان وقحطان

بقلم الفريق /
يحيى عبد الله المعلمي

كلمة للمجلة لابد منها :

(درجت مجلة الأزهر - إزاء التأليف ، أو التحقيق - أن تهتم بلب المضمون ، والنظر إلى مدى دقته العلمية ، دون أن تجعل صاحب العمل العلمي هدفا شخصيا ، ونظرة قريبة - فى هذا الشأن - إلى تحقيق كتاب « المقرب » لابن عصفور ، أو « محمد ﷺ رسول الحرية » يرى القارىء أن المجلة تعنى عناية تامة - إزاء الوضع الذى يَهْوِى بالتراث - ببيان ما فيه من خطأ أساء إلى المحقق نفسه قبل أن يسىء إلى المؤلف والتراث .

لذا لا يسع المجلة إلا أن تقول : إن كتاب « التعريف فى الأنساب والتنويه لذوى الأحساب » .. لم يأخذ حقه فى التحقيق ، وأن نسخته المخطوطة لا تزال تطلب محققا . وحسب القارىء أن يلقى نظرة على ما أخرجه « نادى أبها الأدبى » لهذه المخطوطة حتى يتأكد بعد بضعة سطور من صفحة (٢٤) أنه لم ينل حقه من التحقيق .. حتى إن النسب الوارد أعلى ص (٢٦) ينبت خلطا أيما فى الأسماء . لاسيما ما كان منها بالعهد القديم أوائل إصحاح « التكوين » .

ثم بعد :

إن التراث أمانة ، ولعل هذا المخطوط أن يجد من يضمد جراحه ويجبر كسره .. والله الموفق .. المحرر) .

وإلى القارىء ما كتبه السيد الفريق :

منذ عشرة أعوام أو تزيد علمت أن أخى وصديقى الأستاذ على محمد علوان يقتنى مخطوطة فى الأنساب تبقى أضواء كثيفة على أنساب قبائل عسير .

وكان الأستاذ على علوان يتحفظ فى عرض المخطوطة ويضن بها عن أن تلمسها (الأيادى) ولم أشأ أن أحرجه بالإلحاح عليه لإطلاعى عليها عملا بقول المثل الشعبى : (شمس تطلع وخبر يبان) أو يبين ، أو المثل الشعبى الآخر : (خبر اليوم بفلوس وغدا بلاش)(1) .

وصبرت حتى جاء يوم كنت فيه فى زيارة أخى على علوان فى القاهرة ، فوجدت على منضدة إلى جانبه كتابا مجلدا فدفعنى الفضول إلى مطالعته فوجدته نسخة منسوخة على الآلة الكاتبة للمخطوطة الغائبة وقد جاء فى صفحة غلافها الأول أن اسمها : « كتاب التعريف فى الأنساب والتنويه لذوى الأحساب » تأليف محمد بن أحمد بن إبراهيم الأشعرى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ ـ ١٢٠٣ م وهى بتحقيق أحد أساتذة اللغة العربية من حملة الدكتوراه .

وقرأت المقدمة وتصفحت الكتاب ـ وقلت للأخ على : أليست هذه هى المخطوطة التى كنت تقتنيها وتضن حتى برؤيتها على من يريد ذلك ؟ قال : بلى ، وقلت : فكيف حصل عليها هذا الدكتور وحققها ؟ قال : لقد كان ذلك باتفاق بينى وبينه ، قلت : فإنى لا أجد فى مقدمته ، ولا فى أول صفحة من الكتاب ، ولا آخر صفحة ذكرا لك ، بل لا أجد حتى بيانا لكيفية حصول الدكتور على المخطوطة ، قال : هكذا شاء الدكتور أن يغمط حقى ، وينسى اسمى ولا يذكرنى بشىء ، بل لعله تعمد أن يوهم القارىء بأنه مكتشف المخطوطة ومالكها . قلت : إذن فلابد من كتابة كلمة توضح هذا الموقف وتبينه كى يعلم الناس القصة الحقيقية لهذه المخطوطة النادرة .

ومنذ أيام أهدى إلىَّ أخى الأستاذ على محمد علوان نسخة من الكتاب (المخطوطة) مطبوعا طباعة أنيقة قام بعبئها (نادى أبْها الأدبى) ذلك الصرح الذى يحمل مشعل الأدب والثقافة فى الجنوب .

وقد أشار الأستاذ على علوان إلى ما على هذه الطبعة من مآخذ مما يجعلنى أكتفى بالإشارة إليها مؤيدا له فيها ، وبخاصة فيما يتعلق بعدم الاهتمام بتقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول وعدم وضع عناوين رئيسية وجانبية للأبواب والفصول ، وعدم وضع كشاف بأسماء الأعلام من الأمم والشعوب والقبائل والجماعات والأشخاص والأماكن ، وعدم وضع فهرس للموضوعات .

وإذا كنت أعذر الأستاذ على علوان ، ونادى أبها الأدبى فى نشر المخطوطة بدون الكشافات المطلوبة الضرورية ، فإنى لا أجد لهم عذرا فى عدم وضع فهرس للموضوعات وهو عمل لا يستغرق أكثر من بضع دقائق ولا يحتاج إلى خبير مختص ليضعه .

وعدم وجود الفهرس يحرم القارىء من الوصول إلى الموضوع الذى يريد البحث عنه ومعرفته .

ولقد ظهر لى أن من أسباب اهتمام الأخ على علوان بهذه المخطوطة وحرصه عليها ورغبته فى نشرها أن الكتاب قد تحدث عن (عسير) ،

فنسبهم إلى (عبس) ، فهو عُسَير [1] بن عبس بن سحـــارة بن غالب بن عبـــد الله بن علك بن عدنان ، وأن عُسَيْرا سمى بهذا الاسم لأن أمه تمخضتٍ ثلاثة أيام وتَعَسَّر (ت) ولادته فسمى عُسير (ا) ص (١٠٩ – ١١٧) .

وهذا مخالف لما هو معروف من أن كلمة (عسير) وصف للجبال التى تسكن حولها قبائل عَسير ، وأن الاسم مشتق من (عُسْرَة) هذه الجبال ووعورتها ، وأن قبيلة (عسير) من (عَنَزَة) وأن جدهم هو عَسير بن أراشة بن عنزة بن وائل (انظر الإكليل للهمدانى) .

ويخالف – أيضا – ما هو معروف من أن عَسير تنسب إلى (أَزْد شَنُوءَة) التى هى فى الأصل من قبائل اليمن التى تفرقت فى أرجاء جزيرة العرب بعد انهيار سد مأرب (أنظر كتاب « فى ربوع عسير » للأستاذ محمد عمر رفيع) .

حقا إنه أمر يستوقف النظر ويستحق الاهتمام .

ولكن نود طرح بعض الأسئلة وهى :

– هل عسير اسم مكان ، أو صفة له ، أو اسم رجل ؟

– هل عسير تنتسب إلى المكان ، أو إلى الرجل ؟

– هل عسير تنتسب إلى (عُسَير) – بالتصغير – ابن عَبْس أو إلى عَسِير – بدون تصغير – ابن أراشة بن عنزة بن وائل ؟

إذا بحثنا مرة أخرى فى اسم (عُسير) بن عبس فإنا نجده يختلف اختلافا واضحا عن (عَسير) الذى تنتسب إليه القبائل ، كما أن عُسَير بن عبس يعد – حسبما جاء فى المخطوطة – الحفيد السادس لعدنان جد العرب المستعربة ، أى أن بينه وبين عدنان أب وخمسة أجداد .

وإذا أخذنا بالقول أن الجيل يتكون من ثلاثين سنة تقريبا ، فأن عُسيرًا يكون وُجِد بعد عدنان بحوالى مائة وخمسين سنة ، وأن بينه وبين ظهور رسول الله ﷺ حوالى خمسمائة سنة على الأقل .

ومعروف أن جميع القبائل العدنانية التى عاشت فى فترة ما قبل الإسلام قد دونت أنسابها ، وبينت فصائلها وعشائرها فى كتب الأنساب ، ولم أقرأ من بينها قبيلة تسمى (عُسَيْرا) بالتصغير أو (عَسِيرا) بدون تصغير .

ومن جهة أخرى ، فإن اسم (عَسير) لم يظهر قبل القرن الرابع الهجرى ، وأول ذكر له كان فى كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمدانى الذى جاء فيه أن عَسيرا قبائل من عنزة وأنها يَمَانِيَّةٌ تَنَزَّرَتْ .

وملاحظة أود إثباتها وهى :

أنه قد كتب على غلاف الكتاب ، وفى أول صفحة منه اسم الكتاب كما يلى : « كتاب التعريـــف فى الأنساب والتنويـــه لذوى الأحساب » ، ومنها أنساب عسير ، وهـــذه العبارة : (ومنها أنساب عسير) وهى منقطعة الصلة باسم الكتاب وليست منه ، ولعل الأخ الكريم الأستاذ على علوان قد أضافها إلى اسم الكتاب للدلالة على بعض محتوياته مما يهم أهالى منطقة عسير ، وقد بينا أن عُسَيْرًا الوارد فى الكتاب ليس عَسِيرا الذى تنسب إليه قبائل عَسير ، ولو كان الناشر ممن همه التجارة لقلنا : إنه

أضاف هذه العبارة لترويج الكتاب ، وحمل أبناء عسير على اقتنائه لاشتماله على أنسابهم .

وملاحظة أخيرة كان يمكن إغضاء الطرف عنها لولا أنها وقعت فى كتاب علمى صادر عن مؤسسة أدبية ألا وهى وقوع بعض الأخطاء النحوية والإملائية التى قد يكون مرجعها إلى (الطبع) أو (الطباعة) والتحقيق فى كتب التراث يحتاج إلى أكبر درجة من الضبط والإتقان ، ومن هنا فليست هذه فى رأيى ملاحظة شكلية كما قد يبدو للوهلة الأولى ، ولكنها ملاحظة قد تؤثر على هذا الجهد القيم ، على حسب قول الأستاذ على علوان فى (ما قبل التقديم) صفحتى (و ، ز) .

وبعد :

فمهما يكن من أمر ، فإنه لابد من كلمة شكر للأستاذ على علوان على عنايته بالتـــراث ، وللدكتور المحقق على مجهوده فى تحقيق المخطوطة ، ولنادى أبها الأدبى على اهتمامه بنشر هذا الكتاب وغيره من الكتب المفيدة .

***

هذا وقد باكرنى علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر وقال لى : لقد شكرتَ فى مقالك من لا يستحق الشكر ، بل ربما يستحق غير ذلك .

فقلت : كيف يا شيخنا الجليل ؟

قال : إن هذا الدكتور (المحقق) الذى زعم أنه قد حقق مخطوطة الشيخ محمد بن أحمد بن إبراهيم الأشعرى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ المسماه (كتاب التعريف فى الأنساب والتنويه لذوى الأحساب) ـ قد شوه هذه المخطوطة وحرّفها وأتى فيها بأخطاء جسيمة .

وضرب لى علامة الجزيرة مثلا يوضح جسامة ما وقع فيه الدكتور المحقق من أخطاء فيما فعله بالمخطوطة من ذلك ما جاء فى صفحة ٢٦ من الكتاب ما يلى :

« وروى عن النبى ﷺ أنه إذا انتهى فى النسب إلى (معد بن عدنان) قال : كذت النسابون وقرأ قوله تعالى : ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ (سورة الفرقان الآية ٣٨) وهذا الأمسال ليس بشىء » انتهى .

وقد رجعت إلى الكتاب وقرأت ما كتبه الدكتور وما علق به وخرجت من ذلك بما يلى :

علق (الدكتور المحقق) على هذه العبارة بقوله فى الهامش :

« كذت أى توقفت » ، « المسل » ممر له خط من الأرض ينقاد ، ومسيل الماء ، وجمعه أمسلة ، ومسل ومسلان ومسائل ، والمسألة طول الوجه فى حسن » .

وهذه الأسطر فيها من الأخطاء عدد كثير أبينها فيما يلى :

١ ـ إن صحة لفظ الحديث هو :

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إن النبى كان إذا انتسب لم يجاوز فى نسبه معد بن عدنان بن أدد » ثم يمسك ويقول : كذب النسابون ، قال الله عز جل : ﴿ وقرونـــا بين ذلك كثيراً ﴾ (الطبقات الكبرى لابن سعد ـ دار بيروت للطباعة والنشر/ الجزء الأول/ صفحة ٥٦) .

فحرف الدكتور المحقق هذا النص فأوقع القارىء فى ظلمات من الجهل والتخبط .

٢ ـ لم يكتف المحقق بتحريف النص ، وإنما زاد على ذلك أن علق على تحريفاته تأكيدا لها فقد قال : إن كَدَتْ معناها توقَّفَتْ .

وكما أوردنا فى نص الحديث ، فإن ما قاله النبى ﷺ هو : « كذب النسابون » ولم يقل كدَتْ ثم ان (النسابون) جمع مذكر سالم ،ولا يصح نحواً ولغة أن يقال : كدت النسابون ، أو جلست المصلون ، وإنما يكون الفعل مفردًا فى مثل هذه الحالة فيقال : كدى النسابون وجلس المصلون(١) .

والنبى ﷺ أفصح من نطق بالضاد ، ولا يمكن أن يقع فى مثل هذا اللحن الذى لا يقع فيه إلا الهجناء أو الأعاجم .

٣ ـ علق على كلمة (الأمسال) موضحا معنى المسل وجمعه كما رويناه عنه آنفا .

وقد بينا أن نص الرواية فيه كلمة (يمسك) .

ولكن الدكتور المحقق قد حرف كلمة الإمساك (بكسر الهمزة وبكاف فى آخرها مصدر للفعل أمسك) إلى الأمسال بهمزة مفتوحة ولام فى آخرها .

وهذا التحريف خطأ فى قراءة الكلمة من (المخطوطة) ، وخطأ فى التخريج فليس للأمسال (جمع مسل) ذكر ولا مناسبة تذكر فيها فى هذا المجال ، وإنما أشار المؤلف فى المخطوطة إلى (إمساك) النبى ﷺ عن ذِكْرِ نَسْبِهِ بعد (عدنان بن أدد) فحوَّل المحقق الإمساك إلى أمسال .

ثم إن المحقق قال فى تعليقه إن المسل محركة خط من الأرض يبين مسيل الماء .

ثم أورد الجموع فقال : « وجمعه أمسلة ومسول ومسلان ومسائل » وسواء كان يقصد جمع مسل ، أو جمع مسيل فهو لم يورد كلمة الأمسال فى الجموع التى ذكرها ، ولعله لم يجدها فى (المنجد) فلم يذكرها .

قال المحقق فى تعليقه : إن « المسألة طول الوجه فى حسن الخلق » وهذا خطأ فالمسألة بالهمز من سأل : هى الحاجة أو الطلب أو السؤال (الاستجداء والتسول) أما طول الوجه وحُسْنُه فهو المسألة من مسل ، وشتان بين اللفظين والمعنيين .

ثم ما مناسبة ذكر المسألة هنا ، بل ، ما مناسبة ذكر الأمسال ولماذا أشار إليها باسم الإشارة المفرد ؟

إنه تحريف وتخريف !!

تحريف للأصل ، وتخريف فى التعليق .

وبعد :

فقد رجوت علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر أن يتفضل بتسجيل جميع ملاحظاته على هذا الكتاب وإحالتها إلى (نادى أبها الأدبى) ، ليقوم بطبعها وإلحاقها بالكتاب وإعطاء نسخ منها لكل من اقتنى نسخة من الكتاب حتى يكون القارىء على بينة وبصيرة .

كما أرجو من الإخوة الطابعين والمصححين أن يترفقوا بالكتاب والقراء ، وأن (يرحمونا) من الأخطاء الطباعية ، فحسبنا ما نقع فيه من أخطاء نتحمل وزرها ومسئوليتها .

والله الموفق ..

الفن والأخلاق

في شعر أبي زيد إبراهيم

ا .د. السيد تقى الدين السيد

بين يدى الآن ديوانان للشاعر أحدهما بعنوان «أنا مسلم» وقد صدر فى عام ٩١٩١ م والآخر بعنوان «نهج نهج البردة» وقد صدر فى عام ١٩٩٢ .

وقبل أن نتجول فى أى من الديوانين أو فى كليهما يطيب لنا أن نتعرف إلى الشاعر وإلى ثقافته وعمله وجولاته الدينية والأدبية ورؤيته الشعرية على وجه الخصوص ذلك أن الشاعر لا يخط فى حقل بكر فهو مسبوق بأحمد محرم ومحمد عبدالمطلب وحافظ إبراهيم وأحمد شوق وغيرهم كثير فالشاعر أبو زيد إبراهيم سيد تخرج فى الأزهر ودار العلوم وعمل بالوعظ والتدريس ثم بتوجيه اللغة العربية ، وتنقل فى عديد من دول الخليج واعظاً ومعلماً وشاعراً ، وأنشد الشعر بين يدى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز كما أنشد الشعر أيضا أمام صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ، وأمام سمو ولى عهده الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان وغيرهم كثير .

وقد بدأ الشاعر يقرض الشعر منذ الصغر وظل يرقى صعداً حتى نال خمس جوائز من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب كما نال جائزة الشعر الأولى فى أسبوع شباب الجامعات بأسيوط عام ١٩٦٤ وهكذا حاز الشاعر على عدة جوائز لنبوغه وتفوقه فى عالم الشعر والشاعر يرى أن «الشعر الحق هو ما يواكب الحياة ويتفاعل معها سمواً وإعلاء» ولكن الشاعر بعد ذلك بأسطر قلائل يقول عن الشعر «إنه مثالية الحياة فى أبهج صورها وأقدس أحوالها» .

وحين يتحدث الشاعر عن التجربة الشعرية فى إطار معانقة الشاعر للتجربة ـ ذاتية كانت أم خيالية ـ يقول « فإذا بها تجسد واقعاً مثالياً لما ينبغى أن تكون عليه الحياة السامية » وهنا ينبغى أن نقف مع شاعرنا قليلاً لأن المفاهيم الفنية يجب استخدامها بدقة فشتان بين المثالية والواقعية وبين الذاتية والخيالية .

إن الواقعية تقابل المثالية ولا ترادفها أو تعانقها والذاتية لا تضاد الخيالية بل الذاتية تضاد الموضوعية أو الواقعية .

والذى حدث فى تاريخ الفكر العالمى والإسلامى أن أفلاطون فى جمهوريته صنع للقربيين عالماً من المثل لم ير النور إلى يومنا هذا فمدينته الفاضلة لاتزال إلى الآن وإلى ما بعد الآن من أحلام اليقظة ولم تصر واقعية بعد ، بيد أن الفكر الإسلامى لم يعرف هذا البرج العاجى وإنما

عرف واقعا تحكمه قيم ومبادىء صارت سلوكاً للناَس يعملون بمقتضاها وعلى هذا الأساس نشأت المدينة المنورة وكل مدينة أشرق فيها فجر الإسلام صارت مدينة منورة أرأيت إلى مدينة أفلاطون الفاضلة وإلى مدينة رسول الله ﷺ المنورة فالأولى مثالية لم تر النور والثانية واقعية منورة ولعل هذا هو ما جعل الإمام مالك يعتد بعمل أهل المدينة ويراه أصلاً من أصول فقهه وبعد أن تحدث الشاعر عن صدق العاطفة وتوهجها والتصوير المجسد للمعنى والتعبير الموحى بوصفها من عوامل الإبراز للإبداع الغنى فى شتى مجالاته فجر قضية على جانب كبير من الأهمية تلك هى قضية «الفن والأخلاق» فهو يرى فى الديوان نفسه «أنا مسلم» أن الشعر يسمو قدراً ويرتفع مكانة حينما يتفجر بالقيم الإنسانية النبيلة » .. وإذا كان الشعر الإنسانى بكل أبعاده وفنونه المختلفة له كبير الأثر فى تعميق القيم والمثل الخالدة فإن الشعر الإسلامى والدين والفن كما يقول الأستاذ توفيق الحكيم فى كتابه «فن الأدب ص ٧٢» كلاهما يضىء من مشكاة واحدة هى ذلك القبس العلوى الذى يملأ قلب الإنسان بالراحة والصفاء والإيمان . وإن مصدر الجمال فى الفن هو ذلك الشعور بالسمو الذى يغمر نفس الإنسان عند اتصاله بالأثر الفنى من أجل هذا كان لابد للفن أن يكون مثل الدين قائماً على قواعد الأخلاق وقد اشتد الجدال من قديم بين طائفتين طائفة تقول إن الفن ينبغى له أن يكون أخلاقيا . وطائفة تقول إن الفن يجب أن يتحرر حتى من الأخلاق لأن الجمال فى الفن ينبع من الإتقان وأن الإجادة فى تصوير الدمامة والرذيلة لاتقل فضلا فى تصوير الحسن والفضيلة على أن نقطة التحوُّل فى تصورى وفى تصور الشاعر أبى زيد إبراهيم ليست هنا بل فى الإحساس الذى ينقله الأثر الفنى . إن القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ قد صورا لنا رجس المشركين وإثم الكافرين وقبح الأشرار والمفسدين ، كما صوَّرا فضل المؤمنين وإحسان المحسنين ولكن المقصود ليست جدية التصوير وإنما المقصود كما قلنا هو ذلك الإحساس الأخير الذى ينقله الفن والدين إلى النفوس ، وما من ريب فى أن الإحساس الأخير الذى ينقله الدين إلى النفوس مهما يكن لون الصورة ونوع التصوير هو إحساس أخلاق .

فهل هذا هو واجب الفن أيضاً ؟ أو أن الفن حرٌّ حتى فى إحداث الأثر الذى يريده غير مقيد حتى فى إقرار المشاعر غير الأخلاقية فى نفوس الناس إن الفن العميق الناضج يعدل من موقفنا من الحياة ومن تنظيمنا لدوافعنا النفسية تعديلا عميقا ربما لاندرك مداه كما أن الأعمال الفنية الفجة تسبب ارتباكاً وغموضاً فى دوافعنا وتحط من ذوقنا حتى نقبل مستوى منخفضاً من القيم الأخلاقية .

فإذا طالعت أثراً فنيا فى قصيدة أو قصة أو مقالة .. الخ وشعرت بعدئذ أنها حركت مشاعرك العليا أو تفكيرك المرتفع فأنت أمام فن رفيع كالذى تجده فى ديوان «أنا مسلم» فإذا لم تحرِّك إلا المبتذل من مشاعرك والتافة من تفكيرك فأنت أمام فن رخيص .

ولكن ما مصدر هذا التأثير فى العمل الفنى ؟ أهو الأسلوب أم اللب ؟ أهو الشكل أم الموضوع ؟ إن الأثر الفنى الكامل فى تصورى هو ذلك الذى يحدث فينا شعوراً كاملاً بالارتفاع وقلما يحدث هذا إلا عن طريق السمو فى الشكل والموضوع .

وديوان «أنا مسلم» مجموعة قصائد بعضها كان من وحى المناسبات الإسلامية وبعضها مشاعر تفجرت من الوجدان على اللسان ، وجميع هذه القصائد محورها الحب للعقيدة والإيمان الذى

لا يتزعزع على أن هناك بعض هنات لم يسلم الديوان منها .

١ ـ وقوع خطأ كتابى فى نص الحديث فقد جاء فى ص ٤ «وكان رسول الله ﷺ يقول لحسان «أجب عنى «إليهم» أيده بروح القدس» والصواب «اللهم» وفى الصفحة نفسها .. أصدق كلمة قال الشاعر كلمة لبيد (ألا كل شىء ماخلا الله باطل) والصواب أصدق كلمة قالها شاعر» .

٢ ـ لا ابتكار فى أفكار الشاعر وإنما هى أفكار مألوفة مقتبسة من القرآن الكريم والحديث الشريف وقد نظمها المؤلف شعراً مثل قوله فى قصيدة «إلى أخى المسلم» .

أنا يا أخى أدعوك باسم الله إن الله حسبى
أنا ناصح لك يا أخى والدين لله النصيحة

٣ ـ فى قصيدة «أنا مسلم» دفعت الضرورة الشعرية الشاعر إلى استعمال همزة القطع بدلاً من همزة الوصل فالفعل الخماسى ومصدره همزتهما همزة وصل لاقطع فالفعل انحنى خماسى مصدره الانحناء وهمزتهما همزة وصل لكن الشاعر دفعته الضرورة إلى جعلها همزة قطع وذلك حيث يقول :

أنـا مسـلم لله تسـجد جبهتى
ولغيـره فالإنحنـاء محـرم

ولست أدرى كيف تصوَّر الشاعر القلب مورقا بالنور حيث يقول من القصيدة نفسها :

أنـا مورق بالنـور قلبـى ما أرى
للحقـد ظـلا فهـو سـم أرقـم

ولو كنت مكانه لقلت «أنا مشرق بالنور قلبى .

٤ ـ دفاع الشاعر عن دعوى أن الإسلام قام على حد السيف دفاع غير قوى فهو يقول فى قصيدة أنا مسلم :

قالوا أما قـد عشـت دهـراً غازيـاً
والسيف سيفك منه كم سال الـدم
كـم جبت فى شـرق البـلاد وغربهـا
فتحـاً وتملك فى البلاد وتحـكم
كذبـوا فإنى ما مصصـت دماءهـم
يومـاً ولم أك للحضـارة أهـدم
كنت الصـباح بشـرعتى وعقيـدتى
وهـدى النبى بمهجتـى يتجسّـم

فهو لم يدفع هذه التهمة بأكثر من قوله إنها كذب . أما شوقى فقد قرر الحقيقة مدعمة بالواقع والطبيعة البشرية حين قال :

قالـوا غـزوت ورسـل الله ما بعثـوا
بقتـل نفس ولاجـاؤا لسفك دم
جهـل وتضـليل أحـلام وسفسطة
فتحت بالسـيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفـواً كـل ذى حسب
تـكفل السيف بالجهـال والعمـم
والشـر إن تبقـه بالخير ضـقت بـه
ذرعـاً وإن تلقـه بالشـر ينحسـم

٥ ـ لم يعجبنى موقف الشاعر من الحضارة المعاصرة وصناعها فلا ينبغى مقاومة هذه الحضارة وردها على أصحابها بل ينبغى تطويعها للإسلام ومن ثم لم يعجبنى قول الشاعر :

فسـل الـذين تشـدقوا بحضـارة
فى عصـرنا الـذرى هـذا من هم ؟

كما ان قوله فى القصيدة نفسها :

إن الحضـارة لـم تعـد فى عُرفهـم
إلا الدمـار لـكل شـعب ينعـم

إن هذا القول دعوى بلا بينة وتعميم لا يصدق دائماً .

٦ ـ أما قصيدة «فى ظلال العروبة والإسلام» فلست أدرى كيف جمع الشاعر فيها بين العروبة وهى دعوة عنصرية وبين الإسلام وهو دعوة

إنسانية تقوم على العقيدة لا على العرقية «إنما المؤمنون إخوة» لكن شاعرنا يقول :

أمـوت وأحيـا فى سـبيل بقائهـا
وأملأ سمع الكـون عاشت عروبتى

لقد كان أخوك فى صدر الإسلام يقول :

إبى الإسـلام لا أب لى سـواه
إن افتخـروا بقـيس أو تميـم

وكان يقول أيضاً :

ولست أبـالى حين أقتـل مسلمـاً
على أى جنب كان فى الله مصـرعى
وذلك فى ذات الالـه وإن يشأ
يبـارك على أوصـال شـلو ممزع

ومهما يكن من شيء فأنا فخور بك وباعتزاك بالإسلام وافتخارك به ألم تجعل عنوان الديوان «أنا مسلم» فأنت كما يقول عنك الأستاذ محمد جمعة سالم شاعر العلماء وفقيه الشعراء .. والنبرة الخطابية واضحة فى شعرك كله فأنت لاتهمس ولاتوسوس وإنما تجلجل وإذا كانت معظم قصائد ديوان «أنا مسلم» عن الإسلام ودعوته إلى الحق والعدل فإن معظم قصائد «نهج نهج البردة» للشاعر نفسه تكاد تنحصر فى السيرة النبوية العطرة فالشاعر بقول فى ص ١١ «ومن منطلق الحب لله وللرسول كانت هذه القصيدة التى سميتها « نهج نهج البردة » ولقد شجعنى أخ كريم يحب الله ورسوله على إكمالها أذ كنت كتبت الأبيات الأولى وأنا فى المدينة المنورة .. وها أنـذا أكملتها ... وإنى تركت نفس فى الكتابة على سجيتها أقول ما يمليه الحب لرسول الله ﷺ علىَّ ولقد توخيت عدم الإغراق فى الصور كما توخيت البعد عن الألفاظ القريبة وسميتها تيمنا بالإمام البوصيرى وبأحمد شوق ، ولم أبدأ بالغزل وإنما بما أملاه علىَّ الحب لرسول الله ، يفهم من عنوان الديوان أنك لا تعارض البوصيرى وإنما تعارض «شوقى» فشوقى حين عارض البوصيرى سمى قصيدته « نهج البردة » وأنت أسميت قصيدتك نهج نهج البردة .. لكنك لم ترق إلى نهج البردة فى الصياغة الشعرية وكنت موفقا التوفيق كله حين أعرضت عن الغزل فى قصيدة تمدح بها رسول الله ﷺ فلا يجتمع فى قلب واحد فسوق وإيمان وإشادة بمفاتن امرأة وعشق لجمالها وأنوثتها مع مدح لرسول الله وإشادة بالأمجاد الإسلاميـة الخالدة .

لم يكن شوقى موفقاً حين افتتح قصيدته بالغزل وإن كان مدفوعاً إلى ذلك بملاحقة البوصيرى ، ولم يكن البوصيرى أيضاً موفقا فى افتتاح قصيدته بالغزل لقد كان لكعب عذره حين تغزل بين يدى رسول الله وحين افتتح قصيدته فى مدح الرسول ﷺ بالغزل لقد كان حديث عهد بجاهلية وكان قادماً للدخول فى الإسلام وكانت التقاليد الفنية العربية القديمة تفتتح القصائد بالغزل أو ببكاء الأطلال .

أما وقد أنعم الله على الجميع بالإسلام فلا يليق الغـزل بين يدى قصيـدة تنشد تقرُّبـاً إلى الله ورسوله .

ولست أرى سببا لاختيارك هذه التسمية فلا أنت عارضت البوصيرى ولا أنت عارضت شوقى وإن التزمت بما التزما به من الوزن والقافية .

فما كان يفيدك لو أسميت قصيـدتك «فى رحاب رسول الله» فأنت قد كتبت الأبيات الأولى منه فى المدينة المنورة أو ماذا كان يفيدك لو أسميتها «شذا السيرة العطرة» إلى غير ذلك من الأسماء والألفاظ الجميلة وفى ديوانك فيض منها .

وعلى كل حال فشعرك دفقات شعورية فياضة سالت من فم خطيب منبرى يحب الله ورسوله وهذا ليس بالقليل .

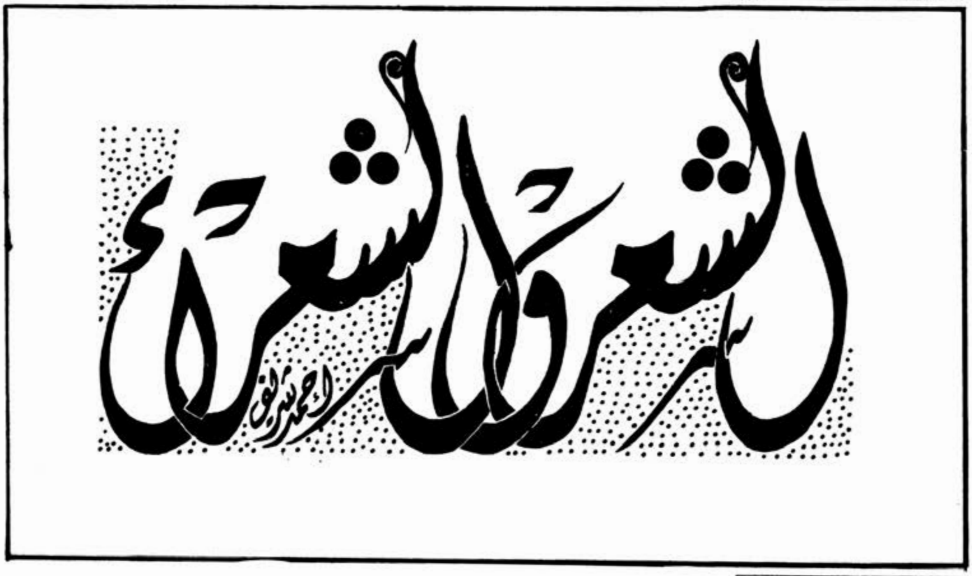
الشعر والشعراء
أحمد شريف

على هامش الإسراء

شعر الأستاذ/ محمد التاجي

وحدى مع الليل ، بل وحدى مع الأرق حيران ، أنزف آلاما على الورق
أقلب الفكر تحت الليل ، مرهفة - فى صمته - أذنى ، فى جنحه حدق
لا شىء فى شاطىء الأفق البعيد سوى نجم بعيد تَبَدَّى راعش الألق
طال السفار به مثلى وأفزعه ظل الدجى فاحتمى فى خيمة الأفق
يا رائد الفجر إنَّ الفجر فى سنةٍ فان توانيت لم ينهض ولم يفق
عبىء له العزم واهتف ملء مسمعه لابد لليل - مهما طال - من فلق

***

فى خاطر الليل فى مسرى كواكبه خطّ الزمان عريق الذكريات به
سفراً ترى الكون سطرا من صحائفه وتبصر المجد فصلا من جوانبه
كان السنا كَلِماً فى عين قارئه كان السنا قلما فى كف كاتبه .
تلك النجيمات تروى عن ملامحه عبر السنين وتحكى - عن تجاربه
(وقائعاً) وقف التاريخ يكبرها بل يكبر الحق فى عليا مواكبه
فى ليلة لو أراد الدهر مفخرة كانت - وما برحت - أسمى مناقبه
طاف الهدى بحواشى الليل مغتبطا يرقرق النور للهادى وصاحبه
هذا نبى الهدى تاه «البراق» به وذاك جبريل حادٍ فى ركائبه
حتى احتوى «المسجد الأقصى» رحالهما فأديا للمصلى بعض واجبه
كان الملائك جندا فى حراسته والانبياء ضيوفاً فى مآدبه

***

حاشا لذكراكِ - يا إسراء - نسيان فأنت انت لسِفْرِ الحق عنوان
ذكراك بالامس كانت فى فمى نغما واليوم ذكراك آهات وأشجان
فى أضلعى ثورة ضجت فضج دمى ناراً وثار وراء الصدر بركان
سهم أصاب من العلياء مقتلها غدرا ودمع بجفن الحق هتان
لكل فاجعة فى الدهر سلوان وما لفاجعتى فى «القدس» سلوان
هذى مآذنه خرساء ذاهلة فلا أذَان ولا فى الناس آذان
بكى المُصَلَّى جباه الساجدين به وَنَاح فى جانب المحراب قرآن

بيتٌ مشى أمس فى ساحاتــه «عمـــر» فكيـف يمرح فيـه اليـوم «ديـان»
الويـل للشرق إن لانت سواعـده أو عاثـه دون نصر الحق خذلان
دع كل صوت ـ سوى الهيجاء ـ ناحية فكل صوت ـ سوى الهيجاء ـ بهتان

***

لاكنت ـ ياشرق ـ يوما للكرام حمى إن أنت لم تنفجـر فى غضبـة حممـا
إن أنت لم تدع الأجـواء صاعقـة والأرض نارا ولجات البحـار دمـا
هذا عرينـك لكـن أيـن هيبتـه ؟ والليـث ليث ، فتيـا كان أم هرمـا
فيم الوجـوم .. تقـدم غاضبـا حنقـا عبر الخطـوب .. وزمجر صاخبـا عرمـا
كالسيـل منطلقـا كالويـل مستبقـا كالليـل محتدمـا كالنـار ملتهمـا
على الليـالى على الأيـام فى ثقـة نقّـل خطـاك .. والا فابتـر القدمـا
هى الوغى قد رضينا بالوغـى حكمـا حتـى نرى حائـط الطغيـان منهدمـا
حتـى نرى القـدس حرا فى عروبتـه ويُنْصَـرُ الحق حول القـدس مبتسمـا

فى ذكرى الاسراء والمعراج

شعر الأستاذ/ عبد الفتاح الطاهر على

ياليلـة الاسراء أنت جديـرة بروائـع التمجيـد والاطـراء
قد خُصَّ فيك محمـد بفضائـل قدسيـة تعلـو على الإحصاء
فمـلائك الـرحمن صلـوا خلفـه فى ليلـة حفـلت بخير لقـاء
والأنبيـاء المرسلـون تمتعـوا بلقـاء خير الخلـق والكرمـاء
يامـن عرجت إلى السمـاوات العـلا جسدا وروحـا فى أجـل رُواء
قد نلت فوق العـالمين مكانـة ما نالها أحـدٌ بلا استثنـاء
قد نالك التكـريم من رب الـورى ولكـم حظـيت بأعظـم الآلاء
الله قد فرض الصلاة طهـارة تسمـو النفـوس بها لخير سماء
وحبـاك ربك بالفضائـل كلهـا ورأيت أعـجب مايـراه الـرائى
وأتـيت تعلـن فى الصبـاح على الملا ما قد شهـدت ودونما غلـواء
فإذا بمن كتب الشقـاء عليهمـو قد كذبـوك لعلـة البـغضاء
وأتـوا إلى الصديـق يحكـم بينهم فأجـابهم فى حكمـة الحكمـاء
صدق الـرسول ولـيس ثمة كاذب، إلاَّ كُمُـو يامـعشر الجهـلاء
فتطامـنت أعناقهـم وتفرقـوا والحق ـ رغـم الشرك ـ فى عليـاء

يا قدس

شعر الأستاذ/ عبدالغنى أحمد الحداد

وجـهك السمـح قد عراه الذهـول   مذ تراءى على الربـوع الدخيـل
وتمطـى الظـلام فى كل أفـق   والسنـا فى قيـوده مغلـول
آه ، ياقـدس ، والأذان سَجِيـنٌ   يتنـزى ويخنـق التهليـل
آه ياقـدس والدمـوع تهاوى   والأمانُـى غالها التقتيـل
أيـن مَسْـرى الـرسول دنَّسَه الغـدر   وَفَـاضت من الدمـاء السيـول ؟
أيـن عطـر الأمجاد .. بدَّدَه البغـى   وأنحى على الـغصون الذبـول ؟
وطيـوف التـاريخ تنثـال حيرى   راعهـا فى الربـوع ليـل طويـل
تبـحث اليـوم عن سيـوف «صلاح»   أين منها صلاحُ ؟ أيـن الخيـول ؟

هذه أمتـى الجريحة تمضى   فى المتاهـات والجمـوع فلـول
كلُّ سَيْـفٍ يفـلُّ حدَّ أخيـه   وعلى الـذات حَدُّهُ مسلـول
والشعـارات زَادُنـا كلَّ حين   هل تعيـد الحقـوق يومـاً طبـول ؟
قد سئمنـا من الكـلام فزحـفٌ   ـ كل يوم من الكـلام ـ مهـول
والنفـوس العطـاش للبـذل تهوى   يائسات وعزمهـا مفلـول

ياسيـوف اليرمـوك هل صدأ الحد   وكَـلَّتْ عن الجلاد الـنصول ؟
ياشموخ الصحـراء .. هل عَقُـمَ البـذل   ونـامت عن الجهـاد الشبـول ؟
يولـد الفجـر من دمـاء الضحايـا   ساطـع النـور والظـلام يزول

العلوم الكونية

المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية

٢

للأستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبى

ثالثا المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية كحد أقصى للسرعة الكونيـة

١ ـ معادلة جديدة فى نظام الأرض والقمر :

طبقا للنص القرآنى فى آيتى السجدة : ٥ والحج : ٤٧ نصل إلى المعادلة القرآنية التالية بعد استعراض وتأييد أقوال معظم المفسرين رحمهم الله .

المسافة التى يقطعها الأمر الكونى بالسرعة القصوى فى يوم أرضى واحد = المسافة التى يقطعها القمر فى مداره الخاص حول الأرض فى ألف سنة قمرية .... (معادلة رقم (١)

والمقصود هنا بالمدار الخاص للقمر : طول المدار القمرى فى فلكه الخاص حول الأرض دون اعتبار أو تداخل مع فلك الأرض (ومعها القمر) حول الشمس طبقا للقاعدة القرآنية التى تنص على أن لكل جرم سماوى فلك خاص به كما فى قوله تعالى :

﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ الأنبياء : الآية ٣٣

(*) الكاتب : رئيس قسم الطبيعة بكلية البنات / جامعة عين شمس ، ونائب رئيس الجمعية المصرية للإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة . هذا ، ونذكر القارئ بأن هذا البحث لا يعنى أنه الكلمة الأخيرة فى الموضوع ، ولا أن ما جاء به هو التفسير الحتمى فيما تعرض له ، وإنما هو جهد باحث يسأل الله ـ تعالى ـ التوفيق ... مجلة الأزهر .

كما أن السنة القمرية هنا إثنا عشر شهرا قمريا كما فى قوله ــ تعالى :
﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ (التوبة : ٣٦)

وحيث إن القمر يقطع مداره حول الأرض فى شهر قمرى كامل فإن المسافة التى يقطعها القمر فى ألف سنة تعادل ١٢٠٠٠ مدار قمرى حول الأرض ، وبهذا يمكن كتابة المعادلة السابقة كما يلى باعتبار أن أية مسافة تساوى حاصل ضرب السرعة × الزمن إذا كانت السرعة منتظمة :

∴ الحد الأقصى للسرعة الكونية × زمن اليوم الأرضى = ١٢٠٠٠ × طول المدار القمرى

(معادلة رقم ٢)

∴ الحد الأقصى للسرعة الكونية = (١٢٠٠٠ × طول المدار القمرى حول الأرض) / (زمن اليوم الأرضى)

(معادلة رقم ٣)

وبالتعويض عن طول المدار القمرى حول الأرض فى المعادلة الأخيرة بحاصل ضرب متوسط السرعة المدارية للقمر × زمن الشهر القمرى :

∴ الحد الأقصى للسرعة الكونية = (١٢٠٠٠ × متوسط السرعة المدارية للقمر × الشهر القمرى) / (زمن اليوم الأرضى)

(معادلة رقم ٤)

ويلاحظ هنا ضرورة استخدام النظام النجمى ، وليس النظام الاقترانى عند التعويض فى الطرف الأيسر ، لأن الزمن النجمى يعتبر المقياس العلمى الأساسى الصحيح فى تعيين الزمن عن طريق الأرصاد الفلكية الدقيقة ، وتحديد أزمنة عبور النجوم لدائرة الزوال . ويرجع السبب فى اختيار النجوم فى عملية تعيين الزمن اليومى والشهر القمرى لسهولة رصدها كنقط مضيئة ومحددة فى السماء فى حين يصعب فى النظام الاقترانى رصد الشمس بدقة كافية كمرجع فى هذا النظام لما يعترى مساحة سطح الشمس الظاهرى من تغيير باختلاف المسافة بينها وبين الأرض ، الأمر الذى لا يسهل معه تحديد مركزها ، وهذه حقيقة معروفة فى علم الفلك التى تنص على استخدام نظام الأزمنة المضبوطة على نجم بعيد فى الحسابات بدلا من استخدام الأزمنة المضبوطة على الشمس فالنظام النجمى يستخدم للحساب الدقيق بينما النظام الاقترانى يستخدم للعد الظاهرى فقط ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى وجود فرق بين العد والحساب فى قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾
(يونس : ٥)

وهنا نجد لفظ الحساب معطوفا على عدد السنين ، وعطف شيء على آخر يدل لغويا على مغايرته له ، وهذا صحيح علميا ، فالعدّ ظاهرى اقترانى يعتمد على رصد الشمس لعدّ الأيام ، والأهلة لعدّ الشهور ، وأما الحساب فهو حقيقى نجمى يعتمد على ضبط الزمن الفعلى على النجوم وصدق الله العظيم إذ قوله ـــ سبحانه :

﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (النحل : ١٦)

٢ ـ اليوم النجمى واليوم الاقترانى :

اليوم هو الفترة الزمنية بين المرور الظاهرى لجرم سماوى فى عبورين متتاليين ومتشابهين لخط محدد فى السماء بالنسبة للمشاهد نتيجة دوران الأرض حول نفسها ، وليكن هذا الخط مثلا هو خط وسط السماء أى خط الزوال .

فاذا قيس اليوم بعبور الشمس سمى يوما اقترانيا (شمسيا)

وإذا قيس اليوم بعبور نجم معين سمى يوما نجميا .

واليوم هنا يعبر عن زمن دوران الأرض حول محورها دورة كاملة .

وكما نعلم فان اليوم الاقترانى (الشمسى) المتوسط مقاسا بمتوسط طول الفترات الزمنية بين كل عبورين متتاليين ومتشابهين للشمس (على مدى عام كامل) هو ٢٤ ساعة (أى ٨٦٤٠٠ ثانية) وتسير عليه المواقيت الشمسية التى نعتمد عليها فى عد الأيام والشهور والسنين .

أما اليوم النجمى فمدته مقاسا بالساعات الذرية ٢٣ ساعة ، ٥٦ دقيقة ، ٤,٠٩٠٦ ثانية (أى ٨٦١٦٤,٠٩٠٦ ثانية) وهو أقل من اليوم الشمسى المتوسط والفرق بينهما نتيجة دوران الأرض حول الشمس، مما يجعلنا على الأرض لا نرى شروق بداية اليوم الاقترانى التالى إلا بعد فترة أطول من اليوم النجمى بمقدار ٢٣٥,٩٠٩٤ ثانية .

٣ ـ الشهر القمرى النجمى والاقترانى :

إتخذ الأقدمون من الفترة الزمنية التى يستغرقها القمر منذ أول ظهوره هلالًا حتى الهلال التالى وحدة زمنية أطلقوا عليها الشهر القمرى ، ولقد تبين علميا بعد اكتشاف دوران القمر حول الأرض ، ودوران الأرض حول الشمس كما بالشكل (١) أن طور الهلال يأتى مباشرة بعد اقتران القمر مع الشمس ، أى بعد (تواجده) فى إتجاه الشمس ، لهذا تسمى الفترة من الهلال إلى الهلال بالشهر الاقترانى وهى فى المتوسط ٢٩,٥٣٠٥٩٠ يوما بينما يدور القمر دورة كاملة (٣٦٠ درجة) حول الأرض بالنسبة الى النجوم البعيدة كمرجع ساكن نسبيا فى شهر نجمى قدره مقاسا بالساعات الذرية : ٢٧ يوم ، ٧ ساعات ، ٤٣ دقيقة ، ١١,٥ ثانية أى ٢٧,٣٢١٦٦١ يوما وهو أقل من الشهر الاقترانى والفرق بينهما نتيجة دوران الأرض حول الشمس مما يجعلنا لاندرك الهلال الجديد إلا بعد فترة أطول بمقدار ٢,٢٠٨٩٢٩ يوما .

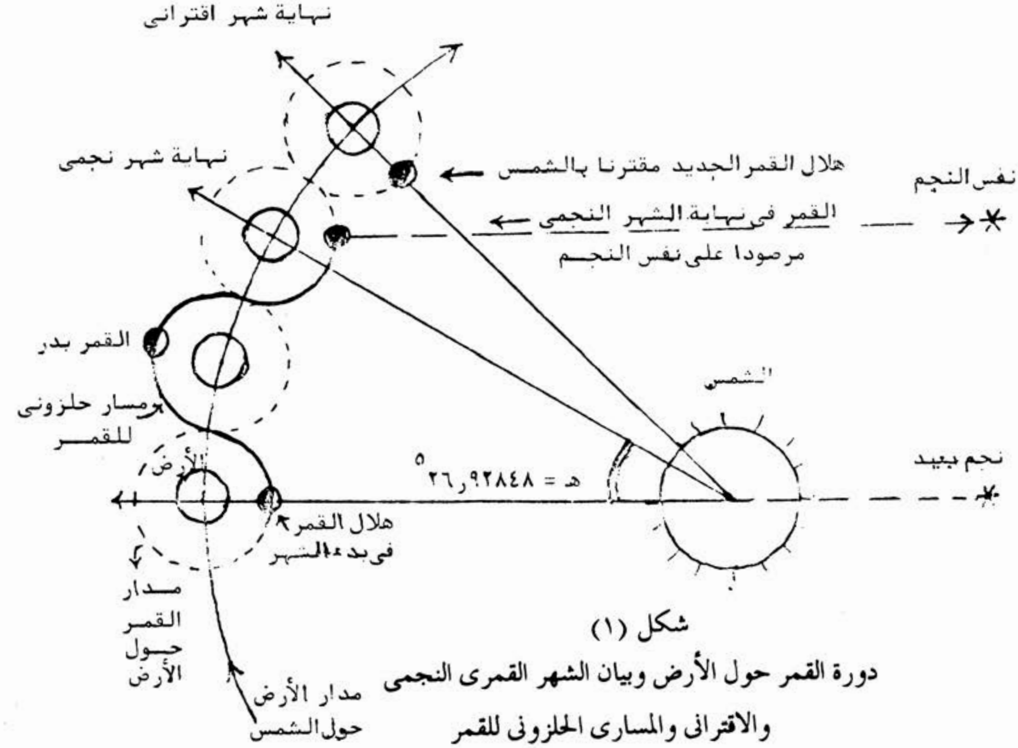

شكل (١)

دورة القمر حول الأرض وبيان الشهر القمرى النجمى

والاقترانى والمسارى الحلزونى للقمر

تابعا للأرض أثناء دورانها حول الشمس بزاوية هـ خلال شهر نجمى كامل

الزمـــن	النظام النجمىSidereal .	النظام الاقترانى الشمسىSynodic
اليــوم الأرضى	٢٣ ساعة ، ٥٦ دقيقة ، ٤,٠٩٠٦ ثانية = ٨٦١٦٤,٠٩٠٦ ثانيـــة	٢٤ ســـاعة = ٨٦٤٠٠ ثانيـــة
الشـــهر القمـــرى	٢٧,٣٢١٦٦١ يومـــا = ٦٥٥,٧١٩٨٦ ســاعة	٢٩,٥٣٠٥٩ يومـــا

ويتميز النظام النجمى فى أنه يتخلص من تأثير دوران الأرض حول الشمس فيعطى الأزمنة الفعلية المناسبة للحساب فى المعادلة القرآنية السابقة ، لأن القرآن الكريم ينص أيضا على أن لكل جرم سماوى فلكه الخاص .

﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء ٣٣)

ومعنى هذا أنه عند التعويض عن زمن اليوم الأرضى نستخدم اليوم النجمى كمدة دوران الأرض فى فلكها الخاص حول نفسها دون تأثير دوران الأرض فى فلكها حول الشمس . وكذلك عند التعويض عن زمن الشهر القمرى نستخدم الشهر النجمى كمدة دوران القمر فى فلكه الخاص حول الأرض دون تأثير دوران الأرض ومعها القمر حول الشمس !

وبالمثل فإننا عند حساب طول المدار القمرى فى فلكه الخاص حول الأرض فلابد أن يكون هذا الفلك مستقلا عن الأفلاك الأخرى المتداخلة معه وهذا سوف يضطرنا الى إجراء التصحيح التالى للسرعة المدارية الرصودة للقمر حول الأرض .

٤ ـ السرعة المدارية للقمر حول الأرض :

من المعروف أن القمر يدور حول الأرض مرة كل شهر نجمى ، ويمكن تتبع هذا المدار بالرصد حديثا بأشعة (الرادار) و(الليزر) لقياس البعد بين القمر والأرض وهذا الرصد يتم طبعا ، ونحن على أرض متحركة ، وليست ساكنة ، لأنها تدور فى نفس الوقت حول الشمس . وتدل القياسات أن القمر يقترب من الأرض حتى تكون المسافة بين مركزيهما فى حدود ٣٥٦ ألف كم (نقطة الحضيض) ويبتعد عن الأرض حتى تكون المسافة بين مركزيهما فى حدود ٤٠٦,٦ ألف كم (نقطة الأوج) فى مسار (إهليجى) يكاد يكون دائريا بمتوسط نصف قطر يمثل متوسط المسافة بينهما خلال شهر بما يزيد قليلا عن ٣٨٤ ألف كم . ويمكن حساب متوسط سرعة القمر فى دورة واحدة بمعرفة متوسط بعد القمر عن الأرض فى تلك الدورة حيث متوسط السرعه المدارية للقمر

(ع) = ٢ ط × متوسط المسافة بين الأرض والقمر / زمن الشهر النجمى

ووفقا للقياسات العلمية الحديثة للمسافة بين الأرض والقمر لعدة دورات قمرية بمتوسط (٣٨٤٢٦٤ كيلو مترا) واعتبار أن مسار القمر حول الأرض دائرى تقريبا وتطبيق العلاقة الأخيرة فإن : (ع) = ٢ × ٣٫١٤١٦ × ٣٨٤٢٦٤ / ٦٥٥٫٧١٩٨٦

∴ متوسط السرعة المدارية المرصودة للقمر (ع) = ٣٦٨٢٫٠٧ كم/ساعة .

وحيث إن هذه السرعة (ع) مرصودة ونحن على أرض متحركة فى مسار دائرى حول الشمس ، فإن هذه القيمة تكون أكبر من السرعة المدارية للقمر (ع١) وهو يدور حول أرض ساكنة . فمن المعروف أن (ع١) لن تتغير قيمتها لو كانت الأرض تتحرك فى خط مستقيم بسرعة منتظمة ، ولكن الأرض تتحرك فى الواقع فى منحنى حول الشمس مما يؤدى إلى تغير السرعة المدارية للقمر مقدارا واتجاها إذا ما قارنا بين متجهين للسرعة فى طورين متماثلين خلال دورة كاملة للقمر حول أرض متحركة فى مدار دائرى واقعى وأرض ساكنة فرضا على الترتيب .

وبالرجوع للشكل (٢) نفرض (ع١) هى متجه السرعة المدارية للقمر (وهو يدور حول أرض ساكنة) فى الوضع الأول عند نقطة (أ١) حيث يعود فرضا إلى نفس النقطة والاتجاه بعد دورة كاملة ، أما إذا دارت الأرض ــ كما هو الواقع ، ووصلت فى نهاية الشهر النجمى إلى الوضع الثانى ــ فإن المتجه (ع) للسرعة المدارية للقمر عند نفس الطور عند نقطة (أ) يكون قد صنع زاوية (هـ) بالنسبة للوضع الأول وتكون

ع١ = ع جتا هـ .... (معادلة رقم ٥)

أى أن السرعة المدارية للقمر حول أرض ساكنة فرضا =

السرعة المدارية المرصودة للقمر حول أرض متحركة × جيب تمام الزاوية (هـ).
والانعطاف ينعكس عادة على سلوك الأجسام الموجودة فى أى مختبر دائر فسلوك القمر ، وهو يدور حول أرض متحركة فى مسار دائرى ، يختلف عن سلوكه وهو يدور حول أرض ساكنة ، تماما مثل حالتنا عندما تنحنى سيارة بنا فى ميدان فإننا نميل عن وضع السكون مبتعدين عن مركز الانعطاف ويظل هذا الميل طالما ظل هذا الدوران ، وهذا هو حال القمر الذى يصاحب الأرض كمختبر يدور حول الشمس ونرصد منه القمر كتابع للأرض .

والزاوية (هـ) هى الزاوية التى تدورها الأرض حول مركز الشمس فى زمن قدره شهر قمرى نجمى أى فى زمن قدره ٢٧,٣٢١٦٦١ يوما .

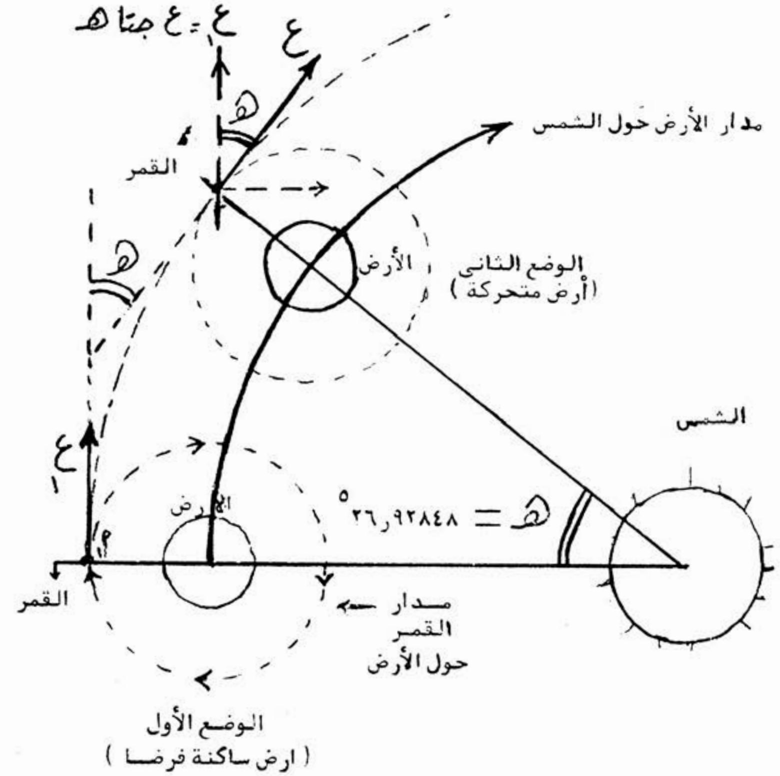

شكل (٢)

تحليل متجه السرعة المدارية ع المرصودة للقمر فى الوضع الثانى عند أ (بعد أن دارت الأرض ومعها القمر حول الشمس بزاوية قدرها هـ فى شهر نجمى كامل)

لإيجاد المركبة المكافئة للسرعة المدارية ع١ للقمر عند نقطة مماثلة أ١ وهو يدور حول أرض ساكنة فى الوضع الأول .

ولحساب قيمة هذه الزاوية (هـ) نحن نعلم أن الأرض تدور حول الشمس دورة كاملة (٣٦٠°) فى عام ميلادى كامل ، أى فى مدة قدرها ٣٦٥٫٢٥٦٣٦ يوما .

∴ الزاوية (هـ) = $\frac{٢٧,٣٢١٦٦١ \times ٣٦٠}{٣٦٥,٢٥٦٣٦}$ = ٢٦,٩٢٨٤٨°

وبالتعويض عن هذه القيمة (هـ) وعن متوسط قيمة السرعة المدارية المرصودة (ع) فى المعادلة رقم (٥)

∴ $ع_١ = ع \text{ جتا هـ}$

∴ $ع_١$ = ٣٦٨٢,٠٧ × جتا ٢٦,٩٢٨٤٨°

= ٣٦٨٢,٠٧ × ٠,٨٩١٥٧

= ٣٢٨٢,٨٢٣١٥ كيلو متر / ساعة

وهذه قيمة متوسط السرعة المدارية للقمر حول الأرض باعتبار سكونها ، وهى القيمة الحقيقية وليست الظاهرية المرصودة ، وذلك بعد أن تخلصنا ـ رياضياً ـ من تأثير فلك الأرض حول الشمس .

٥ ـ حساب الحد الأقصى للسرعة الكونية من المعادلة القرآنية :ـ

علمنا أن :

زمن الشهر القمرى النجمى = ٢٧,٣٢١٦٦١ يوما اقترانيا

= ٦٥٥,٧١٩٨٦ ساعة (من الجدول)

زمن اليوم الأرضى النجمى = ٨٦١٦٤,٠٩٠٦ ثانية (من الجدول)

متوسط السرعة المدارية للقمر ($ع_١$) = ٣٢٨٢,٨٢٣١٥ كيلومتر / ساعة (من البند السابق)

وبالتعويض فى المعادلة القرآنية رقم (٤) فإن :

الحد الأقصى للسرعة الكونية

$$= \frac{\text{١٢٠٠٠} \times \text{متوسط السرعة المدارية للقمر} \times \text{زمن الشهر النجمى القمرى}}{\text{زمن اليوم الأرضى النجمى}}$$

$$= \frac{٦٥٥,٧١٩٨٦ \times ٣٢٨٢,٨٢٣١٥ \times ١٢٠٠٠}{٨٦١٦٤,٠٩٠٦}$$

= ٢٩٩٧٩٢,٥ كيلو متر / ثانية .

∴ الحد الأقصى للسرعة الكونية = سرعة الضوء

وهذه النتيجة هى المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية ، وهى أيضاً تأكيد جديد للمبدأ الرئيسى للنظرية النسبية لأينشتين ، وهى نتيجة مذهلة فلقد حصلنا على سرعة الضوء تماما من المعادلة القرآنية ، وبما يساوى القيمة الدولية المعلنة وقدرها طبقاً لبيان المؤتمر الدولى للمعايير فى باريس .

٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كيلو متر / ثانية

وصدق الحق تبارك وتعالى بقوله :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾
(السجدة : ٥)

وبذلك فإن سرعة الضوء تمثل الثابت المطلق الوحيد فى الكون ، والحد الأقصى للسرعة الكونية التى تشمل سرعة جميع الإشعاعات والأمواج الكهرومغناطيسية وأمواج الجاذبية وغيرها مما سيكشف عنه المستقبل من قوى ووسائط تنتقل على إختلاف خواصها وتردداتها ، وأطوال موجاتها بسرعة واحدة تبلغ نهايتها العظمى فى الفراغ بين السماء والأرض ، وهى سرعة حدية لا يمكن تجاوزها فى هذا الكون المحسوس وهى السرعة المشار إليها فى القرآن الكريم بقوله تعالى :

« فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » .

والقضية الآن معروضة عليكم . فهل قرأ أينشتين القرآن الكريم ليعلن نظريته فى النسبية ؟ أم أن سيدنا محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ كان يعرف النسبية ومقدار سرعة الضوء قبل ظهورهما ؟ وذلك فى نظر أولئك الكفار الذين يدعون ظلما وبهتانا أن القرآن الكريم من تأليف البشر !

هكذا أدركنا ــ والله أعلم ــ السر الكونى فى آيتى السجدة والحج فى هذا البحث وقد ظهر المعنى العلمى لهاتين الآيتين ، واتضح بذلك أهمية الإعجاز العلمى للقرآن الكريم لبيان الوعد الإلهى بإدراك السر الكونى فى مثل هذه الآيات العلمية كما فى قوله تعالى :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾ (سورة ص ٧٧ ــ ٧٨)

وقوله سبحانه : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ (النمل ٩٤)

ثقب الأوزون

بين الحقيقة والخيال

لوحظ فى بعض بقاع العالم أن درجة الحرارة قد زادت فى المتوسط بمقدار ٠,٣ إلى ٠,٥ درجة مئوية خلال فترة الثلاثين عاما التى بدأت منذ عام ١٩٥٩ م ، إذا ما قورنت بفترة الثلاثين عاما السابقة عليها . ان هذه الزيادة قد تكون بسيطة بل وتافهة ولكن اذا استمرت درجات حرارة الجو فى الزيادة بهذا المعدل التراكمى فقد ترتفع درجة الحرارة إلى ٣ أو ٥ درجات مئوية مع نهاية القرن القادم . وإذا علمنا أن متوسط درجة حرارة العصر الجليدى المنصرم كانت أقل من المتوسط الحالى بأربع أو خمس درجات فقط ، فان الزيادة فى متوسط درجات الحرارة من شأنها أن تقلب الموازين المناخية رأسا على عقب فبعد أن كانت

د . زين العابدين متولى متولى*

* الكاتب : أستاذ الطبيعة الجوية بعلوم القاهرة .

الأرض مغطاة بالثلوج البيضاء نجد أن هذه الزيادة التى نعتبرها طفيفة قد مزقت ثوب الأرض الجليدى وحولته إلى مياه وأصبحت الأرض صالحة للزراعة وبعد أن كانت بيضاء أصبحت خضراء وسوف تزداد الرطوبة فى الغلاف الجوى لدرجة أن المياه التى تخرج من أجسام الكائنات الحية عن طريق مسام الجلد والتى تسمى بالعرق لا تتبخر وبهذا سوف يتعطل جهاز التكييف الذى خلقه الله للإنسان والذى يلطف من درجة حرارته ، وهذه الزيادة فى درجة الحرارة سوف تتسبب فى قلة مياه الشرب وسوف تزداد مساحة الأراضى الصحراوية ويرفع منسوب المياه فى البحار والمحيطات وسوف تزداد الهجرة من المناطق الشمالية القطبية والجنوبية الاستوائية إلى المناطق المعتدلة أملا فى إيجاد الماء الضرورى لحياتهم .

قد يتصور البعض أن هذا ضرب من الخيال العلمى ، ولكن الدراسات والتجارب تبين بالفعل أن هذا ما سوف يحدث عندما تحدث هذه الزيادة فى درجة الحرارة وبالفعل أظهرت الدراسات أن مستوى سطح البحر خلال فترة المائة سنة التى بدأت عام ١٨٣٠ ارتفع قليلا على الرغم من أنه كان ثابتا أو ينقص قليلا قبل هذا التاريخ .

وفى هذه الأيام تعتبر التغيرات المناخية من أكبر التحديات التى يواجهها الإنسان أكثر من أى وقت مضى وإذا ما أردنا استمرارية الحياة على سطح الأرض وحماية الأحياء من شرور هذه الظاهرة لابد لنا من دراسة هذه التغيرات دراسة مستفيضة لمعرفة الأسباب التى تؤدى إلى ظهورها على وجه الدقة ، والتأكد من الدور الذى يؤديه أوزون الجو فى هذا الشأن .

والآن هل يوجد بالفعل ثقب فى طبقة الأوزون ؟ وهل هذا الثقب هو الذى يسبب هذه التغيرات المناخية ؟ قبل أن نتعرض للإجابة سوف نقدم تعريفا بسيطا لغاز الأوزون من حيث خواصه الطبيعية والكيميائية وكذلك فوائده ومصادره وتأثيراته البيولوجية على الكائنات الحية .

الأوزون شكل من أشكال غاز الأكسجين ، فالأكسجين الطبيعى يحتوى على ذرتين فى كل جزىء من جزيئاته بينما جزىء الأوزون يحتوى على ثلاث ذرات من الأكسجين ، والأوزون يتكون فى الطبيعة عن طريق البرق وكذلك عن طريق الأشعة فوق البنفسجية ويكثر وجوده عند الارتفاعات ٢٥ ـ ٣٥ كيلو متر من سطح الأرض .

والأوزون لونه أزرق فى حالة السيولة والصلابة ، والغاز قابل لدرجة كبيرة للامتزاج مع الهواء الجوى ، وهو أثقل من الهواء الجوى حيث تبلغ كثافته فى معدل الضغط بدرجة الحرارة ٢,١٥٤ جرام لكل لتر .

يستخدم الأوزون فى عالم الطب كعلاج فعال لكثير من الأمراض أهمها علاج تسمم الكبد وتنشيطه ، ويستخدم أيضا فى علاج الالتهاب الكبدى والصفراء ويعمل كذلك على إنقاص نسبة الدهون فى الدم كما يفاد منه فى تعقيم وتطهير الماء ويستخدم فى ثلاجات حفظ الفواكه طازجة وبعض المحاصيل وذلك بإضافة ١ ـ ٣ جزء منه إلى مليون جزء داخل الثلاجة لمنع فعالية كل من البكتريا وعفن الخبز من التكاثر داخل الثلاجات .

عندما تزداد نسبة تركيز الأوزون فى الهواء تكون له أضرار جسيمة على صحة الكائنات الحية حيث إنه غاز خانق من الدرجة الأولى ، وله تأثيرات فعالة على النباتات مثل : القطن والبرسيم وغيرها من المحاصيل الهامة ؛ لأنه يقلل من كفاءة النباتات فى تثبيت ثانى أكسيد الكربون فى عملية التمثيل الضوئى ولما كانت الزيادة فى الكمية الكلية للأوزون تزيد من عملية تخريب الغابات والمحاصيل الزراعية وتؤثر بشكل ملحوظ على الشكل العام للنبات فهى بذلك تزيد من نسبة (التصحر) وزيادة نسبة تركيز الأوزون فى الطبقات القريبة من سطح الأرض (حتى ارتفاع ١٥٠ متر) تؤدى إلى اتلاف إطارات السيارات والطائرات وكذلك المطاط المستخدم فى إحكام النوافذ وتسبب تآكل أنواع الطلاء ، ودهان السيارات وكذلك لها تأثير فعال على المنسوجات وأصباغها .

وهكذا يتضح أن زيادة نسبة غاز الأوزون فى الهواء الجوى عن معدلها الطبيعى يمكن أن تؤدى إلى فناء البشرية ، هذا من جهة أما نقصه فهو أيضا يؤدى إلى فناء الكائنات الحية كلها .

إذا حدث نقص للأوزون فى طبقات الجو العليا (على ارتفاع ٢٠ كيلو متر) فهذا يؤدى إلى انخفاض درجات الحرارة عند هذا الارتفاع علاوة على ذلك تزداد شدة الأشعة فوق البنفسجية الساقطة على سطح الأرض ، وهذه الزيادة سوف تؤدى إلى ارتفاع درجات حرارة الغلاف الجوى ، وعموما فقد أظهرت الدراسات أنه إذا حدث نقص فى كمية الأوزون يقدر بحوالى ١٪ من كميته الكلية يترتب عليه زيادة قدرها ٢٪ فى شدة الأشعاع فوق البنفسجى ذى الموجات التى تضاعف الأمراض السرطانية للجلد والتى لها بعض الآثار السيئة على الأحياء ، وليس لها مقدرة على تغير المناخ .

ويعتقد البعض فى أن زيادة درجات حرارة الغلاف الجوى الناتجة عن النقص فى كمية الأوزون سوف تؤدى إلى ارتفاع درجات حرارة الجو ، ولكن فى مقابل ذلك نجد مجموعة أخرى تعتقد أن الارتفاع فى درجات الحرارة للغلاف الجوى لا يقدر على زيادة درجات الحرارة وذلك لأنه سوف يزداد التبخر وتتكون السحب التى بدورها سوف تعكس وتمتص بعضاً من الإشعاع الشمسى وبذلك تنخفض درجة حرارة الجو مرة أخرى .

والنقص فى غاز الأوزون ليس وحده هو المسئول عن ارتفاع درجات حرارة الجو ، بل هناك ثانى أكسيد الكبريت ، وذرات الفحم ، والرماد المتطاير والأحماض والميثان والكلوروفلوروكربون وهدير النفاثات ، أما غاز ثانى أكسيد الكربون فهو يشترك معهم بنصيب الأسد وقد يكون هو المسئول الأول عما سوف يحدث للجو ، تشير الاحصاءات إلى أن احتراق الوقود اللازم لتوليد الطاقة فى العالم يتسبب كل سنة فى انتشار ٣,٥ مليون طن من ثانى أكسيد الكربون وتبين الأرصاد أن نسبة ثانى أكسيد الكربون فى الغلاف الجوى قد زادت من ٣١٥ إلى ٣٤٥ جزء منه فى كل مليون جزء من الهواء ، هذا بخلاف أن الغلاف الجوى يتخلص من جزء كبير منه عن طريق التفاعلات الكيميائية ، كما أن النبات يستنفذ جزءا آخر فى عمليات التمثيل الضوئى ،

والباقى منه يتراكم فى الغلاف الجوى ، وهذا هو مكمن الخطورة فى تغير مناخ الكرة الأرضية .

مما سبق يبدو لنا أنه من الواجب أن لا نعزى التغير فى مناخ الكرة الأرضية الى وجود نقص أو ثقب فى طبقة الأوزون ، إذ أنه ليس من المعقول أنه توجد منطقة فى الغلاف الجوى خالية من الأوزون ، خاصة وأنه يتمتع بخاصية المزج والانتشار مع الهواء ، ويمكننا أن نتبين أن النقص فى الأوزون قد حدث قبل ذلك وأن الكمية الكلية للأوزون لها دورية ، فهى تزداد وتقل بشكل الموجات كل فترة من الفترات الزمنية المختلفة وسوف تزداد مرة أخرى ، فالأوزون لا يقل عن كمية معينة تخل بالتوازن البيئى الحيوى بين الإنسان والكائنات الحية الأخرى أو يزداد حتى يقضى على جميع الأحياء .

وعموما فسوف نبين للقارىء فى عجالة بعض العمليات التى تسبب النقص لغاز الأوزون .

١ ـ هناك بعض الأشعة التى تأتى من خارج المجموعة الشمسية وتصل إلى طبقة الأوزون وتؤثر عليها بقوة وتقلل من نسبة غاز الأوزون . وكذلك الملوثات الجوية مثل غاز البرومين الذى يستعمل فى أنواع خاصة من معدات إطفاء الحريق . أما سوائل التبريد (الفريون) فى ثلاجات المبردات وغاز الكلوورفلوركربون وأكاسيد النتروجين المستعملة فى الأسمدة الزراعية واحتراق الزيت والفحم فلها اليد العليا فى تحطيم جزئيات غاز الأوزون ، والكلور يدخل فى سلسلة تحطيم جزئيات الأوزون حيث الجزىء الواحد منه يحطم مائة ألف جزىء أوزون دون أن يتأثر ويخرج من هذه العملية سليما ويستعد لتحطيم مائة ألف جزىء أخرى . وهذا الكلور يحقن فى الجو عن طريق العلب الرشاشة (الـرذاذات) وكذلك من العمليات الصناعية .

٢ ـ قد يكون النقص فى غاز الأوزون ناتجا عن تقلبات جوية مع وجود بعض السحب العدسية التى تشبه البللورات الجليدية الموجودة فى الطبقة السفلى من الأسترات سفير عند حوالى ٨ كيلومتر تقريبا ، فنجد أن التقلبات الجوية والعواصف الهوائية تؤثر على مثل هذه السحب وينتج منها غاز الكلور الفاتك بجزيئات الأوزون .

٣ ـ يتميز جو المناطق القطبية ، وخاصة القطب الجنوبى ، بأن درجة الحرارة هناك تقل بحوالى ١٥ ــ ٢٠ درجة مئوية عن مثيلاتها فى منطقة القطب الشمالى لوجود تيارات الهواء الصاعدة والهابطة فى بداية فصل الربيع (أكتوبر) مما يؤدى إلى حدوث خلل فى توازن طبقة الأوزون . وقد تستطيع هذه التيارات الهوائية الصاعدة والهابطة فى حالة دورانها أن تحمل طبقة الأوزون إلى أعلى جزء من طبقة الاستراتوسفير (٤٠ كيلومتر تقريبا) وتسقط بدلا منها طبقة هوائية تحتوى على كمية قليلة من الأوزون .

٤ ـ وأخيرا يحدد الخبراء أن الأسباب المؤدية إلى وجود نقص فى كمية الأوزون بالجو تتمثل فى انبعاث غازات نشطة ساخنة من مصادر محلية ومباشرة وواضحة مثل الكهرباء والنقل وصناعة الأسمدة والتبريد .

ماذا في مساكن النمل

(٢)

للأستاذ / منذر محمد عبد الرحمن *

أما المكان فهو غابات السنديان فى روسيا الأوربية . وأما الزمان فهو فصل الشتاء الرهيب . وفصل الشتاء فى تلك المنطقة قارس البرد ، قاسى كل القسوة ، حتى على أشجار السنديان العملاقة التى يُسقط صقيعه أوراقها ، ويحنى فروعها ، ويتركها هيكلا يشهد على قوة بطشة .

فى ذلك الوقت كانت ريح صرصر تهب فى عزم باحثة عن مُتَحَدٍ . ولكن هيهات أن تجد هذا المتحدى بين البشر وذكرى جيش نابليون الجبار الذى حولته إلى فلول مبعثرة ما زالت ماثلة فى الأذهان . ولهذا كانت الغابة المتشحة بالبياض مقفرة ، لا يكاد يعكر بياضها الخالص ظل من سواد اللهم إلا خط أسود يتحرك على جزع أحد الأشجار فى صمت ، ومادام هذا الخط يتحرك فلابد أن يكون كائنا حيا .. قد قبل التحدى .. ولكن هيهات أن يستطيع الشتاء بصقيعه ورياحه أن يعوق هذا النوع من النمل عن أداء مهمته التى خطط لها من أواخر الخريف ، وهاهى (النملات) الحقيرة ، تمشى والأشجار العملاقة تترنح وتصرصر وتعوى بأصوات مزعجة .

القرآن والنمل

ولكن دعونا نترك هذا الزمهرير قليلا لننعم بدفء آيات القرآن الحكيم :

* الباحث بمعهد بحوث وقاية النبات ـ قسم فسيولوجيا الآفات .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ
مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ
١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ
نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا
تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾

سورة النمل

سمع سيدنا سليمان ما قالته النملة ، وأدركه بما أنعم الله عليه من مقدرة على فهم لغة النمل ، وغيره ، وانشرح صدره كما ينشرح صدر المرء أمام كل طريف وعجيب . فالنملة تسعى لرزقها فى همة ونشاط .

والنملة تدرك ما يتربص بها من أخطار وتعد العدة للوقاية منها .

والنملة كما تحرص على حياة من معها .

إيجاز بليغ يوحى بحقائق تدفع المسلم إلى دراستها ، ولذلك سنغود سريعا إلى غابات السنديان لتعرف شيئا عن ذلك النمل الذى رأيناه يسير فى بداية المقال .

النمل الأحمر

يسمى هذا النوع من النمل بالنمل الأحمر وهو أحد أنواع النمل القليلة التى جبلها الله – تعالى – على العيش فى الأماكن الباردة . وهذا النمل يحفر مساكنه ذات الممرات المعقدة والدهاليز المتشابكة تحت لحاء قشر جذوع الأشجار الملقاة على الأرض فى تلك المنطقة من غابات السنديان . ومجتمعه يتكون من (ملكة) مهمتها أن تحافظ على نظام المستعمرة ، وأن تضع البيض ، الذى يفقس عن يرقات تتحول إلى عذارى لتنفلق كل واحدة عن نملة كاملة قد تكون ذكرا أو أميرة أو شغالة ، وعلى هذا ، فإنك لو نقبت فى مستعمرة من مستعمرات هذا النوع من النمل ستجد حجرات متعددة ، حجرة للبيض ، وأخرى لليرقات ، وثالثة للعذارى ، ثم مخازن الطعام ، ولا ننسى حجرة الملكة . وهو فى ذلك لا يختلف كثيرا عن معظم بيوت النمل التى تحفر مستعمراتها فى الأرض كما ذكرنا – سابقاً – فى مقالة على صفحات هذه المجلة الغراء . ولكن مستعمرات هذا النوع من النمل تتميز بحجرة فريدة من نوعها يمكننا أن نسميها (حجرة النوم) .. أو المخبأ .

النوم العميق

يصعب على كثير من النمل أن يتحمل فصل الشتاء فى غابات السنديان ، ولكن النمل الأحمر أعد العدة لمجابهة هذا الفصل ، فمع بداية الصقيع تقوم الشغالة برحلات مكوكية لتنقل البيض واليرقات والعذارى إلى حجرة تحت الأرض أعدت خصيصا على عمق ١٧ سم تقريبا لكى تكون ادفأ من باقى المستعمرة ، وعندما تتم هذه العملية تدلف الملكة إلى تلك الحجرة تحف بها كوكبة من رعاياها ، ويتوالى وصول باقى النمل حيث يتجمع الكل حول الملكة واليرقات والبيض والعذارى فى كتل كعناقيد العنب ، ويستغرق الجميع فى سبات عميق طويل ، كسكان مدينة خيالية سحرها ساحر شرير ، حتى حلول فصل الربيع .

ولكن يبدو أن الملكة بحسن إدراكها قد استنتجت أنها ستحتاج إلى من يوقظها عندما تخف حدة الشتاء ، ويقوم النمل فى نفس الوقت بالبحث عن الغذاء وتكديسه فى مخازنه ، حتى إذا استيقظت المستعمرة جائعة من طول الصيام وجدت ما تقتات به .

وعلى هذاالأساس تقوم فرقة من النمل العامل بالسهر الدائم على راحة هؤلاء النائمين وتخرج كما رأيناها فى بداية المقال للبحث عن غذائها وغذاء المستعمرة . وعندما تبدأ بشائر الربيع والدفء تقوم بإيقاظ النمل . وفى نفس الوقت يبدأ البيض فى الفقس وتخرج اليرقات فتتغذى فى البداية على البيض الذى لم يفقس بعد ، ثم تقوم الشغالة باطعامها من الفم إلى الفم حتى تتحول إلى عذارى بنية اللون تنفلق بعد فترة عن النِّمال الكاملة ، وما هى إلا شهور قليلة وتكون المستعمرة قد أصبحت تعج بآلاف من الأفراد تنشط فى البحث عن غذائها لتحول بعضه إلى مواد غذائية احتياطية داخل اجسامها تعينها على تحمل فترة السبات القادمة .

المساكن المعلقة

إذا كان النمل الأحمر قد أدرك أن فصل الشتاء هو فصل البرد والجفاف وقلة الغذاء فهداه الله إلى الحل الأمثل ، فنمل الأشجار ، الذى يعيش فى الأماكن الحارة الممطرة ، أدرك أنه يستحيل عليه أن يحفر مستعمراته فى الأرض وإلا غرق مع سقوط أول قطرات المطر ، فلجأ إلى حيلة المساكن المعلقة كبعض طوائف البشر التى ترفع مساكنها على دعائم عالية لتقى نفسها غوائل المطر وارتفاع مستوى المياه فى المناطق التى تعيش فيها ، لجأ نمل الأشجار إلى بناء مساكنه على أفرع الأشجار . وينسج الأوراق ليصنع منها عشاً رائعاً مكونا من العديد من الحجرات تصل بينها دهاليز ممتدة ، وفى نفس الوقت تنزلق قطرات المطر عن سطحه فى يسر . وتبدأ عملية البناء بان تختار العاملات ورقة عريضة فتجذب طرفيها معا وتطبقهما وهى تمسكهما بإحكام بفكوكها وقوائمها ، ثم تلصقهما بمادة تشبه الغراء حتى يتكون منها ما يشبه الحجرة ، وفى ذات الوقت تكون مجموعات أخرى قد تمكنت من بناء عدة حجرات أخرى . ثم تأتى مرحلة وصل الحجرات ببعضها لكى تتكون المستعمرة ، فتقف بعض الشغالة صفاً على حافة إحدى الحجرات وتعلق فيها بمخالبها ، فى حين تمد أفواهها إلى الحجرة المجاورة وتجذبها إليها .. وعلى الفور تقوم مجموعة ثانية بوصل الحجرتين مستخدمة نفس المادة اللاصقة .

ولكننا لم نذكر بعد الشيء الأكثر إثارة فى هذه العملية ، فالشغالة البالغة لا تستطيع إفراز الحرير ، أو بمعنى آخر الغراء اللازم للصق الأوراق ، أما اليرقات فتستطيع أن تفرز هذه المادة بسخاء ولكنها لا تستطيع استعمالها . فتلجأ الشغالة إلى إحضار اليرقات إلى مكان العمل ثم تحملها بفكوكها وتعصرها قليلا لكى تفرز الغراء . وتأخذ « عاملات البناء » أنابيب الغراء الحية « اليرقات » ذهابا وإيابا حتى تحكم وصل الأطراف بتلك المادة . فإذا ما انتهى بناء المستعمرة تعاد اليرقات إلى حجراتها معززة مكرمة فتنام قريرة العين ، وقد

أدت واجبها على خير وجه . وهكذا أدرك النمل فخطط وتعاون ونفذ فنجح فى البقاء .

خبراء فى الزراعة

وهاهو نوع آخر من أنواع النمل لا يعانى مشكلة فى بناء مساكنه ، لكن الذى يؤرقه ، هو رطوبة فصل الشتاء التى تجعل مخزونه من الحبوب ينبت ثم يتعفن داخل مخازنه المحفورة فى الأرض والبعيدة عن الشمس ، فهداه الله إلى الحل الأمثل الذى يتلخص فى أن النمل يترك الحبوب حتى تنبت . ثم يحملها إلى سطح الأرض ، ويعرضها للشمس ، وبعد أن تجف يعود بها إلى مخازنه ، وقد اطمئن بالًا إلى استحالة إنباتها مرة أخرى . ويحرص النمل على إنبات الحبة لسبب آخر أكثر طرافة . فالنمل عامة يعشق المواد السكرية ، وفى أثناء عملية إنبات الحبة ، يتحول جزء من (النشا) والزلال إلى مادة سكرية حلوة يستمتع بها النمل كل الاستمتاع .

أبقار النمل

وما دمنا نتكلم عن عشق النمل للمواد السكرية ، يجدر بنا أن نلقى نظرة على حظائر أبقار النمل .

أبقار النمل عبارة عن حشرات متعددة الأنواع يربيها النمل كما تُربى الأبقار والأغنام ، ويؤيها فى حظائر خاصة داخل المستعمرة ، ويقودها إلى المراعى ، ويحرسها ويحلبها .

وكما يعشق النمل العسل الذى تفرزه أبقاره ، يهيم العلماء بالتلصص على النمل وحظائره ، ويلجأون فى سبيل ذلك إلى مختلف الحيل ، فمنهم من يبنى للنمل مساكن مطابقة للأصل ولكنها مصنوعة من الزجاج الشفاف لكى يستطيع متابعته ، ومنهم من يفضل المشاهدة على الطبيعة ، وهاهو أحدهم يحفر فى أحد مساكن النمل بهمة ونشاط ، وبطريقة فنية دقيقة ، ثم ينحنى ليلتقط بسرور عظيم وحرص بالغ حشرة صفراء أو بنية اللون تبلغ (٢,٥ سم) طولا وتبدو أقرب إلى الخنفساء منها إلى النملة ، ثم يقرب عدسة مكبرة منها وهى تحاول جاهدة الفرار فما هى ياترى ؟؟

محبوبة النمل

إنها بالتأكيد ليست نملة وإنما هى « محبوبة النمل » ، نوع من الخنافس تتبع فصيلة (كلافيجريدى) تعشقها بعض أنواع النمل ، والدليل على عشقها أنها تفرد لها جناحا خاصا داخل المستعمرة ، وتجلب لها الطعام ، وتسهر على راحتها ، ثم تحلبها فتحصل على شراب حلو يتغذى به النمل . وهذا هو السبب الوحيد لِوَلَهِ النمل بتلك الخنفساء ، ففى عالم الحشرات ، ينبع الحب من المنفعة ، ولو حدق أن توقفت « محبوبة النمل » عن افراز ذلك السائل ، لجرها النمل ، وألقى بها خارجا غير أسف عليها ، بل ربما هجم عليها وأكلها دون أن يشعر بغضاضة فى ذلك .. كبعض أفراد البشر تماما .

البقر البرى

هنا نوع آخر من الخنافس شبيهة « بمحبوبة النمل » ولكنها أكبر قليلا فى الحجم ، يعثر عليها النمل

شاردة تحت الأحجار فيقتادهـا إلى مساكنـه ، ويروضها فى حظائر خاصة ويربيها ثم يحلبها .

إذا كان النوعان السابقان من الخنافس يحلبهما النمل بسهولة فهناك خنفساء أخرى تسمى « كريما ستو كيلاس » لكى يحصل النمل على إفرازاتها لابد له من أن يستخدم العنف . فهى لا تفرز السائل المطلوب منها إلا إذا لدغها النمل فى مواضع زغبية ذات غدد توجد على صدرها .

حشرة ذكية

رغم أن هناك الكثير من الحشرات التى يربيها النمل ليحصل على إفرازاتها ، وبعضهـا ليس له وجود إلا فى مستعمرات النمل ، إلا أن حشرة واحدة هى التى استطاعت أن تلعب بمهارة على الوتر الحساس للنمل وهى حشرة « المن » . ومن منا لم يعرف تلك الحشرة الصغيرة الحجم ذات اللون الأسود أو الأصفر أو الأخضر التى تتغذى على عصارة النبات ، وتسبب الكثير من الاضرار للمزروعات . أما النمل فلا ينظر إلى حشرة المن تلك النظرة التشاؤمية ولكنه يهتم ببراز المن ، تلك المادة العسلية التى يحبها ، فيعمد إلى اقتياد المن إلى مستعمراته ليحلبها . ويبدأ بأن يداعب مؤخرة بطنها بقرون استشعارة فتفرز فى الحال قطرة من عسلها . ويبدو أن المن يرتاح إلى تبنى النمل له فيكافئه بأن يفرز عسله بهدوء بدلا من إطلاقه دفعة واحدة ، ويذعن إلى ما يريده النمل فلا يفرز عسله إلا عندما تداعب مؤخرة بطنه ، أى فى الوقت الذى يريده النمل ، ويرد النمل له الجميل بأن يحميه ويسهر على راحته ويقتاده يوميا إلى الكلأ .

الراعى المحترف

برغم أن الكثير من أنواع النمل (يدجـن) الحشرات ويربيها فأن نوعا واحدا منها هو الذى أثار عجب الباحثين ، ذلك النوع الذى يسمى « بالنمل الأشهب » أو نمل الرعاة . لقد اكتشف أن نمل الرعاة يدجن ويربى أكثر من ٦٥ نوعا من الحشرات داخل مستعمراته ، برغم أن كل نوع منها يحتاج إلى غذائه الخاص ، وظروف تربية مختلفة عن بقية الأنواع الأخرى يوفرها له هذا النوع المحترف من النمل .

وبعـد

يقول الكاتب (إيفان تورجنيف) « أكثر ما يبهرنى فى النملة جديتها المدهشة . إنها تركض رواحا ومجيئا وفى مظهرها عظمة وأهمية . وكأن لحياتها معنى ما ! حقاً ، إن الإنسان ملك الكائنات ، المخلوق الاسمى ، يتطلع إليها باهتمام فلا يبدو عليها اكتراث به » .

ولكن لحياة النملة معنى حقا ، ومن حيـاتها نستشف حكمة هائلة تقول : إن العمل المنظم الجاد ، والتعاون المخلص ثمرته البقاء (١٠٠ مليون سنة) .

وبعد ، ماذا يمكننا أن نضيف إلا أن نردد قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾

(ســوره النحــل)

الجديد في العلم والتقنية

إعـداد د . نجوى السيد أحمد

أول أطلس فضائى مصور لأراضى مصر

انتهى خبراء مركز الاستشعار عن بعد من إعداد أول أطلس مصور للأراضى المصرية بالكامل يكشف عن أسرار باطن الأرض المصرية بما فيها من معادن وبترول ومياه ورمال وجبال ومواد بناء . وقد تم إعداده بالاستعانة بأحدث الأجهزة العالمية .

أحدث جهاز للتنفس الصناعى

توصلت إحـــدى الشركات الأمريكية إلى أحدث جهاز للتنفس الصناعى بالتردد يجنب المريض المضاعفات الناتجة عن استخدام الأجهزة الميكانيكية . الجهاز عبارة عن قميص يلبسه المريض متصل بخرطوم هوائى فى آخره جهاز لضبـــط الهواء ، وهـــو يعمـــل « بالكمبيوتر » ، ويستخدم فى الرعاية المركزة لتحسين وظائف الرئـــة فى حالات الربـــو وفى الجراحات الدقيقة مثل عمليات القلب المفتوح ، ويعمل الجهاز بأسلوب التفريغ النسبى للتهوية . من مميزات الجهاز الجديد أنه يغنى المريض عن وضع أنبوبة القصبة الهوائية داخل فم المريض والتى تسبب بعض المتاعب فى الحنجرة والقصبة الهوائية ، كما أنه يبتعد عن مضاعفات الضغط على الرئتين والتى تسببها الأجهزة الميكانيكية .

غذاء لمرضى السكر

نجح العلماء اليابانيون فى اختراع مادة تقلل الشهية لتناول الطعام فتساعد مرضى السكر على التحكم فى نسبة الجلوكوز فى الـــدم . الاكتشاف عبارة عن مادة غذائية تمكث فى المعدة طويلة وبذلك تعطى الشعور بالشبع ، وهى خليط من الألياف القابلة للانحلال فى الماء ونوع من « البوليسين » يكونان معا مادة « جيلاتينية » تمتص الماء وبعض السكر من الغذاء الذى يتناوله الشخص فيما بعد ، وهكذا تمنع السكر من الانتقال إلى الدم فتخفف من أثـــره لدى مرضى السكر .

أضرار الإكثار من تناول الفيتامينات

كشف بحث طبى بريطانى أن الإكثار من تناول الفيتامينات بأنواعها المختلفة يؤدى إلى الاصابة بعدد من الأمراض . وأكدت التجارب أن الأشخاص المصابين بأمراض خطيرة كالسرطان والذين يقومون بابتلاع أكبر كمية من الفيتامينات فى محاولة لتقوية مناعة أجسامهم ينتهون نهاية سريعة على عكس ما هو متوقع . كما أن تناول أكثر من خمسة جرامات من فيتامين « ج » فى اليوم يؤدى إلى احتمالات الاصابة بأمراض الكلى ، وتجاوز الجرعات المقررة من فيتامين «أ» يؤدى إلى الاصابة بتليف الكبد ، والإكثار من تناول فيتامين « ب » يتلف الأنسجة العصبية .

آلة كاتبة تصحح الأخطاء

انتجت إحدى الشركات اليابانية آلة كاتبة الكترونية تقوم بمراجعة وتصحيح هجاء كلمات النص بالاضافة إلى قدرات التخزين ، وتتميز بالسهولة وبساطة الاستعمال ومزودة بشاشة عرض وتعمل بالبطارية أو بالكهرباء .

جهاز يعمل ذاتياً فى أعماق البحار

أعلنت شركة الاتصالات الدولية اليابانية أنها ابتكرت جهاز « روبوت » يقوم بفحص كابلات الألياف البصرية على عمق ١٠٠٠ متر تحت سطح الماء ، ويستخدم فى البحث عن مصادر الثروة فى أعماق البحار . ويبلغ طول الجهاز ٢,٣ متر ، وعرضه ٢,٨ متر وارتفاعه ٦٠ سنتيمترا ، ويمكنه التحرك بسرعة « اتوماتيكية » ويعمل ٤ ساعات متواصلة دون توقف .

محطة عالمية لاستقبال الإرسال

انتجت إحدى الشركات الفرنسية محطة استقبال عالمية يمكنها التقاط الإرسال من جميع محطات الأقمار الصناعية الحالية الموجودة فى أوربا . ويتوافر هوائى هذه المحطات فى ثلاث مقاسات ويتم وضعه رأسيا لتفادى تراكم مياه الأمطار والثلوج فيه مما يضمن استقبالا جيداً مهما كانت الأحوال الجوية . ويتم استقبال البرامج من أى قمر صناعى بغض النظر عن نوع الاستقبال الذى يتم نقل الإشارات بواسطته .

القلم الأصبع للمعوقين

ابتكر مهندس سويدى القلم الاصبع وهو عبارة عن خاتم مصنوع من البلاستيك المرن ، يمكن للشخص المصاب بنوبات حادة من الارتجاف فى يده وضعه بسهولة فى أى اصبع من أصابع يده ، فينساب الحبر من تحت الأصبع عندما يضغط على القلم ، ويكتب بسهولة دون حاجة إلى التركيز العصبى الذى تتطلبه عملية الأمساك بالقلم العادى . والقلم الأصبع مثل أى قلم حبر جاف يمكن رميه بمجرد أن تفرغ أنبوبة الحبر به .

السيارة الطائرة

اخترع مهندس أمريكى سيارة جديدة تسع أربعة أشخاص ويبلغ طولها خمسة أمتار وعرضها ثلاثة أمتار ، تستطيع الدخول والخروج من « الجراج » العادى ويمكنها أن تطير بسرعة ٥٠٠ كيلو متر فى الساعة ثم تهبط عموديا فى أى شارع أو ميدان . السيارة تستهلك لترا واحدا من البنزين فى كل خمسة كيلو مترات .

بين المجلة والقارىء

إعـداد : د / محمد عبد الحكيم محمد

يطيب لمجلة الأزهر أن تضم ـ لأبوابها الثابتة ـ بابًا آخر عنوانه « بين المجلة والقارىء » ليكون همزة الوصل بينها وبين قرائها ، ولقد سبق للمجلة أن قدمت هذا الباب لكنه سرعان ما اختفى حين تلقى المحرر من خلاله رسائل لا تمت إلى رسالة المجلة بصلة ، ورسالة المجلة يمكن إيجازها فى أنها « رسالة الأزهر بمختلف مؤسساته العلمية » وفيما تقدمه المجلة من دراسات إسلامية وأدبية وأبواب ثابتة خير دليل على الاضطلاع بهذه الرسالة .

وها نحن نعيد الباب آملين أن يُسهم ـ عن طريق القارىء ـ فى هذه الرسالة إيمانا منا بأن قارىء المجلة العلمية عادة رجل متخصص يهتم بمطالعتها وسبر حصادها وتقويم مادتها ، إنه أشبه بالأستاذ المشرف على الرسالة العلمية يتناول جيّدها ويشير إلى ما اعتراها من الأخطاء أو إلى ما كان يجب أن تتزود به بعض مباحثها من الدراسة والتحليل .

ولَكَمْ نرجو أن يشاركنا القارىء بجهده فى ميدانها إذا لزمه تعليق أو استفسار أو استفتاء أو اقتراح ، والتحرير من جانبه سوف يستقبل رسالته ويحتفى بها فى سبيل تلبية الرغبة . والله تعالى من وراء القصد .

جوائز الشعراء

● بهذا العنوان تلقت المجلة من الأستاذ أحمد المنشاوى الوردانى مقالًا مختصرًا على عجالة سريعة حتى ليعتبر المقال لمحة فى بابه ، وكم ترجو المجلة أن تسعد به بحثًا أبسط مساحة زمنية شاملة لهذا الموضوع ، وأثره فى الاتجاه الفنى لبعض الشعراء والتكسب به ، مما يُفيد طالب الأدب العربى ، ويجعله مرجعًا له .

دعوة إلى الله

وأرسل الشاعر الأستاذ / عبد العاطى موسى قصيدة كانت انفعالًا بالزلزال جاء فيها :

إن كان قد قام فى الأوطان زلــزالُ ... من بَعْـدِهِ الـدارُ أنقـاضٌ وأطـلالُ
والنـاس من خوفهـم فى كل زاويـة ... يكـون حالًا .. وساد الكـلَّ أحـوالُ
فكيـف نغتـر بالدنيـا وزينتها ؟ ... أيـدرأ الحقَّ أحسابٌ وأمـوال ؟!
أَلَا أفيقـوا أُولى الألبـابِ واعـتبروا ... هذا نذيـر وعنـدى الآن تِسْـأَلُ
هل النفـوس التـى ضَلَّتْ نُرَمِّمُهَـا ؟ ... أم الديـار التـى تَهْـوِى وتنهال ؟
فالبعض قد حاد عن درب الهُدَى فَرِحًا ... المالُ محرابُـه .. بالإفك يحتـالُ
والبـعض يمضى إلى الحانـات فى وَلَـهٍ ... والبـعض من جَهلـهِ يزهـو ويختـالُ
لهم قلـوبٌ من الإيمان خاويـة ... جَثَـمَتْ على مَتْنها بالسقـم أقفـالُ
والبِرُّ قد غاب .. والأرحـامُ نقطعهـا ... فلا قريبٌ ولا عَمٌّ ولا خالُ
ورحمةٌ من قلـوبِ النـاس غائبـةٌ ... وَيَشْهـد الظلَـمَ ميـزانٌ ومكيـالُ
مساجـدُ الله تدعونـا ونهجرهـا ... وكل يومٍ لنا فى اللَّهْـوِ ترحَـالُ
وإن دعـا .. ناصحٌ فالنـاس فى صَمَـم ... وإن دعـا عابثٌ .. فالكـل إقبـالُ
وذاك أصبـح لا يخشى مُصَـوِّرُهُ ... للنـاس فى قلبـه خوف وإجـلالُ

تعدد الزوجات والإسلام

كذلك ورد إلى المجلة كلمة عن « تعدد الزوجات » بقلم الكاتبة / عبير عبد الواحد ، وترجع أهميته إلى أنه أحد الموضوعات التى يحلو لبعض المستشرقين ــ ومن نهج نهجهم ــ الطعن فيه على الرغم من توضيح العلماء والمفسرين والدارسين لأمره وإفاضتهم فيه بحثًا وتفصيلًا ، إلا أن أعداء الإسلام هم كما وصفهم ربنا تبارك وتعالى بقوله :

﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الأعراف/١٤٦ .

ومن ثم لا يزالون يستهدفون هذا الموضوع للنيل من الإسلام بتشويه صورته أمام الغرب عامة والمرأة الغربية خاصة تنفيراً لها من هذا الدين الغنى عنها وعن كل البشر ، وهذا ما حاولت الكاتبة معالجته فى حديثها . ومن ذلك قولها : « كان التعدد شائعاً عند العرب قبل بزوغ الإسلام ، وحينما أتى الإسلام بيّن لهم الله عز وجل أفضلية الاقتصار على زوجة واحدة وأنه أفضل السبل وأقربها إلى العدل وعدم الظلم والجور الذى يُلقى بصاحبه فى التهلكة ، وحصر هذا التعدد فى أربع زوجات ، لأن التعدد ضرورى بلا شك لاسيما فى العديد من الحالات : كمرض الزوجة بمرض يمنعها المعاشرة الزوجية ويقابل ذلك حق المرأة فى طلب الطلاق والزواج بآخر إذا لحق هذا الأمر الزوج وفى ذلك تيسير للرجل ورحمة بالمرأة وصونا لها .

أيضا فى حالة عدم قدرة المرأة على الانجاب ، ويقابل ذلك حق المرأة فى الطلاق إذا كان نفس العيب فى الرجل .

وكذلك فى (حالة) كراهية المرأة لزوجها ورغبتها فى نفس الوقت البقاء كزوجة له حرصاً على وضعها الاجتماعى ومستقبل أولادها .

وكذلك فى حالة نقص عدد الرجال وزيادة عدد الاناث زيادة مفرطة ، كما فى (حالات) الحروب والأوبئة .

أليس هذا أفضل من إنتشار الفساد والتردى فى المجتمع كما هو الحال فى الغرب حاليا .

هذا ، ومن أسفار أهل الكتاب ـ وبخاصة العهد القديم ـ نصوص صريحة فى حل تعدد الزوجات لا تخفى على فاحص أمين ، منها على سبيل المثال ما فى (صموئيل ٥) و(سفر الملوك ١١) .

ثم تنتهى الكاتبة إلى هذه الاستنتاجات :

أولًا : أن الإسلام لم يجعل تعدد الزوجات أمراً مستحباً ، وإنما حصره وقيده بشروط صعبة تضمن العدالة ووفرة الحق .

ثانياً : أنه أجاز التعدد لأسباب وضرورات وجيهة ملحة بحيث لا يستقيم للبشر حياتهم بدونه فى كثير من الأحيان .

ثالثاً : فضل الإسلام الاقتصار على زوجة واحدة بشرط العدالة معها أيضا ، والا فلا فإن الظلم حرام .

وأخيرًا ألا ترى معى مدى رقى الإسلام ورفعه من شأن المرأة ، بل إن المرأة بدونه ضائعة ، والابتعاد عن تعاليمه العظيمة فى هذا الأمر يكون سببًا فى انتشار الفساد والموبقات والرذائل فى المجتمعات .

نظرات فى كتاب الأمالى لأبى على القالى

كما ورد إلينا فى بريد المجلة أيضاً تلك الدراسة الأدبية القيمة التى أعدها الأستاذ محمد السيد مرزوق ـ المدرس بمعهد طنطا الأزهرى والمعار حاليًا لإحدى البلاد العربية ـ عن كتاب الأمالى لأبى على القالى أحد أسلافنا الذين خلدتهم أعمالهم وعلومهم ، ومما جاء فى هذه الدراسة قوله :

ومن أجل أعماله كتابه « الأمالى » الذى عكف على تأليفه فى قرطبة وجاء به إلى الناس حلة نادرة يتزين بها الأدباء ، ويتحلى بجمانها المفكرون .

ولقد حوى المؤلف فى كتابه من كل (فن) بعد الكتاب العزيز والحديث الشريف ، وفيه من آثار العرب ما لا يوجد فى سواه مع الدقة التامة فى البحث عن حقيقتها .

ومن طرائف ما أورده أبو على القالى فى كتابه حديث رجل من الأعراب تزوج اثنتين وقد قيل له من لم يتزوج اثنتين لم يذق حلاوة العيش فتزوج امرأتين ثم ندم فأنشأ يقول :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى ... بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفا ... أنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحى وتمسى ... تداول بين أخبث ذئبتين
رضا هذى يهيج سخط هذى ... فما أعرى من إحدى السخطتين
وألقى فى المعيشة كل ضُرٍ ... كذلك الضرَّ بين الضرتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى ... عتاب دائم فى الليلتين
فإن أحببت ان تبقى كريما ... من الخيرات مملوء اليدين
فعش عزبا فإن لم تستطعه ... فضرباً فى عراض الجحفلين

إلى غير ذلك من هذه الألوان الرائعة من الشعر والأدب ، ويختتم الكاتب مقالته بتقريظ الكتاب قائلا :

« فهو كتاب أدب ولغة ونحو وصرف .. وحكم ومواعظ .. وأخبار وأمثال .. وأنساب وألقاب .. وأوصاف ومترادفات .

ولا غنى لكل أديب ونحوى أو لغوى .. وكل من اشتغل بفنون هذه اللغة .. عنه .

وعندما أقدم هذا الكتاب فالصواب أنه أعظم من أن تحيط به صفحات .. وأعظم من أن تعبر عنه كلمات .. فما تقديمى له إلا لمحات مختصرة وأضواء قليلة مسلطة على محيط تباعدت منه الشطآن .. وتناهت منه الأغوار .. واكتنز بأعماقه ما يبهر الفكر وتنتشى به الروح » .

أدب الأطفال ووسائل الإعلام

وتلك كلمة أخرى نقلها إلينا البريد من الأستاذ / سليمان عبد الحميد الفقى شيخ معهد قراءات دمنهور بالبحيرة ، تناول فيها جانبًا من التوجيه القرآنى فى تنشئة الأطفال وتأديبهم ، يقول فيها :

رعاية للآداب الإسلامية ، وإبعادًا للطفل عن المناظر المؤثرة فى حياته : أمرنا الله عز وجل بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ سورة النور ــ ٥٨

فالآية تقرر استئذان الأطفال فى هذه الأوقات الثلاثة ، وسماها القرآن عورات لانكشاف العورات فيها غالبا ، فهم يستأذنون لئلا تقع أعينهم على منظر قبيح مؤثر فى حياتهم ، ومن مبدأ التزام الإسلام برعاية الأطفال يجب أن تتعاون وسائل الإعلام المختلفة على خلق جيل صالح أدبه الإسلام وخلقه القرآن الكريم ، أما الأدب الفاحش والمسرحيات الهابطة والأفلام المثيرة للغرائز فكل ذلك وسائل هدم وتحطيم لنفوس أطفالنا ، فلنتق الله فى أطفالنا بأن نرعاهم ونبعد عنهم شبح الأفلام الجنسية وأفلام العنف ، وأن نخلقهم بأخلاق القرآن .

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما .

ردود خاصـة باشتراكات المجلة

● إلى الإخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

● وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ــ بنسخة واحدة شهرية ــ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الإخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ــ قسم الاشتراكات ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقاً .

حوار مع الإمام الأكبر

فى الآونة الأخيرة عاشت مصر حوادث عنيفة غير مشروعة استهدفت سلامة المجتمع وأمنه ، وقد أثارت هذه الظاهرة قضايا عدة دار الجدل حولها بحثاً عن أسلوب أمثل تصحيحاً للفكر ، ووقاية للدين مما يلصق به من مفاهيم خاطئة .

ونظراً لأهمية هذا الموضوع كان لقاءٌ بفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر لمناقشة هذه الحوادث وسبل القضاء عليها ، وقد تفضل بالإجابة عن جميع ما طرح عليه من أسئلة ، وهذا نص الحوار :

يجب دراسة ما أصاب حياتنا الاجتماعية من سلبيات الإســـلام يأمر بعدم الاعتداء على المسلمين وغيرهم

□ **فضيلة الإمام ... هل القتل والعدوان كفر ؟**

● ● الإمام الأكبر : لا يصح أن نتجاوز وان نحكم على أحد بالكفر فالحرام ما حرمه الله والأعمال التى تضر بالناس والمجتمع ممنوعة ومحظورة .. وحدود المحظورات والممنوعات فى المجتمع تركت لولى الأمر .. لكن التكفير ليس من سلطة الناس حتى ولوأتوا بالحرام ، لأن حدود التحريم واضحة وعقابها واضح .. إن لولى الأمر أن يضع النظم التى تخدم صالح الجماعة ، ومن يخرج عليه يعـاقب بالقانـون ، وولى الأمـر هو صاحب الحق وصاحب النظرة التى تحدد حدود المصالح العامة .. إن الحلال كما قلنا : هو ما حلله الله والحرام هو ما حرمه .. والممنوع المحظور هو ما يضر بالمجتمع كما يراه ولى الأمر وقد يكون محظورا مؤقتا اقتضته مصلحة الجماعة .

□ **فضيلة الإمام .. دعنا نقترب أكثر ونسألك الرأى فى هذا العمل الذى تقوم به بعض الجماعات وتعتدى على حياة السيائحين رافعة شعار الإسلام غير مراعية لحرمة أو محظور ؟**

● ● الإمام الأكبر : مثل هذه الأعمال تدخل فى نطاق العدوان الذى حرمه القرآن نصا : «ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق» ومرة أخرى : الحق هو القصاص ولكن لابد ان نؤكد هنا ان القصاص يكون عن طريق القضاء .

□ **فضيلة الإمـام .. الملاحـظ فى هذه الجرائم أن المحرضين عليها قد استغلـوا الفتيان والصبية ؟**

● ● الإمام الأكبر : بكل صراحة العيب هنا فى القانون الذى رفع سن الحدث إلى ١٨ سنة ، لأن من بلغ هذه السن ليس طفلا .. ولذا يجب ان يعدل القانون ، لأن استمرار الوضع على ما هو عليه من شأنه تهيئة الفرصة وإغراء المحرضين لدفع الصبية لارتكاب هذه الجرائم للاستفادة من قانون الحدث الذى لا يطبق عليه القصاص .. علينا أن نعود إلى القاعدة الإسلامية التى تحدد البلوغ : إما بالاحتلام أو بلوغ سن الخامسة عشر ، وهى سن لا يجب تجاوزها ، وهذا الإجراء هو وجه من وجـوه الإصلاح التى يجب أن تحد من هذه الجرائم ، واستغلال الشباب ، لأن من سيقوم بهذا العمل سيصبح مجرما وقاتلا يحق عليه القصاص .. وسن الخامسة عشر رأى متفق عليه فى الفقه الإسلامى كله .

ودعنى اتساءل : من جعل الصبية يحملون السلاح ، وفى ظل حماية كاملة من القانون .. القانون يحميهم ، لأنه اعتبرهم أحداثا لا يطبق عليهم القصاص ، وإنما يتبعون مراكز الأحداث .. إذا غيرنا القانون ، ونحن فى دولة القانون سيقع القصاص على كل قاتل أو معتد .

□ فضيلة الإمام .. كل واحدة من هذه الجماعات المحرضة أو الأمراء الفاعلين يعتبر نفسه مرجعا إسلاميا . فما قول فضيلتكم فى هذا ؟

● ● الإمام الأكبر : المرجع هو الدولة وهى التى تحدد المسئولية ، وهى التى تحدد أيضا المرجع بالنسبة لحكم الشرع وإلا كان من حق مدعى الإمارة أن يقدموا أنفسهم أولياء للأمر ، وهذه قضية يجب أن تتصدى لها الدولة بقوة ، وأعود للتساؤل مرة أخرى : أين نبت هؤلاء الأمراء ، ومن نصبهم أمراء ؟! هذا أمر لابد من دراسته .

ثم هل اعترفت الدولة بإمارتهم ؟

هل عرفت ولم تتصرف حيالهم ؟

هل يمثلون دولة داخل الدولة ؟

هذه أمور من اختصاص الدولة ومسئولياتها وعليها أن تبحث عن الأسباب التى دفعت بالبعض أن ينصب نفسه أميرا يتكلم باسم الشرع ويفتى .

على الدولة أن تعرف كيف نشأوا ؟ ثم تقدم العلاج وتبحث أساليب المواجهة مع المختصين .

□ فضيلة الإمام .. بدأت حديثك بالآية الكريمة «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض» فهل فى الآية تحديد لمسئولية كل فرد ؟

● ● الإمام الأكبر : هذا صحيح والحديث الشريف يقول «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».. فالمدرسة والبيت والجامعة لكل منها دوره ومسئوليته .. والمجتمع أيضا له دوره .. وبالتالى الكل مسئول عن نشأة مدعى الإمارة ، ومسئول كذلك عن التصدى له ، وعلينا أن نتساءل : هل قامت كل جهة بواجبها فى مواجهة هؤلاء ، وفى متابعة أعمالهم ، والعمل على احتوائها .

للأسف نحن أمام أكثر من جيل قام بهذا العدوان ، ونصب نفسه مفتيا أو أميرا .. أى أننا لم نقم بواجبنا كما ينبغى .

□ فضيلة الإمام .. نحن دولة إسلامية .. فهل من حق منظمة أو جامعة أن تعلن نفسها مسئولة عن الإسلام ، وعن الحديث باسم الدين ؟

● ● الإمام الأكبر : من حيث الإسلام كدين من حق كل مسلم أن يتحدث باسم الدين .. لكن أعود وأوضح ما معنى الحديث باسم الدين .. الحديث الذى أعنيه لا يتناول فقه الدين ، ولا يقدم الفتوى ، وإنما هو إعلان من جانب الفرد بإسلامه .. وإعلان بالعمل به .

□ فضيلة الإمام .. هل يمكن أن نسمى هذه الموجة من الإجرام والقتل ردة وعودة إلى الجاهلية ؟

● ● الإمام الأكبر : أفضل استبعاد وصف الردة عن هؤلاء المجرمين .. هم فسقة ومذنبون وليسوا مرتدين .. عملهم عدوان على الإسلام نفسه .. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه

ويده .. ومن يخرج على هذا المبدأ يعرض نفسه للمحاكمة والقصاص .. وأسمى كل خارج بجريمته .. هو قاتل إذا قتل .. سارق حينما يسرق لكنه ليس مرتدا .

□ **فضيلة الإمام .. المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .. أما الألمان أو غير المسلمين أفلا يدخلون فى هذا الحكم ؟**

● ● الإمام الأكبر : لا .. ليس هذا صحيحا . الإسلام أمرنا بعدم العدوان على كل الناس .. والشريعة الإسلامية تخاطب المسلمين وغير المسلمين .. وتحث على حسن معاملة غير المسلمين سواء داخل ديار الإسلام أو خارجها .

وحينما يتحدث الإسلام عن المعاملة فهو يخاطب كل الناس .

□ **فضيلة الإمام .. هؤلاء الصبية يحملون السلاح ويعتدون على أناس أبرياء .. فما جزاؤهم ؟**

● ● الإمام الأكبر : الحكم هنا واضح .. فالله سبحانه وتعالى ـ يقول : « إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ » والمقصود هنا فى الآية الكريمة :

الذين خرجوا بقوة السلاح على المجتمع ، وقتلوا وسرقوا .. والذى يخرج بقوة السلاح ـ حتى ولو كان فى المدينة ـ تطبق عليه أحكام الإسلام ويحاكم بما نصت عليه الآية .. والحكم هنا .. مواجه الجرم .. مواز له .

□ **فضيلة الإمام .. نلاحظ أن صوت الأمن قد ارتفع لمواجهة ظاهرة العنف التى تعاظمت فى الآونة الأخيرة .. هل معنى هذا أن كل الأجهزة الأخرى فشلت فى القيام بواجبها ؟**

● ● الإمام الأكبر : السلاح لا يواجه بالكلمة .. من يحمل سلاحا يواجه بآخر يحمل السلاح ، فكيف نواجه من خرج يحمل سلاحا يعتدى به على الناس بالكلمة الهادئة والنصيحة المخلصة .

الكلمة تؤدى دورها فى موقعها ، والمدرسة فى موقعها ولابد أن نتساءل ، أين رعاية الأسرة ؟! أين مسئولية الأب ؟ لماذا لا نعلم أبناءنا حدود الحلال والحرام .. ؟ أين البرامج التليفزيونية التى تؤدب وتعلم .. هل هى كافية ؟ هل ما هو موجود من برامج ومواد التربية الإسلامية كاف ؟

يقول الله ـ سبحانه وتعالى : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ». التوجيه شامل .. ووقاية النفس والأهل تكون بحسن النظر فى الأمور ، وتنبيه الأهل إليها والرسول ﷺ يقول : ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم .. «علموا أولادكم الصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر» وكان الناس منذ سنوات يتعرضون لأى شاب

ضرورة تصدى الدولة لمن يفتى بغير علم
لماذا لا نعلم ابناءنا حدود الحلال والحرام

يعاكس فتاة أو سيدة فى الشارع ، وتأخذهم الشهامة للحفاظ على كرامة الفتيات والسيدات .. هل هذا موجود الآن ؟!

لابد أن نبحث عن السلبية التى أصابت حياتنا الاجتماعية ، ونقف على أسبابها ، ونعالجها العلاج الأمثل .

☐ **فضيلة الإمام .. نلاحظ ان الحوار الفكرى بين العلماء وهؤلاء الشباب الذين ضلوا الطريق مفتقد .. ترى ما أسباب ذلك ؟**

● ● الإمام الأكبر : وأين هؤلاء الشباب لكى يذهب إليهم العلماء .. دلونا عليهم ومستعدون للذهاب إليهم أينما وجدوا لمحاورتهم ، ومحاولة تصحيح أفكارهم.

☐ **فضيلة الإمام .. هناك خوف على العلماء من تصرفات هؤلاء الشباب خاصة ، وأنهم يتهمون العلماء بأنهم علماء سلطة ؟**

● ● الإمام الأكبر : هذا قد يكون صحيحا وحدث بالفعل فى إحدى المحافظات .. فقد اعتدى بعض الشباب على بعض العلماء الذين ذهبوا إليهم لتوجيههم ونصحهم .. لكن العلماء مع ذلك مستعدون للذهاب إلى هؤلاء الشباب .. والواقع ان المسألة فى حاجة الى ترابط الجهات كلها فالذى يتكلم لابد أن يكون معه من يحميه .

☐ **فضيلة الإمام .. ما رأى فضيلتكم ف تعبير «الجماعة الإسلامية» وهل ف الإسلام جماعات وفئات ؟**

● ● الإمام الأكبر : أنا غير راغب فى ذكر اصطلاح أو مسمى «الجماعة الإسلامية» إطلاقا .. وأنا لا أجاريهم فى هذا .. لأن الجماعة الإسلامية لا تسرق ولا تقتل ولا تنهب ولا تقطع الطريق ولا تعتدى على الآمنين .. هذا إذا أردنا بالجماعة الإسلامية الأمة الإسلامية .. إنما لايكون المسلم قاتلا ولا سارقا ولا قاطعا للطريق ، لأن الله قال : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ المائدة/ ٣٣ .

☐ **فضيلة الإمام .. ما انتماءات الجماعات التى تسمى نفسها بالإسلامية ؟**

● ● الإمام الأكبر : لابد أنها تلقت مبادئها عن معلم ولابد أن يكون لها قائد . هناك من يقولون إنهم من أتباع أحمد بن حنبل أو محمد بن عبد الوهاب أو ابن تيمية ، فإنه يجب أن نعلم أن فقه الإمام أحمد فى العبادات والمعاملات من أيسر المذاهب ، إن لم يكن أيسرها جميعا ، وعباراته فيها سلاسة وعذوبة . والإمام محمد بن عبد الوهاب رجل مصلح وليس متطرفا . أما الإمام ابن تيمية فهو شيخ الإسلام ، وله فتاوى شديدة فى بعض الأمور ، إلا أننا نعرف أنه كان موجودا فى زمن حرب ، والحروب لها ظروفها ، ولها فتاواها التى تناسبها اعتمادا على الكتاب والسنة ، فإذا انتهت الحرب انتهت ظروف هذه الفتاوى . والفتاوى تتغير بتغير الزمان والمكان ولكنها لا تخلو من الأصول الشرعية ، والجماعات التى تسمى نفسها بالإسلامية بعيدة كل البعد عن هؤلاء الأئمة وافرادها ينسبون إلى الأئمة ما لم يقولوه .

لكن قد يكون التشدد فى الأحكام نتيجة

الأزهـــر لم يفقـد دوره أبـداً بل زادت أعبـــاؤه
الإعلام المصرى لا يعكس دور الأزهر فى تصحيح المفاهيم

التسيب على الجانب الآخر . وعلينا أن نعلم إن الإصلاح بالتيسير أفضل كثيرا منه بالتعسير والتشدد ، فالنبى ـ ﷺ ـ لم يضرب أحدا إلا بالسواك ، والضرب للأبناء على ترك الصلاة يكون باليد وليس بالعصا ، لأن اليد تتعب من الضرب بها فيكون هذا داعيا إلى الإقلال من الضرب ، وهى لا تؤلم كثيرا ، وذلك بخلاف الضرب بالعصا . فهو موجع للمضروب ولا يتعب يد الضارب .

□ فضيلة الإمام .. هل من حق أحد أن يكفر المجتمع ؟

● ● الإمام الأكبر : هذا خطأ فإن حدث فقد باء به أحدهما .. ومن يفعل ذلك يكون هو الكافر .

وهؤلاء إذا كانوا يدعون إلى الله حقا تكون الدعوة وفقا للقرآن والسنة :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل / ١٢٥ .

هذا هو مبدأ الإسلام .

□ فضيلة الإمام .. ما حدود دور الأزهر فى مكافحة ظاهرة العنف والإرهاب .. خاصة وأن البعض يلقى المسئولية على الأزهر ؟

● ● الإمام الأكبر : الأزهر وعلماؤه على أرض مصر بين الناس فى أفراحهم وفى أتراحهم ينصحون ، ويهدون الناس إلى الصواب ، لكن ما يملكونه هو الكلمة ، ومن عصا الكلمة لابد أن يواجه بعصا القانون .. من يخرج على القانون لابد أن يسعى إليه القانون .. علماء الأزهر ـ وإن غاب عنهم الإعلام ـ لكنهم قائمون بواجباتهم بأكثر مما يظن البعض .. إنهم مجندون وقائمون بواجباتهم بقدر الاستطاعة وبقدر الإمكانات الميسرة لهم وهؤلاء ناصحون ، ولا يملك الناصح أكثر من الكلمة .. فإذا استعمل يده كان معتديا ونحن نرفض أن يكونوا كذلك ، إنما لابد لمكافحة هذه الظواهر أن يكون التنسيق قائما بين كل الجهات ولا داعى لتبادل الاتهامات بين الأجهزة المسئولة .

□ فضيلة الإمام .. لم نفتقد دور الأزهر الريادى الآن بمثل ما كان فى الماضى فى التعليم والتنوير وقيادة المقاومة ضد الاستعمار بكافة أشكاله ؟

● ● الإمام الأكبر .. الأزهر لم يفقد دوره أبدا بل بالعكس زادت الأعباء عليه ، فمهامه فى الداخل كثيرة وفى الخارج أكثر ، فعلماؤنا ينتشرون فى العالم كله وتتضاعف أعدادهم فى شهر رمضان المبارك ، وللأزهر معاهد فى الخارج يديرها ويزودها بالمعلمين من العلماء .

□ فضيلة الإمام .. هل يتلقى الأزهر معونات من الخارج تساعده فى أداء رسالته ؟

● ● الإمام الأكبر : الأزهر لا يتلقى معونات من أية دولة ، فهو يقوم على مال مصرى مائة فى المائة .. وقد تلقى الأزهر أموالا لإعمار الجامع الأزهر ، وقد أعلنا عنها فى الصحف وهى مودعة فى البنك لاستثمارها فيما خصصت له .

□ **فضيلة الإمام .. ما حكم الشرع فيمن ينصب نفسه مفتيا ؟**

● ● الإمام الأكبر : كما ذكرت . لولى الأمر وحده أن يتدخل لتحديد ، أو تقرير من صاحب الحق فى الفتوى ، وله الحق فى أن يحدد العقوبة على من نصب نفسه مفتيا بغير علم وعلى من يتصدى للحديث فى شئون الدين بغير حق ، وأعتقد أن الحكم فى هذا يخضع لقانون العقوبات ، وأن حكمه فى الشرع التعزير .

□ **فضيلة الإمام .. البعض يقول : إن حق الفتوى مفتوح للمسلمين فما رأى فضيلتكم ؟**

● ● الإمام الأكبر : كل عالم متخرج فى الأزهر ـ بشكل عام ـ من حقه الإفتاء بحكم تخصصه وثقافته ، لكن المرجع دائما هو مجمع البحوث الإسلامية الذى يضم كبار العلماء .. هو صاحب الحق فى تصحيح الفتاوى الخاطئة ، ولهذا تعرض الفتاوى على هذا المجلس .

□ **فضيلة الإمام .. هل يمكن أن نفهم من هذا أن للشيخ عمر عبد الرحمن حق الإفتاء ـ وهو أزهرى ـ ، وحاصل على الدكتوراه ؟**

● ● الإمام الأكبر : حسب القاعدة السابقة نعم .. لكن اتضح لنا أن فتاويه خاطئة ، ولذلك لم نتوان فى بيان خطئه ، ولكن من الناحية العملية لا نملك منعه .. فالدولة هنا هى التى تستطيع أن توقفه ، وتحاكمه وتطبق الشرع عليه ، وتحاكم أتباعه الذين يأخذون بفتاويه وأقواله .. وأذكر هنا أن الأزهر الشريف قام بالرد على كل ما صدر عنه من فتاوى خاطئة .

والأزهر هنا مهمته توضيح الحقيقة وتبيان الحق والنصح ، والدولة التى هى ولى الأمر مهمتها أن تتابع وتحاكم .

□ **فضيلة الإمام .. هل الدولة طلبت من الأزهر الرد على فتاوى عمر عبد الرحمن ؟**

● ● الإمام الأكبر : من مهمة الأزهر وواجبه أن يرد على الخطأ من الفتاوى ، وإن لم يطلب منه أحد ذلك ، ولكن المشكلة عندنا وبكل صراحة أن نشر ما نصدره من تصحيح وتبيان للحقيقة ـ فى الصحف ـ نشر ضعيف .. بل غير موجود .

ويؤسفنى القول : أنه بينما لا تحظى هذه الأمور الهامة بنصيب فى الصحف .. نجد الصحف نفسها تفرد صفحاتها للجرائم التى تعلم أبناءنا فنون الجريمة ، واسمحوا لى أن اقول هذا بصراحة .

□ **فضيلة الإمام .. تعددت جهات الفتوى فى مصر وثار بعض الجدل لاختلافها فى بعض القضايا .. ونحن نريد أن نعرف .. من له حق الفتوى فى مصر ؟**

● ● الإمام الأكبر : الفتوى لفظ يشيع فى الناس ، لكنهم يستخدمونه بمعنى عام ، فكل سؤال لعالم من العلماء تقال لاجابته فتوى . ولكن هناك بيان لحكم ورد فى النصوص إجابة عن سؤال

أحقية مجمع البحوث الإسلامية فى تصحيح الفتاوى
طلبنا من وزارة الثقافة مراجعة مطبوعاتها فلم تستجب

لأحد الناس ، فهذا نوع من الفتوى يقدر عليه كل علماء الأزهر على المستوى العام . ولكن الفتوى التى تحتاج إلى جهاد أرفع من ذلك وأكثر تخصصا ، ولهذا شكل الأزهر لجانا للفتوى فى عواصم المحافظات ومراكز القرى تضم علماء يفتون الناس فى أمور دينهم ، تَتَمَثَّل فيها جميع المذاهب الفقهية للبحث عن الأيسر على الناس للإفتاء به ، والفتوى تأتى من تفاعل عدة علوم منها العلم بآيات وأحاديث الأحكام ، ومنها ضوابط الاجتهاد فى أصول الفقه ، ومنها العلم بالإجماع ، ومنها العلم بالناسخ والمنسوخ ، ومنها معرفة القياس وعلله الصحيحة وعلله الفاسدة ، ومنها معرفة عادات الناس وأعرافهم ، ولابد أن يكون المفتى صاحب صلة بالمجتمع ليتعرف على أموره لأن المفتى يفتى فى الوقائع ، ولا يخترع فتوى من عنده . وهناك العلم باللغة ليعرف دلالات الألفاظ من النصوص . وهناك العلم بالترجيح ، وهو باب من أبواب الفقه عظيم له علماؤه .

□ فضيلة الإمام .. ما حكم الشرع فيمن يفتى بغير علم ولا إحاطة بواجبات الفتوى ؟

●● الإمام الأكبر : لولى الأمر حق تعزير من يرتكب هذا . والتعزير هو التأديب ، وهو عقوبة يوقعها ولى الأمر تتناسب مع الجرم الذى يرتكبه ، وبالنسبة للإفتاء بغير علم فليس فى علمى أن هناك نصًا فى القانون يعاقب على ذلك ، فلابد من مراجعة القانون لسد الثغرات طبقا لشرع الله .

□ فضيلة الإمام .. معظم هذه الجماعات تمارس نشاطها من خلال المساجد والزوايا ، وقد اقترح ضم هذه المساجد لوزارة الأوقاف .. هل يكفى هذا لحل المشكلة ؟

●● الإمام الأكبر : ضم هذه المساجد لا يكفى للقضاء على خلايا هذه الجماعات .. ولكن يجب متابعة هذه المساجد ، ووضعها تحت إشراف العلماء .. هذه المتابعة لابد ان تتم من كل الجهات المسئولة بحيث يمكن العالم الذى يذهب إلى هذا المسجد من أداء واجبه .. فالأمر ليس ضم المسجد وتركه دون إمام .. فهنا لابد أن يعتلى المنبر أى إنسان ، وقد يكون من هؤلاء الذين يحملون أفكارا غير سوية .

وهنا لابد أن نوفر للمساجد وغيرها من أجهزة الدعوة ما تحتاج إليه .

□ فضيلة الإمام .. هل ترى من الأفضل عدم السماح ببناء أى مسجد إلا إذا توافرت له الإمكانيات المطلوبة من العلماء والدعاة وغير ذلك حتى لا تتخذ الجماعات من هذه المساجد خلايا لممارسة نشاطها العلنى والسرى ؟

●● الإمام الأكبر : ليس من المصلحة ان نفعل ذلك .. فالمساجد تقام لإقامة شعائر الدين وعبادة الله .. ولا يجوز منع إقامة مسجد ، لأن بعض الشباب يتخذون بعض المساجد لممارسة أنشطتهم .. مسجد الله لابد أن يقام .. إنما إدارة

المسجد لابد ان تتبع جهة مسئولة حتى نضمن أن تستغل هذه المساجد فى الغرض الذى أنشئت من أجله .

☐ **فضيلة الإمام .. نحن نعانى من نقص فى المدارس والمنازل وبخاصة بعد كارثة الزلزال .. أليس من الأفضل أن نوجه جهودنا لإقامة المدارس التى نعلم فيها أبناءنا والمنازل التى تستر عوراتنا ؟**

●● الإمام الأكبر : هذا يتم بالتوجيه وليس بالأمر .. فلا نستطيع أن نقول للناس اتركوا بناء المساجد واستبدلوها بمدارس ، وإن كنا فى حاجة إلى المدارس والمعاهد الدينية التى لا تقل أهمية عن بناء المساجد ، لأن هذه المدارس والمعاهد هى التى تنشىء وتربى العقل وتربى الإنسان السوى إذا استقامت أمور التربية فيها .

☐ **فضيلة الإمام .. ما دام هناك شبه اتفاق على ان المساجد تستغل من قبل الجماعات المتطرفة .. هل ترى ضرورة وضع نظام لتحديد مواعيد معينة تفتح فيها المساجد لأداء الصلوات ، ثم تغلق بعد ذلك ؟**

●● الإمام الأكبر : المسجد ينبغى أن يظل مفتوحا .. يغلق ليلا كما تغلق سائر الجهات حتى لا يأوى إليه أصحاب الهوى .. ولا مانع من غلق المسجد ما بين صلاة الصبح وصلاة الظهر ، ولا معنى لغلقه فى غير هذه الأوقات . بيوت الله لابد أن تظل مفتوحة أمام كل المصلين فى الأوقات المتقاربة ، فالأصل فى المسجد أنه بيت الله ، وبالتالى لا يغلق .

☐ **فضيلة الإمام .. وإذا استخدم بيت العبادة فى غير العبادة .. ألا يجوز غلقه ؟**

●● الإمام الأكبر : هنا أتدخل وأمنع المستخدمين ، ولا أغلق المسجد .. أقاوم هؤلاء المستغلين ، وأترك بيت الله مفتوحا لمن يريدون أن يعبدوا الله ويتقربوا إليه « وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ».

(سورة الجن)

☐ **فضيلة الإمام .. وإذا اختبأ هؤلاء داخل المسجد وحولوه إلى وكر لتدبير عملياتهم .. أليس من حق الجهات المسئولة غلقه ؟**

●● الإمام الأكبر : متى اضطر الحال إلى مقاومتهم داخل المسجد لمنع جريمة أو وقف عدوان أو إزالة مكروه .. لا مانع من مقاومتهم ومحاصرتهم داخل المسجد .. ولكن فى حالة الضرورة حفاظا على حرمة المسجد ويكون ذلك لمنع منكر يقع فيه .

☐ **فضيلة الإمام .. ما عقاب من يستغل المسجد لغير أعمال العبادة ؟**

●● الإمام الأكبر : من يفعل ذلك يعاقب على فعله وعقوبته التعزير .

الحجاب أمر منصوص عليه والنقاب ليس ملزماً شرعاً
لابد من مراجعة القوانين لسد الثغرات طبقاً لشرع الله

□ فضيلة الإمام .. سمعنا عن عدد المدارس التى اضيرت ، ولم نسمع شيئا عن المعاهد الأزهرية .. هل نجت هذه المعاهد من الزلزال ؟

●● الإمام الأكبر : المعاهد الأزهرية أصابها ما أصابها من الزلزال كما أصيبت المدارس تماما لكنكم لم تولوها الاهتمام اللازم .. لم تهتموا بها مثل اهتمامكم بالمدارس مع أنها تؤدى نفس الوظيفة التى تؤديها المدارس وهى تعلم وتربى أولادنا .. لدينا (١٠٠) معهد فى حاجة إلى إزالة كاملة وأكثر من ألف معهد فى حاجة إلى ترميم .. والدولة والحمد لله حريصة على المعاهد مثل المدارس تماما وتم اعتماد ٢٠ مليون جنيه مبدئيا لبناء وترميم المعاهد الأزهرية ، وطلبت من السيد وزير الإسكان أن تقوم الشركات المتخصصة التابعة للوزارة ببناء هذه المعاهد وترميمها .. لكن كنا نتمنى أن يوجه الإعلام اهتمامه للمعاهد الأزهرية مثل المدارس حتى يلتفت إليها الناس ، ويتبرعوا لها كما تبرعوا للمدارس .

□ فضيلة الإمام .. الملاحظ فى السنوات الأخيرة صدور عدد من الكتب الدينية هدفها تغييب العقل باسم الدين .. هناك عشرات الكتب عن عذاب القبر فى نفس الوقت الذى تتجه فيه كل الشعوب إلى تنمية القدرات العلمية والعقلية لدى شبابها ؟

●● الإمام الأكبر : هذه المسألة لها قوانين منظمة ، ونحن نرفض كل كتاب لا يلتزم بالمنهج الإسلامى ، أو يتضمن معلومات غير صحيحة .. وهناك قوانين منظمة لحرية النشر والطباعة والتداول .. وعندما يتعرض الأزهر لمصادرة كتاب يتضمن معلومات مغلوطة عن الدين ، أو حقائق غير صحيحة تقوم الدنيا ولا تقعد .. مع أن الأزهر لا يصادر كتابا بنفسه ، ولكنه يعطى الرأى فى أن هذا الكتاب يتضمن معلومات غير صحيحة ، ويقدم تقريرا كاملا عنه للجهات المسئولة عن الرقابة ، وهى التى تقوم بالمصادرة .

فأما الحديث عن (عذاب القبر ونعيمه) فليس تغيبا للعقل بل هو مما يجب الإيمان به .

□ فضيلة الإمام .. ولكن أرصفة الشوارع امتلأت ببعض الكتب الدينية التى لا تفيد الناس ؟

●● الإمام الأكبر : الكتب الدينية لا تضر ما دامت لا تتضمن معلومات غير صحيحة عن الدين .. بالعكس هى تساعد على تصحيح الأفكار ، وإذا كانت هناك بعض الكتب القادمة إلينا من الخارج فهذا يرجع إلى طبيعة بلدنا .. نحن بلد مفتوح ، ولابد أن يكون هناك «كنترول» على ما يأتى إلينا من الخارج من كتب .. أيضا دور النشر عندنا تنشر ما تريد دون رقابة أو مراجعة وقد طلبنا من وزارة الثقافة عينة من كل كتاب يصدر لمراجعته وإبداء الرأى فيه ، ولم يستجب أحد .. والازهر لن يلاحق ما ينشر كل يوم فى مصر .

□ فضيلة الإمام .. نلاحظ إن إلصاق صفة الإسلام انتشر حتى على مستوى الأساتذة والدارسين .. فهذا علم اجتماع إسلامى وهذا علم إدارة إسلامى

الإعلام لم يلفت الناس إلى تصدعات المعاهد مثل المدارس
نحتاج إلى دعم لإزالة الف معهد أزهــرى وترميم المئات

وهكـذا .. ما رأى فضيلـتك فى هذه الظاهرة ؟

● ● الإمام الأكبر : أسلمة العلوم غير واردة إطلاقا فى العلوم التجريبية . فالعلوم التجريبيـة ميراث الانسانية .. والتوجيه الإسلامى فى العلوم يعنى عدم استخدام العلم إلا فى النافع .

□ **فضيلة الإمام .. فى الوقت الذى تنشغل فيه كل الشعوب بقضايا العمل والإنتـاج والتقـدم الصناعـى نجد بعض رجال الدين يشغلنـا بقضايـا الحجـاب والنقاب ؟**

● ● الإمام الأكبر : الحجاب بمعنى أن تستر المرأة جسدهـا من قمـة شعرهـا إلى حذائهـا فمنصوص عليه فى القرآن فى سورة الأحزاب ، وفى سورة النور لا يظهر من المرأة إلا الوجه والكفان هذا أمر مقطوع به لانزاع فيه .. إذا كان هذا الذى تعنيه بالحجاب .

أما النقاب فليس ملزما شرعا إنما هى عادة أكثر منها حكما شرعيا .. إذا رغبت المرأة فى النقاب وسارت فى الشارع فليس لنا شأن بها ، ولا ينبغى التعرض لها فنحن لا نتعرض للذين يسيرون فى الشوارع شبه عرايا .

الأمر إذن إن هذه أحكام شرعية لابد أن ابينها للناس .. ولا ينبغى ان نستهين بأحكام الله القاطعة ونقول : إن هذا لا لزوم له .. لابد أن ندعو الناس إلى الاستقامة ، وسد الذرائع من قواعد الإسلام وهذا منصوص عليه فى القرآن : «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم».

وأنا أتساءل : لماذا هذه الإثارة بدون داع ؟ لماذا نثير مشكلات دون أن يكون هناك المبرر لذلك ؟ لماذا نثير قضايا حول الحجاب والنقاب ونشغل الناس بها ؟ إن هذه القضايا لا يثيرها علماء الدين ولكن البعض يثيرها من خلال أجهزة الاعلام دون مبرر .

وهناك مجلات فيها تزيد سيىء .. هناك مجلات تنشر صورة وخبرا قصيرا وإلى جواره راقصة وكأن المجلة تقـول : أن هذه أنفـع من شيـخ الأزهر .. يجب أن يكون هناك اعتدال وتوازن وشريعتنا تعلمنا الأدب والنظام .

□ **فضيلة الإمام .. الدين الآن يتاجر به من بعض الفئات .. رأينا كيف تاجر به البـعض من خلال شركات توظيــف الأموال .. ويتاجـر به الآن من خلال أنشطة كثيرة اقتصادية واجتماعية وطبية وغيرها ؟**

● ● الإمام الأكبر : لو أن الدولة يقظة لهؤلاء الذين أخذوا أموال الناس .. ما حدثت المأساة .. والأمر لابد أن يكون واضحا من البداية الدولة مسئولة عن دبيب النملة فى البلد .. فلماذا نترك البعض يجمع نقودا من الناس سواء أكان ذلك باسم الإسلام أم باسم غيره .. إن من واجبنا أن نحافظ على حقوق الناس وأن يكون هناك عمقاً فى البحث والمتابعة .

أنباء وآراء

أنباء العالم الإسلامي

تقديم الأستاذ مجدى عبد الحميد بشير

الدكتوراه الفخرية لرئيس جمهورية أوزبكستان

احتفل ضحى الأربعاء ٢١ من جمادى الآخرة ١٤١٣هـ ـ ١٦/١٢/١٩٩٢م ـ بقاعة جامعة الأزهر بمدينة نصر بالقاهرة بإهداء العالمية الفخرية ـ الدكتوراه الفخرية ـ لرئيس جمهورية أوزبكستان الإسلامية بوسط آسيا السيد / إسلام عبد الغنى كريموف .

رأس الحفل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، وحضره د. عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر .

وتم فى نفس اليوم افتتاح المكتبة المركزية بجامعة الأزهر بمدينة نصر .

حول البوسنه والهرسك

افتتحت الدورة الاستثنائية السادسة لوزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامى يوم الثلاثاء ٦ من جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ١ ديسمبر ١٩٩٢ م وذلك لبحث الوضع المأساوى فى (جمهورية البوسنة والهرسك) . وأكد المؤتمرون فى نهاية الجلسات يوم الأربعاء ٧ من جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ٢ ديسمبر ١٩٩٢ م فى جدة على ضرورة :

إحلال السلام فى الجمهورية الاسلامية الصامدة والحفاظ على وحدتها وسيادتها واستقلالها السياسى وسلامة أراضيها .

وندد المؤتمر بالعدوان العربى ، وطالب مجلس الأمن الدولى بالتنفيذ الفعال لقرارات الحظر الجوى والحصار البحرى المفروض .

هذا وقد أمهل أعضاء وفود خمسين دولة إسلامية مجلس الأمن حتى الخامس عشر من يناير ١٩٩٣ م لإيجاد حل عادل لهذه المشكلة وإلا فإن هذه الدول ستعتبر نفسها فى حلٍّ من ارسال العتاد والرجال لمساعدة مسلمى البوسنه والهرسك لتحاشى حدوث مأساة أخرى مشابهه لمأساة فلسطين والمعروف أن اكثر من ثلث السكان نزحوا بالقوة ، ناهيك عن الأعمال الوحشية التى شملت القتل والتشوية واغتصاب الفتيات وقتل الاطفال وذلك فى معسكرات الموت التى سموها مجازا (معسكرات الاعتقال) .

حول الزلزال

طلبت منظمة اليونسكو من جمهورية مصر العربية قائمة مفصلة بالمساجد والآثار الإسلامية التى تأثرت بزلزال الثانى عشر من اكتوبر ١٩٩٢ م وتوابعه . وذلك لبحث طرق مساعدة مصر فى الترميم ، وكتب مندوب المنظمة فى مصر إلى أمينها العام فى باريس بأن الحكومة المصرية طلبت أن تنحصر المساعدات فى شكل معدات وأجهزة تكنولوجية تعاون على أعمال الترميم .

والمعروف أن كل الهيئات الإسلامية المتخصصة كمنظمة الايسسكو ، ومنظمة العواصم والمدن الإسلامية أبدت استجابة سريعة وكريمة إيذاء هذا الحدث غير المتوقع .

باكستان

ناشدت الأمانة العامة للغرفة الإسلامية للتجارة وتبادل السلع أعضاء الغرف الإسلامية المختلفة

تقديم المساعدات لباكستان بعد كارثة الفيضانات والسيول والامطار الغزيرة التى هطلت دون انقطاع لعدة أيام مشردة لمئات الآلاف متلفة للمحاصيل الزراعية . مدمرة الجسور والسدود ، والبنية التحتية بشكل عام ، ووصل إجمالى الخسائر إلى نحو خمسين مليار دولار .

الإسلام يحرم التبنى

قام المسلمون فى كندا بالتصدى لما نشر من مفتريات على الإسلام والمسلمين فى الصحف الكندية واتهامهم بالقسوة حيث أصدر المسلمون هناك بحثا مستفيضا فيما حول موقف الإسلام من تبنى الأطفال ، وبينوا فيه أن الإسلام شجع على رعاية الأيتام ذكورا واناثا مع احتفاظ كل يتيم بانتسابه إلى آبائه الحقيقيين ، .

أما إلغاء اسمى الوالدين الأصليين وإعطاء الطفل أسماء غيرها فهذا هو المحرم .

الإسلام فى كتب أطفال الأمريكان

قام المسلمون فى أمريكا بمجهودات فى سبيل نشر الثقافة الإسلامية بين المسلمين هناك عن طريق الندوات والتجمعات الشبابية وذلك لتعريف الشعب الامريكى بالصورة المشرفة للإسلام ، ووسطيته وسماحته إضافة إلى التعـــاون مع المؤسسات التعليمية والجامعية من أجل تصحيح مادُسَّ عمدا فى الكتب الدراسية للأطفال التى امتلئت بالصور الفكرية المشوهة للإسلام ، حيث يفهم الصغار هناك أن الإسلام فى زعمهم يعنى العنف والإرهاب والتطرف ، وأن حدوده قاسية تنفذ بلا رحمة ولا هوادة ، وأنها جافة تناسب طبيعة الصحراء ولاتتفق والحضارة .

والمعروف لكل منصف أن هذه ليست إلا أضاليل باطلة لا جدوى منها .

أوزباكستان

بدأت (أوز باكستان) إحدى دول التجمع الإسلامى الناجى من براثن الشيوعية فى الارتباط بالعالم الخارجى عن طريق النقل الجوى بواسطة بإنشائها شركة الخطوط الأوزبكية ، التى تولت تنظيم رحلات جوية مكثفة بين طشقند واستانبول وإسلام أباد وكراتشى وكوالامبور والشارقة ودلهى ولندن وغيرها .

وتعتبر الشركة الأوزبكية اكبر شركة طيران فى الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى .

اليابان

قام المركز الإسلامى فى اليابان بتنظيم العديد من الندوات والمحاضرات عن الإسلام لليابانيين الراغبين فى اعتناق الإسلام . وركز الدعاة فى ملتقياتهم على الفروق الجوهرية بين البوذية والإسلام مؤكدين تميز الدين الحنيف وتحرره من أغلال الخرافات والخزعبلات ، ودعوته الصريحة إلى العلم والتكنولوجيا وهما أمران تمتاز بهما اليابان ، كما قام المركز هناك بتعليم اللغة العربية وآيات القرآن الكريم لأبناء المسلمين كل على حدة كذلك قام بطباعة أكثر من ثلاثين كتابا عن الإسلام باليابانية ، وأصدر مجلة باسم (الإسلام) وبها موضوعات عن الثقافة الإسلامية وشئون العالم الإسلامى ويعمل المسلمون هناك على إنشاء مسجد كبير فى طوكيو تؤدّى فيه الجمع التى تؤدّى حاليا فى المقر القديم لسفارة إسلامية هناك .

شمال أمريكا

قرر الإتحاد الإسلامى لشمال أمريكا زيادة أعضاء مجلس الفقه فيه ، وجعل أهم شروط عضوية مجلس الفقه المذكور أن يكون المنضم إليه من حملة الدكتوراة فى الفقه وأصول الفقه وسائر العلوم الشرعية إلى جانب الاقتصاد والطب والقانون والفلك ما أمكن .

أنقذوا مساجد بلغاريا

المسلمون فى بلغاريا بحاجة إلى صياغة (هويتهم) صياغة جديدة وبناء شخصيتهم الإسلامية مرة أخرى فمساجد بلغاريا ، وأهمها مسجد صوفيا العاصمة تنقصها جميعا إنشاءات ومرافق كثيرة كما أن هناك مساجد أخرى لاتزال تستعمل كمتاحف ولاتؤدى فيها الصلاة والمسلمون هناك يعانون أشد المعاناة من مشكلة التجهيل بالاسلام والتعمية الإعلامية على أحوالهم المتردية وذلك لعقود متتالية ، كما أن النشء هناك بحاجة ماسة إلى تعليم إسلامى مستنير ومتطور .

هيئة الاغاثة الإسلامية الإعلامية

وقعت هيئة الإغاثة الإسلامية الإعلامية اتفاقا مع مسئولى اللاجئين فى كرواتيا لكفالة (تسعين) ألف من مهاجرى البوسنة والهرسك فى (زغرب) العاصمة وتتكلف هذه العملية نحو ستة ملايين جنيه شهريا ، كما أقامت الهيئة دورة للقرآن الكريم استمرت شهرا فى (تيرانا) عاصمة ألبانيا استفاد منها ٩٦ طالبا ، اختارهم المكتب بألبانيا وشملت تلك الدورة أصول تلاوة القرآن الكريم ، ونجحت فى تعليم الملتحقين بها حروف اللغة العربية وكلماتها الأولية .

منظمة العواصم والمدن الإسلامية

أصدرت منظمة والمدن الإسلامية كتابا ضم البحوث التى ألقيت فى الحلقة الدراسية الرابعة للمنظمة تحت عنوان المنهج الإسلامى فى التصميم المعمارى والحضارى .

وبالكتاب ١٨ بحثا من عدد من المتخصصين فى هذا المجال كما اشارت الأبحاث إلى أن البحث عن النظرية التخطيطية من خلال المنهج الإسلامى يتطلب تقصى التحولات العمرانية التى مرت بها المدينة الإسلامية عبر التاريخ فى ضوء التغيرات الإقتصادية والاجتماعية والثقافية التى شهدتها الأمة الإسلامية .

الصين

وقعت الرابطة الإسلامية فى الصين (مذكرة تفاهم) فى بكين مع مجلس العلماء فى إندونيسيا لتطوير التعاون بينهما فى شتى المجالات الإسلامية ، وذكرت وكالة الأنباء الاندونيسية ان رئيس رابطة المسلمين فى الصين وقع المذكرة عن الجانب الصينى بينما وقعها عن الجانب الثانى حسن البصرى رئيس مجلس علماء اندونيسيا الذى يزور بكين ، وأوضح فى كلمته خلال حفل التوقيع أن المذكرة نصت على التعاون الثنائى فى مجال تبادل البعثات الطلابية بتمويل من حكومتى البلدين ، وقال رئيس رابطة مسلمى الصين : إن عدد مسلمى الصين (١٨) مليون نسمة ، حاصلون على (تسعين) مقعدا من مقاعد البرلمان الصينى .

الفهـــرس

الموضـوع	الصفحـة
● الافتتاحية : ذلك الدين القيم للدكتور/ على أحمد الخطيب	٩٦١
● مع الإمام الأكبر (فى ذكرى الإسراء، الرسول عند سدرة المنتهى) للإمام الأكبر شيخ الأزهر	٩٦٨
● (فتوى) بيان حكم زواج المحلل	٩٧١
● فى تفسير الآيات الكونية فى (القرآن الكريم) للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد الغمراوى	٩٧٥
● قبس من أنوار النبوة (بين الصدقة والقرض) للشيخ/ على حامد عبدالرحيم	٩٨١
● الإسلام أول مقومات الأمة للشيخ/ معوض عوض إبراهيم	٩٨٤
● شريعتنا والمنظمات الدولية للأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم إبراهيم البدراوى	٩٨٧
● الصلاة معراج المؤمن للأستاذ/ عبدالحفيظ فرغلى على	٩٩١
● الأكراد (الوطن ـ الجنس ـ الدين) للأستاذ/ ماهر زكريا الشيمى	٩٩٦
● حاضر العالم الإسلامى ونظرة للمستقبل للدكتور/ عبدالسلام العبادى	١٠٠٠
● تعقيب	١٠٠٤
● رياح الفتنة للشيخ/ السيد عبدالمقصود عسكر	١٠٠٧

الموضـوع	الصفحـة
● تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر (٧) تحقيق الشيخ/ إبراهيم عطوة عوض	١٠١١
● الفتاوى اعداد الأستاذ/ عبدالمنعم حافظ فودة	١٠٢١
● من أعلام الأزهر (الأديب الشاعر والخطيب الثائر) للأستاذ/ عبدالحفيظ على القرنى	١٠٢٤
● الحاج عمر ميتا (رائد الدعوة الإسلامية فى اليابان) للدكتور/ صالح مهدى السمرائى	١٠٣٣
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر طوائف (بهائية بكتاشية ـ ثم جماعة التقريب) اعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات	١٠٣٦
● طرائف ومواقف للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم	١٠٤٠
(الإمام الخطيب)	
● القناعة وعمارات الموت لفضيلة الشيخ/ محمد حافظ سليمان	١٠٤٣
● أسس تكوين الأسرة المسلمة	١٠٤٧
● مجمع التراحم للشيخ/ محمد حافظ سليمان	١٠٤٨
● بر الوالدين	١٠٥٠

الموضــوع	الصفحــة

اللغة والنقد والأدب

- ضوابط التخريج النحوى للنص القرآنى
للأستاذ/ جمال عبدالعزيز أحمد ١٠٥٢
- كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة
عرض وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة ١٠٥٩
- مع الطفولة (من شرق لغرب)
بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ١٠٦٣
- نسب عسير بين عدنان وقحطان
بقلم الفريق/ يحيى عبدالله المعلمى ١٠٦٩
- الفن والأخلاق (فى شعر أبى زيد ابراهيم)
أ.د السيد تقى الدين ١٠٧٤

الشعر والشــعراء

- على هامش الاسراء
للأستاذ/ محمد التاجى ١٠٧٩
- فى ذكرى الإسراء والمعراج
للأستاذ/ عبد الفتاح الطاهر على ١٠٨٠
- ياقدس
للأستاذ/ عبدالغنى أحمد الحداد ١٠٨١

العلوم الكونية

- المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية (٢)
للأستاذ الدكتور/ منصور محمد حسب النبى ١٠٨٣
- ثقب الأوزون (بين الحقيقة والخيال)
للدكتور/ زين العابدين متولى متولى ١٠٩١
- ماذا فى مساكن النمل (٢)
للأستاذ/ منذر محمد عبد الرحمن ١٠٩٥
- الجديد فى العلم والتقنية
اعداد.د. نجوى السيد أحمد ١١٠٠

بين المجلة والقارىء

- جوائز شاعر ـ دعوة إلى الله ـ تعدد الزوجات فى الإسلام ـ نظرات فى كتاب الأمالى لابى على القالى .
اعداد.د. محمد عبد الحكيم محمد ١١٠٢
١١٠٦
- حوار مع الإمام الأكبر ١١٠٧

أنباء واراء

- أنباء العالم الإسلامى ..
اعداد الأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١١١٩

القســم الفرنسى

- المقالة الثانية
للدكتورة/ ماجدة سالم ١١٢٨
- المقالة الأولى
للدكتورة/ رقية محمود جبر ١١٣٣

القســم الانجليزى

- المقالة الثانية
الأستاذ/ سعد مصطفى مصطفى ١١٣٨
- المقالة الأولى
د. أنس مصطفى النجار ١١٤٢

(Les aumônes sont destinées; aux pauvres et aux nécessiteux; à ceux qui sont chargés de les recueillir et de les répartir; à ceux dont les coeurs sont à rallier; aux rachats des captifs). (2)

Avant de parvenir à l'abolition de l'esclavage, l'Islam exigea des Musulmans une extrême bonté et un comportement humain envers cette classe adoucissant ainsi les rigueurs imposées par les sociétés antérieures. Le Prophète recommandait aux Musulmans de considérer l'esclave comme un frère alors qu'il était auparavant un serviteur méprisé. Dans une tradition il dit aux musulmans :

"Vos esclaves sont vos frères, Allah les a mis sous votre dépendance, vous devez les nourrir et les vêtir comme vous le faites pour vous mêmes. Ne leur imposez pas des tâches qui dépassent leurs forces mais si vous le faites, aidez-les". (1)

Le Coran interdit formellement aux Musulmans de pousser leurs esclaves à la prostitution afin de réaliser quelques gains.

(Ne forcez pas vos femmes esclaves à se prostituer pour vous procurer les biens de la vie de ce monde alors qu'elles voudraient rester honnêtes). (2)

Nous pouvons donc dire que l'Islam n'a pas eu une attitude passive vis-à-vis de l'esclavage, il a été la seule religion à ordonner le rachat et l'affranchissement des captifs. Il a contribué beaucoup plus que toute autre religion à l'émancipation des esclaves par une abolition progressive, en proposant divers moyens. En effet, l'attitude de l'Islam envers l'esclavage représente une des grandes fiertés de notre religion, ayant cessé de considérer le statut d'esclavage comme un fait naturel, mais plutôt comme une exception accidentelle qui porte atteinte à la liberté de l'homme.

par Dr. Magda Salem

---

2) IX -- L'Immunité — le sens du verset 69

سورة التوبة :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ .

1) Al Bukhari — K Itk — B — 12

قال رسول الله ﷺ :

« إنهم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فاطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من الأعمال ما لا يطيقون ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

2) XXIV — La Lumière — le sens du verset 33

سورة النور :

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

> pauvres de ce dont vous nourrissez normalement votre famille ou de les vêtir, ou d'affranchir un esclave). (2)

Il s'agit là d'affranchir un esclave qu'il soit musulman ou non.

Divorce illégitime

> (Ceux qui répudient leurs femmes avec la formule : "Sois pour moi comme le dos de ma mère" et qui la répètent devront affranchir un esclave avant de pratiquer de nouveau la cohabitation). (3)

Le Coran n'a pas seulement exigé l'affranchissement des esclaves pour expier certaines fautes mais il a ordonné aussi aux Musulmans d'aider les esclaves qui voudraient s'émanciper. L'esclave avait le droit de se racheter.

> (Rédigez un contral d'affranchissement pour ceux de vos esclaves qui le désirent, si vous reconnaissez en eux des qualités et donnez leur des biens qu'Allah vous a accordés). (1)

Il faut souligner ici la sagesse de cette prescription. L'obligation d'aider matériellement l'esclave en voie d'affranchissement lui assurera une véritable libération. Les Musulmans en tant qu'individus sont appelés par le Coran à affranchir les esclaves et la communauté musulmane est également requise de prélever une partie de son budget pour le rachat des captifs.

---

2) V — La Table Servie — le sens du verset 89

سورة المائدة :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾

3) LVIII — La Discussion — le sens du verset 3

سورة المجادلة :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ .

La traduction du sens de ce verset n'est pas correcte. Denise Masson a employé le verbe "répéter", alors qu'il ne s'agit pas ici de répéter cette formule de divorce mais de se retracter, de revenir sur la décision prise — Voir Tafsir Ibn Khathïr — Tome 4 — p. 319.

1) XXIV — La Lumière — le sens du verset 33

قال الله تعالى فى سورة النور :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾

De même l'abolition de l'esclavage n'aurait pas été réalisable dans un monde où il était généralement pratiqué par tous les états voisins de l'Empire musulman naissant et où personne n'aurait eu l'idée d'en contester le principe. Il était d'usage de faire des esclaves des prisonniers de guerre, lorsqu'on ne les massacrait pas. L'état islamique se serait mis en état d'infériorité vis-à-vis de ses ennemis si, dans une certaine mesure au moins, il n'avait pas exercé de réciprocité(1).

Si le Coran n'a pas incité explicitement à l'abolition immédiate de l'esclavage, il n'a pas approuvé ce système qu'il a uniquement toléré. En effet tous les enseignements et les prescriptions du Coran tendaient dans l'immédiat à limiter l'esclavage dans la mesure du possible et, à plus long terme, à sa suppression progressive, poussée par la conviction morals et religieuse de l'égalité naturelle de tous les hommes.

Ainsi d'après l'Islam, un Musulman né libre ne peut jamais devenir esclave. Le Coran adopta une solution très sage, il freina en premier lieu l'extension de l'esclavage pour l'éliminer plus tard, d'où ce verset concernant les prisonniers de guerre qui representaient la principale source d'esclavage.

(Vous choisirez entre leur libération et leur rançon). (2)

Le Coran recommandait ainsi aux musulmans soit de libérer les prisonniers en ne cherchant pour toute récompense que la grâce d'Allah soit de les relâcher contre une rançon. Par ce verset, le Coran arrêta l'extension de l'esclavage.

Quant à l'esclavage qui existait déjà, son abolition se faisait progressivement car le coran exigeait des Musulmans l'affranchissement des esclaves pour expier les fautes telles que :

Le meurtre involontaire

(Il n'appartient pas à un croyant de tuer un croyant mais une erreur peut se produire. Celui qui tue un croyant par erreur affranchira un esclave croyant). (1)

Le faux serment

(Allah ne vous punira pas pour des serments faits à la légère; mais il vous punira pour les serments prononcés délibérement. L'expiation en sera de nourrir dix

1) Roger Du Pasquier — **Découverte De L'Islam** — Institut Islamique e Genève. Editions des trois continents 1976 — p. 118;

2) XLVII — Muhammed — le sens du verset 4

قال الله تعالى فى سورة محمد :

﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ .

1) IV — Les Femmes — le sens du verset 92

قال الله تعالى فى سورة النساء :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ .. ﴾ .

La religion hébraïque n'a jamais encouragé l'émancipation des esclaves étrangers.

"Vous les laisserez en héritage à vos fils après vous pour qu'ils les possèdent à titre de propriété perpétuelle". (1)

Quant au Christianisme, il a été souvent représenté comme étant la cause presque unique de l'adoucissement, puis de l'abolition de l'esclavage en Europe.

Dans le Nouveau Testament, Saint Paul recommande aux esclaves d'obéir à leurs maîtres comme s'il s'agissait du Seigneur lui-même

"serviteurs, obéissez avec crainte et tremblement, dans la simplicité de votre coeur, à ceux qui sont vos maîtres selon la chair, comme au Christ, ne servant pas seulement sous leurs yeux, comme cherchant à plaire aux hommes, mais comme des serviteurs du Christ faisant de bon coeur la volonté d'Allah. Servez-les avec affection, comme servant le Seigneur et non pas les hommes" (3) "Que tous ceux qui sont sous le joug de la servitude regardent leurs maîtres comme dignes de tout honneur". (4)

Le Nouveau Testament s'est contenté de demander que les relations entre l'esclave et son maître soient basées sur l'amour, la soumission et la bienveillance. Le Christianisme a, dès le début, reconnu l'esclavage. Tous les hommes sont spirituellement égaux mais il ne s'ensuit pas qu'ils doivent être socialement égaux en ce monde. L'esclavage n'empêche personne de remplir ses devoirs de Chrétien.

Nous pouvons donc dire que le Christianisme a reconnu l'esclavage et il n'a pris aucune disposition pouvant mener, graduellement, à son abolition.

Plus tard, à peine le servage commençait-il à disparaître dans les pays les plus civilisés du monde chrétien que s'établissait dans les colonies de ses états une forme nouvelle de l'esclavage, l'esclavage nègre. Le travail servile réalisait à ces pays beaucoup de profit. Ce système d'esclavage plus cruel, du moins dans les colonies anglaises et les Etats à esclaves de l'Amérique, que celui de n'importe quel pays païen, ancien ou moderne, étant non seulement reconnu par des gouvernements chrétiens, mais soutenu par la grande majorité du clergé, tant catholique que protestant(1).

L'esclavage était donc déjà présent et les religions antérieures recommandaient aux esclaves d'être soumis à leurs maîtres et de leur obéir. Tel était le statut de l'esclavage avant l'apparition de l'Islam.

Nous ne pouvons pas prétendre que l'Islam a explicitement interdit l'esclavage. Mais il faut réaliser que s'il n'a pas donné l'ordre de libérer immédiatement tous les esclaves, ceci était le résultat d'une sagesse infinie. Les esclaves représentaient à cette époque un trop grand nombre pour être libérés du jour au lendemain sans aucune possibilité d'emploi. Cela aurait inévitablement mené à une catastrophe sociale, tous ces esclaves auraient pratiqué le vol ou demandé l'aumône pour obtenir de quoi les entretenir.

---

1) Le Lévitique 25 — 46

2) Edward Westermarck — **L'Orgine Et Le Développement Des Idées Morales** — Edition Française par Robert Godet Bibliothèque Scientifique — Paris — Payot — 1928 — Tome I p. 688

3) L'Epitre De Saint Paul Aux Ephésiens — VI — 5 à 7

4) I — Timothée — VI

1) Edward Westermarck — **L'Origine Et Le Développement Des Idées Morales** — op. cit. p. 705

L'Esclavage Dans l'Islam

par Dr. Magda Salem

L'Islam est une religion qui engage aussi bien à la fraternité dans la foi qu'à la fraternité universelle, c'est pourquoi il eut envers les esclaves une attitude tout à fait différente de celles des religions antérieures.

Les Orientalistes semblent pourtant ignorer cette réalité et accusent l'Islam d'avoir favorisé l'esclavage. Demombynes déclare que :

> "L'esclave a tenu une large place dans la vie du monde musulman : on trouve des esclaves et des affranchis à tous les coins de son histoire". (1).

Cette même idée a été reprise par un historien occidental, Maurice Lombard qui affirme que :

> "A la suite des grandes civilisations de l'Antiquité et de l'Empire byzantin, le monde musulman est une civilisation esclavagiste". (2).

Or, ces attestations contredisent la réalité, l'Islam est la seule religion qui ait réclamé l'abolition de l'esclavage. Avant de parler de l'attitude de l'Islam envers cette institution, il faut passer en revue le statut de l'esclave dans les religions antérieures pour reconnaître que c'est la religion islamique qui a amélioré le sort des esclaves.

Chez les Hébreux, la classe esclave se composait de personnes achetées à prix d'argent soit aux nations voisines, soit aux étrangers résidant dans le pays[1], des enfants d'esclaves nés dans la maison[2], d'Hébreux que leurs pères avaient vendus[3]; ou qui, soit seuls, soit avec leurs femmes et leurs enfants, étaient tombés dans l'esclavage par suite de leur pauvreté[4] ou que les autorités avaient vendus, parce qu'ils avaient volé et ne pouvaient payer de compensation[5]. Les prisonniers de guerre sont aussi réduits en esclavage. L'Ancien Testament recommande aux Hébreux d'asservir les habitants des villes ennemies même si elles se rendent sans combattre.

> "Lorsque que t'approcheras d'une ville pour l'attaquer, tu lui proposeras la paix. Si elle l'accepte et t'ouvre ses portes, tout le peuple qui s'y trouve te devra la corvée et le travail". (6)

---

(1) Maurice Gaudefroy Demombynes — **Les Institutions Musulmanes** -Paris-Flammarion -1946 - p. 142

(2) Maurice Lombard - **L'Islam Dans Sa Première Grandeur** Paris-Flammarion - 1971 - p. 213

1) Le Levitique 25 — 44
2) L'Exode 21 — 4
3) L'Exode 21 — 7
4) Le Levitique 25 — 39
5) L'Exode 22 — 3
6) Le Deutéronome 20 — 10 à 12

Discours du Dr Hamed Al Ghabed
Secrétaire général de l'Organisation de la Conférence islamique

"Nous sommes heureux de nous retrouver aujourd'hui afin de mieux nous entendre entre musulmans. Je remercie le Président Hosny Moubarak de nous avoir accueillis dans son pays ainsi que le révérend Cheikh Gad El Haq pour les efforts qu'il fournit dans la prédication islamique.

Les changements mondiaux ont eu des répercussions à la fois positives et négatives sur la nation islamique. Ainsi l'agression sauvage des Serbes contre les musulmans de Yougoslavie ne peut que soulever la colère de tout défenseur des droits de l'homme.

Une session extraordinaire s'est tenue à Istanboul en Turquie pour les ministres des affaires extérieures des états islamiques et cela vue de porter assistance aux musulmans de Bosnie

Le secrétaire général a également annoncé la décision de fonder une Comission permanente issue de l'Organisation et dont le siège serait à Genève afin de superviser les efforts déployés pour la paix en Yougoslavie. Ajoutons à cela la situation désastreuse en Somalie.

C'est pourquoi: il est indispensable que la nation islamique soit attentive à tous les efforts déployés contre l'Islam, et cela en fondant une Comission chargée de l'organisation des efforts et de la stratégie visant à la sauvegarde de l'Islam.

En attendant l'élaboration d'un plan de travail et d'une stratégie bien définie. On a décidé l'organisation de trois séminaires régionaux : en Afrique, en Asie et en Europe dont le but serait la défense des principes de l'Islam.

Je suis certain que vos efforts seront fructueux et qu'ils contribueront à réseudre les problèmes des musulmans. (à suivre)

Séance d'inauguration

Dans son allocution le Président Mohammed Hosny Moubarak, Président de la R.A.E. a dit eu cours de la séance d'inauguration (ce discours a été prononcé par le Dr Mohammad Ali Mahgoub, ministre des Waqfs).

"Bienvenue aux honorables savants sur la terre d'Egypte. Louange à Allah qui vous a guidés dans le choix du thème "Le présent du monde musulman et les défis lancés aux musulmans", dans l'une des étapes les plus critiques de l'histoire de la nation arabe et du monde musulman.

Il était en effet nécessaire que les savants et les penseurs de la nation aillent au fond de ces problèmes et diagnostiquent les maux et les blessures afin de découvrir l'origine du mal et de prescrire le remède efficace.

Notre nation arabo-islamique fait face aujourd'hui au plus dur des défis qu'elle ait eu à affronter dans toute son histoire: candurant les pires des épreuves, d'identité de cette nation authentique reprenait le dessus. Or, aujourd'hui, nous devons coaliser nos efforts en vue de repousser ces dangers qui menacent l'identité et même l'existence de cette nation. Il est temps que nous sachions tous qu'il n'y a point de place sur cette terre pour les faibles; sans l'unité, la coalition et l'entraide ils n'aurant aucunes place sur la carte de ce nouveau monde.

Notre retard sur le progrès des autres nations nous a valu le nom de tiers monde, appellation péjorative qu'il est temps de changer, occupant une place que nous devons mériter.

3. Il y a une triste vérité : les musulmans se sont attachés aux détails, en négligeant l'essentiel, ce qui a eu pour conséquence de présenter l'Islam comme un appel au fanatisme alors qu'on a ignoré ainsi la tolérance de l'Islam qui interdit les effusions de sang. C'est cette ignorance de la véritable nature de notre religion qui a aidé à propager cette image déformée de l'Islam et des musulmans.

Je garde l'espoir que votre conférence réussira à tracer aux musulmans la voie à suivre et les objectifs à viser.

Je dois rappeler ici que la plus merveilleuse qualité de l'Islam et la tolérance et que tout fanatisme et toute étroitesse d'esprit lui sont étrangers.

A l'époque actuelle le monde est dominé par le pouvoir du matérialisme idéologique et comportemental aussi bien parmi les peuples que parmi les individus; ce qui se traduit par une agression contre la nature humaine.

Je souhaite que vous puissiez résoudre les problèmes entre frères, entre arabes et entre musulmans. Quant aux épreuves qu'endurent nos frères en Somalie, en Bosnie et à Hersek et dans d'autres domaines de l'Islam, j'espère que vous leur accorderez une attention toute particulière.

Je salue le Grand Imam, souhaite la Bienvenue à nos hôtes et prie Allah de vous appuyez dans votre tâche difficile.

La conférence a passé en revue tout ce qui a été dit au sujet du nouveau système mondial dont l'objectif est l'instauration de la justice entre les peuples, l'abandon de tout fanatisme ethnique et territorial la résolution des problèmes soulevés entre les états et les peuples en vue d'une plus grande tolérance tel est le rêve que caressent tous les peuples. Or, il semble que cet objectif était un mirage. In effet, aussitôt que des problèmes ont éclaté entre les Musulmans et non-Musulmans appartenant à un même pays, aussitôt ces derniers commettent des agressions contre les Musulmans les tuent les exterminent, violent leurs femmes détruisent leurs mosquées, brûlent leurs cultures c'est là ce que les Serbes ont commis contre les Musulmans.

De même en Birmanie les minorités Musulmanes ont été victimes de persécutions telles que des milliers parmi eux ont émigré au Bengaladesh et en Thaïlande où ils vivent sans abri ni nourriture. De même au Kashmir Musulman les Nations Unies ont décidé, en 1947, de faire un référendum sur l'autodétermination.

En Inde, les attentats contre les mosquées et les maisons des Musulmans sont courants la Lybie et l'attentat contre l'indépendance minorités Musulmanes les sans compter dans certains pays européens persécutées à cause de leur religion. Oui est donc ce nouveau système mondiale qui prétènd à la justice et à la défense des droits de l'homme?

Face à ces événements malheureux cette conférence exhorte la nation Islamique et le monde entier à revenir aux principes de base de toutes les religions : la-justice. la liberté et l'égalité.

De même, la conférence a mis l'accent sur l'importance du rôle des Ulémas et des institutions religieuses dans le domaine de la prédication et de l'assistance en vue de soulager les souffrances des Musulmans du monde entier. Le prophète paix soit sur lui a dit "Celui que les affaires des Musulmans n'intéressent pas n'est pas des leurs".

25) Le Royaume Hachémite de Jordanie
26) L'Etat du Koweit
27) L'Etat de Qatar

D'autre part,les organisme de contrôle qui ont assisté à la conférence sont :

28) l'organisation de la conférence islamique	Djedda
29) l'Université d'Al-Azhar	Le Caire
30) Le Conseil supérieur des affaires islamiques	Le Caire
31)L'Université de l'Imam Al Bokhari	
32) L'Université Al Zeïtouna	Tunisie
33) L'Université islamique	Gazza
34) L'Université de l'Orient et de l'Occident	Chicago
35) Faculté des Etudes islamiques	Sarajevo
36) Le centre islamique	Australie
37) Ministère de la justice	Pakistan
38) L'Union nationale des Musulmans du Kenya	Kenya
39) L'Union des Musulmans de la Corée du Sud	Corée
40) L'Aréopage islamique en Bosnie et en Zégovine	La Bosnie et la Zégovine
41) L'Aréopage de la République de Macédonie	Macédonie
42) La Maison du Coran	l'Ile Maurice
43) L'Organisation de bienfaisance pour (l'entre aide) arabe	La Jordanie
44) Le conseil des sociétés et des organisations islamiques	La Jordanie
45) Le Ministère de la Justice	Les Îles Comores
46) La commission des affaires religieuses au ministère de l'intérieur	Mali
47) La Maison d'assistance Islamique	Londres
48) La société de Waqfs Islamique	Nigeria
49) La société des savants britannique	Londres
50) Le centre de prédication Islamique	Amérique du Sud
51) Le parti d'Al Rofah	Turquie
52) Le réprésentant du parlement de Sri Lanka	Sri Lanka
53) Le conseil supérieur des affaires islamique	Tchad
54) Le conseil supérieur de la prédication islamique	Indonésie
55) La société des savants de la communanté islamique	Yougoslavie
56) L'Agence Islamique	Sarajevo
57) La Revue d'Al Haqq	Pakistan

Compte-rendu de la conférence du Conseil Islamique International pour la prédication et l'Assitance

Par Dr. Rokeya Mahmoud Gabr

Du 2 au 5 du mois de Gamadi Al Oula de l'an 1413 de l'Hégire s'est tenue la quatrième conférence du conseil Islamique international pour la prédication. Cette conférence s'est tenue sous les auspices d'Al Azhar au Caire et elle avait pour thème" :

Présent et Avenir du Monde Islamique

Les organismes et les associations qui ont pris part à cette conférence au cours de la douzième session de l'Académie des Recherches Islamiques sont les suviants :-

1) Al Azhar Al Charif dont le siège est au Caire
2) l'Association du monde Islamique dont le siège est à la Mecque.
3) l'Organisme Islamique mondiale dont le siège est au Koweit
4) l'Organisme de l'assistance Islamique dont le siège est à Djedda
5) La Maison de la Zakat dont le siège est au Koweit
6) L'Organisation de prédication Islamique dont le siège est à Khartoum
7) La société de la Renaissance du patrimoine dont le siège est au Koweit
8) La commission de l'assistance Koweitienne dont le siège est au Koweit
9) La commission de la prédication islamique dont le siège est au Koweit
10) La comité des Musulmans d'Afrique dont le siège est au Koweit
11) Le congrès Islamique général de Jérusalem dont le siège est au Jordanie
12) La fondation de bienfaisance du Roi Fayçal dont le siège est au Riyad
13) Le colloque mondial de la jeunesse Musulmane dont le siège est à Riyad
14) Organisme national pour l'assistance dont le siège est à Khartoum
15) L'Agence Islamique pour l'assistance dont le siège est à Khartoum
16) L'Union mondiale des écoles arabo-islamiques dont le siège est à Riyad
17) Le congrès du monde islamique dont le siège est au Pakistan
18) La commission d'appui et d'assistance dont le siège est a la Palestine
19) L'Union internationale des banques islamiques dont le siège est au Caire
20) Le comité d'assistance humaine au Syndicat des médecins d'Egypte dont le siège est au Caire
21) L'Association de bienfaisance "Lire" dont le siège est à Djedda
22) L'Organisme de la prédication et de l'Orientation dont le siège est à Khartoum
23) L'Organisme d'assistance islamique de Birmingham dont le siège est à Londres

Ont également assisté à cette conférence les Ministères de Waqfs et les administrations des affaires islamiques dans les pays suivants

24) La République arabe d'Egypte

REVUE AL-AZHAR

RAGAB 1413

Volume 65 — Partie VII

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction

M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

the society to establish a hierarchy of properties, devoting part of its total energy to Dawah, education, culture, economic, development, defence, and similar matters of cardinal importance which safeguard and optimize social order. Islamic jurisprudence and ethics have conveniently classified human activities into five classes; namely, obligatory, prohibited, recommended, recommended against and neutral. For the first two, Islam promulgated the Shariah (Islamic Law) based on Divine injunctions. For the second pair, Islam projected a model of conduct whose backbone are the Sunnah and Traditions of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), and the lessons learned from his companions, to teach women and men to emulate in the pursuits of life. This renders the Islamic society consistent ideologically addressing the society in all departments of life, where totalism becomes a desideratum for the society as well as for the state. Such consistency is lacking in Western society, because society and state are assigned different roles.

Another practical implication of Tawhid as a principle of social order is responsibility, an implication that guards against social degeneration. In an Islamic society, every individual is charged with the actualization of Divine Will. This responsibility "Taklif" which is based on the individual's social sense towards the society. This innate census is the faculty by which the individual recognizes his responsibility towards life. This declaration of responsibility expects every individual to perform his personal burden in full consciousness, and meters out its respect in proportion to his realization of responsibility. This follows from the individuals divine trust. This human responsibility as part of the trust is the essence of morality, value and social order. Such as the implications of Tawhid for the Islamic society theory. In effect, these implications produce the Ummah; a corporate organic, coherent civic body which is not limited to land, people or race. It is totalist and universalist, responsible for its corporate life as well as for every one of its members, and for the actualization of the Divine Will of social order in space and time.

not in any way invalidate conscience which continues to operate. The legislative judicial machinery of society functions to govern not men's intentions, but their deflections of the causal nexus of creation, their disturbance for better or worse of nature's cosmic equilibrium. Beyond human conscience, therefore, Islam sets up the law for men, for society "the Ummah", and for the state. This is possible only in the context of human interrelationships that exist among members within a social order, because moral values is precisely the fabric of human relations. There is no exercise of equity, honesty, charity, chastity and rational understanding, unless there are inter-human relationships, and inter-human dependence. Society, therefore, is the context of free individuals socially intercoursing within the mass of society, mutually affecting the attitudes of one another's person. Therefore, society is a condition of religious fulfillment and felicity. No society can continue to exist or survive without the preservation of moral ethical norms and social order. This is one of the major lessons that history has taught mankind.

These considerations are constitutive of Islamic religious experience and imply the principles affecting the practice and activity of the Islamic society. Just as the Divine patterns and design in nature apply to all creation, thereby making creation an orderly cosmos; so Divine Will for mankind applies to the whole of the human - race. Any distinction between individuals is a threat to the unity of the value; and consequently a threat to our belief in the Unity of Divinity. Therefore, value of the moral imperative is one and the same for all. Its claim for obligation cannot be restricted to any segment of humanity. With this understanding, the Islamic Society must show no particularism, never restricting itself to tribe, nation, race, or group. It can never close its doors, or else it betrays its most essential foundation, its universalism. The Islamic society must expand to include all humanity; the summons to the Islamic society is a call to transform mankind; and no distinction for one individual over the other except in piety and righteousness. The Islamic society is open for every individual to join; and therefore, it must seek to expand itself.

The Islamic society interferes with every department of human life, and this necessitates that the Islamic society should seek to actualize the Divine Will for moral ethical social imperatives on all fronts of human life and action. This required

associating the moral agents to guide the social order of human communities, guided in its life by Divine patterns. The Divine Will has been revealed in the Holy Quran, and instituted as an exact practical social order by the Sunnah (Traditions) of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). It is in its nature a potential for the faculties of reason and rationality to deduce and to perceive the Divine immutable law prescriptive to the requisites of justice, equity, moral ethical values, and social order.

The Ummah, therefore, is not a legislative assembly, it does not make the law, nor is the law an expression of the general will of the people. The law is divine, it comes from Divine imperatives and injunctions. The ruler is mere executive of the law. When the Muslim declares that there is no sovereignty but to Allah, which is the maximum of "Tawhid", the very care and essence of his religions experience he commits himself to obey the Divine Will of Allah the Creator, whose power and providence reign over all creation. In the Islamic society "the Ummah", the holder of political power is the divine law, and not the ruler who merely executes it. Therefore, the Ummah becomes a "nomocracy" where rule belongs to the law. It is not a "theocracy", since no one may assume the divine post and rule in the name of Allah. It is not a "democracy" or an "autocracy", since nobody, whether an individual, a group, or a totality of people have the right to rule. None of them is the source of the law, so that it cannot be said that the purpose of political rule is the satisfaction of that person, group or totality.The ruler is only the mere executive of the Divine Laws' and the existence and actions of the Ummah are legitimate when they fulfill divine doctrines are no longer practiced in the affairs of the Ummah, that Ummah looses its Islamic characteristics and privileges, and decays into social disorder of disintegration.

Any social system based on the ethics of intention has to operate on an honor system where the judge is always the person's conscience; only conscience is required to determine the guilt as well as the reform. The presence of the social matrix of the Ummah nullifies the concept of the honor system as the only judge of the ethics of intention. It is necessary to have organs of research, legislation, promulgation and a hierarchical judiciary system to preside; as organs and machineries constitutive of the functions of the society; i.e. the Ummah. This does

Tawhid: The Principle of Social Order

(Excerpts from the Writings of Dr. Ismail Raji Al-Faruqi

Compiled and Presented
By: Saad Moustafa Moustafa, M.D.

Social order is the heart of the Muslim Theism, and stands prior to all personal and individual achievements of values. Certainly, Islam regards human character as necessary essentials, however, these and their pursuit are all void and empty unless their cultivation has a beneficial impact on the society. Evidently, the social system of Islam is the diametrical contrary of modern secularism. The latter seeking to remove the public affairs of the society from ever possible determination by religion. This developed into an opposition to determine public affairs by values stemming from religion as a source which was claimed to be irrational, superstitious and dogmatic. These charges cannot be generalized for all religions; and they are certainly irrelevant to those religions endowed with a natural rational theology which acknowledges the universal validity of the criteria of reason. More recently, secularism is pursued on superficial grounds claiming its identification with scientific progress; while religion is changed with proclaim of opposite values - a claim that is farthest removed from the truth. The claim is also hypocritical, since no society can claim determination of its affairs by no values at all, or by values totally not derived from religious legacy.

The Holy Quran as the scripture of the Muslim doctrinal teachings of faith commands as a divine injunction, that the Muslim Society should summon humanity to righteousness, enjoying the good and forbidding the evil; only such society is felicitous. This command is the charter of the Muslim Society (The Ummah), giving it form, character, and constitution. The maxim of Tawhid "La illaha illa Allah" (there is no god save Allah), makes the life of the Muslim become under constant monitorship; it should be an association with other humans for the purpose of actualizing Divine Will. This formulates into a cosmic institution

hidden and obvious, beginning and end, cause and effect. Allah matches those who sin and disobey His commandments, and those who reject faith, and those who associate other gods with Allah. The absolute supreme knowledge of Allah of all creation, with nothing hidden; this assertion of testimony portrays the absolute Oness of Allah, Omniscience, and Domination, the divine attributes by which the verse started. These divine designations indicate the infinite knowledge of Allah in all dimensions of absoluteness.

The fundamental theme of the opening verses of Surat Al-Imran signify the Dominating, Omniscient powers and knowledge of Allah, after affirming the undisputed Oness of Allah, and that there is no deity but Allah. In continuation to these basic facts, the verses continue to indicate that Divine Providence is the source of all scriptures, the Torah, the Gospel, and the Holy Quran; all springing from the same source, the same kernel, the same fountain of light. This is the Plenum of Faith, the continuity of universal ordinances, imperatives, injunctions and doctrinal teachings to culture mankind into enlightenment, to remove the scum of dark ignorance. The thesis of all divine scriptures is basically and fundamentally the source; with additions of new substance of doctrines as the mental faculty and social development of mankind grew with the years. The thesis of the Holy Quran is the final and most comprehensive, addressing every minute aspect of human life as an individual and in society.

enlightenment of mankind. "And He sent down the Torah and Gospel in the past as guidance to mankind; He also sent down the Furqan". This establishes the evidence that the people of the book, the Christians and the Jews have no ground whatsoever to deny or refuse or reject the belief in the words of the Holy Quran springing from the same fountain as the Torah and Gospel, in a plenum of Divine ordinances for the education culture, enlightenment and felicity of mankind. Messages transmitted by Divine Providence to humanity through the mediation of selected messengers that were the instruments and paradigms of action for the nexus sequence of Divine ordinances of the Torah, Gospel, and the Holy Quran.

The Divine Scriptures of Truth and Verity, the Revelation of Allah and the expression of Allah's will is the true criterion of right and wrong "the Furqan". Some authors believe that the Holy Quran and the Furqan are the same. However, other commentators consider them two distinct entities, the Holy Quran is the Scripture, and the Furqan being the other signs of Divine Providence. In a precise text in Surat Al-Furqan (XXV, verse 1), reference is given that Al-Furqan is the Holy Quran by which one can discriminate between right and wrong, between enlightenment and ignorance, between virtue and vice. The ultimate meaning refers to the Holy Quran as the criterion of standards, the "Furqan" for judgement between Reality and falseness.

The verse continues to threaten those who deny the words of Allah, to suffer severe anguish and torment, and the great penalty for their denial of evident truth, the Truth of the Holy Quran. Denial of the Holy Quran is in effect the denial and rejection of all the holy scriptures of the Torah and Gospel that were revealed by Allah, the Omniscient Dominating. Disavowal, renunciation, contradiction or disclaim of the doctrinal teachings of the Holy Quran, culminates into the very deep pitfall of the dark ignorance of disbelief, and skeptic agnosticism of uncertainty. The People of the Book who deviated from the original authentic teachings of their scriptures, are those who denied the revelation of the Holy Quran, and rejected its ordinances and injunctions. For those, Allah has promised severe torment and punishment; and Allah is master of retribution.

Amidst this precise threat, there is a statement of assurance confirming that there is nothing hidden from Allah on earth or in heaven. Allah possesses all knowledge

but He, the Omniscient, the Dominating. He has sent down the Book to you with Truth, conforming whatever existed before it. And He sent down the Torah and the Gospel in the past as guidance to mankind; He also send down the Furqan (The criterion of judgement between right and wrong). Those who reject Faith in the signs of Allah will suffer severe penalty, and Allah is Exalted in might, Master of Retribution. Nothing is hidden from Allah on Earth nor in Heaven". *(Surat Al-Imran, III, verses 1 - 5).*

Much has been written about the significance of the letters (ALM), however, most of it is pure speculation. Some authors are content to recognize the letters as mystic symbols whose meanings by mere logic is futile to discuss. However, the human mind is sometimes asked to believe against the dictates of reason. The meanings of these letters may evolve in the fullness of spiritual development. We are asked to draw upon our faith, without causing any violence to our rational reasoning. Several other postulations have been attributed to the significance of letters appearing at the beginning of some Suras, nevertheless, an exact definition of their significance is still beyond the scope of present human knowledge. It is also possible that these letters and similar ones appearing at the start of other Suras are an indication that the words of the Holy Quran are composed of similar letters; and still it words remain beyond imitation.

"Allah, there is no god but He, the Omniscient, the Dominating", a statement of precise declaration of Faith and Belief. A statement that qualifies and distinguishes the Muslim believer from all other beliefs. A statement that delineates with exactness the patterns of Muslim life. Allah has no associates in Sovereignty, denoting absolute self subsistence, nothing is conceived to exist or last except through His will. Allah has the infinite powers of perception and ratiocination, nothing is excluded from His Omniscience.

"He has sent down the Book to you with Truth conforming whatever existed before it", a testimony of affirmative information that Allah The Omniscient Dominating has sent down the Book of Quran which agrees and conforms with whatever was before it of Divine words, imperatives and premises of belief. This determines the unity of source, the unity of truth, that all propagate towards the

Glimpses from the Quranic Milieu

The Plenum of Belief

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D., Ph.D.

The Holy Quran is the backbone and root pillar of the Muslim Theism, forming its curriculum, defining its constitution, giving it the spirit, guardianship, providing its action plan, its final reference, and the immutable subsistence during the hardships of life. The Holy Quran has been revealed to transform human understanding and actualize human enlightenment. In the events of history, a whole nation whirled itself onto the fate of true belief holding tight to the teachings of the Holy Quran, and brought about the most pontifical human transformation that history has ever recorded.

The grand miracle of the Holy Quran is its immutable plenum of universality, addressing human societies throughout history. The doctrinal teachings of the Holy Quran provide means of knowledge and strength by which humanity can confront ignorance, and normalize the inclines of the human self and conscience. These teachings are suitable, eligible, qualified, expedient, and effectual, at all phases in the history of mankind. This is the plenum of universality, a unique quality of the Muslim Theism. The human inherent qualities of mankind are most accepting and responsive to the doctrinal teachings of the Holy Quran.

The Surat of Al-Imran portrays a large sector of the life of the Muslim society at Al-Madinah after the great battle of Badr during the second year of Hijrah. The Surat provides a general understanding of the history of mankind with particular reference to the People of the Book. It continues to explain the birth of the new People of Islam, doctrinal injunction, and promotes the concept of struggle for Truth. It exhorts Muslims to remain constant in Faith, pray for protectorship, forgiveness and guidance.

The opening verse of the Surat of Al-Imran reads as follows according to the translation of the meanings of its Arabic Text. **"ALM, Allah, there is no god**

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part VII

Rajab, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1.Glimpses from the Quranic Milieu

The Plenum of Belief

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar

2- Tawhid: The Principle of Social Order.

By : Saad Moustafa Moustafa

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Mrs. Fatimah Muhammad Sirry*

AL AZHAR

MAGAZINE

ENGLISH SECTION

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

العنوان

إدارة الأزهر - بالقاهرة

تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩ ، ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الثامن

السنة الخامسة والستون

شعبان ١٤١٣ هـ

فبراير ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

الكلمة أمانة

الكلمة أمانة ؛ فليس من حقنا على ألسنتنا ، ولا من حق ألسنتنا علينا أن نطلقها تتكلم كيف شاءت ، أو تتحدث كيف شئنا ، فنحن مسئولون عنها ، ينبغى أن نُمْسِكَها إلا عن حق تُدْلى به عن بينة وبصيرة ؛ فليس كل حق يقال طَلْقًا فى أى مَقَام ؛ فمن وراء ذلك حساب أى حساب ، قال تعالى :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق : ١٨

ومَدَح عز وجل - أنبياءه بقوله :

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ مريم/ ٥٠

وهل يَكُبُّ الناسَ فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ، وفى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت . رواه البخارى ، باب إكرام الضيف .

إن الكلمة الكاذبة خائنة ، يمكن أن تقتل بريئاً ، أو تذهب بمال يتيم ، إلى ماتَثْلُمُ من عِرْض كريم ، أو تشن من حربٍ يشعلها أثيم ، لذلك لحقتها اللعنة التى أرسلها المولى عز وجل – فى المتكبرين والظالمين والكافرين .

فقال تعالى : ﴿ لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ آل عمران ٦١

﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود ١٨

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ البقرة ﴿١٦١﴾

وقال تعالى ــ فى إمام المتكبرين : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ص ٧٨

ومن عَجَب أنك لا تجد واحدا من هذه الفرق الأربعة مُكتَفِيًا بصفته ــ وحدها ــ بل لابد أن تجده قد استحوذ ــ بجانبها ــ على أكثر من صفة من هذه الأربع ، فتجد الكاذبَ ظالما جاحدًا متكبرًا ، ذرية بعضها من بعض ، لا تتوقع منها أمانة فى عهد ، ولا وفاء فى وِعد ، ولا عَدْلا فى قضاء ولا صدقا فى لقاء .

كفرتْ بالقيم واستباحت الحرمات .

وذلك الذى كان فى لقاء صحفى بين عالم كبير ، ووفد من الصحفيين يتقدمه رئيس تحريرهم ، ويدير هو ــ بنفسه ــ الحديث مع هذا العالم .

وخرج الحديث للناس مستوعبا معظم الصفحة الأولى يوم الخميس ٨ من جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٢/١٢/٣ م .

وفيه على لسان هذا العالم ـ كذبا ـ تهكمٌ واستهزاء بالمصلين أصحاب « الزبيبة » وإذا الصحيفة لم تزد على أن تكون إعلانا لسوق نِخَاسَةٍ يهتك الأعراض ، وينال من الحرمات ويكشف عن كيدٍ للدِّين ، وتشويهٍ لكل متدين مستقيم : سعيا للحط من كرامة العلماء فى نفوس الناس وكسبا لازدرائهم .

ونحمد الله ... فلقد التزم الأزهر الشريف ـ بالرغم مما يقوم ضده من تعتيم مقصود لكل أعماله ـ التزم بقاعدتى « الإعلام » فى الإسلام كلتاهما من نهج القرآن الكريم :

الأولى فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ الأنعام ١٥٢

والثانية فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ الحجرات ٦

أى فاصدقوا وقولوا الحق ، وتَحَرَّوا الأخبار حتى تأمنوا الخطأ ، ولا تصيبوا الناس بما يكرهون .

قال سفيانُ بن أَسِيد الحضرمى : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول :

« كَبُرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مُصَدِّق ، وأنت به كاذب »

رواه أبو داود ـ باب فى المعاريض

لكن ، لمن يقال هذا الحديث ... أللإعلام .؟. بئس الإعلام تَحُدُو لَهُ هذه الأقلام !

إنه الشيطانُ ... فلا تغريه بالتقوى !

وَوَجْهُ قرد ... فلا تنتظر منه خجلا .

د. على أحمد الخطيب

بيان من الأزهر الشريف

إن ما أقدمت عليه اسرائيل من طرد أكثر من أربعمائة فلسطينى من ديارهم ووطنهم وأُسرهم ، وحصارهم فى العراء دون ماء ، ولا طعام ، ولا دواء ، تتساقط عليهم الثلوج ، يلفحهم البرد القارس ، ويتعرضون للتهلكة ..

هذا الذى حدث تحت سمع وبصر العالم والمؤسسات الدولية ، التى تتصايح وتتنادى إلى حماية حقوق الإنسان ، ومع هذا تكتفى فى هذا الموقف بالشجب المجرد عن أى اجراء يرفع هذا الظلم ، فأية عدالة هذه ، وأية مساواة تلك التى ينفيها هذا الواقع الأليم ..

إن الأزهر الشريف ليأسف لهذا التمادى من إسرائيل ، ولمجاهرتها بالإصرار على ما اقترفت ، وعلى سوء ما فعلت ، وأهدرت به كرامة وحقوق أولئك الذين أكرهتهم على الخروج من ديارهم ..

ويهيب الأزهر الشريف بجامعة الدول العربية وبمنظمة المؤتمر الإسلامى ، وبمنظمة الدول الإفريقية أن تتضامن فى عرض هذا الأمر على المؤسسات الدولية ـ الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ـ لاتخاذ إجراء حاسم ، ترفع به هذا الظلم ، وترد هؤلاء المبعدين إلى وطنهم ...

وينادى الأزهر الشريف كافة المؤسسات الدينية والإنسانية فى أرجاء العالم للتضامن والسعى إلى دفع هذا العدوان على حقوق الإنسان ..

وإن الدول الإسلامية والعربية منوط بها أن تأخذ موقفا تضامنيا حاسما نحو هذا العدوان ، وغيره مما ألم بساحات العرب والمسلمين ..

ويدعو الأزهر الشريف كافة الشعوب الإسلامية للقنوت فى صلاة يوم الجمعة ، رجاءاً ودعاءاً لله سبحانه أن يفرج هذا الكرب ، ويفك عن هؤلاء المبعدين ماوقعوا فيه من أسر وضيق ، وأن ينصر المسلمين المضطهدين فى ديارهم على أولئك البغاة الظالمين ، الذين استباحوا العرض ، واغتصبوا الأرض وروعوا الآمنين ، وأذكرهم جميعا بقول الله سبحانه :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

مع

الإمام الأكبر

شهر شعبان وليلة النصف منه

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

لشهر شعبان فى الإسلام مكانة خاصة بين الشهور ، فهو شهر النفحات والفيوضات والبركات .

ولقد كان رسول الله ﷺ يخص هذا الشهر بالكثير من الصوم ، روى النسائى عن أسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ قال : (قلت يا رسول الله ، لم أرك تصوم فى شهر من الشهور ما تصوم من شعبان . قال : « ذلك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » ، والمراد أنهم يغفلون عن تعظيم شعبان بالصوم كما يعظمون رمضان ، وكانوا يعظمون شهر رجب فى الجاهلية ، قال الشوكانى : ولعل الحكمة فى صوم شهر شعبان أنه يتعقبه رمضان وصومه مفترض ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يكثر من الصوم فى شعبان قدر ما يصوم فى شهرين غيره ، لما يفوته من التطوُع الذى يعتاده بسبب صوم رمضان .

وعن أم سلمة رضى الله عنها : « أن النبى ـ ﷺ ـ لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « لم يكن النبى ـ ﷺ ـ يصوم أكثر من شعبان فإنه كان يصومه كله » .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « ما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان » رواه الترمذى وقال حديث حسن وأبو داود ولفظه قالت « لم يكن النبى ﷺ يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان كان يصله برمضان » رواه النسائى باللفظين جميعا .

وفى الحديث الذى رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه ، عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « يَطَّلِع الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » .

وفى رواية اشلإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « يَطَّلِع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا إثنين : مشاحن أو قاتل نفس » .

هذه الأحاديث وغيرها تعلى من شأن ليلة النصف من شعبان ، وتعظم ذلك اليوم وتدعو المسلمين إلى الإقدام على طاعة الله فيها ، وصوم يومها ، طلبا لرحمة الله ومغفرته ، واستزادة من مرضاته ، واستقبالا لخيره الذى لا ينقطع عمن تاب إليه وأناب ، فإنه سبحانه يوفى الطائعين الصابرين الصائمين أجرهم بغير حساب ، وخير ما يُعبد الله به فى هذه الليلة المباركة ، الصلاة : وتلاوة القرآن ، والدعاء بما فتح الله به على المسلم فى خشوعه وعبادته ، وخير الدعاء ما علمنا الله إياه فى القرآن ، وما ورد عن رسول الله ﷺ ، فلنحرص على إحياء هذه الليلة بالطاعة ، بالصلاة ، وتلاوة القرآن ، والاستغفار ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير وسائر أنواع الذكر ، وعلى صوم يومها كما أثر عن رسول الله ﷺ .

هذا : ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام دعاء خاص فى هذه الليلة . ولعل الأولى التأدب بأدب القرآن ، والتزام ما جاء فيه من أدعية جرت بها آياته ، وما أثر عن رسول الله ﷺ من جوامع الدعاء ، إذ بذلك تتنزل الرحمات ، وتقضى الحاجات ، وتنغلق أبواب الشرور والآفات ، ومن أدب الدعاء الإخلاص والإقبال على الله ، فادعوا الله مخلصين له الدين ، وأقبلوا على الله لاسيما فى مواسم الخير والبر يكن الله معكم .. بالحفظ والرعاية والتوفيق .

ومن الأحداث العظيمة التى وقعت فى هذا الشهر المبارك تحويل القبلة فى الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة . ففى الصحيحين عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ يصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ سورة البقرة

فصلى مع النبى ﷺ رجل ، ثم خرج بعدما صلى فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

وقد ضبط أهل الحديث والسير أن الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام فى قوله تعالى : قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ (سورة البقرة)

هذا الأمر كله كان فى شعبان من السنة الثانية للهجرة ، وقد كان استجابة لدعائه وابتهاله ﷺ فأمر بالتوجه إلى القبلة التى كان يود التوجه إليها ويرضاها ، وأن ذلك هو الحق من الله ، والكعبة هى قبلة إبراهيم عليه السلام .

فتوى

في حكم استخدام الودائع والأوقاف وحكم الأغذية التي ليست حلالا للمسلمين في بلد غير مسلم وحكم العالم الذي تخالف تصرفاته أحكام الشريعة الإسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعد فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من المعصوم إبراهيم وعنوانه أمانة مسجد قوة الإسلام ٢١٤ شارع لوب ـ ص.ب .٦٧٨٦ كيب تاون ٨٠١٢ جنوب إفريقيا ، ويأمل مرسل الخطاب إصدار الفتوى عن الأسئلة الأربعة التالية :

١ ـ إساءة استخدام أموال الودائع التى تجنب من أجل نفع الأمة الإسلامية .

٢ ـ النتائج المترتبة على إساءة استخدام ممتلكات الأوقاف .

٣ ـ التحذيرات المسبقة التى يجب أن تتخذ لبيان أن الأغذية التى يستهلكها المسلمون فى بلد غير مسلم حلال أم لا ؟

٤ ـ إذا ما كان هناك عالم يتصرف بما لا يتفق مع الشريعة ، فما هى النتائج المترتبة على ذلك ؟ وخاصة إذا كان ذلك العالم فى وضع قيادى دينى .

رجاء التكرم بإصدار الفتوى وإرسالها باللغة العربية مع ترجمة لها باللغة الإنجليزية ، ولأن الفتاوى المشار إليها مطلوبة بإلحاح ، نأمل من فضيلتكم ـ بكل تقدير أن توافونا بالإجابة بأسرع ما يمكنكم . نشكركم على جهودكم مع خالص الدعاء .

والجـــــواب

عن السؤال الأول :

قال الله تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا.. ﴾[1]

وقال :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ ـ قال :

« من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله »[3]

وعن المغيرة بن شعبة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

« إن الله كره لكم ثلاثا : قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال »[4]

وفى الفقه الإسلامى أن من استُودع وديعة فهو وكيل عن صاحبها فى حفظها وصيانتها وأمين على رعايتها كرعايته لماله ، حتى تعود لصاحبها كاملة غير منقوصة وبذلك ينال الوديع ـ من عنده الوديعة ـ ثواب الله جزاء إحسانه ، وحفظه لمال الوديعة كما ينال رضا الناس ، وثقتهم فيه ، لأنهم يجدون فيه مأمنهم ، والحفيظ على أموالهم والأهل لودائعهم ، والصادق مع الله ورسوله ، والأمين على ما استودعوه .

أما من استودع وديعة فخان أمانتها ، وعرضها للتلف ، وصرفها فيما لا يحل ، وأساء استخدامها ، وأضاعها ـ كلها أو بعضها ـ ولم يحفظها ، فهو ضامن لها حين تعدى عليها ، ومسئول عنها حين فرط فيها ، فلم يؤدها إلى أهلها ، ولم يقم على صيانتها ولم يرعها حق

---

(١) من الآية رقم ٥٨ من سورة النساء .

(٢) الآية رقم ٢٧ من سورة الأنفال .

(٣) رواه البخارى ـ شرح صحيح البخارى للشيخ زروق جـ ٥ ص ١١٧

(٤) رواه البخارى واللفظ له ومسلم وأبو داود ، ورواه أبو يعلى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة بنحوه ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٣ ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ط مطابع قطر الوطنية .

رعايتها ، فخان بذلك أمانة الله ورسوله ، وأمانة الناس ، وجزاؤه عند ربه ، وإذا كان سوء استخدام ودائع الأفراد ، يعد ظلما وعدوانا ، وخيانة لمن ائتمنوه فإن سوء استخدام أموال الودائع التى تجنب من أجل نفع الأمة الإسلامية ، يعتبر أشد ظلما ، وأعظم جرما ، وأكبر خيانة ، وأسوأ أثرا على المجتمع ، حيث تفتقد الثقة ، وتنتزع الطمأنينة ، ويصد الناس عن بذل أموالهم فى أوجه الخير ، ونفع الأمة الإسلامية والله يحب من عباده المؤمنين بذل المال وحفظه ، ويكره منهم الشح وإضاعة المال وفى حديث النبى ـ ﷺ ـ :

« ليس على المستعير غير المغل ضمان ، ولا على المستودع غير المغل ضمان »[٥] بيان شاف وجواب كاف .

لما كان ذلك :

كانت إساءة استخدام أموال الودائع التى تجنب لنفع الأمة الإسلامية من باب خيانة الأمانة وكانت عدوانا على مال له حكم الوقف ، والوقف يخرج عن ملك الناس إلى حكم ملك الله تعالى ، ويجب على المسلمين حمايته كالوقف تماما .

والجواب عن السؤال الثانى :

الوقف معناه فى لغة العرب : الحبس ، لحبس العين الموقوفة عن التصرف فيها .

ومعناه فى الشرع : تحبيس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه ليصرف ريعه فى جهة خير تقربا إلى الله تعالى .

وحكمة **الوقف** : حبس العين على الجهة الموقوف عليها ، وتأبيد الانتفاع بها فلا تعبث بها الأيدى ولا يساء استخدامها ، ويكون الثواب مستمرا وهو بمثابة الصدقة الجارية .

والوقف مشروع وهو من أنواع البر ، وقد أجمعت الأمة الإسلامية على جواز أصل الوقف ، لترغيب النبى ـ ﷺ ـ أصحابه فى بذل أموالهم على وجوه الخير فأوقفوا خيار أموالهم ، وأحبها إلى أنفسهم ، تلبية لقول الله تعالى :

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾[٦]

و [illegible] ممن أوقف فى حياة النبى ـ ﷺ ـ الصحا[illegible] [illegible] بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وأبو طلحة الأنصارى ، وسعد بن عبادة ـ رضى الله عنهم .

وجمهور الفقهاء على أن الوقف لازم ، لا يباع ولا يشترى ولا يورث ، ولا يوهب ، ولا يجوز التصرف فى أصله من قيم الوقف أو ناظره ، أو غيرهما ، حماية لمصلحة الموقوف عليهم .

وللقاضى أن ينزع الولاية على الوقف من غير المأمون عليه ويولى غيره رعاية لحق المستفيدين

---

(٥) اخرجه الدار قطنى ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٥ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ، ويراجع الفقه الحنفى : (الهداية شرح بداية المبتدى) للمرغينانى جـ ٣ ص ٢١٥ وما بعدها ط الحلبى ، و(الاختيار لتعليل المختار) للموصلى جـ ٢ ص ٢٧٥ ط المطابع الأميرية .

والفقة المالكى : (حاشية الدسوقى على الشرح الكبير) جـ ٣ ص ٤١٩ ، ٤٢٠ وما بعدها ط الحلبى .

والفقه الشافعى : (حاشية قليوبى وعميرة على شرح جلال الدين المحلى على منهاج الطالبين للشيخ محى الدين النووى) جـ ٣ ص ١٨٠ ، ١٨١ ط الحلبى

والفقه الحنبلى : (المغنى لابن قدامة) جـ ٧ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ط دار الكتاب العربى .

(٦) الآية رقم ٩٢ من سورة آل عمران .

منه ، ووقاية من سوء استخدام الوقف بالتعدى عليه أو التصرف فيه ، وصرفه فى غير وجوهه التى من أجلها شرع .

وفى الفقه الحنفى(٧) « فإن كان غير مأمون نزعه القاضى منه وولى غيره » وفيه أيضا :

« والفتوى فى غصب عقار الوقف وإتلاف منافعه وجوب الضمان نظرا للوقف وهو المختار »

والأعيان والأموال الموقوفة على جهات بر وخير تجب المحافظة عليها واستثمارها والتصرف فى ريعها بالمعروف وفقا لشرط الواقف حتى تصل الحقوق إلى مستحقيها ويثيب الله بالأجر العظيم الواقف والقيم وكل من يعمل على صلاح الوقف ورعايته وتنميته ، وهذا استخدام حسن .

ومن خالف شرط الواقف وتعدى على ممتلكات الأوقاف بتصرف سىء واستخدام مذموم يؤدى إلى حرمان الجهات الموقوف عليها من منفعة الوقف ، فإنه بذلك يكون قد خالف شرع الله وعرض نفسه لمقت الله وغضبه ، وسوء ظن الناس به فلا يأتمنونه حيث اتفق الفقهاء على أن شرط الواقف كنص الشارع فى وجوب العمل به والحذر من مخالفته .

ومن ثم كان على القاضى نزع الولاية من ناظر الوقف إذا خان وظلم [illegible] ، حتى لا تضيع ممتلكات الأوقاف ، ويطمع الطامعون فيها ، وتحرم جهات البر من الانتفاع بالوقف ، وحتى لايتوقف أهل الخير من القادرين ، عن الوقف على الفقراء والقربات وفى سبيل الله وابن السبيل والضيف وغيرها من جهات البر ، وفى ذلك ضرر بالغ .

والجواب عن السؤال الثالث :

أن الأغذية التى يستهلكها المسلمون فى بلد غير مسلم يجب أن تكون مما أحل الله أكله من الطيبات ، وأباح استهلاكه من المطعومات ــ قال تعالى :

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾(٨) وقال عز وجل : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾(٩) وقال رسول الله ﷺ : « ماأحل الله فى كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينس شيئا »(١٠) .

ولقد فصّل الله المحرمات من الطعام فى قوله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾(١١)

---

(٧) فى الفقه الحنفى يراجع : الاختيار لتعليل المختار جـ ٣ كتاب الوقف) وحاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار جـ ٤ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٧٩ ط الحلبى . وفى الفقه المالكى يراجع : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٤ ص ٨٨ ، ٨٩ ط الحلبى . وفى الفقه الشافعى يراجع : روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووى جـ ٥ ص ٣٤٧ ــ ٣٤٩ ط المكتب الإسلامى ، وحاشية قليوبى وعميرة على شرح جلال الدين المحلى على منهاج الطالبين للنووى جـ ٣ ص ١٠٩ ط دار احياء الكتب العربية ــ الحلبى .

وفى الفقه الحنبلى يراجع : المغنى لابن قدامة مع الشرح الكبير جـ ٦ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ط دار الكتاب العربى .

(٨) الآية رقم ١١٨ من سورة الانعام

(٩) من الاية رقم ١٢١ من سورة الانعام

(١٠) أخرجه البراز وقال سنده صالح والحاكم وصححه من حديث أبى الدرداء ــ رفعه ــ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ١٠٧ ط دار الحديث .

(١١) من الآية رقم ٣ من سورة المائدة .

والمحرمات المذكورة فى الآية عشرة :

١ ـ الميتة وهى مازالت حياتها بغير ذبح شرعى .

٢ ـ الدم حرام ماعدا الكبد والطحال .

٣ ـ كل الخنزير حرام ولو ذبح ولا يحل الانتفاع بشىء منه كالجلد والظفر وغيرهما .

٤ ـ ما أهل لغير الله به أى ذبح وذكر عند ذبحه اسم غير الله .

٥ ـ المنخنقة التى ماتت بالخنق .

٦ ـ الموقوذة المضروبة بآلة أماتتها .

٧ ـ المتردية الواقعة من علو فماتت .

٨ ـ النطيحة التى نطحها حيوان آخر فماتت بالنطح .

٩ ـ ما أكل السبع كالشاة يأكل منها سبع أو ذئب ونحوهما فتموت .

١٠ ـ ما ذبح على النصب : قال فى لسان العرب النصب صنم أو حجر كانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده فحرّم الله أكل هذه الذبائح حتى ولو ذكر عليها اسم الله عند الذبح ..

ومعنى الذكاة فى قوله تعالى : «إلا ما ذكيتم» الذبح كما ورد فى لغة العرب وفى الشرع إنهار الدم ، وفرى الأوداج فى المذبوح والنحر فى المنحور ، والعقر فى غير المقدور عليه .

ويرى جمهور العلماء أن الذكاة تقع بكل ما أنهر الدم وفرى الأوداج ـ وهو آلة الذبح ماعدا السن والظفر إذا كانا غير منزوعين لأن الذبح بهما قائمين فى الجسد من باب الخنق .

وكمال الذبح بقطع أربعة هى الحلقوم والمرىء والودجان .

وموضع الذبح الاختيارى بين مبدأ الحلق إلى مبدأ الصدر من الحيوان المراد ذبحه .

وبناء على ما تقدم فإن الذبح الاختيارى الذى يحل به لحم الحيوان المباح أكله فى شريعة الإسلام هو ما كان فى رقبة الحيوان فيما بين الحلق والصدر ، وأن يكون بآلة ذات حد تقطع أو تخزق بحدها لا بثقلها ، سواء أكانت هذه الآلة من الحديد أو الحجر على هيئة سكين أو سيف أو بلطة ، أو كانت من الخشب بهذه الهيئة أيضا لقول النبى ﷺ :

(ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ما لم يكن سنا أو ظفرا)[١٢] .

وإذا أزيلت حياة الحيوان المباح أكله بطريقة غير الطريقة الشرعية السابق بيانها كأن صدم بتيار كهربائى أو بسيارة فمات أو ضرب على رأسه بحديدة ، أو أفرغ فى رأسه شحنة مسدس قاتل ، أو صعق بتيار الكهرباء أو ألقى فى ماء مغلى ليلفظ أنفاسه ، فهو ميتة **لا يحل** أكلها فى الإسلام ، لأنها محرمة بنص القرآن الكريم .

والميتة بهذه الطرق هى الموقوذة التى ورد النص بتحريمها فى سورة المائدة[١٣] وما يستهلكه المسلمون فى بلد غير إسلامى من اللحوم والدواجن والطيور إذا ثبت ذبحها بالطريقة الشرعية فهى حلال ، وأما إذا ثبت بطريق القطع أنها لم تذبح بالطريقة التى قررها الإسلام ، وإنما تضرب على رأسها بحديدة ثقيلة أو يفرغ فى رأسها محتوى مسدس مميت أو تصعق بتيار الكهرباء ثم

---

(١٢) من حديث رواه الجماعة ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ١٤١ .

(١٣) الآية رقم (٣) . من سورة المائدة .

تلقى فى ماء مغلى وتلفظ أنفاسها فيه إذا ثبت هذا دخلت فى نطاق الموقوذة المحرمة[١٤] بنص الآية الكريمة من سورة المائدة[١٥] .

والبلاد التى تدين باليهودية أو النصرانية يغلب أن تكون ذبائحهم مذكاة حسب شريعتهم فهى حلال لأنهم أهل كتاب وهم فى الأصل أهل توحيد ، وقد جاء حكم الله بإباحة طعامهم للمسلمين وإباحة طعام المسلمين لهم .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾

وكلمة طعام عامة تشمل الذبائح والأطعمة المصنوعة من مواد مباحة وفى هذه الآية قال المفسرون أنها تعنى : ذبائح اليهود والنصارى .

والمسلمون الذين يعيشون فى بلاد ليست كتابية أو يزورونها يجب عليهم أن يستوثقوا مما يأكلونه من ذبائحهم لأن الغالب عند غير الكتابيين عدم الذبح كما يذبح الكتابيون والمسلمون ولايكفى عدم العلم بحال هذا المطعوم بخلاف البلاد الكتابية فيكفى فيها ظاهر الحال والمقال لأن الغالب أنهم يذبحون .

وفى شأن اللحم الذى لايدرى : هل ذكر اسم الله عليه عند الذبح أولا ؟

يقول رسول الله ﷺ : (سموا عليه أنتم وكلوا)[١٧] .

وقد حفلت كتب السنة بأن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يأكل من ذبائح اليهود دون أن يسأل هل سموا الله عند الذبح أم لا ؟[١٨] .

ومن ثم فإن المسلمين المقيمين فى بلاد غير إسلامية عليهم أن يتحروا عن ذبح اللحوم والطيور ولايأكلون منها إذا قامت شبهة عدم الذبح الشرعى لاسيما إذا كان غير المسلمين من أصحاب الديانات غير الكتابية .

أما الأغذية غير اللحوم فمباحة مالم تكن مصنوعة بشحوم الخنزير أو مختلطة بمحرم آخر كالخمر وعندئذ تكون محرمة .

والجواب عن السؤال الرابع :

أن الله سبحانه قال :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[١٩] .

وعن معاوية ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ : «من يُرد الله به خيراً يُفَقِّهْهُ فى الدِّين»[٢٠] .

ومعنى الآية الكريمة (لا يخاف الله خوفاً كاملاً إلا العلماء الذين اختارهم ربهم ، وورثهم كتابه كما فى قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٢١] أى أعطينا العلم لمن اخترناهم من عبادنا المؤمنين ، وأردنا بهم الخير ففقهناهم فى الدين ، وعلوم الشريعة .

---

(١٤) الفتاوى الإسلامية جـ ١٠ ص ٣٥٤٨ ، ٣٦٠٩ وبيان للناس جـ ٢ ص ٣٠٠ ـ ٣٠٨ .

(١٥) الآية رقم (٣) . من سورة المائدة .

(١٦) من الآية رقم ٥ من سورة المائدة .

(١٧) من حديث رواه البخارى والنسائى وابن ماجه ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ١٣٩ .

(١٨) بيان للناس جـ ٣٢ ص ٣٠٠ ـ ٣٠٨ .

(١٩) من الآية رقم ٢٨ من سورة فاطر

(٢٠) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ٩٢ ط قطر الوطنية .

(٢١) من الآية رقم ٣٢ من سورة فاطر .

والعالم الذى اختاره الله لحمل أمانة العلم ، والمحافظة على شريعته ، واجب عليه أن يكون دائما أهلا لهذا الاختيار ، وأن ينظر فى تهذيب نفسه وتصفية قلبه من الأوصاف الذميمة كالرياء والعجب والكبرياء والطمع والفخر وحب العلو والشهـرة بين النـــاس وإذا ما تخلى عن هذه الأوصاف المذمومة فعليه أن يحلى نفسه بالأخلاق الإسلامية الكاملة كالإخلاص والصبر والشكر والتواضع والقناعة والورع والزهد والتوكل على الله ، وبذلك يجمع بين التخلية والتحلية ، وينال مرتبة العلم الحقيقية لأن من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾(٢٢) .

وحينئذ يقذف الله فى قلبه نوراً ، فتحصل له المعرفة وتنكشف له الأمور ويسير فى الأرض بين الناس ، قدوة طيبة وأسوة حسنة ووارثا من ورثة الأنبيـاء كما ورد فى الحديث الشريـف عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مَنْ سَلَكَ طريقاً يَلْتَمِس فيه علماً سَهَّلَ الله له طريقاً إلى الجَنَّةِ ، وإنَّ الملائِكَة لَتَضَعُ أجنحتها لطالب الْعِلْمِ رضاً بما يَصْنَعُ ، وإن العَالِمَ ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء . وفضل العَالِمِ على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إنَّ الانبياء لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولادِرْهَماً ، إنما وَرَّثُوا العِلم فمن أ خذه أخذ بحظ وافر »(٢٣) .

فمن كان من علماء الشريعة متفقاً عمله مع الشرع مبلغاً عن الله ورسوله بالحق فقد نال الحظ الوافر ، والنضارة والبهاء والحسن لما روى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« نَضَّرَ الله امَرءًا سَمع مِنَّا شيئاً فَبَلَّغَهُ كما سَمِعَهُ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعى من سامِع »(٢٤) .

ومن كان عالم شريعة ويتصرف بما لايتفق معها رغم أنه فى وضع قيادى دينى فيأتى أفعالاً تتنافى مع الدين ويخالف بذلك عمله علمه ، وأقواله أفعاله ، وظاهره باطنه ولا يراعى الله فى قيادته الدينية فقد عرض نفسه لمقت الله وذمه فى قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(٢٥)

كما أدخل نفسه فى زمرة من قال الله فيهم :

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٢٦) .

ومن كانت هذه صفاته صار مثلا سيئاً وخائناً للأمانة فلا يوثق به ، ولا يقبل منه ولا يؤخذ عنه وحرى بالمجتمع أن يبعده عن قيادته الدينية ، بعد أن عاب الله أفعاله فى الآيات السابقة .

وقد حذر النبى ـ ﷺ ـ من يتعلم علما يبتغى به وجه الله لايتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا فقال :

« من تَعَلَّمَ عِلْمًا مما يُبْتغى به وَجْهُ الله تَعَالَى

(٢٢) من الآية رقم ٢٨٢ من سورة البقرة .

(٢٣) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ٩٤ ط قطر الوطنية .

(٢٤) رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه إلا أنه قال : رَحِمَ الله امْرَأً وقال الترمذى : حديث حسن صحيح . الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ١٠٨ ط قطر الوطنية .

(٢٥) الآيتان رقم ٢ ، ٣ من سورة الصف .

(٢٦) الآية رقم ٤٤ من سورة البقرة .

لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ به عَرَضًا من الدنيا لم يجد عَرْفَ[٢٧] الجنة يوم القيامة »[٢٨].

وقال ﷺ

« مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً لِغَيْرِ الله ، أو أرادَ به غَيْرَ الله فَلْيَتَبَوأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ »[٢٩] .

وقد بين النبى ﷺ إثم من أفتى الناس بغير علم فقال :

« من أُفْتى بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمهُ على من أَفْتَاهُ ، ومن أَشار إلى أخِيه بأمر يعلم أن الرُّشْدَ فى غيره فقد خَانَهُ »[٣٠] .

وقد روى عن ثوبان عن النبى ﷺ :ـ « إنّما اخَافُ على أمتى الأئمة الْمُضِلِّين »[٣١] أى الداعين إلى البدع والفجور ومن تحذيراته ﷺ ماروا‌ه كعب بن مالك عن النبى ﷺ قال : « مَنْ طَلَبَ العِلمَ ليُجَارِى به العُلماء أو لِيُمارِى به السُّفَهَاءَ ويصرِفَ به وجوه الناس إليه أَدْخَلَهُ الله النار »[٣٢] .

وفى الوعيد بالعذاب على كتمان العلم وعدم تبليغه يقول النبى ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة :

« من سُئِل عَنْ عِلمٍ فِكَتَمهُ أُلجِمَ يومَ القيامة بِلجامٍ من نار »[٣٣] .

فليحذر أولو العلم مما حذر الله ورسوله منه حتى تكون عاقبة أمرهم نُجْحاً .

لما كان ذلك وكانت تلك النصوص وغيرها من القرآن والسنة قد أثَّمتْ أولئك الذين يقولون مالا يفعلون ، ويتجاوزون أحكام الله سراً وعلانية كان على من أشير إلى صفته فى هذا السؤال أن يتخلى عن إمامة المسلمين وريادتهم وقيادتهم فى أمور حياتهم ، إذ لاثواب له ولا جزاء إلا السوء حسبما يشير إلى هذا قول رسول الله ـ ﷺ ـ فيما روى عن ابن عباس[٣٤] رضى الله عنهما أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « ثلاثة لاترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا : رجل أم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط[٣٥] وأخوان متصارمان »[٣٦] والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(٢٧) عَرْف : بفتح فسكون : ريح .

(٢٨) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم . الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ١١٥ ط قطر الوطنية .

(٢٩) رواه الترمذى وابن ماجة كلاهما عن خالد بن دريك عن ابن عمر ولم يسمع منه ورجال اسنادهما ثقات ـ المرجع السابق جـ ١ ص ١١٧

(٣٠) رواه أبو داود فى سننه جـ ٤ ص ٦٦ كتاب العلم ـ باب التوق فى الفتيا برقم ٣٦٥٧ ورواه البيهقى فى السنن الكبرى : كتاب آداب القاضى ـ باب إثم من افتى أو قضى بالجهل جـ ١٠ ص ١١٦ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ـ كتاب العلم جـ ١ ص ١٠٣ (جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للسيوطى العدد الأول من الجزء الرابع من السنن القولية : تحقيق مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف) .

(٣١) من حديث رواه الترمذى ج ٤ ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ باب ماجاء فى الأئمة المضلين ـ الجامع الصحيح (سنن الترمذى) ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٣٢) رواه الترمذى واللفظ له ، وابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت وغيره ، والحاكم شاهدا والبيهقى وقال الترمذى : حديث غريب ـ الترهيب والترغيب للمنذرى جـ ١ ص ١١٦ ط قطر الوطية .

(٣٣) رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبجع فى صحيحه والبيهقى ورواه الحاكم بنحوه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه ـ المرجع السابق جـ ١ ص ١٢١ .

(٣٤) رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، ولفظه : قال رسول الله ﷺ ثلاثة لايقبل الله منهم صلاة : إمامُ قَوْمٍ وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها غضبان وأخوان متصارمان ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ ص ٣١٤ ط قطر الوطنية .

(٣٥) ساخط : غضبان .

(٣٦) متصارمان : متقاطعان .

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمة إلى المسلمين جميعا من فوق منبر المؤتمر العام الخامس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى يتولى رياسته .. قال ـ مرتجلا * :

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

وبعد :

فمبلغ علمى أنه لا توجد أمة وضع الله ـ تعالى ـ لوحدتها نظاما ومنهجا كاملا كالأمة الإسلامية ، وهذا المنهج وارد فى القرآن الكريم ، وفى سنة رسول الله ـ ﷺ ـ فوحدة الهدف لهذه الأمة موصولة بالقبلة التى حددها ـ سبحانه ـ ليولوا وجوههم شطرها .

ووحدة الصف جاءت مقرونة بالصلوات الخمس .

والتكافل بينها جاء فى فريضة الزكاة .

والحج قائم بينهم مؤتمرا عاما للقضاء على كل خلاف .

والتذكرة بحب الإنسانية وتكافل أعضائها جاء فى صوم رمضان حتى لا يكون بينهم جائع ولا عارٍ ولا مظلومٌ ولا مهضوم .

هذه تذكرة دائمة يذكرنا بها ربنا فى فروضه الخمسة ...

أسمع : وحدة الهدف !... وحدة الهدف ..!!

أين نحن من هذا الهدف ؟.

لقد أصبحنا فى مؤخرة العالم فِكْرًا وشخصية واعتبارًا وقدرة ..!!

فلم لا نستمسك بما رضى لنا ربنا ؟!

التوبة ..؛ أيها السادة ، التوبة لمراجعة النفس والقلب والعمل .

أدعو شعوب الأمة لتقف ـ أمام الله ـ وقفة التوبة ، ليصلحوا كل خطيئة وأنتم ـ أيها الهداة ـ تحملون نورًا فأضيئوا به على الإسلام .

أرجو أن نعود وأن نتوب ..!!؟

---

* ضحى الثلاثاء ٢٦ من رجب ١٤١٣هـ / ١٩ / ١ / ١٩٩٣م بقاعة المؤتمرات الكبرى بمدينة نصر .

بيان
لجنة القدس والجهاد في اجتماعها

يوم الأحد ٢٥ من جمادي الآخرة ١٤١٣هـ الموافق ٢٠ من ديسمبر ١٩٩٢م

بشأن
ما يجري في فلسطين من طرد أهلها من ديارهم

تستنكر لجنة القدس والجهاد والأقليات الإسلامية بالأزهر الشريف ما هو حادث للمسلمين فى فلسطين .. حيث تتضاعف آلامهم وتتفاحش النكبات التى تنزل بهم ..

وترى اللجنة أن تشريدهم ، وإخراجهم من أرضهم وديارهم ، إجراء صهيونى غاشم ، رغم كل العهود الدولية ، ومواثيق حقوق الإنسان ..

كما أن الإسراف فى الظلم والعدوان ، وأساليب القتل والإبادة والطرد عادة إسرائيلية متبعة فى معاملة الجماهير العربية فى الأراضى المحتلة ..

ويعلن الأزهر الشريف غضبه العارم على هذه السياسة الوحشية الظالمة التى تتجافى مع الإنسانية ويستنهض همم المسلمين لمقاومتها ، كما يطالب المؤتمر الإسلامى ، وجامعة الدول العربية ، وهيئات الأمم المتحدة ، ومنظمة حقوق الإنسان ، وجميع الهيئات الدولية باستنكار ورفض هذه القسوة وإعادة المطرودين ، وحقن دماء المضطهدين وقيام جميع الحكومات الإسلامية بواجبها نحو إعادة هؤلاء إلى أوطانهم فوراً ..

وإن لجنة القدس والجهاد بالأزهر الشريف إذ تُحَيِّ الانتفاضة الفلسطينية فى مطلع عامها السادس ، لتناشد : المنظمات ، والهيئات العربية والإسلامية ، والإنسانية الدولية استنكار ما يحدث فى فلسطين من أساليب القمع ، والتجويع ، والابادة التى تمارسها إسرائيل تجاه الفلسطينيين على أرضهم والعمل على وقف كل هذه التجاوزات والاعتداءات ، وتدعو إلى دعم الانتفاضة للحصول على حقوق الشعب الفلسطينى المشروعة ، وعودة المطرودين إلى بلادهم ..

والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل ،،،

قبس من أنوار النبوة

الدعاء هو العبادة

لفضيلة الشيخ / حامد على حامد عبد الرحيم

١ ـ عن عائشة رضى الله عنها قالت : « افتقدت النبى ﷺ ذات ليلة ، فتحسست ، فإذا هو راكع أو ساجد ـ يقول : سبحانك وبحمدك ، لا إله إلا أنت » وفى رواية فوقعت يدى على بطن قدميه ، وهو فى المسجد ، وهما منصوبتان وهو يقول : « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

رواه مسلم « رياض الصالحين »

٢ ـ عن قتادة بن ملحان رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض : ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة » .

رواه أبو داود

الدعاء سلاح المؤمن ، وعدة المسلم ، ودليل الإيمان واليقين ، حث عليه الإسلام ، ودعا إليه القرآن ، قال تعالى :

ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾
الأعراف

الدعاء سبيل الغفران ، وطريق القبول ، أمر الله به : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ .. ﴾
غافر : ٦٠

وعن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك . يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا ، لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذى

توجه آدم عليه السلام إلى ربه ، ودعاه هو وزوجه ليغفر لهما على ما فرط منهما إذ ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأعراف : ٢٣

فتاب الله عليهما ، ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾
البقرة : ٣٧

توجه نوح عليه السلام إلى ربه

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ القمر : ١٠ ـ ١٣

طلب إبراهيم عليه السلام من الله أن ينجيه من قومه الظالمين ، فدعا ربه أن يسكن أهله وولده بلدا آمنا وأن يجنبهم عبادة الأصنام ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾
ابراهيم : ٣٥

وقف أيوب عليه السلام بمحراب الدعاء ، وبسط كفيه بالدعاء ، أن يكشف الله عنه الضراء ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأنبياء : ٨٣ ، ٨٤ .

ودعا ذو النون فاستجاب له ربه .

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

الأنبياء

ودعا زكريا عليه السلام ربه فقال :

﴿ .... رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

الأنبياء

ودعا خاتم الأنبياء والمرسلين ربه وعلم أمته أن هناك أوقاتا أرجى لقبول الدعاء . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال – فيما – رواه البخارى – قال رسول الله ﷺ : إذا جاء الثلث الأخير من الليل ، فإن ربكم ينزل كل ليلة ويقول : ألا من مستغفر فأغفر له ، ألا من مبتلى فأعافيه ، ألا من داع فأستجيب له : ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر .

ولقد فضل الله بعض الأوقات على بعض ، وأسبغ عليها من نفحاته ، وجعل فيها مغفرته ورحمته ورضوانه . ونقل بعض الأئمة دعاء منسوبا إلى رسول الله – ﷺ – منه :

سجد لك خيالى وسوادى ، وامن فؤادى فهذه يدى وما جنيت به على نفسى ، يا عظيم يرجى لكل عظيم ، اغفر الذنب العظيم ، سجد وجهى للذى خلقه ، وشق سمعه وبصره .

أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقابك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وأقرب الدعاء إلى القبول . ما دعت إليه الحاجة وأملاه القلب وانطلق به اللسان . من غير تحديد بدعاء معين يحتاج إلى تأويل .

كما أن من شروط إجابة الدعاء أكل الحلال ، أن يوقن الداعى بالإجابة وأن لا يغفل قلبه ، وأن لا يدعو بما فيه إثم أو قطيعة رحم .

مع تحرى الأوقات الفاضلة كوقت السجود وعند الأذان والإقامة ، والثلث الأخير من الليل والوضوء والصلاة قبله ، وافتتاحه واختتامه بالحمد والصلاة على رسول الله ﷺ .

روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما فى شعبان(١) .

فهذا سيد الرسل ﷺ يدلنا على الفضل العظيم بما يرشد إليه من صيام الأيام البيض .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ : لا يفطر أيام البيض فى حضر ولا سفر » رواه النسائى باسناد حسن .

ومن ذلك نأخذ أن عمل الصالحات والتقرب إلى الله بشتى الطاعات أُمرنا به فى كل الأوقات .

روى الترمذى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ما على وجه الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا أتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم – زاد الحاكم – أو يؤخر له من الأجر مثلها . فقال رجل من القوم : إذا نكثر ، قال : الله أكثر .

التفاؤل والتشاؤم

للأستاذ حلمي الخولي

إن أخطر الأشياء على حياة الإنسان اعتقاده في الأوهام والخرافات ، فإيمانه بها يلغي عقله ، ويعلق مصيره على أشياء تتحكم فيها الفوضى ، فتغرقه في بحار الظلمة ، وتملأ الوساوس والظنون حياته ، ويصبح عمره نهباً لها ، وعندما جاء الإسلام حرم على الإنسان كل ما يعوق تقدمه ، أو يلغي عقله ، فحرم التنجيم والكهانة والتنبؤ بالمستقبل ، وزجر الطير ، وطرق الحصى ، وحرم التشاؤم والاستعانة بالجن .

والشؤم والتشاؤم جاء بمعنى الطيرة أو الفأل السيىء ، وفي مختار الصحاح « الطيرة هو ما يتشاءم به من الفأل الرديء » ، وجاء في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير « والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء ، وربما استعملت فيما يسر » ، وفي أساس البلاغة « تفاءل به وتفاءل وفي الحديث : أحسن الطيرة الفأل ، وهو أن يسمع الكلمة الطيبة فيتيمن بها ، وتقول العرب : لا فأل عليك ، وتقول : دون الغيب أقفال لا يفتحها الزجر والفأل » وفي لسان العرب « والطائر ما تيمنت به أو تشاءمت ، والمصدر منه الطيرة ، وجرى له الطائر بأمر كذا وجاء في الشر ، قال تعالى : « ألا إنها طائرهم عند الله » ، المعنى ألا إن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وُعِدُوا به في الآخرة ، لا ما ينالهم في الدنيا » .

وكان أكثر الناس تطيراً الفرس ، وكانت العرب إذا أرادت سفراً نَفَّرَتْ طيراً . ويكون أول طائر تلقاه – فإن طار يمنة سارت وتيمنت ، وإذا طار يسرة رجعت وتشاءمت ، فنهى النبي – ﷺ – عن ذلك وقال : « أقروا الطير على وكناتها » . والعرب من أوهامها تتطير عامة بالطائر الآتي من جهة الشمال وتتشاءم منه وتسميه « البارح » ، وكذلك كانت العرب تتيمن بالطائر الآتي من جهة اليمين وتسميه « السانح » ، ومن أمثالهم « من لي بالسانح بعد البارح » ، وحكى عكرمة قال : كنا جلوساً عند ابن عباس – رضي الله عنهما – فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير ، فقال ابن عباس : لا خير ولا شر . وقال لبيد :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع

والتطير – التشاؤم – ليس حديث العهد بالبشرية ، فقد حكى القرآن الكريم عن تطير أو تشاؤم أقوام رسل أربعة ، ورد الله على تشاؤمهم :

فقوم صالح – عليه السلام – قالوا له : « اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ » (النمل/٤٧) فرد الله تعالى عليهم بقوله : « طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ » (النمل/٤٧) .

وقوم موسى ـ عليه السلام ـ حكى القرآن عنهم فقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ (الأعراف/١٣٠ ـ ١٣١) فرد الله عليهم بقوله : « أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ » (الأعراف/١٣١)

والقوم الذين ارسل لهم عيسى ـ عليه السلام ـ رسله ـ وهم أهل « إنطاكية »(*) أرسل إليهم اثنين ثم عززهما بثالث ، فقالوا لهم : إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ » (يس/١٨) فرد الله عليهم بقوله : قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (يس/١٩) .

وتكرر الموقف مع محمد ـ ﷺ ـ وكان اليهود والمنافقون والكفار إذا أصابهم سوء يردونه إلى الرسول ـ ﷺ ـ وفى هذا يقول المولى سبحانه وتعالى : « وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ » (النساء/٧٨) فرد الله عليهم بقوله تعالى : « قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا » (النساء/٧٨) .

وقد تقدم قوله تعالى : « إنما طائرهم عند الله » والمعنى « أن ما قدر لهم أو عليهم عند ربهم ، مما كتب عليهم قد أصابهم » وهكذا ، ومما تقدم ذكره من آى القرآن الكريم « فإننا نرى أن التطير قد ذكر منسوباً إلى كفرة مكذبين ، وكانت عاقبتهم خساراً ووبالاً ، وإهلاكاً وعذاباً ، وكانت العاقبة كذلك ميراثاً كريماً للمؤمنين الذين لا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » .

وذلك لأن الطيرة تبعث فى النفس ما يوحى بالفشل ، وتدعو إلى التخاذل وهذا ما يضعف الروح المعنوية عند الإنسان ، الذى قد يسيء الظن بالله وعنايته ، يقول تعالى : « إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ » (يوسف/٨٧) وقال الحسن البصرى : « ليس أضر بالرأى ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ، ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيب غراب يرد قضاء أو يدفع مقدراً فقد جهل » .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « الطيرة شرك » (ثلاثا) .

رواه أبو داود فى سننه بباب الطيرة .

وذلك أن من لزم التشاؤم حياته نسى أو تناسى قضاء الله ـ عز وجل ـ وقدرة الله ومشيئته هى النافذة . وقد قال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ : سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « لا طيرة وخيرها الفأل » . قالوا : وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » رواه البخارى وأخرجه أبو داود عن طريق عروة بن عامر ، قال : ذكرت الطيرة عند النبى ـ ﷺ ـ فقال : « أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً ، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك » .

والتشاؤم إذا لزم النفس بعث فيها اليأس والقنوط ، وهذا ما نهى الإسلام عنه ، والرسول

(*) تفسير القرطبى ١٤/١٥ وماذكره من أنهم رسل عيسى قول مرجوح لأن قوله تعالى ﴿وما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله ، وكذا فى التسهيل من علوم التنزيل ١٦١/٣ ، وتفسير البحر المحيط ٣٢٧/٧ ، وفى حاشية شيخ زاده على البيضاوى ١٢٥/٣ .

ـ ﷺ ـ القدوة الحسنة كان يحب الفأل، فعن بريدة عن أبيه ، أن الرسول ـ ﷺ ـ كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملًا سأله عن اسمه ، فإذا أعجبه فرح به ورؤى بشر ذلك فى وجهه (رواه أبو داود) . وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » ، وفى رواية أخرى عن طريق أنس ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ إنه قال : « لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل الصالح والكلمة الحسنة » (البخارى ، مسلم ، أبو داود) .

وقد ربط المصطفى ـ ﷺ ـ بين العدوى والطيرة لأن الجاهلية كان من بين معتقداتها الخاطئة أنها « كانت تعتقد أن الأمراض المعدية تعدى بطبيعتها من غير إضافة إلى الله سبحانه وتعالى » .

وقال الأستاذ/ مصطفى السقا(*) تعليقاً على ذلك : « أراد النبى ـ ﷺ ـ صرف العرب عن اعتقاد تأثير الأمور الطبيعية بطبعها دون مشيئة الله وإرادته ، وكم توافرت أسباب العدوى لأناس فأصيب بها بعض وسلم منها بعض لأن إرادة الله هى المؤثر الأول » .

وقال الشيخ/ محمد الخضر حسين : « إن الشريعة قد جاءت لتطهير النفوس من المزاعم الباطلة ، وطبعها على الاعتقاد بأنه لا يقع شيىء فى الكون إلا بإذن الله ، فالعدوى من الأمراض ما يصيب الصحيح لقربه من المرض ومخالطته كالطاعون والجذام ، فيعتقد أناس أن العدوى سرت من المريض إلى الصحيح بذاتها ، فقال ـ ﷺ ـ « لا عدوى ولا طيرة » فبين أن مرض الصحيح بقدر الله ، وقد يحصل للصحيح مرض مثل الذى حصل للمريض الذى قاربه وخالطه ، فحدوث المرض بقدر الله ولم يحدث لذات العدوى ، وإنما جعل الله سبباً ظاهراً للمرض ، فإن كثيراً من الناس يخالطون المريض ولا يصيبهم مرضه » .

فقدرة الله وإرادته هى التى وراء الأشياء ، وإن جعل لها أسباباً ، روى عن خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز أنه خرج من المدينة ليلة ، ومعه مزاحم فنظر مزاحم إلى القمر ، فرآه فى الدبران ـ وهو منزل من منازل القمر يتشاءم منه الناس ـ وكره أن يخبر عمر صراحة بذلك ، فقال له : ألا تنظر إلى القمر ، ما أحسن استواءه فى هذه الليلة ، فنظر عمر ، فإذا القمر فى الدبران ، فقال : « كأنك أردت أن تعلمنى أن القمر بالدبران يامزاحم ، إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر ، ولكنا نخرج بالله الواحد القهار » .

ويحذر الحسن البصرى من الطيرة بقوله : « وأعلم أنه قلما يخلو من الطيرة أحد ، ولا سيما من عارضته المقادير فى إرادته ، وصده القضاء ، وخانه الرجاء ، جعل الطيرة عذر خيبته ، وغفل عن القضاء ـ قضاء الله عز وجل ـ ومشيئته ، فإذا تطير أحجم عن الإقدام ، ويئس من الظفر ، وظن أن القياس فيه مطرد وأن العبرة فيه مستمرة ثم يصير ذلك له عادة فلا ينجح له سعى ولا يتم له قصد » .

وقد أخرج البخارى عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « الشؤم فى المرأة والدار والفرس » . وفى رواية قال : « ذكروا الشؤم عند النبى ـ ﷺ ـ فقال : « إن كان الشؤم فى شيء ففى الدار والمرأة

(*) الأستاذ مصطفى السقا أستاذ بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ سابقا .

والفرس » وفى رواية أخرى عن طريق سعد بن سهل أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « إن كان فى شىء ففى الفرس والمرأة والمسكن » .

وروى مسلم عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : « لا عدوى ولا طيرة وإنما الشؤم فى ثلاثة المرأة والفرس والدار » فكيف ينهى الرسول ـ ﷺ ـ عن الطيرة ويجعلها شركاً ثم يعود ويقرها فى تلك الأشياء الثلاثة . و ـ ﷺ ـ هو القائل : « إنما النساء شقائق الرجال » (أبو داود والترمذى والدرامى وأحمد بن حنبل) .

قال ابن حجر العسقلانى : وظاهر الحديث أن الشؤم فى ثلاثة ، وعنه قال ابن قتيبة : ووجهه أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون فنهاهم النبى ـ ﷺ ـ وأعلمهم أن لا طيرة ، فلما أبوا أن ينتهوا بقيت الطيرة فى هذه الأشياء ، قلت ـ أى ابن حجر : فمشى ابن قتيبة على ظاهره ويلزم على قوله أن من تشاءم بشىء منها نزل به ما يكره ، قال القرطبى : ولا يظن به أنه يحمله على ما كانت الجاهلية تعتقده ، بناء على أن ذلك يضر وينفع بذاته ، فإن ذلك خطأ وإنما عنى به أن هذه الأشياء هى أكثر ما يتطير به الناس ، فمن وقع فى نفسه بشىء أبيح له أن يتركه ويستبدل به غيره ، وقال البخارى : شؤم الفرس إذا كان حرونا ، وشؤم المرأة سوء خلقها وشؤم الدار جارها ، وقال معمر : « شؤم الفرس إذا لم يغز عليها » .

وجاء عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها أنكرت هذا الحديث ، فروى أحمد وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن أبى حسان ، أن رجلين من بنى عامر دخلا على عائشة فقالا : إن أبا هريرة قال : إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « الطيرة فى الفرس والمرأة والدار » فغضبت غضبا شديدا وقالت : ما قاله . وإنما قال : « إن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك » . وذكر ابن الأثير ، سمعت ـ عائشة ـ من يقول « إن الشؤم فى الدار والمرأة فطارت منها فى السماء ، أى كأنها تفرقت وتقطعت قطعا من شدة الغضب » .

وقال الإمام السيوطى فى شرح موطأ مالك « الشؤم فى الدار والمرأة والفرس » قيل هذا إخبار عما كان الناس يعتقدونه وقيل هو على ظاهره . ولا يمتنع أن يجرى الله العادة بذلك فى هؤلاء ، كما أجرى العادة أن من شرب السم ، ومن قطع رأسه مات ، وقال الإمام النووى « واختلف العلماء فى هذا الحديث فقال مالك ، وطائفة : هو على ظاهره ، وأن الدار قد يجعل الله سكناها سببا للضرر أو الهلاك وكذا المرأة المعينة أو الفرس قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى ، ومعناه قد يحصل الشؤم فى هذه الثلاثة كما صرح به فى رواية « إن يكن الشؤم فى شىء .. الحديث » وقال الخطابى وكثير : هو فى معنى الاستثناء من الطيرة أى الطيرة منهى عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس فليفارق الجميع بالبيع ونحوه .

وأخرج أحمد وصححه ابن حيان والحاكم من حديث سعد مرفوعا « من سعادة ابن آدم ثلاثة : المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح ، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة : المرأة السوء ، والمسكن السوء ، والمركب السوء » وفى رواية للحاكم ، وثلاثة من الشقاء المرأة تراها فتسوءك ، وتحمل لسانها عليك والدابة تكون قطوفا ، فإن ضربتها أتعبتك وأن تركتها لم تلحق أصحابك ، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق » .

وقال الشيخ تقى الدين السبكى « قد أطلق

الشارع الكفر على من ينسب المطر إلى النوء فكيف بمن ينسب ما يقع من الشر إلى المرأة مما ليس لها فيه مدخل ، وإنما يتفق موافقة قضاء وقدر ، فتنفر النفس من ذلك ، فلا يضره أن يتركها من غير أن يعتقد نسبة الفعل إليها » .

وقال أبو داود : قال ـ عمر رضى الله عنه ـ « حصير فى البيت خير من امرأة لا تلد » وروى أبو داود عن أنس بن مالك قال : قال رجل : يا رسول الله إنا كنا فى دار كثير فيها عددنا وأموالنا فتحولنا إلى دار أخرى فقل فيها عددنا ، وقلت فيها أموالنا . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « اتركوها ذميمة » ، وفى رواية « ذروها ذميمة » .

قال ابن عبد البر أى اتركوها مذمومة ، دعوها وأنتم لها ذامون وكارهون لما وقع فى نفوسكم من شؤمها . وقال الإمام السيوطى : إنما قاله ـ أى رسول الله ـ لما خشى عليهم التزام الطيرة والرسول ـ ﷺ ـ ، إنما أمرهم بالخروج منها لاعتقادهم أن ذلك منها ، وليس كما ظنوا ، لكن الخالق ـ جل وجلا ـ جعل ذلك وفقا لظهور قضائه ، وأمرهم بالخروج منها لئلا يقع لهم بعد ذلك شىء . فيستمر اعتقادهم .

قال ابن العربى : وأفاد وصفها بكونها ذميمة جواز ذلك ، وأن ذكرها بقبيح ما وقع فيها سائغ من غير أن يعتقد أن ذلك كان منها ، ولا يمتنع ذم محل المكروه ، وأن كان ليس منه شرعا ، كما يذم العاصى على معصيته وإن ذلك بقضاء الله تعالى .

وقال الحسن البصرى « وليس هذا القول منه ـ ﷺ ـ على وجه الطيرة ، ولكن على وجه التبرك بما فارق ، وترك ما استوحش منه إلى ما أنس به » .

وبعد ، فعلينا أن نلزم الفأل ، لأنه يقوى العزم ، ويبعث على الجد ، ويعين على الظفر ، وعلينا أن نعلم أن كل شىء مهما كانت قيمته فى هذا الوجود ، لا دخل له فى النفع ولا فى الضرر ، فكل شىء بيد الله ـ تعالى وسبحانه ـ يقول : « لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ » (المائدة/١٢٠) .

وقال أيضا سبحانه وتعالى : « مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ » (النساء/٧٩) .

وقيل فى منثور الحكم : « الخيرة فى ترك الطيرة » . والتوكل على الله والاعتصام بحبله المتين هو الطريق السوى لمن أراد أن يسلكه إلى حياة هادئة هانئة ينعم فيها بالسكينة والطمأنينة ، ويتمتع براحة القلب ، ويبتعد عن الوساوس والهواجس ، اللهم امنحنا بفضلك ثبات القلب على الإيمان ، وأهدى سبحانك بصائرنا إلى طريق الحق السوى ، الذى نرى فيه الحق ، وننعم بالنور ، إنك سبحانك قادر على كل شىء .

المصـــادر

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ لسان العرب لابن منظور .
٣ ـ مختار الصحاح .
٤ ـ صحيح البخارى .
٥ ـ سنن أبى داود .
٦ ـ فتح البارى على شرح البخارى .
٧ ـ صحيح مسلم بشرح النووى .
٨ ـ أساس البلاغة للزمخشرى .
٩ ـ النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير
١٠ ـ الطب النبوى لابن القيم الجوزية .
١١ ـ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك .
١٢ ـ الطب الوقائى فى الإسلام : للدكتور/ أحمد الفنجرى .
١٣ ـ أدب الدنيا والدين : للحسن البصرى .

من صفات الرجولة فى الإسلام

للأستاذ / محمد سيد حميده الخفاجى *

لقد تميز عصر صدر الإسلام بصفات تمثل الرجولة الحقة ، وتصور لنا البطولة الفذة ؛ بل عُرِف رجاله بتضحيات جسيمة ؛ إعلاء للعقيدة والمبادئ . ذلك إيمان لا تزعزعه الشدائد ، وعزيمة لا تعرف الخور أو الفشل ، وصبر على المكاره ، وعمل دائب لخدمة الدين والوطن .

وعندما نتعرض لمعنى الرجولة فإننا لا نعنى بذلك إلا الصفات المتممة للإنسانية وكمالها من : الصدق ، والنبل ، والشهامة ، والكرم ، وإغاثة الملهوف ، والوقوف بجانب الحق ، مهما كان الثمن ، ومواجهة للعقبات والصعاب بنفس قوية وصلابة لا تلين .

ولم يورث الإسلام البشرية أعراضاً زائلة ؛ بل خلّف تشريعات ومبادئ نيرة داعية للحق والخير ملتزمة بالقيم ، وها هو ذلك الأثر يظهر جليا فى جيل الصحابة والتابعين الذين عرفوا بكل فضيلة منبثقة عن المبادئ ، وبُعدٍ عن كل ما يشين وإن كان يُظَنُّ فى ذلك الحياة . وقد أثر عن الشاعر العربى قوله :

ماء الحيـــاة بذلـــة كجهنـــــم
وجهنـم بالعـز أطـيـب منــــزل

لقد ذكرت لفظة « رجال » بالقرآن الكريم فى موقعين من أشرف مواقع العقيدة والشريعة فذكرت فى موقف الطهارة والعبودية لله رب العالمين . فيقول الله عز وجل : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين »[1] وقوله عز وجل : « فى بُيوت أذن الله أن تُرْفَعَ وُيذْكَرَ فيها اسْمُهُ يُسبح له فيها بالغدو والآصال . رجالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيع عن ذكر الله وإقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاةِ يخافونَ يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار »[2] ، كما ذكرت فى موضع الجهاد يقول الله عز وجل « ولما رَءَا المؤمنون الأحزابَ قالوا هذَا ما وَعَدَنَا اللهُ ورسولُه وصدق اللهُ ورسوله ومازادهم إلا إيمانًا وتسليمًا . من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمِنْهُم مَن قضى نَحْبَه ومنهم مَن ينتظر وما بدلوا تبديلا »[3] .

وها هو محمد بن عبد الله ﷺ قبل بعثته وفى شبابه يوصف بكل خليقة محمودة ولم يعرف عنه ما يشينه ، بل عرف بكل خلق حميد . نرى ذلك واضحًا عند عودته من الغار بعد أن استقبل أمر ربه عاد وهو يرتجف يتصبب منه العرق ، فتقول له زوجه السيدة خديجة مطمئنة له وذاكرة لفضله فى مجال الخير والشرف : « والله لا يخزيك الله أبدًا ؛ إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ المتعب ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق » .

لقد اختاره الله يتيما فقيراً حتى لا يصرفه الترف إلى تحطيم العزائم وخذلان الرجال ، بل نشأ يحمل مقومات الشخصية القوية ؛ مضافاً إليها ما استشفه من خبرات الحياة الخشنة ؛ فنشأ قوى العزيمة متسما بحمية الرجال الأشداء ، معروفًا

---

* الكاتب أحد مدرسى المعاهد الأزهرية .

١ ـ التوبة / ١٠٨ ٢ ـ النور / ٣٦ ، ٣٧ ٣ ـ الأحزاب / ٢٢ ، ٢٣

بكل فضل ونبل ، يتضح ذلك من كلمات أبى طالب فى مجلس زواج النبى محمد بن عبد الله ﷺ من خديجة بنت خويلد ـ والتى شهدها حمزة بن عبد المطلب وجمع من القرشيين ـ حيث قال : ثم إن محمدًا ابن أخى من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح عليه برًّا وفضلا وكرمًا وعقلا ومجدًا ونبلًا .

ويواجه الرسول (ﷺ) عناد المشركين وكفرهم ، ورغم ما عليه السلمون من فاقة واضطهاد وتعذيب وتتبع ومطاردة للفارين منهم . يقف الرسول (ﷺ) فى الساحة وحيدًا فى مواجهة المشركين ـ بكل ما يملكون من مال وخيل ورجال ـ مفندًا خطأ معتقداتهم وسفاهة عقولهم وعقول آبائهم ؛ مما جعلهم يتجهون إلى أبى طالب طالبين منه أن يضع حدًا لتعرض محمد لآلهتهم وذكرها بالسوء ! بل يعرضون عليه العروض المختلفة حتى يتوقف عن دعوته .

ولمَّا لم تفلح هذه المحاولات اليائسة أنذروا أبا طالب بإنذار شديد اللهجة يطالبونه فيه : (إمَّا أن تكفه عنا أو ننازله وإياك) ، فكانت هذه الكلمات بمثابة بلاغ نهائى ، وتهديد بحرب قبلية لا يعلم مداها إلا الله . ويحمل أبو طالب همومه على كاهله مرسلا إلى سيدنا محمد ﷺ يعرض عليه الأمر قائلا له :

« يا ابن أخى : ابق على نفسك وقومك ولا تحملنى مالا أطيق » . فما يزيد ذلك النبى إلا تمسكًا بدعوته ، واثقا برعاية الله له ، متحملًا أعباء الدعوة ومسئوليتها ، ويرد من فوره : (والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه) .

فيزداد العم تقديرًا لابن أخيه ، ووقوفًا إلى جانبه فى أحرج ساعات الخطر ويقول له :

« اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لن أسلمك لشىء مما تكره أبدا » .

أما جيل الصحابة فقد تمثلت ـ بل تأصلت ـ صفات الرجولة فيهم قولًا وفعلًا وممارسة فى شئون الحياة المختلفة سياسية كانت أو عسكرية أو فى مجال الحكم والقضاء . فعلى سبيل المثـال كانت الكلمات الأولى لأبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ بعد مبايعته بالخلافة : « أيها الناس : إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانه والكذب خيانة . الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له . والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه » .

كما كان أمير المؤمنين عمر ـ رضى الله عنه ـ يضع للولاة والشباب منهجاً فى الرجولة وسلوكياتها فيقول لعماله :

« اجعلوا النـاس فى الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم ، إياكم والرُّشَا والحكم بالهوى وأن تأخذوا النـاس عند الغضب » .

كما يطلب من شباب الإسلام أن يتمرسوا على المهام الصعبة والأهداف النبيلة التى تتطلب لياقة بدنية وقوى جسمية وعقلية ؛ فيقول للآباء وولاة الأمر : « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً ، وَرَوُّوهم ما يجمل من الشعر .

ها هى بداية خطوط عامة لمنهج الرجولة فى ظل الإسلام ، فهل لشبابنا ورجالاتنا أن يأخذوا بهذا المنهج وأن يسلكوا ذلك المسلك على طريق العزة والكرامة حتى يستقيم حاضرنـا ويزدهـر مستقبلنا ؟!

الأكراد
الشعب المسلم وقضيته القومية

الأستاذ / ماهر زكريا الشيمى

– ٢ –

بداية المقال الثانى :

وسنتعرف أولًا على وضع الأكراد فى بقية دول المنطقة ، ثم نتعرض بعد ذلك للقطاع الأهم الذى يعانى فى العراق وتعانى منه العراق .

أولًا : الأكراد فى سوريا :

لا توجد هناك أية مشكلة بسبب قلة عدد الأكراد من ناحية ، ولأنهم من ناحية أخرى قد استطاعوا أن يلتحموا إلى حد كبير مع الكيان البشرى العربى فى سوريا . وقد جاء ذلك نتيجة اختلاط الأنساب والمصالح .

ثانياً : الأكراد فى الاتحاد السوفييتى :

يسكن الأكراد فى الاتحاد السوفييتى[١] فى « مقاطعة أريفان » فى أجزاء من سفوح جبال أرارات . وكذلك فى مساحات واسعة من « أردهان » فى منطقة « قارس » ، وفى أجزاء من « مقاطعة اليزابث بول » .

كان السوفييت ينظرون للأكراد نظرة خاصة على أنهم أداة فى يد الاستعمار البريطانى لمضايقة تركيا والعالم العربى ، بل والاتحاد السوفييتى نفسه . وربما كان هذا من ضمن أسباب كراهية الأرمن لهم والاتجاه إلى عزلهم وعدم الانسجام معهم .

ومع ذلك فقد عمل السوفييت على تغيير هذا الوضع بحيث يصبح الأكراد أداة سياسية فى صالحهم . فاهتموا بالثقافة الكردية وتنميتها فى القطاع الكردى فى « جمهوريتى : أرمينيا وأذربيجان » .

نجح السوفييت فى استغلال المشكلة الكردية . وفى ذلك يقول أحد ضباط المخابرات البريطانية المختصين بالمشكلة الكردية – قبيل الحرب العالمية الثانية : « إن الدعاية الكردية التى يطلقها الاتحاد السوفييتى وصل أثرها إلى أكراد سوريا . كما أن النشرات باللغة الكردية وصلت حتى القاهرة » .

وقد انتهز السوفييت فرصة الحرب العالمية الثانية واحتلوا شمال إيران بما فى ذلك المنطقة الكردية ، وذلك فى الفترة ما بين عامى ١٩٤١ إلى ١٩٤٦ . وكان أكراد إيران هم الأكثر تأثراً بالدعاية السوفييتية فهاجر كثير منهم إلى المناطق الكردية فى أرمينيا وأذربيجان وغيرها حيث اعتنقوا المبادىء الشيوعية . أما الباقون منهم فى إيران فقد ساعدهم السوفييت على إقامة « جمهورية كردستان الحرة » فى يناير ١٩٤٦ فى « مهاباد » تجمع شملهم فى هذه المنطقة فى ظل قوات الاحتلال السوفييتية ومع أن هذه الجمهورية لم تكن شيوعية إلا أنها كانت تكن كل الولاء للاتحاد السوفييتى .. غير أن هذه الجمهورية لم تعش إلا تسعة شهور فقط ، فقد تمكنت إيران من القضاء عليها بعد جلاء القوات السوفييتية عن المنطقة . إلا أن قيام هذه الجمهورية يعتبر حادثاً هاماً فى تاريخ الأكراد ، وتتركز أهميته فى تذوق الأكراد لمعنى الاستقلال والعزة ، فقد كانت هذه الجمهورية النموذج الحى الذى نقل الأكراد من خيال الحلم إلى الواقع . كما أعطتهم الأمل فى إمكان توسيع رقعتها لتضم بقية الأكراد فى الدول الأخرى . وقد صارت هذه الجمهورية

(١) أى ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتى .

بعد زوالها من ذكريات الأكراد فى كل دولة توجد فيها أقلية كردية . وكان السوفييت لا يكفون عن تذكير الأكراد فى كل مكان بأنهم هم الذين أقاموا لهم هذه الجمهورية ، وأن الإيرانيين هم الذين قضوا عليها وأعدموا رئيسها شنقاً .

غير أن عدد الأكراد فى الاتحاد السوفييتى لا يزيد عن نسبة ٣٪ من مجموع الأكراد . ويتركزون فى « جمهوريتى أرمينيا وأذربيجان » . ولهذا السبب لا يمكن « للاتحاد السوفييتى » أن ينجح فى سياسته الكردية إلا إذا وجدت دعايته صدى لدى أكراد تركيا وإيران والعراق .

وكانت الدول العربية تخشى نجاح الاتحاد السوفييتى فى محاولاته لإقامة دولة كردية تقتطع من أراضى الدول الأربع الأخرى التى يعيش فيها الأكراد . لأن هذه الدولة سوف تنحاز إلى الاتحاد السوفييتى الذى طالما لوح للأكراد بالعيش فى داخل إطار قومى خاص بهم . برغم أن هذه الدولة – إذا قامت – ستكون ذات موقع داخلى لا يمكنها من الوصول إلى البحر المتوسط ، وإن كان فى إمكانها تهديد بترول العراق تهديداً مباشراً ، لأنه يقع فى منطقة كركوك وهى أرض كردية . كما كانت الدول الغربية تخشى أيضاً أن يقوم الاتحاد السوفييتى بضم هذه الجمهورية ضمن الكيان الكبير لاتحاد جمهورياته .

ثالثاً : الأكراد فى إيران :

يقطن الأكراد جميع أقسام « مقاطعات كرمانشاه وكردستان ومنطقة كاروس وقسم من أذربيجان وجميع مناطق مهاباد ، وعلى طول الحدود الجنوبية لتركيا » . كما يشكل الأكراد الايرانيون السكان القدامى فى الأقسام الجنوبية . ويعتقد أنهم من نسل « الميديين القدماء » .

أما الأكراد الذين يسكنون المناطق الجنوبية الشرقية فيختلفون فى اللغة والدين ، فهم شيعيون على الرغم من أنهم من أصل واحد معهم .

أما المناطق الشمالية من إيران فكانت فى القرون الأولى للميلاد تشكل مقاطعة مستقلة ، وكان الأرمن يسمونها (كورتجيا) بمعنى كردستان .

وبالإضافة إلى المناطق السابقة التى تعتبر مناطق كردية صرفة ، توجد فى إيران مستعمرات كردية متناثرة فى مناطق مختلفة : فى خراسان (شاديلى) وفى شمال قزوين (أمبرلو) وفى شيراز (كالون عبدو) حيث هَجَّرَهم بالقوة « نادر شاه » ١٧٣٦ – ١٧٤٧م .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تلكأ الاتحاد السوفييتى فى الانسحاب من شمال إيران التى كان قد احتلها أثناء هذه الحرب . فقد كان يعمل على تحريض الأقليات فى هذه المنطقة على الانفصال عن إيران . وأدى هذا إلى نتيجتين :

أولاً : (إنشاء جمهورية أذربيجان الإيرانية المستقلة) بعد أن قام حزب توده الإيرانى الشيوعى فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ بإسقاط الحاكم الإيرانى فى « تبريز » . وقد وقف الجيش الروسى يحمى الثوار ، ويمنع قوات حكومة طهران من الوصول إلى تبريز للقضاء على الثورة .

ثانياً : أعقب هذا مباشرة فى ١٣ يناير ١٩٤٦ إعلان قيام (جمهورية كردستان الحرة المستقلة) فى« مهابارد » تحت حماية الاتحاد

---

(١) برئاسة القاضى محمد البرزانى (الأكراد) كاظم حيدر – بيروت ١٩٥٩ .

السوفييتى . وعقدت هذه الجمهورية على الفور تحالفاً مع الثوار الإيرانيين فى « تبريز » وجمهورية « أذربيجان » الوليدة .

غير أن إيران استطاعت أن تقضى على هذه الحركات الانفصالية التى قامت فى ظل وكنف الاتحاد السوفييتى ، بعد أن انسحب الجيش الأحمر الروسى الذى كان يساندها . وذلك بعد أن كسبت إيراد ودَّ الاتحاد السوفييتى بمعاهدة بترول سخية لاستغلال بترول شمال إيران . وهى معاهدة يحصل الاتحاد السوفييتى بمقتضاها على نسبة ٥١٪ من الإنتاج ، بينما تحصل إيران على نسبة ٤٩٪ . وبذلك تمكنت إيران من القضاء على جمهورية الأكراد فى « مهابارد » فى سبتمبر ١٩٤٦ ، أى بعد تسعة أشهر من قيامها . كما نجحت فى القضاء على جمهورية « أذربيجان » الإيرانية بعد أن استقلت عاما كاملا ، إذ أن قوات الحكومة الإيرانية لم تدخل تبريز إلا فى ١٥ ديسمبر ١٩٤٦ .

وما يشير إليه قيام جمهورية تضم الأكراد إنما هو فى الواقع تعبير عن رفض الأقلية الكردية الإذعان لحكم إيران ، وهو أيضا تعبير عن الرغبة فى إقامة دولة تحتويهم وتجمع شملهم فى « هضبة كردستان » تتمشى مع بيئتهم الطبيعية والاجتماعية ، وتخرجهم من هذا الوضع المر الأليم الذى فرض عليهم التمزق . ذلك أن وضع الأكراد فى إيران شبيه بوضعهم فى كل من تركيا والعراق . فهم غير راضين عن حكم الإيرانيين . كما أنهم فى تركيا والعراق غير راضين عن حكم الأتراك وحكم العرب . وذلك لمبدأ أساسى وهو الرغبة فى الاستقلال ، ولذلك فهم يتحينون كل فرصة مواتية للثورة وعدم الانصياع للحكم الإيرانى . فقد قاموا بثورة كبيرة فى سبتمبر ١٩٥٠ فى أعقاب ظروف مناخية قاسية أدت إلى عجز كبير فى المحاصيل الغذائية وتسلط المجاعة التى هددت الناس والدواب . حتى وجدت الحكومة نفسها عاجزة عن دفع رواتب الموظفين . وبطبيعة الحال فقد كان للشيوعية دورها فى تفجير هذه الثورة التى أنهكت الحكومة الإيرانية إلى حد كبير .

لهذا يمكن القول بأن المشكلة الكردية إنما تُطِلُّ برأسها فى كل أرض يعيش فيها الأكراد ، ليس فقط لتمسكهم الشديد بقوميتهم والولاء لها ، وإنما أيضا لوجود دوافع خارجية تتمثل فى التيارات السياسية الدولية المتصارعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فى هذه المنطقة التى تحتل موقعا جغرافيا حساسا . وهذا معناه أن ثمة دوافع وأيدى خفية من الخارج كانت تحرض ، وتصنع أسباب الإثارة[1] ، وتستغل الظروف من خلال التناقض بين الأكراد وبين شركائهم فى الأرض والوطن . يفضح هذه الدوافع الخبيثة القول المشهور بأن الأكراد يمكن أن يكونوا بمثابة (الإسمنت) الذى يربط بين الدول التى تضمهم إذا ما قام نوع من التحالف يفرض التماسك فيما بينهم . أما إذا ما تركوا بدون مثل هذا التحالف فإنهم سيتحولون إلى شحنات من الديناميت المدمر يتفجر فى تلك الدول فيعصف بالسلام والاطمئنان فيها .

رابعاً : الأكراد فى تركيا :

الأكراد من الأقليات التى لها شأن فى تركيا منذ عهد الإمبراطورية العثمانية . ولم يجد العثمانيون من

(١) « درسات فى الجغرافيا السياسية » د. صلاح الدين الشامى — منشأة الاسكندرية ١٩٨٢ .

الأكراد إلا كل ولاء وإخلاص بسبب زعامتهم للإسلام فى ذلك الوقت . فقد عرف عن الكردى فى ذلك الوقت استقامته وولاؤه وتفانيه فى خدمة الإسلام . ولكن لم يخل الأمر من قيام ثورة بين حين وآخر تظهر رغبتهم فى تكوين دولة تجمع شمل قبائلهم كثورة عام ١٨٨٠ وثورة عام ١٩٠٥ مما جعل الأتراك يحاولون إبادتهم ، فانتهزوا فرصة الحرب العالمية الأولى ، ونقلوا عددا كبيرا منهم (حوالى ٧٠٠,٠٠٠) بالقـوة من منطقـة « دياربكـر » إلى غرب « الأنـاضول » وذلك لكسر شوكتهم .

ولكن المشكلة الكردية لم تظهر بشكل مؤثر فعال ، إلا بعد الحرب العالمية الأولى وزوال الخلافة العثمانية . وقد كان التدخل الأوربى سببا لإثارة الأكراد . ففى معاهدة (سيفر)[1] ــ التى أراد بها الحلفاء إذلال تركيا ــ فُرِضَ عليها قبول حق تقرير المصير للأكراد ، بل لقد منحت المعاهدة الأكراد الحق فى التقدم لعصبة الأمم للتوصية باستقلالهم .

ولم يتغير هذا الوضع المشين إلا من خلال ثورة (كمال أتاتورك) التى قامت فى تركيا ، ورفضت الاعتـراف بمعاهـدة سيفـر ، فقـامت بمحاربـة اليونان ، وانتصرت عليها ، مما أرغم الحلفاء على توقيع معاهدة (لوزان)[2] مع تركيا فى يوليـه ١٩٢٣م . وفى هذه المعاهدة استعادت تركيـا هيبتها . وأغفلت المعاهدة الإشارة إلى مشروع دولة « كردستان » المستقلة . وهذا معناه التسليم لتركيا بالسيطرة التامة على منطقة الأكراد كجزء من الدولة التركية .

ولما عدل مصطفـى كمال أتاتـورك التـقسيم الإدارى لتركيا ، جعل لمنطقة كردستان وضعا خاصا . فكون من الولايات الكردية وحدة إدارية عليا يشرف عليها مفتش عام . وبدأ ينفذ سياسة (تتريك) شاملة ، تضمنت حرمان الأكراد من استخدام الأسماء الكردية ، أو استعمال ملابسهم المميـزة ، بل ومنـع استخـدام كلمـة أكـــراد وكردستان فى الكتب والصحف .

وكان أتاتورك قد اتجه إلى الغرب وبدأ يأخذ بأسباب الحضارة الأوربية . لذلك كله قامت ثورة الأكراد فى منطقة « كردستان » فى فبراير عام ١٩٢٥ ضد أتاتورك ، وسياسته التى اعتبرهـا الأكراد انحرافا عن أحكـام الديـن الإسلامـى[3] وسيطر الثوار على عدد من ولايـاتهم الجنوبيـة الشرقية . وكان لهم مطلبان :

الأول : العودة بالإسلام فى تركيا إلى ما كان عليه .

والثانى : الحصول على الاستقلال الذاتى فى إطار الدولة التركية .

ثم تكررت ثورات الأكراد فى عام ١٩٢٩ وعام ١٩٣٠ .

وثورة الشيخ بديع الزمان فى عام ١٩٣٥ .

الأمر الذى أدى إلى مواجهتهم بالعنف وإبادة أعداد كبيرة منهم ، وتشديد قبضة الحكومة على الولايات الكردية فى جنوب شرق الدولة .

---

(١) فى ١٠ أغسطس ١٩٢٠ . وقعها السلطان لينقذ ما بقى من السلطنة . وقد وصفها أتاتورك بأنها حكم بالإعدام على تركيا . ولم يكتب لها النجاح فظلت حبرا على ورق . (الأكراد) ــ كاظم حيدر .

(٢) فى ٢٤ يناير ١٩٢٤ وحلت محل معاهدة سيفر ــ (المصدر السابق) .

(٣) تعرف بثورة عبيد الله والشيخ سعيد بيران .

شريعتنا والمنظمات الدولية

(٢)

بقلم : **الأستاذ الدكتور**
عبدالمنعم إبراهيم البدراوى
أستاذ العلوم السياسية بالجامعات العربية

وهذه بعض من القواعد الإسلامية الدولية :

أولا : يُقر الإسلام التعاون بين الدول والشعوب ، كما يقر تنظيم المجتمع الدولى فى منظمات غير عدوانية على الاطلاق .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١) .

وإن هذا التعارف والتعاون فى أشكال من التنظيمات الدولية غير العدوانية ، لم يأت بالضرورة بعد الحروب ، بل يتجه الإسلام إليه كفطرة إنسانية .

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣

ثانيا : طالما أن الإسلام يسوّى بين بنى البشر ، ويقيمهم على أساس من الأخوة العالمية ، كان طبيعيا أن يوسّع من فرص السلام ، ويضيق من فرص الحرب من حيث الزمان والمكان ، فقد حرم الله الحرب ثلث العام ، حتـــى يفيـــق المتحاربون ، وتتاح لهم فرص المصالحة ، ونسيان البغضاء .

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾(٢) .

كما حرم الله القتال فى مكة فصارت حرما آمنا يهرع إليه المؤمنون مطمئنين ، ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾(٣) ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٤) .

ثالثا : يُعرف القانون بأنه تلك القواعد الآمرة التى تشتمل على عقوبات لمن يخالفها ، فإن لم تشتمل على تلك العقوبات كانت ضربا من المواعظ والتوصيات .

فلا يكفى أن يُحرّم الاستعمار واستعباد الشعوب والاستعلاء عليها ، والخروج على المواثيق المبرمة بين الدول ؛ بل لابد أن تشرّع الحرب فى مثل تلك الأحوال كعقاب لتثبيت دعائم السلم بين الشعوب والدول ، ووقف العدوان .

والإسلام حينما شرّع الحرب جعل لها نظاما محكما ، ولم يتركها تشتعل فى كل مكان وزمان ، بل جعل لها قوانين أخلاقية ، فرضها على المسلمين فرضا ، وألزمهم بها إلزاما وهم فى أشد المعارك ، حتى لا يضيع الهدف الأسمى من شرعية الحرب .

لذا قصر الحرب على الجيوش المتحاربة وحدها وفى ساحة القتال دون غيرها ، بعيدا عن المدن الآمنة ، وعن الشيوخ والرهبان الذين لم يشتركوا فيها برأى أو مكيدة ، وعن الأطفال والنساء الذين لا علاقة لهم بها .

رابعا : تكون من نتيجة الحروب عادة أن يقع بعض الجنود فى الأَسْر ، فإذا استرقوا عاملهم الإسلام معاملة كريمة حسنة تتفق مع كرامة الإنسان ، فلا يعـــــذب الأسير ، ولا يهان ، ولا يسب ولا يمثل به ويطعم مما يطعم عامة الناس ، ويلبس مما يلبسون ، ولا يكرهون على الإسلام ، وإن هم أسلموا لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

خامسا : لما كانت البحار تحتل الجزء الأكبر من الكرة الأرضية ، وكان الانتفاع بها ضرورة من ضروريات حياة المجتمعات ، كان لابد للإسلام أن يضع لها من قواعده الدولية ما يحول دون التنازع عليها ، إذ نبه البشرية على أنها وما تحتويه من صنع الله وأنه ـ وحده ـ هو الذى سخرها للإنسان ، وبالتالى فليس هناك ما يبرر سيطرة أحد عليها ، بل ينبغى الاتفاق فيما بين الدول على كيفية تنظيم مثل هذا الانتفاع .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٥)

---

(٢) سورة التوبة الآية ٣٦

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٥

(٤) سورة القصص الآية ٥٧

(٥) سورة النحل الآية ١٤

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٦)

سادسا : إن الوفاء بالعقود والالتزام بها من قواعد الإسلام المفروضة على كل مسلم ، فهى – لذلك – من خلق المسلم ومن صفات إيمانه والدولة المسلمة ملزمة إلزاما مقدسا وتعبديا بالعرف ، وبالعقود ، والإلتزامات التى تأخذها على نفسها ، ولا تبرر الغاية عندها الوسيلة بحال من الأحوال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾(٧) ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(٨) ؛

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾(٩)

﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾(١٠) .

وإذا لم يكن هناك وفاء بالمعاهدات والمواثيق بين الدول ومنظماتها ، فكيف يقوم المجتمع الدولى ؟! وكيف تستمر المنظمات الدولية فى عملها إذا لم تحترم مواثيقها المتفق عليها من قبل الدول ؟! ومن هنا ترتبط الدولة الإسلامية بغيرها من الدول والمنظمات على أسس تعاهدية واتفاقية فيما بينهم ، وهى تحافظ على عهودها مع غيرها ، طالما حافظت الأطراف الأخرى عليها ، ولا تنبذ هذا العهد أو الميثاق حتى وإن نبذته تلك الأطراف إلا بعد إعلامها وإنذارها وتنبيهها إلى أنها خرجت على ما اتفق عليه ، اللهم إلا فى الحالات التى يهاجمون فيها المسلم وقتلهم إياه ، فحينئذ ، لا يستدعى الحال إعلامهم بنبذهم عهدهم ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾(١١)

ويقول الآلوسى فى روح المعانى تفسيراً لهذه الآية : (ولهذا غزا النبى – ﷺ – أهل مكة من غير نبذ ، ولم يعلمهم بأنهم نقضوا العهد علانية بمعاونتهم بنى كنانة على قتال خزاعة حلفاء النبى – ﷺ –) .

﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١٢) .

تطبيق قواعد الإسلام الدولية فى المجتمع الدولى المعاصر

رأينا فيما سبق تلك القواعد التى وضعها الإسلام للمجتمعات الدولية ، وأنه لا ينأى عن الساحات العالمية ، ولا ينعزل عنها ؛ بل يقدم لها من النظم والقواعد ما ينير طريقها ، ويرشدها إلى العدل والأمن ، والسلام ، والرفاهية .

كيف إذاً تنطلق الدولة الإسلامية المعاصرة بقواعد شريعتها إلى مجتمعنا الدولى المعاصر ؟! وكيف تدعو إليها الدول والشعوب ؟! وهى ملزمة

(٦) سورة فاطر الآية ١٢
(٧) سورة المائدة الآية الأولى
(٨) سورة النحل آية ٩١
(٩) سورة الرعد آية ٢٠
(١٠) سورة البقرة آية ١٧٧
(١١) سورة الأنفال آية ٥٨
(١٢) سورة الأنفال آية ٧٢

بذلك ، ومفروض عليها ممارسة تلك القواعد والنظم ، ودعوة الشعوب إلى العمل بها ، وقد جعلها الله خير أمة أخرجت للناس ؟! هذا ما نتناوله بمشيئة الله فى فصلنا هذا .

تمهيد : فى القانون الدولى العام ما يسمى **بالمعاهدات الشارعة** : وتلك المعاهدات هى التى تتفق عليها مجموعة من الدول ، وتأخذ فى تطبيقها حتى تصبح راسخة فى المجتمع الدولى ، وقاعدة من قواعد القانون الدولى العام ، فتلتزم بها بقية الدول .

وبجانب ذلك هناك الأعراف الدولية ، التى تزاولها بعض الدول ، ويسكت عنها الرأى العام الدولى راضيا ولا يعترض عليها ، حتى إذا تكررت ممارسة تلك الأعراف من قبل الدول ، وأخذت مجراها فى ثنايا التاريخ ، تصبح قاعدة ومصدرا من مصادر القانون الدولى العام . وهذا ما تنص عليه المادة ٣٨ من النظام الأساسى لمحكمة العدل الدولية .

من هذا التمهيد تُفتح منافذ تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية فى المجتمع الدولى ، فى الخطوات الآتية :

أولا : بانضمام الدولة الإسلامية للمنظمات الدولية ، والاقليمية ، وتكوينها لها ، تصبح الساحة الكبرى التى تمارس فيها تلك الاتفاقيات الشارعة ، وتُبلور فيها الأعراف الإسلامية الدولية فى شتى المجالات ، فتكتسب شرعية القانون الدولى العام ، وتأخذ مجراها فى فلك ذلك القانون ، ويطبقها المجتمع الدولى من تلقاء نفسه .

ثانيا : يترتب على ما سبق ، أنه لا تبرم اتفاقية ، ولا تعقد معاهدة دولية تخالف مواثيق المنظمات الدولية ، ولا المعاهدات الشارعة المنبثقة عنها ، والتى شاركت فى صنعها القواعد الإسلامية ، ولا ينطبق هذا على ما يبرم من اتفاقيات فى عصرنا الحاضر فقط ، بل يمتد أثره إلى الماضى ، ليصحح ما كان من هذه الاتفاقيات مخالفا لما اتفق عليه من مواثيق معاصرة ، وهذا ما تنص عليه المادة (١٠٣) من ميثاق هيئة الأمم المتحدة إذ تقول « إذا تعارضت الالتزامات التى يرتبط بها أعضاء هيئة الأمم المتحدة ، وفقا لأحكام هذا الميثاق مع أى التزام دولى آخر يرتبطون به فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق » .

ثالثا : تتناول معظم دساتير الدول الكبرى فى عصرنا الحاضر موادَّ تُحمى بها قواعد ونظم القانون الدولى العام ، وتصونها ، وتقدمها ، وتعطيها الأولوية فى التطبيق إن هى تصادمت مع قوانينها الداخلية ،[١٣] وهذا التحضّر فى الدساتير لا ينقص شيئا من سيادة الدولة ، لأنها احدى لبنات المجتمع الدولى ، التى تقدم مصلحة المجتمع الدولى على مصلحة الدولة الفرد ، كما هو الحال فى المجتمعات الداخلية للدولة ، يكون النظام العام الذى تتبعه الدولة فوق الأغراض ، والمصالح الشخصية الفردية .

وباكتساب القواعد الإسلامية الدولية شرعية القانون الدولى العام ، تكتسب فى نفس الوقت حماية ، وحصانة مواثيق المنظمات الدولية ، ودساتير الدول المتحضرة فى المجتمع الدولى كله .

---

(١٣) راجع المادة ٢٥ من القانون الأساسى «GRUNDGESETZ» (الدستور) لألمانيا الفيدرالية ، والمادة السادسة فقرة ٢ من دستور الولايات المتحدة الأمريكية ، والمادة العاشرة من دستور إيطاليا .

مقومات الوحدة الإسلامية

بقلم الأستاذ / الشيخ شعبان أبو أحمد

لقد أصبحت الوحدة الإسلامية ضرورة حتمية يحتمها علينا الواقع الذى نعيشه اليوم ، فالعالم من حولنا يعيش عصر التكتلات ، والتحالفات ، وما يسمى باقتصاديات الحجم ، فهناك أكثر من (١٢) دولة أوربية لا تتحدث دولتان من بينهم ـ باستثناء فرنسا وبلجيكا ـ اللغة نفسها ، وأمضت تاريخها كله إلى منتصف الأربعينات فى حروب مريرة ضد بعضها البعض من بينها حرب المائة عام . هذه الدول فى طريقها إلى الوحدة ، ومن المعروف أن عدد سكانها يزيد عن (٣٢٠) مليون نسمة وسيبلغ إنتاجها السنوى أكثر من خمسة آلاف مليار دولار ، أى انها ستكون أكبر قوة اقتصادية فى عالم المستقبل . أما اليابان وقد خرجت من الحرب العالمية الثانية مهدمة ومصطلية بنار الاشعاع النووى ـ ومع أنها لا تملك ما نمتلكه من الموارد ـ إلا أنها نهضت سريعا من كبوتها واستطاعت أن تشكل حلفا اقتصاديا رهيبا يعرفه

* كاتب مقالى متفرغ .

الخبراء الاقتصاديون بجماعة الديناصورات التى تضم اليابان ، وكوريا الجنوبية ، وسنغافورة ، وتايوان ، وهونج كونج . كذلك اتحاد الألمانيتين بعد طول تفرق . وانهيار الشيوعية وتفكك دول الاتحاد السوفيتى ، وتزعم الولايات المتحدة الأمريكية قيادة العالم سيجعل إعادة ترتيب التكتلات وظهور تحالفات جديدة أمر لابد منه ولا مفر عنه . ومما لاشك فيه أن هذه التكتلات سيكون لها أكبر الأثر وأخطره على الدول الإسلامية ، ليس فقط من الناحية الاقتصادية ولكن أيضا من الناحية السياسية والعقائدية . كما أنه لا يمكن للمسلمين الدخول فى ميادين الفضاء ، وعالم الكمبيوتر ، والصناعات الضخمة ، والأسلحة ، والأجهزة العلمية الحديثة والمتطورة ، إلا فى وجود رأس مال قوى وكبير ، وخبرة عالية ، وسوق كافية تستوعب الانتاج وهذا ما لا يتم إلا من خلال الوحدة الإسلامية . وفى ظل هذه الوحدة سيكفى العالم الإسلامى نفسه اقتصاديا ، وزراعيا ، وصناعيا ، وبشريا وفى كافة أوجه الانتاج ، وما يفى عن حاجته سيصدر إلى الدول غير الإسلامية ، مما سيقوى من مركزها التفاوضى فى التجارة الخارجية ، ولكن هل المسلمون مؤهلون لهذه الوحدة ؟

لقد وهب الله عز وجل الدول الإسلامية من المقومات ما يجعلها إذا اتحدت قوى ، وأغنى وحدة فى العالم يمكن إيجازها فيما يلى :

١ ــ مقومات بشرية : يفوق تعدادها الألف مليون نسمة تتوزع فى أكثر من خمسين دولة مستقلة ، وعلى هيئة أعداد متباينة من الأقليات فى كافة دول العالم ، ويمثل هذا التعداد قرابة ربع سكان العالم ، ويضم : ملايين العلماء ، والمهندسين ، والأطباء والفنيين ، والأدباء ، والمفكرين ، والمقاتلين الأشداء وسائر الحرفيين ، والمتخصصين فى مختلف مجالات المعرفة الإنسانية (على الرغم من تفشى الأمية فى قطاع كبير من أبنائها) ويمثل أكبر تجمع بشرى على وجه الأرض تجمعه عقيدة واحدة .

٢ ــ مقومات أرضية : تبلغ مساحة الدول المكونة للعالم الإسلامى أكثر من أربعين مليون كيلومتر مربع ، ويمثل ذلك أكثر من ربع مساحة اليابسة ، ويزيد فى قيمة تلك المساحة الشاسعة إتصالها ببعضها ، وتوسطها دول العالم وتكاملها من ناحية المناخ والتضاريس وطبيعة الأرض ، وتعدد ثرواتها ، وتنوع مصادر المياه فيها ، وكثافة سكانها وعراقة حضاراتها ، وقدم ارتباطها برسالات السماء .

٣ ــ مقومات بحرية : يطل العالم الإسلامى على مسطحات مائية عديدة ، تخترقها أهم خطوط المواصلات البحرية فى العالم ، وله موانىء هامة على كل من المحيط الأطلسى ، والهندى ، والهادى ، وكل من : البحر الأبيض ، والأحمر ، والأسود ، وبحر قزوين ، كما يتحكم هذا العالم فى مداخل كل من : المحيط الهندى ، والبحر الأحمر ، والأسود ، هذا بالإضافة إلى عدد من المسطحات ، والقنوات المائية الهامة التى تعتبر إسلامية بأكملها مثل البحر الأحمر ، والخليج العربى ، وبحر عمان ، والبحر العربى ، وبحر مرمرة ، وقناة السويس .

٤ ــ مقومات إقتصادية : وهذه تشمل مقومات زراعية ، وحيوانية عديدة ، ومصادر للطاقة هائلة ، وثروات تعدينية لم تقدر تقديراً نهائياً بعد ومنشآت صناعية مختلفة ، ويمكن إيجاز ذلك فيما يلى :

(أ) الثروة الزراعية : وتتمثل فى أكثر من أربعمائة مليون من الأفدنة المزروعة فى مناطق مناخية مختلفة ، تعطى محاصيل متكاملة ، وتشكل هذه ١١٪ من مساحة الأراضى المزروعة فى العالم ، ٣٩٤ مليون (هكتار) من الغابات تشكل ٩,٧٪ من مساحات الغابات فى العالم ، هذا بالاضافة إلى مساحات شاسعة من الأراضى الصالحة للزراعة والتى لم تزرع بعد ، ومن الواجب العمل على استزراعها فى أقرب وقت ممكن ، حتى يتمكن المسلمون من إنتاج غذائهم بدلا من استجدائه من غيرهم تحت الكثير من القيود ، والضغوط ، والابتزاز والاستغلال . خاصة أن الظروف المناخية التى يعيشها العالم الإسلامى ، وتوافر مصادر المياه والأراضى الزراعية ، تجعله قادراً على زراعة كافة المحاصيل الغذائية ، وغيرها مما يحتاجه ويستزيد .

(ب) الثروة الحيوانية : يُربى على أرض العالم الإسلامى ملايين الرؤوس من الماشية ١٠,٨٪ من مجموع عدد القطيع العالمى . الأغنام ٢٤٪ والماعز ٣٧٪ والابل ٧٦٪ . وتقوم على هذه الثروة الحيوانية صناعات مختلفة مثل منتجات الألبان ، وغزل ونسج الصوف ، والصناعات الجلدية وغيرها .

وتنتج الدول الإسلامية مجتمعة حوالى ٦٪ من الإنتاج العالمى من الأسماك ، وغيرها من الحيوانات البحرية الصالحة لغذاء الإنسان .

(جـ) مصادر الطاقة : يملك العالم الإسلامى ما يتراوح بين ٧٢٪ و ٧٧٪ من احتياطى النفط العالمى ، وأكثر من ٢٥٪ من احتياطى الغاز الطبيعى بالاضافة إلى تقدير مبدئى للفحم الحجرى يبلغ ١٪ من احتياطى العالم . هذا بالاضافة إلى نسب متفاوتة من المواد المشعة ، لم تقدر تقديرا نهائيا بعد خاصة اليورانيوم أكثر من ٤٥٪ من الاحتياطى العالمى . وهناك أيضا الطاقة الشمسية كمصدر من مصادر الطاقة فى مختلف دول العالم الإسلامى التى تتمتع بساعات طويلة من سطوع الشمس خلال أغلب أيام السنة . إضافة إلى مصادر الطاقة المائية والهوائية والهيدروجينية ، وهى كلها من مصادر الطاقة التى ليست لها نواتج ملوثة للبيئة أو مهددة للبشرية .

(د) الثروة التعدينية : على الرغم من أن معظم أراضى العالم الإسلامى لم يتم مسحها بعد مسحا علميا مفصلا باستخدام الوسائل التقنية الحديثة ، إلا أن الدراسات المحدودة التى أجريت حتى الآن أثبتت وجود العديد من الخامات الاقتصادية منها : خامات المعادن الفلزية مثل : القصدير ٢٥٪ من احتياطى العالم ، والكروم ٢٣٪ ، والمنجنيز ٩,٢٪ ، والرصاص والزنك ٦٪ ، والحديد ٥٪ ، والنحاس ٤٪ (وفى مراجع أخرى تتضاعف هذه النسب) كما يوجد الألومنيوم ، والكوبالت ، والنيكل ، والأنتيمون ، والذهب ، والفضة ، والزئبق ، والموليدنوم ، والتنجستن ، والفاناديوم ، والكولومبيوم ، والتنتالوم ، وهى موجودة بنسب متفاوتة ، كذلك يوجد العديد من خامات المعادن غير الفلزية ، ومن أهمها : الفوسفات ٤٥٪ من احتياطى العالم ، والأملاح التبخرية ، مثل أملاح الصوديوم ، والبوتاسيوم ، والكالسيوم ، والأسترونشيوم ، والبورون ، واليود ، والبرومين ، وخامات المواد الحرارية ، ومواد البناء ، والعديد من المواد الكيميائية الأخرى التى لها قيمة كبيرة فى الصناعة مثل : الكبريت ، والكادميوم ، وخامات المواد المشعة .

٥ ـ مقومات تعليمية وتدريبية : تضم دول العالم الإسلامى اليوم أكثر من ٢٢٤ جامعة ، و٣٣٥ معهدا عاليا من المعاهد المتخصصة بالاضافة إلى ما يفوق التسعمائة من مراكز البحوث وأكاديميات العلوم والتقنية ، وخمسة عشر مركزا ومؤسسة للطاقة الذرية والنظائر المشعة .

وبناء على هذه الثروات المتعددة فإن أمر قيام وحدة إسلامية سيجعل من العالم الإسلامى قوة كبرى ، فالظروف الجغرافية المتنوعة ، والحجم الهائل من التعداد السكانى الموزع على العديد من الدول والاتصال بين الدول بعضها البعض ، فلا موانع تعيق التنقل من بلد لآخر ، وتواجد مصادر الطاقة والثروات التعدينية ، والجامعات ، ومراكز البحوث يهيىء إنتاج العديد من الصناعات الكبرى .

ومن خلال هذه الوحدة يمكن التنسيق بين الدول لإنتاج مختلف الصناعات ، وكذلك تتخصص معاهدها فى مختلف فروع المعرفة ، فمن النتائج الإيجابية للوحدة رصد ميزانية أكبر للبحوث العلمية فى البلاد الإسلامية التى نحن فى أمس الحاجة إليها لإحداث نهضة علمية و(تكنولوجية) ، معتمدين على الذات حيث تنقسم الدول الإسلامية إلى مجموعتين :

إحداهما تملك عددا كبيرا من الباحثين فى شتى فروع العلم مثل : مصر ، باكستان ، تركيا ، بينما هذه الدول قدراتها التمويلية محدودة ، ولا تستطيع أن توجه ميزانيات يعتد بها إلى البحث العلمى ، وفى مقابل هذه المجموعة توجد مجموعة أخرى من الدول الإسلامية ، وهى تملك قدرات تمويلية كبيرة بينما لا يتوفر بها الباحثون . كما أن كثيراً من الدول تعتمد على سلعة تصديرية واحدة من المنتجات الأولية ، مما يجعل موقفها التفاوضى ضعيف فى التجارة الخارجية ، أما الوحدة فإنها تقوى من موقف الدول الإسلامية التفاوضى ، خاصة أنها ستسد حاجة الشعوب الإسلامية من هذا المنتج أولا سواء فى صورة مادة خام ، أو منتج مصنع . فالنظام الدولى الاقتصادى القائم يسعى إلى امتصاص أكبر كمية من مصادر الطاقة والمواد الأولية من الدول النامية مقابل كميات متناقصة من الانتاج المصنع الذى تورده الدول المتقدمة . وهكذا تتدهور القوة الشرائية للدول النامية ، مع زيادة القوة الشرائية للدول المتقدمة . ومن الأمثلة على ذلك ما تظهره مقارنة صادرات (القنب) ، ففى عام ١٩٦٣ كان على الدول النامية أن تصدر خمسة أطنان مقابل شراء جرار ، وفى عام ١٩٧٠ كان الحصول على جرار يستلزم تصدير عشرة أطنان . وكذلك كان ثمن ساعة سويسرية يقابل ٧,٥ كجم من بن القهوة فى أوائل الستينات ، وارتفعت هذه الكمية إلى (١٤,٢) كجم لشراء الساعة نفسها فى عام ١٩٧٤ .

فى عام ١٩٦٠ كان على البلد المصدر للمطاط أن يصدر ٢٥ طنا منه مقابل ستة جرارات ، أما فى أواخر الثمانينات فإن هذه الكمية من المطاط لن تؤدى إلا للحصول على جرارين فقط .

ومن خلال تحقيق الوحدة الإسلامية ــ فقط ــ ينفتح باب التجارة الداخلية بين الدول الإسلامية فعلى سبيل المثال سوف تشترى مصر من ماليزيا المطاط ، وتصدر إليها المنسوجات . سوف تشترى السودان من السعودية البترول ، وتصدر إليها اللحوم والصمغ . سوف تشترى ليبيا من مصر الخضروات والفاكهة ، وتصدر إليها بعض المشتقات النفطية التى تحتاجها ، مما سيترتب عليه

قيام صناعات جديدة فى العالم الإسلامى . وبالطبع يستلزم هذا إزالة الحواجز الجمركية بين الدول الإسلامية فلا مكوس ولا ما يشبهها تؤخذ من التجارة بين الدول الإسلامية ، وإنما تفرض الجمارك على ما يخرج من الديار الإسلامية إلى غير المسلمين أو العكس . ولابد أن يكون للمسلمين نقد موحد يكون التعامل به فيما بين الأقاليم الإسلامية بعضها مع بعض ، وفى تعاملها مع الدول غير الإسلامية مع وجود النقد المحلى لكل دولة . وهذه النقطة فى غاية الأهمية حيث أنه يمكن للدول الإسلامية بهذا التحكم فى النقد العالمى بل ولمكنهم هذا من إسقاط قيمة الدولار بقرار ينص على ألا يقبل ثمن البترول أو غيره من الصادرات بالدولار ، وأن يكون هناك دينار إسلامى يدفع به ثمن هذه الصادرات . ولهذه الخطوة أثر هام ، ففى فترة ماضية أعلنت السعودية أنها لا تريد أن تأخذ ثمن ربع بترولها بالجنيه الاسترلينى فسقط الجنيه فى الأسواق العالمية خلال ساعات فاضطر وزير المالية البريطانى أن يهرع إلى الرياض ويقابل الملك فيصل ، ويطلب منه انقاذ بريطانيا بتصريح واحد يعلن فيه أن الجنيه الأسترلينى سيبقى سارى المفعول فى دفع ثمن ربع البترول .

كما لابد من أن يكون للمسلمين مصرف إسلامى مركزى موحد ، ويكون له فروع فى كل بلد إسلامى ، لتتبادل النقد وتمويل المشروعات . ويحتم كذلك إدخار الأموال الإسلامية واستثمارها فى البلاد الإسلامية بدلا من المصارف الأجنبية .

وما يهمنا من اثار الوحدة هو توحيد القرار الإسلامى ، وتجميعه ، وتدعيمه بالقوة إزاء ما يتخذ ضد الدول الإسلامية من قرارات تؤثر عليها إقتصاديا ، وسياسيا ، وعسكريا .

ولكن كيف تتحقق هذه الوحدة ؟ هل باحياء الخلافة الإسلامية كما كانت فى عهد الراشدين !! ـ وإن كان ذلك هو الأمثل وخصوصا أنه قد وردت به الآثار وكان عليه الصحابة أجمعون ـ فى الواقع أنه على الرغم من صعوبة البالغة لأمر قيام دولة واحدة للمسلمين تجمع شتاتهم الآن ، إلا أنه من السهل قيام وحدة اقتصادية بين الدول الإسلامية ، فهذا مما يحفظ لكل دولة شخصيتها المستقلة . ومما ييسر قيام مثل هذا الشكل من الوحدة وجود بعض التكتلات الصغيرة بين أرجاء الوطن العربى لاسيما بين كل من مجلس التعاون الخليجى الذى يضم : المملكة العربية السعودية ، والكويت ، والامارات العربية المتحدة ، وقطر ، والبحرين وعمان ، واتحاد المغرب العربى الذى يضم : ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، وموريتانيا ، ومجلس التعاون العربى الذى يضم : مصر ، والعراق ، والأردن ، واليمن ، الشمالى .

المراجع

(١) مجلة الحوادث العدد ١٧٥٤ الجمعة ١٥ يونيو ١٩٩٠م .

(٢) مجلة الأهرام الاقتصادى العدد ١١١٤ ، ٢١ مايو عام ١٩٩٠م .

(٣) مجلة الأهرام الاقتصادى العدد ١١١٣ ، ١٤ مايو عام ١٩٩٠م .

(٤) مجلة الأهرام الاقتصادى العدد ١١١٩ ٢٥ مايو عام ١٩٩٠م .

(٥) الوحدة الإسلامية ، للإمام محمد أبو زهرة .

(٦) قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامى المعاصر د. زغلول راغب النجار .

(٧) التكافل الإقتصادى الإسلامى مقوماته ونتائج أعماله فى الدعوة الإسلامية ، رفعت السيد العوضى .

(٨) مجلة رسالة الجهاد العدد (٩٠) يوليو عام ١٩٩٠م .

(٩) زوال اسرائيل حتمية قرآنية ، الشيخ أسعد التميمى .

(١٠) الإنسان والقانون الأعلى ، عبدالوهاب البساطى .

الإيمان بالقدر من جوهر الإيمان

للأستاذ / محمد زين العابدين محمد العزازى

« الإيمان بالله - جلت قدرته وتعالت عظمته - وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، هو الأساس السليم ، والطريق القويم إلى فلاح المرء فى الدنيا والآخرة » .

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله - ﷺ - ذات يوم ؛ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى - ﷺ - فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ، أخبرنى عن الإسلام ؟ فقال رسول الله - ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا .

قال صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه .

قال : فأخبرنى عن الإيمان ؟ فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت فأخبرنى عن الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : فأخبرنى عن الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرنى عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان .

ثم انطلق ، فلبث مليا ، ثم قال : يا عمر ،

أندرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

رواه الإمام مسلم بهذا اللفظ ، والبخارى عن أبى هريرة بمعناه . وهذا الحديث عظيم الموقع والجلالة ، وقد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة .

ويفهم من الحديث أن سيدنا « جبريل » ــ عليه السلام ــ جلس بين يديه ولم يجلس إلى جانبه ووضع كفيه على فخذيه ــ ﷺ ــ للاستئناس ، وباعتبار ما بينهما من الأنس فى الأصل حين يأتيه بالوحى ، وناداه باسمه كما تناديه الأعراب للدلالة على أنه ــ عليه السلام ــ لم يجىء متعلما وإنما جاء معلما .

ثم قال : أخبرنى عن الإسلام ؟ فأخبره ــ ﷺ ــ بحقيقته كما نفهم من الحديث . ثم قال له : « فأخبرنى عن الإيمان » قال أن تؤمن بالله . أى تؤمن بوجوده وصفاته ، والإيمان هو الإذعان والتصديق بوجوده ــ عز وجل ــ وبوحدانيته المطلقة .

قال العلماء ــ رضى الله عنهم : الإيمان بالله جل جلاله يتضمن معنيين :

الأول : الإيمان بذاته تعالى .

الثانى : الإيمان بوحدانيته ، والإيمان بذاته الكريمة هو أن تعلم أن ذاته ــ تعالى ــ لا تشبه الذوات ، كما أن صفاته لا تشبه الصفات ، وكل أمر أو شىء تصورته فى ذهنك عن الحق ــ سبحانه وتعالى فالله تعالى بخلافه .

وقوله عليه الصلاة والسلام « وملائكته » الملائكة أجسام علوية . والإيمان بهم ، أى التصديق بوجودهم وبأنهم كما وصفهم الله تعالى « عباد مكرمون » خلقهم الله ــ عز وجل ــ من النور ، ولا يحصى عددهم وتخصصاتهم إلا الله ــ سبحانه وتعالى :

وقوله : « وكتبه ورسله » : أى الإيمان بأنها كلام الله المنزل على رسله ــ عليهم الصلاة والسلام ــ وأن ما فيها حق ، وكذلك الإيمان بالرسل عليهم السلام : أى التصديق بما جاءوا به من الله ــ تعالى ــ لأن الله ــ سبحانه ــ اصطفاهم واختارهم وعصمهم وارتضاهم وجعلهم أمناء على دينه ، وجعلهم شفعاء مرضيين . وهم الرحمة لأهل الأرض ، والإيمان بهم ، يقتضى العمل بكل ما جاءوا به من الأوامر والنواهى عن الحق ــ تبارك وتعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ آية ٧ من سورة الحشر ، والإيمان بهم أيضا يقتضى محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم ، فعن أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ــ قوله ــ ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

والإيمان باليوم الآخر : هو يوم القيامة ، يوم الحساب والجزاء والثواب والعقاب ، أى بأنه آت لا ريب فيه فهو يوم عظيم ؛ اليوم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين ، وله أسماء عديدة فى كتاب الله ــ عز وجل ــ منها : الساعة والحاقة والغاشية والواقعة . وهو من المغيبات الخمس التى اختص الله بعلمها ، يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ آية ٣٤ من سورة لقمان .

قوله ــ عليه السلام « وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

القدر هو ما يقدره الله ــ تعالى ــ على العبد ؛ فالواجب على كل مؤمن أن يعتقد اعتقادا راسخا

أن كل ما يقع له ، سواء أكان خيرا أم شرا ، إنما هو من عند الله تعالى ؛ لأنه ــ سبحانه ــ هو الفعال لكل شيء ، ولا يقع فى ملكه إلا ما يريد ، وكان السلف الصالح ــ رضى الله عنهم ــ يجيبون من سألهم عن القضاء والقدر بقولهم : أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك .

أما قوله فأخبرنى عن الإحسان « يعنـــى الإخلاص ، وهذا من قبيل التفسير بالمعنى . قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وهذا من جوامع كلامه ــ ﷺ ــ وهـذه العبارة تتضمن معنيين :

الأول : مقـام المشاهـدة ، والثـانى : مقـام المراقبة . والأول معناه أن يفعلهـا العبـد وقـد استغرق فى بحار المكاشفة حتى كأنه يرى الله تعالى . وهذا مقامه ﷺ كما قال : وجعلت قرة عينى فى الصلاة .

الثانى : أن يفعلها العبد وقد غلب عليه أن الله ــ تعالى ــ يشاهده وهذا مقام المراقبة ، فقوله : فإن لم تكن تراه نزول عن مقام (المكاشفة) إلى مقام (المراقبة) ، أى إن لم تعبده وأنت من أهل الرؤية ، فاعبده وأنت تعتقد أنه يراك .

وقوله : « فأخبرنى عن الساعة ؟ » أى عن وقت قيام الساعة ، وليس السؤال عن وقت مجيئها ليعلمه الحاضرون كالمسئول عن الأسئلة السابقة ، ذلك لأن الله ــ تعالى ــ مخصوص به لقوله تعالى : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة** ﴾ ، وإنما سأله ذلك لينزجر الحاضرون وليكفوا عن السؤال لأنهم قد أكثروا منه .

وقوله ــ ﷺ : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، أى أنت لا تعلمها وأنا لا أعلمها قال فأخبرنى عن اماراتها أى علاماتها السابقة عليها : قال أن تلد الأمة ربّتها ، وفى رواية ربها واختلف فى معناه على أقوال وأصحها . إنه إخبار عن كثرة السرارى وأولادهم ، لأن ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه بأبيه ، ولأن مال الإنسان صائر إلى ولده ، أو أن الإماء تلد الملوك فتكون أمة من جملة رعيته ، وقيل : هو كناية عن رفـع الأسافل لأن الأمة إذا ولدت من سيدها ارتفعت منزلتها .

قوله : وأن ترى الحفاة العراة . الحفاة جمع حاف وهو غير المنتعل ، والعراة جمع عار وهو من لا شيء على جسده « العالة » جمع عائل وهو الفقير « رعاء الشاة » جمع راع يتطاولون فى البنيان . وهذا إخبار عن تبدل الحال وتغيره ، وهذا مشاهد فى زماننا هذا ، وفيه دلالة على كراهية ما لا تدعو الحاجة إليه من تطويل البناء .

ثم انطلق . أى السائل عما ذكر فلبث النبى ــ ﷺ « مليا » أى استمر ساكنا عن الكلام ، ثم قال : يا عمر ، أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال عليه الصلاة والسلام : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ، أى قواعد دينكم .

ويستفاد من الحديث أن الدين اسم للثلاثة . الإسلام الإيمان والإحسان وأن الإيمان بجميع ما ذكر وبالقدر خيره وشره واجب .

نسأل الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يرزقنا قوة إيمان تجعلنا من الذين إذا ذكر الله وَجِلَت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وتجعلنا راضين بقضاء الله وقدره فى جميع أحوالنا . حتى لا نزل ولا نضل إنه على كل شيء قدير .

الفتوى

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

من الأستاذة/ ك ــ خ :

هل يجوز للمرأة أن تدفع جزءا من زكاة مالها لزوجها الذى ليس له دخل أو معاش .. وهو كبير السن .. علما بأنها تنفق على الطعام والشراب ولكن هذا المال يكون لمصروفه الشخصى ؟ أفيدونا أفادكم الله .

الجــواب

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فإن الزوج هو المكلف شرعا بالانفاق على زوجته أما الزوجة فليست مكلفة بالانفاق على زوجها شرعا ، وبناء على هذه القاعدة فإذا كان الزوج فقيرا لا يملك قوت عامه جاز لزوجته أن تعطيه جزءا من زكاة مالها بشرط ألا ينفق منه عليها حتى لا تعود لها صدقتها ، لأن النبى ــ ﷺ ــ قال لعمر عندما أراد أن يشترى الفرس الذى تصدق به على أحد الفقراء فأهمل فيه حتى ضعف فقال له النبى ــ ﷺ ــ (لا تشتره وإن أعطاكه بدرهم) أما إعطاء الزكاة للزوج الفقير فقد أباحه النبى ــ ﷺ ــ عندما أرادت زينب امرأة ابن مسعود أن تتصدق بمال فقال لها ابن مسعود : أنا أحق بهذه الصدقة . فسألت النبى ــ ﷺ ــ فأمرها أن تعطيها له ، والله تعالى أعلم .

اعداد : الاستاذ عبد المنعم حافظ فوده

من الأستاذة / ك ــ خ :

لى إبن مرتبه لا يكفى نفقاته ، وهو متزوج ، وله أسرة .. فهل يجوز أن أخصص جزءاً من زكاة مالى لهذا الابن .. أو لزوجته .. حيث إنى غير مكلفة بالانفاق عليه .. وأنا أم لهذا الابن ؟ أفيدونا أفادكم الله .

الجــواب

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فإذا كان هذا الابن يعيش معيشة مستقلة بعيدا عن والدته السائلة ، وكان فقيرا لا يملك قوت سنة ، وكان ما يحصل عليه من مرتب لا يكفيه هو ومن يعولهم ، جاز أن يأخذ من زكاة والدته ، لأنه بالغ قادر على الكسب ونفقته غير واجبة على أمه ، وكذلك يجوز اعطاء زوجته من الزكاة مادامت ليس لها أملاك خاصة ، والله تعالى أعلم .

السؤال من ص. ص. ب من المحلة الكبرى :

حلفت على زوجتى قائلا لها : (أنتِ طالق) ثم رددتها ، ثم مرت الأيام وتداعت الظروف. وحلفت عليها مرة أخرى ، ثم رددتها .

إلى حين أن جاء إلى والدها ، وحدثت بيننا مشادة كبرى ، وأنا حين أغضب لا أدرى ماذا أقول أو أفعل ، فقلت له من شدة الغضب: (ابنتك طالق) وكان هذا اليمين الثالث .

وأنا عندى ثلاثة أولاد : (٨ شهور ــ ٣ سنوات ــ ٧ سنوات) ، أى يحتاجون لرعاية الأم أولا [illegible] الأب . أفيدونى أفادكم الله .

الجــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين ، أما بعد : فنفيد عن الأول بأنه بقولك لزوجتك : أنت طالق يقع به طلقة واحدة رجعية فلك مراجعتها مادامت فى العدة وحيث أنك راجعتها أثناء العدة فإن الرجعة صحيحة .

وعن الثانى بقولك لزوجتك : أنت طالق ، يقع به طلقة واحدة رجعية فلك مراجعتها مادامت فى العدة وحيث أنك راجعتها أثناء العدة فإن الرجعة صحيحة .

وعن الثالث إذا كنت فى حالة غضب شديدة قلت لوالد زوجتك : ابنتك طالق ، وأنت لا تدرى ما تقوله إلا بإخبار الغير ، فإن الطلاق لا يقع به طلاق . .

أما إذا كنت تعى ما تقوله فإنه يقع ، وبذلك يكون الطلاق المكمل للثلاث ، فلا تحل لك حتى تنكح زوجا غيرك ، ويدخل بها دخولا حقيقيا ، فإذا طلقها أو مات عنها ، وانقضت عدتها منه ، حلت لك بعقد ومهر جديدين ، وبرضاها ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

السؤال من م. أ. ش :

عندما تضع العروس معوقات فى تحديد المؤخر لها ، ويرفض العريس أن يوقع على المؤخر . ما حكم الدين فى الشبكة هل من حق العريس أن يحصل على الشبكة أم العروسة ؟

الجــواب

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فالهدية التى تقدم للمخطوبة عند الخطبة ، وهى ما تسمى بالشبكة هى هدية ، تقدم للدلالة على الجدية فى إتمام هذا الزواج ، والخطبة لا ترتب حقا للمخطوبة على خاطبها ؛ فإذا لم يتم الزواج كان للخاطب حق استرداد شبكته ؛ لأنها قدمت لغرض لم يتم ، وهو الزواج فليس للمخطوبة حق فيها مادامت الخطوبة قد فسخت ، وهذا هو المعمول به فى قانون الأحوال الشخصية .

وإن كان المذهب المالكى يفصل فيقول : إن كان العدول من قبل الخاطب فليس له حق فى الهدايا ومنها الشبكة ، وإن كان العدول من ناحية المخطوبة ردت الهدايا التى لم تستهلك ومنها الشبكة فإن رضى الأهل بمذهب مالك عملوا به ، وإذا تمسكوا ببقية المذاهب ردت الشبكة للخاطب .

السؤال من م. ع. ج قليوبية :

تزوج عادل من ليلى ثم توفيت ليلى وتركت له سالم ، وهدى ، وفاطمة ، وسلوى (ولد وثلاث بنات) ، ثم تزوج عادل من نجاح وأنجبت له ولد واحد هو فتحى ، ثم توفى عادل وترك نجاح وابنها فتحى ، وابنه ، وبناته الثلاثة من زوجته الأولى . فكيف توزع تركته وهى منزل مساحته ١٢٠ مائة وعشرون مترا ؟.

الجــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد عن تركة ليلى بأن للزوج الربع فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى للابن والبنات الثلاث تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

وعن تركة عادل بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولاده من الزوجتين تعصيبا وهم : ابنه فتحى ، وكذلك ابنه ، والبنات الثلاث من الزوجة المتوفاة قبل يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله أعلم .

من أعلام الأزهر

الشيخ على يوسف

صاحب جريدة المؤيد

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

عالم أزهرى جليل ، طبع على فعل الخير وعلى سعة الخلق ، فما سئل الخير قط إلا فعله مهما يكن فيه من عنت ومن إرهاق يفعله مغتبطا راضيا هاشا حتى ليكاد يلتمس الخير لسائليه إلتماسا ، ذلك هو الشيخ على يوسف الذى كان يجرد صدراً من يومه فى السعى ؛ لقضاء حاجات الناس ابتغاء رضوان الله ، كما كان شديد الوفاء لأصدقائه ومعارفه لا يطلق مقالة السوء عليهم فى صحيفته « المؤيد » مهما كانت كراهية السلطة الحاكمة لهم .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ على يوسف فى قرية (بلصفورة) من أعمال محافظة سوهاج فى عام ١٨٦٣ ميلادية وتوفى أبوه وهو صغير فكفله أخواله[1] .

وهو وإن نجم من أسرة رقت على الأيام حالها لكن كرم أصلها ومنبتها أظلها بسيادة لانتسابها إلى الأشراف العلويين من نسل السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ـ ﷺ ـ والإمام على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه .

ولما استوى ودرج مدارج الصبا ، تعلم فى كتاب القرية القراءة والكتابة كما حفظ القرآن الكريم[2] .

---

(١) كتاب الازهر جامعا وجامعة أو مصر فى ألف عام : تأليف الأستاذ محمد كمال السيد المحامى طبعة مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

(٢) كتاب المفصل فى تاريخ الادب العربى : تأليف الشيخ أحمد الاسكندرى وآخرين الجزء الثانى طبعة ١٩٣٦ المطبعة الاميرية .

قيامه بإنشاء مجلة الآداب :

بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم انحدر إلى موطن أخواله فى قرية بنى عدى مركز منفلوط من أعمال محافظة أسيوط ، وهناك تلقى حظا من العلم على يد الشيخ حسن الهوارى أحد علماء الإسلام فى تلك القرية ، ثم قدم إلى القاهرة والتحق بالأزهر حيث درس العلوم فيه بضع سنين ، يأخذها من كبار شيوخه وقتئذ .

وخلال سنى الدراسة استشرفت نفسه للأدب ، ونظم الشعر فى المدح والرثاء والغزل والهجاء حتى اتسق له من هذا النظم ما جمعه فى ديوان كامل ؛ وبهذا أصبح الشيخ على يوسف مجاوراً أزهرياً ممتازاً ، لكن أدركته حرفة الأدب فوقف عندها[٣] .

اختلافه إلى مجالس الأدباء والكتابة فى الصحف

وقد دعاه ميله الأدبى إلى الاختلاف إلى مجالس الأدباء ومساهرتهم ومسامرتهم ، ثم إلى غشيان دور بعض العلية ممن كانوا يجلسون لأهل العلم والفضل فيتحاضرون ويتذاكرون ثم جعل يرسل المقالات الأدبية محشوة ـ كما كان متبعا فى ذلك الوقت ـ بالمحسنات البديعية إلى الصحف والمجلات التى كانت قائمة فى مصر فينشرونها له .

لكنه بعد ذلك أخذ يدرب قلمه ويروضه على إرسال البيان سهلا جزلا خاليا من الاعتساف ، منطلقا من تكاليف البديع ، وبهذا أنشأ لنفسه أسلوبا وخط لقلمه القوى نهجا من البلاغة غير ما تعاهد عليه الناس من منازع البلاغات[٤] .

قدومه للدراسة بالأزهر الشريف

بعد أن عفى الزمان على مجلة (روضة المدارس) التى أنشأها على باشا مبارك ناظر المعارف[٥] فى عهد والى مصر الخديوى إسماعيل سنة ١٨٧٠م قام الشيخ على يوسف بإصدار مجلة (الآداب) مع صديق له سنة ١٨٨٥م ، فأخذت وضعها وكانت شيئا مذكورا بالقياس إلى المجلات التى كانت قائمة فى ذلك العهد[٦] .

تحوله عن مجلة الآداب إلى إنشاء صحيفة يومية دعاها باسم المؤيد :

أحس الشيخ على يوسف أن المسلمين ـ وهم غالبية الشعب المصرى ـ فى حاجة إلى صحيفة يومية وطنية إسلامية تتحدث عنهم وتدلى بحاجتهم وتترجم عن أمانيهم ، وتذود عن حقوقهم وكرامتهم ـ خصوصا ـ بعد أن صدرت صحيفة (المقطم) تُظَاهِرُ الاحتلال الإنجليزى ، وتروِّج للسياسة الإنجليزية فى البلاد .

كما سبق أن صدرت صحيفة (الأهرام) فى ٥ أغسطس سنة ١٨٧٦م بمعرفة (سليم وبشارة تكلا) وهما لبنانيان من الطوائف التى كانت وقتها تروج عادة للسياسة الفرنسية ولكل هذه الأسباب ؛ أصدر صحيفة المؤيد فى عام ١٨٨٩م[٧] .

كيف كان الشيخ على يوسف يدير العمل فى صحيفة المؤيد ؟

جرى المؤيد بعد إصداره طلقا ، وأخذ المكان اللائق به بين صحف البلاد وقتئذ ، لكن الله

---

(٣) المرجع السابق .

(٤) كتاب المختار تأليف الشيخ عبدالعزيز البشرى ـ الجزء الأول طبعة الحلبى ١٣٥٧ هـ ـ ديسمبر ١٩٣٨ م .

(٥) كتاب الازهر جامعا وجامعة .

(٦) كتاب المفصل فى تاريخ الادب العربى .

(٧) كتاب الازهر جامعا وجامعة .

وحده هو الذى يعلم كم عانى الشيخ على يوسف فى إخراجه لها فرداً ، وجاهد فى هذا اجهاد الجبابرة وعانى عناء شديداً ؛ فلقد كان يحرر بيده المقال الرئيسى كل يوم ، ويراجع بنفسه كل ما يدلى به إليه الكتاب من المقالات ، ويفض بريد الصحيفة بنفسه فما رآه كفئا للنشر أذن فى نشره وقد يحذف بعض المقال ويبقى على البعض ، فإذا تهيأت الجريدة للطبع وراجعها المصححون تناولها فقرأها من أولها إلى آخرها ، يصحح ما عسى أن يكون قد فات القوم تصحيحه ، وحتى يتثبت من ألا يكون قد دُسَّ على الجريدة شيء مما يكره أو يكون قد سقط إليها ــ فى سرعة ــ إعلان عن خمر أو غيره من المنكرات .

وكان ــ على جلالة محله وكثرة المخبرين لديه ــ يطوف بنفسه كل يوم بأكثر الدواوين الحكومية حتى يتنسم منها الأخبار ؛ فيستخرجها بلطف حيلته من النظار(٨) أو من المستشارين الإنجليز ، فمن دونهم من عيون الموظفين(٩) .

المؤيد يحظى باهتمام العلماء والأدباء ويذهب صيته خارج مصر :

فلقد كان يرفده بالمقالات البارعة أعيان أهل الرأى والعلم والأدب فى البلاد المصرية من أمثال : الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وسعد باشا زغلول ، وحفنى بك ناصف ، وكثير غيرهم من أصحاب البيان ؛ حتى أضحى مجالًا لأفحل الأقلام وأنضج الآراء ، وصار المدرسة التى تخرج عليها من شهدوا الأجيال الماضية من أعلام البيان .

ويذهب صيت المؤيد لا فى مصر أو العالم العربى فحسب ، بل فى العالم الإسلامى كله فلقد أصبح لسانه المعبر أفصح تعبير عن حقيقة حاله ، والمترجم أنصح ترجمة عن آلامه وآماله ومتحدث أخبار المسلمين وراويها(١٠) .

الشيخ على يوسف وقضية التلغراف :

نشرت جريدة المؤيد عام ١٨٩٦م صورة برقية مرسلة من سردار الجيش المصرى بالسودان إلى وزير الحربية فى مصر عن الحملة العسكرية فى (دنقلة) ، ولما كانت البرقية لها طابع السرية وسردار الجيش المصرى بالسودان كان إنجليزياً ، جاء نشرها بالمؤيد إغاظة للإنجليز الذين كانوا يحتلون البلاد المصرية فى ذلك الوقت ، فقدموا الشيخ على يوسف إلى المحاكمة ، وعندما عرضت القضية على القضاء حكمت المحكمة ببراءته ابتدائيا ، كما تأيد حكم البراءة استئنافيا مما زاد فى غيظ الإنجليز ، ودفعهم إلى أن يضغطوا على حكومة مصر ؛ لزيادة ثلاثة قضاة من الإنجليز بمحكمة الاستئناف ؛ ليزداد عددهم فيسهل الحكم على أعداء الاحتلال الانجليزى بواسطتهم عند محاكمتهم .

ومع ذلك ما جبن الشيخ على يوسف وما عرف الخوف إلى نفسه سبيلا ، حتى إذا ما جاءت أحداث (دنشواى) وفيها ما فيها من عدوان بعض جنود الاحتلال الانجليزى على أهالى تلك القرية الصغيرة من قرى المنوفية سنة ١٩٠٦م والقبض على الفلاحين البسطاء الذين تصدوا لهم وقاوموهم

(٨) النظار : كان يطلق على وزراء ذلك الزمان .

(٩) كتاب المختار .

(١٠) المرجع السابق .

واجراء محاكمة عاجلة لهم والحكم عليهم بالإعدام وتنفيذه جهاراً نهارا أمام أسرهم وذويهم فى تلك القرية المنكوبة .

وهنا ينبرى الشيخ على يوسف فيها جم ـ فى جريدة المؤيد ـ الاحتلال الإنجليزى ، ويعلو بسطوة قلمه ، حتى ماينتهى منتهاه فى ذلك أحد ، فهو يُرُوعُ القراء بأسلوبه ووافر شجاعته وحديد عزمه(١١) .

دور المؤيد فى إنشاء الجامعة المصرية :

كانت جريدة المؤيد من الداعين إلى إنشاء الجامعة المصرية منذ أن كانت فكرة إنشائها تراود الأذهان وتتردد بأقلام الكتاب منذ عام ١٩٠٣م ، عندما دعا إليها الزعيم مصطفى كامل وآخرون غيره ، منهم : الزعيم سعد باشا زغلول .

ولما فتح باب الاكتتاب فى إنشائها كانت القائمة الأولى مبلغ (٤٥٨٥) جنيها بخلاف التبرعات العينية مثل الأطيان الزراعية ، وعندما اجتمع المكتتبون فى منزل سعد باشا زغلول فى يوم ٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦م قرروا انتخاب اللجنة التحضيرية والدعوة للمشروع فى جميع الصحف لما لوحظ أن المتبرعين كلهم من المصريين فقط .

وعندئذ نشرت جريدة المؤيد مقالا جريئا للشيخ على يوسف فى ١٩٠٧/١/٢٠م يدعو فيه العناصر التركية والجركسية الموجودة فى مصر إلى المساهمة فى المشروع اعترافا بجميل مصر وشعبها عليهم وتشبهاً بأسلافهم الذين شيدوا العمائر الشامخة من جوامع ومساجد للعبادة ، ومدارس لنشر العلوم ، وملاجىء لإيواء الفقراء والعجزة ، وفى هذا المقال تلميح للأسرة الحاكمة ـ وقد كانت تركية ـ حتى يساهم أفرادها بالتبرع لذلك المشروع التعليمى(١٢) .

جمعية الهلال الأحمر من مآثر الشيخ على يوسف :

كانت جمعية الهلال الأحمر قد أنشئت فى تركيا عام ١٨٧٦م خلال حربها ضد دولة الصِرب فى الربع الأخير من القرن الميلادى الماضى ، وقد دفع ذلك العمل الطيب ـ فى أعمال الإسعافات للجرحى والمرضى ـ الشيخ على يوسف إلى إنشاء جمعيـــة الهلال الأحمر المصرى عام ١٩١١م للمساعدة فى إسعاف الجرحى والمصابين والمرضى فى الحرب الدائرة بين تركيا وإيطاليا على الأراضى الليبية(١٣) .

وفاتــه :

أدرك الشيخ على يوسف من عظم الشأن وجلال القدر مالم يذركه صحفى مصرى فى زمانه . وفى أخريات أيامه ولاه ولى الأمر مشيخة السادة الوفائية ، خلفا لصهره السيد أحمد عبد الخالق السادات بعد وفاته ومع ذلك ظل قائما بتحرير المؤيد بعد أن رفع اسمه عنه إلى أن وافاه القضاء عام ١٩١٣ عن خمسين عاما ، ورثاه الكتاب والشعراء ، ومنهم : شاعر النيل حافظ إبراهيم بقصيدة نذكر منها قوله :

أقام فينـــا عصاميـــا فعلمنـــا
معنى الثبات ومعنى الجد والدأب
وراح عنـا ولم تبلـغ عزائمنـــا
مدى منتهاها ولم تقرب من الأرب

(١١) كتاب الازهر جامعا وجامعة .

(١٢) المرجع السابق .

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) كتاب المفصل فى تاريخ الادب العربى والمرجع السابق .

الإستعداد القتالى أهم ركائز الأمن في توجيهات الإسلام

للواء . أ . ح / محمد جمال الدين محفوظ

« لقد أصبح الفاصل بين حالة السلم وحالة الحرب فى عصرنا قصيراً جداً مما جعل القدرة على مقاومة كل عدوان مفاجىء مع استمرار الامة فى حالة عيش طبيعية ووضع يسمح لها بالدفاع قضية مصير » .

الأسوة الحسنة :

● عن أنس رضى الله عنه قال : « كان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبى طلحة عُرْىّ (بدون سرج) والسيف فى عنقه وهو يقول : لن تُراعوا »[1] .

● إنه درس رفيع فى الاستعداد القتالى قدم لنا فيه الرسول ﷺ بنفسه المثل فى درجة تأهبه واستعداده وسرعة حركته إلى موضع الخطر الذى يهدد أمن أمته وسلامتها ، وصدق الله العظيم :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2]

● والحق أننى لا أجد فى تعاليم المدارس العسكرية فى الشرق والغرب ما يتسامى إلى ما قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرناً وهو ما نوضحه فيما يلى :

معايير الإستعداد القتالى :

● لقد قرر الإسلام معايير الإستعداد القتالى التى تكفل الأمن للمسلمين وتقيهم من أن يؤخذوا على غرة من أعدائهم ، وتتمثل هذه المعايير فى قول الرسول القائد ﷺ : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله ، كلما سمع هَيْعَة (صيحة خطر) طار إليها »[3] ومن تحليل هذا الحديث الشريف نستخلص المعايير التالية :

١ ـ الاستعداد التام للانطلاق الفورى :

وذلك ما يفهم من كلمة « ممسك بعنان فرسه » ، فهى تعنى من الناحية اللغوية درجة أكبر من مجرد ركوب الفرس أو وقوف الفارس إلى جانبه ، فهى تدل على معنى « الاستعداد التام والمستمر » للانطلاق بمجرد الإنذار ، فالفارس فى هذا الوضع ، إذا جاءه أمر بالانطلاق أو إذا رأى خطراً ، لن يكون بحاجة إلى القيام بأية حركة ولا حتى مد يديه إلى عنان فرسه ليمسك به لأنه ممسك به فعلا .. أى أن كل ما سوف يفعله هو « الإنطلاق فى الحال » فهل هناك ما هو أعلى أو أقصى فى الاستعداد القتالى من تلك الدرجة ؟

---

(١) الحديث : رواه الشيخان .

(٢) الآية الكريمة : ٢١ من سورة الأحزاب .

(٣) الحديث : رواه مسلم وغيره .

٢ ـ الانطلاق بأقصى سرعة :

وحينما اختار الرسول القائد ﷺ لفظاً يعبر به عن حركة الفارس إلى موضع الخطر ، فقد اختار أسرع الأشكال المعبرة عن الحركة وهو لفظ (طار) فقال : « كلما سمع هيقة طار إليها » ، ولم يقل اندفع أو أسرع أو انطلق وكلها من أشكال الحركة التى لا تصل إلى درجة الطيران ، ونحن عادة ما نقول لمن نريده أن يندفع بأقصى سرعة : « طر » ، وهكذا يريد الرسول القائد ﷺ أن يكون انطلاق القوة المتأهبة « بأقصى سرعة » .

٣ ـ الإبقاء على حالة الاستعداد باستمرار :

إن المتأمل فى كلمة « كلما » فى عبارة (كلما سمع هيقة طار إليها) يدرك معياراً هاماً من معايير الاستعداد القتالى ، وهو ضرورة الإبقاء على حالة الاستعداد « بصفة دائمة » فالقوة المتأهبة إذا اندفعت فى مهمة لدفع خطر ، وجب أن « تحل محلها » على الفور قوة أخرى تتخذ وضع الاستعداد ذاته لمواجهة أى خطر آخر وهكذا ، ومعنى ذلك أن تكون حالة الاستعداد القتالى مستمرة بلا انقطاع فى أى وقت من ليل أو نهار ، وذلك هو خير وقاية من التعرض للمفاجأة من العدو .

٤ ـ استخدام أسرع وسائل النقل والحركة :

فقد ذكر الرسول ﷺ « الخيل » وسيلة لحركة القوة المتأهبة (رجل ممسك بعنان فرسه) ، وقد كانت الخيل وقتئذ أسرع وسائل النقل والحركة ، كما عبر عنها القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ (سورة الأنفال) / ٦٠

وترشد هذه التوجيهات إلى أن على القوات المتأهبة أن تستخدم أسرع وسائل النقل والحركة فى زمانها الذى تعيش فيه .. فالصورة المعاصرة اليوم للرجل الممسك بعنان فرسه ، نجدها مثلاً فى طيارى المقاتلات الاعتراضية الذين ينطلقون لقتال طائرات العدو المغيرة ، فهذه الطائرات تكون محملة بالذخائر والصواريخ وممتلئة بالوقود ومحركاتها دائرة ، وبداخلها طياروها بكامل ملابسهم وأجهزتهم ، ويدا كل منهم ممسكتان بعجلة القيادة وفوق أذنيه سماعات جهاز اللاسلكى المتصل بقيادته ، وهذه الطائرات تظل رابضة على أول ممرات الطيران فى المطارات الحربية على تلك الحالة القصوى من الاستعداد ، حتى إذا ما صدرت إلى الطيار إشارة بالانطلاق فلا يكون أمامه من عمل أو إجراء سوى الانطلاق الفورى ، وفى الوقت نفسه تحل طائرات جديدة محل تلك التى انطلقت حتى تظل حالة الاستعداد القصوى باقية لتلبية أى إنذار جديد .

اليقظة والحذر :

● ومن مقومات الاستعداد القتالى اتخاذ الحيطة والحذر لوقاية المسلمين من الأخطار وحرمان العدو من مباغتتهم ووقايتهم من آثارها ، يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (٤)

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ﴾ (٥)

﴿ ... وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٦)

---

(٤) الآية الكريمة : ٧١ من سورة النساء .

(٥) الآية الكريمة : ٩٢ من سورة المائدة .

(٦) الآية الكريمة : ١٢٢ من سورة التوبة .

● ولعل أبلغ ما يؤكد أهمية اليقظة والحذر فى تقدير الإسلام ما ورد فى القرآن الكريم بشأن صلاة الخوف ، فقد أمر الله تعالى بأدائها فى وقتها ، وأمر بأن تصلى طائفة مع الرسول ﷺ بينما الطائفة الأخرى فى موقف الحراسة حتى إذا فرغت الطائفة الأولى اتخذ كل من الفريقين حالة الآخر ، قال تعالى :

« وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً .. »[(٧)]

انظر إلى أى حد يبلغ اهتمام الإسلام باليقظة والحذر إلى حد أنه أمر بهما حتى فى الصلاة التى يؤدونها لله ويكونون فيها بين يديه !

● وفى هذا المجال ينبهنا الإسلام إلى ما يلى :

١ ـ أعداؤكم متربصون :

فالإسلام يفتح عيون المسلمين على « الخطر المحدق بهم » من أعدائهم المتربصين الذين « ينتظرون لحظة الغفلة » منهم : « .. ود الذين كفروا لو تغفلون .. » .

٢ ـ إذا غفلتم انقضوا عليكم :

و « يجسد » الإسلام العواقب الوخيمة للغفلة والأضرار البالغة التى يتعرض لها المسلمون من جرائها : « فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

٣ ـ لا تستهينوا بعدوكم :

ويحذر الإسلام من الاستهانة بالعدو لأنها تؤدى إلى « إهمال » اتخاذ الحيطة والحذر مما يعرضنا للخطر والمفاجأة ، وما أصدق قول الشاعر :

لا تحقرن صغيراً فى مخاصمة
إن الذبابة أدمت مُقلة الأسد

وما أصدق المثل العربى : « إن كان عدولك نملة ، فلا تنم له » .

٤ ـ ولا تغتروا بقوتكم :

ويحذرنا الإسلام من الاغترار بالقوة ، فهو كالإستهانة بالعدو يؤدى إلى إهمال الحذر ، ومن دروس تاريخنا فى هذا المقام ماحدث فى غزوة حنين ، روى يونس بن بكير فى زيادات المغازى عن الربيع بن أنس قال : قال رجل يوم حنين : لن نُغلب من قلة ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ وكانت الهزيمة .. وروى ابن المنذر عن الحسن قال : لما اجتمع أهل مكة وأهل المدينة قالوا : الآن نقاتل حين اجتمعنا ، فكره رسول الله ﷺ ما قالوا مما أعجبهم من كثرتهم ، فالتقوا فُهزموا حتى ما يقوم أحد على أحد[(٨)] .

الإنذار المبكر :

● ومن متطلبات الاستعداد القتالى أن تتوفر لنا « المعلومات » عن الأعداء من حيث نواياهم وتدابيرهم وحركاتهم « على نحو مبكر » بحيث

---

(٧) الآية الكريمة : ١٠٢ من سورة النساء .

(٨) محمد بن يوسف الصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد حـ ٥ ص ٤٦٩ .

نتمكن من التصرف « فى الوقت المناسب وقبل فوات الأوان » .

● ولقد قدم لنا الرسول القائد ﷺ درساً عظيماً فى هذا المجال ، فقد بلغ عدد الغزوات التى قادها بنفسه ثمانى وعشرين غزوة كان منها عشر غزوات « دفاعية » للدفاع عن المدينة ، ويكشف تحليل هذه الغزوات العشر وملابساتها أنه عليه الصلاة والسلام خرج فى سبع منها بقــوات المسلمين لمهاجمة القبائل التى « بَلَغَهُ » أنها تستعد وتدبر للعدوان على المدينة ، وقد كانت سرعته فى الحركة فائقة إلى حد أن تلك القبائل كانت « تفاجأ » بقوة المسلمين تغير عليها « قبل أن تستعد للقائها » ، مما كان يضطرها إلى الفرار تاركة ديارها وأموالها للمسلمين .. وهكذا كانت النتيجة تأمين المدينة من خلال إحباط تدابير العدوان عليها .

● فهذه العمليات أثبتت أن الإنذار المبكر عن تدابير الأعداء للعدوان مكن الرسول ﷺ من القضاء عليها فى مهدها ، كما أثبتت أن المسلمين كانوا على درجة عالية من الإستعداد القتالى والحركة السريعة لدفع الخطر ، وهذه الغزوات السبع هى : غزوة بنى سليم فى شوال عام ٢ هـ ــ غزوة ذى أَمَرَّ فى المحرم عام ٣ هـ ــ غزوة بحران فى ربيع الأول عام ٣ هـ ــ غزوة ذات الرقاع فى شعبان عام ٤ هـ ــ غزوة دُومة الجندل فى ربيع الأول عام ٥ هـ ــ غزوة بنى المصطلق فى شعبان عام ٥ هـ ــ غزوة بنى لحيان فى جمادى الأولى عام ٦ هـ .. ولابد من التنويه فى هذا المجال بأن من الضرورات الحيوية للإنذار المبكر توفر « وسائل الاتصال » السريعة التى تضمن وصول الإنذار فور كشف الخطر .

الإسلام يكرم القوات المتأهبة :

● ويحظى كل مسلم متأهب وعلى درجة عالية من الاستعداد القتالى والحركة السريعة لدفع الخطر عن أمته بتكريم عظيم فى الإسلام ، فلقد وصف الرسول القائد ﷺ الرجل الممسك بعنان فرسه فى سبيل الله بأنه « خير الناس » ، وهو وصف ينطوى على عدة معان ينبغى أن نتدبرها :

١ ــ هو « تكريم » للمسلم المجاهد المرابط الذى يقف على تلك الدرجة العالية من الاستعداد القتالى للدفاع عن أمته .

٢ ــ وأن المجاهد المتأهب « يستحق » هذا التكريم لقاء العناء والجهد البدنى والعصبى الذى يبذله ويتحمله .

٣ ــ وأنه يستحق التكريم أيضا لقاء « مبادرته » إلى الخطر ودفعه ووقاية أمته منه .

٤ ــ وأخيراً هناك معنى « إثارة الحافز » لدى كل مسلم ليكون واعياً يقظاً للخطر الذى يتهدد أمته ، ومتأهباً إلى أقصى حد ، حتى يحظى بذلك الوصف العظيم : « خير الناس » .

وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه مع أصحاب رسول الله ﷺ المرابطين ، ففزعوا إلى الساحل ، ثم قيل : لا بأس ، فانصرف الناس (يعنى إلى مواقعهم) ووقف أبو هريرة (أى قريباً من مصدر الخطر) فمر به إنسان فقال : يا أبا هريرة ، ما يقفك ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « موقف ساعة فى سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود »[٩] .

(٩) الحديث : رواه البيهقى وابن حبان عن مجاهد .

الشعر والشعراء

الشاعر أحمد شوقى

« ١٨٦٨ – ١٩٣٢ »

ـ ولد بقصر الخديوى اسماعيل حيث كانت جدته لأمه إحدى وصيفات القصر ، ويحدثنا شوقى عن أصله فيقول : « أنا إذن عربى ، تركى ، يونانى ، جركسى » ، كان متفوقاً فى الدراسة ودخل مدرسة الحقوق صغير السن وأتقـــن الترجمة ، فأوفده الخديوى توفيق إلى فرنسا على نفقته الخاصة ليدرس الحقوق والآداب فلما عاد ألحقه الخديوى بمعيته ، وقد نفاه الإنجليز إلى أسبانيا من عام ١٩١٥ إلى ١٩١٩ . وتوفى فى ١٦ أكتوبر ١٩٣٢ .

ـ هو أشعر شعراء هذا العصر ، وأطولهم نفساً وأكثرهم إلماماً بفنون الشعر ، وأعمقهم غوصاً فى تاريخ أمته والتغنى بأمجادها ، وتخليد بطولاتها ، وله نصيب كبير من الشعر السياسى والتاريخى والدينى وشعر الحكمة والأخلاق ، واهتم بشعر الأطفال .

ـ كتب فى كل أغراض الشعر ، مشرق الديباجة قوى الأسلوب بارع الاستهلال ، وكثيراً ما كان يحاكى الأوائل ويعارض الأقدمين ، كما يعتبر رائد المسرحية الشعرية وله عدة مسرحيات رائعة منها : على بك الكبير ، ومجنون ليلى ، ومصرع كليوباتره .

ـ جمع شعره فى ديوان « الشوقيات » فى أربعة أجزاء ، والذى يدرس هذا الديوان يجد نفسه وكأنه أمام شاعرين مختلفين جدّ الاختلاف ، فالشاعر الذى وصف الخمر والندمان والكأس ومجالس اللهو فأبدع فى ذلك كل الإبداع ، هو نفس الشاعر الذى سما بإسلامياته وامتدح الرسول الكريم ، هو صاحب "نهج البردة وسلوا قلبى وإلى عرفات الله ، وغيرها من الملاحم الخالدة التى لم يرق إلى إبداعها شاعر قبله ، وربما تتجلى ظاهرة الازدواج هذه فى شعر شوقى أيام الشباب ، وعلى العموم فهو شاعر مطبوع ، محافظ على اللغة والشعر : معنى ، ومبنى ، وفكرة ، وصوراً ، وخيالات ، وأفكاراً .

ـ واجه أحمد شوقى فى حياته الكثير من النقد والهجوم من طه حسين ، والعقاد ، والمازنى ، وعبدالرحمن شكرى ، ومن بعض أصحاب الصحف ، وسبب ذلك صلته القديمة بالقصر والخديوى ، وخصومته لبعض الساسة والزعماء ، وموقفه من الثورة العرابية ، ولكن هذا النقد يتضاءل أمام مبايعة شعراء الأمة العربية ومفكريها لشوقى أميراً للشعراء ووقفة حافظ ابراهيم شاعر النيل بدار الأوبرا سنة ١٩٢٧ مناديا :

أميـر القـوافى قد أتيـت مبايعا
وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

إعداد : رشاد محمد يوسف

قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقى (بك)(*)

الحق حجتـــــه هى الغـــــراء   هيهات فى فلـــق الصبـــاح مراء
لا يطلبـــن الغايـــة الشعـــراء   لو نال كنـــه جلالك الـــكبراء
آبت به «سَيْنَـــاءُ» و«الإسراء»

الوهـــم يبعـــد فى الظنـــون ويقـــرب   والعقـــل فيك مسافـــر متغـــرب
والفكـــر يهرب حيث أنت المهـــرب   والنـــفس غايتها إلـــيك تَقَـــرُّبُ
وقُصارُهـــا فى عفـــوك استـــذراء

موسى على «سيـــنين» أعشى أرمـــدُ   هو والجبالُ وأرض «مديـــن» همَّـــد
ودنـــا فخـــرَّ إلى الجبين محمَّـــدُ   ومضى سليمـــان ووجـــهك سَرْمَـــدُ
يعنـــو له الأمـــلاك والأمـــراء

بجلالـــه أضحـــى الجمـــالُ تعـــوزا   وغدا الجمـــال على الجلال استحـــوذا
يأوى إلى سُبُحاتـــــــه هذا وذا   وتطيـــف أصنـــاف المحامـــد لوَّذا
ماذا ينـــال المدح والإطـــراء

بيمينـــك المُـــلْكُ الـــذى لا يُحصَر   خلت الممـــالك دونـــه والأعصر
وصحا الملـــوكُ من الغـــرور وأقصروا   كسرى وهـــارون الرشيـــد وقـــيصر
تحت التـــراب أذلـــة فقـــراء

ولك القضـــــاء غِرارُه ومحَـــزُّهُ   لاشىء فى هذا الوجـــود يَعَـــزُّهُ
ترمـــى به ركـــنَ الثرى فَتُفِـــزُّهُ   تتناثـــر التيجـــانُ حيـــنَ تهزه
وتُمَـــزَّقُ الشهبـــاء والخضراء

(*) – نشرت بمجلة الهلال عدد مايو سنة ١٩٢٤ ولم تنشر فى ديوانه الشوقيات .

أمَّــا الملائكـــة الكــــرام فَقُـــبَّسُ   لَبسُوا الحُلَى الْحُسْنَى وأنت الْمُلْبِسُ
وعلى التحيــــة والثنــــاء تَحَــبَّسُوا   خشعــوا فلــم يجزوهما أو ينـــبسوا
إلا كما يتخــــافت القــــراء

يَنْـــزَون بين مجنَّـــح ومُــــرَيَّش   نَزْوَ الفــراش ومـــا هُمُ بالطُـــيَّش
حول الضيـــاء الحاشد التجـــيشِ   ويجررون من الغلائــــــل ما يَشِي
سر النــــعيم وتــــنسج السَّراء

عرش على أم العــــــلا منصوصُهُ   من جوهـــــــر الحق المبين فصوصُه
جبريــل وهـــو به القديــمُ خُصُوصُهُ   مُلْقَـــى الجَنـــاحِ إزاءه مقصوصه
والـــرسل من أن يَدَّعـــوه براء

فى منــزل فوق السحــاب وفــرضه   عالٍ على مَسرى الخيــال وقَــرْضِهِ
فى طولــه يفنــى المكـــان وعــرضه   ما فى سماء الكـــون أو فى أرضه
مَرْدَاءُ[1] تشبهه ولا شجـــــراء

العلــم ثمَّ ضنائِنــاً وحفائظـــا   والعـــز ثمَّ حقائقـــا وحفائظـــا
مجد أمـــات بك المكابـــر غائظـــا   فأتـــاك مبـــذول المقـــادة فائظـــا
حيران ليس لدائـــــه إبـــــراء

عن هذه الأنـــــوار يعشى يوشع   فمــن الرئـــيس[2] وعلمــــه المتشعشع
أو من أرسطـــــو والمشاة الخشع   عصفت بهم ريح الـــبلى فتقشعـــوا
وَرَحَتْ رَحاهـــا فيهم الــــغبراء

لبسوا النبــوغ من العنايــة مُسْبَغَـــا   فتخيلــوا وزهـــا الـــذكاءُ النبَّغَـــا
ما من أدلّ بما وهـــبت كمــن بغـــى   والنـــاس ذو رأى وآخـــر بغـــا
تُحْكَـــى وتُنْقَـــل عندهـــا الآراء

---

(١) المرداء : الأرض التى لا شجر فيها .
(٢) ابن الرئيس .

كم أيـــة لك لم يَجِدْهـــا المشرك   غـــــراءَ بالبصــــــر المجرد تُدْرَكُ
فَلَكٌ منــــوط فى الــــفضاء محرَّك   هل ثار فيــه من الثــوابت مُبْــــرَكُ
أم عىّ سيـــــــــــار به سرَّاءُ

ذو الــرمح فيــه على وداد الأعــزل   والفرقــدان عن اللبــدَّاد بمعـــزل
ويــد الغزالــة فوق أشرف مِغــزِل   والبــــدر كَلَّ مُلاوةٍ فى منـــزل
حتــى تُحَــلَّ شِراكَـــهُ العفـــراء

النمل يُنْجِـــدُ فى المعـــاش ويُتْهـــمُ   عن أى رأس أو فؤاد يفهـــــــم
لبّ يضل مكانــــه المتوهـــــم   لولا يد تَحْـــدُو ، وهــــادٍ ملهـــمُ
لم يبــــد منـــه الحزم والنكــــراء

والــــرزق سرٌ لم يُنَـــلْ مكنونــــهُ   ضَنَّتْ به كاف السمـــاح ونونــــه
كذب الحريص وحـــرصه وفنونـــه   ستعـــــوده سوداؤه وجنونـــــه
ما دامت البــــيضاء والصفـــــراء

فرعـــون لم يخلـــد ولا أشباهـــه   لم يغــن عنــه من البنـــاء نِباهُــــه
مَلأٌ أتــــاك عَتِيّـــــةٌ وسِبَاهُـــــهُ   نزلت على حكــم التــراب جِبَاهُـــــهُ
وكــذا يكــون الحكــم والإجْـــراء

بالموت أذلــلتَ النفــوس وبـــالهوى   وقهرت من وطئ التراب ومن هوى
والنجـــم لو سرت الحيـــاةُ به هوى   وانحطَّ عن أوج الهواء إلى الهُـــوَى
يبكــى عليــه الأهــل والـــعشراء

لم يألُ روادُ الصلاةَ مثانيـــــــا   ويسوع دمعـــا والبشــــير مثانيـــا
وتنـــوَّرَ الـــوادى رُبـــىً ومثانيـــا   فسمـــا الكـــليم فمـــا توسم ثانيـــا
أنّـــى لك الشركاء والنظـــراء ؟

الزلزال

للشاعر : محمد عبد الرحمن صان الدين

هزَّة فى لحظة أوْدَت بأرواح الألوفِ
دون واق تحت أنقاض المبانى والسقوف
كم هوت منها قلاع مثل أوراق الخريف
وأضاع الرعب رشد الراسخ القلب الحصيف
دون أهل أو عتاد فرَّ خَوْفا من حُتُوف
ذاك إنذار رفْيق جاء من رب الوجودِ
قال للناس : استقيموا واستفيقوا من رقود
إن أرض الله ليست ملك باغ أو كنود
أو بساطا لمجون دون وعى أو قيود
نقمة الجبار تأتى وقت صَحْوٍ أو هجود
أيها المغرور فوق الأرض يمشى فى اختيالِ
قد تصِير الأرض دكاً إن تجلى ذو الجلال
قد رأيتَ الأرض فلكا بين موج كالجبال
والذى من فوقها قد حار فى تيه الخبال
كفراش مستطار أو شتيت من نمال
أيها الإنسان حاذر خسف علام الغيوبِ
إن سطح الأرض يطفو فوق موج من لهيب
إن أتاه الأمر يمضى دون رَيْث فى وجيب
ليس فيه من غياث أو سبيل للهروب
لا تسل عَمَّنْ سيبقى قائما بين الكروب

* * *

هكـــــــذا يا غافـــــــلا فى لهوه تأتى القيامـــــــــه
هكـــــــذا تدرى بأن العـــــــيش مجهـــــــول السلامـــــــه
فى قصور أو كهـــــــوف فى صفـــــــاء أو جهامـــــــه
فاعـــــــتبر يا لاهيـــــــا واحـــــــذر من الله انتقامـــــــه
حين لا يجديك نفعـــــــا قرع أسنـــــــان الندامـــــــة

* * *

لكـــــــن الإنسان ينسى ما أتـــــــاه من نذيـــــــر
ويـــــــولى عن جليـــــــل مقبـــــــلا نحو الحقير
يحسب الدنيـــــــا متاعـــــــا وخلـــــــودا فى حبـــــــور
وَيْحَـــــــه من هازل فى ملـــــعب العـــــيش الـــــقصير
يا لَهُ من شارد قد تاه عن هول المصير
طول شهـــــــر قد أقض الـــــــرعب مأمـــــــون المضاجـــــــعْ
لم يعـــــــد فى أهـــــــل مصر اليـــــــوم فى مأواه وادع
فوق بانيها المبـــــــانى ساجـــــــد منها وراكـــــــع
ساكـــــــنَ الـــــــغبراء هل فى باغت الأحـــــــداث رادع

* * *

هل يُقـــــــلُّ الأرضَ حقـــــــا فى كلال قرنُ ثورِ ؟
قائـــــــمٍ من فوق حوت سابـــــــحٍ فى موج بحر
هل على الإنسان أن يحيـــــــا على شطـــــــآن زُغْـــــــر
ليس يدرى الموت يأتيـــــــه بليـــــــل أو بفجـــــــر
تحت أنقـــــــاض تهاوت أم برحب وهْـــــــو يجرى

* * *

يا إلـــــــه الكـــــــون إن الأرض غَصَّت بالمخاطـــــــرْ
جوفهـــــــا الغضبـــــــان يغلى سطحهـــــــا كالموج مائـــــــر
ليس فى صخبـــــــاء هذا الكـــــــون إلا أنت قادر
عبـــــــدك الإنسان فيها زائـــــــغ الأبصار حائـــــــر
فتداركـــــــه بلطـــــــف منك ـ يا رحمن ـ غامـــــــر

نظرتان إلى :

الزلزال

شعر : السيد الصديق حافظ

حَنَانَيْكَ رَبِّى ! كَيْفَ كَان احْتِمَالُهـا   وَقَدْ فُزِّعَتْ مِمَّا تُلَاقِى جِبَالُهـا ؟!
لَئِنْ سَاءَهَا الزِّلْـزَالُ مُرًّا فَدُونَـهُ   دَوَاهٍ ثِقَـالٌ مَرَّ مِنْهَـا زُلَالُهَـا !
ثَوَانٍ قِصَارٌ فِى البَـلَاءِ كَأَنَّهَـا   قُرونٌ طِوَالٌ شَرُّهـا وَوَبَالُهـا !
لَقَدْ رُجَّت الأَرْجَاءُ رَجًّا وَبُعْثِـرَتْ   عَمَائِرُ لَمْ يَحْرُجْ إلى النُّـورِ آلَهَـا !
فَمَـنْ رَابَـهُ أَمْـرُ القِيَامَـةِ فَلْيَتُـبْ   إلى اللهِ وَلْيَرْجِـعْ فَهَـذَا مِثَالُهـا !

* * *

وَ « قَاهِـرَةٍ » كَمْ زَلْـزَلَتْ قَلْبَ وَالِـهٍ   فَمَا بَالُها لَمْ يُغْنِ عَنْهَا جَمَالُهَا !
بَكَـى نِيلُهـا حَتَّـى تَفطَّـرَ قَلْبُـهُ   وَ أَنَّتْ رَوَابِيها وَنَـاحَتْ تِلَالُهـا !
فَقَـدْ يَأْخُـذُ اللهُ القُـرَى بِذُنُوبِهـا   فإنْ هِىَ لَمْ تُقْلِـعْ يَحِـقَّ ابْتِذَالُهـا !

* * *

كِنَانَـتُك اللَّهُـمَّ مَا زَال مِلْؤُهَـا   نِبَـالاً فَلَا هَانَتْ علَـيْكَ نِبَالُهـا !
وَلَا هَان بيْتٌ فِى حِمَاها مُطَهَّـرٌ   مَنَائِـرُه للهِ يَدْعُـو بِلَالُهـا !
مَضَتْ أَلْفُ عَامٍ نُورُها يَغْرِسُ الهُدَى   وَيَجْـتَثُّ أَشْوَاكَ الضَّلَالِ هِلَالُهـا !
إذا زُلْـزِلَتْ مِنْ حَوْلِها الأَرْضُ لَـمْ تَزَلْ   عَلَى حَالِهـا والأَرْضُ قد حَالَ حَالُها !

* * *

وَمَا (مِصْرُ) لَوْلَا الدِّينُ إلا وِلَايَـةٌ   لأَرْبَـابِ رُومَـا غِلُّهـا وَغِلَالُهـا !
فَمُـنْذُ جَاءَ عَمْـرٌو عَمَّـرَ اللهُ قَلْبَهـا   وأَحْيـاهُ بالإسْلامِ وارْتَـاحَ بَالُهـا !
وكانَتْ إلى أيْـدِى المَوَالِـى أمورُهـا   فآلت إلَـى المَوْلَـى فَعَـزَّ مآلُهـا !
تقطَّـعَتِ الأَسْبَـابُ إلا إلى الهُـدَى   وَفِى عُرْوَةِ الإِسْلامِ نِيطَتْ حِبَالُهـا !
فَمَـنْ يَبْـغِ عَلْمَانِيَّـةً ضَلَّ سَعْيُـهُ !   وَأَخْسَرُ آمَـالِ النَّفُـوسِ مُحَالُهـا !
وَمَـنْ يَبْتَـغِ الإِسلامَ دِينًـا فحسبُـه   رِضَا اللهِ والجَنَّـاتُ حَقٌّ مَنَالُهـا !

مصر بخير

شعر : ثروت محمد يوسف

هذى زهـور الـربى ... تزهـو بوادينـا
سبحـان من صاغهـا ... فُلًّا ونسرينـا
إشراقـة الـحُسْن ... لا زالت كما عُهـدتْ
فى مصر ... تفْتَـنُّ تنميقـا وتلوينـا
هذا بَنفْسَجُهـا ناغَـى قُرُنْفُلَهـا
والفُـلُّ صار ضيـاءًا فى مآقينـا
والطَّـلُّ والظِّـلُّ ... والأشذاءُ أجمعهـا
والـدوح والنهر والأشجـار : وادينـا
والـطير حلَّـق فى الآفاق منتشيـاً
إلى الريـاض مضى ... ينساب مفتونـا

* * *

كنانـة الله بالزلـزال ما وَهَـنَتْ
وصانها الله مما دَكَّ « مسِّينـا »
إذا ترضْرض جزءٌ من صلابتها
أتـاح للـعين إدراكا وتبيينـا :
أن الصلَابـة فى البنيـان أجمعـه
صارت بفضل إلّـه الكـون تحْمينَـا
تُنضِّدُ الأرضَ بالـوشْى الـذى نسجتْ
خيـوط مغزلـه ... زَخَّـاتُ بارينـا
ما بين غمضة عين وانتبـاهتها
صار الإخـاءُ ... عزاءًا ... فى مآسينـا
ورُبَّ خطْبٍ تمامُ اللطـف مُستتـر
فيـه ... بما قضى ربى ... يواسينـا

العلوم الكونية

الإنسان ومشكلات البيئة: التلوث بالضوضاء

ا د. أحمد فؤاد باشا

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1] صدق الله العظيم .

إن التقدم العلمي والتقنى الذى أحرزه الإنسان أدى إلى حدوث بعض التغيرات الحادة فى طبيعة البيئة المحيطة بنا ، وقضى فى بعض الأحيان على مظاهر الحياة فى كثير من الأماكن .. وقد تحدثنا فى أعداد سابقة عن مظاهر اختلال التوازن الطبيعى للبيئة وما تمثله من تحديات خطيرة تهدد الحياة على كوكب الأرض ، فقدمنا تعريفا علميا لعلم البيئة ومفهوم التلوث البيئى ، ثم عرضنا بشىء من التفصيل لمشكلات التلوث الحرارى والتلوث الكهرومغناطيسى والتلوث الكيميائى والتلوث النووى[2] ، ونواصل الحديث فى هذا المقال عن مشكلات التلوث بالضوضاء التى بلغت فى أيامنا هذه حدًا جعل البعض يعتبرها أحد أشكال التلوث البيئى ، بمعنى أنها ليست أقل خطورة على صحتنا من السموم الموجودة فى هوائنا ومياهنا . ويقتضى التسلسل المنطقى للموضوع أن نبدأ بتعريف الضوضاء فى ضوء المفاهيم الأساسية لعلم الصوت وتقنية الصوتيات ، ثم نوضح المستويات المختلفة للضوضاء والأضرار الناشئة عنها ، وأهم التشريعات والحلول المقترحة لمكافحتها .

تعريف الصوت والمدى السمعى :

من المسلم به علميا أن الصوت عبارة عن موجات تضاغطية تنشأ عن اهتزاز الأجسام ، على نحو ما نجد فى وتر العود أو الكمان ، أو فى الأوتار الصوتية عند الإنسان . ويلزم لانتشار الطاقة الصوتية وجود وسط مادى تنتقل خلاله إلى أن تصل إلى الأذن ويحدث الإحساس بالسمع .. فوتر العود مثلا لا نسمع له صوتا إذا اهتز فى الفراغ لأن التموجات الصوتية لا تجد الوسط المادى الذى تنتقل خلاله الى طبلة الأذن[3] والتجربة العلمية البسيطة التى يجربها طلاب المدارس فى المعمل للتأكد من صحة هذه الحقيقة العلمية تتم بتفريغ الهواء داخل ناقوس زجاجى موضوع فوق « منبِّـه » به جرس يدق ، ثم السماح بدخول الهواء تحت الناقوس مرة أخرى ؛ فيلاحظ أن صوت دقات الجرس يخفت رويدا رويدا أثناء تفريغ الناقوس من الهواء ، ثم يشتد الصوت عندما يدخل الهواء فى الناقوس .

والناس يتفاوتون فى مقدرتهم على سماع الأصوات ، لكنهم يتفقون فى شدة الصوت الذى يُسمع بالكاد ، وكذلك فى جهارة الصوت الذى يسبب الألم ، ومن ثم أمكن تحديد مدى الاستجابة الترددية للأذن البشرية العادية ، أو المدى المسموع

---

١ ـ سورة الروم : ٤١

٢ ـ مجلة الأزهر ، أعداد صفر وربيع الأول وجمادى الأولى ١٤١٣ هـ/أغسطس وسبتمبر ونوفمبر ١٩٩٢ م

٣ ـ نحن نعلم اليوم أن القمر ليس له غلاف هوائى مثل الغلاف الجوى للأرض . ولهذا فإن رواد الفضاء على سطحه يتبادلون الحديث بواسطة (االراديو) ، (اللاسلكى) ، حيث يمكن للضوء وموجات الراديو ، وليس موجات الصوت ان تنتقل خلال الفراغ .

Audible range للترددات فيما بين ٢٠ و ٢٠٠٠٠ هرتز[٤] . وتصل حساسية الأذن للموجــات السمعية **Sonic waves** الى اقصى قيمة فى مدى التردد القريب من حوالى ٣٠٠٠ هرتز ، وعند الترددات التى تختلف عن ذلك لابد أن يكون الصوت أكبر فى الشدة لكى يمكن سماعه . وبصورة عامة يمكن القول بأن مدى السمع يختلف من شخص لآخر ، فهو يتراوح عند الشبان البالغين مثلا بين ١٦ هرتز و ١٥٠٠٠ هرتز ، بينما يستطيع الأطفال سماع ترددات تصل الى ٢٠٠٠٠ هرتز أو أكثر . أما كبار السن الذين تعرضوا كثيرا للضجيج فى مساكنهم أو أماكن أعمالهم فإنهم لا يستطيعون سماع أصوات يزيد ترددها على ٣٠٠٠ هرتز . وفى جميع الأحوال تقل القدرة على سماع الأصوات ذات الترددات العالية مع تقدم العمر .

وللتعبير عن استجابة الأذن للأصوات بطريقة أفضل يستخدم عادة مقياس شدة الصوت ، أو مقيــاس « الديسيبــل » **Decibel** المبنــى على مضاعفات الرقم ١٠ ، حيث يعتبر الشخص أن جهارة الصوت **Loudness Level** قد تضاعفت إذا ارتفع مستوى الجهارة حوالى عشرة ديسيبـل[٥] ويبدأ هذا المقياس من الصفـر ، حيث تكـون الأصوات شديدة الخفـوت الى ١٢٠ ، حيث تكون الأصوات مسببة للألم الشديد . وهناك اتفاق عام على أن الحد الأقصى للضوضاء يجب ألا يزيد عن ٧٥ ديسيبل حتى تكون مأمونة الجانب إلى حد كبير ، ولا تعرض الإنسان إلى فقدان حاسة السمع ، أو غيرهـا من آثـار الضوضاء الضارة .

مستويات الضوضاء ومصادرها :

يمكن تقسيم مدى شدة الصوت الذى تسمعه الأذن وتتأثر به إلى عدة مستويات تقريبية على النحو التالى :

(ا) **الأصوات الهادئة** : وهى الأصوات التى تقع شدتها فى المدى ما بين صفر و ٥٠ ديسيبل تقريبا ، ومن أمثلتها الهمس وحفيف الأوراق « ٢٠ ديسيبل » ، وصوت الألة الكاتبة « ٤٠ ديسيبـــل » وحركـــة المرور الخفيفـــة « ٥٠ ديسيبل » .

(ب) **الضوضاء متوسطة الارتفاع** : وهى التى تقع شدتها فى المدى ما بين ٥٠ و ٧٥ ديسيبل ، ومن أمثلتها محادثات التخـاطب العاديـة « ٦٠ ديسيبـل » ، نبـاح الكـلاب « ٦٧ ديسيبـل » ضجيج آلة الكنس الكهربائية « ٧٠ ديسيبل » ، ضجيج سيارة خاصة تتحرك بسرعة ٩٠ كم/ساعة « ٧٣ ديسيبل » .

---

٤ ـ يقاس التردد الموجى بعدد الذبذبات فى الثانية ، وتستخدم وحدة الهرتز **Hertg** لقياس التردد تخليدا لذكرى العـالم الفيزيـائى « هرتز » الذى اشتهر بأبحاثه فى دراسة الأمواج الكهرومغناطيسية وعادة ما نسمع عن وحدات أكبر لقياس التردد من بينها الكيلو هرتز = الف هرتز ، والميجاهرتز = مليون هرتز .

٥ ـ تعرف شدة الصوت بأنها الطاقة التى تحملها الموجة الصوتية فى الثانية عبر وحدة المساحات العمودية على اتجاه انتشار الموجه ، وتقاس بوحدات الواط لكـل متـر مربـع . أمـا وحـدة « البـل » **BEL** المستخدمـة لقيـاس مستـوى شدة الصوت **Intensity Level** فتسمى بهذا الاسم نسبة الى العالم الأمريكى « الكسندر جراهام بل » **A.G.BEL** مخترع التليفون وهى تساوى لوغاريتم النسبة بين شدة الصوت بالواط لكل متر مربع وبين شدة قياسية اختيارية مقدارها $١٠^{-١٢}$ (جزء من مليون مليون/واط لكل متر مربع . ويستعمل عادة وحدة أصغر بمقدار العُشر تسمى « الديسيبل » **DB** ويلاحظ أن الكمية الاختيارية كمستوى مرجعى ($١٠^{-٢}$ واط/م^{٢}) تمثل الحدّ الأدنى لشدة الصوت المسموع بالكاد للأذن العادية ويناظر الصفر فى مقياس الديسيبل .

(جـ) الضوضاء المرتفعة جدا : وهى التى تزيد شدتها عن ٧٥ ديسبل ، ومن أمثلتها صوت البيانو والغسالة الكهربائية والسيارة الخاصة التى تتحرك بسرعة ١٠٠ كم/ساعة » حوالى ٧٨ ديسيبل » والخلاط المنزلى « ٨٨ ديسيبل » ، وآلات الطباعة وآلات قطع الحشائش وآلات الثقب التى تعمل بالهواء المضغوط « حوالى ١٠٠ ديسبل » ، وصوت الطائرات النفاثة عن قرب « ١٠٣ ديسبل » والضجيج الناتج من الفرق الموسيقية الحديثة التى تستخدم مكبرات الصوت حوالى ١١٥ ديسيبل . وعندما تصل شدة الضوضاء إلى هذا الحد المزعج فإنها تكون غير مأمونة الجانب وتؤدى زيادة شدتها بعد ذلك (١٢٠ ديسبل) إلى الإحساس بالألم .

وفى ضوء هذا التصنيف العام لمستويات الضوضاء ومصادرها لا يجد المرء أية صعوبة فى القياس عليها لمعرفة مدى الخطر الذى يتهدده بسبب الضوضاء المرتفعة التى يتعرض لها لفترات طويلة ، خصوصا بعد أن أخذ الجميع بأساليب الحياة العصرية وأصبحت أجهزة التكييف والخلاطات ، وآلات الغسيل والتجفيف ، والمبردات وأجهزة التسجيل والمذياع والتليفزيون منتشرة فى كل منزل تقريبا وهى أجهزة تعتبر اليوم من أهم مصادر الضوضاء المنزلية . يضاف الى ذلك ما يعرف باسم « ضوضاء الخلفية » Background noise التى تصل الينا وتحيط بنا فى صورة هدير متصل تختلف شدته من مكان لآخر ويصدر عن مصادر عديدة تشمل كل أنواع الأصوات والضوضاء المنبعثة من حركة المرور فى الشوارع ، ومن أصوات الباعة الجائلين ، أو الأطفال الذين يمرحون ويلعبون إلى غير ذلك من الأصوات غير المحددة التى تمتزج معاً بحيث يصعب التعرف على مصدرها ويعتاد عليها الإنسان بمرور الوقت .

وتعتبر الضوضاء الصادرة عن السيارات والشاحنات ووسائل النقل الأخرى من أهم ضوضاء الخلفية التى تحيط بسكان المدن . وتزداد معدلات الضجيج فى الطرق مع زيادة حجوم الحركة المرورية بصورة عامة ، وذلك نتيجة لزيادة مصادر الضجيج التى تشمل المحركات والمراوح ومواسير العادم وأجهزة نقل الحركة والعجل وآلات التنبيه وقد ثبت أيضا أن معدلات الضجيج تزيد مع زيادة السرعة ، ومع زيادة قوة المحرك ، وبالتالى حجم المركبات ، ومما يؤسف له أن هذه الضوضاء قد امتدت لتشمل بعض ضواحى المدن وبعض المناطق الريفية المجاورة للطرق السريعة التى تزداد عليها حركة النقل يوما بعد يوم .

الأضرار الناشئة عن الضوضاء :

أثبتت الدراسات الإحصائية الحديثة التى أجريت على كثير من العمال الذين يتعرضون يوميا للضوضاء الصادرة عن آلات المصانع التى يعملون بها أن عددا كبيرا منهم مهددون بالإصابة فى سمعهم ، كما أثبتت عدة دراسات أن حجم الأمراض التى تصيب الأوعية الدموية والقلب يزيد عند العمال الذين يتعرضون لمستويات مرتفعة من الضوضاء . وقد لوحظ أن تأثير الضوضاء على بعض حيوانات التجارب يزيد من حجم الكولسترول فى الدم ، ومن تصلب الشرايين .

ومع أن الانسان يمكنه أن يتعود الضوضاء بمرور الوقت إلا أن هذا التعود لا يحميه من حدوث بعض التغيرات الفسيولوجية فى جسمه خصوصا عند

زيادة شدة الضوضاء عن حدود معينة فقد تضطرب وظائف الأذن والأنف والحنجرة ، وقد يحدث بعض الاضطراب فى بعض وظائف المخ خصوصا بين من يشعرون بالخوف وبالتوتر الشديد من الضوضاء العالية . وقد تؤثر الضوضاء فى افراز بعض الهرمونات فى الجسم ، بالإضافة إلى تأثيرات أخرى نفسية واجتماعية يضاف إلى ذلك ماتسببه الضوضاء من آثار ضارة على كفاءة العمل والإنتاج نظراً لأنها تقلل كثيراً من القدرة على التركيز وتزيد من معدل الشعور بالتعب والاجهاد ولعل أكثر الناس تأثـرا بذلك هم طلاب المدارس حيث تؤثـر الضوضاء كثيراً فى مدى تقبلهم وفهمهم لما يتلقونه من معلومات .

وتجدر الإشارة إلى أن الأثار الضارة للصوت لاتقتصر على مدى الموجات السمعية ، فإن ما يسمى بالموجات فوق السمعية Ultrasonic waves ذات التردد الأعلى من ٢٠ ألف هرتز يمكن أن تسبب اضطرابات فسيولوجية إذا تعدت شدتها ١٤٠ ديسيبل ، كما أن الموجات تحت السمعية Infrasonic waves ذات التردد الأقل من ٢٠ هرتز يمكن أن تسبب اضطرابات نفسية خطيرة وتولد إحساسا بالضيق أو الصداع أو التعب غير المفهوم .

قوانين مكافحة الضوضاء :

يمكن خفض حدة الضوضاء الصادرة عن أغلب الآلات بإضافة بعض الأجزاء الجديدة التى تمتص بعض موجات الضجيج ، أو بتعديل طريقة عمل الآلة ذاتها ، أو بالتحكم فى طبيعة الوسط الذى يفصل هذه الآلات عن آذان المحيطين بها . وقد أجريت تجارب كثيرة لإلغاء ضجيج بعض أنواع المحركات بعد تزويدها بدائرة توليد موجات صوتية فى طور معاكس لضجيج المحرك الأساسى . لكن مثل هذه التجارب لا تزال فى طور المحاولات المعملية وتحتاج لمزيد من الوقت قبل تعميمها على نطاق واسع للحصول على آلات صامتة .

من ناحية أخرى ، ظهرت بعض التشريعات التى تحدد مستويات الضوضاء المسموحة فى بعض الأماكن والأنشطة ، كأن يرفض السماح لأنواع معينة من الطائرات التى لا تملك شهادة صوتية بالهبوط أو الإقلاع من مدارج معينة .

واستنادا إلى دراسات تجريبية حديثة أمكن التسليم بصحة قانون تراكم الطاقة الذى يقضى بأن حاصل ضرب الشدة الصوتية فى مدة التعرض الإجمالية للضوضاء يجب أن لا يتجاوز حدا معينا .. وقد وضعت جداول خاصة لتحديد أقصى مدة تعرض لمستوى معين من مستويات الضوضاء المختلفة . فالضوضاء التى شدتها ٩٠ ديسيبل لا يجب التعرض لها أكثر من ٨ ساعات فى اليوم ، والضوضاء التى شدتها ١٠٠ ديسيبل لا تزيد مدة التعرض لها عن ساعتين ، والضوضاء التى شدتها ١١٠ ديسيبل لا يزيد زمن التعرض لها عن نصف ساعة ، وهكذا فإن انفجارا شديدا بمستوى ١٦٠ ديسيبل قد يفضى لحظيا إلى صمم دائم .

ومهما يكن من أمر هذه القوانين والتشريعات التى بدأت بعض البلدان والمنظمات فى وضعها لتحديد مستويات الضجيج المسموح بها فى الأماكن المختلفة ليلا ونهارا ، فإن الضوضاء أصبحت كالدخان ، تنذر بموت بطىء ، وعلى إنسان هذا العصر فى كل مكان من الأرض أن يستعد لمواجهة هذا الخطر المتزايد ، ولا ينشغل بالجرى فقط وراء تقنيات جديدة بكل قواه دون أن يفطن إلى ما تحدثه هذه التقنيات من تلوث يهدد سلامته ويفسد عليه حياته .

المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية
الفصل الأخير

للأستاذ الدكتور / منصور محمد حسب النبى

٦ ـ الحد الأقصى للسرعة ثابت كونى لن يتغير :

عرفنا من النظرية النسبية أن سرعة الضوء هى الرقم المطلق الوحيد والثابت فى هذا الكون واكتشفنا أن هذا صحيح علميا ، وأكد لنا القرآن الكريم كما شرحنا صحة هذا القانون العلمى بعد استنتاج سرعة الضوء من منطوق آية السجدة : ٥ والحج (٤٧) ، والآن نعود إلى المعادلة القرآنية (رقم ٢) التى تمثل أساس جميع حسابات هذا البحث :

الحد الاقصى للسرعة الكونية × زمن اليوم الأرضى = ١٢٠٠٠ × طول المدار القمرى .

سرعة الضوء × زمن اليوم الأرضى = ١٢٠٠٠ × طول المدار القمرى .

وبما أن سرعة الضوء مقدار ثابت ، والعدد ١٢٠٠٠ مقدار ثابت أيضا فإن : « زمن اليوم الأرضى يتناسب طرديا مع طول المدار القمرى حول الأرض » .

وحيث أن زمن اليوم الأرضى متغير مع مرور الدهر . كما أجمعت على ذلك الأبحاث العلمية الحديثة والقياسات الدقيقة لزمن اليوم باستخدام الساعات الذرية التى أثبتت بأن يوم الارض يزداد بمقدار ٠,٠٠١ ثانية كل قرن من الزمان (بسبب تأثير المد والجذر والتغييرات القطبية التى تنتج من تغير موقع النجم القطبى والتغيرات الناشئة من التحركات الموسمية للكتل الهوائية ومن طبيعة القشرة الأرضية وتشققها وفوالقها الممتدة فى قاع المحيطات) ، فإن هذه الزيادة الضئيلة جداً فى طول زمن اليوم الأرضى تؤدى إلى إبطاء تدريجى (فرملة) لدوران الأرض حول نفسها ، وهذا يؤدى طبقا لقانون بقاء كمية التحرك لنظام الأرض والقمر إلى زيادة طول المدار ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

« وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها » .

وتجرى الأبحاث الآن لقياس زيادة نصف قطر مدار القمر حول الأرض بقياس مسافة ارتداد القمر عنا باستخدام أشعة الليزر التى تنعكس على مرايا خاصة موضوعة على سطح القمر .
وتفيد التقارير العلمية الحديثة أن القمر يرتد عنا مسافة حوالى ٤ سم كل عام نتيجة الزيادة الضئيلة الحادثة فى زمن اليوم الأرضى ، وبهذا يظل زمن اليوم الأرضى متناسبا تناسبا طرديا مع طول المدار القمرى طبقا للمعادلة القرآنية المذكورة لأنهما المتغيران الوحيدان فى المعادلة بينما سرعة الضوء (الأمر[1]) ثابتة ، ولهذا وردت لفظة يوم ولفظة سنة بالتنكير بينما ورد لفظ الأمر معرفا بالألف واللام للدلالة على ثبات سننه وسرعته وذلك فى آية السجده : ٥ فى قوله تعالى :

« يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ » .

والآية بذلك تمثل قانونا كونيا ثابتا طالما نحن معشر البشر نُعدُّ الأيام والسنين على مر الدهور والأزمان ومهما تغير زمن اليوم الأرضى وتغير تبعا لذلك طول المدار القمرى فالتناسب بينهما طردى والمعادلة ستعطى دائما سرعة الأمر الكونى فى حدها الأقصى ممثلا فى سرعة الضوء كثابت كونى مطلق !

٧ ـ سرعة عروج الملائكة والروح :

لقد عرفنا من النظرية النسبية الخاصة لأينشتين ومن النص القرآنى لآية السجدة : ٥ أن سرعة الضوء هى الحد الأقصى للسرعة الكونية وأنها تخضع لقياسنا فى علم الفيزياء مصداقا لقوله تعالى « مما تعدون » الذى يفيد النسبة إلى مقياس البشر والآن يأتى السؤال المُحَيِّر ..
إذا كانت سرعة الضوء تمثل الحد الأقصى للسرعة فى الفيزياء أو الطبيعة فماذا عن سرعة الملائكة والروح فى الميتافيزياء أو ما وراء الطبيعة ؟ .
هل تعرج الملائكة والروح بسرعات لا نهائية أم بسرعات لها حد أقصى لا تتجاوزه ؟ وإذا كان لها حد أقصى للسرعة فهل يساوى سرعة الضوء أم يتجاوز سرعة الضوء ؟ للإجابة على هذا السؤال الهام نتدبر قوله تعالى فى سورة المعارج :

« تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ » .

« المعارج : ٤»

ولكى نفهم هذه الآية فهما علميا نقارن بينها وبين آية السجدة : ٥ فى قوله تعالى :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

وهنا نجد أن أية المعارج تضع أيضا حدا أقصى لسرعة الملائكة والروح ! بحيث ان مسيرة

---

١ ـ هذا تفسير الكاتب ..
وعند ابن كثير : « أمره » أى أمره تعالى ، وعند البغوى : أى يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر ...

يوم تعادل مسيرة خمسين ألف سنة ! ، ولقد خلا النص فى المعارج من قوله تعالى « مما تعدون » بينما ورد هذا الوصف فى آية السجدة لأن الملائكة والروح تنتمى الى العالم الغير مدرك بينما الضوء ينتمى الى العالم الكونى المشاهد المحسوس ، فهناك سرعات لا ندركها ولا نقيسها ، وسرعات ندركها ونقيسها ، وهناك خلق غيبى محجوب عنا ، وخلق نبصره ويقع تحت قياسنا .

وبالرجوع الى أقوال المفسرين لآية المعارج : قال ابن عباس ومجاهد وابن اسحاق ومنذر ابن سعيد .. عروج الملائكة والروح فى الدنيا .. والمعنى أنها تعرج فى يوم من أيامكم هذه .. ومقدار المسافة .. خمسين ألف سنة « أبو حيان ـــ الألوسى » .

وخلو النص فى آية المعارج من قوله تعالى : « مما تعدون » يفيد من وجهة نظرى أن السرعة هنا أكبر من سرعة الضوء ؛ ولهذا لن نستطيع عدّها أو قياسها ؛ لأن اليوم هنا بخمسين ألف سنة ، واليوم من أيامنا والسنة من سنيننا باعتبارنا نحن معشر البشر المخاطبين بالقرآن ولا تعارض بين هذا اليوم فى آية المعارج واليوم فى آية السجدة « يوم بألف سنة » لأن الآية الأولى موضوعها سير الملائكة والروح ، بينما الآية الثانية موضوعها سير الأمر الكونى فى السماء ممثلا فى كل ما يسير بسرعة الضوء كما أثبتنا فى هذا البحث ؛ وبهذا فإن موضوع النصين الشريفين فى آيتىّ المعارج والسجدة مختلف ، فالأول يبين سرعة الملائكة والروح والثانى يبين سرعة الضوء أى أن النصين مختلفين لاختلاف المُتَحَرِّكَيْن واختلاف السرعتين واختلاف العَالمين[1] . وقال الألوسى « وان لم تبعد سرعة الملائكة والروح عند من وقف على سرعة حركة الأضواء ، وعلم أن الله على كل شى قدير » .

ولهذا فإننا إذا اعتبرنا فى آية المعارج اليوم يوماً أرضياً والسنة سنة قمرية فإننا نستنتج بنفس الطريقة المتبعة فى هذا البحث أن الحد الأقصى لسرعة الملائكة والروح يزيد عن سرعة الضوء بمقدار خمسين مرة والله أعلم ، ونحن لن نستطيع قياس سرعة الملائكة والروح لخلو آية المعارج من قوله تعالى « مما تعدون » المهم أن سرعة الملائكة والروح أكبر من سرعة الضوء وهى سرعة محددة ومقدرة وليست لا نهائية بغير حدود رغم أنها تجاوزت فى عالم الغيب الحد الكونى المعروف لنا بسرعة الضوء فى عالم الشهادة الموصوف فى آية السجدة .

وتحديد سرعة الملائكة والروح هنا فى آية المعارج دليل واضح على أن الملائكة والروح مهما زادت سرعتهم فهم من عالم الوجود المخلوق الحادث المقدر الذى تجرى عليه سنن الوجود والتقدير ، ودليل على أن إطلاق القدرة لا يكون الا لله تعالى وحده ، فسرعة الملائكة محددة ومقدرة لا مطلقة بغير حدود رغم أنها تجاوزت سرعة الضوء ! وهذا التفسير العلمى لآيتىّ

---

١ ـــ عالم الشهادة المحدد بالسرعة الكونية القصوى « سرعة الضوء » ، وعالم الغيب المحدد بالسرعة القصوى للملائكة .

السجدة والمعارج يرد على المتشككين والمكذبين فى التعارض المزعوم بين اليوم بألف سنة واليوم بخمسين ألف سنة ، ويرد كيدهم فى نحورهم ، بل ويؤكد أعظم نظرية علمية فى القرن العشرين عن سرعة الضوء ، بل ويتنبأ بما لم يستطع آينشتين حسابه فى عالم الغيب من سرعات جبارة للملائكة والروح تفوق سرعة الضوء ، وصدق الحق تبارك وتعالى بقوله سبحانه :

« الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » .

« فاطر : ١ »

وبهذا فان الملائكة لهم سرعات متفاوتة تفوق سرعة الضوء ومحددة بحد أقصى موصوف قرآنيا فى آية المعارج (٤) وأن العلم لن يصل إلى إمكانية هذه السرعات لأنها خارجة عن قدراتنا فى عالم الغيب ، وليست فى عالم الشهادة ويتحدث عنها القرآن لبيان عجزنا عن الإحاطة بمُلْكِ الله وعِلْمِ الكتاب كما يحدثنا القرآن الكريم عن سرعات جبارة فى عالم الجن كما فى قوله سبحانه :

« قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى » .

« النمل ٣٨ — ٤٠ »

وبهذا فان وجود سرعات أكبر من سرعة الضوء فى عالم الغيب أمر قائم ولا تعارض بين آيتىّ المعارج ، والسجده : ٥ كما أوضحنا فى هذا البحث .. وصدق الحق تبارك وتعالى بقوله :

« بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ » .

« يونس ٣٩ »

وقوله سبحانه :

« فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » .

وختاما قد شرحت فى هذا البحث المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية كما شرحت التعبير القرآنى لوصف سرعة عروج الملائكة والروح فى عالم الغيب ، فاننى أرجو من الله التوفيق وأقدم هذا البحث للأجيال القادمة لمزيد من التدبر ، وليغفر لى الله مواضع الزلل فى هذا البحث الشائك ، وهو سبحانه يعلم أننى بذلت أقصى طاقتى لمحاولة فهم هذه الآيات وصدق تعالى بقوله سبحانه :

« وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ »

صدق الله العظيم ..

« الحج : ٥٤ »

هذا خلق الله

أقوى من القنبلة الذرية

للأستاذ منذر محمد عبد الرحمن

سقطت القنبلة الرهيبة من الطائرة التي تحملها وراءها مخلفة ذيلا طويلا أحمر سميكا ، وبعد دقيقة ونصف وعلى ارتفاع خمسمائة وسبعين (٥٧٠) مترا عن سطح الأرض انفجرت بصوت مرعب أقوى ألف مرة من صوت الرعد وقد سبقه ضوء كالبرق الناصع وكأن الشمس قد انفجرت .

حدث كل ذلك فى عشرة أجزاء من ألف من الثانية ثم أعقبها حرارة لا تطاق قدرت بحوالى عشرة آلاف درجة مئوية وقت خروجها من القنبلة ، انتشرت فى أجزاء المدينة على شكل مخروط هائل أخذ يدور حول محور لا مرئى حتى سيطر بدورانه على كل بقاع المدينة .

انفجرت تلك القنبلة بقوة تعادل انفجار عشرين ألف طن من الديناميت وأبادت فى جزء واحد من عشر أجزاء من الثانية عددا من البشر قدر بثمانين ألف نسمة ..

إنها القنبلة الذرية التى ألقيت على مدينة هيروشيما باليابان صباح يوم ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ ونتيجة لانفجارها انتشرت الإشعاعات الخطيرة فى أرجاء المدينة فأصيب من جرائها حوالى سبعين ألف نسمة ، تزداد خطورة إصابتهم بزيادة قربهم من مكان الانفجار وتعرض بعضهم لكمية من الإشعاع تكفى لقتلهم مائة مرة فامتلأت المدينة بالجثث .

فى تلك المنطقة الْمَيْتَةِ التى تجتاحها عواصف من الإشعاعات القاتلة كان هناك كائن ينظر بلا مبالاة إلى هؤلاء البشر الذين يتساقطون أمامه أو ربما كان ينظر مندهشا من ضعف البشر الشديد ، وقد كان يظنهم أقوى من ذلك بكثير ، وربما يكون أيضا قد مسح شاربيه الطويلين ثم مَسَّهُما برفق ، وعاد ليلتهم قطعة خبز متجاهلا تلك اليد الميتة المطبقة عليها ، ولماذا يهتم بها وقد شاهد أجداده ما هو أفظع من ذلك فعلى مدى ٣٥٠ مليون سنة ، جاءت مخلوقات وذهبت وتغيرت خريطة العالم عدة مرات ، وظل هو كما هو ، وقد استقبل أجداده مولد (الدِيناصور) ، ثم شاهدوا بأنفسهم اندثاره .

إذا أردت وصف هذا الكائن فإليك به :

إنه كائن مفرطح عريض الجسم منضغطُهُ ورأسه منحنية إلى أسفل ، وتحمل عينين مركبتين كبيرتين حساستين إلى حد بعيد ، وسيقانه طويلة ، قوية ، خفيفة الحركة ، وعددها ستة أرجل وعلى ذلك فهو ينتمى إلى عالم الحشرات بكل تأكيد .

وإذا أردت أن تعرف اسمه فهو « الصُّرصور » ويسميه البعض بَالبق المائى ، وهو الحشرة المكروهة من النساء والرجال والعلماء والبسطاء .

إنه يفضل المطبخ على أى مكان آخر فى المنزل وهنالك ، فى ركن مظلم ، ينتظر بفارغ الصبر خلوه مكتفيا بتحريك شاربيه الطويلين الشبيهين بالشوك ، اللذين يتجاوز طولاهما طول جسمه ويكشفان له الطعام والشراب بما يحملانه من خلايا حساسة فيقومان بعمل العينين فى الظلام .

والصراصير أنواع عديدة ، يوجد منها فى مصر أكثر من أربعة عشر نوعا ، أشهرها وأكثرها انتشارا النوع الأمريكى الذى يبلغ طوله نحو (٣,٥ سم) ويمتلك جناحين يستطيع استخدامهما فى الطيران إذا ما اضطرته الظروف القاسية لذلك ، وهناك الصرصور الشرقى ذو اللون الأسمر الداكن أو الأسود ، ويبلغ طوله حوالى (٢,٥ سم) ويملك جناحين صغيرين ، ثم النوع المصرى الكبير عديم الأجنحة ، والألمانى الصغير الذى يبلغ طوله سنتيمتر ، ولونه اسمر فاتح ، .

كرهه العلماء ربما لأن رؤيتهم له تشعرهم بالعجز ، فقد وعدوا العالم بالقضاء عليه ، وبدأت معاملهم تنتج سيلا من المبيدات التى كانت فعاله فى البداية ثم تعلم الصرصور التعايش معها ، وتمكن من ترويضها ، وأصبح يسير متبختراً محركاً شاربيه بدلال أمام أعين العلماء المندهشين ، وقد توقفت أصابعهم بتشنج على رشاشات المبيدات ، متصورين بسبب ذهولهم أنه يخرج لهم لسانا طويلا رغم أنه لا يملك مثل هذا اللسان . وللصرصور رائحة كريهة تفرزها غدد خاصة زوده الله ــ عز وجل ــ بها لحمايته ، فبسبب تلك الرائحة ترفض الكثير من الحيوانات أن تفترسه .

ويعترض العلماء بشدة على تعبير (شاربيه) ويقولون : إن للصرصور قرنىّ استشعار أو هوائيين وليس شاربين ، ثم يدخلون فى صميم الموضوع مفندين الآراء السابقة بقولهم : ان الصراصير تفضل الأماكن المظلمة حيث تستطيع أن تأكل بأمان ، والمطابخ ودورات المياه هى أكثر الأماكن فى المنازل التى تظل مظلمة أطول فترة ممكنة ، وإضاءة المصابيح الفجائية تجعل الصراصير تسرع بالاختباء بصوت مسموع ، وتتساقط الحشرات الكبيرة من الجدران والأسقف الى حيث تسرع الى مكان مظلم مما يثير الذعر والاشمئزاز .

ويرى العلماء أنه بسبب صلابة الصراصير وسرعة توالدها تعتبر حشرات ذات قيمة فى أبحاث السرطان وأمراض القلب والدراسات الخاصة بالتغذية والوقاية من الإشعاع ، وإضافة إلى أن أنواع كثيرة منها مفيدة للإنسان عن طريق استهلاكها للنباتات الميتة التى لولاها لفسدت الغابات ، يقضى الصرصور الساعات فى غسل أقدامه وسيقانه وقرنى استشعاره كقط أليف ، ولا يرتبط اسمه بنشر الأمراض ككثير من الحشرات مثل الذباب والناموس ، والضرر الذى ينشأ عنه ــ إذا كان هناك ضرر ــ ليس فى قيمة ما يأكله ، وإنما فى الرائحة الكريهة التى يسببها ، وفيما يخلق من مخلفات وألوان قذرة ، أما غير هذا فهو كائن مسالم يكيف نفسه على العيش فى أى مكان ، وتناول أى غذاء سواء كان برعم زهرة ، أو حذاء قديم ، أو قطعة ورق أو حتى بقعة زيت على قطعة نسيج قديمة ، ولكن إذا ما اضطرته الظروف فهو يستطيع أن يصوم شهرا كاملا بلا طعام أو شراب ويحيا شهرين على الماء وحده وخمسة شهور على طعام بلا ماء .

وهو يعرف جيدا كيف يهرب من أعدائه فحركته الخفيفة وجسمه المرن يساعدانه على الالتواء والولوج فى أضيق الشقوق دون مجهود يذكر ، وإذا ما سقط عليه ثقل لين فهو غالبا سوف ينطلق مبتعدا عندما يرفع هذا الثقل من فوقه ، وهو يسكن جهاز التلفاز المهمل والراديو والغسالة والثلاجة فكلها أماكن يستطيع أن يختبىء ويعيش داخلها وهو يفضل جهاز (التليفون) لأنه دافىء فى الشتاء ولكنه يستطيع أن يعيش فى

المناور المكشوفة وفى الغابات والصحارى وكل مكان تقريبا .

وفى كل الأحوال سيعثر بكل تأكيد على أنثاه ، وبعد فترة قصيرة تضع الأنثى بيضها فى أكياس لونها أسمر غامـــق أشبـــه ما تكـــون بحبـــة (الفاصوليا) ، يحتوى الكيس الواحد منها على عدد يتراوح من عشرين إلى أربعين بيضة حسب نوع الصرصور ، وتحمل الأنثى كيس البيض ، فى مؤخرتها لمدة أسبوع تقريبا ثم تضعه فى الشقوق والأركان ، أو خلف (الدواليب) وداخلها ، وقد تغطيه بمادة الطلاء المغطى للجدران لتخفيه عن الأعداء . وبعد شهر أو شهرين يفقس البيض عن حوريات تشبه أبويها فى كل شىء الا أنها غير ناضجة ، لونها أبيض وأصفـر ، ثم يصير أسمر بعد مدة قصيرة ، وتغير جلدها حوالى ست أو سبع مرات ، لذلك تستطيع أن ترى بعض الصراصير ذات اللون الأبيض الذى يعنى أنها قد انسلخت لتوها من جلدها القديم ، وبعد فترة تتراوح بين خمسة أو سبعة شهور تستطيع هذه الحشرات أن تتزاوج بنجاح معـاودة الكـرة . ويذكـر العـالم « برايـن » أن أنثـى الصرصور الأمريكى وهو النوع المنتشر فى مصر ــ تستطيع أن تنتج حوالى ٢٦٠ صرصورا فى ستة أشهر .

ولكن كيف نتخلص من تلك الصراصير ؟!

يجيب العلماء قائلين بمرارة :

عليكم بالنظافة الدقيقة فهى أفضل سلاح لمقاومتها ، احتفظ بالطعام فى أوعية مغلقة ، ضع سلكا على النوافذ المطلة على (المناور) التى تعتبر معامل تفريخ للصراصير ومكان مفضل لها .

سد الشقوق ، واعدم أكياس البيض ، ثم فى النهاية استخـدم السم فى حذر ، فاذا لم تنفـع الاحتياطات السابقة تَخَلّ عن محاولة التخلص منها فليس لك عليها سلطان بعد ذلك ، ولا تجعل الشعور بالقهر يتغلب عليك ، فماذا تفعل أمام كائن يستطيع أن يصمد لقوة جاذبية تصل الى (١٢٦) ضعفا لقـوة جذب الأرض لمدة ٤ ساعات بلا ضرر يذكر فى الوقت الذى يفقد فيه الانسان وعيه إذا تعرض لقوة جاذبية تبلغ ضعف جاذبية الأرض ١٨ مرة .

وماذا تفعل أمام كائن يستطيع أن يتحمل من الإشعاعات القاتلة قدرا يزيد بمائة ضعف عما يتحمله الإنسان كما حدث فى (هيروشيما) وأثبته العلماء ، الا أن تقول : سبحان الله .

فى (هيروشيما) ، وعلى بعد مائتى متر من مركز الانفجار ما زال يوجد هناك ظل لرجل يجلس على درجات سلم من الجرانيت ، وثمة شخص آخر يقف أمامه . وفى مكان ولحظة وجودهما عَمَّت حرارة تصل إلى سبعمائة درجة مئوية ، وهذه الحرارة بالاضافة الى الإشعاعات ألقت بالجرانيت أرضا وطبعت عليه هذه الصورة التى بقيت رمزا ودليلا على جهل الإنسان وطغيانه وغروره وضعفه فى نفس الوقت . ومن (٣٥٠) مليون سنة خلـق الله ــ عز وجـل ــ حشرة الصرصور لتكون رمزا ودليلا على إعجاز المولى ــ عز وجل ــ فى خلقه ، وليقف الانسان على وحدانية الله وعجيب صنعه . وقد صدق الله العظيم حيث يقول هذا « خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه » لقمان/١١ .

١ ــ إلى عائد من هيروشيما — **فرناند جيجون**

٢ ــ مقدمة فى دراسة علم الحشرات — **دونالدج . بوردو**

٣ ــ الآفات الزراعية — **د. محمد محمود حسنى**

٤ ــ المختار يوليو ١٩٦٣

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد دكتورة / نجوى السيد أحمد
باحثة بالمركز القومى للبحوث

طريقة جديدة لعلاج قصر النظر

لم يعد قصر النظر يقتصر على استخدام النظارة الطبية ، أو تركيب العدسات اللاصقة ؛ بل أصبحت الجراحة أحدث أسلوب لعلاج مثل هذه الحالات ، ويلعب «الكمبيوتر» فيها دوراً حيوياً . فالجراحة ماهى إلا تشريط القرنية بمشرط خاص مصنوع من الماس طول كل شرطة ، وعمقها ، وعدد هذه الشرط يحسبه «الكمبيوتر» بعد تغذيته ببيانات خاصة عن المريض تشمل درجة قصر النظر وسمك القرنية ، وعمر المريض . فكرة هذه العملية تعتمد على أنه فى مريض قصر النظر تكون القرنية محدبة أكثر من الطبيعى وبإجراء هذه التشريطات فإن التئامها بعد ذلك يؤدى إلى تفرطح القرنية ، وبالتالى تقل درجة التحدب أو تختفى . ومثل هذه الجراحة لاتجرى إلا لمن تعدّوا سن ٢١ سنة حتى تكون درجة قصر النظر قد وصلت إلى مرحلة ثابتة .

بطاقة إلكترونية بدلا من النقود المعدنية فى تليفونات الخدمة العامة

لحماية تليفونات الخدمة العامة من العبث بها أو سرقة النقود الموجودة بداخلها .. إستطاع المخترع الفرنسى «رولان مورينو» إبتكار بطاقة إلكترونية للمكالمات لاتختلف فى مظهرها عن أية بطاقة مصرفية أخرى ، لكنها مزودة فى أحد أركانها بذاكرة الكترونية صغيرة عبارة عن مبلغ من تلك المكالمة من المبلغ المخزن بالبطاقة ، ومع استعمال البطاقة تفرغ الذاكرة تدريجيا من المال المودع بها إلى أن تصبح غير صالحة للاستعمال . وبفضل هذا الإختراع لم تعد هناك حاجة إلى البحث عن القطع النقدية التى يمكن استخدامها فى اكشاك التليفونات ، كما أمكن القضاء على أسباب وآثار التخريب فى الهواتف العمومية .

غواصة سياحية جديدة

قامت الشركة السويسرية لبناء الغواصات ببناء غواصة جديدة يمكنها الغوص حتى عمق ١٠٠ متر ، وذلك من أجل السياحة فى أعماق المياه والتمتع بتلك المناظر الخلابة من نباتات وأعشاب مرجانية وحيوانات بحرية نادرة ؛ وبالأضافة الى ذلك يمكن استخدام هذه الغواصة فى أعماق البحار لأعمال البحوث البيولوجية والدراسات العملية والرحلات الاستكشافية . يبلغ الطول الكلى لهذه الغواصة ١٠,٣ متر ، وتشغل «كابينة» الركاب الجزء الأساسى منها وتستوعب ١٦ راكبا ، ويتكون طاقمها من فردين فقط ، والنوافذ الموجودة فى جميع جوانب الغواصة تمكن الركاب من الرؤية الشاملة فى جميع الإتجاهات وتمكنهم من التقاط الصور الفوتوغرافية والتصوير بكاميرات الفيديو .

أرصاد جديدة لكوكب «بلوتو»

تمكن علماء الفيزياء الفلكية حديثا من كشف النقاب عن خواص جديدة لعالم الكوكب التاسع فى مجموعتنا الشمسية منذ أن شوهد أول مرة فى عام

١٩٣٠ م وعـــــرف باسم « بلوتو » . وقد وجدوا أن له قمراً ضخماً مغطى بالجليد ، وجواً رقيقاً قارص البرودة قد يتساقط دورياً على هيئة ثلوج . ويعتقد العلماء أن هذا الكوكب المغطى بالميثان المتجمد ربما كان من مخلفات النظام الشمسى ، لكن الكثير من الأسئلة سيظل فى انتظار أجوبة شافية طالما بقى « بلوتو » الكوكب الوحيد الذى لم يحظ بعد بزيارة سفينة فضائية علمية .

اكتشاف تسمم الحمل مبكراً

تمكن فريق بحثى بقسم الوراثة البشرية بالمركز القومى للبحوث من اكتشاف تسمم الحمل خلال الشهر الأول من الحمل وقبل ظهور الأعراض المرضية . فقد تم دراسة التغييرات التى تحدث فى (هيموجلوبين الدم) ، وذلك باستخدام أجهـزة التحليـل الطيفـى ، وساعـد هذا على حساب درجة الأنيميا الحقيقية الموجودة عند الحوامل ، كذلك أمكـن تقـسيم جزىء (الهيموجلوبين) من الناحيـة الوظيفية للاستدلال على حدوث تسمم الحمل بالرغم من وجود ضغط دم طبيعى ، وعدم إفراز بروتين فى البول .

شاشات عرض تليفزيونيـة مبتكرة :

إبتكرت إحدى الشركات اليابانية للصناعات الإلكترونية شاشات عرض تليفزيونية جديدة من الطراز الذى يمكن تثبيته على الحوائط ، يتميز الإبتكار الجديد بتنوع « الموديلات » ، ولا يتجاوز حجـم الشاشة ٨,٦ بوصة ، ويمكن تشغيل الشاشة الجديدة على التيار الكهربائى العادى فى المنازل .

استخدام قشور الحيوانات المائية لحفظ الفواكه

تمكنت الباحثة الامريكية « كريستين أنجلو » هى وعدد من زملائها من ابتكار مادة حافظة للفواكه من « الكينتين » ، وهى المادة الصلبة فى الغلاف الخارجى للحيوانات المائيـة القشريـة كالجمبرى والكابوريا ، وقاموا بإجراء تحضير كيميائى لأحد مشتقات مادة « الكينتين » والذى يذوب فى الماء مكونا مادة هلامية شفافة لطلاء الفاكهة بها ، تمت التجربة على ثمار ، فظلت طازجة لمدة ستة أشهر . وبدأت (وقاية البيئة الأمريكية) فى استخدامها لطلاء البذور أيضا .

ساعة يد لتخفيف الألم

تم فى بريطانيا إختراع جهاز جديد لتخفيف الآلام عنـد الجرحى أو المرضى الذين يعانون من آلام شديدة ، والجهاز يشبه ساعة اليد ، ويثبت على رسغ المريض ، حيث يرسل مادة مخففة للألم إلى الوريد إذا ماضغـط المريض على زر معين مرة كل ٦ ساعات .

جهاز لازالة رواسب الشرايين

إخترع إخصائى قلب بجامعة كاليفورنيا جهازاً لعلاج الأوعية الدموية وإزالة الرواسب التى تسد الشرايين ؛ يعمل الجهاز بهواء مضغوط بواسطة محرك توربينى خارج الجسم ، ويقوم المحرك بتحـريك سلك مرن عبر الشريان ، ويتصل برأس الجهاز آلاف من رقاقات الألماس الرقيقة التى تقوم بقطع المواد الصلبة كالرواسب الدهنية التى تسد الشرايين . والجهـاز لايقطـع الأنسجة اللينة مثـل جدران الشرايين ، ويشبه فى عمله تماماً ماكينة الحلاقة الكهربائية التى تقطع الشعر أثناء دورانها دون أن تلحق ضرراً بالجلد ، كما أنه لا يضغط على جدران الشريان .

طرائف ومواقف

بقلم الأستاذ : عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

أول مدرسة للطب في أوربا

أول مدرسة أنشئت للطب فى أوربا هى المدرسة التى أنشأها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر الأموى فى قرطبة .

وقد امتلأت الأندلس بالمدارس لجميع العلوم فى عهد العرب ، بما لم يكن له نظير فى أى مملكة أوربية أخرى يومئذ بل يقال : إن جامعة « مونبليه » الطبية فى جنوب فرنسا كان للعرب فضل فى تأسيسها .

حديث شريف

عن معاذ ـــ رضى الله عنه ـــ

قال : كنت ردف النبى ﷺ على حمار ، يقال له عفير .

فقال : يا معاذ هل تدرى حق الله على عباده وما حق العباد على الله ؟

قلت : الله ورسوله أعلم ؟!

قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا .

فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر به الناس ؟ .

قال : لا تبشرهم فيتكلوا .

« رواه البخارى »

طلبنا .. فوجدنا

قال شقيق البلخى : طلبنا خمسا فوجدناها فى خمس .

طلبنا النور فى القبر ، فوجدناه فى قيام الليل .

وطلبنا جواب منكر ونكير ، فوجدناه فى قراءة القرآن .

وطلبنا الجواز على الصراط ، فوجدناه فى الصدقة .

وطلبنا الرى يوم القيامة ، فوجدناه فى صيام النهار .

وطلبنا البركة فى الرزق ، فوجدناه فى صلاة الضحى .

سوء الظن

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدق ما يعتـــاده من توهـــم
وعـادى محبيه بقـــول عداتـــه
وأصبح فى ليل من الشك مظلم

من نثر شوقى

الوقت آلة الرزق إذا استعمل ، وآفة الرزق إذا أهمل ، ثقة العاطفة شهر ، وثقة العقل دهر ، من أخل بنفسه فى السر أخلت به فى العلانية ، يستريح النائم من قيود الحياة ، كما يتروح السجين ساعة فى فناء السجن ، الفضائل حلائل ، والرذائل خلائل ، الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الجماعات ، العاقل من ذكر الموت ولم ينس الحياة .

التهنئة أولى من التعزية

قال الاصمعى : عزى صالح المرى رجلا بابنه ، فقال : إن كانت مصيبتك لم تحدث لك موعظة ، فمصيبتك أعظم من مصيبتك بابنك ، وأعلم أن التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة .

قـــالوا ....

● إذا اردت أن تتكلم عن ميت فضع نفسك فى موضعه ثم تكلم .

● ليس المصلح من استطاع أن يفسد عمل التاريخ فهذا سهل ميسر حتى للحمقى ، ولكن المصلح من لم يستطع التاريخ أن يفسد عمله من بعده .

● لو اجتمع الذين ملئوا الدنيا بشهرتهم ، ما ملئوا دارا صغيرة .

● إذا أوتيت علما فلا تطفىء نوره بظلمة الذنوب .

● أذل الناس معتذر إلى لئيم .

● الكلمة الطيبة لا تحجبها الغيوم ، ولا تدفعها العواصف عن مسايرها ، ولا تضل الطريق فى وهج الشمس أو ظلمة الليل .

وصـــية

أوصى بعض الحكماء ابنه ، فقال :
ليكن عقلك دون دينك
وقولك دون فعلك
ولباسك دون قدرك .

الزهـــد

● قيل لأحد الحكماء : ما الزهد ؟
قال : أن لا يغلب الحرام صبرك ، ولا الحلال شكرك .

● وقيل : إن الله يَكْرَهُ زُهْدَ الْخَصِيّ .

دعـــاء

اللهم أطعناك فى أحب الأشياء إليك : شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك .

ولم نعصك فى أبغض الأشياء اليك : الشرك بك .

فاغفر اللهم ما بين ذلك .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر ... دفاع عن الأزهر الشريف

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفة

أعده وقدم له الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات

لا شك أن الأزهـــر كان ولا يزال يؤدى واجبه نحو الإسلام والمسلمين ، ويلبى رغباتهم واحتياجـــاتهم فى ضوء متطلبات العصر الحديث ، فجهـوده فى ذلك معلومة ، ونشاطه هنا وهناك يعلن عن نفسه دائماً أبداً .

فليس من رسالة الأزهر أن يكون بمعزل عن الأمة . فيضع نفسه فى برج عاجى ترنو إليه الأنظار ولا تلمسه ، أو تطلبه النفوس فلا تجده ، فتلك فرية عظيمة فى حق الأزهر وعلمائه ، يتحمل وزرها كل من يحاول أن يبعث الشك فى رسالته وعلمائه . فيقول من غير علم ويتهم من غير دليل فإذا كان النظر كليلاً فليس العيب فى الأزهر . وإذا كانت النفوس عليلة فلا لوم على الأزهر . وإذا أردتم عطاءً أكثر فمكنوا للأزهر .

قال الكاتب ـ رحمه الله :

شر ما تبلى به أمة من الأمم شك بعضها فى بعض ، وانعدام الثقة بين أفرادها ، فكلما أشار عليها أولو الأمر شكوا فى مشورتهم ، وأساءوا بها الظـن ، وذهبـوا يلتـــمسون الأسباب والعلل للتفلت منها .

وإنا نحس تدبيراً خفياً يعمل فى الظلام للتفريق بين الأمة وعلماء الدين فيها ، ويبذر بذور الشك فى أقـــوالهم ونصائحهـــم وفتاواهم . لقد سارت الأمة منذ عهد بعيد منذ مجيء الإسلام على حسن الظن بهم والتماس مشورتهم فى كل حادث جد وفى كل خطب نزل ، وكانت تأتمر بأمرهـم وتصدر عن رأيهم ، وكانوا يحذرونها من أعدائها ويُرونها مكرهم ودسائسهم ، ويعرفونها كيف تتقى حبائلهم وتأمن مكرهم ، ولم يخف ذلك على أعدائهـا فسعـوا فى غرس الشك فى قلبها وخلقوا سوء الظن بهم ، لتنفرد عن علمائها وينفرد أعداؤها بها .

« وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » .

وقد أصابوا بعض النجـاح فى ذلك ، فلا يخطئك أن ترى فى بعض الصحـف تشويها لهم وإساءة ظن بمشورتهم . ونحن إذا التمسنا لبعض الكاتبين ، فلا نجد عذراً لبعض علماء الدين الذين يبذرون الريب والشكوك فى العلماء ، ويصورونهم بصورة من باعوا دينهم وضمائرهم لدينا .. يصيبـونها أو عرض يقتنونه ، وقد رأينا منهم من يطعن فى قدماء العلماء ومحدثيهم فإذا رأى فتوى فى أمر هو مجال الاجتهاد طعن فيهم إذا لم يأخذوا بالرأى المخالف ، وإذا كانت الفتوى صحيحة ليست باطلة ، جعل الباعث عليها سيئاً ، والأمور

تسوء بسوء الباعث عليها حتى العبادات نفسها . قال رجل فى مجلس الأمير : "سبحان الله"، استعظاما لأمر وقع من بعضهم ليغرى به الأمير ، فقال بعض العلماء : ما علمت أن سبحان الله معصية إلا فى هذا اليوم .

وإذا رأى العلماء ينزلون على الأمر الواقع حين غزا نابليون مصر وتغلب عليها نعى عليهم ذلك ، كأنما كان يريد بعد أن سقطت المقاومة أن يقاوموا ويحملوا المصريين على المقاومة ليبيدهم أعداؤهم ، وإن حكم الشرع والعقل يأبى ذلك ـ قال الشاعر القديم :

إذا المرء أولاك الهوام فأوله
هواناً وإن كانت قريباً أواصره
فإن أنت لم تقدر على أن تهينه
فدعه إلى اليوم الذى أنت قادره
وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة
وصمم إذا أيقنت أنك عاقره

وقد رأينا الألمان فى الحرب الثانية يغزون الممالك فلا تقف أمامهم إلا أياماً ، وكانوا أعظم المحاربين شجاعة وإقداماً ، ولكنهم لما سقطت مقاومتهم خضعوا للأمر الواقع ، وساروا على حكم الوقت ، فحوكم قوادهم واستجابوا لما يفرض عليهم .

فهل كان يطلب من علماء الدين فى عهد احتلال الفرنسيين غير ذلك ، وهل كان يطلب منهم أن يقودوا الأمة إلى حتفها بعد أن سقطت مقاومتها ؟! لا ، إن العقل يقضى بمسايرة الأمر الواقع ، والعمل على التخلص والصبر حتى تمكن الفرصة كما كان ، فقد جاءت الفرصة وأخرج نابليون والفرنسيون من مصر .

هذا مرض يجب أن يطب علماء الدين له ، ويجب أن يعنوا به ويتعرفوا أسبابه وعلله ، فليس ذلك يمس أشخاصهم فحسب ، وإنما ذلك يمس المصلحة العامة وخير المجتمع .

إن العلماء هم الهداة المرشدون بحكم الدين ، وإنه لا يقبل قولهم ولا يسمع نصحهم إلا إذا وثق بهم ، وهذه الحملة المدبرة عليهم تفقدهم هذه الثقة .

إننا نعلم أن صلة العالم المسيحى بالبابا وبرجال الدين فيهم صلة تجعلهم إذا أمروهم بأمر نفذوه فى بلدان العالم المختلفة .

وإن اليهود فى جميع العالم يرتبطون برباط وثيق ، وإن الأمر ينزل عليهم من هيئتهم العليا ، فإذا هو قول مطاع وحكم منفذ ، وهذا سر قوتهم ونجاحهم ، إن قادتهم يرون فى الأمر فتبين لهم وجوهه المختلفة فيختارون ويضعون الخطة ولو لمئات السنين ، ويعلمون اليهود فى جميع بقاع الأرض بذلك ، فيأخذون جميعاً فى التنفيذ ، فليست هناك آراء مرتجلة ولا عمل وقتى ولا رأى شخصى ، إنما هو الرأى المدروس المتفق عليه الذى هو أمنية الأجيال والقرون .

أما نحن فلا نزال على عتبة الباب ، ولا نزال متفرقين مختلفين لا يعلم بعضنا شيئاً عن بعض ، ولا يزال بعضنا ينزع الثقة من بعض ، حتى نصير بدداً متفرقين ، لا نجتمع على رأى ولا نستجيب لنداء .

إن الأمر جد خطير ، يجب أن يلتمس له الدواء لإعادة الثقة وحسن الظن ، ولعل هذا هو الذى دعا الرئيس اللواء محمد نجيب إلى أن يستقرى التاريخ حتى يعثر على مواقف مشرفة لعلماء الأزهر من وقوف فى وجه ظالم أو عمل على رفع مظلمة ، أو إنقاذ الأمة من جبار متعنت ، فيسجلها فى خطبه العامة ويشيد بها فى مواقفه التاريخية ؛ فقد ذكر فى خطبته فى عيد التحرير فى يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٥٣ ما يأتى : « لقد أرادت مناهج التربية والتعليم فى الماضى أن تطمس هذه الصفحة المشرفة من تاريخ بلادنا لينشأ أبناؤنا على الذلة وليستقر فى أذهانهم أنهم كانوا عبيداً أبداً ، لذلك أرانى اليوم مطالباً بأن أعلن أن أجدادنا كافحوا من أجل الحكم الصالح ، وأنهم جاهدوا فى سبيل الدستور الصحيح منذ أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، فقد عزل الشعب فى ١٣ مايو سنة ١٨٠٣ والياً معيناً من قبل السلطان ، فقال الوالى إنى مولى من طرف السلطان فلا أعزل بأمر الفلاحين ، فرد عليه علماء الأزهر ، وكانوا وقت ذاك نواب الشعب ، إن للشعوب طبقاً لما جرى به العرف قديماً ، ولما تقضى به أحكام الشريعة الإسلامية الحق فى أن يقيموا الولاة ولهم أن يعزلوهم إذا انحرفوا عن سنن العدل ، وساروا بالظلم ، لأن الحكام الظالمين خارجون على الشريعة ، فحركتكم التى تحتلفون اليوم بعيدها كما ترون موصولة الأسباب بجهاد أجدادكم ، فما قاله الأجداد فى سنة ١٨٠٣ قاله الأحفاد فى ٢٣ يوليو الماضى » .

وفى خطابه الذى افتتح به أعمال لجنة الدستور أشار إلى إحدى الثورات الدستورية التى قامت فى مصر بقيادة الشيخ أحمد الدردير والشيخ الشرقاوى ، وقد قال الرئيس : إن هذه الثورة قام بها شعب مصر قبل أن يستتب الأمر لثورات أوربا الكبرى .

هذا ما نسجله للرئيس اللواء محمد نجيب مغتبطين له ، مقدرين هذا الشعور النبيل ، وهذا التوجيه النافع ، فماذا يجب على علماء المسلمين أن يعملوه ، وماذا يجب أن يساعدوا به فى إعادة الثقة بهم .

إن البون بينهم وبين النظام الواجب شاسع ، ولكن ذلك لا يمنع من جعله غرضاً سامياً يسعون للوصول إليه ويلتمسون له الأسباب ، إن الثقة بهم هى التى تجعل قولهم مقبولاً وأمرهم مطاعاً ، ولن تنال هذه الثقة إلا بأن يؤمن رجال الدين بأنهم لم يخلقوا لأنفسهم ، وإنما خلقوا لهداية أمتهم ، وأنهم مسئولون عنها إذا زاغت أو ضلت ، وبأن يعملوا على مقتضى هذا الإيمان ، فيجب أن تجدهم أمتهم إذا اشتجرت الآراء ، وعمت الأهواء ، ناصحين هادين ، ويجب أن ترى فيهم تضحية بأموالهم ومناصبهم وبأرواحهم إذا اقتضى الأمر فى سبيل خيرها وإنقاذها ، يجب أن تعلم فيهم أنهم لا يجبنون عن قول الحق ، ولا ينكصون عن نصرة الصدق .

ويجب أن يتحللوا من ذلك الواجب الذى يفرض على المرء ألا يتحدث عن أعماله وألا يزكى نفسه ، فما عليهم أن يتحدثوا عن أعمالهم ، ويبينوا خدماتهم وتضحياتهم م داموا يدافعون عن أنفسهم ويردون قول خصومهم ، وما داموا يرجون من وراء ذلك إعادة الثقة أو توطيدها برجال الدين ليتمكنوا من بذل النصيحة ومن توجيه الأمة إلى خير العمل وعمل الخير .

محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

د. أحمد رجاء عبد الحميد

(٢)

لتكملة أسباب النزيف فى أول الحمل نتناول الحمل الحويصلى (العنقودى) :

هو حالة نادرة تصيب الغشاء المبطن للمشيمة فى المراحل المبكرة من الحمل ، وفيه تتحول أنسجة المشيمة إلى أكياس حويصلية تشبه عنقود العنب .

الأعراض : هى نفس أعراض الحمل ولكن بصورة أكثر : فالقيء أشد ، ويكبر الرحم بصورة لا تتناسب مع مدة الحمل .

التشخيص : يتم بواسطة الموجات فوق الصوتية ، وأحيانا قد تنزل بعض هذه الحويصلات من المهبل مع الدم .

العلاج : تفريغ الرحم من محتوياته باستخدام الجراحة أو جهاز الشفط أو الأدوية مثل البروستا جلاندين ، ثم استعمال وسيلة لمنع الحمل لمدة عامين ومتابعة تحليل البول للحمل ، خوفا من

حدوث تغييرات سرطانية ؛ حيث أن أول علامات التغييرات السرطانية هو وجود نتيجة إيجابية للحمل فى امرأة غير حامل .

الحمل خارج الرحم :

هو الحمل الذى يحدث خارج تجويف الرحم ونسبة حدوثه واحد لكل مائتى حالة .

أسبابه :

١ ـ التهاب سابق فى الأنابيب (قناتى فالوب) .

٢ ـ عيوب فى جدار الأنابيب .

٣ ـ وجود التصاقات خارج الأنابيب .

٤ ـ كبر حجم البييضة .

٥ ـ تخصيب البييضة متأخر أثناء الدورة الشهرية قد يؤخر نزولها مما يسبب الحمل داخل الأنبوبة .

أهم الأماكن التى يوجد فيها الحمل خارج الرحم .

(أ) قناتى فالوب (الأنبوبتان) .

(ب) على المبيض .

(جـ) فى جزء من الرحم خارج التجويف الرحمى .

أعراضه : قد تتأخر الدورة الشهرية وقد لا تتأخر ، ولكن أكثر ما يميز هذه الحالة هو الألم ، وبخاصة عند الجماع ، وأحيانا يكون مصحوبا بإغماء ، وفى حالة انفجار الأنبوبة فإن الألم يكون شديدا ومفاجئا ، وتعتمد حالة المريضة على كمية الدماء المفقودة داخل البطن ، فأحيانا تفقد الوعى نتيجة لنزف كمية كبيرة من الدم ، ويلزم التدخل الجراحى الفورى مع تعويض الدماء المفقودة عن طريق نقل الدم .

التشخيص : بالموجات الصوتية أو منظار البطن فى حالة الاشتباه ، وبعده عملية استكشاف من البطن .

العلاج : التدخل الجراحى ، وغالبا ما يتم بإزالة الأنبوبة المصابة ، ولكن مع تطور الجراحة (الميكروسكوبية) وبخاصة فى السيدة التى ترغب فى حمل آخر يُزال الجزء المصاب فقط ويترك باقى الأنبوبة لحين إجراء جراحة ميكروسكوبية بعد ذلك لتصحيح الوضع .

النزيف فى الشهور الأخيرة من الحمل

أولا : **انغماد سفلى للمشيمة** : نزيف متكرر بدون سبب ظاهر وبدون ألم .

درجاته :

الدرجة الأولى : انغماد المشيمة فى الجزء السفلى من الرحم بدون أن تصل إلى عنقه .

الدرجة الثانية : انغماد المشيمة فى الجزء السفلى مع ملامسته عنق الرحم .

الدرجة الثالثة : انغماد المشيمة فى الجزء السفلى مع تغطية جزئية لعنق الرحم .

الدرجة الرابعة : انغماد المشيمة فى الجزء السفلى مع تغطية كل عنق الرحم .

التشخيص :

فى أى حالة نزيف **قبل** ميعاد الولادة يعتبر « الفحص المهبلى ممنوع » ويفضل عمل الموجات فوق الصوتية ، وإذا كانت هناك حاجة للفحص المهبلى فيجب أن يتم فى حجرة العمليات مع استعداد تام للتدخل ، وبخاصة حجز دم من فصيلة المريضة لاعطائها عند اللزوم .

العلاج :

راحة تامة طوال فترة الحمل ، ومنع الجماع ، وغالبا ما تتم الولادة طبيعية إلا فى حالة الدرجة الرابعة وبعض حالات الدرجة الثالثة التى تحتاج إلى إجراء عملية قيصرية .

ثانيا : **الانفصال المبكر للمشيمة** : وفى هذه الحالة ينفصل جزء أو أجزاء من المشيمة قبل الولادة .

الأعراض : نزيف مصحوب بتحجر الرحم من شدة انقباضه لدرجة أنه يصبح مؤلما جدا عند اللمس ، وفى حالة انفصال جزء كبير من المشيمة ؛ فإن كمية الأكسجين التى تصل إلى الجنين لا تكون كافية مما يؤدى إلى اختناقه داخل الرحم وغالبا ما يكون السبب هو ارتفاع فى ضغط الدم .

التشخيص : استنتاجاً من الأعراض وباستخدام جهاز الموجات فوق الصوتية حيث يمكن رؤية مكان انفصال المشيمة . وكذلك يمكن رؤية جلطة دموية بين جدار الرحم والمشيمة .

العلاج : يجب التدخل الفورى لإتمام عملية الولادة مع نقل الدم اللازم .

النزيف المهبلى فى حالة عدم وجود حمل

أولا : الطمث الغزير

فى هذا الحالة تكون الدورة منتظمة ، ولكن كمية الدم المفقودة تكون أكثر من المعتاد ، وقد يكون هذا بسبب طول فترة الطمث ، أو بسبب كثرة كمية الدم المفقودة يوميا ، أو للسببين كليهما .

أسباب غزارة **الطمث** :

(أ) **اضطرابات هرمونية** :

● نزيف رحمى وظيفى .

● بسبب الضغوط النفسية ، وبخاصة الاكتئاب والحزن الشديدين .

(ب) **أمراض أعضاء الحوض مثل** :

١ ـ الأورام الليفية .

٢ ـ الزوائد المخاطية فى الغشاء المبطن للرحم .

٣ ـ بطان الرحم **Endometriosis** .

٤ ـ كثرة الحمل والولادة مما يؤدى إلى كبر حجم الرحم ، وضعف عضلاته .

٥ ـ أورام الرحم . مثل الأورام الليفية والأورام السرطانية .

٦ ـ التهاب قناتى (فالوب) والتهاب الغشاء المبطن للرحم .

٧ ـ استعمال اللولب كوسيلة لمنع الحمل ، حيث يكثر الدم فى الأشهر الأولى .

٨ ـ احتقان الحوض نتيجة للتهيج الجنسى ، وبخاصة أثناء الطمث .

(جـ) أسباب أخرى :

● مثل أمراض الدم التى تتميز بالنزف كنقص صفائح الدم ، أو سرطان الدم ، والأنيميا ، وضغط الدم المرتفع .

ثانيا ـ النزيف الرحمى الوظيفى

وهذه الحالة لا تشخص إلا بعد استبعاد كل الأسباب العضوية ، أى بعد الكشف العام ، والكشف النسائى وعمل الأبحاث ، مثل : الموجات فوق الصوتية للتأكد من عدم وجود أمراض فى الجهاز التناسلى ، أو أمراض عامة تؤدى إلى النزيف الرحمى .

وهناك نظريات كثيرة عن أسباب النزيف الوظيفى ، وكذلك هناك تقسيمات عديدة ، ولكن للسهولة ـ وكتقسيم عملى ـ سوف نقسم النزيف الرحمى الوظيفى إلى :

(أ) **نزيف رحمى وظيفى بدون تبويض** :

وهذا يحدث فى ٨٠٪ من الحالات ، ويحدث فى معظم الحالات فى طرفى فترة الخصوبة للمرأة ،

فنجد أن أكثر من نصف الحالات تحدث قرب سن اليأس ، وحوالى ٢٠٪ من الحالات بعد البلوغ مباشرة . ونجد فى هذه الحالات أن المبـيض لا يحدث به تبويض ، وأن الغشاء المبطن للرحم ليس به أعراض إفرازية (أعراض بروجيستيرونية) ويوجــــد به سمك غير عادى بسبب تأثير (استروجينى) مستمر .

(ب) نزيف رحمى وظيفى مع حدوث تبويض :

فى ٢٠٪ من الحالات يحدث النزيف الرحمى الوظيفى مع وجود تبويض ، كما يتبين من العينة التى تؤخذ من باطن الرحم فى عمليتى (التوسيع) و (الكحت) ، وفى كثير من الحالات (بعد استبعاد جميع الأمراض) يكون السبب عدم كفاءة إفراز (البروجيستيرون) نتيجة تأخر ضمور الجسم الأصفر .

النزيف حول وبعد سن اليأس :

قد تحدث اضطرابات هرمونيـــة نتيجـــة لاضطرابات نفسية لإحساس المرأة بأنها فقدت جزء من أنوثتها وإحساسها بأنها قد اقتربت من مرحلة متقدمة من العمر .

وسواء كان النزف قبل سن اليأس أو بعده فإن هذه الحالة لابد أن تؤخذ بمنتهى الجدية ، ويجب أن يقوم الطبيب بعمل أبحاث مثل : موجات فوق صوتية ، وكذلك عملية (كحت) وأخذ عينة من عنق الرحم وعينه من باطن الرحم ، وقد تكون هذه الحالة عادية نتيجة أخذ أدوية تحتوى على هرمونات أو عودة نشاط المبيض ، ولكن لا يجب أن نهمل الاحتمال الآخر وهو وجود مرض خبيث .

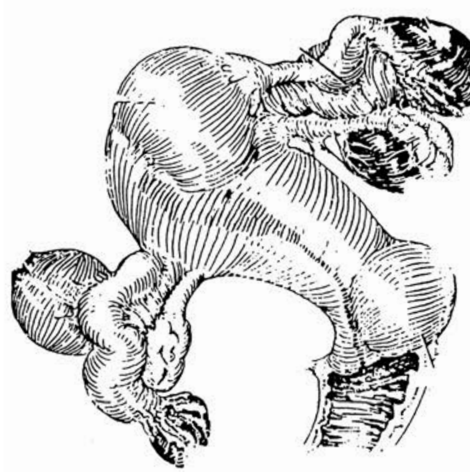

الأماكن الهامة للحمل خارج الرحم

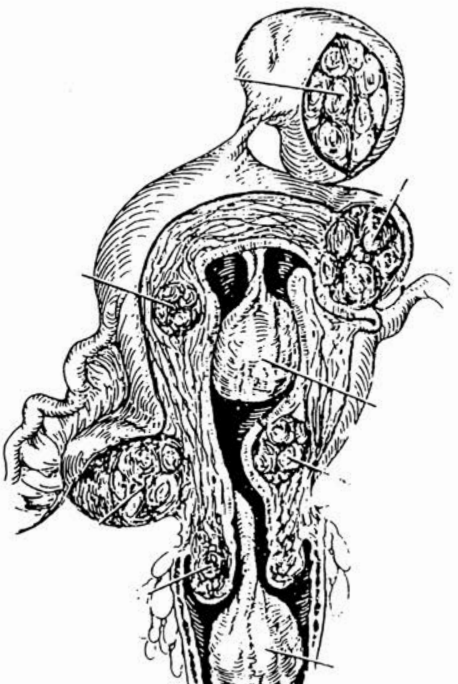

الأورام الليفية

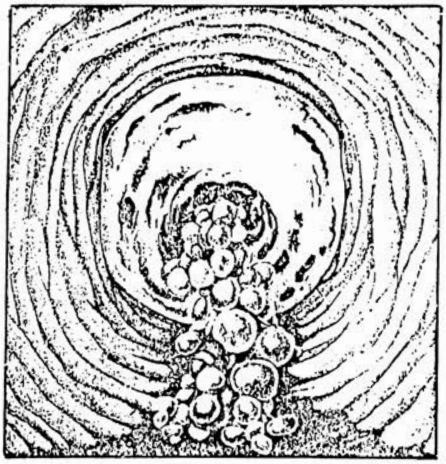

عملية تفريغ للحمل الحويصلي

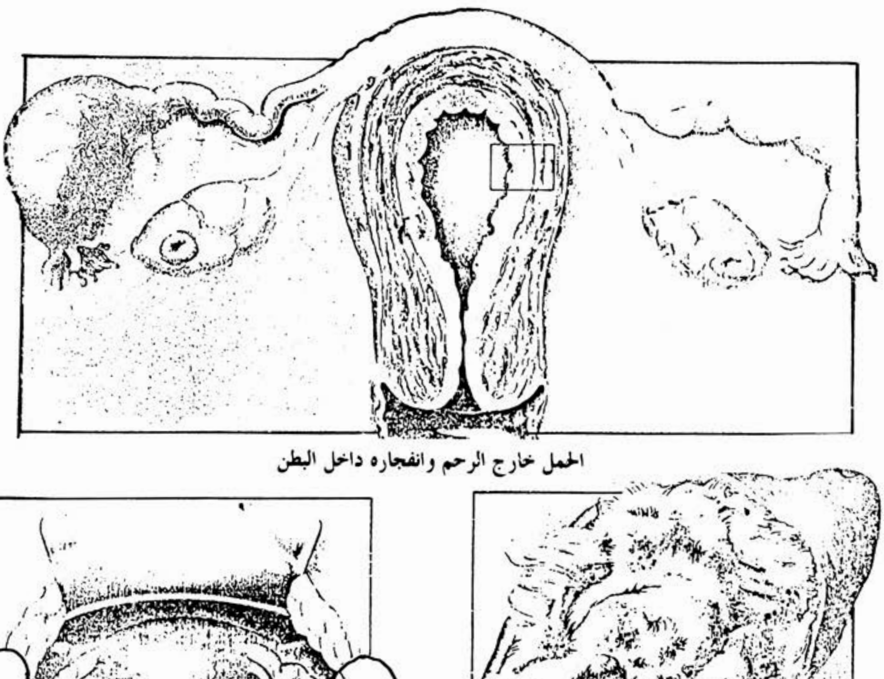

الحمل خارج الرحم وانفجاره داخل البطن

الإمام الخطيب

تقدم مجلة الأزهر ـ بعون من الله تعالى ـ وباسترشاد من هدى رسول الله ﷺ ، للإخوة الأئمة الخطباء نماذج لأركان خطب الجمعة تسد مطالب الشهر العربى ، لمن أراد أن يسترشد بها .

وإن أصحاب الفضيلة الخطباء ـ أمام كل أنموذج منها ـ يمكنهم أن يعدوا منه خطبة وافية بالغرض المنشود .

ولما كان للخطبة منزلتها الرفيعة ، وأثرها الفعال فى تقديم الأمم وحضارتها ورقيها خاصة خطبة الجمعة ـ حيث تنطلق الدعوة إلى الله من مراكز الإشعاع الروحى والأخلاق ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾ . سورة النور

من أجل النهوض بخطبة الجمعة اقتضت خطة النشر بمجلة الأزهر أن يقوم أعلام متخصصون فى مجال الدعوة إلى الله ، باختيار بعض الخطب وتقديم أركانها وعناصرها مستوفاة .

راجين من الله ـ عز وجل ـ أن يوفق الإخوة الخطباء فى أداء رسالتهم على الوجه الأكمل ـ وأن يجدوا فيما نقدم حاجتهم أو بعضها وإن محرر هذا الباب ـ من جانبه ـ سوف يلبى طلب من يكتب إليه فى خطبة معينة ، أو فيما يراه مما يحقق النهضة بخطبة الجمعة .

والله نسأل أن يفتح بهذا الباب فتحا مؤزرا بالتعاون مع العلماء والخطباء والمحررين المتخصصين ؛ حتى يظهر فى المجتمع خطبة لها فائدة العلم وروعته وهداه .

والله ولى التوفيق ..

مكانة المسجد الأقصى في الإسلام

بقلم : عبدالمنصف محمود عبد الفتاح
المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام بالأزهر

الاستشهادات :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ الإسراء .

١ ــ عن أبى ذر ــ رضى الله عنه ــ قال : قلت يا رسول الله : « أى مسجد وُضِعَ فى الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الاقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، وأينما أدركتك الصلاة فصل ، فهو مسجد » أخرجه مسلم .

٢ ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال : « لا تُشَدُّ الرحال : إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » رواه البخارى ومسلم .

٣ ــ عن أبى الدرداء ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى : بألف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة » رواه الطبرانى .

٤ ــ عن أم سلمة ــ رضى الله عنها ــ قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أَهَلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غُفِرَ له ماتقدم من ذنبه » رواه أبو داود .

٥ ــ عن أبى أمامة الباعلى ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى ياتيهم أمر الله ــ عز وجل ــ وهم كذلك . قالوا : يا رسول الله وأين

هم ؟ قال : ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس » أخرجه الإمام أحمد في مسنده .

العناصر :

١ ـ أرض بيت المقدس : أرض مطهرة ، باركها الله تعالى .

٢ ـ أسباب الفتح الإسلامى لفلسطين .

٣ ـ المسجد الأقصى : هو القبلة الأولى للمسلمين .

٤ ـ اغتصاب الصليبيين لبيت المقدس ، ثم تحريره على يدى البطل الإسلامى «صلاح الدين» .

٥ ـ سكان بيت المقدس ومن جاورهم من العرب والمسلمين : هم الذين ستقع عليهم مسئولية تحريره .

البحث العلمى للموضوع :

١ ـ إن مما لاشك فيه أن أرض بيت المقدس : من البقاع الربانية التى شرفها الله منذ القدم ، وجعل لها فى قلوب أجيال بنى الإنسان قداسة تتمثل فى التَّقَيُّدِ لله فيها ، وتجمُّع الأفئدة من حولها ، وقيام الحنفاء والموحِّدين بحراستها ، والحفاظ عليها ، منذ العهد السحيق .

٢ ـ كان من أسباب الفتح العربى الإسلامى لفلسطين : هو إنقاذ هذه الأرض الطيبة من أيدى الروم ، والبيزنطيين لأن فيها المسجد الأقصى الذى سماه الله فى كتابه العزيز مسجداً ،وبارك حوله : بالأشجار والأنهار والزروع والثمار ، ونزول الوحى على رسل الله المصطفين الأخيار .

٣ ـ المسجد الأقصى : هو أولى القبلتين : الذى وَلَّى رسول الله ﷺ والمسلمون وجوههم شطره ستة عشر شهرا ، بعد هجرتهم من مكة إلى المدينة ، ولم يجعله أُولى القبلتين لمجرد الصدفة ، بل ؛ ليشد إليه القلوب وَيُوَجِّه نحوه الأبصار ، وَيُحَمِّلَ المسلمين ـ فى مختلف العصور ـ مسئولية تحريره ، والحفاظ عليه ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٤ ـ التوجيهات النبوية عن قيمة المسجد الأقصى كانت دعوة للمسلمين ، لأن يذهبوا إلى فلسطين ، ويتعرفوا على أهلها ، وبالتالى ليحرروها من الاحتلال الرومانى حينذاك ، وقد حفز ذلك المسلمين ، لفتح فلسطين ، فوجهوا جيوشهم إليها ، وهزموا الروم فى موقعة اليرموك الفاصلة : تحت قيادة «خالد بن الوليد» ثم كانت موقعة اجنادين التى هزموا فيها البيزنطيين : تحت قيادة عمرو بن العاص ، والتى بعدها استسلمت مدينة القدس فى الخامس عشر من الهجرة النبوية .

٥ ـ استمر بيت المقدس تحت حكم الإسلام العادل : ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، ثم اغتصبته الصليبية بحروبها التى استمرت : ثمانية وثمانين عاماً ، وحينما اجتمعت كلمة المسلمين وَوَحَّدُوا صفوفهم ، وعزموا على تطهير الأرض المقدسة ؛ قادهم البطل الإسلامى «صلاح الدين الأيوبى» ، وانتصر فى الحروب المقدسة التى كان أبرزها معركة «حطين» ، وبعدها استولى على بيت المقدس ، وأعاده إلى حوزة المسلمين ، وكان ذلك يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة خمسمائة وثلاث وثمانين من الهجرة .

٦ ـ إن سكان بيت المقدس ومن كان على شاكلتهم ـ من الغيورين على مقدساتهم الدينية ـ سيهديهم الله ـ تعالى ـ إلى التمسك بالحق ، والدفاع عنه ، وأنهم سيكونون حماته ، لا يهابون الباطل وسطوته ، وأن الدائرة ستكون على أعدائهم ، والغلبة والنصر سَيَكُونُ لهم .

الصبر على الشدائد والمحن وثمراته

بقلم : عبد المنصف محمود عبد الفتاح
المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام بالأزهر

الاستشهادات :

١ - ﴿ الٓمٓ (١) أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ : العنكبوت ..

٢ - ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٢) ﴾
ال عمران

٣ - ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ البقرة ..

٤ - ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١١) ﴾ سورة الحج

٥ - ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾
الرعد ..

١ ــ عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : «ما يصيب المسلـــم من نصب ولا وصب ، ولا هم ، ولا حَزَنٍ ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة : يُشَاكُهَا : إلا كفَّر الله بها مِنْ خَطَايَاه» متفق عليه .

٢ ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : ﴿ **ما لعبدى المؤمن عندى جزاء : إذا قبضت صَفِيَّهُ (أى : حبيبه) من أهل الدنيا ، ثم احتسبه : إلا الجنة** ﴾ رواه البخارى .

٣ ــ عن أنس ــ رضى الله ــ عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن عظم الجزاء ، مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط» أخرجه الترمذى .

٤ ــ عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه ، وولده ، وماله ، حتى يلقى الله تعالى ، وما عليه خطيئة» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

العناصر :

١ ــ الشدائد والمحن : من لوازم هذه الحياة الدنيا .

٢ ــ احتمال المصائب ، والرضا بقضاء الله فيها : من صفات المؤمنين الصادقين .

٣ ــ الابتلاءات التى يصاب بها الناس : امتحان عملى لهم .

٤ ــ الدروس المستفادة من البلايا والمحن .

٥ ــ ثمرات الصبر ، وما للصابرين عند الله : فى دار الكرامة : من الرضوان ، والنعيم المقيم .

البحث العلمى للموضوع :

١ ــ الكوارث والمحن من لوازم هذه الحياة ، وهى أسباب لإظهار : فضيلة الصبر ، والتحمُّلِ ، وتقوية النفس ، وتثبيت القلب ، وإكمال العبودية لله وحده ، بالتفرغ إليه والدعاء ، والاعتصام بحبله ، والاستعانة به لكشف البلاء .

٢ ــ جرت سنة الله فى خلقه من قديم : أن يمتحنهم بالشدائد ، ويختبرهم بالمصائب ؛ ليبين حقيقة إيمانهم ، ويظهر قوة يقينهم .. فإن الشدة إذا نزلت بقوى الإيمان ، صادق اليقين : زادته قوة فى دينه ، ومتانة فى يقينه ، ورسوخاً فى عقيدته ، وإذا نزلت بالمنافق : فزع واضطرب ، وجزع وغضب .

٣ ــ فى المصائب : درس عملى : يُعَلِّم العطف على البؤساء ، ويُحَرِّكُ عاطفة الرحمة بالمبتلين ، والشدائد : تُقَوِّى صلة المؤمن بربه ، بل هى عند المخلصين : دليل رضاهُ وحُبِّه .

٤ ــ البلايا : مَحَكُّ الرجولة ، وميدان البطولة ، وسبيل التربية النفسية ، والتزكية الأخلاقية ، فالنار : تزيد الذهب : بهجة ونقاء ، والمحن تزيد الرجال : قوة ومضاء .

٥ ــ أحب عباد الله إلى الله : أكثرهم بلاء فى الدنيا .. والناس يتفاوتون فى البلاء على قدر تفاوتهم فى درجات الإيمان .. والله تبارك وتعالى : يُعَجِّل بالعقوبة لبعض المؤمنين فى الدنيا ، بما يصيبهم به من آلام ؛ حتى يأتوا يوم القيامة ، وقد طُهِّرُوا من الذنوب والآثام ، والفوز بالجنة والنجاة من النار : لا يحظى به : إلا الصابرون قال تعالى

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (١١١) المؤمنون .

الصلاة وموضعها من الدين

بقلم : عبدالمنصف محمود عبدالفتاح

المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام بالأزهر

الاستشهادات :

١ – ﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ : النساء ..

٢ – ﴿ حَٰفِظُوا عَلَى الصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ البقرة ..

٣ – ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ : هود .

٤ – ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ : المؤمنون ..

٥ – ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ التوبة ..

٦ – ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ مريم

١ – عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال : « سألت رسول الله ﷺ : أىُّ العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قال : حدثنى بهن رسول الله ﷺ ، ولو استزدته لزادنى » رواه البخارى ومسلم ..

٢ – عن أبى هريرة – رضى الله – عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء . قال : فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » رواه البخارى ومسلم ..

٣ – عن عبدالله بن عمر – رضى الله – عنهما عن النبى – ﷺ – أنه ذكر الصلاة يوما فقال : « من حافظ عليها : كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها : لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف » رواه أحمد بإسناد جيد ، والطبرانى فى الكبير والأوسط ..

٤ – عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أسوأ الناس سرقة : الذى

يسرق من صلاته . قالوا : يارسول الله ، وكيف يسرق الرجل من الصلاة ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها . أو قال : لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود» رواه أحمد والحاكم ..

٥ ــ عن جابر بن عبد الله ــ رضى الله ــ عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «بين الرجل وبين الكفر : ترك الصلاة» رواه أحمد ومسلم ..

العناصــر :

١ ــ الحكمة : من مشروعية الصلاة .

٢ ــ للصلاة فى الإسلام : منزلة كبيرة .

٣ ــ الخشوع فى الصلاة : من صفــات المؤمنين الصادقين .

٤ ــ من ثمرات الصلاة : أنها تهذب النفس .

٥ ــ فى الصلاة علاج لبعض الأمــراض النفسية .

٦ ــ جزاء الساهين عن الصلاة .

٧ ــ الصلاة : فضلا عن كونها عبادة : فهى رياضة بدنية .

البحث العلمى للموضوع :

١ ــ فرض الله ــ تعــالى ــ الصلاة على المسلم ؛ ليستعين بربه ، على أداء ما كلف به من الأوامر ، وعلى دفع ما يؤذيه ، وجلب ما ينفعه ويُنْجيه .. وقد أمر بإقامتها دون مجرد الإتيان بها ، وإقامة الشيء هو الإتيان به مُقَوَّمًا كاملا ، يصدر عن علة ، وتصدر عنه آثاره ، وآثار الصلاة ونتائجها : هى ما أنبأنا الله ــ تعالى ــ به فى قوله جل شأنه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت ..

٢ ــ للصلاة فى الإسلام : مكانتها العظيمة ؛ فهى دعامة الدين ، وركنه الركين ، وهى معراج الواصلين ، ومناجاة رب العالمين ، والصلة الدائمة بين العبد وربه .

٣ ــ صلاة الخاشعين : تفتح لأصحابها طريق الهداية ، وتجنبهم سلوك طريــق الغوايــة ، وتفجر لهم ينابيع الحكمة من قلوبهم ، وتجعل لهم نورا يمشون به فى الناس .

٤ ــ الصلاة : من أكبر الوسائل لترويض النفس على كبح جماح شهواتها ، وتطهيرها من الأدران والمعاصى ، إذا أداها الإنسان على وجهها الصحيح ، مستوفية لأركانها وشروطها وسننها .

٥ ــ الصلاة : تعتبر من أفضل الوسائــل وأنجحها ، لعلاج كثير من الأمراض النفسية : كالهم والجزع ، والقلق والفزع ، واليأس والهلع قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المعارج ..

٦ ــ تَوَعَّدَ الله الذين يأتون بصورة الصلاة : من الحركات والألفاظ مع السهو عن الصلاة الحقيقية : التى هى تَوَجُّه القلب إلى الله : المذكر بخشيته ، المشعر بعظم سلطانه ، فقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الماعون ..

٧ ــ الصلاة من الناحية البدنية : رياضة متواليــة فى غير مغــالاة وارتخاء ، ولا شدة ولا عنف ، وهى أمان من السِّمْنَة والتَّرهل ، وخصوصا إذا حوفظ عليها : فى سن مبكر من الشباب ..

خطبة منسوبة إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وهى تقرأ بلغة قريش بتسهيل الهمز

إعداد الأستاذ / محمد أحمد أبو المعاطى

حمدتُ وَعَظَّمت من عظمت منته ، وسبغت نعمته ، وسبقت رحمته غضبه ، وتمت كلمته ، ونفذت مشيَّته ، وبلغت قضيته ، حمدته حمد مقر بربوبيته ، متخضع لعبوديته ، متنصل لخطِيَّته ، معترف بتوحيده مُومِل من ربه مغفرة منجية يوم يشغل عن فصيلته وبنيه ، ويستعينه ويسترشده ويستهديه ، ويُومن به ويتوكل عليه ، وشهدت له تَشَهُّدَ مخلص موقن ، وبعزته مومن ، وفردته تفريد مؤمن متقن ووحدته له توحيد عبد مذعن ، ليس له شريك فى ملكه ، ولم يكن له ولى فى صنعه ، جل عن شريك ووزير ، وعن عون معين ونظير ، علم فستر ، وبطن فخبر ، وملك فقهر وعُصِىَ فغفر ، وحكم فعدل ، لم يزل ولا يزول ، ليس كمثله شيىء ، وهو قبل كل شيىء ، وبعد كل شيىء ، رب منفرد بعزته ، متمكن بقوته ، متقدس بعلوه متكبر بسموه .

ليس يدركه بصر ، وليس يحيط به نظر ، قوى معين منيع ، بصير سميع رَوُوف رحيم عَطُوف ، عجز عن وصفه من يصفه ، وضل عن نعته من يعرفه ، قرب فبعد ، وبعد فقرب ، يجيب دعوة من يدعوه ، ويرزقه ويَحْبُوه ، ذو لطف خفى ، وبطش قوى ، ورحمته موسعة ، وعقوبته موجعة ، رحمته جنة عريضة مُونِقة ، وعقوبته جحيم ممدودة مُوبقَة ، وشهدت ببعث محمد عبده ورسوله ، وصفيه ونبيه وحبيبه وخليله ــ صلى رَبّ عليه صلاة تُحْظيه وتزلفه ، وتعليه وتقربه وتدنيه ، بعثه فى خير عصر ، وحين فتره وكفر ، رحمة منه لعبيده ، ومِنَّة لمزيده ، ختم به نبوته ووضح به حجته ، فوعظ ونصح ، وبلغ وكدح ، رَوُوف بكل مؤمن ، رحيم سخى ، رضى وَلِىٌّ زكىٌّ .

عليه رحمة وتسليم وبركة ، وتكريم من رب عفور رحيم ، قريب مجيب .

وَصَّيْتُكم ــ معشر من حضرنى ــ بوصية ربكم ، وذكرتكم سنة نبيكم ، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم ، وخشية تذرى دموعكم ، وتَقيَّة تنجيكم .

قبل يوم يذهلكم ويُبْلِدُكم يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته ، وَخَفَّ وزن سَيِّته ولتكن مسَلَتُكم وتملقكم مَسلة ذل وخضوع ، وشكر وخشوع ، وتوبة ونزوع ، وندم ورجوع ، وليغتنم كل منكم صحته قبل سقمه ، وشبيبته قبل هرمه وكبره ، وسعته قبل فقره ، وفَرْغَتَهُ قبل شغله ، وحَضَرْتَه قبل سفره .

قبل أنْ يَكبُر فيهرم ، ويمرض ويسقم ، ويَمَلَّهُ طبيبه ، ويعرض عنه حبيبه ، وينقطع عمره ، ويتغير عقله ، ثم قيل : هو موعوك ، وجسمه منهوك ، ثم حَدَّ فى نزع شديد ، وحضره كل حبيب ، قريب وبعيد ، فشخص ببصره ، وطمح

بنظره ، ورشح جبينه ، وخَطَف عُرْنينه ، وسكن حنينه ، وجُذِبت نَفْسُه ، وبكته عرسه ، وحُفر رمسه ، ويَتِمَ منه ولده ، وتفرّق عنه صديقه وعدوه ، وقُسِم جمعه ، وذهب بصره وسمعه وكفن ومدد ، ووجه وجرّد ، وغسل وعرِي ، ونشف وسجى ، وبسط وهيء ، ونشر عليه كفنه ، وشد منه ذقنه ، وقمص منه وعمم ، وودع وعليه سلم ، وحمل فوق سريره ، وصلى عليه بتكبيره ، ونقل من دور مزخرفة ، وقصور مشيدة ، وحُجَرٍ منجدة ، فَجُعِلَ فى ضريح ملحود ، ضيق موصود ، بلبن منضود مُسقَّف بجلمود ، وهيل عليه عَفَرُه ، وحثى عليه مدره ، فتحقق حذره ، ونُسِيَ خبره ، ورجع عنه وليه وصفيه ، ونديمه ونسيبه ، وتبدل به قرينه وحبيبه .

فهو حشو قبر ، ورهين قفر ، يسعى فى جسمه دود قبره ، ويسيل صديده على صدره ونحره ، وتسحق تُرْبته لحمَه ، وينشف دمه ، ويَرِمَ عظمه ، حتى يوم حشره ، فينشر من قبره ، وينفخ فى صوره ويدعى لحشره ونشوره ، فثم بعثرت قبور ، وحصلت سريرةُ صدور ، وجيىء بكل نبى وصديق وشهيد ، وقصد لِلفَصْل بعبده خبير بصير ، فكم زفـرة تغنيـه(1) ، وحسرة تقضيه ! فى موقف مهيل ، ومشهد جليل ، بين يدى ملك عظيم ، بكل صغيرة وكبيرة عليم ، حينئذ يُلجمُه عرقه ، ويحفزُه قلقه ، عبرته غير مرحومة ، وضرعته غير مسموعة ، وحجته غير مقبولة . تنشر صحيفته ، وتَبين جريرته ، حين نظر فى سوء عمله ، وشهدت عينه بنظره ، ويده ببطشه ، ورجله بخطوه ، وفرجه بلمسه وجلده بمسه ، وتهدده منكر ونكير ، فكشف له عن حيث يصير ، فسلسل جيده ، وغُلْغل(2) يَدُه ، وسيق يسحب وَحْده ، فورد جهنم بكرب وشدة ، فظل يعذب جحيم ، ويسقى شَرْبة من حميم ، تَشْوِى وجهه ، وتسْلُخُ جلده ، يضربه ملك بمقمع من حديد ، يعود جلده بعد نضجه كجلد جديد ، فيستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم ، ويستصرخ فلم يُجَبْ .

يندم حين لم ينفعه ندم ، فيلبث حِقبة نعوذ برب قدير ، من شرِّ المصير ، ونسأله عفو من رضى عنه ، ومغفرة من قبل منه ، وخلد فى قصور مشيدة ، وملك حور عين وحفدة وطيف عليه بكووس وسكن حظيرة قدس فى فردوس ، وتقلب فى نعيم ، وسقى من تسنيم ، وشرب من عين سلسبيل ، قد مزج بزنجبيل ، ختم بمسك وعنبر مستديم ، للملك(3) ، مستشعر للشرور ، يشرب من خمور فى روض مغدق ليس ينزف فى شربه ، هذه منزلة من خشى ربه وحذر نفسه ، وتلك عقوبة من عصى منشيه وسولت له نفسه معصيته ، لهو قول فصل ، وحكم عدل ، خير قصص قُصَّ ، ووعظ نُصَّ تنزيل من حكيم حميد ، عزيز حكيم ، نزل به روح قدس مبين ، من عند رب كريم ، على قلب نبى مهتد رشيد ، صلت عليه سفرة . مكرمون بررة ، وعُذْتُ برب عليم حكيم ، قدير رحيم ، من شر عدو لعين رجيم ، يتضرع متضرعكم ، ويبتهل مبتهلكم ، ويستغفر رب كل مربوب لى ولكم .

ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقيم ثم نزل كرّم الله وجهه .

---

(1) لعلها : تفنيه .

(2) لعلها : وَغُلَّتَ يده ، أو غُلْغِلَتْ .

(3) كذا فى المصورة .

اللغة والنقد والأدب

الفريق

يحيى بن عبد الله المعلمي

خصائص القيادة الناجحة في سير القادة العظماء

عرض وتقديم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

عن مراجعة علمية لفن القيادة والإدارة ، ثم ممارسة عملية لفن القيادة على أعلى مستوياتها كتب السيد الفريق يحيى بن عبد الله المعلمى كتابه : « خصائص القيادة الناجحة فى سير القادة العظماء » يَعْرِفُ ذلك قارىء الكتاب بداية من صفحاته الأولى حيث سجل الكاتب أكثر من تعريف للقيادة (ص ٩) .

فهى : النشاط المؤدى إلى التأثيرات فى الناس كى يتعاونوا لتحقيق الأهداف التى تسعى إليها الإدارة .

أو هى فن التوجيه والتنسيق وحث الأفراد والجماعات على إنجاز الأهداف المطلوبة .

أو هى العمل الذى بمقتضاه يمكن الحصول من الفرد على أعلى مستوى من الخدمة يمكن أن تصل إليه طاقته .

أى أنها تعمل على إيجاد اقتناع وجدانى للعمل مع قائد ممتاز ؛ فلا تتحقق بمجرد إصدار الأوامر ، والإرشادات وإنما باستخراج الطاقات الكامنة فى المرءوسين للعمل بكامل قدرتهم وطاقاتهم لتقديم أكبر جهد وإنجاز أفضل الأعمال ، وليس من شك فى أن التجاوب الوجدانى النابع من الثقة المتداولة له شأنه الفعال فى إعطاء أكبر النتائج المرجوة . وقد استطرد الكاتب فى الفصل الأول من بحثه إلى بيان علاقة القيادة بالموهبة والدراسة ، ثم استطرد إلى خصائص القيادة الناجحة وركنيها : المادى المتمثل فى مظهر القائد وشكله وصوته .. الخ ، والمعنوى المتمثل فى صفاته الخلقية وملكات إدارته وقيادته .

ويستوعب الفصل الأول من الكتاب الحديث عن بعض هذه الخصائص » وتبدو التجربة واضحة فى مزجه لها بما يعرض من الصفات من ذلك مثلاً قوله (ص ١٤) عند الحديث عن « صدق اللهجة » : «ومع أن الصدق قد يكون محرجاً لقائله ؛ فإن القائد الناجح ينبغى أن يتجنب مواقع الحرج حتى لا يضطر إلى الكذب ؛ وإذا كان عليه ألا يصرح ببعض الحقائق فينبغى أن يفعل ذلك دون الإخبار بما يناقضها » .

وأخلص الكاتب الفصل الثانى لـ « خصائص القيادة فى سيرة القائد الأعظم محمد رسول الله ﷺ فاستجمع فى مقدمته سيئاً من الصفات المعنوية سريعاً وبيّن أنها ليست كل خصائص القيادة الناجحة ولكنها ستكون ركائز البحث لاستكشاف تمثيلها فى القادة العظماء الذين يتقدمهم الرسول الخاتم ـ ﷺ ـ ، والخلفاء الراشدون وقادة الفتوح الإسلامية من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن بعدهم . ثم يأخذ فى دراسة هذه الصفات لدى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مبيناً توفر كل منها فى ذاته ـ ﷺ ـ قارناً كلاً منها بدليل وجودها هذا الدليل الذى توفر ثبوته ، وحديث الكاتب فى تلك الصفات

برسول الله ـ ﷺ ـ جدير بالاستيعاب والتكرار لأنه حجة قيمة فى هذا اللون من العلم والدراسة .

إن هذه الدراسة ترى القارىء نجاح رسول الله ـ ﷺ ـ من خلال صفات طبيعية ذاتية قد قسمت فى هذا الكتاب تقسيماً بحيث يستوعب كل قسم منها روعة قيادته وإدارته ـ ﷺ ـ نلقائياً ثم استطاعت هذه الأقسام أن تجمع ـ من سيرته عليه الصلاة والسلام ـ مواقفها ، فصارت عِقْداً جمع فصوصه بأجمل أناقة .

ولا شك أن خبرة المؤلف الطويلة أثناء توليه المناصب القيادية المختلفة ، ثم مثابرته على البحث والاطلاع لفترة طويلة ، قد أعانتاه على إعداد مادة الكتاب ، وتدعيمها بالشواهد والأسانيد ، من الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والحوادث التاريخية المطابقة لحديثه .

ولم يقتصر الكاتب على مجرد السرد التاريخى ، أثناء عرضه ووصفه لخصائص القيادة الحكيمة لرسول الله ـ ﷺ ـ ، بل عمد إلى التعقيب على المواقف المختلفة ، واستخلاص العبرة منها ، كأسوة حسنة ، وسيرة عطرة .. وصدق شاعر الإلياذة الإسلامية (أحمد محرم) حينما أَجْمل هذه الخصائص القيادية ، بقوله :

من هيبة يُغضِي القريض ويُطرقُ
ويميل فيك إلى السكوت المنطقُ
إيـذَن يَفِضْ هذا البيانُ ، فإنه
مما يُفيض بيانك المتدفِّق
ما فى النوابغ من لبيب حاذق
إلا .. وأنت أَلَبُّ منه وأحذق

* * *

ثم يتناول المؤلف فى الفصل الثالث والأخير من كتابه ، خصائص القيادة الناجحة فى شخصية أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ، ونجتزىء بإثبات قول المؤلف عن الخليفة الأول ، فيما يتعلق باتخاذ القرار ، يقول ص ٨٥ : « وقرارات أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ ليست قرارات ارتجالية ، ناجمة عن الهوى وشذوذ الفكر ، وإنما هى قرارات مدروسة ، مبنية على عوامل أساسية ، أهمها التقيد بأوامر النبى ـ ﷺ ـ ، وتعليماته وتوجيهاته ، التى هى من وحى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإلهامه لنبيه الكريم ، ويتضح ذلك فى موقفه ـ رضى الله عنه ـ من جيش أسامة فقد أجمع عدد من صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ على خطورة إمضاء هذا الجيش إلى هدفه ، والأعراب قد أحاطت بالمدينة المنورة ، ورأوا أن يستبقى جيش أسامة ـ رضى الله عنه ـ فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ :

والذى نفس أبى بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ـ ﷺ ـ ، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفْذته ، ولا أرد قضاء قضى به رسول الله ـ ﷺ ـ ، وإنى ـ والله ـ ما أدع أمراً رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يصنعه إلا صنعته » ص ٨٧ .

وفى الحق أن الكتاب توفر له توثيق المادة ، ولم يفت المؤلف الرد على ما يثيره بعض الكتاب من أحكام يعوزها الدقة وبسط الفكر .

والأخطاء المطبعية التى تعتبر من لوازم هذه الأيام ، نادرة للغاية بالكتاب ، فلم نقع منها إلا على لفظ : (خرجت) ص ٣١ وصحته : (جرحت) .

ونأمل ـ فيما أمل الكاتب ـ أن يسجل خصائص القيادة لدى القادة المسلمين العظماء ، بتلك الطريقة الرشيدة التى تعتمد على الأسلوب العلمى فى آخر ما وصل إليه فن الإدارة والقيادة .

وقفة مع الدكتور مختار الوكيل في ديوانه

موكب الذكريات

بقلم الشاعرة / جليلة رضا

هو أحد شعراء جماعة « أبوللو » التى أسَّسها الدكتور أبو شادى ـــ رحمه الله ـــ ورأسها أمير الشعراء أحمد شوق عاش فى الخارج فترة طويلة ، ورأس وفد مصر الدائم لجامعة الدول العربية فى سويسرا

شاعر فياض العاطفة أخذ مكانه ، واستوى فى مكانته ، وليس بين شعراء مصر من يجهل له هذا المكان أو ينكر عليه تلك المكانة .

فهو إذن كان من الشعراء البارزين فى الوسط الأدبى القاهرى : أنيق فى حديثه ، أنيق فى ملبسه ، أنيق فى شعره .. وهو « جنتلمان » كما يقولون ، من الطراز الأول نجده يشارك الناس آلامهم وأفراحهم ، مشاركة موجهة قوامها الإخلاص والايمان ، بكل ماهو خير وحق .

شعره ترجمان نفسه وعواطفه ، أمين فى تصوير حسه ، مصقول اللفظ ، حلو الموسيقى ، له النغم الذى يطرب ويشجى وديوانه هذا .. « موكب الذكريات » يجمع فى شعره نار الوطنية المشبوبة ، وأزهار التصوف العطرة ، وبعض الخواطر التى مرت على موكب الذكريات منها ما تخصه ومنها ما يخص الأصدقاء : الأحياء منهم والأموات .

وأما وطنياته فهى جياشة التعبير ، دقيقة الوصف يحرص الشاعر على أن يضع البيت منها فى موضعه السليم ، ويهتم بالقصيدة فى تركيبها وفى ترتيبها ، وفى تناسق معانيها ومطابقتها للواقع .

كما يملك دقة الإدراك وعمق الشعور وصدق الإحساس ، فيقول فى قصيدة « نصر رمضان » وقد مزج الدين بالحرب :

الله أكبر هذا موقف عَجَبُ
«الله أكبر» قالوها وقد وثبوا
الله أكبر قد قيلت بكل فمٍ
فحصحص الحق والأعداء قد هربوا
هزّ العدوَّ دعاءٌ صكَّ مسمعه
نادى به الله والقرآنُ والكتبُ
«الله أكبر» قالوها وقد عبروا
الله أكبر قالوها .. وقد ضربوا

ورغم أن شعر مختار الوكيل عمودى مقفى ، إلا أن أغلبه صوره من صور التجديد فى الشعر العربى وهو ما يُسمَّى بالشعر الحديث المتغير القافية . ويقول خليل مطران فى التجديد الشعرى : «أريد التجديد يتمثل فى التفكير بمعناه البعيد الغور ، الذى هو منبع الابتكار . وما أعظم الشاعر الذى يستطيع تصوير كل صغيرة من معانى النفس ، وأن يبلور عواطفه وأحلامه فى وحدة منسجمة ، إنه يغدو شاعر الإنسانية .

ومن هنا نجد هذه القصيدة الوطنية المتجددة : «إلى وطنى» :

وطنى أحبك أنت ياوطنى
وبغير حبك قط لم أدِنِ
وأراك بسَّاما على الزمن
تسمو على الآلام والمحن
ولأنت غِرِّيدٌ على فَنَن

والوطن عنده هو الجنة الخضراء ، والأنجم الزهراء والنيل الضاحك فيُكْمل :

مُرْنا تجدنا حيث ترضانا
للمجد أو للموت أقرانا
وإذا أَهَبْتَ بنا ستلقانا
يوم النداء نهبُّ شجعانا
نحْميك فى الأحداث ياوطنى

★ ★

وشاعرنا ذو ذكاء لّماح ، وطاقة شعرية عالية ، وهو شاعر تُغريك كلماته قبل نظمها ، ويركز تعابيره؛ كيلا تفلت منه البنية المتماسكة ولكى يضمن محتوى سليم الأداء لما يبرره .

ومختار الوكيل ـ رحمه الله ـ لا يؤمن بالوحدة الفكرية ، ولا الترابطات العفوية ، فالوحدة عنده عضوية نامية ، تتطور حسب انفعال الشاعر ..

وهو لا يحب التكرار ، إلا إذا كان مقوِّيا للترابط الأصلى ، ويميل كل الميل إلى التركيز فى الجملة

ولقد تمكن من تفجير ينابيع طاقاته الشعرية ، لتكشف عن سمات شعره كشفًا قويا ، وخير ما يمثله قصيدته حيث يوجه للزورق المخترق عُباب البحر ، يستعرض عناصر شعره وكيف استمدها من الطبيعة :

أيها الزورق الـذى ألهم الشعـــر
فؤادى وصان لى أنغامـــــــى
أجمع اللحـــن من هزيم الأعــاصير
وعصف الريـــاح فى أحلامـــى
وغنـاء العصفـور فى مطلع الفجر
ونغْـــق الغربـــــان فى الآكام
واصطفـاف الأمـواج عنـد التلاق
ونعـــيب البومـــات فوق الـــركام
وثغـــاء الحمــلان بين المراعــــى
وزئير الأسود فى الآجام
كل هذا لحن يداعب روحـــــى
ورحيـــق يزيـــل عنـــى سقامـــى

★ ★ ★

وأما صوفياته فهى رقيقة وديعة ، ففى قصيدة «كعبة الله» يقول الشاعر وقد أدَّى العُمْرة ، لأول مرة ، وقف طويلا أمام الكعبة المشرفة ، يتأمل ما حوله ، ويرى ما يأسر النفس ويجذب العين ، والناس عُكَّفٌ على الصلاة ، وقد خلعوا ملبس الحياة وأسْلم كل منهم القياد، وشُغل عن الأهل والأحباب :

مكـــــة وردة الوجـــــــود
قديما ولم تزل

شاعـــــــر الحب قُمْ وقــــــلْ
هَهُنـــــا موطـــــن الغـــــزل
صانها الله للـــــــــــــورى
وبها الْوَحْــــــــــىُ قد نزل
إيـــــــه ياكعبـــــة الهدى
قصر القـــــول والعمـــــــل
كل مافــــــيك مُلهـــــــم
زاهـــــر يقتـــــل الملــــــل
الحمامـــــــــــــات حُوَّمٌ
والعنيـــــزات والجمــــــــل
والجبـــــال التـــــــى أرى
تلهـــم الشعـــــر .. والطلــــل
فأصيخـــــــى لشاعـــــــر
عن مُنَـــى النـــاس قد ذهـــل
واسمعــــى شعـــــره الـــــذى
خلَّـــــد الحب والأمـــــل

★ ★ ★

والدكتور مختار الوكيل ــ رحمه الله ــ شاعر رقيق كنسمة ربيع ، ذو فطنة ذهنية ، لا ينظر إلى الشيىء دون أن تلمسه روحه ، ويضمُّـــه وجدانه ..

ومما لاشك فيه أن فطنة الشاعر لا يجب أن تنتهى عند حد ، أو غاية ، فهى التى تُثْرِى الشاعر وتجعله يبتكر من المعانى الجديد والطريف ، وكلما ابتكر زادت قيمة الشعر ، واستقلت شخصية الشاعر .

وينظر شاعرنا إلى الطبيعة يُسْكره ويسبيه جمالها الفتان ، ويريد التعبير فيعجز البيان ، فيقول فى قصيدة «نشوة الألحان» :

أنـــــا فى نشوةٍ من الأنغــــــام
فدعـــونى معانقـــا أحلامـــــى

أنـا فى صَمْتى الفصيـح سعيـد
سابـح فى عوالم من هيامـى
مستعيـد فى خاطـرى ما تقضّى
من متـاع وشقْـوة فى غرامـى
أى وحـى مُنغّـم يتهادى
ويناجـى الفـؤاد دون كلام
لست أستطيع صوْغه فى قصيد
آدمـىٌّ الألفـاظ والأنغـام
لحنـه ثائـر يداعب روحـى
وصداه معانـق إلهامـى

ولنستمع إليه فى قصيدة « أيْكَة الشعراء » وقد اتخذ مجلسه ذات يوم من أيام الشباب ، مع الشاعر الراحل محمود حسن إسماعيل ، فى حديقة الجزيرة ، تحت جذع شجرة اجتثت فكانت كقاعدة تمثال ، كوَّنه الشاعران ، وكان الوكيل يحمل أحزان العالم .. ولكنه كعادته بشوش المحُيا ضاحك الثغر .

وأشد ما يؤلم النفس أن يُخفى حزنه ويتظاهر بالمرح .

يقول الشاعر :

جمعتنـا فأحسنت بالخيـال
صورة قد وعت فنـون الجمـال
قد جلسنـا هنـا فأنت عبـوس
وأنـا واضح البشاشة خالى
لست أدرى من صوَّر الحقَّ فينـا
أنـا أم أنت يا حميـد الخصال
بل أنا الكاذب البشاشة والبشر
المُعنَّـى من الهمـوم الثِّقـال

ويحث شاعرنا صديقه محمود حسن إسماعيل على ترك الحزن واليأس ، واحتضان الحياة بروح مرحة فيقول :

أنت يامـن نهضت بالفـن والشعـر
وللحـق والهوى لا تغـالى
نحن فى جنّـة الجزيـرة فانْـهضْ
وَانْضُ ـ إن شئت عنك ـ ثوب الملال

ويلتقط الوكيل أنفاسه ، فقد استراح إذ نصح صديقه ، ثم ينتقل من التجريد إلى التحديد فيصف معالم الجمال فى الكون موحيا بالأمل :

قد جلسنـا أمامنـا النيـل يسرى
فى ابتهال وخلفنـا الـدوح عال
ودنت من مغيبها الشمس فى الغرب
فسارت مختالـة فى دلال
هبـطت فوق قمـة الهرم الأكبر
ترتـاح من ضَنـىً ومـن كلال
ومشت بين ضجـة وعويـل
وتـوارت فى روعـة وجـلال
لم تُصِـخْ للنـواح ردَّه الـطير
وراحت غريقـةً فى الظـلال
طمست والسحـاب فيـه كثير
من سناهـا وفيـه جُلُّ الجمـال
ورجعنـا وفى الفـؤاد لهيب
زاد من ناره دُنُـوُّ الهلال

***

وبعد ، فإن شاعرية الوكيل القوية المتحررة ، تتسم بالمثالية« الرومانسية » النزعة . وما شعره إلا نبع إحساسه العميق ، وتأمله البعيد ، ونظرته إلى ما وراء المظاهر .

ولا مجال للاستشهاد بقصائد أخرى ، فكل شعره على درجة كبيرة من النضج الفنى فى ديوانه : « موكب الذكريات » . أثبت فيه صاحبه استيعاب التجارب واجترار الذكريات بواقعية وجدانية ، ونفسية إنسانية ، يرحمه الله .

جليلة رضا

من المزارات الدينية الهامة في مصر

مشهد السيدة رقية

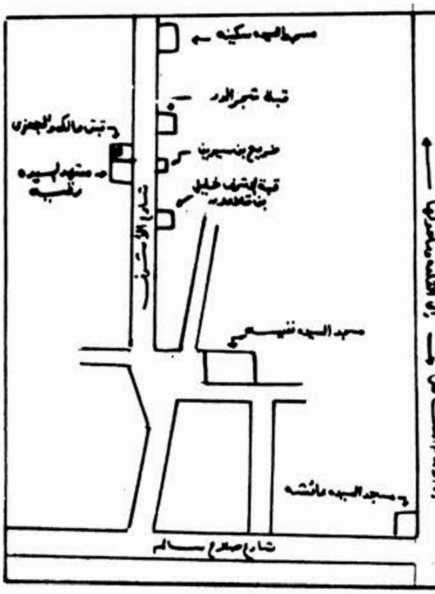

شكل (١)

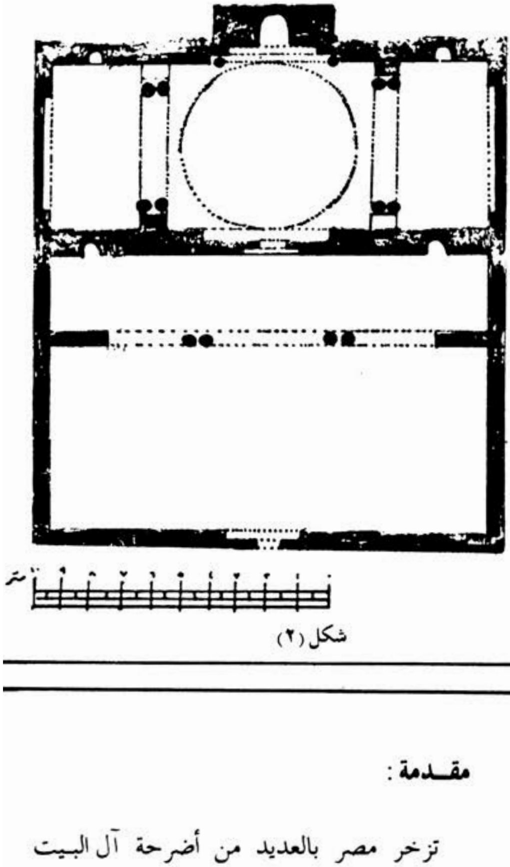

شكل (٢)

بقلم
أحمد رجب محمد على
معيد بقسم الآثار الإسلامية
كلية الآثار ـ جامعة القاهرة

مقـدمة :

تزخر مصر بالعديد من أضرحة آل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ وأولياء الله الصالحين ـ رحمهم الله ـ ويعد العصر الفاطمى العصر الذهبى لتشييد مثل هذه الأضرحة حيث وصل إلينا من هذا العصر العديد منها مثل مشهد أخوة يوسف

ـ عليه السلام ـ وضريح السيدة عاتكة ٥١٣ هـ والجعفرى ٥١٤ هـ وأم كلثوم ٥١٦ هـ والسيدة رقية ٥٢٧ هـ وقبة الحصواتى ٥٤٠ هـ ويحيى الشبيهى ٥٤٥ هـ وفى هذا البحث نتناول عمارة أحد أهم هذه المزارات وهو مشهد السيدة رقية .

الموقـع :

يقع مشهد السيدة رقية فى (قرافة السيدة نفيسة) رضى الله عنها بين مسجدى السيدة نفيسة والسيدة سُكَيْنَة ، وبالقرب من ضريح شجرة الدر ، ويعرف الشارع الذى يطل عليه المشهد باسم شارع الأشرف نسبة إلى قبة الأشرف خليل بن قلاوون الموجود بهذا الشارع ، والمشهد موجود داخل أسوار تضم إلى جانبه قبتى عاتكة والجعفرى ـ رضى الله عنهما ـ « انظر خريطة الموقع شكل ١ » .

صاحبة المشهد (*) :

قيل ان السيدة رقية هى بنت لأمير المؤمنين على بن أبى طالب وأخت للـــحسن والحسين ـ رضوان الله عليهما ـ وقدورد اسمها على التابوت الخشبى الموجود داخل المشهد بنص « هذا ضريح السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه .

منشىء المشـهد :

يحدثنا المقريزى عن منشىء هذا المشهد فيذكر أن منشئه هو السيدة الجهة ، حيث ذكر أن السيدة الجهة هى التى بنت مسجد الأندلس ورباطه ، ومسجد رقية[1] والسيدة الجهة هى زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى ، وتعرف باسم (جهة مكنون) وست القصور ، وعَلَم الآمرية[2] .

أما عن تاريخ الإنشاء فقد كتب على رقبة القبة التى تعلو بيت الصلاة من الداخل كتابة بالخط الكوفى تفيد بأن هذا المسجد قد بنى فى شهر ذى القعدة سنة سبع وعشرين وخمسمائة كما يحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمحراب خشبى متنقل خاص بمشهد السيدة رقية عليه كتابة بالخط الكوفى نصها « هذا ضريح السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه ، أمر بعمل هذا الضريح المبارك (الجهة الكريمة الآمرية) التى يقوم بخدمتها القاضى مكنون الحافظى على يد السنى أبى تراب حيدرة بن أبى الفتح فرحم ، من ترحم عليه فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة .

إن المتأمل فى هذه النصوص السابقة يلاحظ التضارب بينها فى ذكر وظيفة هذه المنشئة(*) ، وكذلك تاريخ إنشائها ، فبينما نجد النص المكتوب بالقبة من الداخل يصف هذه المنشأة بأنها مسجد ، ويذكر أن تاريخ إنشائه هو سنة ٥٢٧ هـ نجد أن المحراب الخشبى الموجود فى متحف الفن الإسلامى يصف هذه المنشأة بأنها مشهد ، وأن تاريخ إنشائه هو سنة ٥٣٣ هـ على أن النصين قد اتفقا على أن منشىء هذه المنشأة هو السيدة الجهة المكنونة

---

(١) المقريزى : الخطط ـ الجزء الثانى ص ٤٤٧ .

(٢) د. سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الجزء الثانى ص ١٢٦ .

(*) الفرق بين المسجد والمشهد ، المسجد معروف أما المشهد فهو الضريح الذى شهد الناس أن صاحبه من آل بيت النبى ﷺ .

أرملة[3] الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى . ويفسر الدكتور/ أحمد فكرى ذلك بأن السيدة الجهة أرملة الخليفة الآمر قد أنشأت مسجداً سنة ٥٢٧ هـ ثم جعلت منه بعد ذلك مشهدا سنة ٥٣٣ هـ وزودته بضريح للسيدة رقية[4] .

وفى اعتقادى أن هذا المسجد يعود لما قبل سنة ٥٢٦ هـ حيث ذكر المقريزى أن السيدة الجهة أرملة الخليفة الآمر قد أخفت ابنا كانت قد حملته من الخليفة الآمر قبل وفاته فى مسجد رقية حتى لا يقتله الخليفة الحافظ[5] ، ويذكر ابن ميسر أن الخليفة الحافظ قد بحث عن هذا الطفل وعثر عليه وقتله سنة ٥٢٦ هـ[6] .

وطبقا لهذه الروايات ففى اعتقادى أن تاريخ إنشاء هذا المسجد يرجع إلى ما قبل سنة ٥٢٦ هـ حيث إنه كان موجودا بالفعل فى الفترة ما بين مقتل الخليفة الآمر سنة ٥٢٤ هـ ومقتل ابنه سنة ١٥٢٦ هـ حيث استخدم فى هذه الفترة كمأوى لابن الخليفة الآمر .

« التخطيط المعمارى لمشهد السيدة رقية (شكل ٢) » :

المخطط المعمارى لمشهد السيد رقية عبارة عن مستطيل تبلغ أطواله من الخارج من الشمال إلى الجنوب (٢١ مترا) ومن الشرق إلى الغرب (١٤,٥ متر) هذا المستطيل ينقسم من الداخل إلى قسمين متقاربين فى المساحة .

ـ قسم مسقوف ويشتمل على بيت للصلاة مكون من ثلاثة مربعات وسقيفة تتقدمه من جهة الشمال .

ـ قسم مكشوف وهو عبارة عن فناء مكشوف . وللمشهد مدخل واحد يتوسط الواجهة الشمالية للمشهد وفيما يلى تفصيل للعناصر المعمارية لهذا المشهد .

الواجهات :

للمشهد أربعة واجهات أهمها الواجهة الشمالية التى تمثل الواجهة الرئيسية لهذا المشهد ، ويقع فى منتصفها المدخل ، والواجهات التى سنتحدث عنها الآن هى واجهات القسم المسقوف حيث إن الفناء المكشوف كان يحيط به مجرد سور من الآجر تلاشى معظمه الآن .

الواجهة الشمالية :

هى الواجهة الرئيسية للمشهد يبلغ طولها حوالى (١٢,٥ متر) وارتفاعها حوالى (ستة أمتار) ، ولا يعلوها شرافات ، وهى تطل على الفناء المكشوف (ببائكة) من ثلاثة عقود ترتكز على عمودين مزدوجين فى الوسط ، وعلى كتفين متصلين بالجدارين : الشرقى والغربى فى الطرفين .

الواجهة الشرقية :

يبلغ إمتداد هذه الواجهة حوالى (١٥ مترا) من الشمال إلى الجنوب ، وارتفاعها نحو ستة أمتار ، ويتوجها صف من الشرافات ذات الدرج عددها ١٥ شرفة .

الواجهة الغربية :

يبلغ إمتدادها حوالى (١٤ مترا) وارتفاعها (ستة أمتار) ولا يعلوها شرافات .

---

(٣) من المعروف أن الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى قد قتل فى سنة ٥٢٤ هـ .

(٤) د/ أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها . الجزء الأول ص ١٠٤ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق ص ٤٤٧ .

(٦) ابن ميسر : تاريخ مصر . ص ٧٥ .

الواجهـة الجنوبية :

ويبلغ إمتدادها ١٤,٥ متر ، وارتفاعها ستة أمتار ، ويعلوها صف الشرافات المدرجة عددها (٢١ شرافة) ويتوسطها من أسفل البروز الخارجى لتجويف المحراب الرئيسى .

بيت الصـلاة :

يوجد بمشهد السيدة رقية بيت للصلاة يبلغ طول جدار القبلة فيه (١٢,٥ متر) ويتكون بيت الصلاة هذا من ثلاث مربعات أكبرها المربعـة الوسطى التى يبلغ طول ضلعها خمسة أمتار ، ويغطيها قبة كبيرة الحجم لها منطقة انتقال من أربع مجموعـات من (المقـرنصات) فى الزوايـة كل مجموعـة من ثلاثـة (مقـــرنصات)(*) يعلوهـــا (مقرنص) وتحصر هذه المجموعات الأربعة من المقرنصات فيما بينها قنديليات مغطاة بأحجبة من الجص المعشق بالزجاج الملون فى زخارف هندسية ونباتية . يعلو ذلك رقبة القبة المستديرة ، والتى فتح فيها (١٦ نافذة) ويعلو ذلك (خوذة) القبة وهى خوذة من الآجر مضلعة بها ٢٤ ضلعاً وهذه التضليعات مجوفة من الداخل وبارزة ومقوسة من الخارج ويتوسط هذه المربعة أسفل القبة التركيبة الخشبية الخاصة بالسيدة رقية ـ رضى الله عنها ـ يحيط بها مقصورة حديثة الصنع تغطى معظـم مساحة هذه المربعـة الوسطـى ، أمـا المربعتـان الطرفيتان فكل منهما على شكل مستطيل طوله من الشمال إلى الجنوب خمس أمتار ، وعرضه من الشرق إلى الغرب ثلاثة أمتار ، وتتصل المربعة الوسطى بالمربعتين الجانبيتين عن طريـق فتحـة يكتنفها عمودان مزدوجان ، وهاتان المربعتـان الطرفيتين لهمـا سقـف خشبـى من (براطيم)(*) خشبية ، ولكل من المربعات الثلاث التى تكون بيت الصلاة محراب مجوف فى جدار القبلة ، وأكبر هذه المحاريب هو محراب المربعة الوسطى وهو محراب مجوف كبير ارتفاعه ٥,٥ متر ، وعرضه ثلاثة أمتار ، وعمقه ١٢٠ سم يشغل طاقيته محارة مشعة ويتوج تجويفه عقدان من (المقرنصات) الجصية البسيطة ، ويزخرف (كوشتية) زخارف جصية نباتية وهندسية . أما المربعتان الطرفيتان فلكل منهما محراب أصغر حجما من محراب المربعة الوسطـى ، ارتفاعـه ثلاثـة أمتـار ، وعـــرضه (٦٠ سم) وعمقه (٥٠ سم) تشغل طاقيته أيضا محارة مشعة ، ويتوج عقدة صف من المقرنصات البسيطة ، ولا يكتنف هذان المحرابان أعمدة كتلك الموجودة على جانبى محراب المربعة الوسطى .

وفى جدار بيت الصلاة الشمالى ، وعلى نفس محور محراب المربعة الوسطى يوجد مدخل بيت الصلاة ، والذى يصل بين بيت الصلاة والسقيفة التى تتقدمه من جهة الشمال .

الســـقيفة :

وتقع هذه السقيفة فى الجهة الشمالية من بيت الصلاة ، وتتصل به عن طريق فتحة باب ارتفاعه متران ، واتساعه (١٢٠ سم) وهـذه السقيفـة مستطيلة الشكل طولها من الشرق إلى الغـرب (١٢,٥ متر) بنفس طول بيت الصلاة ، وعرضها حوالى ثلاثة أمتار من الجنوب إلى الشمال ، وتطل

(*) المقرنصات هى الحنايا التى توجد فى زوايا مربع القبة من أعلى ووظيفتها تحويل المربع إلى شكل دائرى كى تقوم عليه رقبة القبة .

(*) البراطيم ومفردها برطوم هى العروق الخشبية الغليظة .

هذه السقيفة على الفناء المكشوف ببائكة من ثلاثة عقود ترتكز على عمودين مزدوجين فى الوسط وعلى كتفين متصلين بالجدارين الشرقى والغربى فى الطرفين والجدار الجنوبى لهذه السقيفة يوجد محرابان أحدهما على يمين فتحة المدخل المؤدى إلى بيت الصلاة والآخر على يساره ، وهما محرابان متشابهان يبلغ ارتفاع كل منهما ٣,٥ متر ، وعرضهما متر ، وعمقهما (٦٠ سم) أى أصغر حجما من محراب المربعة الوسطى ، وأكبر من محرابى المربعتين الطرفيتين ببيت الصلاة ويشغل طاقيتى هذين المحرابين محارة مشعة ، ويتوج تجويف كل منهما صف من الطاقات شأنها فى ذلك شأن محاريب بيت الصلاة ، ولهذا السقيفة سقف خشبى من براطيم خشبية .

الفناء المكشوف :

وتبلغ مساحة هذا الفناء المكشوف نفس مساحة القسم المسقوف (بيت الصلاة والسقيفة التى تتقدمه من جهة الشمال) ، وتطل عليه السقيفة ببائكة من ثلاثة عقود بينما يحف به من الجهات الثلاثة الأخرى سور ، ويوجد المدخل إلى هذا الفناء فى منتصف الضلع الشمالى ، وقد تغير شكل هذا الفناء فى العصر الحديث حيث شيد فيه حجرتان على جانبى المدخل من الداخل كذلك فقد اقيمت فى هذا الفناء مظلة يستخدمها أهالى المنطقة الآن فى الصلاة .

على أن مشهد السيدة رقية على الرغم من صغر حجمه إلا أن أهميته المعمارية تكمن فى وجود بعض الظواهر المعمارية الجدير بالتحليل والمناقشة ، فالناظر إلى تخطيط مسجد السيدة رقية شكل ٢ يتبادر إلى ذهنه سؤال ، وهو : لماذا ساوى المعمار بين المكان المسقوف والفناء المكشوف فى حين أن مساحة المسجد كله مسقوف ومكشوف صغيرة جدا ولا تحتمل وجود فناء بكل هذا الاتساع وأنه كان أفضل للمعمارى أن يدخل هذا الفناء ضمن المساحة المسقوفة المخصصة للصلاة فحاجة المسلمين إلى بيت الصلاة فى المساحة الصغيرة أكثر من حاجتهم للفناء لأنهم يضطرون عندما يكتظ بيت الصلاة بالمصلين إلى فرش الفناء والصلاة فيه فكان أولى بالمعمارى أن لا يجزىء هذه المساحة الصغيرة ، وأن يجعلها وحدة واحدة حتى تتسع لأكبر عدد من المصلين .

كذلك لا يمكن أن يكون المعمارى قد لجأ إلى وجود هذا الفناء لإنارة بيت الصلاة ، لأن مساحة بيت الصلاة صغيرة يمكن أن تنيرها نافذة صغيرة دون الحاجة إلى فناء بكل هذا الاتساع ـ بالنسبة لحجم بيت الصلاة ـ فلم حرص المعمارى على وجود هذا الفناء ؟

إذا رجعنا إلى الموقع والبيئة التى يقع فيها هذا المسجد سنجد إجابة عن هذا السؤال ونعلم أن التخطيط على هذا النحو هو تخطيط موافق لمقتضى الواقع الذى يحيط بهذا المسجد فهذا المسجد (المشهد) كان يقع بقرافة السيدة نفيسة فى مكان منعزل وسط الأضرحة والمدافن وكان هذا المكان ـ أغلب الظن ـ خالى من الدور السكنية ونستنتج ذلك مما رواه المقريزى من أن أبو تراب وزير الخليفة الحافظ قد أخفى ابنا للخليفة الآمر كانت أمه قد حملته من الخليفة الآمر قبل قتله فى مسجد رقية ، وكانت المرضعة ترضعه وترعاه فيه ، وأن دل ذلك على شىء فأنما يدل على انعزال هذا المسجد إلى الحد الذى جعل الوزير أبو تراب وزير الخليفة الحافظ يأمن فيه على ابن الخليفة الآمر من عيون الخليفة الحافظ ، ومن ناحية أخرى يدلنا هذا

النص على قلة عدد المصلين بهذا المسجد إلى الحد الذى جعل امرأة تقيم بداخله مع طفل ترضعه وترعاه ، وأغلب الظن كانت المنطقة المحيطة بالمسجد منطقة مخصصة للمدافن والمسجد بدوره مخصص لصلوات الجنائز ، وصلاة الوافدين لزيارة الأضرحة والمدافن إذا ما أدركهم وقت الصلاة فالقادمون لصلاة الجنازة أو لزيارة الأضرحة لا يشغلهم أمر هذا الطفل فحزنهم واهتمامهم بموتاهم أكبر من أن يكترثوا معه بهذا ــ وكان الفاطميون يفضلون صلاة الجنازة فى الأماكن المكشوفة[1] بعيدا عن بيت الصلاة حتى لا تؤثر على طهارته ، ولذا حرص المعمارى على أن يشتمل المسجد على فناء كبير ، بل أكثر من ذلك فصل المعمارى بين بيت الصلاة والسقيفة التى تتقدمه من جهة الشمال ، وجعل وسيلة الاتصال بينهما مجرد فتحة باب يغلق عليها مصراعان خشبيان إذا ما أغلقا انعزل بيت الصلاة عن السقيفة ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن السقيفة أقرب إلى وظيفة الفناء منها إلى وظيفة بيت الصلاة ، أى أنها كانت تستخدم هى الأخرى فى صلوات الجنائز ، ويؤكد ذلك اشتمالها على محرابين إضافة للمحراب الخشبى المتنقل الذى كان يستخدم للصلاة فى الفناء .

ومن الظواهر الجديرة بالملاحظة والمناقشة فى هذا المسجد ظاهرة تعدد المحاريب إذ أشتمل هذا المسجد على صغر حجمه على خمسة محاريب مجوفة بالإضافة لمحراب خشبى متنقل ، وتعدد المحاريب فى حد ذاته ليس غريبا فهى ظاهرة موجودة فى مساجد كثيرة ، ولكنها بأسباب كاتساع المساحة ، أو تعدد المذاهب أو اثبات عمارة ، أو إصلاح بالمسجد ، أو تصحيح الاتجاه إذا ما ثبت خطأ المحاريب القديمة ، إلا أنه من الملاحظ أن (تعدد المحاريب) فى مشهد السيدة رقية لا يخضع لأى سبب من هذه الأسباب السابق ذكرها ، فالمسجد مساحته صغيرة جدا ، ولم يضع فيه أحد محرابا لإثبات إصلاح له به ، وكذا لم يضع فيه أحد محراباً لتصحيح اتجاه القبلة فيه ، بل الأعجب من ذلك أن المحاريب الخمسة الموجودة فى المسجد كلها تعود لعصر إنشاء المسجد وكلها خاطئة الاتجاه فكلها تتجه ناحية الجنوب فى حين أن الاتجاه الصحيح هو الجنوب الشرقى .

وعلى الرغم من غرابة ظاهرة المحاريب فى مشهد السيدة رقية إلا أنه بدراسة توزيع هذه المحاريب نلاحظ أن تعدد المحاريب بهذا المسجد وليد التخطيط والتقاليد المعمارية فلو بدأنا بالثلاثة محاريب الخاصة ببيت الصلاة نجد أن المعمارى قد أراد أن يشيد قبة أمام المحراب الرئيسى ومن ثم فقد أقام جدرانا أربعة حتى تحمل هذه القبة مما ترتب عليه أن أصبح بيت الصلاة مكونا من ثلاثة مربعات تتصل ببعضها من خلال فتحات تشبه فتحات الأبواب فأصبحت أشبه بثلاث حجرات متصلة فأصبحت كل مربعة فى حاجة إلى محراب خاص بها أما السقيفة التى تتقدم بيت الصلاة من جهة الشمال فهى منفصلة عنه ، ووسيلة الاتصال بينها وبين بيت الصلاة فتحة باب ضيقة ، ومن ثم كانت هذه السقيفة فى حاجة إلى محراب ، ولما كانت فتحة الباب هذه تتوسط جدار القبلة فى هذه السقيفة ، ولما كان مكان المحراب الطبيعى هو وسط جدار القبلة فقد قام المعمارى بعمل محرابين أحدهما على يمين فتحة الباب والآخر على يسارها حفاظا على سمة التماثل التى تميزت بها العمارة الإسلامية .

(٧) المقريزى : نفس المصدر . ص ٤٤٨ .

تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر

٨

تحقيق فضيلة الشيخ ابراهيم عطوه عوض

سـورة الأعـراف

مر السكت على آلمص لأبى جعفر

قرأ ابن عامر « يتذكرون » بياء بالغيب قبل التابع بتخفيف الذال ، والباقون بتاء واحدة خطابا ، وخفف الذال الإخوة « تخرجون » هنا مع « وكذلك تخرجون » فى الروم والزخرف « ولا يخرجون منها » فى الجاثية بفتح حرف المضارعة وضم الراء ووافقهم يعقوب وابن ذكوان هنا ، وابن ذكوان فى الزخرف ، واختلف عنه فى الروم ، والباقون بالضم وفتح الراء .

قرأ المدنيان وابن عامر والكسائى « ولباس التقوى » بنصب السين والباقون برفعها .

قرأ نافع « خالصة » بالرفع ، والباقون بالنصب .

قرأ شعبة « ولكن لا يعلمون » بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ أبو عمرو « لا تفتح لهم » بالتأنيث والتخفيف والإخوة بالتذكير والتخفيف ، والباقون بالتأنيث والتشديد .

قرأ ابن عامر « ما كنا لنهتدى » بلا واو ، والباقون بواو .

« أورثتموها » مر فى باب حروف قريب مخارجها .

قرأ الكسائى « نَعِمْ » حيث وقع بكسر العين ، والباقون بفتحها .

قرأ نافع والبصريان وعاصم وقنبل ــ بخلاف عنه ــ « أن لعنة الله » بإسكان النون مخففة ورفع « لعنة » والباقون بالتشديد والنصب .

« برحمة ادخلوا » مر فى البقرة .

قرأ ــ يعقوب والإخوة وشعبة « يغشى الليل » هنا وفى الرعد بتشديد الشين فيهما ، والباقون بتخفيفهما .

قرأ ابن عامر « والشمس والقمر والنجوم مسخرات » برفع الأربعة ، والباقون بنصبها وكسر « تاء » مسخرات .

ومر « وخفية » لشعبة فى الأنعام ، و« الريح » فى البقرة .

قرأ عاصم « بُشْرا » هنا وفى الفرقان والنمل بالباء الموحدة ، وضمها وإسكان الشين ، وابن عامر بالنون وضمها والإسكان ، والأخوان وخلف بالنون وفتحها والإسكان ، والباقون بالنون وضمها وضم الشين .

ومر « ميت » فى البقرة « وتذكرون » فى الأنعام ، وعن ابن وردان « لا يخرج » بضم الياء وكسر الراء .

قرأ أبو جعفر « نكدا » بفتح الكاف ، والباقون بكسرها .

قرأ أبو جعفر والكسائى « من إله غيره » بجر الراء وكسر الهاء حيث وقع ، والباقون بالرفع والضم .

قرأ أبو عمرو « أبلغكم » معًا هنا وفى الأحقاف بإسكان الباء وتخفيف اللام ، والباقون بالفتح والتشديد .

« بسطة » مر فى البقرة .

قرأ ابن عامر « وقال الملأ » فى قصة صالح بزيادة واو ، والباقون بلا واو .

« ائنكم » مر فى ــ الهمزتين من كلمة .

قرأ المدنيان والابنان بإسكان الواو ، والباقون بفتحها ، ومن نقل فهو على أصله .

قرأ نافع « عَلَيَّ أن لا » بتشديد الياء وفتحها ، والباقون بالألف حرف جر .

« أَرْجِهْ » مر فى هاء الكناية .

قرأ الإخوة « بكل سحار » هنا وفى يونس بوزن نحّار ، والباقون ساحر بوزن عالم .

« ائن لنا » مر فى الهمزتين من كلمة .

قرأ حفص « تلقف » حيث وقع بتخفيف القاف والباقون بتشديدها ومر تشديد التاء لابن كثير ، و« ءآمنتم » فى الهمزتين من كلمة .

قرأ المدنيان وابن كثير « سنقتل » بفتح النون وإسكان القاف وضم التاء مخففة ، والباقون بضم النون وفتح القاف وكسر التاء مشددة .

قرأ ابن عامر وشعبة « يعرشون » هنا ، وفى النحل بضم الراء ، والباقون بكسرها .

قرأ الأخوان بخلاف عن ادريس « يعكفون » بكسر الكاف والباقون بضمها .

قرأ ابن عامر « وإذ أنجاكم » بألف بعد الجيم بلا ياء ولا نون . والباقون « أنجيناكم » بياء ونون وألف بعدها .

قرأ نافع « يقتلون » بفتح الياء وإسكان القاف وضم التاء مخففة ، والباقون بضم الياء وفتح القاف وكسر التاء مشددة .

« ووعدنا » مر فى البقرة .

[واختلف فى (أرنى أنظر ، ولكن انظر) ذكرا فى البقرة(١)] .

قرأ الإخوة « دَكَّاء » هنا وفى الكهف بالمد والهمز ولا تنوين ، ووافقهم عاصم فى الكهف ، والباقون بالتنوين بلا مد ولا همز .

قرأ المدنيان وابن كثير وروح بـ « رسالتى » بالتوحيد والباقون بالجمع .

قرأ الإخوة « سبيل الرشد » بفتح الراء والشين ، والباقون بضم الراء وإسكان الشين .

قرأ يعقوب « وحليهم » بإسكان اللام وتخفيف الياء ، والباقون بكسر اللام وتشديد الياء وفَتَحَ [يعقوب](٢) الحاء . وكسرها الأخوان ، وضمها الباقون .

قرأ الأخوة « ترحمنا ربنا وتغفر لنا » بالخطاب فيهما ونصب باء « ربنا » والباقون بالغيب والرفع .

قرأ ابن عامر ــ والإخوة وشعبة « ابن ام » هنا وفى طه بكسر الميم ، والباقون بفتحها .

قرأ ابن عامر « آصارهم » بفتح الهمزة والصاد ثم ألف والباقون بكسر الهمزة وإسكان الصاد بلا ألف .

« نغفر » مر فى البقرة .

قرأ ابن عامر « خطيئتكم » بالإفراد ورفع التاء ، وأبو عمرو « خطاياكم » جمع تكسير ، والباقون « خطيئاتكم » جمع سلامة برفع التاء للمدنيَيْنْ ويعقوب ، وبكسرها للباقين .

قرأ حفص « معذرة » بالنصب والباقون بالرفع .

قرأ ابن عامر ــ إلا الداجونى عن هشام ــ « بِعذاب بِئْسٍ » بكسر الباء ثم همزة ساكنة والمدنيَّان والداجونى كذلك إلا أنهم أبدلوا الهمزة ياء ، واختلف عن شعبة فعنه فتح الباء(٣) ثم ياء ساكنة ثم همزة مفتوحة ، وعنه فتح الباء وكسر الهمزة ثم يا ساكنة ، وبه قرأ الباقون .

---

(١) ما بين المربعين سقط من المصورة ، وأتممناه من التقريب .

(٢) ما بين المربعين سقط من المصورة ، وأتممناه من التقريب .

(٣) عن التقريب .

« تاذن » مر تسهيله للأصبهانى فى الهمز المفرد .

« أفلا تعقلون » مر فى الأنعام .

قرأ شعبة « يمسكون » بإسكان الميم وتخفيف السين ، والباقون بالفتح والتشديد .

قرأ ابن كثير والكوفيون « ذريتهم » هنا وفى ثانى الطور وفى يسۤ بلا ألف ، وبفتح التاء ، ووافقهم أبو عمرو فى يسۤ بلا ألف والباقون بألف وكسر التاء فى الثلاثة .

قرأ أبو عمرو « ان يقولوا ، ـ أو يقولوا » بالغيب فيهما ، والباقون بالخطاب .

« يلـــــهث » ذلك مر فى حروف قريب مخارجها .

قرأ حمزة « يلحدون » هنا وفى النمل وفصلت بفتح الياء والحاء ووافقه الكسائى وخلف فى النحل ، والباقون بضم الياء وكسر الحاء فى الثلاثة .

قرأ المدنيان والابنان « ونذرهم » بالنون ، وبالباقون بالياء والأخوة بجزم الراء ، والباقون بالرفع .

« أنَا إلَّا » مر لقالون فى البقرة .

قرأ المدنيان وشعبة « شركا » بكسر الشين وإسكان الراء منونا بلا مد ولا همز ، والباقون بالضم والفتح والمد وهمزة مفتوحة بلا تنوين .

قرأ نافع « لا يتبعوكم » هنا « ويتبعهـــم الغاوون » فى الشعراء بإسكان التاء وفتح الباء ، والباقون بفتح التاء مشددة وكسر الباء .

قرأ أبو جعفر « يبطشون » هنا و « يبطش » فى القصص و « نبطش » فى الدخان بضم الطاء ، والباقون بكسرها .

واختلف عن السوسى فى « ولى الله » فعنه حذف الياء المخففة والاقتصار على المشددة مفتوحة ومكسورة ، وعنه إثباتهما ، ومعا مع كسر المشددة وبه قرأ الباقون .

قرأ ابن كثير والبصريان والكسائى « طيف » بياء ساكنة بين الطاء والفاء بلا همز ولا ألف ، والباقون بألف بعد الطاء ثم همزة مكسورة .

قرأ المدنيان « يمدونهم » بضم الياء وكسر الميم ، والباقون بالفتح والضم .

« قُرِئَ » مرَّ لأبى جعفر فى الهمز المفرد ، و « القرآن » لابن كثير[1] .

ياءاتها المضافة سبع

حرم ربى الفواحش ـ إنى أخاف ـ بعدى أعجلتم ـ فأرسل معى ـ إنى اصطفيتك ـ اياتى الذين ـ عذابى أصيب .

وزوائدها ثنتان : ثم كيدون ـ تنظرون ، ومر حكم الأمرين .

ســـورة الأنفـــال

قرأ المدنيان ويعقوب « مردفين » بفتح الدال والباقون بكسرها .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « يغشاكم » بفتح الياء وإسكان الغين وفتح الشين ثم ألف ، « النعاس » بالرفع والمدنيان بضم الياء وإسكان الغين وكسر الشين ثم ياء ونصب النعاس ، وكذا الباقون إلا أنهم ـ فتحوا الغين وشددوا الشين .

ومر « الرعب » و « لكن الله » معا فى البقرة ، و « رمى » فى الإمالة .

---

(١) فى المصورة « ومروى لأبى جعفر والقرآن لابن كثير » ولا معنى واضح له .

قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو « موهن » بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين ونصب « كيد » وحفص بالإسكان والتخفيف بلا تنوين ، وجر « كيد » ، والباقون كذلك لكن بالتنوين ـ ونصب « كيد » .

قرأ المدنيان وابن عامر وحفص « وأن الله » بفتح الهمزة والباقون بكسرها .

ومر « ولا تولوا » في البقرة ، و« يميز » في آل عمران .

قرأ رويس « بما يعملون بصير » بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ ابن كثير والبصريان « بالعدوة » بكسر العين ، والباقون بضمها .

قرأ المدنيان ويعقوب وخلف والبزى وشعبة وقنبل ـ بخلاف عنه ـ « من حَيِيَ » بياءين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة والباقون بياء واحدة مفتوحة مشددة .

« ترجع الأمور » ، ولا تنازعوا قرأ في البقرة .

قرأ ابن عامر « إذ تتوفى » بالتأنيث وهشام يدغم على أصله ، والباقون بالتذكير .

قرأ ابن عامر وحمزة وادريس ـ بخلاف عنه ـ « ولا يحسبن » هنا « ولا يحسبن » في النور بالغيب ، ووافقهم أبو جعفر وحفص هنا ، والباقون بالخطاب فيهما .

قرأ ابن عامر « انهم لا يعجزون بفتح الهمزة » ، والباقون بكسرها .

قرأ رويس « يرهبون » بفتح الراء وتشديد الهاء ، والباقون بالإسكان والتخفيف .

قرأ شعبة « للسلم » هنا « وإلى السلم » في القتال بكسر السين ووافقه في القتال حمزة وخلف ، والباقون بفتحها .

قرأ الكوفيون والبصريان « وان يكن » بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ عاصم وحمزة وخلف « ضعفا » بفتح الضاد والباقون بضمها وأبو جعفر بفتح العين والمد وبهمزة مفتوحة ، والباقون بضمها بإسكان العين منونا بلا مد ولا همز .

قرأ الكوفيون « فإن يكن » بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ أبو جعفر والبصريان « ان تكون » بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

قرأ أبو جعفر « أسارى والأسارى » بفتح الهمزة فيهما وألف بعد السين ، ووافقه أبو عمرو في الأسارى ، والباقون بفتح الهمزة وإسكان السين بلا ألف بعدها .

قرأ حمزة « من ولايتهم » هنا و« هنالك الولاية » في الكهف بكسر الواو فيهما ، ووافقه الكسائى ، وخلف في الكهف ، والباقون بالفتح فيهما .

ياءاتها المضافة ثنتان

إنى أرى انى أخاف ومر حكمهما .

ســـورة التوبــة

« أئمة » مر في الهمزتين من كلمة .

قرأ ابن عامر « لا إيمان لهم » بكسر الهمزة ، والباقون ـ بفتحها .

وعن رويس نصب « ويتوب الله » .

قرأ البصريان وابن كثير « مسجد الله » الأولى بالإفراد والباقون بالجمع .

« يبشرهم » مر في آل عمران .

قرأ ابن وردان من طريق « سقاة الحاج وعَمَرَةَ المسجد » بضم السين وحذف الياء ، وبفتح العين

والميم بلا ألف ، والباقون بكسر السين وبياء مفتوحة بعد الألف ، وكذا ابن وردان من بقية طرقه .

قرأ شعبة « وعشيراتكم » بالجمع ، والباقون وعشيرتكم بالإفراد .

قرأ عاصم والكسائى ويعقوب « عزير ابن » بالتنوين مكسورا وصلا ، والباقون بلا تنوين .

« يضاهون » مر فى الهمز المفرد .

قرأ أبو جعفر اثنا عشر ، وأحد عشر ، وتسعة عشر بإسكان العين فيها فيمد ألف « اثنا » ، وعن ابن وردان حذفها ، والباقون بفتح العين .

« النسيى » مر فى الهمز المفرد .

قرأ الإخوة وحفص « يضل به » بضم اياء وفتح الضاد ، ويعقوب بضم اليا وكسر الضاد ، والباقون بفتح الياء وكسر الضاد .

« ليواطئوا ويطفئوا » مرّا لأبى جعفر .

قرأ يعقوب « وكلمة الله » بنصب التاء ، والباقون برفعها « كَرْهًا » مر فى النساء .

قرأ الإخوة « تقبل » بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ يعقوب « أو مدخلا » بفتح الميم وإسكان الدال مخففة ، والباقون بضم الميم وفتح الدال مشددة .

قرأ يعقوب « يلمزك ، ويلمزون ، ولاتلمزوا » بضم الميم فى الثلاثة ، والباقون بكسرها .

أُذُن مر لنافع فى البقرة .

قرأ حمزة « ورحمة للذين » بالجر والباقون بالرفع .

قرأ عاصم « يعف » بنون مفتوحة وضم الفاء « نعذب » بالنون وكسر الذال « طائفة » بالنصب ، والباقون بيا مضمومة وفتح الفاء « تعذب » بتاء مضمومة وفتح الذال « طائفة » بالرفع .

« المؤتفكات » مر فى الهمز المفرد .

قرأ يعقوب « المعذرون » بإسكان العين وتخفيف الذال والباقون بفتح العين وتشديد الذال .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « دائرة السوء » هنا وفى الفتح بضم السين والباقون بفتحها .

« قربة » مرّلورش .

قرأ يعقوب « والأنصار والذين اتبعوهم » برفع الراء ، والباقون بجرها . قرأ ابن كثير « تجرى من تحتها » الأخير بزيادة (من) وجر تاء تحتها ، والباقون بغير (من) وفتح التاء ، قرأ الإخوة وحفص « ان صلاتك » بالافراد وفتح التاء ، والباقون بالجمع والكسر .

« مرجئون » مر فى الهمز المفرد ، قرأ المدنيان وابن عامر « الذين اتخذوا » بلا واو وقبل الذين ، والباقون بالواو .

قرأ نافع وابن عامر « أسس » بضم الهمزة وكسر السين « بنيانه » بالرفع فيهما ، والباقون بفتح الهمزة والسين ونصب نون « بنيانه » .

ومر « جُرُف » فى البقرة و« هار » فى الإمالة .

قرأ يعقوب « إلى أن » بتخفيف اللام يجعله حرف جر والباقون بالتشديد يجعله حرف استثناء .

قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة ويعقوب وحفص « تقطع » بفتح التاء والباقون بضمها .

ومر « تقتلون ويقتلون » فى آل عمران و« إبراهام » و« العسرة » فى البقرة .

قرأ حمزة وحفص « كاد تزيغ » بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

« يطئون موطئا » مر لأبى جعفر فى الهمز المفرد .

قرأ حمزة ويعقوب « أو لا ترون » بالخطاب والباقون بالغيب .

يا ءاتها المضافة ثنتان

معى أبدا ـ معى عدوا ومر حكمهما .

سورة يونس عليه السلام

مر سكت أبى جعفر على (الر) وإمالة الراء فى بابهما[1] ، و « لساحر » فى المائدة .

قرأ أبو جعفر « حقا انه » بفتح الهمزة ، والباقون بكسرها .

« ضياء » مر لقنبل فى الهمز المفرد .

قرأ ابن كثير والبصريان وحفص « يفصل » بالياء ، والباقون بالنون .

و « اطمأنوا » مر للأصبهانى فى الهمز المفرد .

قرأ ابن عامر ويعقوب « لقَضَى » بفتح القاف والضاد . « أجَلَهم » بالنصب والباقون بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء ورفع أجَلُهم .

قرأ ابـــن كثير ـ بخلاف عن البـــزى ـ « ولا أدراكم » و « لأقسم بيوم القيامة » بحذف الألف بعد اللام ، والباقون بإثباتها .

قرأ الإخوة « عما يشركون » هنا ، وفى موضعى النحل وفى الروم بالخطاب .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر « ينشركم فى البر » بفتح الياء ونون ساكنة بعدها[2] وياء مكسورة مشددة .

قرأ حفص « متاع » بالنصب ، والباقون بالرفع .

قرأ ابن كثير ويعقوب والكسائى « قطعا » بإسكان الطاء ، والباقون بفتحها .

قرأ الإخوة تتلوا بتائين ، والباقون بتاء وياء .

كلمات مر فى الأنعام .

قرأ الابنان وورش وأبو عمرو فى ـ أحد وجهيه ـ « امن لا يهدى » بفتح الياء والهاء وتشديد الدال ، وأبو جعفر ـ بخلاف عن ابن جماز ، وقالون بخلاف عنه كذلك لكنهما سَكَّنَا الهاء ، والإخوة بفتح الياَء وإسكان الهاء وتخفيف الدال ، ويعقوب وحفص بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ، وشعبة كذلك لكنه كسر الياء ، وأبو عمرو وقالون وابن جماز ـ فى وجههم الثانى ـ باختلاس الفتحة .

ومر « ولكن الناس » فى البقرة « ونحشرهم كأن » لحفص فى الأنعام .

والآن فى المد والهمزتين ومن كلمة والنقل[3] .

قرأ رويس « فلتفرحوا » بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ أبو جعفر وابن عامر ورويس « تجمعون » بالخطاب ، والباقون بالغيب .

ومر « أرأيتم » فى الهمز المفرد ، و « ءآلله » فى الهمزتين من كلمة .

قرأ الكسائى « وما يعزب » هنا وفى سبأ[4] الزاى ، والباقون بضمها [وصحته : وفى سبأ بكسر الزاى]

قرأ يعقوب وحمزة وخلف « ولا أصغر من ذلك ولا أكبر » برفع الراء فيهما ، والباقون بنصبها .

---

(١) أى الفتح والإمالة .... المحقق .

(٢) فى التقريب : وشين معجمة مضمومة ، والباقون بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة .

(٣) سقط من الأصل والتتمة من التقريب ما يأتى :
يا ءاتها المضافة خمس : « لى أن » ، « إنى أخاف » ، « نفسى أن » « ربى أن » بلى ذلك .. « أجرى إلا » التى وردت وحدها فى الأصل .

(٤) كذا فى الأصل .

قرأ رويس ــ بخلاف عنه ــ « فأجمعوا » بوصل الهمزة وفتح الميم ، والباقون بقطع الهمزة وكسر الميم .

قرأ يعقوب « وشركاءكم » بالرفع ، والباقون بالنصب .

قرأ شعبة بخلاف عنه « ويكون لكما » بالتذكير والباقون بالتأنيث .

ومر « سحار » فى الأعراف ، و« به السحر » فى الهمزتين من كلمة « وليضلوا » فى الأنعام .

قرأ ابن عامر ــ إلا الحلوانى عن هشام ــ « ولا تتبعان » بتخفيف النون ، والباقون بتشديدها .

قرأ الاخوة « انه لا » بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها .

ومر « الآن » فى المد والهمزتين من كلمة والنقل[٢] « تنجيك » و« كلمات » فى الأنعام و« فسئل » فى النقل ، و« أفأنت » فى الهمز المفرد .

قرأ شعبة « ويجعل » بالنون ، والباقون بالياء .
« ننجى » معا « رسلنا » مرا .

يا ءاتها المضافة (٣)
« أجرى إلا »

وزاوئدها واحدة « ينظرون » ومرحكم الأمرين .

سورة هود عليه السلام

السكت والإمالة فى « الرا » مرا ، ومر « وان تولوا ، فإن تولوا » لابن كثير ، ويضعف فى البقرة ، و« ساحر » فى المائدة .

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة « انى لكم » فى قصة نوح بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها « بادىء » مر فى الهمز المفرد .

قرأ الاخوة وحفص « فَعُمِّيَتْ » بضم العين وتشديد الميم ، والباقون بفتحها .

قرأ حفص « من كل » هنا ، وفى المؤمنون بالتنوين ، والباقون بدونه .

قرأ الإخوة وحفص « مجراها » بفتح الميم ، والباقون بضمها ، وهم فى الإمالة على ما مر فى بابها .

قرأ حفص « يا بنى » بفتح الياء فى المواضع الستة ، ووافقه شعبة هنا ، والبزى فى الأخير من لقمان « يا بنى أقم الصلاة » ، وخفف قنبل الياء وسكنها منه ، وكذا ابن كثير فى الأول منها « يا بنى لا تشرك » ولم يختلف عنه فى الأوسط منها « يا بنى انها » بل قرأه بكسر الياء وتشديدها ، وبه قرأ الباقون بالجميع .

ومر « اركب معنا » فى الادغام الصغير ، « وقيل ، وغيض » فى البقرة .

قرأ الكسائى ويعقوب « انه عمل » بكسر الميم وفتح اللام « غيرَ » بالنصب ، والباقون بفتح الميم ورفع اللام منونة ، ورفع « غَيْرُ » .

قرأ المدنيان والابنان « فلا تسألن » بفتح اللام وتشديد النون والباقون بإسكان اللام والتخفيف ، وابن كثير والداجونى عن هشام بفتح النون والباقون بكسرها .

قرأ المدنيان والكسائى « من خزى يومئذ » هنا و« من عذاب يومئذ » فى المعارج بفتح الميم ، والباقون بكسرها .

---

(٢) فى ضوء ما سبق الأولى أن تكون العبارة : ومر « الآن » ــ فى الهمزتين من كلمة ــ المد والنقل .

(٣) سقط من الأصل والتتمة من التقريب ما يأتى :

يا ءاتها المضافة خمس : « لى أن » ، « إنى أخاف » ، « نفسى أن » « ربى أن » بلى ذلك .. « أجرى إلا » التى وردت وحدها فى الأصل .

قرأ حمزة ويعقوب وحفص « إن ثمود » هنا و« عادا وثمود » فى الفرقان و« ثمود وقد » فى العنكبوت و« ثمود فما » فى النجم بترك تنوين ثمود فيها ، والباقون بالتنوين ووافقهم شعبة فى النجم بخلاف عنه .

قرأ الكسائى « لثمود » بالكسر والتنوين ، والباقون بالفتح بلا تنوين .

قرأ الأخوان « قال سِلْمٌ » هنا وفى الذاريات بكسر السين وإسكان اللام بلا ألف ، والباقون بفتح السين واللام ثم ألف .

قرأ ابن عامر وحمزة وحفص و « يعقوبَ » بالنصب والباقون بالرفع .

ومر « رَأى » فى الإمالة و« سيىء ، وسيئت[1] » فى البقرة .

قرأ المدنيان وابن كثير « فاسر » هنا وفى الحج والدخان و« أن أسر » فى طه والشعراء بوصل الهمزة وبكسر النون للساكنين وصلا فى من « أنِ »[2] وتبدأ الهمزة بالكسر ، والباقون بقطع الهمزة مفتوحة .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن جماز من طريق « إلا امرأتك » بالرفع والباقون بالنصب .

قرأ الإخوة وحفص « اصلاتك » بالافراد والباقون « أصلواتك » بالجمع .

ومر « مكاناتكم » لشعبة فى الأنعام و« لاتكلم » لابن كثير فى البقرة .

قرأ الإخوة وحفص « سعدوا » بضم السين ، والباقون بفتحها .

قرأ نافع وابن كثير وشعبة « وان كلا » بإسكان النون مخففة ، والباقون بتشديدها .

قرأ أبو جعفر وابن عامر ، وعاصم وحمزة « لما » هنا وفى الطارق وابن عامر وعاصم وحمزة وابن جماز « لما جميع » فى يس ، وعاصم وحمزة وابن جماز وهشام ـ بخلاف عنه ـ « لما متاع » فى الزخرف بتشديد الميم ، والباقون بتخفيفها .

قرأ أبو جعفر « وزلفا » بضم اللام ، والباقون بفتحها .

قرأ ابن جماز « أولُوابَقِية » بكسر الباء وإسكان القاف وتخفيف الياء ، والباقون بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء .

ومر « يرجع الأمر » فى البقرة ، و« عمّا يعملون » فى الأنعام .

يا ءاتها المضافة ثمانى عشرة

« إنى أخاف » الثلاثة ، « إنى أعظك » « إنى أعوذ » « شقاقى ان » « عنى إنه » « انى إذا » « نصحى ان » « ضيفى أليس » « أجرى إلا » معا « أرهطى أعز » « فطرنى أفلا » « ولكنى أراكُم » « وإنى أراكم » « إنى أُشْهِد الله » « توفيقى إلا » .

وزوائدهـا أربـع : « فلا تسألـن ـ ثم لا تنظرون ـ ولا تخزون ـ يوم يأت ـ ومر حكم الأمرين .

سورة يوسف عليه السلام

السكت والإمالة فى « آلر » مرا .

« قرآنا » لابن كثير .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر « يا أبت » حيث جاء بفتح التاء ، والباقون بكسرها ومر الوقف عليها فى بابه .

« وإنى رأيت ـ ورأيتهم لى » فى الهمز المفرد .

وأحد عشر لأبى جعفر فى التوبة .

---

(١) أى حكمهما .

(٢) أى وصلا فى من (أنِ اسْرِ) إذا بدأت تبدأ بكسر الهمزة .

و« يا بنى » فى هود ، و« رؤياك ورؤياى والرؤيا » فى الهمز المفرد والإمالة .

قرأ ابن كثير « آية » بالإفراد ، والباقون « آيات » بالجمع .

قرأ المدنيان « غيابات » معا بالجمع ، والباقون غيابة بالإفراد .

« تأمنا » فى الإدغام الكبير .

قرأ الابنان وأبو عمرو « نرتع ونلعب » بالنون فيهما ، والباقون بالياء ، وكَسَرَ العينَ من « يرتع » المدنيان وابن كثير ، وأثبت قنبل فيها الياء فى الحالين ـ بخلاف كما مر ، والباقون باسكان العين ومر « ليحزننى » لنافع فى آل عمران ، و« الذئب » فى الهمز المفرد .

قرأ الكوفيون « يا بشرى » بلا ياء إضافة ، والباقون بالياء مفتوحة ، ومر اختلافهم فى إمالتها .

قرأ المدنيان وابن ذكوان « هَيْتَ لك » بكسر الهاء وفتح التاء بلا همز ، واختلف عن هشام : فعنه ـ من طريق الحلوانى ـ ذلك إلا أنه هَمَزَ ، ومن طريق الداجونى كسر الهاء والهمز وضم التاء ، وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وضم التاء بلا همز ، والباقون بفتح الهاء والتاء بلا همز .

قرأ الكوفيون « المخلصين حيث جاء و« مخلصا » فى مريم بفتح اللام ، ووافقهم المدنيان فى « المخلصين » والباقون بالكسر فيهما .

« الخاطئين ، ومتكأ » مرا فى الهمز المفرد .

قرأ أبو عمرو « حاشا » معا بألف بعد الشين وصلا ، والباقون بحذفها ، واتفقوا على حذفها وقفا .

قرأ يعقوب « رب السجن » بفتح السين ، والباقون بكسرها .

« ترزقانه » مر فى هاء الكناية .

قرأ حفص « دأبا » بفتح الهمزة ، والباقون بإسكانها .

قرأ الإخوة « تعصرون » بالخطاب ، والباقون بالغيب .

« بالسوء إلّا » مر فى الهمزتين من كلمتين .

قرأ ابن كثير « حيث نشاء بالنون » ، والباقون بالياء .

قرأ الإخوة وحفص « لفتيانه » بألف بعد الياء ونون مكسورة بعدها والباقون بتاء مكسورة بعد الياء بلا ألف .

قرأ الإخوة « يكتل » بالياء والباقون بالنون .

قرأ الإخوة وحفص « حافظا » بألف بعد الحاء وكسر الفاء ، والباقون « حِفْظا » بكسر الحاء وإسكان الفاء بلا ألف .

قرأ يعقوب « نرفع درجات من نشاء » بالياء فيهما ، والباقون بالنون .

ومر تنوين « درجات » للكوفيين فى الأنعام ، و« استيأسوا » وما جاء منه فى الهمز المفرد ، و« يا أسفى » فى الإمالة والوقف و« إنك لأنت يوسف » فى الهمزتين من كلمة .

ومر أيضا « خاطئين ، ورؤياى ، وكأين » .

قرأ حفص « نوحى إليهم » هنا وفى النحل والأنبياء ، و« نوحى إليه » فى الأنبياء بالنون وكسر الحاء ، ووافقه فى « نوحى إليه » الإخوة ، والباقون بالياء وفتح الحاء .

« أفلا تعقلون » مر فى الأنعام .

قرأالكوفيون وأبو جعفر « قد كذبوا » بالتخفيف ، والباقون بالتشديد .

قرأ ابن عامر ويعقوب وعاصم « فنجى » بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء ، والباقون بنونين الثانية ساكنة مخفاة وتخفيف الجيم وإسكان الياء .

يا ءاتها المضافة

اثنتان وعشرون : « ليحزننى أن ، ربّى أحسن ، أرانى أعصر ، أرانى أحمل ، إنى أرى ، أنا أخوك ، أبى أو ، إنى أعلم ، أنى أو فى ، حزنى إلى ، وبين إخوتى أن ، سبيلى أدعوا ، إنى أرانى — معا — وربى إنى ، نفسى إن ، رحم ربى إن ، لى أبى ، ربى إنه ، بى إذ ، ءابائى إبراهيم ، لعلى أرجع » .

وزوائدها : « ست : فأرسلون ، ولا تقربون ، تفندون ، حتى تؤتون ، يرتع ، ويتق » ومر حكم الأمرين .

ســـورة الرعـــد

السكت والإمالة فى « المر ، يغشى » مر فى الأعراف .

قرأ البصريان وابن كثير وحفص « وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان » برفع الأربعة ، والباقون بجرها .

قرأ يعقوب وابن عامر وعاصم « يُسْقى » بالتذكير والباقون بالتأنيث .

قرأ الاخوة و« يفضل » بالياء ، والباقون بالنون .

ومر الأكل فى البقرة ، و« إن تعجب فعجب » فى الادغام الصغير و« ائِذا ، ائِنا » فى الهمزتين من كلمة ، و« هادٍ ، ووال ، وواق » فى الوقف لابن كثير .

قرأ الإخوة وشعبة « أم هل تستـــوى » بالتذكير ، والباقون بالتأنيث ، ومر فى فصله إدغامه .

قرأ الإخوة وحفص « توقدون » بالغيب والباقون بالخطاب .

« ييأس » مر فى الهمز المفرد .

قرأ الكوفيون ويعقوب « وصدوا » هنا ، « صدوا عن السبيل » فى غافر بضم الصاد ، والباقون بالفتح .

قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم « يثبت » بتخفيف الباء ، والباقون بتشديدها .

قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو الكافر بالافراد والباقون « الكفار » بالجمع .

زوائِدها : أربع : « المتعال ، مآب ، ومتاب ، وعقاب » ومر حكمها ..

ســـورة إبراهيـــم

السكت والإمالة فى آلر مرا .

قرأ المدنيان وابن عامر « الله الذى » برفع الهاء فى الحالين ، ووافقهم رويس فى الابتداء ، والباقون بالجر فى الحالين ، ومر « تأذن » فى الهمز المفرد ، و« سبلنا ، والريح » فى البقرة .

قرأ الإخوة « خالق » بالألف وكسر اللام ورفع القاف « السموات والأرض » بالجر ، وكذا « خالق كل دابة » فى النور ، والباقون « خَلَقَ » بفتح اللام والقاف بلا ألف ونصب[1] .

قرأ حمزة « بمصر فى » بكسر الياء ، والباقون بفتحها .

ومر « أكلها وخبيثة اجتثت » فى البقرة ، والقرار ، والبوار ، والقهار فى الإمالة .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « ليضلوا عن سبيله » هنا و« ليضل عن سبيل الله » فى الحج ولقمان ، و« ليضل عن سبيله » فى الزمر بفتح الياء فى الأربعة ، واختلف عن رويس فعنه فتحها هنا ، وفى الحج والزمر ، وضمها فى لقمان ، وعنه العكس ، والباقون بضمها فى الأربعة .

---

(١) ونصب أى السموات والأرض .... المحقق .

« لا بيع ولا خلال » مر فى البقرة .

قرأ هشام بخلاف عنه « أفئِدة من الناس » بياء بعد الهمزة هنا فقط ، والباقون بلا ياء ، وعن رويس من طريق [قراة][1] « إنما نؤخرهم » بالنون ، والباقون بالياء .

قرأ الكسائى « لتزول » بفتح اللام الأولى ورفع الثانية .

يا ءاتها المضافة

ثلاث « لى عليكم ، لعبادى الذين ، إنى أسكنت » .

وزوائدها ثلاث : « وخاف وعيد ، أشركتمونى ، وتقبل دعاء » ومر حكم الأمرين .

سور الحجر

السكت والإمالة فى آلر مرا .

قرأ المدنيان وعاصم « ربما » بتخفيف الباء والباقون بتشديدها .

و« يلههم » مر لرويس .

قرأ الإخوة وحفص « ما ننزل » بنونين : الأولى مضمومة والثانية مفتوحة وكسر الزاى .

« الملائكة » بالنصب .

وقرأ شعبة بتاء مضمومة وفتح النون والزاى [و] « الملايكة » بالرفع ، والباقون كذلك إلا أنهم فتحوا التا ، وابن كثير على أصله فى تشديد التاء .

قرأ ابن كثير « سكرت » بتخفيف الكاف ، والباقون بتشديدها .

ومر « الريح » فى البقرة « والمخلصين » فى يوسف .

قرأ يعقوب « عَلِيٌّ مستقيم » بكسر اللام ورفع الياء منونة والباقون بفتح اللام والياء بلا تنوين « جُزْءٌ » مرَّ فى البقرة لشعبة ، وفى الهمز المفرد لأبى جعفر .

قرأ رويس ـ بخلاف عنه ـ « وعيون . ادخلوها » بضم التنوين وكسر الخاء بالبناء للمفعول ، فالهمزة همزة قطع نقلت حركتها إلى ما قبلها ، والباقون بضم الخاء على أنه فعل أمر ، والهمزة همزة وصل .

ومر ضم عين « عُيُون » وكسرها وضم التنوين وكسره فى البقرة .

و« نَبِئْ عبادى » فى الهمز المفرد و« إنا نبشرك » لحمزة فى آل عمران .

قرأ نافع وابن كثير « فبم تبشرون » بكسر النون ، والباقون بفتحها ، وابن كثير شددها ، والباقون خففوها .

قرأ البصريان والكسائى وخلف « يقنط ، وتقنطون ، [ولقنطوا][1] » بكسر النون والباقون بفتحها .

ومر « لمنجوهم » فى الأنعام ، و« جاء آل لوط » فى الهمزتين من كلمتين ، والادغام الكبير .

قرأ شعبة « قدرنا » هنا وفى النمل بتخفيف الدال ، والباقون بتشديدها ، ومر « فأسر » فى هود و« فاصدع » فى النساء .

يا ءاتها المضافة

أربع : عبادى إنى أنا ، وقل إنى أنا ، بناتى إن .

وزوائِدها اثنتان : فلا تفضحون ، ولا تخزون ومر حكم الأمرين .

---

(١) كذا فى المصورة .... المحقق .

(١) كذا والصحيح : (لا تقنطوا) بالزمر .... المحقق .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

يطيب لمجلة الأزهر أن تضم ـ لأبوابها الثابتة ـ هذا الباب : « بين المجلة والقارئ » ليكون همزة الوصل بينها وبين قرائها ، ولقد سبق للمجلة أن قدمت هذا الباب لكنه سرعان ما اختفى حين تلقى المحرر من خلاله رسائل لا تمت إلى رسالة المجلة بصلة ، ورسالة المجلة يمكن إيجازها فى أنها « رسالة الأزهر بمختلف مؤسساته العلمية » وفيما تقدمه المجلة من دراسات إسلامية وأدبية وأبواب ثابتة خير دليل على الاضطلاع بهذه الرسالة .

وها نحن نعيد الباب آملين أن يُسهم ـ عن طريق القارئ ـ فى هذه الرسالة إيمانا منا بأن قارئ المجلة العلمية عادة رجل متخصص يهتم بمطالعتها وسبر حصادها وتقويم مادتها ، إنه أشبه بالأستاذ المشرف على الرسالة العلمية يتناول جيّدها ويشير إلى ما اعتراها من الأخطاء أو إلى ما كان يجب أن تتزود به بعض مباحثها من الدراسة والتحليل .

ولَكَمْ نرجو أن يشاركنا القارئ بجهده فى ميدانها إذا لزمه تعليق أو استفسار أو استفتاء أو اقتراح ، والتحرير من جانبه سوف يستقبل رسالته ويحتفى بها فى سبيل تلبية الرغبة . والله تعالى من وراء القصد .

طريق التضامن مع البوسنة والهرسك

وتلك رسالة قصيرة أرسلها السيد / عبد الله محمد عبدالله ـ المقيم بشارع الفجالة بالقاهرة ـ يستنهض بها همم الدول البترولية لإنقاذ شعب البوسنة والهرسك ، بعدما تسلط على رقاب أهلها الطغاه وانتهكوا حرماتهم وهتكوا أعراض نسائهم ، ولا تزال وكالات الأنباء توافينا كل يوم بهتكهم لأعراض المئات من المسلمات تحت سمع وبصر المجتمع الدولى والمسلمين أجمعين ، فهل إلى مرد من سبيل ؟

يتصور كاتب الرسالة طريقا لتضامن الدول البترولية المسلمة مع هذا الشعب المسلم ، وذلك من خلال عدة مقترحات أهمها :

١ ـ ضرورة مساعدتهم عسكريا دون الاقتصار على المال والغذاء والكساء .
٢ ـ قطع جميع العلاقات مع يوجوسلافيا ومع من يساندها من الدول الأخرى .
٣ ـ منع مرور سفنهم أو السفن المسافرة إليهم من قناة السويس .
٤ ـ وقف ضخ النفط عن الدول الكبرى للضغط على الصرب .
٥ ـ سحب الأرصدة العربية من البنوك الغربية أو التهديد بذلك .

كم بك يا مصر من المضحكات !!

وتلك كلمة من الكاتبة / عبير محمد عبد الواحد .. تتندر فيها من بعض المذيعات والفنانات اللاتى يحلو لهن أن يتناقل الناس أسماءهن ولو على حساب دينهن ، فتزعم واحدة أنه عرض عليها عدة « ملايين » لترتدى الحجاب وتدّعى الأخرى أنه عُرض عليها « مليون جنيه » لتكُفَّ عن أدوار الإغراء ، وفيما يلى نصُّ الكلمة :

تصيبنى نوبة من الضحك عندما أقرأ أن بعض المذيعات والفنانات عرضت عليهن ملايين الجنيهات حتى يتحجبن .. فاللاتى يدعين هذا الكلام هن من انتهى شبابهن الافتراضى . فإحدى مذيعات التليفزيون على سبيل المثال تجاوزت الخمسين من العمر ولكنها مازالت معتقدة أنها غضة صغيرة ، وأنها إذا شاهدها الرجال غير محجبة فسيسقطوا صرعى لإغرائها الفتاك ولذلك عرضوا عليها مليون ومائة ألف جنيه شهريا ثمنا لتحجبها !! وإحدى سيدات الشاشة المصرية تدعى أنهم قد

عرضوا عليها سبعة ملايين جنيه لتحجبها مع العلم بأنها سيدة تجاوزت الستين من العمر وغزت التجاعيد وجهها ، ولها حفيدة شابة تفوقها طولا .. وأنني بهذه المناسبة أحب أن أوضح شيئاً هاما ؛ وهو أن الحجاب لم يشرع إلا لحماية المرأة من ذوى القلوب الضعيفة الذين إن وقعت أبصارهم على مفاتنها يتصدون لها بالأذى . كما شرع لصيانتها وللنهوض بها إلى مرتبة رفيعة حتى لا ينظر إليها الرجال كجسد وإنما لينظروا إليها كإنسان متكامل يوازيهم ويكملهم ، ولذلك فإنه من الأجدر أن تمتثل المرأة لأوامر ربها وترتدى الحجاب وهى فى قمة الشباب حتى تحقق الغرض منه : ولكم أنظر بعين الشفقة إلى اللاتى بلغن من العمر أرذله ثم هممن بارتداء الحجاب فإنهن للأسف لم يستوعبن الهدف الأساسى للحجاب .. وسيظل ذووا الألباب يستغرقون فى الضحك عندما تخبرهم إحدى الطاعنات فى العمر بأنه قد عرض عليها مبلغ كذا لارتداء الحجاب . على الرغم من أن النكتة غاية فى السخافة وإنها تثير قفشات ونكات أكثر سخافة ، منها ما نسمعه عن إحدى الفنانات الطاعنات فى السن بأنه عرض عليها « مليون جنيه » حتى لا تؤدى أدوار الإغراء فى السينما مرة أخرى !!

دور الأزهر فى خدمة العرب والمسلمين

وهذه رسالة من أحد أبناء الأزهر تفيض حسرة ممن هان « الأزهر » عليهم فغضوا الطرف عن دوره الرائد واتهموه بالغيبة عن ساحة العمل فى البلاد ؛ فكانوا كمن أنكر ظهور الشمس فى وضح النهار .

فكتب الأستاذ / عبدالوهاب عبد المقصود برانية ـ المدرس بمعهد لقانة الثانوى بالبحيرة / دمنهور ـ مقالة طويلة يبرز فيها دور الأزهر عبر مسيرته الممتدة فى خدمة العرب والمسلمين ، ومما جاء فى ذلك قوله :

« إن رسالة الأزهر الشريف ودوره معروفان لدى كل مسلم وعربى يعرف تاريخ إسلامه وعروبته فى فتراته الزاهية .

لقد عاش الأزهر يؤدى رسالة الإسلام درساً وبحثا فكان للدعوة علما وهديا ، وللغة هذا الدين صيانة ونشراً .

عاش الأزهر للمسلمين كافة يقدم لهم كتاب الله العزيز وتفسير آياته ، وحديث رسول الله ـ ﷺ ـ وعلم هذا الحديث بكل فنونه ، وفقه هذا الدين من لسان أئمته البررة المتقين .

وحمل الأزهر دعوة الدين إلى الناس عن وعى وبصيرة علما بحاجاتهم وهديا إلى مطالبهم من

تصحيح خطأ فى الدين أو نفع بفقه فيه أو إعانة على إزالة عثرة تردى فيها مسلم فى نفسه أو ماله أو أهله أو ولده ، ونشر هذه العقيدة السمحة الجليلة ليؤمن بها قوم فيكونوا مسلمين .

هى دعوة هدفها إصلاح المدعوين وليس اتخاذهم وسيلة إلى هدف ليس من الدين فى شيء .

قام الأزهر يدعو إلى هذه الدعوة الطيبة بالحكمة والموعظة الحسنة ولم تقتصر رسالته على نشر دعوة الإسلام ؛ وإنما وقف الأزهر لكل دعوة باطلة بالمرصاد ينافح هذا الدين ، يحق الحق ويبطل الباطل .

وإنى لأشيد بدور الأزهر الشريف وعلمائه وشيوخه وأساتذته الأجلاء فى كشفهم النقاب عن هذه الدعوات الهدامة التى ظهرت للناس وكأنها الأمراض تفتك بهم فتكا وتفتنهم فى دينهم .

فكان الناس فى أشد الحاجة إلى من ينير لهم الطريق ، ويردهم إلى مفاهيم الإسلام ، ويبين لهم طريق الرشد من الغى كى لا تنزلق عقولهم فتهوى فى جحيم من الشتات الفكرى والمذهبى المتطرف .

قام الأزهر بكل هذا الدور ، وإن أبناءه وأبناء المسلمين لينشدون منه ـ مع ما يقوم به من جهد عظيم ـ أن يكثف الجهد فإنما أجره على الله .

وعلّم الأزهر لغة هذا الدين أجيالا فدرسوها بكافة فنونها وأحاطوا علما بأدبها فلانت بها ألسنتهم وشغفتها قلوبهم وانتشرت على أيديهم شرقا وغربا .

واستطاعوا بفضل إتقانهم لعلوم العربية ـ فى فترة من فترات الضعف وزحف تيار العامية الجارف ـ أن يوقفوا هذا التيار الذى يتهدد لغة الكتاب والسنة فأسرعوا بدافع من غيرتهم وإخلاصهم لدينهم وعروبتهم إلى مقاومة هذا الخطر وإيقاف استشرائه والعمل على تحصين الكتاب والسنة من خطر عدواه ؛ فاهتموا بتأليف المعاجم لتعين المتأدين على التفرقة بين الأصيل والدخيل وعلى تفهم استعمال الألفاظ ذات الدلالات المتعددة ، واهتموا بعلم النحو ليقضوا على شيوع اللحن .

إن أروع ما فى الأزهر أن « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين »[1] .

إنهم عظماء الرجال الذين رزقنا الله بهم ، حملوا مشاعل الدعوة وخاضوا من أجلها كل الصعاب وهم يستعذبونها ، جاهدوا الجهاد الأكبر بمحاربة كل من تسوّل له نفسه المساس بهذا الدين » .

وقد أسهب كاتب المقال بجهده المشكور فى إبراز دور الأزهر بطول البلاد وعرضها إنصافا للحقيقة حتى انتهى إلى قوله :

ولا يغنينا هؤلاء الذين أنكروا وينكرون دور الأزهر ويجحدون فضله طالما أنهم قلة وطالما أن الأزهر لا يعدم الكثرة التى تعرف له فضله وتحفظ له حقه ، وكما قال الشيخ الباقورى فى إحدى مقالاته .

وليس حق الأزهر أول حق محجور ولا فضله أول فضل منكور فما أكثر ماجحد الناس حتى خالق الناس فأنكروا نعمته عليهم وأطلقوا فيه ـ سبحانه ـ ألسنتهم » .

وقد تجتمع أهواءٌ على باطل فإذا الأزهر مجحود الحق منكور الفضل وربما قال فيه حتى أعرف الناس به ما قال مالك فى الخمر وما قالت الحرية فى الاستعمار » ، فالتاريخ الصادق لا ينكر دور الأزهر ورجاله فى خدمة العرب والمسلمين ... ولقد كان الجامع الأزهر ـ وسيظل ـ برلمان الأمة ، وعلماؤه العاملون نوابها الذين لا يبتغون جاهًا ولا ينتظرون أجرا .

دعوة القرآن الكريم إلى البحث والعلم

وتلك كلمة أخرى من الأستاذ / منتصر محمود مجاهد ـ الباحث بكلية البنات جامعة عين شمس ـ يتناول فيها أسبقية القرآن الكريم فى التأصيل للبحث العلمى ومناهجه ، وذلك من خلال دعوته الواضحة إلى تحصيل العلم وإعمال الفكر فى الظواهر الكونية ، على أن الكاتب يربط ذلك بعدة عوامل أتى بها وأسندها بالمراجع العلمية ليدلل على أن البحث العلمى ومناهجه لدى المسلمين لم يكن عفويا أو « مستوردا » ، إنما هو أصل من الأصول التى دعا إليها القرآن الكريم ، ويمكن إجمال ذلك فى عاملين :

١ ـ بعثة الرسول (ﷺ) والتى كانت حدا فاصلا بين الجهل والعلم ، لأن من صفاته أن يتلو الآيات ويزكى أتباعه ويعلمهم الكتاب والحكمة ، فكانت هذه الأوصاف من مهام بعثته . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ البقرة آية ١٢٩ .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة آية ٢ .

٢ ـ البيئة التى أعدها القرآن لمفكريه إعدادا يخالف ما كان عليه غيرهم من تهيئة ذهنية ونفسية ، فعلى الرغم من أنَّ الإنسان مفطور منذ بدء وعيه على البحث عن علل ما تدركه حواسه من الأحداث والكائنات ، إلا أن القرآن قد أنمى هذا الإدراك بما يوقظ الفكر ويحرر العقل من قيوده ، وذلك بدعوته إلى النظر فيما يدور حوله من ظواهر كونية وغير كونية ، فقال تعالى

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس آية ١٠١ .

كذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة آية ١٦٤ .

وبذلك يرجع الفضل فى نشأة الحركة العلمية وازدهارها فى صدر الإسلام وما تلاه من عصور إلى تعاليم القرآن الكريم ، فهو الذى حث على النظر والتأمل فى ملكوت السماوات والأرض ، وهو الذى حرر العقل من الأغلال والقيود لكى يبحث فى هذا الكون ، كما أنه لم يفرض على العقول نظرية علمية معينة بصدد أية ظاهرة من ظواهر الكون والحياة ، إنما اكتفى بالإلحاح فى دعوة الإنسان إلى تعليل هذه الظواهر واستجلاء حكم اتفاقها واختلافها والاستدلال بها على قدرة الخالق وعظمته » .

وفى النهاية نستطيع أن ندعم رؤية الكاتب بأن الحديث عن العلم فى القرآن لا يفى بعلوم الدين الفقهية فحسب إنما يفى بعلوم الدنيا كلها ، وكل ما يصل بنا إلى التمكن من تسخيرها والسيطرة عليها لتمثيل دين الله فى الأرض .

وهذه هى مهمة علماء الدنيا الذين يحسنون النظر فى آيات الله بالكون والوقوف على أسراره ، والأخذ بأيدينا إلى مدارك الارتقاء والتحضر بما يجعلنا ﴿ **خير أمة أخرجت للناس** ﴾ .

أخطار التدخين

وهذه رسالة تحذيرية من القارىء الأستاذ / جوهرى محمد جوهرى ـ المدير العام السابق بالشركة العربية للأدوية ـ يتناول فيها « شرب الدخان وأثره على النواحى الصحية » ، ويستشهد فيها على خطورته برأى شركات تصنيع الدخان نفسها ـ فيما تصنعه ـ وإجماع الأطباء على آثاره المدمرة ، فضلا عن نهى الإسلام عنه لإضراره بالنفس والمال ، يقول فيها :

أعتقد اعتقادا جازما أن التدخين حرام بدون كثير من البحث لأن [شركات الدخان فى جميع أنحاء العالم] وهى التى تنتج الدخان وتبيعه تعترف وتقر وتعلن باستمرار على جميع منتجاتها أن التدخين ضار جدا بالصحة .

وبما أن التحريم يدور مع الضرر ، فقد ثبت الضرر فعلا بسيد الأدلة وهو اعتراف المنتج ذاته

[شركات الدخان] فى العالم كله كما سبق ذكره أن التدخين ضار جدا بالصحة .

وكان يكفى ذلك لإثبات التحريم القطعى للتدخين ، ولكن سوف أوضح الآتى :

أولا – ما توصلت إليه من دراسة الكتب الطبية فى هذا الموضوع ، وكان عملى مجرد تجميع لأسماء الأمراض الخطيرة والقاتلة التى تهلك المدخنين من هذه المراجع ، فوصل عدد الأمراض التى جمعتها (وليس كلها) أكثر من ١٥٠ مرضا .

منها ٢٣ نوعا من أمراض السرطان مثل (سرطان الرئة والفم والشفة واللثة واللسان والحنجرة والمرىء والبنكرياس والحلق والبلعوم واللوز والكبد والمثانة والثدى (للمدخنات) مع ما سبق ... وغيره ولذلك قالوا أيها المدخن إنك تسير خطوة إلى كل أنواع السرطان المعروفة والمجهولة مع كل سيجارة تدخنها ، وتزيد فرص الإصابة بالقلب والضغط والسكر .

وقالوا : السيجارة = ذبحة+جلطة+ضغط = السرطان = الموت .

و٦٠ مرضا خاصة بالمرارة والنسل (بخلاف ما سبق وما لحق) .

مثل – العقم وكثرة الإجهاض والشيخوخة المبكرة والبرود الجنسى .

ومثل ولادة الأطفال الموتى ووفيات الأطفال .. وغيرها .

ولذلك قالوا : التدخين بنكل بالطفولة قبل الولادة وبعدها .

وقالوا : إن المدخنات يتاجرْن بمصير الأجنة ، ويتهاون بمستقبل الذريات القادمة .

وقالوا : إن تدخين الحامل جريمة لا تغتفر لأنه محاولة لقتل الجنين أو تشويهه .

و ٧٤ مرضا خاصة بجميع أجزاء الجسم من الرأس حتى القدم .

مثل أمراض القلب منها (جلطة القلب – السكتة القلبية) وجلطة المخ والسكتة الدماغية ومثل تليف الكبد – وعمى الألوان والربو والسل وفقد الصوت والطرش والعمى ... وغيرها .

ولذلك قالوا : كل هذا يدفعنا إلى المقارنة بين اللذة المؤقتة وأخطار التدخين طول العمر حتى الموت .

ونصحوا : خير لك أن ترضى الله ورسوله – ﷺ – من أن تتلذذ نفسك .

والحق أنَّ الإرادة هى الأساس للإقلاع عن التدخين إذا كان لها خلفية دينية .

ثانياً – كما توضح أبعاد وآثار الأضرار السابقة على مقومات وضرورات الحياة الخمس (النفس والمال والنسل والعقل والدين) التى إذا فقدت أو فقد واحد منها اختل نظام الحياة وعم الفساد فى الأرض وضاعت مصالح العباد ، مما يؤكد تحريم التدخين مما يلزم المحافظة على هذه الضرورات الخمس لصالح الدنيا والدين .

ومما يلى بيان أدلة التحريم لكل ما يضر مقومات وضرورات الحياة الخمس .

١ – فالتدخين حرام لأنه يضر النفس ، وقد أمرنا الله بحفظها فقال : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ .

٢ – والتدخين حرام لأنه يضر المال ، وقد أمرنا الله بحفظه فقال : ﴿ **ولا تبذر تبذيرا** ﴾ .

والتبذير هو إنفاق المال فى غير طاعة ولا منفعة مهما كان قليلا .

٣ ـ والتدخين حرام لأنه يضر النسل ، وقد أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ بحفظه فقال : (لا ضرر ولا ضرار) .

٤ ، ٥ ـ ومن يخالف أوامر الله ورسوله ـ ﷺ ـ فيضر ويهلك نفسه وماله ونسله باختياره عمدا فقد اختل عقله ومن كل ذلك يتأكد تحريم التدخين لأنه السبب الرئيسى لمئات الأمراض وليس له فائدة واحدة فاعتبروا يا أولى الأبصار ، واحموا أنفسكم وأموالكم وذريتكم وعقولكم ودينكم من الأخطار .

لاسيما بعد أن حسم الأمر بالتحريم لثبوت الأضرار المهلكة للصحة والمال معا .

الوجوه الشاحبة

وتحت هذا العنوان وردت إلينا قصيدة للشاعر/ محمد حسن داود عضو ندوة شعراء العروبة ، ونظراً لضيق المساحة المتاحة لشعر المجلة الذى يعالج موضوعات الساعة فقد رأينا نشرها فى هذا الباب لما اشتملت عليه من صور تعبيرية تتفق مع موسيقى الشعر وأعاريضه ، يقول فيها :

بعض الوجـــوه رأيتها متألقـــةْ … توحـــى بآمـــال ودنيـــا مشرقـــةْ
كم كانت الكلمات تنثر حكمـــة … رفت بلا صدق فتسقـــط محرقـــة
نصبـوا شراك حروفهم فتصيدوا … منها قلوبـــا لا تعـــى بالهرطقـــة
لعبـوا على كل الحبال ليكسبـــوا … فليفرحـوا كل النـــوارس موثقـــة
شادوا القصور على شواطىء نيلنا … والفقر ينشب مخلبـــا فى المنطقـــة

***

قد أطلقوا طير العدالة فى الضحى … وتصيـــدوا فى الليـــل كل محلّقـــةْ
قالوا .. فما صدقوا وكيف أردهم … ومقالتـــى مسجونـــة فى شرنقـــة
والمتخمـون تحدثـــوا واسترسلـــوا … فى حشد آلاف الجيـــاع المرهقـــة
متنـــاقضات لا سبيـــل لحصرهـــا … أصبحت أقرؤها وروحى مشفقة
فإلى متـــى هذا الخواء يلفنـــــا ؟ … والاخطبـــوط مسيطـــر بالمطرقـــة
فتحـوا لنا باب الكلام واقفلـــوا … آذانهم عن صرخـــة فى بوتقـــة

***

وثبـوا إلى شتى المنابـــر صحبـــة … وتخلـــف الابـــداع بين الأروقـــة
شتـــى العهـــــود تغيرت لكنهم … باقـــون فوق رقابنـــا كالمشنقـــة
فرضوا على جيل الأصالة عزلـــة … واستعملـــوا للـــزنج نارا محرقـــة
لكننـــا باقـــون حول جحيمهـــا … حتـــى نبشر بالزهـــور المونقـــة
وهيـاكل الشر البغيض ستختفـــى … وصفوفنـــا عبر الجهـــاد منسقـــة
فالعـــدل آتٍ لا محالـــة بيننـــا … حتى نشبت فى المحافـــل بيرقـــة

رفقاً ..!

كما وصلتنا قصيدة أخرى تحت هذا العنوان من الأديب الصاعد ـ بهجت صميدة خميس ـ بقرية قراقص مركز دمنهور ـ يدعو فيها إلى الموعظة بالحكمة واللين ، نجتزىء منها هذه الأبيات :

النـــاس مرضى يا أخـــا البُرحـــاء ... فكـن الـدواء ولا تكـــن كالـــداء
وكـن الطبـــيب لدائهـــم مترفقـــا ... أو كالنجـــوم تنير فى الظمـــاء
فإذا هداك الله نحو طريقـــــــه ... فاسلك سبيـــل الحق لا الغلـــواء
فنبيُّنـــا رغـــم اجتـــراءٍ للعـــدا ... ما كان إلا سيـــد الكرمـــاء
ما كان يؤذى من يخالـــف دينـــه ... ما بالنـــا والخُلْـــفُ فى الآراء
بالرفـــق يدعـــو للحنيفـــة والهدى ... ما كان جبـــاراً على الضعفـــاء
رفقاً أخى بالناس لا تك مفرطاً ... ما أجمل الواحـــات فى الصحـــراء

ردود خاصة بمشتركات المجلة

إلى الاخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ـ بنسخة واحدة شهرية ـ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الاخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ـ قسم الاشتراكات ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ ج. م. ع .

وعليهمَ الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

أنباء وآراء

مع الإمام الأكبر في حوار صحفي

فى حوار صحفى أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن الحوار والمواجهة هما أفضل الوسائل للقضاءعلى الفكر المتطرف فى المجتمع وأشار إلى أن علماء الأزهر لم يغيبوا عن الساحة فى تبصير المسلمين بأمور دينهم ودنياهم .

سئل فضيلته عن رأيه فى الهجوم الذى يتعرض له الأزهر هذه الأيام ، حقيقة الادعاءات التى تثار بين حين وآخر عن عدم قيام علمـاء الأزهـر بدورهم فى مقاومة الفكر المخالف للإسلام ، وعن فهم بعض الشباب للإسلام فهما خاطئا لدرجة التعصب ، وما السبيل لمواجهة المشكلة فأجاب : بالحوار والمواجهة والمصارحة .

وسئل فضيلته عن توحيد خطبة الجمعة فى المساجد وهل تحقق الهدف المنشود منها فأعلن أنه لا يوافق على ذلك ، وأن ذلك سيعيدنا إلى ديوان الخطب القديمة الذى كان يقرؤه الخطباء على المنابر ولا يسمعهم أحد لأنهم نيام !!

كذلك سئل عن الخارجين على صفوف الأمة الذين أساءوا فهم الإسلام والدعوة إليه وحاولوا نشر فكرهم بالقوة فقال : إنهم عصاة لا كفار ، ولا نحكم على مسلم ينطق بالشهادة بالكفر .

و عن رأيه فى المساجد التـى تقـام أسفـل العمارات هل يجوز إغلاقها واستبدالها بالمساجد الجامعة ؟ فقال : لا ، وطالب بنصح المصلين فيها بالصلاة فى المساجد الجامعة .

وفيما يلى نص الحوار السريع

● فى الهجوم الذى يتعرض له الأزهر الآن من بعض الأقلام ما رأى فضيلة الإمام .

● ●أجاب فضيلته :

كان ينبغى استطلاع رأى المهاجمين فى هذا السؤال : ماذا تنقمون من الأزهر ؟

إن أفضل إجابة للرد على هؤلاء أن أقول لهم : سيروا فى أرض مصر لتعرفوا أين الأزهر ، وأين مقامه ، ستجـدون معاهـد الأزهـر فى القـرى والنجوع وفى كل مكان ، وفيها العلماء يؤدون واجبهم ، ستجدون رجال الدعوة والإرشاد من وعاظ الأزهر فى كل مكـان فى المدارس ، فى المؤسسات الاجتماعية ، وبين المجندين سواء فى الأمن المركزى أو معسكرات القوات المسلحة ، وبين طلبة الجامعات ، وفى أندية الشباب .

مهمة الأزهر

● مهمة الأزهر تتلخص فى التعليم والدعوة ، وهو قائم لهذه المهمة دون ضجيج ولا إعلان ، لأنه ليس له وسائل إعلامية تنهض بهذا ، إنما له مجلة

أكاديمية هى مجلة الأزهر ، ترشد الناس .. قد لايهم أن يعرف الناس ماذا يصنع الأزهر ، لأن المسلمين يعرفون الأزهر سواء فى مصر أو فى خارجها .

لاأقصد بكلامى أن هناك أسرارا ، إنما يمكن الاتصال بأجهزة الأزهر المختلفة : إدارة المعاهد الأزهرية ، إدارة الدعوة والإرشاد ، للتعرف على أخبار وأنشطة علماء الأزهر .

شيخ الأزهر المستهدف

أما مسألة النقد الذى يوجه للأزهر فالملاحظ أن كل الذين ينتقدون يقولون : أين شيخ الأزهر ؟ حتى إن أحدهم كتب بالحرف الواحد : اين شيخ الأزهر ، (ماذا يريد بهذا التساؤل) ، وماذا يريدون من شيخ للأزهر ؟ هل تريدون منه ان يقود مظاهرة ؟

ربما ؛ فهل يستجيب شيخ الأزهر لمثل هذا المطلب ؟ أم يريدون ان أكتب مقالات لاتنشرها الصحف ؟ إن بيانات الأزهر بشأن الاحداث الجارية والمناسبات لاتنشر ، وإذا نشرت فهى تختصر فى مربع صغير ؛ فهل يرسل شيخ الأزهر كلماته كى لا تنشر ؟

ماذا يريدون إذن من شيخ الأزهر ؟

شيخ الأزهر قائم على أمور الأزهر ؛ ليس فى مصر فحسب وإنما فى مصر وخارج مصر ، واكرر مرة أخرى من أراد أن يعرف : ماذا يعمل الأزهر ؟ أنصحه أن يسير فى محافظات مصر ، ليرى بنفسه معاهد الأزهر وكلياته ونشاط علمائه ، ليعرف أين دور الأزهر ، والواقع هو الذى يتحدث وليست أية وسيلة أخرى .

الأزهر لايملك التليفزيون ، ولايملك الاذاعة ولايملك الصحافة .

لقد حضرت عدة لقاءات عامة فى محافظات مختلفة فى المنيا ، وأسيوط ، وقنا ، وتم تسجيل هذه اللقاءات ، ولم يذع منها أى لقاء ..! هل هناك رد أبلغ من هذا ؟

● **وردا على سؤال عن الأسلوب الأمثل والمناسب لتصحيح الفكر المخالف للإسلام .**

● ●قال فضيلة الإمام الأكبر : الحوار هو أفضل وسيلة لتصحيح الفكر الخاطىء ، ولابد أن يسفر عن نتيجة مرضية .

وأنا أذكركم بما حدث عام ١٩٨٢ ، عندما كان اللواء حسن أبو باشا وزيراً للدخلية ، واتبع أسلوب الحوار مع الجماعات ، وبدأت ندوة الرأى فى عقد الندوات ، وأثمر الحوار وقتها عن نتائج إيجابية جداً كنت وقتها وزيراً للأوقاف ، ورتبنا لقاءات متعددة مع الشباب ، وأوصينا العلماء بالصبر على الكلام الجارح الذى سيسمعونه ، وتركنا الأولاد يقولون كل ماعندهم ، ورددنا عليه ، وكانت الحوارات تذاع فى ندوة الرأى ، وكان لها أثر طيب فى نفوس الجميع .

الحوار عندما يتم تلقائيا يكون مثمرا ؛ الآن يحدث غير ذلك ، يأتينى العلماء المشاركون فى القوافل ويقولون : إن الأسئلة تكون مكتوبة مسبقاً ، ونجيب عليها أمام الناس ، وكانت آخر مرة حدث فيها هذا فى اللقاء الذى تم فى شبين الكوم ، ونصحت علماء الوعظ أن يصبروا على أن يوجه الشباب أسئلتهم بتلقائية فى أى موضوع لأننا لو تركنا الطلاب والشباب يسألون عما فى نفوسهم سيستريحون ويتقبلون الإجابات ، وبعد أن طبق علماء الوعظ نصيحتى عادوا ، وقالوا

لى : إن النتيجة طيبة والطلبة خرجوا من اللقاءات راضين هادئين .

الإيجاز أبلغ

وأنا دائما أنصح علماء الأزهر بأن يتبعوا أسلوب الإيجاز فى الكلام ، حيث لايزيد كلام الواحد منهم عن خمس دقائق ، وأترك الناس تسأل عما فى نفوسها فإن أسلوب الخطب لايجدى شيئاً .

توحيد خطبة الجمعة

● ما رأى فضيلتكم فى توحيد خطبة الجمعة على مستوى المساجد .

الإمام الأكبر

● ● هذا الأسلوب رجوع إلى ديوان ابن نباته أى نقرأ الخطبة من الكتاب ، فقد كان الخطباء فى السابق يقرأون خطب الجمعة من كتاب معد لذلك ، وبه خطب على مدار أسابيع السنة ، وكانت النتيجة أن الخطيب يقرأ الديوان والناس تنام فى المسجد .

فى رأيى أن نترك الخطباء يجتهدون ومن يخطىء نصحح له الخطأ ، ومن يتجاوز فى الكلام نقول له : هذا لايقال على المنبر ، وأن يكون حساب الأئمة والخطباء بمعرفة جهات عملهم ، لا بمعرفة جهات أخرى ، وقد كنت أطبق هذا النظام عندما كنت وزيراً للأوقاف حيث اشترطت عدم محاسبة أحد الأئمة إلا بمعرفة الأوقاف ، وممنوع على أى جهة أخرى محاسبته أو توجيه النقد له .

نحن أدرى بكيفية محاسبة الأئمة ، وأقدر على تصحيح أخطائهم وتوجيههم ، فعندما كانت تأتينى الشكوى ، وأطلب الإمام ، وأواجهه بالواقعة ، وأقول له : أنت تحدثت عن فلان من الناس وذكرت اسمه على المنبر بأسلوب فيه تجاوز ، فهل الشرع يوافق على ذلك ؟ وهل هذا هو المنهج الذى أقره الرسول ـــ ﷺ ـــ أم أنه كان يقول : «ما بال أقوام» ؛ قد كنت دائما أنصح الأئمة والوعاظ بعدم الخوض فى أعراض وأسماء الناس ، وأن يكتفوا بقول : «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» فالدعوة هى النهى عن وقائع لايقرها الشرع ، لاأذكر أشخاصا وأشهر بهم .

أهمية الحوار المباشر

● مامقومات الحوار الناجح فى رأيكم ؟

● ● بالجلوس مع الشباب ومناقشة فكره بحرية تامة ؛ وسبق أن قلت فى الجيزة : إذا كان هناك خوف من تجاوزات الشباب ضد العلماء ، فلا مانع من تأمين مكان الحوار ، وذلك بأن يجلس على مقربة من مكان الحوار بعض رجال الأمن ، لمنع الاعتداء على العلماء ، مثلا قد يكون بعض الشباب عصبيين فيمكن حماية العلماء منهم ، ولكن بشرط أن يكون هؤلاء العلماء جالسين بين الجمهور ، على مقربة منه .

لكن إغلاق المساجد ، وإخراج الشباب منها فأسلوب لايجدى .. الحوار المباشر أفضل علاج ، والمواجهة أحسن طريق لكشف المخطىء وعن طريقها نعرف اللص من المتدين ، وعندما يتضح لنا أن الشخص الذى نحاوره ليس عنده فكر ولاعقيدة يدافع عنها فليس إلا السجن ، وهو أسلوب النفى من الأرض الذى أقره الإسلام «أو ينفوا من الأرض» .

عصاة لا كفار

● ماحكم الإسلام فى الذين خرجوا على إجماع الأمة ، واعتنقوا فكراً مخالفاً ، وحاولوا نشره بالقوة ..؟

● ● قال : سألونى عن سلوك بعض الشباب الذى يجنح إلى العنف ، والسلاح ، والاعتداء على الآخرين وقالوا : أليسوا مرتدين ؟

قلت : لا .. ليسوا مرتدين كل من يقول : « لا إله إلا الله » مسلم ، ولا أستطيع الحكم عليه بالكفر . قالوا : وماحكمه ؟ قلت : عاص ، أنصحه وأوجهه وأقوّم سلوكه .

اعترضوا على كلامى ، وقالوا : كيف لايكونون كفاراً ؟ رددت عليهم : لو قلنا لهم : أنتم كفار فسيقولون لنا : بل أنتم الكفار ، وسنقع فى معركة فى تكفير بعضنا لبعض .

والحديث واضح فيمن يقول لأخيه المسلم ياكافر : « فقد باء بها أحدهما » .

قيل لى أيضا : إن الكتب الواردة من الخارج هى التى تشجع على نشر الفكر المتشدد لدى الشباب ، وهى التى تتسبب فى جنوح سلوك الشباب . قلت لهم : ومن الذى يسمح بدخول هذه الكتب إلى مصر ؟ هل عرضتم هذه الكتب على الأزهر وطلبتم معرفة الرأى فيها ؟ لم يحدث ذلك . وكل واحد قادم من الخارج يسمح له بحمل ماشاء من الكتب دون قيد أو شرط .

الأزهر وماتنشره الصحف

● لماذا لايرد الأزهر على الكتابات التى تهاجم الإسلام ؟ والتى يحاول كتابها تفسير بعض أمور الدين تفسيرا وفق أهوائهم ... ؟

● ● **فقال الإمام الأكبر :**

منذ أسبوعين كتب د. محمد أحمد خلف الله فى الأهالى عن الحلال والحرام . وكلفت أحد الأساتذة فى جامعة الأزهر بالرد عليه ، فكتب رداً عليه ، وأرسلناه إلى جريدة الأهالى فحجزوا المقال ، وسألوا حامله : هل الرد من مكتب شيخ الأزهر أم لا ؟ ولم ينشروا المقال إلا بعد أن علموا أنه مرسل من طرفى .

نحن لانترك مسألة تمس الدين تثار فى الصحف إلا ونرد عليها ، لكن ليس كل الردود يتم نشرها .

● مارأيكم فى المساجد التى أقيمت أسفل العمارات ، ومايثار الآن بشأن إغلاقها أو قصر الصلاة فيها على الصلوات الخمس دون صلاة الجمعة .. ؟

● ● **قال الإمام الأكبر :**

الكلام المثار حول هذه القضية خطأ ، وقد قلت هذا لوزير الأوقاف ، وأوضحت له أن فرض (المسجد الجامع) على الناس لن يكون مقبولا من المسلمين ..

وقد سبق أن أرسل لى بعض الأخوة من الإسكندرية يستفتونى فى هذه القضية فقلت لهم :

إذا كانت المساجد المقامة تحت المنازل قد أُقيمت بها الصلاة ، سواء الصلوات الخمس ، أو صلاة الجمعة تكون قد اكتسبت صفة المسجدية ووجب احترامها ، وإذا لم تتوافر لها صفة الجامع اعتبرت مصلى أو مصليات ولا تصح فيها الجمعة ، وكان على أهلها أداء صلاة الجمعة فى الجوامع الكبرى ، وننصحهم بذلك . ولايجوز إكراههم على إغلاقها من باب سد الذرائع بسبب الفتن التى

قد تستشرى إذا تم إغلاقها ، ومن قواعد الإسلام أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

وخروجا من الخلاف الفقهى فى شأن هذه المساجد ، نصحت أصحاب تلك المصليات التى لم تأخذ صفة «المسجد الجامع» أن يصلوا (الجُمَعْ) فى الجوامع الكبرى حيث يتحقق فيها معنى الاجتماع العام ، وأن ينأوا عن أسباب الفرقة والاختلاف .

وأنا لا أعتبر إنشاء هذه المساجد ظاهرة مرضية كما يقول البعض .. قد يكون إنشاؤها لأسباب دنيوية ، ولكنها بيوت فتحت للصلاة ، وتقام فيها شعائر الصلاة ، وأبوابها مفتوحة للمصلين . ما العيب فى هذا ؟ المهم أن نصون هذه الزوايا . انظر فيمن يعمل فيها ، ومن يتولى أمرها ، ومن الذى يخطب فيها .. أنظم هذه الأمور وبعد ذلك ستسير المسائل طبيعية ..

وفى اعتقادى أن الكلام حول إغلاق هذه الزوايا يزيد سوء الظن ، وسيترتب عليه مشاكل نحن فى غنى عنها ..

حرمة المساجد

● **لكن فضيلتكم مع الأصل الشرعى فى أن المسجد لايجوز البناء فوقه .. ؟**

نعم المسجد لا يكون مسجداً إلا إذا كان صالحاً للمسجدية .. أرضه وسقفه . فالزوايا أسفل العمارات ليست لها صفة المسجدية ، وليس لها حرمة الجامع ؛ لأن صاحب العمارة يتصرف فيها كيفما يشاء . اليوم خصصها كمسجد ، وغدا يجوز له أن يحولها إلى سكن أو إلى جراج ، ولن يستطيع أحد منعه من التحكم فى ملكه .. على العكس من ذلك لو كان البناء مسجداً بمجرد بنائه يصبح وقفا له قدسيته ، ولايجوز التعدى عليه . حتى ولو كان مسجدا أهليا . مادام بنى للمسجدية صار وقفا لله تعالى ، ولايحق لأحد أن يتعرض له ما لم يكن فى أرض مغتصبة .

المعاهد بعد الزلزال

● **ماذا تم حتى الآن بشأن المعاهد الأزهرية التى أضيرت بسبب الزلزال ، ولماذا لم يتم ترميمها حتى الآن .. ؟ قال :**

هذه مسألة الكلام فيها صحيح . الدولة اعتمدت ٢٠ مليون جنيه كدفعة أولى لترميم هذه المعاهد ، وقد أعطينا لوزارة الإسكان والتعمير بيانات بالمعاهد التى تحتاج إلى ترميم أو إعادة بناء ، حتى تكلف الشركات المتخصصة بذلك .. لكن المسألة ستأخذ وقتا بسبب الروتين .

● **ولكن هذه المعاهد ترتب عليها تشريد ونقل كثير من الطلاب .. ؟**

أعلم أن هناك مشاكل كثيرة بشأن هذه المعاهد . وأى معهد به مشكلة نشكل لجنة تتقصى الواقع على الطبيعة ، ونقوم بحل المشكلة ، وإذا لم يكن هناك معاهد بديلة أو قريبة نلجأ لحلول مؤقته بالاستعانة بالمدارس العامة أو المساجد الكبيرة .

مكتبة الأزهر

● **سؤال أخير .. متى سيتم افتتاح مكتبة الأزهر الجديدة ؟**

مبنى المكتبة الجديدة يتم استكماله الآن بمعرفة «المقاولين العرب» وسيتم افتتاحه قريبا .

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يلتقى ووفد الهيئة السعودية العليا لدعم متضررى الزلزال

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق ووفد الهيئة السعودية العليا برئاسة السيد السفير/ أسعد أبو النصر سفير المملكة العربية السعودية بالقاهرة وعضوية الأستاذ الدكتور ناصر الرواد والدكتور عبد الإله المؤيد ، وذلك لدعم متضررى الزلزال الذى تعرضت له مصر فى الثانى عشر من أكتوبر الماضى .

تناول اللقاء بحث توثيق التعاون بين الأزهر الشريف والمؤسسات الدينية السعودية .

الإمام الأكبر يلتقى ووفد جمهوريات الكومنولث

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد جمهوريات الكومنولث الإسلامية برئاسة السيد/ روسلان عمر اتوفيتش رئيس اللجنة القانونية بمجلس الشعب الروسى ، وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

فى بداية اللقاء قام فضيلة الإمام الأكبر بإطلاع الوفد على دور الأزهر فى نشر الدعوة الإسلامية والحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن الكريم .

وتم خلال اللقاء بحث دعم العلاقات الثقافية والدينية بين الأزهر وجمهورية روسيا الاتحادية وزيادة عدد المنح الدراسية لأبنائها للدراسة بالأزهر .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على استعداد الأزهر للاشراف على تدريس العلوم العربية والإسلامية بالجمهوريات الإسلامية بدول الكومنولث خاصة جمهورية شتشيان .

كما وافق فضيلته على ايفاد عدد من علماء الأزهر لتدريس العلوم بمعاهد ومدارس جمهورية شتشيان .

الإمام الأكبر يلتقى وزير خارجية اذربيجان والوفد المرافق له

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والسيد/ توفيق قاسيموف وزير خارجية اذربيجان إحدى جمهوريات دول الكومنولث الإسلامية والوفد المرافق له وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث عقد اتفاقية ثقافية بين جمهورية اذربيجان الإسلامية والأزهر الشريف فى كافة العلوم الإسلامية والقضايا الفكرية .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتحقيق ذلك فى أقرب وقت ممكن وذلك بالاتفاق مع وزارة الخارجية المصرية .

وطالب الوفد خلال اللقاء قيام علماء الأزهر بمراجعة الترجمة الاذربيجانية لمعانى القرآن الكريم لتداولها بجمهورية اذربيجان الإسلامية .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر ببحث هذا الأمر وقيام علماء الأزهر بالمشاركة فى ذلك .

كما وعد فضيلته بدراسة كافة احتياجات المسلمين فى اذربيجان من الدعاة ومدرسى اللغة العربية والثقافية الإسلامية بايفاد العناصر الطيبة

والمؤثرة والتى تتناسب مع ظروف المجتمعات هناك .

الإمام الأكبر يستقبل وزير السياحة الالبانى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد/ عثمان شاهو وزير السياحة بجمهورية ألبانيا والوفد المرافق لسيادته وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

وقد أعرب السيد الوزير عقب اللقاء عن سعادته البالغة لزيارة الأزهر الشريف منارة العلم والإسلام وصاحب الدور التاريخى فى النهوض بالتعليم واللغة العربية والحفاظ على علوم الإسلام .

كما أوضح سيادته أن شعب البانيا يمر بمرحلة صعبة للغاية نتيجة الظروف التى تمر بها دول البلقان معرباً عن امتنان بلاده للدور الذى تقوم به مصر ويقوم به الأزهر بصفة خاصة لصالح المسلمين فى المنطقة .

الإمام الأكبر يستقبل وفد المجلس الإســـلامى الماليـــزى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد المجلس الإسلامى الماليزى برئاسة سراج الدين ولى عهد ولاية « بارليس » الماليزية .

تم خلال اللقاء شرح دور الأزهر على الساحة العالمية واسهاماته فى الحفاظ على علوم اللغة العربية والإسلامية بالاضافة إلى دوره فى استقبال طلاب العلم من مختلف بلاد العالم وبصورة تتزايد عاماً بعد عام .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر خلال اللقاء على أن عدد علماء الأزهر الآن فى الخارج الذين يعملون كدعاة ومعلمين للأمم والشعوب الإسلامية وصل إلى أكثر من خمسة آلاف عالم يتحمل الأزهر جميع نفقاتهم بالكامل مما يعد تأكيداً لرسالة الأزهر السامية فى حفظ التراث والعلوم الإسلامية فى العالم منذ أكثر من ألف عام .

الإمام الأكبر يستقبل وزير الشئون الدينية بالجزائر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ الساس العمورى وزير الشئون الدينية بالجزائر ، حضر اللقاء سفير الجزائر بالقاهرة .

فى بداية اللقاء أعرب السيد الوزير عن سعادته للقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذى لا يدخر جهداً فى دعم المسلمين فى كل مكان .

وقال سيادته : إننا نتجه إلى الأزهر الشريف ليهدينا إلى طريق الحق والخير لأنه النور المشع فى العالم الإسلامى كله وأنه القبلة التى تجمع المسلمين بعيداً عن الفرقة التى يتبعها الاستعمار فى البلدان الإسلامية .

وقد عقب فضيلة الإمام الأكبر قائلا : إن الأزهر يفتح أبوابه لجميع المسلمين من شتى بقاع الأرض ولا يدخر وسعاً فى معاونتهم .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس اتحاد مسلمى الجابون

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ أحمد ادبابى رئيس اتحاد مسلمى الجابون والوفد المرافق لسيادته ، وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث دعم اتحاد مسلمى الجابون بالكتب والوعاظ والمعلمين ووضع المناهج الدراسية للمعاهد التى يقيمها الاتحاد والاشراف عليها من قِبل الأزهر .

وقد أثنى رئيس الاتحاد على جهود الأزهر فى خدمة الإسلام والمسلمين فى جميع أنحاء العالم .

فلسطين في التاريخ

كلمة الأزهر فى اليوم العالمى للتضامن مع الشعب الفلسطينى التى ألقاها الأستاذ الدكتور/ مجاهد توفيق الجندى بمناسبة اليوم العالمى للتضامن مع الشعب الفلسطينى بجامعة الدول العربية بالقاهرة يوم الخمس ١٠ ديسمبر ١٩٩٢

أطلق اسم فلسطين ـ منذ القديم على تلك المنطقة التى تقع الآن بين الجمهورية اللبنانية من الشمال وخليج العقبة على البحر الأحمر من الجنوب ، وبين ساحل البحر الأبيض المتوسط وسيناء من الغرب ومجرى نهر الأردن والبحر الميت ووادى عربة من الشرق . وقد عرفت فلسطين فى التاريخ القديم « بأرض كنعان » نسبة إلى قبائل الكنعانيين التى استقرت فيها إثر إحدى الهجرات من جزيرة العرب إلى الشمال عام (٢٥٠٠ ق. م) أو قبل ذلك بقليل . وظلت فلسطين تسمى بأرض كنعان حتى عام (١٢٠٠ ق. م) ، حينما غزتها القبائل الكريتية واستقرت على شواطئها بين يافا وغزة ، فسميت

تلك المنطقة باسم « فلسطين » نسبة إلى اسم القبيلة الكريتية الغازية . وبعد أن اندمج الكريتيون مع الكنعانيين سكان البلاد الأصليين وذابوا بالتزاوج والتعامل ، أطلق اسم فلسطين على جميع الأراضى الساحلية والداخلية ، التى كان يسكنها الكنعانيون . وقد طغى العنصر الكنعانى ، عنصر الغالبية على فلسطين فى النهاية ، وأصبح سكان البلاد مع الزمن كلهم من الكنعانيين العرب ... وكانت فلسطين بحكم موقعها الجغرافى بين القارات القديمة الثلاث ، جسرا يعبره الغزاة من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق ، ويمر عليه الفاتحون من الشمال بمحاذاة الساحل إلى الجنوب ، ومن الجنوب حيث الجزيرة وافريقية الشرقية إلى الشمال . كما كانت بالنسبة لخصبها ومناخها قبلة للقبائل المتنقلة من الجنوب والشرق والغرب ..

ولقد تعرضت فلسطين منذ القديم لكثير من هذه الغزوات ، واجتاحت أطرافها موجات متعددة متعاقبة من المهاجرين ، فقد غزاها المصريون الأقدمون والبابليون والحبشيون ، وكانت أرضها مسرحا لكثير من الحروب الطاحنة بين الغزاة وأهلها تارة وبين الغزاة أنفسهم تارة أخرى ، ولكنها على الرغم من ذلك كله ظللت كنعانية عربية صفة وسيادة حتى عام (١٠٠٠ ق.م) فقد كان الغزاة فى معظم الحالات عابرين ومن أقام منهم اختار الساحل حيث الماء والمرعى ، ثم لم يلبث أن اندمج بالسكان وذاب فيهم ...

وفى عام (١٢٩٠ ق . م) خرجت قبائل العبرانيين من مصر متجهة إلى الشرق هربا من حكم رمسيس الثانى واجتازت بقيادة موسى الصحراء الشرقية ، وتوقفت فى صحراء التيه بعيدة عن فلسطين أربعين عاما خوفا من الكنعانيين وبطشهم ، وفى مدين بصحراء سيناء تلقى موسى الألواح « التوراة » وبعد موت موسى هناك خلفه يشوع فى قيادة تلك القبائل ، فعبر بهم إلى فلسطين عام (١١٨٦ ق . م) من الجهة الجنوبية الشرقية ، واحتلّوا مدينة أريما الكنعانية بعد أن هدموها وقتلوا معظم سكانها . واستقر العبرانيون هناك فى وادى الأردن بعد أن عجزوا عن التقدم غربا ، حيث كان الكنعانيون اليبوسيون فى منطقة القدس والساحل وباقى أجزاء فلسطين .. وفى عام (١٠٠٠ ق. م) استطاع داوود بعد حروب إخضاع اليبوسيين وتأسيس مملكة إسرائيل ، وجعل أورشليم (القدس) عاصمة لها . ولكن لم يكد ابنه سليمان الذى خلفه فى الملك يموت عام (٩٣٥ ق. م) حتى انقسمت المملكة على نفسها فقامت مملكة يهوذا فى القدس ومملكة اسرائيل فى السامرة ، ونشبت الخصومات والحروب بين المملكتين واستعانت كل منهما بملوك مصر أو آشور ضد الأخرى مما أضعفهما معا ، وتميز عهدهما بالحروب والفساد والانحطاط ..

ففى عام (٩٢٠ ق. م) هاجم شيشق ملك مصر مملكة يهوذا واحتلها ونهب كنوز الهيكل والقصر فخضعت منذ ذلك الحين لسلطان المصريين ... وفى عام (٧٢١ ق. م) هاجم الآشوريون مملكتى إسرائيل ويهوذا واحتلوهما وفرضوا الجزية عليهما . ولما حاولت إسرائيل التمرد هاجمها الآشوريون مرة أخرى عام (٧٠١ ق. م) واحتلوا ونهبوا كنوزها وأخذوا معظم سكانها أسرى إلى العراق ، وأحلوا محلهم قبائل عربية جديدة من بابل وسوريا وجزيرة العرب .

وفى الوقت نفسه زحف المصريون على مملكة

يهوذا واحتلوها وألحقوها بمصر ، مما حدا « بينى خذ نصر الكلدانى » إلى الزحف عام (٥٩٧ ق.م) ـ على فلسطين واحتلالها والاستيلاء على القدس عاصمة يهوذا ، وأخذ ملكها وعائلته وقواده ومعظم جيشه أسرى إلى بابل فى العراق بعد أن أقام فى القدس ملكا جديدا ... وفى عام (٥٨٦ ق. م) عندما حاول بقايا اليهود التمرد على سلطان بابل فى فلسطين ، عاد « بنو خذ نصر » فغزاها من جديد ، ولكنه فى هذه المرة دمر القدس وهيكلها وأباح البلاد والسكان لجنده فقتلوا ونهبوا ، ثم أخذ ملكهم وخمسين ألفا من رجالهم أسرى إلى بابل فى العراق ... وهكذا دالت الدولة اليهودية فى فلسطين بعد أن عاشت أربعة قرون (١٠٠٠ ـ ٥٨٦ ق. م) حافلة بالاضطراب والحروب الداخلية والخارجية . وبزوالها نتيجة غزوات الآشوريين والكلدانيين زال كل أثر فعلى لليهود فى فلسطين ، إلا من اندمج منهم بسكان البلاد الأصليين صارت بعد ذلك كنعانية عربية تابعة للعراق ، تستقبل هجرات العرب من سوريا والجزيرة العربية ، غير أن غزوة اليهود لم تكن آخر غزوة لفلسطين ، فقد غزاها الفرس الإيرانيون عام (٥٣٩ ق. م) واحتلوها بعد أن احتلوا بابل ، والحقوها بدولتهم طيلة قرنين .. وفى عهدهم عادت قبيلة يهوذا من بقايا الأسر البابلى إلى القدس ، وأعادت بناء الهيكل من جديد ، وغزاها الإسكندر المقدونى عام (٣٣٢ ق. م) وأتبعها لدولة الإغريق . وغزاها العرب الأنباط عام ٩٠ ق. م وظلت تابعة لعاصمتهم « بتراء » حتى احتلها الرومان ، وفى أوائل القرن الأول الميلادى غزا الرومان فلسطين واحتلوها وجعلوا منها ولاية رومانية . وظلت تتبع روما أوّلًا وبيزنطة بعدها حتى منتصف القرن السابع الميلادى ، حين حرّرها العرب المسلمون وصارت قسما من الدول العربية ، وفى عهد الحكم الرومانى وقعت لبقايا اليهود أحداث مهمة وحاسمة .

ففى عام ٣٧ م وَشُوا بالسيد المسيح للحاكم الرومانى واتهموه بالكفر وصلبّوه . وفى عام (٧٠ م) حاولوا استغلال المركز الدينى الممنوح لهم فى القدس منذ عودتهم من الأسر البابلى لأغراض سياسية وقومية فهاجمهم « تيطس » الرومانى بمساعدة سكان البلاد العرب واحتل القدس فى العام نفسه ، فدمرها وهدم الهيكل وقتل جميع كهنة ومعظم السكان اليهود ، أما من بقى منهم على قيد الحياة فقد اندس متنكرا بين السكان أوفرَّ إلى سوريا ومصر والبلاد الأخرى . وكانت آخر محاولة يهودية لإحياء التراث العبرى فى فلسطين عام (١٣٥) عندما ظهر فجأة أحد متدينى اليهود فى القدس ، وأعلن العصيان على الرومان ودعا لقيام إسرائيل فهاجمه الحاكم الرومانى « هادريان » وتغلب عليه واحتل المنطقة اليهودية فى القدس ودمرها وقتل أهلها وهدم الهيكل من جديد ، ورفع أنقاضه وحرث أرضه ، وبنى مكان القدس اليهود مدينة جديد حَرّم على اليهود سكناها ... وبعد هذه المحاولة لم تقم لليهود فى فلسطين قائمة ، ولم يظهروا فيها بأى مظهر سياسى أو قومى حتى القرن العشرين . ولم تكن غزوات الفرس والإغريق والأنباط والرومان التى حكمت فلسطين أكثر من أحد عشر قرنا آخر الغزوات والموجات الهجرات . ففى عام ٦٣٦ ميلادية ـ أتم العرب المسلمون الزاحفون من الجزيرة العربية تحرير جميع البلاد الفلسطينية من حكم الرومان وتدفقت القبائل العربية من سوريا والعراق والحجاز ونجد واليمن عليها وسكنتها . ومنذ ذلك التاريخ طبعت فلسطين بالطابع العربى الخالص لغة

وديانة فتعرف سكانها الأصليون وهم من سلالات الكنعانيين العرب أو من المهاجرين والغزاة المندمجين فيها ودانو بالإسلام ..

ومن الجدير بالملاحظة فى هذا المكان أن اليهود لم يكونوا من فئات السكان الظاهرة حين الفتح العربى ... فقد وقعت شروط الصلح مع البطريق « صفرنيوس » المسيحى فى القدس ، وأعطى الأمان للمسيحيين ودينهم وكنائسهم وصلبانهم ، وأقر لهم حكم الرومان السابق بأن لا يسكن معهم أحد من اليهود فيها ، وكان مكان الهيكل آنذاك لا يزال ترابا ، ولكن لم يكن فى القدس يهود ولا معابد يهودية .

وظلت فلسطين منذ الفتح العربى الإسلامى عام (٦٣٦م) بلاداً عربية خالصة شعبا ولغة وديانة حتى عام (١٩١٨ م) . وكانت خلال هذه الفترة تشكل جزءا من الدول العربية الإسلامية المتعاقبة تتبع المدينة أو دمشق تارة وتتبع القارة أو استانبول مركز الخلافة تارة أخرى ..

.. وتعرضت فلسطين خلال هذه الفترة العربية لكثير من الغزوات فقد غزاها الصليبيّون الأوروبيون بقيادة ملكىّ بريطانيا وفرنسا عام ١٠٩٧ م ، واحتلوا أقساما منها وأقاموا فيها دولا وممالك أو ربية طيلة قرنين كاملين ... ولكنهم تركوها مجبرين عام ١٢٩١ م ، وعاد منهم إلى أوروبا من عاد . ومن بقى منهم اندمج بسكانها العرب وتطبّع بعاداتهم وتكلم لغتهم ودان بدينهم . وغزاها المماليك الأتراك والشركس .. وغزاها نابليون بونابرت بعد التتار والمغول وحكموها هامدة من الزمن ولكنهم أجبروا على تركها ورحلوا عنها ، ومن بقى منهم ذاب فى سكانها ، فتكلم العربية وتحلى بصفات العرب .

وفى عام ١٥٤٢ م دخلت فلسطين فى نطاق الخلافة العثمانية الإسلامية وأصبحت تشكل جزءا من ولايتى دمشق وبيروت العربيتين .

وظلت كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ م حين احتلتها قوات الحلفاء ، ودخلتها الجيوش العربية والإنكليزية الحليفة باسم تحريرها من الحكم التركى وضمها للدولة العربية الموعودة ، وبقيت فلسطين فى ظل الانتداب البريطانى المتآمر مع الصهيونيـة حتـى عام ١٩٤٨ م ، حين غزتها الصهيونية العالمية من جديد بمساعدة الاستعمار الانجلو ـ أمريكى وبسلاحه ونفوذه .

مصر وفلسطين

من المؤكد أن الكلام عن هذا هو معروف وثابت ، وأهم منه أننا فى مصر ننسى ، أو نحاول أن ننسى ، حقيقة ثابتة وواضحة هى أن مصر وفلسطين عاشتا أكثر من ثمانية قرون ولكننا نذكر العهد الإسلامى وحده لا لأنه أقرب العهود إلينا ، ولكن لتمكنه من نفسيّتنا ولارتباطه بماض حى متغلغل فى شخصيتنا وتفكيرنا .

ولذلك نقول إن فلسطين عاشت مع مصر طول الأيام الطولونية والإخشيدية والفاطمية ، وفى عهود الدول الأيوبية والتركية ودولة الجراكشة وتعطينا الحروب الصليبية صفحة خالدة فى تاريخ مصر أقوى وأبرز من كل صفحاتها فى عصورها المختلفة بلا استثناء ، ولذلك يحق لنا معاشر المصريين أن نقول ، ولا نتهم بالمبالغة والافراط فى القول ، إن دماء شهدائنا اختلطت بدماء شهداء فلسطين طوال قرنين من الزمن ، وإننا أروينا الأراضى والبطاح والجبال بدماء أهلينا وشهدائنا وهذه الأرض مباركة تعرضت وتتعرض

مرة أخرى للأخطار ونُمتحن معها بأكبر المحن ، وتأتى قضيتها لتفرض علينا كفاحا شديدا وثباتا عظيما أمام قوات هائلة من قوى الطبيعة والإنسان ، وهى قوات يتحتم علينا الوقوف إزاءها ، لنبرهن للعالم على حيويتنا وشخصيتنا ومدى استعدادنا للتصادم وقدرتنا على المجالدة .

هدف الصهيونية لا يقف عند فلسطين

إن هذا الركن من العالم الذى نطلق عليه اسم فلسطين ويأبى اليهود إلا أن يسموه أرض إسرائيل غريب فى تاريخه ، فهو منذ أن عرفته الدنيا لفت الأنظار إليه ؛ ويزيد فى غرابته أنه يتوسط العالم ، وتظهر أهميته للعرب لأنه يقسم بلادهم شطرين : الشطر الأسيوى والشطر الإفريقى . فهو يتحكم فى مصير الأمة العربية ، وبوسعه أن يحول دون تحقيق أهداف الجامعة العربية بل ويوقف تنفيذها ؛ ثم هو يشارك الأقطار العربية الأخرى فى ميزاتها الجغرافية وسيطرتها على الطرق العالمية ، وفى هذا الخطر كل الخطر علينا .

وما من شك فى أن القوات التى كانت تهيم على الأرض تمثل فى مجموعها أقوى ما فى المادة وأسمى ما فى الروح ، وهى حينما تجمعت ــ ووجهتها فلسطين ــ لم تقصد هذه البقعة بالذات وإنما قصدت هذا الركن من العالم بأكمله ، أى هذا الشرق العربى الذى تعرف عن جد أنه مركز الدنيا . وما كان لها أن تطمع فى الاستيلاء عليه لولا ما لمسته من سهولة وتسامح وتراخ ، أطمعها مع الزمن فينا .

ولا نقصد من هذا إضعاف الروح لدينا ، فنحن نسلم أن الإيمان الروحى الذى تملّك الفريقين : تملكنا نحن العرب ، وتملك اليهود ، قوى هائل ، وأن هذا الإيمان بحق كل منا فى تملك هذه الأرض يكاد يفوق حد التصور العقلى ، ويبرز فى حياة كل منا فى كل يوم ؛ ... ولكن هذا الوعى لدينا لم يأت إلا بعد سنوات فرطنا ونمنا فيها نوما عميقا .

... وعليه فقضية الشعب الفلسطينى هى قضية موت أو حياة للعروبة وشعوبها وأهدافها وآمالها ، فهى إذاً بحق مشكلة جيل بأكمله ، وإن لم تُحل اليوم فستكون مشكلة الأجيال القادمة التى سوف تؤاخذنا على تراخينا وإهمالنا .

الجانب العربى :

ونحن نعتقد أن القوة المادية التى تدفع بنا إلى الكفاح لا حد لها ، وكذلك القوة المادية التى تدفع الصهيونية لا حد لها .

ففى الجانب العربى نجد أن قوة الدفاع أمام الخصم لا تستند إلى طاقة العرب من أهل فلسطين وحدهم ، بل ورائهم دنيا العروبة بأكملها ، ثم العالم الإسلامى ، وهى قوات غامضة هادئة لم تستكمل بعد يقظتها الكاملة ، ولم تظهر فى عنفوان فعاليتها وأثرها ولم تنظم بعد التنظيم المطلوب وكان وراء هذه القوى حُلفاء من أوروبا وأمريكا كانوا يناصرون العرب ويشجعونهم ، ويمدون يد المساعدة إليهم .

الجانب اليهودى :

وإذا نظرنا إلى الجانب الصهيونى وجدنا أن قوتهم لا تستند إلى طاقة اليهود من أهل فلسطين وحدهم ، بل نجد وراءهم يهود الأرض بعزمهم ومواردهم . وهناك اليهودية العالمية تناصر الصهيونية ومعها عناصر ومنظمات لا حصر لها ، فالنزاع قائم والتصادم لاشك واقع ، ولا يمكن دفعه .

إذاً قد عرفنا ما قدر لنا ، وكتب الجهاد علينا كما

كتب على الذين من قبلنا ، وها نحن أولا : ندخل تجربة قاسية ونقتحم معركة هائلة لا نعرف مبتداها ولا منتهاها ، وقد يكون من الخير لنا أنها جاءت وقد يكون فى دروسها ومواقفها ما ينفعنا وينفع الآتين من بعدنا .

كارثة فلسطين

إن قلم المؤرخ ليرتجف وهو يحاول أن يخط أسطراً من هذه المسألة وأنبائها ، بل الكارثة بل الفاجعة ، فقلما يعرف المؤرخ فى سجل المآسى الإنسانية التى تعيها ذاكرته ، وما اقترنت به من آلام وأحزان ، وفيما دُوِّن من أعمال القهر والظلم والعدوان ، والأحقاد العنصرية والمؤامرات الدولية ما يضارع هذه الكارثة فى هولها أو فى فداحة نتائجها ... ولكن التاريخ لا ينبغى له أن يتأثر بما يدون من أحداث ... وأولى له أن يلتزم مهمته الأساسية ... وهى أن يسجل الحقائق مجرد كما هى ، ويقدم عنها صورة صحيحة كما حدثت فى دائرة الواقع .

كان اليهود فى القرن الماضى فى فلسطين لا يزيد عددهم عن عدد أفراد أية جالية أجنبية تعيش فى أىّ قطر من أقطار الشرق ، ويقدر عددهم إذ ذاك بنحو ثمانية آلاف ، وبينما كان اليهود مشردين مضطهدين فى كل مكان من أنحاء أوروبا ولاسيما فى روسيا القيصرية وبولندا والنمسا ــ وما كانت أوروبا ــ شعوبا وحكومات ــ تعاملهم أبدا طوال العصور إلا بمنتهى القسوة وتسومهم ألوان العذاب والذلة ــ كانوا يعيشون فى فلسطين وفى غيرها من أقطار العالم الإسلامى آمنين مطمئنين يتمتعون بكافة الحقوق المدنية والدينية ، كما لا يزالون يعيشون فى هذه الأقطار إلى اليوم . ولكن ما كان يجول بخاطر أحد ، وما كان يحسب أحد أنه يكون فى حدود التصور المعقول ، وأن هذه الأقلية الدينية الغريبة عن الديار والتى تركت تعيش فى فلسطين فى كنف المسلمين وبفضل تسامحهم وكرمهم ، واتخذت من وطنهم ملجأ تلوذ به من اضطهاد الأوروبيين وعسفهم ومطاردتهم ــ أن هذه الفئة ستصبح فى يوم من الأيام مصدر خطر على أهل البلاد أنفسهم ، ويزداد شأنها حتى يكون لها كيان سياسى ، ثم تستطيع أن تتحدى السكان الأصليين بل تمشق فى وجوههم الحسام ، وتعلن نفسها دولة فى قلب البلاد بعد أن تكون قد أخرجت أهلها إلى حيث يعيشون فى الفقر والعراء ، عيشة البدائيين فى أسوأ الحالات ، يموتون بالآلاف ويُهدّد من بقى منهم بالفناء ! ولكن هكذا شاء الاستعمار وشاءت إرادة الدول المتعصبة الكارهة للإسلام ، التى تحاربه أبد الدهر ، لا تريد به ولا بأهله إلا شرا ، وإن كان هؤلاء غير شاعرين تماما بما يراد بهم وغير مدركين مدى الخطر المحدق بهم .

ثم أشار فضيلة الأستاذ الدكتور/ مجاهد توفيق الجندى فى الكلمة التى ألقاها ، إلى التطور الصهيونى وأبعاده فى فلسطين ، منذ أن كان اليهود يسعون إلى ايجاد ملجأ آمن يجمع شتاتهم بعيدا عن اضطهاد أوروبا المسيحية ، إلى أن دخلت الصهيونية فى دورها الجديد والخطير الذى كانت له أكبر الآثار فى تاريخ الشرق .

مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

ليس من مثل حى صارخ على مثل هؤلاء اللاجــئين وقضاياهــم كقضيــة اللاجــئين الفلسطينيين ، التى تعد بحق من أفجع المآسى فى تاريخ البشرية الحديث ، وأفجعها وأكثرها إيلاما

للشعور الإنسانى ، وأوضحها انتهاكا لحق الشعوب الطبيعى فى حريتها وفى سيادتها ومصيرها وفى العيش فى وطنها ، والتى تعد بحق من أعمقها جرحا فى ضمير العدل والإنسانية ..

مليون إنسان معذب طردوا بالقوة من وطنهم فلسطين ، واغتصبت مساكنهم ومصانعهم ومزارعهم وأراضيهم وكل ما كانوا يملكون من منقول وغير منقول ، لالشيء إلا لإمكان قوم غرباء عن فلسطين ، تملكتهم نزعة عنصرية زائفة فى أساسها ، وتسلطت عليهم روح تعصبية عمياء . وتلاقت هذه النزعة وتلك الروح مع الاستعمار وخططه على صعيد واحد وسارتا فى طريق واحد نحو هدف واحد ، هو إفناء هذه الجماعة وسلب أوطانها .

أكثر من مليون عربى من شعب فلسطين ، كانوا هدفا لأخطر مؤامرة فى التاريخ الحديث ، ولأقوى هجوم تحالفت فيه الصهيونية العالمية مع الاستعمار والرجعية ، منذ فجر القرن العشرين حتى وقوع المأساة عام ١٩٤٨ م . ومنذ هذا التاريخ حتى اليوم وهم خارج بيوتهم يحيون حياة البؤس والفاقة والحرمان .. يقيمون فى الخيام ، ويسكنون الكهوف والمغاور ، والبيوت القصديرية فى خرائب المدن والقرى صيفا وشتاء .. دون وطن أو مأوى ، ودون طعام أو عمل ، دون علاج أو تعليم ، إلا ما تقدمه وكالة الاغاثة الدولية ، وهو لا يكاد يغير من واقعهم المؤلم شيئا .

إنهم لا يزالون كذلك على الرغم من أن الأمم المتحدة قررت وجوب عودتهم منذ عام ١٩٤٨م ولكنهم لم يعودوا لأن إسرائيل رفضت ولأن أمريكا تدعم هذا الرفض وتحميه ..؟!! إنهم لا يزالون كذلك على الرغم من كل المشاريع التى وضعت لتوطينهم واستقرارهم خارج فلسطين ، ولكنهم لم يستوطنوا ولم يستقروا .. لأنهم مؤمنون بأنهم سيعودون إلى وطنهم .. وإلى قراهم وأراضيهم وممتلكاتهم .

الجهود الدبلوماسية لحل المشكلة الفلسطينية

مازالت الجهود الدبلوماسية تعمل عملها منذ سنة ١٩٤٨ وإلى حد هذه الساعة لكن الدعاية الصهيونية والإعلام اليهودى يضلل الرأى العام العالمى .. ولكن العالم بدأ يفطن إلى ما تحيكه اسرائيل من مؤامرات للقضاء على الشعب الفلسطينى والتوسع فى لبنان والاستيلاء على مصادر المياه لخدمة زراعتها ..

وهذا هو مؤتمر السلام الذى عقد فى مدريد ، ومازال تأثيره يظهر فى المحادثات بين دول الطوق ، وهذه هى الجهة الثامنة المنعقدة بين الأطراف المعنية فى الولايات المتحدة الأمريكية ونرجو أن تتمخض عن الجديد للحل العادل والدائم وإعطاء الحقوق الكاملة لأصحابها .

جهود مصر والجامعة العربية لحل القضية الفلسطينية

قامت مصر طيلة أربعة عقود بالمساهمة الفعالة لحل القضية الفلسطينية وكذلك جهود الرئيس جمال عبدالناصر والرئيس محمد أنور السادات رحمهما الله تعالى وكذلك الرئيس حسنى مبارك فى كل سفراته يركز الحديث مع رؤساء الدول الأوروبية وغيرها عن حل قضية الشعب الفلسطينى وجهود الأستاذ الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية والسيد عمرو موسى وزير خارجية جمهورية مصر العربية معروفة للجميع وكذلك المؤتمرات فى جامعة

الدول العربية واللقاءات والوفود كانت كلها لخدمة القضية الفلسطينية .

ولا يخفى على الجميع أن مصر خاضت أربعة حروب هى حرب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣م استشهد فيها الآلاف من أبطال مصر المغاوير ، وكانت كلها لخدمة القضية الفلسطينية .

جهود الأزهر وجامعته فى القضية الفلسطينية

وتدور حول محاور ثلاثة :

أولا : جهود فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق وهى معروفة وملموسة للجميع ، فما من مناسبة من المناسبات إلا وفضيلة الإمام الأكبر وهو على رأس الأزهر الشريف إلا ويشارك فيها برأيه ، ويستنكر ويشجب الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية فى القدس الشريف أو الاعتداء على الشعب الفلسطينى الأعزل .

ثانيا : إعطاء فضيلة الإمام الأكبر لطلاب فلسطين التصاريح للدراسة بمعهد البعوث الإسلامية وكذلك المنح الدراسية لهم بكليات جامعة الأزهر المختلفة ، ولدينا عدد كبير من طلاب فلسطين(١) درسوا بجامعة الأزهر ـ عبر تاريخها ـ وأسماؤهم كائنة فى سجلات المنح ، وهو خير دليل وشاهد على مساهمة الأزهر الشريف ومشاركته للفلسطينيين فى محنتهم .

ثالثا : تزخر مجلة الأزهر الشريف فى جل أعدادها بالعديد من البحوث والمقالات الموثقة عن مأساة شعب فلسطين وآخر هذه البحوث « القضية الفلسطينية حاضرها ومستقبلها » للأستاذ الدكتور محيى الدين الصافى رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين نشر بالعدد الخاص بتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٤١٣ هـ ديسمبر سنة ١٩٩٢ م . من ص ٨٧٠ ـ ص ٨٧٢ .

ثالثا : كما أن هناك العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه نوقشت فى قسم التاريخ بجامعة الأزهر ومنها على سبيل المثال لا الحصر « سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين » للمرحوم الدكتور حسن صبرى الخول وتقع فى مجلدين كبيرين من القطع الكبير موثقة بالوثائق الرسمية حصل بها على الدكتوراه سنة ١٩٦٧ م ورسالة المرحوم : الأستاذ صالح مسعود بو يصير وزير خارجية ليبيا سابقا وهى بعنوان « جهاد شعب فلسطين من ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ م حصل بها على الماجستير سنة ١٩٦٧م فى التاريخ الحديث كلاهما .

وأخيرا لابد لكل مسلم أن يكون على يقين من نصر الله للمسلمين وخذلانه لليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء وأعداء الإنسانية جمعاء وينبغى على اللجنة العالمية للدعوة توعية المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بهذه الحقائق الدينية ليعملوا على هزيمة هذا الكيان المصطنع الذى أقض مضاجع جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية .

وفى اعتقادى أن النصر لن يكون إلا عن طريق اتحاد العرب والمسلمين على محاربة هذا الوباء ولابد أن تشعر أمريكا وأوروبا أن دعمهما لليهود سيكون وبالا عليهم من النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) وقد أُرفقت مع هذه الكلمة عدة كشوف بعشرات الطلاب الفلسطينيين الذين درسوا فى الكليات المختلفة لجامعة الأزهر فى العام الدراسى ١٩٦٨/١٩٦٩م فقط على سبيل المثال .

حول الاجتماع الأول للمسئولين عن العلاقات الثقافية الخارجية للدول العربية

إعداد الأستاذ فوزى الزفزاف
الآنسة سلوى على

بمبادرة من جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وبتعاون وثيق مع الأزهر الشريف ، ثم اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة بجمهورية مصر العربية . انعقد بمركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر بالقاهرة الاجتماع الأول للمسئولين عن العلاقات الخارجية للأزهر والدول العربية .

وفى جلسة الافتتاح ألقى كلمة الأزهر فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف ، قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

السادة الحضور : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .... وبعد

فمن رحاب الأزهر الشريف . منارة العلم والمعرفة ، ومن رحاب مصر أرض الكنانة . راعية الأزهر الشريف ، وباسم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أحييكم ، مرحبا بكم فى بلدكم . متمنيا لكم التوفيق فى مهمتكم السامية التى اجتمعتم من أجل تحقيقها .

إن اجتماعكم اليوم يعقد فى وقت تحالفت فيه جميع القوى المعادية للإسلام على تشويه صورة الإسلام السمحة . وعلى القضاء على المسلمين . وأما ما يتعرض له إخواننا المسلمون فى البوسنة والهرسك ، وفى الهند ، وفى كشمير ، وفى مناطق أخرى كثيرة من حرب الإبادة والطرد الجماعى .. ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(1) .

وواجبنا الذى يفرضه علينا ديننا هو مد يد العون والمساعدة لإخواننا المسلمين فى جميع أنحاء العالم . وخاصة فى المجتمعات التى يتعرض المسلمون فيها للاضطهاد وسلب حقوقهم المشروعة ، وحرمانهم من مزاولة شعائر دينهم وتعلم لغة قرآنهم .. ورسولنا ﷺ يقول : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

والمدخل الأساسى لفهم معانى القرآن الكريم الفهم الصحيح ، ومعرفة أحكامه وغاياته وأهدافه هو : معرفة اللغة العربية والإلمام الكامل بقواعدها . وتذوق أسرار فصاحتها وبلاغتها ، وعلى ذلك فإن تعلم اللغة العربية أمر ضرورى للمسلم ــ إن كان حقا يريد فهم دينه ، ويريد أن ينال ثواب وأجر التعبد لتلاوة القرآن الكريم ــ فهى اللغة التى ارتضاها الله ــ سبحانه وتعالى ــ واختارها وشرفها وأكرمها بنزول القرآن الكريم بها ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾(2)

وقال سبحانه : ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾(3)

كما أن اللغة العربية عامل هام ورئيسى من عوامل وحدة المسلمين وجمع كلمتهم ولم شملهم .

ومما يدعو إلى التفاؤل أننا نشاهد الآن صحوة مباركة فى الدول العربية والإسلامية تخطت عمل الحكومات فى هذا الميدان إلى الأفراد والجماعات فنجد الآن كثيرا من المنظمات والهيئات والمؤسسات والجمعيات غير الحكومية تعمل فى هذا المجال وتقدم مساعدات كثيرة إلى المسلمين ولا أكون قد جانبت الحقيقة إذا قلت : إن أثر مساعدات بعض هذه المنظمات والهيئات والمؤسسات والجمعيات قد يكون أقوى وأنفع من أثر مساعدات بعض الحكومات ؛ لالتحامها

---

(1) التوبة : ٣٢ .
(2) فصلت : ١ ، ٢ ، ٣ .
(3) الزخرف : ١ ، ٢ ، ٣ .

المباشر مع المسلمين من غير تحفظات ولا حساسيات ، ومعرفة احتياجاتهم الفعلية .

غير انه لوحظ من خلال ممارسة العمل فى هذا المجال ـ سواء من جانب الحكومات أو من جانب الأفراد والجماعات ـ خلوه من التنسيق والتنظيم والتعاون بين القائيمن على شئونه ، فكل جهة تعمل منفردة لا تعلم شيئا عن أعمال الجهة الأخرى رغم أن الغاية واحدة لدى الجميع .

ولقد ترتب على ذلك الآتى :

١ ـ حصول بعض المؤسسات والجمعيات فى بعض الدول على مساعدات أكبر من حجم نشاطها لقدرتها على الوصول إلى منابع المساعدات فى الوقت الذى تحرم فيه بعض المؤسسات والجمعيات من المساعدات لعدم قدرتها على الوصول إلى منابع المساعدات ، وربما يكون عملها فى المجال الإسلامى أكثر فائدة من غيرها .

٢ ـ تكرار المساعدة فى مجال واحد من أكثر من جهة لبلد واحد أو مؤسسة أو جمعية واحدة بما يعتبر إهدارا وضياعا لهذه المساعدة فى الوقت الذى توجد فيه أماكن أخرى فى أمس الحاجة إلى هذه المساعدة .

٣ ـ تقديم مساعدات ليست لها الأولوية بالنسبة للحاجة إليها ، فقد يوجد مجتمع إسلامى فى حاجة إلى جرار زراعى أو حفر بئر ماء أكثر من حاجته إلى بناء مدرسة ، ولا أكون مبالغا إذا قلت أكثر من حاجته إلى بناء مسجد .. أو هو فى حاجة إلى منح تدريبية أكثر من حاجته إلى منح دراسية .. هكذا .

ولذلك كانت مبادرة طيبة من جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية المنبثق من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن دعا إلى عقد اجتماع المسئولين عن العلاقات الثقافية الخارجية فى الدول العربية ؛ للتشاور والتباحث فى أفضل السبل وأنجح الطرق لتحقيق أهداف العمل فى مجالات العلاقات الثقافية الخارجية .

وكان الجهاز موفقا غاية التوفيق حين دعا إلى عقد هذا الاجتماع بالتعاون مع الأزهر الشريف واللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة بجمهورية مصر العربية ، بلد الأزهر الشريف أقدم جامعة عربية إسلامية حملت لواء مسئولية نشر الثقافة الإسلامية والعربية أكثر من ألف عام ، لا فى مصر وحدها ولا فى العالم العربى والإسلامى وحده ، بل فى العالم أجمع ، وهى محل تقدير واحترام المسلمين فى كل مكان .

ولأن الدعوة إلى تنسيق العمل بين الأجهزة التى تعمل فى مجال العلاقات الثقافية الخارجية فى الدول العربية أمل طالما تمنى المخلصون تحقيقه ، وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـ مشكورا ـ عندما تم عرض هذا الاقتراح على فضيلته ، وافق على عقد هذا الاجتماع فى رحاب الأزهر الشريف وتحت مظلته إيمانا من الأزهر الشريف بالدعوة إلى تنسيق الجهد العربى الجماعى ودفعه إلى تحقيق نشر الثقافة الإسلامية والعربية ، بمفاهيمها الصحيحة ـ الخالية من التعصب المذهبى البعيدة عن الغلو والتطرف ـ التى تحقق قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٤)

السادة الحضور : اننى أدعو السادة المسئولين عن العلاقات الثقافية الخارجية فى الدول العربية وهم يبحثون تنسيق العمل فيما بينهم ، ادعو إلى تطوير العمل فى هذا المجال بما يخدم المجتمعات الإسلامية وخاصة فى دول أفريقيا ، وذلك ببحث حاجات هذه المجتمعات الفعلية وتقديم ما يلائمها هى من مساعدات لاما نفرضه نحن عليها من معونات .

وسأذكر مثالا واحدا لتوضيح ذلك بالمنح الدراسية ، فإذا نظرنا إلى المنح الدراسية التى تقدم من الدول المانحة لأبناء المسلمين نجدها قاصرة على الالتحاق بالكليات النظرية بجامعات الدول المانحة .

غير أن التطورات التى حدثت فى مجتمعات الدول ـ وخاصة الدول الأفريقية ـ بعد استقلالها جعلت أبناء هذه الدول خريجى الكليات النظرية لا يرتقون لتولى مناصب قيادية فى بلادهم ولا يسدون فراغا فى مجتمعات هى فى أمس الحاجة إلى ملئه بالمتخصصين من خريجى الكليات العملية مثل : الطب ـ الصيدلة ـ الهندسة ـ العلوم ؛ الأمر الذى ترتب عليه سد هذا الفراغ بخريجى الكليات العملية من غير أبناء المسلمين الذين تخرجوا من مدارس الارساليات التبشيرية ومن جامعات الدول الأوربية ، وصاروا بحكم مواقعهم أصحاب الأمر والنهى وأصحاب السلطة فى توجيه أمور البلاد مما أثر على وضع المسلمين السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى تلك المجتمعات وباتوا لا يملكون من أمرهم شيئا حتى فى البلاد التى يمثل المسلمون فيها الأكثرية العددية بالنسبة لتعداد السكان .

هذا الوضع الآن يحتاج إلى علاج عاجل يتمثل فى تخصيص منح دراسية لأبناء المسلمين ـ وخاصة فى دول أفريقيا ـ للالتحاق بالكليات العملية فى الدول المانحة بجانب المنح الدراسية التى تعطى للالتحاق بالكليات النظرية .

وهكذا يجب النظر فى تطوير المساعدات وفى وضع أولويات لها بما يحقق الأهداف والغايات المنشودة من تقديمها .

وأمام سيادتكم الآن ورقة عمل مقدمة من جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية حول سبل أحكام التعاون والتنسيق فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الخارج نرجو بحث ودراسة ما جاء فيها وأن نخرج من هذا الاجتماع بتوصيات وقرارات تنفع الإسلام والمسلمين وتكون عاملا مؤثرا فى تحقيق التعاون والتنسيق فيما بيننا ، راجين أن توصلنا إلى وحدة العمل فى المستقبل القريب إن شاء الله .

وفقكم الله وسدد خطاكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(٤) البقرة : ١٤٣ .

شارك فى الاجتماع ممثلون للدول الأعضاء التالية :

الأردن ــ البحرين ــ تونس ــ السعودية ــ السودان ــ سوريا ــ سلطنة عمان ــ قطر ــ مصر ــ ليبيا ــ موريتانيا ــ وحضره ممثلون عن : عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ومكتب التربية العرى لدول الخليج ، ورابطة العالم الإسلامى .

استغرق اجتماع اللجنة ثلاثة أيام ، وذلك فى الفترة من ٢٦ ــ ٢٨ ديسمبر ١٩٩٢ الموافق ٢ ــ ٤ رجب ١٤١٣هـ حضره ممثلو المنظمات التالية :

ــ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .
ــ مكتب التربية العربى لدول الخليج .
ــ رابطة العالم الإسلامى .

وقد شارك فى الجلسة الافتتاحية كل من :

١ ــ أ. د جعفر عبد السلام[1] .. مدير مركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر .

٢ ــ د. حسن على الأهدل .. مدير عام الشئون التعليمية برابطة العالم الإسلامى .

٣ ــ د. طه حسن النور .. مدير جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية .

٤ ــ د. عبد الرحمن صالح السدمان .. مدير إدارة الثقافة والمعلومات بمكتب التربية العربى لدول الخليج .

٥ ــ د. على القاسمى .. مدير الثقافة والاتصال بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .

٦ ــ أ. فوزى الزفزاف .. الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

٧ ــ أ. فوزى عبد الظاهر .. أمين عام اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة بـ ج.م.ع .

وقد تم اختيار أ/فوزى عبد الظاهر رئيسا للاجتماع الذى دار حول محورين أساسيين :

الأول : تجارب الدول والمنظمات المشاركة فى مجال العمل الثقافى والتربوى خارج البلاد العربية .

الثانى : سبل احكام التعاون والتنسيق بين الدول العربية والمنظمات والهيئات العربية والإسلامية العاملة فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية خارج البلاد العربية .

وقد استمع المجتمعون إلى تقارير وعروض عن تجارب الدول والمنظمات والهيئات الآتية :

الأردن ــ البحرين ــ تونس ــ السعودية ــ السودان ــ سوريا ــ قطر ــ مصر ــ ليبيا ــ موريتانيا . نعرض منها:

تجربة السودان :

للسودان تجربة فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها حيث تمت إقامة :

ــ معهد يخرج أبناء الناطقين بغير العربية .
ــ معهد الخرطوم الدولى الذى تتم فيه دراسة متعمقة .

---

(١) الترتيب تابع للحروف الهجائية .

ـ التنسيق بين المعهد والأجهزة الأخرى التى تعمل على نشر اللغة العربية .

الأردن :

ـ تقوم وزارة التربية والتعليم بالأردن باهداء الكتب الإسلامية للدول التى تحتاجها .

ـ وتقوم بتدريب المعلمين التدريب التربوى .

ـ وتزود بعض الدول الإسلامية ببرامج تربوية ثقافية .

وتقوم وزارة التعليم العام :

ـ بتبادل المنح والمقاعد الدراسية مع الجامعات والدول التى يوجد بينها وبين الأردن اتفاقيات (٣٠ دولة) حيث يتم تقديم حوالى ٢٠ منحة دراسية للنيجر ـــ نيجيريا ـ الصين ..الخ .

ـ أما الجامعة الأردنية بعمان فقد أنشأت قسماً لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها يسع حوالى ١٣٥ طالباً .

ـ المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية :

يعقد به مؤتمراً سنوياً لكبار علماء المسلمين من مختلف الدول الإسلامية وبه مشروع موسوعة الحضارة الإسلامية التى تشمل كل ما يتصل بالشعوب الإسلامية ، وتصور حضارتها تصويراً موضوعياً .

ـ إعداد الفهارس التحليلية للاقتصاد الإسلامى صدر منها :

١٦ جزءاً للمصادر .

١٦ جزءاً للموضوعات .

البحرين :

ـ إدخال أبناء المسلمين غير الناطقين باللغة العربية فى مدارس للتعليم الإسلامى .

ـ تقديم منح دراسية لأبناء جزر القمر ـ جيبوتى .

ـ توفير الكتب والمناهج (تعليم أساسى ـ إعدادى ـ ثانوى ـ ووسائل الايضاح) التى تخدم هذا الغرض .

سـوريا :

ـ إقامة علاقات اقتصادية مع الدول العربية والأجنبية .

ـ تقديم منح للطلاب (٤٠٠٠ طالب وطالبة) فى جميع التخصصات .

ـ العمل على نشر اللغة العربية وتدعيم ذلك الانتشار .

ـ إعارة عدد من المعلمين للدول الأجنبية لتعليم العربية لغير الناطقين بها .

موريتانيا :

ـ تقدم وزارة التدريب الوطنى منحاً للثانوية الدينية ثم للمرحلة الجامعية .

ـ افتتاح مجمع علمى لتدريس القرآن الكريم .

ـ إرسال معلمين لجمهورية مالى .

ـ إنشاء معهد للقرآن الكريم تابع لرابطة العالم الإسلامى .

ـ إنشاء معهد للعلوم العربية تابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية يدرس به الطلاب الأفارقة المقيمين فى موريتانيا .

وقد خلص المجتمعون إلى إقرار التوصيات التالية :

١ ـ دعوة الدول العربية والإسلامية للتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى حصر جميع الهيئات الرسمية والخاصة العاملة فى مجالات نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية .

٢ ـ دعوة الدول الأعضاء لتزويد المنظمة العربية للتربية والثقافة بالبرامج القطرية المعتمدة فى مجال نشر اللغة العربية للاسترشاد بها عند تنفيذ البرامج ؛ تفادياً للازدواجية والتكرار .

٣ ـ تعزيز قنوات الاتصال بين المنظمة العربية

للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربى لدول الخليج والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية ورابطة العالم الإسلامى والأزهر الشريف وذلك فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الخارج .

٤ ـ دعوة الدول العربية إلى أخذ الاحتياطيات المالية والفنية اللازمة لمواجهة الطوارىء واحتياجات العمل المستجدة ، وذلك عند وضع الخطط والبرامج والميزانيات .

٥ ـ دعم المدارس القرآنية خارج البلاد العربية وتطويرها بما يمكنها من أداء دورها فى تحفيظ القرآن الكريم ، وتعليم اللغة العربية .

٦ ـ تشجيع استخدام الحرف العربى فى كتابة لغات الشعوب الإسلامية ؛ تيسيراً لقراءة القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية .

٧ ـ حث الدول على نشر اللغة العربية وفقاً لخطة تضمن ترتيب الأولويات وتوزيع الأدوار بما يحسن مردودية العمل ، وتجنب التكرار بغير ضرورة .

٨ ـ دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة بالتعاون مع الدول الأعضاء إلى العمل على توحيد منهجية تدريس اللغة العربية خارج الوطن العربى ، والتنسيق بين المدارس وبين المراكز العربية فى الخارج .

٩ ـ حث الدول العربية والمنظمات الإسلامية على التعاون فى تنفيذ المشروعات المعتمدة فى برامجها .

١٠ ـ دعوة الدول العربية والمؤسسات الإسلامية للتعاون مع جهاز التعاون الدولى فى تنفيذ مشروعاته التى يتوقف تنفيذها مع ايجاد مصادر للتمويل من خارج ميزانية المنظمة العربية للتربية والثقافة .

١١ ـ إعداد الوافدين من غير أبناء الوطن العربى لتلقى الدراسات النظرية فى المعاهد العربية والخبرات والمهارات اللازمة .

١٢ ـ العناية بتأهيل القائمين على تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها مع التركيز على إقامة دورات تدريبية فى مواقع عمل المدرسين .

١٣ ـ تأسيس قاعدة للبيانات فى بنك فارابى للمعلومات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لاستيعاب المعلومات التى ترد على جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية بشأن نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الخارج . وإمداد الدول الأعضاء والمؤسسات والهيئات المعنية بهذه المعلومات بصورة منتظمة .

١٤ ـ دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة لعقد اجتماعات دورية كل عامين للمسئولين عن العلاقات الثقافية الخارجية للدول العربية ولغيرهم من القائمين على المؤسسات المعنية بنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الخارج .

١٥ ـ دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى العمل على إيجاد آلية للتنسيق بين الهيئات والمراكز والمدارس العاملة فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية خارج الوطن العربى .

١٦ ـ حث الدول العربية على التعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؛ لتوفير الموارد المالية والوسائل الفنية الضرورية ؛ لإنشاء المدرسة العربية العالمية لتكون مدرسة عربية عالمية على غرار المدارس العالمية الأجنبية بحيث تدرس مناهج عربية موحدة وتعطى شهادة عربية موحدة معترفاً بها .

أنباء العالم الإسلامي

تقديم الأستاذ مجدى عبد الحميد بشير

الصـــومال :

تقيم هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية عدة مشروعات زراعية لاجتذاب الأعداد الكبيرة التى نزحت بسبب المجاعة والحروب الأهلية والقبلية فى الصومال لكى يعودوا إلى ديارهم لإستصلاح تلك الأراضى .. وأكد مسئولون بالهيئة أن الوضع الأمنى بالصومال حالياً يشجع على إقامة تلك المشاريع ، والجميع مدعُوُّون للتبرع لأولئك المنكوبين .

بلغــــاريا :

شارفت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية على إتمام بناء عشر مساجد فى بلغاريا بكل مسجد مصلى للرجال وآخر للنساء ومكتبة وسكن للإمام والمؤذن ، كما تقوم الهيئة برعاية الأيتام البلغار وأسرهم ؛ بالإضافة إلى ترجمة بعض الكتب الإسلامية ، وتوزيعها مجاناً تصحيحاً للمعتقدات والمفاهيم وهى جهود آتت أكلها الطيب ، خصوصاً مع المتعطشين إلى الإسلام بعد طول حرمان .

طنجــة :

قامت جمعية التوعية الإسلامية بطنجة بالمغرب بانشاء مجتمع صافى العقيدة سليم النشأة ثقافياً واجتماعياً وخلقياً يعتمد الكتاب والسنة والعلوم الشرعية ويبث الوعى بالمحاضرات والندوات والرحلات ونشر الكتب الإسلامية وتحفيظ وتجويد القرآن وإعطاء دروس التقوية المجانية للطلاب الفقراء والتركيز على محو أمية النساء .

الجامعة الإسلامية بماليزيا :

التحق بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا هذا العام ١٧٠ طالباً نصفهم من طلاب البوسنة إضافة إلى طلبة من بلغاريا والصين وروسيا وبلدان أخرى ، ومن جهة أخرى قرر وزير خارجية ماليزيا إيواء ١٠٠ بوسْنىّ إلى حين بناء مخيمات لإيواء ضحايا الصرب تنفيذاً لتوصية صدرت عن منظمة المؤتمر الإسلامى .

صرح إسلامى فى أوروبا :

وافق وزير الأوقاف المصرى على تزويد المعهد الإسلامى فى باريس بأمهات الكتب الإسلامية وترجمة معانى القرآن الكريم والعلماء والقراء وكتب الفتوى جاء ذلك خلال توقيع سيادته على بروتوكول التعاون فى باريس الأربعاء ١٣ رجب ١٤١٣هـ بين المعهد الإسلامى والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

كما اعتمد سيادته ٣٧٠ ألف جنيه لتوسيع وتطوير مسجد سيدى العارف بمدينة سوهاج وتجميل الميدان المحيط به ، كما صرح بذلك محافظ سوهاج

كما وافق الوزير على المساهمة فى إنشاء مسجد باستاد سوهاج الرياضى ومسجد آخر ودار مناسبات بحى العاشر من رمضان بسوهاج أيضاً .

رسالة من رئيس مشيخة مقدونيا :

ناشد الشيخ إسماعيل رجب رئيس المشيخة الإسلامية بمقدونيا المنظمات الإسلامية فى العالم الإسلامى تقديم المساعدة لإنشاء مكتب إعلامى لمسلمى مقدونيا بالقاهرة بهدف أن يكون حلقة وصل بين دول العالم الإسلامى ومسلمى البوسنة والهرسك ومقدونيا وغيرها من الدول الإسلامية فى أوروبا .

إذاعة وليدة :

اتفقت وزارة الإعلام المصرية مع المسئولين بجمهورية أوزبكستان الإسلامية على توجيه أول إذاعة إسلامية من مصر تتحدث باللغة الأوزبكية ومن مواد الإذاعة الناشئة تعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم والتعريف بقواعد الإسلام كما انتهى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية من ترجمة ٥ كتب كل واحد منها التعريف بأحد قواعد الإسلام الخمسة وذلك إلى اللغتين الروسية والأوزبكية ، كما اتفق على تخصيص منحة لأبناء أوزبكستان للدراسة بالأزهر لمدة خمس سنوات .

رُوانـدا :

وافق شيخ الأزهر على خطة دعم نشاط الجمعية الإسلامية فى جمهورية رُواندا وذلك بإنشاء بعض المعاهد الدينية والمدارس القرآنية النظامية وتزويدها بالمعلمين والدعاة وزيادة عدد المنح الدراسية المخصصة لأبناء المسلمين هناك ، كما يساهم الأزهر فى افتتاح مدرسة إسلامية للبنات ويبلغ مسلمى رواندا نصف مليون نسمة من أصل خمسة ملايين هم عدد السكان .

المغـــرب :

احتفل فى ٣ يناير ١٩٩٣ بافتتاح ثالث أكبر المساجد فى العالم بعد الحرمين الشريفين وهو مسجد الحسن الثانى بالدار البيضاء بالمغرب والمسجد تحفة معمارية تجمع بين العمارة الإسلامية والعمارة الحديثة ويسع ١٢٥ ألف مصل ملحق به مركز إسلامى يضم مدرسة قرآنية ومكتبة إسلامية وقاعة ندوات ومؤتمرات .

مسجد الإمام البخارى :

أعلن مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية ببريطانيا أنه اتفق مع حكومة أوزبكستان على عمل مسابقة دولية للمهندسين المعماريين لتجديد وتطوير مسجد الإمام البخارى بطشقند .

كفر الشيخ :

صرح محافظ كفر الشيخ بأنه تم الانتهاء من توسعة وتطوير وتجديد مسجد طلحة أبى سعيد التلمسانى بتكلفة ٢ مليون جنيه بالجهود الذاتية وقد وسّع المسجد من ٧٠٠ إلى ٢٠٠٠ متر ليضم مصلى خاصة بالسيدات وقاعة للزوار ومكتبة إسلامية ومنبر جديد للخطابة وأربع مآذن .

الجـــيزة :

افتتح وزير الأوقاف ومحافظ الجيزة المجمع الإسلامى بالمنيب وضم مسجداً للرجال ومصلى للسيدات وقاعتى تحفيظ قرآن كريم ومكتبة إسلامية ودار مناسبات ومركزاً طبياً ومكاناً مخصصاً لمائدة الرحمن طوال العام بتكلفة مليون جنيه بالجهود الذاتية .

حول مهرجان القاهرة السينمائى الدولى السادس عشر

٣٠ نوفمبر - ١٣ ديسمبر

كتب الأستاذ / أحمد تقى الدين

مما لا شك فيه أن وسائل الإعلام أصبحت تؤدى دورا مهما فى الحياة اليومية ، ولا أدل على ذلك من هذا الاهتمام المتزايد بالوسائل السمعية والبصرية ، كما أن السينما أصبحت هى الأخرى فناً يضاهى الفنون الأخرى كالمسرح وغيره .

والسينما فن جماهيرى خطير تتركز خطورته فى أن المشاهد يجلس فى قاعة مظلمة لساعات عدة مسلوب الإرادة ، مقتنعا بأن الفيلم يخاطبه وحده ويسيطر على وجوده ، وبالتالى يسهل على صانعى الفيلم بث الأفكار التى يريدون الترويج لها فى وجدانه .

إن السينما - كما يقولون - هى فن العصر وهى أخطر وسائل التعبير ، وأشرس أدوات الدعاية والإعلام .

ومن هنا كان حرص مجلة الأزهر على متابعة أعمال مهرجان القاهرة السينمائى الدولى السادس

عشر ١٩٩٢ ؛ لنرى : كيف يفكر الآخرون ؟ مع الأخذ فى الاعتبار أن لنا ملاحظة أساسية على مشاهد الجنس الفاضح التى احتواها غير قليل من أفلام المهرجان ، والتى تأتى خلف ستار حرية التعبير ، وكان يمكن الاستغناء عنها إلا أن مخرجيها أصروا عليها سعيا وراء الواقعية التى يتصورونها .

والمؤسف أن تنحـــو تونس فى فيلمهـــا (بيزناس) ، والمغرب كذلك فى فيلم (ليلة القتل) نفس المنحى ، وفى هذا الصدد تفاخر (نبيل لحلو) مخرج (ليلة القتل) بأن السينما المغربية تعمل بدون رقابة ، وأبدى استياءه عند عرض فيلمه بالقاهرة بلافتة للكبار فقط ـ لما حوى من مشاهد فاضحة ـ حيث قال ـ فى الندوة التى أعقبت عرض فيلمه : «إن الواقعية تتطلب حرية التعبير ، وإذا كان الأمريكان يتحدثون فى كل شىء بحرية ، فهناك فرق بين حياتنا ، وبين مايحدث هناك ، وحتى إذا كنت أفخر بحرية التعبير فى المغرب ، لكننى أعتقد أن استخدام الوسائل السينمائية للتعبير عن الحرية شىء آخر ، نحن مازلنا فى بداية هذا الطريق ، ونحن نحترم مؤسساتنا» .

ملاحظات عابرة

بعض دور السينما عمدت إلى تعديل أسماء الأفلام بحيث يتضمن الاسم الجديد أعلى درجات الإثارة ، مثل : فيلم (قلب الرعد) الأمريكى ، والذى حولته إحدى دور العرض إلى (قلب الحب) وكتبت أمامه رائع مثير .

فيلم آخر يحمل اسم (التانجو العارى) ، حيث رأت دار العرض أن جمهور المشاهدين ـ وأغلبهم من البسطاء فمنهم العامل والفلاح ـ لن يفهم معنى كلمة (التانجو) فقامت بتعديل الاسم إلى (الـرقصة العاريـــة) وكتـــبت بجواره : (غير عادى) . و(لاتصطحب معك زوجتك إذا أردت الاستمتاع بالفيلم) .

البرنامج التليفزيونى (أمانى وأغانى) أجرى مساء السبت ١٢ ديسمبر حوارا مع بعض مشاهدى عروض مهرجان القاهرة السينمائى وعندما سألهم المذيع : هل يمكن للشباب أن يقلد مايرى فى الافلام ؟ أجابوا : بالتأكيد !

كما لوحظ تجاوب الجمهور مع العبارات والجمل الجنسية ، وحفظه لها بمختلف اللغات !

قبله فى الهواء

VOZDUSHNIY POZELUI

إنتاج : كازاخستان

إخراج : Abai karpikov

يدور الفيلم حول قصة حب بين ممرضة شابة فى مرحلة المراهقة (١٧ عاما) وبين خطيبها الطبيب ، الفتاة تبحث عن الحب ، وهو بمفهومها يعنى الجنس ، أما الطبيب فيرفض ذلك ، ويصر على تأجيله حتى يتم الزواج ، بل ويؤجل طلبها العفوى للزواج ، ولايترجم مشاعره نحوها بقبلة واحدة حتى تيأس منه الفتاة ؛ فتتجه إلى أحد المرضى فى المستشفى الذى تعمل به ، وتمارس معه الجنس وعندما يغادر المستشفى يصيبها الجنون ، فتبـــحث عن غيره ولـــكنها تفشل ، وتحاول الانتحار ، ولكنها تتراجع ، ثم يدركها خطيبها الشاب ويخرجان معا ويستقلان دراجة بخارية ، وفى الطريق يقع لهما حادث أليم ، وبينما الفتاة تعانى سكرات الموت تطلب من خطيبها أن يقبلها فيفعل ، ولكنه يكتشف أن قبلته كانت فى الهواء فخطيبته قد ماتت .

هذا هو ملخص أحداث الفيلم والذى من المفروض أنه يعبر عن سينما جديدة تماما من إنتاج

جمهورية كازاخستان الإسلامية حديثة الاستقلال ، ولكننى أرى أن ماوراء الفيلم أكثر من مجرد قصة حب ومراهقة وقبلة فى الهواء .

ولست أدرى ما الذى جعلنى أقارن بين الممرضة الشابة المراهقة ذات السبع عشرة ربيعا وبين كازاخستان ــ وغيرها من دول الكمنولث ــ والتى مازالت فى طور جديد بعد انتهاء المرحلة التى قضتها فى وصاية الحكم الشيوعى ، وما يجعلنى أتمسك أكثر بهذا التفسير تلك المكالمات التليفونية مع الأب والأم اللذان يعملان فى سنغافورة ، وتتلهف الفتاة على رؤيتهما بلا جدوى ، وفى رأيى أن الأب والأم هنا يمثلان رمز الحكم الشيوعى البائد الذى تبحث عنه الفتاة ؛ لتستمد منه النصح ، وعندما تعجز عن ذلك فهى تبحث عن الدفء والحب ، ولا تجد أمامها سوى الجنس ــ الذى عبر عنه مخرج الفيلم بصراحة كاملة ــ والجنس هنا على مايبدو يمثل نتيجة مباشرة للاستقلال ، وسقوط الحكم الشيوعى أو غياب الرعاية الأبوية .

وبعد ...

إن المشكلة الحقيقية للسينما العربية تكمن فى انفصالها عن حياة الناس ، وغياب الوازع الدينى والقومى عنها تماما ، ذلك أن صانعى السينما العربية يقدمون فى أفلامهم المواطن المسلم داخل البار وفى أحضان العاهرات ، والمرأة المسلمة المتخلية عن مظاهر دينها ، ومن ثم يشوهون صورة الإسلام والمسلمين فهل هذا هو مجتمعنا الذى تشكل غالبيته أناسا يعتنقون الإسلام الذى يحرم الخمر والزنا والتهتك ، ومات ولا يزال يموت منه الآلاف دفاعا عن الإسلام ...؟؟؟

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها ، وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الإنتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الإنتاج مسنداً إسناداً علمياً كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

الفهـرس

الموضـوع — صفحة

- الافتتاحية (الكلمة أمانة)
  للدكتور/علي أحمد الخطيب ١١٤٥
- مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر
  شهر شعبان وليلة النصف منه
  للإمام الأكبر شيخ الأزهر ١١٥٠
- فتوى فى حكم استخدام الودائع والأوقاف
  للإمام الأكبر شيخ الأزهر ١١٥٢
- قبس من أنوار النبوة (الدعاء هو العبادة)
  للشيخ علي حامد عبدالرحيم ١١٦٢
- التفاؤل والتشاؤم للأستاذ/حلمي الحولى ١١٦٤
- من صفات الرجولة فى الإسلام
  للأستاذ/محمد سيد خفاجي ١١٦٩
- الأكراد (الشعب المسلم وقضيته القومية) (٢)
  للأستاذ/ماهر زكريا الشيمي ١١٧١
- شريعتنا والمنظمات الدولية
  للأستاذ الدكتور/عبدالمنعم ابراهيم البدراوى .. ١١٧٥
- مقومات الوحدة الإسلامية
  للأستاذ/أشرف شعبان ١١٧٩
- الإيمان بالقدر من جوهر الإيمان
  للأستاذ/محمد زين العابدين ١١٨٤
- الفتاوى إعداد الأستاذ /عبدالمنعم حافظ فوده .. ١١٨٧
- من أعلام الأزهر (الشيخ علي يوسف)
  للمستشار/محمد عزت الطهطاوى ١١٨٩
- الاستعداد القتالى من أهم ركائز الأمن
  للواء ا. ح/محمد جمال الدين محفوظ ١١٩٣

الشعر والشعراء

- الشاعر/أحمد شوقى للأستاذ /رشاد محمد يوسف . ١١٩٨
- الزلزال للشاعر/محمد عبدالرحمن صان الدين ... ١٢٠٢
- نظرتان إلى الزلزال للشاعر/السيد الصديق حافظ ١٢٠٤
- مصر بخير للشاعر/ثروت محمد يوسف ١٢٠٥

العلوم الكونية

- الإنسان ومشكلات التلوث بالضوضاء
  للأستاذ الدكتور/أحمد فؤاد باشا ١٢٠٧
- المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية
  للأستاذ الدكتور/منصور محمد حسب النبى ... ١٢١١
- هذا خلق الله (أقوى من القنبلة الذرية)
  للأستاذ/منذر محمد عبدالرحمن ١٢١٥
- الجديد فى العلم والتقنية
  إعداد الدكتورة/نجوى السيد أحمد ١٢١٨
- طرائف ومواقف
  بقلم الأستاذ/عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٢٢٠
- من روائع الماضى بمجلة الأزهر (دفاع عن الأزهر)
  إعداد وتقديم الأستاذ/عبدالفتاح حسين الزيات ١٢٢٢
- المشكلات الطبية النسائية
  د./أحمد رجاء عبدالحميد ١٢٢٥

الإمام الخطيب

- مكانة المسجد الأقصى فى الإسلام
  للشيخ/عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ١٢٣١
- الصلاة وموضعها من الدين ١٢٣٥
- عظة منسوبة إلى الإمام علي بن أبى طالب
  للأستاذ/محمد أحمد أبو المعاطى ١٢٣٧

اللغة والنقد والأدب

- خصائص القيادة الناجحة
  عرض وتقديم الأستاذ/أحمد مصطفى حافظ ١٢٤٠
- وقفة مع الدكتور (مختار الوكيل)
  موكب الذكريات للشاعرة/جليلة رضا ١٢٤٣
- مشهد السيدة رقية بقلم/أحمد رجب محمد ١٢٤٧
- تلخيص تقريب النشر (فى معرفة القراءات العشر) (٨)
  للشيخ/إبراهيم عطوة عوض ١٢٥٣
- بين المجلة والقارىء
  إعداد وتقديم د/محمد عبدالحكيم محمد ١٢٦٤

أنباء وآراء

- مع الإمام الأكبر فى حوار صحفى ١٢٧٤
- أنباء مكتب فضيلة الإمام ١٢٧٩
- فلسطين فى التاريخ
  للأستاذ الدكتور/مجاهد توفيق الجندى ١٢٨١
- مع آخر مؤتمر للأزهر
  إعداد الأستاذ/فوزى الزفزاف ١٢٨٩
- أنباء العالم الإسلامى
  تقديم الأستاذ/مجدى عبدالحميد بشير ١٢٩٦
- حول مهرجان القاهرة السينمائى الدولى السادس عشر
  للأستاذ/أحمد تقى الدين ١٢٩٨

القسم الفرنسى

- المقالة الثانية للدكتورة/ليلى حسين ١٣٠٣
- المقالة الأولى للدكتورة/رقية جبر ١٣٠٨

القسم الانجليزى

- المقالة الثانية للأستاذ/سعد مصطفى مصطفى ... ١٣١٤
- المقالة الأولى للأستاذ الدكتور/أنس مصطفى النجار ١٣١٨

Al Ta'if-L'échec de la délégation en Abyssinie renforça les persécutions contre le prophète (paix soit sur lui), à la Mecque.

Le païens rompirent tous contacts sociaux, commerciaux, matrimoniaux avec la tribu du prophète (paix soit sur lui) qui dut se mettre en marge de la ville. Le boycott dura plusieurs années. Ainsi c'est très affaiblie par la malnutrition que la communauté du prophète (paix soit sur lui) réintégra enfin la Mecque.

L'époux du prophète (paix soit sur lui) son oncle Abû Tâlib, le chef de la tribu, moururent. C'est alors que Abû Taleb excommunia le prophète (paix soit sur lui) le laissant plus vulnérable que jamais. Le messager d'Allah (paix soit sur lui) se réfugia alors à Ta'if auprès de ses oncles maternels chez qui il ne trouva aucun soutien. Il rentra donc à la mecque à pied. En chemin, il invoque Allah, bien déterminé à accomplir sa mission. La réponse divine fut le voyage et l'ascension nocturnes (Al Israâ wal Mi'rag).

Ensuite les non-musulmans de Médine commencèrent à embrasser l'Islam. Le prophète paix soit sur lui et Abû Bakr invités à s'installer à Médine, furent les derniers à quitter la Mecque.

Médine

Malgré le grand élan vers l'Islam, la population médinoise était en majorité constituée de non-musulmans : juifs, chrétiens, arabes idolâtres, noirs ... entre lesquels s'évissaient, les guerres civiles.

Les réfugiés mecquois étaient très démunis. Le Prophète convoqua une assemblée des musulmans médinois et proposa que chaque famille musulmane médinoise prenne en charge une famille mecquoise. Ils travaillèrent et cohabitèrent ensemble.

Pour mettre fin à l'anarchie régnant à Médine, le prophète réunit les chefs des tribus voisines afin de fonder un état fédéral et chaque tribu garderait son intègre autonomie, seules la défense et la justice inter-tribales dépendraient d'un pouvoir central. Ils acceptèrent; alors tous les troubles cessèrent. Le prophète fut élu chef de cet état; et c'est alors qu'il établit la première constitution écrite au monde.

Le prophète voyagea dans les alentours de Médine contractant des alliances militaires avec les voisins sans engager les alliers à entreprendee de guerre religieuse. L'état islamique se consolida et s'agrandit. De nouvelles conversions et l'immigration dès musulmans hors du territoire augmenta le nombre des musulmans. Ceci se poursuivit jusqu'en l'an 8 de l'Hégire date de la conquéte de la Mecque par le prophète.

Toutes les guerres avec les païens mecquois furent défensives. Par la suite l'extension du territoire islamique gagna toute la péninsule arabique ainsi que-la Syrie et l'Iraq — le prophète envoyait des missives aux souverains étrangers pour les inviter à embarasser l'Islam; il respectait les coutumes des non-musulmans — préservant leur autonomie juridique et judicaire et, bien entendu, la liberté de culte. Par ailleurs, les non-musulmans étaient exemptés du service militaire. Peu à peu les non-Musulmans ne furent plus qu'une minorité.

Ajoutons enfin que la loi islamique instaurée par le Coran et appliquée pour la première fois par son prophète n'a point sa pareille en Occident ni en Europe ni en Amérique.

Dr. Leila Hussein Al Chaféi

Le début du Message
et les minorités musulmanes.

par Dr. Leila Hussein Al Chaféi

C'est en l'an 609 de l'ère chrétienne que le saint prophète Mohammad (paix soit sur lui) âgé de quarante ans, reçut le message d'Allah : Gibril lui transmit durant la nuit du 26 Ramadan, le premier fragment du Saint Coran (sourate 96, les sens du verset 1 à 5) dans la grotte où Mohammad faisait une pieuse retraite ce jour là, il interrompit sa retraite et rentra chez lui, impressionné et grelottant.

Là, son épouse l'enveloppa d'une couverture - quand il fut réchauffé il raconta à sa femme ce qui s'était passé. Elle le consola et lui proposa d'aller voir son cousin Waraqah (un chrétien). En effet, Waraqah lui fit la prédiction suivante : "ne t'inquiète pas, tu es le prophète de cette époque. Toutefois tu seras persécuté et chassé, tout comme Moïse, car tel est le sort de tous les prophètes d'Allah."

Ce sont sa femme Khadiga, son fils adoptif Zayd, son cousin Ali et son grand ami Abou Bakr qui, ajoutèrent foi à ce qu'il a dit. Face à l'insistance du prophète (paix soit sur lui) de n'adorer qu'Allah, l'opposition grandit chaque jour davantage entre les mecquois.

Si un esclave embrassait l'Islam son maître païen le punissait d'une façon cruelle; si un jeune le faisait, son père ou un autre grand de la famille l'opprimait; même les femmes n'étaient pas épargnées. Cependant on ne signale aucune apostasie. Lorsque la persécution devint insupportable, le prophète conseilla à ses adeptes d'aller se réfugier en Abyssinie où gouvernait un roi juste le Négus. Chargé d'une lettre du prophète, son cousin Dja'far Ibn Abou Taleb alla se réfugier avec un petit nombre de musulmans chez le Négus où ils furent bien traités.

D'un autre côté, les païens de la mecque étaient furieux car, non seulement des mecquois embrassaient chaque jour l'Islam, mais aussi des individus étrangers venaient s'y rallier — Signalons parmi ces derniers, le roi Chabravati de Malabâr (Inde de l'ouest) qui se convertit après avoir vu dans son pays le miracle de la fissure de la lune. Le prophète lui demanda alors de prêcher l'Islam dans son pays mais il mourut avant de pouvoir le faire. En vain les païens réclamèrent au Négus l'extradition des mecquois. Le prophète se réfugia ensuite à Médine d'où il entreprit de combattre les mecquois.

La victoire de Badr fut glorieuse. Les mecquois ripostèrent en envoyant une délégation en Abyssinie plus perfide et plus rusée que la première. Elle avait pour but de soudayer les prêtres chrétiens de l'entourage de Négus et de rapporter de faux propos calomnieux des musulmans sur le christianisme et en particulier sur Jésus Christ.

Le juste roi écouta la requête du porte-parole des mecquois sans céder aux pressions ajoutées des prêtres. C'est alors que pour se disculper, Ja'far, le cousin du prophète, récita les versets du Coran traitant des sujets de discorde. Le Négus les trouva si justes qu'il admit que Jésus ne différait pas de ce que le coran avait décrit. Il renvoya donc les païens mecquois.

Les réfugiés musulmans et les troupes du Négus combattirent ensemble dans de nombreuses guerres. Le courage et la vaillance des musulmans émerveillèrent le Négus, on dit même qu'il devint musulman. Après la mort du Négus, le prophète (paix soit sur lui) célébra l'office funéraires en absentia à Médine. Le successeur de Négus était chrétien, mais il n'opprima pas les réfugiés musulmans dont l'influence rayonna. De nombreux Abyssins convertis s'expatrièrent à Médine où ils reçurent un traitement privilégié de la part du prophète (paix soit sur lui).

20ème — Etablir des liens avec les civilisations des divers peuples du monde et développer la coopération et encourager les discussions qui servent l'humanité et dans le contexte des valeurs islamiques.

21ème — Encourager les pays islamiques et avoir des représentants arabes dans les diverses organisations internationales ainsi que dans les agences spécialisées afin que le monde islamique puisse profiter des aides techniques, financières et humaines qu'elles offrent.

22ème — La conférence apprécie la position des pays étrangers qui ont épousé les causes des musulmans et qui ont appuyé leur droits légitimes et ont contribué à repousser l'agression. La conférence invite les pays et les peuples islamiques à prendre ceci en considération lors de la détermination de leurs relations avec les divers pays.

23ème — La conférence a pris connaissance des progrès des travaux entrepris en vue d'une coordination entre les organisations islamiques membres du Conseil Islamique mondial pour la prédication et l'assistance, surtout au sujet des échanges d'informations et de l'organisation des campagnes de secours dans les régions sinistrées et démunies. La conférence invite le conseil à déployer plus d'éfforts dans ce sens et confie au Conseil la tâche de poursuivre l'éxécution des recommandations qui ont été promulguées au cours de cette conférence.

Dr. ROKEYA GABR

10ème — Appuyer les efforts déployés pour restituer les droits légitimes des palestiniens ainsi que Jérusalem, capitale de l'état Palestinien. Consolider? la "Intifada" le soulèvement palestinienne et libérer les territoires arabes occupés par tous les moyens.

11ème — Veiller à activer les organisations régionales établies entre les peuples islamiques et arabes et à appuyer les efforts déployés pour la coordination des politiques et des autres activités entre les pays membres.

La conférence propose l'étude d'un projet de modification de la charte de l'organisation de la Conférence islamique en vue de constituer des forces défensives communes aux pays membres pour parer à toute agression.

12ème — Recommander auprès de l'organisation de la conférence islamique la constitution d'une commission pour résoudre les litiges entre les pays, en cas d'échec le plaignant peut recourir à une Cour de Justice islamique, sans que l'approbation de l'autre parti soit nécessaire. Ajoutons à cela la suggestion de modifier la charte de l'organisation en conséquence, tout en invitant l'organisation à prendre des mesures permettant à la Cour de remplir ses fonctions.

13ème — Encourager les organisations de la prédication et de l'assistance à fonder des commissions féminines qui accompliraient les mêmes fonctions en ce qui concerne les femmes et les enfants.

14ème — La Conférence invite les responsables de l'information écrite et audio-visuelle les pays islamiques à respecter les convenances et les valeurs islamiques dans la matière d'information présentée par ces organes d'information et ils doivent également faire connaître l'Islam et diffuser les valeurs islamiques.

15ème — La Conférence recommande aux pays arabes islamiques à fonder des fonds pour le développement et à investir leurs fortunes dans les pays islamiques dans les domaines qui font avancer la roue du développement et du progrès et la progression afin d'aider à faciliter les travaux et d'anéantir les problèmes économiques et de chômage.

La conférence invite également à encourager les projets communs entre les pays islamiques.

16ème -- Contribuer au développement et à la formation des ressources humaines dans les divers pays islamiques et la création d'un climat favorable à l'invention et à la sauvegarde du capital humain des musulmans en vue de l'investir à l'intérieur de la patrie islamique.

17ème -- Faire le bilan de toutes les résolutions issues par les organisations arabes et islamiques en vue d'établir des marchés économiques communs et étudier les obstacles qui entravent leur mise en application. On peut pour cela suivre l'exemple des Communautés internationales.

18ème -- Inciter les Arabes riches qui investissent dans les pays non arabes et non islamiques, à investir leurs fortunes dans les pays islamiques et cela en leur offrant toutes les garanties contre les risques qui ne sont pas d'origine économiques

19ème -- Encourager l'établissement de centres d'informations dans les divers domaines scientifiques, économiques, sociaux et faciliter leurs échanges entre les pays islamiques et le monde extérieur.

Au nom d'Allah celui qui fait miséricorde
Le Miséricordieux

LES RECOMMANDATIONS

1er — Veiller à unifier la nation islamique au moyen de l'unification de ses législations selon les règlements de la Jurisprudence islamique, par l'organisation commune des méthodes d'enseignement et des principes de l'éducation de ses enfants, par la réalisation de la complémentaire de leur économies et dans des courants de l'information de ces pays, tout en prenant en considération les circonstances particulières à chaque pays et par une réforme progressive.

2ème — Veiller à développer les capacités d'éveil islamique à diriger et dans le but d'empêcher qu'il ne soit épuisé dans les conflits intérieurs. Veiller à propager l'amour du travail sérieux dans tous les domaines afin d'affronter les défis.

3ème — Inviter les gouvernements et les peuples dans les pays islamiques à encourager les discussions intellectuelles entre les divers courants dans une même nation, afin d'aboutir un accord au sujet des questions fondamentales, à la conformité de la parole dans les principaux procès et d'éviter le recours à la contrainte ou à la violence.

4ème — L'application des droits de l'homme tels qu'ils ont été établis par l'Islam dans le travail, l'enseignement ainsi que la possibilité de circuler sans restriction dans les diverses régions de la nation islamique en vue d'une meilleure coopération.

5ème — Les organisations des pays, arabo-islamiques se chargent de la coordination des efforts entre ces pays dans les domaines politique, économique, éducatif, culturel, et de l'information dans les deux cadres islamique et international pour une meilleure conséquences entre ces pays

6ème — Veiller à supprimer les traces de la guerre du Golfe et à résoudre la question des captifs et prisonniers de guerre, à mettre fin aux compagnes en vue de préparer à la normalisation des rapports entre les peuples et les pays islamiques.

7ème — Veiller à appuyer les minorités musulmanes dispersées dans les diverses régions de la terre et leur tendre la main en vue d'une coopération avec elles et avec ses états dans les divers domaines. Ainsi elles pourront bénéficier de leurs droits légitimes dans le cadre des pactes internationaux.

8ème — Inviter tous les peuples, les organisations et les gouvernements islamiques à appuyer le groupe des états indépendants du Commmonwelth. (L'ex-Union Soviétique) ainsi que les provinces islamiques qui jouissent de l'auto-détermination à conserver leur indépendance et leur unité comme: Qratichay, Charkesk, l'Engouche, Chassan Doghestan, Qabardino Belqar Bichkarestan et Tataresta.

9ème — Charger le Comité de la présidence du Conseil Islamique mondial de la prédication et de l'assistance à constituer des commissions d'arbitrage pour mettre fin aux litiges entre les pays et les peuples islamiques et de s'arranger à ce sujet avec les pays et les organisations régionales concernées.

L'Islam de nos jours connaît des dissensions et des troubles intérieurs. Or, aujourd'hui vous êtes réunis non pour faire de longs discours, ni pour pleurer notre sort, chercher des excuses, mais pour vous concerter afin de réunifier votre nation et d'effacer ses craintes. Ce conseil islamique pour la prédication et l'assitance a pour objectif d'unifier les voix et les objectifs des musulmans dans les domaines qui nécessitent la coordination de leurs efforts.

Nous avons l'espoir que des études sérieuses nous permettront de trouver les moyens de dissiper ces nuages qui obscurcissent le ciel des Musulmans et cela en suivant les enseignements d'Allah-qu'Il soit Glorifié — .

Je termine par cette invocation [Ô Seigneur, octroies - nous une miséricorde et guide nous vers une sage solution]

Compte-rendu de la Conférence du Conseil Islamique International pour la prédication et l'Assistance (suite)

par Dr.Rokeya Gabr

Au cours de son Allocution, son exellence, Kamel Al Chérif a dit:

"Cette conférence permet de faire une mise au point. Ce Comité a été formé dans le but de coaliser les efforts et de fournir des renseignements précis en vue d'unifier l'action des pays musulmans tout en aplanissant les difficultés.

Je voudrais prévenir également que les dissensions entre les pays islamiques peuvent avoir des effets négatifs. En effet ces zizanies entre certains gouvernements ont éveillé une certaine inquiétude parmi les membres de ce Conseil qui se veut un organe neutre, dont Al-Azhar a appuyé l'indépendance.

Le président du Conseil a rendu visite aux présidents de quelques états islamiques en vue d'échanger les avis. *Mais* **le plus grand danger réside dans les luttes idéologiques entre les divers groupes islamiques au sujet des modes à adopter pour la prédication.**

Or, le monde évolue autour de nous, et nous sommes témoins des ambitions qui ont causé les événements sanglants en Palestine, en Bosnie et en Somalie.

Quel est donc notre rôle? **Voir quels sont les mobiles qui poussent à persécuter les musulmans, dresser une stratégie pour chaque cas particulier, afin de savoir quels sont les adversaires de l'Islam.**

Enfin ce Conseil représente la première tentation sérieuse pour unifier l'oeuvre officielles dans un projet visant à relever les défis. Il a réussi, dans un temps relativement court à réaliser beaucoup de choses, et nous lui souhaitons encore plus de succès dans ses efforts

De son côté le Général Souar Al Dahab a dit **"Nous louons Al-Azhar qui a toujours pris les devants pour la prédication et l'assistance portée aux musulmans. Dans tous les coins du monde les musulmans sont persécutés, comme si l'Occident désirait que tous les Musulmans soient disseminés, et qu'il considérait l'Islam comme l'ennemi "numéro un".**

C'est pourquoi ce Conseil réunit l'espoir de tous les Musulmans qu'il a pour principal devoir de défendre et de protéger. Toutefois il est nécessaire que nous commencions par remédier aux défauts que présente la nation islamique elle-même. Qu'Allah vous aide dans cette noble tâche!"

Dans le discours, de clôture le Révérend Cheikh Gad Al Haq Ali Gad Al Haq a dit": **Je suis heureux que cette Conférence se réunisse sous l'égide d'Al-Azhar qui au cours des générations poursuit la lutte pour la défense et la propagation de l'Islam à travers le monde. Les soucis des peuples musulmans sont multiples: certains de nos frères sont chassés de chez eux, d'autres présécutés, ou dispersés. Ils en sont même venus à se retourner en ennemis les uns contre les autres. Même leur honneur n'a pas été à l'abri des humilations (zizanies)**

REVUE AL-AZHAR

SHABAN 1413

Volume 65 — Partie VIII

Section Française

Comité de Rédaction :
Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Ummah is not an accidental growth of nature; it exists solely as an instrument of the Divine Will which seeks through the performance of the Ummah its own actualization. The Divine Will constitutes the matrix of Allah's definitive revelation, the instrument of Allah's Will, the point at which the divine transcendence meets the cosmos, where the cosmos is launched on its infinite march toward the fulfillment of the Divine Púrpose. The Ummah exists to actualize the fact that the word of Allah is supreme.

The Islamic social order is "totalist", in the sense that it holds Islam and its doctrinal teachings as relevant to every area of human activity. The foundation of this social order is the Divine Will which is related to every creature because of his endowed constitution, structure and function. Every human activity is determined by Divine providence, and human beings can project no goal for themselves in any field of endeavor that does not fall under the Divine law of the "Shariah". The laws of Islamic "Shariah" must be analyzed, deduced, induced, extended, extrapolated and rendered relevant to all that there is; otherwise the proper comprehensiveness of the Divine Will on which the Islamic law of "Shariah" ultimately rests would be questionable. The best social order in consequence of this truth; is that which controls, addresses, and orders as much of human activity as passible; similar to the best governments as that which governs most. The Islamic social order is not merely a learned society, a club, a trade union, a chamber of commerce, or a political party; it is all these and much more, precisely because of the relevance of Divine Will to every aspect of human life and death. The totalism of the Islamic social order does not only pertain to present human activities and their objectives, it also includes all activities in all times and places; as well as all the humans who are the subjects of these activities and whom it regards as its necessary members. While the Islamic totalist social order regards all Muslims as conscripts in its programmes and projects, Islam holds non-Muslims as potential members who should be persuaded to join in the endless task of the actualization of the divine law.

The social order of Islam is free; if it is built by force, or excutes its programmes through coercion, the social order would lose its purpose and Islamicity. Regimentation may be necessary in particular temporary cases for implementation, requiring mutual consultation beforehand "Shura". Islam seeks the actualization of the moral values. Mankind is free in his actions before the Divine imperative; that is why only mankind carries the Divine Trust. Mankind must be cultured and taught to comprehend the concept of values, morals, and divine commandments as the desirable patterns. This makes the social order of Islam a perpetual large scale seminar or schooling where the business of government and leadership is to teach, to culture, to educate, to convince, to enlighten, and to guide. Evidently, the

law; ethnocentrism is condemned, because it implies the setting up of another source of law, namely the ethnicity itself. Juristically, ethnic considerations are permissible in so far they do not interfere in any manner with the function and actualization of the divine law. Islam is not inimical to ethnic entity allowing the constitution of political state, as long as the "Shariah" is observed in full. The law of Islam is one for all in virtue of its divine source; the principle of Tawhid "La illah illa Allah" - (there is no god save Allah) for all creatures, and certainly for all humans, the divine law is one for all the Ummah of Islam irrespective of its ethnic differences. Allah is the Ultimate Reality, the Ultimate Criterion, the Ultimate Judge infront of whom all creatures are equal with no preference except by excellence in faith.

The Islamic theism is one that seeks to address and comprehend all human fractions of mankind; therefore rendering Islam an ideology of universalist nature. The ideal of the universal community is that of Islam, expressed as the Ummah of Islam, bearing within itself the whole humanity. This ideology of the universalism of Islam is not a fantasy or an ideal of the middle ages. The ideal of a universal community has constantly lived in the mind of mankind from ancient to recent times. At every occasion that such ideal of universal community was brought up, it was corrupted, violated, assassinaated, and put away by the particularistic, nationalistic, and ethnic subversion of its enemies. The total breakdown of the ideal of universal community came about after world wars I and II due to the machinations and manipulations of Zionism, and neo-colonialist imperialism. The faith of the Western masses in the ideal continued; but it has met its final disaster at the hands of contemporary skepticism where not only nothing is holy, but also nothing has any precise or definite meaning at all. The social order of Islam carries the genuine potentials for a universal community, because of its uiversalist nature; however, it lacks the genuine subscription of effort, and the true zeal and foresight of its adherents. It requires a mountain size of honest true effort to bring about the universal Ummah of Islam; under the principle of "La illaha illa Allah" - the statement of Tawhid.

responsible for addressing and acting in harmony with the Islamic macrocosm universal Ummah in toto. It is Islam which provides them all with the essential categories of culture, civilization, social differentiation, classification, and evaluation in all personal, social,and inter-social affairs. Therefore, it is justified to identify them on the basis of Islam which they share with the Muslim Ummah in its universality.

The term "Ummah" cannot be translated, and must be used in its original Islamic Arabic form. It is not synonymous with "The people" or "the nation" or "the state"; expressions which are always determined by either race, geography, language, and history, or any combinations of these. The "Ummah" is trans-local, not determined at all by geography; and it is also trans-racial, not restricted to race, regarding all humanity as its actual or potential members. The "Ummah" is also trans-statal world state, within which it may include and contain several states. Equally, the constituents of the "Ummah" are faith integrated even though they may not fall under the political sovereignty of one state. The "Ummah" of Islam is a faith induced cohesion of nations and fractions of nations united by a common denominator of the strong rational comprehensive ideology of Islam; and the processes and movements which pursue it, or seek to actualize its goals, is "Ummatism".

The social order of Islam is universal enveloping the whole of mankind without exception. By virtue of being human, every person is a member of this social order, or a potential member whose recruitment is the duty of all other members. Islam recognizes the natural grouping of mankind into families, tribes, and nations, as a divine ordained arrangement. However, Islam rejects such groupings as definitive constitutive criterion of the humankind. Islam extends legal concepts of the family structure and governs their mutual relations of inheritance by law. For the larger groupings of tribes and nations, Islam established the function of complementing and cooperating with one another for the benefit of all. Above all humans, individuals as well as groups, races, tribes and nation, stands the law "the divine law". Although ethnic diversity is a fact accepted by Islam as subject to the divine

Tawhid : The Principle Of The Ummah

(Part I)

(Excerpts from the Writtings of Dr. Ismail Raji Al-Faruqi)

Compiled and Presented

By : Saad Moustafa Moustafa MD.

The social order of Islam is unique, different to the terms used in reference to it. In the English language, the expression "social order" means the system of values and principles which control and govern the life of a society. Any system of values and principles qualifies for the designation, even what may be described as chaos is a form of social living. The term "society" means a voluntary grouping of humans designed to achieve certain ends. It is different to "Community" which is defined as the involuntary grouping of humans who are alike and similar in race, languaage, history, culture and geography. With this understanding, "society" and "community" may and may not coincide.

In Islam, two terms are known that correspond to "community"; these are "Sha'b, and Qawm". These do not denote "society". The Arabs, Turks, and Persians are each a Sha'b or Qawm, if they are refered to as communities different from one another in language, customs, geography and genealogy. However, they are not socities either individually or grouped, in so far as this category is not exclusively applicable to them; but would include others who share similar culture and civilization. In this respect, they all become integral parts of one and the same "Ummah" or "society" of Islam.

The "Ummah" is a universal society whose membership includes the widest possible variety of ethnicities or communities, and whose commitment to Islam binds them to a specific social order. Each of these Muslim comunities is an integral part of the macrocosm universal Ummah. It is necessarily and legitimately

Another qualification of the righteous is further indicated by the Quranic verse. They are those who confess their sins or injustice and ask forgiveness without persisting in the wrong; knowing of their injustice, and confident that only Allah forgives sins. Righteousness is one of the highest orders of the qualities of the faithfull; nevertheless, they include those who have committed sin, confessed it, repented, asked forgiveness from Allah, and reside in obedience to the arena of faith, within the sphere of Divine forgiveness. To err is human, and to forgive is divine. The path of repentance is always wide open, never narrowing and never closed. One requirement is necessary, that the heart remains with faith, the soul retains the connection with the Divine milieu, and the thought is confident of Divine forgiveness. These seeds of true belief will germinate to provide the green light of hope. This is how the Quranic verse teachs humanity that Islam accepts the human faults, and paves the path for their rectification. It does not acclaim human faults, however, it provides the process by which mankind can achieve restitution and redemption on the path of Divine forgiveness. The righteous individual falling into sin or error, does not lament or lose hope, he repents and asks for forgiveness with faith that such divine forgiveness will be granted. In the text of the Holy Quran, there are complete verses in request of forgiveness. The forgiveness of Allah is thorough with complete remission of sin. Other synonymous attributes that appear in the Holy Quran are The Exonerating, The Oft-Pardoning, The Remitter, and the Oft-Forgiving.

goodwill of wellfare. This free spending in adversity and prosperity is a voluntary action on the part of the individual. This is very different to the "Zakat" which is an obligatory legislated doctrine justified as incumbent on every Muslim reaching a certain threshold of wealth; it is also optimized in quantity, periodicity, and the type of recipient that qualifies as the target to receive the "Zakat". The qualification of the righteous, as indicated by the Quranic verse, are those who spend freely, voluntary in prosperity and adversity, comprehensively in full awareness that wealth is an absolute ownership of the Divine Entity, and that man is assigned the charge of that wealth. In reality, nothing belangs to man, it is only a responsibility of charge, of obedience and understanding.

Another qualification of the righteous is the effort to dominate and restrain anger. This is an integral part of self discipline and piety. Since anger is a human emotion associated with sequential development of biological agitation and disturbances of body functions, the antidote for such bursts of anger is the serene calmness induced by piety. This maitains within the individual a status of tranquil calmness to restrain the heat of anger. The self induced and developed spiritual potential expands to distant horizons of inward light that extends wider than the limited confines of the self and the impulses of the body. And yet, the contraint of anger are only the initial stage; and the holy verse proceeds to indicate that the restrain of anger must be followed by eminent tolerance, magnanimity, pardon and condonance. This is the correct sequence when anger is restrained by calmness of the self. If no genuine magnanimity follows the restrain of anger, the heat of anger will proliferate inside the human self to develop into malignant hatred. Anger when restrained blemishs the soul, tightens the heart, and clouds the conscious. When the heat of anger is neutralized by pardon, tolerance, and magnanimity; the human body, heart, and soul will function within a milieu of light and through the serenity of the tranquil self. The holy verse continues to indicate that Allah loves the benevolent, those that spend freely, and those that condone; pardon, and forgive in magnanimity the wrong of others; the most supreme way of giving. The feeling of love in this respect is reciprocal, to become of a higher binding quality between the human elements, and between them and Allah.

loves those who are benevolent. And those who committed sin or injustice to themselves, earnestly remember Allah, and ask forgiveness, for who forgives sins except Allah; and do not persist in the wrong knowingly they have done" (Surat Al-Imran, III, verses 133-135).

These Quranic verses portray the prompt performance of obedience in feeling and in action; a competitive race to reach for the ultimate reward of Divine Forgiveness, the most exalted reward mankind can attain. This forgiveness is further surpassed by gaining paradise which is infinite in width. In other words, the spiritual felicity of mankind encompasses the width of all creation. The righteous are those who deserve, those who are the gold medalists of the competitive race on the enduring path of beseechig forgiveness. Such achievement is attained by persevering faithful self-control, observance, uniform permanence, and firm adherence to Divine injuctions. The motivative inspiration evident in the Holy Text of the verse induces the rational mind to exercise judgement and appraisal of human actions and conduct during the brief discourse of life. Those who practice such optimization in life are the righteous, the virtuous, the just, the honest, the ethical, the scrupulously candid and concientious. Above all that they beseech forgiveness from the Creator, because mankind is always fallible and imperfect.

The Quranic Text continues to define the qualifications of those who ask forgiveness in order to rank with the righteous, and who are promised the gardens of paradise. The requirement to excell in these qualifications is persevering firm constancy of action. The first qualification of the righteous are those who spend freely in benevolence from their own substance, both in adversity and prosperity. Wealth is fundamentally an absolute ownership of the Divine Entity, and through Divine Grace and Providence, wealth is endowed to mankind in amounts according to Divine Will and Design. Therefore, mankind becomes assigned the office of being in charge of that wealth to manipulate its promotion or expenditure according to Divine ordinances. One of the most salient features of these ordinances is spending in channels of charity, philanthropy, altruism, humanitarianism, and

Glimpses From The Quranic Milieu

The Path of Forgiveness

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PhD.

The Holy Quranic text presents prescriptions of treatment to the maladies of the human self during its long journey through the ordeals of life. In every phrase, in every word, there is a meaning, an understanding, a permission, a recommendation, a prohibition, or an ordinance of injunction that governs and controls human life to its maximum proficiency. The suppression of anger, and restoring calm forgiveness; repentence, and the provision of goodness, purity from sin and the adherence to moral values, are all fundamental elemental teachings of Islamic doctrines. The cultural education of the Muslim should constitute such criteria to be instituted in the mental faculty of the Muslim to become an integral part of his cognitive thought, a substrate of understanding. This prepares the Muslim for the true victory over his very self, the ego, the differences, the greed, the lust, the selfishness, and the autocentrism. Human felicity demands righteousness, piety, and the exact implementation of Divine injunctions, and the adherent observance of the maxims of the Holy Revelation.

The quest for forgiveness, and the strict pursuit of attaining Divine pardon are crucially significant. Every Muslim is urged to gain such forgiveness in order to page his way to a life of felicity, and the garden of paradise in the life to come. The promotion of the quest for forgiveness is precisely stated in several verses of the Holy Quran. The verse presented in this text is counted as one of the more prominent in this sphere of understanding. "**Hasten towards forgiveness from your Lord, and for a garden whose width is that of Heavens and Earth, prepared for the righteous. Those who spend in prosperity and in adversity; those who restrain anger, and pardon people; Allah**

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part VIII

Shaban, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, MD., Ph.D..

CONTENTS

1. Glimpses From The Quranic Milieu

   The Path of Forgiveness

   By : Anas Moustafa El-Naggar.

2- Tawhid : The Principle Of The Ummah (Part I)

   BY : Saad Moustafa Moustafa

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR

MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
تأسست عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م
وصدر العدد الأول في المحرم / ١٣٤٩ هجرية

رئيس التحرير
د/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير
علي حامد عبد الرحيم

المراسلات : باسم مدير التحرير
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت/ ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات
قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

من حصانة المؤمن

استقلال فكره

استقلال فِكْر المسلم هدف من أهداف هذا الدين القيم ، يسعى الإسلام إلى تحقيقه ، ليكون المؤمن ذا عقل راشد محفوظ من الضَّيْعَة ، ومناعةٍ صُلْبةٍ تعصمه من التَّبَعِيَّةِ وضعف الرأى ، والتردد ، والتقليد المهين ؛ لذا قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لاتكونوا إمَّعَة[1] تقولون : إن أَحْسَنَ الناس أَحْسَنَّا ، وإن ظَلَمُوا ظَلَمْنا ، ولكن وَطِّنُوا أنفسكم إنْ أَحْسَنَ الناسُ أن تُحْسِنُوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا »[2] .

---

(١) الإمعة : الذى يقول لكل أحد : أنا معك .. أنا معك

(٢) رواه الترمذى ـ كتاب الأدب . فصل ٦٣

والحديث الشريف صريح فيما ينبغى للمسلم من العَمَلِ لاستقلال فكره ، حتى لايتردَّى مع أفكار الناس وآرائهم ؛ فكم هى فاسدة ، وحسبك ـ فى ذلك ـ أن مَادَّةَ «أكثر الناس» فى الكتاب العزيز لم يحكم الله ـ تعالى ـ عليها بخير أبداً قال ـ تعالى : ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3] وبالتالى تواردت الآيات الكريمة بأنهم : «لا يؤمنون» و«لا يعلمون» و«لا يشكرون» و«فاسقون» .. و«أكثرهم لِلْحَقِّ كارهون» و«أكثرهم لا يعقلون» و«وأكثرهم يجهلون» و«أكثرهم كاذبون» .. الخ

فكيف ـ بالله ـ يُسْلِمُ المسلمُ عقله للناس ، ويجعل مِنْه وِعاءً يلقون فيه بآرائهم وتَفَاهَاتِهم .

لقد أجمع فقهاء الأمة ـ استمداداً من القرآن الكريم والسنة الشريفة ـ على براءة الطفل والطفلة من الحساب والعقاب لفقدهما تمام الرشد ، واكتمال وظائف الأعضاء ؛ فإذا ما اكتملت هذه الوظائف سَمَّوْا ذلك الكمال بـ «البلوغ» ويصحب ذلك نضوج الفكر ، وسَمَّوْا ذلك بـ «العقل» وقالوا : بالبلوغ والعقل وجب «التكليف» وأصبح الإنسان ـ شَرْعاً ـ مُلْزَما بممارسة أحكام الدين

وهكذا يضع الإسلامُ الإنسان أمام عقله ، ويُريه منزلة عقله من دينه ؛ ليعلم أن هذا العقل هبة رفيعة القدر عليه أن يحفظها ، ولا يلوثها بسوء ، وأنه إذا ما اختل هذا العقل ـ لا قدر الله ـ بجنون ، رفع عن الإنسان كل حساب ؛ فلا تكليف ولا عقاب .

إذن ، استقلال العقل واجب ليؤدى الإنسان لوطنه وللإنسانية أفكاراً سديدة ، ولقد ذَهَبَ الأديب الراحل عباس محمود العقاد ـ فضرب فى هذا الميدان إلى حد بعيد ، وقال : «التفكير فريضة إسلامية» رحمه الله .

فكيف ـ إذن ـ نستقل بعقولنا لتكون لنا أفكار سديدة ؟

قال ـ تعالى ـ نصيحة لنا : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾[4] .

(٣) الأنعام : (١١٦)
(٤) سبأ : (٤٦)

إن التفكير السديد يعنى النظر الصحيح لطلب أفضل النتائج وخير البدائل التى تؤدى إليه ، وذاك لايتأتى فى الجمع الحاشد من الناس ؛ فإن الجمع يُشَوِّش الفكر ، ويفسد ترتيب قضاياه ، فضلا عما يسببه تقدير منازل الناس ؛ فقد تكون الفكرة السديدة مع صغير السن فيخشى الحديث بها حياء ، أو يخشى السخرية وما إلى ذلك مما تُحْدِثُهُ التقاليد بين الناس .

لذا ، ما على الإنسان إلا أن يستعين ـ مخلصاً ـ بالله ـ تعالى ـ ، ويفكر فى الأمر وحده ، أو مستعيناً بآخر يشاركه التفكير وطرح وجهات النظر ومناقشتها ، ويعرض كل منهما محصول فكره على أخيه فيتأتى له ما يريد .

فأما إذا واجهه من الأمور مالاحيلة له فيه ولا خبرة له به ؛ فقد أرشده المولى ـ عز وجل ـ إلى ما يفعل ؛ إذ وَجَّهَهُ إلى أهل الاختصاص ، فقال ـ تعالى :

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٥) وقال ـ جل شأنه :

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾(٦) صدق الله العظيم

وإن نظرة فاحصة لبداية دعوة سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ ترينا نجاحها الطيب فى الأسلوب الشخصى الذى التزم به فى الدعوة ؛ إذ كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يخاطب الإنسان بمفرده ويُقْنِعُه بأمره فَأَسْلم ـ فى هذه الفترة ـ كبار صحابته من أمثال : أبى بكر الصديق وعبدالرحمن ابن عوف وعمر وعثمان ، وغيرهم كثير ـ رضى الله عنهم ، والتزمت هذه النخبة الأولى نفس المنهج حتى انتشر الإسلام بين كثير من الناس ـ رضوان الله عليهم ـ وصاروا أئمة هذا الدين وعلماءه وفقهاءه إلى أبَدِ الآبدين .

نسأله ـ سبحانه ـ هديه وخشيته وتقواه إنه سميع مجيب قريب .

د. على أحمد الخطيب

(٥) النحل : (٤٣) الأنبياء : (٧)

(٦) فاطر : (١٤)

بيان ونداء من الأزهر الشريف إلى الفرقاء في أفغانستان

بالأمس كانت الأمة الإسلامية تناديكم بالمجاهدين الصامدين تحررون أرضكم وتدافعون عن عرضكم وتستردون وطنكم .

واليوم قد أهم الأمة خلفكم واقتتالكم فما الذى فرق صفوفكم وأوقع النزاع بينكم ، إن الله سبحانه يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ وحياتكم ونجاتكم فى وقف هذه الحرب التى لن تبقى ولن تذر ، ستهدم الدور وتشعل الحرائق وتذهب بالانفس وبالأموال .

أين الأخوة فى الجهاد قرابة أربعة عشر عاما ؟ أين الأخوة فى الدين ، فى الإسلام ، فى الإنسانية .

إن الأمة كانت تدخركم لتحرير تلك البقاع من أرض الإسلام التى ينتقصها أولئك الظلمة البغاة الذين عاثوا فسادا وأوقدوها نارا ، تُهدم المساجد ، ويذبح المسلمون رجالا ونساء وولدانا فى الهند وفى كشمير وبورما .

هذه أعراض اخواتكم تنتهك ، وتداس حرمات المسلمين فى البوسنة والهرسك ، وكانت الأمة تنتظركم حماة لكل هؤلاء تدافعون عنهم وتعودون بهم إلى دورهم ، لا أن تهدموا ما كان عامرا على أرضكم وتصيروه خرابا يبابا .

إن الرسول — ﷺ — قال : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ، قالوا هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه » .

إن الأزهر الشريف — باسم أمة الإسلام وباسم القرآن الكريم يناديكم أيها الأبطال الشجعان فى أفغانستان أن ضعوا السلاح واجلسوا معا ومكنوا إخوانكم الذين يسعون للصلح بينكم ورفع الإصر عنكم أن يأتوا إليكم عسى الله أن يأتى بالفتح ويجمع قلوبكم على الرضا بما حزتم من نصر على أعدائكم حتى تطهرت أرضكم ، وفرحت أمتكم الإسلامية بنصركم فاحفظوا نعمة الله واشكروه أنْ كان معكم يزدكم من فضله نصرا .

مرة أخرى يهيب الأزهر الشريف بكم أن ضعوا السلاح وأوقفوا الحرب (وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) واعملوا بقول الله سبحانه (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ..

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

مج

المنار

١٣٢٥

مقدمات التفسير

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
جاد الحق علي جاد الحق

من أحسن ماقيل عن القرآن :(١)

إن الله تعالى أنعم على هذه الأمة بالقرآن العزيز الجليل ، وجعله سبيلا مقرونا بالحجة والدليل ، أكرم به رسوله الأمين ، وسماه صراطه المستبين ، وَقَرَّعَ العرب بالإتيان بمثله أوببعض منه ، إن لم يقدروا على كله وسماه بأسامى محمودة ، وضمنه معانى محدودة

وكان مما سماه به بعد وصفه بأحسن

الحديث المثانى :

قال الله تعالى(٢) : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ..﴾ فكما أن ظاهره حجة على فصحاء العرب بنظمه ، فكذلك باطنه حجة على علماء العجم بحكمه وعلمه .

وكما أن ظاهره مربوط بنظم لا يتطرق إليه عيب ، فكذلك باطنه مبسوط بحكم لاتبقى معه مادة لزيف .

وكما أن ظاهر نظمه لو وقع فيه خلل لكان للطاعنين فيه مقال ، فكذلك إن وقع فى نظم معانيه زلل ، كان للمعرضين عنه مجال .

وإلى هذا يشير قول الله سبحانه(٣) ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ أراد — والله أعلم — لا من جهة نظم ألفاظه ، ولا من جهة أحكامه ومعانيه ، ولكن هذا علم خاص يختص الله به من يشاء ، فيهديه إلى معرفة طرق منه دالة على منازل شرف به وعنه ، وهو الذى قال الله تعالى فى شأنه :(٤)

﴿.. بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ وإذا كان لكل شىء مقدمة وأساس ، عقلا كان ذلك ، أو قياسا ، والأخذ فى الشىء من مقدمته أوعب له برمته من الأخذ بطرف منه أو وسط ، لأن ذلك مما يؤدى إلى إجحاف أو شطط كان من الأولى التذكير بمقدمات التفسير :

معنى التفسير :

---

(١) من مقدمة كتاب المبانى لنظم المعانى ومقدمة ابن عطية ط الخانجى سنة ١٩٧٤ .

(٢) من الآية ٢٣ سورة الزمر .

(٣) من الآية ٤٢ سورة فصلت .

(٤) من الآية ٤٩ سورة العنكبوت .

التفسير : تفعيل من الفَسْر .

وهو لغة البيان والكشف والإظهار والتوضيح وقد رسموه بأنه علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التى تحمل عليها التراكيب ، وما يتمّ به التعرف على المعنى ، كمعرفة النسخ وسبب النزول ، ومايوضح ما أبهم فى القرآن ، وقد اصطلح على أن المعنى اللغوى غلب على تفسير القرآن والمراد به كما قال الجرجانى فى التعريفات :

« توضيح معنـــى الآية ، وشأنها ، وقصتها ، والسبب الذى نزلت فيه بلفظ يدل دلالة ظاهرة »[٥].

أدوات التفسير :

الأول :

علم اللغة ، لأن به يعرف شرح مفردات الألفاظ ومعلولاتها بحسب الوضع ولا يكفى اليسير ، إذ قد يكون اللفظ مشتركا ، والمفسِّر يعلم أحد المعنيين ، مع أن المراد هو المعنى الآخر ، فما لم يكن المفسر عالما بلغات العرب لم يحل له التفسير كما قال مجاهد . وقال مالك : وهذا مما لاشبهة فيه .

الثانى :

معرفة الأحكام التى للكلمة العربية من جهة إفرادها وتركيبها، وسبيل هذا: علم النحو .

أخرج أبو عبيدة أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال : حسن ، فتعلمها ، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها .

الثالث :

علم المعانى والبيان والبديع : إذ بالأول يعرف خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وبالثانى خواصها من حيث اختلافها ، وبالثالث وجوب تحسين الكلام ، وهو الركن الأقوم واللازم الأعظم فى هذا الشأن .

الرابع :

تعيين مبهم وتبيين مجمل ، وسبب نزول ، ونسخ ، وسبيل هذا علم الحديث الشريف .

الخامس :

معرفة الإجمال والتبيين والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهى وما أشبه هذا ، وسبيله : علم أصول الفقه .

السادس :

معرفـــة مايجوز على الله ومـــا يجب له وما يستحيل عليه والنظر فى النبوة ، وسبيله : علم الكلام .

السابع :

علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، وبالقراءات ترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

هذا :

وقد عد السيوطى ــ فى الإتقان ــ مما يحتاج إليه المفسر : علم التصريف ، وعلم الاشتقاق ، وعد أيضا علم الفقه .

حكم تفسير القرآن :

لا خلاف بين الفقهـــاء فى جواز تفسير القرآن ــ بمعنى اللغة لأنه عربى .

(٥) المصباح المنير والقاموس المحيط والتعريفات للجرجانى وتفسير الألوسى جـ ١ ص ٥ .

قال السيوطى : أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات، وأجل العلوم الثلاثة الشرعية (التفسير والحديث والفقه) .

ونقل عن الأصفهانى قوله : أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان ، التفسير . وقال: أجمعوا على خطر تفسير القرآن بالرأى من غير لغة ولانقل ، واستدلوا بقوله تعالى(٦) ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

كما استدلوا بقول الرسول ـــ ﷺ ـــ الذى أخرجه الترمذى : «من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» المراد منه : التفسير من غير لغة ولا نقل .

طرق تفسير القرآن :

قال العلماء : من أردا تفسير القرآن الكريم ، طلبه أولا من القرآن نفسه فما أُجمِل منه فى مكان ، بُسِط فى مكان آخر ، وما اختصر فى موضع ، بسط فى موضع آخر فإن عجز عن هذا طلب التفسير من السنة ، فإنها شارحة للقرآن ومبينة له .

وفى الإتقان للسيوطى :

قال الشافعى ــ رضى الله عنه ــ كل ما حكم به رسول الله ـــ ﷺ ـــ فهو مما فهمه من القرآن لقوله تعالى(٧): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام : ــ فيما رواه أبو داود بإسناد صحيح ــ «ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه» .

فإن لم يوجد فى القرآن ولا فى السنة ما يوضح المعنى يرجع إلى أقوال الصحابة فى تفسيره ، فإنهم أدْرى بذلك ، لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ، ولما اختُصُّوا به من الفهم الصحيح ، والعمل الصالح .

قال الحاكم النيسابورى فى كتابه «معرفة علوم الحديث»: إن الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل ، إذا أخبر عن آية من القرآن أنها نزلت فى كذا وكذا فإنه حديث مسند .

وقال صاحب كشاف القناع :

يلزم الرجوع إلى تفسير الصحابى لأنهم شاهدوا التنزيل ، وحضروا التأويل ، فتفسيره أمارة ظاهرة ، وإذا قال الصحابى ما يخالف القياس فهو توقيفى ، وقال القاضى وغيره من الحنابلة :

إن قلنا: إن قول الصحابى حجة ، لزم قبول تفسيره ، وإلا فإن نقل كلام العرب فى ذلك صير إليه ، وإن فسره اجتهاد أوقياسا على كلام العرب لم يلزم قبول تفسيره ، أما تفسير التابعى فلا يلزم الرجوع إليه ، لأنه ليس حجة بالاتفاق .

ونقل عن الإمام أحمد : يلزم الرجوع إلى قول التابعى فى التفسير وغيره ، ونقل أبو داود :

إذا جاء عن الرجل من التابعين لا يوجد فيه عن النبى ـــ ﷺ ـــ لا يلزم الأخذ به .

وقال المروزى :

---

(٦) الآية ٣٣ من سورة الأعراف .

(٧) الآية ١٠٥ سورة النساء .

ينظر ما كان عن النبى ـــ ﷺ ـــ يؤخذ وجوبا ، فإن لم يكن فعن الصحابة ، فإن لم يكن فعن التابعين .

وقال القاضى : يمكن حمل هذا القول على إجماعهم والمسألة أصولية وقواعد المذاهب الأخرى لاتأبى هذا النقل[٨] .

التأويل :

هو مصدر أول ، وأصل الفعل : آل الشيء يؤول أولا : إذا رجع : تقول آل الأمر إلى كذا أى رجع إليه .

ومعناه تفسير مايؤول إليه الشيء ومصيره .

وعند الأصوليين : التأويل : صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى معنى مرجوح لاعتقاده بدليل ما يصير به أغلب النطق على الظن من المعنى الظاهر[٩] .

وقال ابن الأعرابى وأبو عبيدة وطائفة إن لفظى التفسير والتأويل بمعنى واحد وقال الراغب : التفسير أعم من التأويل . وأكثر استعمال الأول فى الألفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التأويل فى المعانى والجمل ، وكثيرا مايستعمل فى الكتب الإلهية .

والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها .

وقال غيره : التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا ، والتأويل توجيه لنظر يحتمل عدة معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة .

وعند أبى طالب الثعلبى :

التفسير بيان وضع اللفظ من حيث الحقيقة والمجاز كتفسير لفظ (الصراط) بالطريق (والصيب) بالمطر .

والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الرجوع لعاقبة الأمر .

فالتأويل ـــ على هذا إخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير إخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل[١٠] .

البيان :

فى اللغة الإظهار والإيضاح والانكشاف ومايتبين به الشى من الدلاله وغيرها وفى الاصطلاح : إظهار المعنى وايضاحه للمخاطب[١١] .

الحكم الإجمالى للتأويل :

يختلف الحكم الإجمالى باختلاف ما يدخله التأويل حسبما يلى بيانه :

١ ـــ بالنسبة للنصوص المتعلقة بالعقائد وأصول الديانات وصفات البارى عز وجل ، فقد اختلف العلماء فى هذا على ثلاثة أقوال :

الأول :

أنه لا مدخل للتأويل فيها ، بل تجرى على ظاهرها ولايؤول شيء منها وهذا قول المشبهة .

الثانى :

أن لها تأويلا ولكنا نمسك عنه مع تنزيه الاعتقاد

---

(٨) كشاف القناع جـ ١ ص ٤٣٤ والفروع ج ١ ص ٥٥٨ والمستصفى للغزالى جـ ١ ص ١٦١ ـــ ٢٧٤ .

(٩) لسان العرب والمصباح المنير وارشاد الفحول للشوكانى واصطلاحات الفنون للتهاونى جـ ١ ص ٨٩ ، ٣٢ والتعريف للجرجانى والمستصفى للغزالى جـ ١ ص ٣٨٧ والأحكام للآمدى جـ ٢ ص ١٣٥ .

(١٠) كشاف اصطلاح الفنون للتهاونى ولسان العرب ومفردات الراغب .

(١١) لسان العرب ومختار الصحاح وارشاد الفحول ص ١٦٧ ، ١٦٨ والتعريفات للجرجانى .

عن التشبيه والتعطيل لقوله تعالى: ﴿وما يعلم إلا الله﴾ وهذا قول السلف .

قال الشوكانى :

وهذا هو الطريق الواضح والمنهج المصحوب بالسلامة عن الوقوع فى مهاوى التأويل ، وكفى بالسلف قدوة لمن أراد الاقتداء، وأسوة لمن أحب التأسى على تقدير عدم ورود الدليل القاضى بالمنع من ذلك ، فكيف وهو موجود فى القرآن والسنة !؟

المذهب الثالث :

أنها مؤولة وهو منقول عن على وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة ، والأول من هذه المذاهب باطل ، والأخيران منقولان عن الصحابة .

قال ابن دقيق السعيد فى الألفاظ المشكلة : أنها حق وصدق وعلى الوجه الذى أراده الله ، ومن أول شيئا منها ، فإن كان تأويله قريبا على ما يقتضيه لسان العرب ويفهمونه فى خطابهم لم ننكر عليه ولم نبدعه ، وإن كان تأويله بعيدا توقفنا واستبعدناه ورجعنا إلى القاعدة فى الإيمان بمعنى التنزيه(١٢) .

وفى إعلام الموقعين قال الجوينى :

ذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب تعالى .

هذا والذى نرتضيه وندين الله سبحانه عليه ، عقد اتباع السلف من الأمة فحق على ذى الدين أن يعتقد تنزيه البارى عن صفات المحدثين ولايخوض فى تأويل المشكلات ، ويكل معناها إلى الرب تعالى(١٣) .

٢ ــ النصوص المتعلقة بالفروع وهذه لاخلاف فى دخول التأويل فيها ، والتأويل المتعلق بالفروع باب من أبواب الاستنباط ، وهو قد يكون تأويلا صحيحا وقد يكون تأويلا فاسدا .

ويتفق العلماء على القول بقبول التأويل الصحيح وعلى العمل به ، مع اختلافهم فى طرقه ومواضعه وما يعتبر قريبا وما يعتبر بعيدا ، وبيان ذلك فى كتب أصول الفقه(١٤) .

أثر التأويل :

للتأويل أثر ظاهر فى المسائل الفرعية المستنبطة من النصوص ، إذ هو سبب اختلاف الفقهاء فى أحكام هذه المسائل .

والمعروف عند الفقهاء أن العمل بالمختلف فيه لا ينكر على صاحبه إلا أن يكون الخلاف شاذا ، لكن الأولى مراعاة الخلاف ، وذلك بترك ما هو جائز عند من يراه كذلك إذا كان غيره يراه حراما ، وبفعل ما هو مباح ولو كان غيره يراه واجبا .

والأمثلة على التأويل الصحيح وعلى التأويل الفاسد كثيرة(١٥) .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

---

(١٢) إرشاد الفحول للشوكانى ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(١٣) إعلام الموقعين لابن القيم جـ ٤ ص ٢٤٦ .

(١٤) إرشاد الفحول ص ١٧٧ والإحكام للآمدى جـ ٢ ص ١٣٦ وص ١٤١ والمستصفى جـ ١ ص ٣٨٩ وغيرها .

(١٥) التبصرة لابن فرحون بهامش فتح العلى المالك جـ ٢ ص ٢٨٠ والاختيار شرح المختار جـ ١ ص ١٠٤ وأسنى المطالب جـ ٤ ص ١١١ وشرح منتهى الإرادات جـ ١ ص ٤١٧ والبدائع جـ ٣ ص ٢٠ وحاشية الصاوى على الشرح الصغير جـ ٢ ص ٣٧٧ ومغنى المحتاج جـ ٤ ص ٤٧٥ والمغنى لابن قدامة جـ ٨ ص ٧٢٧

دروس من صوم رمضان

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ :
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

● هذا شهر رمضان قد أهلت طلعته على المسلمين ، يبشرهم برضوان الله ورحمته .

● ها هو شهر رمضان الذى أنزل الله فيه القرآن .

● أهنىء الأمة بقدومه .. مُذَكِّراً بأن الصوم فى الإسلام طريق للتهذيب وحسن الاستقامة ، وكف للنفس عن الإقدام على متطلبات الغرائز المعوجة ، كالأنانية والإفراط فى تحصيل الرغبات ، دون نظر إلى ماقد تجر إليه من آثام وأضرار .

● هذا الصيام زكاة للنفس ورياضة ، وداع للبر ، فهو للفرد وقاية ، وللمجتمع صيانة ، إذ أن فى جوع الجسد صفاء القلب وإيقاد القريحة ، وإنفاذ البصيرة ، فدوام الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ، فأحيوا القلوب بكثرة الذكر والتفكير وقلة الشبع وصونوا الأسماع عن كل لغو ، وغضوا الأبصار عن كل لهو ولاتبسطوا الأيدى إلى محظور ، ولاتَخْطُوا بأقدامِكم إلى ممنواع فى الشرع ومنكور فى طيب العرف .

● هذا الصيام حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لأمر الله وخضوع ، ولكل فريضة حكمتها ، وهذه الفريضة ظاهرها المشقة وباطنها السكينة والمرحمة فهى تستثير فى الإنسان الشفقة وتحض على المعروف والإحسان والصدقة ، وتذهب بالكِبْر وتعلِّم الصبر ، ذلك أنه متى جاع من أَلِفَ الشبع ، وحرم المُتْرف أسباب المتع ، ذاق مُرَّ الحرمان كيف يكون ويقع ، كما عرف الجوعَ وألَمَه إذا لذع .

● الصوم فريضة جماعية تعم آحاد المكلفين ومجموعهم ، فى موعد معلوم من العام لترويض الجماعة على نظام واحد من المعيشة وعلى نمط واحد تتغير به العادات والمواقيت إذا نوينا الصلاح والإصلاح ، وليس أصلح لتربية الأمة وإصلاح ما اعوج من أخلاقها وعاداتها وأمور معايشها ، من تعويدها الأهمية للنظام وتغيير سيىء العادات إلى كريم الحسنات .

● إنه شهر فى كل سنة تتلاقى فيه جماعة المسلمين على سنن واحدة فى اليقظة والرقاد ، والطعام والصيام ، والانتظام فى صفوف الجماعة فى المساجد لأداء الفروض والمستحبات ، والصوم بذاته معلم يغرس فى الصائمين قوة الإرداة والحزم مع النفس ، وَيحْملها على تعظيم أمر الله وحرمانه ، إقبالا على الصوم مهما تكن مشقته فتنشأ به فى كل نفس استجَابَت للصوم عزيمة لاتعرف الوهن ، وإصرار على الإصلاح لا يعرف النكوص ، فالنفس متى امتنعت عن تناول الحلال طاعة لله وطلبا لمرضاته استحيت من تناول الحرام وتمرست على البعد عن اقترافه .

● ولو صام المسلمون شهرنا هذا (رمضان) صوماً كاملًا خالصاً بحزم وعزم لاستطاعوا ـ بما تخلقوا به من العزيمة الماضية والإرادة الحازمة ـ التخلص من نوازع النفس الأمارة بالسوء ومن شرور الأعمال كالربا ، والزنا ، والغدر ، والخيانة ، والكذب وقول الزور ، والمراء فى الحق مضيا فى الباطل ، ولساقتهم هذه الإرادة وتلك العزيمة إلى البعد عن كل الموبقات ، والمحرمات التى شاعت وزاعت فى مجتمعنا فى هذا العصر ، حتى اختلطت الأمور وتشابهت .

● لو صمنا رمضان كما ينبغى لبرز بيننا الوازع الدينى رقيبا لا يغفل ولا يلين ، يملأ القلب فلا يضل ، والبصر فلا يزيغ .

● لو صمنا شهر رمضان كنا مجتمعا متكافلًا ، متكاملًا ، جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، ولما استطاع عدو أن يحيك لنا المؤامرات والدسائس وأن يبذر الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ولما اختلت منا الصفوف ، واستمعنا إلى كل ناعق ، بل نزلنا عند أمر الله الذى قال تعليما وتوجيهاً :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾

هذا الصوم وقاية من أدران النفس وأمراض الجسد ، فهو شفاء من الغل والحقد والحسد ، إذ فيه يتساوى الغنى والفقير حيث صام كل منهما عن الطعام والشراب ، وكافة الشهوات إيماناً واحتساباً لله الذى شرع لهم ما يصلح نفوسهم وأجسادهم وأنزل القرآن المجيد ، فيه علم الدين والدنيا ، وبه صلاح الحياة للخلائق كافة ، فقد جاء بالمساواة بين الناس جميعاً فى الحقوق والواجبات وفاضل بينهم بالتقوى والعمل الصالح .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

هذا شهر العطاء والكرم ، كما جاء فى الأحاديث الشريفة عن رسول الله ﷺ ففيه ليلة خير من ألف شهر ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق .

والصوم اختبار لعزيمة المسلمين وعزمهم ومراقبتهم لربهم فى السر والعلن ـ وهو مع هذا مهذب للطباع ، مفصح عن مكنون نفس الإنسان فإن صام وصان عبادته عن اللغو والرفث والفسوق والعصيان ، فذلك هو الصوم الذى نسب الله أجره إلى ذاته العلية دون تحديد كما جاء فى الحديث القدسى : (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم) .

ومتى وعد الكريم أجزل العطاء دون حساب فلنأخذ أنفسنا بآداب الإسلام فى هذا الشهر حتى تستقيم عليه عاداتنا ، فنقلع عن كل ما لا يقره ديننا ، إذْ أَنَّ الشهر كفيل بتغيير سيىء العادات إلى الرشد والصلاح ، وليكن صوم هذا الشهر طهراً وتطهيراً وإنابة إلى الله وخشوعاً ومعرفة بحقه علينا وخضوعاً .

ولنذكر أنه شهر التعبد ، لا شهر السرف والإسراف والإتلاف ، إتلاف الأموال والأنفس وتعريض الصحة للخطر ، فالصوم مشروع لمصلحة الناس تزكية لنفوسهم وصحة لأبدانهم ، فعليهم ألا يفسدوا ذلك بالإسراف فى الطعام والشراب .

فلنستقبل هذا الشهر بالإخلاص لله فى الدين ، والمسارعة إلى التوبة قال تعالى فى سورة التحريم :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

فتوى فى العدل بين الأولاد فى العطايا

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد / ابراهيم بركات ، وقد عرض الآتى :

أب تصرف فى أمواله الثابتة والمنقولة ، والأموال النقدية ، لابنته ، وزوجته الثانية ، دون أولاده من زوجته الأولى المتوفاه ، وهم ابنان وبنتان ، الجميع متزوجون ولهم أولاد ، وحجة الأب فى هذا التصرف بإعطاء ابنته وزوجته الثانية ، وحرمان أولاده من الزوجة الأولى المتوفاه ، أنه اتخذ طريق سوء المعاملة وتصيّد الأخطاء التافهة ، ذريعة للمقاطعة والتخلى عن أولاده ، وأيضا هو حر فى أمواله له الحق فى التصرف فيها لمن يشاء ، وأنه لا يريد لأولاده أن يشاركوه فيها لأنهم يعصون أوامره (وهذا غير صحيح) أو لأن عندهم من المال ما يكفيهم ، وهذه أسباب تريحه نفسيا ، والأب أنعم الله عليه بأموال طائلة ، ولا تفوته فريضة صلاة ، أو صوم ويقرأ القرآن باستمرار .

أتقدم لفضيلتكم راجيا الإجابة على استفسارى من الناحية الشرعية ، وما حكم الدين فى الدنيا والآخرة ، على أن تكون الإجابة موثقة كتابة حتى أستطيع تقديمها إليه إذ قد يهديه الله إلى شريعته .

والجواب

إن على الأبناء طاعة أبيهم ، وألا يعصونه فى معروف ، وان يبرره بالإحسان إليه وهذا ما أمر الله به فى كتابه الكريم . قال تعالى :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1] .

(١) من الآية رقم ٢٣ من سورة الإسراء .

وإن واجب الأب نحو أولاده ، الإحسان إليهم بتأديبهم ، والعدل فيهم وفى هذا ما رواه الترمذى عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده – رضى الله عنهم – عن النبى – ﷺ – قال :[1]

(ما نحل والد ولدا من نَحلٍ أفضل من أدب حسن)

(وما رواه البخارى ومسلم عن النبى – ﷺ – قال :[2] :

(فاتقوا الله واعدلوا فى أولادكم) .

وما رواه ابن عباس – رضى الله عنهما – عن النبى – ﷺ – قال[3] :

(من كانت له أنثى فلم يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة) .

ثم إن وصية الأب بتفضيل بعض أولاده على بعض من غير سبب – معتبر شرعاً – للتفضيل اضرار فى الوصية ، نهى عنه الرسول – ﷺ – وحذر منه .

فقد روى أبو هريرة – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – قال[3] :

(إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله تعالى ستين سنة ، ثم يحضرهما الموت فَيُضَارَّان فى الوصية فتجب لهما النار) .

وروى النسائى وغيره عن النبى – ﷺ – قال[1] :

(الإضرار فى الوصية من الكبائر) ..

اختلاف الفقهاء فى التسوية بين الأولاد فى العطية :

ذهب الحنفية[2] والمالكية والشافعية إلى أن التسوية بين الأولاد فى العطايا مستحبة ، وليست واجبة :

لأن الصديق – رضى الله عنــه – فضل عائشة – رضى الله عنها – على غيرها من أولاده فى هبة .

وفضل عمر – رضى الله عنه – ابنه عاصما بشىء من العطية على غيره من أولاده . ولأن فى قوله – ﷺ – فى بعض روايات حديث النعمان ابن بشير رضى الله عنهما – (فأشهد على هذا غيرى) ما يدل على الجواز وذهب الحنابلة[3] وأبو

---

(١) الجامع الصحيح – سنن الترمذى – باب ما جاء فى أدب الولد جـ ٤ ص ٢٩٨ ط دار الكتب العلمية – لبنان .

(٢) من الحديث رقم ١٠٤٩ (حديث النعمان بن بشير) – اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ ٢ ص ١٦٢ باب كراهة تفضيل بعض الأولاد فى الهبة – ط دار الحديث .

(٣) رواه أبو داود – جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد جـ ٢ ص ٤٦٨ .

(٤) من حديث رواه الترمذى – الجامع الصحيح (سنن الترمذى) جـ ٤ ص ٣٧٥ باب ما جاء فى الضرار فى الوصية – ط دار الكتب العلمية – لبنان .

ورواه ابو داود فى باب ما جاء فى كراهية الاضرار فى الوصية – ورواه ابن ماجه فى باب الحيف فى الوصية .

(١) رواه النسائى مرفوعا ورجاله ثقات – كما فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى . جـ٥ ص ٢٣٠ ط الخيرية .

(٢) حاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار جـ٥ ص ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، وقوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية لابن جزى ص ٣٨٥ ، روضة

٣ – المغنى لابن قدامة جـ ٦ ص ٢٦٢ وما بعدها .

يوسف من الحنفية ، وهو قول ابن المبارك ، وطاووس ، وهو رواية عن الإمام مالك ـ رحمه الله : .

إلى وجوب التسوية بين الأولاد فى الهبة . فإن خص بعضهم بعطية أو فاضل بينهم فيها أثم ، ووجبت عليه التسوية بأحد أمرين :

إما برد ما فضل به البعض ، واما باتمام نصيب الآخر ، لخبر الصحيحين عن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنهما ـ قال :

وهبنى أبى هبة . فقالت أمى عمرة بنت رواحة ـ رضى الله عنها :

لا أرضى حتى تُشْهد رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : يارسول الله : إن أم هذا أعجبها أن اشهدك على الذى وهبت لابنها ، فقال ـ ﷺ :

(يابشير ألك ولد سوى هذا ؟ قال : نعم . قال : كلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا . قال : فأرجعه) . وفى رواية قال :

(اتقوا الله ، واعدلوا بين أولادكم) . وفى رواية أخرى :

(لا تشهدنى على جور إن لبنيك من الحق أن تعدل بينهم) وفى رواية : (فأشهد على هذا غيرى)[1]

وروى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال :[2]

(سووا بين أولادكم فى العطية ، ولو كنت مؤثراً أحداً لآثرت النساء على الرجال) وأضاف ابن قدامة فى المغنى[3] :

ولنا ما روى النعمان بن بشير قال : تصدق على أبى ببعض ماله ، فقالت أمى عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد عليها رسول الله ـ ﷺ ـ فجاء أبى رسول الله ـ ﷺ ـ ليشهده على صدقته فقال :

(أكل ولدك أعطيت مثله ؟) قال لا قال : (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) قال فرجع أبى فرد تلك الصدقة .

وفى لفظ قال (فاردده) . وفى لفظ قال (فارجعه) وفى لفظ (لا تشهدنى على جور) وفى لفظ (فأشهد على هذا غيرى) . وفى لفظ (سَوِّ بينهم) ، وهو حديث صحيح متفق عليه وهو دليل على التحريم لأنه سماه جوراً وأمر برده وامتنع من الشهادة عليه ، والجور حرام والأمر يقتضى الوجوب ، ولأن تفضيل بعضهم يورث بينهم العداوة والبغضاء وقطيعة الرحم فمنع منه كتزويج المرأة على عمتها أو خالتها .

وقول أبى بكر لا يعارض قول النبى ـ ﷺ ـ ولا يحتج به معه ويحتمل أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ خصها بعطيته لحاجتها وعجزها عن الكسب والتسبب فيه مع اختصاصها بفضلها وكونها أم المؤمنين زوج رسول الله ـ ﷺ ـ وغير ذلك من فضائلها .

ويحتمل أن يكون قد نحلها ونحل غيرها من ولده أو نحلها وهو يريد أن ينحل غيرها فأدركه الموت قبل ذلك .

---

(١) حديث (فأرجعه) وفى رواية (اتقوا الله واعدلوا) أخرجه البخارى جـ ٥ ص ٢١١ ط السلفية ، ومسلم جـ ٣ ص ١٢٤١ ط الحلبى . والرواية الثانية والرابعة عند مسلم جـ ٣ ص ١٢٤٣ ط الحلبى . والرواية الثالثة عند البخارى الفتح جـ ٥ ص ٢١١ ط السلفية .

(٢) مجمع الزوائد جـ ٤ ص ١٥٣ ط دار الكتاب العربى

(٣) جـ ٦ ص ٢٦٣

ويتعين حمل حديثه على أحد هذه الوجوه ، لأن حمله على مثل محل النزاع منهى عنه ، وأقل أحواله الكراهة ، والظاهر من حال أبى بكر اجتناب المكروهات وقول النبى - ﷺ - :

(فأشهد على هذا غيرى) ليس بأمر لأن أدنى أحوال الأمر الاستحباب والندب ، ولا خلاف فى كراهة هذا ، وكيف يجوز أن يأمره بتأكيده مع أمره برده وتسميته إياه جوراً ، وحمل الحديث على هذا حمل لحديث النبى - ﷺ - على التناقض والتضاد ولو أمر النبى - ﷺ - بإشهاد غيره امتثل بَشِيرٌ أمره ولم يرده وانما هذا تهديد له ، وعلى هذا فيفيد ما أفاده النهى عن إتمامه هذا .

وقد ناقش الحافظ ابن حجر فى كتابه فتح البارى[1] بشرح صحيح البخارى أقوال العلماء فى الأحكام المستفادة من حديث النعمان بن بشير وقال :

إنه مما يؤيد وجوب العدل ، وتحريم التفاضل ما جاء فى إحدى روايات الحديث من قول الرسول - ﷺ (أرجعه) أى لا تمْضِ الهبة المذكورة وإن قوله : أشهد على هذا غيرى ، ليس إذنا بالإشهاد على هذه الهبة وانما هذه العبارة خرجت مخرج التوبيخ واللوم على تفضيل أحد أولاده على الآخرين كما تدل باقى ألفاظ الحديث على ذلك .

وقد قال ابن حبان إن كلمة (أشهد) صيغة أمر والمراد به نفى الجواز ، ويؤيد هذا تسمية الرسول - ﷺ - لذلك (جوراً) كما فى الرواية الأخرى .

وفضلا عن هذا فإن اطلاق الجور على عدم التسوية وعلى النهى عن التفضيل يدلان على وجوب العدل بين الأولاد فى العطية .

وأجاب الحافظ فى الفتح عن قصة أبى بكر وعائشة والعطية منه إليها . بقوله : إن أخوة عائشة كانوا راضين وكذلك أخوة عاصم بن عمر رضى الله عنهم .

وقد انتهى الشوكانى فى نيل[2] الأوطار بعد تلخيص ما جاء بشرح الحافظ ابن حجر بقوله :

فالحق أن التسوية واجبة وان التفضيل محرم .

لما كان ذلك :

كان ما أقدم عليه الأب المسئول عن تصرفه فى كل أمواله لزوجته الأخرى وابنها منه حراما ، وكان العدل فى العطايا بين الأولاد واجباً وحتماً مقضيا نزولا على حكم رسول الله - ﷺ - فى حديث النعمان بن بشير ، وما تقضى باقى النصوص سالفة الذكر .

وقد أجاز الإمام أحمد بن حنبل أن يخص الأب أحد أولاده بعطيه لم يمنحها لغيره من الأولاد بسبب مشروع يقتضى ذلك :

كما اذا كان الذى اخْتُصَّ بالعطية أو الهبة زَمِناً أو أعمى أو مشتغلا بطلب العلم أو ذا عيال ، وهذا دون إضرار بالغير .

ومما سلف يعلم الجواب إذا كان الحال كما ورد بالسؤال ..

والله سبحانه وتعالى أعلم

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(١) جـ ٥ ص ١٣٤ - ١٣٦

(٢) جـ ٦ ص ٦ - ٩ .

توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

إلحاقاً بما سبق نشره ـ فى عدد شعبان ص (١١٦٠) حيث كانت كلمة فضيلة الإمام مختصرة ، نعيد نص كلمة فضيلة الإمام الموجهة للمسلمين جميعاً من فوق منبر المؤتمر العام الخامس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى يتولى رياسته ، قال ــ مرتجلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ .

وبعـد

فمبلغ علمى أنه لا توجد أمة ـ ولم توجد فيما مضى ـ وضع الله لها نظام حياتها بهذا المنوال الذى جاء به القرآن الكريم ، والذى يتمثل فى عبادات الإسلام .

فالوحدة هدف هذه الأمة الموصول بالقبلة التى حددها الله ، وجعل القلوب والأفئدة والوجوه تتوجه إليها خمس مرات .. ووحدة الصف جاءت فى الصلوات التى فرضها الله ــ سبحانه ــ على عباده خمس مرات فى اليوم والليلة .

ووحدة الكلمة جاءت فيما يُتلى علينا ونتلوه جميعا فى صلواتنا وفى مجتمعاتنا . ذلك الإمام الذى حفظه الله .. القرآن الكريم .

والتكافل فيما بيننا جاء فى فريضة الزكاة والمؤتمر العام الذى نتشاور فيه ونتحاور ونقضى على كل خلاف .. جاء فى فريضة الحج ..

وجاءت التذكرة بحق الإنسانية التى لا تعرف اختلافا فى اللون أو الدين أو الموقع .. جاءت فى صوم رمضان .

هذه تذكرة يذكرنا بها ربنا فى فروضنا الخمسة فى كل يوم : وحدة الهدف ، فأين نحن من هذه الوحدة ؟ أين وشعوبنا تفرقت بدداً ، وقام القتال هنا وهناك والتفجيرات هنا وهناك ، وأصبحنا فى مؤخرة هذا العالم : فكراً وشخصيـة واعتبـاراً وقدرة ـ فلم لا نستمسك بما أوحى به ربنا ، وجعله ميراثا لنا نحمله ليرتقى به العالم .

لم لا نقضى على خلافاتنا ؟

لم لا نضع السلاح ؟

لم لا يضع هؤلاء المتقاتلون من المسلمين فى كل مكان السلاح ؟ ولتكن هناك الأولوية التى تمثلها الصلاة فى وحدة صفوفها واستقامتها فى وحدة الكلمة ووحدة الصف .

أيها السادة

لقد كان من فروض الإسلام التوبة الى الله ، والتوبة : هى مراجعة النفس والقلب والعمل فأين نحن من هذه الفريضة .

إننى أدعو باسمكم شعوب الأمة الإسلامية حكامها ومحكوميها إلى أن يقفوا وقفـة للتوبـة يعدلون فيها عن كل خطأ ويصلحون كل خطيئة ويسلكون الطريق المستقيم .

وأنتم أيها الهداة فى مجتمعكم هذا تحملون نوراً فأضيئوا عالم الإسلام بالكلمة الطيبة حتى يعود إلى رشده ، وحتى تنجلى الغمة فتنكشف الأزمـة ويعود المسلمون أمة واحدة تدفع عن نفسها فلا ينتهك عرضها ، ولا تستباح أرضها ولا دماؤها .

أرجو أن نتوب وأن نعود وأن نعمل خيراً .

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله

وعاد رمضان

للشيخ / معوض عوض إبراهيم

١ ـ يقلب الله الليل والنهار :

عاد رمضان فى دورة من دورات الفلك التى تعاقبت على الوجود ، فذكَّرت بماضٍ كنّا فيه ـ بالقرآن والإيمان ـ خير أمة أُخرجت للناس ، بعد أن دبَّ الفناء فى أوصال البشرية وكاد يأتى على الحياة من شتى جوانبها ، حين شاع الشرك ، وغشّت الوثنية دنيا الجاهلية وانطمست معالم رسالة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

جاء رمضان ـ باصطفاء سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ حياة للحياة الواهنة ، وحركة جديدة رشيدة للوجود الوانى ، ورحمةً وافيةً للعالمين .. ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ ١٠٧/ الأنبياء .

٢ ـ إقرأ باسم ربك

وكانت ﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ـ إقرأ وربك الأكرم الذى علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ ١ ـ ٥ العلق ... كانت أَمْرَ الله لمُصْطفاه على لسان أمين الوحى جبريل ـ عليه السلام ـ فى غار حِراء فكانت أول ما نزل من القرآن الكريم ـ على أصح ما قيل ـ فقرأ النبى لنفسِهِ ، وشهادةُ تلكم الآيات بنبوة النبى ـ ﷺ ـ لا تُدْفَع ، وليس وراء دلالتها على ذلك مَقْنَع .

بدأها الله بالأمر بالقراءة ، مقرونةً (باسم ربك) الذى له الخَلْقُ والأمر وحده ، فلا شريك له فى شىء من ذلك ولا معين ، وأنه (خلق الإنسان من علق) وما أسعد الذين يدركون أسرار الله وحِكَمَهُ كيلا ينسوا الأصل والنشأة ولا تشمخ منهم بالباطلِ أنوفٌ أو تُشيحَ وجوه .

وكرر الله الأمر بالقراءة مُنَوِّهاً بالعلم وبالقلم وهو أحدُ وسائل المعرفة وبه وبآثاره أقسم الله فى صدر (سورة القلم) ، وجعل العلمَ بالقلمِ مِنّة الكريم المنّان ، على نحوٍ يتفق ومِنّةَ الرحمن فى صدر (سورة الرحمن) :

﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾

فهو سبحانه يمتنُّ بنعمة القرآن قبل نعمة خَلْق الإنسان ، فيتقرر فى الأذهان أنَّ نعمةَ الوجود ـ وما أَجَلَّها ـ ليست ذات بالٍ بغير القرآن المستوعب لكلمات الله إلى الأنبياء والمرسلين جميعاً ، وأنه يهدى للتى هى أقوم دون ما سواه :

مراقب عام الوعظ بالأزهر سابقاً

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ... ﴾ ٤٤ فصلت .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ٨٢ الإسراء

إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ الإسراء ،

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ٨٩ النحل .

﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ١١١ يوسف .

وما تُغْنِى حضاراتُ الدنيا ولا معارف الناس منذ كانوا عن القرآن الكريم ، ولا تُوضع أمام أيْسرِ آيةٍ منه فى كفة ميزان ..

وهى حضارات ومعارف ــ إن صَحَّتْ من الأهواء ، وسَلِمت من الشيطان ــ لا تعدو أن تكون ومضةً من نور الذكر الكريم .

وما يستوى وحىٌ مِنَ الله مُنْزَلٌ
وقافيـــةٌ فى العـــالمين شَرُودُ

وإذا كانت عقارب الساعة لا ترجع إلى الوراء ــ كما يقولون ــ فإن استرجاع عِزِّ الماضى واقتياد زمام الحياة سهلُ المدرك ، يسير المنال ، يوم نرجع إلى كتاب الله ونُولِيهِ ما هو أحقّ به وأهلَه من الهيمنة والتوجيه ، وترشيد مسيرة الأحياء الذين يكتبون صحائف أعمارهم بأعمالهم ، وَهُم مُلاقوها إحساناً بإحسان ، وسوءاً بسوء : ﴿يوم تشهـــد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ ٢٤ ــ ٢٥ النور .

٣ ــ أول ما نزل من القرآن :

إن القرآن الكريم نعمة الله الكبرى التى ابتدأ إنزالها فى رمضان على ما مَرَّ بك بقوله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك﴾ الآيات الخمس من صدر (سورة العلق) دليلًا على نبوة النبى ــ ﷺ ــ وأوليَّة هذه الآيات نزولًا من القرآن تَرْجُحُ سائر ما خالفها ولا تختلف ، والحديث الذى صح عن جابر ــ رضى الله عنه ــ أن ﴿يأيها المدّثر﴾ أول ما نزل من القرآن ؛ فإن الإمام السيوطى فى (ج ١) من كتابه « الإتقان » قد أورد أقوال العلماء فى أوليّة ما نزل ، وقال ــ بتصرف : أحدها وهو الصحيح ﴿اقرأ باسم ربك﴾ واستأنس لذلك بحديث « أول ما بدىء به من الوحى » الذى أخرجه الإمامان : البخارى ومسلم وغيرهما وفيه : « فغطَّنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ... » حتى بلغ ما لم يعلم » فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره ..

وهذه الراوية عن عائشة ــ رضى الله عنها والحديث كاف فى الدلالة ، لكن الإمام السيوطى أورد أحاديث أخر فى هذه الأولية مما أخرج الحاكم فى (المستدرك) ، والبيهقى فى (الدلائل) عن

عائشة ـ وصَحَّحَاهُ ـ والحديث الذى ذكرتهُ برواية عائشة ـ رضى الله عنها ـ عند الطبرانى فى الكبير عن أبى رجاء العطاردى عن أبى موسى الأشعرى ، وهو كذلك فى (مُسند سعيد بن منصور) ، وأخرجه ابن أبى شيبة فى (كتاب المصاحف) وعرض السيوطى حديث جابر بن عبدالله الذى أخرجه الشيخان ، وأنه قال ـ لمن سألوه عن أول ما نزل فقال : ﴿يأيها المدثر﴾ فلما ذكروا له : ﴿اقرأ باسم ربك﴾ أورد الحديث الصحيح الذى أوردته عائشة ـ رضوان الله عليها ـ وفى ثناياه ما يشير إلى حَدَثٍ قد حدث ، ولقاء قد سبق . والعبارةُ «فَنظرتُ إلى السماء ؛ فإذا هو يعنى جبريل إلخ من حديث جابر ـ رضى الله عنه» .

إن أوليَّةَ ﴿اقرأ باسم ربك ...﴾ مُطْلَقَةٌ ، وقول جابر ـ رضى الله عنه ـ كان جواباً عن أول سورة العلق أولًا ، ونزلت آياتها الأخر بعد ذلك .

قال صاحب «الإتقان» ويؤيد هذا ما فى الصحيحين ـ أيضاً ـ عن أبى سلمة عن جابر : «سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يحدّث عن فترة الوحى فقال «بينا أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسى فإذا المَلَك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فقلت : زملونى زملونى ، فدثرونى فأنزل الله ﴿يأيها المدثر﴾ قال السيوطى : فقوله «المَلَكُ الذى جاءنى بحراء» يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التى نزل فيها ﴿اقرأ باسم ربك﴾ **وذكر أنَّ أوليةَ جابر مخصوصة بما بعد فترة الوحى لا أوليّة مطلقة إذ ان المراد أنها مخصوصة بأنها أول ما نزل بخصوص الأمر بإنذار** ، وذكر كلاماً فحواه : أنَّ ﴿اقرأ باسم ربك﴾ فيها موجب النُّبُوّة ، أما «يأيها المدثر» فهى أمر بالإنذار وشاهدُ إرسالِهِ ﷺ .

٤ ـ النبىُّ الرسول ﷺ :

ومرة أخرى فإن الجمع بين أوليّة ﴿اقرأ باسم ربك﴾ و﴿يأيها المدثر﴾ مُغْنٍ عن كل ما ذكروه فى السياق ، وكافٍ فى إثبات نبّوة النبى ﷺ بآيات ﴿اقرأ ...﴾ وإثبات الرسالة بسورة المدثر ، **فلقد قرأ** ـ ﷺ ـ لنفسه أول الأمر آيات العلق ، فلما أُوحِىَ إليه : ﴿يأيها المدثر﴾ بدأت الدعوة الجهرية ، وكانت على مراحل فدعا أهلهُ وعشيرته والعرب الأَدْنَيْن ومن يليهم ثم دعا الناس كما قال تعالى : ﴿تبارك الذى نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نديراً﴾ الفرقان/١ .

والآيات فى إثبات عموم الرسالة كثيرةٌ دالّةٌ ، والقرآن يخاطب البشرية بأسرها منذ أشرق نور التوحيد بمكة فى ليلة القدر من رمضان بما يُرسى العقيدة ويجلو العبادة ، ويَمْهَدُ مناهج الحياة ، ويشد عُرَى التآخى ويُقرُّ قواعد الحكم فى كل ما شجر بين الناس ، كما لا يحقق ذلك نظامٌ مستورد ولا فكرٌ وافد ، ولا دَعَاوَى وأهواء من خدعتهم أنفسهم حتى كأنما قيل فيهم :

يقولون هذا عندنا غيرُ جائزٍ
وَمَنْ أَنْتُمُو حتى يكونَ لكم (عِنْدُ) ؟!

٥ ـ رجاء

فَعُدْ يارمضان ذكرى تنفع ، وصدىً يجمع ، ونوراً يكشف سبيل «خيرَ أمة أخرجت للناس» تمضىَ فيه «خيرَ أمةٍ أخرجت للناس» بشرطها فى كتاب الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب

لفضيلة الشيخ : عبدالحفيظ فرغلى القرنى

قال تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ البقرة

وقد جاءت هذه الآية الكريمة فى أعقاب الدعوة إلى صيام رمضان حيث قال ربنا ــ جل جلاله ــ ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ ــ البقرة ١٨٥ .

والمقصود بشهود الشهر حضور المسلم مقيماً صحيحاًفى بلد أيام شهر رمضان . جاء فى لسان العرب : الشاهد والشهيد الحاضر والجمع شهداء وشُهَّد وأشهاد وشهود . أنشد ثعلب :

كأنى وإن كانت شهـــوداً عشيرتى
إذا غبت عنـــى ياعُثَيْـــمُ غريب

أى إذا غبت فإنى لاأكلم عشيرتى ولاآنسُ بهم حتى كأنى غريب ..

قال ابن منظور : وشهد الأمرَ والمصرَ شهادة فهو شاهد من قوم شُهَّد ، قال تعالى : ﴿ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ هود ـــ ١٠٣ ، أى محضور يحضره أهل السماء والأرض . ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ ـ الإسراء ٧٨ ـ يعنى صلاة الفجر يحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار ، وقوله تعالى : ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ـ ق ٣٧ ـ أى أحضر سمعه وقلبهُ شاهد لذلك غير غائب عنه .

وروى شَمِر فى حديث أبى أيوب الأنصارى أنه ذكر صلاة العصر ثم قال : ولا صلاة بعدها حتى يُرَى الشاهد . قال : قلنا وما الشاهد ؟ قال : النجم كأنه يشهد فى الليل أى يحضر ويظهر .

وصلاة الشاهد هى صلاة المغرب ، وهذا راجع إلى التفسير المذكور ، كما تسمى صلاة البَصر ، لأنه تُبْصَر فى وقتها نجوم السماء .

قال ابن منظور : وقوله ـ عز وجل ـ ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ أى من شهد منكم المصر فى الشهر ، لايكون إلا ذلك ؛ لأن الشهر يشهده كل حى فيه .

قال : ونُصِب الشهرُ فى الآية بنزع الصفة لابوقوع الفعل عليه ، أى فمن شهد منكم فى الشهر ، أى كان حاضراً غير غائب فى سفر . وشاهَدَ الأمرَ والمصرَ كشهده .

ويقال : امرأةٌ مُشْهِد ـ بدون هاء ـ إذا كانت حاضرة البعل ، وامرأة مغيبة إذا غاب عنها زوجها . وقيل لامرأة عثمان بن مظعون ـ وكانت قد تركت الخضاب والطيب : أمُشْهِدٌ أم مُغِيب ؟ قالت : مُشْهِد كمغيب ، أى أن زوجها حاضر ولكنه لايقربها .

هذا ما جاء فى لسان العرب لابن منظور ، وهو كتاب لغة يبحث عن اللفظ وسياقه ومدلوله وتصريفه ، وفى ضوء ذلك يسير المفسرون ، فيأخذون المعنى المراد .

أقوال المفسرين :

وعلى ذلك نرى الإمام الفخر الرازى فى كتابه « مفاتيح الغيب » يقول : شهد أى حضر ، والشهود : الحضور . قال :

ويتفرع على ذلك قولان : أحدهما أن مفعول شهد محذوف ، والمعنى : من شهد منكم البلد أو بيته ، يعنى لم يكن مسافراً ، وكلمة « الشهر » أنتصبت على الظرفية ، وكذلك الهاء فى قوله تعالى : « فليصمه » .

الثانى مفعول شهد هو الشهر ، وتقدير ذلك : من شاهد الشهر بعقله ومعرفته فليصمه ، وهو كما يقال : شهدت عصر فلان ، وأدركت زمان فلان .

والمقصور بالشهر شهر رمضان . و« ال » فى « الشهر » للعهد أى الشهر المعهود الذى ذكر فى قوله تعالى : « شهر رمضان » .

والعلماء يقولون : إن الاسم إذا أعيد معرفة دل ذلك على أنه هو عين الأول ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ المزمل ١٥ ـ فالرسول الثانى هو عين «رسول» المذكور فى الآية الأولى وهو موسى ـ عليه السلام ـ .

وهذه نكتة بلاغية تنبه لها أهل الذوق ، وأيدوا ذلك بقولهم : لن يغلب عسر يسرين ، تذوقاً لما جاء فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الشرح ٥ ، ٦ .

قالوا : إن النكرة إذا تكررت تعددت ، والمعرفة إذا تكررت كانت شيئا واحداً ، وعلى ذلك فالعسر فى الآيتين واحد لأنه معرفة ، أما اليسر فهو اثنان لأنه جاء نكرة .

رأى القرطبى :

وفسر القرطبى الشهود أيضا بالحضور ، فقال : من شهد أى من حضر ، وفيه إضمار ، أى من شهد منكم المصر فى الشهر عاقلًا بالغاً صحيحاً مقيماً أى استوفى شروط الصوم ـ فليصمه ، وهو مقال عام يخصص بقوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

قال : وليس «الشهر» بمفعول ، وإنما هو ظرف زمان .

قال القرطبى : وقد أختلف العلماء فى تأويل هذا ؛ فقال على بن أبى طالب وابن عباس وسُوَيْد ابن غفلة وعائشة ـ رضى الله عنهم ـ وهم أربعة من الصحابة ، وأبو مجلز لاحق بن حميد ، وعبيدة السلمانى ، وهما تابعيان ـ هؤلاء جميعا قالوا : من شهد أى من حضر دخول الشهر ، وكان مقيماً فى أوله فى بلده وأهله فليكمل صيامه ، سافر بعد ذلك أو أقام ، وإنما يفطر فى السفر من دخل عليه رمضان وهو فى سفر .

فمعنى الآية عند هؤلاء : من أدركه رمضان مسافراً أفطر وعليه عدة من أيام أخر ، ومن أدركه حاضراً فليصمه .

أما جمهور الأمة فقالوا : من شهد أول الشهر وآخره فليصم مادام مقيماً ، فإن سافر أفطر . قال القرطبى : وهذا هو الصحيح ، وعليه تدل الأخبار الثابتة .

وعقب على قول الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ ومن معه من الصحابة بقوله : يحتمل أن يكون قولهم على (السفر المندوب) كزيارة الإخوان من الفضلاء والصالحين ، أو (المباح) كالسفر فى طلب الرزق الزائد على الكفاية . وأما السفر الواجب فى طلب القوت الضرورى . أو فتح بلد إذا تحقق ذلك ، أو دفع عدو فالمرء فيه مخير ، ولا يجب عليه الإمساك ، بل الفطر فيه أفضل للتَّقَوِّى ، وإن كان شهد الشهر فى بلده وصام بعضه لحديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ الذى رواه البخارى فى كتاب الصيام ، باب : إذا صام إياماً من رمضان ثم سافر : «إن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة فى رمضان فصام حتى إذا بلغ (الكُدَيْدُ) أفطر فأفطر الناس» .

والكديد : موضع بينه وبين المدينة سبع مراحل أو نحوها ، وبينه وبين مكة نحو مرحلتين .

بم يثبت الشهر ؟

ويثبت الشهر برؤية الهلال ، لقول النبى ـ ﷺ ـ : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم

عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين» عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعينى جـ ١٠ ص ٢٨١ ـ سنن النسائى جـ ٤ ص ١٣٥ .

وقال النيسابورى فى تفسيره «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» جـ ٢ ص ١١٢

ومهما شهد عند القاضى عدْلٌ واحد أنه رأى الهلال ثبت ، لما روى عن عمر انه رأى الهلال وحده فشهد عند النبى ـ ﷺ ـ فأمر الناس بالصوم .

ولما روى أن عليًّا ـ رضى الله عنه ـ شهد عنده رجل على رؤية الهلال فصام ، وقال : صيام يوم من شعبان أحب إلىّ من أن أفطر يوماً من رمضان وللاحتياط فى أمر العبادة يثبت كذلك بالسماع ، والسماع هو شهادة عدلين على رؤية الهلال ، بل عدْلٌ واحدٌ يكفى كما قدمنا .

مستلزمات الشهود :

ومستلزمات شهود الشهر صومه ، مجمله «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» جملة شرطية ، والشرط هو شهود الشهر ، والجزاء هو الأمر بالصوم ، وما لم يوجد الشرط بتمامه لا يترتب عليه الجزاء .

والشهر اسم للزمان المخصوص من أوله إلى آخره ، وظاهر الآية يقتضى أن عند شهود الجزء الأخير من الشهر يجب عليه صوم كل الشهر وهو محال ، لأنه يقضى إلى إيقاع الفعل فى الزمان المنقضى وهو ممتنع .

قال الفخر الرازى ـ تعقيباً على ذلك ـ فلهذا الدليل علمنا أنه لايمكن إجراء الآية على ظاهرها بل يجب تأويلها ، وطريق ذلك أن يحمل لفظ الشهر على جزء من أجزاء الشهر ، فيقال : من شهد جزءاً من أجزاء الشهر فليصم كل الشهر ، وعلى ذلك فمن شهد هلال رمضان فقد شهد جزءاً من أجزاء الشهر ، وبذلك يتحقق الشرط فيترتب عليه الجزاء .

وفى ذلك حمل لفظ الكل على الجزء ، وهو لون من ألوان المجاز المرسل المعروف فى علم البلاغة ، والعلاقة فيه هى التعبير بالكل وإرادة الجزء . كما يقال : شرب النيل ، والمراد قطرات منه .

وإذا سألك عبادى عنى ...

وهنا تساؤل هو : ماعلاقة قوله تعالى : ﴿**وإذا سألك عبادى عنى**﴾ بشهود الشهر ؟

والإجابة نشير إليها ـ من خلاصة أقوال المفسرين ـ فيما يلى :

الدعاء من أعظم مقامات العبودية وهو شعار الصالحين ودأب الأنبياء والمرسلين ومن فوائده : إظهار شعار الذل والانكسار ، واقرار بسمة العجز والافتقار ، وتصحيح نسبة العبودية لله القادر الغنى وقد أمرنا الله تعالى بدعائه فقال : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ـ غافر ٦٠ .

وابتلانا لندعوه ونستجير به ونتضرع إليه فقال : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنعام ٤٣ .

والدعاء الخالص يحقق الرجاء ويمحو الشقاء قال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ الفرقان ٧٧

ولذلك جاءت هذه الآية الكريمة : ﴿**وإذا سألك عبادى** ...﴾ فى أعقاب الدعوة إلى الصوم

الذى يطهر النفوس ويزكيها ، وبعد ذكر الله وتكبيره عند استقبال العيد بعد الصوم .

فحين أمر الله بالصوم والتكبير والذكر والشكر فى قوله تعالى : ﴿**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون**﴾ أعلمهم بأنه – بفضله – مطلع على ذكرهم وشكرهم ، يسمع نداءهم ويجيب دعاءهم ، ولا يخيب رجاءهم .

وقد يقال – كما ذكر النيسابورى فى تفسيره – أنه أمرهم بالثناء ، ثم رغبهم فى الدعاء تعليماً للمسألة ، وتنبيها على حسن الطلب .

وفى قوله تعالى : ﴿**فإنى قريب**﴾ بلاغة متناهية ، لأنه يصلح جواباً لكل مايتبادر إلى الأذهان من أسئلة .

فإن سأل سائل : أين ربنا ؟ صح الجواب بأنى قريب .

وإن سأل سائل : هل يسمع ربنا دعاؤنا ؟ صح الجواب بأنى قريب .

وإن سأل سائل : هل يعطينا ربنا مطلوبنا بالدعاء ؟ صح الجواب بأنى قريب .

وإن سأل سائل : إذا أذنبنا ثم تبنا هل يقبل توبتنا ؟ صح الجواب بأنى قريب .

أفضل ذكر ودعاء :

وأفضل ذكر ودعاء فى شهر رمضان هو قراءة القرآن الكريم ، لأن هناك ارتباطاً أزليا بين رمضان والقرآن ، فشهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر**﴾ – القدر ١ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ ﴾ – الدخان

ولقد ورد فى فضل تلاوة القرآن آثار كثيرة ، منها « من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته ثواب الشاكرين » رواه ابن حذيفة شاهين عن أبى سعيد الخدرى – الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية للمناوى برقم ١٥٠ ص ١٨٩ .

من بلاغة القرآن :

ولم يقل – تعالى – بعد قوله « وإذا سألك » فقل ، كما جاء فى آيات أخرى مماثلة منها « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » – الإسراء ٨٥ – كأنَّ الله سبحانه يقول لعباده : عبادى أنتم تحتاجون إلى الواسطة فى غير وقت الدعاء ، أما فى الدعاء فلا واسطة بينى وبينكم ، فأنتم عبادى أقرب إليكم من أنفسكم .

تفسير النيسابورى :

ما أعظم لطف الله ، وماأوسع رحمته ، وأسبغ فضله وأقرب اجابته لمن دعاه ، وما أصدقه حين يقول : ﴿**يابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان فيك ، ولو اتيتنى بملء الأرض خطايا آتيتك بملء الأرض مغفرة ما لم تشرك بى ، ولو بلغت خطاياك عنان السماء ثم استغفرتنى لغفرت لك**﴾ رواه الطبرانى فى كتبه الثلاثة – الإتحافات السنية حديث رقم ١٨٣ ص ٢٣٤ .

ربنا اغفر لنا وارحمنا وارض عنا وسامحنا ، سبحانك فاطر السموات والأرض ، أحسن ختامنا وألحقنا بالصالحين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

من هدى النبوة

لقارئ القرآن الكريم
تحسين الصوت بالقراءة

للأستاذ الدكتور : عبدالبصير خليفة حسن

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد ، فإن من السنة فى آداب التلاوة تحسين الصوت بالقراءة . وقد ورد فى هذا أحاديث كثيرة صحيحة :

روى ابن ماجه بسنده عن عائشة زوج النبى - ﷺ - قالت : « أبطأت على عهد رسول الله - ﷺ - ليلة بعد العشاء ، ثم جئت ، فقال : أين كنت ؟ قلت : كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد . قالت : فقام وقمت معه حتى استمع له ، ثم التفت إلى فقال : هذا سالم مولى أبى حذيفة ، الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثل هذا »(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا »(٢) .

الأستاذ بقسم الحديث - كلية أصول الدين بالقاهرة

(١) أخرجه ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب فى حسن الصوت بالقرآن ، قال فى الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه الدارمى فى التغنى بالقرآن ، والحاكم فى فضائل القرآن ، وأقره الذهبى ، ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير بالصحة .

ومن اشتهر بحسن الصوت الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى .

روى ابن أبى داود بإسناد صحيح من طريق أبى عثمان النهدى قال : «دخلت دار أبى موسى الأشعرى فما سمعت صوت صنج ولا بربط[٣] ولاناى أحسن من صوت» . واستمع النبى ـ ﷺ ـ له فقال : «لقد أوتى هذا من مزامير آل داود» . فبلغ ذلك أبا موسى فقال : يارسول الله ، لو علمت أنك تسمع لحبرته تحبيراً .

قال المحدثون فى شرح الحديث : المزامير : جمع مزمار ، وهو آلة اللهو ، ويطلق على الصوت الحسن ، وهو المراد هنا . والمراد : أعطى صوتا حسنا فى قراءة القرآن من أنواع الأصوات والنغمات الحسنة التى كانت لداود ـ عليه السلام ـ فى قراءة الزبور ، وكان إليه المنتهى فى حسن الصوت بالقراءة . عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن داود ـ عليه السلام ـ كان يقرأ الزبور بسبعين لحنا ، ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم ، وكان إذا أراد أن يبكى نفسه لم تبق دابة فى بر ولا بحر إلا أنصتت له واستمعت وبكت .

والمقصود من قول أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ : «لحبرته لك تحبيراً» التزيين والتحسين ، فلو علم أن النبى ـ ﷺ ـ كان يسمعه لمد فى قراءته ورتلها كما كان يقرأ على النبى ـ ﷺ ـ فيكون زيادة فى حسن صوته بالقراءة . وروى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن ،يجهربه» ، قال النووى رحمه الله :

معناه عند الشافعى وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون «يحسن صوته به»[٤] ، وقال الغزالى ـ رحمه الله ـ : قيل : أراد به الاستغناء . وقيل : أراد به الترنم وترديد الألحان وهو أقرب عند أهل اللغة[٥] .

وإذا لم يكن القارىء حسن الصوت ، فعليه أن يحسنه بقدر استطاعته .

روى أبو داود بسند صحيح عن عبدالجبار بن الورد قال : سمعت ابن أبى مُلَيْكة يقول : قال عبيد الله بن أبى يزيد : «مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته ، فدخلنا عليه فإذا رجل رث البيت رث الهيئة[٦] ، فسمعته يقول : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : ليس منا من لم يتغن بالقرآن . قال : فقلت لابن أبى مليكة : ياأبا محمد ، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت ؟ قال : يحسنه ما استطاع» .

المراد من تحسين الصوت عند بعض العلماء :

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ فى كتاب فضائل القرآن : «والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به»[٧] . وذكر البيهقى

---

(٣) الصَّنْج والجمع : صنوج ، آلة من نحاس كالطبقين يضرب أحدهما بالآخر ، والبَرْبَط فارسية : آلة موسيقية تشبه العود .
(٤) شرح النووى لصحيح مسلم ٣/٧٨ ، ٧٩
(٥) إحياء علوم الدين ٣/٥٠٦ طبعة دار الشعب
(٦) رث البيت ورث الهيئة : باليهما ، كما فى مختار الصحاح .
(٧) فضائل القرآن لابن كثير .

فى شعب الإيمان : أن المراد تحسين القارىء صوته بالقرآن ، غير أنه يميل به نحو التحزين دون التطريب(٨) .

حكم التطريب والتلحين فى القراءة :

أجازت طائفة التغنى بالقرآن ، والترجيع بقراءته بما شاء من الأصوات واللحون . ذكر الطبرى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه كان يقول لأبى موسى : ذكرنا ربنا . فيقرأ أبو موسى ويتلاحن . وقال : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل . وأخرج ابن أبى داود من طريق أبى مسجعة قال : كان عمر يقدم الشاب حسن الصوت لحسن صوته بين يدى القوم ، وأجازه ابن عباس وابن مسعود . وروى عن عطاء بن أبى رباح قال : كان عبدالرحمن بن الأسود بن أبى يزيد يتتبع الصوت الحسن فى المساجد فى شهر رمضان ، ونقل الطحاوى ـ رحمه الله ـ عن أبى حنيفة وأصحابه ـ رحمهم الله ـ أنهم كانوا يستمعون القراءة بالألحان . وقال محمد بن الحكم : رأيت أبى والشافعى ويوسف بن عمر ـ رحمهم الله ـ يسمعون القرآن بالألحان .

وترى هذه الطائفة أن تزيين القرآن وتحسين الصوت به والتطريب بقراءته أوقع فى النفوس . ومعاذ الله أن يكون القرآن بحاجة إلى زينة ، وهو الضياء والنور ، وإنما قراءته على هذا النحو فيها تنفيذ للفظه إلى الأسماع ومعانيه إلى القلوب ؛ وذلك عون على المقصود .

ويضرب ابن القيم ـ رحمه الله ـ مثالًا لذلك فيقول : هو بمنزلة الحلاوة التى تجعل فى الدواء لتنفذه إلى موضع الداء ، وبمنزلة (الأفاوية) والطيب الذى يجعل فى الطعام لتكون الطبيعة أدعى له قبولًا(٩) .

وتجعل هذه الطائفة أن القراءة بهذا النحو أمر راجع إلى كيفية الأداء ، وتارة يكون سليقة وطبيعة ، وتارة يكون تكلفاً وتعملًا . وكيفيات الأداء لا تخرج الكلام عن وضع مفرداته ، بل هى صفات لصوت المؤدى جارية مجرى ترقيقه وتفخيمه وإمالته ، وجارية مجرى مدود القراءة الطويلة والمتوسطة . لكن تلك الكيفيات متعلقة بالحروف ، وكيفيات الألحان والتطريب متعلقة بالأصوات . والتطريب والتلحين راجع إلى أمرين : مد وترجيع . وقد ثبت عن النبى ـ ﷺ ـ أنه كان يمد صوته بالقراءة ، يمد الرحمن ويمد الرحيم ، وثبت عنه الترجيع .

وترى طائفة أخرى كراهة التطريب والتلحين . جاء زياد النهدى إلى أنس ـ رضى الله عنه ـ مع القراء فقيل له : اقرأ ، فرفع صوته وطرّب ـ وكان رفيع الصوت ـ فكشف أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عن وجهه ، وكان على وجهه خرقة سوداء ، وقال : ياهذا ، ماهكذا كانوا يفعلون . وكان إذا رأى شيئا ينكره رفع الخرقة عن وجهه . وعن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر بن عبدالعزيز يؤم الناس فطرَّب فى قراءته ، فأرسل إليه سعيد يقول : أصلحك الله ، إن الأئمة لا تقرأ هكذا ، فترك عمر التطريب بعد .

وروى ابن القاسم عن مالك أنه سئل عن الألحان فى الصلاة ، فقال : لا تعجبنى ، إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم .

---

(٨) شعب الإيمان للبيهقى ٣٨٧/٢

(٩) زاد المعاد ١٣٦/١ «بتصرف» .

وقال عبدالله بن يزيد العكبرى : سمعت رجلا يسأل أحمد : ما تقول فى القراءة بالألحان ؟ فقال : ما اسمك ؟ قال : محمد ، قال : يسرك ما يقال لك : ياموحمد ممدوداً ؟ قال القاضى أبو يعلى : هذه مبالغة فى الكراهة ، فإن زاد الأمر حتى أصبح لا يفهم معنى القرآن حرم[١٠] .

وحكى القرطبى وقوع هذا من بعض قراء زمانه الذين يقرءون أمام الجنائز والملوك ، ويأخذون على ذلك الأجور ، فقال عنهم : ضل سعيهم وخاب عملهم فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله ، ويهونون على أنفسهم الاجتراء على الله بأن يزيدوا فى تنزيله ما ليس فيه ؛ جهلًا بدينهم ، ومروقاً عن سنة نبيهم ، ورفضاً لسير الصالحين فيه من سلفهم ، ونزوعاً إلى ما يزين لهم الشيطان من أعمالهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فهم فى غيهم يترددون ، وبكتاب الله يتلاعبون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[١١] .

المتحصل مما سبق :

قال الحافظ ابن حجر : إن حسن الصوت بالقرآن مطلوب ، فإن لم يكن حسنا فليحسنه ما استطاع . ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قواعد النغم ، فإن حَسَن الصوت يزداد حسنا بذلك ، وإن خرج عنها أثر ذلك فى حسنه . وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات ؛ فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء . ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام ؛ لأن الغالب على من راعى الأنغام ألا يراعى الأداء ، فإن وجد من يراعيهما معا فلاشك أنه أرجح من غيره لأنه يأتى بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء[١٢] .

قال السخاوى : والحق فى هذه المسألة أنه إن خرج بالتلحين لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه أو إخراج حركات منه أو قصر ممدود أو مد مقصور أو تمطيط يخفى به اللفظ ويلتبس به المعنى ؛ فالقارىء فاسق والمستمع آثم ، وإن لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله فلا كراهة ؛ لأنه زاد بألحانه فى تحسينه[١٣] .

قراءة السلف :

قال ابن القيم : وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم برءاء من القراءة بالألحان الموسيقا المتكلفة التى هى إيقاع وحركات موزونة معدودة محدودة ، وأنهم أتقى لله من أن يقرءوا بها ويسوغوها ، ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرءون بالتحزين والتطريب ، ويحسنون أصواتهم بالقرآن ، ويقرءونه بشَجىً تارة وبطرب تارة وبشوق تارة ، وهذا أمر فى الطباع تقاضيه ، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضى الطباع له ، بل أرشد إليه وندب إليه وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به وقال ـ ﷺ ـ : «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» . وفيه وجهان : أحدهما : أنه إخبار بالواقع الذى كلنا نفعله ، والثانى ؛ أنه نفى لهدى من لم يفعله عن هديه وطريقته ، ﷺ[١٤] وبالله التوفيق .

---

(١٠) زاد المعاد ١/١٣٤ «بتصرف» .

(١١) تفسير القرطبى ١/٨ و١٣ و١٤

(١٢) فتح البارى ٩/٧٢ «بتصرف» .

(١٣) فتح المغيث ١/٣٠٣ .

(١٤) زاد المعاد ١/١٣٨ .

قبس من أنوار النبوة

الصيام والقرآن

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، فيشفعان » .. رواه أحمد والطبرانى والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم . والبيهقى .

فرض الله ـ تبارك وتعالى ـ الصيام على المسلمين فى شهر رمضان ، وخص الله هذا الشهر بخصال ووفر به حظ الأمة الإسلامية من الرحمة والنعمة ، ووهبها لأمة القرآن ، ولم يهبها لغيرها من الأمم .

والصوم الصحيح يهدى القلب إلى الإيمان ، وينوره بنور الإسلام ، ويهذب النفس ، ويقوى العزيمة ، ويعرف العبد مقدار نعم الله عليه ، ويملأ قلبه رحمة بالضعفاء والفقراء ويجعله طائعا ومخلصا ، وعابدا صادقا ، وبرا مستقيما .

تسمو بروحه ويُصحُّ جَسَدَه ، ويثبت فى قلبه تقوى الله ، التى هى سبيل الصلاح والفلاح وبحسب المؤمن الصائم رمضان إيمانا واحتسابا ـ تصديقا بحقيته ومثوبته ـ أن يظفر بدعوة لا ترد عند إفطاره كل يوم ، وأن يظفر بنظرة ينظرها الله إليه فى أول ليالى هذا الشهر ، وباستغفار الملائكة له طيلة أيام الشهر ، وبمغفرة الله فى الختام وبشفاعة الصيام له يوم القيامة جزاء ما حرمه من مطالب

الشهوة والبطن فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اعْطِيَتْ أمتى فى رمضان خمس خصال لم تعطهن أمة كانت قبلهم : خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، وتُصَفَّد مردة الشياطين ، فلا يصلون فيه إلى ما كانوا يصلون إليه ، ويزين الله جنته فى كل يوم فيقول : يوشك عبادى الصالحون أن يلقوا عنهم المئونة والأذى ويصيروا إليك ، ويغفر لهم آخر ليلة من رمضان ، فقالوا يا رسول الله : هى ليلة القدر ؟ قال : لا ، ولكن العامل إنما يوفى أجره عند إنقضاء عمله . رواه أحمد

بحسب الصائم لرمضان أن ينال المكارم والحسنات التى جاء بها الوعد على لسان نبى الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ : حيث يقول : فيما رواه الطبرانى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ الصوم جنه ما لم يخرقها . بكذب أو غيبة .

إن المؤمن الصائم لشهر رمضان لا يتم له التقرب إلى الله ـ تعالى ـ بترك هذه الشهوات المباحة إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله فى كل حال ، من الكذب ، والظلم . والعدوان على الناس فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم . ولهذا قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما أخرجه البخارى ـ من يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه .

وقال : ليس الصيام عن الطعام والشراب ، إنما الصيام ترك اللغو والرفث ـ رواه ابن خزيمة وابن حبان ، والحاكم .

وعلى الصائم ـ لكى يسعد بالثواب الكامل ـ أن يكف سمعه عن الإصغاء إلى المحارم ، وبصره عن النظر إلى العورات والمحرمات ، ولسانه عن الثرثرة والأكاذيب ، ويده عن الكسب الحرام وعن البطش والعدوان ، ويكف رجله عن السعى إلى المفاسد والمضار . وإن لم يفعل فهو كما قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر) ـ رواه ابن ماجه ، والنسائى ..

لقد كان سلفنا الكرام ، يقدرون رمضان حق قدره ، ويغمر أنواره أرواحهم ، فنهارهم به صائم وليلهم فيه قائم ، وأيديهم بالبذل مبسوطة ، وأعينهم عن الشر غضيضة ، وألسنتهم بذكر الله رطبة .. عملا بقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فيما رواه الترمذى والنسائى . ياباغى الخير أقبل . وياباغى الشر أقصر .

عن على ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » قالوا : لمن هى يا رسول الله قال : « لمن طَيَّبَ الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » ـ رواه الترمذى ـ ورواه أحمد عن ابن مالك الأشعرى الحديث كله ، وفى حديث معاذ بن جبل عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ألا أدلك على أبواب الخير قلت : بلى ، قال : الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفى الماء النار . رواه الترمذى .

قال أبو الدرداء ـ رضى الله عنه « صلوا فى ظلمة الليل ـ ركعتين لظلمة القبور ، صوموا يوما شديدا حره لحر يوم النشور ، تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير »

والقرآن الذى أنزله الله على قلب رسوله

ـ ﷺ ـ فى شهر رمضان منهاج الأمة الجامع لعز الدنيا وشرف الآخرة .

قال كعب : ينادى يوم القيامة مناد : إن كل حارث يعطى بحرثه ويزاد ، غير أن أهل القرآن والصيام يعطون أجورهم بغير حساب .

قال ابن عبد الحكم : كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف .

والنظر فى المصحف عبادة .. روى أبو داود عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : « النظر إلى الكعبة عبادة ، والنظر فى وجه الوالدين عبادة ، والنظر فى المصحف عبادة » ولعل أولئك الذين يضعون المصاحف فى المنازل والسيارات معلقة يستمعون إلى هذه الأحكام فيفتحون المصاحف للتلاوة والنظر فيها . حتى لا يكونوا ممن اتخذوا هذا القرآن مهجوراً . روى الترمذى فى حديث حسن صحيح عن عبد الله بن مسعود قال ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ ألف لام ميم (الم) حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف .

والقرآن ذِكْرٌ وهو دعاء ، وهو سؤال الله ـ عز وجل ـ يتصل بالخير والمغفرة والرحمة فقال رسول الله ـ ﷺ ـ فيما رواه الترمذى وحسنه عن أبى سعيد قال : يقول الرب ـ تبارك وتعالى ـ « من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وأفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

روى الحاكم عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه . لا ينبغى لصاحب القرآن أن يَجِدَ مع سن وَجَد (غضب) ولا يجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله » .

جاء فى الصحيحين ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فَلَـــرَسُولُ الله ـ ﷺ ـ ، حين يلقاه جبريل ـ أجود بالخير من الريح المرسلة » .

وفى هذا الحديث ربط بين رمضان والقرآن وكثرة الصدقة ، وهى الدليل الواضح على أن الصوم وقراءة القرآن قد أثمر الثمرة المرجوة .

أما من يصوم رمضان ويتلو كتاب الله ـ وهو رحمة ونور ـ فلا يشرق قلبه بنور الرحمة ولا تتألق نفسه بضياء الكرم ، ولم يوق شح نفسه ، فإنما يدل هذا على أن وسائل النور لم تتغلغل فى نفسه . فتقوده إلى الجود والإحسان . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ـ فلتقرأ القرآن بتدبر وتأثر ، فى كل وقت وحين ولنجتهد فى تلاوته فى شهر الصوم ، ولنجعل من القرآن دستور حياتنا ، ومنهجا لأخلاقنا ونبراسا لسلوكنا .

والله نسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وممن أخلصوا لله العمل ومن عتقاء هذا الشهر من النيران . إنه على كل شىء قدير .

صلاة التراويح

حكمها . وقتها . نيتها . ركعتها . وكيفيتها - ختم القرآن

للشيخ : توفيق عبد العزيز عبد السلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد خير خلق الله أجمعين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فإن من أفضل الشهور عند الله ، وأحبها اليه ـ سبحانه وتعالى ـ شهر رمضان هذا الشهر الذى أهداه المولى لعباده ، ومهد لهم فيه نفحات الخير تزيد طاعتهم طاعة ، وصلواتهم نوراً فيزدادون روحاً وريحاناً .

ولقد خص الله ـ سبحانه ـ هذا الشهر بخصائص لا يعلم جَمْعَها إلا هو ، وما نعلم منها إلا قليلًا ، فمن خصائصه :

صيام نهاره ؛ لتصح الأبدان ، وتتخلص من شحومها وسمومها .

وصلاة التراويح قربانا لله بكثرة الركوع والسجود .

وليلة القدر لغفران الذنوب .

ولقد شرح الله ـ تعالى ـ صدرى للكتابة فى خصيصة صلاة التراويح .

أول من سنها وصلاها :

والتراويح جمع : ترويحة ، وهى المرة الواحدة من الراحة كتسليمه من السلام ، وسميت بالتراويح لاستراحة المصلين عند أدائها بعد كل عدد من الركعات .

أول من سن صلاة التراويح وصلاها سيدنا رسول الله ـ ﷺ فقد صلاها ثلاث أو أربع ليال مع المصلين ولم يصلها معهم بعد ذلك خشية أن تفرض على المسلمين ، فقد قال أبو هريرة[1] ـ رضى الله عنه ـ كان رسول الله ﷺ يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول :

« من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه مسلم .

وقالت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها : صلى النبى ﷺ فى المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته

ناس ، ثم من القابلة وكثر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فلما أصبح قال : « قد رأيت الذى صنعتم فلم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم » .

قال : وذلك فى رمضان . رواه مسلم .

أول من جمع الناس عليها :

واظب المسلمون على أداء صلاة التراويح فى عدد من الجماعات ، لكل منها إمامها ، وظل الأمر على ذلك مدة حياة رسول الله ـ ﷺ ، وأبى بكر الصديق ، وشطرا من حياة عمر ـ رضى الله عنهما .

وخرج عمر ـ يوما ـ ورآها على هذه الفِرَق ، فآثر أن يجمعهم على قارىء واحد حتى يكون ذلك أنشط لكثير من المصلين وحثا على جمعهم على قلب رجل واحد فجمع الرجال على أبى بن كعب فكان يصلى بهم .

فروى[2] عن عبدالرحمن بن عيد القارى قال :

خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة فى رمضان فإذا الناس أو زاع متفرقون ، يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل بصلاته الرهط .

فقال عمر : إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبى ابن كعب .

قال ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال :

نعمت البدعة[3] هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون ـ يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله . أخرجه البخارى وقال ابن عابدين فى حاشيته « ولم يتخرجه عمر من تلقاء نفسه ، ولم يكن فيه مبتدعاً ، ولم يأمر به إلا عن أصل لديه وعهدٍ من رسول الله ﷺ ، وأن المواظبة عليها وقعت فى أثناء خلافة عمر ـ رضى الله عنه ـ ووافقه على ذلك عامة الصحابة ومن بعدهم الى يومنا هذا بلا نكير ، وكيف لاوقد ثبت عنه ﷺ :

« عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهدين عَضُّوا عليها بالنواجذ » رواه أبو داود[4]

وروى[5] مالك عن محمـــد بن يوسف عن السائب بن زيد قال :

أمر عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أبى بن كعب وتميماً الدارى أن يقوما للناس وكان القارىء يقرأ بالمائتين حتى كنا نعتمد على العصا من طول القيام وما كنا ننصرف إلا فى فروع الفجر .

وعن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ جمع الناس على قيام شهر رمضان ، الرجال على أبى بن كعب والنساء على سليمان ابن أبى حثمه .

وعن عرفجه الثقفى قال : كان على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ يأمر الناس بقيام شهر رمضان ويجعل للرجال إماماً وللنساء فكنت أنا إمام النساء . رواهما البيهقى .

---

(١) المغنى لابن قدامه ص ٧٩٧

(٢) المغنى لابن قدامه ص ٧٩٨ ، وفتح البارى لابن حجر

(٣) البدعة : بزيادة التاء أصلها ما حدث على غير مثال سابق . وتطلق فى الشرع : فى مقابل السنة فتكون مذمومة . والتحقيق أنها إن كانت مما تندرج تحت مستحسن فى الشرع فهى حسنة ، وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح فى الشرع فهى مستقبحه ، وإلا فهى من قسم المباح .

(٤) حاشية الدر المختار لابن عابدين .

(٥) المجموع شرح المهذب للإمام النووى .

وهكذا جمع عمر الناس على التراويح ، ووافقه على ذلك الصحابة ومن بعدهم إلى يومنا هذا بلا نكير ، وقد ثبت عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهدين ، عضوا عليها بالنواجذ» رواه أبو داود .

حكم صلاة التراويح

قال الإمام ـ رحمه الله : اتفق العلماء على إستحبابها ، وأنها ليست بواجب ولا مندوب . **وقال ابن عابدين فى حاشيته «الدر المختار»** أنها سنة مؤكدة ، وهو المروى عن أبى حنيفة ، وحكى غير واحد الإجماع على سنيتها .

وذكر فى «الاختيار» أن أبا يوسف ـ رحمه الله ـ سأل أبا حنيفة عنها فقال :

التراويح سنة مؤكدة للرجال والنساء .

وخلاصة القول[1] : أنها سنة مؤكدة للرجال والنساء عند الأئمة الثلاثة (الأحناف ـ الشافعية ـ الحنابلة) وقال المالكية أنها مندوبة ندباً لكل مصل من الرجال والنساء .

صلاة التراويح جماعة فى المسجد أو إنفراداً بالبيت

قال ابن عابدين فى حاشيته الدر المختار : إن أصل التراويح سنة عين ، فلو تركها واحد كره ، بخلاف صلاتها بالجماعة فإنها سنة كفاية ، فلو تركها الكل أساءوا ، أما لو تخلف عنها رجل من أفراد الناس وصلى فى بيته فقد ترك الفضيلة وإن صلى أحد فى البيت بالجماعة لم ينالوا فضل جماعة المسجد .

وقيل : تستحب فى البيت إلا لفقيه عظيم يقتدى به فيكون فى حضوره ترغيب غيره .

إذن[1] فالأفضل أن يصليها الرجل فى جماعة لما روى أن عمر ـ رضى الله عنه ـ جمع الناس على أبى بن كعب .

وقال أبو العباس وأبو إسحق : صلاة التراويح جماعة أفضل من الانفراد لإجماع الصحابة وإجماع أهل الأمصار على ذلك ومن أصحابنا من قال : فعلها منفرداً أفضل ؛ لأن النبى ـ ﷺ صلى ليالى فصلوها معه ثم تأخر وصلى فى بيته باق الشهر ولأئمتنا[3] ـ رضوان الله عليهم ـ فى الانفراد بصلاة التراويح بالبيت نظر ؛ إذْ علل الأئمة الانفراد بالتراويح بالبيت بالسلامة من الرياء ولا يسلم منه إلا إذا صلى فى بيته وحده ، وأما إذا صلى فى بيته جماعة ؛ فانه لا يسلم منه .

نعم إن كان يصلى فى بيته بزوجته وأهل داره فهذا بعيد فى الغالب من الرياء . قاله أبو على المناوى .

وحاصله أن ندب فعلها فى البيوت مشروط بشروط :

١ ـ أن لا تعطل المساجد .

٢ ـ أن ينشط لفعلها فى بيته .

فإن تخلف منها شرط كان فعلها فى المسجد أفضل .

وقال الإمام الشافعى[4] ـ رحمه الله ـ وجمهور أصحابه وأبو حنيفة وأحمد وبعض المالكية وغيرهم : الأفضل صلاتها جماعة كما فعله عمر بن

---

(١) صلاة التراويح ـ الفقة على المذاهب الأربعة للجزيرى .

(٢) المجموع شرح المهذب للإمام النووى .

(٣) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير المجلد الأول .

(٤) نيل الأوطار للشوكانى .

الخطاب والصحابة – رضوان الله عليهم – واستمر عمل المسلمين عليه ؛ لأنه من الشعائر الظاهرة فأشبه صلاة العيد ، وبالغ الطحاوى فقال : إن صلاة التراويح فى الجماعة واجبة على الكفاية .

وقال مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم : الأفضل صلاة التراويح فرادى فى البيت ؛ لقوله – ﷺ – : « أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة » متفق عليه[٥] .

وبالغ الطحاوى فقال :

إن صلاة التراويح فى الجماعة واجبة على الكفاية .

وقال ابن بطال : قيام رمضان سنة ؛ لأن عمر إنما أخذه من فعل النبى – ﷺ – وإنما تركه النبى – ﷺ – خشية الافتراض .

وعند الشافعية فى أصل المسألة ثلاثة أوجه : ثالثها :

من كان يحفظ القرآن ولا يخاف الكسل ولا تختل الجماعة فى المسجد بتخلفه فصلاته فى الجماعة والبيت سواء ، فمن فقد بعض ذلك فصلاته فى الجماعة أفضل .

وفى المغنى لابن قدامة[٦] : قال مالك والشافعى :

قيام رمضان لمن قوى فى البيت أحب الينا ؛ لما روى عن زيد بن ثابت « احتجر رسول الله ﷺ حجيرة بخصفة أو حصير فخرج رسول الله ﷺ فيها فتتبع إليه رجال وجاءوا يصلون بصلاته ، قال :

ثم جاءوا ليلة فحضروا ، وأبطأ رسول الله – ﷺ – عنهم فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم ، وحصبوا الباب فخرج إليهم رسول الله – ﷺ – مغضبا فقال :

« مازال لكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم ، فعليكم بالصلاة فى بيوتكم ؛ فإن خير صلاة المرء فى بيته إلا الصلاة المكتوبة » رواه مسلم .

وروى عن أبى هريرة[٧] – رضى الله عنه – قال :

كان رسول الله ﷺ يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول : من قام رمضان إيمانا واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه فتوفِّىَ رسول الله – ﷺ – والأمر على ذلك ثم كان الأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر وصدراً من خلافة عمر .

ومعنى ذلك أن الأمر استمر هذه المدة على أن كل واحد يقوم رمضان فى بيته منفرداً حتى انقضى صدراً من خلافه عمر ثم جمعهم عمر على أبى بن كعب فصلى بهم جماعة واستمر العمل على فعلها جماعة .

وقتها

لصلاة التراويح وقت محدد كالصلاة المفروضة دون غيرها من الصلاة المسنونة .

قال ابن عابدين[٨] فى حاشيته (الدر المختار) : وقت صلاة التراويح بعد صلاة العشاء إلى الفجر واعتبرها ابن عابدين أيضا : قيام ليل .

وقال الإمام النووى – رحمه الله – فى كتابه المجموع شرح المهذب : يدخل وقت التراويح

(٥) فتح البارى لابن حجر .
(٦) المغنى لابن قدامة .
(٧) صحيح مسلم حـ ٦ ، ص ٣٩
(٨) حاشية الدر المختار لابن عابدين

بالفراغ من صلاة العشاء ويبقى إلى طلوع الفجر .

وقال سيدى أحمد الدردير – رضى الله عنه – فى حاشية الدسوق على الشرح الكبير : صلاة التراويح تكون بعد عشاء صحيحة وشفق ويستمر للفجر .

حكمها لو فاتت

قال ابن عابدين فى حاشيته الدر المختار :

لو فات شخص صلاة التراويح لا يقضها أصلا لا بجماعة ولا وحده .

وقيل : يقضيها وحده ما لم يدخل وقت تراويح أخرى ، وتكون نفلا مستحبا ، وليس بتراويح كسنة مغرب وعشاء . وقال الشافعية : إن خرج وقتها قضيت مطلقا .

حكم اشتراط النية لصلاة التراويح

من المعروف شرعا أن لكل عمل يُتَقرَّب به إلى الله نِيَّة ، سواء كان فرضا أم نفلا ، ولما كانت صلاة التراويح من الأفعال التى يتقرب بها الإنسان إلى الله – عز وجل – فما حكم النية فيها ؟

فقال ابن عابدين[9] : لابد لصلاة التراويح من تعيين النية فيها ، ويشترط أن يجدد فى التراويح لكل شفع نية ؛ لأنه بالسلام خرج من الصلاة حقيقة ؛ فلابد – فى دخوله فيها – من النية .

وقال الإمام النووى – رحمه الله – فى كتابه المجموع شرح المهذب : لا تصح التراويح (بنية مطلقة) ، بل ينوى سنة التراويح أو صلاة التراويح أو قيام رمضان فينوى، فى كل ركعتين من صلاة التراويح .

وقال الشيخ الجزيرى : إن كل ركعتين من التراويح صلاة مستقلة فينوى فى أولها ويدعو بدعاء الافتتاح بعد تكبيرة الإحرام ، وقبل القراءة .

عدد ركعاتها

اتفق فى عدد ركعات صلاة التراويح على أنها عشرون ركعة وهو[1] قول الجمهور ، وعليه عمل الناس شرقاً وغرباً إلى يومنا هذا ، وذُكِرَ فى (الفتح) أن مقتضى الدليل كون المسنون منها ثمانية والباق مستحباً .

وقال الإمام النووى – رحمه الله – فى كتابه المجموع شرح المهذب :

إنها عشرون ركعة بعشر تسليمات غير الوتر ، وخمس ترويحات ، والترويحة أربع ركعات بتسليمتين . وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وأحمد وداود وغيرهم ونقله القاضى عياض عن جمهور العلماء .

وحكى أن الأسود بن مزيد كان يقوم بأربعين ركعة ويوتر بسبع .

وقال مالك : التراويح تسع ترويحات ، وهى ستة وثلاثون ركعة غير الوتر ، وحجته أن أهل المدينة يفعلونها هكذا .

وقال الدسوق فى حاشيته على الشرح الكبير لسيدى أحمد الدردير :

إن عدد ركعات التراويح ثلاث وعشرون ركعة بالشفع والوتر كما كان عليه عمل الصحابة

---

(9) حاشية الدر المختار لابن عابدين .

(1) حاشية الدر المختار لابن عابدين .

والتابعين ، ثم جعلت فى زمن عمر بن عبدالعزيز ستاً وثلاثين بغير الشفع والوتر ، لكن الذى جرى عليه العمل سلفاً وخلفاً هو الأول «ثلاث وعشرون ركعة»[١١] وفى الموطأ عن محمد بن يوسف عن السائب بن زيد أنها إحدى عشرة ركعة .

وفى الموطأ - أيضا - من طريق يزيد بن حصيفة عن السائب بن زيد أنها عشرون ركعة .

وروى محمد بن نصر من طريق عطاء قال : أدركتهم فى رمضان يصلون عشرين ركعة وثلاث ركعات الوتر .

قال الحافظ : والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الأحوال ، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها ، فحيث تطول القراءة تقلل الركعات والعكس .

وأما العدد الثابت عنه - ﷺ - فى صلاته فى رمضان فأخرج البخارى وغيره عن عائشة أنها قالت :

«ماكان النبى - ﷺ - يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة» .

وأخرج ابن حبان فى صحيحه من حديث جابر أنه ﷺ صلى بهم ثمان ركعات ثم أوتر . وزاد سليم الرازى فى كتاب الترغيب له «ويوتر بثلاث» قال البيهقى : تفرد به أبو شيبة إبراهيم بن عثمان وهو ضعيف .

وخلاصة القول ، كما قال الشوكانى : أن الذى دلت عليه أحاديث الباب ومايشابهها هو مشروعية القيام فى رمضان ، والصلاة فيه جماعة وفرادى ، فقصر الصلاة المسماة بالتراويح على عدد معين وتخصيصها بقراءة مخصوصة لم يرد به سنة .

وروى فى فتح البارى لابن حجر العسقلانى[١٢] : عن يزيد بن رومان قال :

كان الناس يقومون فى زمان عمر بثلاث وعشرين ركعة ، وروى محمد بن نصر من طريق عطاء قال : أدركتهم فى رمضان يصلون عشرين ركعة وثلاث ركعات الوتر .

وروى عن السائب بن يزيد قال : كنا نصلى زمن عمر فى رمضان ثلاث عشرة .

قال ابن اسحاق : وهذا أثبت ماسمعت فى ذلك وهو موافق لحديث عائشة فى صلاة النبى - ﷺ - من الليل . والله أعلم .

والجمع بين هذه الروايات : ممكن باختلاف الأحوال ، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها فحيث يطيل القراءة تقل الركعات والعكس صحيح .

والاختلاف فيما زاد عن العشرين راجع إلى الاختلاف فى (الوتر) ، وكأنه كان تارة يوتر بواحد ، وتارة بثلاث .

قال الإمام الشافعى - رضى الله عنه - : إن أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن ، وإن أكثروا السجود وَأَخَفُّوا القراءة فحسن والأَوَّل أحبُّ إلى .

وروى ابن قدامة[١٣] فى كتابه المغنى : أن الإمام مالك - رحمه الله - قال - فى صلاة التراويح : إنها ستة وثلاثين تعلقا بفعل أهل المدينة .

وقال بعض أهل العلم : إنما فعل هذا أهل المدينة لأنهم أرادوا مساواة أهل مكة ، فإن أهل

---

(١١) نيل الاوطار للشوكانى .

(١٢) فتح البارى لابن حجر .

(١٣) المغنى .

مكة يطوفون سبعا بين كل ترويحتين ، فجعل أهل المدينة مكان كل سبع أربع ركعات .

وقال صاحبا الشامل والبيان[14] وغيرهما : قال أصحابنا : ليس لغير أهل المدينة أن يفعلوا فى التراويح فعل أهل المدينة فيصلوها ستا وثلاثين ركعة : لأن لأهل المدينة شرفاً بمهاجرة رسول الله ـ ﷺ ـ ومدفنه بخلاف غيرهم .

وقال القاضى أبو الطيب ـ فى تعليقه : قال الشافعى : فأما غير أهل المدينة فلا يجوز أن يماروا أهل مكة ولاينافسوهم .

كيفيتها

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ فى كتاب المجموع شرح المهذب :

تُصلَّى : ركعتان ركعتان كما هو معتاد ، فلو صلى أربع ركعات ـ (كالصلاة المفروضة)[15] ـ بتسليمه واحدة لم يصح ، ذكره القاضى حسين فى فتاويه ؛ لأنه خلاف المشروع .

وقال ابن عابدين فى حاشيته والدر المختار :

تصلى التراويح بعشر تسليمات ـ فلو فعلها بتسليمة واحدة صحت مع الكراهة ـ ويجلس بين كل أربع ركعات بقدرها ، وكذا بين الخامسة والوتر .

ولم يرد نص محدد يردده المصلون فى فترة الجلوس ، بل يخيَّر المصلون ـ فى فترة الجلوس ـ بشغل الوقت بين تسبيح ، وقراءة ، وسكوت ، وصلاة فرادى وإن كانت مكروهة .

وليس فى التهسبيح صيغة معينة يتقيد بها .

قال القهستانى : يقال ثلاث مرات .

« سبحان ذى الملك والملكوت ، سبحان ذى العزة والعظمة والقدرة والكبرياء والجبروت ، سبحان الملك الحى الذى لا يموت ، سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، لا إله إلا الله ، نسألك الجنة ونعوذ بك من النار » .

وقال الإمام الجزيرى ـ رحمه الله ـ فى كتابه (الفقه على المذاهب الأربعة) :

يندب أن يسلم فى آخر كل ركعتين ، فلو فعلها بسلام واحد وقعد على رأس كل ركعتين (أى كل أربعَ ركعات بسلام واحد) صحت مع الكراهة .

وآراء الفقهاء فى ذلك :

١ ـ الحنفية قالوا : إذا صلى أربع ركعات بسلام واحد نابت عن ركعتين إتفاقاً .

٢ ـ الحنابلة قالوا : إذا صلى أربع ركعات بسلام واحد صحت مع الكراهة ، وتحسب عشرين ركعة .

٣ ـ المالكية قالوا : إذا صلى أربع ركعات بسلام واحد صحت وتحسب عشرين ركعة .

٤ ـ الشافعية قالوا : إذا صلى أربع ركعات بسلام واحد لاتصح إلا إذا سلَّمَ بعد كل ركعتين ؛ فإذا صلاها بسلام واحد لم تصح سواء قعد على رأس كل ركعتين أو لم يقعد ويسلم على رأس كل ركعتين .

والذى أميل اليه هو رأى الشافعية وذلك لما جرى عليه المسلمون فى زماننا هذا وهو ما كان ايضا يفعله الصحابة ـ رضوان الله عليهم .

ويندب لمن يصلى التراويح أن يجلس بدون صلاة للاستراحة بعد كل أربع ركعات .

---

(١٤) المجموع شرح المهذب .

(١٥) كالظهر والعصر والعشاء .

والافضل أن يصلى من قيام عند القدرة ، فإن صلاها من جلوس صحت .

ختم القرآن فى شهر رمضان

قال الأمام أحمد بن حنبل[1] رحمه الله : يقرأ بالقوم فى شهر رمضان ما يخف على الناس ولا يشق عليهم ، ولاسيما فى الليالى القصار والأمر على ما يحتمله الناس .

وقال القاضى : لا يستحب النقصان عن ختمه فى الشهر ليسمع الناس جميع القرآن ، ولا يزيد عن ختمه كراهية المشقة على من خلفه .

والتقدير بحال الناس أولى ؛ فانه لو اتفق جماعة يرضئون بالتطويل ويختارونه كان أفضل كما روى أبو ذر قال :

قمنا مع النبى ﷺ حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح « يعنى السحور » .

وقد كان السلف يطيلون الصلاة حتى قال بعضهم : كانوا إذا انصرفوا يستعجلون خدمهم بالطعام مخافة طلوع الفجر .

وروى الإمام مالك فى كتابه الموطأ عن داود ابن الحصين عن عبدالرحمن الأعرج قال :

ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفر فى رمضان قال :

وكان القارىء يقوم بسورة البقرة فى ثمان ركعات ، وإذا قام بها فى اثنتى عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف .

وروى مالك أيضا عن عبدالله بن أبى بكر أنه قال :

سمعت أبى يقول :

كنا ننصرف فى رمضان من القيام فنستعجل بالسحور مخافة الفجر .

وقال الدسوقى ــ فى حاشيته على الشرح الكبير لسيدى أحمد الدردير : يندب للإمام ختم جميع القرآن فى التراويح فى الشهر كله ليسمعهم جميعه .

وتجزىء سورة فى التراويح جميع الشهر ، وكذا قراءة سورة فى كل ركعة أو كل ركعتين من التراويح كل ليلة فى جميع الشهر .

أما إذا كان يحفظ غيرها ، أو كان هناك من يحفظ القرآن غيره فهو أحق بالإمامة .

قال ابن عرفة فيها لمالك : وليس الختم بسنة .

ولربيعة : لو أقيم بسورة أجزأ ، وقيل : الختم أحسن قال أبو الحسن : معناه إذا لم يكن يحفظ إلا هذه السورة ، ولم يكن هناك من يحفظ القرآن أو كان ولايرضى حاله .

وقال ابن عابدين فى حاشيته الدر المختار :

ختم القرآن مرة واحدة سنة ، ومرتين فضيلة ، وثلاثا أفضل ، ولا يترك الختم لكسل القوم .

والأفضل فى زماننا هذا قدر ما لا يثقل عليهم .

ففى فضائل رمضان للزاهدى :

أفتى أبو الفضل الكرمانى والوبرى : أنه إذا قرأ فى التراويح الفاتحة وآية أو آيتين لايكره .

وقال الجزيرى ــ رحمه الله ــ فى كتابه (الفقة على المذاهب الأربعة) :

تسن قراءة القرآن بتمامه فيها بحيث يختمه آخر ليلة من الشهر إلا إذا تضرر المقتدون به ، فالأفضل أن يراعى حالهم ، بشرط ألا يسرع إسراعاً مخلا بالصلاة وهذا متفق عليه .

---

(1) المغنى لابن قدامه .

كلوا واشربوا ولا تسرفوا

أ. د. توفيق محمد شاهين

الطعام من ضروريات الحياة ومتعها فى نفس الوقت . والإنسان يأكل ليعيش . وعدم الدقة فى تنظيم الأكل والشراب ، وعدم رعاية مقاديرها الكافية يؤدى إلى خطرين :

ـ خطر الهزال والسقم والضعف فى الذهن وكلال الفكر .

ـ وخطر السمنة والبدانة التى هى مشكلة العصر الحديث ، والتقدم التقنى والتكنولوجى .

● وكلا الخطرين شرّ وبيل ، يؤدى إلى أمراض فتاكة ، مثل : السل والإرهاق والتعب المزمن .. وعدم القدرة على التركيز والدقة والسرعة فى الفهم والتعلم ، والنظرة التشاؤمية فى الحياة . كما تؤدى السمنة إلى الذبحة الصدرية والأمراض المزمنة ، والنفسية الممزقة ، وعدم اللياقة البدنية ، والتبرم من نظرات الآخرين ، وإشفاق الأهل والمحبين .

وكل هذا البلاء نابع من أمرين : الشراهة فى الأكل والشراب بمقادير زائدة نسرف فيها ، أو الحرمان والبخل والتقتير .

وخير الأمور الوسط : فلا إفراط ولا تفريط وحرمان .

● ● ●

وفى العصر الذى نعيشه نرى فى وسائل الإعلام الموت البطىء والسريع لأناس لا يجدون القوت ، وآخرون يمرضون من التخمة والسمنة المفرطة ؛ فيسعون سراعا أو فى بطء نحو حتفهم أو تنغيص حياتهم حتى الموت البطىء .

كما نشاهد فى وسائل الإعلام التفنن الزائد فى إعداد الطعام وتنوع أصنافه ووجباته ، وحفظه وتعليبه وإعداده ، بما يغرى الأكول ، ويؤلم المحروم ، ويزيد من حسرة المعوز والبائس .

كما تنوعت الأدوية الفاتحة للشهية ، أو المعدة للرجيم ، لعلاج ظاهرة السمنة ، وكثرت المعاهد المتخصصة فى ذلك ، والمتخصصون ، بما يعالج هذه الظواهر ، وقد يفيد وقد لا يفيد .

● ● ●

وإذا شئنا أن نحيا حياة طيبة ، فيها الصحة والسعادة ، والرحمة والمودة ، والألفة والمحبة ، والهدوء والاطمئنان .. فعلينا باتباع نظم الإسلام فى الطعام والشراب ، والقواعد التى قَعَّدَها لذلك ، فنسلك سبيل الرشد الإنسانى ، ونتجنب عوامل الانحراف والشطط ، وتسير رحلتنا فى الحياة بأمن وأمان .

ولو تراحم الناس ما كان بينهم جائع ولا شقى ، ولا جاهل ولا محروم .

وَلْنَعِ جيداً : أن المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء .

● ● ●

وللإنسان فى هذه الحياة : ألا يجوع فيها ولا يعرى ، ولا يظمأ فيها ولا يضحى (أى لا يصيبه حر الشمس ، ولا يضره برد الدنيا) . وللغنى التمتع بطيبات الحياة من غير سرف ولا مخيلة ولا سفه .

هذا شأن الإسلام فى كل شىء (لا ضرر ولا ضرار) : فجعل للفقير حقا معلوما فى أموال الأغنياء والقادرين والخيرين . وأباح الطيبات فى شكل متوازن سوىّ معتدل :

لنسمع فى حفاوة إلى وحى السماء إلى رسولنا الكريم :﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

« الأعراف ــ ٢٢ »

وبذلك يحصل الإنسان على حاجته الأساسية والضرورية ، ويتمتع بطيبات ما أحل الله له ، فتكمل له متعته ولياقته البدنية والذهنية ، وقدرته على العمل ، والحفاظ على الصحة ، وأداء رسالته فى الحياة . فلا يكون نهما أكولا لا يشبع كأنه يأكل فى سبعة أمعاء .. ولا يكون بائسا محروما ، ولا يكون بخيلا شحيحا ، يجمع لغيره ، ويكنز لورثته ، ولا يدرى ما هم صانعون بعده بما ترك لهم ، ولم يقدم شيئًا يلقاه أمامه .

● ● ●

وعلى الإنسان أن يتحرى الحلال الطيب لمأكله ومشربه ، وإنفاقه ، حتى يؤدى شكر النعمة

المنعم ، ويستمتع بما صنع لنفسه وغيره ، يقول الله تعالى :ـ

﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) ﴾

« طه ـ ٨١ »

ويقول سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

« البقرة ـ ٢٦٧ ـ ٢٦٩ » .

● ● ●

وما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه ، ولكن الأكل والشرب ضرورة ، وهو آكل لا محالة ليعيش ، فعلينا إذن بهدى نبينا : ثلث المعدة لطعامه ، وثلثها لشرابه ، وثلثها لتنفسه .

ذلك ... لمن شاء أن يحيا صحيحا سويا .

وللمشاركة فى الطعام والاجتماع عليه فضل وبركة ، وتآلف ومحبة ، وتعارف وصفاء ومودة .. يقول الرسول ـ ﷺ ـ :ـ

« طعام الواحد يكفى الاثنين ، وطعام الاثنين يكفى الأربعة ، وطعام الأربعة يكفى الثمانية » رواه مسلم عن جابر . وروى عن عمر بن الخطاب حديث الرسول الأكرم . « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه » .

ولنحذر من إدخال الطعام على الطعام فإنه مجلبة السقام .

وروى أن أصحاب النبى ـ ﷺ ـ قالوا له يوما : يا رسول الله ، إنا نأكل ولا نشبع ، قال : « لعلكم تفترقون » ، قالوا : نعم . قال : « فاجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله عليه ؛ يبارك لكم فيه » .

سنن أبى داود ، عن وحشى بن حرب ، عن أبيه عن جده .

والحمد لله ، والدعاء بعد الدعاء ، أبسط مظاهر شكر النعمة ، فقد روى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال :ـ

« من أطعمه الله الطعام فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرًا منه . ومن سقاه الله لبنا ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » [الترمذى وأبو داود] .

إن التقتير فى الطعام خطر كبير ، والإفراط فى الطعام ضرر بليغ .. ومرجع الأول للبخل الذى لا دواء له ، ومرجع الثانى : رد فعل لعوامل نفسية ، أو ضعف إرادة ، أو تخاذل عن كبح الشهية ، واتباع النفس لهواها ، وعدم استقبال النعمة فى الطعام (بالبسملة) والدعاء عند الشبع بحمد الله وشكره .

رزقنا الله العلم النافع ، والقناعة الواقية ، وكرم النفس والخلق والمال ، والعمل الصالح والاقتداء بالتى هى أحسن .

أهمية الدعاء وآدابه في الإسلام

الأستاذ الدكتور
عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى

أولا : أهمية الدعاء

الدعاءُ عبادةٌ من أعْظم العبادات ، أقرَّها الله فى كتابه ونَدَبَ إليها فى كثير من المواضع .

* يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

« البقرة ـ ١٨٦ »

* ويقول جل ذكره : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ « غافر ـ ٦٠ »

* ويقول : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾

« النمل ـ ٦٢ »

كما أرشد النبى ـ ﷺ ـ إلى فضيلة الدعاء وأهميته فى أحادِيثِهِ الشَّرِيفَةِ . فَعَنْ على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِن ، وعِمَادُ الدِّينِ ، وَنُورُ السَّمَـــاوَاتِ وَالْأَرْضِ » رواه الحاكم فى صحيحه .

* عن عائشة – رضى الله عنها – أن النبى – ﷺ – قال : « لا يُغْنِى حَذَرٌ من قَدَر ، والدعاء ينْفَع مما نَزَل ومما لم ينزل ، وإن البلاءَ لَيَنْزِل فَيَلْقَاهُ الدعاء فَيَعْتَلِجَانِ إلى يومِ القيامة » رواه الحاكم وصححه ووافقه السيوطى فى جامعه الصغير .

* عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ : « ما من مسلم يَدْعُو بدعوة ليس فيها إثْمٌ ولا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إلا أَعْطَاه الله بها إحْدَى ثلاث : إمَّا أن يُعَجِّلَ له دَعْوتَه ، وإما أنْ يَدَّخِرَهَا له فى الآخرة ، وإمَّا أن يَصْرِفَ عنه من السوء مِثْلَهَا » رواه الإمام أحمد فى مسنده .

* عن أبى هريرة عن النبى ﷺ – قال : « مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ » البخارى فى الأدب المفرد : ١٩٥ .

وَإنَّمَا حَظِىَ الدعاءُ بكل هذه المَزَايا وغَيْرِها ممَّا حَفِلَتْ به آىُ القرآن وأحاديثُ النبى – ﷺ – لأنه مظهرٌ من مظاهر العُبُودِيَّة الحَقَّةِ لله ، فَبِه يَتَقربُ العبدُ لخالقه ، ويُنَاجيه وَحْدَهُ حينَمَا ينقطعُ أَمَلُهُ فى الْمَخْلُوقِينَ ، وهذا يدل بوضوح على الإخلاص فى الطاعة والثَّنَاء على الله والتسليم له وبقَدْرِ مَا يُحَصِّلُ العَبْدُ من هذه المعانى حَال ضَرَاعَتِهِ وَدُعَائِهِ ، بقَدْرِ ما يُقْبِلُ عَلَيْهِ ربُّه وَيَسْتَجِيبُ لِنِدَائِهِ ، فَمَا أَعْظَمَ أنْ يقِفَ العبدُ متَذَلِّلًا لَائِذًا بِبَابِ سيده يسأله ويلْجَأُ إليْه مُتضَرِّعًا مُتَطَلِّعًا إلى خَزَائِنِ نِعَمِهِ .

ثانيا : آداب الدعاء

ولِلدُّعاءِ النَّافِعِ آدَابٌ ينْبَغى للعبدِ أن يَرُوضَ نَفْسهُ عليها لكى يكونَ دُعَاؤُهُ أَحْرَى بالقبول ، وكَلِمَاتُهُ حَرِيَّةٌ بِالصُّعُودِ إلى الله ، مصداقا لقوله الكريم : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ « فاطر – ١٠ »

ويَنْبَغِى الإشارةُ إلى أن هذه الآداب منها ما يكون قبلَ الشُّروع فى الدعاء . ومنها ما يكون حَالَ الدُّعاء ، ومنها ما يكون عَقِبَ الدعاء ، ونحن نشير إلى جانب منها على هذا النحو فيما يلى .

(أ) الآداب التى تسبق الدعاء :

١ – التَّوْبَةُ النَّصُوحُ وَرَدُّ المَظَالِمِ :

فعَلى العبدِ أن يتوبَ إلى الله – تعالى – توبةً نَصُوحًا ، ويستَغْفِرَهُ من كل ذنب اقْتَرَفَهُ ، وإن كانت هناكَ ظُلَامَاتٌ بينه وبين الناس فَلْيَتَعَجَّلْ بِالتَّحَلُّلِ مِنْهَا ، كُلَّمَا أَمْكَنَهُ ذَلِكَ ، وذلك مصداقا لقول الله – تعالى – : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ « نوح – ١٠ – ١٢ »

ويقول رسول الله – ﷺ – : « إن الرجلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ ، وَلَا يَزِيدُ فِى الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ » رواه ابن ماجه والنسائى وأحمد .

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – أنه قال : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَار ، إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ بقدر مَظْلَمَتِهِ ، وَإنْ لم يَكُنْ لَهُ

حَسَنَاتُ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِه فَيُحْمَلُ عَلَيْهِ » رواه البخارى فى صحيحة .

٢ ـ تَحَرِّى أَكْلِ الحَلَال :

فعَلى المَرْء أن يكونَ تَقِيًّا وَرِعًا ، يَحْرِصُ أن يكونَ طعامُه حلالًا حتى يكونَ مستجابَ الدعوة ، فالله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ « المائدة ـ ٢٧ » .

وكما أوصى النبى ـ ﷺ ـ سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ قائلا : « يا سعد أَطِبْ مَطْعَمَكَ تكُنْ مستجابَ الدَّعوة » أخرجه الترمذى .

وذلك لأن أكلَ الحرام يُمَثِّل حاجزًا وعَائِقًا يمنع قبولَ الدعاء ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « أيها الناس إن الله طَيِّبٌ لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ المؤمنون

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ ثم ذكرَ الرَّجُلَ يُطِيلَ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يمد يدَه إلى السماء ويقول ياربُّ ، ومَطْعَمُه حرام وَمَشْرَبُه حرام وَمَلبَسُه حرام وَغُذِىَ بالحرام ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ له » رواه مسلم فى صحيحه .

٣ ـ تَرَقُّبُ الأَوقَاتِ الفَاضِلَة للدعاء :

فقد وردت الأحاديث الصحيحة التى ترشد إلى تَخَيُّرِ الأوقات الفاضلة التى يُرْجَى فيها قَبُولُ الدعاء ، وذلك كَلَيْلَةِ الْقَدْرِ وَأَيَّام شَهْر رمضان ، وليلةِ الإسراء والمعراج ، وأوَّلِ رجب ، ويوم عاشوراء ، وأول شعبان ، وليلة النِّصف منه وحَال السجود ، ووقت نُزُولِ الْغَيْثِ ، وحَال إقَامَةِ الصَّلَاة وبعدها ، وَبيْن الأذان والإقامة ، وحَال رِقَّةِ الْقَلْبِ ، وَوَقْت السَّحَرِ .

* عن محمد بن مَسْلَمَة أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِى أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَات ، فَتَعرضوا لها ، لَعَلَّ أَنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا فَلَا تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أَبدًا » رواه الطبرانى فى الكبير .

* يقول رسول الله ـ ﷺ ـ « يَنْزِل الله ـ تعالى ـ كلَّ ليْلة إلى سماء الدنياحِينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليل الأخِيرِ ، فيقول ـ عز وجل : ﴿ مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَه ؟ مَنْ يَسْأَلُنى فَأُعْطِيهُ ؟ من يسْتَغْفِرنى فأَغْفِرَ لَه ﴾ متفق عليه .

رواه أبو هريرة .

* ويقول رسول الله ـ ﷺ ـ : « أَقْــرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِد ، فَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنَ الدُّعَاء » رواه الإمام مسلم .

* ويقول ـ أيضاً : « الدُّعاءُ بَيْنَ الأَذان والإقامة لا يُرَدُّ » .

٤ ـ أن يتوضأ ويصلِّىَ ركعتين وهــو ما يعرف بصلاة الحَاجَة :

ذلك لأن الدعاء عبادة ، بل هو مُخُّ العبادة فلابد أن يكون الداعى علٰى طهارة ، وأن يكون على حال من خشية اللهُ يُرْجى منها قبولُ دعائه ، والصلاة ذكر لله تُرَقِّقُ الْقَلْبَ ، وتجعل ثِقَةَ المَرْء فى الله أكِيدَة » ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ « الأنفال ـ ٢ » .

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾

« الرعد ـ ٢٨ و ٢٩ »

(ب) الآداب التى تُصَاحِبُ الدعاء :

١ ـ أن يبدأ دعاءه بما ورد عن رسول الله ـ ﷺ ـ :

عن عبد الله بن أبِى أَوْفَى ، أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « مِنْ كَانَتْ لَهُ إلى اللهِ حَاجَةٌ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِى آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ وَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ لْيُثْنِ عَلَى اللهِ ـ تعالى ـ وَلْيُصَلِّ عَلى النبى ـ ﷺ ـ ثم لْيَقُلْ : لا إله إلا الله الحكيم الكريم ، سبحانَ الله ربِّ العرشِ العظيمِ ، الحمدُ لله رب العالمين ، اللهم إنى أسألك مُوجِبَاتِ رَحْمتِكَ وعزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، والغَنِيمَةَ من كل بِرٍّ ، والسلامَةَ من كلِّ إثْـم ، لَا تَدَعْ لى ذَنْبًا إلا غَفَرْتَهُ ، ولا همًّا إلا فَرَّجْتَه ، ولا حاجةً هى لَكَ رِضًا إلا قَضَيْتَهَا يا أرْحَـمَ الرَّاحِـمِين » رواه الترمذى .

٢ ـ ابتداءُ الدعاء بذكر الله ، والصلاة على رسول الله ـ ﷺ ـ ثم يسأل الله حاجَتَهُ ثم يخْتِم بالصلاة على النبى ﷺ .

يقول رسول الله ـ ﷺ ـ « إذَا سَأَلْتُمُ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حَاجَةً فابْتَدِئُوا بالصلاة عَلَيَّ فإن الله ـ عز وجل ـ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِى إحْدَاهُمَا وَيَرُدَّ الْأُخْرَى »

فإن الصلاة على النبى مقْبولةٌ لا مَحَالَةَ والله أَكْرَمُ من أن يقْبل الصلاتين ويَرُدُّ الدُّعَاءَ الذى بينهما .

٣ ـ استقبال القبلة :

فعلى المرء إذا شرع فى الدعاء أن يستقبل جهة القبلة وأن يرفع يديه ، فعن سلمان عن النبى ـ ﷺ ـ قال « إنَّ رَبَّكُمْ حَيِىٌّ كريم ، يسْتَحِى من عَبِيدِه إذَا رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إليه أنْ يَرُدَّهَا صِفْرًا » رواه أبوداود .

ويرى بعض العلماء أن الدعاء إذا كان لطَلَبِ خَيْرٍ كانَ بِبَاطِنِ الْكَفَّيْن وإذا كان لدفْع شَرٍّ كان بظاهرهما مقْلوبَتَيْن .

٤ ـ خَفْضُ الصوت بحيث يكون بين الجَهْر والمُخافَتَة :

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾

« الإسراء ـ ١١٠ »

عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قدمنا مع النبى ـ ﷺ ـ فلما دَنَوْنَا من المدينة كبَّر وكبَّر الناسُ ورفعُوا أصْوَاتَهم ؛ فقال النبى ـ ﷺ ـ « يا أيها الناس إن الذى تدعونَ ليس بأَصَمَّ ولا غَائِب ، إن الذى تدعون بينكم وبين أَعْنَاق رِكَابِكم » ، وصدق الله العظيم إذ يقول

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ .

٥ ـ الدعاء بالمأثور أو بما يحضره بحيث يدعو بلسان الذِّلَّةِ وَالانْكِسَار .

٦ ـ أن يَجْزِمَ بالطلب ، ويُوقِنَ بالإجَابَـةِ ، وَيَصْدُقَ رَجَاؤُهُ فيها .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ « أدْعُو الله وأنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإجَابَةِ ، واعلموا أن الله لا يستجيب دُعَاءً من قَلْبٍ غَافِلٍ » . وقال سفيان بن عُيَيْنَة ـ رحمة الله عليه ـ : لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مِنَ الدعاءِ مَا يَعْلَمُهُ من نَفْسِهِ ، فإنَّ الله ـ تعالى ـ أجابَ شَرَّ الْمَخْلُوقِينَ إبْليس حين دعاه فقال :

﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ « الأعراف » .

٧ ـ التَّضَرُّعُ والخُشُوعُ والرَّهْبَةُ :

تلكَ أحوالٌ يجب أنْ تُصَاحِبَ الدُّعَاءَ ، قال الله تعـالى : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ « الأعراف ـ ٥٥ »

٨ ـ أن يُلِحَّ فِي الدُّعَاءِ وَيُكَرِّرَهُ ثَلاثًا

(جـ) الآداب التى تَعْقُبُ الدُّعَاء :

أَنْ يَدُومَ على حالِ الخُشُوعِ ، وأن يُبَالِغَ فى التَّقَرُّبِ إلى الله ، فإنَّ الله لا يُدْرَكُ ما عنده بمثل طاعته ، وكما يقول الإمام على ـ رضى الله عنه : مَانَزَلَ بَلاءٌ إلَّا بِذَنْبٍ وَلَا رُفِعَ إلَّا بِتَوْبَةٍ .

وأن يَثِقَ بأن أفْضَلَ العبادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ ، فقد روى ابن مسعود عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : ﴿سَلُو اللهِ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ ، وأفْضَلُ الْعِبَادةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ ﴾ .

تمييز الطيب من الخبيث ، وقد حَسَّنَ ابْنُ حَجَرٍ إسْنَادَهُ .

فالدعاءُ يُجَابُ بإذن الله ، وَخَاصَّةً إذا كان الداعى مُوقِنًا بالله ، مصدقاً برسوله ، طائعا مخلصا ، فالله هو المَانِع وهو المعطى ، بيده النَّفْعُ والضُّر ، وهو على كل شىء قدير ، ففى الحديث القدسى عن الله ـ عز وجل ـ ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِى دَعَانِى فَلَمْ أُجِبْه ؟ وسَألَنِى فَلَمْ أُعْطِه ؟ واسْتَغْفَرَنِى فَلَمْ أَغْفِرْ لَهُ وأنَا أرْحَمُ الرَّاحِمِين** ﴾ .

وخزائن ربنا ـ تبارك وتعالى ـ مَلْأَى تَفِيضُ وَلَا تَغِيضُ ، لاتُنْقِصُهَا النَّفَقَةُ ، وخزائن ربنا

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾

« يس ـ ٨٢ » .

يقول رسول الله ـ ﷺ ـ فيما يرويه عن رب العزة ـ تبارك وتعالى : « ياعبادى كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَنْ هَدَيْتُه فَاسْتَهْدونى أَهْدِكُمْ ، يا عبادى كلكم جائع إلا من أَطْعَمْتُه فاسْتَطْعِمُونى أُطعِمكُم ، يا عبادى كلكم عَارٍ إلا من كَسَوْتُه فاستَكْسُونى أكْسِكُم ، يا عبادى إنكم تُخْطِئُونَ بِالَّيْلِ وَالنَّهار وأنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونى أَغْفِرْ لَكُمْ ، يا عبادى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ قاموا فى صَعِيدٍ واحِدٍ فَسَأَلُونى فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى إلَّا كَمَا يُنْقِصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ الْبَحْر ﴾ . مسلم .

مع
القدوة الحسنة في شهر رمضان

للأستاذ / محمد زين العابدين العزازي

«لا تزال أمتى على سنتى ما لم تنتظر بفطرها النجوم »

أخرجه ابن حبان فى صحيحه عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

المفردات :

لا تزال بمعنى : دام وثبت .

الأمـــة : يراد به تارة أمة الدعوة وتاره أمة الإجابة .

والمراد هنا أمة الدعوة .

والمعنى والله أعلم :

لا تزال أمتى على سنتى وطريقتى مدة عدم انتظارهم فى إفطارهم ظهور النجوم وإذا انتظروا ظهورها فقد تركوا سنتى . والحديث الشريف يدل على أن التعجيل فى الإفطار سنة ، ويدل على هذا أيضاً ما رواه البخارى ومسلم عن سهل بن سعد – رضى الله عنهما – أن : رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال :

« لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر »

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : قال الله – تعالى : ﴿ **إن أحب عبادى إلىّ أعجلهم فطرا**[1] ﴾ قال الطيبى : ولعل السبب فى هذه المحبة هو المتابعة للسنة والمباعدة عن البدعة والمخالفة لأهل الكتاب ، وهذه الملة الحنيفية سهلة ليس فيها حرج ليسهل قيامهم بها والمداومة عليها ، ولأنه – إذا أفطر قبل الصلاة – يؤديها عن حضور قلب وطمأنينة نفس . وما كان بهذه الصفة فهو أحب

(١) الحديث عن أبى هريرة ، وهو حديث قدسى ، أخرجه البغوى فى شرح السنة كتاب الصيام – باب تعجيل الفطر ٦ / ٢٥٦ طبع بيروت وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى – كتاب الصيام – باب تعجيل الفطر وتأخير السحور والترمذى كتاب الصيام .

إلى الله ممن لم يكن كذلك . ولذا قيل : الطعام الممتزج بالصلاة خير من الصلاة المختلطة بالطعام .

وروى عن يعلى بن مرة قال رسول الله ـ ﷺ ـ « ثلاثة يحبها الله : تعجيل الإفطار ، وتأخير السحور ، وضرب اليدين إحداهما على الأخرى فى الصلاة » رواه الطبرانى فى الأوسط ، وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ قال : « لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر ، لأن اليهود والنصارى يؤخرون » رواه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .

وعن أنس رضى الله عنه قال ما رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ على صلاة المغرب حتى يفطر ولو على شربة ماء » رواه أبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان .

التعجيل والغيم :

وقالوا : لا يستحب التعجيل فى اليوم الغيم ، ولا يفطر حتى يغلب على ظنه غروب الشمس ، وإن أذن المؤذن للمغرب .

وإن شك فى غروب الشمس لا يحل له الإفطار ؛ لأن الأصل بقاء النهار ولو أفطر فعليه القضاء لا سيما إذا أفطر وأغلب رأيه أنه أفطر قبل الغروب ، ولو تبين أن الشمس لم تغرب ينبغى أن تجب عليه الكفارة نظرا إلى الأصل الذى هو بقاء النهار ـ وهذا بخلاف السحور . فإن من شك فى طلوع الفجر فالأفضل له ترك الأكل . ولو أكل فصومه تام ؛ لأن الأصل بقاء الليل ، ولا يخرج بالشك ، وإن كان أكبر رأيه أنه أكل والفجر طالع فالاحتياط فيه أن يقضى ذلك اليوم عملا بغالب الرأى ؛ لأن أكبر الرأى كاليقين ، وعلى ظاهر الرواية لا قضاء عليه ؛ لأن اليقين لا يزول إلا بمثله ، والأصل بقاء الليل ولو ظهر أن الفجر كان طالعا يلزمه القضاء لا الكفارة ؛ لأنه بنى الأمر على الأصل الذى هو بقاء الليل ، فينبغى الاحتياط فى أول الإمساك وأول الإفطار ؛ فإن قوله ـ ﷺ ـ : « ثلاثة من أخلاق المرسلين : تعجيل الفطر وتأخير السحور والسواك » . محمول على أن التعجيل إنما يستحب إذا تيقن غروب الشمس ، وكذا تأخير السحور إنما يستحب إذا لم يكن بحيث يشك فى طلوع الفجر .

المستحب فى الإفطار :

ويستحب أن يكون الإفطار على تمر لما رواه الترمذى وابن ماجه عن سليمان بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر ؛ فإنه بركة فإن لم يجد فالماء فإنه طهور » .

ولعل الحكمة فيه أن الحلاوة تسرع القوة إلى القوى وفيه إيماء إلى حلاوة الإيمان ، وإشارة إلى زوال مرارة العصيان .

قال ابن حجر : ومن خواص التمر أنه إذا وصل إلى المعدة فإن وجدها خالية حصل به الغذاء . وإلا أخرج ما هناك من بقايا الطعام . فإن لم يوجد التمر ونحوه فليفطر على الماء فإنه طهور . فيبدأ به تفاؤلا بطهارة الظاهر والباطن ؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ مَنَّ به على عباده بقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ ، و (طهور) صيغة مبالغة ـ قالوا : إنه وصف لشراب أهل الجنة ، وهو يفيد للتطهير عن أوضار الذنوب وعن

خسائس الصفات كالغل والحسد ، فإذا شربوا هذا الشراب يطهرهم الله من دحض الذنوب وأوضار الاعتقادات الذميمة فجاءوا الله بقلب سليم ، ودخلوا الجنة بصفات التسليم .

والأفضل أن يكون على ثلاث جرعات لما رواه أبو داود والترمذى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ يفطر قبل أن يصلى على رطبات ، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء ـ رواه الدارقطنى وقال : إسناده صحيح .

والحُسْوة بالضم الجرعة .

وعن ابن عمر قال كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول إذا أفطر : « ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله .

خرجه أبو داود .

والظمأ ـ هو العطش وابتلال العروق بزوال اليبوسة الحاصلة بالعطش . وكلمة (إن شاء الله) متعلق بالأخير وهو ثبوت الأجر .

وعن معاذ بن زهرة ـ فيما رواه أبو داود ـ أيضا قال : إن النبى ـ ﷺ ـ كان إذا أفطر قال : « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت » وذكر فى تفسير القرطبى أنه يجب أن يغتنم الدعاء عند الإفطار بقوله : اللهم إنى أسألك رحمتك التى وسعت كل شيء أن تغفر لى ، وذلك لما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال . قال رسول الله ـ ﷺ ـ « إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد . رواه البيهقى والحاكم .

وأكد هذا كله صاحب الفقه على المذاهب الأربعة قال : إن يستحب للصائم أمور ، منها : تعجيل الفطر بعد تحقق الغروب وقبل الصلاة ، ويندب أن يكون على رطب فتمر فحلو فماء .

وأن يكون ما يفطر عليه من ذلك وترا ـ ثلاثة فأكثر .

ومنها الدعاء عقب فطره بالمأثور عن أفضل الخلق ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كأن يقول : « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، وعليك توكلت ، وبك آمنت ، ذهب الظمأ وابتلت العروق ، وثبت الأجر يا واسع الفضل اغفر لى .

« ومنها السحور » .

ومنها كف اللسان عن فضول الكلام ، وأما كفه عن الحرام كالغيبة والنميمة فواجب فى كل زمان ، ويتأكد فى رمضان .

ومنها الإكثار من الصدقة والإحسان إلى ذوى الأرحام والفقراء والمساكين .

ومنها الاشتغال بالعلم وتلاوة القرآن والذكر والصلاة على النبى ـ ﷺ ـ كلما تيسر له ذلك ليلا ونهارا .

ومن شرف الصوم وماله من فضل عميم وثواب عظيم أن الله ـ عز وجل ـ خصة بالإضافة إليه دون سائر الأركان ، كما ثبت فى الحديث عن النبى ـ ﷺ ـ أن قال مخبرا عن ربه « يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » ولقوله عليه أفضل الصلاة والسلام « والذى نفسى بيده لخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » ويقول الله ـ عز وجل ـ إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلى ، فالصوم لى فأنا أجزى به أخرجه أبو نعيم فى الحلية والخطيب من حديث أبى هريرة .

وإنما خص الصوم بأنـــه له ـ وإن كانت العبادات كلها له ـ لأمرين ـ باين الصوم بهما سائر العبادات .

أحدهما :

أن الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات .

الثانى : أن الصوم سر بين العبد وبين ربه لا يظهر إلا له . فلذلك صار مختصا به وما سواه من العبادات ظاهـر . وربما فعلـه المرء تصنعـا ورياء . فلهذا صار أخص من غيره ، ولأن الصوم لا يتعبد به لغير الله . وقال ابن عيينة : إن المظالم تؤدى من سائر الأعمال إلا الصوم ، فيتحمل الله عنه ما بقى من المظالم ويدخله بالصوم الجنة .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى : صاحب الصوم يأتى يوم القيامة وعليه مظالم فيقتص منه فتطرح عليه سيئات من ظلمه ، فيدفع الصوم عنه فلا تضر الذنوب أصحابها لزوالها عنهم ولا تضر صاحب الصوم ؛ لأن الصوم يدفع عنه واستحسنه القرطبى .

ومـــن شرف الصوم أيضا أن الـــرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جعله نصف الصبر لقوله ـ ﷺ ـ « الصوم نصف الصبر » رواه الترمذى من حديث أبى هريره ، وقد قال ـ عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أى بغير تقدير وقيـل : يزاد على الثواب ؛ لأنه لو أعطى بقدر ما عمـل لكـان بحساب . وقيل « بغير حساب » أى بغير متابعة ولا مطالبة . والصائمون من الصابرين قال أهل العلم : كل أجر يكال كيلا ويوزن وزنا إلا الصوم فإنه يُحْثَى حثوا ويغرف غرفـا ـ ذكـر ذلك القرطبى .

وقيل : جبريل أمان أهل السماء ، ومحمد أمان أهل الأرض ، ورمضان أمان لأمته .

قال مجاهد : كتب الله رمضان على كل أمة ، وقيـل : أول من صام رمضان نوح ـ عليه السلام ـ لما خرج من السفينة[1] .

والرمضاء ممدوده . شدة الحر .

قال : إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى وقعت فيها . فوافق هذا الشهر أيام رمضاء الحر فسمى بذلك ، وقيل : رمضان يرمض الذنوب أى يحرقهـا بالأعمـال الصالحة . فيخرج الصائم من رمضان كيوم ولدته أمه ، وذلك لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « إن الله فرض صيام رمضان وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

أخرجه الإمام أحمد والنسائى وابن ماجه .

ويفهم من هذا أن من صام رمضان ، وقام فى لياليه تصديقا لفرضية الصيام وسنية القيام . ورغبة فى ثواب الصيام والقيام بطيب نفس غير مستثقل لهما مغتنما أجرهما خرج من جميع ذنوبه وتحاتت عنه كحر وجه بلا ذنب يوم ولدته أمه .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا نفسا طيبة تساعدنا على أداء صيامنا وقيامنا وجميع عباداتنا ، إنه سميع الدعاء .

---

(١) روى الإمام أحمد فى صوم نوح ـ عليـه السلام ـ حديثين ..

الكفاءة فى النكاح
فى ضوء الكتاب والسنة

بقلم الأستاذ الدكتورة فاطمة عمر نصيف

مقدمة البحث :

الحمد لله الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى ، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم .

وبعد ..

فإن الدافع لكتابة هذا البحث هو ما أراه فى بعض المجتمعات الإسلامية اليوم من رِدّة قوية إلى العادات والأعراف الجاهلية ، والتى من أكثرها ضراوة ؛ العصبية القبلية والتى تظهر فى التمايز الطبقى والعنصرية البغيضة ، والتفاخر بالأحساب والأنساب .

لقد قضى الإسلام على العصبية الجاهلية بتعاليمه الإنسانية ، فوضع ميزاناً للتفاضل بين الناس « التقوى والعمل الصالح » قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [1] .

كما كانت توجيهاته – عليه الصلاة والسلام – تأكيداً لهذا المعنى فقد روى البخارى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : « **سُئِل رسول الله ﷺ : أىُّ الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم** » [2] .

فرسَّخ – عليه الصلاة والسلام – بسنته القولية والعملية أصول العقيدة والمبادىء الإنسانية السامية والتى من أهمها مبدأ المساواة ، فقال

جامعة الملك عبد العزيز – جدة

ـ عليه الصلاة والسلام : «**إن ربكم واحد ، وإن دينكم واحد ، أبوكم آدم وآدم خلق من تراب فلا فضل لعربى على أعجمى ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى**»(٣) .

لقد حارب الإسلام هذه العصبية وقضى عليها للآثار السلبية الكثيرة المترتبة عليها والتى تضر بالأمة الإسلامية أفراداً وجماعات ضرراً بليغاً ، روى مسلم فى صحيحه عن رسول الله ﷺ قال : «**أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن فى الأنساب ، والنياحة ، والاستسقاء بالنجوم**»(٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : «**قد أذهب الله عنكم عُبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقى وفاجر شقى ، والناس بنو آدم وآدم من تراب**»(٥) .

قال الإمام الصنعانى ـ رحمه الله ـ فى تعليقه على الحديث : فجعل ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإلتفات إلى الأنساب من عبية الجاهلية فكيف يعتبرها المؤمن ويبنى عليها حكماً شرعياً .

وكأنه بذلك أراد أن ينبّه المسلمين إلى نبذ ذلك وترك التفاخر بالآباء والأجداد .

لقد أطلت العصبية برأسها القبيح فى أيامنا المعاصرة ، وعاد الناس يتفاخرون بالأحساب والأنساب ، فتعصب كل رجل إلى جنسه وبلده وأرضه ولغته وقومه ، فصار المسلمون فرقاً وأحزاباً ، كتلًا وجماعات متناحرة متنازعة ، مخالفين بذلك أهم تعاليم دينهم وأصول عقيدتهم وأساس تجمعهم القائم على قاعدة الأخوة فى الله المنبثقة من قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٦)

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾(٧) .

فهذا الدين يقوم على التوحيد والوحدة ، فهما صنوان لا يفترقان ، فأبناء هذه الأمة (المسلمون ـ كما قال صلى الله عليه وسلم ـ تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم)(٨) وهم كالجسد الواحد ، كما قال عليه الصلاة والسلام : «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٩) .

فأين هذا مما نحن فيه اليوم ؟ فقد عصفت العصبية الجاهلية بالقيم والمبادىء الإسلامية وكانت المرأة أحد ضحاياها ، ومن المتضررين بسببها ، حين تعصب الرجل لقبيلته وعشيرته ، فلم يسمح لمن تحت ولايته من النساء بالتزوج من قبيلة غير قبيلته وعشيرة غير عشيرته ، وأدى ذلك إلى تعطيل سنة الزواج ، تلك السنة الكونية ، والضرورة الاجتماعية والحاجة الفطرية ، والسنة النبوية ، قال عليه الصلاة والسلام فى حديث : «**...وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى**»(١٠) .

فالإسلام دين الفطرة يتعامل مع الإنسان فى حدود فطرته وواقعه وحاجاته الحقيقية ، فالذى خلق الإنسان جعل من فطرته (الزوجية) شأن كل شىء خلقه فى الوجود ، قال تعالى :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١١)

ثم شاء الله أن يجعل من الزوجين فى الإنسان شطرين للنفس الواحدة ليكمل أحدهما الآخر ، قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾(١٢) .

فالأسرة هى المؤسسة الأولى فى الحياة الإنسانية وهى أعظمها وأكرمها ؛ لأنها تنشىء الإنسان أكرم المخلوقات فى الوجود وهى التى تمد المجتمع الإنسانى بعوامل الاستمرار والبقاء والترقى . وهى فوق ذلك توفر لشطرى النفس (الرجل والمرأة) على حد سواء ، السكن والطمأنينة والستر والإحسان ، سكناً للنفس وهدوءًا للأعصاب

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[١٣]

وقوله تعالى :

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[١٤] .

وعليه فإن تمسك كثير من أولياء الأمور بشرط النسب أدى إلى عضل النساء وإلى تفشى ظاهرة العنوسة فى الأسر التى تشترط النسب ، فالتزاوج بين المسلمين ، يجعل الأباعد أقارب ، ويجعل الشعوب والقبائل والعشائر أصهاراً وإخواناً ، قال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[١٥]

إن المرأة ــ اليوم ــ تبحث عن مخرج لها من هذا العضل ، الذى كان سببه الفهم الخاطىء من أولياء الأمور لمسألة الكفاءة فى النسب ، حيث اشترطها بعض الفقهاء ، متناسين أصلًا من أصول عقيدتهم ، فرأيت أن هذه المسألة تستحق البحث والتمحيص وتوضيح ما التبس على كثير من المسلمين ، لذا فقد عقدت العزم ، مستعينة بالله مستهدية بكتابه وسنة رسوله ﷺ على بحث هذه المسألة بحثاً موضوعياً متجرداً ، يعتمد على ما جاء فى الكتاب والسنة ــ الأصلين العظيمين ــ اللذين استضاء بهديهما الفقهاء وسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن نهج نهجهم وسلك طريقهم من الأئمة الأربعة المشهورين الذى ينتمى إلى مذاهبهم جمهور المسلمين فقد ردوا ــ رحمهم الله ــ كل اجتهاداتهم وفتاويهم وأقوالهم إلى الأدلة المستنبطة من الكتاب والسنة والرجوع إليهما وترك كل قول يخالفهما مهما كان قائلها عظيماً . فإن قول الرسول ﷺ هو الأعظم وسبيله هو الأقوم وهو الحجة والمرجع .

فكان من أقوالهم فى اتباع السنة : قول لأبى حنيفة النعمان بن ثابت ــ رحمه الله ــ « إذا صح الحديث فهو مذهبى »[١٦] . وأما الإمام مالك ــ رحمه الله ــ فقال : « إنما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا فى رأيى فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه »[١٧] .

وأما الإمام الشافعى ــ رحمه الله ــ فالنقول عنه كثيرة منها : « ما من أحد إلا وتذهب عنه سنة لرسول الله ﷺ وتغرب عنها ، فمهما قلت من قول أو أصَّلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولى »[١٨] . « إذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت »[١٩] .

أما الإمام أحمد بن حنبل فهو أكثر الأئمة تمسكاً بالسنة وقد قال : « رأى الأوزاعى ، ورأى مالك ، ورأى أبى حنيفة كله رأيى وهو عندى سواء وإنما الحجة فى الآثار »[٢٠] .

تلك بعض أقوال الأئمة رضى الله عنهم ــ فى الأمر بالتمسك بالسنة الصحيحة ، والنهى عن تقليدهم دون بصيرة .

وهذه مسألة هامة ، وددت التنبيه عليها ، حتى لا يظن ظان أن البحث فيه مخالفة للمذاهب

الأربعة المعتمدة ، فالتمسك بما ثبت من السنة ، ولو خالف بعض أقوال الأئمة ، لا يكون خروجاً على مذاهبهم بل هو مؤيد لهم ، وإن ترك السنة الثابتة لمجرد أنها تخالف رأيهم يكون فى الواقع مخالفاً لأقوالهم المتقدمة .

لذا ؛ فإنا نجد أن تلامذة بعض الأئمة قد خالفوا أساتذتهم فى بعض المسائل ، كمحمد بن الحسن وأبى يوسف ـ رحمهما الله ـ قد خالفا أستاذهما أبا حنيفة فى المذهب لاجتهادهما فى بعض المسائل والتى منها الأحكام التى بنيت على أحاديث لم تثبت صحتها أو بالأصح ظهر لهم ضعفها .

وهذا ما دفعنى إلى التحقيق فى الأدلة التى استدلوا بها فى شروط الكفاءة فى النكاح وفى شرط « النسب » بالذات ، للتأكد من صحتها ، فإذا صح الدليل فالحكم صحيح ، وإذا لم يصح بطل الحكم .

فهذه المسألة موضوع البحث من المسائل الهامة التى يحدث بسببها الخلل فى النظام الاجتماعى ، وفى أحكام النكاح ، وفى عرقلة الزواج ـ الأمر الذى لمسته بنفسى من خلال عملى والمشاكل الكثيرة التى تعرض علىَّ كل يوم(*) ـ لعل الله يجعل لنا من بعد الضيق فرجاً ومن الهم مخرجاً ، وأن يجعل عملى خالصاً لوجهه الكريم .

الكفاءة فى النكاح

إن تحرى الصلاح والكفاءة بين الزوجين لتوفير المناخ النفسى الملائم الذى تستطيع الأسرة أن تؤدى من خلاله دورها الإيجابى فى المجتمع والحياة هو الذى دفع الفقهاء لاشتراط الكفاءة فى النكاح وأوصافها ، ولكن هل الكفاءة مشترطة فى النكاح ؟ وما هى الأوصاف المعتبرة فيها ؟ وما هى الأوصاف التى لا يصح اعتبارها ؟ وهل النسب والحرفة والمال أوصاف يصح اعتبارها ؟ هذا ما سأتطرق إليه فى بحثى إن شاء الله .

تعريف الكفاءة :

الكفاءة فى اللغة[٢١] : هى المساواة والمماثلة ، من كافأه إذا ساواه ، يقال : فلان كفء لفلان أى مساوٍ له . والكفء معناه : النظير ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٢٢] .

أى : لا مثيل له ، ومنه قول النبى ﷺ : « **المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم** »[٢٣] ، أى تتساوى ، فيكون دم الوضيع كدم الرفيع .

الكفاءة فى الاصطلاح[٢٤] : هى كون الزوج نظير للزوجة . وهى : المساواة بين الزوجين فى أمور مخصوصة بأن يكون الرجل مكافئاً لها فى الأوصاف بأن لا يكون دونها فيها .

هل الكفاءة مشترطة فى النكاح ؟

للفقهاء فى اشتراط الكفاءة رأيان :

الرأى الأول : رأى بعض الفقهاء كأبى الحسن الكرخى[٢٥] والجصاص من الحنفية ، وسفيان الثورى[٢٦] ، والحسن البصرى .

وهؤلاء لم يشترطوا الكفاءة أصلا ، لا شرط صحة ولا شرط لزوم ، وأدلتهم :

١ ـ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٢٧] .

٢ ـ قوله صلى الله عليه وسلم : « **الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى إنما الفضل بالتقوى** »[٢٨] .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾[٢٩] .

فهذه أدلة على المساواة المطلقة بين الناس .

٤ ـ إن الرسول ﷺ قد أمر بنى بياضة أن يزوجوا أبا هند وكان حجاماً فقال النبى ﷺ :

« يا بنى بياضة انكحوا أبا هند وانكحوا إليه »[٣٠] .

٥ ـ (إن بلالًا ـ رضى الله عنه ـ خطب إلى قوم من الأنصار فأبوا أن يزوجوه فقال له رسول الله ﷺ : قل لهم إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجونى)[٣١] . أمرهم النبى ﷺ بالتزويج مع عدم الكفاءة ولو كانت معتبرة ما أمر لأن التزويج من غير كفء غير مأمور به .

٦ ـ كما استشهدوا بأحكام الجنايات[٣٢] إن الدماء متساوية فيقتل الشريف بالوضيع والعالم بالجاهل ، فيقاس عليه عدم الكفاءة فى النكاح ، فإذا كانت الكفاءة غير معتبرة فى الجنايات ففى النكاح من باب أولى .

الرأى الثانى : اشترطوا الكفاءة فى النكاح :

وهم جمهور الفقهاء[٣٣] ، على خلاف بينهم فمنهم من اعتبرها شرط للزوم النكاح ، ومنهم من اعتبرها شرط لصحة النكاح لكن الحنابلة ـ الرواية الصحيحة عندهم ـ انها لا تشترط وأدلتهم :

١ ـ حديث يروى عن النبى ﷺ **« ألا لا يزوج النساء إلا الأولياء ولا يزوجن إلا من الأكفاء »**[٣٤] .

٢ ـ حديث على أن النبى ﷺ قال له : **« ثلاث لا تؤخروها : الصلاة إذا أتت ، والجنازة إذا حضرت ، والأيم إن وجدت كفؤاً »**[٣٥] .

٣ ـ حديث عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ﷺ أنه قال : **« تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء »**[٣٦] .

٤ ـ ما روى عن محمد من كتاب الآثار عن أبى حنيفة عن رجل أن عمر بن الخطاب قال : « لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء »[٣٧] .

٥ ـ ما وقع فى غزوة بدر (أنه لما برز عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وخرج إليهم عوف ومعوذ أبناء عفراء وعبد الله بن رواحة قالوا لهم : ما أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار فقالوا : أبناء قوم كرام ولكنا نريد أكفاءنا من قريش فقال ﷺ : صدقوا . ثم أمر حمزة وعلياً وعبيدة بن الحارث)[٣٨] واستشهد بذلك الأحناف فقالوا : « إذا كانت الكفاءة معتبرة فى الحرب وذلك فى ساعة ، ففى النكاح للعمر أولى »[٣٩] .

٦ ـ كما استدلوا بالمعقول[٤٠] فقال : « إن انتظام المصالح بين الزوجين يكون عادة بين المتكافئين لأن الشريفة تأبى أن تكون فراشاً للدنىء » وكذلك أولياء المرأة يأنفون من مصاهرة مَنْ لا يناسبهم فى جاههم ونسبهم فيعيرون به فتختل روابط المصاهرة أو تضعف ، ولأن الزوج لايتأثر بعدم الكفاءة عادة ، وللعادة والعرف سلطان أقوى وتأثير أكبر على الزوجة .

موازنة وترجيح :

عند مناقشة أدلة الذين اشترطوا الكفاءة فى النكاح يتبين الآتى :

١ ـ أن الأحاديث التى استشهدوا بها كلها ضعيفة لا يحتج بها ، وإن كانت كما قال الإمام الكمال بن الهمام : « يقوى بعضها بعضاً فتصبح حجة بالتضافر والشواهد وترتفع إلى مرتبة الحسن لحصول الظن بصحة المعنى وثبوته عن النبى ﷺ »[٤١] ولكن كما هو معروف فى علم الحديث أن الأحاديث الضعيفة حتى إذا ارتفعت إلى درجة الحسن بالشواهد ويسمى الحسن لغيره يجب ألا تكون معارضة لأحاديث صحيحة أقوى منها أو حتى لحديث حسن لذاته ، وهذا لم يحصل فى هذا

المقـام ، فالأحـاديث الصحيحـة وردت كلهـا معارضة لهذه الأحاديث وسيأتى بيانها فى نهاية البحث ، فيبطل الاحتجاج بأدلتهم .

٢ ـ أما استدلالهم بحادثة غزوة بدر فالقياس غير صحيح ، فحالة الحرب تستلزم صفات غير الصفات المستلزمة للنكاح ، ثم إن الكفاءة مطلوبة لنصرة الدين ، وربما لم يجبهم الرسول ﷺ إلى طلبهم إلا لمصلحة وهى معاملتهم بنفس مقاييسهم الجاهلية ، وحتى لا يظنوا أنه جبن وخوف من المسلمين ، وحتى لا يظن المسلمون أنه يضن بأهله وخاصته ، ولو ترك الأمر للرسول ﷺ لربما اختار غيرهم .

٣ ـ أما دليلهم بالمعقول فيعتمد على العرف ولكن متى يكون العرف معتبراً أو غير معتبر ؟ ومتى يكون للعرف سلطة التشريع ؟ من المعلوم فى أصول الفقه أن العرف إذا كان موافقاً للشرع أخذنا به وإذا كان مخالفاً لأصول الدين ومبادئه فلا يجوز اعتبـاره . فقـــد جاء فى كتب الأصول « فالعرف الصحيح هو ما تعارفه الناس ولا يخالف دليلًا شرعياً ولا يحل محرماً ولا يبطل واجباً . أما العرف الفاسد فهو ما تعارفه الناس ولكنه يخالف الشرع ويحل المحرم أو يبطل الواجب »(٤٢) .

ولما كان فى مراعاة العرف فى هذه الحالـة معارضة للأدلة الصحيحة ، التى استشهـد بها أصحاب الرأى الأول فلا يصح اعتباره . ويترجح الرأى الأول لثبوت أغلب أدلته وصحتها .

الأوصاف التى اشترطها الفقهاء فى الكفاءة :

لقد اشترط الفقهاء فى الكفاءة أوصافاً كثيرة لا تخرج فى مجموعها عن الأوصاف التالية :

الدين ـ الحرية ـ النسب (المنصب) ـ المال (اليسار) ـ الحرفة (الصناعة) ـ السلامة من العيوب (الحال) .

وقد نظم العلامة الحموى(٤٣) ما تعتبر فيـه الكفاءة فقال :

إن الكفاءة فى النكاح تكون فى
ست لها بيت بديع قد ضـبـط
نسـب وإســلام كذا حـرفـة
حـريـة وديانـة مـــال فقــط

فالحنفية(٤٤) : تكون الكفاءة عندهم فى الأمور المتقدمة ماعدا السلامة من العيوب .

والشافعيـة(٤٥) : تكـون الكفـاءة عندهـم فى الأمور المتقدمة ، واختلفوا فى اليسار .

والمالكية(٤٦) : تكون الكفاءة عندهم فى الدين والحرية والحال وهى (السلامة من العيوب) .

والحنابلة(٤٧) : على روايتين :

١ ـ فى الأمور المتقدمة ماعدا السلامة من العيوب .

٢ ـ فى الديـن والمنصب وهـــو الراجـــح عندهم .

وسوف أستعرض بالتفصيل أقوال الفقهاء فى ذلك ، وأدلتهم ، وأناقشهـا لأتـوصل ؛ لمعرفـة الأوصاف المعتبرة ، والتى لا يصح اعتبارهـا ؟ وذلك بعرضها على الكتاب والسنة الصحيحة .

الوصف الأول :

الحرية : وهى عكس الرق . والمقصود بها أن لا يكون الزوج عبدًا .

قالت الشافعية : [فالعبد ليس بكفء للحرة لقوله تعالى :

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ﴾(٤٨)

ولان الحرة يلحقها العار بكونها تحت عبد فنفى المساواة بينهما . ولأن بريرة أعتقت تحت عبد فخيرها النبى ﷺ .

فإذا ثبت الخيار إذا طرأت عليها الحرية ، فلأن يثبت لها الخيار إن كانت حرة عند ابتداء النكاح أولى ؛ لأن عليه النفقة لها ولعيالها منـــه ، فلا يستطيع أن ينفق نفقة الموسرين(٤٩) .

أما الأحناف فاشترطوا الحرية مع شيء من التفضيل فقالوا : « فإن العبد لا يكون كفؤاً لامرأة حرة الأصل وكذلك المعتق لا يكون كفؤاً لحرة الأصل ، والمعتق أبوه لا يكون كفؤاً لامرأة لها أبوان في الحرية ، وهذا لأن الرق أثر من آثار الكفر ، وفيه معنى الذل »(٥٠) .

ووافقهم في ذلك الشافعية فقالوا : « فالرقيق كلًا أو بعضاً أو مكاتباً ليس كفؤاً لحرة ولو عتيقة والعتيق كفء لعتيقة وليس كفؤاً لحرة أصيلة لنقصه عنها »(٥١) .

أما الحنابلة فكان من قولهم : [إن الحرية من شروط الكفاءة ، فلا يكون العبد كفؤاً لحرة ، لأن النبي ﷺ خيَّر بريرة حين عتقت تحت عبد فإذا ثبت الخيار بالحرية الطارئة فبالحرية المقارنة أولى ، لأن نقص الرق كبير وضرره بيِّن ، فإنه مشغول عن امرأته بحقوق سيده وهو كالمعدوم بالنسبة لنفسه ، ولا يمنع من صحة النكاح (لأن النبي ﷺ قال لبريرة : لو راجعته ، قالت : تأمرني ؟ قال : إنما أنا أشفع . قالت : لا حاجـــة لي فيه)(٥٢) ، ومراجعتها له ابتداء النكاح ، فإنه قد انفسخ نكاحها باختيارها ، ولا يشفع لها النبي ﷺ في أن تنكـــح عبـــداً إلا والنكــــاح صحيح](٥٣) ، فوافقوا الأحناف والشافعية في اشتراط الحرية إلا أنهم رأوا عدم توفر هذا الشرط لا يمنع من صحة النكاح . كما اشترط الشافعية أن تكون الحرية أصيلة فيه لقولهم : « إن العتيق ليس كفؤاً لحرة أصيلة لنقصه عنها »(٥٤) فالحرية الطارئة على الزوج (بالعتق) لا تجعله كفؤاً لحرة ، ورد عليهم . قال الإمام السبكي رحمه الله : « وما جزم به الصنف من كون العتيق ليس كفـؤاً لحرة أصيلة ، لا يساعده عليه عرف ولا دليل فيبقى التوقف فيه »(٥٥) .

من كل ما تقدم يتقرر شرط الحرية في النكاح لثبوت الدليل ، فقد خير النبي ﷺ بريرة لما لم يكون زوجها كفؤاً لها بعد الحرية .

الوصـف الثاني :

المال : ويعبر عنه بعض الفقهاء باليسار .

ويقصد به حالة الزوج المادية وقدرته المالية وهذا الوصف اشترطه الحنابلة في أحد الروايتين ، وبعض الشافعية ، والأحنـــاف مع شيء من التفصيل .

فالشافعية اختلفوا في مسألة اليسار ، جاء في المجموع : [واختلف أصحابنا في اليسار فمنهم من قال : يعتبر . فالفقير ليس بكفء للموسرة ، لما روى سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **الحسب المال والكرم والتقوى** »(٥٦) . ولأن نفقة الفقير دون نفقة الموسر ، ومنهم من قال : « لا يعتبر ؛ لأن المال يروح ويغدو ولا يفتخـــر به ذوو المروءات »(٥٧) .

أما الأحناف فقد ورد عنهم أن المال : إما أن يكون مقصود به الغنى وإما أن يكون المقصود به أن يملك (المهر والنفقة) فقالوا :

[فأما الكفاءة في الغنى فمعتبرة في قول أبي حنيفة ومحمد ـ رحمهما الله ـ حتى أن الفائقة في اليسار لا يكافئها القادر على المهر والنفقة لأن الناس يتفاخرون بالغنى ويتعيرون بالفقر ـ وخالفهم أبو يوسف فقال : [لا يعتبر ؛ لأنه لا ثبات له إذ المال غاد ورائح](٥٨) وقالوا : [إن الكفاءة تعتبر في المال وهو أن يكون مالكاً للمهر والنفقة وهذا المعتبر في ظاهر الرواية حتى إن من

لا يملكهما أو لا يملك أحـــدهما لا يكـــون كفئاً][(٥٩)] .

أما الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ فعنه فى اليسار روايتان :

أحدهما : [هو شرط فى الكفاءة ، لقول النبى ﷺ « **الحسب المال** »[(٦٠)] وقـــــال : « **إن أحساب الناس بينهم فى الدنيـا هذا المال** »[(٦١)] وقال لفاطمة بنت قيس ، حين أخبرته أن معاوية خطبها : « **أما معاوية فصعلوك لا مال له** »[(٦٢)] ولأن على الموسرة ضرراً فى إعسار زوجها .

الثانية : ليس يشترط لأن الفقـر شرف فى الدين ، وقد قال ﷺ : « **اللهم أحينى مسكيناً وأمتنى مسكيناً** »[(٦٣)] . وليس أمراً لازماً فأشبه العافية من المرض ، واليسار المعتبر ما يقدر به على الإنفاق عليها[(٦٤)] .

مناقشـــة وترجيـــح :

عند مناقشة أدلة الذين اشترطوا المال والذى هو بمعنى الغنى يتبين الآتى :

١ ـ إن أحاديث الرسول ﷺ ووصفه لمعاوية لا يفيد الاشتراط وإنما يفيد النصيحة حين سألته واستنصحته ، فأراد الرسول ﷺ أن يزوجها لمن يقدم لها مهـراً ويكفـل نفـقتها ، وهـذا حق ، والحديث لا يتعارض مع الرأى بل يؤيده .

٢ ـ أما حديث (الحسب المال) فلا أعتقد أن الرسول ﷺ يجعل المال هو المعتبر فى تقييم الناس ولم يُعهد هذا عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنما أراد ـ والله أعلم ـ أن يبين أن هذا تقييم الناس لبعضهم البعض لا تقييم الشارع ، يوضح ذلك قول الرسول ﷺ : أحساب الناس بينهم فى الدنيا هذا المال .

٣ ـ أما العرف الـذى بنـى عليـه الفقهـاء حكمهم ـ وهو كونُ الناس يتفاضلون بالمال فهذا معيار غير مقبول ، وهذا عرف فاسد ، فلم يحقر الإسلام إنساناً لفقره ، بل لقد عاش أفضل الخلق صلوات الله وسلامه عليه ـ فقيراً ومات ودرعه مرهونة ولم يكن الفقر عيباً قط ، بل كان يقول اللهم أحينى مسكيناً وأمتنى مسكيناً .

لذا يترجح القـول بعـدم اشتـراط المال فى الكفاءة .

الوصف الثالث :

الحرفة : أو المهنة : وسماها الحنابلة الصناعة .

والمقصود بها : كل عمـل يزاولـه الإنسان لكسب رزقه وعيشه من : زراعة أو صناعة ، أو وظيفة أو غير ذلك .

والمقصود بالكفاءة فى الحرفـة : أن يكـون الزوج مساوياً لأبى الزوجة فى الحرفة ، أو قريباً منه .

وهذا الوصف اشترطه الشافعية ، والحنابلة فى أحد الروايتين والأحناف على خلاف بينهم :

فالشافعية عندما ذكروا خصال الكفاءة قالوا : [وحرفة : فصاحـب حرفة دنيئة ليس كفء أرفع منه فكناس وحجام وحارس وراع وقيم الحمام ليس كفء بنت خياط ، ولا خياط كفء بنت تاجـــــر أو بزاز[(٦٥)] ، ولا هما كف بنت عالم وقاض][(٦٦)] .

أما الحنابلة فلهم فيها روايتان :

إحداهما : [إنها شرط ، فمن كان من أهل الصنائع الدنيئة ، كالحائك والحجام والحارس ، والـــكساح[(٦٧)] ، والدبـــاغ ، والـــقيم[(٦٨)] ، والحمامى ، والزبال ، فليس بكفء لبنات ذوى المروءات ، أو أصحـــاب الصنائـــع الجليلـــة كالتجارة ، والبنايـة لأن ذلك نقص فى عرف الناس ، فأشبه نقص النسب وقد جاء فى حديث (العرب بعضهم لبعض أكفاء ، إلا حائكاً أو

حجاماً)[٦٩] قيل لأحمد ، رحمه الله : وكيف تأخذ به وأنت تضعفه ؟ قال : العمل عليه ، يعنى أنه ورد موافقاً لأهل العرف .

والثانية : أن ذلك ليس بنقص[٧٠] .

والمروى عن أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ [إن ذلك غير معتبر أصلًا ، وعن أبى يوسف ـ رحمه الله ـ أنه معتبر حتى أن الدباغ والحجام والحائك والكناس لا يكون كفؤاً لبنت البزاز والعطار][٧١] .

مناقشة وترجيح :

عند مناقشة أدلة من اشترطوا الحرفة يتبين الآتى :

١ ـ إن الحديث الذى اعتمد عليه الحنابلة فى اعتبار الحرف من الكفاءة لا يجوز الاستشهاد به أصلا لأنه (حديث موضوع) .

٢ ـ أما العرف الذى كان دليل كل من اعتبر الحرفة من الكفاءة فهو عُرف فاسد لا يجوز العمل به ـ لأنه يخالف الشرف ، فالشرع لم يقسم الحرف إلى دنيئة ورفيعة ، وإنما هذا شيء تعارف عليه أهل الجاهليات قديماً وحديثاً ـ فالإسلام يحترم الحرف أياً كان نوعها ، مادامت هذه الحرف مشروعة غير محرمة ولا يؤدى احترافها إلى معصية . ولقد امتدح الرسول ﷺ الأعمال والحرف اليدوية بقوله : « **ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده** »[٧٢] فداود عليه السلام كان حداداً ، وكذلك أغلب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يعملون فى أحد هذه الحرف .

فزكريا عليه السلام كان نجاراً وكذلك عيسى عليه السلام . والرسول ﷺ اشتغل بالرعى وكان يقول : ما من نبى إلّا ورعى الغنم ؛ ولم تنقص هذه الحرف من شأنهم ولم تحط من مكانتهم الاجتماعية . وحتى يبطل الرسول ﷺ ما تعارف عليه أهل الجاهلية أمر بنى بياضة أن يزوجوا أبا هند وكان حجاماً ـ وقد تقدم بيان ذلك فى الكفاءة ـ ليغير نظرتهم إلى هذه الحرفة بسنته القولية والعملية .

مما تقدم يترجح قول أبى حنيفة هو عدم اعتبار الحرفة من الكفاءة وكذلك الرواية الثانية لأحمد بن حنبل ـ رحمهما الله ـ لعدم وجود دليل صحيح عليه من السنة ؛ بل إن السنة الصحيحة أثبتت عكس ذلك .

الوصف الرابع :

السلامة من العيوب وعبر عنها المالكية بالحال .

والمقصود بها : سلامة الزوج من العيوب الجسيمة المستحكمة التى لا يمكن دوام العشرة معها إلّا بضرر كالجذام والجنون والبرص وهى معتبر عن المالكية والشافعية .

فاشترط الشافعية فى خصال الكفاءة [السلامة من العيوب المثبتة للخيار فى النكاح ، فمن به بعضها كجنون أو جذام أو برص ليس كفؤاً للسليمة عنها ، لأن النفس تعاف صحبة من به بعضها ويختل به مقصود النكاح][٧٣] .

أما المالكية : [فاشترطوا السلامة من العيوب ولو من غير الخيار وقيل : المراد مساواته لها فيما هى عليه من صفات الكمال][٧٤] . ولم يعتبر الحنفية والحنابلة السلامة من العيوب من شروط الكفاءة ، ولكنها تثبت الخيار للمرأة دون أوليائها .

وقد أشاروا إلى ذلك فقال الحنابلة : [وأما السلامة من العيوب فليست من شروط الكفاءة ، فإنه لا خلاف فى أنه لا يبطل النكاح بعدمها . ولكنها تثبت الخيار للمرأة دون الأولياء][٧٥] .

والأرجح رأى الحنابلة ، وهو أن يُترك الأمر للزوجة فهى مخيرة بين إسقاط هذا الحق أو إنفاذه لأن ضرره مختص بها .

ولأن أصحاب الرأى لا دليل عندهم من الكتاب أو السنة فيبقى الأمر على الخيار .

الوصــف الخـامس :

النسب : وسماه الحنابلة المنصب .

والمقصود به : صلة الإنسان بأصوله من الآباء والأجداد . اشترطه جمهور الفقهاء ـ عدا المالكية ـ والأساس فى اعتباره عندهم العرف الذى يجعل النسب محل التفاخر والتفاضل والتعاير والمدح والهجاء .

فالشافعية قالوا : [فالعجمى ليس كفء عربية ولا غير قرشى قرشية ولا غير هاشمى ومطلبى لهما ـ فاشترطوا النسب ـ بأن تنسب المرأة إلى من تشرف به ـ بالنظر إلى من ينسب الزوج إليه ، لأن العرب تفتخر بأنسابها أتم الافتخار ، والاعتبار فى النسب بالآباء ، فالعجمى أباً وإن كانت أمه عربية ليس كفء عربية أباً ، وإن كانت أمها أعجمية . لأن الله اصطفى العرب على غيرهم ، وليس غير قرشى من العرب مكافئاً قرشية لخبر (قدموا قريشاً ولا تتقدموها)[٧٦] وليس غير هاشمى ومطلبى كفؤاً لهما ، كبنى عبد شمس ونوفل ، وإن كانا أخوين لهاشم لخبر مسلم (إن الله اصطفى من العرب كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بنى هاشم[٧٧])[٧٨] .

أما الحنابلة [فالدليل عندهم على اعتبار النسب فى الكفاءة ، قول عمر رضى الله عنه : (لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء ، قال : قلت وما الأكفاء ؟ قال : فى الحسب)[٧٩] ولأن العرب يعدون الكفاءة فى النسب ويأنفون من نكاح الموالى ويرون ذلك نقصاً وعاراً وإذا أطلقت الكفاءة وجب حملها على المتعارف][٨٠] .

واختلفت الرواية عن أحمد ـ رحمه الله ـ فروى عنه روايتان :

الرواية الأولى : إن غير قريش من العرب لا يكافئها وغير بنى هاشم لا يكافئهم . وهذا قول بعض أصحاب الشافعى ، ما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل** » إلى آخر الحديث وقد تقدم فى كلام الشافعية ـ ولأن العرب فضلت على الأمم برسول الله ﷺ وقريش أخص به من سائر العرب وبنو هاشم أخص به من قريش .

والثانية : (أن العرب بعضهم لبعض أكفاء ، والعجم بعضهم لبعض أكفاء)[٨١] .

ففى الأولى اعتبروا أن قريشاً لا يكافئها أحد ، والثانية أن العرب لا يكافئها أحد ، فعلى الروايتين يعتبر النسب عندهم وصفاً لازماً للكفاءة .

والحنفية قالوا : [والكفاءة معتبرة لأن انتظام المصالح بين المتكافئين عادة ؛ لأن الشريفة تأبى أن تكون مستفرشة للخسيس ، فلابد من اعتبارها ، بخلاف جانبها ولأن الزوج مستفرش فلا تغطيه دناءة الفراش ولذا زوجت المرأة نفسها من غير كفء فللأولياء أن يفرقوا بينهما دفعاً لضرر العار على أنفسهم . ثم الكفاءة تعتبر فى النسب لأنه يقع به التفاخر فقريش بعضهم أكفاء لبعض ، والأصل فيه قول الرسول ﷺ : « **قريش بعضهم أكفاء لبعض بطن ببطن ، والعرب بعضهم أكفاء لبعض قبيلة بقبيلة ، والموالى أكفاء لبعض رجل برجل**[٨٢] »[٨٣] .

يتبع بالجزء الأخير فى العدد القادم

● مراجع المقال فى نهاية الجزء الأخير

صلح الحديبية

أ.د محمد عبد العليم العدوى

حفل العام السادس من الهجرة ، بجلائل الأعمال ومرد ذلك — بفضل الله — إلى هذا الصلح التاريخى الذى أبرمه رسول الله — ﷺ — مع قريش وهو الذى سمى « صلح الحديبية » وسماه المولى عز وجل : (فتحا مبينا) .

يقول سبحانه :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ سورة الفتح » ثم يقول تعالى : (لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا

الفتح — ١٨ .

ثم يقول عز وجل

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ الفتح ٢٧.

وعامة المفسرين والمحدثين كما فى صحيح البخارى — على أن سورة الفتح قد نزلت فى صلح الحديبية .

روى ابن هشام عن ابن إسحق عن الزهرى قال :

(ما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه (أى من صلح الحديبية) إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا . والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ..

لذا كان من الأهمية بمكان أن نتعرف على مكان هذا الصلح الذى صار علما عليه وعلى زمانه .. وعلى الأسباب التى أدت إليه ، والنتائج التى ترتبت عليه ، وأثره فى نشر الدعوة الإسلامية نقول وبالله التوفيق ..

الحديبية :—

بضم الحاء وفتح الدال المهملتين ، وسكون التحتية وكسر الموحدة ، وقد تخفف الياء أو تثقل .. هى : بئر يقرب مكة على طريق جُدَّة دون مرحلة ، ثم أطلق اسم الحديبية على المكان الذى يحيط بالبئر ، وقال المحب الطبرى :—

قرية ليست كبيرة قريبة على مرحلة من مكة أكثرها فى الحرم ، وباقيها فى الحل وهى تسعة أميال من مكة . انتهى كذا فى الزرقانى والبسط فى الأوجز .

(*) الكاتب : رئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة الأزهر . فرع المنصورة .

وعند مالك كلها من الحرم وفيه أيضا وفى الهداية ، ويعنى الحديبية من الحرم ، وكذا ذكر الزمخشرى فى الكشاف ، وقال الشافعى فى الأم : وبعض الحديبية فى الحل وبعضها فى الحرم .

وفى البخارى : إن الحديبيـــة خارج من الحرم .. وقـال الحمـــوى : قال الشافعـــى : ــ الصواب تشديد الحديبية ، وتخفيف الجعرانة .

تاريخ الغزوة وأسبابها :ــ

كانت غزوة الحديبية فى يوم الإثنين غرة ذى القعدة سنة ست بلا خلاف [1] .

قال ابـن إسحـق : (ثم أقــام رسول الله ــ ﷺ ــ بالمدينة رمضان وشوال . وخرج فى ذى القعدة معتمرا لا يريد حربا .. بل زيارة البيت العتيق والطواف به وهو حق مشاع لجميع العرب مهما تباينت آراؤهم واختلفت مذاهبهم فى العبادة ولا يجوز لقريش سادنة البيت والمسئولة عن الأمن فى الحرم أن تحول بين أى إنسان وبين دخول الحرم لزيارة البيت وباقى المشاعر التى درج العرب على زيارتها منذ عهد الخليل إبراهيم عليه السلام[2] وما منع المسلمين عن الذهاب إلى مكة هذه المدة إلا حرصهم على الاطمئنان على أمن المدينة .

أما وقد أصبحوا قوة لها وزنها حيث نصرهم الله على الأحزاب وعلى يهود بنى قريظة ، وألقوا الرعب فى نفوس يهود خيبر الذين تحصنوا فى معاقلهم خوفا وهلعا ، وأحسوا بقوة المسلمين ، ولم يتط ف تفكيرهم بعد فى الإغارة على المدينة ولو غادرها أكثر المجاهدين المسلمين إلى أية جهـة أرادوا ..

وأعد عليه الصلاة والسلام للأمر عدتـه ، فاستنفر العرب ، ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه من البيت وخصوصا وأن الحرب بينه وبينهم سجال ، فأجاب بعض الأعراب وأبطأ عليه كثيرون .. ولم يستـجب لدعوة الاستنفار إلا من وقر الإيمان فى قلبه .

موقف المنافقين :ــ

أما المنافقون وضعاف الإيمان من الأعراب الذين أسلمـوا بألسنتهم ولما يدخـل الإيمان فى قلوبهم .. فقد تثاقلوا إلى الأرض .. وتخاذلوا عن مرافقتـه ــ ﷺ ــ وتعللـوا بشتـى الأعـذار الكاذبة كانشغالهم بأموالهم وأهليهم بينما الباعث الحقيقى على تخلفهم هو ما حلّ فى نفوسهـم الضعيفة من خوف الدخول فى حرب مع قريش فيحدق بهم الخطر وكانوا يرددون : أنذهب إلى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه[3]

وقد فضح القرآن الكريم أمرهم وأعلم رسوله ــ ﷺ ــ بخبيئة نفوسهم ، فأنزل الله فى شأنهم قوله تعالى :ــ

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ الفتـح ١١ ، ١٢

(١) محمد أحمد باشميل .. ص١٢٢ .

(٢) البداية والنهاية جـ٤ ص١٦٤ .

(٣) السيرة الحلبية جـ٢ ص١٣٢ ، تفسير ابن كثير ــ سورة الفتح .

خروج رسول الله ـ ﷺ ـ :ـ

وخرج رسول الله ـ ﷺ ـ بمن معه من المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ؛ وليعلموا أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له ..

عدد الذين صحبوه :ـ

وكان عدد الذين صحبوه ـ ﷺ ـ على الأرجح أربع عشرة مائة ، وجعل على الهدى (ناجية بن جندب الأسلمى)[٤] وأمره أن يقدمها إلى (ذى الحليفة) ولم يخرج معه بسلاح الإسلاح المسافر وهو السيوف فى القّرب ، وكان معه ثلاثمائة فارس ومائتا فرس .

وخرج معه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى هذه العمرة أربع نساء واحدة من نسائه وهى (أم سلمة) وثلاث أنصاريات وهن : أم عمارة وأم منيع وأم عامر .

واستعمل عليه الصلاة والسلام على المدينة (نميلة بن عبد الله الليثى) ، وعلى الإمامة عبد الله ابن أم مكتوم .

وخرج رسول الله ـ ﷺ ـ من المدينة يوم الإثنين لهلال ذى القعدة فاغتسل فى بيته ولبس ثوبين من نسج صحار[٥] وركب راحلته القصواء من عند بابه وخرج المسلمون فصلى رسول الله ـ ﷺ ـ الظهر بذى الحليفة (آبار علىّ على بعد عشرة أميال من المدينة) ثم دعا بالبدن فجللت[٦] ثم أشعر[٧] بنفسه منها عدة ـ وهن موجهات إلى القبلة ـ فى الشق الأيمن .

عين من خزاعة :

وعند ذى الحليفة بعث عليه السلام بين يديه عينا له من خزاعة واسمه بسر بن سفيان الكعبى ثم الخزاعى .. وقد أختاره عليه الصلاة والسلام لقرب عهده بالإسلام لأنه أسلم فى شوال فلا يظنه من رآه عينا فلا يؤذيه[٨] لكى يأتيه بخبر أهل مكة حيث قال له عليه الصلاة والسلام إن قريشا قد بلغها أنى أريد العمرة فخبرنى خبرهم ثم ألقنى فيما يكون منهم . فتقدم بسر أمامه ودخل مكة وظل بها يرصد قريشا ويجمع المعلومات .

وفى ذى الحليفة أيضا أشار عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسعد بن عبادة على رسول الله ـ ﷺ ـ أن يسلح أصحابه أستعدادا لما يجد من الحوادث فقد تشن قريش الحرب على المسلمين .. فقد قال ابن الخطاب . ندخل على قوم هم لك حرب . بغير سلاح ولا كراع ؟ فعمل النبى ـ ﷺ ـ بنصيحة عمر ، فبعث إلى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا إلا حمله .

تقديم الطلائع :

ودعا رسول الله ـ ﷺ ـ عباد بن بشر فقدمه أمامه طليعة فى خيل المسلمين ـ عشرين فارسا ـ ، وكان فيها رجال من المهاجرين

---

(٤) هو ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر الأسلمى ، وقد توفى بالمدينة فى خلافة معاوية .

(٥) قرية باليمن ينسب الثوب إليها . (النهاية ٢/٢٥٣) .

(٦) تجليل الفرس : ان تلبسه الجل أى الغطاء (الصحاح ص١٦٦١) .

(٧) أشعر : ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فلطخها بدمها إشعارا بأنه هدى (المواهب اللدنية جـ٢ ص٢١٨ شرح الزرقانى) .

(٨) الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى حجة الوداع وجرد عمرات الرسول ﷺ ص٢٣) .

والأنصار منهم المقداد بن عمرو وكان فارسا وكذلك أبو عياش الزرقى ، والحباب بن المنذر وعامر بن ربيعة ، وسعيد بن زيد وأبو قتادة ومحمد ابن مسلمة .

الإحرام والتلبية :

ثم دخل — صلى الله عليه وسلم — المسجد فصلى ركعتين ثم خرج ودعا براحلته فركبها من باب المسجد ، فلما انبعثت به مستقبلة القبلة أحرم ولبى بأربع كلمات لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك ، لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وأحرم عامة المسلمين بإحرامه ومنهم من لم يحرم إلا من الجحفة ﴿الواقدى ٢/٥٧٤﴾

الطريق إلى مكة :—

وسلك عليه الصلاة والسلام طريق البيداء[٩] وجعل يمر بالأعراب فيما بين مكة والمدينة فيستنفرهم ، فيتشاغلون له بأموالهم وأهليهم وهم بنو بكر ، ومزينة وجهينة — فيقولون فيما بينهم : أيريد محمد أن يغزو بنا إلى قوم معدين مؤيدين فى الكراع والسلاح «إنما محمد واصحابه أكلة جزور» «لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبدا قوم لا سلاح معهم ولا عدة وإنما يقدم على قوم حديث عهدهم بمن أصلب منهم ببدر» .

وخرج عليه الصلاة والسلام حين أصبح يوم الثلاثاء بملل[١٠] فراح من ملل وتمشى بالسيالة[١١] ثم أصبح بالروحاء[١٢] فلقى بها جماعة من بنى نهد معهم نعم وشاء فدعاهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا له وانقطعوا من الإسلام ، فأرسلوا إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بلبن مع رجل منهم فأبى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يقبل منهم وقال : لا أقبل هدية مشرك فأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يبتاع منهم فابتاعوه من الأعراب .

وسار عليه الصلاة والسلام حتى وصل إلى غدير الأشطاط قريبا من عسفان « فأتاه العين الذى قد بعثه — فقال له : إن قريشا جمعت لك جموعا ، وقد جمعوا لك الأحابيش[١٣] وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك .

فقال عليه السلام : أشيروا أيها الناس . فقال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال : امضوا على اسم الله . «صحيح البخارى» .

وفى رواية عن الزهرى أنه — صلى الله عليه وسلم — خرج حتى إذا كان بعسفان فأتاه العين بسر بن سفيان الكعبى فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل[١٤] قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى

---

(٩) البيداء هى التى إذا رحل الحجاج من ذى الحليفة استقبلوها مصعدين إلى المغرب (وفاء الوفا حـ٢ ص٢٦٧) .

(١٠) (ملل) بفتح أوله وثانيه منزل على طريق المدينة — مكة .. على ثمانية وعشرين ميلا من المدينة .

(١١) السيالة أول مرحلة لأهل المدينة لمن أراد مكة .

(١٢) الروحاء سهل فسيح واسع على أربعين ميلا من المدينة .

(١٣) الأحابيش : أحياء من العرب رماة سموا بذلك لاسودادهم أو نسبة إلى جيش حبيش جبل بأسفل مكة .

(١٤) العوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الأمهات من النوق إذا كان معها أطفالها . والمعنى أنهم خرجوا بكل ما يحتاجون إليه استعدادا لصد المسلمين .

خيلهم قد قدموا إلى كراع الغميم . قال فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب .

ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وآخرين وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش .

فو الله لا أزال أجاهد على هذا الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أن تنفرد هذه السالفة(١٥) .

خالد بن الوليد يتحرش بالمسلمين :

وحاول خالد بن الوليد أن يستفز المسلمين حيث تحرك من كراع الغميم إلى وادى عسفان حيث يعسكر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمسلمين وأراد الهجوم عليهم حين حضرت الصلاة لكنه عليه الصلاة والسلام أفسد عليه الخطة وذلك بصلاته صلاة الخوف بعد أن أمر عباد بن بشر قائد سلاح فرسان المسلمين أن يكون على أهبة الاستعداد لمواجهة خالد ورد عدوانه إن حاول الاعتداء .

يقول الواقدى : ودنا خالد بن الوليد فى خيله حتى نظر الى أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فصف خيله فيما بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين القبلة ، وهى فى مائتى فرس وأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عباد بن بشر فتقدم فى خيله فقام بإزائه فصف أصحابه .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : فحانت صلاة الظهر فأذن بلال وأقام ، فاستقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القبلة وصف الناس وصلى بهم صلاة الخوف .

وآثر عليه الصلاة والسلام السلامة وحرص على حقن الدماء وقرر عدم الاصطدام بقوات قريش .

فقد كان المفروض أن يستمر عليه الصلاة والسلام وأصحابه فى تحركهم من عسفان نحو الجنوب فى اتجاه مكة (عبر التنعيم) وهو الطريق الرئيسى المعتاد أن يطرقه كل من يقصد مكة من المدينة(١٦) (انظر الخريطة) .

(١٥) السالفة صفحة العنق : يعنى الموت .. حديث صحيح أخرجه ابن اسحق بسند صحيح عن ابن مخرمة ومروان بن الحكم ومن طريقه أخرجه أحمد (٢٢٤/٤ ـ ٣٢٦) وابن هشام (٢٢٦/٢) وهو قطعة من حديث طويل فى صلح الحديبية وقد أخرجه البخارى (٣٥١/٥ ـ ٣٧١) وأحمد ٣٢٨/٤/٣٣١) لكن البخارى وأحمد ذكرا هذا عن مجىء بديل ابن ورقاء وهذا أصح .

(١٦) محمد أحمد باشميل : صلح الحديبية ص١٥٤ .

لكنه عليه الصلاة والسلام قرر تغيير الاتجاه فقال (هل من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها)[١٧] فقال رجل من أسلم (حمزه بن عمرو الأسلمى) أنا يا رسول الله . فسلك بهم طريقا وعرا بين الشعاب فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين فأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى .

قال رسول الله ــ ﷺ ــ قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه ، فقالوا ذلك ، فقال والله إنها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض [١٨] فخرج على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة . فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قادة الجيش قد خالفوا ركضوا راجعين إلى قريش .

ابن كثير البداية والنهاية

لم يكن خروجه عليه الصلاة والسلام عن الطريق خوفا من قوات قريش . فالذى يخاف من عدوه لا يقترب من قاعدته الاصلية وهى مركز قواته ، بل يحاول الابتعاد عن قاعدة العدو الاصلية حتى يطيل خط مواصلات العدو ، وبذلك يزيد من صعوباته ومشاكله ويجعل فرصة النصر أمامه أقل فى حالة الاقتراب من قاعدته الاصلية وتوخى الهدف مبدأ من مبادىء الحرب المهمة وهو ان نعرف هدفنا تماما ، ونفكر بأحسن طريقة للوصول اليه ، ثم نقرر خطة مناسبة للحصول عليه وننفذ تلك الخطة جاعلين هدفنا الرئيسى وحده نصب أعيننا دون ان تعيقنا أو تغير من خطتنا الاهداف الثانوية الأخرى .

الرسول القائد :

ولنا فى رسول الله ــ ﷺ ــ أسوة حسنة وقدوة طيبة ، فقد برز مبدأ توخى الهدف فى تلك المواقف بأجلى مظاهرة ، فقد قرر عليه السلام منذ مغادرته المدينة أنه خرج لا يريد حربا وانما يريد زيارة البيت والطواف به ، ولهذا تحاشى الاصطدام بقوات خالد ومضى النبى ــ ﷺ ــ بأصحابه حتى اذا سلك ثنية المرار[١٩] بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت القصواء خلأت القصواء . فقال النبى ــ ﷺ ــ ما خلأت وما هُولَها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة .

ثم قال : والذى نفسى بيده لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها ، ثم زجرها فوثبت ، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على حفيرة قليلة الماء .

فلم يلبث الناس حتى نزحوه ، وشكوا إلى رسول الله ــ ﷺ ــ العطش ، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فو الله ما زال يجيش لهم بأمرى حتى صدروا عنه .

البخارى كتاب الشرط :ــ

وعن ابن اسحق ان الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله ــ ﷺ ــ ناجية بن جندب بن

(١٧) سيرة ابن هشام عن ابن أسحق حـ٢ ص٣٠٦ .

(١٨) بفتح الحاء المهملة واسكان الميم وبالضاد المعجمة . اسم موضع .

(١٩) طريق فى الجبل يشرف على الحديبية .

عمير .. سائق بدنه — ﷺ — وقيل البراء بن عازب .

وعسكر المسلمون كما أمروا ينتظرون مع الغد القريب أن تفتح لهم أبواب مكة فيطوفوا ويسعدوا ثم يعودوا وافرين رابحين . إنهم واثقون من إدراك بغيتهم ، ولماذا يشكون ؟ . وقد سمعوا من رسول الله — ﷺ — بشريات كثيرة بأنهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين هذا هو موقف المسلمين .— ﴿فقه السيرة للغزالى ص ٣٤٧ ﴾

موقف المشركين :—

أما المشركون فقد دب فى قلوبهم الذعر والخوف ، من أن يكون ادعاء المسلمين أداء العمرة حيلة يهدفون من ورائها مباغتتهم والقضاء عليهم .

يقول الواقدى (ولما بلغ المشركين خروج رسول الله — ﷺ — إلى مكة راعهم ذلك واجمعوا له ، وشاوروا فيه ، ذوى الرأى منهم فقالوا يريد (أى النبى) أن يدخل علينا فى جنوده معتمرا فتسمع به العرب وقد دخل علينا عنوة (بالقوة) وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ، والله لا يمكن هذا أبدا ومنا عين تطرف فارتأوا رأيكم فأجمعوا أمرهم ، وجعلوه إلى نفر من ذويهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل مغازى الواقدى ح ٢ ص ٥٧٩﴾

وبدأت الاجتماعات فى دار الندوة وتمخضت عن إعلان الاستنفار العام لكل قادر على حمل السلاح ، وتعبئتهم لقتال المسلمين ، كما تداعى حلفاؤهم من ثقيف بقيادة عروة بن مسعود ، والأحابيش بقيادة الحليس بن علقمة ، وبلغ الحشد ما يقرب من ثمانية آلاف مقاتل من أبنائها وأبناء حلفائها ووقفوا على أهبة الاستعداد ، وصحبوا نساءهم وأطفالهم تأكيدا لعزمهم وتصميم على صد محمد وأصحابه كما كونوا قوات من الفرسان تضم مائتى فارس وبعض المشاة ، وجعلوا لقيادتها خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل .

وعسكروا بصفة رئيسية فى منطقة بلدح[٢٠] وبثوا العيون لإبلاغ قريش أولا بأول وانتخبت لذلك عشرة رجال أعطت قيادهم للحكم بن عبد مناف فتولى تنظيمهم ووضع العيون على الجبال حتى انتهوا إلى جبل يقال له وزر[٢١] وزع يوحى بعضهم إلى بعض الصوت الخفى فعل محمد كذا وكذا . حتى ينتهى ذلك الى قريش ببلدح . مغازى الواقدى ح ٢ ص ٥٧٩ .

وتحرك خالد فعلا بمائتى فارس ورابط فى كراع الغميم على الطريق الرئيسى الذى يفترض مرور الرسول — ﷺ — منه ، وكانت لدى خالد أوامر صارمة مشددة بأن يمنع المسلمين بالقوة من اجتيازه﴿محمد أحمد أشميل صلح الحديبية ص ١٤٨﴾.

لكن الرسول عليه الصلاة والسلام كما أسلفنا تحاشى الصدام المسلح وقرر العدول عن الطريق الذى يرابط فيه خالد بقواته .

وبلغت فرسان قريش بميل المسلمين إلى الطريق الفرعية فعادت أدراجها لتدافع عن مكة قبل أن يصلها المسلمون وأحدث هذا التحول ارتباكا لقواتهم ، وبدأوا يفكرون فى الأمر ويقلبون وجوه الرأى .

---

(٢٠) واد قبل مكة من جهة الغرب .

(٢١) والوزر الجبل المنيع (القاموس المحيط حـ٢ ص١٥٤) .

الفتوى

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

اعداد : الاستاذ عبد المنعم حافظ فوده

تعاطى حبوب منع الحمل فى رمضان

إذا كان الحيض شيئا كتبه الله على بنات آدم ، وله أحكامه فى الصلاة والصيام وغيرهما ، حيث لاتجب الصلاة ولا الصيام أثناء الدورة ، وإن كانت الصلاة لاتقضى بعد الطهر ، أما الصيام فيقضى ـــ فان بعض النساء يردن أن يمر عليهن شهر رمضان دون حيض حتى لايحرمن من الصيام وصلاة التراويح وقراءة القرآن ، فالطاعات فى رمضان يضاعف ثوابها ، كما جاء فى حديث سَلْمان « من تقرب إلى الله فيه بخصلة ـ أى نافلة وتطوع ـ كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » وكما جاء فى حديث جابر « أن الملائكة تستغفر للصائمين فى كل يوم وليلة » وتلك من الخصال التى لم تعط لأمة غير أمة النبى ﷺ .

فحرصاً على هذا الفضل تسأل بعض السيدات عن حكم تعاطى حبوب منع الحمل حتى لاينزل عليهن الدم ، فهل هذا يجوز ؟ والجواب : لايوجد دليل يمنع ذلك . وقد جاء أن بعض السلف كانوا يصفون ماء الاراك ـ وهو شجر السواك ـ لنسائهم ليؤدين شعائر الحج .

الصيام مع الجنابة

لو حدثت جنابة للإنسان أثناء الليل فى رمضان ولم يغتسل إلا بعد طلوع الفجر ، أو كان نائما فى النهار واحتلم ولم يغتسل ، هل يصح صومه بدون الغسل ؟

نعم يصح صومه ؛ لأن الطهارة من الجنابة شرط لصحة الصلاة ، وليست شرطا لصحة الصوم ، ومما يدل على ذلك قول السيدة عائشة رضى الله عنها ـ كما ثبت فى البخارى ومسلم : كان النبى ﷺ يصبح جنباً ، وهو صائم ثم يغتسل .

فإذا أمكنه الطهارة فالأفضل أن يبدأ نهاره ، وهو طاهر .

السؤال من ك . خ

كنت أصوم رمضان كله حتى أيام الدورة الشهرية اعتقاداً منى أن ذلك له ثواب أكثر .. ثم علمت أنه يجب الافطار فى أيام الدورة ، فكنت أفطر قرب آذان المغرب ، ولكنى لم أكن أقضى هذه الأيام لجهلى بذلك .. ثم علمت أنه يجب القضاء فأصبحت أقضى أيام الإفطار بعد شهر رمضان لكن أصبح علىّ أيام كثيرة عن السنين التى انقضت ، ولم أقض فيها تلك الايام فقررت الصيام ثلاثة أيام من كل شهر « وهى الأيام البيض ١٣ ، ١٤ ، ١٥ » من كل شهر عربى استيفاء لما علىّ من الدين ، ثم أتعود على تلك الايام فأصومها بعد انقضاء الأيام التى علىّ وهى حوالى ١٨٠ يوماً . ولكنى سمعت أن الصيام نفلًا لايغنى عن قضاء أيام العدة رغم أنى أصوم تلك الايام بنية قضاء للدين .. فما حكم الإسلام فى ذلك ؟

وما الطريقة التى يمكن بها قضاء تلك الايام علما بأنى مريضة بالسكر ، وكادت الايام التى علىّ أن تنتهى وأكون بذلك وفيت الدين الذى علىّ ؟

فى الحديث الشريف «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ، فلو صليت ركعتين بنية سنة الفجر وقعتا سنة ، ولو صليت هاتين الركعتين بنية فرض الصبح وقعتا فرضا ، فالعبرة بالنية .

وإذا كنت تصومين للقضاء ثلاثة أيام من كل شهر ونويت القضاء صح الصوم وأجزأ عن القضاء .. ولو كانت هذه الايام الثلاثة هى الايام البيض كان لك مع القضاء ثواب السنة للوصية بصيامها ، وبالمثل لو قضيت ما فاتك من رمضان فى شهر شوال ، وكانت النية هى القضاء صح الصوم ، وأجزأ عن القضاء ، وفى الوقت نفسه ــ عند الشافعية ــ يحصى لك ثواب صيام الستة من شوال .

ومن هنا نعلم أن صيام الأيام التى ندب الصيامفيها كالاثنين والخميس وعرفة وعاشوراء وست من شوال ، وان كانت نية الصيام هى القضاء ، صح الصوم وأجزأ عن القضاء ، مع ثواب النفل إن شاء الله ، أما لو كانت نية الصيام هى النفل والتطوع فلا يغنى ذلك عن القضاء ، فالأعمال بالنيات كما سبق أن ذكرنا .

وطريقة القضاء متروكة لك مراعاة لظروف المرض ، والمهم أن يكون الصوم بنية القضاء حتى تنتهى من سداد الدين ، وبعد ذلك إن أردت صوم التطوع فلا مانع مع مراعاة الظروف .

رجاء عرض هذه الفتوى على الدكتور/ عبدالجليل فقد سبق وأفتى فى عدد جمادى الآخرة بأن غش اللبن حرام ، وبيع اللبن المغشوش حرام . ففهمنا من الفتوى أن هذا لمن يقوم بغش اللبن وبيعه ، ولكن ما ذنب الموزعين الذين يبيعون اللبن على حالته التى يأتيهم بها ، هل يستوون معهم فى الحكم . والقاعدة الشرعية تقضى بأن من فعل المحرم استحق الاثم،ومن لم يفعله لايأثم ؟

السيد محمد محمد شحاته

كليةالشريعة والقانون بطنطا

لا ريب أن غاش اللبن هو مرتكب الاثم ، وهو المسئول عن غش الناس وبيع الماء ضمن اللبن .

أما الموزع فإذا كان يعرف أن اللبن مغشوش فعليه أن يعرف المشترين بحقيقة الحالة التى عليها اللبن ، والا فهو شريك فى الإثم ؛ لأنه باشر غش المشترى . والله أعلم

دكتور / عبدالجليل شلبى

٩/١/١٩٩٣ م

السؤال من ك . خ :

هل فوائد البنوك الإسلامية حلال أم حرام ؟ خاصة وأن الكثير من الناس يقولون : أن البنوك الإسلامية والبنوك الربوية أو التجارية سواء .

البنوك الإسلامية عليها رقابة شرعية من علماء متخصصين ، فالأرباح التى تأتى من معاملاتها حلال إن شاء الله ، لأنها تتعامل تجارياً بصور المضاربة أو المشاركة أو المرابحة ، وهى كلها حلال والرقابة الشرعية هى المسئولة عن صحة نشاط هذه البنوك .

أما البنوك الربوية أو التجارية فعلى فرض أنها تتعامل بالصور الإسلامية الثلاثة المذكورة وفى ذلك وقفة يرجع فيها إلى قانون هذه البنوك ــ فإنها تتعامل مع ذلك بالقرض والإقراض لفائدة محددة ، وكل قرض جر نفعاً فهو ربا ، واستقر الأمر على ذلك من أيام السلف ، فهناك فرق فى النشاط بين البنوك الإسلامية والبنوك الأخرى .

طرائف ومواقف

بقلم الأستاذ : عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾

رزق جماعة السعادة فى أشياء ، لم يأت بعدهم من نالها مثلهم :

سيدنا على بن أبى طالب – رضى الله عنه – « فى القضاء »
زيد بن ثابت « فى الفرائض » [المواريث]
ابن عباس « فى التفسير »
الحسن البصرى « فى التذكير »
وهب بن منبه « فى القصص »
مالك بن أنس « فى العلم »
يحيى بن معين « فى الرجال »
أبو مسلم الخرسانى« فى علو الهمة والحزم »
ابن الجوزى « فى الوعظ »
المأمون « فى حب العفو »
عطاء السلمى « فى الخوف من الله »
الجنيد « فى التصوف »
الأشعرى فى «علم الكلام»
الفضل بن يحيى « فى الجود »
الحريرى « فى المقامات »
سيبويه « فى النحو »

يتيم وقد أفزعتموه

خرج ابن لعمر بن عبدالعزيز ، يلعب مع الغلمان ، فشجه صبى منهم ، فاحتملوا الصبى الذى شج ابن أمير المؤمنين ، وجاءوا به إلى بيت عمر ، فلما سمع الضجة خرج إليهم ، فإذا امرأة تقول : إنه ابنى وإنه يتيم .

فقال لها عمر : أله عطاء فى الديوان ؟ فقالت المرأة : لا ، فقال عمر : فاكتبوه فقالت زوجته فاطمة : أو تفعل هذا به وقد شج رأس ابنك ؟ سوف يشج ابنك مرة ثانية .

فرد عمر قائلا : ويحك إنه يتيم وقد أفزعتموه .

همة عالية

إذا غامـــــرت فى شرف مروم
فلا تقنـــع بمادون النجـــــوم
فطعـــم الموت فى أمـــر حقير
كطعـــم الموت فى أمـــر عظيم

الصحبة

إن كان خليلك فوقك ، فاصحبه « بالحرمة »
وإن كان مماثلًا لك فاصحبه « بالوفاء »
وإن كان دونك فاصحبه « بالرحمة »
وإن كان عالما فاصحبه « بالخدمة »
وإن كان جاهلاً فاصحبه « بالسياسة »
وإن كان غنياً فاصحبه « بالزهد »
وإن كان فقيراً فاصحبه « بالسخاء »

خوف الفقر

قال سفيان الثورى – رضى الله عنه :
ليس للشيطان سلاح على الإنسان مثل خوف الفقر ؛ فإذا قبل ذلك منه أخذ فى الباطل ومنع من

الحق ، وتكلم بالهوى ، وظن بربه السوء ، وهو من أعظم الآفات على الدين .

بم نلت العلم ؟

كان حمزة من خطباء العرب ، ومن علماء زمانه ضرب به المثل فى الفصاحة ، وطول العمر .

سأله معاوية يوما عن أشياء ، فأجابه عنها فقال له : بم نلت العلم ؟

قال : بلسان سئول ، وقلب عقول ، ثم قال يا أمير المؤمنين : إن للعلم آفة وإضاعة ، ونكداً واستجاعة ؛ فآفته النسيان ، وإضاعته أن تحدث به غير أهله ، ونكده الكذب فيه ، واستجاعته أن صاحبه منهوم لا يشبع أبداً .

حقوق الآخرين عليك

قال رجل للرقاشى :

ما يجب على المؤمن فى حق الله ؟ قال : التعظيم له والشكر لنعمته .

قال : فما يجب عليه فى حق السلطان ؟

قال : الطاعة والنصيحة

قال : فما يجب عليه فى حق نفسه ؟

قال : الاجتهاد فى العبادة ، واجتناب الذنوب .

قال : فما يجب عليه فى حق العامة ؟

قال : كف الأذى ، وحسن المعاشرة .

قال : فما يجب عليه فى حق الخليط ؟

قال : الوفاء بالمودة ، وحسن المعرفة .

سامحهم الله

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً
منى ، وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به
وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

الدنيا

صاحب الدنيا ببدنك ، وفارقها بقلبك وهمتك

« عبدالله بن عمر »

اجعلوها كلها عامرة

قيل : إن أبا دلامة الشاعر كان واقفاً بين يدى السفاح فى بعض الأيام .

فقال له الخليفة : سلنى حاجتك !!

فقال له أبو دلامة : أريد كلب صيد .

فقال الخليفة : اعطوه إياه .

فقال : وأريد دابة أتصيد عليها .

قال : اعطوه إياها ، قال : وغلاما يقود الكلب ويصيد به ، قال : اعطوه غلاما .

قال : وجارية تُصلح الصيد ، وتطعمنا منه

قال : اعطوه جارية ، قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك ، فلابد لهم من دار يسكنونها ، فقال : اعطوه دارا تجمعهم ، قال : وإن لم يكن لهم ضيعة ، فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أعطيتك عشر ضياع عامرة ؛ وعشر ضياع غامرة ، قال : وما الغامرة يا أمير المؤمنين ، قال : مالا نبات فيها .

قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين ، مائة ضيعة عامرة من فيافى بنى أسد ، فضحك منه وقال : اجعلوها كلها عامرة .

دعاء

اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين ؛ حربا لأعدائك ، وسلما لأوليائك ، نحب بحبك من أطاعك من خلقك ، ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك .

الأكراد

الوطن
الجنس
الدين

- ٣ -

للأستاذ ماهر زكريا الشيمى

خامساً : الأكراد فى العراق :

تعتبر الأجزاء العليا من نهر الفرات هى المهبط أو الأرض القديمة التى ظهر فيها الاكراد ، كما تعتبر الأجزاء الجنوبية من طوروس وسواحل دجلة الغربية (بوتان ، خربوط ، الزاب الأعلى) هى الوطن الأم للشعب الكردى فى الأزمنة التاريخية القديمة[١] .

يعيش الأكراد فى منطقة كردستان العراقية التى تضم حوالى أربعة ملايين كردى . يمثلون نحو ٢٠٪ من مجموع الشعب العراق . وتشمل هذه المنطقة شمال وشمال شرق الدولة ، فى أربعة ألوية هى : الموصل وكركوك ويعيشون فيها بنسبة ٥٢٪ . وأربيل بنسبة ٩١٪ والسليمانية بنسبة ١٠٠٪ . وهذا معناه : أنهم يتزايدون كلما أوغلنا فى المناطق الوعرة التى تمثل جزءاً كبيراً من أرض

(١) «الأكراد» ف . ف مينورسكى ترجمة معروف خزنة دار بغداد ١٩٦٨

كردستان . ولهذا فإن المشكلة الكردية هنا تمس صميم الكيان البشرى فى الدولة ، كما تمس مصالحها الاقتصادية وكيانها الاقتصادى . ذلك أن الأكراد يقيمون فى أكثر جهات العراق غنى . ويتمثل هذا الغنى فى الانتاج الزراعى ، والإنتاج الحيوانى ، كما يتمثل بصفة خاصة فى أهم وأعظم حقول البترول العراقية . ولاشك أن تفجر المشكلة الكردية يقلل ويحد من حجم الإنتاج بصفة عامة فى جميع قطاعاته .

ويجب أن يوضع فى الاعتبار أيضا الأهمية والقيمة الكبيرة للموقع الجغرافى ، والسطح لهذا الوطن الوعر المتضرس[٢] ، الذى أكسب سكانه الأكراد القدرة الكبيرة على التحمل ، والصبر على الحرب والقتال ، مما يتعذر معه قمع ثوراتهم ، بسبب تفوقهم فى هذه المناطق الجبلية . كذلك فإن هذا الموقع يجعل ظهرهم هنا محميا بأكراد تركيا وإيران والاتحاد السوفيتى ومن هنا كانت للمشكلة الكردية فى العراق أوزان وأبعاد لاتتصل بوضع معين أو تتعلق بمعاملة خاصة يشكو منها الأكراد ، وإنما هناك تعقيدات كثيرة نابعة من تدخل القوى ، والتيارات الأجنبية التى تجد فى إثارة الأكراد ثغرة للضغط على الحكومة العراقية . فقد كانت المشكلة الكردية فى العراق تتأجج وتثير المتاعب مع أن الأكراد هنا ربما كانوا أحسن حالًا منهم[١] فى إيران أو فى تركيا . فكم من ثورة عارمة قام بها الأكراد ضد الدولة ، ومع ذلك اتبعت معهم العراق سياسة المهادنة لأنها كانت أكثر الدول استعداداً للتعايش مع الأكراد الأمر الذى لم يحدث فى تركيا مثلًا .

والمعروف أن المناطق الكردية فى العراق كانت جزءاً من الدولة الإسلامية على عهد العثمانيين ، ثم احتلتها القوات البريطانية فى الحرب العالمية الأولى . وقد قررت عصبة الأمم فى ديسمبر ١٩٢٥ م إلحاق هذه المناطق بالعراق على أن يكون انتداب بريطانيا على العراق لمدة خمس وعشرين سنة . وقد أقرت بذلك تركيا فى عام ١٩٢٦ .

وقد تذمر الأكراد من هذا الوضع فتوالت ثوراتهم التى تعبر عن رفضهم هذا الوضع الجديد ، والتى تعبر أيضا عن عدم الخضوع ؛ فقامت الثورات فى أعوام ١٩٢٢ ، ١٩٢٤ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ (بزعامة الشيخ محمود من السليمانية) . وقد تحملت الحكومة العراقية الكثير من الجهد والمال فى قمع هذه الثورات . والجانب الخطير فى هذه الثورات هو أنها لاتعتبر ثورات داخلية بأى حال من الأحوال لارتباط أكراد العراق بإخوانهم فى تركيا وإيران والاتحاد السوفيتى . فما يحدث فى أى دولة من هذه الدول يتأثر به باقى الأكراد . لان التوزيع الجغرافى للأكراد يوجد عند التقاء حدود هذه الدول الخمس . وتجمعهم عند هذه الحدود (وكما يشبهوا ببقعة الزيت)[١] يجعل التضامن الثورى بينهم ممكنا بصرف النظر عن الدولة التى ينتمون إليها . كما يجعل فرار الثوار عبر الحدود أمراً ممكنا خصوصاً عندما تغمض حكومة إحدى هذه الدول عينها وذلك لتردى علاقاتها بالدولة التى تقوم فيها الثورة . مثلما كان يحدث بين العراق وإيران ، فكثيراً ما إتهمت إحداهما الأخرى بتشجيع الثوار ، وتسهيل أمر فرارهم عبر الحدود .

---

(١) قبل حرب الإبادة بالغازات السامة فى العامين الأخيرين .

(٢) التضاريس : مظاهر السطح ، وهو موجبة إذا كانت فوق منسوب سطح البحر ، وسالبة إذا كانت تحته .

(١) أنظر الخريطة .

ولم تكن المشكلة الكردية لعبة فى أيدى السوفييت وحدهم بل كانت أيضا لعبة فى أيدى البريطانين ، ووسيلة للضغط على حكومة العراق . فقد احتضنوا فى وقت من الأوقات فكرة إقامة دولة للأكراد تحت حمايتهم . ولم يكن ذلك بالطبع من قبيل العطف على أمانى الشعوب ، وإنما كان ذلك لسببين :

الأول ، أن هذه الدولة ستكون مرتكزاً لوجودهم السياسى والعسكرى فى هذا الموقع الحساس القريب من الاتحاد السوفيتى .

والثانى ، أن هذه الفكرة ستكون سيفاً مسلطاً على الوحدة القومية فى إيران وتركيا والعراق إذا ماساءت علاقة بريطانيا بدولة من هذه الدول . وكانت العراق أكثر هذه الدول تعرضاً لخطر هذه المشكلة بسبب أهمية المنطقة الكردية فيها من الناحية الاقتصادية لوجود حقول البترول الهامة لها . ولذلك كثيراً مااستغلت بريطانيا الأكراد العراقيين ضد الوحدة القومية فى العراق .

وترجع نشأة هذه الفكرة إلى ما قبل معاهدة لوزان ، حين أرادت بريطانيا بعطفها على الأمانى الكردية مضايقة القومية التركية الوليدة ، والتى أخذت فى النمو فى عهد الكماليين . كذلك كانت بريطانيا أيضا وراء النص على تحقيق الأمانى الكردية فى (معاهدة سيفر) . وكانت أيضا وراء ثورة الأكراد فى عام ١٩٢٥ التى صاحبت مناقشات عصبة الأمم لهذه المشكلة .

ولكن بريطانيا عادت وعدلت عن هذه الفكرة بعد أن أدركت خطرها إذ أن مثل هذا العمل سيضعف كر من تركيا وإيران والعراق ، وهو ما لا يستفيد منه إلا الاتحاد السوفيتى فضلًا عن أن هذه الدولة الكردية المقترحة قد تلقى بنفسها فى أحضان الاتحاد السوفيتى[1] ، الذى يلقن الأكراد دائما ويذكرهم بأنهم ليسوا عرباً ولاتركا ولافُرسْاً ، وإنما هم أكراد جديرون بأن يكون لهم قومية خاصة لها لغتها وأدبها . ولكن بريطانيا لم تظهر للأكراد أنها تخلت عن قضيتهم ، وإنما أعلنت أنها مازالت تعطف على أمانيهم . وقد أرادت بريطانيا من ذلك أن تكسب أمرين فى وقت واحد .

الأول : هو أن تحتفظ بالورقة الكردية لتلعب بها إذا ما اختلفت مع بغداد أو طهران أو أنقره .

والثانى : أن تقاوم أى نفوذ آخر فى المنطقة كالنفوذ السوفيتى مثلًا .

هذا ولم تنطفىء أبداً جذوة الإصرار الكردى فى المحافظة على أمانيهم فى إقامة الكيان القومى المستقل . ففى عام ١٩٤٣ تأسست فى العراق منظمة كردية جديدة تسمى (الكمالة) ، نشأت أولًا فى إيران ، ثم امتد نشاطها إلى المنطقة الكردية فى العراق . وتهدف هذه المنظمة إلى المحافظة على روح القومية الكردية وإلى إذكاء شعور الأكراد فى كل مكان للحصول على الاستقلال الذاتى .

وقد كان تشجيع الاتحاد السوفيتى وتحريضه على قيام الدولة الكردية فى إيران اثناء الحرب العالمية الثانية ، سببا فى اندلاع ثورة قبيلة (البرزانى) فى العراق عام ١٩٤٣ بقيادة (الملا مصطفى) . وقد تطلب قمعها الكثير من الجهد والمشقة والمال لانها استمرت مشتعلة بتحد كبير للحكومة العراقية حتى نهاية عام ١٩٤٥ . وقد

(١) « دراسات فى الجغرافيا السياسية » د. صلاح الدين الشامى

هرب قادة الثورة إلى إيران حيث انضموا إلى قادة الجمهورية الكردية القصيرة العمر التى قامت فى (مهاباد) . ولما سقطت هذه الجمهورية تابع البرزانيون هروبهم الى المنطقة الكردية فى الاتحاد السوفيتـى مما أدى إلى خلـق جانب خطير للمشكلة ، نظراً ، لأنه يوجد بين هؤلاء عدد كبير من ضباط الجيش العراقى السابقين والمعروفين بالكفاءة العسكرية .

وكان انضمام العراق لحلف بغداد (فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥) سببا لتوقف الضغوط والقيادات السياسية الغربية ضد العراق ، وتجميد مشكلة الأكراد فترة من الوقت . ولكن بعد خروج العراق من هذا الحلف (فى ٢٤ مارس ١٩٥٩) تجددت المؤامرات التى يحيكها الاستعمار ضد العراق ، وتجددت معها ثورة الأكراد فى عام ١٩٦٣ لتستنزف جهد الحكومة العراقية وتعطل مسيرة التقدم الوطنى . وهكذا كانت الدوافع الخبيثة تعمل من الخارج على تعميق هوة الخلاف فتزداد الثورة المنفجرة لهيباً وضراوة .

الحكم الذاتى :

وفى عام ١٩٧٠ كانت المصالحة بين الأكراد والحكومة العراقية . حيث أصدر مجلس قيادة الثورة العراقى (وثيقة) أو (بيان) ١١ مارس ووقعته الحكومة العراقية والحزب الديمقراطى الكردستانى بزعامة البرزانى ، ليحقق فترة مهادنة طويلة حددت بأربع سنوات ، بمنح بعدها الأكراد الحكم الذاتى .

وقد وضع هذا البيان الخطوط العريضة للحل السلمى للمشكلة الكردية وكان يمثل برنامجاً للعمل الوطنى .

وقد تحقق للأكراد من هذا الاتفاق عدة مكاسب ، أهمها اعتراف الحكومة العراقية لأول مرة للأكراد بالحق فى الحكم الذاتى . وأن يكون هناك نائب كردى لرئيس الجمهورية . وخمسة وزراء من الأكراد فى الحكومة العراقية . وأن تعتبر الأعياد الكردية أعياداً رسمية فى الدولـة . والاعتراف بالحقوق الثقافية للأكراد . وإنشاء جامعة السليمانية الكردية ، والمجمع العلمى الكردى . وان تكون اللغة الكردية لغة المنطقة الكردية الى جانب اللغة العربية ، مع المحافظة على حقوق الأقليات العربية فيها . وإنشاء محافظة (دهوك) كجزء من محافظة الموصل لتضم العناصر الكردية إليها .

وقد طرحت الجبهة الوطنية (التى تتكون من حزب البعث الحاكم والحزب الشيوعى العراقى) مشروعاً بقانون الحكم الذاتى لكردستان . وهو الذى أعلنته الحكومة العراقية فى ١١ مارس عام ١٩٧٤ . والذى يمنح الحكم الذاتى للأكراد فى الألوية الثلاث التى بها أغلبية كردية . وهى السليمانية ، وأربيل ، ودهوك على أن تكون مدنية أربيل عاصمة الاقليم .

قانون الحكم الذاتى :

ووفقكا لهذا القانون تتمتع منطقة الأكراد بالحكم الذاتى . وتعتبر وحدة إدارية واحدة ، لها

(١) «رسالة العراق» رجب البنا . جريدة الأهرام العدد ٣٧٥٣٥ ص.ب فى ٨٩/٩/١٤

شخصية معنوية فى إطار الوحدة القانونية والسياسية والاقتصادية للعراق . ومع التأكيد على أن هذه المنطقة جزء لايتجزأ من العراق . واللغة الكردية هى اللغة الرسمية فى هذه المنطقة ، إلى جانب اللغة العربية . كما أن اللغة الكردية هى اللغة التى يتعلم بها التلاميذ الأكراد فى المنطقة . وتدريس اللغة العربية إلزامى ايضا لهم فى جميع مراحل التعليم . ويخضع التعليم فى جميع مراحله فى المنطقة الكردية للسياسة التربوية والتعليمية العامة للعراق . أما القضاء فقد نص القانون على استقلاله فلا سلطان عليه لغير القانون . ولذلك فالقضاء فى المنطقة الكردية جزء لا يتجزأ من التنظيم القضائى فى العراق كله . وبالنسبة للسياسة المالية فالمنطقة الكردية جزء لايتجزأ من التنظيم القضائى فى العراق كله . وبالنسبة للسياسة المالية فالمنطقة الكردية وحدة مالية مستقلة ضمن مالية الدولة . كما أن لها ميزانية خاصة ضمن الميزانية الموحدة للدولة .

والأكراد يعبرون عن أنفسهم من خلال مؤسستين ديمقراطيتين هما ، (المجلس التشريعى) الخاص بهم فى المنطقة الكردية . وهو أحد جناحى الحكم الذاتى . وهو برلمان هذه المنطقة ، وأعضاؤه بالكامل من الأكراد . ويتكون من خمسين عضوا بالانتخاب المباشر . وأعضاؤه يتمتعون بالحصانة البرلمانية واختصاصات هذا المجلس تشمل اتخاذ القرارات التى تتعلق بتسيير المؤسسات والمصالح الحكومية المحلية ، والتصديق على مشروعات الخطط التفصيلية المتعلقة بالشئون الاقتصادية والاجتماعية ومشروعات التنمية الاقتصادية ، والتعليم ، والصحة ، والعمل فى إطار الخطة المركزية . ويقترح هذا المجلس الميزانية الخاصة بالمنطقة ، وإقرار الحساب الختامى . وله سلطة إدخال تعديلات على الميزانية الخاصة بالمنطقة بما لا يتعارض مع خطط التنمية العامة . ويدخل فى اختصاصاته أيضا مناقشة ومساءلة أعضاء المجلس التنفيذى . وطرح الثقة بالمجلس التنفيذى كله أو بواحد أو أكثر من أعضائه . ومدة هذا المجلس التشريعى ثلاث سنوات .

أما الجناح الآخر من جناحى الحكم الذاتى فهو (المجلس التنفيذى) للمنطقة الكردية . وهو الهيئة التنفيذية ، ويتكون من رئيس يختاره رئيس الجمهورية من بين أعضاء المجلس التشريعى ، ونائب للرئيس ، وعدد اعضاء هذا المجلس مساو لعدد الادارات المرتبطة به . ورئيس وأعضاء المجلس التنفيذى كل منهم بدرجة وزير . واختصاصات هذا المجلس تتمثل فى الإشراف على تنفيذ القوانين ، وإصدار القرارات اللازمة لسير العمل فى المرافق المختلفة . وإعداد مشروعات الخطط التفصيلية للشئون الاقتصادية والاجتماعية ، ومشروعات التنمية والتعليم والصحة والعمل .

ويتولى هذا المجلس تعيين موظفى إدارة الحكم الذاتى . ويعد تقريراً سنوياً يرفع إلى رئيس الجمهورية والمجلس التشريعى .

وفضلا عن ذلك فأن الأكراد ممثلون أيضا فى (المجلس الوطنى العراقى) وهو برلمان العراق كله . أى أن الكردى يعبر عن نفسه بالنسبة للمنطقة الكردية الخاصة بالحكم الذاتى ويعبر عن نفسه أيضا بالنسبة للوطن فى عمومه ، أى كل العراق .

نهاية المقال الثالث

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

تحقيق القول فى ليلة القدر

لصاحب الفضيلة الشيخ

عبد الرحمن تاج

عضو جماعة كبار العلماء

كثر الكلام حول ليلة القدر ، وأصبحت من المواضيع التى اختلفت فيها وجهات النظر عند بعض علماء المسلمين . لا من حيث وقوعها ، ولكن من حيث دلالتها ، وأصبح لكل منهم وجهة هو موليها ولكنهم مجمعون على أنها حقيقة واقعة بلا أدنى شك أو شبهة غير أن تناول البعض لها يوسع دائرة الفهم والاعجاز فيها ، فهل انقطع هذا الاعجاز أم أنه مستمر ؟!

ذلك ما يجيب عنه هذا البحث المحقق الذى يلقى الكثير من الضوء على هذه الليلة المباركة ، والذى يؤكد على أن بركتها دائمة ومستمرة إلى قيام الساعة . قال فضيلة الإمام رحمه الله :

إعداد وتقديم

الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العـــالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فهذه كلمات قصدت بها تحرير القول فى معنى ليلة القدر ، وبيان المراد بها أخذاً مما تفيده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تتحدث عن هذه الليلة فى معرض حديثها عن نزول القرآن الكريم .

والذى دعانى للكتابة فى هذا الموضوع أن كثيراً من الكتاب والخطباء فى أوقاتنا الحاضرة قد انتحوا بهذه الليلة فى مقالاتهم وخطبهم ناحية قد تعتبر ـ فى بادىء الرأى ـ من التجديد الشائق فى تفسير آيات الكتاب العزيز .

فأردت بهذه الكلمات أن أبين أن هذا الذى ذهبوا إليه فى تفسير سورة القدر ، وفى تعيين المعنى الذى اختاروه لليلة القدر ليس جديداً ، وإنما هو رأى قديم غير مشهور ، وأن السر فى أنه لم يسعد بالشهرة عند العلماء ومن يعنيهم أمر القرآن ممن تخصصوا فى تفسيره ، وكانوا أهدى من غيرهم فى فهم نصوصه ، هو أنه رأى ضعيف لاتنهض به حجة قوية ، ولا يساعد عليه أسلوب الآيات القرآنية نفسها فى حديثها عن هذه الليلة .

وقد ضمنت هذه الكلمات الأبحاث الآتية :

معنى ليلة القر ـ ونزول القرآن ـ شرف ليلة القدر وجلالة شأنها ـ هل هى ليلة واحدة فى عمر الدنيا أو تتكرر بتكرر الأعوام ؟ موقعها من ليالى السنة . والله الموفق والهادى إلى الصواب وحسن السداد .

« **ليلة القـدر** » : جاء فى القاموس ولسان العرب وغيرهما من كتب اللغة « القدر » بسكون الدال يطلق على معان :

منها الشرف وعظم الشأن ورفعة المكانة .

ومنها التعظيم والتبجيل ورفع المكانة .

ومنها تقدير الشىء وتحديده وضبط صفاته وأحواله .

فمن الأول قولك : فلان له قدر ، أى له شرف وعلو شأن .

ويصح أن يكون منه ومن الثانى قولك : المسلمون يقدرون الرسول قدره ، أى يعرفون له سمو المكانة ، أو يعظمونه حق التعظيم . ومن ذلك أيضا قوله تعالى فى المشركين : « وما قدروا الله حق قدره » أى ماعظمـوه حق عظمتـه ، وماقدسوه حق تقديسه .

ومن الثالث قولك : قدر الله الآجال والأرزاق قدراً ، بمعنى كتبها وحددها وضبط مقاديرها ومواقيتها وسائر أحوالها . ومن هذا القبيل قولك :

قدر فلان القذة بالقذة إذا ضبط الأولى بالثانية وحدد بها مقدارها فأتت على وفقها مساوية لها .

وبسبب اختلاف معنى القدر لغة ، وتنوعه على النحو الذى ذكرنا ، اختلف علماء السلف فى معنى القدر الذى نسبت إليه الليلة فى كلمة « ليلة القدر » :

فمنهم من قال : إن القدر معناه الشرف والسمو وعظم الشأن ورفعة المكانة . فليلة القدر هى ليلة الشرف والشأن العظيم وهى ليلة البر والخير والسلام والبركة .

ومنهم من قال : إن القدر معناه تقدير الأشياء وتدبيرها وضبط صفاتها وأحوالها .

فهذان قولان يدور عليهما الاختيار فى تحديد معنى ليلة القدر . ولا حاجة بنا للتعرض لغيرهما من الأقوال فإنه مما لا يكاد يعول عليه :

غير أنه ينبغى أن يُوقف عند كل من هذين القولين ليُسأل :

أولًا : إذا كان القدر معناه الشرف والعظم ورفعة الشأن فماذا كان شرف ليلة القدر ؟ وهل هى ليلة لها معينات سابقة على الرسالة وعلى نزول القرآن ، ولها وجود يمكن أن تميز معه باسم « ليلة القدر » ، حتى مع عدم مراعاة أنها الليلة التى نزل فيها القرآن ؟

وثانياً : إذا كان القدر معناه التقدير ، فما المراد بهذا التقدير ؟ وما هى الأشياء التى تقدر فى تلك الليلة ؟ هل هى خصوص أحكام الشريعة وقواعد الدين ، أو هى جميع ما أراد الله أن يجريه على العباد والأكوان مما سبق به علمه المحيط ؟

« أما عن الأول » فقد صرح القرآن فى سورة القدر تصريحاً لا يقبل الشك أن القرآن أُنزل فى هذه الليلة ، وأنها ليلة كلها خير وسلام من أولها حتى مطلع الفجر ، وأنها خير من ألف شهر .

« إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وقال تعالى : فى سورة الدخان :

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾

ولكن هل ما امتازت به هذه الليلة من الخير والبركة والسلام والأمن ، وما وصفت به من الشرف والسمو ورفعة الشأن قد اكتسبته من نزول القرآن فيها فحسب ، وأنه لولا ذلك ما كان ليثبت لها شىء من هذه المزية وما كان يطلق عليها إسم « ليلة القدر » ؟ أو أنها ليلة قدر وشرف ، لها من قبل الرسالة ونزول القرآن خصائصها وميزاتها ، ولها اسمها وسمو مكانتها ، وأنها من أجل فضلها وشرفها اختارها المولى من بين الليالى لينزل فيها ما نزل من القرآن .

قد مال إلى الوجه الأول الشيخ محمد عبده ، عليه سحائب الرحمة ، ولم ير أن لليلة القدر فضلًا ولا شرفاً ومزية إلا من أجل أن الله تعالى « قد أعلى فيها منزلة نبيه ، وشرفه وعظمه بالرسالة ، وأوحى إليه بما أوحى من القرآن الذى هو كتاب الهداية والسعادة والخير والبر والبركة » .

اختار ــ رحمه الله ــ هذا الوجه متابعاً فيه بعض من تقدم من العلماء ثم تبعه عليه كثير من أهل العلم فى عصرنا الحاضر .

وقد يكون لهذا الوجه ــ فى بادىء النظر ــ شىء من الوجاهة . ولكنا نرى فى الوجه الثانى عند

التحقيق أجود الرأى ،وأوجهه ، وأحقه بالنصرة والتأييد ، وذلك للمعانى التالية :

« **الأول** » : أن قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ إعلام من الله سبحانه لنبيه ــ بعد ما أوحى إليه فى تلك الليلة بما أوحى من القرآن الكريم ــ أنه كرمه بهذا الوحى فى ليلة القدر والشرف العظيم ، وأن هذه الليلة لها من الخصائص والمزايا ما جلاه لنبيه فى هذه السورة ، وفى مفتتح سورة الدخان . ولا يستقيم أن يكون ماللبلة القدر من المزايا وخصائص الشرف التى أُريد إعلام النبى بها مقصوراً على ما كان فى ليلة الوحى ؛ فانه عليه الصلاة والسلام يعلم حق العلم أنه قد أُكرم فيها بنزول القرآن ، وأنها من أجل ذلك ليلة مباركة كلها خير وسلام ، ويعلم حق العلم أنه قد جاء فيها الروح الأمين ، أمين الوحى ؛ ولابد أن يكون له علم كذلك بمن تنزل فيها من ملائكة الله . وعلى هذا يكون بعيداً جداً أن يكون المقصود إعلامه بشىء من ذلك الذى هو به جد عليم . وهل يكون مستقيماً ــ بعد ما عرف فضل هذه الليلة بنزول القرآن ، وعرف تنزل الملائكة فيها ورأى الروح الأمين رؤية العيان ــ أن يقال له : إنا أنزلنا القرآن فى الليلة التى اكتسبت الفضل والشرف بنزوله ، وبما تنزل فيها من الروح والملائكة ؟ أليس يكون ذلك إعلاما بما هو معلوم ؟

ومهما بذلت الجهود فى تلمس الوجوه لاستقامة هذا الإخبار فإنه على ذلك المعنى الأول الذى سار عليه الشيخ محمد عبده غير مستقيم .

والذى نراه أن قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ ظاهر جداً فى أن القدر والشرف وجلالة الشأن ثابتة لليلة القدر من قبل أن ينزل القرآن ، وأنها ليلة معروفة بذلك الاسم عند الله وعند من أطلعهم الله عليها من عباده وصفوة خلقه ، وأن هذا التعبير ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ من قبيل قولك : قدم فلان فى ليلة العيد أو ليلة الصوم أو ليلة كذا وكذا من الليالى المشهورة بمعنى من المعانى . فليلة القدر معروفة ــ كما قدمنا ــ بذلك الاسم الذى صار علماً عليها لما اختصت به من المزية والشرف . وهذه الليلة المعروفة بذلك الاسم ، والمخصوصة بتلك المزية وذلك الشرف من بين ليالى السنة ، أراد الله أن يعلم نبيه أنها هى الليلة التى اختارها لينزل فيها أول ما نزل من القرآن ، فيتناسب بذلك شرف الكتاب العظيم مع شرف الزمن الذى نزل فيه .

« **الثانى** » أن قوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ ظاهر فى أن ليلة القدر يتكرر كونها ، ويتجدد مجيئها ، فليست ليلة واحدة فى الدهر كله كما يقتضيه القول بأنها خصوص الليلة التى بدىء فيها بإنزال القرآن ؛ فإن الأصل فى صيغة المضارع أنها تدل على حصول معناها فى المستقبل ؛ ولو كانت هى الليلة التى نزل فيها القرآن وحدها لقيل : **تنزلت الملائكة والروح فيها** ، من حيث أن الحديث عنها حديث عن أمر وقع فى الماضى . وهذا شىء معلوم يعرفه جميع أهل العربية .

فإذا راعينا ــ مع ماتدل عليه صيغة المضارعة من معنى الاستقبال ــ أن الليلة التى أنزل فيها القرآن وفيها تنزلت الملائكة والروح معها قد أطلق عليها اسم ليلة القدر علمنا أن تنزل الملائكة والروح الأمين من خصائص هذه الليلة ، وأنه يتكرر بتكررها ، ويتجدد كلما تجددت .

«غير أنه قد يقال» إنه كثيراً مايعبر فى القرآن عن الأمر الماضى بصيغة المضارعة لاعتبارات

تختلف وتتنوع باختلاف المواطن وتنوعها . والاعتبار فى الموطن الذى نحن بصدده قد يكون إرادة استحضار صورة ذلك الماضى وافتراضه حاصلا ساعة الحديث عنه قصداً إلى كشف المعنى للسامع وتجليته أقوى تجليه ، وذلك من المقاصد البلاغية الرائعة التى يعرفها أيضا أهل العربية ، فإن الحديث عن الشىء ساعة حصوله أقوى وآكد وأوقع فى النفس من الإخبار عنه بعد ما يحصل ويمر زمنه .

« **والجواب** » أن ذلك لا يقدح فيما قلنا من أن الأصل فى المضارع هو دلالته على الشىء يكون فى المستقبل ، فإطلاقه على ما كان فى الماضى خلاف الأصل لا يصار إليه ولا يدعى أنه المراد ، إلا إذا كان هناك دليل يصرفه عن ذلك الأصل ثم يجيىء الاعتبار البلاغى كالاستحضار ونحوه مصححاً ومسوغاً إطلاق المضارع على المعنى الماضى

ولا يصلح الاعتبار وحده دليلًا على أن المراد من المضارع هو المعنى الماضى ؛ اللهم إلا إذا ثبت أن المتكلم أراد ذلك الاعتبار ، وقصد – فى مثل مسألتنا – إلى معنى الاستحضار ، وهذا ما لا سبيل إليه ، وليس الكلام قاطعا ولا ظاهراً فيه ؛ بل اللجأ إلى دعواه هو عين ما يسمى بالمصادرة كما يعرف ذلك أهل العلم .

« **وبعد** » فأنت ترى أننا – فى هذا الوجه الثانى من الاستدلال – قد اقتصرنا على ما تفيده صيغة المضارع ، ولم تتعلق بما تدل عليه صيغة « التفعل » من معنى التكرار والتجدد ؛ فإنه إذا كانت هذه الصيغة التى جاءت على نهجها كلمة « تنزل الملائكة » تدل على تجدد نزول الملائكة وحصوله مرة بعد مرة فليست نصاً فى أن ذلك التجدد يحصل فى أكثر من ليلة ؛ لأنه يصح أن يكون نزول الملائكة متتابعاً وعلى دفعات كثيرة فى ليلة واحدة ، تنزل طائفة منهم وتتبعها طائفة ، وهكذا حتى مطلع الفجر . وحيئذ لا يكون فى التعليق بحديث التجدد وتكرر الحصول الذى تدل عليه صيغة « تنزل » إثباتا للمطلوب الذى هو تجدد الليلة وتكررها بتكرر الأعوام .

« **الثالث** » : أن قوله تعالى فى سورة الدخان :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

يدل على أن ليلة القدر تتكرر وتتجدد ، وليست ليلة واحدة على ما يقضى به القول أنها الليلة الماضية التى نزل فيها القرآن ؛ وذلك لمجىء « يفرق » بصيغة المضارعة التى تدل بأصلها على أن فرق الأمر الحكيم وبيانه وتفصيله يكون فى المستقبل كما قدمنا الكلام عن ذلك فى قوله تعالى : « تنزل الملائكة » ، وأنه إذا كانت ليلة نزول القرآن التى سميت ليلة القدر قد فرق فيها الأمر الحكيم فذلك لأن شأن ليلة القدر ذلك : فرق فيها دائما كل أمر حكيم ؛ فيكون الحديث عن ذلك مقصوداً به الإعلام بأن نزول القرآن قد كان فى الليلة التى من خواصها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم .

« **الرابع** » : أن قوله تعالى :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

معناه أنه يبين فى الليلة المباركة ويفصل كل أمر موافق للحكمة والصواب متفق لاخلل فيه ولا اضطراب ؛ وذلك يفيد أنها ليلة تتكرر وتتجدد ، وليست هى خصوص الليلة التى بدأ فيها الوحى بشىء من آيات القرآن ، فإن ما نزل فى تلك الليلة – وإن كان أمر حكيماً من غير شك ولا امتراء – لا يمكن أن يقال فيه إنه هو كل أمر

حكيم . وسنعود قريباً إلى هذا بمزيـــد من التفصيل .

« **الخامس** » : ماورد فى صحاح الأحاديث من أن رسول الله ﷺ كان يتحرى ليلة القدر ، وأنه أمر الناس بالتماسها فى العشر الأواخر من رمضان :

١ ـ فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يجاوز فى العشر الأواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان .

٢ ـ وروى البخارى أيضا عن عائشة قالت : « كان النبى ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله » .

٣ ـ وروى كذلك عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .

٤ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما فيما رواه البخارى أن النبى ﷺ قال : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان : ليلة القدر ؛ فى تاسعة تبقى ؛ فى سابقة تبقى ؛ فى خامسة تبقى » .

٥ ـ وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يجاور فى رمضان العشر التى فى وسط الشهر ، فإذا كان حين يمسى من عشرين ليلة تمضى ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه ورجع من كان يجاور معه ، وأنه أقام فى شهر جاور فيه الليلة التى كان يرجع فيها ، فخطب الناى فأمرهم ماشاء الله ، ثم قال : كنت أجاور هذه العشر ، ثم قد بدا لى أن أجاور هذه العشر الأواخر[1] فمن كان اعتكف معى فليثبت فى معتكفه ، وقد أريت هذه اللية ثم أنسيتها فابتغوها فى العشر الأواخر ، وابتغوها فى كل وتر ، وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين ، فاستهلت السماء فى تلك الليلة فأمطرت فوكف المسجد فى مصلى النبى ﷺ ليلة إحدى وعشرين فبصرت عينى رسول الله ﷺ ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلىء طيناً وماء» .

٦ ـ وروى البخارى عن عبادة بن الصامت قال : خرج النبى ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم ، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة .

ففى هذا كله دلالات واضحة على أن ليلة القدر لها فضلها وشرفها ، ولها مزيتها وراء ماثبت لها بنزول القرآن فيها ، وأنها تتكرر وتتجدد ، وأن مظنة موافقتها هى العشر الأواخر من شهر رمضان ؛ فإنها لو كانت خصوص الليلة التى نزل فيها القرآن لما كان هناك معنى لتحريها ولا الأمر به بعدما انقضت تلك الليلة ومرت .

ولا يصح أن يقال إن النبى ﷺ لم يقصد بأمره بتحرى ليلة القدر ولا باعتكافه العشر الأوسط أو الأخير إلا إحياء ذكرى الليلة التى نزل عليه فيها القرآن وتكريمها ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن لتخفى عليه هذه الليلة العظيمة فيجهل موقعها من الشهر الذى كانت هى إحدى لياليه حتى يتحراها باعتكاف العشر الأخير من رمضان ويأمر بتحريها فى ذلك من يريد إحياء ذكراها فى كل عام . هذا بعيد غاية البعد ؛ وإذا لا يستقيم مايقوله بعض الناس اليوم ارتكاناً إلى مااختاره المرحوم الشيخ محمد عبده من أنه ليست هناك ليلة تسمى ليلة القدر غير تلك اللية التى نزل فيها القرآن ، وهى ليلة واحدة لاتتكرر ، وأنه لا معنى

للاحتفال بها فى كل سنة إلا أن يكون المقصود من ذلك إحياء ذكرى تلك الليلة كما نحيى ذكرى العظماء وذكرى الليالى والأيام التى اشتهرت بوقائع وحوادث لها خطر وشأن .

وإذا لم يكن لاحتفال الناس بليلة القدر معنى سوى إحياء ذكراها فماذا يقال فى تحرى رسول الله ﷺ هذه الليلة وأمره الناس بتحريها ؟

هنا نجد الأستاذ الإمام عليه الرحمة يعمد إلى الأحاديث الواردة فى تلك فيضرب عليها بكلمه ويرى أنه بذلك قد خلص منها :

يقول : إن تلك الأحاديث رواياتها مضطربة ، وأغلبها ضعيف ، والكثير منها موضوع ومثل ذلك لايصح الأخذ به فى باب العقائد .

ولكنه ــ رحمة الله ــ لم يبين لنا أى هذه الأحاديث موضوع وأيها ضعيف وبماذا كان ضعف هذا الضعيف ، ولم يكشف كذلك عن الاضطراب الذى يصح معه أن يضرب صفحاً عن أحاديث أخرجها البخارى وغيره عن جماعة من الصحابة يروى أحدهم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان » ، ويروى آخر أنه قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر فى العشر الأواخر من رمضان » ويروى ثالث قوله عليه الصلاة والسلام : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى ، فى خامسة تبقى » .

فهل هذا هو الاضطراب الذى يأبى معه قبول الأحاديث ؟

نحن لانجد بين ماأوردناه من أحاديث الأمر بالتحرى شيئاً من الاضطراب فى السند أو المتن بحيث يقدح فى صحتها ويوجب طرحها ؛ وكل مافيها إنما هو اختلاف بالإجمال والتفصيل ، أو بوضع لفظ مكان مرادفه . وإذا كان جميع الناس ــ إلا من لايعتد برأيه فى هذا المقام ــ على أنه يجوز رواية الأحاديث بالمعنى مادام ذلك لايخل بما قصد الرسول ﷺ إفادته من المعنى ، فالاختلاف الذى أشرنا إليه لايضر فى شىء ولايصح معه دعوى الاضطراب الذى تطرح من أجله الأحاديث .

« وبعد » فقد تبين مما قدمناه من الكلام على المعنى الأول لكلمة « القدر » أنه الفضل والشرف وعلو المنزلة ، وأن ليلة القدر لها شرف وفضل بنزول القرآن فيها من غير شك ، لكن لها ــ وراء ذلك ــ شرفاً وفضلًا بما حصها الله به مما سنعرض للكلام عنه فيما يلى ، وأنه من أجل ذلك قد اختارها الله تعالى لتكون ليلة افتتاح الوحى ونزول ماأنزل من القرآن .

« وأما عن المعنى الثانى » وهو « التقدير » فقد اختار الشيخ الإمام فيه أيضا خلاف ماجرى عليه جمهور المتقدمين من العلماء :

قال ــ رحمة الله عليه : « سميت الليلة ليلة القدر إما بمعنى ليلة التقدير ، لأن الله ابتدأ فيها تقدير دينه وتحديد الخطة لنبيه فى دعوة الناس إلى ماينقذهم مما كانوا فيه » .

فهو يحمل التقدير على خصوص مايكون بالقرآن من الارشاد والبيان وتحديد طريق السعادة والفصل بينها وبين طرائق الشقاوة والضلال ، ويقول إن هذا هو المراد مما ورد فى سورة الدخان من فرق الأمر الحكيم فى تلك الليلة « فالأمر الحكيم

هو أمر الرسالة والأوامر والأحكام لاشىء آخر سواها » هذا هو مايرتضيه من معنى التقدير ومعنى فرق الأمر الحكيم .

وغريب جداً أن يحمل التقدير على ذلك المعنى الذى لايخرج عما يتعلق بالوحى والرسالة وتحديد الدين أحكام الشريعة .

ونحن إذا كنا نتساهل فنقبل تأويل المرحوم الشيخ محمد عبده لهذا التقدير والتحديد ونقول إنه ليس بلازم فى تسمية الليلة ليلة القدر أن تقدر فيها جميع أصول الدين وتحدد جميع أحكام الشريعة بل يكفى أن يكون بدء ذلك كله فى تلك الليلة إذا كنا نتساهل فنقبل هذا التأويل فليس من السهل أن يقبل ما يؤدى إليه مما يضيع معه معنى الإخبار فى قوله تعالى «إنا أنزلناه فى ليلة القدر» أليس يكون معناه حينئذ : إنا أنزلنا القرآن ، أى ابتدأنا إنزاله فى الليلة التى بدأنا فيها بإرسال الوحى بالرسالة وبتحديد الشريعة وأحكام الدين ؟ وإذا يكون حاصل المعنى : إنا ابتدأنا إنزال القرآن فى الليلة التى ابتدأنا فيها بإنزال القرآن ، وهذا شىء لايقبله عاقل ولا يصح أن ينزل على مثله كلام عوام الناس فما بالك بكلام رب العالمين ؟

وكذلك الحال فى آية الدخان :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ ﴾

فإنه متى كان هذا الأمر الحكيم هو مايختص بالرسالة والوحى والأوامر والأحكام ــ كما يقول الأستاذ الإمام ــ كان المعنى أنه يفرق ويبين ويفصل فى تلك الليلة الوحيدة التى لاتتكرر ولاتتجدد على مر الدهور والأعوام كل أمر حكيم من أمور الدين وأحكام الشريعة . وإذا كان معلوما بالضرورة أن تلك الليلة التى نزل فيها أول مانزل من القرآن لم يبين فيها كل أمر حكيم من أمور الشريعة والدين ، فكيف يكون تأويل آية الدخان التى تنطق بأن الليلة المباركة وهى ليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم ؟

نحن نوقن بأن الأستاذ الإمام ــ عليه سحائب الرحمة ــ شعر ببعض الحرج فى تأويل الآية على النحو الذى يوافق مايرمى إليه من المعنى فأراد أن يخلص من هذا الحرج بتقرير «أن ابتداء نزول القرآن كان فرقا بين الحق والباطل وكل ما جاء منه كان كذلك ، ثم توالى النزول بعد الليلة الأولى بما هو من نوع مانزل فيها كما قال «إنا كنا مرسلين رحمة من ربك» ؛ فصح أن ينسب إليها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم ، لأن كل ما جاء فيها كان أمراً حكيماً فرق به بين الحق والباطل وبداية لما يكون بعده من مثله ، كما صدق قوله :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ .

مع أنه لايكون بينة وفارقا بين الحق والباطل إلا ما ظهر للناس منه وهو مانزل وبلغ اليهم بالفعل أو كان بسبيل أن يبلغ ، فليس الأمر الحكيم الذى يفرق فى الليلة المباركة إلا أمر الدين والأحكام» أ.هـ .

فهو يقول : إن مانزل من القرآن فى الليلة الأولى التى جاء فيها الوحى أمر حكيم فرق به بين الحق والباطل فكان كل أمر حكيم جاء به القرآن من أوله إلى آخره قد كان فى ليلة الوحى الأولى .

ونحن نقول إن هذا شىء فى غاية التكلف لاينبغى أن يلجأ إليه فى تفهم آيات القرآن الكريم .

يقرر الأستاذ الإمام أن كل ما جاء فى تلك الليلة كان أمراً حكيما . وهذا حق لامرية فيه .

ويقرر أن ما جاء فيها كان بداية لما جاء بعده من الأمر الحكيم . وذلك حق أيضاً لا ينازع فيه منازع .

ولكن ذلك كله لا يسوغ أن يقال إن بيان كل أمر حكيم قد كان فى تلك الليلة .

وليس من هذا القبيل قوله تعالى :

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾

فإنه إذا كان القرآن ـ كما يقول الأستاذ الإمام ـ يطلق على جميع الكتاب العزيز وعلى أى جملة منه ، وكان كله هداية ، وفى كل جملة منه هداية صح أن يقال : إن القرآن نزل فى شهر رمضان مادام قد نزل جزء منه فى هذا الشهر ، ولا سيما أن هذه الآية لم تقل أن شهر رمضان قد أنزل فيه القرآن كله كما جاء فى آية الدخان :

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾

على ما جرى عليه المتقدمون من العلماء .

فليلة القدر على هذا هى الليلة التى تقدر فيها الآجال والأرزاق والأقوات ، وتضبط فيها شؤون سائر الكائنات وتحدد صفاتها وأحوالها .

غير أنه ينبغى أن يعلم أنه ليس المراد من تقدير هذه الأشياء فى ليلة القدر بدء تقديرها وإنشاء تحديد مواقيتها وضبط شؤونها وأحوالها ؛ فان ذلك أزلى سبق به علم الله وإرادته منذ القدم ، وإنما معنى ذلك إظهار هذه الأمور للملائكة وكشفها لهم ليضبطوها فى صحفهم ويقوموا فيها بما أمرهم الله .

وهذا هو ما اختاره ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى وحرر القول فيه قبله الإمام النووى الذى اعتمد فيه على ما قرره الأئمة الأعلام .

قال النووى : قال العلماء : سميت ليلة القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأقدار لقوله تعالى :

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾

ورواه عبدالرزاق وغيره من المفسرين بأسانيد صحيحة عن مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم ، وقال التوبشتى : «إنما جاء القدر بسكون الدال وإن كان الشائع فى القدر الذى هو مؤاخى القضاء فتح الدال ليعلم أنه لم يرد به ذلك : وإنما أريد به تفصيل ما جرى به القضاء وإظهاره وتحديده فى تلك السنة لتحصيل ما يلقى إليهم فيها مقداراً بمقدار» أ. هـ .

أى فالقدر بفتح الدال هو تقدير الأشياء وتحديدها فى الأزل ؛ وهذا ليس الكلام فيه وأما القدر بسكون الدال فهو تحديد ذلك للملائكة وضبطه وإظهاره لهم فى الليلة التى تسمى ليلة القدر من ليالى كل سنة .

وخلاصة القول فى هذا أنه إذا أخذت كلمة «القدر» بمعنى التقدير فلا يصح أن يقصر هذا التقدير على تقدير أمر الرسالة وتحديد أحكام الشريعة ، وإنما هو تقدير كل شىء أراد الله إعلام الملائكة به وإطلاعهم عليه ليقوم كل منهم بما وكل اليه من ذلك . وهذا هو معنى فرق الأمر الحكيم . فالأمر الحكيم ليس هو خصوص أمر الرسالة والقرآن ؛ وأنما هو كل أمر اشتمل على الحكمة ووافق الواقع ، واقتضت الإرادة الالهية نفاذه فى

الكون من شؤون الدين والدنيا ؛ يطلع الملائكة منه فى ليلة القدر كل سنة على ما أراد كونه فيها .

وهذا هو الشرف وعظم الشأن الذى خص الله به ليلة القدر .

ويتلخص مما قدمناه أن ليلة القدر هى ليلة من كل سنة ، فتتكرر بتكرر الأعوام ، وإن الأحاديث الصحيحة قد طلبت تحريها والتماسها رجاء موافقتها بالعبادة وعمل الخير ، فإن الجزاء على ما يكون من ذلك فى ليلة القدر خير من الجزاء على ما يكون منه فى الف شهر .

ولكن أى ليلة هى من ليالى السنة ؟ وهل هى ليلة معينة فى ذاتها لاتتنقل فى أشهر السنة ، أو أنها تتنقل فيها ، أو فى شهر رمضان خاصة فى لياليه كلها أو فى العشر الوسط منه ، أو فى العشر الأواخر ؟

قد اختلف العلماء فى ذلك اختلافاً كبيراً . والذى رجحه ابن رشد فى مقدمات « المدونة » أنها تتنقل باختلاف الأعوام ، ولكن فى شهر رمضان خاصة . قال : وهذا هو الذى ذهب إليه مالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأكثر أهل العلم ؛ وهو أصح الأقاويل ، وأولاها بالصواب .

ويرى ابن رشد أنها تختص فى تنقلها ــ فى الأغلب من حالها ــ بالعشر الوسط وبالعشر الأواخر من رمضان ، وأن هذا القول هو الذى يتمشى مع جميع الأحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الشأن .

ويقول إن الأغلب أنها تكون من العشر الوسط ليلة سبع عشرة وليلة تسع عشرة ، ومن العشر الأواخر فى الأوتار منها .

ويقرر ابن حجر فى فتح البارى أن أرجح أقوال العلماء فى ليلة القدر أنها فى وتر من العشر الأخير ، وأنها تتنقل فى أوتار هذا العشر .

وقال ابن القيم فى « زاد المعاد » فى بيان هدى الرسول ﷺ فى اعتكافه ــ أنه عليه الصلاة والسلام كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ، واعتكف مرة فى العشر الأول ثم الأوسط ثم العشرة الأخيرة يتلمس ليلة القدر ، ثم تبين له أنها فى العشر الأخير فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عز وجل أ. هـ .

ويمكن أن يستخلص من هذا كله أن أرجح الأقوال فى ليلة القدر أنها تتنقل فى أوتار الثلث الأخير من رمضان .

وكذلك اختلف العلماء فى أنه هل لليلة القدر علامات تظهر لمن وفقت له ؟

والذى اختاره الطبرى أنه ليس لها شىء من العلامات ، وأنه لا يلزم فيها رؤية شىء أو سماعه . أما العلامة التى حدث عنها رسول الله ﷺ ــ فيما رواه البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى ــ أنه عليه الصلاة والسلام رأى فى منامه أنه يسجد فى ماء وطين وأن ذلك قد تحقق صبيحة ليلة إحدى وعشرين من رمضان فهى لا تدل على أن علامة ليلة القدر فى كل سنة أن ينزل فيها المطر أو يشتد ؛ كما لا يدل ذلك على أن ليلة القدر تكون دائما ليلة إحدى وعشرين من رمضان . وإنما كان ذلك علامة على ليلة القدر فى تلك السنة لاغير . قال ابن جرير وذلك أنا شهدنا سنين كثيرة ينقضى فيها رمضان دون مطر مع اعتقادنا أنه لا يخلو رمضان من ليلة القدر .

عبدالرحمن تاج
عضو جماعة كبار العلماء

من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور

محمد الطيب النجار

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فإن الوفاء خلق كريم ، أمر الله به رسوله ﷺ فطلب منه أن يذكر فى الكتاب أنبياء الله ورسله السابقين ، مقروناً هذا الذكر ، بما هم أهله من الثناء عليهم ، ووصفهم بالصفات الكريمة التى تحلّوا بها فى حياتهم ، وفى صلتهم بالله ربهم الذى حملهم أمانة الرسالة إلى أقوامهم .

وقد جاء القرآن الكريم بهذه الأوامر الإلهية فى آيات تتلى إلى يوم الدين فقال الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ ، ﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾

﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ (سورة مريم)

وغير ذلك من الآيات التى علم الله فيها نبيه أن يكون وفياً للأنبياء من قبله فيذكرهم بالخير ويثنى عليهم وعلى ما قاموا به من تبليغ رسالات الله

وما أعطاهم الله من منازل القرب منه ، وما جعل لهم من لسان صدق فى الآخرين .

وأمرُ الله لرسوله بمكارم الأخلاق أمر لأمته تلتزم طاعة لله واقتداء برسوله ﷺ ، فالمسلمون مأمورون بأن يكونوا أوفياء لمن سبقهم على درب الإيمان والدعوة إلى الله ، وأولى الناس بهذا الخلق الكريم هم العلماء الذين ورثوا العلم عن الأنبياء ، فأحرى بهم أن يكونوا فى القمة من الطاعة والاقتداء .

ومن هذا المنطلق أقدم هذه الكلمات المتواضعة ـ أمام أساتذتى الأجلاء ـ وفاء للعالم الفاضل الذى أنعم الله عليه بما أعطاه من علم بسنة رسول الله ﷺ وسيرته الشريفة وهو فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار الذى كان عضواً فى مجمع البحوث الإسلامية ، وقد خلا مكانه بوفاته ، وأراد الله أن أشغل هذا المكان بعده ، وإن كلماتى ـ التى أقولها وفاء له واعترافاً بعلمه وفضله وتعريفاً بشىء من جهوده فى خدمة العلم والدين ـ وإن كانت قاصرة على بلوغ هذه الغايات الشريفة فحسبى صدق النية فى ذلك ، والله من وراء القصد .

مولده ونشأته :

ولد ـ رحمه الله تعالى ـ بعزبة النجار مركز أبو حماد شرقية ، فى الخامس والعشرين من شهر يونية عام ١٩١٦ من أسرة علمية عريقة فى محافظة الشرقية ، وحفظ القرآن الكريم فى كُتّاب العزبة ، ودرس بالمسجد الأحمدى فى طنطا ، ثم التحق بمعهد الزقازيق ودرس فيه حتى نال الشهادة الثانوية عام ١٩٣٥م والتحق بكلية أصول الدين فى نفس العام وحصل على الشهادة العالية فى عام ١٩٣٩م والتحق بالدراسات العليا فى التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين إلى سنة ١٩٤٦م حيث نال شهادة العالمية من درجة أستاذ (تخصص المادة) فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، وهى شهادة تعادل درجة « الدكتوراه » .

الوظائف التى تقلدها :

• اشتغل مدرساً بمعهد الإسكندرية سنة ١٩٤٧م لمدة عام واحد ، واشتغل مدرساً فى معهد القاهرة من سنة ١٩٤٨م إلى سنة ١٩٥٨م .
• عين مدرساً فى كلية اللغة العربية من سنة ١٩٥٨م واستمر فيها إلى سنة ١٩٧٩م ، وقد وصل إلى وظيفة رئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية .
• عين وكيلًا للأزهر سنة ١٩٧٩م ثم عين رئيساً لجامعة الأزهر فى عام ١٩٨٠م ، وكان عضواً بمجمع البحوث الإسلامية منذ تعيينه فى منصب وكيل الأزهر ، وبقى عضواً فى هذا المجمع إلى أن توفاه الله .
• وكانت مدة رئاسته لجامعة الأزهر خمس سنين بدأت من عام ١٩٨٠م ، وانتهت فى ١٩٨٥م ، وله جهود طيبة فى هذه المدة لاتزال آثارها باقية إلى اليوم .
• أنتخب عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٨٣م واستمرت عضويته فيه إلى وفاته .
• كان مقرراً للجنة العلمية الدائمة بجامعة الأزهر فى التاريخ والحضارة .
• أشرف على المركز الدولى للسيرة والسنة النبوية فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
• كان عضواً فى المجالس القومية المتخصصة ، وقدم عدداً من البحوث لهذه المجالس .

إنتاجـه العـلمى :

• له كتب ومؤلفات عديدة وبحوث ومقالات فى الصحف والمجلات فى مصر وفى البلاد العربية ونذكر من مؤلفاته ما يلى :

١ ـ القول المبين فى سيرة سيد المرسلين ، وقد نال بهذا الكتاب الجائزة العالمية فى السيرة النبوية فى المؤتمر العالمى للسيرة المنعقد فى باكستان فى نوفمبر سنة ١٩٨٢م .
٢ ـ تاريخ الأنبياء فى ضوء القـرآن والسيرة النبوية .
٣ ـ الموالى فى العصر الأموى ، وكانت هذه رسالة (الدكتوراه) التى حصل عليها سنة ١٩٤٦م .
٤ ـ نظرات فى عهد الرشيد .
٥ ـ الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء والفناء .
٦ ـ من وحى البلد الأمين .
٧ ـ تدوين السنة النبوية ـ طبع ونشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وغير ذلك من المؤلفات كثير .

أسـفاره :

سافر إلى بلاد كثيرة إسلامية وغير إسلامية للاشتراك فى المؤتمرات العلمية ، والقيام بالتعريف بالإسلام وحقائقه المشرقة ، والاتصال بالجاليات الإسلامية فى البلاد التى سافر إليها ، ومنها : الهند ، وباكستان وسريلانكا ، وغينيا ، والسنغال ، وتركيا ، وقبرص ، وأمريكا ، وألمانيا ، بالإضافة إلى البلاد التى استفادت من علمه ورحلاته ومشاركته فى المؤتمرات التى عقدتها .

وكان ـ رحمه الله ـ فى جميع أسفاره وفى المؤتمرات التى شارك فيها مثلا كريماً للعالم المسلم ذى الخلق الكريم يمثل الأزهر خير تمثيل ويحمل اعتزازه به ، وذكره لفضله وجهود علمائه فى خدمة الإسلام فى كل بقاع الدنيا ، وقد رأيته فى مؤتمر السلام الذى عقد فى العراق عام ١٩٨٩م ـ ينبرى كالأسد الهصور غاضباً حين لمز بعض المتحدثين الأزهر بعبارات ظالمة ، فقام فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار يذكر المتحدث والسامعين بمكانة الأزهر وجهاده فى خدمة الدين واللغة وكان مما قاله : «وسيظل الأزهر مرفوعة هاماته ، عالية مناراته ، مؤدياً رسالته ، وفياً لدينه كالعهد به دائماً» .

أخـلاقه :

كان ـ رحمه الله ـ هادىء الطبـع ، لين الجانب ، محباً لإخوانه وأبنائه إذا عتب عليه أحدهم فى أمر كان سريع العودة إلى الحق ، قائلًا ـ فى تواضع العلماء الأجلاء ـ : عتابك على العين والرأس . وقد يكون العاتب من أبنائه ، ومع ذلك لا يجد غضاضة فى إرضائه وإزالة ما فى نفسه .

التقدير الذى ناله فى حياته :

كان ـ رحمه الله ـ فى موضع التقدير والتكريم من العلماء والعارفين مكانته العلمية وفضله ، وقد نال من التقدير الرسمى مع هذا :
١ ـ وسام الجمهورية المصرية من الطبقة الأولى عام ١٩٨١م .
٢ ـ وسام العلوم والفنون فى عهد الرئيس مبارك .
٣ ـ شهادة تقدير وشرف من ولاية تكساس بأمريكا عام ١٩٨٦م .

وتوفى ـ رحمه الله تعالى ـ فى الرابع من شهر أغسطس عام ١٩٩٠م ، بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال ، وألسنة الناس تلهج بالثناء عليه ، والله عنده حسن الثواب .

د. عبد الرحمن العدوى
عضو مجمع البحوث الإسلامية

من أعلام الأزهـــر

فضيلة الأستاذ الشيخ

عبد الظاهر عبد الكريم حسين

(١٩١٥ ــ ١٩٩٢م)

للأستاذ الدكتور / حسن علي العنيبسي

عالم موسوعى ، لم يشغله تخصصه الدقيق فى علوم اللغة والدين عن ثقافة العصر .. وقارىء نهم لا يدع كتاباً جديداً فى أى مجال من مجالات المعرفة دون أن يطلع عليه ؛ وهو فى هذا الاطلاع قارىء ناقد لايدع مؤلفاً دون تعليق أو تصويب أو أضافة ، تشهد بهذا مكتبته التى تملأ أرجاء داره الفسيحه حيث تضم العديد ، بل الآلاف من الكتب فى علم النفس ، والاجتماع ، والسياسة والقانون ، والأدب ، والفلسفة ، والعلوم ، والمذاهب الاجتماعية الحديثة ، فضلًا عن أمهات كتب التفسير والحديث ، والفقه ، والأصول .. تشغل دوراً كاملًا من داره فى الزيتون !

● ذلكم هو الشيخ عبدالظاهر عبدالكريم ــ رحمه الله ــ الذى خَرَّج أجيالًا من رجال الأزهر على مدى سنوات طوال تزيد على الأربعين سنة ، حملت هذه الأجيال مشاعل النور إلى أرجاء الدنيا .. !!

اشتهر الشيخ عبدالظاهر بعلمه الوفير ونشاطه الملموس فى الأزهـــر فى المعاهـــد ومطبعة الامتحانات ، وفى مجمع البحوث الإسلامية ، وجامعـــة الأزهـــر ، والمجالس القوميـــة المتـــخصصة .. ، والمجلس الأعلى للشئـــون الإسلامية .

تشهد له بذلك تحقيقاته العلمية الدقيقة لأمهات الكتب من المخطوطات فى النفقة والحديث

والتفسير ، ومؤلفاته التى استفاد منها تلاميذه وأبناؤه طلاب المعاهد الأزهرية ومحاضراته فى كلية البنات الإسلامية والرسائل الجامعية التى أشرف عليها أو تلك التى راجعها لطلابه من اساتذة الجامعات ، ودروسه بإذاعة القرآن الكريم ، ثم تلك المكتبة العامرة والتى يلقاك فيها كتابات مطولة للشيخ على كتب : (سميث) ، و (ريكاردو) ، و (كانط) ، والطوفى ، وأبى حيان التوحيدى ، والجاحظ ، و« جولد تسهير » ، والقاضى عبدالجبار ، والحَرَالّى ، ومدونه (جوستينيان) التى حققها عبدالعزيز فهمى باشا وللشيخ معها واقعة طريفة ، فقد اشتراها بجنيه لم يكن يملك سواه مما اضطره أن يعود إلى منزله فى شبرا مشيا على قدميه ، ثم يبيت طاويا .

إننا ـ فى الواقع ـ أمام رجل نهل من منابع ثقافية .. غربية وشرقية ، إسلامية عربية ، ومذاهب فكرية غربية .. ، ولهذا فما من كتاب صدر لمستشرق أو غيره إلا وللشيخ عليه تعليقات وحواش ومراجعات كان آخرها تلك المراجعات التى علق فيها على حسين أحمد أمين ، ثم محمد جلال كشك .. وهو فى كل هذا مدافع صُلْب عن الفكر الإسلامى الأصيل ..

مولده ونشأته :

● ولد الشيخ عبدالظاهر عبدالكريم بقرية « عُنَيْبس » مركز جهينة محافظة سوهاج فى الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٩١٥ م .

حفظ القرآن الكريم فى بواكير حياته فى (كُتَّاب القرية) على يد شيخه (أحمد هدية) ، وقد استطاع أن يحفظ كتاب الله كاملًا فى حياته الباكرة ..

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ عبدالظاهر ـ وهو فى هذه السن الصغيرة ـ قرأ على شيخه أحمد هدية أمهات كتب الأدب الشعبى مثل : السيرة الهلالية ، ألف ليلة وليلة ، حمزة البهلوان ، ذات الهمة ، عنترة .. الخ وكعادة أهل صعيد مصر ـ آنذاك ـ كانوا فى شوق إلى هذه السير ، قبل دخول التليفزيون والكهرباء إلى حياة القرية المصرية .

التحق الشيخ بمعهد طهطا الابتدائى ، وكان يرأسه فى ذلك الوقت ، ويقوم بتدريس الكثير من المواد فيه الشيخ محمود رفاعة عنبر الذى يعتبر أول أستاذ فى حياة الشيخ الأزهرية .

وبعد أن أتم الشيخ عبدالظاهر دراسته الابتدائية ، كان عليه أن يشد الرحال إلى مدينة (أسيوط) ليلتحق بالمعهد الثانوى ، وقد توثقت صلات الشيخ بأساتذة كبار من شيوخ الأزهر حينئذ مثل الشيخ حفنى الموشى ، والشيخ الحجار الأسيوطى ، والشيخ هاشم الاسماعيلى ، وكان محل تقديرهم لنجابته ، وكان بينهم وبينه مساجلات ومناقشات وأمدوه بعلمهم الوفير مما كان له أكبر الأثر فى التكوين العلمى للشيخ عبدالظاهر .

بعد أن حصل الشيخ عبدالظاهر على الثانوية الأزهرية شدّ رحاله إلى القاهرة ولم يكن بالأزهر ـ يومذاك ـ إلا كليات : اللغة العربية

وأصول الدين ، والشريعة ، فالتحق الشيخ بكلية أصول الدين التى كان مقرها (جامع الخازندار) بشبرا .

وتتلمذ - فى هذه الفترة - على أصحاب الفضيلة شيخه الشافعى الظواهرى الذى تأثر به كثيراً ، وظل يردد اسمه حتى قبيل وفاته ، فقد كان الشيخ عبدالظاهر أثيراً جداً لدى الشيخ الشافعى .

كذلك من شيوخه الشيخ اللبان الذى كان يقود تياراً مهما فى الأزهر مع الشيخ المراغى ..

التدرج الوظيفى :

● حصل الشيخ عبدالظاهر على «العالمية» مع الإجازة فى التدريس عام ١٩٤٥ من كلية أصول الدين ، ثم عين مدرساً بمدرسة الأقباط بطهطا ، ثم انتقل إلى الأزهر مدرساً ثم وكيلًا لمعهد سوهاج الدينى فى سنة ١٩٦٧ ، ثم عُيّن شيخاً لمعهد (مغاغة) الدينى فى سنة ١٩٦٨ ، ثم عُيّن مفتشاً ، ثم مفتشاً عاماً فى سنة ١٩٦٩ .

وفى سنة ١٩٧٦ صدر قرار بتعيينه مديراً لمنطقة القاهرة الأزهرية فمديراً للتعليم الثانوى سنة ١٩٧٧ ، ثم أصدر الإمام الأكبر قراراً بندبه - إضافة إلى عمله - مستشاراً للتوجيه والمناطق .

وفى سنة ١٩٧٩ أصدر الدكتور فؤاد محيى الدين نائب رئيس الوزراء قراراً بترقيته مديراً عاماً لتفتيش العلوم العربية والدينية ، ثم نائباً لمدير المعاهد الأزهرية إضافة إلى عمله ، إلى أن بلغ سن التقاعد فى سنة ١٩٨٢ فتقرر مد خدمته لمدة عام تقديراً لكفاءته العلمية والإدارية ، ثم ترك الشيخ الخدمة فى سنة ١٩٨٣ .

وتواصل عطاء الشيخ للأزهر فتم انتدابه أستاذاً بكلية البنات الإسلامية فى ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ ، وظل يعمل حتى اختصه الله بلطفه فمرض مرضاً ألزمه بيته ، فانقطع على أثره للعبادة والدراسة واستكمال بحوثه واستقبال محبيه وعارفى فضله إلى أن لقى ربه فى ظهر الأربعاء (١٠ من ربيع الآخر ١٤١٣) السابع من أكتوبر ١٩٩٢ .

مشاركة الشيخ فى الحياة العامة :

لم يقتصر النشاط العلمى للشيخ عبدالظاهر على التدريس فى الأزهر سواء فى المعاهد الأزهرية أو فى جامعة الأزهر وإنما امتد إلى الحياة العامة فشارك فى المؤسسات العلمية والبحثية وفى الندوات ، والمؤتمرات ، وقوافل التوعية الدينية ..

وكان من أبرز ما قدم الشيخ عبدالظاهر لقريته «عنيبس» هو إنشاء معهد ابتدائى إعدادى ثانوى للبنين ، ثم للفتيات وقد بذل فى سبيل تلك الغاية ماله ووقته لينهض بأبناء قريته وكان آخر عمل قام به - بتكليف من الإمام الأكبر - هو الرد على حُسين أحمد أمين فى كتابه (دليل المسلم الحزين) ، تشهد بهذا صفحات مجلة الأزهر .

كذلك أدى الشيخ خدمات علمية كبيرة لمجمع البحوث الإسلامية فى تقاريره عن مدى صلاحية بعض الكتب للنشر والتداول وكان - رحمه الله - يوصى بعدم مصادرة الكتب ، ويرى أن الفكر

لا يحارب إلا بالفكر ، ولقد قرأت فى أحد تقاريره عن كتاب «إن هذا الكتاب لا يساوى قيمة المداد الذى كتب به ، فقد شطح مؤلفه بعيداً وحاد عن الحق وأن المؤلف لم يعرف الإسلام جيداً ..» .

وفى نهاية تقريره كتب :

«اوصى بطبع الكتاب ، وطرحه للتداول على أن يتم الرد عليه على صفحات مجلة الأزهر» .

وأذكر أننى قلت له : مادام الكتاب بهذا السوء فلماذا توصى بتداوله ؟ فقال : يابنى **مثل هذا المؤلف يريد أن يظهر أمام الناس على أنه مفكر شهيد علم ، وأن الأزهر يحاربه وأمثال هؤلاء أصفار فلِمَ يعطيهم الأزهر هذه الفرصة .. ؟!!**

أما عن مشاركات الشيخ عبدالظاهر فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، فقد عمل بلجنة القرآن والسنة ، وأسهم فى إخراج أمهات الكتب الإسلامية للنور باسم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وكتب عشرات التقارير فى مطبوعات المجلس ، بل إن من هذه التقارير ما يمكن اعتباره كتاباً مستقلًا ، حيث كان الشيخ لا يكتب إلا مستنداً لأدلة وشواهد وحجج ، ومن أمثلة ذلك ما كتبه بشأن طبع ونشر كتاب «الصارم المنكى» ، وهو من الكتب التى تعثر التصريح بطبعها حتى كتب الشيخ عنه نحواً من مائة صفحة إذ كانت له رؤية محددة المعالم بالنسبة للفكر الإسلامى المخطوط ولعل تلك الرؤية انعكست على اهتمامات الشيخ إلى حد التفرغ للمخطوطات الإسلامية تحقيقاً وتدقيقاً .. !!

كذلك ، فإن للشيخ عبدالظاهر عشرات المراجعات الدقيقة لمؤلفات «زويمر» و«نولدكه» و«جولد اتسهير» ـ التى سبقت الاشارة اليها ـ وهى جميعها تربو على مائة صفحة وتحتاج الى من يتوفر لها لترى النور فى كتاب مستقل ..

أما تقاريره الجامعية سواء للرسائل على مستوى الماجستير أو الدكتوراه فهى أكثر من أن تحصى ولا يتسع المقام لسردها ، والشيخ يحتفظ منها بصور فى مكتبته .

ومن آثار علمه الغزير تلك التحقيقات لأمهات المخطوطات الإسلامية ، والتى تدل على طول باعه فى فن تحقيق (المخطوط) الإسلامى ، وقد تنوع إنتاج الشيخ فى هذا ما بين التحقيق والنقد والتأليف والمراجعات ، وقد ترك من بعده مخطوطات محققة ، وفى المطابع ، واخرى نسخها بيده ولم ينته منها ، وثالثة قد شرع فيها ولم يكملها .

ومن أهم تحقيقات الشيخ عبدالظاهر المخطوطات التالية :

١ ـ كتاب الإشارات الإلهية فى المباحث الأصولية للعلامة الطوفى .

وهو من المؤلفات الضخمة حيث يربو هذا الكتاب على الألف صفحة ، وقد تولت نشره (مؤسسة دار المعارف) فى سلسلة ذخائر العرب وقد أنصف الشيخ عبدالظاهر العلامة الطوفى بعد جحود ونكران لقيهما المؤلف من معاصريه ثم من جل العلماء المسلمين حتى اليوم ، وقد قال لى الكاتب أنيس منصور حين وافق على نشر

الكتـاب : « إن الشيـخ جعلنـى أتعاطـف مع الطوفى ، .. بل أحببت هذا العالم فعلًا » .

٢ ـ كتاب مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل : للعلامة الحُرَالّى وهو مخطوط صغير لا يزيد عن مائة صفحة وتصل تعليقات الشيخ فيه إلى ضعف المخطوط ، وهو من المخطوطات الرفيعة فى فهم القرآن الكريم ، وسوف تقوم على نشره (دار العروبة) .

٣ ـ كتاب رسالة الاستقامة للنجاة يوم القيامة . للحَرالّى أيضا .. وقد شرع الشيخ فى تحقيقه ، ولم ينته منه حتى عاجله القدر ، ونتمنى من يتطوع لاستكماله ليسهم فى إنجاز هذا المخطوط النادر .

٤ ـ كتاب الدرر فى تناسب الآيات والسور ، لابن حجر وهو من أهم المخطوطات فى علوم القرآن .

٥ ـ متشابه القرآن ، للقاضى عبدالجبار والمخطوط جاهز للنشر ولم يتم الاتفاق مع ناشر له حتى الآن .

٦ ـ نظام الفوائد وتقريب المراد للرائد ، لابن أبى يحى ويختص هذا المخطوط بأركان الإسلام فى حدود ٨٠٠ صفحة ولم يحقق الشيخ منه إلا (٢٠٠) مائتى صفحة ، ولدينا كبير الأمل فى رجال الأزهر ليكملوا ما بدأه الشيخ ولما ينتهى بعد .

٧ ـ شرح الورقات للعلامة الفركاح :

وقد شرع فيه الشيخ فقام بنسخة كاملا ثم كتب مقدمة التحقيق بين فيها منهجه فى تحقيق هذا المخطوط ولم يكمله .

● وتعليقات الشيخ على الكتب الإسلامية الرفيعة المستوى كثيرة جداً ومن أهمها تعليقاته على كتاب المغنى فى أبواب التوحيد والعدل للقاضى عبدالجبار ، حيث حقق الشيخ من جديد (١٣) جزءاً من هذا المخطوط المنشور فى ٢٠ جزء .

كذلك من تأليف الشيخ كتابه (أحاديث مختارة) وهو من كتب علم الحديث ، وقد قرره الأزهر على طلابه .

ومن مظاهر التقدير للشيخ عبدالظاهر :

من مظاهر التقدير التى حظى به الشيخ ـ رحمه الله ـ أن السيد رئيس الجمهورية منحه وسام الاستحقاق فى سنة ١٩٨٤ تقديراً لخدماته التى أداها لمصر وللأزهر على مدار خمسين سنة من حياته التى جاوزت السبعين عاماً .

وأخيراً وبعد حياة حافلة بالعطاء ، مثمرة بالعلم والجهاد طويت حياة ذلك العالم الجليل الذى ظل وفياً لعلمه وللكتاب حتى آخر لحظة فى حياته .. طيب الله ثراه ، وتقبله بقبول حسن ، وأنزله منازل الصديقين والشهداء إنه سميع مجيب .

العلوم الكونية

قراءة إسلامية فى كتاب الكون

بقلم : أ.د أحمد فؤاد باشا (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ (١) ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ
عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ
يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ
رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ
ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي ٱلۡأَرۡضِ
قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ
وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ
فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (١)

صدق الله العظيم

لقد دعا القرآن الكريم فى آياته الكريمة التى تعرض بعض مظاهر الكون إلى البحث عن الحقيقة بمنهج النظر الصائب ؛ للتعرف على سنن الله فى الآفاق وفى الأنفس ، وجاء ختم هذه الآيات بالتأكيد على أن فى ذلك آيات للمؤمنين وللموقنين ولقوم يعقلون ويتفكرون إلى غير ذلك مما يحث على النظر والتدبر بالغوص فى معرفة التفصيلات والأسرار التى تجعل الباحث الموصول بالله يهتف من أعماق قلبه ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (٢)

● أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

(١) سورة الرعد : ١ ـ ٤ (٢) سورة آل عمران : ١٩١

وتدلنا مكانة العقل المتميزة فى الإسلام على أصالة «العقلانية» فى الفكر الإسلامى الرشيد . ويخطىء من يظن أن العقل والعقلانية يشكّلان خطورة على الدين الذى من أصوله الطاعة والاستسلام . ولئن صحّ هذا على ديانات أُخَر شابتها الخرافات ، فلا يجوز ـ أبداً ـ أن ينسحب على الإسلام الذى أحكمت نصوصه ضبطاً وإحصاء ، واعتدلت مقاييسه من أى جور أو تناقض أو اضطراب ، ذلك لأن معجزة الإسلام ورسوله ـ ﷺ ـ عقلية وعقلانية ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (٣) .

وليس هناك من شك فى أن مثل هذا الخطاب الإسلامى الذى يحث على إعمال العقل بجميع وظائفه وملكاته كان له أعظم الأثر فى تشكيل العقلية الإسلامية القادرة على التفوق والإبداع فى مختلف مجالات النشاط الإنسانى ، والمهيأ لأداء أعمال حضارية تعلى من شأن الحياة على الأرض . وعندما أقبل المسلمون الأوائل على تحصيل العلم النافع بحثوا عنه فى كل مكان بدافع من إيمانهم ، واستجابة لدعوة القرآن الكريم لهم ؛ رغبة منهم فى أن يساعدهم علمهم هذا على تعميق إيمانهم وزيادة تقربهم إلى ربهم .

ويزخر تاريخ المسلمين بالعديدمن الأمثلة التى تدل على تمسكهم بمبادىء الدين الإسلامى الحنيف مهما استغرقوا فى علومهم أو علوم غيرهم ، التزاماً منهم بروح الشريعة الغراء . من ذلك ماروى من أن عمر بن الحسام كان يقرأ كتاب «المجسطى» فى الفلك «لبطليموس» على أستاذه الأبهرى ، فدخل عليهما أحد الفقهاء يوماً وسألهما عما يقرآنه ، فقال الأبهرى إنه يحاول أن يفهم معنى آية من القرآن الكريم وهى قوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ (٤) . ويقول الفخر الرازى معلقا على هذه الرواية : «ولقد صدق الأبهرى فيما قال ، فإن كل من كان أكثر توغلًا فى بحار مخلوقات الله تعالى ، كان أكثر علماً بجلال الله وعظمته» .

وهذا هو أبو عبدالله القزوينى ، الذى ينتهى نسبه إلى أنس بن مالك ، كان يدوّن كل مايقع عليه سمعه وبصره وكل مايهتدى إليه عقله وفكره من حكم عجيبة وخواص غريبة ؛ مخافة أن تفلت أو تشرد ، وأوصى فى كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» ، بإعادة النظر فى ظواهر الكون والحياة والبحث عن حكمتها وتصاريفها ؛ لتظهر لنا حقائقها وتنفتح لنا عين البصيرة ، وتزداد من الله هداية ويقينا ، فليس المراد بالنظر تقليب الحدقة نحو السماء ، فإن البهائم تشارك الإنسان فيه ، ومن لم ير من السماء إلا زرقتها ، ومن الأرض إلا غبرتها ، فهو مشارك للبهائم فى ذلك وأدنى حالًا منها وأشد غفلة كما قال الله ـ تعالى :

(٣) سورة النساء :٨٢

(٤) سورة ق : ٦

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (٥) .

وهذا هو الطبيب العربى المسلم ابن النفيس الذى اعتزم إصدار موسوعة فى الطب تقع فى ثلاثمائة جزء إلا أن المنّية عاجلته فلم يكتب منها سوى ثمانين .. ووصفوا له النبيذ أثناء مرضه ولكنه رفض تناوله ؛ لأنه يخاف أن يلقى الله وفى جسمه خمر .

هكذا كان علماء المسلمين حريصين على أن يكون العلم الذى يحصّلونه محروساً دائما بالإيمان الخالص وبالرغبة فى خير عباد الله ، ولايكون علماً ضاراً ومدمِّراً ـ كما هو الحال الآن ـ عندما تتسابق الأمم فى استعمال جوانب من العلوم وتقنياتها للتدمير وإشقاء البشرية . ويظهر هذا الطابع الإيمانى فى العديد من الكتب والرسائل التراثية التى تعكس اهتمام علماء المسلمين بتسخير المعرفة لخدمة القضايا الدينية وتسهيل أداء الفروض والعبادات والمناسك ، وتطوير طرق القياس والحساب لتحديد سمت القبلة وتعيين أوائل الشهور ومواقيت الصلاة والحج وحساب المواريث والوصايا والمعاملات وغيرها .

من ذلك ماقاله محمد بن موسى الخوارزمى رئيس بيت الحكمة فى عهد الخليفة المأمون عن كتاب ألفه : « ... وقد شجعنى الإمام المأمون أمير المؤمنين على إيضاح ماكان مستبهما وتسهيل ماكان مستوعراً ، فألفت من حساب الجبر والمقابلة كتاباً مختصراً حاصراً للطيف الحساب وجليله لما يلزم الناس من الحاجة إليه فى مواريثهم ووصاياهم ، وفى مقاسهم وأحكامهم وتجاراتهم ، وفى جميع مايتعاملون به من مساحة الأراضى وتطهير الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوهه وفنونه ، مقدما لحسن النية فيه ، راجيا أن ينزله أهل الأدب بفضل مااستودعوا من نعم الله تبارك وتعالى وجليل آلائه ، عندهم منزلته ، وبالله توفيقى فى هذا وفى غيره عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

إن هذه الروح الإيمانية الخلاقة التى تشبَّع بها علماء المسلمين هى التى جعلتهم يحسنون استخدام أدوات المعرفة السليمة وينهلون من مصادرها الحقيقية أينما كانت فى الأرض أو فى السماء ، فاستطاعوا أن يقدموا للحضارة البشرية رصيداً هائلًا من العلوم والاكتشافات والنظم والتقنيات ، لولاها لتأخر سيرُ المدنية وتعثرت مسيرة الحضارة . ويكفى أن نشير فى هذا المجال إلى علم المناظر (أو البصريات) الذى يدين بنشأته ووضع أصوله إلى عبقرى الحضارة الإسلامية الحسن بن الهيثم ، ويسجل تاريخ العلوم أن كتاب « المناظر » لابن الهيثم هو أول كتاب يضع الأساس السليم لعلم مستقل له أصوله وقوانينه ، وقد نُشِرَت ترجمة هذا الكتاب إلى اللاتينية عدة مرات ، واعتمدته جامعات أوروبا مرجعاً أساسياً لعدة قرون ، ولايزال المنصفون من مؤرخى العلم والحضارة يشيرون إليه بالثناء والتقدير كلما تحدثوا عن علم البصريات أو صنفوا فيه الكتب والمراجع . ذلك لأن باقى فروع العلوم الكونية ، من فلك وفيزياء وكيمياء وطب وصيدلة وجيولوجيا وغيرها ، لم تكن لتتقدم كثيراً وتحرز ماأنجزته من نجاحات لولا تقدم علم « المناظر » وأبحاث الضوء والأجهزة البصرية ، وفى

(٥) سورة الأعراف : ١٧٩

مقدمتها أجهزة المجاهر (الميكروسكوبات) والمقاريب (التلسكوبات) البصرية التي كان اختراعها في العصر الحديث بمثابة دفعة قوية لمواصلة البحث في أعماق الفضاء وسبر أغوار المادة والخلايا الحية ، أو لِنقُلْ : بمثابة أدوات جديدة تعزز حاسة الرؤية للجسيمات الدقيقة والأجسام البعيدة ، ومن ثم تساعد على مواصلة القراءة العلمية للمزيد من آيات الله المنبثة في جنبات الكون وظواهره .

ومع تطور أبحاث الفضاء وتقنية المركبات الفضائية في عصرنا الحاضر زادت طموحات الإنسان لمعرفة المزيد عن كواكب المجموعة الشمسية ، وهو الآن يعد عدته لإرسال أجهزته إلى الكوكب التاسع «بلوتو» الذي تمّ اكتشافه لأول مرة منذ عام ١٩٣٠ م ولا يزال حتى اليوم الكوكب الوحيد الذي لم يحظ بزيارة سفينة فضائية علمية مثلما حدث للكواكب الأخرى . ويتضمن المخطط التمهيدي للبعثة الفضائية إطلاق مركبتين بسيطتين تحمل كل منهما الأجهزة البصرية اللازمة للرصد والتصوير والتحليل والبث ، على أن تصل إحداهما إلى «بلوتو» قبل الأخرى بسنة واحدة . ويتوقع العلماء لهذه الرحلة التي سوف تبدأ في أوائل القرن القادم أن تستغرق حوالي ١٤ سنة للوصول إلى بلوتو الذي سيستعيد وضعه عام ١٩٩٩ م كأبعد كوكب يدور حول الشمس دورة كاملة كل ٢٤٨ سنة أرضية ويتحرك حوله قمر كبير يدعى «شارون» في مواجهة ثابتة على غرار ما يحدث لكوكب الأرض التي تواجه جانباً واحداً للقمر بصورة دائمة .

وإذا نجحت هذه البعثة الفضائية التي يُعدّ لها بعناية شديدة فسوف يكون بالإمكان تقصي ظواهر تابعة للزمن على كل من (بلوتو) وقمره (شارون) ، بالإضافة إلى القيام بزيارات مماثلة لدراسة فضاء ما بين الكواكب بالقرب من حدود مجموعتنا الشمسية . وربما يكون من مهام هذه البعثات التأكد من اقتراح العالم الفلكي «جوزيف برادي» بوجود كوكب إضافي بعد «بلوتو» أطلق عليه اسم «كوكب ×» تبلغ كتلته حوالي ثلاثة أمثال كتلة «زحل» ويقع على بعد (٩٩٢٠) مليون كيلو متر من الشمس وقد يدور حولها في زمن قدره ٤٦٤ سنة أرضية . وقد تقدم «برادي» باقتراحه هذا في عام ١٩٧٢ م بعد إجراء حسابات معقدة باستخدام الحاسب الآلي . وإذا ما تم اكتشاف هذا «الكوكب إكس» . في المستقبل فإن عدد الكواكب الموجودة في مجموعتنا الشمسية يكون قد بلغ أحد عشر كوكباً تشمل الكواكب التسعة المعروفة حالياً وهي : (عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو) بالاضافة إلى حزام الكويكبات الموجود بين المريخ والمشترى والذي يعتقد العلماء أنه بقايا كوكب متحطم .

وهكذا نرى أن قراءتنا في كتاب الكون تزداد مع التقدم العلمي والتقني عمقاً واتساعاً ، ليظل وعد الحق قائماً بقوله تعالى في كتابه المسطور :
﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٦)
صدق الله العظيم .

أحمد فؤاد باشا

(٦) سورة الإسراء : ٨٥

حول سرعة الضوء وتفسير المعارج (*)

بقلم الدكتور : محمود عبد المطلب جشان (**)

١ ــ تمهيد

إن الإسلام ليس دينا عالميا فحسب ، بل هو دين كونى ايضا ، فلقد أسلم لله البارىء المصور كل مافى السماوات والأرض من بشر وشجر وقمر وحجر وجبل وبحر ونهر ونجم وسديم . « وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » **(٢٨ سبأ)** «أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ » **(٨٣ آل عمران) . لذلك كان القرآن الكريم زاخرا بالآيات الكونية يتلوها القارىء فى السورة الواحدة جنبا الى جنب مع الآيات الشرعية .**

(*) استنادا لما تقدم فى مقال الأستاذ الدكتور منصور حسب النبى بعدد جمادى الاخره ص ٩٠٤ عن بحثه (المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية) وهو بحث القى فى مؤتمر (التوجيه الإسلامى للعلوم) وحيث إنه يعتبر الأول من نوعه وأن مناقشته مفتوحة ، والتعقيب عليه قائم ، لذا تقدم المجلة هذا المقال

(**) استاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة عين شمس

ولقد توفر الأعلام الأثبات من علماء الشريعة على درس وفقه الآيات الشرعية ، فاستنبطوا منها الأحكام ، ولم يتركوا شاردة ولا واردة من أمور الحياة إلا أفْتَوا الأمة فى كل شأن من شئونها ، بل إن تاريخ العلوم الإسلامية ليذكر أن الآيات الشرعية كانت دافعا لابتكار علوم دنيوية جديدة ، ولقد ابتكر الخورازمى علم الجبر (والمقابلة)[1] لخدمة علم الفرائض (المواريث) . وازدهر علم الفلك (الهيئة) على أيدى علماء المسلمين نظرا لاهتمامهم بحساب المواقيت من اجل إقامة الشعائر الإسلامية المفروضة . اما الآيات الكونية فكان حظها من الدرس والفقه قليلا ، على الرغم من أن المفسرين من عهد ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتفهمونها فى ضوء معلومات عصرهم[***] اما فى العصر الراهن فلقد حاولت طائفة من علماء الطبيعيات أن تقدم تفسيراً للآيات الكونية . وكان قصارى جهدهم التماس التوفيق بين نصوص الآيات الكونية ومعطيات العلوم الحديثة غير مبالين بالتفرقة بين ماهو تجريبى يقينى وماهو نظرى ظنى ، ولم يسلموا من الزلل فى بعض الأحيان كما سنرى فى نقدنا لواحد من هذه البحوث فيما بعد .

٢ ـــ حول تفسير الآيات الكونية

إن مفسر الآيات الكونية يجب عليه ان يشترط لنفسة شرطين لازمين :

أولا : تنقسم نتائج العلوم الحديثة إلى قسمين : عملى تجريبى ، ونظرى تخمينى . أما النتائج العلمية التجريبية فدرجة اليقين فيها أعلى من درجة اليقين النظرى ، وذلك لأن التجربة تعتمد على الرصد والتحليل العقلى لنتائج الرصد ، وذلك جريا على النهج القويم الذى أمر به القرآن فى الآية الكريمة « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ » (٣٦ الاسراء) . كما أن الباحثين التجريبيين لهم منهج يلتزمونه ، وهو أنهم درجوا على تقدير مايعرف بخطأ التجربة ، ولايزعمون بأى حال من الأحوال أن نتائج تجاربهم يقينية اليقين المطلق .

أما نظريات العلم (مثل النسبية والتطور) فمبنية على افتراضات وتصورات ذهنية تعتمد على حدس وتخمين الباحث نفسه ، ومن ثم فهى ظنية ولايجوز احتمالها على محمل اليقين . وللقرآن الكريم فى هذا الشأن حكمة بالغة وهدى مبين لقوله : إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا » (٣٦ يونس و ٢٨ النجم) .

وبما أن القرآن حق لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه فلايجوز تفسيره بالنظرى الظنى الدلالة كما سنرى فيما بعد من استخدام لنظرية النسبية لتفسير (العروج) الوارد فى كتابه تعالى .

ثانيا : تجب التفرقة بين الآيات الكونية المختصة بعالم الشهادة وتلك التى تختص بعالم الغيب . فما كان منها واصفا لآيات الله ـــ سبحانه ـــ فى عالم الشهادة فذلك نفسره ونشرحه بمعطيات العلم الحديث والتجريبى منه على وجه التعيين . وأما

---

(١) « كتاب الجبر والمقابلة » لمحمد بن موسى الخوارزمى

(***)من آخر هذه البحوث ، نشر بالمجلة بحث الأستاذ الدكتور محمد متولى أستاذ الجغرافيا بآداب القاهرة (مزج البحرين يلتقيان) جمادى الاولى ص ٦٣٠ .

ما كان منها ذاكرا لعالم الغيب فذلك لايجوز تفسيره بما نعلمه وندركه من عالم الشهادة .

٣ ـــ حول سرعة الضوء وتفسير العروج إلى الله تعالى

لقد نشرت مجلة الأزهر فى أعدادها لشهور جمادى الآخر ورجب وشعبان لعام ١٤١٣ هـ مقالا للأستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبى تحت عنوان «المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية» ليفسر فيه العروج وتدبير الأمر المذكورين فى الآية الخامسة من سورة السجدة تفسيرا فيزيائيا (طبيعيا) حديثا . ولقد أورد الكاتب الكريم كل مصطلحات (نظرية أينشتين) فى النسبية الخاصة والعامة ، وذلك فى سياق شرحه للآيات الكريمة وغيرها من الآيات التى تقارن «اليوم عند الله» بالألف(*) والخمسين ألفا(**) مما نعد من السنين . وهنا نلاحظ عدة ملاحظات :

(١) تفسير القرآن بنظرية فيزيائية مثل نظرية النسبية لايجوز وفقا للمعيار الذى أسلفنا عنه القول ، وهو أن لا يقاس الظنى على اليقينى . ولسوف أبين فيما بعد أن نظرية أينشتين فى النسبية تحتاج الى وقفة للفحص والتمحيص لتحرى حقيقة مغزاها وفحواها .

(٢) لم يستخدم المؤلف الكريم فى الواقع نظرية النسبية لإجراء أى حساب بالرغم من عرض نتائجها فى متن المقال المذكور وفى خاتمته بإسهاب ، وقصارى ما أجراه المؤلف من حساب هو **مقارنة المسافة التى يجتازها الضوء فى يوم (أرضى) بتلك المسافة التى يعبرها القمر فى مداره طوال ألف سنة** . وهذا حساب فلكى معروف اعتاد الفلكيون تداوله عندما يعبِّرون عن المسافات الفلكية فى أجواز الفضاء بدلالة السنة الضوئية .

(٣) هناك نواح علمية ذات صبغة فنية يصعب موافقة الأستاذ الدكتور منصور حسب النبى عليها ، ومنها مثلا :

(أ)استخدام مُرَكَّبة السرعة ـــ لشهر قمرى ما باتجاه السرعة عند نقطة متماثلة فى شهر سابق ـــ ليس له مبرر علمى البتة ، ولربما عَمد إليه الباحث الكريم لكى يستطيع الوصول إلى مقارنة طول مسار القمر فى ألف عام باليوم الضوئى على وجه التحديد . إن أخذ المركبة فى الحسبان يعنى عدم حساب المسار القمرى كاملا والذى يكافىء ١,١٢٢ يوما ضوئيا عند إعادة الحساب بدون تحليل السرعة .

(ب)استخدام مؤلف المقال المذكور الأزمنة النجمية باعتبار أن دوران الأرض حول محاورها ، ودوران القمر حول الأرض يحتسب بالاستناد إلى أحد النجوم الثوابت بدلا من احتسابه استنادا إلى الشمس فكيف يتلاءم هذا مع لفظة «مما تعدون» فى الآية الكريمة .

إننا فى الواقع تعد أيامنا من الشروق إلى الشروق ، أو من الزوال إلى الزوال على وجه الدقة يعنى بالاستناد الى الشمس وكذلك تعد الشهور من الهلال إلى الهلال ، وهذا ايضا بالاستناد إلى الشمس والاقتران بها . فى هذه الحالة يكون طول مسار القمر مكافئا لـ ١,١١٩ من اليوم الضوئى ،

(*) سورة الحج الآية ٤٧

(**) سورة المعارج الآية ٤

يعنى مسيرة الضوء فى يوم شمسى كما نقدره على كوكبنا الأرضى .

(٤) لقد فضل كاتب المقال المذكور استخدام لفظة (العروج) بمعنى (الانحناء) ليواطىء ما أتت به نظرية النسبية العامة من تأويلات . هذا فى حين أن القرآن الكريم يستخدم مادة عرج بمعنى (الصعود) وهذه هى آيات القرآن التى ذكر فيها العروج «يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور» (٢ سبأ) «هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير» (٤ الحديد) وهكذا يستخدم القرآن الكريم (العروج) فى مقابل (النزول) ، والصعود هو ضد النزول . ونفس المعنى نجده فى سورة الزخرف حيث نقرأ «ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون» (٣٣ الزخرف) إن المعارج هى المصاعد قرآنيا ولغويا .

(٥) إن «تدبير الأمر» و «العروج إلى الله» و «اليوم عند الله» المذكورة فى الآية الكريمة «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون . ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم» (٥،٦ السجدة)

من الأمور الغيبية . ويعزز من هذا الاستنتاج استتار فاعل الفعل «يعرج» فى الآية الكريمة ، فكيف يجوز لنا أن نتصور لهذه المغيبات سرعة أقصاها سرعة الضوء ، تلك السرعة التى يسرى بها تيار كهربى فى سلك كهربى يصل بين متكلمين فى هاتف (تليفون) . فتعيين سرعة لتدبير أمر الله فاطر السماوات والأرض أو للعروج إليه سبحانه وتعالى يقتضى التحرك والانتقال فى كون متسع الأرجاء متباعدها لدرجة أن البصر ينقلب إليك خاسئا وهو حسير كما جاء فى هذه الآيات البينات

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾

(١ — ٥ الملك) . إن الحركة من المحسوسات الطبيعية (الفيزيائية) المرئية ، ولسوف نبين كيف نرى الحركة ونقيس السرعة معتمدين على تحليل عملية الابصار ذاتها .

٤ — رؤية الحركة ومعادلات النسبية

إننى اضع فى هذا القسم بين يدى القارىء معادلات نظرية النسبية اعتمادا على برهان قاطع ولسوف يجد القارىء المختص أو غير المختص أن اشتقاق هذه المعادلات جد يسير مما يجعل هذه النظرية العتيدة فى متناول الناس كافة ، ولايجب أن نظن — كما يدعى اصحابها . أنها تعزّ على الفهم إلا من خاصة الخاصة ، فليس فى العِلْم كهانة ، وما مَثَلى ومَثَل القارىء إلا كسائريْن فى نور القرآن نهج نهجه ونتبع قوله «ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه

مسئولا » (٣٦ الاسراء) وقوله « قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ » (١١١ البقرة) .

إن العلم يكتسب بثلاث جوارح : السمع والبصر والفؤاد ، وهذا هو المنهج العلمى (التجريبى) كما اعتمده علماء هذا الزمان إبان النهضة الحديثة شرقا وغربا ، هدتهم إليه الفطرة حتى ولو على غير إسلام . وهذا هو نفس المنهج الذى نتبعه فى اشتقاق معادلات النسبية فيما يلى ولنفسرها تفسيرا محكما على غير ما فسرها به صاحبها أينشتين ذاته وشيعته من بعده .

فى علم الميكانيكا تُعّرف الحركة على أنها : تغير البعد بين نقطتين ماديتين بمرور الزمن . هذا التعريف البدهى ينطوى على عدة مبادىء جوهرية نجملها فيما يلى :

(أ)رؤية الحركة :

إذ ان اشتراط مادية المتحرك نابع من الرغبة لدى الراصد فى استغلال خاصية انعكاس موجات الصوت أو الضوء عند سطح الجسم المادى . والحركة تُسَمع ايضا كما يصنع البحارون فى أعماق البحار داخل غواصاتهم ، وكما يصنع الخفاش ايضا . والفحوص الطبية تستخدم الآن وبكثرة الموجات فوق السمعية لاستظهار ما استقر داخل جسم المريض .

(ب)نسبية الحركة :

نلاحظ من التعريف أن إدراك الحركة يتطلب وجود جسمين احدهما متحرك والآخر (دون أدنى تعيين أو تخصيص أيهما) يكون بمثابة مرجع استناد وليس لراصد أن يتصور أنه يدرك الحركة لجسيم منعزل لا توجد فى حيز حركته علامات يستند إليها « وعلامات وبالنجم هم يهتدون» (١٦ النحل) على حد تعبير القرآن الكريم ولقد تحطمت طائرة كانت تحط على أرض بيضاء من الثلج فى سماء بيضاء من الضباب فلم تجد علامة تسترشد بها فى أحد مطارات القارة القطبية الجنوبية . إذن فالسرعة نسبية بالرغم من وقوع الفكر فى الأحجية الشهيرة التى تدل على أن راصد النقطة المتحركة يرى نقطة الاستناد متحركة بالنسبة له ، أى أن كل راصد (مع كل نقطة) يرى نفسه مقيما ويرى صاحبه ظاعنا مسافرا .

(جـ)المكان :

لايمكن إدراك أبعاده فى معزل عن نقاط مادية متوزعة لتقوم مقام العلامات التى يستند إليها (على الأقل) لإجراء القيـــاس ودون أدنى تفلسف .

(د)الزمان :

يُدرك فقط من تتابع سلسلة من الوقائع (الحوادث) يستطيع الراصد من — من الناحية الإجرائية لا الفلسفية — ان يرتبها حسب تواليها أو تزامنها .

ومجمل القول : أن التحرك أمر مشهود ونسبى . هذا ماتقرره الميكانيكا التقليدية (الكلاسيكية) عند « جاليليو » ، و« نيوتن » أو الميكانيكا النسبية « لأينشتين » ولكن الاختلاف بين النوعين مردود إلى اختـــلاف التـــفسير والتأويل ، وزاد « أينشتين » وأشياعه تلبيس الزمان بالمكان بحيث يختلط كل منهما بالآخر دون فكاك وهذا ماسوف ندركه حالا فى سياق اشتقاق معادلات الحركة والسرعة . يتبع .

الجديد فى العلوم والتقنية

إعداد دكتورة / نجوى السيد أحمد
باحثة بالمركز القومى للبحوث

تحذير من الإفراط فى تناول الفيتامينات الصناعية

حذر الأطباء بأمريكا من تناول كميات كبيرة من مواد «فيتامين أ» و«ب٦» الصناعية ، لأن الكميات الكبيرة من «فيتامين أ» تزيد الضغط فى الرأس وتؤدى إلى مشاكل كثيرة تتعلق بالعظام والجلد ، وقد تؤدى أيضا إلى إصابة الكبد ببعض الأمراض . أما «فيتامين ب٦» فهو يؤدى إلى مخاطر بالجهاز العصبى إذا أخذ بكميات كبيرة دون استشارة الطبيب . وأكد هؤلاء الأطباء ماهو معروف من أن أفضل طريقة لتناول الفيتامينات هى من مصادرها الطبيعية ، أى من الأطعمة المختلفة .

آلة جديدة لإصلاح ورق الحائط

ابتكرت أحدى الشركات البريطانية آلة جديدة تسهل نزع ورق الحائط التالف واعادته إلى صورته الأولى . الآلة الجديدة تعمل بالبخار حيث يتم توجيه تيار منها على ورق الحائط لإبطال مفعول المادة اللاصقة ونزع الجزء المراد إصلاحه فتتم معالجته بسهولة ويعاد لصقه مرة أخرى ، وهى صغيرة الحجم ويمكنها العمل فى أى مكان من الجدران وبها خزان للمياه يستوعب حوالى نصف لتر وتعطى درجة الحرارة المطلوبة خلال ٦٠ ثانية فقط من بدء تشغيلها .

كمبيوتر مترجم ناطق

قامت إحدى الشركات اليابانية بإنتاج «كمبيوتر» مترجم ناطق بعدة لغات ، وقد أكد الخبراء أن الجهاز الجديد سيحل مشكلة اللغة عند السفر ، حيث يمكن للشخص أن يطبع الكلمات المراد ترجمتها وعندما يضغط على زر اللغة التى يريد الترجمة إليها يسمع على الفور صوتا يخبره بترجمتها .

علاقة الأظافر بالصحة

أكدت دراسة علمية حديثة وجود علاقة وثيقة بين بعض التغيرات التى تطرأ على الأظافر والإصابة ببعض الأمراض ، وأن أى اضطراب فى الدورة الدموية بالجسم يؤدى إلى بطء فى معدل نمو الأظافر .

يذكر أن أظافر اليد تنمو بمعدل تسعة أعشار المليمتر أسبوعياً . وأظهرت الدراسة أنه فى حالة أى اضطراب تصبح الأظافر أغلظ وأصلب ويتغير لونها ، وتميل إلى الاصفرار ، كما كشفت أن هناك أسباباً أخرى قد تؤدى إلى ذلك كالإصابة بمرض السكر ، أو تعرض القلب أو جهاز المناعة إلى خلل أو اضطراب .

مجاهر لرؤية الذرات المفردة

تشهد (تقنية) المجاهر «الميكروسكوبات» حالياً قفزة نوعية باختراع جيل جديد يستخدم بدلًا من العدسات مجسات حادة جداً تستطيع من خلال فحصها للسطوح عن قرب شديد جداً

لاتتجاوز ابعاده ذرة واحدة أن تقوم بتحليل ظواهر وخواص على مقياس تعجز عنه المجاهر الضوئية مهما بلغت قوتها . وقد ساعد هذا النوع من مجاهر المجسات الماسحة على رؤية عالم الجزيئات والدوائر الدقيقة على مستوى الأبعاد المقاسة بالنانومتر (أى بالجزء من ألف مليون جزء من المتر) .

طريقة جديدة لإنضاج الطماطم

لاشك أن طعم حبة الطماطم التى تم إنضاجها طبيعياً على تعريشاتها أفضل كثيراً من طعم معظم الطماطم التى يتم انضاجها بشكل صناعى بواسطة غاز الإثيلين ، ولهذا قام فريق بحثى فى البرازيل بتحليل بعض أنواع من الطماطم البرازيلية صغيرة الحجم تسمى «ألكوباكا **Alcobaca**» يمكن الاحتفاظ بها فى حالة جيدة عدة اسابيع ، فقد وجدوا أنها تحتوى على مادة كيميائية تسمى (١ – ٤ ثنائى أمين البيوتان "**1,4 - Butane diamine**") قدرها ثلاثة أضعاف ماتحتويه أغلب أنواع الطماطم الأخرى من هذه المادة ، وهى نوع من أنواع الهرمونات النباتية المعروفة وعن طريق حقن حبة الطماطم بمحلول مخفف من هذه المادة عبر ندبة الساق أمكن الحصول على أنواع من الطماطم تبقى طازجة عدة أسابيع ، وتحتوى على كمية من المادة الكيميائية مشابهة لمحتواها الطبيعى .

مظلات هبوط «باراشوتات» عالية الأداء

أتاحت نظريات العلم الحديث صنع مظلات هبوط قادرة على إنزال حمل بمقدار وزن سيارة صغيرة بأمان من طائرة تطير بسرعة أعلى من سرعة الصوت ، وذلك عن طريق تصميمات حديثة لألياف عالية المتانة تستطيع إبطاء حركة الصواريخ والقذائف وحجرات نجاة الطيارين ، إلى أقل مايمكن خلال بضع ثوان فقط لتحط بهم من ارتفاعات منخفضة دون ارتطام يذكر . ومن المتوقع خلال العقدين القادمين أن يحصل تقدم أكثر فى (تقنية) مظلات الهبوط بحيث تصبح قادرة على الانتشار بسرعات عالية جداً تصل إلى خمسة أضعاف سرعة الصوت وعندئذ سوف تضمن هذه المظلات لرواد الفضاء النجاة بأمان من السفن الفضائية المعطوبة .

من فوائد عنصر البوتاسيوم

«عنصر البوتاسيوم» من العناصر الهامة فى عضلات جسم الإنسان لكى تؤدى وظيفتها من انقباض وانبساط . ونقص عنصر البوتاسيوم فى الجسم يسبب ارتفاع ضغط الدم وضعف انقباض العضلات وخاصة عضلة القلب مما يؤدى إلى اضطراب فى دقات القلب وكذلك اضطراب فى الجهاز الهضمى . وأهم مصادر البوتاسيوم هى العسل الأسود وقشرة الحبوب «الردة» والأوراق الخضراء للخضروات والفواكه مثل الموز والفراولة والبرتقال .

آلة لإيجاد طبقة صناعية من «الأوزون»

توصلت إحدى الشركات البريطانية إلى اختراع آلة تستطيع تكوين طبقة صناعية من «الأوزون» . وتستطيع هذه الطبقة القضاء على الفطريات والبكتريا فى الأطعمة المحفوظة دون أن تغير طعمها .

الشعر والشعراء

بين الروح والجسد

للشاعر الدكتور: مصطفى صبحي

بين روحى وبين شهوة جسمى ... عشت فى شِقوة تميت وسجنِ
ما احتملت الحياة والجسم قيد ... يثقل الروح بالعذاب ويضنى
فتعاليت فاعترانى ذبول ... ورأيت الجمال يرق بفنى
شاهد الفكر فى الوجود جمالًا ... ما رأته العيون فى أى كون
ورأى القلب فى الفناء وجوداً ... من غرام وفرحة وتجن
وَسَرَتْ فى الوجود بعض أغان ... ما سرت فى الحياة فى أى أذن
إن لحن الجمال فى الروح سِرٌّ ... قد سما فى الوجود عن كل لحن
يا نعيم الحياة فى سرحة الرو ... ح لأنتَ المنى وأنت التمنى
آه إنى أرى الحياة سراباً ... آه إنى أرى الفناء بعينى
يا إلهى هب القلوب صفاءً ... يا إلهى على السموِّ أعنى
إن روحى ترى الفناء نعيماً ... فتسامت عن الوجود وعنى
آه لو يعلم الوجود سرورى ... لتعالى عن الهوى والتدنى

رمضان وغربة الإسلام

للشاعر: رشاد محمد يوسف

أشرق على الدنيا غداً بسّاماً ... واجعل خُطَاكَ محبةً وسلاماً
وانشر على الدنيا ظلالَ مَودّة ... تهدى القلوب وتُسعد الأياما
واغسل جراحات النفوس لعلّها ... تلقى لديك الصفو والإنعاما
رمضان والأحداث زاد ضَبَابُها ... فامح الظلام وبدد الأوهاما

نلقــاك والأشجــان تثقــل خطونــا ونكــاد نفقــد للأمـــور زمامـــا
فى كل شبر فتنـــــة وتآمـــــــر والخلف يُشْعِــلُ فى الربــوع ضرامــا

* * *

الطامعـــون تكاثـــروا من حولنـــا نشروا الخراب وأعلنــوا الإجرامـــا
قتـــل وتشريـــد وهـــتك محارم وتــعصب أعمــى يفــيض ظلامـــا
وإبـــــادة للمسلـــــمين كأنما هم وحدهـم فى العـــالمين يتامـــى
وكـــأنما الإسلام وهـــو المجتبـــى أضحـــى غريبـــا شرعـــة ونظامـــا
رخص الـــدم الغـــالى وهـــانت أمـــة كانت لقافلـــة الحيـــاة إمامـــا
كانت موحـــدة الخُطَـــا فتنـــازعت وتناثـــــرت وتمزقت أقسامـــــا

* * *

أتعـــود «بَدْرٌ» والعـــزائم تلتقـــى والـــنصر يرفـــع فوقنـــا الأعلامـــا ؟
أيعـــود خطـــو المسلـــمين مُوَحَّـــداً كالأمس يجمـــع مسلـــمين عظامـــا ؟
أيعـــود فكـــر المسلـــمين مُوَحّـــداً يحمـــى الحجـــا ويطهـــر الأقلامـــا ؟
أنعـــود ننفـــر للجهـــاد كتائبـــا نحمـــى الحنيفـــة موطنـــا ومقامـــا ؟
أنعـــود يجمعنـــا سيـــاج أخـــوة ونعـــود نحفـــظ بيننـــا الأرحامـــا ؟
أتـــرى نفيـــق من المتاهـــة والكـــرى ونـــودع الأحـــلام والأوهامـــا ؟

* * *

يامسلـــمين ، وفى الصيـــام بصائـــر للمـــدركين هدايـــةً وسلامـــا
فيـــه التراحـــم والتكافـــل والتقـــى فيـــه الـــولاء تجرداً وقيامـــا
فيـــه الجهـــاد يضم بين سطـــوره صُوَرَ الفـــدا والبـــذلَ والإقدامـــا
وتنـــزل القـــرآن فيـــه بليلـــة كانت على صدر الشهـــور وسامـــا

* * *

يامسلمـــون ، ومـــا لعينـــى لاتـــرى للمسلـــمين الصدر والإكرامـــا
عُودُوا تَعُـــدْ للمسلـــمين مهابـــةٌ صُفُّوا الصفوف ووحـــدوا الأقدامـــا
وتشربـــوا القـــرآن فى وجدانكـــم وتسابقـــوا للمكرمـــات كرامـــا
وتمثلـــوا خطـــو النبـــى وأصدقـــوا وتلـــمسوا فى المحنـــة الإسلامـــا
تتعطـــر الدنيـــا بطـــيب كتابكـــم تزهـــو الحيـــاة بدايـــة وختامـــا
عودوا فشهـر الصوم اكـرم صحـــوة وَلَكَـــمْ لبثنـــا فى الكهـــوف نيامـــا

يا بوسنة المسلمين في أوربا

للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين

لَبّتْ نِداءَك دون ما إبطـاء عبر الأثير قرائـح الشعـراء
وتداركتك وأنت فى غصص الـردى بقصائـد رنانـة عصمـاء
صيغت بأبلـغ ماتبث يراعـة مشحونـة بتفجـع ورثـاء
مشبوبـة الوجـدان توشك أن تحرق بالحمـاس صحائـف الأنبـاء
حشدت إليك من القوافى جحفـلا ليصد عنك غوائـل الشحنـاء[1]
فقذائـف الموت الـزؤام تردهـا للقـاذفين بلاغـة البلغـاء !
وتمد جوعانـا بأوفى طُعْمَـة وتشق للظمـآن جدول ماء
ويُغَـاث شعب بالحِمَـامِ محاصر بشقـاشق الكتـاب والخطبـاء

★ ★ ★

وتحوقـلت فوق الموائـد ألسن وتـرحمت أسفـاً على الشهـداء
ومضت لتـلتهم الطعـام بلهفـة وتـدور فى أشداقهـا بغنـاء

---

(١) جحفلا : جيشا ، الشحناء : العداوة

وتظل تحصد فى رقاب المؤمنين م مناجل الإلحاد دون وقاء !
وتُغال أعراض الكرائم عنوة فى قصف عربدة وذل سِبَاء!
والعالم الغربى يشهد فى تَلَهٍ وابتهاج لوعة البؤساء
الكل حول وجهه فى غبطة عنها وآثر وصمة الإغضاء !
شكوى سليب الحق إرهاب يُجَازَى عنه شر جزاء !
وجرائم العاتى دعابة مازح مغفورة مشمولة بِحِبَاء[٢]
أين الحضارة والرق إذن وأين مبادىء الأديان والحكماء ؟
أين القضاة العادلون ، وأين حراس السلام ، وأعين الرقباء ؟
إن التشدق بالعدالة فى المحافل فِرْيَة صارت بغير غطاء[٣]
هذا لعمرى عصر مصاصى الدماء بغير إحساس ودون حياء
تالله إن الوحش أرحم من بنى الإنسان إن قدروا على البراءا
والعالم الشرق أصبح خامداً وكأنه جسد بغير ذِمَاء[٤]
هذا هو الخذلان ينعق بومه والعار يلطخ أوجه الأحياء
إنى لأقسم أنه الوهن الذى أوْدَى بعزة أمة قعساء[٥]
حتى الذى منها تَمَلَّكَ رادعا صب الدمار به على القُرَباء
قد كان فى أوطانه شرا ويحسب أنه من خيرة الزعماء

* * *

يا مَنْ إلى الإسلام ينتسب اسمه طأْ طئْ برأسك وامش فى استحياء
واخضع لكل مُدَجَّج بسلاحه يمشى عليك بأرجل الخُيَلاء
أو فاندثر فى ركن قاع مظلم فالأرض ليست مسرح الضعفاء
أنت الضعيف فما لذاتك حرمة كلا ، ولا واق من الأنواء[٦]

---

(٢) حباء : عطاء .
(٣) فرية : كذبة .
(٤) ذماء : بقية روح .
(٥) أودى : أهلك ، قعساء : عالية مرتفعة
(٦) الأنواء : العواصف والمراد الكوارث والفتن

ذهب الحصيـــف من الحيـــاة بدرهـــا وذهــبت أنت محمـــلا بغثـــاء
اليوم فى (البلقان) أو فى (الشام) أو فى (الهند) سيل من نجيع دماء وغدا
سيجـــرى ذبـــح كل موحـــــد فى سائـــــر الأصقـــــاع والأنحاء
تلك المجازر قد أُعِـــدَّت سالفـــاً للمسلـــــمين بغفلـــــة البلهـــــاء

* * *

لا لاتلـــم من رام ذبحك عنـــوة أو لف عيشك فى ضَنَـــىً وشقـــاء.
أنت الـذى ـ فى غفلـــة وجهالـــة مكـــنت منك خناجـــر الأعـــداء
أنت الـذى سلمت رأسك للـــذى ألقـــى بها فى ملـــعب السفهـــاء
شحـــــذ السلاح لصدرك العــــارى فرحت تحيطـــــه بمودة وولاء
يسقـــيك سما فى كئـــــوس طلاوة فتظنـــــه يسقـــــيك خير دواء

* * *

ما أعـجب الأحـــداث وهـــى تمر ناطقـــة أمـــام بصائـــر عميـــاء !
أيُقَابَـــل الـــوحشُ المغير برقـــة ووداعـــة وحفـــــاوة وصفـــــاء !
أيُنَـــازَل الباغـــى المدجـــــجُ بالسلاح بأذرع مرعـــــوشة عزلاء ؟
أو تُرْتَجـــى فى ذلـــة ومهانـــة تحت السيـــوف شفاعـــة الشفعـــاء ؟
هلك الـذى ظن الضوارى من بنـى الإنسان تحمـــل شِيمَـــة النبـــلاء

* * *

يا معشر الإسلام لاقـــوا ربكـــم فالأرض قد صَفِـــرَت من الـــرحماء[٧]
أو فاستـردوا ما وَهَـــى من بأسكـــم واستبسلـــوا فى عزمـــة ومضاء
فالحق يؤخـــذ من براثـــن غاصب بالسيـــف لا بالقـــول والإحنـــاء[٨]
إن الحيـــاة بسالـــة فى غمـــرة والموت معقـــود على الجبنـــاء

(٧) صفرت : خلت
(٨) براثن : مخالب .

يا محمد

للشاعر: إبراهيم عيسى

يا أيها الأمى .. يانور الورى ... بك تستعز على السما الغبراءُ
إقرأ .. فإنك للوجود معلمٌ ... ومهذِّبٌ ومشذِّبٌ ورجاءُ
للعلم جئت وباليقين أتيتنا ... ينبوع نور حوله حنفاءُ
ضَوَّأتَ ليل الكون وهو محيَّرٌ ... تشكو إليك جروحه البكماءُ
دقت أكف الفجر أبواب الدجَى ... وهمى على الدنيا سناً وسناءُ
أنْبَتَّ للناس الحياة كريمة ... للحب فيها موعد ولقاء
وفرشت درب الظامئين غَمائما ... فتبسمت حول الربى الأنداء
ودككت بالنور الرحيم معاقلًا ... شابت لديها أنفس صمّاء
وحميت دمعُ البائسين وصنته ... أن تسترق دموعهم بأساء
والدين نبع والنفوس ظماء ... والمسلمون تراحم وإخاء
ولآى ربك يا محمد لم تزل ... تجثو العقول ويخشع العلماء
أكملت آى الأنبياء بآية ... الحق فى جنباتها لألاء

ربيع الروح

شعر السَّيد الصَّديق حافظ

«رمضانُ» «أقبلَ قُمْ بنا ياصاحِ»
هذا أوانُ تَبَتُّلٍ وصَلَاحِ !
الكونُ معطارٌ بطيبِ قُدُومِهِ !
روْحٌ وريحانٌ ونفحُ أقاحِي !
«صفْوٌ أتيحَ فخُذْ لنفسكَ قِسْطَهَا
فالصفْوُ ليْسَ على المَدَى بمُتَاحِ» !

(١) فى البيت الأول والبيت الثالث تضمين أو استعانة من قصيدة أمير الشعراء المشهورة ومطلعها : « آذار » أقبل قم بنا ياصاح ... حى الربيع حديقة الأرواح .

واغنَــــمْ ثوابَ صيامِـــــه وقيامِـــــه
تسعـــدْ بخيــــرٍ دائِــــمٍ وفَــــلاح !

* * *

كم مؤمــــنٍ لم تُلْهِـــهِ الدُّنْيَـــا فَلَـــمْ
يستبـــدل الأتْـــرَاحَ بالأفْـــراح[2] !
قَوّامِ ليـــلٍ نائـــمٌ عنـــه الكَـــرَى
ونهارُه الصَوَّامُ واعٍ صَاحِ !
وحليـــفِ شيطـــانٍ غوىٍّ لم يزَلْ
عبـــداً لبـــنتِ الكـــرمِ والأقْـــدَاحِ !
فى لَيْلَـــةٍ زُمَـــرُ المعـــاصى تَنْـــتَشى
ونهاره فى غفلـــــة ومــــزاح !
« رمَضانُ » لايَثْنِيـــه عنْ آثامِـــه !
واهـــى العقيـــدة فى إهَـــابِ وَقـــاح !

* * *

الصَّوْمُ يُعْلِـــى مِنْ وَضيـــع غرائـــزٍ
وطبائـــعِ سُودِ الوجُـــوهِ قِبَـــاح
تلك الغرائـــزُ كَمْ لَهَـــا مِنْ صَوْلَـــةٍ
مسْعُـــورَةِ الأنيَـــابِ ذاتِ نُبَـــاح !
والنّـــفْسُ إنْ سَفَّتْ وهِـــيضَ جَنَاحُهـــا[4]
فالصَّوْمُ مِعْـــراجٌ بِغَيْـــرِ جَنَـــاح !
الصّوْمُ يمنحنـــا مشاعـــرَ رَحْمَـــةٍ
وتعـــاونٍ ، وتعفُّـــفٍ ، وسَمَـــاح !
رمضانُ » فيـــه ليلـــةٌ خيـــرٌ لَنَـــا
مِنْ ألْـــفِ شهْـــرٍ فى الزَّمـــانِ صِبـــاح !

---

(٢) الباء تدخل على المتروك فى هذا التعبير قال تعالى : «أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير» .
(٣) واهى = ضعيف . إهاب = جلد .
(٤) سفت دنت من الخطايا المعنى : إن تدنت النفس فى الخطيئة فان الصوم يعرج بها ، وينأى بها عن الرذائل .

فيها تَنَـــــــــــزَّلُ بالسَّلامِ مَلائِكٌ(٥)
والـــرّوحُ حتـــى مطلـــع الأصبْـــاَح !
قد أُنْــــزِلَ القــــرآنُ فيها جامعـــــاً
لمراشِدِ التهذيب والإصْلاح !
ومصدِّقـــاً للــــرُّسْلِ فيمـــا بَلّغُـــوا
عن مُنْــــزِلِ الأسْفَــــارِ والألْــــوَاحِ !
هذا كتــــــابُ الله زادُ مُسَافــــــرٍ
وبـــــرودُ ماءٍ فى الهَــــجِير قَرَاح(٦) !
أقبـــــلْ عليـــــه فإن من نفحاتـــــه
تقــوى القلـــوبِ ، وبهجـــةَ الأرواح !
ياليلـــةَ القـــدْر امنَحِـــى أيامَنـــا
فضلَ الكريـــم المنعـــم الفتَّـــاح !
ربـــاه إنّــــى فِى ضَلاَلٍ حائـــــرٍ
عانٍ أنـــوءُ بحِمْلِـــى الفَـــدَّاح !
هَذِى خُطـــاىَ على الطريـــقِ ضريـــرةٌ
يكْبُـــو غُدُوِّى باكِيـــاً ورَوَاحِـــى !
ثارتْ بِىَ الشهـــوَاتُ فاصرفْ شرَّهَـــا
عَنِّـــى وكَفْكِـــفْ ثَوْرَتِـــى وجِمَاحِـــى !
يانُـــور هذا الكـــونِ هَبْ لبَصِيَرتِـــى
قبساً من المِشْكَـــاةِ والمِصْبَـــاح !
إنى لِمَـــا أنْـــزَلتَ مِنْ خيـــرٍ فَقِيـــرٌ
فاغْنِنِـــى وامـــلأْ بعفْـــوِكَ سَاحـــى !
وامُـــــــــدد يَديْك إلى إنى هَالِك
وامنُـــنْ عَلَـــىَّ بتوبْـــةٍ وَصَلاح !
واجعَـــلْ صِيَامَـــىَ راحـــةً لمَتَاعِبِـــى
واجعــل قِيَامِـــى بَلْسَمـــاً لجِرَاحِـــى !

(٥) تنزل = أى تتنزل حذفت تاء تخفيفاً قال تعالى : «تنزل الملائكة والروح فيها» .

(٦) ان كتاب الله زاد المؤمن فى رحلة الحياة والماء البارد الذى يدفع عنه لهب هجيرها اللافح .

اللغة والنقد والأدب

من التحقيقات اللغوية :

بيان خطأ مَنْ قال : «هل إنْ ...» واستعمل «طالما» بمعنى «مادام»

د. مبروك عطية أحمد أبوزيد ●

مما جرى على ألسنة المتكلمين ، وشاع فى أساليب المعاصرين قولهم : هل إنْ فعلنا كذا نكن على صواب ؟ وهل إذا دفعنا كذا نكون قد ألغينا كذا[1] .

ومثل هذا الأسلوب يوهم صحة دخول «هل» على الشرط ، وهو خطأ فإنّ «هل» أحد حروف الاستفهام الثلاثة : «الهمزة ، وهل ، وأم» «فالهمزة ، وهل» يدخلان على الأسماء تارة ، وعلى الأفعال تارة أخرى تقول : أزيد قائم ؟ وهل زيد قائم ؟ ، كما تقول : أقام زيد ؟ وهل قام زيد ؟

يقول ابن يعيش - فى شرح المفصل ، مبيناً سبب اقتصار الزمخشرى على «هل ، والهمزة» دون «أم» :

«ولم يذكر الشيخ «أم» هنا ؛ لأنه قد تقدّم ذكرها فى حروف العطف ؛ لأنها لا تخلص للإستفهام ؛ إذ كانت عاطفة مع مافيها من الاستفهام ، فلذلك اقتصر على «الهمزة ، وهل» ، وهذان الحرفان يدخلان تارة على الأسماء ، وتارة على الأفعال ، وذلك قولك فى الاسم : أزيد قائم ، وفى الفعل : أقام زيد ؟ ، وتقول فى «هل» : هل زيد قائم ، وهل قام زيد ؟»[2] .

والأصل فى حروف الاستفهام أن يليها الفعل ، أمّا مجيء الأسماء بعدها فمن باب التوسع ، يقول سيبويه : «وحروف الاستفهام كذلك لا يليها إلّا الفعل ، إلّا أنهم قد توسعوا فيها ، فابتدءوا بعدها الأسماء ، والأصل غير ذلك ، ألا ترى أنهم يقولون : هل زيد منطلق ؟ وهل زيد فى الدار ؟ فإن قلت : هل زيداً رأيتَ ؟ وهل زيد ذهب قَبُحَ ولم يجز إلّا فى الشعر ؛ لأنه لما اجتمع الاسم والفعل حملوه على الأصل .. إلى أن قال : وأمّا الألف فتقديم الاسم فيها قبل الفعل جائز ، كما جاز ذلك فى «هلّا» ، وذلك ؛ لأنها حرف الاستفهام الذى لا يزول عنه إلى غيره ، وليس للاستفهام فى الأصل غيره»[3] .

ومن نص سيبويه السابق نعلم أنه يجوز لنا أن نقول : أزيداً رأيت ، ولا يجوز ذلك مع «هل» ، ومن هنا يجدر بنا أن ننبه إلى ما تختص به «هل» وهو كما يأتى :

١ - أنها تختص بالإيجاب ، تقول : هل زيد قائم ؟ ويمتنع : هل لم يقم بخلاف الهمزة ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ الشرح : ١

وقوله عز من قائل : ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ : آل عمران : ١٢٤

٢ - أنها تخصص المضارع بالاستقبال ، قال ابن هشام : «تخصيصها المضارع بالاستقبال نحو : هل تسافر ؟ بخلاف الهمزة ، نحو :

● مدرس اللغويات بجامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج .

(١) أنظر مثلًا (لا تدفع إلى المدرس وادفع إلى المدرسة) ص ٨ من جريدة أخبار اليوم الصادرة فى ١٩٩٢/٩/١٢ .

(٢) شرح المفصل ١٥٠/٨ .

(٣) الكتاب ٩٨/١ ، ٩٩ بتحقيق الشيخ عبدالسلام هارون .

أتظنه قائماً ؟ وأمّا قول ابن سيدَة فى (شرح الجمل) : لا يكون الفعل المستفهم عنه إلّا مستقبلًا فسهو ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ الأعراف : ٤٤

وقال زهير :

فَمَنْ مُبْلِغُ الْأَحْلَافِ عَنِّى رِسَالَةً
وذبيانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ [٤]

٣ ـ أنه يراد بالاستفهام بها النفى ، ولذلك دخلت «إلّا» على الخبر بعدها فى نحو قول ربنا ـ تعالى ـ : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ الرحمن : ٦٠

ولذلك يجوزلنا أن نقول : هل قام إلّا زيد ، ولا يجوز : أقام إلّا زيد .

٤ ـ أنها تقع بعد العاطف لا قبله ، قال تعالى : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الأحقاف : ٣٥

٥ ـ أنها لا تدخل على الشرط ، ولا على «إنّ» بخلاف الهمزة ، قال ابن هشام[٥] بدليل : ﴿ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ الأنبياء : ٣٤

٦ ـ أنها مختصة بالتصديق[٦]

وفى ضوء ما سبق يتبين لنا أن قولهم : هل إنْ فعلنا كذا نكن على صواب ؟ وهل إذا قلنا ذلك نكون على صواب من الأساليب التى لا تجوز ، والصواب أن يقال : أإنْ فعلنا كذا نكن ؟ وأئذا قلنا ذلك نكون ؟ بالهمزة لا بـ «هل» .

● استعمال «طالما» بمعنى «مادام» أو الشرط .

ومن الأخطاء الشائعة أيضاً استعمال «طالما» بمعنى «مادام» يقال : أكرم جارى طالما يحرص على راحتى ، ولا يعنينى لوم لائم طالما لم أخطىء ، وكذا استعمالها شرطيّة فى نحو قولهم : طالما تجتهد فى عملك فسوف يوفقك الله ، ونحوه كثير

والحق أنّ «طالما» فعل ماض ، دخلت عليه «ما» التى ليست بمصدرية ظرفيّة ، ودخول «ما» هذه يجعل هذا الفعل ونحوه صالحاً للدخول على الأفعال ؛ إذ لا يجوز أن تقول : (طال يجتهد محمد) فإذا أدخلت «ما» جاز لك أن تقول : طالما يجتهد محمد أى أنّ محمداً يجتهد كثيراً ، يقول سيبويه فى باب الحروف التى لا يليها بعدها إلّا الفعل ، ولا تغير الفعل عن حاله التى كان عليها قبل أن يكون قبله شىء فيها :

«ومن تلك الحروف : ربَّما ، وقلّما ، وأشباههما ، جعلوا رب مع «ما» بمنزله كلمة واحدة ، وهيئوها ليذكر بعدها الفعل ؛ لأنهم لم يكن لهم سبيل إلى «رُبَّ يقول» ، ولا إلى «قل يقول» ، فألحقوها «ما» وأخلصوها للفعل ... وقد يجوز فى الشعر تقديم الاسم ، قال :

صددت فأطولت الصدود وقلّما
وصال على طول الصدود تدوم[٧]

---

[٤] مغنى اللبيب ص ٣٥٠ بتحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ، والبيت من الطويل من معلقته التى مطلعها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلّم
بحومانة الدراج فالمُتَثَلَّم

وانظر ديوان الشاعر مع شرحه لثعلب ص ١٨ ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤ م

[٥] مغنى اللبيب ص ٣٥٠

[٦] وأنظر ارتشا فى الضرب ٢٥٧/٣

[٧] الكتاب ١١٥/٣ ، والبيت من الطويل ، وينسب إلى المرار الفقعسى ، وأنظر الخزانة ٢٢٦/١٠ وضرائر ابن عصفور ص ٢٠٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٤٣/٤

وفى موضع آخر يقول سيبويه : «وإنما الكلام : قلّ ما يدوم وصال» [8]

وللعلماء فى تخريج هذا البيت ونحوه أقوال ثلاثة :

الأول : أنّ الأصل كما ذكر إمام النحاة : قلما يدوم وصال ، فاضطر الشاعر إلى تقديم الاسم ، وتأخير الفعل ، وهو عند البصريين مبتدأ ؛ إذا أنّ الفاعل عندهم لا يتقدّم على فعله ، وهذا القول أوْجَهُ الثلاثة ، وأقربها إلى ظاهر عبارة سيبويه .

والثانى : أن يعرب «وصال» فاعلًا لفعل محذوف يفسره المذكور ، والتقدير : وقلما يدوم وصال يدوم ، فحذف الأول لدلالة الثانى عليه .

والثالث : أن تكون «ما» زائدة ، غير كافة للفعل «قل» عن الرفع ، ويكون «وصال» فاعلًا مرفوعاً به ، وهو وجه ضعيف ؛ لأنّ «ما» إنما تزاد فى «قل» ، و«رب» ؛ لتليهما الأفعال ، ويصيراً من الحروف المخترعة لها [9] .

ويقول ابن هشام فى (ما الكافة) : «الكافة عن عمل الرفع ، ولا تتصل إلّا بثلاثة أفعال : قلّ ، وكثر ، وطال ، وعلة ذلك شبههن بـ «رُبَّ» ولا يدخلن حينئذ إلّا على (جُمْلة فِعْلِيةَ) صُرِّح بفعلها كقوله :

قلمـــا يبرح اللبـــيب إلى ما
يورث المجد داعيــاً أو مجيبـــاً [10]

وفى شرح المفصل يقول ابن يعيش : «وأمّا دخولها على الفعل ، فإنها تدخل عليه فتجعله يلى ما لم يكن يليه قبل ، ألا ترى أنها تُدْخِلُ الفعل على الفعل ، نحو قلما سرت ، وقلما تقوم ، ولم يكن الفعل قبل دخولها يلى الفعل ، فـ «قَلَّ» فعل كان حقه أن يليه الاسم ؛ لأنه فعل ، قلما دخلت عليه «ما» كفته عن اقتضائه الفاعل ، وألحقته بالحروف ، وهيأته للدخول على الفعل ، كما تهىء «رُبَّ» للدخول على الفعل ، وأخلصوها له» [11]

وأمّا «ما» المصدرية الظرفية ، والتى سمّاها ابن هشام الزمانية ، لتشمل قول الحق سبحانه : ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ [12] حيث إن الزمان المقدر مخفوض ، والتقدير : كل وقت إضاءة ، والمخفوض لا يسمى ظرفاً [13] فهذه فى «مادام» ، قال الله تعالى : ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَادُمْتُ حَيًّا﴾ [14] أى : مدّة دوامى حيًا ، وفى نحو قول الشاعر

أجارتنــا إنّ الخطــوب تنــــوب
وإنى مقيم ماأقـــــــام عسيب

أى مدّة إقامة عسيب ، وعسيب (جبل) .

وعلى ذلك يتضح أنّ استعمال «طالما» بمعنى «مادام» خطأ وليس فيها معنى الشرط ، كما أنها ليست من أدواته ، فإن كان المتكلم أو الكاتب لابد مستعملًا «طالما» ، فليقل : بلادنا بلادٌ طيبة طالما أخرجت الرجال ، ونحوه : ياصاحبى ، طالما التقينا هنا ، فلنا فى هذه القاعة ذكرى وذكريات ، ونحو ذلك من الأساليب التى يتحرى فيها أهل العربية الدقة فى استعمال الكلمات .

---

(٨) الكتاب ٣١/١

(٩) وأنظر سيبويه والضرورة الشعرية للدكتور ابراهيم حسن ص ٢٤٦ ط حسان سنة ١٩٨٣

(١٠) من الخفيف وأنظر مغنى اللبيب ص ٣٠٦

(١١) شرح المفصل لابن يعيش ١٣٢/٨

(١٢) البقرة : ٢٠

(١٣) مغنى اللبيب ص ٣٠٥

(١٤) مريم : ٣١

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

تحقيق فضيلة الشيخ
ابراهيم عطوة عوض

٩

سورة النحل

مر «أتى أمر الله» فى الإمالة ، «وعما يشركون» فى يونس

قرأ روح «تنزل» بتاء مفتوحة وفتح الزاى المشددة «الملائكة» بالرفع كالمجمع عليه فى سورة القدر ، والباقون بياء مضمونة وكسر الزاى ونصب «الملائكة» ، وهم فى تشديد الزاى على أصلهم فى البقرة

قرأ أبو جعفر «بشق» بفتح الشين والباقون بكسرها

قرأ شعبة «ينبت» بالنون والباقون بالياء

قرأ ان عامر «والشمس والقمر والنجوم مسخرات» برفع الأربعة ووافقه حفص فى الأخيرين ، والباقون بنصبها ، وكسرتا «مسخرات»

قرأ يعقوب وعاصم «تدعون بالغيب» والباقون بالخطاب

وعن البزى ـ من طريق ـ ترك الهمز فى «شركائى» هنا ، ومن بقية طرقه إثباته ، وبه قرأ الباقون

قرأ نافع «تشاقون فيهم» بكسر النون والباقون بفتحها .

قرأ حمزة وخلف «يتوفاهم» بالتذكير ، والباقون بالتأنيث ، ومر «يأتيهم الملائكة» فى الأنعام

قرأ الكوفيون «يهدى» بفتح الياء وكسر الدال ، والباقون بضم الياء وفتح الدال

ومر «كن فيكون» فى البقرة ، و«لنبوئنهم» و«أفأمن» فى الهمز المفرد ، «ونوحى إليهم» فى يوسف و«فسئلوا» فى النقل

قرأ الأخوة «أو لم يروا» بالخطاب ، والباقون بالغيب

قرأ البصريان «تتفيؤ» بالتأنيث ، والباقون بالتذكير

قرأ المدنيان «مفرطون» بكر الراء ، والباقون بفتحها ، وشددها أبو جعفر ، وخففها الباقون

قرأ أبو جعفر «نسقكم» هنا وفى «المؤمنون» بالتاء مفتوحة ، والباقون بالنون ، وفتحها نافع وابن عامر ويعقوب وشعبة ، والباقون بضمها .

ومر «للشاربين» فى الامالة و«يعرشون» فى الأعراف

قرأ شعبة ورويس «يجحدون» بالخطاب ، والباقون بالغيب

ومر – إدغام «جعل لكم» لرويس مع أبى عمرو ، وفى بابه ، و«أمهاتكم» فى النساء

قرأ ابن عامر ويعقوب وحمزة وخلف «ألم تروا» بالخطاب ، والباقون بالغيب

قرأ ابن عامر والكوفيون «ظعنكم» بإسكان العين ، والباقون بفتحها

ومر «رأى الذين» فى الإمالة و«باق» فى الوقف

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وعاصم وابن عامر – بخلاف عنه – بخلاف عنه – «ولنجزين» بالنون ، والباقون بالياء

ومر «بما ينزل» و«القدس» فى البقرة و«ويلحدون» فى الأعراف

قرأ ابن عامر «فتنوا» بفتح الفاء والتاء والباقون بضم الفاء وكسر التاء

«الميتة» و«فمن اضطر» و«ابراهام» مررن فى البقرة

قرأ ابن كثير «فى ضيق» هنا ، وفى النمل بكسر الضاد ، والباقون بفتحها

زوائدها ثنتان : «فارهبون ، فاتقون» ومر حكمها .

﴿سورة الإسراء﴾

قرأ أبو عمرو «ألا تتخذوا» بالغيب ، والباقون بالخطاب

قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وشعبة «ليسئوا» بالياء والنصب بلفظ الواحد[1] ، وكذا الكسائى لكن بالنون بالجمع للعظمة ، والباقون بالياء وضم الهمزة وبعدها واو جمع ، و«يبشر» مر للأخوين

قرأ أبو جعفر و«يخرج له» بالياء مضمومة وفتح الراء ، ويعقوب بالياء مفتوحة وضم الراء ، والباقون بالنون مضمومة وكسر الراء ، ولا خلاف فى نصب «كتاباً»

قرأ أبو جعفر وابن عامر «يلقاه» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف ، والباقون بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف ، ومرت إمالته ، وكذل «اقْرأ» لأبى جعفر

قرأ يعقوب «أمرنا» بمد الهمزة ، والباقون بقصرها

«محظوراً انظر»، «مسحوراً انظر» مرا فى البقرة

قرأ الأخوة «إما يبلغان» بألف ممدودة بعد الغين وكسر النون بالتثنية ، والباقون بلا ألف وفتح النون إفراداً

قرأ الابنان ويعقوب «أف» هنا وفى الأنبياء والأحقاف بفتح الفاء بلاتنوين ، والمدنيان وحفص بكسر الفاء منونة ، والباقون بالكسر بلا تنوين .

قرأ ابن كثير «خطأ» بكسر الخاء وفتح الطاء والف ممدودة بعدها ، وأبو جعفر وابن ذكوان وهشام – بخلاف عنه – بفتح الخاء والطاء بلا ألف ولا مد ، والباقون بكسر الخاء وفتح الطاء وإسكان الطاء

قرأ الإخوة «فلا تسرف» بالخطاب ، والباقون بالغيب

---

(١) أى المفرد .... المحقق .

قرأ الإخوة وحفص «بالقسطاس» هنا وفى الشعراء بكسر القاف، والباقون بضمها

قرأ ابن عامر والكوفيون «كان سيئه» بضم الهمزة والهاء وصلتها بالتذكير، والباقون بفتح الهمزة وتاء تأنيث منصوبة منونة «أفأصفاكم» مر للأصبهانى

قرأ الإخوة «ليذكروا» هنا وفى الفرقان بإسكان الذال وضم الكاف مخففة، والباقون بفتح الذال والكاف مشددتين

قرأ ابن كثير وحفص «كما يقولون» بالغيب، والباقون بالخطاب

قرأ الإخوة ورويس من طريق أبى الطيب (عما يقولون) بالخطاب، والباقون بالغيب.

قرأ المدنيان والابنان وشعبة ورويس - من طريق أبى الطيب - «يسبح» بالتذكير، والباقون بالتأنيث

ومر «أئذا، أئنا» معا و«أأسجد» فى الهمزتين من كلمة، و«زبورا» فى النساء، و«القرآن» فى النقل، و«للملائكة اسجدوا» لأبى جعفر و«اذهب فمن» حروف قربت مخارجها

قرأ حفص «ورجلك» بكسر الجيم، والباقون بإسكانها

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «أن يخسف، أو يرسل، أن نعيدكم، فنرسل، فنغرقكم» بالنون فى الخمسة، والباقون بالياء غير أبى جعفر ورويس فبالتاء فى «تغرقكم» وعن ابن وردان - من طريق - بتشديد الراء، ومن «الريح» لأبى جعفر، ومر «أعمى» معا فى الإمالة

وعن روح - من طريق - «يلبثون» بضم الياء وفتح اللام وتشديد الباء

قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو وشعبة «خلفك» بفتح الخاء وإسكان اللام بلا الف، والباقون بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها، وعن روح - من طريق - قراءته بالوجهين و«تنزل» من القرآن، و«حتى تنزل علينا» مر لأبى عمرو ويعقوب

قرأ أبو جعفر وابن ذكوان «ونأى بجانبه» هنا - وفى فصلت بتقديم الألف على الهمزة، والباقون بتأخيرها عنهما، ومرت إمالته.

قرأ الكوفيون ويعقوب «تفجر» بالتاء وإسكان الفاء وضم الجيم مخففة، والباقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم مشددة

قرأ المدنيان وابن عامر وعاصم «كسفا» بفتح السين، وكذا حفص فى الشعراء وسبأ، والباقون بإسكانها فى الثلاثة، وكذا أبو جعفر وابن عامر - بخلاف عن هشام - فى الروم

قرأ الابنان «قال سبحان ربى» بالخبر، والباقون «قل» بالأمر.

قرأ الكسائى «لقد علمت» بضم التاء، والباقون بفتحها

«قل ادعوا الله أو ادعوا» مرا فى البقرة

فيها ياء إضافة: ربى إذا. وزوائدها ثنتان: أخرتن، فهو المهتد» ومر حكم الأمرين.

سورة الكهف

مر سكت حفص فى بابه على «عوجا»

قرأ شعبة من «لدنه» بإسكان الدال وإشمامها - الضم وكسر النون والهاء وصلتها

بياء ، وعنه من طريق كسرها بلا صلة ، والباقون يضم الدال وإسكان النون وضم الهاء ، وابن كثير يصلها على أصله

ومر «ويبشر» فى آل عمران «وهيىء ويهيىء» لأبى جعفر

قرأ المدنيان وابن عامر (مرفقا) بفتح الميم وكسر الفاء والباقون بالعكس .

قرأ ابن عامر ويعقوب «تزور» بإسكان الزاى وتشديد الراء بلا ألف ، والكوفيون بفتح الزاى مخففة وألف بعدها وتخفيف الراء ، والباقون كذلك لكنهم يشددون الزاى .

قرأ المدنيان وابن كثير «ولملئت» بتشديد اللام والباقون بتخفيفها

قرأ أبو عمرو وحمزة وخلف وشعبة وروح (بورقكم) بإسكان الراء والباقون بكسرها .

قرأ الإخوة ثلثماية سنين» بلا تنوين بالإضافة ، والباقون بالتنوين

قرأ ابن عامر «ولا يشرك» بالخطاب والجزم ، والباقون بالغيب والرفع

ومر «بالغدوة» لابن عامر ، متكئين لأبى جعفر ، ومر أكلها فى البقرة

قرأ أبو جعفر وعاصم وروح «له ثمر ، وبثمره» بفتح الثاء والميم ، ووافقهم رويس فى الأول ، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم ، والباقون بضمها .

«أنا أكثر ، أنا أقل مرا فى البقرة

قرأ المدنيان والابنان «خيرا منهما» بميم بعد الهاء ، والباقون منها بلا ميم ، قرأ به عامر وأبو جعفر ورويس «لكنا هو» بألف بعد النون وصلا ، والباقون بلا ألف ولا خلاف فى الوقف بالف

قرأ الإخوة «ولم يكن له» بالتذكير ، والباقون بالتأنيث

«الولاية» مر فى الأنفال

قرأ أبو عمرو والكسائى «لله الحق» برفع القاف والباقون بالجر

«عقبا ، والريح مرا فى البقرة

قرأ الإبنان وأبو عمرو «تسير» بالتاء مضمومة وفتح الياء «الجبال» بالرفع ، والباقون بالنون مضمومة وكسر الياء ونصب الجبال .

ومر «مال هذا» فى الوقف على الرسم ، «وللملائكة اسجدوا لأبى جعفر

قرأ أبو جعفر (ماأشهدناهم)بالنون والف بالجمع للعظمة ، والباقون بالتاء مضمونة بلا الف

قرأ أبو جعفر «وماكنت» بفتح التاء والباقون بضمها ، ووافقهم ابن جماز من طريق

قرأ حمزة «ويوم نقول» بالنون ، والباقون بالياء

قرأ الكوفيون وأبو جعفر «قبلا» بضم القاف والباء ، والباقون بكسر القاف وفتح الباء

قرأ عاصم – من طريق شعبة – «لمهلكهم» هنا و«مهلك أهله» فى النمل بفتح الميم واللام ، ومن طريق ، حفص[1] بفتح الميم وكسر اللام والباقون بضم الميم وفتح اللام

«أنسانيه» مر لحفص

قرأ البصريان «مما علمت رشداً بفتح الراء والشين ، والباقون بضم الراء إسكان الشين

قرأ المدنيان وابن عامر «فلا تسئلنى» بفتح

(١) الأوْلَى : وحفص بفتح .... الخ .. المحقق .

اللام وتشديد النون ، والباقون بإسكان اللام ـ وتخفيف النون ، واختلف عن ابن ذكوان فى حذف يائها فى الحالين ، والباقون باثباتها فيهما كما هى فى المصاحف

قرأ الإخوة «ليغرق» بالياء مفتوحة وفتح الراء «أهلها» بالرفع والباقون بالتاء منضمونة وكسر الراء ونصب «أهلها»

قرأ ابن عامر والكوفيون وروح «زكية» بلا ألف وتشديد الياء والباقون بالألف والتخفيف

ومر «نكراً وعسراً ويسراً فى البقرة عند «هزوا» وعن روح من طريق «فلا تصحبنى» بفتح التاء وإسكان الصاد وفتح الحاء

قرأ المدنيان «من لدنى» بضم الدال واخفيف النون ، وشعبة بتخفيف النون ، واختلف عنه فى ضمه الدال فعنه إشمامها الضم بعد إسكانها ، وعنه اختلاس ضمتها يعنى الروم ، والباقون بضمها وتشديد النون ،

قرأ البصريان وابن كثير «لتخذن» بتخفيف التاء وكسر الخاء بلا الف ووصل ، والباقون بتشديد التاء وفتح الخاء مع ألف الوصل

ومر إظهار الذال منه

قرأ المدنيان وأبو عمرو «أن يبدلهما» هنا ، «وأن يبدله» فى التحريم وأن يبدلنا» فى (نون) ـ بتشديد الدال ، والباقون بتخفيفها

«رحما» مر فى البقرة

قرأ ابن عامر ، بخلاف عن ابن ذكوان والكوفيون «فأتبع سببا. ثم اتبع سببا» الثلاثة بقطع الهمزة وإسكان التاء مخففة والباقون بوصل الهمزة وتشديد التاء

قرأ نافع وابن كثير والبصريان وحفص (حمئة) بلا ألف بعد الحاء وبهمز الياء والباقون بألف وفتح الياء بلا همز .

قرأ الإخوة ويعقوب وحفص «جزاء الحسنى» بالنصب والتنوين فيُكْسَر للساكنين ، والباقون بالرفع بلا تنوين .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص «السَّدَّين» بفتح السين ، والباقون بضمها .

قرأ الاخوة «يفقهون» بضم الياء وكسر القاف ، والباقون بفتحهما .

«يأجوج ومأجوج». مَرَّ العاصم فى الهمز المفرد .

قرأ الإخوة «خراجا» هنا وفى (المؤمنون) بفتح الراء وألف بعدها ، والباقون بإسكان الراء بلا ألف .

وابن عامر «فَخَرْجُ ربك» فى المؤمنون بإسكان الراء ، والباقون بألف .

قرأ الإخوة وحفص «سدا» هنا وفى موضعى (يسَ) بفتح السين ، ووافقهم ابن كثير وأبو عمرو هنا والباقون بالضم .

«مكنى» مَرَ لابن كثير .

قرأ شعبة ـ بخلاف عنه ـ «رَدْمًا ايتونى» بكسر التنوين وهمزة ساكنة بعده و «قال ايتونى» بهمزة ساكنة بعد اللام والابتداء بهمزة مكسورة بعدها ياء ووافقه حمزة على ذا الوجه فى «قال ايتونى» ، والباقون بقطع الهمزة ومدها فيهما .

قرأ الإبنان والبصريان «الصدفين» بضم الصَّاد والدال ، وشعبة بضم الصاد وإسكان الدال ، والباقون بفتحهما .

قرأ حمزة «فما استطاعوا» بتشديد الطاء ، والباقون بتخفيفها .

« دكا » مر للكوفيين .

قرأ الإخوة « أن ينفد » بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

ياآتها المضافة تسع : « ربى أعلم ، ربى أحدا ، ربى أن ، يوتبتى ستجدنى إن ، معى صبرا ــ فى المواضع الثلاثة ــ من دونى أولياء » .

وزوائدها . ست : « المهتد ، أن يهدين ، وأن يؤتينى ، أن تعلمنى ، إن ترنى ، ماكنا نبغ » ومر حكم الأمرين .

سورة مريم عليها السلام

مر السكت على فاتحتها ، وإمالة الهاء والياء وإدغام (صَادِ ذِكْر) فى الأصول ، وزكريا فى آل عمران .

قرأ أبو عمرو والكسائى « يرثنى ويرث » بجزمهما ، والباقون برفعهما .

« يبشرك » مر لحمزة .

قرأ الاخوان « عتيا ، وجثيا ، وصليا وبكيا » بكسر أوائِلهن ، ووافقهم حفص فى غير « بكيا » ، والباقون بالضم فيهن .

قرأ الأخوان « وقد خلقناك * بنون وألف ، والباقون بتاء مضمومة بلا ألف .

قرأ أبو عمرو ويعقوب ونافع ــ بخلاف عن قالون ــ « ليهب لك » بالياء بعد اللام ، والباقون بالهمز .

« مت » معا مر فى آل عمران .

قرأ حمزة وحفص « نسيا » فتح النون ، والباقون بكسرها .

قرأ المدنيان والإخوة وحفص وروح « مِنْ » بكسر الميم « تحتها » بجر التاء ، والباقون بفتح الميم ونصب التاء .

قرأ حمزة « تساقط » بفتح التاء والقاف وتخفيف السين ، وحفص بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين ، ويعقوب وشعبة بخلاف عنه بالياء تذكيرا مفتوحة وتشديد السين وفتح القاف ، والباقون كذلك لكنهم بالتأنيث .

قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب « قول الحق » بنصب اللام ، والباقون برفعها .

« كن فيكون » مر لابن عامر .

قرأ الكوفيون وابن عامر وروح و « إن الله ربى » بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها .

ومر « ابرهام » فى البقرة و « يا أبت » و « مخلصا » فى يوسف ، و « يدخلون » فى النساء .

قرأ رويس « نورث » بفتح الواو وتشديد الراء والباقون بالإسكان والتخفيف .

« ايذا ما » مر فى الهمزتين من كلمة .

قرأ نافع وابن عامر وعاصم « أو لا يذكر » بتخفيف الذال والكاف وضمها ، والباقون بتشديدهما وفتح الكاف .

« ننجى » مر فى الأنعام .

قرأ ابن كثير « مقاما » بضم الميم ، والباقون بفتحها .

و « رئيا » مر فى الهمز المفرد .

قرأ الأخوان « ولدا » فى جميع ما هنا و « ولدا » فى الزخرف بضم الواو وإسكان اللام ، والباقون بفتحهما .

قرأ نافع والكسائى « يكاد » هنا وفى الشورى بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ المدينان وابن كثير والكسائى وحفص « يتفطرن » هنا وفى الشورى بالتاء ، وفتح الطاء ، والباقون بالنون وكسر الطاء مخففة .

« لتبشر به » مر لحمزة .

ياآتها المضافة ست : « وورائى ، لى آية ، إنى أعوذ ، إنى أخاف ، أتانى الكتاب ، ربى إنه » . ومر حكمها .

ســورة طـــه

مر السكت فى بابه وإمالة الطاء والهاء وأواخر الآى فى الإمالة .

« لأهله امكثوا » مر لحمزة فى (هاء الكناية) .

قرأ ابن كثير والأبوان « إنى أنا ربك » بفتح الهمزة ، والباقون بكسرها .

قرأ ابن عامر والكوفيون « طوى » هنا وفى النازعات بالتنوين ، والباقون بلا تنوين .

قرأ حمزة « وأنا » بتشديد النون « اخترناك » بنون وألف بعدها بالجمع ، والباقون بتخفيف النونين « اخترتك » بتاء مضمومة بلا ألف بالإفراد .

قرأ ابن عامر وابن وردان ــ بخلاف عنه ــ « اشدد به » بقطع الهمزة مفتوحة « وأشركه » بضم الهمزة ، والباقون بوصل همزة « أشدد » وابتدائها بالضم ، وفتح همزة « أشركه » .

« نسبحك كثيرا ، ونذكــرك كثيرا إنك كنت » مر لرويس مع أبى عمرو .

قرأ أبو جعفر « ولتصنع » بإسكان اللام وجزم العين ، والباقون بكسر اللام والنصب ، وروى هذا عن ابن جماز ، ومر إدغام رديس .

قرأ الكوفيون « مهدا » هنا وفى الزخرف بفتح الميم وإسكان الهاء بلا ألف ، والباقون بكسر الميم وفتح الهاء ثم ألف .

قرأ أبو جعفر « لا تخلفه » بجزم الفاء والباقون برفعها .

قرأ ابن عامر ويعقوب وعاصم وحمزة وخلف « سوى » بضم السين والباقون بكسرها ، ومر إمالته وقفا .

قرأ الإخوة وحفص ورويس « فيسحتكم » بضم الياء وكسر الحاء والباقون بفتحهما .

قرأ ابن كثير وحفص « قالوا إن » بتخفيف النون ، والباقون بتشديدها .

قرأ أبو عمرو هذين بياء ، والباقون بألف ، وبان كثير على أصله فى التشديد .

قرأ أبو عمرو « فاجمعوا » بوصل الهمزة وفتح الميم ، والباقون بالقطع وكسر الميم .

قرأ ابن ذكوان وروح « تخيل » بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

قرأ ابن ذكوان « تلقف » برفع الفاء ، والباقون بجزمها ، وحفص على أصله فى تخفيف القاف ، وابن كثير فى تشديد القاف .

قرأ الإخوة « كيد سحر » بكسر السين وإسكان الحاء بلا ألف ، والباقون بألف وفتح السين وكسر الحاء .

ومر « اامنتم » فى الهمزتين من كلمة ، و « يأته » فى ها الكناية ، و « أن أسر » فى هود .

قرأ حمزة « لا تخف دركا » بالجزم وحذف الألف ، والباقون « لا تخاف » بالألف والرفع .

قرأ الإخوة « أنجيتكم ، وواعدتكم ، ما رزقتكم» بالتاء مضمومة بالافراد بلا ألف فى الثلاثة ، والباقون بالنون ثم ألف ، ومر حذف ألف « وعدناكم » فى البقرة .

قرأ الكسائى « فيحل عليكم » بضم الحاء « يحلل عليه » بضم اللام ، والباقون بكسر الحاء واللام .

قرأ رويس « إثرى » بكسر الهمزة وإسكان التاء ، والباقون بفتحهما .

قرأ المدينان وعاصم « بملكنا » بفتح الميم ، والاخوة بضمها ، والباقون بكسرها .

قرأ أبو عمرو والإخوة وشعبة وروح « حملنا » بفتح الحاء والميم مخففة ، والباقون بضم الحاء وكسر الميم مشددة .

« يا ابن ام » مر فى الأعراف .

قرأ الإخوة « بما لم تبصروا » بالخطاب ، والباقون بالغيب ومر « فنبذتها ، وفاذهب فان » فى حروف قريب مخارجها .

قرأ ابن كثير والبصريان « تخلفه » بكسر اللام ، والباقون بفتحها .

قرأ أبو جعفر « لنحرقنه » بإسكان الحاء وتخفيف الراء ، وابن وردان بفتح النون وضم الراء ، وابن جماز بضم النون وكسر الراء ، وروى عن كل منهما ما روى عن الآخر ، والباقون بضم النون وفتح الحاء وكسر الراء مشددة .

قرأ أبو عمرو « ننفخ » بالنون وفتحها وضم الفاء ، والباقون بالياء وضمها وفتح الفاء .

قرأ ابن كثير « فلا يخف ظلما » بحذف الألف والجزم ، والباقون فلا يخاف بالألف والرفع .

قرأ يعقوب « أن نقضى » بالنون مفتوحة وكسر الضاد وفتح الياء نصبا « وحيه » بالنصب ، والباقون « يقضى » بياء مضمومة وفتح الضاد « وحيه » بالرفع .

« للملائكة اسجدوا » مر لأبى جعفر .

قرأ نافع وشعبة « وإنك لا » بكسر الهمزة والباقون بفتحها .

قرأ الكسائى وشعبة « ترضى » بضم التاء والباقون بفتحها .

قرأ يعقوب « زهرة الحياة » بفتح الهاء ، والباقون بإسكانها .

قرأ نافع والبصريان وابن جماز وحفص وابن وردان ـ بخلاف عنه ـ « أولم تأتهم » بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

ياآتها المضافة ثلاث عشرة : «إنى آنست ، إنى أنا ، إننى أنا الله ، لنفسى اذهب ، فى ذكرى اذهبا ، لعلى آتيكم ، ولى فيها ، لذكرى أن ، ويسر لى أمرى ، على عينى ان ، برأسيى إنى ، أخى أشدد ، حشرتنى أعمى » .

وزوائدها واحدة : أن لا تتبعن ، ومر حكم الأمرين .

سورة الأنبياء عليهم السلام

قرأ الاخوة وحفص « قال رب » بالخبر ، والباقون « قل » بالأمر ، ومر « نوحى إليهم » لحفص و« نوحى إليه » للإخوة وحفص .

قرأ ابن كثير « ألم ير » بلا واو ، والباقون بواو .

قرأ ابن عامر « ولا تسمع » بتاء مضمومة وكسر الميم « الصم » بالنصب ، والباقون بياء مفتوحة وفتح الميم ورفع « الصم » .

قرأ المدنيان « وإن كان مثقال » هنا وفى لقمان بالرفع ، والباقون بالنصب .

« ضياء » مر لقنبل .

قرأ الكسائى « جذاذا » بكسر الجيم ، والباقون بضمها .

ومر « فسلوهم » فى النقل و« اف » فى الإسراء و« أئمة » فى الهمزتين من كلمة .

قرأ أبو جعفر وابن عامر شوحفص « ليحصنكم » بالتأنيث ، وشعبة ورويس بالنون ، والباقنون بالتذكير .

« الريح »[1] مر .

قرأ يعقوب « يقدر عليه » بالياء مضمومة وفتح الدال ، والباقون بالنون مفتوحة وكسر الدال .

قرأ ابن عامر وشعبة « ننجى المؤمنين » بنون واحدة وتشديد الجيم ، والباقون بنونين الثانية ساكنة وتخفيف الجيم .

قرأ الأخوان وشعبة « وحِرْمٌ على » بكسر الحاء وإسكان الراء بلا ألف ، والباقون بفتح الحاء والراء ثم ألف .

ومر « فتحت » فى الأنعام و« يأجوج ومأجوج » لعاصم فى الكهف .

قرأ أبو جعفر « تطوى » بتاء مضمومة وفتح الواو « السماء » بالرفع ، والباقون بنون مفتوحة وكسر الواو ونصب السماء .

« بحزفهم »[2] مر لأبى جعفر .

قرأ الإخوة وحفص « للكُتُب » بضم الكاف والتاء بلا ألف جمعا ، والباقون بكسر الكاف وفتح التاء ثم ألف إفرادًا .

« الزبور » مر فى النساء .

قرأ حفص « قال رب » بالخبر ، والباقون « قل » بالأمر .

قرأ أبو جعفر « ربُّ احكم » بضم الباء ، والباقون بكسرها .

قرأ ابن ذكوان من طريقٍ « يصفون » بالغيب ، والباقون بالخطاب .

ياآتها المضافة أربع : إنى إله ، ومن معى ، مسنى الضر ، عبادى الصالحون .

وزوائدها ثلاث : « فاعبدون » معا « فلا تستعجلون » ومر حكم الأمرين .

سورة الحج

قرأ الإخوة « سكرى وما هم بسكرى » بفتح السين وإسكان الكاف بلا ألف[1] ، والباقون بضم السين وفتح الكاف وألف .

قرأ أبو جعفر « وَرَبَأَتْ » هنا ، فى فصلت بهمزة مفتوحة بعد الياء ، والباقون بلا همزة .

« ليضل » مر فى إبراهيم .

---

(١) أى مر فى البقرة .... المحقق .

(٢) أى مر فى آل عمران وغيرها .... المحقق .

(١) ... وتلك القراءة مع الإمالة الكبرى لأصحاب الإمالة ... المحقق .

قرأ روح من طريق « خاسر الدنيا » بوزن فاعل ، و « الآخرة » بالجر .

قرأ ابن عامر وأبو عمرو ورويس وورش وابن جماز ـ بخلاف عنه ـ « ثم ليقطعْ ، ثم ليقضوا » بكسر اللام فيهما ، ووافقهم قنبل فى « ليقضوا » ، والباقون بإسكان اللام فيهما .

ومر « والصابين » للمدنيَّيْن فى البقرة ، وهذان فى النساء(٢) .

قرأ المدينان وعاصم « لؤلؤا » هنا . وفى فاطر بالنصب ، ووافقهم يعقوب هنا ، والباقون بالجر ، ومر إبداله فى الهمز المفرد .

قرأ حفص « سواء العاكف » بالنصب ، والباقون بالرفع قرأ ابن ذكوان « وليوفوا ، وليْطوفوا » بكسر اللام فيهما ، والباقون بإسكانها ، وَفَتَحَ شعبة الواو ، وشدد ألفا من « وَلْيُوَفُّوا » .

قرأ المدنيان « فتخطفه » بفتح الخاء وتشديد الطاء ، والباقون بإسكان الخاء وتخفيف الطاء .

ومر « الريح »(٣) .

قرأ الإخوة « منسكا » معا بكسر السين ، والباقون بفتحها .

قرأ يعقوب « لن ينال الله ، ولكن يناله » بالتأنيث فيهما ، والباقون بالتذكير .

قرأ ابن كثير والبصريان « يدفع» بفتح الياء والفاء وإسكان الدال بلا ألف ، والباقون بضم الياء وفتح الدال وألف وكسر الفاء .

قرأ المدنيان والبصريان وعاصم وإدريس ـ بخلاف عنه ـ « أذن » بضم الهمزة ، والباقون بفتحها .

قرأ المدنيان وابن عامر وحفص « يقاتلون » بفتح التاء مجهولا ، والباقون بكسرها مسمى « دفاع » مر فى البقرة .

قرأ المدنيان وابن كثير « لهدمت » بالتخفيف ، والباقون بالتشديد و « كأين » مر فى آل عمران ، والهمز المفرد .

قرأ البصريان « أهلكتها » بتاء مضمومة بلا ألف ، والباقون بنون مفتوحة ثم ألف .

قرأ ابن كثير والإخوة « يعدون » بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « معجزين » بتشديد الجيم بلا ألف هنا ، وفى موضعى سبأ ، والباقون بتخفيفها والألف .

ومر « أمنيته » فى البقرة .

و « لهادى الذين » فى الوقف .

قرأ ابن عامر « ثم قتلوا » بتشديد التاء ، والباقون بتخفيفها .

« مدخلا » مر فى النساء .

قرأ البصريان والإخوة وحفص « وإنما تدعون » هنا ، وفى لقمان بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ يعقوب « ابن الذين يدعون » بالغيب والباقون بالخطاب .

« ترجع الأمور » مر فى البقرة .

فيها ياء إضافة : بيتى للطائفين .

---

(٢) ذكر المؤلف قراءة (هذان) استطرادا ـ فى سورة النساء عند و (اللذان بأيتانها) .... المحقق .

(٣) مر فى البقرة .... المحقق .

وزوائِدها ثنتان : « والبادى ، نكير » ومر حكم الأمرين .

ســـورة المؤمنـــون

قرأ ابن كثير « لأمانتم » هنا وفى المعارج بالإفراد ، والباقون بالجمع .

قرأ الإخوة « على صلاتهم » بالإفـــراد ، والباقون بالجمع .

قرأ ابن عامر وشعبة « عَظْمًا » [فسكون العظم][(1)] بفتح العين وإسكان الظاء بلا ألف فيها ، والباقون بكسر العين وفتح الظاء ثم ألف .

قرأ المدينان وابن كثير وأبو عمرو « سينا » بكسر السين ، والباقون بفتحها ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس « تنبت » بضم التاء وكسر الباء ، والباقون بفتح التاء وضم الباء .

ومر « نسقيكم » فى النحل و « من إله غيره » فى الأعراف و « من كُلّ » فى هود .

قرأ شعبة « منزلا » بفتح الميم وكسر الزاى ، والباقون بضم الميم وفتح الزاى .

قرأ أبو جعفر « هيهات هيهات » بكسر التاء والباقون بفتحها ، ومر الوقف عليه فى المرسوم .

قرأ ابن كثير والأبوان « تَتْرا » بالتنوين ، والباقون بدونه ، وهم على أصلهم فى الإمالة .

« ربوة » مر فى البقرة .

قرأ الكوفيون « وإن هذه » بكسر الهمزة والباقون بفتحها ، وابن عامر بتخفيف النون ساكنة .

قرأ نافع « تهجرون » بضم التاء وكسر الجيم ، والباقون بفتح التاء وضم الجيم .

ومر « خراجا ، ومخرج » فى الكهف ، « وائذا ، أئِنا » فى الهمزتين من كلمة .

قرأ البصريان « سيقولون الله » الأخِيرَيْن بألف وصل قبل اللام فيهما ورفع الهاء والباقون « لله » بلا ألف وجر الهاء .

قرأ المدنيان والإخوة وشعبة « عالم الغيب » برفع الميم ، والباقون بجرها ورويس ـ بخلاف عنه ـ يبتدىء بالرفع ويصل بالجر .

« فلا أنساب بينهم » مر إدغامه لرويس مع أبى عمرو .

قرأ الإخوة « شقاوتنا » بفتح الشين والقاف ثم ألف ، والباقون بكسر الشين وإسكان القاف بلا ألف .

قرأ المدنيان والإخوة « سخريا » هنا وفى (صٓ) بضم السين ، والباقون بكسرها .

قرأ الإخوة « إنهم هم » بكسر الهمـــزة ، والباقون بفتحها .

قرأ ابن كثير والأخوان « قل كم » بالأمر ، والباقون قال بالخبر .

« لبثتم » مر فى حروف قربت مخارجها .

قرأ الاخوان « قل إن » بالأمر ، والباقون « قال » بالخبر .

« ترجعون » مر فى البقرة .

يا إتها المضامة واحدة : « لعلى أعمل » .

وزوائِدها ست : بما كذبون ، معا ، قانتون ، أن يحضرون ، ولا تكلمون ، ومر حكم الأمرين .

---

(١) كذا بالمصورة ولا معنى له .... المحقق .

الفكر الأدبى فى كشاف الزمخشرى

للدكتور/محمود جمعه أمين(*)

تقدم مجلة الأزهر ما أمكنها من هذا البحث القيم مراعاة لحجم المجلة ؛ ولتزويد القارىء بما يَجِدُّ من بحوث قيمة فى ميدان الأدب ، وحتى لا تكون هدية المجلة سببا فى تأجيل نشر هذا البحث بسبب كثرة موضوعاتها بإدارة التحرير ، فضلت الإدارة أن تتابع نشره فى حلقات بالمجلة ..... التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى المصطفى الكريم الذى شرح الله له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وعلّمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيما ، ورضى الله ـ تبارك وتعالى ـ عن سائر أصحاب رسول الله ، وعمن تبعهم بإحسان إلى أن يرث الأرض ومن عليها .

(*) الكاتب : مدرس الأدب والنقد فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ـ جامعة الأزهر ـ سوهاج .

وبعد :

فهذا بحث عن (الفكر الأدبى فى كشاف الزمخشرى) وقد رأيت من المفيد ـ قبل أن أخوض غمار هذا الفكر وألج بابه ـ أن نعيش مع الزمخشرى حياته لنتعرف على بيئته ونشأته ودراسته ورحلاته طلبا للعلم ، وثقافته ومؤلفاته خاصة ما يتصل منها بالدراسات الأدبية ، ثم عن منزلته العلمية والأدبية بين علماء وأدباء عصره ، لذا رأيت أن ألقى الضوء فى نبذة وجيزة وإلمامة سريعة على حياة الزمخشرى قبل أن أعرض لفكره الأدبى من خلال تفسيره الكشاف وأبدأها بالحديث عن مولده .

١ ـ مولده :

ولد أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب عام سبعة وستين وأربعمائة للهجرة (٢٧ من رجب ٤٦٧ هـ) الموافق لليوم التاسع عشر من مارس سنة خمس وسبعين وألف ميلادية (١٩ من مارس ١٠٧٥ م)(١) . فى قرية تسمى « زمخشر » من قرى « خوارزم » وإليها نسب .

١ ـ بيئته :

فتح العرب إقليم خوارزم سنة ثلاث وتسعين هجرية [٩٣ هـ] بقيادة « قتيبة بن مسلم الباهلى » وقد أقبل أهل هذا الإقليم على الإسلام بشغف ، وجَدُّوا فى تعلم اللغة العربية لغة القرآن والحديث ، وهما مصدرا الشريعة ومنبعاها ؛ فلما كانت النهضة العلمية والأدبية فى العصر العباسى ازدادوا ركضا فى ميادين الثقافة العربية . وقد أجمع المؤرخون على أهمية خوارزم فى تقدم الحضارة وازدهارها ثقافيا ، كما اتفقوا على خصب أرضها ، وامتداد عمرانها ، وكثرة خيراتها .

وقد طبعت هذه البيئة التى تنوعت مناظرها ، وتعددت مباهجها بين مياه ومزارع وصحار طبعت أهلها بطابعها وصبغتهم بصبغتها ، فكان لطبيعتها الجميلة الساحرة ، ووفرة أسباب المعيشة والترف فيها ، كان لهذا كله أثره فى صفاء أخيلة أدبائها وشعرائها ؛ فتخرج فيها جماعة من الأدباء والشعراء .

وقد وصف المقدسى أهل خوارزم بأنهم : « أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب ، وقلّ إمام فى الفقه والأدب والقرآن لقيته إلا وله تلميذ خوارزمى تقدم وزجا »(٢) .

---

(١) كارل بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربى ٥/٢١٥ .

(٢) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى ص ٢٨٤ .

٢ ـ نشأته :

فى هذا العهد الذى كان يشجع العلم والأدب ، ويبسط حمايته على العلماء والأدباء نشأ الزمخشرى نشأة طيبة من أسرة فقيرة تقية نقية عرفت بين الناس بالصلاح والتقوى ، واشتهر ذلك عنها ، إذ كان أبوه عالما أديبا ورعا تقيا صوام النهار قوام الليل ، حريصا على مكارم الأخلاق .

وقد أشاد الزمخشرى بصفات أبيه هذه كما أشاد بتذوق أبيه للأدب عندما رثاه بقوله :

فقدتـــه فاضلا فاضت مآثـــره ... العلـم والأدب المأثـور والـورع
أخـا طبــاع مصفــاة مناسبــة ... ماء السحابة ما فى بعضهـا طبـع
لم يأل ما عاش جدا فى تقــاه يرى ... أن الحريص على دنيـاه منخــدع
صام النهار وقام الليـل وهـو شج ... من خشية الله كابى اللـون ممتقـع
من المروءة فى عليــــاء متسع ... صدرا ، وإن لم يكن فى المال متسع(٣)

فهذا يدلنا على أن والد الزمخشرى كان عالما أديبا قد تمكن الدين من نفسه فهو يقوم الليل ويصوم النهار ، ذو خلق مصفى ، وتلك صفات تنبىء عن تقوى صاحبها وعزوفه عن الدنيا ، وهو فى ريق الشباب ، ثم هو قليل المال كثير العيال .

أما أمه فكانت هى الأخرى صالحة تقية رحيمة القلب رقيقة الإحساس صافية النفس نقية السريرة مفطورة على حب الخير ، كريمة فاضلة ، ماجدة ، وما يحكيه فى سبب قطع رجله لدليل على رقة قلبها وشدة عطفها(٤) وصدق تدينها وحرصها على التمسك بالرحمة التى هى من أخص أمور الإسلام . وقد بكاها الزمخشرى فى شعر يفيض رقة وحنانا ؛ فهى تناديه من عالمها وهى فى رضوان الله وواسع رحمته فتقول :

أبُنَّـى إنى فى الجنــان مقيمــة ... أختــال بين ظليلــة الأفيـــاء
حر الجحيم ، رضا الـرحيم أعـاذنى ... منـه ، وأنزلنــى مع الصلحـــاء
وجنــة الفـــردوس فوق أريكـــة ... فى قبـــة من وردة زهــــراء
حفت خيـام الحور حولَـىْ قبتــى ... وبـــرزن عرصتها صبـــاح مساء
أعـــزز علــىّ بأن أرانى هكـــذا ... وأراك رهــن الوجــد والبرحـــاء
أعـــزز علــىّ بأن تطـــول مسرتى ... وتطيــل أنت تنــفس الصعـــداء

---

(٣) مخطوط ديوان الأدب للزمخشرى ورقة ٧٢ .

(٤) يقول الزمخشرى : « كنت فى صباى أمسكت عصفورا وربطته بخيط فى رجله فأفلت من يدى ، فأدركته وقد دخل فى خرق فجذبته فانقطعت رجله فى الخيط ، فتألمت والدتى لذلك وقالت : قطع الله رجلك كما قطعت رجله . فلما وصلت إلى سِنّ الطلب رحلت إلى « بخارى » لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلى وأصابنى ألم أوجب قطعها . (معجم الأدباء جـ١٩ ص١٢٧ ووفيات الأعيان جـ٤ ص٢٥٥) .

هذه أسرة الزمخشري التي لا يعرف عنها المؤرخون إلا ما رواه هو عنها : أسرة تقية نقية ظفرت بحظ كبير من التقوى والعلم والأدب ، وكان لهذه الأسرة أثر واضح في حياة الزمخشري ، إذ شب مستقيما على طريق الله مستمسكا بكتابه ، داعيا بسنة رسوله ﷺ ، ومع أنه شاعر ، وفي استطاعة الشاعر أن يهيم بخياله في وصف المرأة والحديث عنها ؛ إلا أن نفسه لم تطاوعه على القول في النساء والتصابي بهن ، ويبدو أن لحياته الخاصة التي ظللتها الكآبة أثرا في ذلك ؛ فقد سلبه الموت كل نصير أو معين في دنياه ، وهو لما يزل غضا . فلم يترك له أما ولا أبا ولا جَدًّا ولا أخا ولا عما ولا خالا ؛ فها هو ذا يحدثنا عن جماعة من أقاربه تخطفهم الموت واحدا إثر واحد فيقول :

ما للنـــوائب لا ينـــفك ديـــدنها غمّـــى وهجيّرهـــا قهـــرى وإذلالى
أودت بجدى، وما أبقت أخى، وطوت عمّى، وصادت بأسباب الردى خالى(٦)

ويحدثنا عن خالين امتدت إليهما يد المنون فأصبح بفقدهما في شرحال فيقول :

يا خير خالين إنى بعـــد فقـــدكما من لوعـــة وأسى فى شرحـــالين
وإن فُرقـــة خال واحـــد حطـــمت ظهـــرى فكيـــف إذا فارقت خالين(٧)

لقد اعتزل النساء ونسلهن ، وآثر أن يعيش حصورا . ويبدو أنه أخذ العظة من والده فقد كان أبوه كثير العيال رقيق الحال ؛ فاختار الزمخشري حياة يهدأ فيها ويعكف على نفسه وعلمه لا يشغله عنه شاغل .

٣ ـ رحلاته وتنقلاته :

كان الزمخشري في شبابه ومطلع حياته ذا آمال كبار ، يستشرف بعينيه مستقبلا ينعم فيه بسلطان ومرتبة عالية ليحصل منه على المال الوفير والجاه العريض والمنصب العالي الرفيع ، ولهذا اتخذ من أستاذه « الضبي »(٨) همزة وصل تصله بالوزير « نظام الملك » الذي كان يعرف قدر العلماء ، وكان « الضبي » مقرباً من هذا الوزير ، وكان « الزمخشري » يعرف هذه الصلة

---

(٥) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٨٥ .

(٦) المصدر نفسه ورقة ١٠٠ وهجيرها = طبيعتها وشأنها .

(٧) المصدر السابقة ورقة ١١٤ .

(٨) وهذا الأستاذ يصفه ياقوت في معجمه بأنه فريد عصره ووحيد دهره وأنه حاز كثيرا من الفضائل علما وخلقا وفضلا وأدبا ، وأنه أكثر الناس إحاطة بعلمي اللغة والنحو ، يضرب به المثل في أنواع الفضائل ، أقام بخوارزم وانتفع الناس بعلومه ومكارم أخلاقه ، وأخذوا عنه علما كثيرا ، وتخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة والنحو ، وهو الذي أدخل على « خوارزم » مذهب المعتزلة ونشره بها فاجتمع عليه الخلق لجلالته ، وتمذهبوا بمذهبه (انظر معجم الأدباء جـ١٩ ص١٢٣) وهو غير الضبي صاحب المفضليات .

ويستشفع بها لدى الوزير ليصله بالسلطان ، فمدحه ومدح غيره . غير أن أمل الزمخشرى لم يتحقق فى توليه منصبا وهو النابغة الألمعى والعالم الذكى والأديب اللبيب ، فتأسى وحزن وشكا آلامه من دنيا ترفع الحقير ، وتضع الفذ العظيم فى قصيدة صور فيها ضيق نفسه وبرمه بعلمه وأدبه وكفايته وفضله ؛ إذ لم تبوئه تلك الفضائل المكان الرفيع الذى يستحقه ، وجهر بأنه من الظلم أن يظفر المتخلفون الكسالى بما يجب أن يناله الأكفاء المجدون ، وسخط على الزمن الذى جاد على الأراذل بحقوق الأماثل .

[ثم] حدثت حادثة غيرت من مجرى حياته إذ مرض مرضا شديدا فعاهد ربه إن شفى من مرضه هذا ألا يطأ عتبة سلطان ، أو يمدح أميرا أو وزيرا ، أو يطمع فى منصب أو جاه فرحل إلى بغداد ، واجتمع فيها بالفقهاء وأهل الحديث . وممن اجتمع بهم الفقيه الحنفى الدامغانى ، والشريف ابن الشجرى ، وشيخ الإسلام أبو منصور الحارثى وأبو الخطاب بن البطر(٩) ، ثم أراد أن يغسل ذنوبه كما صورتها له نفسه تلك الذنوب هى الطمع فى المنصب واستجداء عطيات الملوك والملق فى المديح تصاغرا .

وشاءت نفسه أن يفر من جوار هؤلاء الملوك حيث خابت آماله وتبخرت أحلامه ، وأن يلجأ إلى ملك الملوك حيث لا يخيب الراجى ، فرحل إلى مكة ، وفى طريقه إليها تغنى بتلك المعانى :

سيرى تماضر حيث شئت وحـدثى ... أنى إلى بطحـاء مكـة سائـر
حتى أنيـخ وبين أطمـارى فتـى ... للكعبـة البـيت الحرام مجاور
متعـوذ بالركـن يدعـو ربـه ... يشكـو جرائـر بعدهـن جرائـر
يشكـو جرائـر لا يكاثرهـا الحصى ... لكنها مثـل الجبـال كبائـر
والله أكبر رحمة ، والله أكـ ... ـثر نعمـة وهـو الكـريم القـادر
وأحق ما يشكـو ابـن آدم ذنبـه ... وأحـق من يشكـو إليـه الغافـر
فعسى المليك بفضلـه وبطولـه ... يكسو لبـاس البر من هو فاجـر
يا من يسافـر فى البـلاد منقبـا ... إنى إلى البلـد الحرام مسافـر
إن هاجـر الإنسان عن أوطانـه ... فالله أولى من إليـه يهاجـر
وتجارة الأبـرار تلك ، ومـن يبـع ... بالديـن دنيـاه فنعـم التاجـر
تالله ما البيـع الربيـح سوى الـذى ... عقـد التقـىُ، وكل بيـع خاسر
خربت هذا العمـر غير بقيـة ... فلعلنـى لك يا بقيـة عامـر
وعهدتنـى فى كل شر أولا ... فلعلنـى فى بعض خير آخـر

---

(٩) انظر بغية الوعاة للسيوطى ط السعادة ١٣٢٦ هـ .

في طاعــة الجبــار أبــذل طاقتـــى فلعلنـــــى فيها لكسرى جابـــــر
سأروح بين وفـود مكـــة وافـــدا حتى إذا صدروا فمــا أنـــا صادر
بفنـــــاء بيت الله أضرب قُبتـــــى حتــــى يحل بى الضريح القابــــر
أُلْقــى الـعصا بين الحطيم وزمـــزم لا يَطَّبينـــى إخـــوة وعشائــــر
ضيفـــا لمولى لا يخلّ بضيفـــــه ويَـــذْل أقصى ما تمنـــى الزائــــر
حسبى جوار الله ، حسبى وحـــده من كل مفخـــرة يَعُـــدُّ الفاخـــر
سأقيم ثَمَّ وثَـــم تدفـــن أعظمـــى ولسوف يعشنـــى هنــاك الحاشر[١٠]

وجاور الزمخشري بمكة حيث لقى من الأمير العلوى « على بن عيسى بن حمزة بن وهاس » كل تكريم ، وكان شريفا جليلا هماما ذا فضل عظيم ، وله تصانيف مفيدة ، وقريحة فى النظم والنثر مجيدة[١١] . وقد مدحه الزمخشري مدحا ينبيء عن صدق العاطفة والمحبة كقوله :

فتـــى هو حالٍ بالمعـــالى بأسرهـــا وقـد حليت منه المعـــالى بأوحـــدا
وتقـــرأ من سيمـــاه فى قسماتـــــه شهـــادة حق أنـــه سبـــط أحمدا
هو الحر ما أصدى إلى بيض معشرى فأبصره إلا نقـــــعت به الصدى
ولى منه نصح الجيب والعقدة التى أبت أن يرى المراءون أوثق معقـــدا
ومما أجـل الصنـــع فيـــه إناختـــى بمكـــة مرضيـــا مرادا ومــــوردا
ولـولا ابـن ، وهـاس ،وسابـق فضلـه رعيت هشيما ، واستقيت مصردا[١٢]

وقد بادله ابن وهاس المدحة بمثلها ؛ إذ كان يعرف فضله ومنزلته بين علماء عصره ، ومن مدحه قوله :

وكم للإمـام الفـــرد عنـــدى من يد وهاتـــيك مما قد أطَـــــابَ وأكثرا
أخـى العزمـة البيضاء والهمـة التـــى أنـافت بها ، علامـة العصر والـورى
جميع قرى الدنيا ـ سوى القرية التى تبوأهـــــــا دارا ـ فداء زمخشرا
وأحـرر بأن تزهـى زمخشر بامــــرىء إذا عد فى أسد الشرى زَمَـخَ الشرى
فلـــولاه ما طنّ البـــلادُ بذكرهـــا ولا طار فيها منجـــدا ومغــــوّرا
فلـــيس ثناهـــا بالعـــراق وأهلـــه بأعـرف منـه بالحجــاز وأشهـــرا[١٣]

---

(١٠) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٤٣ .
(١١) معجم الأدباء جـ١٤ ص٨٥ .
(١٢) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٢٧ .
(١٣) معجم البلدان جـ٤ ص ٤٠٠ ، وإنباء الرواه للقفطى تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم ط دار الكتب ١٩٥٥ جـ٣ ص١٦٨ .

ولبث الزمخشرى فى جوار هذا الشريف بمكة عامين زار فيها كل بقعة من بقاع أرض العرب كما يقول : « ووطئت كل تربة فى أرض العرب »[١٤] .

ثم اشتاق إلى وطنه وتجدد عنده الأمل فى المال والمنصب ، فرحل عن مكة ، وحين وصل إلى بلده « خوارزم » وجد من حاكمها « محمد خوارزم مشاه » كل تقدير واحترام . ذلك أن « خوارزمشاه » كان ــ كما يقول ابن الأثير ــ : « وقد قصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها ، وَقَرَّبَ أهل العلم والدين فازداد ذكره حسنا ومحله علوا »[١٥] . وقد مدحه الزمخشرى لشجاعته ورعايته العلم والأدب ومما قاله فيه :

وقد خدمت بشيئين استوى بهما — أمر الملوك ودان السيف والقلم
هذا لِكَتْبِ الأيادى واصل خَدِب — وذا لِكَتْبِ الأعادى صارم خَذِمُ
للكتب هذا وهذا للكتائب فى — يومى ندا وردى داع ومنتقم
صرير هذا ينادى فى مهابته — صليل ذاك فقد هابتهما البهم
أى الملوك تلاقت فى مجالسه — غرائب العلم والآداب والحكم[١٦]

وبعد وفاة « خوارزمشاه » ظلت مكانة الزمخشرى تزداد احتراما وتقديرا عند ابنه وخليفة ملكه « أتسز » غير أن الزمخشرى أَحَسَّ من نفسه إحساسا قويا وحنينا إلى مكة ملأ قلبه وملك فؤاده ، وشعر من داخله أن نفسه لن يقر لها قرار حتى يعود إلى مكة على حد قوله حين قيل له : فما الموجب لعودتك إلى مكة ؟ فقال : « القلب الذى لا أجده هنا ــ أى فى خوارزم ــ أجده هناك »[١٧] يعنى فى مكة .

من هنا أخذ يغذ السير إلى مكة ليجاور فيها جواره الثانى لمدة ثلاث سنوات ألّف فيها تفسيره « الكشاف » الذى نحن بصدد استنباط فكره الأدبى منه . وفى جواره بمكة مرتين ومدته يقول الزمخشرى :

فجاورت ربى وهو خير مجاور — لدى بيته المحرم عاكفا
أقمت بإذن الله خمسا كواملا — وصادفت سبعا بالمعرف واقفا

---

(١٤) أساس البلاغة للزمخشرى جـ١ ص٧٨ ط دار الكتب ١٣٤١ هـ .

(١٥) تاريخ الكامل لابن الأثير جـ١٠ ص٩٢ .

(١٦) مخطوط ديوان الأدب ورقة ١٠٧ .

(١٧) إنباء الرواة فى أنباء النحاة للقفطى جـ٢ ص٢٦٦ .

وتم لى (الــكشاف) ثَمَّ ببلـــدة ... بها هبط التنزيــل للحــق كاشفـــا
وزرت ابـن عبــاس بوَجّ ونمْنَــمَتْ ... يدى عند رأس الحَبر منـه طرائفـا[18]

وفى جوار الزمخشرى مكة فى هذه المرة الثانية سمى نفسه (جار الله) تعبيرا عن فرحه بهذا الجوار الذى صوره بقوله :

أنـا الجار جار الله ، مكـةُ مركـــزى ... ومضرب أوتـادى ومعقـــد أطنـــابى
فمـن يُلـق فى بعض القُرَيّات رحلـــه ... فأم القـرى مُلقـى رحـــالى ومنتـــابى
ومـن كل فى بعض المحاريب راكعـــا ... فَلَلْكعبـــةُ والبــــيت الحرام محرابى[19]

وقد لقى من « ابن وهاس » ما كان يلقاه من قبل من حفاوة وتكريم وما عوده منه ومن صحبه من كرم الوفادة والتعظيم .

٤ ـ وفاته :

عاود الزمخشرى الحنين مرة أخرى إلى وطنه واشتد به الشوق إليه ، ولا غرو :

فللأوطـــــــــان فى دم كل حر ... يد سلـــفت وديـــــن مستحــــــق

لهذا يمم وجهه عائدا إلى بلده قاصدا موطنه ، وفى طريقه إليه مر ببغداد عام ثلاثة وثلاثين بعد الخمسمائة للهجرة النبوية[20] (٥٣٣ هـ) . ثم ولّى وجهه شطر وطنه حيث استقر به المقام إلى أن وافته منيّته ليلة عرفة بجرجانية خوارزم عام ثمانية وثلاثين وخمسمائة هجرية[21] (٥٣٨) . ورثاه بعض الشعراء بأبيات منها :

فأرض مكـة تذرى الدمــع مقـــلتها ... حزنـــا لفرقـــة جار الله محمـــود[22]

وقيل : إن الزمخشرى أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الأبيات :

يا من يرى مدّ البعـــوض جناحهـــا ... فى ظلمـــة الليـــل البهيم الأليـــل
ويــرى عروق نياطهـــا فى نحرهـــا ... والمخّ فى تلك العظـــام النحّـــل
انظـــر لعبـــد تاب عن فرطاتـــه ... ما كان منـــه فى الزمـــان الأول[23]

---

(١٨) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٧٩ .
(١٩) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٥ .
(٢٠) وفيات الأعيان جـ٢ ص ١١٠ .
(٢١) المرجع نفسه .
(٢٢) تفسير الكشاف جـ٤ ص ٣١٠ ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
(٢٣) المصدر السباق ص ٣٠٩ .

الأم بين شاعرين

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين

من معجزات الكتاب العزيز حِفْظُهُ للقِيَم، وتشديده فى رعايتها وممارسة الواجب نحوها، وفى مقدمة ذلك، العناية والأدب مع الوالدين، وذلك واضح فى الآى الشريف، حيث يقول تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ الإسراء ٢٣ ويقول تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ لقمان: ١٤

ولقد نَّوه الكتاب العزيز بفضل الأم ومعاناتها، وحملها - فى هذا المقام - جَهْداً اُخْتَصَّتْ به، دونه أى جهد، وفى الصحيح عن أبى هريرة - رضى الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبى - ﷺ - فقال: (من أحق الناس بُحسْن صحابتى؟ قال: أمك. قال: ثم مَنْ؟ قال: أمك، قال: ثم مَنْ؟ قال: أمك، قال: ثم مَنْ؟ قال: أبوك) (انظر تفسير القرطبى ١٠/٢٣٨).

وفى الحديث الشريف: «الجنة تحت أقدام الأمهات»(١)

هذه المنزلة التى أبرزها الكتاب العزيز، وطلب الله - عز وجل - تحقيقها فى ممارسة مع أرفع ألوان السلوك الأدبى مع الوالدين، ونوهً بها رسولُنا الكريم، نَدَّتْ عن الأكثرية الغالبة بين جمهور المسلمين؛ فلم يلتفتوا إلى تكريم الأُم إلا بعد أن طوَّف نداء السيدة الأمريكية (آن جارفيير) التى سعت إلى تخصيص يوم فى العام لتكريم الأم، واستجاب لها الكونجرس الأمريكى عام ١٩١٣ م فأصدر التشريع المنشود، وتبارى الغرب فى تكريم الأم يوما فى العام.

وبعد عشرات السنين كتب (على أمين) يحث على الأخذ بهذا التشريع فاستجيب له، وأصبح يوم (٢١) من مارس عيداً للأم.

ترى نأسى، أم نأسف لوضع مُزْرٍ وسلوك مهين لأخذنا عن الغرب فى هذا الموضوع الحيوى النبيل؛ لكن هذا هو الذى كان .. وياليتنا تخلصنا من تبعية مهينة أصبحت، بل أخشى أن أقول: لقد صارت شيئا داخل (جينات) تكويننا .. لا علينا !!

إن القلة الرفيعة بين ذواتنا لم تنس الوالدين، والأم خاصة، وطرحت فى الأدب العربى ألوانا أدبية باهرة رفيعة القدر مكتظة بالحنان والحب، سواء فى ذلك جانب الآباء والأبناء فَشِعْرُ الأبوة فى الأدب العربى - ملىء بالحنان والحب للأبناء، وللأبناء شعرهم فى والديهم، وبخاصة أمهاتهم .. وهو عامر بالحب ملىء بالوفاء، ونجد مثل ذلك فى

(١) أخرج الحديث الشريف أحمد والنسائى ابن ماجة والحاكم عن معاوية بن جاهمة السلمى - أنظر كشف الخطأ للعجلونى ٤٠١/١ الحديث رقم ١٠٠٨

الأدب الغربى ، ونحن هنا نعقد مقارنة بين نصَّين فى الأم : أحدهما للشاعر العربى محمد الهراوى[٢] .

والثانى للشاعر الألمانى : هنريك هاينى ، وقد ترجمت قصيدته إلى الانجليزية ، وعنها قمتُ بترجمتها شعرا ، ونقدم النص العربى أولًا :

أنشد الهراوى قصيدته هذه ، وهو تحت وطأة التأثر الشديد لفقد أمه ، وهو على كبر ، أى فى السن التى تقدر الأمومة حق قدرها ، فلم يكن غيريراً يدفعه صغر السن إلى العبث بحقها دلالاً عليها .

فقال بالتياع شديد ، يصور عمق مأساته بفقدها :

تكشَّفْتُ للأحداثِ بعدك ياأمى
فياطول ماألْقى من الحزن والهمِّ
فَقَدْتُ التى كانت إذا شَطَّ بى النوى
تُسائل عنى فى الدُّجَى سارىَ النَّجم
وإن مَسَّنى سُقْم ثَوَتْ عند مرقدى
لزاما فلَمْ تبْرَحْه إلا مع السُّقْم
على أنها ـ والسقم يبْرِى عظامها ـ
تحاول أن تُخْفيه عنِّىَ .. بالكَتْم
ولو أنها اسْطاعت لأَخْفَتْ حِمامَها
وقد حُمَّ ـ إشْفاقا علىَّ من الضيم !
فيارحمتا للفاقدى أمّهاتهم
من الناس مثلى ، أو من الطير والبُهْم
فإن الحنان الحق فى الأم وحدها
وغير حنان الأم .. ضَرْبٌ من الوهم
فإنْ قلتُ ياأُماه .. أغْنانِىَ اسمُها
عن الأب والأبناء ، والخال والعمِّ
عصامية كانت ، ولكنّ رأيها
لدى مُعضلات الأمر فوق ذوى العلم
فقدْتُ أبى طفلًا ، فلم أدْرِ ما الأسى
وأُفْقِدْتها كهلا .. فَهَدَّ الأسى عزمى
فياليت أيام الحياة وقَفْن بى
لدى موضعها منها .. من اللثم والضم
وياليت لم يقطع بنا الدهر شَوْطه
فإن خُطاه .. للقطيعة والصَّرْم
سأخضع ياأمى ، لقلبى ومدمعى
على الرغم ماأسْديْتِ .. من نُصحك الجمِّ

وهذه قصيدة (هنريك هاينى) التى تُرجمت إلى الإنجليزية ، وترجمناها ـ بدورنا ـ شعراً إلى العربية .. فمقارنة الشعر بالشعر فى نظرنا خير من مقارنة ترجمة نثرية ، بشعر مستكمل لعناصر الموسيقى والإيحاء ..

وهاك النص الإنجليزى :

Thee had I once in a mad dream forsaken
And then I longed to roam the wide world over
To see, perchance, if I might Love discover,
And, with embrances loving, love awaken !
I made my search for love thro'all the ways,
Before each door with outstretched hands implored,
Like any begger, alms from Love's rich hoard.

---

(٢) محمد الهراوى من أكبر شعرائنا المعاصرين ، من الرعيل الثانى لشوقى وحافظ ، وقد عاصرهما ، وأثر عنه العناية بشعر الأطفال يؤديه فى براعة واقتدار ، صدر له ثلاثة دواوين فى أدب الطفولة ، عاش بالقاهرة وكان من شعراء « الرسالة والثقافة » توفى فى الأربعينيات .. (أحمد حافظ)

Men sneered, and froze me with their scorful gaze.
But in my love-search never ceasing, ever
For Love, still Love, I sought and found it never;
Then turning once more homeward, sick with care,
Thou didst come forth to meet me-was I dreaming ?
For oh, behold ! in thy deep eyes lay gleaming :
Love, the long sought-for, sweetes Love... was there.

وترجمتنا لهذا النص ، شعراً :

تناءَيْتُ عن أمي بوهْم وغفلة
فما كان أشقاني .. بنأْيٍ وَغُربةِ

* * *

ونقَّبْتُ فى طول البلاد وعرضها
عن الحب ، فى شتى صنوف وصورةٍ
لأعرفَ ماكُنْه الوداد وسِرِّهِ
وألْقاه فى تَوْقٍ يؤجِّج مهجتى
أدين بدين الحب ، لاشيءَ غيره
وأنْشُدُه .. فى كل صُقْعٍ وَوِجْهَة
وكم جُبْتُ آفاقا وجُزْتُ مسالكاً
وكم فوقَ دُور الناس .. كرَّرْت دَقَّتى
لدى كل باب ، كم مَدَدْتُ لهم يدى
لعْطف وإحسان ، لفضلة صَبْوةَ !
وماكنت أستَجْدِى سوى الحب وحده
وإلا .. ففى ذُلِّ السؤال .. مَنِيَّتى

* * *

ولكننى لم ألْقَ إلا زِرايةً
وبُغْضا ، وإنكاراً يثير حفيظتى
وطال بِىَ التَّطْوافُ بَحْثاً عن الهوى
بِخُفَّىْ حُنَيْنٍ ، قد رجعتُ .. بخيبتى !
وعُدْتُ إلى دارِى .. بِبَثِّى ولوعتى
وقد نال منى الداءُ .. فى ذات ليلة ..

* * *

وأقْبَلْت ياأُمى ، بأسرع خُطوةٍ
وقد طافَ فى عينْيكِ ، ماضَاءَ ظُلْمتى
فإنى رأيتُ الحبَّ يبدو مُجسَّماً
ويُسْفر فى عينيكِ .. من غير ريبة
فأدركْتُ فى لَمْح البصيرة ، ما الذى
طوْيَتُ له الأمصارَ ، فى طُول رحلتى

* * *

نلاحظ ــ بادىء ذى بدء ــ أن الهراوى عمد إلى سكب عواطفه فى بحر الطويل ، فإن موسيقاه الهادئة وامتداد أنفاسها يساعدان تماما على احتواء أحزان وحدته ، وحبه وتحنانه ، وفيض مشاعره وأحاسيسه ، فبدت القصيدة شامخة متفردة ، لاسيما أنه لم يقتصر على مجرد التفجع ، بل تعداه إلى عطاء الأم فى أكرم صورة إلى النهاية من قمة مأساته بفقدها .

وقصيدة « هاينى » ــ وقد اطلعت عليها فى الإنجليزية لبعدى عن معرفة الألمانية ــ لها عاطفتها أيضا : وإن كانت المعانى الواردة ، تعطى شحنة عاطفية دون مستوى مالدى الهراوى ، وقد اخترت للترجمة الانجليزية قالبا عربيا من نفس البحر ؛ ليمكن أن يكون له نفس العطاء لعاطفة الشاعر ومعانيه ، وحتى لانجور على « هاينى » ينبغى أن نُذَكِّر بأن قصيدة هاينى قيلت ــ وأمه على قيد الحياة .

وحرصاً منا على استضافة النص الشعرى من أية لغة أجنبية على لغة الشعر العربية فقد حرصنا ماأمكن على النفاذ إلى روح نص « هاينى » لترجمته شعراً بأكبر قد من الدقة ، وإن تَطَلَّبَ الأمر ما لابد منه من تصرف مناسب يساعد على إبراز النص وإضاءته ليؤدى مقصود صاحبه .

● ختام البيت الأول لدى الشاعرين يكاد يكون واحداً بينما يختلفان فى مطلعه ، فالأم لدى الهراوى (درع نجاة) سقط عنه بوفاتها فسقطت عنه الوقاية ، وصار كالغــرض المنصوب لتلقــى الضربات ، وهو عند (هاينى) مجرد ابتعاد عن الأم طلبا لحب انطلق إليه عن وهم وغفلة ، وكلاهما يجمعه فى القصيد « البُعْد » عن الأم ، وفراقها .

ثم ينساق هاينى فى البحث عن الحب الخالص بعيداً عن أمه ، وبعد سلسلة من التجارب المتلاحقة يكتشف أن هذا الحب ليس إلا عند أمه وحدها ، فاتفق مع الهراوى فى قول الأخير :

فإن الحنـان الحق فى الأم وحدهـــا
وغير حنـان الأم ضرب من الوهـم

ويتناول هاينى نفس المعنى فى الأبيات الثلاثة الأخيرة من قصيدته ـ حيث يقول ـ وقد رأته أمُهُ سقيما نال منه الداء :

وأقبلت يا أمى .. الأبيات

● ومما ينبغى ألا يفوتنا أو يفوت القارىء أن منزلة الأم التى يصورها الهراوى مشحونة بالرثاء لفقدها .. الأمر الذى لم يكن عند هاينى ، لذا لا نستطيع أن نكلف هاينى أن يقول مثل ماقال الهراوى :

ولو أنها اسطاعت لأخفت حمامها
وقـد حُمَّ .. إشفاقاً على من الضيم

فإن هذا الموقف لم يمر بـ (هاينى) بعد .

إن شيئا من الترف الذهنى ، وفسحة من مجال التأمل والفكر قد اتيحا للشاعـر الألمانى ، بينما كانت لوعة المصيبـة تصب لواعجهـا فى قلب الشاعر العربى فى غير ماترف ولافراغ ، على أن كلا الشاعرين أجاد .

● ولقد تذكر المقارنة بما يدفـع من تداعـى المعانى ، إذ نقرأ قول الهراوى .. وهو فى تلك السن من الكهولة :

فإن الحنـان الحق فى الأم وحدهـــا
وغير حنان الأم ضَرْبٌ من الوهـم

والأبيات الثلاثة الأخيرة لـ « هاينى » يذكرنا ذلك كله ببيت المعرى فى أمه ـ فى نفس السِن تقريباً :

مَضَتْ ـ وقد اكتهلتُ ـ فخلت أنى
رضيع مابلـــغت مدى الفِطـــام

والبيت من الروعة حتى ليكاد يلقى ستاراً على الهراوى وهاينى معاً .

● وقد نأخذ على هايتى مبالغته فى غير اعتدال فى قوله :

أديـــن بديـــن الحب لاشىء غيره
وأنشده فى كل صُقــع ووجهـــة

مع ما فى البيت من تضمين قد يشير إلى التماس الحب عن طرق غير مشروعة ، وإغراق ؟ فى مادية خارجة ، وذاك لون خلت منه أبيات الهراوى الذى أحاط حب أمه وحنـانها بطهـر القصد وعفة الكلمة .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د. محمد عبدالحكيم محمد

ترجمة خطيرة للقرآن الكريم

عُرفت حركة الاستشراق ـ عبر تاريخها الطويل ـ بخدمة التبشير والاستعمار وبدورها المتحامل على الإسلام فى معظم الدراسات التى قدمتها عن معارف وعلوم الشرق الإسلامى ، لكن أن يتسع نطاق الاستشراق ويمتد بالتشويه إلى ترجمة معانى «القرآن الكريم» وتحريفها بالمغالطة والتمويه والتضليل ، وعلى يد مستشرق فرنسى أولاه مجمع اللغة العربية بمصر الثقة وأعطاه عضويته ؛ فهذا هو الأمر المثير الذى لا يحسن السكوت عليه .

نوهت بهذا التضليل والتمويه الأستاذ الدكتورة زينب عبدالعزيز فى بحث مطول نشرته «رسالة الجهاد» تحت عنوان «وجهان لجاك بيرك» ودعمته بالأمثلة التى تعد دليلًا صارخاً لتعديه على حرية هذا الكتاب المقدس ، آخر كتب السماء .

وأشارت الدكتورة إشارة صريحة إلى أنها قدمت القليل مما حوته هذه الترجمة التى تعمد صاحبها هذا التشويه والنيل من رسول الله ﷺ .

إن تنصروا الله ينصركم

وتلقت المجلة كلمة من الأستاذ / سامى محمد عبدالحميد ـ بوكالة أنباء الشرق الأوسط ـ يأسف فيها مما جرى على الساحة الإسلامية من هزائم واستكانة ، بينما المخططات الرهيبة تتآمر على الأمة الإسلامية للنيل من مقدراتها المادية والمعنوية ، ويستنفر المسلمين للعمل مع بذل النفس والنفيس لأن النصر قادم لا محالة ، فذلك وعد الله لمن ينصر دينه ويتوكل عليه ويرفع لواء الحق ، قال :

الحرب ضد الإسلام تُدار فى كل جبهة .. فى السياسة والثقافة والاقتصاد والفكر ، بل فى اللغة العربية أيضا ، وليس من المعقول أن نقف موقف العاجز ؛ لأن القوة العسكرية الغربية ليست وحيدة فى العالم ، ونحن نستطيع أن نتعاون مع الصين وباكستان وغيرهما ؛ بل ومع دول أوروبية لها مصالحها ، وعندما أصدر المؤتمر الإسلامى تحذيره وأمهل العالم حتى (١٥ يناير) للتدخل فى البوسنه بدأ الغرب يتحرك .

إن الإسلام قوة هائلة ولكن أصحابه لا يدركون ، وليس العيب فى الغرب أن يعمل لمصالحه

ولكن العيب فينا أننا لا نعمل لمصالحنا بل نعمل لصالح غيرنا غفلة منا ، وكما قال الشيخ جمال الدين الأفغانى : «لو لم نكنْ غنماً لما كانوا ذئاباً» إن حكوماتنا الإسلامية مطالبة بالتحرك المستمر ، وأن يكون الإسلام أساساً فى سياستها .

والأزهر بثقله الأدبى والدينى والعلمى يستطيع بدوره الرائد أن يحرك هذه الأمة الإسلامية التى أصابها اليأس حتى تقوم للدفاع عن تراثها ودينها وثقافتها وحقها فى الحياة طبقا للنظام الذى تريده ، وليس طبقا لما يريده الغربُ الذى أفلس ـ أو كاد ـ رغم كل مظاهر القوة .

فالعاطلون عندهم بالملايين والديون هائلة فى دول غربية كثيرة ، وهذا خلل اجتماعى خطير ، إلى جانب خلل فكرى آخر كبير يتمثل فى فقدان الغرب للمبادىء الدينية والأخلاقية ، وذلك أمر يعرض بقاءه للخطر .

والأزهر هو الأزهر يريدون هدمه ولن يُهدَمْ ويريدون محوه ولن يُمحَى ، الأزهر هو المتفتح على كل الثقافات هو الذى قدم لمصر رفاعة ومحمد عبده وسعد زغلول وقبله أحمد عرابى كما قدم مصطفى عبدالرازق والشيخ الكبير عبدالرحمن عليش وغيرهم من أقطاب الأدب والفكر ، وحماة الدين وحراس العقيدة .

إن الأزهر هو الذى أثر فى أوروبا وهو بُوَتَقَةُ الأصالة والتفتح ومعيار الحرية والتقدم ، وسوف يذهب التافهون والعابثون ويبقى العاملون والصادقون «ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» .

العلمانية ضلالة مستوردة

كما وردت كلمة بقلم الأستاذ/ عبدالرحمن عبدالسلام يعقوب تناول حقيقة استيعاب الإسلام لشئون الدنيا الدنيا والآخرة ، وكشف عن خبث ما ترمى إليه «العلمانية» من (فصل الدين عن الدولة) .

وقد لفت انتباهه تغلغل العلمانيين فى شتى شئون المسلمين فى العالم الإسلامى مما ساعد على نجاح الاستعمار فهم فى وسائل الإعلام يُرَوّجِون لعزل الدين عن توجيه الدولة وتنظيمها ، بدعوى أن الدين شيىء والسياسة شيىء اخر .

ان الكاتب ـ فى هذه الكلمة يستقرىء التاريخ ويؤكد به أن الدين فى الغرب كان معناه الكنيسة وسلطة البابا واستبداد رجال الكهنوت بالأرواح والضمائر ، فأين هذا من دين الإسلام ؟ وليس فيه بابوية ولا كهنوت ولا استبداد بالضمائر والأرواح ، ورحم الله معروف الرصافى حيث يقول :

يقولـــون فى الإسلام ظلمـــا بأنـــــه   يصدُّ ذويــه عن طريـــق التقــــدم
فإن كان ذا حقـا فكيــف تقــدمت   أوائلـــه فى عهدهــــا المتقــــدم

وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله … فماذا على الإسلام من جهل مسلم
هل العلم فى الإسلام إلا فريضة … وهل أمة سادت بغير التعلم
لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلا … بصائر أقوام عن المجد نوَّم

ردود خاصة باشتراكات المجلة

● إلى الاخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

● وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ــ بنسخة واحدة شهرية ــ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الاخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ــ قسم الاشتراكات ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ ج. م. ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها ، وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الإنتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الإنتاج مسنداً إسناداً علمياً كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد : الأستاذ مصطفى عبدالمجيد

نشاط مكثف لعلماء الأزهر
بالداخل والخارج
خلال شهر رمضان المعظم

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على حركة بعثات كبار علماء الإسلام من مصر إلى الدول العربية والإسلامية ودول العالم المختلفة للقيام بواجب الإعلام الإسلامى خلال شهر رمضان المعظم وذلك بإحياء ليالى الشهر الفضيل بالمحاضرات والندوات الثقافية التى تعنى شرح أحكام الإسلام وآدابه ، وللرد على مايتردد من أكاذيب وافتراءات .

تضم البعثات كبار علماء الأزهر ، وتشمل دول أمريكا وانجلترا وهولندا وبلجيكا وألمانيا والسويد وأسبانيا وسويسرا وفنزويلا بالإضافة إلى العديد من دول آسيا وإفريقيا .

هذا وقد أصدر فضيلة الإمام الأكبر توجيهاته بأن يتم تكليف أكثر من خمسة آلاف من علماء الأزهر الموجودين فى بعثات وإعارات خارجية بالمشاركة فى إحياء ليالى الشهر الفضيل بالدول التى يعملون بها ، وبأن يوضحوا للعالم سماحة الإسلام ويسر عقيدته .

وعلى الصعيد الداخلى تم إعداد خطة مشتركة بين الأزهر والأوقاف لقوافل التوعية الدينية خلال شهر رمضان تجوب القرى والمدن والتجمعات الشبابية للإجابة على تساؤلات المواطنين .

الإمام الأكبر يفتتح الدورة العشرين لدعاة وائمة العالم الإسلامى

افتتح فضيلة الإمام الأكبر بعد ظهر الأربعاء ١٨ من شعبـــان ١٤١٣ هـ الموافـــق ١٠/٢/١٩٩٣ م ــ الدورة التدريبية العالمية العشرين لدعاة وائمة العالم الوافدين إلى الأزهر ، وذلك بمقر الدورة بمدينة البعوث الإسلامية .

يشارك فى هذه الدورة علماء من نيجيريا والسنغال وأثيوبيا وروسيا وغينيا وكازاخستان وبنجلاديش .

حضر حفل الافتتاح السيد السفير مساعد وزير الخارجية للعلاقات الثقافية والسادة سفراء الدول المشاركة فى الدورة وقيادات الدعوة بالأزهر .

الإمام الأكبر يفتتـح أول مطبعة للمصحـف الشريف بمدينة الغردقة

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أول مطبعة للمصحف الشريف بمدينة الغردقة ، وهى مطبعة (دار الصفا الإسلامية) ، والمطبعة مزودة بأحدث أجهزة الطباعة وتقوم بطبع العديد من المصاحف التى يتم توزيعها مع حلول شهر رمضان المعظم . وكان فضيلة الإمام الأكبر قد زار مدينة الغردقة وتفقد المعاهد الأزهرية بها وبحث فضيلته مع السيد اللواء يسرى الشامى محافظ البحر الأحمر احتياجات المنطقة من المعاهد وكيفية إسكـان الطلاب .

رافق فضيلة الإمام الأكبر فى تلك الزيـارة فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع مجلس الأباء والمعلمين للمعاهد الأزهرية

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية .

تم خلال الاجتماع منـــــاقشة كثير من الموضوعات التى تتعلق بالمعاهد الأزهريـة وطلابها .

وقد وافق المجلس على إجراء مسابقة عامة فى حفظ القرآن الكريم وتفسيره تجرى بين طلاب المعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية .

كذلك تم تخصيص مبلـغ ٧٥ ألـف جنيـه للأنشطة الطلابية والمعسكرات الصيفية وتخصيص مبلغ نصف مليون جنيه لإنشاء منطقة أزهرية وبيت شباب لطلبة الأزهر بمدينة العريش بشمال سيناء .

الإمام الأكبر يواصل سلسلة احاديثه خلال شهر رمضان المعظم

يقدم فضيلة الإمام الأكبر سلسلة أحاديثه .. مع القرآن الكريم ــ فى رمضان ، عقب صلاة التراويح على شاشة القناة الأولى بالتليفزيون .

أنباء العالم الإسلامي

اعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

التوجيه الإسلامي للعلوم

أكّد مؤتمر التوجيه الأسلامي للعلوم على ضرورة مراجعة مناهج جميع العلوم غير الشرعية لتنقيتها مما يناقض أحكام الإسلام ، ويتعارض مع تعاليمه السمحة ، وذلك لتوجيهها توجيها إسلامياً صحيحاً وتشجيعاً لطلاب الدراسات العليا على التدقيق فى اختيار موضوعات تخصصاتهم .

وطالب المؤتمر فى ختام أعماله بالقاهرة باستخدام القمر الصناعى العربى «عربْسَات» فى إنتاج إسلامى مشترك لدعم التوجيه الإسلامى للعلوم ومواجهة البث المباشر من الإعلام المغرض غير الإسلامى وإنشاء جائزة سنوية تحت اسم «جائزة التوجيه الإسلامى للعلوم» تُمنح للبارزين فى هذا المجال ، وتكوين لجنة من جامعتى الأزهر والإمام لضبط المصطلحات والمفاهيم المنهجية الخاصة بهذا الموضوع . وأكّد المؤتمرون على ضرورة التعاون بين الجامعات والمراكز والهيئات المعنية بقضايا الإعجاز العلمى للقرآن والسنة ، وتشكيل فريق عمل من العلماء المتخصصين لإجراء مسح شامل للتراث الإسلامى وصياغته بىغة العصر وعقد ندوات ومؤتمرات لتنمية التعاون بين علماء الشريعة والمتخصصين فى العلوم الكونية والإنسانية .

بشـــرى

بمناسبة شهر رمضان المعظم قامت وزارة الأوقاف باصدار ترجمة لمعانى القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية لعلماء مصريين وبتمويل مصرى ، هذا العام لأول مرة وتضم الترجمة بين دفتيها تفسيراً للآيات وأسباب نزولها ، صرح بذلك وزير الأوقاف المصرى الدكتور محمد على محجوب .

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

شرع المسلمون فى جمهوريات آسيا الوسطى بعد انهيار الحكم الشيوعى فى إعادة الأحرف العربية لكتابة لغاتهم المحلية ، كما نشطت حركة بناء المساجد وإصلاحها وترميمها ، وازدادت عملية التوسع فى البرامج التعليمية الإسلامية وفتح المعاهد الجديدة ، وطباعة ونشر الكثير من الكتب الإسلامية بلغات أهالى تلك البلاد ، كما تقوم الإدارات الدينية هناك بإصدار صحف إسلامية وترجمة ونشر معانى القرآن الكريم ، بتمويل عربى إسلامى من المنظمات المهتمة بهذه الجهود الخلاقة .

الإيسيسْكو

تعقد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة فى مدينة «سَكْتُو» فى نيجيريا الإتحادية اجتماعاً موسعاً للخبراء فى كتابة لغات الشعوب المسلمة بالحرف العربى ، وتتبنى المنظمة برنامجاً طويل المدى يهتم باستعمال الحرف العربى فى كتابة لغات الشعوب غير الناطقة بالعربية بهدف صقل الحرف العربى وتطويره صوتياً وتقنياً وتطويعه لكتابة الشعوب المسلمة على اختلافها محافظة على الحرف القرآنى .

بيشاوَرْ

اختفلت جامعة العلوم والتكنولوجيا فى بيشاور بتخريج دفعة جديدة من طلابها . والجامعة تشرف عليها « جمعية إقرأ الخيرية » بجدة ، وكان الخريجون فى العام الماضى من الطلاب الأفغان قد التحقوا بالوظائف الحكومية فى الحكومة الأفغانية وتبوأوا مراكز مرموقة فى الوزارات والسلك الدبلوماسى .

مطلوب مقر جديد

أثنى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى على الدور الذى تقوم به الجامعة الإسلامية بإسلام أباد وقال فى كلمة ألقيت فى الاحتفال السنوى لمجلس أمناء الجامعة الذى حضره رئيس جمهورية باكستان : أن الجامعة وسّعت نشاطها فى نشر المعرفة الإسلامية حيث قبلت طلابا من جمهوريات آسيا الوسطى والصين وأسبانيا ودول إسلامية أخرى ، وأكّد سيادته على ضرورة التعاون على جمع التبرعات لبناء مقر جديد لهذه الجامعة العريقة .

تنديد

ندد المؤتمر السابع للندوة العالمية للشباب الإسلامى بالعمل الإجرامى الذى قام به الهندوس بهدم المسجد البابرى بالهند داعيا المسلمين لدعم ومناصرة إخوانهم فى الهند رفعا للظلم عنهم وإعادة بناء ما تهدم من مقدساتهم . كما استنكر المؤتمر الذى عُقد فى ماليزيا الممارسات الصهيونية اللا إنسانية ضد شعب فلسطين وخصّ بالذكر عملية ذرد أكثر من ٤٠٠ من خيرة أبناء هذا الشعب المناضل داعيا مجلس الأمن لعدم الازدواجية فى التعامل مع القضايا الإسلامية مؤكداً وقوف المسلمين قلباً وقالباً مع شعب البوسنة والهرسك .

شهادة للإسلام

عُقد مؤخراً العديد من المؤتمرات والاحتفالات والمهرجات التى شهد أصحابها بعظمة الإسلام ، وكان أحدث هذه المؤتمرات مؤتمر الشباب المسلم ومؤتمر جمعية القرآن والسنة السنوى بشيكاغو والمؤتمر السنوى للجنة فلسطين الإسلامية بالولايات المتحدة الأمريكية .

هذا وقد اكّدت صحيفة الواشنطن بوست فى ريبورتاج : أن الإسلام كما تبين هو الحل الناجح لما استشرى فى أمريكا من مشاكل الإدمان والإيدز والتفرقة العنصرية والانحلال الخلقى والشذوذ الجنسى ، وأكّدت الصحيفة أن النظام والنظافة والاخلاق والفكر الصائب من الأسس الرصينة التى يقوم عليها الدين الإسلامى الحنيف .

بريطانيا

تقوم جمعية علماء المسلمين فى بريطانيا التى تضم ألف عالم بالسعى لدى الحكومة البريطانية لإصدار القانون الخاص بالمسلمين فى بريطانيا وهو قانون يرتكز على أحكام الشريعة الإسلامية كما تقوم الجمعية بتوفير اللحوم المذبوحة ذبحا شرعياً والمطالبة بإنشاء مدارس خاصة بالمسلمين فى بريطانيا ، هذا وقد بنت الجمعية ٢٧ مدرسة إسلامية لأبناء المسلمين بها أقسام خاصة بالبنات ومعلوم أن عدد المساجد والمدارس فى بريطانيا يبلغ ١٢٠٠ مسجد ومدرسة ، وقد قامت الجمعية بشراء مائتى كنيسة وتحويلها إلى مساجد ، ويبلغ تعداد مسلمى بريطانيا مليونا ونصف المليون نسمة .

L'honnêteté a un sens très vaste : elle consiste à rendre les dépôts, à obéir aux parents, à ordonner le bien et à interdire le mal; Allah Gloire à Lui — dit : "Allah vous ordonne de restituer les dépôts et de juger selon la justice, lorsque vous jugez entre les hommes. Ce à quoi Allah vous exhaussera est vraiment bon. Allah est celui qui entend et qui voit parfaitement". (Sourate les Femmes, le sens du verset 58).

Alors que la trahison de la confiance s'applique à celui qui n'en est pas digne. Ceci aura pour résultat le désordre, la corruption, la perte des droits et le sacrilège. C'est pour cela que le prophète a dit que la manque de l'honnêteté montre que l'Heure approche.

Enfin, chaque personne qu'il soit professeur ou élève, directeur ou simple fonctionnaire, mari ou épouse, père ou fils est responsable de son dépôt devant Allah-Gloire à Lui-et Celui qui accepte de prendre un dépôt, assume par suite une grande responsabilité devant Allah-Gloire à Lui-le jour du Jugement Dernier.

NOHA MOHAMAD AL-IBIARY

تصويب ضروري

يرجى من القارىء الرجوع إلى ص ١٢٨٣
من عدد شعبان ١٤١٣ هـ وفى النهر الثانى ليصحح
النص كالاتى :
«وزعم النصارى - على ماهى عقيدتهم - أنه :
فى سنة ٣٧ ...... الخ..

L'honnêteté et son mérite dans l'Islam

par Noha Mohamad El Ibiary

Abou Horaïra, (qu'Allah soit satisfait de lui) a dit : "Alors que le prophète (à lui bénédiction et salut) se trouvait dans une assemblée) où il parlait aux gens, un bédouin vint à lui et lui demanda : "quand l'heure aura-t-elle lieu ?"

L'envoyé d'Allah ne lui répondit point et continua à parler. Les uns dirent que le prophète a entendu les paroles de l'homme mais qu'il les a désapprouvées. Les autres dirent : "mais non, il ne les a pas entendues. Lorsqu'il eut terminé, le prophète dit" : Où est-il, je veux le voir, montrez-le moi, celui qui m'interrogeait sur l'Heure dernière" ?

L'homme dit alors : "Me voici, Ô Envoyé d'Allah Alors le prophète dit : Lorsque l'honnêteté aura disparu - c'est que l'Heure approche". Le bédouin demanda : "et comment disparaitrait - elle ? Le prophète dit : "si la responsabilité est confiée à ceux qui n'en sont pas dignes, c'est que l'Heure approche".

Le jour du Jugement est l'un des sujets les plus importants et qui préoccupent les croyants, c'est pour cela qu'à l'époque de l'Envoyé d'Allah (à lui bénédiction et salut) les musulmans étaient curieux de connaître les signes précurseurs de ce jour; ce qu'ils doivent faire ou bien éviter pour ne pas risquer de subir le châtiment de ce jour - là.

Ainsi le bédouin est venu demander à l'envoyé d'Allah des renseignements précis sur la date exacte de l'Heure, quand le prophète n'a pas répondu, ses compagnons ne savaient pas si celui-ci avait entendu la question ou bien s'il refusait d'y répondre; ils savaient bien que le prophète détestait qu'on lui pose cette question car la date de l'Heure est parmi les choses dont Allah - Gloire à lui — a conservé le secret pour Lui.

Allah dit dans le Coran : "Ils t'interrogent au sujet de l'Heure : quand viendra-t-elle ? dis : Lui seul fera connaître sa date. Elle compte beaucoup dans les cieux et sur la terre, et elle ne vous surprendra qu'à l'improviste. Ils t'interrogent comme si tu étais averti; dis : La connaissance de l'Heure n'appartient qu'à Allah. Mais la plupart des hommes l'ignorent" Sourate Al Aaraf" le sens du verset 187".

C'est alors que le prophète en répondant à la question du bédouin ne lui a pas donné de date exacte mais plutôt ses signes. Il répond en disant que l'Heure approchera quand la responsabilité sera confiée à ceux qui n'en sont pas dignes. Ainsi le prophète montre la relation étroite qui existe entre la foi et l'honnêteté; il dit : "celui qui n'a pas d'honnêteté n'a pas de foi et celui qui ne respecte pas son serment n'a pas de religion".

Ainsi Allah Gloire à lui dit : "Ô vous qui croyez ! Ne trahissez ni Allah, ni Son prophète, et ne trahissez pas la confiance qu'on a mis en étant conscient de cela. "Sourate" Le Butin, le sens du verset 27). Celui qui est honnête est celui qui accomplit fidèlement son devoir.

Ainis l'honnêteté envers Allah consiste à accomplir les rites islamiques à se parer des vertus et à se corriger des vices. Ainsi il faut craindre et respecter Allah et ceci en s'abstenant de mentir, de calomnier, de voler, de regarder des choses prohibés, de boire et de manger ce qu'Allah a prohibé.

2 — Se livrer aux préliminaires du rapport sexuel tels que baisers, enlacement, attouchements ou même regard si ce dernier éveille le désir.

3 — Se révéiller le matin en état de "ganaba" (impureté majeure) : il est préférable de se laver la nuit.

4 — Satisfaire les désirs licites par la voie olfactive (en aspirant les fleurs ou le parfum par exemple) ou par la voie auditive ou visuelle.

5 — Se rincer la bouche et le nez sans nécessité en dehors des ablutions.

6 — Ramasser la salive dans la bouche puis l'avaler.

7 — Commettre des actions susceptibles d'affaiblir la volonté durant le jeûne telles que pratiquer une saignée par exemple-de crainte de perdre ses forces et finir par rompre le jeûne.

8 — D'insulter, de maltraiter ou de vexer autrui par des appellations injurieuses

Les raisons qui autorisent la rupture du jeûne

Ce sont les cas exceptionnels où se trouvent ceux qui peuvent être exemptés. Allah dans Sa miséricorde a permis de rompre le jeûne dans les cas suivants :

1 — Quand un malade craint d'aggraver sa maladie ou de retarder sa guérison. Mais une fois guéri, il doit compenser par le même nombre de jours manqués.

2 — Quand on a peur d'attraper une maladie ou d'éprouver une grande fatigue. Mais il faut compenser ultérieurement.

3 — Quand la femme enceinte craint pour sa santé ou pour son foetus, elle est autorisée à rompre le jeûne et à l'accomplir ultérieurement quand elle n'aura pas d'empêchement. La même règle s'applique à celle qui allaite son enfant et qui craint pour sa santé ou celle de son nourrisson.

4 — Quand on part en voyage, et qu'on parcourt une distance permettant le raccourcissement de la prière 80kms (environ) à condition que le voyageur parte et dépasse cette distance avant l'aube. Si le voyageur commence son voyage après l'aube, il doit jeûner, car la cessation du jeûne dans ce cas est jugée illicite. Mais s'il avait l'intention de jeûner durant son voyage et qu'il cesse de jeûner il doit la répétition et l'expiation. Si le voyageur peut supporter le jeûne sans trop de peine, il est préférable pour lui de jeûner, si cela le fatigue il vaut mieux rompre le jeûne.

5 — Quand la femme a ses menstrues ou accouche elle doit cesser son jeûne immédiatement et compenser ultérieurement.

6 — Quand le jeûneur est en proie à une faim ou à une soif insupportables il rompt le jeûne mais doit la répétition.

7 — Ceux qui sont exemptés sont le vieillard sénile et le malade incurable qui seront incapable de jeûner plus tard. Ils sont dispensés du jeûne et doivent la rançon. Ils remplacent le jeûne par un don de nourriture offert à un pauvre pour chaque jour non jeûné.

Cependant, toute, indisposition durant le mois de Ramadan peut arrêter le jeûne à condition de compenser le même nombre de jours par la suite mais avant le mois de Ramadan de l'année suivante. Celui qui, sans excuse valable remet la réparation de son jeûne manqué jusqu'au Ramadan suivant doit en plus de la répétition la rançon : nourrir un pauvre pour chaque jour retardé en expiation du retard. Il incombe à celui qui doit la répétition d'éviter les jours des fêtes, les jours de Ramadan en cours ou les jours qu'il a fait voeu de jeûner.

Dr. Rokaya Gabr

Le prophète paix soit sur lui a dit : "Quand celui qui jeûne boit ou mange par mégarde qu'il poursuive son jeûne. C'est Allah qui l'a nourri et qui lui a donné à boire."

3 — Il est toléré de respirer et d'avaler par mégarde la poussière de la rue, des usines, la fumée des combustibles ou toute vapeur inévitable.

4 — Si l'eau a coulé au gosier du jeûneur malgré lui durant l'ablution (en se lavant la bouche ou le nez) le jeûne reste valable.

5 — Si l'aube apparait pendant qu'on mange ou qu'on boit ou durant l'acte sexuel et qu'on cesse immédiatement, le jeûne reste valable.

6 — Si le fluide prostatique s'est écoulé involontairement et n'a point été provoqué volontairement le jeûne reste valable.

7 — L'émission du superme pendant le sommeil durant le jour ou la nuit ou le fait de se trouver le matin en état de "janaba" ne rompt pas le jeûne.

8 — Si l'on vomit involontairement des aliments ou des humeurs à condition qu'une fois arrivés à la bouche ils ne retournent pas à l'estomac.

9 — Il est permis de se faire soigner par toutes sortes de médicaments à condition que ces derniers n'atteignent pas l'estomac (Telles que les injections faites pour les soins).

Actes louables durant le jeune (Sunna)

Vu le mérite de Ramadan, toute bonne oeuvre accomplie en période de jeûne acquiert une valeur exceptionnelle. Il est préférable de :

1 — Prendre le repas de la fin de la nuit (Sahour) après minuit avec l'intention d'accomplir le jeûne. Notre Prophète paix soit sur lui a dit : "prenez le repas de la fin de la nuit, il est toute bénédiction". On peut même prendre une gorgée d'eau. Il est méritoire de retarder l'heure de ce repas.

2 — Eviter les commérages.

3 — Etre généreux bienfaisant et charitable surtout envers ses proches.

4 — S'occuper à s'instruire en matière de religion à lire le Coran et à adresser le salut au prophète paix soit sur lui en toute occasion de nuit comme de jour.

5 — Hâter la rupture du jeûne dès le coucher du soleil, avant la prière du "maghreb", par des dattes sinon par de l'eau.

6 — Invoquer Allah au moment de la rupture du jeûne. Le prophète (paix soit sur lui) le faisait en disant :

Seigneur ! c'est pour toi que j'ai jeûné, j'ai rompu mon jeûne en goûtant de don bien. C'est sur loi que je m'appuie, j'ai eru en loi, je me suis désaltéré, mes veines se sont mouillées et la rétribution est sûre.

Toi qui possède l'Immense Faveur pardonne-moi Louange à toi Seigneur qui m'a aidé à jeûner et m'a offert de quoi rompre mon jeûne.

7 — Faire la Retraite spirituelle ou "l'Itihaf".

Actes à éviter en période de jeûne

Tout en étant autorisés, certains actes peuvent conduire à l'annulation du jeûne. Il faut éviter de :

1 — Goûter un mets en le recrachant (une sauce par exemple pour voir si elle est suffisament assaisonnée). Cet acte n'est permis que pour celui qui cuisine à condition que rien n'arrive à son gosier. Si la nourriture arrive à son gosier son jeûne est rompu.

Les Actes annulant le jeûne

Les actes qui annulent le jeûne sont de deux sortes : 1) ceux qui exigent la répétition et l'expiation.

2) Ceux qui exigent la répétition sans expiation. L'expiation c'est le rachat de la faute commise envers la loi divine par les moyens suivants :

Par l'affranchissement d'un esclave

— Le fait de jeûner deux mois consécutifs

— Le fait de nourrir soixante pauvres.

A -- Actes qui exigent le répétition et l'expiation :

1 — N'importe quels rapports sexuels durant la journée.

2 — Boire et manger sans motif valable durant un jour de Ramadan (même si l'objet avalé est sans saveur)

3 — Vomir volontairement durant le jour de Ramadan

Cette expiation est répétée autant de fois que la faute est commise.

B — Actes qui exigent la répétition sans expiation :

Le jeûne est annulé par :

1 — Le vomissement involantaire et le retour de la nourriture à l'estomac.

2 — Le fait de vomir ou de roter intentionnellement causant ainsi la sortie des aliments de l'estomac à la cavité buccale sans atteindre la bouche — puis le retour des aliments à l'estomac.

3 — L'arrivée de n'importe quoi involontairement, au gosier du jeûneur (indépendamment de la quantité) même si cela est un grain de sésane.

4 — Tout ce qui parvient à l'estomac à la suite d'un rinçage exagéré de la bouche ou d'une aspiration de l'eau pendant les ablutions.

5 — L'arrivée d'un liquide médical par le nez, l'oeil, ou l'oreille (gouttes) ou par la voie anale ou vaginale.

6 — Le fait de fixer longuement le regard sur sa femme avec désir, d'évoquer des images érotiques, ce sont des excitants capable de rompre le jeûne par l'émission du liquide prostatique chez l'homme (ou la sécrétion chez la femme) ou d'entrainer aux rapports sexuels nécessitant une réparation expiatoire.

7 — L'émission du sperme suscitée par un baiser avec désir charnel, par un regard continu, par l'imagination ou les attouchements.

8 — L'introduction de n'importe quoi par l'anus ou le vagin (lavement des organes sexuels chez la femme, suppositoire coton)

Quelques remarques d'ordre général

1 — Celui qui rompte son jeûne au mois de Ramadan pour n'importe quelle raison doit s'abstenir de toute nourriture et de tout rapport sexuel jusqu'à la fin du jour, par respect pour le mois de Ramadan. Par la suite, il doit la répétition seulement, soit la répétition et l'expiation selon l'action qui a rompu le jeûne.

2 — Le jeûne reste valable pour celui qui mange ou boit par mégarde ou par oubli.

Le jeûne en Islam

par Dr. ROKEYA GABR

Au nom d'Allah, le Clément et le Miséricordieux que Sa grâce, Son salut et Ses bénédictions soient accordés à la meilleure de ses créatures, notre maître Mohammed, suprême Prophète, ainsi qu'aux membres de sa famille et à tous ses compagnons. Le jeûne a auprès d'Allah un mérite privilégié parmi les autres actes de piété et de dévotion. C'est une obligation faisant partie des cinq piliers de L'Islam ainsi définis par le prophète paix soit sur lui Témoigner qu'il n'y a qu'un seul Dieu et que Mohammad est son [serviteur et Son envoyé, faire les prières, s'acquitter de la Zakat, jeûner le mois de Ramadan et accomplir le pélerinage pour celui qui a les moyens de s'y rendre].

"Jeûner" en arabe signifie se priver de ... renoncer à ... En Islam, jeûner c'est s'abstenir par piété de boire, de manger, d'avoir de rapports sexuels ou de commettre tout ce qui est considéré comme étant susceptible de rompre le jeûne, et cela depuis la pointe de l'aube, jusqu'au coucher du soleil, après en avoir formulé l'intention dans la sourate "La Vache" Allah tout — Puissant a dit :

[Ô croyants le jeûne vous a été prescrit comme il l'a été à ceux qui vous ont précédés, peut-être craindrez-vous Allah].

(Sourate "la Vache", verset 183)

Le prophète a dit dans un Hadith : "jeûnez à la vue du croissant (de lune) et rompez le jeûne dès que vous le revoyez (le mois suivant).

Le jeûne du mois de Ramadan

Le jeûne de Ramadan est obligatoire pour tout musulman ou musulmane adulte en pleine possession de ses facultés mentales et capable de supporter le jeûne.

Comment établir le 1er Ramadan?

Le prophète Mohammad (paix soit sur lui) a dit : "Jeûnez à la vue du croissant et rompez le jeûne dès que vous le revoyez. Mais, s'il est caché à vos regards, que chaabane soit de 30 jours".

Cela veut dire que si le ciel est clair le 29ème — jour de Chaaban, le croissant doit être vu à l'oeil nu.

Si le croissant est invisible sous l'effet des nuages ou d'autres obstacles, on doit achever le mois de Cha'bane par le 30ème jour, même si cela est incompatible avec nos études astronomiques. Si un pays islamique a vu le croissant de Ramadan, le jeûne s'impose pour ce pays même si les astrologues aux calculs précis le dénient, car la loi divine a rattaché le jeûne à une marque infaillible : la vue du croissant de lune Donc cette vue du croissant marque non seulement le début du mois de Ramadan, mais, aussi la rupture du jeûne.

REVUE AL-AZHAR

RAMADAN 1413

Volume 65 — Partie IX

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction

M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

These values are specified with precision in the form of particular injunctions, commandments, and prohibitions in the text of the Holy Quran. This renders Islamic doctrines a wholesome system, complete in its every detail, wherein human life is regulated and optimized from birth to death. This comprehensiveness constitutes the religion's distinctive uniqueness and merit. The actualization of Islamic doctrines as a wholesome system is Ummatism. During recent history, Muslim lack Ummatism, because of their neglect in their fulfillment of the provisions, principles, and requirements of Ummatism. Assuring our knowledge of what Ummatism is, and our knowledge of the teachings of Islam; the question is how can Ummatism be generated in Muslims. The answer lies in the very root values of Islamic teachings. Mutual loving (tahabub), counselling (tawasi) brothering (ta'akhi), cooperating (ta'awun), teaching (ta'alum), mixing (tazawuj), and befriending (tosaduq). These are the elements that constitute the cement that is necessary to generate Ummatism and transform for better predisposition towards its goals. That root values of Islamic teachings require knowledge and wisdom to recognize the ultimate purpose of Islamic ideology, which is basically the institutionalization of Ummatism of Islam.

The unity of the Ummah is organic whose individual parts are intimately interdependent. The Prophet described the Ummah as the well settled and consolidated building each part of which buttresses the others, and compared it to a body which reacts in toto with discomfort whenever part of it is hurt. This is the most apt description of the Islamic Society. This organicness is the basic quality of life, which when deteriorated results in weakness of the organism. This organicness is lost in the present day Muslim Society. Therefore, Muslim Ummatism is not found.

Islam is a religion of private as well as public life of the individual as well as the state, of every day living, as well as solitude hermit contemplation. The Ummah is not possible without individuals standing in the web of human inter-relations with nature and other men, mutually influencing and being influenced determining and being determined. The statement of the Prophet "Religion is rather the matter of dealing with others", is an expression that indicates the teachings of Islam towards the involvement in the affairs of other men. The Ummah is therefore the resultant rally for one purpose, a keystone value that brings about all endeavors under one encompassing meaning, namely, the service of the Creator. The Ummah is and must always remain one because Allah is One; and therefore His service is one directional channel. The Divine Will, for all mankind in all space and all times, is embodied in the Holy Quran, the Traditions of the Prophet; and is crystallized in the Muslim doctrines of the Shariah. The Divine Will for all people is absolutely the same; this determines that the oneness of the Ummah is social, religious and moral; and not biological, geographical, political or cultural. The Holy Quran states "We have created you all of one male and female, and made you tribes and nations that you may fraternize with one another. Noblest among you shall be the most virtuous". (Surat Al-Hujurat, 49, verse 13). The Ummah therefore as a free religious and moral fraternity, is a free association of individuals with the ultimate purpose of actualizing for themselves and for humanity the whole realm of values, to gain felicity in the life and the hereafter. The human individual is not born into it by a stochastic event, but elects and decides by rational thought to join and determines to conform with its specifications and requirements.

The launching of the Islamic movement by the revelation of the Holy Quran, and the efforts of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) established the foundation of the Ummah under the ceiling of the religious and moral law, inviting all mankind to join. This was and will remain the greatest civilization that will develop in the history of mankind. The doctrines of the Muslim Theism are indubitably concordant to a monotheistic monolithic uniform system, conforming with unity of truth, and knowledge, the anchors of Tawhid. There is no pluralism of ultimate truth; opinions about truth and knowledge must be responsible, and must be subject to rigorous judgement and assigned probity by consensus (ijma). Islamic jurisprudence allows every consensus of the Ummah to be broken by the creative innovative interpreter; but prescribed upon him the duty to seek the consensus of the Ummah.

The basic criteria of this comprehensiveness is the axiom that every human activity, action, or deed should be a carrier of some value, because the purpose of the Ummah is the actualization of values, and the promotion of this actualization.

Tawhid : The Principle of the Ummah

(Part II)

(Excerpts from the Writings of Dr. Ismail Raji Al-Faruqi)

Compiled and Presented
By
Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The concept of the Ummah in Islam has been comprehensively defined in the previous treatise. The mechanism of cohesion between one fraction of the Ummah and the other is the unity of belief, the unity of purpose and goals, the unity of source of knowledge and legislation, and the unity of mutual function of complementing and cooperating with one another for the ultimate benefit of all The ideal of universal community is that of Islam; the social order of Islam carries the genuine potentials for a universal community, under the principal of "La illaha illa Allah", the statement of Tawhid.

The consideration of such precepts indicates that there is no Islam without the Ummah. The Holy Quran states "Let there be of you an Ummah to call to the good, to enjoin virtue and forbid vice. Those who do so are the felicitous" (Surat Al-Imran, 3; verse, 104). Clearly, the Muslims are commanded to constitute an Ummah, a social body that is organized in a special ways, to call to the good, to enjoin virtue, and forbid vice. This Ummah is the source of Muslim rights, as well as duties; and it is the social body in which those rights and duties can be exercised. The ultimate purpose is to uphold the rites, enforce divine injunctions, realize justice, and execute the ordinances of penalties. This originates from personal values such as truthfulness, intention, and devotion; falling within the scope of religious imperative. Disagreement and opposition of understanding and practice are tolerated within the margins to prevent evil, avoid immorality, and stop aggression. When evil is secret, it hurts only its doer, and when it is public and not prohibited, it hurts everybody. The concept of the service of Allah is essentially the realization of Divine Will, being in principle the upkeep of values within interhuman relations. The moral values are essential elements to be actualized in the corpus of interhuman relations of friendship, trade, neighborhood, marriage, production, during peace and at war, teaching fraternization, and all the possible aspects of interhuman relations. The value of every relation is the carrier substrate for the actualization of the proper function of the specific relation.

material world; for death is the gateway between this and the other forms of existence. One beyond the stupor of death, man's realization will become more to recognize realities; and the truth in its uncurtained form will be revealed. This is the exact sequence of events of human existence that has become an essential article of faith in Muslim doctrines. The mysterious moments and terms of death, life, and death are within the realms of Divine Providence.

Death on earth is not the end, a return to origin, to Allah is inevitable; this return is another form of existence. The creation of mankind has a purpose to attain, the function of vicegerency on earth through the gain of knowledge, to strive in good deeds, to ascend to a nobler stage of serene dignity. The state before our present life, and the state after are in reality conundrum enigmas. Mankind must accept the reality of death with understanding peace, serenity, to pass into the other life in the aura of light. "Verily, the knowledge of the hour is with Allah alone".

In Surat (Al-Mulk, 67, verses, 1, 2) **"Blessed be He in whose hands is the dominion, and He has power over all things. He who created Death and Life, that He may try which of you is best in deed, and He is the Exalted Oft-Forgiving".**

These verses and several others quoted from the Arabic meanings of the text of the Holy Quran provide fundamental concepts concerning life and death of all creation. The knowledge here is addressed to mankind to conceptualize and conceive as doctrinal articles of faith. The reality of life and death is basically understood by every Muslim as an essential comprehension of the foundation criteria of the Muslim Theism. This indoctrinates that Death is a reality, inevitable and certain, to end the phase of worldly life in human existence, the end of material being, the summons to the Day of Judgement, the journey's end. Death marks the transition of human existence proceeding from one form of life into another. Human life on earth is therefore a transient probation, the actions therein will be judged in the Hereafter.

The Creator "Allah" provides mankind with guardian angels to guard and sustain material, moral, and spiritual agencies to support the growth and development of the human race. This is to a term determined, and when death comes, messenger angels are instructed by Divine Will to arrest souls at the precise moment of death; not an instant later or earlier. These angels, never fail their duties at the appointed time ordained and fixed. The domain of this understanding must be totally and absolutely realized and accepted by every individual. Death must be expected at every moment of human life on earth; the resignation to such absolute reality actualizes the readiness to accept death with calm serenity, peace and accordance with the Divine Providence. The realization of this doctrine addresses mankind to be in perpetual awareness and cognizant knowledge of attention that death is an inevitable certainty, the timing of which is absolutely the Will of Allah, He alone has the knowledge of appointed term for each individual, for each creature, for each cell of any living organism. Allah alone has the keys of the unknown (Al-Ghayeb) that none knows but He. According to Divine Will, everything seen and unseen is ordered and regulated, the minutest things in nature are subject to this law, the fresh and the withered, the living and the lifeless, nothing falls outside the Divine Will and Design plan of the cosmic universe in all its entirety.

The life on earth is only a transient phase of deeds and actions that will terminate by death; and that will be examined on the day of judgement. Human integrity and felicity is the cardinal issue to which mankind must be prepared. The stupor and unconsciousness of death will enable the vision to perceive beyond the

understanding of the dying individual. The religious attitudes of the individuals greatly modify their psychology of death. Some will have true recognition of the reality and will die with serenity and acceptance; others who have no perception of that reality, will develop fear, denial anger and grief.

Death is a reality, an inevitable process to all forms of life; and the engima of death will remain to challenge the mind of mankind to unfold its secrets. It is the struggle with the inevitable certainty, whose true nature and reality remain in the confines of the unknown; a process whose true dimensions is the expensive conundrum of life and death. It is the undiscovered domain from whose bourn no traveller returns, a knell that summons mankind to heaven or to hell, the gateway to eternity, the tribute due into life, the most profound exact reality of life. Most religious accept death as an inevitable certainty from which no individual and nothing can escape. The Muslim Theism provides very precise and fundamental doctrines of belief regarding death as the one certain ultimate common reality of life. In the text of the Holy Quran, death is repeatedly indicated in several allegoric inferences.

In Surat (Al-Imran, 3, verse 145) **"Nor can a soul die except by the word of Allah; the term determined .....".** *Verse 168 of the same Surat* ***"..... say: avert death from your ownselves if you speak the truth".*** *Verse 185 of the same Surat* **"Every soul shall have a taste of death, and only on the Day of judgement shall you be paid your recompense. He who is saved from the Five and admitted to the Garden will have obtained the felicity. The life of the world is but the chattels of capricious vanity".**

In Surat (Al-Nissa, 4, Verse 78) **"Wherever you are, Death will find you out, even if you were inside towers built up strong and high".**

In Surat (Al-Anaam, 6, verses 61, 62) **"He" Allah" is the irresistible watching over mankind, and He sends guardians over you. At length, when death comes to one of you, Our angels take his soul, and they never fail their duties. Then, men are returned unto Allah their Protector, the Reality : Is not the Judgement His, and He is swift in taking account".**

In Surat (Al-Aaraf, 7, verse 34) **"To every people is a term appointed; when their term comes, not an hour can they delay, nor can they advance".**

In Surat (Al-Ankabut, 29, verse 57) **"Every soul shall taste death; then to us shall you return".**

Glimpses From The Quranic Milieu

The Certainty of Death

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PhD.

The two most dramatic events in the life of a human individual on earth is birth and death. This duration is the phase of physical existence in between two eternities that are absolutely obscure to human knowledge. The Holy Quran indicates affirmative information that enlightens the human mind of the true concepts philosophy, and purposes of birth and death. Both events being in fact destined and ordained for every creation by Divine Will, Design, and Providence. Nothing in this grand infinite cosmos is created in vain or without purpose; and nothing remains after the determined time of perishment. Everything is scheduled according to the Divine Plan and Design in Perfection and precision. The life of mankind on earth is for the purpose of actualizing the Divine Will and Ordinances in human life. The necessary knowledge is provided by the Holy Revelation in the Text of the Holy Quran, the living substance of reference of the Muslim Theism. The subject of death is specifically referred to in several verses of the Holy Book with various allegoric connotations covering the dimensions of the subject and its different aspects to become principles of faith in Islam.

The science of Thanatology is the study of the biological and physical processes of death. It is defined accordingly as the cessation of biological life resulting from the mechanisms that lead to the irreversible breakdown of respiration. Death may result from physical injury, disease, or by cellular and tissue deterioration caused by the ageing process. Whatever the initial event leading to respiratory failure, the basic biological cause of death is deprivation of oxygen which is the essential requirement to produce the chemical energy that supports life. In humans, the irreversible arrest of the heart action, the body cellular populations become deprived of the oxygen transport and die. The brain cells are the first to die tolerating oxygen depletion only for five to eight minutes. Recently, as the result of modern machines that could temporarily restore respiratory functions after they stopped; death is now defined as cessation of cerebral function (brain waves) as well as respiratory and circulatory functions. It is estimated that about fifty million people die every year throughout the world. The psychology of dying is a major aspect in the process of death; and this varies greatly according to the conceptual

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part IX

Ramadan, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, MD., Ph.D.

CONTENTS

1. Glimpses From The Quranic Milieu

The Certainty of Death.

By : Anas Moustafa El-Naggar.

2- Tawhid : The Principle Of The Ummah (Part II)

BY : Saad Moustafa Moustafa

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية (من حصانة المؤمن استقلال فكرة) للدكتور / على أحمد الخطيب	١٣٢١
● مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر	
ـ مقدمات التفسير	١٣٢٦
ـ دروس من صوم رمضان	١٣٣١
ـ فتوى فى العدل بين الأولاد فى العطيان	١٣٣٣
● وعاد رمضان للشيخ / معوض عوض ابراهيم	١٣٣٨
● وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب لفضيلة الشيخ /عبدالحفيظ فرغلى القرنى	١٣٤١
● من هدى النبوة لقارىء القرآن للأستاذ الدكتور / عبدالبصير خليفة حسن	١٣٤٦
● الصيام والقرآن للشيخ / على حامد عبدالرحيم	١٣٥٠
● صلاة التراويح للشيخ / توفيق عبدالعزيز عبدالسلام	١٣٥٣
● كلوا واشربوا ولا تسرفوا أ. د. / توفيق محمد شاهين	١٣٦١
● أهمية الدعاء وادآبه للأستاذ الدكتور / عبدالحكم عبداللطيف الصعيدى	١٣٦٤
● مع القدوة الحسنة فى شهر رمضان للأستاذ / محمد زين العابدين العزازى	١٣٦٩
● الكفاءة فى النكاح (فى ضوء الكتاب والسنة) بقلم الأستاذ الدكتورة / فاطمة عمر نصيف	١٣٧٣
● صلح الحديبية : أ. د. / محمد عبدالعليم العدوى	١٣٨٣
● الفتاوى : إعداد الأستاذ / عبدالمنعم حافظ فوده	١٣٩٠
● طرائف ومواقف بقلم الأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم	١٣٩٢
● الأكراد ـ الوطن ـ الجنس ـ اللون للأستاذ / ماهر زكريا الشيمى	١٣٩٤
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر (تحقيق القول فى ليلة القدر) إعداد وتقديم الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات	١٣٩٩
● من أعلام الأزهر (الشيخ محمد الطيب النجار) للدكتور / عبدالرحمن العدوى	١٤٠٩
● من أعلام الأزهر (الشيخ عبدالظاهر عبدالكريم حسين) للأستاذ الدكتور / حسن على العنيسى	١٤١٢
العلوم الكونية	
● قراءة فى كتاب الكون بقلم أ. د. / أحمد فؤاد باشا	١٤١٨
● حول سرعة الضوء وتفسير المعارج بقلم الدكتور / محمود عبدالمطلب خشان	١٤٢٢
● الجديد فى العلم والتقنية إعداد الدكتورة / نجوى السيد أحمد	١٤٢٧
الشعر والشعراء	
● بين الروح والجسد للشاعر / مصطفى صبحى	١٤٣٠
● رمضان وغربة الإسلام للشاعر / رشاد محمد يوسف	١٤٣٠
● يابوسنه المسلمين فى أوروبا للشاعر / محمد عبدالرحمن صان الدين	١٤٣٢
● (يامحمد) : للشاعر / إبراهيم عيسى	١٤٣٥
● ربيع الروح : للشاعر / السيد الصديق حافظ	١٤٣٥
اللغة والنقد والأدب	
● من التحقيقات اللغوية للدكتور / مبروك عطية أحمد	١٤٣٩
● تلخيص تقريب النشر (٩) للشيخ / إبرايهم عطوة عوض	١٤٤٢
● الفكر الأدبى فى كشاف الزمخشرى للدكتور / محمود جمعه أمين	١٤٥٣
● الأم بين شاعرين : للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ	١٤٦١
● بين المجلة والقارىء إعداد وتقديم الدكتور / محمد عبدالحكيم محمد	١٤٦٥
أنباء وآراء	
● أنباء مكتب الإمام الأكبر إعداد الأستاذ / مصطفى عبدالمجيد	١٤٦٩
● أنباء العالم الإسلامى إعداد الأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير	١٤٧١

SECTION FRANÇAISE

Article II : par Noha Mohamed El-Ibiary 1474

Article I : par Dr. Rokeya Gabr 1478

ENGLISH SECTION

Article II : By Saad Moustafa Moustafa 1482

Article I : By Dr. Anas Moustafa El Nagar 1487

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م
وصدر العدد الأول فى المحرم / ١٣٤٩ هجرية

رئيس التحرير
د/ على أحمد الخطيب
مدير التحرير
على حامد عبد الرحيم
المراسلات : باسم مدير التحرير
ادارة الأزهر بالقاهرة
ت/ ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات
قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

الطاعة البصيرة

ومقصودنا بـ « الطاعة البصيرة » أن تعلم الهدفَ مما تفعل ، وأن تعرف الهدف مما تَدَع ، أى لماذا تفعل ، وما الجزاء ؟ ولماذا تدع ، وما الشر من وراء ما تدع ، ثم بعد هذا أو ذاك أنت مخير : إن شئت فعلت ، أو شئت تركت ، فالله غنى عن عباده ، ولك الحرية كاملة ، فهى مكفولة لك باسم هذا الدين فى العقيدة نفسها : « فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُر » ولا ضيق عليك فى طاعة : « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » ولا حرج عليك فى نفقه : « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا »(١) .

ولا أوضح فى حرية العقيدة من هذه الواقعة .

---

(١) انظر الكهف ٢٩ ـ البقرة ٢٨٦ ـ الطلاق ٧

كان صفوانُ بنُ أُمَيَّة القرشي من ألدّ أعداء الله ورسوله الأمين ﷺ فلما نَقَضَتْ قريشٌ عهدَها لم يكن من فتح مكة بدّ ، ففتحها رسول الله ـ ﷺ ـ ففر صفوان وتأكدَّتْ خاصتَه أنه عزم على الانتحار بإلقاء نفسه فى « البحر » وإذْ عَلِم ابنُ عمه عُمَيْرُ بن وهب ـ رضى الله عنه ـ بذلك انطلق إلى رسول الله ﷺ وقال له :

يا نبى الله ، إن صفوان سيد قومه ، وقد هرب ليقذف نفسه فى البحر ، فَأْمِنْهُ ؛ فإنك أُمِّنْتَ الأحمر والأسود ، فقال له ـ عليه الصلاة والسلام : أَدْرِك ابن عمك فهو آمن !! « فخرج بأقصى ما عنده من سرعة فأدركه ، وأتى به رسول الله ﷺ ، فلما كان بين يديه قال : إن هذا ـ مشيراً إلى ابن عمه ـ يزعم أنك أمنتنى ؟ فقال : صدق ! فقال صفوان : أَمْهِلْنى على الشركِ شَهْرَين . فقال ـ عليه الصلاة والسلام : لك أربعة أشهر »[1] .

وما يضيرُ الدين ـ وهو حق واضح ـ إذا أراد مُنْصِف أن يفكر فيه ؟ إنه سيهتدى إلى الحق ، وهذا ما كان ؛ فقد أسلم صفوان ، وكان من خِيَرة المجاهدين العاملين فى غزوة « حنين » .

هكذا نجد الطاعة فى هذا الدين عن خيار حُرّ فى إطار من الطاقة . واستجابة كريمة من نفس المؤمن ترتفع به فوق الرياء والسمعة ، وتقبل به على رَبّه بإيمان سخى بالرضا والتسليم ، فَأَمْرُهُ طاعة مختارة وطاقة ميسرة ، لا طاعة عمياء وتسليم ذلول .

وتتجلى رحمته تعالى بالمؤمنين ـ فى طاعته ـ إذا ما تضاربت الأحوال بالمؤمن فاستحالت عليه الطاعة ، فما أسرع ما تسبق إليه الرحمة ، فتُحِلُّ له ما حَرُم عليه ، وتُلْقِى عن ظهره وِزْرَه .

يقول ـ تعالى ـ دفعا لهذا الحرج : « وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ » الأنعام ١١٩ . أى ما حَرُم عليكم هو لكم حلال عند الضرورة وشدة الحاجة .

« مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » النساء ٨٠ . وهى طاعة بنفس الطاقة الميسرة ، فما دفعنا

(١) المتعال الصعيدى : القضايا الكبرى فى الإسلام ص٦٨ ط٢ النموذجية ـ القاهرة ١٩٦٠ .

ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى مشقة أبداً ؛ بل أرسى لنا قاعدة هى هدى ورشاد ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« ذَرُوني ما تركتُكُمْ ، فإنما هَلَكَ من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فَخُذُوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتُكم عن شيء فانتهوا عنه » رواه ابن ماجه .

منتهى الرحمة فى الطاعة ، وذلك مما تعلمه الرسول ﷺ من أدب ربه القائل :﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(سورة التغابن)

والطاعة لولى الأمر :

ونقصد بـ « ولى الأمر » الرؤساء والعلماء .

فأما الرؤساء فطاعتهم واجبة فى غير معصية ، وهم أيضا أولى الناس بالنصيحة ؛ فإن النصيحة فى شريعة الإسلام « لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » ، وهم ـ أساسا ـ مسئولون عن توفير حاجة المواطن ، وأَمْنِهِ ، ورفع مستوى معيشته إلى الحد الذى لا يرهقه شططا ولا عسرا .

وأما العلماء فهم أمناء الأمة علينا طاعتهم ، ونبذ من شَذَّ منهم ففسق عن أمر ربه ، إذ هو شر من كلاب جهنم .

اللهم اقْسِمْ لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما يبلغنا جنتك .

د. على أحمد الخطيب

نداء إلى الشعب المصري

شريف

إن ما حدث ويحدث الآن فى مصر من تفجير وقتل وتدمير بطريقة تثير الرعب والفزع بين الناس أمر ينهى عنه الإسلام فالله سبحانه وتعالى يقول : « وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ » الحج: ٣٠ — وهذا يشمل جميع ما شرعه الله من أمر ونهى ويدخل فيه حرمات المسلمين والرحمة بهم ، فلا يظلم المسلم الناس بالعدوان عليهم أو إيذائهم فى أموالهم أو أعراضهم أو أجسادهم ، وفى قوله تعالى : (مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا) — المائدة : ٣٢ توجيه من الله ورحمة بالنفس الإنسانية .

إن قتل أى إنسان محرم قطعا بل إن الآية تشير إلى أن قتل واحد بمثابة قتل الناس جميعا لما فى ذلك من عدوان على إنسان خلقه الله وسواه وكرمه ، وفى حديث رسول الله — ﷺ — : « من مر فى شىء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحدا من المسلمين منها شىء » وهذه دعوة الى الحيطة موجهة إلى من يحمل أى سلاح ويختلط بالناس ، فما بالنا بهؤلاء الذين يقصدون بعدوانهم القتل والتدمير وإتلاف الممتلكات ، فإنهم يرتكبون إثما كبيراً .

ثم لابد أن يكون للرأى العام موقف هام فى دفع هذا العدوان ، فقد قال رسول الله — ﷺ — : « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقال رجل أنصره مظلوما ، أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره » ، وهذه دعوة من الرسول — ﷺ — إلى الناس أن يبادروا إلى منع هؤلاء المعتدين الذين يعتدون على الأفراد وعلى الجماعات وأن يبادروا إلى منع الظالم والمعتدى بل أن الرسول — ﷺ — : قد نهى عن أن يشير أحد إلى إنسان بالسلاح ، مجرد إشارة فما بالنا بالعدوان ، فقد قال : — ﷺ — : « لا يشير أحدكم الى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار » وفى حديث الرسول — ﷺ — « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » ، دعوة الى أن يتسالم الناس ويعيشوا فى سلام ، وأن يكون المنطق والحجة هما وسيلة فى فض الخصومات أو ابداء الرأى فى المشكلات فالإنسان دون سائر المخلوقات هو الذى منح قدرة على التعبير والإفصاح عما يريد ومما يشكو ويعرض مطالبه .

هذا هو الإسلام فى كتاب الله وسنة نبيه — ﷺ — يدعونا الى نبذ العدوان والإرهاب ، لأنه ظلم وقتل للنفس بغير حق ، وإتلاف للأموال ، وهذا أمر منهى عنه أيضا فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه — ﷺ — .

مع

الإمام الأكبر

هذا يوم عيد الفطر

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق . شيخ الأزهر

العيد فى الإسلام يتفرد بما يُضْفَى عليه من سمات القداسة والعلو ، لأنه تقرر لتحقيق هدف نبيل ، فالأعياد فى الإسلام تدور مع حركة الكون ومن ثم تمر بكافة الفصول .

ولما هاجر الرسول — ﷺ — إلى المدينة المنورة وجد الأنصار يلعبون ويمرحون فى يومين ورثوا عن أسلافهم الاحتفاء بهما فقال لهم (قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى) .

وللأعياد فى الإسلام مراسم هامة :

فيوم العيد يبدأ بذكر الله سبحانه وتعالى : بالتكبير والتهليل ثم بصلاة العيد ، وفى هذا وحدة العقيدة والعمل لتتواصل الطاعات ولتجرى على الألسنة عبارات الحمد لله والشكر له أن وهب المسلمين صوم شهر رمضان وأن أدّاه الصائمون إيمانا واحتسابا لله رب الناس ، وفيه تأصيل وتجديد الصلة الاجتماعية بين المسلمين ، فهم فى تواصل وتعاون وإخاء ومحبة .

يستعد المسلمون ليوم العيد بلبس الجديد أو النظيف من الثياب بعد أن يكونوا قد اغتسلوا وتطهروا وأخرجوا صدقة الفطر مظهرين السرور يتبادلون عبارات المودة والتهانى ، يتردد على ألسنتهم (الدعاء بالقبول لهم ولإخوانهم المسلمين) .

وهو يوم توصل فيه الأرحام ويتزاور فيه الجيران والأقارب ويوسع فيه على الأولاد والأقارب والمحتاجين كما هى سنة رسول رب العالمين ـ ﷺ ـ .

وما أحوجنا نحن المسلمين ـ فى هذا العصر ـ إلى أن نفهم أعيادنا فهماً صحيحاً نستقبلها به حتى تكون أيامنا سعيدة رشيدة عاملة تنبه فى نفوسنا عزائم الأمور ولا يكون أكبر همنا فيها تجديد الثياب وتوزيع الفراغ ، إذ العيد هو المعنى الاجتماعى والإنسانى الذى يكون فى يومه لا اليوم نفسه .

العيد فى الإسلام إشعار هذه الأمة بأن فيها القدرة على تغيير الأيام ، لا شعورها بأن الأيام تتغير إيمانا بقول الله سبحانه : « إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وبذا يكون العيد يوما تحرص فيه الأمة على إبراز جمال نظامها الاجتماعى ، فيكون يوم الشعور الواحد لدى نفوس المجتمع ، والكلمة الواحدة على ألسنة الجميع ، وليس العيد فى الإسلام إلا توجيه الأمة وتعليمها كيف تتسع روح الجوار وتمتد حتى يصير البلد الواحد من بلاد المسلمين وكأنه دار واحدة فيها كل عناصر وسمات الإخاء العملى ، وتستعلن فضيلة الإخلاص ويتبادل الناس الهدايا وإن تباعدت منازلهم وأقدارهم ، والعيد بهذا يكون مناسبة لإظهار الذاتية والخصائص الاجتماعية للأمة حتى تكون متميزة بطابعها الشعبى مميزة عن غيرها من الأمم الأخرى ، تأكل وتلبس من عمل يدها معتزة بصناعاتها وبكافة منتجاتها مستبصرة بمستقبلها حفية بكبارها ، رحيمة بصغارها ، تعمل الصفات الانسانية فى جموعها عمل الحليف لحليفه لا عمل المنابذ لخصمه ، فالعيد تخل عن كل حقد وغل وحفيظه وتحل بكل كمال ومودة .

فبالصوم تعالت النفوس فوق الشهوات والشبهات وصبرت وصابرت وثابرت حتى أكملت العدة واستبشرت باستكمال المدة وتلك قاعدة هذا الدين ـ الإسلام ـ ألا يستسلم المسلم للوهم أو الوهن أو الضيق والحزن وإنما يغالب المصاعب إذا واجهته حتى تنقشع عن ساحته ويحل الفرج واليسر .

لقد كان الصوم تدريبا على قوة العزيمة وحزم الإرادة وذلك ربح عظيم يعود بالخير الوفير لو أننا استثمرناه فى مستقبل الحياة ، والعيد بهذا صوت القوة يهتف بالأمة أن هذا يوم الأفراح بعيدا عن الأتراح ، ويوم النصر بعيداً عما كان من القهر .

إن الرجاء فى الله العلى الأعلى أن يرفع عن المسلمين ما نزل بهم من كربات ويجمع كلمتهم على الأخوة المتناصرة ويأخذ بأيديهم إلى سبل الأمن والنجاة ، فتشفى قلوبهم من الفرقة التى ضيعتهم وأغرت بهم أعداءهم .

إن على الأمة الاسلامية أن تذكر فى هذا اليوم ـ يوم عيد الفطر ـ تلك الشعوب الإسلامية التى تكافح لاسترداد حقوقها المسلوبة فتساندها وتمدها بما يعزز قوتها حتى تصل إلى غايتها وأن ترعى أولئك الذين طردوا من ديارهم والذين أصابهم القحط وليكونوا لهؤلاء وأولئك سندا ومددا بما يقيم الحياة ويعين على النجاة وفاءً بحقوق الأخوة .

نعـــم : ليذكـــر المسلمـــون ــ شعوبـــاً وحكومات ــ أولئك الذين أخرجوا من ديارهم وشردوا وعذبوا وأوذوا لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله وديننا الإسلام : فى البوسنه والهرسك ، فى الهند ، فى بورما ، فى كشمير .

وليضموا صفوفهم وليجمعوا أمرهم وكلمتهم فإن يد الله مع الجماعة ، وإن الرماح إذا تفرقت وتخاذلت تكسرت ، وإن العدوان على أرض المسلمين وأهلهم ، واغتصاب نسائهم وتشريد أطفالهم إنذار من أولئك الذين أقدموا على هذه الأعمال الوحشية ، إنهم ماضون فى هذا الطريق اغتصابا للأرض وللعرض ، وإن على المسلمين أن يصمدوا أمام هذه الهجمة الشرسة ، وأن يذكروا أن حماية الدين والنفس والنسل والمال والعقل من ضرورات الإسلام ، وأن الدفاع عنها كلا أو بعضا فرض حتم ، وأن على الأمة الاسلامية أن تقف وقفة مع النفس وأن تذكر ذلك المثل « أكلت يوم أكل الثور الأبيض » .

إن نكبة الأندلس تتكرر الآن مع المسلمين فى بلاد البلقان ومع المسلمين فى الهند الذين تهدم دورهم ومساجدهم ويطاردون فى بلادهم ، وفى بورما ، وفى بعض الجمهوريات الآسيوية التى كانت تابعة للإتحاد السوفيتى .

بل إن الاضطهاد يمتد إلى المقيمين فى بعض البلاد الأوربية وغيرها ، الأمر الذى يجب أن ينبه المسلمين الى أنهم الآن فى دائرة الضوء ، من أمم أخرى توافقت على الإضرار بالمسلمين ومنازلتهم لشغلهم عن إصلاح شئونهم وجمع كلمتهم ، وامتد هذا التدخل فى أمور المسلمين إلى نشر أسباب الاختلاف والتناحر من عرقية وقومية ومذهبية مما ينذر بشر مستطير قد يحيق بهذه الأمة ، وأن على العلماء والحكام والزعماء أن يغلقوا كل منافذ الشرور والخصام ، وأن يعملوا على وأد كل فتنة فى مهدها حتى تتمكن الأمة من اجتياز هذه المحنة وتخرج منها بسلام .

إن رمضان كان شهر عصمة واعتصام بحبل الله وموسم استشفاء جسدى ونفسى ، نروض فيه أنفسنا لتتطبع على الخير وتزداد ونعالجها من الشرور والآثام ، وليس هدف هذه العبادة أن يكون رمضان شهراً يمضى وينقضى ثم ينقض المسلم ما بنى وينفض يده وقلبه مما اعتاد فيه على الصفاء والنقاء وحب الخير للناس والسعى به وإليه ، وإنما ينبغى أن نستصحب كل حسن من الفعال والأقوال إلى غيره من الشهور حتى يصير لحياتنا عماداً ولأعمالنا عدة وعتاداً ، وإن على هؤلاء الذين خرجوا من رمضان بزاد من التقوى للقلب والروح أن يحفظوا هذه الذخيرة لأنفسهم بضاعة رائجة وللوطن وللأمة قوة عاملة استفادة بالصبر والصوم والصلاة ، وهؤلاء هم الذين يفرحون باستقبال يوم العيد باعتباره عبادة وشكراً لله الذى قال :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ . (ســـورة يونس)

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

فتوى

نزول المريض على رأى الأطباء

بالطلب المقدم من الآنسةف.س بأمريكا . المتضمن أنها طالبة بإحدى الجامعات بأمريكا ، وتبلغ من العمر ثلاثين عاما ، ولم يسبق لها الزواج ، وأنها دخلت إحدى المستشفيات للعلاج من ورم فى رجلها اليمنى ، وعند الكشف عليها وجد الأطباء أن لديها أوراما غير معروفة داخل الرحم ، الأمر الذى يتطلب إدخال آلة لأخذ (عينات) من هذه الأورام وتحليلها ، وهذا يعنى إجراء فحص داخلى مما يتسبب عنه إزالة غشاء البكارة ، ولما امتنعت عن إتمام هذا الإجراء أخرجوها من المستشفى على أن تعود إليها فى أقرب وقت لإجراء هذه الفحوص قبل أن يستفحل الأمر ، وأشاروا عليها بإحضار أحد الأطباء المسلمين ليقف على أن هذا الفحص لازم للعلاج . ثم انتهت إلى السؤال عن :

هل إجراء مثل هذه العملية من الناحية الدينية جائز ، أو يعتبر زنا ؟ وإذا جاز لها إجراء تلك العملية فما هى الخطوات التى تتبعها ليعرف الأهل ما حدث ؟ .

وما حكم الصلاة فى حالة نزول نزيف أسود قبل ميعاد الدورة الشهرية بأسبوع أو خمسة أيام ؟

وما حكم الصوم أيضا فى رمضان فى حالة نزول هذه المادة السوداء التى تشبه القهوة وليست دم حيض ؟

الجـــــــــواب

إنه قد صح عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه تداوى ، وأمر بالتداوى فقد روى عن أسامة بن شريك قال : (جاء أعرابى فقال : يا رسول الله أنتداوى ؟ قال : نعم ؛ فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه مَنْ علمه وجهله من جهله) . رواه أحمد .

وفى لفظ : (قالت الأعراب يار سول الله ألا نتداوى ؟ قال : نعم ــ عباد الله ــ تداووا ؛ فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء ، أو دواء إلا داءً واحدا ، قالوا : يا رسول الله ، وما هو ؟ قال : الهرم) . رواه ابن ماجه وأبو داود والترمذى وصححه .

لما كان ذلك : وكان الظاهر من السؤال أن الأطباء الذين تولوا فحص السائلة قد قرروا لزوم أخذ جزء من الأورام الداخلية بالرحم لتحليلها لمعرفة نوعها وتشخيص المرض وتحديد طرق العلاج ، كان على السائلة النزول عند رأيهم ؛ لأن من الضرورات فى الإسلام المحافظة على النفس من التلف . ففي القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ سورة البقرة وقوله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ( ) . ولا شك أن إهمال العلاج من باب إهلاك النفس الإنسانية ومؤد إلى قتلها ؛ وهو محرم ومنهى عنه شرعا بهذه النصوص .

وإذا تيسر وجود الطبيب المسلم كان أولى ، وإلا جاز ذلك للطبيب غير المسلم للضرورة ، أو أخذاً بمذهب مالك — رحمه الله — الذى يجيز العمل برأى الطبيب غير المسلم الثقة .

ومن ثم فعلى السائلة المبادرة إلى إجراء هذا الفحص حماية لنفسها من الهلاك امتثالا لأمر الله بالمحافظة على النفس فى القرآن الكريم وترخيص الرسول — ﷺ — فى التداوى بل وأمره . وعليها أيضا أن تطلع أولياء أمرها على رأى الأطباء ، ليكونوا على علم ودراية بسبب زوال غشاء البكارة وأنه ضرورة علاج للمحافظة على صحتها ، وعليهم أن يباشروا معها كل ذلك .

أما عن الدم الأسود المشبه للقهوة الذى ينزل من رحم السائلة قبل ميعاد الدورة الشهرية بأسبوع أو خمسة أيام ، فإن الدم الأسود من ألوان دم الحيض حسبما قرر الفقهاء ، وتبعا لذلك عليها أن تعتبر هذا مبدأ الدورة الشهرية ما دام يسيل تلقائيا إلى الخارج ، وعندئذ تحرم عليها الصلاة كما يحرم الصوم إلى حين انقطاع الدم كعادتها ، أو إلى مدة أقصاها عشرة أيام ويجب عليها أن تقضى الصوم إن كان فى شهر رمضان ، ولا تقضى الصلاة .

لما كان ذلك كان المستخلص مما سلف الآتى :

١ — أن على المريض النزول على رأى الأطباء ؛ لأن من الضرورات فى الإسلام المحافظة على النفس من التلف .

٢ — أنه إذا تيسر وجود الطبيب المسلم للعلاج كان أولى ، وإلا جاز ذلك للطبيب غير المسلم للضرورة .

٣ — أنه على المريضة أن تطلع أولياء أمرها على رأى الأطباء ليكونوا على علم ودراية بسبب زوال غشاء البكارة ، وأنه ضرورة علاج للمحافظة على صحتها ، ولهم أن يباشروا معها كل ذلك .

٤ — أن الدم الأسود الذى ينزل من رحم المرأة — قبل ميعاد الدورة الشهرية بأسبوع أو خمسة أيام — هو من ألوان دم الحيض حسبما قرر الفقهاء ، وعليها أن تعتبر ذلك مبدأ الدورة الشهرية ما دام يسيل تلقائيا إلى الخارج حيث تتغير العادة ولو بمرة .

٥ — أنه تحرم عليها الصلاة ، كما يحرم عليها الصوم إلى انقطاعه كعادتها أو إلى مدة أقصاها عشرة أيام .

٦ — أنها تقضى الصوم إن كان فى شهر رمضان ، ولا تقضى الصلاة .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

واذكر ربك إذا نسيت

بقلم : الشيخ محمد حافظ سليمان

يقول الله جل جلاله :

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾

(سورة آل عمران)

ليس على ظهر هذه الأرض أحد أسعد حظا وأصلح حالا وأعظم يقينا وأشد تثبيتاً ممن شرح الله صدره للإسلام وأضاء قلبه بنور الإيمان فاعتصم بالله ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . (سورة آل عمران ١٠١)

والمؤمن الصادق مع الله ومع النفس ومع الناس هو الذى يذكر ربه سرا وعلانية : والذكر معناه عدم النسيان : لأن من نسى الله ـ ينسيه الله نفسه ، وويل للمرء من نفسه إذا نسى نفسه ، وعندئذ يعيش فى ظلمات وضلالات وجهالات ، ثم هو يطلب النور من الظلمات والعلم من الجهالات والله يقول :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

(سورة الحشر ١٩)

أما الإعراض عن ذكر الله فأمره خطير وشره مستطير فى الدنيا والآخرة والله يقول :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾

(سورة طه ١٢٤ ـ ١٢٦)

والتفكر فى ملكوت الله عبادة

وأولوا الألباب السليمة والعقول القويمة يتفكرون فى خلق السموات والأرض تفكيراً دقيقاً

عميقاً ــ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ليملأوا فراغ نفوسهم بمعرفة آيات الله الخالق الذى دبرها بقدرته وسخرها بإرادته لأن آيات الله المبثوثة فى الأكوان تلتقى مع آيات الله فى القرآن .. وكلها تدل على صنع الله الذى أتقن كل شيء وبيده ملكوت كل شيء وليس كمثله شيء .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

(سورة البقرة ١٦٤)

وهذا التفكير ذكر يقرِّب العبد من ربه الذى خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا .

والقرآن الكريم ذكر

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
(سورة الحجر ٩)
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل ٤٤)
(وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ) الأنبياء / ٥٠ .

والصلاة ذكر

يقول الله تعالى :
﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ (سورة طه ١٤)
ولله رجال أبرار أطهار ملأوا كل حركاتهم فى صلاتهم بذكر الله تعالى وحده :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ (سورة النور ٣٧)

وذلك لأن الصلاة تكبير وتسبيح وتهليل ودعاء وتلاوة قرآن وركوع فيه ذكر الله وسجود فيه ذكر الله كذلك ، وفى كل أفعال الصلاة ذكر وخشوع وتبتل وارتباط بالله ولهذا جاء ذكر الله مقترنا بتلاوة كتاب الله وبإقام الصلاة فى الآية الكريمة :

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (سورة العنكبوت ٤٥) والتلاوة أول الطريق إلى ذكر الله الأكبر ، ومما لا ريب فيه أن تلاوة كتاب الله من أعظم القربات عند الله تعالى وليس المراد بالتلاوة مجرد القراءة بدون تدبر أو تذكر لما فى الآيات من عظات وتوجيهات نافعة ودروس صالحة تظهر لمن يتدبر ويتذكر، أو تأثر يهز المشاعر الحية ويوقظ الضمائر ويطهر السرائر وينير البصائر ، والله يقول فى فضل التلاوة :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (سورة فاطر) : إنه لعظيم أجرهم كثير فضلهم ، تجارتهم رابحة وأعمالهم صالحة : ولذلك اقترنت التلاوة بإقام الصلاة وبالإنفاق فى سبيل الله سراً وعلانية : لأن التلاوة تؤدى إلى العبادة النافعة لأنهم إنما يعرفون حقاً أنهم يتلون القرآن حق تلاوته بروح صافية وقلوب واعية وأذان صاغية ، والله سيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور .

﴿ ولأنه لا يضيع أجر المحسنين ﴾ .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من نفس عن مؤمن كربة من كربة الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة . وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» «أخرجه مسلم» .

وعن أبي أمامة الباهلى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : قال : «اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه» «رواه مسلم» . وعن على رضى الله عنه : قال قالرسول الله ﷺ حملة القرآن فى ظل الله يوم لاظل إلا ظله . أخرجه الديلمى :

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن» «أخرجه البيهقى» .

عن أبي ذر رضى الله عنه قلت يارسول الله أوصنى قال عليك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله قلت يارسول الله زدنى : قال : «عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء» «أخرجه بن حيان» .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «يقال لصاحب القرآن اقرأ وَارْتَقِ ورتل كما كنت فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» (رواه أبوداود والترمذى) ، وقال حديث حسن صحيح : عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من قرأ حَرْفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها أما إنى لاأقول الٓم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : «من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة» (رواه الإمام أحمد) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : «اقرأ علىَّ : قلت يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال نعم : إنى أحب أن أسمعه من غيرى : فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ قال حسبك الآن : فالتفت إليه فإذا عيناه تَذْرُفَان» (رواه البخارى ومسلم) .

وعنه ﷺ قال إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قالوا يارسول الله فما جلاؤها ؟ قال قال : تلاوة القرآن . (أخرجه البيهقى) .

وروى ابن عمر عنه ﷺ أنه قال تفتح أبواب السماءِ لِخَمْسَةٍ نزول الغيث وقراءة القرآن ولقاء الزحف والأذان والدعاء . (رواه الطبرانى) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال ﷺ «إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب» (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه» (رواه البخارى) .

دواء القلب

قال العارف بالله سيدى ابراهيم الخواص : دواء القلب فى خمسة أشياء : «قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السَّحَرِ ، ومجالسة الصالحين» .

وقال عبد الله بن عمرو : لاينبغى لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض ولايجهل مع من يجهل ، ولا يلغو مع من يلغو ، ولكن يعفو ويصفح ، تعظيماً لحق القرآن ، لأن فى جوفه كلام الله تعالى : وينبغى لحامل القرآن أن يتخير من الأصدقاء من يعينه على الخير ويدله على الصدق والفقه ومكارم الأخلاق ليكون ممن يرجى خيرهم ويؤمن شرهم وأن يكون قدوة حسنة يعمل بالقرآن ويتجنب خطوات الشيطان ، لأن القرآن صفاء ونقاء وذكر وفكر وعبادة خالصة لله منزل القرآن على قلب خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ سورة ابراهيم ١

وفى هذا القرآن صلاح الدنيا والآخرة وفيه هداية الحائرين وإرشاد الضالين : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة البقرة ١ ــ ٢)

اذْكُروا اللهَ ذِكْراً كثيراً

يقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ (سورة الأحزاب)

ذكر الله يملأ القلب ورعا والنفس اطمئناناً ، والله الرءوف بالعباد أمرهم بأن يذكروه ذكراً كثيراً ليرفع قدرهم ويعلى شأنهم ويشرح صدورهم ويضاعف أجورهم ، ومن رحمته التى وسعت كل شىء أن جعل التسبيح ذكراً والاستغفار توبة والذكر الكثير ــ كما فى الآية ــ يكون فى كل الأوقات فى أول النهار وفى آخره فى الصباح والمساء والله يقول فى سورة طه : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ والمؤمن يجب عليه أن يعلم أن الله مع المتقين ، وهو القائل ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (سورة البقرة ١٥٢)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل : «أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وإن اقترب إلىَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعاً وإن أتانى يمشى أتيته هرولة» (رواه الشيخان والترمذى) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» .

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : «مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لايذكر الله فيه مثل الحى والميت» . (رواه الشيخان) .

وقالت عائشة رضى الله عنها كان النبى ﷺ : يذكر الله فى كل أحيانه : أى أوقاته ، وعن النبى

ﷺ أنه قال من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عِدْلَ عشر رقاب وكُتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك : ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر . (رواه الشيخان والترمذى) .

وفى رواية لمسلم والترمذى : من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كانت كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل .

أفضل الذكر

عن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله : وقال رجل يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علىَّ فأخبرنى بشيء أتشبث به : قال لايزال لسانك رَطْباً من ذكر الله ، وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ،قالوا بلى يارسول الله : قال ذكر الله تعالى .

والله يقول :

﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب ٣٥)

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قُلْتُ وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر .

وفى رواية عنه قلت يارسول الله وما رياض الجنة ؟ قال المساجد قلت وما الرتع قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

الأسماء الحسنى

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (سورة الأعراف ١٨٠) والمعنى اعبدوه بها واذكروه وسبحوه : وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «إن لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة : وإن الله وتر يحب الوتر» (رواه الشيخان والترمذى) .

والله يقول : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (سورة الحشر ٢٣ ــ ٢٤) .

وكمالات الله تعالى من أسماء وصفات لا حصر لها : والله سبحانه قريب رقيب مجيب رحيم كريم حليم : قد أرسل الرسل وأنزل الكتب وضاعف الحسنات وجعل أبواب الخير وفيرة وسبل البر كثيرة وفتح أبواب التوبة لغير المشركين به ، ولكن الغارقين فى اللغو والإثم فى حاجة إلى أن يعودوا إلى ربهم وأن يثوبوا إلى رشدهم وأن يتوبوا من ذنبهم ليعلموا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه : والله يقول :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ
ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم
مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (سورة الكهف) .

أيَعْجز المسلم عن أن يذكر ربه أينما حَلَّ وأنَّى وجد ولن يكلفه ذلك عناء . لأن دين الله يسر كله لا حرج فيه ولا مشقة ولا عنت ولا تكليف بما لا يطاق ، ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ (سورة البقرة) .

قد جاءكم الحق

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

(سورة يونس ١٠٨ ـ ١٠٩) .

وإذا كان الله عز وجل تُسَبِّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن فلم لا يسبح الانسان دائما بحمده مع علمه بأن الله قال له فى كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ (سورة الواقعة)

والله يقول :

﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾ (سورة النصر ٣) .

الداء
والدواء

وأخيرا لقـد عرفت البشريـة المذاهب الإلحادية وَشَقِىَ بها من شقى وجحد بها من جحد ، وذلك بعد طول عناء وبلاء قد تجرعوا بسببه غصص الشقاء ، فراحوا يبحثون عن دواء للداء ، ولا دواء يشفى من كل العلل التى تصيب جسم المجتمع الانسانى إلا بما فيه شفاء لما فى الصدور وهو « القرآن » وبالايمان بالله خالق الأكوان رب الناس ملك الناس إله الناس رب العالمين الذى له الخلق والأمر .

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس ٨٣) وهو القائل :

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ (الصافات ٤ ـــ ٥) وبالإيمان السليم يتسامى الإنسان عن الخضوع المذل لنزواته وشهواته وأنانيته الكريهة وانتهازيته البغيضة ليتجه بروحه وعقله وقلبه إلى ربه الذى يقول فى كتابه الكريم :

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

(سورة الاسراء ٤٤) أو عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : من قال إذا أصبح وإذا أمسى رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا إلا كان حقا على الله أن يرضيه .

والدعاء ذكر

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال ليس شىء أكرم على الله تعالى من الدعاء ، وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : الدعاء مخ العبادة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء ، وعنه عن النبى ﷺ قال من لم يسأل الله يغضب عليه ، والله يقول :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (سورة البقرة ١٨٦) .

والدعاء مناجاة وتسبيح وتحميد وتكبير وخشوع وخضوع لله بالقلب والوجدان ثم يفيض الدعاء على اللسان ، والمؤمن الذى يدعو ربه واثقابه سائلا إياه وحده سيجد ربه قريباً مجيباً مادام مؤمنا بالله مستجيبا له ، فلا يشغله عن ربه باطل ينسيه ، ولا لهو ينأى به عن ذكر ربه ، فما أعظم أن يقف المرء على باب ربه راجيا رحمته وغفرانه متطلعا إلى خزائنه التى لا حدود لسعتها فلا تنفذ أبدا بالإنفاق ، وصاحب هذه الخزائن هو وحده الذى يملك الاستجابة والعطاء فهو المعطى المانع الضار النافع وله مقاليد السموات والأرض ، والدعاء التجاء إلى الله الباقى وتضرع من العبد الفانى الفقير إلى ربه القوى الغنى القدير يناجيه بقلب سليم ونفس قوية مطمئنة راضية مرضية لأن الدعاء عبادة لله والعبادة ذكر يضىء القلب بنور التوحيد . لهذا كان الذكر نورا ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ وكانت الغفلة ظلاما وظلمات بُعْدا ومقتا .

والدعاء اعتزاز بالله دون سواه

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة المنافقون ٨)

والمؤمن الموصول بالله يلتزم بطاعته فى حياته الخاصة والعامة ليكون إنسانا صافيا لا يحقد فيصاب بمرض نفسى ، ولا يخاصم فينتقم ويعيش قلقا مضطربا : ولا ينحرف فيصبح عند شهواته وشيطانه فيصاب بخبث الأمراض التى تهد الجسم وتهز العقل ، وتفتك بكيان الانسان وقوته : لأنه لن يصارع هواه ولكنه أباح لنفسه ما حرمه الله . أما إذا ترفع عن كل نقيصة وأعرض بنفسه عن كل خسيسة فلم يقترف الذنوب والعيوب فقد هدى إلى سواء السبيل ، فتستنير بصيرته وتستقيم سيرته لأنه أصبح يعبد الله كأنه يراه ، لذلك كان الايمان قوة دافعة نافعة تصون المسلم من الشرود من ربه إلى السبيل التى يتبعها الشاردون من الهدى فتفرق بهم عن سبيل الله والله يقول : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة الأنعام ١٥٣) . فعلينا أن ندعو الله مخلصين له الدين ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ .

قبس من أنوار النبوة

حصانة وكرامة

الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

عن ابن عمر ـــ رضى الله عنهما ـــ قال : «صعد رسول الله ـــ ﷺ ـــ المنبر فنادى بأعلى صوته :

يامعشر من أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهـــم ، ولاتتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله» .

ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال : ما أعظمك ! وما أعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك .

أخرجه الترمذى

معانى المفردات :

١ ـــ معشر : الجماعة من الناس ٢ ـــ لم يُفْضِ : لم يصل الايمان إلى قلبه ولم يمسه .

٣ ـــ لاتعيروهم : توبخوهم ٤ ـــ العورات : السوءات وكل ما يستحى منه .

أحاط الإسلام بنظمه وتوجيهاته الإنسان فى غرائزه وعواطفه وميوله وإرادته بما يجعله يشق طريقه فى هذه الحياة قويا نقيا ، وبذل من الرعاية مايمكنه من خوض معركة الحياة دون وهن أوفتور ، ووفر له من الصيانة والحصانة والحرمة والكرامة مايبعده عن الشوائب والشواغل ، وحماه من المكدرات والمفتريات التى يلصقها به الحاقدون والمثبطون ، وبهذا يتمكن المسلم من أداء رسالته ، التى كلف بالقيام بها فى هذا الوجود .

والإسلام وهو دين الفطرة ، جاء بما يصلح حال الناس فى معاشهم ومعادهم ، ويحفظ الإنسانية كلها من داء اختلال الأمن العام ، وسد جميع السبل المؤدية إلى ذلك فنراه يدعو إلى الاجتماع والتساند والتآزر ، والتآخى والتراحم ، وينهى عن أسباب التفرق والتشاحن والتباغض .

لقد جاء الإسلام من أول يوم ، وهو يستهدف إحكام الروابط بين المسلمين ، ويشد وثاقهم

بالأخوة التى تعلو على حدود الأجناس والقبائل والأوطان . قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات

وتتابعت آيات القرآن الكريم تزيد من وثاقة هذه الصلات بين الناس على اختلاف عقائدهم ومشاربهم قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات

فمهمة التعارف والتآلف والتعاون على البر والتقوى ، هى الغايات العليا من العباد الذين ردهم الله جميعا إلى أب واحد ، وأم واحدة فلا يتفاضلون بعدها بغير الإيمان والعمل الصالح لأنفسهم وإخوانهم وأوطانهم .

وإن نبى الإسلام ــ ﷺ ــ ليشيد بهذه الأخوة ويحذر من مخالفتها ، أو ممايهون من مكانتها فيقول فيما رواه مسلم : «المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله التقوى ههنا ــ ثلاثا وهو يضرب على صدره ــ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله » .

بل إن الرسول الكريم ــ ﷺ ــ أوجب على المؤمن أن يُنَصِّب من نفسه ــ محاميا ــ ومدافعا عن عرض أخيه فى غيبته ، فقال فيما رواه أحمد : «من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيب ، كان حقا على الله أن يعتقه من النار ، ومن ردَّ عن عرض أخيه ، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القامة ، وأيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة ، وهو منها برىء ــ يشينه بها فى الدنيا ــ كان حقا على الله ان يذيبه يوم القيامة فى النار » .

وإن حماية الأعراض ، والمحافظة على كرامة الناس من أهم مايحرص عليه الإسلام . لقد فرضها الإسلام مع العبادة سلوكا فى الحياة لتوثيق أواصر القربى والمودة والمحبة بين الناس ، وجعلها مظهراً من مظاهر المجتمع النظيف المتماسك ، كما جعل الذين يؤذون الناس بحصائد ألسنتهم ، قد ارتكبوا أعظم الجرم وأفظعه . قال الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾الأحزاب/٥٨ .

وإن الذين لايتورعون عن الخوض فى أعراض الناس ، ويستمرئون أكل لحومهم وتتبع عواراتهم أسوأ حالا من أكلة الربا ، روى أبو يعلى ــ وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب ــ رواته رواة الصحيح ــ عن عائشة رضى الله عنها ــ أن النبى ــ ﷺ ــ قال لأصحابه : «أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قلوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم . ثم قرأ رسول الله ــ ﷺ ــ

﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا** ﴾ سورة الأحزاب/٥٨ .

وروى أبو داود أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : «إن من أكبر الكبائر استطالة الرجل فى عرض رجل مسبلم بغير حق» وقال عمر بن عبدالعزيز : أدزكنا السلف وهم لايرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة . ولكن فى الكف عن أعراض الناس وهاهو ــ ﷺ ــ وقد صعد المنبر

يواجه أتباعه ، وينصح لأمته ، بنداء منبثق من قلب يحرك النفوس ويثير العواطف بقوله : «يامعشر من آمن بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه» .

إن أهل الإيمان الصحيح ينفرون من تلك الصفات التى تعترض طريق النجاة ، لأنها صفات المنافقين ، والنفاق أشنع وأقبح مايوصف به الإنسان الحريص على إنسانيته وكرامته . فإذا اختلف ما وقر فى القلب عما ينطق به اللسان شاهت الصورة وقبح المظهر ، فليحذر أولئك النباشون المجدون فى إيذاء الناس وتتبع عوراتهم ، وتعييرهم أن تحل بهم العقوبة العاجلة بكشف عيوبهم فى المجتمع مما تحصنوا أواستتروا ؛ فإن الجزاء من جنس العمل ومن غربل الناس نخلوه .

فعلى المسلم أن يعلم أن الناقد بصير ، ولايحول دون علمه ستار أوجدار ، وعليه ان يربأ بنفسه عن تتبع عورات الآخرين ، وأن يشتغل باصلاح عيوب نفسه فإن لكل واحد منا عيوبا ونقائص تكفيه عن النظر فى عيوب غيره ، وليبدأ باصلاح مابينه وبين الله فإذا فعل ذلك تكفل الله له بإصلاح ما بينه وبين الناس .

قيل للربيع بن خيثم : نراك لاتذم أحدا ! فقال : لست عن نفسى راضيا فأتفرغ لذم الناس ، ثم أنشد :

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها
لنفسى من نفسى عن الناس شاغل

«وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس» ــ رواه البزار .

لقد أعلى الله عز وجل شأن الإنسان وكرَّمه ، فقال عز من قائل :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء/ ٧٠ ؛ لقد أكد الإسلام على الحصانة والكرامة للإنسان ، وأسبغ الله على المسلم نعمته ورفع من قدره .

فها هو عبدالله بن عمر ــ رضى الله عنهما ــ يزور مكة يوما ويقف أمام الكعبة المشرفة فى البلد الأمين . ويصوب بصره إلى الكعبة فيستحضر فى ذهنه تلك الحرمات التى أحاط الله بها الكعبة منذ قامت ــ حيث قال الله تعالى :

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ آل عمران/٩٦ ،

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ البقرة/١٢٥ .

ولكن عبدالله بن عمر حين يستحضر فى ذهنه صورة هذا التقديس والتعظيم الذى أمرنا الله به تقفز إلى ذهنه صورة أخرى هى صورة الإنسان المسلم .

فيفصح عن ذلك بقوله :

رأيت رسول الله ــ ﷺ ــ يطوف بالكعبة ويقول : ما أطيبك وأطيب ريحك وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله منك . ماله ودمه وأن لايظن به إلا خيرا .

فكن أيها المسلم أهلا لهذا التكريم واعمل بما يرضى الله رب العالمين ، فقل خيرا تغنم ، وامسك عن الشر تسلم .

وفقنا الله لصالح القول والعمل ، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب .

سعد بن الربيع شهيد غزوة أحد رضي الله عنه

مواقف إيمانيه فى حياته تصورها الأحاديث الشريفة

د. عبدالبصير خليفة حسن

اسمه ونسبه : [1]سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك .. ابن الحارث بن الخزرج .

مناقبه : شهد سعد بيعتى العقبة ، وهو أحد النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، وعلى النفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن ينصروه إذا قدم عليهم يثرب ، فيمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم، آخى الرسول ﷺ بينه وبين عبدالرحمن بن عوف فى الهجرة، ويذكر السهيلى السبب فى هذا التآخى فيقول : آخى النبى - ﷺ - بين المهاجرين والأنصار ليذهب عنهم وحشة الغربة ويتآنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد بعضهم أزر بعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم إخوة وأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] يعنى فى التواد وشمول الدعوة .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/٧٧ و٧٨ . (٢) سورة الحجرات - آية رقم : ١٠ .

نظرة سعد رضى الله عنه لهذا التآخى

ولنفسح المجال للحديث الصحيح ليصور لنا قيمة هذا التآخى، ومشاعر سعد تجاهه، قال البخارى فى صحيحه : حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال : قال عبدالرحمن بن عوف : « لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بينى وبين سعد بن الربيع ، فقال سعد بن الربيع : إنى أكثر الأنصار مالًا ، فأقسم لك نصف مالى، وانظر أى زوجتى هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها ، فقال له عبدالرحمن : لا حاجة لى فى ذلك، وفى رواية أخرى، بارك الله فى أهلك ومالك.هل من سوق فيه تجارة ؟ قال: سوق قينقاع ، قال: فغدا إليه عبدالرحمن فأتى بأَقِطٍ وسمن ، قال : ثم تابع الغدو ، فما لبث أن جاء عبدالرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله ﷺ : «تزوجت ؟ قال : نعم، قال : ومن ؟ قال : امرأة من الأنصار ، قال : كم سقت ؟ قال : زنة نواة من ذهب فقال له النبى ﷺ : أَوْلِم ولو بشاة»

يتمثل فى هذا الحديث عمق إيمان وسلامة يقين سعد بن الربيع ، وتقديمه حب الله تعالى ورسوله على الأهل والمال ، بل وعلى نفسه التى بين جنبيه ، ولن تجد وصفاً أدق ولا أعظم من قول الله - تبارك وتعالى - فى شأنه وقومه الأنصار، ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٣). وفى الحديث أيضاً منقبة ظاهرة لعبد الرحمن بن عوف ، وهو لا يملك فى دار الهجرة ما يقتات به ، ومع ذلك فهو لا يقبل عرض أخيه الأنصارى ، وبمهارته وحسن معاملته ودقته وأمانته استطاع أن يصل إلى ثروة كبيرة ، فى زمن يسير ، وأن يتزوج بامرأة من الأنصار ، هذا هو منهج المسلم الحق الذى فطن لقول الرسول ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى »(٤) .

ونعود لنتابع مسيرة سعد رضى الله عنه حيث يستشير الرسول ﷺ أصحابه للتعرض لقافلة أبى سفيان بن حرب القادمة من الشام فكان - رضى الله عنه - أحد الذين أجابوا داعى الله ولبوا نداء رسوله - ﷺ - وما كان ليرغب بنفسه عن موطن شهده رسول الله - ﷺ - وقد قضى الله جلت حكمته أن يقودهم ذلك التعرض ليوم الفرقان، يوم التقاء الجمعان ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولمن شهد هذا اليوم قدره وفضله « جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة » . أخرجه البخارى ، وفى صحيح مسلم «أن عبداً لحاطب بن أبى بلتعة جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً قال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية .

أجل لقد تعود سعد السعادة بملازمته للرسول ﷺ منذ بيعة العقبة ، فبعد مضى عام من غزوة بدر الكبرى كانت وقعة أحد، وكان فيها ابتلاءٌ وتمحيص فنعم باتخاذ الله له شهيداً ، وأصبح من أهل هذه الآية الكريمة ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾(٥)

---

(٣) سورة الحشر - آية رقم ٩ .

(٤) الحديث متفق عليه .

(٥) سورة آل عمران - آية ١٦٩ .

وتنتهى المعركة ويتفقد الرسول ﷺ أصحابه ، ولسعد بن الربيع مكانته الهامة ومنزلته السامية إنها ثمرة حُبِّهِ لهذا الدين القويم ، فيرسل الرسول ﷺ زيد بن ثابت للبحث عن سعد بن الربيع .

روى الحاكم بسنده وصححه وأقره الذهبى عن زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ قال : « بعثنى رسول الله ـ ﷺ ـ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع وقال لى : إن رأيته فأقرئه منى السلام ، وقل له، يقول لك رسول الله :كيف تجدك ؟ قال : فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته،وهو فى آخر رمق ، وبه سبعون ضربة ، ما بين طعنةبرمح وضربة بسهم فقلت له:يا سعد ، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : خبرنى كيف تجدك ؟ قال : على رسول الله السلام وعليك السلام ، قل له:يا رسول الله أجدنى أجد ريح الجنة،وقل لقومى الأنصار : لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وفيكم شفر يطرف قال : وفاضت نفسه رحمه الله » زاد أبو عمر فى الإستيعاب قول سعد : الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ـ ﷺ ـ ليلة العقبة ، فقال رسول الله ﷺ : « رحمه الله نصح لله حياً وميتاً » لقد استنفذ الرجل وصيته فى حب الله ورسوله وهذه آخر كلمات نطق بها تؤكد عمق إيمانه وصدق يقينه واطمئنان قلبه؛فاستحق هذا الثناء العطر من الرسول ... ﷺ ... وصدق الله حيث قال :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾(٦) .

قال ابن إسحاق : دفن سعد بن الربيع وخارجة بن زيد بن أبى زهير فى قبر واحد .

ذريته : ترك سعد من الذرية ابنتين ، قد سميت إحداهما فى الطبقات الكبرى ـ أم سعد ـ واسمها جميلة وهى أم خارجة بن زيد . ولا أعلم اسم الثانية .

أعطى رسول الله ﷺ هاتين البنتين الثلثين .

أخرج أحمد وأصحاب السنن وصححه الحاكم والذهبى عن جابر قال : « جاءت امرأة سعد بن الربيع، فقالت: يا رسول الله هاتان، ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك فى أحد ، وإن عمهما أخذ مالهما،قال:يقضى الله فى ذلك فنزلت آية الميراث :

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾(٧) فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال : أعط ابنتى سعد الثلثين وأمهما الثمن ، وما بقى فهو لك .

وفاء الصحابة مع بنتيه :

جاء فى الإصابة للحافظ ابن حجر ، روى الطبرانى من طريق خارجة بن زيد بن ثابت عن أم سعد بنت سعد بن الربيع أنها دخلت على أبى بكر الصديق فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه فدخل عمر فسأله . فقال : هذه ابنة من هو خير منى ومنك ، قال : ومن هو يا خليفة رسول الله قال : رجل قبض على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ وتبوأ مقعده من الجنة وبقيت أنا وأنت .

« وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم »

---

(٦) سورة الأحزاب ـ آية رقم : ٢٣ .

(٧) سورة النساء ـ آية رقم : ١١ .

صلح الحديبية

أ.د محمد عبدالعليم العدوى

(٢)

مجىء بديل بن ورقاء الخزاعى :

كانت خزاعة هى عيبة نصح رسول الله - ﷺ - بتهامه - أى موضع الأمانة على سره[١] مسلمها ومشركها ، لا يخفون عليه شيئاً[٢] والأصل فى موالاتهم له - ﷺ - أن بنى هاشم فى الجاهلية كانوا قد تحالفوا مع خزاعة فاستمروا على ذلك فى الإسلام .

ولما أحسوا بخطورة الموقف بين قريش وبين رسول الله - ﷺ - بعثوا منهم وفدا برئاسة بديل بن ورقاء[٣] ، فأخذوا رواحلهم عند رسول الله - ﷺ - ثم جاءوا فسلموا عليه وقال بديل للنبى - ﷺ - : غزوت ولا سلاح معك . فقال عليه السلام : لم نجىء لقتال . فقال بديل : جئناك من عند كعب بن لؤى وعامر بن لؤى (يعنى قريشا) فقد استنفروا لك الأحابيش ومن اطاعهم معهم العوز المطافيل - النساء والصبيان - يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم[٤] (جماعتهم) فقال رسول الله - ﷺ - : إنا لم نأت لقتال أحد ، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صدنا عنه قاتلناه ، وقريش قوم قد أضرت بهم الحرب ونهكتهم ، فإن شاءوا ماددتهم مدة يأمنون فيها ، ويخلون فيما بيننا وبين الناس ، والناس أكثر منهم ، فإن ظهر أمرى على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس ، أو يقاتلوا وقد جمعوا ، والله لأجهدن على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى أو ينفذ الله أمره .

فوعى بديل مقالته - ﷺ - وركب ثم ركبوا إلى قريش ، وكان فى الركب عمرو بن سالم فجعل يقول : والله لا تنصرون على من يعرض هذا ابدا حتى هبطوا على كفار قريش ، فقال ناس منهم : هذا بديل وأصحابه ، إنما جاءوا يريدون أن يستخبروكم ، فلا تسألوهم عن حرف واحد ، فلما رأى بديل وأصحابه أنهم لا يستخبرونهم قال بديل : إنما جئنا من عند محمد أتحبون أن نخبركم ؟ قال عكرمة بن أبى جهل والحكم بن العاص :

---

١ - شرح الزرقانى على المواهبة اللدنية ح ط ص ٢٢٤ .
٢ - مغازى الواقدى ح ٢ ص ٥٩٣ .
٣ - أسلم يوم الفتح بمر الظهران وشهد حنينا والطائف وتبوك وقيل أسلم قبل الفتح (مع نفر من قومه) انظر ابن اسحق ، وحجة الوداع للكاندهلوى ص ٤٣٧ .
٤ - طبقات ابن سعد ح ٢ ص ٧٠ .

لا والله ، ما لنا حاجة بأن تخبرونا عنه ، ولكن أخبروه عنا أنه لا يدخلها علينا عامه هذا أبدا حتى لا يبقى منا رجل . فقال عروة بن مسعود : والله ما رأيت كاليوم رأيا أعجب ، وما تكرهون أن تسمعوا من بديل وأصحابه ؟ فإن أعجبكم أمر قبلتموه ، وإن كرهتم شيئا تركتموه ، لا يفلح قوم فعلوا هذا ابدا ..

وقال رجال من ذوى رأيهم وأشرافهم ، صفوان بن أمية والحارث بن هشام(٥) أخبرونا بالذى رأيتم والذى سمعتم ، فأخبروهم بمقالة النبى — ﷺ — التى قال وما عرض على قريش من المدة(٦) .

وزاد ابن إسحق فى روايته قول بديل لهم : إنكم تعجلون على محمد ، إنه لم يأت لقتال إنما جاء معتمرا فشتموه واتهموه بالتحيز للمسلمين ، ثم أصروا على موقفهم المتعنت قائلين : حتى وإن جاء محمد ولا يريد قتالا فو الله لا يدخلها علينا عنوة أبدا . أيريد محمد أن يدخلها علينا فى جنوده معتمرا ، فتسمع العرب أنه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ، والله لا كان هذا أبدا ومنا عين تطرف(٧) .

ثم بعثت قريش مكرز بن حفص فعاد بمثل ما عاد به بديل الخزاعى . ثم بعثوا سيد الأحابيش « الحليس بن علقمة » فلما رأه الرسول — ﷺ — قال : إن هذا من قوم يتألهون .

فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله — ﷺ — إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . فقالوا له : إجلس فانما أنت أعرابى لا علم لك ، فغضب الحليس وقال : يا معشر قريش والله ما على هذا حالفتكم ، ولا على هذا عاهدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له ، والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء به ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، قالوا ، كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

عروة بن مسعود(٨)

ثم بعثوا إلى رسول الله — ﷺ — عروة بن مسعود ، وكان سيدا مطاعا فى قومه ، كما كان يحكم وجوده ، ومركزه القيادى فى معسكر قريش ، يرقب الأحداث والتطورات ، وكان يطلع بدقة على ما يدور بين النبى — ﷺ — وقريش حول هذه الأزمة الحادة مما جعله يدرك الصورة الصحيحة لمواقف النبى — ﷺ — وأصحابه ، وقد نصح حلفاءه ، بالتزام جانب الاعتدال ، وأنكر عليهم رفض العرض النبوى الذى حمله إليهم بديل ابن ورقاء الخزاعى(٩) حيث قال : و الله ما رأيت كاليوم بآية أعجب — مما تكرهون أن يسمعوا من بديل وأصحابه ، فإن أعجبكم أمر قبلتموه ، وإن كرهتم شيئا تركتموه ،

---

٥ — وقد أسلم عام الفتح فحسن إسلامه وصار من خيار الصحابة وخرج إلى الشام مجاهدا فى عهد عمر حتى توفى . الإجابة عن الواقدى .

٦ — مغازى الواقدى ج ٢ ص ٥٩٣ ، ٥٩٤ .

٧ — سيرة ابن هشام ج ص ٣١١ ، صحيح البخارى ج ٥ ص ٢٦٧ ، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٦ ومغازى الواقدى ج ٢ ص ٥٩٣ — ٥٩٤ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٦٢٥ وما بعدها .

٨ — هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك النقضى ، سيد عظيم من سادات ثقيف اسلم سنه تسع من الهجرة وحسن اسلامه ، واستأذن النبى — ﷺ — فى الذهاب الى قومه ثقيف ليدعوهم الى الاسلام ، فأذن له رسول الله — ﷺ — بعد أن قال له : انى اخاف ان يقتلوك . فقال : لو وجدونى نائما أيقظونى .. ولما ذهب اليهم ودعاهم الى الاسلام ونصح لهم عصوه .. ثم قتلوه ، قتله رجل منهم بسهم ، فلما بلغ ذلك النبى — ﷺ — قال : مثل عروة مثل صاحب ياسين ، دعا قومه الى الله فقتلوه ، وقيل له ما ترى فى دمك ؟ .
قال : كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها .

٩ — محمد أحمد باشيل : صلح الحديبية ص ١٨٢ .

لا يفلح قوم فعلوا هذا أبدا ، وقال رجال من ذوى رأيهم وأشرافهم صفوان بن أمية والحارث بن هشام ، أخبرونا بالذى رأيتم والذى سمعتموه . فأخبروهم بمقالة النبى ــ ﷺ ــ التى قال ، وما عرض على قريش من المدة .

فقال عروة : يا معشر قريش تتهموننى ؟ الستم الوالد وأنا الولد ، وقد استنفرت أهل عكاظ لنصركم فلما بلموا (امتنعوا) على : نفرت إليكم بنفسى وولدى ومن أطاعنى . فقالوا : قد فعلت . فقال : وإنى ناصح لكم شفيق عليكم ، ولا أدخر عنكم نصحا ، وإن بديلا قد جاءكم بخطة رشد لا يردها أحد أبدا إلا أخذ شرا منها فاقبلوها منه ، وابعثونى حتى آتيكم بمصداقها من عنده وانظر إلى من معه ، ولأكون لكم عينا آتيكم بخبره . فبعثته قريش إلى رسول الله ــ ﷺ ــ ، وأقبل عروة حتى أناخ راحلته عند رسول الله ــ ﷺ ــ ، ثم أقبل حتى جاءه ، ثم قال : يا محمد ، إنى تركت قومك على أعداد مياه[10] الحديبية معهم العوز المطافيل ، قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم ، وهم يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم ، وإنما أنت من قتالهم بين أحد أمرين : أن تجتاح قومك ، ولم نسمع برجل اجتاح أصله قبلك ، أو بين أن يخذلك من نرى معك ، فإنى لا أرى معك إلا أوباشا[11] من الناس ، لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم ، وأيم الله لِكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . وما إن سمع أبو بكر رضى الله عنه حتى غضب غضبا شديدا وأجابه بما يكرهه فقال له : امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة ، قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ولكن هذه بهذه[12] .

مشهد إيمانى رائع :

وقد كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يمسك الزعيم بلحية الذى يراه ندا له أثناء الحديث ، وعلى هذه القاعدة أخذ عروة بن مسعود يمسك بلحية النبى ــ ﷺ ــ وهو يكلمه ، وكان عليه السلام يقضى لعروة عن ذلك استمالة له وتأليفا[13] لكن المغيرة بن شعبة كان واقفا على رأس رسول الله ــ ﷺ ــ بالسيف على رأسه المعصب فطفق المغيرة كلما مس لحية رسول الله ــ ﷺ ــ قرع يده ويقول : أكفف يدك عن مس لحية رسول الله قبل ألا تصل إليك . فيقول عروة : ويحك ــ ما أفظك وأغلظك . فتبسم رسول الله ــ ﷺ ــ فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن اخيك المغيرة بن شعبة[14] فقال عروة : أى غدر (يا غادر) والله ما غسلت غدرتك بعكاظ إلا بالأمس وقد أورثتنا العداوة من ثقيف إلى آخر الدهر[15] .

وأخذ رسول الله ــ ﷺ ــ يكلم عروة بنحو مما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حربا ، إنما يريد أن يزور البيت كما يزوره غيره فلا يلقى صادا ولا رادا ، فقام من عند رسول الله ــ ﷺ ــ وقد رأى ما يصنع به أصحابه : لا يأمرهم بأمر ابتدروه ، ولا يسقط من شعره إلا أخذوه . وإذا

١٠ ــ الأعداد جمع العد بالكسر وهو الماء الذى له مادة لا تنقطع كماء العين والبئر (الصحاح ص ٥٠٣) .

١١ ــ الأوباش من الناس : الاخلاط مثل الأوشاب ويقال هو جمع مقلوب من البوش . الصحاح ص ١٠٢٤ .

١٢ ــ مغازى الواقدى ج ٢ ص ٥٩٤ ــ ٥٩٥ ، البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٦ ــ ١٦٧ . وكانت اليد التى لابى بكر أعان عروة فى دية تحملها .

١٣ ــ حجة الوداع وعمرات الرسول ــ ﷺ ــ للكاندهلوى ص ٢٤٥ .

١٤ ــ أسلم قبل الحديبيه وحسن إسلامه وكان من قادة الفتح الاسلامى منذ عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتوفى سنة خمسين على الصحيح .

١٥ ــ وكان المغيرة قبل إسلامه قد قتل ثلاثة عشر رجلا فورا هم عروة .

توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، ولا يديمون النظر إليه تعظيما له ، فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش إنى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه وإنى والله ما رأيت ملكا فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء ابدا فروا رأيكم .

ثم نصحهم بأن يقبلوا ما عرض عليهم النبى — ﷺ — من مهادنة تنهى حالة الحرب بينهم وحذرهم أن يذهب بهم الطيش الى الدخول فى صدام مسلح مع المسلمين ، لأنه واثق من عدم انتصارهم عليهم ، وكرر مرة أخرى انتقاد قريش لإصرارهم على منع المسلمين من دخول الحرم فقال : « وإياكم واضجاج الرأى[١٦] وقد عرض عليكم خطة فمادوه[١٧] يا قوم ، وأقبلوا ما عرض فإنى لكم ناصح ، مع أنى أخاف ألا تنصروا عليه . رجل أتى هذا البيت معظما له ، معه الهدى ينحره وينصرف » . فقالت قريش لاتكلم بهذا يا أبا يعفور[١٨] لو غيرك تكلم بهذا للمناه ، ولكن نرده عن البيت فى عامنا هذا ويرجع الى قابل[١٩] .

وأسقط فى يد قريش وهم يسمعون كلام عروة ابن مسعود ، وأخذوا يقلبون وجوه الرأى . وانتهوا إلى التخلى عن فكرة منع المسلمين من دخول الحرم أبدا ، وإنما يسمحون لهم فى العام القادم ، وأفصحوا لحليفهم عروة عن مشروعهم هذا ، وأنهم سيعرضون الصلح على النبى — ﷺ — على أساس هذا الامر رجاء أن يقبله .

فقد قالوا لعروة : لا تتكلم بهذا ياأبا يعفور ، ولكن نرده عامنا هذا ويرجع إلى قابل .. فقال عروة وقد بدا عليه الرضى حتى بهذا المشروع : ما أراكم إلا ستصيبيكم قارعة . ثم انصرف ومن معه من ثقيف إلى الطائف ، وكان هذا أول تصدع وانشقاق فى معسكر قريش .

التحرش بالمسلمين :

وبقى المسلمون فى أماكنهم يلتمسون للمشكلة حلولا أخرى أفضل من اقتحام مكة فى هجوم عام .

إلا أن فريقا من سفهاء قريش عمدوا الى استفزاز المسلمين ، وذلك بأن بعثوا ليلا خمسين رجلا عليهم مكرز بن أبى حفص ، وأمروهم أن يلتقوا بالنبى — ﷺ — . رجاء أن يصيبوا منهم أحدا أو يصيبوا منهم غرة .

لكن رسول الله — ﷺ — قد أعد للأمر عدته ، فأمر أصحابه بأن يتحارسوا الليل ، وكان ثلاثة من أصحابه يتناوبون الحراسة ، أوس به خولى ، وعباد بن بشر ، ومحمد بن مسلمة ، واستطاع محمد بن مسلمة أن يعتقل هؤلاء النفر ، وجاء بهم الى النبى — ﷺ — وبلغ قريشا الخبر ، فقاموا بمهاجمة المسلمين ، فنشب قتال بين الفريقين استخدمت فيه الحجارة والنبال ، إلا أن المسلمين تمكنوا من دحر المعتدين وردوهم على أعقابهم خاسرين بعد أن أسروا عدة منهم[٢٠] .

وعن أنس بن مسلمة عن أبيه . أنه ألقى القبض وحده على أربعة من المتسللين المشركين .

قال مسلمة : فجئت بهم أقودهم الى رسول الله — ﷺ — وجاء عمى عامر برجل من

---

١٦ — اى الوهن فى الرأى (القاموس المحيط ح ٣ ص ٥٥) .

١٧ — أجعلوا بينكم وبينه عهد سلام لمدة من الزمن كما عرض عليهم رسول الله — ﷺ — من قبل مع بديل .

١٨ — طبقات ابن سعد ح ص٣٦٩ .

١٩ — مغازى الواقدى ح ٢ ص ٥٩٨ . وانظر محمد احمد باشميل ص ١٩٥ .

٢٠ — مغازى الواقدى ج ٢ ص ٦٠٢ .

العبلات يقال له مكرز يقوده مجففا ـــ لابس التجفاف وهو آلة الحرب ـ حتى وقفنا بهم على رسول ـــ ﷺ ـــ فى سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسول الله ـــ ﷺ ـــ فقال : دعوهم يكن لهم بدء الفجور فعفا عنهم[٢١] .

ولم تكتف قريش بل زادت فى بغيها وعدوانها ، حينما أقدمت على قتل رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يقال له زنيم حيث طلع الثنية من الحديبية ، فرماه المشركون فقتلوه ، فبعث رسول الله ـــ ﷺ ـــ خيلا فأتوه باثنى عشر فارسا من الكفار ، فقال لهم النبى ـــ ﷺ ـــ: هل لكم على عهد ؟ هل لكم على ذمة .

قالوا : لا ـــ قال : فأرسلهم رسول الله ـــ ﷺ ـــ[٢٢] فأنزل الله عز وجل:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[٢٣] .

رسل رسول الله ـــ ﷺ ـــ الى قريش :ـــ

ورغم تعنت قريش وصلفها ، ومحاولة تحرشها بالمسلمين ، فقد آثر عليه الصلاة والسلام جانب السلم ، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وبعث عليه الصلاة والسلام الرسل إلى قريش يخبرها بأنه لم يأت لقتال ، وإنما جاء ليطوف بالبيت .

يقول الواقدى وغيره : وكان أول من بعث رسول الله ـــ ﷺ ـــ إلى قريش خراش بن أمية الكعبى على جمل لرسول الله ﷺ يقال له : الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ ما جاء له ويقول إنما جئنا معتمرين معنا الهدى معكوفا ، فنطوف بالبيت ونحل وننصرف ، فعقروا جمل النبى ـــ ﷺ ـــ ، والذى ولى عقره ، عكرمة بن أبى جهل ، وأراد قتله فمنعه من هناك من قومه ، حتى خلوا سبيله فرجع إلى النبى ـــ ﷺ ـــ ، ولم يكد[٢٤] فأخبر النبى ـــ ﷺ ـــ بما لقى فقال : يا رسول الله أبعث رجلا أمنع منى[٢٥] .

فدعا رسول الله ـــ ﷺ ـــ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه إلى قريش . فقال يا رسول الله : إنى أخاف قريشا على نفسى ، قد عرفت قريش عداوتى لها ، وليس بها من بنى عدى من يمنعنى ، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم ، فلم يقل رسول الله ـــ ﷺ ـــ شيئا ، فقال عمر ولكن أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة منى ، وأكثر عشيرة وأمنع ، عثمان بن عفان[٢٦] ، فاستحسن رسول الله ـــ ﷺ ـــ مشورة عمر ودعا عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال : اذهب إلى قريش فخبرهم أنا لم نأت لقتال أحد ، وإنما جئنا زوارا لهذا البيت معظمين معنا الهدى ننحره وننصرف[٢٧] ، وأمره أن يأتى رجالا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات فيدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة[٢٨] .

فخرج عثمان رضى الله عنه غير مبال بالأخطار المحدقة به ، حتى أتى بلدح فالتقت به دورية مسلحة من فرسان قريش وكادوا أن يفتكوا به

---

٢١ ـــ تاريخ الطبرى ج ٢ ٦٢٩ ـــ ٦٣٠ .
٢٢ ـــ المرجع السابق ص ٦٣٠ .
٢٣ ـــ سورة الفتح : ٢٤ .
٢٤ ـــ اى ما كاد يرجع إلا بشق النفس .
٢٥ ـــ الاصابة لابن حجرج ١ ص ٤٢١ ، سيرة ابن هشام ٢٤ ص ٣١٤ ومغازى الواقدى ج ٢ ص ٦٠٠ .
٢٦ ـــ وذلك انه ينتسب الى بنى عبد شمس بن عبد مناف وهى من أقوى القبائل القرشية ذات العدد والقوة والنفوذ فى مكة .
٢٧ ـــ طبقات ابن سعد ح ٢ ص ٩٧ .
٢٨ ـــ زاد المعاد : ص ٢٩٠ .

لولا أبان بن سعيد بن العاص ، وقد صدق توقع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لأن سفهاء قريش لا يتورعون عن عمل أى شيء .

وصل عثمان إلى معسكر قريش وحلفائها فأبلغهم رسالة النبى — ﷺ — حيث قال : بعثنى رسول الله إليكم ، يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، تدخلون فى الدين كافة ، فإن الله مظهر دينه ، ومعز نبيه ، وأخرى تكفون ، ويلى هذا منه غيركم ، فإن ظفروا بمحمد فذلك ما أردتم ؟ وإن ظفر محمد كنتم بالخيار أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس ، وتقاتلوا جامون ، إن الحرب قد نهكتكم وأذهبت بالأماثل منكم ، وأخرى إن رسول الله يخبركم أنه لم يأت لقتال أحد ، إنما جاء معتمرا ، معه الهدى عليه القلائد ينحره وينصرف . فجعل عثمان — رضى الله عنه — يكلمهم فيأتيهم بما لا يريدون ويقولون : قد سمعنا ما تقول ولا كان هذا أبدا ولا دخلها علينا عنوة ، فارجع إلى صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا .

أبان بن سعيد[٢٩] يرحب بعثمان ويجيره :—

كان نظام الجوار فى الجاهلية له مكان القداسة عند العرب ، يجمعون على احترامه والعمل به ، ولا يخرق هذا النظام إلا الذى لا يبالى أن يعرض نفسه وقبيلته لحرب ضروس مدمرة .

فقد كان المتعارف عليه أن من حق أى فرد فى القبيلة أن يعطى جواره ويعلن حمايته لأى إنسان أراد ، وإذا ما فعل ذلك فإن قبيلة المجير تصبح — تلقائيا — ملزمة بتحمل مسئولية هذا الجوار وهى حماية الانسان الذى يجيره الفرد المنتسب إليها .

وحسب قواعد نظام الجوار هذا كف رجال الدورية القريشين عن عثمان بن عفان[٣٠] ، فقرر التوجه الى مكة ليبلغ رسالة النبى — ﷺ — إلى بقية سادات قريش بعد إبلاغها إلى قادة قريش فى بلدح .

يقول الواقدى فى هذا المقام : فقام أبان بن سعيد فرحب بعثمان وأجاره وقال : لا تقصر عن حاجتك . ثم نزل عن فرس كان عليه فحمل عثمان على السرج وردفه وراءه ، فدخل عثمان مكة فأتى أشرافهم رجلا رجلا أبا سفيان بن حرب وصفوان ابن أمية وغيرهم منهم من لقى ببلدح ومنهم من لقى بمكة ، فجعلوا يردون عليه نفس الرد السابق : إن محمدا لا يدخلها علينا أبدا[٣١] .

وقالوا له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف[٣٢] . وذلك توددا إليه لأنه فى جوار بنى عبد شمس وحمايتهم .

لكن عثمان رضى الله عنه رفض عرض القريشيين فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله — ﷺ —[٣٣] .

ولكنه رضى الله عنه انتهز فرصة وجوده بمكة آمنا حرا فعمد إلى نفر من المؤمنين فزارهم وبشرهم كما أمره رسول الله — ﷺ — .

قال رضى الله عنه : ثم كنت ، أدخل على قوم مؤمنين من رجال ونساء مستضعفين فأقول : إن رسول الله يبشركم بالفتح ويقول : أظلكم حتى لا

٢٩ — من أشراف قريش وأبوه من أكابرها وكان له أولاد نجباء هدى الله منهم اثنين للاسلام قبلة وهما : خالد وعمرو اللذين كانا من السابقين الأولين هاجروا إلى الحبشة . وقد هداه الله إلى الاسلام ايام خيبر وشهدها مع النبى — ﷺ — وجعله عليه السلام قائدا لأحد السرايا كما ولاه البحرين ، ثم شهد معارك الجهاد فى الشام حتى توفى يوم أجنادين سنة ١٣ ه‍ .

٣٠ — محمد احمد باشميل ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

٣١ — طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٧ ومغازى الواقدى ح ٢ ص ٦٠٠ ، ٦٠١ والبداية والنهاية ح ٤ ١٦٤ .

٣٢ — البداية والنهاية ص ١٦٧ .

٣٣ — تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٣١ ، البداية والنهاية ص ١٦٧ .

يستخفى بمكة الإيمان . فكنت أرى الرجل منهم والمرأة تنتحب حتى أظن أنه يموت فرحا بما خبرتــه ، فيسأل عن رسول الله ــ ﷺ ــ فيخفى المسألة ويشتد ذلك على أنفسهم ، ويقولون : اقرأ على رسول الله منا السلام ، إن الذى أنزله بالحديبية لقادر أن يدخله بطن مكة(٣٤) وسكنت نفوس كثير من المؤمنين ، واطمأنت لبشرى رسول الله ــ ﷺ ــ ، وفرحوا بلقاء عثمان رضى الله عنه ، وبلقاء المسلمين العشرة الذين دخلوا مكة بإذن من رسول الله ــ ﷺ ــ على أهليهم وهم : كرز بن جابر الفهرى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وعباس بن ابى ربيعة ، وهشام بن العاص بن وائل ، وحاطب بن أبى بلتعة ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وعبد الله بن حذافة ، وأبو الروم بن عمير ، وعمير ابن وهب الجمحى ، وعبد الله بن أبى امية بن وهب حليف سهيل فى بنى أسد بن عبد المعزى .

ولما أبطأ عثمان رضى الله عنه ــ حيث أقام بمكة ثلاثا يدعو قريشا قال المسلمون : طوبى لعثمان دخل مكة وسيطوف وحده ،فقال النبى ــ ﷺ ــ ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون . فقالوا : وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص ؟ قال : ذاك ظنى ألا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه(٣٥) .

إشاعة مقتل عثمان :ــ

ولما احتبست قريش عثمان ــ طارت الأراجيف بأنه قد قتل وحزن النبى ــ ﷺ ــ والمسلمون من سماع هذا الخبر حزنا شديدا .

فقد التزموا حتى تلك اللحظة بضبط النفس والسمع والطاعة لرسول الله ــ ﷺ ــ وعدم استفزاز قريش ، أو بالدخول الى مكة عنوة ــ رغم مضى حوالى عشرين يوما وهم محصورون فى سهل الحديبية ممنوعون من دخول الحرم والطواف به . وهم محرمون لا يقلمون ظفرا ولا يقطعون شعرا ولا يمسون طيبا . ولا يقربون امرأة وقد شعث واتسخ شعرهم ، ولا يخفى ما فى طول المكث بالإحرام من مشقة نفسية وجسدية على المحرم(٣٦) .

ومع كل هذا بذل النبى ــ ﷺ ــ كل ما فى وسعه ليجنب أصحابه المؤمنين فى الحديبية ، وقومه وعشيرته المشركين فى مكة شرور الحرب وويلاتها وقد عرفوها وذاقوها ، وحاول بكل ما يستطيع وذلك من خلال عروضه السلمية البناءة الهادفة التى تقدم بها إلى قريش مرة بعد أخرى .

أما وقد أشيع قتل عثمان بن عفان وهو رسول رسول الله ــ ﷺ ــ فإن الموقف قد تغير ، حيث اتخذ رسول الله ــ ﷺ ــ قرارا حاسما يقضى بمناجزة القوم ، ومن ثم أعلن عليه الصلاة والسلام الاستنفار العام بين جميع وحدات جيشه المرابطة فى الحديبية لتكون على أهبة الاستعداد للزحف على مكة ، وقال عليه السلام : لا نبرح حتى نناجز القوم(٣٧) .

بيعة الرضوان :ــ

ودعا رسول الله ــ ﷺ ــ إلى البيعــة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فعن سلمة بن

٣٤ ــ مغازى الواقدى ج ٢ ٦٠١ .
٣٥ ــ البداية والنهاية ح ٤ ١٦٧ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٩٧ ، زاد المعاد ص ٢٩١ .
٣٦ ــ محمد احمد باشميل ص ٢٢٦ صلح الحديبية .
٣٧ ــ تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٣٢ ، البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٧ .

الأكوع أنه قال : نادى منادى النبى — ﷺ — : أيها الناس . البيعة البيعة نزل روح القدس . قال : فسرنا إلى رسول الله — ﷺ — وهو تحت شجرة ، قال : فبايعناه .˙. وذلك قول الله تعالى (لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ (٣٨) .

وتمت البيعة تحت الشجرة ، ومعقل بن يسار آخذ بغصنها يرفعه عن رسول الله — ﷺ —(٣٩) ، وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله — ﷺ — على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله — ﷺ — لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر ، فبايع رسول الله — ﷺ — الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس(٤٠) أخو بنى سلمة ، ويقال إن أول من بايع رسول الله — ﷺ — أبو سنان الأسدى .. وأن رسول الله — ﷺ — بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى وفى رواية فضرب بيمينه شماله وقال هذه عن عثمان(٤١) وفى الترمذى « وكانت يسرى رسول الله — ﷺ — خيرا من أيمانهم(٤٢) وقد بايعه سلمه ابن الأكوع ثلاث مرات فى أول الناس وأوسطهم وآخرهم(٤٣) .

موقف قريش بعد البيعة :—

وتحرج موقف قريش بعد البيعة وتأكدوا بأن محمدا مصمم على الحرب إذا منعته قريش ، وشعروا بالخوف لأن هذه الحرب إذا نشبت لن تكون فى صالحهم . ولهذا سارعوا بطلب الصلح بناء على مشورة ونصح سهيل بن عمرو سيد بنى عامر بن لؤى حينما بعثوه وحويطب بن عبد العزى(٤٤) وآخرين من الزعماء الى الحديبية ليجسوا نبض المسلمين ، ويطلعوا على حقيقة الموقف كما هو بين المسلمين ، ثم يقدموا تقريرا الى نواب دار الندوة فى مكة ، ليتخذ هؤلاء النواب القرار النهائى بشأن هذه الأزمة التى باتت تقلق المشركين فى الواقع أكثر من المسلمين .

ولعله من حسن الطالع أن يكون سهيل بن عمرو وباقى أعضاء وفده موجودين فى الحديبية ساعة مبايعة المسلمين للنبى — ﷺ — . وقد رأوا وسمعوا هذا المشهد الايمانى وتلك التضحية الغالية والفداء فى سبيل الله ، فملئت قلوبهم خوفا ورعبا واستقر فى أعماق قلوبهم أن النصر على هؤلاء صعب فالموت فى سبيل العقيدة — أحب إليهم من الحياة وقد كان سهيل بن عمرو رجلا حلب الدهر أشطره ، وكان أكثر القريشيين بعدا عن العنجهية والعناء والتهور(٤٥) .. وحينما رآه النبى — ﷺ — قال : سهل أمرهم(٤٦) ، أو قال : قد سهل لكم من أمركم(٤٧) .. وجاء سهيل بين يدى النبى — ﷺ — وافتتح كلامه بالاعتذار عما بدر من سفهاء قريش ، وطلب من الرسول — ﷺ — أن يطلق سراح المشركين غير أنه — ﷺ — طلب منه أولا إطلاق سراح عثمان والمحتجزين فى مكة من المسلمين .

فبعث سهيل إلى قريش بذلك ، فأطلقوا

---

٣٨ — سور الفتح الآية ١٨ .
٣٩ — أخرجه مسلم ١٨٥٨ .
٤٠ — اخرجه مسلم (١٨٥٦) ، (٢٠٦٩) من حديث جابر .
٤١ — أخرجه البخارى ٤٨/٧ ، ٤٩ ، أحمد ٥٩/١ ، البداية والنهاية ح ٤ ص ١٦٨ وسورة بن هشام ح ٢ ص ٣١٦ .
٤٢ — بهجة المحافل للأشخر اليمنى ص ٣٢٢ .
٤٣ — اخرجه مسلم (١٨٠٧) فى الجهاد والسير : باب غزوة ذى قرد وغيلأها .
٤٤ — اسلم عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم ، شهد حنينا مع رسول الله — ﷺ — مات فى خلافة معاوية سنة أربع وخمسين ه .
٤٥ — محمد احمد ساشميل ص ٢٤٦ .
٤٦ — مغازى الواقدى ج ٢ ص ٦٠٣ .
٤٧ — زاد المعاد ص ٢٩٤ .

سراحهم وكانوا أحد عشر رجلا .. فقام النبى ـ ﷺ ـ بإطلاق سراح المشركين .

وفرح المسلمون فرحا عظيما بعودة عثمان وأصحابه وأتى به رسول الله ـ ﷺ ـ الى الشجرة فبايعه . وقد كان قبل ذلك حين بايع الناس قال : إن عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسول الله فأنا أبايع له : فضرب يمينه على شماله[٤٨] .

يقول ابن قيم الجوزيه . ولما تمت البيعة رجع عثمان فقال له المسلمون . استكفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت فقال : بئس ما ظننتم بى ، والذى نفسى بيده ، لو مكثت بها ورسول الله ـ ﷺ ـ مقيم بالحديبية . ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله ـ ﷺ ـ كان أعلمنا بالله وأحسننا ظنا[٤٩] .

ويقول الواقدى فى أمر سهيل والبيعة وما ترتب على ذلك من إطلاق سراح عثمان وأصحابه : فلما جاء سهيل بن عمرو قال النبى ـ ﷺ ـ :

سهل أمرهم . وقال سهيل لرسول الله ـ ﷺ ـ : من قاتلكم لم يكن من رأى ذوى رأينا ولا ذوى الأحلام منا ، بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به ، وكان من سفهائنا ، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة والذين أسرت آخر مرة .. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ إنى غير مرسلهم حتى ترسل أصحابى . قال سهيل : أنصفتنا .. فبعث سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص إلى قريش الشيم بن عبد مناف التيمى إنكم حسبتم رجالا من أصحاب محمد بينكم وبينهم أرحام ، لم تقتلوهم وقد كنا لذلك كارهين ، وقد أبى محمد أن يرسل من أسر من أصحابكم حتى ترسلوا أصحابه وقد أنصفنا ، وقد عرفتم أن محمدا يطلق أصحابكم ، فبعثوا إليه بمن كان عندهم وكانوا أحد عشر رجلا ، وأرسل رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابهم الذين أسروا أول مرة وآخر مرة[٥٠]

رجوع سهيل ومن معه الى قريش :ـ

ورجع سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز ابن حفص الى قريش فأخبروهم بما رأوا من سرعة أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ الى البيعة وما جعلوا له ، فقال أهل الرأى منهم : ليس خيرا من أن نصالح محمدا على أن ينصرف عنا عامة هذا ، ويرجع قابل فيقيم ثلاثا ، وينحر هدية وينصرف ، ويقيم ببلدنا ، ولا يدخل علينا فأجمعوا على ذلك[٥٠] .

بدء مفاوضات الصلح :ـ

فلما أجمعت قريش على الصلح والموادعة بعثوا سهيل بن عمرو ومعه حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص وقالوا : إيت محمدا فصالحه ، وليكن فى صلحك : لا يدخل فى عامه هذا ، فو الله لا يتحدث العرب أنك دخلت علينا عنوة ، فأتى سهيل للنبى ـ ﷺ ـ . فلما رآه النبى ـ ﷺ ـ حين طلع قال : أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل[٥٢] .

فلما انتهى سهيل إلى النبى ـ ﷺ ـ تكلم فأطال الكلام وترافعت الأصوات وانخفضت يقول الواقدى :

حدثنى يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن

---

٤٨ ـ مغازى الواقدى ج ٢ ص ٦٠٥ .

٤٩ ـ زاد المعاد ص ٢٩١ .

٥٠ ـ مغازى الواقدى ج ٢ ص ٦٠٤ .

٥١ ـ المرجع السابق ص ٦٠٥ .

٥٢ ـ البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٨ .

عبد الله عن الحارث بن عبد الله بن كعب قال : سمعت أم عمارة تقول : إنى لأنظر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ جالسا يومئذ متربعا وإن عباد بن بشر وسلمة بن أسلم بن قريش مقنعان بالحديد قائمان على رأس النبى ـ ﷺ ـ . إذ رفع سهيل بن عمرو صوته قائلا : اخفض من صوتك عند رسول الله ـ ﷺ ـ وسهيـــل بارك على ركبتيه ، رافع صوته كأنى أنظر إلى علم[٥٣] فى شفته وإلى أنيابه وإن المسلمين لحول رسول الله ـ ﷺ ـ جلوس .

قالوا فلما اصطلحوا فلم يعق إلا الكتاب .. وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركين . قال : بلى . قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا . قال أبو بكر : يا عمر الزم غرزه (أى أمره) فإنى أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى النبى ـ ﷺ ـ فقال : يا رسول الله ألسنا بالمسلمين . قال رسول الله ـ ﷺ ـ : بلى . قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره . ولن يضيعنى . وكان عمر رضى الله عنه يقول : ما زلت أصوم وأتصدق وأصلى وأعتق من الذى صنعت مخافة كلامى الذى تكلمته يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرا[٥٤] .

كتابة الصلح :ـ

فلما حضرت الدواة والصحيفة بعد طول الكلام والمراجعة فيما بين رسول الله ـ ﷺ ـ وسهيل ابن عمرو ، ولما التأم الأمر وتقارب ، دعا رسول الله ـ ﷺ ـ رجلا يكتب الكتاب بينهم . ودعا أوس بن خولى يكتب ، فقال سهيل : لا يكتب إلا أحد الرجلين . ابن عمك أو عثمان بن عفان . فأمر النبى ـ ﷺ ـ عليا يكتب فقال رسول الله ـ ﷺ ـ اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف الرحمن أكتب كما نكتب باسمك اللهم . فضاق المسلمون من ذلك وقالوا : هو الرحمن . وقالوا : لا تكتب إلا الرحمن .

قال سهيل : إذا لا أقاضيه على شيء .. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه رسول الله .. فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك واتبعتك ، أفترغب عن اسمك واسم ابيك محمد بن عبد الله ..

فضج المسلمون منها ضجة هى أشد من الأولى حتى ارتفعت الأصوات .. وقام رجال من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يقولون : لا نكتب إلا محمدا رسول الله وأخذ أسيد بن خضير وسعد بن عبادة بيد الكاتب فأمسكاها وقالا : لا نكتب إلا محمدا رسول الله ، وإلا فالسيف بيننا ، علام نعطى الدنية فى ديننا ..

فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يخفضهم ويومى بيده إليهم : اسكتوا .. وجعل حويطب يتعجب مما يصنعون ، ويقبل على مكرز بن حفص ويقول : ما رأيت قوما أحوط لدينهم من هؤلاء ..[٥٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على :

١ ـ وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض .

---

٥٣ ـ (العلم) الشق فى الشفة العليا (الصحاح ص ١٩٩٠) .
٥٤ ـ البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٨ .
٥٥ ـ مغازى الواقدى ج ٢ ص ٦١١ .

٢ ـ من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه .

٣ ـ وإن بيننا عيبة مكفوفة ، وإنه لا إحلال ولا إغلال[٥٦] .

٤ ـ من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه . ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه . (فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم) .

٥ ـ أنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيرها .

موقف مؤثر وامتحان صعب :ـــ

قال ابن اسحق فبينما رسول الله ـ ﷺ ـ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل[٥٧] بن سهيل يوسف فى الحديد وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقام سهيل الى أبى جندل فضرب وجهه ، وأخذ يجره بتلابيبه ويدفعه أمامه ، وقال سهيل .. هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلى . فقال النبى ـ ﷺ ـ: إنا لم نقض الكتاب بعد فقال : فوالله إذا لا أصالحك على شىء أبدا قال النبى ـ ﷺ ـ: فأجزه لى أى إمض لى فعلى فيه أو استثنيه من القضية . قال : ما أنا بفاعل . وأخذ يجره الى قريش . وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين . أأرد إلى المشركين يفتوننى فى دينى ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فإنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغرر بهم . قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يعنى إلى جنبه ويقول اصبر أبا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدنى قائم السيف منه ، قال يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه فضن الرجل بأبيه . فقال عمر : يا أبا جندل : إن الرجل يقتل أباه فى الله[٥٨] ، والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم فى الله فرجل برجل . قال : وأقبل أبو جندل على عمر فقال : ما لك لا تقتله أنت ؟ قال عمر : نهانى رسول الله ـ ﷺ ـ عن قتله وقتل غيره ، قال عمر : فقال لى أبو جندل : ما أنت بأحق بطاعة رسول الله منى[٥٩] .

وعندما بلغ النبى ـ ﷺ ـ أن عمر بن الخطاب أغرى ابا جندل بأبيه سهيل بن عمرو ليقتله قال ـ ﷺ ـ : يا عمر لعله أن يقوم فى الله مقاما يحمد عليه[٦٠] .

الاشهاد على الصلح :ـــ

ولما فرغ رسول الله ـ ﷺ ـ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين .

---

٥٦ ـ كان اسمه العاصى فتركه لما أسلم ، حبس بمكة ومنه الهجرة وعذب بسبب اسلامه .

٥٧ ـ استعارة يريد بها تكف عنا ، ومكف عنك ، والاحلال : السرقة الخفية ، الاغلال الخيانة .

٥٨ ـ ولعله يشير الى أبى عبيدة بن الجراح حينما قتل أباه فى بدر . كما قتل عمر عمه كذلك .

٥٩ ـ مسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١٨ ومغازى الواقدى ج ٢ ص ٦٠٨ ، ٦٠٩ .

٦٠ ـ جامع الأصول من أحاديث الرسول ج ٩ ص ٢٢٢ .

زكاة الفطر

وجواز إخراج القيمة

للشيخ محمود السباعى

حكمها : زكاة الفطر واجبة على كل فرد من المسلمين صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى حراً أو عبداً « روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ـ فرض رسول الله ـ ﷺ ـ زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين » .

حكمتها وتاريخ مشروعيتها : شرعت زكاة الفطر فى شعبان من السنة الثانية من الهجرة لتكون طهراً للصائم مما عسى أن يكون وقع فيه من اللغو والرفث ولتكون عوناً للفقراء والمعوذين « روى أبو داود وابن ماجه والدارقطنى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « فرض رسول الله ـ ﷺ ـ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو (الكلام الذى لا خير فيه) والرفث (فاحش الكلام) وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات[1] (فقه السنة جـ٣ ص ١٦٨ و١٧٠) . زكاة الفطر طريق إلى طهر النفس وتزكيتها والسمو بها عن الشح والكزازة والأنانية والأثرة إلى آفاق الحب والإيثار والتعاون . ولقد فرضها رسول الله ـ ﷺ ـ وأمر بإخراجها ومساعدة الفقراء وسد خلتهم وعوزهم بها يوم

العيد لتكون عوناً لهم على نفقاتهم فيه وعدم جرحهم فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله ـ ﷺ ـ زكاة الفطر وقال (أغنوهم فى هذا اليوم) أخرجه ـ البيهقى والدارقطنى وفى رواية للبيهقى (أغنوهم عن طواف هذا اليوم) نيل الأوطار للشوكانى جـ ٤/ص ١٨٦ ط الحلبى .

على من تجب الزكاة : تجب زكاة الفطر على كل مسلم يملك مايزيد عن قوته وقوت من يعولهم ونفقة بيته يوم العيد وليلته ويخرجها المزكى عن نفسه وعمن تلزمه نفقتهم كزوجته وأولاده وخدمه الذين يتولى أمورهم ويقوم بالإنفاق عليهم قال أبو سعيد الخدرى (كنا إذا كان فينا رسول الله ـ ﷺ ـ نخرج زكاة الفطر عن كل صغير وكبير حر ومملوك) . رواه الجماعة . الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى[٢] جـ ٢/ص ١٠٤ .

مقدارها : يخرج المزكى عن الفرد صاعاً وهو قدحان بالكيل المصرى سالم من الطين والعين ولا يجزىء فى مصر إلا القمح نقله ابن الرفعة عن قاضى القضاة عماد الدين السكرى (انظر فتح البارى باب صدقة الفطر) . والصاع من القمح ـ يساوى تقريباً ثلاثة كيلو أى تقريباً يساوى جنيهان وعشرة قروش إذا كان كيلو القمح بخمس وستين قرشاً . وعلى المتيسر أن يخرج أكثر من ذلك واتفقت الأئمة على أن زكاة الفطر لاتسقط بالتأخير بعد الوجوب بل تصير ديناً فى ذمة من لزمته حتى تؤدى ولو فى آخر العمر .

متى تجب : تجب بغروب الشمس ليلة الفطر قال الشافعى يجوز التقديم من أول الشهر وعن مالك وأحمد يجوز تقديمها يوماً أو يومين .

مصرفها : توزع على الأصناف الثمانية المذكورة فى الآية:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

والسؤال الآن هل يجوز إخراج القيمة ؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال نقول بادىء ذى بدء ـ من الفقه الذى يغفل عنه الناس أو بعضهم : معرفة مراتب الأحكام الشرعية وإنها ليست فى درجة واحدة من حيث ثبوتها وبالتالى من حيث جواز الاختلاف فيها فهناك الأحكام الظنية والتى هى مجال الاجتهاد وتقبل تعدد الأفهام والتفسيرات سواء كانت أحكاماً فيما لا نص فيه أو فيم فيه نص ظنى الثبوت أو ظنى الدلالة أو ظنيهما معاً ـ وهذا شأن معظم الأحكام المتعلقة بالعمل كأحكام الفقه لهذا يكفى فيها الظن بخلاف الأحكام المتعلقة بالعقيدة ، والتى لا يغنى فيها إلا القطع واليقين والاختلاف فى الأحكام الفرعية العملية الظنية لا ضرر فيه ولا خطر منه إذا كان مبنياً على اجتهاد شرعى صحيح ، وهو رحمة بالأمة ومرونة فى الشريعة وسعة فى الفقه ، وقد اختلف فيها أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان ، فما ضرهم ذلك شيئاً ومال نال أخوتهم ووحدتهم كثير ولا قليل . وهذه المسألة من الأحكام الظنية التى هى مجال الاجتهاد .

ونعود إلى السؤال (هل يجوز إخراج القيمة؟)

ذهب فريق من الناس إلى جواز دفع القيمة نقداً منهم (عمر بن الخطاب وعثمان وعلى وأبى هريرة وجابر وابن عباس وابن الزبير ومعاوية[٣] (انظر فتح البارى جـ٧ ص١٤٢ ، ١٤٤ وأيضاً قال بإخراج القيمة علماء من أهل القرون الثلاثة

الأولى التى زكاها رسول الله ـ ﷺ ـ فمنهم (عمر بن عبدالعزيز)[٤] (المحلى جـ ٦/ص ١٣٠) والحسن البصرى[٥](المغنى جـ ٣ ص ٦٥) وعطاء بن رباح[٦] (مصنف بن أبى شيبه جـ ٤ ص ٣٧) وأبو حنيفة فى معظم كتب الفقه ـ انظر الفقه على المذاهب الأربعة[٧] جـ ١ ص ٦٢٧ ، وسفيان الثورى (المغنى جـ ٣/ص ٦٥)[٨] والبخارى وذكر عنه النووى فى المجموع جـ ٥/ص ٤٢٩[٩] . وقال هذا الظاهر من مذهب البخارى فى صحيحه .

أدلة القائلين بالجواز :

١ ـ ما روى عن معاذ بن جبل أنه قال لأهل اليمن ائتونى بعرض ثياب خميس (ثوب طولة خمسة أذرع) أو لبيس (أى ملبوس) مكان الذرة والشعير أهون عليكم ـ وخير لأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ بالمدينة . والدليل فى هذا الحديث واضح فى جواز دفع القيمة ، وذلك لأن أهل اليمن كانوا مشهورين بصناعة الثياب ونسجها فدفعها أيسر عليهم على حين كان أهل المدينة فى حاجة إليها ، والمقصود دفع الحاجة ـ وهذا الحديث ذكره البخارى بصيغة الجزم وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا الحديث فى صدقة الفطر رَدٌّ .. (ابن قدامة وغيره ممن ادعوا أن هذا الحديث فى الزكاة أو فى الجزية ورد على من قال إنه اجتهاد من معاذ فقال الحافظ : (فيه نظر) لأنه أى معاذ كان أعلم الناس بالحلال والحرام ـ وقد بين له النبى ـ ﷺ ـ لما أرسله إلى اليمن ما يصنع ا.هـ.[١٠] (فتح البارى جـ ٧ ص ٦٧ ط) .

٢ ـ قوله ﷺ (اغنوهم ـ يعنى المساكين ـ عن الطواف فى هذا اليوم) قالوا الإغناء يتحقق بالقيمة كما يتحقق بالطعام وربما كانت القيمة أفضل فكثرة الطعام عند الفقير تحوجه إلى بيعها وقد يبيعها بثمن بخس والقيمة تمكنه من شراء ما يلزمه من الأطعمة والملابس وسائر الحاجات وقد فرض رسول الله ـ ﷺ ـ صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين .

٣ ـ كما يدل على جواز القيمة ما رواه ابن المنذر أن الصحابة أجازوا إخراج نصف الصاع من القمح لأنهم رأوه معادلًا فى القيمة للصاع من التمر والشعير ولهذا قال معاوية (إنى لأرى مُدين من سمراء الشام تعدل صاعاً من التمر) .

[١٠]مصنف ابن أبى شيبة جـ ٤ صـ ٣٧ ص ٣٨) .

٤ ـ ثم إن هذا هو الأيسر بالنظر لعصرنا وخاصة فى المناطق الصناعية التى لا يتعامل الناس فيها إلا بالنقود ـ كما إنه فى أكثر البلدان فى غالب الأحيان هو الأنفع للفقير .

□ والذى يلوح لى أن الرسول ـ ﷺ ـ فرض زكاة الفطر لسببين :

الأول : لندرة النقود عند العرب فى ذلك الحين ، فكان إعطاء الطعام أيسر على الناس .

الثانى : إن قيمة النقود تختلف وتتغير قوتها الشرائية من عصر إلى عصر ، بخلاف الصاع من الطعام فإنه يشبع حاجة بشرية محدودة ، كما أن الطعام كان فى ذلك العهد أيسر للمعطى وأنفع الأخذ (فقه الزكاة)[١١] القرضاوى جـ ٢/ص ٧٢١ .

٥ ـ والحكمة من تشريع الزكاة هو سد حاجة الفقير وخلة المحتاج وإقامة المصالح العامة لما أخرج الدارقطنى (أغنوهم فى هذا اليوم) ورواية للبيهقى (أغنوهم عن الطواف فى هذا اليوم) فكل ما يسد حاجة الفقير ويقيه ذل

السؤال من مال أو ثياب أو ذرة أو شعير يجوز دفعه فى الزكاة مادام يحقق هذه الحكمة .

٦ ـ والذى يبدو إخراج القيمة من الأمور التى اختلف فيها العلماء وأن مرد هذا الإختلاف إلى مقام النظر والاجتهاد أقرب منه إلى مقام السنة والبدعة ومن ثم فليس مخرج الحبوب الإنكار على مخرج القيمة ولا العكس وإنما الاحتمال الأرجح أن يكون الصواب هو إخراج القيمة لكونه أنفع للفقير وأكثر تحقيقاً للمقاصد الشرعية وراء إيجاب زكاة الفطر .

القائلين بعدم جواز القيمة :

ذهب فريق إلى القول بعدم جواز الدفع منهم ابن عمرو وأبو سعيد ومالك والشافعى وإسحاق والمشهور عن أحمد .

أدلتهم :

١ ـ ما ورد عن النبى ـ ﷺ ـ انه ذكر أشياء بعينها فيجب علينا أن نتقيد بما ذكر ولا نخرج فى الزكاة غيره إلا بدليل .

٢ ـ إن الزكاة قربة وعبادة تعلقت بمحل معين فلا تتأدى بغيره ومثل الزكاة فى هذا مثل الهدى فى الحج والضحية فى عيد الأضحى فإنه لا يجوز دفع القيمة فيها .

والرد على الأول :

إن المقصود فيه بيان قدر الواجب فى الزكاة لاحصر الواجب فى شىء معين كالجزية مثلًا فإنه من عليه جزية من أهل الكتاب لو أعطى الحاكم ثياباً بدل الدنانير جاز اتفاقاً (والجزية الأصل فيها الدنانير) وما ذاك إلا لأن المقصود بيان قدر الجزية لا خصوصية الدنانير .

الرد على الثانى :

إن قياسكم الزكاة على الهدى والضحية قياس مع الفارق ، لأن المقصود فى الهدى والضحية هو إراقة الدم ولا يمكن أن يقوم مقام إراقة الدم شىء آخر ليس فيه إراقة دم إما المقصود من الزكاة سد حاجة الفقير وغنائه عن السؤال وذل المسألة وذلك يمكن أن يتحقق وأن يقوم مقامه كل مال أو عرض . فالظاهر ما ذهب إليه الفريق الأول مراعاة لجانب الفقير .

وفى النهاية نقول إن الإجماع على أمر واحد ظنى الدلالة مطلب مستحيل نعتقد هذا فنتلمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبداً حائلًا دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل جدوده وأوسع مشتملاته .

﴿والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل﴾

• • •

على ضوء الكتاب والسنة

لـ شريف

الجزء الأخير

أ.د فاطمة عمر نصيف

مناقشة وترجيح :

هذه جملة أقوال الفقهاء في النسب وعند مناقشتها وتفنيد أدلتهم يتبين الاتى :

أولا : أن حديث (قدموا قريشا ولا تتقدموها)... حديث عام يقصد به التقديم فى الإمامة والخلافة ، ولا يفيد إطلاقا «الكفاءة فى النكاح» بالنسب .

ثانيا : حديث (إن الله اصطفى من العرب كنانة ....) الحديث ، فانه يدل على اصطفاء الله عزو وجل لكنانة ثم لقريش ليتم اصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم منها ، قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٨٤] **فالأنبياء يبعثهم الله فى أنساب أقوامهم وهذا الحديث أيضا لا يفيد اشتراط الكفاءة فى النسب . قال الامام الشوكانى عند كلامه عن الكفاءة فى النكاح : (واحتج البيهقى بحديث — (ان الله أصطفى ....) الحديث ، وهو صحيح أخرجه مسلم لكن فى الاحتجاج به نظر)[٨٥].**

ثالثا : حديث عمر رضى الله عنه (لأ منعن فروج ذوات الأحساب ..) الحديث ، حديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به . قال الشافعى — رحمه الله — (ولم يثبت فى اعتبار الكفاءة بالنسب حديث)[٨٦].

رابعا : قول الحنفية : (فإن الشريفة تأبى أن تكون مستفرشة للخسيس). فعلى أى قاعدة وبأى ميزان يمكن اعتبار الشخص خسيساً أو شريفاً ؟ هل بميزان الناس والعرف ؟ حتى ولو كان مخالفا لميزان الإسلام ؟؟ أم أن ميزان الإسلام هو الذى يجب الرجوع إليه فى تقييم الناس ؟؟ وهو الذى اعتبر الناس سواسية ، وقد أشار البخارى فى صحيحة — إلى ذلك حيث قال : (باب الأكفاء فى الدين وقوله تعالى (﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾)[٨٧]. ثم أردفه بحديث إنكاح أبى حذيفة لسالم — مولاه — من ابنة أخيه)[٨٨].

مزية الاسلام الجوهرية هى الدعوة إلى المساواة ومحاربة التمايز العرقى والعنصرى ، والقضاء على الدعوات الجاهلية ، قال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[٨٩]. **فجعل** ميزان التفاضل هو التقوى ، وهذا هو رأى سفيان الثورى : حيث قال : (لا تعتبر الكفاءة فى النسب لأن الناس سواسية لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الناس سواسية ...) الحديث)[٩٠].

خامسا : قول الشافعية إن سبب اشتراط النسب (أن العرب تفتخر بأنسابها أتم الافتخار) وقول الحنفية (إن الكفاءة تعتبر فى النسب لأنه يقع به التفاخر) . فهل نترك العرب تتفاخر كما تشاء ؟! أم أن المفروض أن تترك العرب ما كانت تتفاخر به فى الجاهلية — بالأحساب والأنساب — وتنصاع لأمر الله ، وقد نهانا الله عن التفاخر والتنابز والسخرية ، فقال عز وجل : (﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا

تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[٩١].

فهذه الاية تشمل نهيا وتهديدا عن هذه الأفعال وهى التفاخر على الناس واحتقارهم وتسميتهم بألقاب يكرهونها . لأن الإنسان ، أى إنسان كان يكره أن يوصم بالخسة أو النقص ، وكل إنسان يرى نفسه خيرا من غيره ، وكل قبيلة تظن أنها الأحسن والأفضل والأشرف ، وقد أصبحت هذه الظاهرة منتشرة ومشهورة مما يدعو للأسف الشديد . وهى دعوى الجاهلية التى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنها بشدة حيث قال : (يا معشر المسلمين الله . الله . افبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم)[٩٢]وذلك عندما تنازع الأوس والخزرج وتفاخروا حتى كادوا أن يقتتلوا نتيجة لمكيدة دبرها شاس بن قيس اليهودى . ولو تركنا الناس يقيم بعضهم بعضا لاختلت الموازين كما قال تعالى : ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[٩٣]ولكن يظل الحق هو الحق كما يريده الحق عز وجل . وكان من توجيهاته صلى الله عليه وسلم المستمرة فى هذا الباب لتصحيح مفاهيم الصحابة من موروثات الجاهلية وتصحيح الموازين التى يقيم بها الناس بعضهم بعضا ـــ الحديث الاتى :

روى البخارى بسنده (عن سهل بن سعد الساعدى قال : مر رجل على رسول الله صلى عليه وسلم فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حَرِىٌّ إن خطب أن يُنْكح وإن شَفَعَ أن يُشفَّع وإن قال أن يُسْمَع .. قال : ثم سكت . فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ما تقولون فى هذا قالوا حَرِىٌّ إن خطب أن لا يُنكح وإن شفع أن لا يُشفع وإن قال أن لا يُسمع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا)[٩٤]، فصحح صلى الله عليه وسلم ما كان متعارفا عليه فى الجاهلية وما هو متعارف عليه ـــ حتى يومنا هذا ـــ فى الجاهلية الحديثة ، من تقييم الناس بالمظهر والمكانة والمنصب والغنى ، فبين أن كل هذه المظاهر والأشكال لا قيمة لها إنما التقوى والورع هو المعول عليه . فكان هذا توجيها نبويا كريما للمسلمين للالتزام به ، وترك ما كان متعارفا عليه فى المجتمع ، مؤكدا على ذلك بقوله : (عندما سئل أى الناس أكرم ؟ قال : إن أكرمكم عند الله أتقاهم)[٩٥].

سادسا : الدليل الذى اعتبره الأحناف الأصل فى اشتراط النسب ، وهو (قريش بعضها أكفاء لبعض ....الخ) فهذا ليس قولا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل حديث موضوع لا تصح روايته ولا الاحتجاج به ، قال الإمام الكاسانى ـــ رحمه الله ـــ بعد أن ذكر الحديث وشرحه : (لكن الشرع اسقط اعتبار تلك الفضيلة فى باب النكاح ، عرفنا ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع الصحابة رضى الله عنهم)[٩٦].

فقد زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ابنتيه لعثمان رضى الله عنه ، كما زوج العاص بن الربيع ابنته زينب رضى الله عنها . وعثمان وأبو العاص ، كما هو معروف من بنى عبد شمس[٩٧].

وزوج على رضى الله عنه عمر بن الخطاب ابنته أم كلثوم وهى مطلبية قرشية وهو من بنى عدى (عدوى)[٩٨].

وزوَّج النبى صلى الله عليه وسلم بنت عمته زينب بن جحش ، وهى قرشية من زيد بن حارثة وهو مولى[٩٩] ،وتزوَّج أسامة بن زيد فاطمة بنت قيس ، وهى قرشية[١٠٠] ، قال الصنعانى :

(وفاطمة قرشية فهرية أخت الضحاك بن قيس . وهى من المهاجرات الأول ، كانت ذات جمال وفضل وكمال)[101]. وزوج أبوبكر أخته أم فروة الأشعث بن قيس ، وهو كندى[102].

روى البخارى فى صحيحه تحت باب الأكفاء فى الدين[103]عندما ذكر ضباعة بنت الزبير قال (وكانت تحت المقداد بن الأسود) قال ابن حجر : والمقداد هو ابن عمرو الكندى نسب إلى الأسود بن عبد يغوث الزهرى ، لكونه تبناه فكان من حلفاء قريش وتزوج ضباعة وهى هاشمية ، فلولا أن الكفاءة لا تعتبر بالنسب لما جاز له أن يتزوجها لأنها فوقه فى النسب) ولقد كان شيئا نكرا ان تتزوج الهاشمية ممن دونها فى الحسب والنسب ، فضلا عن أن تتزوج متبنى ، فنرى بذلك إلى أى مدى كانت قوة الإسلام فى إرساء القيم الجديدة ، وفى إحدى التغيرات الجذرية فى العلاقات الاجتماعية . ولقد أردف ابن حجر ـــ رحمه الله ـــ قائلا : (وللذى اعتبر الكفاءة فى النسب أن يجيب بأنها رضيت هى وأولياؤها فسقط حقهم من الكفاءة ، وهو جواب صحيح إن ثبت أصلا اعتبار الكفاءة فى النسب) ولن يثبت ، ولذا نجد أنها حجة لايقوم عليها دليل .

كما إن هالة بنت عوف ـــ أخت عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه ـــ كانت تحت بلال رضى الله عنه[104].

بعد مناقشة الأدلة وتفنيدها يصبح واضحا أن «النسب» وصف غير معتبر فى الكفاءة لعدم ثبوت أدلته وقد بين ذلك ابن تيمية رحمه الله بقوله : (وليس عن النبى صلى الله عليه وسلم نص صحيح صريح فى هذه الأمور ، بل قد قال صلى الله عليه وسلم : (إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالاباء ، الناس رجلان مؤمن تقى ، وفاجر شقى)[105]وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر بالأحساب والطعن فى الأنساب والنياحة والاستسقاء بالنجوم)[106، 107] . وفى كلام شيخ الاسلام ما يكفى .

فيترجح «الدين» كوصف معتبر فى الكفاءة ـــ لثبوت الدليل فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ألا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، قالوا : يارسول الله وإن كان فيه ؟ قال : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات)[108] .

فالدين ـ والمقصود به الصلاح والتقوى والاستقامة على أحكام الدين والأخلاق الحميدة ، لدى مريد الزواج ـ هو الركن الذى يشاد عليه صرح الحياة الزوجية، وهو الذى يضمن دوام العشرة ، ويحقق المودة والألفة ، وهو السياج الذى يحمى الأسرة من عوامل التفكك والانحراف ، وهو الوصف الذى اتفق عليه الفقهاء :

قالت الشافعية : (فالفاسق ليس بكفء للعفيفة)[109] .

وقال الأحناف : (لا يكون الفاسق كفؤا لبنت الصالحين)[110] .

والحنابلة قالوا : والدليل على اعتبار الدين قوله تعالى : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾[111] ولأن الفاسق مرذول مردود الشهادة والرواية ، غير مأمون على النفس والمال ، مسلوب الولاية ، ناقص عند الله تعالى وعند خلقه ، قليل الحظ فى الدنيا والآخرة ، فلا يجوز أن يكون كفؤاً لعفيفة ، ولا مساويا لها[112].

أما إسلام الأصول (الآباء) فهو شرط انفرد به الحنفية ـــ خلافا للجمهور ـــ قالوا : (مسلم بنفسه غير كفء لمن أبوها مسلم ، ومن أبوه مسلم غير كفء لذات أبوين مسلمين أو آباء)[١١٣] .

وهذا الشرط لم يصح فيه دليل ، بل إن الأدلة كلها تشير إلى أن الإسلام يجب ما قبله وهو نص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو ابن العاص حين قال : (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله)[١١٤]، وإن شرف المسلم إسلامه ، فمن أقوال الحسين بن على رضى الله عنهم (إن الله قد رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتم به النقيصة ، وأكرم به اللؤم ، فلا عار على مسلم ؛ أى لا يصيب المسلم أى نقص أو عار إذا أعلن إسلامه)[١١٥] .

أما بالنسبة لإسلام الزوج ، فهذا أمر متفق عليه ، فلا تحل مسلمة لكافر ، لقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[١١٦].

فالذى ثبت بالسنة الصحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم اعتبار الدين فى الكفاءة أصلا وكمالا ، فلا تزوج مسلمة بكافر ، ولا عفيفة ، بفاجر ، ولم يعتبر القرآن والسنة فى الكفاءة أمراً وراء ذلك ، فإنه حرم على المسلمة نكاح الزانى الخبيث ، ولم يعتبر نسبا ولا صناعة ولا غنى .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فهذا هو بحثى الذى أقمت على دراسته والتزمت فيه أصول البحث العلمى ، لتأتى نتائجه علمية موضوعية .. فكان منها ما يلى :

١ ـ لقد جعل الإسلام طريقا واحداً للاتصال بين الرجال والنساء : وهو طريق النكاح ، لتكوين أسرة ، ليرتفع الناس من وحل الحيوانية ، ووهدة الجاهلية ، إلى القمة السامقة النظيفة الوضيئة .

فالزواج فى نظر الاسلام ، حاجة فطرية ، وضرورة اجتماعية ، وسنة ربانية ، كشف الله سبحانه وتعالى عن حكمته بقوله تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)[١١٧] فهناك طريق واحد وهو الزواج ، وهو منهج الجد والاستقامة والنظافة ، وكل ما عداه إن هو إلا هوى يُتبع وشهوة تُطاع ، وانحراف وفسوق وضلال فالذى يريده الله بمنهج الزواج الشرعى : هو التنظيم والتطهير والتيسير والتخفيف ، فكل تعطيل لسنة الزواج يؤدى الى انتشار الفساد وتدمير المجتمع . فالذى خلق الانسان جعل من فطرته (الزوجية) شأن كل خلقه فى هذا الوجود قال تعالى (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)[١١٨]ثم شاء أن يجعل الزوجين فى الانسان شطرين للنفس الواحدة ، قال تعالى (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)[١١٩] ليكمل أحدهما الاخر ويكونا الأسرة ، تلك الخلية التى توفر لشطرى النفس (الرجل والمرأة) على حد سواء ، السكن والطمأنينة والستر والإحصان .

٢ ـ إن الاسلام يعتبر الأصل الذى يقوم عليه التشريع : هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكل ما لم يَقُم ابتداء على هذا الأصل

فهو باطل بطلانا أصليا ، فالأحكام والاراء التى لا تستمد وجودها من هذا الأصل باطلة ، بكل تصوراتها وقيمتها وموازينها وأعرافها وقواعدها وشرائعها وقوانينها .

فحين يُحيل الفقهاء إلى العرف فقط بعض المسائل ، ويعتبرونه مصدرا من مصادر التشريع فلا يصح ذلك لأن التشريع إنما يستمد من كتاب الله وسنة رسوله ، والذى يمنح العرف الصفة الشرعية هو موافقته للشرع ، لا تواضع البيئة عليه . فالإمام مالك رحمه الله يقول :

إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا فى رأيى ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه(١٢٠)

وهذا ما قاله أبو حنيفة والشافعى وأحمد رحمهم الله جميعا ، وما قاله ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى تعليقه على الكفاءة فى النسب ، وهذه مسائل اجتهادية ترد إلى الله والرسول ، فان جاء عن الله ورسوله ما يوافق أحد القولين فما جاء عن الله لا يختلف ، وإلا فلا يكون قول أحد حجة على الله ورسوله(١٢١) .

وهذا الذى عولتُ عليه عند تحقيقى فى الأدلة التى استند إليها الفقهاء .

٣ ـ إن جميع الأحاديث التى ذكروها فى اشتراط الكفاءة فى النسب ضعيفة . بل إن الذى ثبت هو أن الكفاءة لا تكون إلا فى الدين بالنصوص القطعية الصريحة ، وبالأدلة العملية التطبيقية من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ـ ولقد تكلم بعض الأئمة فى ذلك :

كابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث قال : وليس عن النبى صلى الله عليه وسلم نص صحيح صريح فى هذه الأمور(١٢٢) وقال الامام الصنعانى ـ رحمه الله : وللناس فى هذه المسألة عجائب لا تدور على دليل غير الكبرياء والترفع ـ ولا إله إلا الله ، كما حرمت المؤمنات النكاح لكبرياء الأولياء واستعظامهم أنفسهم ـ اللهم إنا نبرأ إليك من شرط ولده الهوى ورباه الكبرياء ـ وقد ثبت خلاف ما قالوه عن سيد البشر(١٢٣).

وعليه ، فان تمسك الكثير من أولياء أمور النساء بشرط الكفاءة فى النسب وغيره من الأوصاف لا يعتمد على أصل صحيح ، وقد أدى هذا إلى تعطيل الزواج وعضل النساء .

فالله أسأل أن يلهم أولياء الأمور الصواب ، وأن يشرح صدورهم للعمل بكتابه وسنة رسوله الصحيحة القولية والعملية ، حتى لا يبقى فى المجتمع الاسلامى كله رجل ولا أمرأة بدون زواج ، درءا للفساد ، واحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هوامش الموضوع

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٢) محمد بن إسماعيل (البخارى) صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب خلق آدم (طبعة بالأوفست عن دار الطباعة العامرة باستانبول ، دار الفكر) جـ٤ ، ١١١ .

(٣) الحافظ الهيثمى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (مكتبة القدسى ، ١٣٥٢هـ) جـ٨ ، ٩٨٤ .

(٤) يحيى بن شرف (النووى) شرح صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب تحريم النياحة (ط١ ، بيروت دار إحياء التراث العربى ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م) جـ٦ ، ٢٣٥ .

(٥) محمد بن عيسى (الترمذى) الجامع الصحيح لسنن الترمذى ، كتاب المناقب ، باب فضل الشام واليمن ت محمد فؤاد عبد الباقى (بيروت ، دار إحياء التراث العربى) جـ٥ ، ٦٩١ .

(٦) سورة الحجرات آية ٤ .
(٧) سورة المؤمنون آية ٥٢ .
(٨) محمد شمس الحق العظيم آبادى ، عون المعبود شرح سنن أبى داوود ، كتاب الديات ، باب إيقاد المسلم من الكافر مع شرح ابن قيم الجوزيه . (ط٢ ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م) جـ١٢ ، ٢٦٠ .
(٩) يحيى (النووى) شرح صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم . جـ١٦ ، ١٤ .
(١٠) المرجع السابق ، كتاب النكاح ، جـ٩ ، ١٧٥ .
(١١) سورة الذاريات آية ٤٩ .
(١٢) سورة النساء آية ١ .
(١٣) سورة الروم آية ٢١ .
(١٤)١ سورة البقرة آية ١٢٧ .
(١٥) سورة الفرقان آية ٥٤ .
(١٦) محمد أمين (ابن عابدين) حاشية رد المحتار على الدر المختار ، شرح تنوير الأبصار (ط٢ ، دار الفكر ، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م) جـ١ ، ٦٣ .
(١٧) يوسف الأندلسى (ابن عبد البر) جامع بيان العلم وفضله (الطبعة المنيرية ١٣٤٦هـ) جـ٢ ، ٣٢ .
(١٨) محمد بن أبى بكر الزرعى (ابن قيم الجوزيه) أعلام الموقعين عن رب العالمين (بيروت ، دار الجيل) جـ٢ ، ٣٦٣ – ٣٦٤ .
(١٩) يحيى بن شرف (النووى) المجموع شرح المهذب ، ويليه فتح العزيز شرح الوجيز وهو شرح الكبير لأبى قاسم عبد الكريم الرافعى (بيروت ، دار الفكر) جـ١ ، ٦٣ .
(٢٠) ابن عبد البر ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ١٤٩ .
(٢١) محمد بن مكرم (ابن منظور) لسان العرب ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلى ، (بيروت ، دار لسان العرب) حرف الكاف ، ٢٦٩ .
(٢٢) سورة الإخلاص .
(٢٣) المبارك بن محمد (ابن الأثير الجزرى) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ، كتاب الديات باب إيقاد المسلم من الكافر (إسناده حسن) (بيروت دار الفكر ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) جـ١ ، ٢٩٥ .
(٢٤) على بن محمد بن على (الجرجانى) التعريفات ، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبيارى . (ط١ ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٤٠٥ ، ١٩٨٥م) ٢٣٧ .
ومحمد أبو زهرة – الأحوال الشخصية (ط٣ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م) ١٣٦ .
(٢٥) كمال الدين محمد عبد الواحد (ابن الهمام) شرح فتح القدير (بيروت ، دار الفكر – إحياء التراث العربى) جـ٣ ، ١٨٦ – ١٨٨ .
(٢٦) المرجع السابق جـ٣ ، ١٨٦ .
(٢٧) سورة الحجرات آية ١٣ .
(٢٨) محمد بن إسماعيل (الصنعانى) سبل السلام شرح بلوغ المرام ، صححه وعلق عليه محمد الخولى . (بيروت ، دار الجيل ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) جـ٣ ، ١٠٠٧ ، قال عنه الألبانى «ضعيف جداً» «بنص قريب منه» .
(٢٩) سورة الفرقان آية ٥٤ .
(٣٠) محمد ناصر الدين (الألبانى) ، إرواء الغليل فى تخرج أحاديث منار السبيل – كتاب النكاح ، باب الكفاءة (ط٢ ، بيروت ، المكتب الإسلامى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) جـ٢ ، ٥٧٠ .
(٣١) أحمد بن على بن حجر (العسقلانى) ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى . (بيروت ، دار الفكر) جـ٨ ، ١٠٨ – ١١٠ .
(٣٢) ابن الهمام ... مرجع سابق جـ٣ ، ١٨٦ .
(٣٣) عبد الله بن أحمد المقدسى (ابن قدامه) المغنى ، ويليه الشرح الكبير للإمامين (طبعة جديدة بعناية جماعة من العلماء ، دار الكتاب العربى ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م) كتاب النكاح ، جـ٧ ، ٣٠ .
وابن عابدين مرجع سابق جـ ٣ ، ٨٤ .
وابن الهمام مرجع سابق جـ٣ ، ١٨٨ .
والنووى المجموع جـ١٦ ، ١٨٤ .
(٣٤) رواه الدار قطنى إلا أن ابن عبد البر قال : هذا ضعيف لا أصل له فلا يحتج بمثله وقال الألبانى عنه فى إرواء الغليل «موضوع» جـ٦ ، ٢٦٤ .
(٣٥) سنن الترمذى : قال عنه حديث غريب وما أرى إسناده بمتصل جـ٣ ، ٣٨٧ .
(٣٦) محمد القزوينى (ابن ماجه) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباق . (بيروت ، دار الفكر) جـ١ ، ٦٣٣ .
جاء فى الزائد : فى إسناده الحارث بن عمران المدينى ، قال فيه أبو حاتم : ليس بالقوى ، والحديث الذى رواه لا أصل له ، وقال الدارقطنى : متروك .
(٣٧) الألبانى : مرجع سابق «أخرجه الدارقطنى حديث ٤١٥ ، عن طريق إسحاق بن بهلول وكذا البيهقى» بسند ضعيف – جـ٧ ، ١٣٣ .
(٣٨) عبد الملك بن هشام المعافرى (ابن هشام) السيرة النبوية قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد (القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية) جـ١ ، ١٩٥ .
صفى الرحمن المباركفورى ، الرحيق المختوم (ط٣ – رابطة العالم الإسلامى ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٥م) ٢٤٠ .
(٣٩) ابن الهمام ، مرجع سابق جـ٣ ، ١٨٥ – ١٨٦ .
وابن عابدين ، مرجع سابق جـ٣ ، ٨٤ .
(٤٠) المرجعين السابقين – نفس الصفحات .
(٤١) المرجعين السابقين – نفس الصفحات .

(٤٢) عبد الوهاب خلاف ، علم أصول الفقه (ط١٢ ، الكويت ، دار القلم ١٣٨٨هـ – ١٩٧٨م) ٨٩ – ٩٠ .
(٤٣) ابن عابدين ، مرجع سابق جـ٣ ، ٨٦ .
(٤٤) المرجع السابق جـ٣ ، ٨٦ .
(٤٥) النووى – المجموع مرجع سابق جـ١٦ ، ١٨٢ .
وأحمد بن النقيب المصرى ، عمدة السالك وعدة الناسك ، (ط١ ، قطر ، ١٩٨٣م) ٢٢ .

(٤٦) أحمد الصاوى المالكى – بلغة السالك لأقرب المسالك (مطبوعات المؤتمر الثالث العالمى للسيرة النبوية ١٤٠٠هـ) جـ١ ، ٣٩٨ .
(٤٧) ابن قدامه ، مرجع سابق ، كتاب النكاح جـ٧ ، ٢٦ .
(٤٨) سورة النحل آية ٧٥ .
(٤٩) النووى – المجموع – جـ١٦ ، ١٨٢ – ١٨٨ .
(٥٠) محمد بن أبى سهل (السرخسى) ، المبسوط . (ط٣ ، بيروت ، دار المعرفة) جـ٥ ، ٢٤ .
(٥١) الخطيب (الشربينى) ، مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج – على متن منهاج الطالبين للنووى . مع تعليقات الشيخ جوبلى بن إبراهيم الشافعى (دار الفكر) جـ٣ ، ١٦٥ .
(٥٢) العسقلانى – مرجع سابق كتاب الطلاق جـ٩ ، ٤٠٨ .
(٥٣) ابن قدامه – مرجع سابق جـ ٧ ، ٢٧ .
(٥٤) الشربينى – مرجع سابق جـ ٣ ، ٢٧ .
(٥٥) المرجع السابق جـ٣ ، ١٦٥ .

(٥٦) أخرجه الترمذى .. فى كتاب التفسير حديث رقم ٣٢٦٧ ، وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سلام بن أبى مطيع ، ورواه أحمد فى المسند جـ٥ ، ١٠ وابن ماجه فى حديث رقم ٤٢١٩ باب الورع والتقوى ، وصححه الألبانى فى إرواء الغليل – جـ٦ ، ٢٧٠ .
(٥٧) النووى . المجموع جـ١٦ ، ١٨٢ .
(٥٨) ابن الهمام . مرجع سابق جـ٣ ، ١٩٢ – ١٩٣ .
(٥٩) المرجع السابق . مرجع سابق جـ٣ ، ١٩٢ – ١٩٣ .
(٦٠) سبق تخريجه فى رقم (٥٦) من الهامش .
(٦١) رواه النسائى وحسنه الألبانى ، فى كتاب إرواء الغليل جـ٦ ، ٢٧٢ .
(٦٢) رواه ابن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، (ط٤ ، بيروت ، المكتب الإسلامى ١٤٠٣هـ) جـ٦ ، ٤١٢ .
(٦٣) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى فى كتاب إرواء الغليل جـ٦ ، ٢٧٢ .
(٦٤) ابن قدامه – مرجع سابق جـ٧ ، ٢٩ .
(٦٥) بزاز : أى بائع البز الثياب .
(٦٦) الشربينى – مرجع سابق جـ٣ ، ١٦٦ – ١٦٧ .
(٦٧) كساح : الكناس الذى يكنس الأرض .
(٦٨) القيم : الذى يقيم السلع ويقدر ثمنها .
(٦٩) رواه البيهقى وقال عنه الألبانى فى إرواء الغليل (حديث موضوع) جـ٤ ، ٢٥٩ .
(٧٠) ابن قدامه – مرجع سابق جـ٧ ، ٢٩ .
(٧١) السرخسى – مرجع سابق جـ٥ ، ٢٥ .
(٧٢) البخارى – مرجع سابق ، كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده جـ٤ ، ٢٥٩ .
(٧٣) الشربينى – مرجع سابق جـ٣ ، ١٦٥ .
(٧٤) محمد عرفه (الدسوقى) ، حاشية الدسوقى على الشرح الكبير لأبى البركات أحمد الدردير وبهامشه الشرح المذكور على تقريرات محمد عليش (دار الفكر) جـ٢ ، ٣٢٦ .
(٧٥) ابن قدامه – مرجع سابق جـ٧ ، ٢٩ .
(٧٦) رواه الشافعى عن الزهرى مرسلًا ، وصححه الألبانى فى إرواء الغليل جـ٢ ، ٢٩٥ .
(٧٧) رواه الترمذى فى سننه بلفظ « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بين كنانة قريش ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ، كتاب المناقب جـ٥ ، ٥٤٤ .
(٧٨) الشربينى – مرجع سابق جـ٣ ، ١٦٥ .
(٧٩) أخرجه الدارقطنى حديث ٤٢٥ من طريق إسحاق بن بهلول ، كذا البيهقى (بسند ضعيف) – من إرواء الغليل جـ٧ ، ١٣٣ .
(٨٠) ابن قدامه – مرجع سابق جـ٧ ، ٢٨ .
(٨١) المرجع السابق .
(٨٢) لم أعثر عليه بهذا النص وإنما بنص « العرب بعضهم أكفاء لبعض ، قبيلة بقبيلة ، ورجل برجل ، والموالى بعضهم أكفاء لبعض قبيلة بقبيلة ، ورجل برجل ، إلا حائك أو حجام » . قال عنه الألبانى فى إرواء الغليل (موضوع) جـ٦ ، ٢٧٠ .
(٨٣) ابن الهمام – مرجع سابق جـ٣ ، ١٨٧ .
(٨٤) سورة الحج آية ٧٥ .
(٨٥) محمد بن على (الشوكانى) ، نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار (مصر ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى) جـ٦ ، ١٤٦ .
(٨٦) النووى – المجموع – جـ١٦ ، ١٨٤ .
(٨٧) سورة الفرقان آية ٥٤ .
(٨٨) العسقلانى . فتح البارى . باب الأكفاء فى الدين (حديث رقم ٥٠٨٨) جـ٩ ، ١٣١ .
(٨٩) سورة الحجرات آية ١٣ .
(٩٠) ابن الهمام – مرجع سابق جـ٣ ، ١٣٣ .
(٩١) سورة الحجرات آية ١١ .
(٩٢) ابن هشام – مرجع سابق جـ١ ، ٥٥٥ – ٥٥٦ .
(٩٣) سورة المؤمنون آية ٧١ .
(٩٤) العسقلانى – فتح البارى – جـ٩ ، ١١٠ – ١١١ .
(٩٥) المرجع السابق جـ٦ ، ٤٨١ .
(٩٦) مسعود (الكسانى) الحنفى – بدائع الصنائع فى ترتيب

الشرائع (ط٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) جـ١ ، ٣١٩ .
(٩٧) العسقلانى ـ تهذيب التهذيب (بيروت ، دار الكتاب العربى ١٩٦٨م) جـ٧ ، ١٢٧ .
ومحمد بن سعد الواقدى ـ الطبقات الكبرى (دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٩هـ) جـ٨ ، ٢٠ .
(٩٨) محمد يوسف (الكاندهلوى) ـ حياة الصحابة (ط٢ ، دمشق ، دار القلم ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م) جـ٢ ، ٦٧٠ .
وعبد الحى بن العماد الحنبلى ـ شذرات الذهب (القاهرة ١٣٥٠هـ) جـ١ ، ٢٩ .
(٩٩) أحمد بن عبد الله (الأصبهانى) حلية الأولياء (ط٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربى) جـ٢ ، ٥٢ والعسقلانى ـ الإصابة فى تمييز الصحابة (دار إحياء التراث العربى) جـ١ ، ٥٤٦ .
(١٠٠) أحمد بن حنبل ـ مرجع سابق جـ٦ ، حديث ٤١٢ .
(١٠١) الصنعانى ـ مرجع سابق جـ٣ ، ١٠٠٨ .
(١٠٢) العسقلانى ـ الإصابة فى تمييز الصحابة جـ١ ، ٦٦ .
العسقلانى ـ تهذيب التهذيب جـ١ ، ٣٥٩ .
(١٠٣) العسقلانى ـ فتح البارى جـ٩ ، ١٠٨ ـ ١١٠ .
(١٠٤) العسقلانى ـ الإصابة جـ٤ ، ٤٢١ .
(١٠٥) الترمذى ـ مرجع سابق ـ كتاب المناقب ـ فضل الشام واليمن جـ٥ ، ٦٩١ .
(١٠٦) النووى ـ شرح صحيح مسلم ـ كتاب الجنائز ـ باب تحريم النياحة جـ٦ ، ٢٣٥ .
(١٠٧) أحمد بن عبد الحليم بن تيميه ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ابن تيميه) طبعة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود (الناشر الرباط مكتبة المعارف) جـ١٩ ، ٢٨ ـ ٢٩ .
(١٠٨) رواه الترمذى وقال حديث غريب ورواه ابن ماجه أيضاً ، وخرجه الألبانى فى إرواء الغليل وقال عنه (حسن) عن طريق ابن حاتم المزنى وأبى هريرة وعبد الله بن عمر ـ جـ٦ ، ٢٢٦ .
(١٠٩) النووى ـ المجموع ـ جـ١٦ ، ١٨٢ .
(١١٠) ابن عابدين ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ، ٨٩ .
(١١١) سورة السجدة آية ١٨ .
(١١٢) ابن قدامه ـ مرجع سابق جـ٧ ، ٢٦ وما بعدها .
(١١٣) ابن عابدين ـ مرجع سابق جـ٣ ، ٨٧ .
(١١٤) النووى ـ شرح صحيح مسلم ـ كتاب الايمان ، جـ١ ، ٣٢٤ .
(١١٥) عبد الله أبو مسلم (ابن قتيبه) عيون الأخبار (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م) ، جـ٤ ، ٨ .
(١١٦) سورة الممتحنة آية ١٠ .
(١١٧) سورة الروم آية ٢١ .
(١١٨) سورة الذاريات آية ٤٩ .
(١١٩) سورة النساء آية ١ .
(١٢٠) ابن عبد البر ، مرجع سابق جـ٢ ، ٣٢ .
(١٢١) ابن تيميه ، مرجع سابق ، جـ١٩ ، ٢٨ ـ ٢٩ .
(١٢٢) المرجع السابق نفس الصفحات .
(١٢٣) الصنعانى ، مرجع سابق ، جـ٣ ، ١٠٠٨ .

المراجع

(١) آبادى ، محمد شمس الحق العظيم ، عون المعبود شرح سنن أبى داوود ـ مع شرح ابن قيم الجوزيه ط٢ ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .
(٢) أحمد . أحمد حمد ، الأسرة : التكوين ـ الحقوق والواجبات ـ دراسة مقارنة فى الشريعة والقانون ، الكويت ، دار العلم .
(٣) الأصبهانى ـ أحمد بن عبد الله ـ حلية الأولياء ، ط٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربى .
(٤) الألبانى ـ محمد ناصر الدين ـ إرواء الغليل فى تخرج أحاديث منار السبيل ، ط٢ ، بيروت ، المكتب الإسلامى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
(٥) البخارى ـ محمد بن إسماعيل ـ صحيح البخارى (طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول ، دار الفكر) .
(٦) الترمذى ـ محمد بن عيسى ـ الجامع الصحيح ـ ت محمد فؤاد عبد الباق ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى .
(٧) ابن تيميه ، أحمد بن عبد الحليم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ، طبعة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ، الناشر الرباط ، مكتبة المعارف .
(٨) الجراح ، عائدة ، الكفاءة بين الزوجين ـ مقال فى مجلة التضامن الإسلامى العدد ١٠ ربيع الثانى ١٤٠٨هـ ديسمبر (ص٨٦ ـ ٩٠) .
(٩) الجرجانى ـ على بن محمد بن على ، كتاب التعريفات ، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الإبيارى ـ ط١ بيروت دار الكتاب العربى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
(١٠) الجزرى ، المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى ، جامع الأصول فى أحاديث الرسول ـ بيروت ، دار الفكر ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

(١١) ابن حنبل ، أحمد ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط٤ ، بيروت ، المكتب الإسلامى ، ١٤٠٣هـ .
(١٢) خلاف ، عبد الوهاب ، علم أصول الفقه ، ط١٢ ، الكويت ، دار القلم ١٣٨٨هـ ـ ١٩٧٨م .
(١٣) الدسوقى ، محمد عرفه ، حاشية الدسوقى على الشرح الكبير لأبى البركات أحمد الدردير وبهامشه الشرح المذكور مع تقريرات لمحمد عليش ، دار الفكر .
(١٤) الزحيلى ، وهبه . الفقه الإسلامى وأدلته ، ط٣ ، دار الفكر ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .
(١٥) أبو زهره ، محمد . الأحوال الشخصية ـ ط٣ ، دار الفكر العربى ، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .
(١٦) ساعاتى ، ساميه حسين ، الاختيار للزواج والتغيير الاجتماعى ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر .
(١٧) السرخسى ، محمد بن سهل ، المبسوط ، ط٣ ، بيروت . دار المعرفة .
(١٨) ابن سعد ، محمد بن سعد الواقدى ، الطبقات الكبرى ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٩هـ .
(١٩) الشربينى ، الخطيب ، مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج ، على متن منهاج الطالبين للنووى مع تعليقات الشيخ جويلى الشافعى ، دار الفكر .
(٢٠) الشوكانى ، محمد بن على ، نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار ، مصر مطبعة مصطفى البابى الحلبى .
(٢١) الصنعانى ، محمد بن إسماعيل ، سبل السلام شرح بلوغ المرام ، صححه وعلق علية محمد الخولى ـ بيروت ، دار الجيل ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
(٢٢) ابن عابدين ، محمد أمين ، حاشية رد المحتار على الدر المختار ، شرح تنوير الابصار ط٢ ، دار الفكر ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .
(٢٣) عامر ، عبد العزيز ، الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية فقهاً وقضاء (الزواج) ط١ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
(٢٤) ابن عبد البر ، يوسف الأندلسى ، جامع بيان العلم وفضله ، الطبعة المنيرية ١٣٤٦هـ .
(٢٥) عبده ، مبارك غنيم ، تكافؤ الزوجين عماد سعاتهما ، مقال فى مجلة الإسلام عدد ١٨ ، (ص٢٣ ـ ٢٤) .
(٢٦) العسقلانى ، أحمد بن على بن حجر ، الإصابة فى تمييز الصحابة ، دار إحياء التراث العربى .
(٢٧) العسقلانى ، أحمد بن على بن حجر ، تهذيب التهذيب ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٨م .
(٢٨) العسقلانى ، أحمد بن على بن حجر ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، بيروت ، دار الفكر .
(٢٩) ابن العماد الحنبلى ، عبد الحى ، شذرات الذهب ، القاهرة ١٣٥٠هـ .
(٣٠) ابن قتيبة ، عبد الله أبو مسلم ، عيون الأخبار ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .
(٣١) ابن قدامه ، عبد الله بن أحمد (أبى محمد موفق الدين) المغنى فى فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ، بيروت ، دار الفكر .
(٣٢) ابن قدامه ـ موفق الدين وشمس الدين المقدسى ـ المغنى ويليه الشرح الكبير للإمامين ـ طبعة جديدة ، دار الكتاب العربى ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .
(٣٣) ابن القيم ، محمد بن أبى بكر الزرعى (ابن قيم الجوزيه) أعلام الموقعين من رب العالمين ، بيروت ، دار الجيل .
(٣٤) الكاسانى ، مسعود الحنفى ، بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، ط٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
(٣٥) الكاندهلوى ، محمد يوسف ، حياة الصحابة ، ط٦ ، دمشق ، دار القلم ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .
(٣٦) ابن ماجه ، محمد القزوينى ، سنن ابن ماجه ت محمد فؤاد عبد الباق ، بيروت ، دار الفكر .
(٣٧) المالكى ، أحمد الصاوى ، بلغة السالك لأقرب المسالك ، مطبوعات المؤتمر الثالث العالمى للسيرة النبوية ١٤٠٠هـ .
(٣٨) المباركفورى ، صفى الرحمن ، الرحيق المختوم ، ط٣ ، رابطة العالم الإسلامى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م .
(٣٩) المصرى ، أحمد بن النقيب ، عمدة السالك وعدة الناسك ، ط١ ، قطر ، ١٩٨٣م .
(٤٠) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلى ، بيروت ، دار لسان العرب .
(٤١) النسائى ، أحمد بن شعيب ، سنن النسائى شرح السيوطى ، ط١ ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ١٣٥١هـ .
(٤٢) أبو النور ، محمد الأحمدى ، نظرة الإسلام فى الكفاءة بين الزوجين ، مقال فى مجلة الأزهر العدد ٧ ، رمضان ١٣٨٧هـ ـ ديسمبر ١٩٦٧م .
(٤٣) النووى ، يحيى بن شرف ، شرح صحيح مسلم ، ط١ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م .
(٤٤) النووى ، يحيى بن شرف ، المجموع شرح المهذب ، ويليه فتح العزيز شرح الوجيز وهو شرح الكبير لأبى قاسم الرافعى ، بيروت ، دار الفكر .
(٤٥) ابن هشام ، عبد الملك بن هشام العافرى ، السيرة النبوية ، قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية .
(٤٦) ابن الهمام ، كمال الدين محمد بن عبد الواحد ، شرح فتح القدير ، بيروت دار إحياء التراث العربى .
(٤٧) الهيثمى ، الحافظ ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، مكتبة القدسى ، ١٣٥٢هـ .

حول العمل في الإسلام

للدكتور جعفر عبد السلام علي*

تمهيـــد

اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالعمل كقيمة من قيم المجتمع الإسلامى العليا ، وكعنصر من عناصر العمل الإنتاجى كذلك ، بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا : إنه أهم عوامل الإنتاج فى نظر الشريعة الإسلامية وكل العوامل الأخرى تعتبر تالية له فى الأهمية .

كذلك يعتبر العمل السبب الأول والأساسى لكسب الملكية ، بحيث إن معظم الأسباب الأخرى تترتب عليه ، وتلحق به . فمثلًا من اللازم أن يرتبط عنصر العمل بعنصر الأرض لتملك الأرض الموات ، وكذلك لكى تنبت الأرض ثمارها ، ولكى تخرج الأرض الكنوز المدفونة فى أعماقها . كذلك لابد من العمل الدءوب لكى يجوب الإنسان البحار ويسبر أعماقها ويستخرج كنوزها ، وهكذا نجد عامل العمل هو العامل الهام الذى كرم الله به الإنسان وإذا كانت الكلمة هى البداية لوجود الإنسان وتكريمه فى الأرض ، فإن العمل هو سبيل الكرامة والعزة لبنى البشر .

* أستاذ ورئيس قسم القانون العام بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر

ولقد أتاحت لنا هذه الندوة أن نسهم بهذه الورقة المتواضعة عن حق العمل فى الشريعة الإسلامية ، ولقد توخينا فيها بساطة العرض وعدم الإغراق فى التفصيلات الفقهية المعروضة فى مختلف المذاهب ، بل عنينا أساساً بالمبادىء الرئيسية التى تعالج بها المصادر الرئيسية فى الشريعة الإسلامية قضية حق العمل .

ولقد قسمنا هذا البحث إلى أربعة مباحث تناولنا فى المبحث الأول : أهمية العمل فى الإسلام ، وتناولنا فى المبحث الثانى : حق العمل فى الإسلام أما المبحث الثالث : فقد خصصناه لتناول : حقوق العاملين وواجباتهم فى الإسلام ، وخصصنا المبحث الرابع لتناول التنظيم الشرعى لعقد العمل فى الإسلام .

وآمل أن تنجح هذه الورقة فى تقديم تصور علمى سليم ومبسط لقضية من أهم قضايا الاقتصاد الإسلامى وآمل أن تقود هذه الورقة إلى مزيد من البحوث والدراسات التى تعالج هذه القضية الهامة من قضايا مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة .

لقد سقطت الأقنعة التى كانت تغطى على الأهمية الوهمية لقيمة العمل ولدكتاتورية العمال والفلاحين ولسيادة الطبقة الكادحة ، وتبين أن ما كان يقال هراء ومجرد خطب حماسية يصفق لها العمال ، وتثير الجوانب الكامنة فى الإنسان للتحدى والصراع ، سقطت الأقنعة وسقطت معها الأنظمة التسلطية فى المجتمعات الشيوعية وانتهت الكتلة الشرقية أو الشيوعية ، وهى الآن تحاول أن تجد رباطاً يربطها أو مؤلف يعيد تجميع فصولها ، ولكن على غير الفكر الشيوعى وعلى غير النظام الدكتاتورى وعلى غير النمط الاشتراكى . كذلك تبين قسوة النظام الرأسمالى على كل أفراد المجتمع بما يرفعه من سوط يلهب ظهور الجميع ويدفعهم دفعاً إلى الحرب واللهث لإدراك ما وضعه المنظمون لهذا المجتمع من أهداف يعجز عن الوصول إليها كثير من البشر ، لذا فإن تقديم النظام الإسلامى والفكر الإسلامى فى هذه المناسبة وبالوضوح الذى هو عليه وبالسمو الذى يميز قواعده ، هو أمر مطلوب فى وقت يزداد فيه الصراع بين القوى الدولية الاقتصادية فى محاولة لصياغة نظام اقتصادى جديد يراعى مصالح كل قوة على حساب مصلحة الضعفاء والمتخلفين فى معادلة التقدم الاقتصادى والتخلف .

والله الموفق والهادى إلى ما فيه الخير

المبحث الأول
أهمية العمل فى الإسلام

أولًا : اختلاف الأنظمة الاقتصادية فى تقدير عنصر العمل :

يهتم النظام الرأسمالى بالفرد ويجعله المحور الذى تدور حوله أحكامه ، وهو قد نجح فى إطلاق الحوافز إلى أقصى حد لها بالفعل ، وماعدا المبادرات الفردية على أن تتقدم بالمجتمع وبالإنتاج فى الأنظمة التى أخذت به إلى حد كبير .

ومع ذلك فقد أخذ على هذا النظام أنه أهمل العامل الضعيف ولم يستطيع أن يعوض ضعف القدرات والملكات لدى فئة كبيرة من الأفراد ، أنه نظام يحترم القوى والذكى ، ولكنه لا يأبه بمن

يسقط فى الطريق نتيجة ضعف بين أو نقص فى قوى جسدية أو عقليه .

ولعل قيام الأنظمة الشيوعية فى كثير من الدول واعتبارها أن صاحب رأس المال يستغل القوى العاملة لمصلحته ويكون أمواله ويضخمها من ناتج جهدها ، وتبشير الفكر الشيوعى بضرورة إنهيار الأنظمة الرأسمالية وسيطرة العمال والفلاحين على السلطة ليتحقق فى النهاية دولة العمال والفلاحين فى كل أنحاء الأرض ، هذه الأفكار قد جعلت الفكر والنظام الرأسمالى يدخل العديد من العناصر التى تخفف من وطأة النظام على هذه الفئات الضعيفة فيه .

بل لعل قيام منظمة العمل الدولية ورعايتها للطبقة العاملة فى كل العالم واعترافها بحقوق العمال العديدة التى وجدت طريقها بعد ذلك إلى تشريعات مختلف الدول ، يرجع فى كثير من الدول الرأسمالية إلى الخوف من شبح الشيوعية وصعود أجسام بلا رؤوس فوق المناكب إلى قمة السلطة فى تقدير الأنظمة الرأسمالية .

ورغم أن الأنظمة الشيوعية تعطى قيمة كبيرة لعنصر العمل وترفض الملكية الفردية لآدوات الإنتاج على الخصوص ، إلا أنها حولت العامل إلى ترس فى ماكينة كبرى وأهملت القدرات الفردية التى وهبها الله للناس مختلفة باختلاف ظروفهم ، متميزة فى جوانب معينة لدى بعضهم وفى جوانب أخرى لدى البعض الآخر ، حتى يتحقق التكامل بين عناصر الآمة كلها ويستفيد الكل من تقسيم العمل ، كما ألغى الشيوعيون دور المنظمين فى العملية الإنتاجية ، وأسندوا كل شىء إلى الدولة ، وكانت نتيجة ذلك سيئة فعلى العكس مما تصور النظام الشيوعى من جعل العمل والإنتاج هو محور الحياة فى الدول التى تأخذ به شاعت فى الدول التى طبقت الشيوعية روح الاهمال وقتلت المبادرات الفردية ، وتأخر الإنتاج فيها تأخراً كبيراً بالقياس بالدول التى طبقت الرأسمالية ، وألاحظ من كل ذلك أن العاملين فى هذه الدول أصبحوا يتمسكون بالحقوق التى تقررت لهم بصرف النظر عن الواجبات المفروضة عليهم ، ولم يكن هناك بد من أن ينهار كل شىء كما رأينا فى السنوات الأخيرة ، إنهياراً حطم المقدسات الشيوعية والأصنام التى قامت عليها ، ولم يستطع الحديد والنار الذى حاول أن يجعل النظام يسير فى الدول الشيوعية لعدد من السنوات أن يوقف هذا الانهيار واستطاعت جموع الشعب العاملة التى قامت هذه الأنظمة على أكتافها ، أن تسقط البقية الباقية منها ، وأن تطيح بتماثيل لينين ــ المطبق الأول لهذه النظرية ــ فى الدول الشيوعية ، وأن نلغى وجود الحزب الشيوعى فى كل روسيا مع بقاء الأحزاب الأخرى .

ياله من تطور مذهل له دلالاته الغريبة التى تؤكد أن السير على عكس قوانين الطبيعة التى فطر الله الناس عليها مصيره الفشل المحتوم مهما طال به الزمن . واذكر أنه بعد هذا الانهيار دعا أحد رجال الاقتصاد الإسلامى (١) عناصر من الحكام الاقتصاديين فى الاتحاد السوفيتى المنهار ليتدارسوا مع مجموعة من المفكرين الاقتصاديين المسلمين

(١) هو الشيخ صالح عبد الله كامل ــ رجل الأعمال السعودى المعروف باتجاهاته الإسلامية واستثماراته العديدة فى مختلف الدول الإسلامية .

« النظام الاقتصادى الإسلامى » وقدم لهم مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر وجبة سريعة لما يمكن أن يدخل فى هذا المصطلح من أفكار ، ووضعها فى شكل تقنين يسهل الأخذ به وتطبيقه . وأيا كان هو موقف هذه العناصر من هذه الأفكار واقتناعها بها كليا أو جزئيا فقد دخل الفكر الاقتصادى الإسلامى فى دائرة التفكير والمناقشة فى دوائر الفكر والعمل فى دول الاتحاد السوفيتى المنهار .

فماذا فى فكرنا الإسلامى عن عنصر العمل ؟

إن المفكر المسلم عندما يعالج قضية تتصل بأعمال الإنسان ، فإن عليه أن يرجع إلى مصادر الأحكام فى الشريعة ، وهى القرآن الكريم والسنة النبوية ، ثم الاجتهاد بمعناه الواسع وأدلته المتعددة .

ثانيا ـ القرآن الكريم وعنصر العمل :

جاء ذكر العمل فى القرآن الكريم فى ثلاثمائة وتسعة وخمسين موضعاً ولا تكاد سورة من سور الكتاب الكريم تخلو من ذكر العمل والعاملين والذين يعملون ، وأيضاً جاءت مرادفات العمل فى مواضع كثيرة مثل السعى والكسب والفعل[٢] . وفى كل هذه الآيات نلحظ اهتماماً كبيراً بهذا العنصر ، بل أن القرآن الكريم يجعل العمل ركناً أساسياً فى العقيدة الإسلامية يكلف الإنسان بها ويجعله حقاً وواجباً حقاً وواجباً عليه ويجعله سبيل الحياة الكريمة فى الحياة الدنيا ، وأساس الحساب فى الآخرة .

ويعتبر القرآن العمل ، العنصر الأساسى فى العملية الإنتاجية ، أما العناصر الأخرى خاصة عنصر رأس المال والأرض عناصر تابعة له ومبنية عليه . بقوله سبحانه وتعالى

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٣] .

وتظهر الآية الكريمة قيمة ما عملته الأيادى (أى العمل) وارتباطه بالعنصر الهام الآخر للإنتاج وهو الأرض والمواد الطبيعية ، وهما بالفعل العنصرين الرئيسين لأى إنتاج فى أى وقت مذهب وفى أى نظام لذلك نجد فى القرآن الكريم دعوة صريحة وقوية إلى العمل بكل صوره وحفزا دنيويا وأخرويا للمؤمنين لكى يعملوا سواء فى مجال العبادة الخالصة لله أم فى مجال السعى والكسب فهذه أيضاً عبادة . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[٤] ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٥]

ويقول أيضا : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾[٦] كما يقول جل جلاله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾[٧]

---

(٢) راجع د. سهير أبو وافية ، فلسفة العمل فى الإسلام ، دار الكتاب للنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٨٦م جـ٦ .

(٣) يس الآية ٣٣ ـ ٣٥ .

(٤) الملك الآية رقم ١٥ .

(٥) الجمعة الآية ٩ ـ ١٠ .

(٦) التوبة الآية رقم ١٠٥ .

(٧) فصلت الآية رقم ٣٣ .

وكذلك يجعل القرآن الكريم فى آية واضحة العمل فى نفس منزلة قيام الليل وهو أقرب الأعمال إلى الله فيقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (٨)

ونجد فضل العمل فى الدنيا والآخرة واضحاً فى آيات عديدة نذكر :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٩)

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ (١٠) .

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٥٠ ﴾ (١١)

وهكذا نجد آيات الكتاب الكريم واضحة فى الحث على العمل والجزاء عليه فى الدنيا والآخرة ، والإشادة به وجعله سبب إنتاج ثروات الأرض وكنوزها ، وسبب الفلاح فى الدنيا والآخرة .

عنصر العمل فى السنة :

كما حفل المصدر الأول للشريعة بعنصر العمل ، نجد أن المصدر الثانى يحفل به كذلك ويفصل كثيراً مما أجمل فى المصدر الأول : يقول الرسول ـ ﷺ ـ « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفـــورا له »(١٢) ، كما يقـــول ـ ﷺ ـ :« ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده(١٣) » « وسئل رسول الله ـ ﷺ ـ أى الكسب أطيب ؟ قال عمل الرجل بيده وكل كسب مبرور(١٤) » ويقول أيضاً « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار(١٥) » ويقول « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان به صدقة(١٦) » .

وروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه مر عليه رجل فرأى أصحاب الرسول ـ ﷺ ـ من جلده ونشاطه فقالوا يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله فقال ـ ﷺ ـ إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى رياء ومفاخرة فهو سبيل الشيطان « ويقول كذلك » « طلب الحلال واجب على كل مسلم(١٧) » .

ولأهمية العمل فى حياة الإنسان ، وفى ميزانه يوم القيامة نجد أن الأنبياء كانوا جميعا أصحاب حرف ، روى عن ابن عباس قال « كان آدم حراثا(١٨) ، ونـــوح نجاراً ، وإدريس خياطـــاً وإبراهيم ولوط زارعين ، وصالح تاجراً وموسى وشعيب ومحمد ـ ﷺ ـ رعاه .

---

(٨) المزمل الآية رقم ٢٠ .
(٩) الكهف الآية رقم ٨٨ .
(١٠) طه الآية رقم ١١٢ .
(١١) الحج الآية رقم ٥٠ .
(١٢) رواه ابن عساكر عن سليمان بن على بن عبدالله بن عباس ... جامع الأحاديث للسيوطى .
(١٣) رواه البخارى .. عن المقدام ورواه أحمد ... جامع الأحاديث للسيوطى .
(١٤) رواه أحمد والطبرانى والحاكم ... جامع الأحاديث للسيوطى .
(١٥) رواه أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم ... جامع الأحاديث للسيوطى .
(١٦) رواه أحمد والبيهقى والترمذى ... جامع الأحاديث للسيوطى .
(١٧) رواه الطبرانى عن كعب بن عجرة ... جامع الأحاديث للسيوطى .
(١٨) رواه الدلمى فى الفردوس عن أنس ... جامع الأحاديث للسيوطى .

روى عن الرسول ـ ﷺ ـ أنه رعى الغنم لأهل مكة قبل النبوه ، واشتغل بالتجارة لخديجة أم المؤمنين رضى الله عنها .

المبحث الثانى
حق العمل فى الإسلام

المواثيق الدولية وحق العمل :

اهتمت المواثيق الدولية وعلى رأسها الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان بحق الإنسان فى العمل وأوجبت على المجتمع والدولة أن يكفل لكل إنسان الحق فى عمل منتج يتفق مع قدراته ، ويشبع حاجاته وحاجات من يعولهم ، وهذه المواثيق بفعلها هذا إنما جاءت تقنن أعرافاً ومبادىء ظلت فى ضمير الإنسانية لأحقاب طويلة ورثتها مما أنزله الله على أنبيائه ليهتدوا بها وليقودوا الإنسانية إلى مراشدها .

حق العمل فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان :

تعلن المادة (٢٣) من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ، أن : « لكل إنسان حق العمل ، وحق اختيار نوع العمل بمحض حريته ، والحق فى أن تكون شروط العمل عادلة ومواتية ، وحق الحماية ضد البطالة . ولكل إنسان الحق ـ بلا تمييز من أى نوع ـ فى أجر متساو مقابل نفس العمل . ولكل من يعمل الحق ، فى أجر مجز ومناسب يكفل له ولأسرته معيشة تليق بكرامة الإنسان ، ويتبعه إذا لزم أمر وسائل أخرى من وسائل الحماية الاجتماعية . ولكل إنسان الحق فى تكوين ، والانضمام إلى نقابات عمالية لحماية مصالحه » .

وطبقاً للمادة (٦) من الوثيقة الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، تعترف الدول الأطراف بهذه الحقوق ، وتتعهد بالعمل على تحقيقها تحقيقاً كاملًا عن طريق الإرشاد الفنى والمهنى وبرامج التدريب ، وعن طريق السياسات ، والطرق الفنية التى توضع لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بشكل ثابت ، والتشغيل الكامل والمنتج فى ظل ظروف تصون الحريات الأساسية واقتصادية الفرد . وطبقاً للمادة (٥) من الاتفاقية الدولية بشأن القضاء على جميع أشكال التمييز العنصرى ، تتعهد الدول الأطراف بحظر التمييز العنصرى ، والقضاء عليه ، بالنسبة لهذه الحقوق .

الإسلام وحق العمل :

ونجد فى العديد من النصوص التى وردت فى مصادر الشريعة ما يفيد أن العمل حق لكل شخص يعيش فى دار الإسلام وأن ولى الأمر عليه أن يساعد من لا يجد عملا ، كذلك نجد فى هذه المصادر ما يشير إلى ضرورة تكافل كل أفراد الجماعة فى إيجاد فرص العمل المناسبة لجميع من يعيشون فى الدولة .

ولقد ضرب لنا الرسول ـ ﷺ ـ دروساً متعددة فى وجوب العمل على القادر وتحريم البطالة . فعن أنس رضى الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبى ـ ﷺ ـ فسأله . فقال : أما فى بيتك شىء ؟» قال بلى : حِلْس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه من الماء . قال : « ائتنى بهما » فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله ـ ﷺ ـ بيده ، وقال : من يشترى هذين ؟ » قال رجل أنا آخذهما بدرهم . قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « من يزيد على درهم »

مرتين أو ثلاثاً . قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارى ، وقال : « اشترى بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوماً فائتنى به فأتاه به ، فشد فيه رسول الله ـ ﷺ ـ عودا بيده ، ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً » ففعل ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « هذا خير لك من أن تجيىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة[19] » .

وما كان أسهل على الرسول ـ ﷺ ـ أن يقدم له مالا منه أو من أصحابه يعينه على الحياة ، ولكن الإسلام بهذا المنحى ، أكد صفة الحق للعامل فى أن يعينه ولى الأمر على إيجاد فرصة عمل له ، وواجب الشخص فى أن يعمل ويسعى حثيثاً فى الأرض ليكسب من عمل يديه طالما كانت لديه القدرة على العمل ، بل واضح أن الرسول ـ ﷺ ـ تابع هذا الشخص ليرى نتيجة عمله وليطمئن على أنه صار شخصاً منتجاً لا يعتمد على غيره .

وإذا كان الوجه الآخر للحق هو الواجب ، فلا أعتقد أن هناك نظاماً قانونياً أعطى للعمل وجه الواجب كما فعل الإسلام .

يقول الرسول ـ ﷺ ـ « لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه[20] » ، وفى رواية أبى هريرة : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه[23] » .

وفى النهى عن البطالة يقول الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » وهو الذى قال : إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول أله حرفة فإن قالوا لا سقط من عينى » .

العمل فرض عين وفرض كفاية :

يتفق جمهور المسلمين على أن العمل فرض عين على كل قادر عليه حسب قدراته ومواهبه ليسد به حاجاته وحاجات من يعول ويسهم فى بناء المجتمع ، والفرد ليس حراً فى أن لا يعمل دون عذر شرعى وإلا كان مقصراً لأن عليه أن يضيف إلى الناتج القومى فيقوى المجتمع ويرتقى فى كل المجالات .

وإذا كان القرآن الكريم قد قرر أن الله سبحانه وتعالى قد سخر الأرض وما فيها للإنسان ، وطلب منه أن يعمرها بالثروات وبكل ما ينفع الإنسان فى حياته ، ثم يأمره لأن يسعى فيها مستغلًا ما حباه الله به من ملكات وقدرات لاستغلالها واستخراج كنوزها لفائدته ، ولفائدة المجتمع الذى يعيش فيه . يقول الله تعالى :

---

(١٩) رواه أبو داود واللفظ له ، والبيهقى والنسائى والترمذى وحسنه ، والحلس هو كساء غليظ يكون على ظهر البعير ، وسمى به غيره مما يداس ويمتهن من الأكسية ونحوها والقعب : القدح : والنكتة : أثر كالنقطة . أنظر : الترغيب والترهيب جـ٢ ص١٣ ، جـ٣ هامش ص٣ .

(٢٠) رواه البخارى وابن ماجه وغيرهما : الترغيب والترهيب جـ٢ ص١٣ .

(٢١) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(٢٢) راجع إحياء علوم الدين : للغزالى ٢ / ٦٤ الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى : من قضايا العمل والمال فى الإسلام ص١٧ .

(٢٣) أنظر : سيرة عمر بن الخطاب : لابن الجوزى ص٥٧ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾

كما يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فـآن هذا يعنى أن الإسلام يطلب العمل من الإنسان بصيغة الأمر ، فآفاق الأرض مفتوحة وعليه أن يسعى فيها باذلًا أقصى جهده لكى يعمل ، وهذا الأمر موجه إلى عموم الناس ، وإن كان لكل شخص أن يختار العمل الذى يتفق مع قدراته ومواهبه ، لذا ذهب الفقهاء إلى تأكيد أن القيام بالأعمال المختلفة فى المجتمع الإسلامى هو من الفروض الكفائية بالنسبة لكل شخص ، وأن على ولى الأمر أن يراعى توزيع العمل بما يغطى حاجة المجتمع كله بالنظر إلى ما يقوم به سائر أفراده .

ومن هنا يأتى المبدأ الأول الذى رأيناه أنه يحكم نظام العمل فى الإسلام وهو أن العمل واجب على كلَ مواطن .

على أننا لا يمكن أن ننكر الوجه المقابل لهذا التكليف بالعمل واعتباره واجباً فى مفهوم الإسلام ، ألا وهو أن العمل حق كذلك للمسلم ولمواطن الدولة الإسلامية ، وهذه قضية من أهم القضايا التى تواجه المجتمعات الصناعية المختلفة فى عالم اليوم ، فنظرة الإسلام إلى العمل ، تجعله حقاً للمواطن على ولى الأمر أن يكفله له .

وكثيرة هى الآثار الإسلامية التى تدفع الإنسان لأن يكد ويسعى ولا يتوقف عن العمل مهما كانت الظروف حتى إنه ـ على حد قول رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيله فإن استطاع ألا يقوم قبل أن يغرسها ، فيغرسها[٢٤] » .

من هنا نستطيع القول بأن الشريعة الإسلامية تجعل العمل واجباً وحقاً على المكلف وله فى نفس الوقت .

وعلى قدر الجهد ، تكون النتيجة عند الله سبحانه وتعالى ، وعلى قدر إحسان العمل ، تكون مقاييس البشر عنه الله . ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ ، ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ** ﴾ ، ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟** .... ﴾ .

ويحدد هذا المبدأ الهام فى اعتبار العمل حقاً وواجباً على المكلف ومعيار الحكم على الإنسان فى الدنيا والآخرة ، مبدأ آخر له أهميته فى المجال القانونى وهو تساوى الناس عمالا وأصحاب أعمال فى القيمة والمنزلة فى الإسلام . كذلك فإن الإسلام قد جعل العمل من الفروض الكفائية على المجتمع الإسلامى ككل .

« ولا يقتصر مفهوم العمل على الاحتراف أو الامتهان أو الاستصناع أو الاتجار ، وإنما يتسع حتى يشمل كل عمل أو منفعة يؤديها الإنسان مقابل أجر يستحقه ، سواء أكان عملا يدوياً أو ذهنياً أو إدارياً أو فنياً ، وسواء أكان لشخص أو لهيئة معينة أو للدولة ، فالولاية الخاصة والعامة عمل[٢٥] » .

---

(٢٤) رواه أحمد والبخارى فى الأدب .

(٢٥) النظام الاقتصادى فى الإسلام : د. أحمد العسال ، د. فتحى عبدالكريم ص ١٢٨ .

ونظراً لأن الأعمال التى تجرى فى حياة الناس متعددة ومتجددة بتجدد الحاجات والابتكارات ، وقد يحدث فى ظل ظرف من الظروف أن تخلو بعض ميادين الأعمال التى يحتاج الناس إليها ، لذلك جعل الإسلام لولى الأمر الحق فى أن يلزم أصحاب حرفة من الحرف أن يعملوا فيها ولا يتحولوا عنها ـ فى هذا الظرف الخاص ـ ليسدوا حاجة الناس .

وفى هذا يقول ابن القيم : « ومن ذلك أن يحتاج الناس إلى صناعة طائفة ، كالفلاحة والنساجة والبناء وغير ذلك ، فلولى الأمر أن يلزمهم بذلك بأجر مثلهم ، فإنه لا تتم مصلحة الناس إلا بذلك[٢٦] . من هذا يمكن القول بأن المجتمع الإسلامى يجب أن تتوافر فيه كل ألوان العمل وجميع أنواع الحرف والصناعات اللازمة لمصالح الناس ، والتى لا يكون فى وسعهم الاستغناء عنها .

ولذلك يقرر العلماء : « أن العامل فى كل باب من أبواب النفع يقوم بفرض كفاية يجب تحقيقه ، ولو ترك كان على الجماعة مغبة تركه بالنسبة للمجتمع ، وعليها الإثم أمام الله إذا قصرت فى إقامة فرض كفاية ، ويرفع الإثم عنها جميعا بالقيام به ، ويشترك الجميع فى الوزر إن قصروا فيه فالعامل اليدوى الذى يعمل باليد أو بالوقوف على الآلة ، يقوم بفرض كفائى حث عليه الإسلام وحبب إليه .

والأعمال الفنية كلها فروض كفاية ، فيجب على الأمة أن توفر هذا الصنف من العاملين ، وإن لم يكونوا فإن الجماعة كلها تأثم ، ويكون الوزر على الجميع ، وإذا أقامت العاملين الفنيين ، وقصروا هم ، فالوزر عليهم وحدهم ، لا يختص به كبيرهم ، ولا يسلم منه صغيرهم .

فكل ما تحتاج إليه الجماعة فرض كفاية ، يجب تحقيقه[٢٧] .

وبهذا يكفل الإسلام للمجتمع الإسلامى ، أن تتوافر فيه كل أشكال النشاط ، وأن تتواجد به جميع مظاهر الصناعة ، التى ترقى بأمة الإسلام إلى طليعة الأمم المتقدمة ، كما كان شأنها دائماً .

« فلا شىء تحتاجه الأمة وتتوقف عليه حياتها ونهضتها ورخاؤها وقوتها واستغناؤها عن غيرها ، إلا ويدخل فى فرض الكفاية ، بحيث إذا تركته تكون آثمة مقصرة ، ودخل جميع المكلفين فى دائـرة التـقصير والحساب ، وأول المحاسبين والمسئولين ، من يستطيعون أن يسدوا هذه الفرائض ويحسنوا القيام عليها .

فعلى المجتمع وأولياء الأمر متضامنين متعاونين أن يدفعوا للقيام بهذه الفروض الكفائية من يقوم بها ويؤديها على وجه صحيح سليم ، حتى يبرأوا من المسئولية ، ويؤدوا للأمانة حقها[٢٨] » .

من هذا كله ندرك اتساع دائرة العمل فى الإسلام ، وتعدد مجالاته وأنواعه ، وإنه من الواجب على المسلمين وعلى أولى الأمر فيهم أن يوفروا لكل باب من أبواب العمل من يحسنونه ، ويقومون عليه خير قيام ، حتى تتحقق مصالح الناس ، وتلبى كل متطلباتهم ورغباتهم ، ويتوافر لهم كل ما هم فى حاجة إليه[٢٩] .

---

(٢٦) أنظر الطرق الحكمية : لابن قيم الجوزية ص٢٤٧ .

(٢٧) راجع الشيخ محمد أبو زهرة : فى المجتمع الإسلامى ص٥١ ـ ٥٢ ، ٥٥ وانظر كذلك : الموافقات للإمام الشاطبى جـ١ ص١١٤ ـ ١١٥ .

(٢٨) أنظر : النظام الاقتصادى فى الإسلام : د. أحمد العسال ، د. فتحى عبدالكريم ص١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٢٩) د. سعيد أبو الفتوح محمد بسيونى ، الحرية الاقتصادية فى الإسلام وأثرها فى التنمية ، ص ٣٥١ .

الأكراد

٤

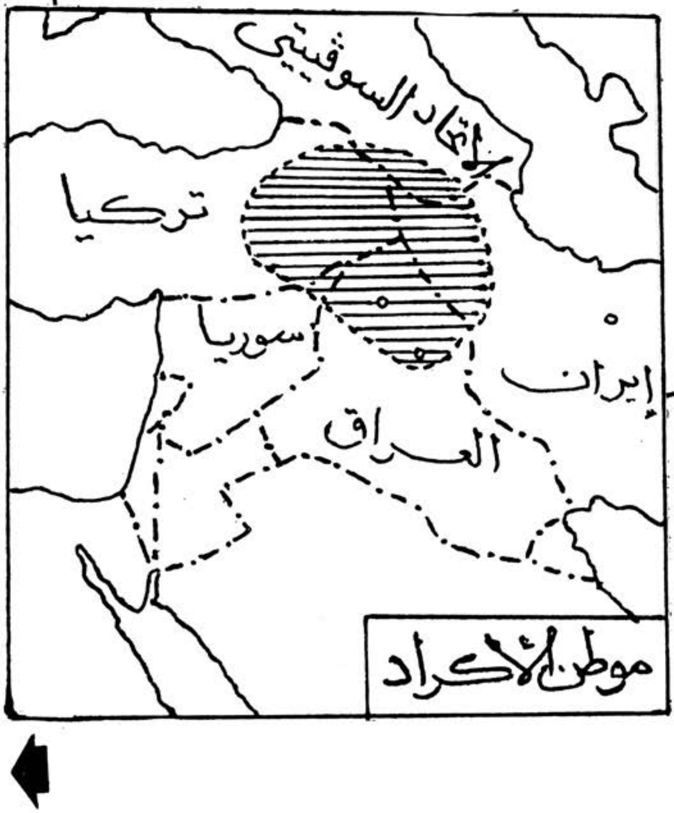

موطن الأكراد

للأستاذ ماهر زكريا الشيمى

الخلافات حول تنفيذ قانون الحكم الذاتى :

ولكن الخلافات بدأت تظهر بين الطرفين حول التفاصيل الخاصة بتنفيذ الاتفاق . وكان الخلاف حول النقاط الأساسية التالية :

(**أولًا**) : رأت الجبهة الوطنية (التى تتكون من حزب البعث الحاكم والحزب الشيوعى العراق) أن يكون الحكم الذاتى للأكراد فى المحافظات الثلاث التى بها أغلبية كردية ، وأن تكون العاصمة مدينة أربيل . بينما رأى الحزب الديمقراطى الكردستانى بزعامة البرزانى ضرورة إدخال وضم مناطق أخرى مثل (خانقين) قرب الحدود الإيرانية ، و (كركوك) المركز البترولى الهام ، و (جبل سنجار) على الحدود (السورية) و (جبال حمرين) قرب بغداد ، ومناطق أخرى تعتبرها الحكومة العراقية مجرد جزر بشرية كردية وسط أغلبية عربية أو تركمانية .

(**ثانياً**) : يقرر القانون إنشاء إدارات فى الشمال واعتبار (كرديستان) وحدة إدارية لها شخصية معنوية تتمتع بالحكم الذاتى ، فى إطار الوحدة القانونية ، والسياسية ، والاقتصادية للعراق ، بينما طالب البرزانى بنظام أقرب إلى الوزارات وليس مجرد إدارات ، على أن تكون مستقلة ، ليؤدى ذلك فى النهاية إلى (إقامة كيان سياسى كردى مستقل) وليس مجرد حكما ذاتيا . وهذا ما اعتبرته الجبهة الوطنية طلبا تعسفيا مرفوضا .

(**ثالثاً**) : رأت الجبهة الوطنية تصفية الصراع المسلح مع الأكراد نهائيا . وذلك لتمهيد الطريق لتنمية وتطوير الشمال (الكردى) اقتصاديا وثقافيا . وايقاف النزيف البشرى والاقتصادى فى العراق . بينما يشعر قادة الأكراد المحافظون أن الحكم الذاتى وما يتبعه من تطور وإصلاحات اقتصادية واجتماعية وإدارية سيسلبهم مكانتهم وسلطانهم القبلية ، وبالتالى يساعد على امتصاص المشكلة قومياً وحضارياً . ذلك أنهم يمثلون الهيكل الاقطاعى للمجتمع الكردى ، ويحتكرون السلطة المطلقة فيه ، ويتمتعون بالولاء المطلق من الأكراد لزعيم العشيرة .

وبدأت الحكومة العراقية بإصرار تنفيذ هذا القانون من جانب واحد فى ٢٦ مارس ١٩٧٤ (بعد مهلة ١٥ يوماً منحتها للبرزانى لتتلقى منه إجابة نهائية) . فقامت فى ٥ أكتوبر ١٩٧٤ بافتتاح المجلس التشريعى الكردى الأول (برئاسة هاشم حسن عقراوى) وتعيين ٥٠ شخصية كردية أعضاء . الأمر الذى رفضه البرزانى حيث كان قد أعلن فى ٢٠ أبريل ١٩٧٤ عن بدء حركة مسلحة جديدة إلى أن ينتصر أحدهما على الآخر .

لقد أخطأ الملا مصطفى الحساب عندما قام بتمرده هذا (الأخير) ، ذلك أنه كان يواجه لأول مرة سلطة عراقية استطاعت أن تحقق قدراً من الاستقرار السياسى ، واستطاعت أن تحقق فى الداخل عدداً من الإنجازات الهامة . كما أنها لم تكن تعانى من أية أزمات مالية ، وإنما كانت الأموال الطائلة تتدفق عليها من عائدات البترول مما هيأ لها فرصة النفس الطويل فى النزاع ، كذلك واجه البرزانى لأول مرة قدراً من الذكاء السياسى حين اعترفت السلطات العراقية بالحقوق المشروعة للقومية الكردية فى إطار عراق موحد ، ثم فقد بعد ذلك التأييد الذى كان يتمتع به من جانب الاتحاد السوفييتى (الذى ساعده سابقا على إقامة جمهورية مهاباد فى إيران أثناء الحرب العالمية الثانية) . ولقد أعطت هذه الظروف جميعها للعراق زمام المبادرة لأول مرة فى صراعها مع الزعيم الكردى . خاصة بعد أن ذاق الأكراد حلاوة السلام مدة أربعة سنوات تمت خلالها انجازات عديدة من أجل تنمية الشمال الكردى .

وقد ازداد الموقف العسكرى سوءاً بالنسبة للأكراد الملتفين حول زعيمهم البرزانى عندما استولى الجيش العراقى على قمة جبل (زوسك) حيث أصبحت مدينة (جلالة) عاصمة البرزانيين ومقر الملا مصطفى تحت إمكانية القصف المباشر للمدفعية العراقية ، كما أصبح من العسير على أنصار الزعيم الكردى أن يعاودوا ـ من فوق هذه القمة ـ قصف مدن الشمال القابعة على السفوح وفى وديان أربيل والموصل ، أو أن يهبطوا من فوقها ليهددوا بغاراتهم المفاجئة حقول البترول فى كركوك . لكن الملا مصطفى كان لا يزال قادراً على أن يخوض حرب عصابات طويلة فى مواجهة الجيش العراقى المنظم الذى يخوض حرباً جبلية تشبه إلى حد كبير حرب الجيش المصرى فى اليمن عام ١٩٦٠ حيث يصعب التمييز بين العدو والصديق فالجميع يرتدون لفافة الرأس الكردية ، وحيث تتحالف الطبيعة الجبلية للمنطقة مع المحاربين من سكانها الذين يعرفون أكثر من غيرهم كل الدروب وكل المسالك . وحيث تبقى إمكانية التسلل قائمة بالليل أو بالنهار لعدد محدود من الأفراد يصلون إلى أطراف المدن للقيام بأعمال تخريب صغيرة وشبه يومية . هدفها إسقاط هيبة الدولة المركزية ، واستنزاف جهود العراق ليظل منهوكاً مرتبكاً .

إلا أن أوساطاً كثيرة فى الحزب الديمقراطى الكردى لم تكن تمنح الملا مصطفى تأييدها فى موقفه الأخير ، فكانت ترى أن الحركة الكردية المسلحة قد انحرفت فى مسار جديد حين ظهر بوضوح اعتماد البرزانى الكامل على قوى سياسية خارجية ، الأمر الذى وضع القضية الكردية تحت رحمة هذه القوى ومصالحها والتى لا ترتبط من قريب أو بعيد بمصالح الشعب الكردى والعربى فى العراق . فضلا عن أن قيادة البرزانى وسطوته الفردية والتى كانت تعتمد على الهيمنة العشائرية وتعطيل الديمقراطية داخل الحزب والتخلص من العناصر الكردية المناوئة له قد أدت إلى قيام الصراع داخل حزبه وخروج العناصر الشابة المثقفة التى كانت تسعى إلى تحقيق وضع أفضل يسوده الاستقرار بالتعاون مع حكومة العراق (فانشق عليه ابنه الأكبر عبيد الله وتبعه انشقاق عزيز عقراوى عضوا المكتب السياسى ، وإسماعيل ملا عزيز وهاشم عقراوى عضوا اللجنة المركزية للحزب) . ومع كل هذا فقد ظلت العشائر الكردية على تأييدها .. للرجل الذى يعدل الحزب بأكمله ، شيخ الطريقة النقشبندية ، والذى حارب أربعين عاما من أجل كردستان . كما ظلت على تأييده أيضا هذه الفئات الانفصالية التى سيطر عليها حلم بناء « كرستان المستقلة » . لقد كان طبيعيا أن يكون الصراع شديدا بين الحزب الذى نشأ فى الأصل من مجموعات من المثقفين الأكراد ترى فى الوفاق القومى بين الأكراد والعرب ضرورة للحفاظ على العراق الموحد ، وبين مجموعات العشائر وشيوخ القبائل . غير أن سطوة الملا مصطفى باتت تطغى على هذه الصراعات ، خصوصا وأنه كان حريصا على أن تظل « البشمرجة » (أى التنظيم المسلح للحركة) تحت قيادته المباشرة بعيداً عن الحزب وتأثيراته . أو على حد تعبيره بعيدا عن « هؤلاء الأفنديات الذين لا يحسنون سوى طحن الكلام » .

وفى نوفمبر عام ١٩٧٤ تواترت أنباء من وراء الحدود العراقية الإيرانية عن مقتل الملا مصطفى البرزانى الزعيم الكردى ، أثر غارة جوية عراقية على كوخه الجبلى على الحدود الإيرانية[1] . ويبدو أنه قد لقى مصرعه فى إحدى مستشفيات إيران إثر اصابته فى الغارة الجوية العراقية . وبذلك اعتبر العراق نفسه قد تخلص من هذه العقبة التى كانت

(١) « الملا البرزانى والمصير الغامض » مكرم محمد أحمد ـ

تحول بين الوفاق العربى الكردى .

وكان الاتفاق الذى تم بين العراق وإيران فى مارس ١٩٧٥ قد ساهم فى وضع نهاية للحركات المسلحة للأكراد ، حيث أصدرت العراق بمقتضى هذا الاتفاق عفوا عن الأكراد الذين يسلمون سلاحهم . ودعت الأكراد الذين غادروا البلاد بسبب الصراع للعودة إلى أرض الوطن . وكذلك فتحت إيران حدودها أمام الأكراد العراقيين الذين يفضلون المعيشة فيها ، وحددت أول ابريل ١٩٧٥ آخر موعد لذلك . وقد اتخذ المكتب السياسى للحزب الديمقراطى الكردستانى قرارا بإنهاء القتال واللجوء إلى إيران . وفى ٢ أبريل ١٩٧٥ احتلت القوات العراقية مدينة (الجلالة) فى شمال العراق بلا مقاومة حيث كان يوجد مركز قيادة الحركة الكردية .. وبدأت فى إعادة بناء الجسور وبقية المرافق ، وإعادة الحياة الطبيعية إلى منطقة السليمانية بمساعدة الأهالى .

كذلك تم توقيع اتفاقية أمنية بين العراقِ وتركيا عام ١٩٨٥ تعطى الحق لكل منهما فى مطاردة الأكراد على عمق ١٠ كم داخل المنطقة الأمنية المشتركة على طول الحدود بينهما بطول ٣١٠ كم[٢] .

وفى حوار مع الدكتور « محمود عثمان » أحد أقطاب الأكراد فى العراق ، يقول الدكتور محمود عثمان عضو الجبهة الكردستانية العراقية[٣] (وهى إحدى فصائل المعارضة العراقية) « إن الشعب الكردى شعب واحد قسمه الاستعمار مثلما قسم الأمة العربية . وبالتأكيد فإن الحدود الطبيعية مصطنعة . ولكن الجبهة الكردستانية العراقية من الناحية التنظيمية والجغرافية والسياسية تقصر نشاطها على كردستان العراق . وهذا لا يعنى أنه لا توجد علاقات بيننا وبين الأكراد فى الدول الأخرى . ونحن نعتقد ان الأمة الكردية كأمة مجزأة لها الحق فى تقرير المصير . ولكن فى نفس الوقت فإن أهدافنا تظل عملية وواقعية وفى الإطار العربى . ونحن نشعر بأن الأمة الكردية قد جزئت دون رغبتها بشكل استعمارى ولابد أن تكون لها حقوق . وللأسف فإن العرب لم يكونوا مؤيدين للحقوق الكردية ، وتركيا تقوم بدعايات ضد المطالب الكردية . وإيران لها مصالح لا تلتقى مع مصالح الأكــراد ، كما أن عندهـا أكــرادا مضطهدين . ونحن نطالب دائما بحل سلمى وسياسى لقضيتنا عن طريق الحوار إن قوى المعارضة فى العراق ضربت ضربا لا مثيل له . والمعارضة الكردية ضربت مرتين لكونها كردية ولكونها معارضة . فالمعارضة الآن أضعف من الماضى بسبب سياسة الإبادة والقمع الوحشى . ولكنها لا تزال موجودة ، وهناك قيادات بالداخل والخارج . كما أن هناك مسلحين بالداخل . إن الشعار الأساسى للمعارضة الكردية هو السعى لإقامة حكم ديمقراطى فى العراق ، وداخل الإطار الديمقراطى نطالب بالحكم الذاتى فى كردستان ومشاركة الحكم المركزى .

إننا كأكراد عراقيين عندنا مشاكل مع (صدام حسين) منذ عشرين عاما . وتعرضنا للقتل والقمع والقصف بالأسلحة الكيماوية وكافة هذه المآسى التى أدت إلى تهجير أكثر من مليونى كردى يعيشون فى معسكرات . ونحن لدينا خبرة كبيرة

= الأهرام فى ١٩٧٤/١٢/١٣

(٢) من مقال « الغزو العراق للكويت فى الإطار الاقليمى » للأستاذ عماد جاد ص ٧٥ مجلة « السياسة الدولية » العدد ١٠٢ أكتوبر ١٩٩٠ .

(٣) الأهرام العدد ٣٧٩١٨ ص٥ فى ١٩٩٠/١٠/١ .

مع هذا النظام ، فهو نظام ديكتاتورى مغامر يقرر فيه شخص واحد كل شىء . وقد قمت مع وفد من الأكراد العراقيين بزيارة فرنسا تلبية لأول دعوة لنا فى العام الماضى . والتقى الوفد بعدد من المسئولين الفرنسيين فى الحكومة الفرنسية لشرح قضيتنا وعرض موقفنا من النظام العراقى الحالى حيث إن قرينة الرئيس الفرنسى ميتران تولى اهتماما كبيرا بقضية الأكراد فى إطار المؤسسة التى ترأسها « فرنسا ــ الحريات » والتى تدافع عن القضايا الإنسانية فى العالم . وكان من نتائج هذه الزيارة أن تمخضت عن اعتراف شبه رسمى بالأكراد . ويعتبر هذا خطوة للأمام . ويسعى الوفد الكردى لزيارة واشنطن وموسكو ولندن وغيرها من العواصم الهامة لشرح القضية الكردية والحصول على التأييد لها وخاصة أن الأنظار مسلطة الآن على العراق . فالشعب الكردى تعرض لأقسى أنواع الاضطهاد ، وأبيد نصفه ودمرت نصف قراه ، ومن حقه أن يقوم بالدعاية لقضيته فى جميع أنحاء العالم . وخلال مؤتمر باريس هذا الذى عقد منذ عام لبحث مشكلة الأكراد والذى تم فى إطار أعمال لجنة حقوق الإنسان وجهت للوفد دعوة من شخصيات من السويد لإقامة المؤتمر القادم فى ٢٠ نوفمبر ١٩٩٠ فى السويد . وقد أعلن عن ذلك قبل غزو العراق للكويت . وقد ازدادت أهميته الآن . ورغم أن المناقشات سوف تتركز على الجانب الإنسانى والثقافى وليس السياسى ــ كما أعلن ــ إلا أن ما سيتمخض عنه هذا المؤتمر سيكون على قدر كبير من الأهمية للقضية الكردية» .

وعن حرب الإبادة التى يتعرض لها أكراد العراق يقول الأستاذ فهمى هويدى(٤) « فيما يتعلق بالأكراد وهم مسلمون من أهل السنة ، فإن تجمعاتهم التى تعيش فى العراق (حوالى أربعة ملايين) تعرضت للقصف الكيماوى والإبادة بالغازات السامة منذ عامين ، مما أدى إلى إبادة خمسين قرية ، ومقتل حوالى سبعة آلاف شخص . وكانت أفظع عمليات الإبادة فى (حَلَبْجَة) التى راح ضحية الغازات السامة فيها حوالى خمسة آلاف شخص . هذه العملية المروعة استنفزت الضمير العالمى بأسره حتى إن زوجة الرئيس الفرنسى ميتران رعت مؤتمرا عقد فى باريس للتضامن مع ذلك الشعب المسلم المنكود . وبينما تعددت التحقيقات المصورة والأفلام التليفزيونية التى سجلت هذه الفظائع التى أحدثها القصف الكيماوى ، فإن الدول العربية وقفت متضامنة مع النظام العراقى . وجامعة الدول العربية أصدرت بيانا أدانت فيه الحملة على العراق . ونشرت صحافتنا تصريحات عراقية وتركية تنفى أن الأكراد تعرضوا للغازات السامة .

لم يلق ذلك الانتهاك المروع لحقوق الإنسان ــ دعك من أنهم مسلمون ــ أية إدانة أو تحفظ من أية دولة عربية . وكان ذلك خطأ فادحا أحدث جرحا عميقا لايزال ينزف فى أوساط إخواننا الأكراد . وفى الوقت ذاته فإنه كان نوعا من غض الطرف أعطى انطباعا لدى القيادة العراقية بأن لديها ضوءا أخضر لتفعل أى شىء وتهدد أى شىء » .

(٤) « مصارحة واجبة » ــ فهمى هويدى ــ الأهرام العدد ٣٧٨٧٠ فى ٩٠/٨/١٤ ص ٧ (عندما أبيد الأكراد).

« التابوهات » والمحرمات وما ينفع الناس

للأستاذ محمد محمد عتريس إبراهيم(*)

علت أصوات تزعم أن حرية الفكر والإبداع فى الوطن العربى تخنقها فى أيامنا هذه « تابوهات » اجتماعية و « ميثولوجية » ، ويستطرد واحد من هذه الأصوات ، قائلا فى يناير ١٩٩٣ : إن مؤسسات « قرن أوسطية » تسير على نهج محاكم التفتيش ، تلوح باتهمات الهرطقة والزندقة أمام أى « إرهاصات للتنوير وتحرير العقل » . وضرب لنا مثلا ـــ ونسى أنه ممزق كل مُمَزَّق من كثرة ماضُرب ـــ قال إن هذه المؤسسات صادرت واحدا من كتب نجيب محفوظ ، يشير بذلك إلى تقرير الأزهر الشريف لروايته « أولاد حارتنا » .

ونحن لانحب أن نُهَرّف بما لانعرف ، ونكره كراهة تحريم أن يكون لنا حُكْمُ عَامّ مثل هذا الحكم العام الخطير الذى أصدره هذا الكاتب ، وهو حُكْمَ يتصادم تصادما شديدا مع واقعنا المُعاش فى أرض الكنانة ـــ على الأقل ـــ حيث نعيش حرية فكر وتعبير لا تخطئهما العين المبصرة ، ولا شأن لنا ببصر خاسىء حسير عليه غشاوة . لقد أخذ ولى الأمر على نفسه عهدا ، يوم بدأت ولايته ، بألا يكبت رأى أو يقيد فكر .. وما برح حسنى مبارك حفيظا على العهد ، مقيما على الوفاء به .

والقارىء لابد قد استوقفته كلمة « تابوهات » **Taboo** متسائلا عن معناها ، فهى ليست عربية وإن اتخذت شكل الجمع بألف وتاء مزيدتين حسب قواعد النحو العربى فى جمع المؤنث السالم ، وإن كانت الكلمة لاتدل على مؤنث حقيقى .

وهى تعنى بالعربية : حظر قول أو فعل أشياء معينة خوفا مِنْ عقاب قوة غيبية قاهرة ، أى « الحرام » . وتعنى أيضا قول أوفعل هذه الأشياء ، أى « المحرمات » .

دخلت هذه الكلمة اللغة الإنجليزية عام ١٧٧٧ نقلا عن إحدى اللغات (البولنيجية) التى يتحدث بها السكان الأصليون فى (جزيرة تونجا) الواقعة فى المحيط الهادى شرقى (جزر فيجى) والمحرمات أو المحظورات التى تعنيها هذه الكلمة هى السمة المميزة للنظام الدينى البدائى هناك .

فكلمة « تابوهات » مرتبطة بالديانات البدائية ؛ وهنا تثور الشبهات وتتداعى الاتهامات : لماذا عمد الكاتب إلى هذه الكلمة الأجنبية بكل ماتتضمنه من خلفيات وظلال وإيحاءات وإسقاطات ؟

وهل وراء استخدامها بدلا من لفظ « الحرام »

* الكاتب : وكيل وزارة بمجلس الشعب

العربى المبين ، قصد خبيء هو الزراية بالدين على أساس أنه شيء بدائى ؟ .

وهل يرجح هذا الاحتمال وصف الكاتب لهذه التابوهــات بأنها «ميثولوجيــة» نسبــة إلى «ميثولوجى» ، وهــذه ليست عربيــة هى الأخرى ، وإنما إنجليزية منحدرة من أرومة إغريقية وتعنى : مجموعة الخرافات التى تتحدث عن الأرباب وأنصاف الآلهة والأبطال الخرافيين فى عالم ماوراء الطبيعة .

إن الديانات التى نعتنقها فى الوطن العربى ليست بدائية .. وإنما هى ديانات سماوية الأصل جاءت من عند الله الواحد الأحد على ألسنة رسله . بدأت بآدم عليه السلام واكتملت بخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام . والحرام أو المحرمات محور تدور حوله حياة المؤمنين وأعمالهم كلها تحكمها وتضبطها معايير الحلال والحرام : ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ ٢٩ ـــ الأعراف ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ٣٣ ـــ الأعراف .

وكثير من الحرام يتمثل فى إشباع شهوات النفس ونزعاتها الشريرة على حساب الغير . والنفس البشرية ـــ فى غيبة المراقبة والمحاسبة ـــ تغلو فى فجورها ، وإنما يكبح جماحها خشية اليوم الآخر حيث الحساب والعقاب ، ومن ثم يتأتى التحرج والخوف من فعل الحرام ، وهكذا عرف بنو البشر تجربة النفس اللوامة : تلوم نفسها وتندم على الشر لِمَ فعلته ؟ وعرف المؤمنون تأنيب الضمير الذى قد يعنف حتى ليقض المضجع : كيف ينام على الحرام ؟ ولقد كانت إزاحة الحرام من طريق الشهوات ، وتحرير النفس من الخوف من قول الحرام وفعله أمراً براقا شديد الإغراء انتضته الشيوعية لتمسح أثره من نفوس المواطنين ، فيتأتى لها استخدام رجالها فى ارتكاب أفظع الآثام دون أن يتسرب إلى ضمائرهم شعور بالندم وإلى ذلك أشارت صحيفة «فينا نشال تايمز» اللندنية وبذلك تسلك مواطنيها دون أن يدروا ، (تُرُوساً) عديمة الاعتبار فى سلسلة عبادة المادة وأوثانها .

والخوف من الحرام ضرورة جوهرية بدونه لا تستقيم حياة البشر ، وإلا ارتكس المجتمع الإنسانى داخل غابة ، وفى عرف الغابة أن القوة هى الحق ، ويتسابق الأقوياء إلى الظفر بكل متع الحياة ، ويدوسون الضعفاء غير مبالين ، لأنهم يحسبون أنهم سيفلتون بما حققوا .

لقد عز على الناس أن يجتمعوا على أمر ؛ لكنى أخا لك ، أيها القارىء ، ترى أن الناس ـــ إذا مادعوا إلى الاستفتاء ـــ فسوف يجمعون على القول فى نفس واحد : نعم ! لقد أصبحنا نعيش فى غابة . أما غدونا يلقى بعضنا بعضا فيتدره شاكيا ملتاعا : ما بالنا نركض جميعا ركض الوحوش فى البرية !

ولنتذاكر ، وقبل أن نمضى ، أمرا بالغ الأهمية : الله ، جل وعلا ، لاتنفعه عبادة عابد ولاتضره معصية عاص . وإنما أحل لنا ما أحل وحرم علينا ما حرم لمصلحتنا نحن فى هذه الحياة الدنيا .

إن الدين ضرورة حياة ؛ والذى يُكَذِّبُ بالدين هو الذى يعيش حياة لا أخلاقية فيهين اليتيم ويؤذيه ، ولا يحض على طعام المسكين والذين يكذبون بالدين هم الساهون عن صلاتهم : يؤدون حركاتها وينطقون بأدعيتها من غير أن تستحضر قلوبهم وأرواحهم حقيقة ما فيها من قراءات وتسبيحات ، ومن ثم لاتنشىء الصلاة آثارها فى نفوسهم ، فهم يمنعون العون والخير والبر عن إخوانهم فى البشرية ـــ قال تعالى :

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾ سورة الماعون .

فحقية التصديق بالدين هى تحول فى القلب يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه فى البشرية المحتاجين إلى الرعاية والحماية .

وهل كنا فى يوم أشد احتياجا إلى التراحم من يومنا هذا ؟

والله سبحانه شدد على إقامة الصلاة إلى أن جعلها الحد الفارق بين المؤمن والمكذب . وإقامتها تعنى أداءها كاملة الأركان ، وفى مواقيتها الخمسة المحددة كى يقف العبد بين يدى ربه خمس مرات كل يوم ، فلا ينفك يذكر ربه ويذكر اليوم الآخر ؛ فلا يظلم إخوانه ولا يبطش بهم مخافة اليوم الآخر ، ويتشدد فى الحق الذى عليه ويتسامح فى الحق الذى له خشية اليوم الآخر ، ويعفو عمن أساء إليه رغم قدرته على رد الإساءة ليكون ذلك ذخراً له يوم القيامة : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ١٣٣ و ١٣٤ آل عمران .

والله ــ سبحانه ــ أحل لنا الطيبات ، وحرم علينا الخبائث ، وأوصانا رسوله الكريم بالغض عن الحرام ، فقال ــ عليه الصلاة والسلام :

« يا علىّ ، لاتتبع النظرة النظرة ، فإنما لك الأولى ، وليست لك الثانية »(١)

وفى الكتاب العزيز :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ النور ٣٠

فى منتصف الثمانينيات كانت البشرية قد حل بها الهلع والفزع ــ ولاتزال فزعة مذعورة ــ بعدما استمر (فيروس أيدز) قتلا فى الأرواح . وأثبتت الأبحاث أن مواقعة المثيل (الشذوذ الجنسى) سببه الأول ، وأن الممارسة الجنسية غير الشرعية (الزنا) سببه الثانى . وراحت مجلة « تايم » الأمريكية الشهيرة إلى الشواذ فى ناديهم حيث يأتون المنكر ، ونقلت وصفا بشعا لناديهم وأدواتهم . وسأل الصحفى أحدهم عن الموت المحدق به فأجاب فى يأس المنتحر : إن اللذه الملتاثة المجنونة تساوى عمره . ومن يومها مازايلنا الإحساس بالغثيان والتقيؤ كلما جاء للشواذ ذكر .

﴿ إنما حرم ربى الفواحش ﴾ .

لقد علم الله أن المواقعة الشاذة والمواقعة المحرمة يكشفها خطر الموت فحرمها علينا . وشدد التنزيل العزيز على الطهر ، وعلى الربط بين ممارسة الجنس وبين إنجاب الأبناء .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ ٢٢٢ و ٢٢٣ البقرة . جعل

(١) رواه أبو داود الترمذى وأحمد الحاكم والبيهقى ، واللفظ لأبى داود . رضى الله عنهم .

الإتيان مقصورا على مكان الحرث ؛ واستخدام الحرث ، وهو قذف الحب فى الأرض للازراع ، على سبيل المجاز ؛ لأن الزوجة موضع إنتاج الأبناء ، كما أن الحرث وسيلة الاستنبات .

وحقيق علينا ألا نطمئن أو نركن إلى أولئك الذين يغرهم الحديث عن تجربتهم ويغفلون تجارب الآخرين . من ذا يملك أن يضرب صفحا عن تجربة أولئك التائبين والتائبات الذين هجروا الأضواء بأموالها وشهرتها ونجوميتها إلى الله ليصلح بالهم ، إذ لم يجدوا عند غيره طمأنينة نفس أو سعادة روح . هؤلاء الذين سار الركبان بأحاديث ماوقع منهم ولهم من كرامات هزت الوجدانات هزا ، وفجرت فى المآقى دموع الفرحة بهم ولهم .

ألا تستلفت تجربتهم ذوى النظر إلى الحقيقة الحاسمة:

أنت بالروح لا بالجسم إنسان

ألم تكن الجبال والطير تسبح مع داود — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وفى الكتاب العزيز : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ وما أكثر الأنبياء والأولياء والصالحين الذين شهدوا هذه المشاهد وعايشوها .

أما عن قيام الأزهر بمصادرة كتاب ما ، فتلك مسئولية الأزهر وذلك شأنه . ذلك أن الدولة مسئولة عن حماية الشعائر الدينية وصيانة مقدسات الأمة ، فلا يعبث عابث بالمشاعر الدينية لأبناء الأمة مثيراً الفتن والقلائل بين الصفوف ، ومحدثا الفرقة والخلف . والأزهر هو الجهة المسئولة عن كشف المطبوعات التى تتضمن مساسا بعقيدة الأمة ودينها[٢] . وينص الدستور فى مادته الثانية : « الإسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، ومبادىء الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع » . ولوقصر الأزهر فى هذه التكاليف فإنه محاسب على تقصيره ، والوزير المسئول عن الأزهر أمام مجلس الشعب هو رئيس مجس الوزراء . ولا يُتصور عقلا أن يعترض معترض على أداء أجهزة الدولة لوظائفها المنوطة بها بحكم الدستور والقانون . فمثل هذا الاعتراض إنما هو خروج على النظام العام يستوجب المساءلة .

أما الفتوى فشأن الأزهر واختصاصه الأصيل . ذلك أن تقرير ماهو حلال وماهو حرام فى ديننا الإسلامى ليس بالأمر الهين ، حيث عالج الإسلام أمور العبادات والمعاملات كلها ، وكل منها يعج بأبواب وتفاصيل هى من الكثرة والضخامة بحيث يعز على الإنسان التفقه فى واحد منها إلا إذا وقف نفسه على تحصيله واستيعابه ، وكان لزاما ان تتوافر فيمن يتصدى للفتيا شروطها المقررة ومع تملك أدواته كلها يظل المفتى الحق يستشعر التحرج كلما طلب منه فتوى لعظم التبعة .

هذا أويتصدى للفتوى من ليس من أهلها ..؟

كذلك فإن التصدى للفتوى ليس حقا لأولئك الذين افتتنوا بالعقل وبالعلم ، وراحوا ينظرون إلى الأمور من زاوية واحدة ، وزاد من تجافيهم عن الحقيقة انبهارهم بمنجزات الحضارة المادية ، فأورثتهم بأضوائها دهشة أعشت أبصارهم ، فلا تتبينون الزبد مما ينفع الناس .

---

(٢) أعلن فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر إنما يبحث الكتب التى يطلب رأيه فيها .. مجلة الأزهر .

الفتوى

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد الأستاذ عبدالمنعم فوده

السؤال من ن.م :

أعطى رجلٌ مال زكاته لشخص يثق به على أن يوزع من هذا المال على شخصين ، وخصص نصيب كل منهما ، وتبقى مال كثير يوزعه هو بمعرفته . فما كان من هذا الرجل إلا أنه أوفى الشخصين ما خصص لهما ، والباقى وزعه على عدد من المحتاجين وكان هو فى حاجة إلى بعض منه ، فأخذ منه ما يكفيه ، فما حكم ما أخذه من المال المتبقى ؟ هل يكون من قبيل العاملين عليها ؟

الجـواب :

إذا كان هذا الشخص ممن يستحق الزكاة فله أن يأخذ من المال قدر حاجته دون زيادة ، ولا يصح أن يكون من قبيل العاملين عليها .

السؤال من أ.م. :

أنا زوجة لرجل خائن ، وأعلم ذلك جيداً وكل يوم لا يحضر إلا الفجر وعلاقاته النسائية لا تنتهى أنا أدعو له كل اليوم بالهداية ، وفى الوقت نفسه أنا بشر فأقول « حسبى الله ونعم الوكيل فيك » فهل هذا حرام ؟

الجـواب :

دعوة الزوجة لزوجها بالهداية بصدق دعوة مقبولة إن شاء الله ، وأما قول صاحبة السؤال حسبى الله ونعم الوكيل لا شىء فيه .

السؤال من ج.ص.ع :

ما حكم الصور الآتية :
ـ صور فوتوغرافية لأفراد العائلة أو لرئيس أو لعزيز تعلق عادة فى غرفات المنازل .
ـ صور لنساء جميلات كاللاتى تكون بغلاف المجلات يعلقها البعض فى بيوتهم .
ـ صور فوتوغرافية لجواز سفر أو لأعمال رسمية .

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

... وبعد

ورد فى شأن التصوير أحاديث كثيرة منها ما رواه البخارى عن زيد بن خالد عن أبى طلحة قال إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة إلا رقماً فى ثوب» قال الخطابى إن تصوير الأشكال ـ وهى الصورة التى لا ظل لها ـ ليس داخلًا فى الوعيد لأن النبى ﷺ لما أخبر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة استثنى «إلا رقماً فى ثوب» فهذا الاستثناء يبيح اتخاذ ما رقمت فيه الصورة ، وهذا إشارة إلى جواز صنعها .. والصور الفوتوغرافية ، أو التصوير الضوئى يأخذ حكم الصورة المرقومة فى الثوب ، والتى استثنيت فى حديث البخارى السالف ذكره ، قال فى فتح البارى : قال ابن العربى : حاصل ما فى اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام حرِّم بالإجماع، وإن كانت رقماً فأربعة أقوال .

الأول : يجوز مطلقاً بناءً على قوله «إلا رقماً فى ثوب» .

الثانى : المنع مطلقاً حتى الرقم الثالث إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم ، وإن قطعت الرأس أو تفرقت الأجزاء جاز قال وهذا هو الأصح .

الرابع : إن كان مما يمتهن جاز وإن كان معلقاً لم يجز .. ا.هـ.

والمختار للفتوى إنه لا بأس بالتصوير الضوئى والرسم للإنسان منفردا أو فى جماعة متى كان لأغراض علمية مفيدة للناس إذا خلت الصور والرسوم من مظاهر التعظيم ، ومظنة التكريم والعبادة ، وخلت كذلك من دوافع تحريك غريزة الجنس ، وإشاعة الفحشاء والتحريض على ارتكاب المحرمات .. وعليه فلا بأس من صنع صور فوتوغرافية لجواز سفر أو لأعمال رسمية أو لأفراد العائلة أو لرئيس أو لعزيز متى خلت من مظاهر التعظيم ، وبعدت عما يشين ، وتحققت بذلك منفعة عامة أو خاصة ، وبذلك يكون الرسم والتصوير الضوئى حكمة حكم تصوير النبات والأشجار ومناظر الطبيعة .. أمّا صور النساء الجميلات التى تكون بغلاف المجلات ويعلقها البعض فى بيوتهم فإنها من المحرم لما يترتب عليها من تحريك الغرائز ، وتحريض الشباب على ارتكاب المحرمات .. ومما سبق يعلم الجواب عن السؤال إذا كان الحال كما ذكر والله أعلم .

السؤال من ع.د.ش :

تماثيل مختلفة الأحجام ، البعض كامل ، والبعض نصف ، أو به كسور ، والكامل إما فى حجم الإنسان ، أو مصغرة جداً .

نرجو تفصيل الحلال والحرام بشأنها .

الجـواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

.... وبعد

أولًا : ذمّ رسول الله ـ ﷺ ـ الصور وصنع التماثيل فى أحاديث كثيرة لعلتين هامتين أولاهما المضاهاة والتشبيه بخلق الله وثانيتهما تعظيمها وعبادتها من دون الله .. ولذلك جاهد كل نبى ورسول عبادة الأوثان ، واتخاذها آلهة تعبد من دون الله ، أو تقرباً إليه ، قال تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر ٣] .

ثانياً : التماثيل المصورة لما لا روح فيه كالشجر والنبات ، أو لما فيه روح كالإنسان والحيوان ، إذا صُورت واتخذت لتكون مضاهاة بخلق الله ، أو معظمة للعبادة ، أو كان لها احترام دينى أو اعتقاد أن فيها سراً إلهياً يتعرف بواسطته وراء الأسباب ، فإن تصويرها واتخاذها معصية ، وحرمتها ظاهرة ، وقوفاً مع الأحاديث الواردة فى الوعيد أو النهى المطلق غير مصحوبة بقيد ، ومن هذه الأحاديث ما رواه البخارى عن أبى ذرعة قال دخلت مع أبى هريرة داراً بالمدينة فرأى أعلاها مصوِّراً يصور قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى . فليخلقوا حبة ، وليخلقوا ذرّة .. وما رواه البخارى ومسلم عن مسروق قال دخلنا مع عبدالله بيتاً فيه تماثيل فقال لتمثال منها تمثال من هذا ؟ فقالوا تمثال مريم قال عبدالله قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إن أشد الناس عذاباً القيامة المصورون» وفى رواية «الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم (أحيوا ما خلقتم) فهذه النصوص صريحة فى أن صنع التماثيل معصية وإنما كان ذلك سداً لذريعة عبادة التماثيل ، واتخاذها وسيلة للتقرب إلى الله كما سبق فى البند أولا ..

ثالثاً : رخص بعض أهل العلم من المالكية وغيرهم فى صنع لعب البنات ، لانتفاء علة المنع ، ولما ورد من الرخصة فى اللعب بها فقد أخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ـ ﷺ ـ وكان لى صواحب يلعبن معى .

وأجاز بعضهم كأصبغ بن الفرج المالكى صنع الصور مما لايبقى طويلًا كالعجين والحلوى ، لأن صورة ما يعظم ويعبد من دون الله ليس من شأنها أن تصنع مما يسرع فناؤه ..

ورأى آخرون كالخطابى أن تصوير الاشكال ـ وهى الصورة التى لا ظل لها ـ ليس داخلًا فى الوعيد ، لأن النبى ـ ﷺ ـ لما أخبر أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة قال .. «إلا رقماً فى ثوب» فهذا الاستثناء يبيح اتخاذ ما رقمت فيه الصورة ، وفيه إشارة إلى جواز صنعها ..

وفقهاء الحنفية والمالكية والحنابلة يمنعون تصوير الصورة المجسمة إذا كانت قائمة الشكل باقية الهيئة متصلة الأجزاء أما إذا نقصت الصورة المجسمة عضواً ظاهراً تفقد بفقده الحياة كالرأس والبطن فلا تمنع لقوله صلى الله عليه وسلم فى وعيد المصورين : «ويقال لهم أحيوا ما خلقتم» ومقتضاه أن تكون الصورة تامة الأعضاء التى لا حياة لها إلا بها ، ولا ينقصها إلا نفخ الروح الذى به الإحياء .

والخلاصة :

أنه يحرم تصوير كل ما فيه روح ولا يستثنى منه إلا ما سبق أن رخص فيه الفقهاء وأجازوه كما يحرم تصوير كل ما يخشى من تصويره أن يؤدى إلى عبادته وإن لم يكن ذا روح وعليه فتصوير ما لا روح فيه كالشجر والحائط واتخاذ صورته لا حرمة فيها مادام لا يؤدى ذلك إلى مفسدة المضاهاة أو العبادة .

رابعاً : اتخاذ الصور ونصبها : للفقهاء فى ذلك أقوال فالجمهور يمنع نصبها كالأصنام ، وبعضهم يمنع ما تكون الصورة فيه متصلة الهيئة تامة الشكل ، وذهب الشافعية والحنفية والحنابلة إلى منع اتخاذها إن كانت معلقة أو مرفوعة وإن حل صنعها ، لا إن كانت مفروشة أو ممتهنة بالاستعمال وإن حرم صنعها ، وقال المالكية : ما كان غير ممتهن فهو مكروه الاتخاذ وما كان ممتهناً فتركه أولى ، ولما كان الشرع الشريف إنما قصد بالنهى عن التصوير (نحتاً أو غيره) درء مفسدة التشبه بالخالق أو التوسل إلى عبادة غيره فإن من المعلومْ أن ما أباح العلماء تصويره ورخصوا فيه بالصنع أو الاتخاذ إنما يباح إن لم توجد مفسدة كالصور المخلة بالآداب أو المثيرة لشهوات الجنس ، فإن وجد الخلل حظر التصوير حتى ولو كان مما رخص فيه وأبيح .

والإسلام يسر ، ورعايته لمصالح المجتمع لا تأبى التصوير للمقاصد العلمية الصحيحة كتعليم الطب والجراحة ، وصون أمن الدول ، ولا تأبى كذلك الحفاظ على الآثار القديمة التى تسجل تاريخاً وتقدماً حضارياً للأمم سواء منها ما كان تماثيل أو نقوشاً أو رسوماً تحفظ فى المتاحف لضرورة الدراسة والتعليم ، وذلك تخريج على جواز لعب البنات وغيرها مما أجازه العلماء .

خامساً : تخريجاً على ما سبق بيانه فإن التماثيل المسئول عنها ما كان منها نصفاً أو به كسور فاتخاذه مكروه ، لأنها بحالة لا تعبد ، وما كان منها كاملًا فى حجم الإنسان أو صغيراً جداً فإنه يحرم صنعها ونصبها على وجه يفيد تعظيمها ، ومن كان يتكسب بصنع تماثيل للإنسان أو الحيوان فعليه أن يترك ذلك لحرمته ويصنع تمثال الأشجار والنباتات وغيرها من المناظر مما يسهل له عيشه إلى أن يسلك طريقاً آخر للتكسب دون شبهة ، وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نهى مصوراً عن التصوير فقال : كيف أصنع وهو كسبى ؟ قال ابن عباس : إن لم يكن بد فعليك بتمثال الأشجار .. ومما سبق علم الجواب عن السؤال إذا كان الحال كما ذكر والله أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾

لقد خصَّ الله سيدنا على بن أبى طالب – رضى الله عنه – بثلاثة أشياء :

تزوج السيدة فاطمة – رضى الله عنها– وهى سيدة نساء أهل الجنة .

ورزق الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة .

وصاهر رسول الله . ﷺ . . وهو سيد الأولين والآخرين .

« الزهد الحق »

رأت أم المؤمنين السيدة عائشة – رضى الله عنها – رجلًا محمولًا على الأكتاف يطاف به حول الكعبة .

فقالت : من هذا ؟

قالوا : هذا رجل فطر قلبه الخَوف من الله .

فقالت : إن الزهد صبر وعزم ، وجلادة لا يضعف المؤمن بل يزيده قوة على قوة . لقد كان عمر بن الخطاب : أخوفنا من الله ، وكان إذا مشى أسرع ، وإذا نطق أسمع ، وإذا ضرب فى الله أوجع .

حتى لا ينكرنا أهل السماء

عندما تسلم سيدنا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – من حاكم مدينة القدس مفاتيحها ، خرَّ ساجداً لله وقضى ليلته يبكى ما جفت دموعه . وعندما سئل عن سبب بكائه ، قال : أبكى لأننى أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فينكر بعضكم بعضاً ، وينكركم أهل السماء عند ذلك .

إجابات تنضح بالحكمة والموعظة

□ قال عمر بن عبدالعزيز – رضى الله عنه – لزياد بن أبى زياد : يا زياد إنى أخاف الله مما دخلت فيه !

قال : لست أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك ألا تخاف .

□ قيل لرابعة العدوية : لو كلمت عشيرتك فاشتروا لك خادماً يكفيك مؤونة بيتك !!

قالت : والله إنى لأستحى أن أسأل الدنيا ممن يملك الدنيا ، فكيف أسألها ممن لا يملكها .

☐ قال سيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ لعامر بن عبدالقيس ، ورآه ظاهر الأعرابية :

يا أعرابى أين ربك ؟

فقال : بالمرصاد .

☐ وقيل لأبى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟

قال : إن كان يحسن به أن يعيش ، فإنه يحسن به أن يتعلم .

« حقاً »

قال أبو منصور الثعالبى فى كتابه « فقه اللغة » من أحب الله ـ تعالى ـ أحب رسوله محمداً ـ ﷺ ـ ومن أحب الرسول العربى ، أحب العرب .

ومن أحب العرب.. أحب العربية .

ومن أحب العربية عُنِىَ بها وثابر عليها . وصرف همته إليها .

ومن هداه الله للإسلام ، وشرح صدره للإيمان وأتاه حسن سريرته فيه ، إعتقد أن محمداً ـ ﷺ ـ خير الرسل ، والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة .

إذ هى أداة العلم ، ومفتاح التفقه فى الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد .

أم الدرداء

كانت الصحابية الجليلة « أم الدرداء »ـ رضى الله عنهاـ تُدرِّس العلم فى المسجدالأموى بدمشق ، لنساء عصرها ، ولما بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ـ رحمه الله تعالى ـ قال : سأذهب اليوم لأسمع العلم من « أم الدرداء » ، فصنع له ساترا بينه وبين النساء ، وأخذ يذهب متخفيا ، ويجلس من وراء الستار ليسمع : التفسير والفقه والحديث من « أم الدرداء » ـ رضى الله عنها .

وفى هذا أيضاً

دخلت امرأة على جماعة تعزيهم فى بيت لهم ، فرأت فى الدار مريضاً .

فقالت : أنا يشق علىَّ المشى ، أحسن الله عزاءكم فى هذا أيضاً .

هناك من هو أعلم منى

لقد عذب الإمام أبو حنيفة ـ رضى الله عنه ـ العذاب الأليم كى يتولى القضاء للخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، قال له أبو جعفر : تولَّ القضاء يا أبا حنيفة .

فقال له أبو حنيفة ـ رضى الله عنه ـ لست لها فقال له المنصور : ليس عندنا من هو أعلم منك !!

فقال له أبو حنيفةـ رضى الله عنه ـ بل هناك من هو أعلم منى .

فقال له المنصور : أنت كذاب . فقال له أبو حنيفة ـ رضى الله عنه ـ إذا كنت كذابا فكيف ترضى أن يتولى القضاء كذاب .

« دعاء »

يا لطيفاً بخلقه ، يا عليماً بخلقه ، يا خبيراً بخلقه ، ألطف بنا يا لطيف يا عليم يا خبير .

الشعر والشعراء

إشرف الأستاذ/ رشـــاد يوسف

على نهج البردة

للسيدة عائشة التيمورية

أعن وميضٍ سَرى فى حِندس الظُّلَمِ ... أم نسمة هاجت الأشواق من « إضَـمِ »
فجددت لى عهداً بالغرام مضى ... وشاقنى نحو أحبابى « بذى سَلَمِ »
دعا فؤادى من بعد السلوِّ إلى ... ما كنت أعهد فى قلبى من القدم
وهاجنى لحبيب عِشقُ منظره ... يمحو ويثبت ما يهواه من عدمى
يمحو سلوِّى كما يمحو إساءته ... حبى له ، فعذابى فيه كالنِّعَم
رام الوشاة سلوى عن محبته ... ولم أُوَفِّ لهم عذلا ولم أُرُم
كيف استتار الجوى يامن . تملكنى ... وشاهد العشق فى العشاق. كالعلم
فياله معرضا عنى ومعترضا ... بين الفراغ وقلبى وهو متَّهمى
حسبى من الحب ما أُفْضَى إلى تلفى ... وما لقيت من الآلام والسقم
إنى رددت عنائى عن غوايته ... وقلت : يا نفس خلى باعث الندم
ولذت بالمصطفى رب الشفاعة إذ ... يدعو المنادى فتحيا الناس من رجم
طه الذى قد كسا إشراقُ بعثته ... وجْهَ الوجود سناءَ الرشد والكرم
طه الذى كللت أنوارُ سنته ... تيجان أمته فضلا على الأمم
نعم الحبيب الذى منَّ الرقيب به ... وهو القريب لراجى المجد والنعم
روحى الفداءُ ومن لى أن أكون له ... هذا الفداء وموجودى كمنعدم
وما هى الروح حتى أفتديه بها ... وهى البغاث بغار الظلم والظلم
والعمر أفنت ثقالُ الوزر لمحته ... وبددته صروف الدهر بالتهم
أين الرشاد الذى أعددته لغد ... غَوِيتُ عنه فزلَّت فى الهوى قدمى
من لى بترب رحاب لو أفوز بها ... كحلت عينا أفاضت دمعها بدم

من لى بأطلال بان عزَّ منظرهــا تسقى بطَلٍّ من الآماق منسجم
تحط أثقــال وزر لا تقـــوم بها شمُّ الـــرواسى من راسٍ ومنهدمْ
فكــم بنبــع زلال فاض من يده أروى الأوام ، وأسقى منه كل ظمى
والجذع أنَّ له من بعده جزعــاً لما نأى عنه مولى العرب والعجم
لانت له الصخرة الصماء طائعة مُذْ مَسَّها سيِّدُ الكونين بالقدم
فيــالها معجـــزات مالها عدد أقلهــا مابـــدا نارا على علـــم
ولا يحيط به مدحى ولو جعلت جوارحى ألسنا ينطقن بالحكــم
وإنما أرتجى من مدحــــه قبسا يهدى الصراط ويشفى الروح من ألم
وكيف لى باتعاظ النفس آمرتى بالسوء ، ناهيتى عن مورد النعم
فمــا التماسى من خيــرٍ يقربنـــى زلفى النعيم ولا نسقى بمنتظــم
لكنَّ لى أسوةً أشفى بها وَصَبِى حُسْنَ ارتباطى بحبل غيرَ منفصم
ومنّــةُ الله دِيــنٌ وصفــه قِيَـــمٌ بحجتى إن أخَفْ يوم اللقا يَقُم
وما سِـوَى فوزٍ كونى بعضَ أمته ذخرا أفوز به من زَلَّة الــوصم
إلا التماسى عفــوا بالشفاعـــة لى من خاتم الرسل خير الخلق كلهم
مددت كفَّ الرجا أرجو مراحمه وقــد حَلَـــلْتُ به فى بهرة الحرم
محمد المصطفى مشكاة رحمتنــا مصبــاح حجتنـــا فى بعثــة الأمم
يامن به أفتدى يوم الزحــام إذا أبديت ناصية مفحومة الـــوسم
أقول ـ حين أوافى الحشر فى خجل : إنَّ الكبائر أنست ذكرة اللمـــم
يا خير من أرتجى إن لم تكن مَدَدِى وازلتى يوم وضع القسط ، واندمى
فاشفع بحب الذى أنت الحبيب له لولاك ما أبرز الدنيا من العدم
عليك أزكى صلاة الله ما افتتحت أدوارُ دهــرٍ ومــا ولَّتْ بمختـتم

الشاعرة : فرع من الدوحة التيمورية الوارفة الظلال التى أثرت المكتبة العربية والإسلامية بالعشرات ؛ بل المئات من الكتب فى العلم والمعرفة والأدب والشعر والتاريخ ، وهى عائشة عصمت تيمور بنت إسماعيل باشا تيمور ، والشقيقة الصغرى للعلامة أحمد تيمور باشا . ولدت فى ١٢٥٦هـ الموافق ١٨٤٠م وتوفيت إلىٰ رحمة الله ـ تعالى ـ فى سنة١٩٠٢م .

عصامية نابغة أحضر لها والدها من علمها القرآن والخط والصرف والنحو . صدر لها باللغة العربية ديوان « حلية الطراز » وديوان باللغة التركية وآخر بالفارسية ، تمسكت بالتقاليد الإسلامية وكانت تباهى بذلك .

وقد أوصى العلامة أحمد تيمور باشا بأن تكتب هذه القصيدة فى نهاية كتابه عن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

الأزهر ومواكب الإفك

للشاعر رشاد يوسف

يا شامخَ السهامِ والكرامهْ ... يا صاحبَ الرأى والإمَامَهْ
يا أزهرَ الخيرِ سَوف تبقى ... مُوطَّدَ الجاهِ والزعامَهْ
تسمو بأجوائِك المَعَالِى ... تَطِيبُ فى صَحْنِكَ الإقَامَهْ
تبقَى على الدهرِ فى أمانِ ... تَبْقَى لركنِ الهُدَى دعَامَهْ

—

يا حارسَ الدينِ قَدْ توالتْ ... مواكبُ الإفْكِ والجَهَامَهْ
«مُسَيْلِمٌ» عَادَ فى اليمامَهْ ... يَبُثُّ بين الوَرَى ظَلَامَهْ
وفرطتْ (هندُ) فى حماها ... وقَرَّبَتْ مَرْبِطَ النَعَامَهْ
وَرِدَّةٌ جَاوَزتْ مَدَاهَا ... وَمَا تَصدَّى لَهَا «أُسَامَهْ»
وَجِدَّةٌ لا تَعِى خُطَاهَا ... تُقِيمُ من طَيْشِهَا قِيَامَهْ
قد أفْزَعَتْ فى الحمى حَمَامَهْ ... وأقلقتْ فى الدجى نِيَامَهْ
حادتْ عن العَقْلِ لا تُبَالِى ... قَوَاعِدَ العَقْلِ أو صِمَامَهْ
وألفُ مُفْتٍ بلا دَلِيلٍ ... «وَمَالِكٌ» يَطْلُبُ السَلَامَهْ

(*) بمناسبة الضراوة الشرسة التى انطلقت من (رَبْع) يعرف حق المعرفة ما يفعله الأزهر ، بل أكثر من ذلك يعلم ـ رسميا ـ كل دقيقة وعظيمة من واجبه ، ثم آثر الصمت المريب إزاء التساؤل عن أعمال الأزهر . نقدم هذه القصيدة لعلها تثير فى نفوس لواعج الإنصاف ... مجلة الأزهر .

وألـــفُ قاضٍ وألـــفُ ألـــفٍ وَمَــا عَلَــى المدَّعِــى مَلَامَــــهْ
رضِيعُنَــا قد قَضَــى فِطَامَــهْ ومــا انحنتْ للرَّضِيــع هَامَـــهْ
ونحنُ فى الكـــون لَا نُبَالِـــى حَلاَلَــــه كَانَ أمْ حَرَامَــــهْ
وشَأْنُنَــا فِى الــوَرَى يَتَامَـــى قَدْ أسْلَمُــوا أمْرَهُــمْ لِئَامَــــهْ
وقُدْسُنَــا فِى الدُجَــى أَسِيـــرٌ فى عَالَــمٍ ما رَعَـــى ذِمَامَــــهْ

—

كأنَّنَـــــــا لمْ نَرِثْ جُدُودًا كَانُـــوا بأَبْهَائنـــا عَلَامَــــهْ
كَانُـــوا هَداة الـــوَرَى زَمَانـــاً وحَقَّقُـــوا بالتقـــى مَرَامَــــهْ
وحَكَّمُـــوا العَـــدْلَ والتَسَـــاوِى فلـيْسَ فى حكمهـــم ظُلَامَــــهْ
كَانُـــوا حُدَاةَ الهدى دعـــاةً لله قَدْ رَتَّلُــــوا كَلَامَــــهْ
وجَسَّـــدُوا دَوْلـــةً ودِينـــاً وجَــــرَّدُوا للوَغَـــى حُسَامَــــهْ
كأننَّـــا لم نَرِثْ جُنُــــودًا كانتْ لهم رَايَـــةُ الزَعَامَــــهْ
مَنْ مَسَّ أَجْوَاءَهـــمْ بِشَـــرٍّ أَصَابَــه السُـــوءُ والنَّدَامَــــهْ
قد حَقَقُّوا النَصْـــرَ والتَسَامِـــى وأشْعَلُــوا فى الوَغَـــى ضِرَامَــــهْ
وخَاطَبُـــوا البَحْـــرَ والصَحَـــارى والنَجْـــم قَدْ زَاحَمُـــوا زِحَامَــــهْ
فَلْتُمْطِـــرِى لُؤْلُــــؤاً نضيـــداً وحَيْثُمَـــا شِـــئْتِ : يَا غَمَامَــــهْ

—

أدركْ بِنُـــورِ الهُـــدَى حِمَائَـــا وَطـــدْ بأركانـــه سَلَامَــــهْ
حَرِّرْ من الوَهـــم كلَّ عَقْـــلٍ أعِــدْ لَنَـــا النُـــورَ والكَرَامَــــهْ
حرِّرْ من الخَـــوْفِ كلَّ خَطْـــوٍ أعِــدْ لنـــا الأَمْنَ والإِقَامَـــهْ
وعِشْ بأجْوَائِنَـــــا منـــــاراً تُزِيـــلُ عن أفْقِنَـــا القتَامَـــــهْ
تعيـــدُ للدِّيـــن كلَّ مَجْـــدٍ تعيـــدُ للمسْلِـــمِ ابْتِسَامَــــهْ

—

يا أَزْهَــرَ النُـــورِ عِشْ مَنَـــارًا يَهْـدِى إلى الخَيْـرِ والسَلَامَـــهْ
يا شَامِـــخَ الهامِ والكَرَامَـــهْ يا صاحِبَ الــرأىِ والإِمَامَـــهْ

العلوم الكونية

الأرقام ... هندية أم عربية

بقلم
أ.د. أحمد فؤاد باشا (*)

يقال : إن الهنود هم الذين أوجدوا الصفر والأرقام التى يستخدمها العالم اليوم ، ولكنهم لم يستفيدوا منها إلا بعد أن أخذها العرب فى العصر العباسى ، واستخدموها فى حساباتهم وانتشرت من خلالهم إلى جميع أنحاء العالم بحكم اتساع دولتهم فى ظل الإسلام ، وأصبحت هذه الأرقام معروفة باسم « الأرقام العربية » .

ونظراً لاختلاف الرّوايات وتضارب الأقوال حول قصة ابتكار « الصفر » واكتشاف الترقيم ، ونسبتهما إلى الهنود أو العرب ، فإنه من المفيد أن يتعرف القارىء على أهم أحداث هذه القصة حسبما وردت فى كتب تاريخ العلوم .

يذكر بعض مؤرخى العلم أن النظام الهندى فى تدوين الأعداد عرف خارج حدود الهند فى عام ٦٢٢ م وظهر الصفر فى الكتابات الهندية لأول مرة حوالى عام ٤٠٠ م ، حيث كانت تستخدم اللفظة الهندية « سونيا » أو « الفراغ » لتدل على معنى (الصفر) . والمصدر الذى اعتمد عليه فى ذلك هو كتاب « السند هند » الذى ألفه الفلكى الهندى الكبير « براهما جوبتا » عام ٦٢٨ م واستخدم فيه الأرقام التسعة والصفر (١) .

---

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة .

(١) الأرقام جمع رقْم ، والرَّقْم فى علم الحساب هو الرمز المستعمل للتعبير عن أحد الأعداد البسيطة من الصفر إلى التسعة .

و « السند هند » اسم محرف عن « سدهانتا » ومعناها « المعرفة » ، وكان يطلق على كل كتاب يبحث فى علم النجوم . وهنالك خمسة كتب فى الرياضيات والفلك تحمل هذا الاسم أحدها من وضع « براهما جوبتا » وفيه جهد كبير لإبراز العلم الهندى القديم .

وفى عام ١٥٦ هـ / ٧٧٣ م قدم إلى بلاط الخليفة المنصور فلكى من الهند اسمه « كانكاه » ، حاملا معه كتاب « السند هند » فأمر الخليفة بترجمته إلى اللغة العربية وعهد بهذا العمل إلى محمد ابن إبراهيم الفزازى الذى ألف على نهجه كتابا عرف باسم « السند هند الكبير » . ومن هنا ـ طبقاً لهذه الرواية ـ كانت بداية إطلاع العرب على حساب الهنود ومعرفتهم نظام الترقيم الهندى واستخدامهم له بدلًا من نظام الترقيم بالكلمات (مثل أربعمائة دينار) أو بحساب الجُمَّل[٢] .

ويواصل أنصار هذا الرأى روايتهم بأن الهنود كان لديهم أشكال عديدة للأرقام ، هَذَّبَ العرب بعضها وكونوا من ذلك سلسلتين عرفت إحداهما بالأرقام الهندية أو الخوارزمية (نسبة إلى الخوارزمى) وهى : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٠ وتستخدمها الهند وأكثر الأقطار الشرقية العربية والإسلامية ، وعرفت الثانية بالأرقام الغبارية وهى : **1** ، **2** ، **3** ، **4** ، **5** ، **6** ، **7** ، **8** ، **9** ، **0** ، وقد انتشر استعمالها فى بلاد المغرب العربى والأندلس ، ودخلت إلى أوربا عن طريق الأندلس وبواسطة المعاملات التجارية والرحلات التى قام بها علماء المسلمين ، والسفارات التى كانت بين الخلفاء وملوك بعض البلاد الأوربية ، وأصبحت هذه الأرقام معروفة باسم « الأرقام العربية » **Arabic Numerals** . وتسمية الأرقام بالغبارية جاءت بسبب كتابتها على منضدة أو لوحة مغطاة بالرمل أو الغبار الخفيف .

---

(٢) اقتبس العرب فكرة حساب الجمَّل عن البلاد المجاورة ، فقد كان المصريون والساميون واليونانيون يستعملون نظام الترقيم بالحروف الأبجدية ، فوضعوا لكل حرف رقماً خاصاً يدل عليه كما يلى :

ا	ب	جـ	د	هـ	و	ز	ح	ط	ى
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ك	ل	مـ	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠
ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ		
٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠		

مثلا :

يا	سو	صبح	خلط	غا	تد
١١	٦٦	٩٨	٦٣٩	١٠٠١	٤٠٠

ولم يعد لهذا النظام قيمة فى الحساب عند العرب ، فقد تركوه واستعاضوا عنه بنظام الترقيم العشرى المعروف حاليا على أساس مراتب « خانات » الأرقام .

ويرى بعض الباحثين أن السلسلة الغبارية مرتبة على أساس عدد الزوايا التى يضمها كل رقم ، فرقم 1 يتضمن راوية واحدة ، ورقم 2 يتضمن زاويتين ، وهكذا على النحو التالى :

1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

وقد هذب العرب هذه الأشكال وأصبحت بالشكل المعروف حاليا وهو : **1** ، **2** ، **3** ، **4** ، **5** ، **6** ، **7** ، **8** ، **9** ، أما الصفر الذى يعبر عن خلو الخانة فقد كان يكتب فى المدة الأخيرة عند الهنود دائرة فيها نقطة هكذا ⊙ أى « خانة » خالية ، وقد أخذ عرب المشرق النقطة وتركوا الدائرة لمشابهتها للعدد (٥) ، وأخذ عرب المغرب الدائرة وتركوا النقطة ، وكذلك فعل الأوربيون فيما بعد .

من ناحية أخرى ، يرى بعض المؤرخين أن الأرقام الغبارية عربية لأنها تقترب من أشكال بعض الحروف العربية ، وقد جمعها بعضهم فى الأبيات الآتية :

ألـــف وحـــاء ثم حج بعــــده ... عين وبعــــد الــــعين عو ترسم
هاء وبعــد الهاء شكــل ظاهــر ... يبـدو كمخطـاف إذا هو يرقـــم
صفـران ثامنها وقـد ضُمّـا معًـا ... والــــواو تاسعهــــا بذلك تختم

1	2	3	4	5	6	7	8	9
ا	ح	حج	عـ	عو	8	7	8	9

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الأرقام الغبارية ابتكرها العرب منذ أول عهدهم بتعلم الكتابة العربية ، وذلك قبل البعثة المحمدية فيما بين منتصف القرن الثالث الميلادى ونهاية القرن السادس الميلادى ، وهو الوقت الذى تم فيه أيضاً تحول الخط العربى من صورته النبطية البحتة إلى صورته العربية المعروفة التى يراها عليها الآن والتى لا تبعد كثيرا عن صورة الخط النبطى التى كانت يومئذ هى نفس صورة الأرقام الغبارية تماماً .

وقد علم ذلك حديثاً بعد فحص الخط النبطى الذى أكتشفه العالم الاثرى الفرنسى « رينيه دوسو » المتوفى سنة ١٩٥٨ م ، وذلك عندما نقب فى « رأس شمرا » بجنوب سورية ، حيث أكتشف فى بلدة النمارة بحوران نقشاً مؤرخاً بسنة ٣٢٨ ميلادية وفيه ذكر امرؤ القيس . ومما يساعد على ترجيح هذا الرأى اختيار العرب النقطة لتعبر عن الصفر لأن النقطة ذات أهمية كبيرة فى الكتابة العربية ، ويعتبرها العرب المميز والضابط بين الحروف ، لذلك أعطوها نفس الوظيفة لتعبر عن الصفر مع الأرقام العربية . ويخلص أنصار هذا الرأى إلى أن الأرقام المستعملة اليوم فى العالم أجمع ، سواء كانت الخوارزمية أم الغبارية ، هى كلها عربية الأصل .

تطور الأرقام عبر العصور التاريخية

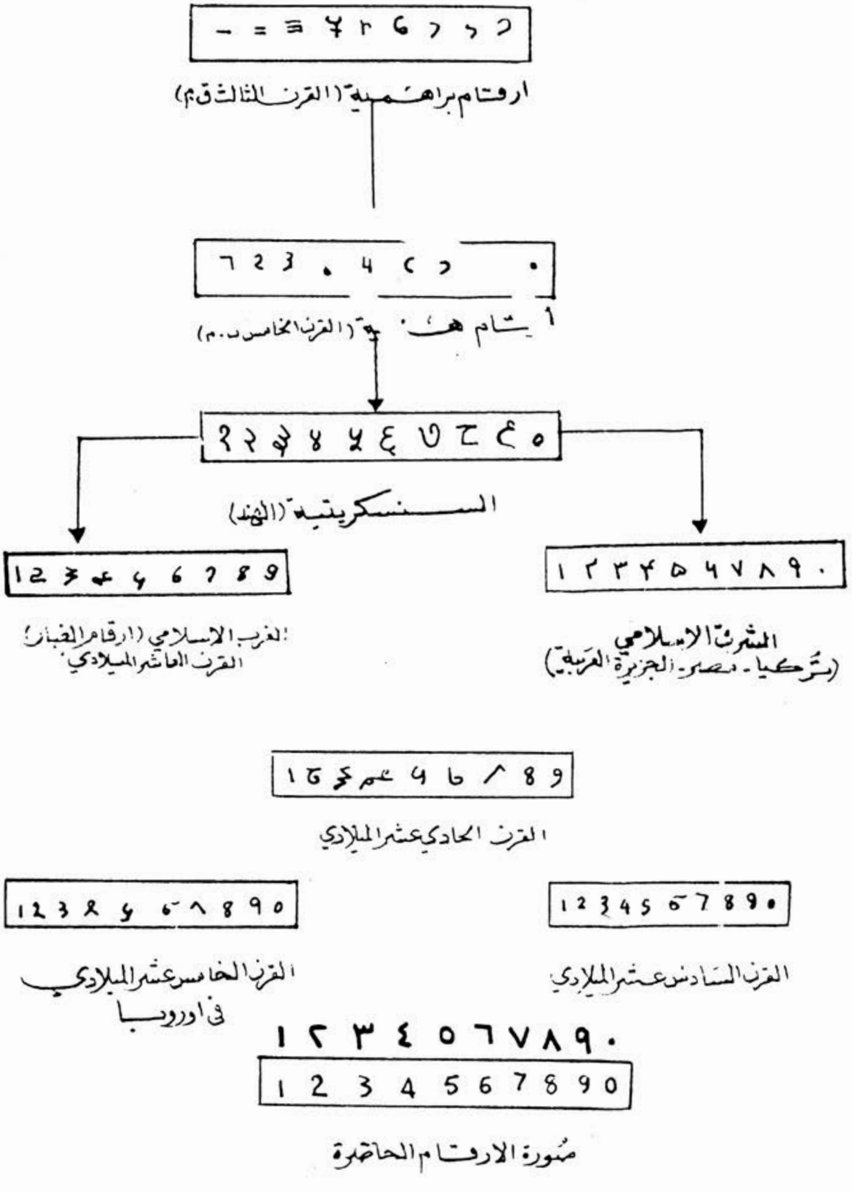

ومهما يكن أمر الجدل بشأن حقيقة اكتشاف الهنود أو العرب للأرقام ، فإن مؤرخى العلم يجمعون على أن المسلمين هم الذين استخدموها فى العمليات الحسابية ونشروها وأدخلوا على أساسها طريقة الإحصاء العشرى واستعمال الصفر كما نستعمله اليوم ، واعتبار القيم الوضعية بحيث يكون للرقم قيمتان : قيمة فى ذاته ، وقيمة بالنسبة إلى المنزلة التى يقع فيها . من أجل ذلك فاقت هذه الأرقام غيرها من الأنظمة الأخرى المستعملة فى الترقيم ، حيث إنها تقتصر على عشرة أشكال بما فيها الصفر ، ومن هذه الأشكال يمكن تركيب أى عدد مهما كان كبيراً ، بينما نجد أن الأرقام الرومانية ، على سبيل المثال ، تحتاج إلى أشكال عديدة ، وكذلك الأرقام اليونانية والعربية القديمة القائمة على حساب الجمل فإن عددها كان بقدر عدد حروف الهجاء .

وعندما تناول الأوربيون هذه الأرقام من المؤلفات العربية سموها « الأرقام العربية » ، ونقل بعضهم معها طريقة العرب فى قراءة الأرقام وكتابتها من اليمين إلى اليسار ، الآحاد أولا ، ثم العشرات وهكذا . فإذا أردنا أن نكتب العدد (ثلاثة وأربعون وخمسمائة) فإننا نضع الثلاثة فى المنزلة الأولى على اليمين ، أى منزلة الآحاد ، ثم نضع الأربعة فى المنزلة الثانية ، أى منزلة العشرات ، والخمسة فى منزلة المئات . ويكتب بالأرقام الخوارزمية هكذا ٥٤٣ ، وبالأرقام الغبارية هكذا **543** . ومن العجيب أن الأوربيين لم يتمكنوا من استعمال الأرقام العربية إلا بعد انقضاء عدة قرون من اطلاعهم عليها ، إذْ لم يعمّ إستعمالها فى أوربا والعالم إلا فى أواخر القرن السادس عشر للميلاد .

أسانيد المقال :

★ قدرى حافظ طوقان ، تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، دار الشروق ، بدون تاريخ للنشر .

★ عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

★ سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب « أثر الحضارة العربية فى أوروبة » ، الترجمة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

★ د. أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

★ دائرة المعارف الإسلامية للناشئين والشباب ، دار سفير ، القاهرة ، ع ١٣ ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

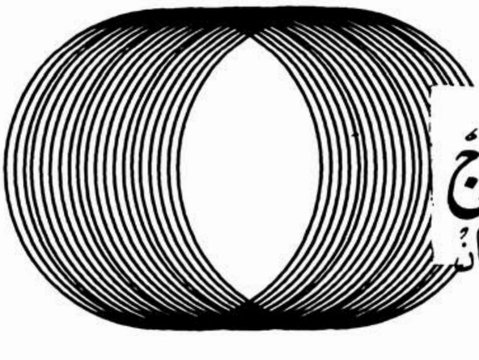

حول سرعة الضوء وتفسير المعارج

بقلم الدكتور: محمود عبد المطلب خشان ●

٢

ولكى يشترك القارىء غير المتخصص فى مناقشتنا لنظرية النسبية على بيِّنه ويختار لنفسه ما يطمئن إليه قلبه من علم وحجة ، فإننى اشتق هنا معادلات النسبية على نحو مبسط غاية التبسيط ومحكم أدق الإحكام . وهذا الاشتقاق يساعدنا فى حد ذاته على إدراك مغزى هذه النظرية الشهيرة .

هب أن راصداً يرى عند لحظة زمنية ن$_{١}$ جسيما حـ على مبعدة مسافة ف$_{١}$ من نقطة استناد و (شكل ١) . وبسبب التحرك والتنقل عاد الراصد فرأى الجسيم فى اللحظة ن$_{٢}$ فوجده على مبعدة مسافة قدرها ف$_{٢}$ من ذات نقطة الاستناد و . من هذا الرصد يفطن الراصد إلى أن الجسيم عبر مسافة ل = ف$_{٢}$ − ف$_{١}$ خلال فترة زمنية ن = ن$_{٢}$ − ن$_{١}$. ويستطيع الراصد أن يقدر سرعة الجسيم بمقدار المسافة التى يجتازها الجسيم خلال ثانية واحدة . هذا معناه أن الراصد يحسب السرعة ع هكذا :

$$ع = \frac{ل}{ن} \qquad (١)$$

أى خارج قسمة المسافة المجتازة ل على الفترة الزمنية ن اللازمة للاجتياز .

هذه هى المعادلة المستخدمة دائماً فى الميكانيكا التقليدية (الكلاسيكية) .

إن هذه المعادلة المعروفة والكثيرة التداول تنطوى على خطأ . هذا الخطأ يمكن إدراكه ثم تداركه عن طريق تحليل عملية إبصار (أو سمع) الحركة . وهذا التحليل أمر ميسور غاية اليسر . فاستنتاج الراصد (الكلاسيكى) أن الجسيم يكون على مبعدة (ف$_{١}$) فى لحظة (ن$_{١}$) غير صحيح ، لأن ن$_{١}$ هى لحظة دخول نبضة ضوء صادرة من الجسيم عين الراصد . هذه النبضة الضوئية تجتاز المسافة (ف$_{١}$) خلال فترة زمنية قدرها ($\frac{ف_{١}}{ع}$) لتصل إلى الراصد بسرعة الضوء (ع) . بالمثل تنبعث نبضة ضوئية أخرى من

● أستاذ الفيزياء – كلية العلوم – جامعة عين شمس

الجسيم وهو عند ($ف_٢$) لتصل إلى الراصد بعد زمن قدره ($\frac{ف_٢}{ع}$) ومن ثم يتمكن الراصد من رؤية الجسيم عند اللحظة ($ن_٢$) ظانا أنه موجود عند ($ف_٢$) .

ويسهل تصويب هذه الأخطاء بطريقتين :

إما أن نقرر أن الجسيم يكون عند ($ف_١$) فى لحظة ($ن_١ - \frac{ف_١}{ع}$) ويكون عند ($ف_٢$) فى لحظة ($ن_٢ - \frac{ف_٢}{ع}$) ، أو علينا أن نفطن إلى أن الجسيم قد غادر موضعه عند ($ف_١$) إلى موضع آخر عند ($ف_١ + عَ \frac{ف_١}{ع}$) عندما رصدناه (أى رأيناه) فى اللحظة ($ن_١$) ، كذلك يكون الجسيم قد انتقل إلى موضع جديد ($ف_٢ + عَ \frac{ف_٢}{ع}$) عندما بصر به الراصد فى اللحظة ($ن_٢$) لقد قدرت الإزاحات عن المواضع بضرب سرعة الجسيم الحقيقية (عَ) فى الفترات الزمنية ($\frac{ف_١}{ع}$) و ($\frac{ف_٢}{ع}$) التى يرتحل خلالها الضوء من الجسيم إلى الراصد . فى جميع هذه الأحوال نحسب السرعة الصحيحة (عَ) بقسمة الإزاحة فيما بين موضعى ،رصد على الزمن الذى تمت فيه هذه الإزاحة . فى كلتا الحالتين نحصل على هاتين المعادلتين المتكافئتين :

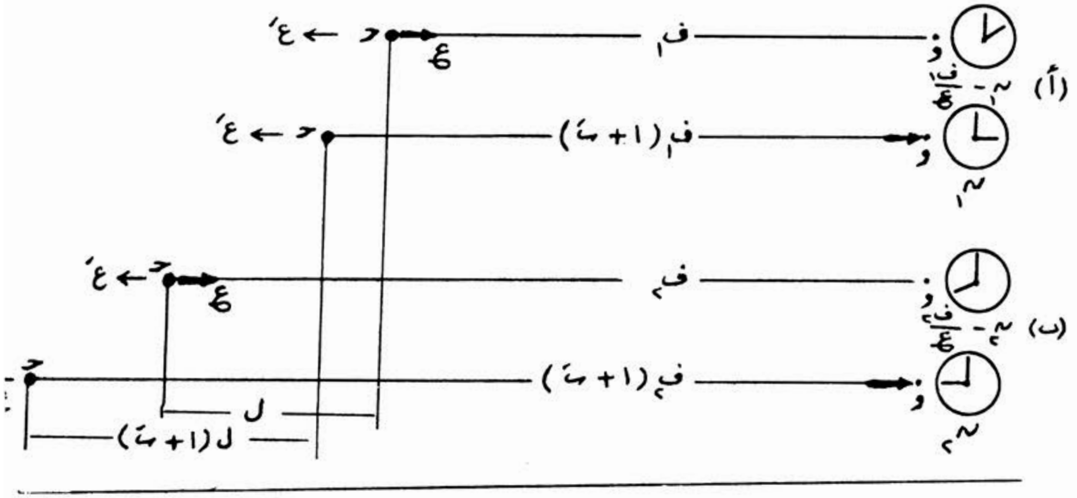

شكل ١ (أ) يوضح كيف أن الراصد عند و رأى الجسيم حـ فى اللحظة $ن_١$ عندما بلغته ومضة ضوء منبعثة من حـ عند $ف_١$ ولكن فى لحظة سابقة ($ن_١ - \frac{ف_١}{ع}$ حيث أن الزمن $\frac{ف_١}{ع}$ استغرقته ومضة الضوء لاجتياز المسافة $ف_١$ بسرعة الضوء ع واستغرقه الجسيم للإزاحة من موضعه بمسافة $عَ \frac{ف_١}{ع}$ إذ يتحرك بسرعة عَ .

(ب) يوضح كيف أن الراصد رأى الجسيم مرة أخرى فى اللحظة $ن_٢$ عندما بلغته ومضة ضوء منبعثة من حـ عند $ف_٢$ فى لحظة سابقة ($ن_٢ - \frac{ف_٢}{ع}$) . لحظة وصول ومضة الضوء هى نفسها لحظة تواجد حـ على مبعدة $ف_٢$ (١ + ت) بدلا من $ف_٢$.

وعموما يوضح الرسم بجلاء أن الراصد يقع فى الخطأ إذ يظن أن الجسيم حـ قد اجتاز مسافة ل = $ف_٢ - ف_١$ خلال الفترة الزمنية ن = $ن_٢ - ن_١$. ولو كان الجسيم المتحرك يحمل ساعة ضوئية تبث بانتظام ومضات ضوئية ومع الراصد مثلها لظن الراصد أن ساعة حـ تتباطأ وتتأخر فى بيان الزمن إذ تعلن ساعة وزمنا ن = $ن_٢ - ن_١$ بينما تعلن ساعة حـ زمنا نَ = ن $- \frac{ل}{ع}$. ويكتشف الراصد لدهشته أن الزمن نَ يعتمد على المسافة ل ويفترض مثلما افترض منكوفسكى اندماج الزمان والمكان معاً .

$$\acute{ع} = \frac{ل}{ن - ل} = \frac{ع}{١ - ب} \qquad (٢)$$

وذلك فى حالة تصويب الزمن كما هو ظاهر فى المقام أما فى حالة تصويب المسافة فإن :

$$\acute{ع} = \frac{ل(١ + \acute{ب})}{ن} = ع(١ + \acute{ب}) \qquad (٣)$$

كما هو ظاهر فى البسط من الصيغة الأولى لتعريف السرعة بمعادلة (٣) . ومن الملاحظ أيضا أننا استعملنا النسبتين ب = $\frac{ع}{\bar{ع}}$ و بَ = $\frac{\acute{ع}}{ع}$ بين سرعة الجسيم المقاسة ع وسرعته الحقيقية عَ وسرعة الضوء ع . ولنلاحظ أيضا أن معادلة (٢) استنتجت بتصويب الزمن فى حين أن معادلة (٣) استنتجت بتصويب المسافة . والدليل على تكافؤ المعادلتين (٢) و (٣) نابع من أنهما كلتيهما تتحولان إلى معادلة عامة تعطى العلاقة بين السرعتين الصحيحة (عَ) والمقاسة تقليديا (أى ع) عن طريق نسبة كل منهما إلى سرعة الضوء . هذه المعادلة العامة هى :

$$ب = \frac{\acute{ب}}{١ + \acute{ب}} \qquad (٤)$$

إلى هنا ونخلص إلى نتيجتين هامتين :

أولا : تستخدم المعادلات (٢) – (٤) لتصويب قيمة السرعة المقاسة (كلاسيكيا) وتقدير السرعة الصحيحة .

ثانيا : جميع هذه المعادلات تدل على أن سرعة الجسيم يمكن أن تتجاوز سرعة الضوء بالرغم من أن السرعة المقاسة تكون أقل من سرعة الضوء .

ويستطيع القارىء أن يتأكد من صحة هذا الاستنتاج بمراجعة معادلة (٣) أولا ليجد أن السرعة الصحيحة (عَ) أكبر دائماً من السرعة المقاسة كلاسيكيا (أى ع) . ثم ليراجع القارىء معادلة (٢) ليعوض فى المقام قيمة للنسبة (ب) قريبة من الواحد (يعنى السرعة المقاسة مقاربة لسرعة الضوء) . فى هذه الحالة نجد أن قيمة السرعة الحقيقية (عَ) تكون كبيرة كبراً لا نهائياً . ويمكن توضيح هذه النتائج بيانيا برسم العلاقة بين (ب و بَ) حسب ما هو مقرر فى معادلة (٤) . نلاحظ من الرسم فى شكل ٢ أن النسبة (ب) تقترب من الواحد دون أن تبلغه لقيم (بَ) المتجاوزة للواحد بكثير . وعندما تكون النسبة (بَ) أكبر من الواحد . فإن (عَ) تكون أكبر من سرعة الضوء (ع) . هذه هى نتائجنا وتصويباتنا ، ولكن أينشتين يرى فى معادلاتنا رأياً آخر أبعد ما يكون عن مسألة الخطأ والصواب : إنه يرى **أن من طبيعة الأجسام أن أطوالها تنكمش إذا تحركت ، ومن طبيعة الساعات أن زمنها يبطىء إذا تحركت ، وأن سرعة الضوء هى أقصى سرعة يمكن أن يبلغها جسيم متحرك** .

ولنراجع معادلتى (٢) و (٣) لننظر كيف تبنى أينشتين هذه التفسيرات . فى معادلة (٢) صوبنا الزمن لحساب السرعة الصحيحة فاستخدمنا فى المقام الزمن .

$$\acute{ن} = ن - \frac{ل}{ع} = ن(١ - ب) \qquad (٥)$$

بدلا من الزمن ن الذى مر على الراصد لكى يرى الجسيم على طرفى المسافة المجتازة (ل) .

رأى أينشتين فى هذه المعادلة : أن الزمن (ن) يمثل زمن الراصد المقيم فى حين يمثل الزمن (نَ) زمن الراصد الظاعن (المغادر) الذى يتباطأ كلما زادت سرعته حتى إنه ليتوقف (أى نَ = صفراً) عندما ب = ١ (أى ع = ع) . هذا التفسير أدى إلى ما يعرف بتناقض (لغز أو أحجية) التوأم[٣] ؛ وفحواه أن لو كان الرَّاصِدَان (حـ ، و) أخوين توأم ، وسافر أحدهما وأقام الآخر ، فإن

زمن المسافر بطيء ومن ثم لا يبلغ الهرم إلا بعد أخيه المقيم عند (و) . من ناحية أخرى ؛ فإن الراصد المرتحل مع حـ يرى أخاه مسافرا بالنسبة له ، ويجد زمنه أبطأ من زمنه ، ومن ثم يظن أن الهرم لا يعاجل أخاه كما يعاجله هو نفسه . وثمة تناقض آخر أفضى إليه تأويل أينشتين ويسمى تناقض (لغز) الطول ، ومؤداه أن كل راصد يرى عالم صاحبه أضيق من عالمه هو ذاته . وانكماش الطول ارتآه أينشتين فى معادلة يمكن استخراجها من بسط معادلة (٣) . هذا البسط يمثل طولا لَ منكمشا لأن :

لَ = ل (١ + بَ) (٦)

لقد علمنا ونحن نشتق هذه المعادلة أن الطول الحقيقى (لَ) أكبر من الطول المرصود (ل) نظراً لخطأ حسابات الراصد الكلاسيكى ، ولكن يختلف فهم أينشتين لمعادلة (٦) فهو يرى أن الطول الحقيقى (لَ) يصير طولا أقصر (أى ل) إذ ينكمش (لَ) إلى (ل) أكثر ما يكون الانكماش كلما زادت سرعة الجسيم بالقياس إلى سرعة الضوء (أى النسبة بَ) .

لقد أعاد (أينشتين) عام ١٩٠٥ اشتقاق معادلات تحويل الزمن والطول التى توصل إليها (لورنتس) عام ١٩٠٤ ، ونذكِّر بأن معادلتى (٥) و (٦) تمثل معادلات (لورنتس) فى أحوال خاصة متفقة مع ظروف رصد الجسيمات البعيدة كالأجرام السماوية مثلا . ولما سئل (أينشتين) عن وجه الجدة والابتداع فى إعادة اشتقاق معادلات (لورنتس) هذه المعروفة ، أجاب بأن الجديد هو التفسير . وهذا حق ففى العلم أيضا اجتهاد . وهانحن قد أوردنا فى هذا المقال بدورنا

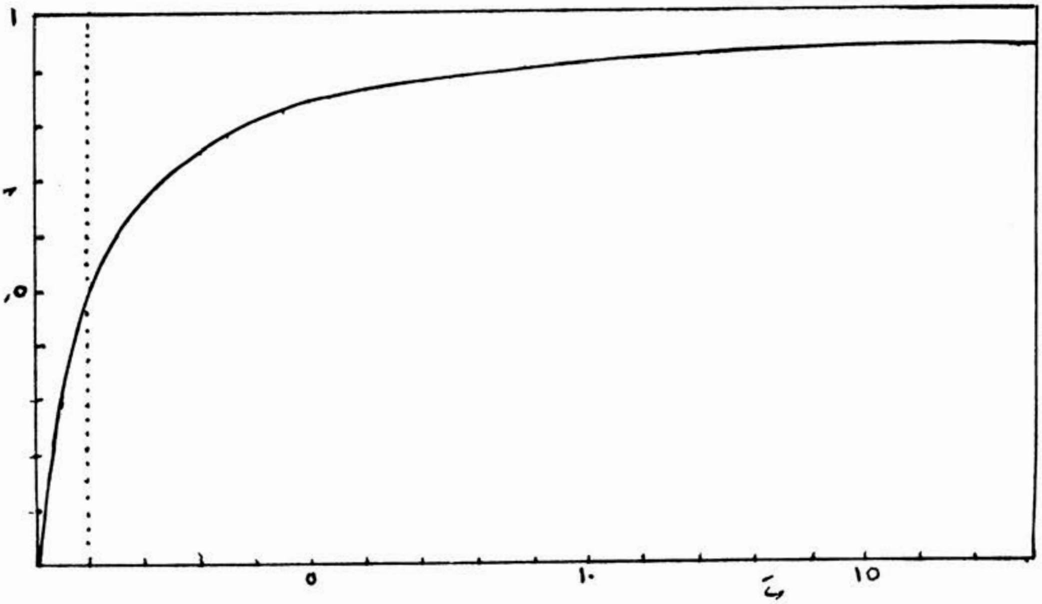

شكل (٢) : المنحنى يمثل العلاقة بين سرعة الجسيم عَ وسرعته المرصودة ع من خلال نسبتهما إلى سرعة الضوء ع . ونلاحظ أن النسبة ب = ع/ع تظل أقل من واحد مهما كانت النسبة بَ = عَ/ع أكبر من واحد ، أى لجميع قيم بَ على يمين الخط المنقط . وهكذا فإن السرعة المقاسة ع تظل أقل من سرعة الضوء مهما تجاوزت السرعة الحقيقية عَ سرعة الضوء .

تفسيرا غير الذى تبناه (أينشتين) وأصبحنا فى غنى عن تناقضات وأحجيات نسبية (أينشتين) المدونة فى كثير من المراجع العلمية المعتمدة[٤] .

لقد برهنّا ـ فى هذا المقال ـ أن معادلات النسبية ـ على نحو ما بسطناها فى الصيغ من (٢) إلى (٦) ـ ما هى إلا وسائل لتصويب أخطاء الزمن والمسافة الناجمة عن إغفال الراصد (الكلاسيكى) لمكوث نبضات الضوء بعض الوقت ، وهى تصل إليه من الجسيم المرصود ، وإن أهم ما توصلنا إليه من نتائج اكتشافنا : أن التحرك بسرعة أكبر من سرعة الضوء أمر ممكن الحدوث بالرغم من أن السرعة المقاسة تكون دائماً أقل من سرعة الضوء .

وعوداً على بدء نذكّر بأنه لا يجوز لمفسر لآيات القرآن الكونية أن يستخدم ـ كما فعل الأستاذ الدكتور منصور فى مقالته المشار إليها سابقاً ـ (نظرية النسبية) وما هى إلا نظرية لتصويب الأخطاء ـ لعقد مقارنة بين « اليوم عند ربك » وآلاف السنين مما نعد ، وشتان شتان بين تأويلاتنا القاصرة وبين ما أنبأنا به القرآن العظيم فى هذه الآيات البينات :

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (٤٧ الحج)

﴿ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَٰلِكَ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٦) ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ
كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ (٧) ﴾
(٤ ـ ٧ السجدة) .

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩)
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ (١٠) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ (١١)
فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴾ (٩ ـ ١٢ فصلت) .

﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ (٢) مِّنَ
ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥)
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا (٦) وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ (١ ـ ٧ المعارج)

لقد أوردت هذه الآيات البينات بسياقها قدر المستطاع لندرك أنها أهل لأن نطيل فيها النظر والاعتبار مرات ومرات ، ونتلوها كثيراً كثيراً ما وسعتنا التلاوة المتأنية المتدبرة ، إنها لتستغرق فكر المتفكرين وفقه المتفقهين بدون حدود أو نهاية . إنها لأعظم ولأجل من أن نفسر ما ورد فيها من « أمر الله » و « يوم الله » و « العروج إليه » و « قرب الرؤية وبُعدها » بمعادلات فيزيائية متواضعة وتأويلات لا تدرك من واقع الأمر إلا ظاهره حتى ولو جاء بها على الملأ « أعلم علماء القرن العشرين » كما قال الأستاذ الدكتور منصور فى أينشتين ، والذى ظل طوال مقالته ـ التى نحن بصددها ـ يبث فى خلد قارئه **إن أقصى سرعة متاحة فى الكون هى سرعة الضوء اعتماداً على نظرية أينشتين** ، ولقد سبق لنا أن بيّنا أن هذه نتيجة داحضة . وإننى لأرجو أن يعلم القارىء أن

النتيجة التى توصلنا إليها خلاف ذلك ليس بدعاً حتى فى النتائج العملية التجريبية المتيقنة . فمن الثابت عملياً أن هناك إشعاعاً ضوئياً يتسمى باسم مكتشفه تشيرنكوف (حائز على جائزة نوبل) . إن إشعـاع تشيرنكـوف[٥] هذا لا ينبثق إلا إذا تحركت الالكترونات داخل مواد بسيطة بسرعة أكبر من سرعة الضوء . ومن المشهور المعروف أيضاً أن الأشعة السينية تسرى داخل المواد المتبلورة بسرعة أكبر من سرعة الضوء . بل إن كاتب هذه السطور نفسه هو من المشتغلين بقياس سرعة الضوء داخل الأبخرة الذرية أو الجزيئية ومقارنة قيمها على جانبى شريط (أو خط) الامتصاص ، وإنه لمن أيسر الأمور (حتى فى معاملنا المتواضعة) أن يكتشف الباحث **أن سرعة الضوء على الجانب البنفسجى لشريط الامتصاص أكبر من القيمة التـى اعتمدهـا الأستـاذ الدكتـور منصور فى حساباته . وثمة قانون مطبق فى الفلك معروف باسم (قانون هَبـل) Hubble** . هذا القانـون يدَّعى أن سرعات النجوم البعيدة تتجاوز سرعة الضوء[٦] . وبالرغـــم من كل هذه الشواهـــد التجريبية المتنوعة فلقد سادت وشاعت مقولـة أينشتين بأن لا سرعة مشهودة فى الكون أكبر من سرعة الضوء . **ولربما يمكن فهم هذه الشبهة إذا اعتبرنا أن أينشتين يقصد بمقولته السرعة** المقاسة كلاسيكياً بدلا من السرعة الحقيقية . عندئذ يصح استنتاج أينشتين إذا أعدنا صياغته هكذا . « مهما تجاوزت سرعة الجسيم سرعة الضوء فإن سرعته المقاسة تظل أقل من سرعة الضوء » .

٥ ـ خاتمـــة :

لعلنى ـ فى مقالتى هذه ـ قد سقت العديد من الأدلة والحجج التى تساعدنى أن أقول أنه يجب أن يحذر الذين يفسرون آيات القـرآن الكونية الاعتماد على النظريات العلمية لأن هذه النظريات ـ مهما علا قدرها ـ لا تعدو أن تكون بناء ظنيا يتدعه أهل العلم لمحاولة فهم وتـفسير ظواهـر الكـون التـــى يتصدون لها بالدراسة . وإن أهل العلم هم أسبق الناس إلى نبذ النظريات وراء ظهورهم عند أول بادرة توحى من قريب أو بعيد بنقض فروض ونتائج النظرية . ومن يقرأ تاريخ العلم ـ وخاصة علم الطبيعـة (الفيزيـاء) ـ يدرك كم من نظريـة سادت ثم بادت ولم يذكر لها التاريخ من فضل إلا فضل ومأثرة الاسهام ـ ولو إلى حين ـ فى دفع التقدم العلمى إلى الأمام . إن فقه القرآن حق الفقه حرى أن يحفزنا لإنشاء علوم راسخة كجبر الخوارزمى وطب ابن سينا وميكانيكا وبصريات ابن الهيثم وفلك ابن قرة وكيمياء جابر بدلا من نشدان التوفيـق بين معطيـات العلـم الحديث وبعض آى الذكر الحكيم .

المراجـع

(١) كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمى تحقيق وتقديم وتعليق ا.د. على مصطفى مشرفة وا.د. محمد مرسى أحمد ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر (١٩٦٨ م) .

(٢) A History of Astronomy, A. Pannekoek, London (1961) ch. 15

(٣) Time and the Space Traueller, L. Marder, London (1971).

(٤) Pardoxes in the Theory of Relativity, Y.P. Terletskii, New York (1968)

(٥) Cherenkov Radiation and its Applicatisns, J.V. Jelley, London (1958)

(٦) The Evolving Universe, D. Goldsmith, Monlo Park, Californis (1981)

الجديد في العلوم والتقنية

إعداد دكتورة / نجوى السيد أحمد
باحثة بالمركز القومي للبحوث

الكائنات الدقيقة لإنتاج أفضل السماعات

بدأت إحدى الشركات اليابانية إنتاج أول سماعات للرأس **(Headphone)** فى العالم تصنعها بعض أنواع من البكتريا . ولهذه السماعات مثل غيرها رق على شكل قرص يهتز فيولد الصوت ، والفارق هو أن الرق فى السماعات الأخرى يكون مصنوعا من الورق المضغوط أما فى السماعات الجديدة فهو مصنوع من مادة تنتجها بكتريا الخل ، وهى بشكل عصيات إذا ما غذيت بسكريدات السكر أنتجت خيوطا من السليلوز قطرها أقل من ٤٠ «نانومتر» ، وبعد يومين تتجمع هذه الخيوط فى شبكة سمكها ٢ «ميليمتر». وتقوم الشركة بعد ذلك بتخفيف وضغط هذه الشبكة فى رقاقة سماكتها ٢٠ «ميكرومتر» وتتميز بقوتها التى تفوق قوة الرق الورق .

إستخدام الموجات الصوتية فى التفاعلات الكيميائية

بدأ بعض العلماء البريطانيين باستخدام الموجات فوق الصوتية ذات الطبقات العالية إلى

درجة لاتسمع فى التفاعلات الكيميائية بدلًا من مواقد اللهب التى تستخدم فى المختبرات . فمن المعروف أن الموجات الصوتية تمر عبر المادة السائلة كما تمر عبر الهواء ، وكل منطقة يمر الصوت عبرها تنضغط وتتمدد على التوالى ، وإن كان هذا لا يرى بالعين المجردة فإنه يبدو أمراً فى غاية العنف تحت المجهر . ذلك أن التناوب السريع للتمدد والتقلص يمزق السائل ويفرق أجزاءه محدثاً فقاعات مجهرية الحجم عند تمدده ثم ضاغطاً هذه الفقاعات لتتلاشى من الوجود عند التقلص بعد أجزاء صغيرة جداً من الثانية ، ويؤدى هذا إلى انطلاق قوة هائلة داخل الفقاعة وحولها مما يسرع من التفاعلات الكيميائية ونظراً لسرعة تلاشى الفقاعات فإن حرارة السائل تكاد لا تتغير فى شىء . ويمكن لهذه الموجات فوق الصوتية أن تؤمن الحرارة والضغط مع تجنب أخطارهما وتساعد فى سحق أى مادة صلبة مستعملة فى هذه التفاعلات الكيميائية .

جهاز الكترونى
بدلًا من مفتاح الباب

طورت إحدى الشركات اليابانية نظاماً جديداً لفتح باب المنزل بطريقة سهلة وأمينة لحماية المنازل من السرقات ، وهو عبارة عن جهاز الكترونى يقوم صاحب البيت فى البداية بتسجيل شكل يده وأيادى أفراد عائلته فى ذاكرته الرئيسية وهى متنوعة مثل البصمات فلا يفتح باب المنزل إلا بعد أن يضع أحد هؤلاء يده فوق شاشته الصغيرة ليتعرف عليها ، فيعمد إلى فتح الباب لأصحاب البيت فقط . أما فى بعض المؤسسات المصرفية حيث يتعين عدم دخول الغرباء عنها إلى داخل مراكزها ، فقد تم استنباط نظام آخر يحتفظ فى ذاكرته الرئيسية بخصوصية العروق الدقيقة فى قرنية العين للعاملين فى المؤسسة فيفتح الباب بمجرد أن ينظر عامل المؤسسة فى منظار الجهاز

أجهزة متطورة فى مجال فحص
أمراض العيون

تم تطوير وإنتاج أجهزة حديثة لتشخيص أمراض العيون المستعصية منها أجهزة لفحص مجال الرؤية وأخرى لفحص ميدان النظر وثالثة لتصوير الشبكية بالأصباغ المختلفة مما يحدد مواقع الإصابة ، وأجهزة الفحص بالموجات فوق الصوتية وهى مثل الأشعة تكشف ما وراء القرنية المعتمة ، فالعتامة لا تسمح برؤية ما بداخل العين . ويستخدم جهاز فحص ميدان النظر فى مرض «الجلوكوما» المزمنة لمعرفة مدى إصابة عصب العين نتيجة هذا المرض ، كما يستخدم لتشخيص الأمراض العصبية وأمراض المخ . وقد تقدمت الأجهزة العلاجية وتطورت تطوراً هائلًا ، وأمكن تفتيت العدسة بالموجات فوق الصوتية . وهناك أجهزة الليزر وأجهزة إزالة السائل الزجاجى وعتاماته المختلفة . وأيضاً يوجد الكثير من الأدوات الدقيقة الحديثة التى تستخدم مع الميكروسكوب الجراحى فى جراحات العيون .

الهندسة الوراثية
لعلاج الأمراض الوراثية

وافقت اللجنة الاستشارية لمعهد الصحة القومى الأمريكى على أول عمليات من نوعها

لزرع الخلايا ذات الوحدات الوراثية فى الإنسان لأغراض علاجية وذلك بالرغم من عدم إجراء أى عمليات تذكر للتدخل فى الوحدة الوراثية للإنسان باستخدام وسائل الهندسة الوراثية . ويهدف العلماء إلى استخدام الهندسة الوراثية من خلال أزواج الجينات الحاملة للصفات الوراثية فى معالجة الكثير من الأمراض الوراثية عند الأطفال .

جهاز لتشخيص إصابة الركبة

طوّر فريق من الباحثين فى إنجلترا جهازاً جديداً يعمل كماسح (سكانر) للركبة عن طريق الإنصات إلى طقطقات غضروف الركبة الممزق وأصوات احتكاكاته . ويقوم الجهاز بتحليل الأصوات الصادرة عن الركبة المصابة لتحديد موقع الإصابة ومدى حدته . وهذه التقنية الجديدة تعطى دقة فى التشخيص أكثر من استخدام التشخيص اليدوى للطبيب أو الأشعة السينية .

الفطريات لزيادة خصوبة التربة الزراعية

توصل فريق بحثى بجامعة (نبراسكا) فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى استخدام بعض أنواع من الفطريات والتى تعيش داخل جذور بعض النباتات وتعرف باسم «المايكورايزا» لزيادة خصوبة التربة . وهذه الفطريات يكمنها أن تنتج هورمونات نباتية لها تأثير هام على نمو النباتات فى الأراضى الجافة وشبه الجافة . كما أنهم وجدوا أنه إذا ماتم تسميد التربة بهذا النوع من الفطر قبل الغرس ، يزداد نمو محصول النباتات وتقل حاجتها إلى الماء .

مولد كهربائى يعمل بالناقلية الفائقة

قام الباحثون البريطانيون بصنع أول مولد كهربائى يعمل بنواقل فائقة عالية الحرارة . ويحتوى قلب هذا المولد الجديد على ملف من سلك فائق الناقلية من أكسيد الايتريوم والباريوم والنحاس . ولكن لايزال يوجد صعوبات فى توليد الكهرباء عن طريق النواقل الفائقة العالية الحرارة على مستوى تجارى حيث إنها لا يمكنها نقل أكثر من كميات صغيرة نسبياً من التيار الكهربائى ، وإذا ما نجح الباحثون فى رفع قدرة هذه النواقل على حمل التيار فسيصبح بالإمكان استعمالها لجعل توليد الكهرباء أكثر فاعلية ، مما يخفف من تكاليف توليد الكهرباء .

شبكة من الألياف الصناعية متعددة الأغراض

اخترعت فى فرنسا آلة تنسج شبكة من الألياف الصناعية لا كنسيج عادى بل كنسيج أرضى متماسك بما يكفى لكى يحل محل الأسفلت لرصف الطرق السريعة ونافذ للماء بما يكفى لاستعماله فى الأراضى المزروعة بالأعشاب والشجيرات . ويتم انتاج هذا النسيج فى الموقع بواسطة هذه الآلة التى تغزل أكثر من ١٥٠ كيلو متر من الألياف المتواصلة بلا انقطاع . وإذا ما استخدم هذا النسيج الشبكى فى أساسات الأبنية فإنه يساهم فى تجنبها صدمات الهزات الأرضية .

من أعلام الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر

بقلم الأستاذ/محمود عبدالرازق عقباوى

الأستاذ الدكتور محمد على غلاب من الفلاسفة الموهوبين والأدباء الأفذاذ ، ثم هو شخصية خصبة لمفكر عظيم أعطى قوة الحجة وبلاغة الأداء وسعة الاطلاع وعمق الفهم ، عوضه الله عن فقد بصره ذكاء متقدًا وعقلا ثرًّا فاض بنبوغ واسع وعبقرية رائعة فهو موسوعة علمية عميقة ويعتبر من النماذج القلائل التى تظهر فى تاريخ الفكر .

ولد فى بلدة بنى خالد مركز أبى قرقاص محافظة المنيا ، ونشأ فى بيت غِنًى ويسار ، أمكنه أن يصدر مجلة سمّاها « النهضة الفكرية فلسفية . أدبية . علمية . أخلاقية . أسبوعية ونصف شهرية » ظهرت فى الثلاثينيات كان يكتب بها الفلاسفة والأدباء والشعراء أمثال :

د. محمد غلاب رئيس تحريرها وكان يكتب بها الافتتاحية ، ود. على العنانى ، ود. زكى مبارك ، واللواء محمد فاضل باشا .

والأساتذة/محمد الصيحى ود. ابراهيم على أبو الخشب ، محمد حسن ، ابراهيم شعبان .

والشاعر محمود حسن اسماعيل ، وفضيلة الشيخ عبدالرحيم فودة والشاعر على محمد الجمبلاطى ، والأستاذ المحقق سيد أحمد صقر ، وفضيلة الشيخ محمد عرفة ، والسيد متولى الشهاوى .

والأدباء : إبراهيم عبدالباقى ، كامل رفعت نخلة ، عبدالمنعم إبراهيم ناجى ، محمد الحسينى خليل ، وعبدالرحمن البدوى ، وعبدالعظيم بدوى ، والعوضى الوكيل ، وأحمد عبداللطيف بدر ، وابراهيم عبدالعاطى ود. رياض هلال وكثير .

كانت المجلة ميدانا فسيحا للأدب والنقد يتبارى فيها خريجو الكليات الثلاث : الآداب وكلية اللغة العربية ودار العلوم ، إذ كانت الحرية مكفولة لجميع كتابها ، نقداً وتحريراً فكان ميدانها أشبه بميدان النقائض التى كانت بين جرير والفرزدق والأخطل .

وأذكر مثالا لذلك : أن بعض الكاتبين الذى تكنَّى بـ (أبى قنديل) ينتقص من شاعرية الأسمر تحت عنوان (شاعر الأزهر) وينقد شعره نقدا مُسِفًّا وكان الدكتور أبو الخشب يكتب تحت عنوان (لذعات بريئة) وممن كان يرد على أبى قنديل د. رياض هلال ـ رحمه الله ـ .

وكان الشيخ محمد عرفة يتصدى لآراء الدكتور طه حسين ويفند مزاعمه وخاطراته السابقة الباطلة فى القرآن الكريم .

شخصية د. غلاب :

كان الدكتور غلاب وقوراً صلباً لا يعرف المداهنة ، جاداً لا يألف المجاملة ، نزيها لا يجور ولا يتحامل على أحد كان من الذين يسبق عُمرهم العقلىُ نموهم الجسدى ، فإذا تكلم اتَّأَد فى القول حتى إذا علت المناقشات وارتفعت الجلبة سحقها ببيانه ، جمع الله له متانة الدين وأصالة الرأى وكمال الدراية وبعد النظر ، ولقد يسر الله له المجد بعمله وعلمه ، فكان على عمل دائب مسترسل النشاط وعلم نام بذخيرة متجددة فى دأب ونشاط .

مؤلفاته :

ألف أستاذنا الدكتور كتباً كثيرة فى الفلسفة الإغريقية والشرقية فمما كتب وطبع بالعربية :

١ ـ الفلسفة الشرقية ـ طبعة ثانية مكتبة الأنجلو المصرية .
٢ ـ الجزء الأول من الفلسفة الإغريقية طبعة ثانية مكتب الأنجلو المصرية جزءان .
٣ ـ الفلسفة العامة لدى المؤلف .
٤ ـ مشكلة الألوهية طبعة ثانية (دار إحياء الكتب العربية) وكان مقرراً على طلبة كلية أصول الدين .
٥ ـ الأخلاق النظرية لدى المؤلف .
٦ ـ الفلسفة الإسلامية فى المغرب (دار إحياء الكتب العربية) .
٧ ـ المذاهب الفلسفية العظمى فى العصور الحديثة (دار إحياء الكتب العربية) .
٨ ـ حياتنا الاجتماعية ومشكلاتها العظمى (مكتبة الأنجلو المصرية) .
٩ ـ الجزء الأول من الأدب الهيلينى (دار إحياء الكتب العربية) .
١٠ ـ الجزء الثانى من الأدب الهيلينى (دار إحياء الكتب العربية) .
١١ ـ الجزء الثالث من الأدب الهيلينى (دار إحياء الكتب العربية) .
١٢ ـ نفثات ولمحات (لدى المؤلف) .
١٣ ـ الفلاحون (طبعة ثانية دار الإعلانات المصرية) .
١٤ ـ كولمبا (دار الكاتب المصرى) .

١٥ ـ الضحية طبعة ثانية (دار الإعلانات المصرية) .
١٦ ـ هذا هو الإسلام (طبع مطابـــع دار الشعب) .
١٧ ـ الأدب المقارن مقدمة الأستاذ كاريه ضمن مترجمات مشروع الألف كتاب .

○○

وترك ـ رحمه الله ـ كتبا للطبع ـ منها :
١ ـ الفلسفة الإسلامية فى المشرق .
٢ ـ مشكلة النفس .
٣ ـ مشكلة المعرفة .
٤ ـ مشكلة المادة والحياة .
٥ ـ الكلام والمتكلمون .
٦ ـ التصوف والمتصوفون .
٧ ـ الفلسفة المسيحية فى الشرق والغرب .
٨ ـ الفلسفة التجريبية .
٩ ـ تيارات الفكر الفلسفى الفرنسى « مترجم ».
١٠ ـ تاريخ الفلسفة لإميل بريهييه (مترجم) .
١١ ـ معركة مع شياطين الهوى أو أسرار الحياتين السياسية والاجتماعية فى مصر .
١٢ ـ بقية كتاب الأدب الهيلينى وهى جزءان .
١٣ ـ الآداب الأوربية الحديثة خمسة أجزاء .
١٤ ـ المدرسة الرومانتيكية .
١٥ ـ تحطيم أوثان الأدب المصرى المعاصر .
١٦ ـ نقد الترجمات الفلسفية والأدبية فى مصر .
١٧ ـ شهيرات النساء الأوربيات وآثارهن الخالدة .
١٨ ـ المسبحة الوردية .
١٩ ـ أجلافين وسيليزيت .
٢٠ ـ خليادى تريكور .
٢١ ـ مثل خلقية عليا (وهذه الكتب الأربعة الأخيرة مترجمة).

أمام هذا الكم الهائل من المؤلفات يتيه بصر الإنسان فى صفوفها فإذا عاد إلى روعه استجلى محاسنها فأخذت بمجامع لبه سحر هذا الكاتب الفريد .

شهاداته العلمية :

تخرج فى كلية الآداب من الجامعة القديمة وناقشه الأساتذة : أحمد لطفى السيد ، الدكتور على العنانى ، الدكتور طه حسين ، الدكتور منصور فهمى ، والدكتور أحمد ضيف ، والأستاذ لويس كليمان الفرنسى ووقعوا جميعاً على شهادته واعتمدها الأستاذ أحمد لطفى السيد سنة ١٩٢٨ وبعد أن منح شهادته العالية من الجامعة القديمة التحق بجامعة « ليون » بفرنسا واستمر فى دراسته بها إلى أن حصل منها على (الدكتوراه) وبعد عودته إلى الوطن عمل بالتدريس فى كلية أصول الدين جامعة الأزهر فأستاذاً للفلسفة الإغريقية والشرقية بها ، ومكث أستاذا للقسم حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٩٥٩ ، ولم يشغله عمله أستاذاً للفلسفة عن الاهتمام بالقضايا التى أثيرت ـ فى وقته ـ فساهم فى التحرير بكثير من المجلات لاسيما مجلة الأزهر ومجلته .. « النهضة الفكرية » وعنى بالرد على زيغ المستشرقين ومن هؤلاء « البارون كارادى فو » وهو مستشرق عنى بالفلسفة الإسلامية ، وكتب بها عدة مؤلفات منها : « مفكرو الإسلام » و« ابن سينـــا » و« الغزالى » وكانت بعض مؤلفاته تحمل عنوانا مغرضاً كمؤلفه الذى عنون له بكلمة « المحمدية » وفى هذا المؤلف عرض لكثير من الفرق الإسلامية وهذا « البارون » أحد محررى « دائرة المعارف

الإسلامية » التى أنفقت عليها بسخاء جهات صهيونية .

لقد بدا أن « البارون » صاحب آراء تعتبر بمثابة تفنيد لفكرة خطرة على الحقيقة والتاريخ مؤداها أن (الإسلام كان حربا ضروسا على حرية الفكر) ، وهى هى الفكرة التى عمل على إذاعتها « أرنست رينان » ونشرها فى أغلب مؤلفاته ، ثم أفرد لها مؤلفاً خاصاً بعنوان : « الإسلام والعلم »[1] واتسع مضمونها ليقول : إن الإسلام كبت جميع الحركات العلمية ، وحارب العلم والفلسفة ، وحظر على معتنقيه التأمل والنظر ، ومن ثَمَّ فإن العرب مدينون بالعناصر الأولى من أفكارهم للإغريق .

ولم تسلم آراء البارون نفسها من التشويه واللبس مما جعل د. غلاب يتصدى لكلا الرجلين معا[2] مشيراً إلى خلط(كارادى فو)حين يصور الإيمان بقدرة الله ــ تعالى ــ لاحقــاً للإيمان بوحدانيته ، فيقول ــ رداً لهذا الخطأ :

إن الفطرة السليمة لا تتمثل إلهاً واحداً عاجزاً البتة .. وقد اتفق الفلاسفة الإلهيون على أن القدرة هى أثبت دعائم الوحدانية ، وأن أصح أدلة الثانية هو ما أقيم على أساس الأولى ، فقال أفلاطون :

« إنه لو لم يكن واحداً لحد الشريك سلطته التى لا يثبت الكمال ــ الذى هو أول شروط الإلهية ــ إلا بأن تكون لا حد لها » .

وفى القرآن العزيز : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ الأنبياء ٢٢ ، ثم يقول د. غلاب :

إن القرآن ... قد عرض لخمس مشاكل هى من أعوص النظريات الفلسفية وأعظمها خطراً ، ويقصد سيادتــه بهذه الخمس : الألوهيــة ، الوحدانية ، القدرة ، التنزه عن الإنسال ، مخالفة واجب الوجود لكل ما عداه من الموجودات ، ويقول : وليس هذا هو كل ما عرض له القرآن من المسائل ... ولا أحسب ــ بعد ذلك ــ أن كتاباً يعرض لهذه المشاكل الفلسفية المعقدة ، ويكلف معتنقيه بالنظر فيها ، يصح أن يتهم بأنه اضطهد الفكر ، وحارب النظر ، ولكنه الجهل أو الغرض الذى يحيد بصاحبه عن الصراط المستقيم .

ويبين الدكتور غلاب ما حرص الإسلام عليه ، وهو تنزيه العقيدة ، هذا التنزيه الذى يحمى المسلم من الوقوع فى التشبيه الذى لا يفترق عن الوثنية فى شىء ، وهو ما وقعت فيه التوراه المحرفة (العهــد القــديم) ، فأتى القــرآن الكـــريم بالتنزيه المطلق لله وحده الذى له كل كمال ، ولا يلحق به نقص ، قال تعالى : ﴿ **ليس كمثله شىء** ﴾ ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ أما قول المسيو « كارادى فو » إن القرآن أتى بالتوحيد ولم يقم عليه دليلا فهو دليل على أنه لم يقرأ القرآن قراءة تدبّر ألم ير قوله تعالى : ﴿ **وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق** ﴾ وهذا أقوى برهان على الوحدانية يمكن أن يتصوره العقل البشرى ، أما قوله : إن الإسلام اضطهد الفكر وحارب النظر فلا أدرى من أين استدل « كارادى فو » عليه ؟ هل قال الإسلام لأحد (اعتقد وأنت أعمى) كما اتهم به الأوربيون كنيستهم ؟ لو كان ما قاله (كارادى فو) صحيحا لأقام الإسلام

(١) نلاحظ أن العلمانيين فى الأقطار الإسلامية قد استعاروا حالياً رداء أرنست ، وأخذوا يلعبون به على مسرح الثقافة والسياسة معا ، ويرددون نفس القول بلا تغيير .

(٢) نلاحظ ــ كذلك ــ أن أوربا ــ تعترف ــ حالياً ، وعلى ألسنة كبار مسئوليها كأيزنهاور وغيره ، بفضل الحضارة الإسلامية عليهم واغترافهم منها .

سلطة تراقب الاختلافات المذهبية ولعملت ما عملته محاكم التفتيش فى أوربا ، ولما كان للمسلمين غير مذهب واحد ، وَلَمَا أخذ المسلمون العلم الطبيعى والفلسفة عن الأجانب ، ولما برعوا فيها حتى بزّوا أهلها ، ولما نقلوا جميع الآراء الفلسفية والنظريات العلمية إلى لغتهم ، واشتغلوا بها علناً فى مدارسهم ... ألم يبلغ المسيو « كارادى فو » أن المسلمين هم الذين بذلوا جهود الجبابرة فى استخراج الكتب العلمية وترجمتها بعد أن قضت الأديان الأخرى بكفر من ينظر فيها ؟ فهل يُتَّهَمُ الدين الذى يسمح لأهله بكل هذا بأنه يضطهد الفكر ويحارب النظر ؟..

وللدكتور غلاب مقالات أخرى بمجلة الأزهر متنوعة فى جميع مجالات الفلسفة بعنوان الإسلام والفلسفة ، مقالات متسلسلة متتابعة ص ٤٧٦ المجلد السابع . وكذا ص ٥٥٢ المجلد نفسه ، ص ٧٠١ بعنوان فلسفة ابن سينا نفس المجلد ، وفى مجلة الأزهر السنة التاسعة مقالات بعنوان الأخلاق الفلسفية ص ١٠٠ ، ٢٦٠ ، ٣٨٣ .... ومن مؤلفات الأستاذ الدكتور « هذا هو الإسلام » الذى طبع بمطابع الشعب عام ١٩٥٩ والكتاب ملىء بالموضوعات الحية مثل الدين وأثره فى الفرد والمجتمع ، وتأثير الإسلام فى الأمة العربية ، والإسلام والعلم الحديث نقتطف من هذا الأخير جزءاً هو (جهل المسلمين بدينهم) و(المدنية الغربية) يقول الدكتور ــ رحمه الله : « أيا ما كان فإن بين هاتين الكتلتين المتحدتين فى الطبيعة والغرائز والاتجاهات والنزعات ــ وإن اختلف فى المذاهب الاقتصادية والوسائل السياسية ــ تنتصب منارة الإسلام عالية رفيعة ترسل أشعتها إلى تلك الجنبات الحندسية[1] لتنير ظلماتها ، وتكشف مخبآتها ، ولا جرم أن هذه الأشعة الخالدة المنبعثة من تلك المنارة السماوية تنتشر فى الفضاء ناقشه بحروف الأبدية اسم العدالة الحقيقية ــ لا الزائفة التى يختفى وراءها أبشع أنواع الظلم وأفظع ألوان العسف .

واسم الاعتدال الصحيح لا الباطل الذى يستتر خلفه أشد مظاهر الجشع والنهم والشراهة دمامة وقبحا .

واسم الإنسانية الصادقة لا الكاذبة التى يندس تحتها أشنع الصور الوحشية المفترسة وأشدها إزعاجا للنفوس وإرهاباً للقلوب .

واسم حرية تقرير المصير المخلصة لا المنافقة التى ينزوى فى أركانها أقسى أشكال الضغط والاضطهاد وأشدها بربرية وهمجية .

ولا ريب أن الدور الذى يجب أن يقوم به الإسلام بإزاء هاتين الكتلتين والمتطرفتين فى الماديات المفرطتين فى تعارض الوسائل ــ وإن اتفقتا فى توحيد الأهداف وانجسام الغايات ــ هو دور الاعتدال وحفظ التوازن والتعادل بينهما

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ الآية ١١٠ من سورة آل عمران ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

غير أن أكثر المسلمين الآن لا يستطيعون القيام بهذا الدور ؛ لأن فريقا منهم يجهل دينه جهلا تاما

(١) الحندسية أى المظلمة .

ويتصور أن المدنية الغربية تفوقه فى مضمار الرقى بأشواط لا حد لها ، وأن مجرد الظهور به فى تلك البيئات العصرية ضرب من الرجعية يستدعى السخرية ويستوجب الاستهزاء ، ومِنْ ثَمَّ فإنهم يتوارون حياء وخجلا وينزوون فرقا وجهلا ... وهؤلاء هم الضعفاء المناعون بسبب الجهل الذريع والتربية الواهنة والأخلاق المنحلة .

وإن فريقاً آخر لم يعرف من الدين إلا قشوراً ظاهرية وطقوساً خارجية ومظاهر سطحية ، ولم يعرف كذلك من المدنية الغربية كثيراً ولا قليلا فهو يرهبها دون أن يراها ، كما يرهب الأطفال الكائنات الخرافية التى يسمعون بها من عجائز المرضعات دون أن يشاهدوا فيها عينا ولا أثرا فتتحطم قلوبهم فزعا وتتفتت نفوسهم هلعاً وهم لهذا يرتاعون من الغرب على بُعد ، ويتخيلون أن فى مدنيته من القوة والصلابة ما يمكنها من اجتياح مدنية الإسلام ، ولا جرم أنهم فى هذا الموقف أشبه شىء بأولئك الأطفال الذين ينزعجون مما يجهلون ، ويجزعون من ظلالهم معتقدين أنها كائنات تتعقبهم قصداً للنيل منهم والإيقاع بهم ، وهم فوق ذلك يسيئون الظن بالحصانة الإلهٰية والمناعة السماوية حتى يعتقدون أنها تنهار أمام سلطان مدنية الأرض الحائلة التى تحمل فى كيانها عنصر فسادها وجرثومة فنائها .

تنبه الصفوة :

بيد أن صفوة المسلمين الذين منحتهم السماء نِعَمَ العقلِ الراجح والفكر الثاقب والرأى الصائب ، وأتاحت لهم فرصاً للتثقف الواسع والاطلاع الشامل لم يسيروا على أولائك ولا هؤلاء ، وإنما رأوا أن هناك نهجين مختلفين بإزاء هذه المدنية الغربية :

أولهما : تجاهل هذه المدنية وتجنبها ولكن لا بدافع الضعف ولا بعامل الخوف بل اكتفاءً بمدنيتهم التى تفتحت منذ نشأتها عن مبادىء روحية جليلة ، وانطلقت منها أشعة سماوية ألجأت طغاة الغربيين الذين امتلأت قلوبهم صلفا وغطرسة إلى الشعور بأنهم أمام مدنية أسمى من مدنيتهم وقوة علوية قادرة على إصلاحها ، وأنهم بإزاء ذلك كله ، يجب أن يحنوا رءوسهم إجلالا لمبادئها واحتراماً لأهلها .

وثانيهما : الانغماس فى وسط المدنية الغربية بقدر ما تتطلبه حاجة العصر وتقتضيه ضرورة الزمن مع الاحتفاظ بالشخصية كاملة ، والحرص على المبادىء سليمة قويمة ، ولَمَّا رأوا أن النهج الأول سلبى خامل لا يلتئم مع حيوية دينهم ونشاطه ؛ فقد صمّموا منذ فجر الإسلام على سلوك النهج الثانى ، والاتصال الوثيق بالمدنية الغربية فى أسمى مظاهرها وأرقى صورها ، وعلى الأخذ بنصيب موفور من علومها ومعارفها ففعلوا وأخذوا من تلك الجوانب الخالدة بحظ ضخم قوى كما فعلت الدولة العباسية من قبل . بيد أن الموقف هنا يختلف عنه هناك اختلافاً أساسيًّا إذ أن الأمر فى عهد الدولة العباسية كان يتعلق بمدنية حملتها إلى العالم الإسلامى ثقافة قديمة قيمة ساطعة كانت تعتمد ــ أكثر ما تعتمد على ثمار الفكر البشرى : من فلسفة وأدب وسياسة وفنون راقية ، وعلوم طبيعية وكيمياء وطب ورياضة وفلك وما إلى ذلك مما هو جدير بأن يكون أساساً صالحاً للدول التى تحترم نفسها وتحتفظ بكرامتها ، وتشعر بأن المجد الحقيقى لا يتأسّس إلا على قواعد العلم ودعائم الثقافة فى حين أن الأمر اليوم يتعلق بمدنية عصرية تعتمد على مالها من هيبة وسلطة اكتسبتهما بالقوة

المادية الغاشمة والغلبة الاستعمارية المتعسفة كما أسلفنا ... ومما يسترعى الانتباه فى هذا الصدد أن كثيراً من هذه الصفوة قد تنبهوا إلى ما فى تلك المدنية الغربية من ميزات لا يستهان بها ؛ بل إنه لمن الخسارة إهمالها والإغضاء عنها فقذفوا بأنفسهم إليها وتغلغوا فى أعماقها ولكنهم جعلوا لا ينظزون إليها بهذه العين الفاحصة الناقدة ولا يرونها إلا من خلال الحيطة والحذر[1] ...

من هذا يتبين أن العالم الإسلامى – إذ يتأثر بالمدنية الغربية بعض الشىء لا يغفل عن احتفاظه الكامل بوجوده ودفاعه المستبسل عن كيانه كأنه فى حالة كفاح دائم مع هذه المدنية الغربية التى يهرول إليها وهو يحذرها ويتأثر بها ويحتاط منها ... ولهذا كان من المضحك أن يرى بعض المتعصبين فى أخذ المسلمين بطرف من المدنية الغربية محاكاة أو تقليدا قد ينتهى إلى انمياع الأضعف فى الأقوى على حد تعبيرهم .

وقد فات أولئك المساكين أن القوة هى قوة العناصر الأولية والمبادىء الأساسية والخصائص الذاتية ، لا قوة العوامل الأجنبية العارضة التى تتخلف أو تزول بتخلف دَواعيها أوزوال بواعثها ككل القوة المادة الحائلة والغلبة المؤقتة الزائلة فلو أن أولئك المتعصبين تفكروا وتدبروا ، أو فهموا أو حللوا لاتضح لهم فى جلاء أن عناصر الإسلام هى الأقوى ، ومبادىء السماء هى الأبقى وكلمة الله هى العليا ولآمنوا بأن البقاء للأصلح والدوام للأفضل.

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية ١٧ من سورة الرعد .

وإذن فمرحى مرحى أيها المتعصبون ، فليس العالم الإسلامى هو الذى سيناع فى المدنية الغربية وإنما هو الذى سيهضمها ويتغذى بها فيستفيد منها ويستطرد د. غلاب فيقول : وقصارى القول أن المدنية الإسلامية قد بلغت من السمو الروحى الحد الذى مكنها من أن تضع القيم الأخلاقية فى مواضعها الطبيعية ، وأن تحدد لكل جانب من جوانب الحياة منزلتها الفطرية ، وأن تعين له نوع السلطة التى يجب أن توجهه وتتحكم فيه ، ومما رفع شأنها وأعلى مكانتها أنها أثبتت بالأدلة القاطعة أن من عناصرها الأولية ومبادئها الأساسية أن تكون الصدارة فى كل شىء لصالح الجماعة لا للمنفعة الفردية أو للفائدة الشخصية ، وأن تجعل السيادة للغيرية على الأنانية .

وبعـــد :

فلعل ما قدمنا من ثمرات تراث أستاذ د. غلاب يكشف عن شخصيته إذا كتب ، وعن حريته إذا عَبَّر ، وعن صدقه إذا بحث ، وعن هدوئه إذا فكَّر ، وعن عقليته إذا وازن لينتهى إلى الحق الصراح ، فلا غرو أن يحظى بمنزلة جليلة لدى أصحاب البصائر وذوى التمييز .

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن أعماله خيراً والله يوفقنا لخدمة الدين والعلم .

---

(١) مجلة الأزهر : شاء الله – تعالى – ألا يعيش الأستاذ الدكتور غلاب إلى أيامنا هذه ليرى – فى أهم مناطق الشرق الإسلامى – فريقاً من أبنائه محسوبين عليه ، قد باعوا كل عزيز فى سبيل الغرب ، واعتنقوا كل آرائه حتى تلك التى لفظها ، وسخروا من كل ما لمدنيتهم وحضارتهم من قيمة ، ورأوها تراكمات من التخلف ينبغى إبادتها؛منهم من جهر بذلك علناً ، ومنهم من دارى.. وكلاهما على انمياع تام يمثل قسماً ثالثاً كان من حسن حظ الدكتور أنه مات دون أن يراه ..

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

الإشاعات والأراجيف

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

إعداد الأستاذ/عبدالفتاح حسين الزيات

يتحكم التهور فى بعض الناس ، فيطلقون الإشاعات بسبب وبدون سبب ، دون ما نظر إلى ما تحدثه من آثار سيئة قد تكون مدمرة أحيانا .

ومن عجب أن أصبح هذا اللون محببا لدى بعض الناس ، يتلذذ به ويسعد بما يحدثه فى نفوس الناس ، ظانا فى نفسه أنه أتى أمراً طيباً ، وما درى أنه أتى أمراً منكراً ، والإشاعات سلاح خطير ، ولذلك تلجأ إليه الجيوش فى المعارك للتأثير فى نفسية العدو ، كما حدث فى الحرب العالمية .

وأيًا ما كانت فهى ضد الحقيقة ، ولذلك تجب محاربتها حتى لاتصبح وباء يصيب الأمة فيصعب الدواء .

قال الأستاذ رحمه الله :

الإشاعات سلاح خطر يفتك بجسم الأمة ويفرق بين أهلها ، ويسىء ظن بعضهم ببعض ، ويؤدى إلى بغض المحكومين للحاكمين وعدم الثقة بهم ، فقد تنشر الإشاعة وتلصق بالحاكمين تهمة ، فيسمعها المرء من مصادر متعددة ، وتتكرر على زمنه فيصدقها للتوكيد والتكرار .

وأسرع الأمم تصديقاً للإشاعات هى الأمم الجاهلة ، فهى بسذاجتها تصدق ما يقال لها وليست فيها قدرة النقد والتمحيص ، وقد تحمل الإشاعة تكذيبها ولكنهم لا يفطنون إلى هذا التكذيب .

أما الأمم العالمة ، فهى أبعد الناس عن تصديق الإشاعات وعن أن تروج فيهم ، فالمتعلمون فيها إذا ألقيت إليهم إشاعة كاذبة محصوها وعرضوها على النقد فيبين لهم كذبها وزيفها ، ولكن العلماء المحصين قليل ، والكثرة الكاثرة أجهل من أن تمحص وأضعف من أن تنقد ، ولذلك كانت الإشاعات سلاحاً حاداً شديد الفتك . وقد أدركت الأمم فتك هذا السلاح فحاربت أعداءها به ، وافتنت فيه وجهدت فى أن تقى أمتها شره .

ومن قبل ذلك أدرك المسلمون الأولون خطورة هذا السلاح ومضاءه ، وقد حاربوا وحوربوا به ، وكانوا إذا حاربوا به أحكموه ، وإذا حوربوا به فَلُّوهُ ، لعلمهم بقوته وفتكه ، وإدخاله الرعب والفزع والشك والشبهة فى نفوس الأمة التى تبلى بها .

يحدث التاريخ أن المنافقين أشاعوا الشائعات حول امرأة طاهرة الذيل عفيفة الإزار ، وهى السيدة عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ ، اتهموها فى عفتها وهى حصان رزان ، ماتزن بريبة ، قد ربيت فى بيت كريم ، بيت أبى بكر الصديق ، وخرجت منه إلى بيت كريم ، مهبط الوحى ومنزل النبوة ، ومثوى الأبرار الصالحين وهو بيت محمد ﷺ ، وكانوا يريدون بهذه الإشاعة إثارة الشكوك فى نبوته ﷺ ، فيقول القائل إنه كسائر الناس تتهم نساؤه ويطعن من خلفه ، ولو كان نبياً لكان أكرم على الله من ذلك ، ولأعلمه بما يدور فى بيته ، ولكن ما لبثت هذه الإشاعة أن قضى الله عليها ، فقد نزل القرآن ببراءتها مما رميت به ، وتوعد الذين جاءوا بالإفك بأشد أنواع العذاب ، ورسم للمسلمين سياسة حكيمة فى إشاعات السوء وموقف المؤمنين منها ومن مروجيها ، فمما نزل فى براءة السيدة عائشة : ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)﴾ سورة النور

ومما توعد به الذين أشاعوا الفاحشة :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ (٢٥)﴾ .

ومما طلبه من المؤمنين الذين يسمعون إشاعات السوء :

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)﴾ .

سورة النور

فقد علَّم الله المؤمنين كيف يحاربون الإشاعات والأكاذيب ، وكيف يتقونها فطلب أن يرجع المسلمون إلى ما علموه من سيرة من قيلت فيه

الإشاعة ، وألا يتركوا ما علموه من نزاهته وصلاحه ، إلى مالم يعلموه من هذه الأكاذيب ، وأن يغلب المؤمنون حسن الظن ، ويظنوا بأنفسهم خيراً فيكذبوا ما قيل وأن يقفوا من هذه الأكاذيب موقف الناقد الفاحص والقاضي العادل ، فلا يصدق إلا بيقين ، ولا يحكم إلا ببينة .

وأخطر شيء في الإشاعات هو التحدث بها وترديدها والإفاضة فيها إذ بذلك يمكن للإشاعة من أن تفسد العدد الكثير ، وتعين الأمة بذلك عدوها عليها ، وتتولى إفساد ذات بينها بيدها ، ويكون نصيبها في ضررها أكثر من نصيب عدوها إذ هو يخلق الإشاعة ويرمى بها وهنا ينتهى عمله ، والأمة تتولى الباقى فتضر نفسها أكثر مما يضرها عدوها .

لذلك جعل الله من أعظم ما تتقى به الإشاعة عدم تلقيها بالألسنة ، وعدم الإفاضة فيها ، وقتلها في مهدها : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ . سورة النور

وقد لقى النبي ﷺ وأصحابه ، من حرب الإشاعات عنتاً كثيراً ، كانوا إذا خرجت سرايا النبي ﷺ أرجف بها مروِّجو الأراجيف ، فيقولون هزمت وقتلت ، ليكسروا بذلك قلوب المؤمنين .

فتوعدهم الله أعظم وعيد ، وأنزل فيهم عقوبات هي أشد ما أنزل في مواطن وهي قوله : ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ . فهل سمع سامع بعقوبات أشد وانكى من هذه العقوبات ، وإنها لا تزال قائمة يصبها القانون الإلهي على ناشري إشاعات السوء ومروجي الفتن والمرجفين في الأمة .

وقد اضطر المسلمون في عصر النبي ﷺ أن يحاربوا بالإشاعات ، وكان ذلك في واقعة الخندق ، وهي واقعة تألب فيها الشرك على الإسلام ، فقد تألبت اليهود وقريش وغطفان وجاءوا في العدد والعدة ، وحاصروا المدينة ، وإذ أردت أن تعلم ما كان المسلمون فيه من هول ، فاقرأ قوله تعالى في وصفه :

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ ﴾ سورة الأحزاب

في هذه العسرة هذا الضيق ، جاء نعيم بن مسعود الغطفاني إلى النبي ﷺ وقال : يارسول الله «إني أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فأمرني بما شئت» ، فقال رسول الله : إنما أنت فينا رجل واحد فخذِّل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة ، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة من اليهود ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يابني قريظة قد عرفتم ودى إياكم وخاصة مابيني وبينكم ، قالوا صدقت ، لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا

ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم ، يكونون لديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه .

فقالوا له : لقد أشرت بالرأى ، ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراق محمداً ، وأنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فاكتموا عنى قالـوا : نعمل ، قال تعلموا أن معشر يهود ، قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم . فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً . ثم قال مثل ذلك لغطفان ، ثم أرسل أبو سفيان يستنهض اليهود للقتال فقالوا : لسنا

نقاتل حتى تعطونا رهنا من رجالكم فقالت قريش وغطفان إن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، وأبوا عليهم . فقالت اليهود إن ما حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، فخذل الله بينهم واختلف أمرهم ، وكان أن أرسل الله عليهم ريحاً شديدة فى ليلة شاتية شديدة البرد ، فأصبحوا مرتحلين ونجى الله المسلمين .

لقد كان نعيم بن مسعود أرد على المسلمين من مائة ألف سيف تنافح عن المسلمين ـ فإذا كان المثل يقول إن من الرجال من هو بألف فإنى أقول إن نعيم بن مسعود بأمة أو بجيل من الناس .

وقد فعل السير ستافورد كريبس سفير إنجلترا فى روسيا ما فعله نعيم بن مسعود فما زال يخوف روسيا من ألمانيا ، ويذكر لها ما طلبته من الصلح معهم على حرب روسيا ، حتى أوجسوا شراً من ألمانيا ، وظهر ذلك منهم فخافتهم ألمانيا ، ووقعت معهم فى حرب أعجزتهم قتلا وأفنت رجالهم وعدتهم وسلاحهم ، وخف بذلك الضغط على بريطانيا وكسب الحلفاء النصر .

وإذا تأمل المرء يجد أن المصريين قد أتوا فى كثير من حروبهم من الإرجاف وقالة السوء ، فقد كان يرجف فى واقعة عرابى ، بأن جيشكم قد هزم وعرابى قد سلم فتفعل فيهم ما يفعل الداء بالجسم المريض ، ويقع الرعب ثم يقع التسليم .

الآن قد علمتم قوة الإشاعات والأراجيف فما أحراكم بالحذر منها وعدم تمكين عدوكم منكم بتصديقها والإفاضة فيها .

محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

اللغة والنقد والأدب

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

تحقيق فضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

(١٠)

﴿ســورة النــور﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «وفرَّضناها» بتشديد الراء، والباقون بتخفيفها .

قرأ ابن كثير بخلاف عن البزى «رَأَفَة» بفتح الهمزة، والباقون بإسكانها، وهم فى البدل على أصلهم .

« المحصنات » فى النساء .

قرأ الإخوة وحفص «أربع شهادات» الأول برفع العين، والباقون بنصبها .

قرأ نافع ويعقوب «أن لعنة الله» بتخفيف النون ساكنة . ورفع «لَعْنَة»، والباقون بالتشديد والنصب .

قرأ حفص «والخامسة» الأخيرة بالنصب، والباقون بالرفع .

قرأ نافع ويعقوب «أن» بالتخفيف، والباقون بالتشديد .

قرأ نافع «غضب الله» بكسر الضاد وفتح الباء ورفع الجلالة بعد، ويعقوب بفتح الضاد ورفع الباء وجر الهاء، والباقون كذلك لكن بنصب الباء .

قرأ يعقوب «كُبْره» بضم الكاف، والباقون بكسرها .

ومر «إذ تلقونه» لابن كثير، «ورءوف، وخطوات» فى البقرة، وعن روْح من طريق [و] قرأ «مازكى» بتشديد الكاف .

قرأ أبو جعفر «ولا يتأل» بهمزة مفتوحة بعد التاء وتشديد اللام مفتوحة، والباقون بهمزة ساكنة قبل التاء وكسر اللام مخففة، وهم على أصلهم فى إبدال الهمزة .

قرأ الإخوة «يشهد» بالتذكير، والباقون بالتأنيث .

«جيوبهن» مر فى البقرة .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر وشعبة «غيرَ أولى» بنصب الراء، والباقون بجرها .

ومر «أيها المؤمنون» لابن عامر مع الوقف عليه فى بابه، و«مبينات» فى النساء .

قرأ أبو عمرو والكسائى «دِرِّىء» بكسر الدال مع المد والهمز، وحمزة وشعبة كذلك لكن بضم الدال، والباقون بضمها وتشديد الياء .

قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر «توقَد» بتاء مفتوحة وفتح الواو وتشديد القاف وفتح الدال، ونافع وابن عامر وحفص بياء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال، والباقون كذلك لكنهم بالتاء مؤنثا .

قرأ ابن عامر وشعبة «يسبح» بفتح الياء، والباقون بكسرها .

قرأ البزى «سحاب» بلا تنوين «ظلمات» بالجر[1]، وقنبل كذلك مع التنوين .

قرأ أبو جعفر «يذهب» بضم الياء وكسر الهاء، والباقون بفتحها .

ومر «خالق كل دابة» فى إبراهيم، «وليحكم» معاً لأبى جعفر فى البقرة، «ويتقه» فى هاء الكناية .

قرأ شعبة «كما استخلف» بضم التاء وكسر اللام، والباقون بفتحهما .

«لا تحسبن» مر فى الأنفال .

قرأ ابن كثير ويعقوب وشعبة «وليبدلنهم» بالتخفيف، والباقون بالتشديد .

قرأ الأخوة وشعبة «ثلاث عورات» بالنصب، والباقون بالرفع .

ومر «بيوت»، و«يرجعون» فى البقرة «وأمهاتكم» فى النساء .

﴿ســورة الفرقــان﴾

قرأ الإخوة «نأكل منها» بالنون، والباقون بالياء .

«مسحورا انظر» مر فى البقرة .

قرأ الابنان وشعبة «ويجعل لك» بالرفع، والباقون بالجزم .

«ضيقا» مر لابن كثير .

قرأ أبو جعفر وابن كثير ويعقوب وحفص «يحشرهم» بالياء، والباقون بالنون .

قرأ ابن عامر «فيقول» بالنون، والباقون بالياء .

قرأ أبو جعفر «نتخذ» بضم النون وفتح الخاء، والباقون بفتح النون وكسر الخاء .

قرأ قنبل ـ بخلاف عنه ـ «بما يعملون» بالغيب، والباقون بالخطاب .

قرأ حفص «فما يستطيعون» بالخطاب، والباقون بالغيب .

قرأ أبو عمرو والكوفيون «تشقق» هنا وفى (قٓ) بتخفيف الشين والباقون بتشديدها .

قرأ ابن كثير «وننزل» بنونين : الأولى مضمومة، والثانية ساكنة وتخفيف الزاى وفتح اللام ورفع الملائكة .

ومر «ياويلتى» فى الإمالة والوقف، «وثمود» فى هود، «والريح» «وميتا» فى البقرة، «ونشراً» فى الأعراف، «وليذكروا» فى الإسراء .

قرأ الأخوان «يأمرنا» بالغيب، والباقون بالخطاب .

قرأ الأخوة «سُرُجاً» بضم السين والراء بلا ألف، والباقون بكسر السين وفتح الراء وألف .

قرأ حمزة وخلف «أن يذكر» بتخفيف الذال ساكنة وضم الكاف، والباقون بتشديدهما مفتوحتين .

قرأ المدنيان وابن عامر «ولم يقتروا» بضم الياء وكسر التاء، وابن كثير والبصريان بفتح الياء وكسر التاء، والباقون بفتح الياء وضم التاء .

---

(١) أى بإضافة سحاب إلى ظلمات .

« يفعل ذلك » مر لأبى الحارث .

قرأ ابن عامر وشعبة « يضاعف » ، « ويخلد » برفعهما ، والباقون بجزمهما ، ومر تشديد العين للابنين وأبى جعفر ويعقوب ، « وفيه مهانا » لحفص مع ابن كثير .

قرأ المدنيان والابنان ويعقوب وحفص « وذرياتنا » بالجمع والباقون « وذريتنا » بالإفراد .

قرأ الإخوة وشعبة « ويلقون » بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف ، والباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف .

ياءاتها المضافة .

ثنتان : « ياليتنى اتخذت » « وقومى اتخذوا » ومر حكمهما .

﴿سورة الشعراء﴾

مر السكت على فاتحتها ، وإمالة الطاء وإظهار النون .

قرأ يعقوب « وَيَضِيقَ » ـ « ولا ينطلق » بنصبهما ، والباقون برفعهما ومر « أرجه ، وأئنّ لنا ، ونعم وتلقف » فى الأعراف « وءامنتم » فى الهمزتين من كلمة ، « وأن اسر » فى هود .

قرأ الكوفيون وابن ذكوان وهشام من طريق الداجونى « حاذرون » بألف « والباقون بلا ألف .

ومر « عيون » فى البقرة « وتراءى الجمعان » فى الإمالة .

قرأ يعقوب « وأتباعك » بقطع الهمزة وإسكان التاء مخففة ورفع العين وألف قبلها ، والباقون بوصل الهمزة وتشديد التاء مفتوحة وفتح العين بلا ألف .

قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر والكسائى « خلق الأولين » بفتح الخاء وإسكان اللام ، والباقون بضمها .

قرأ ابن عامر والكوفيون « فارهين » بألف ، والباقون بلا ألف .

قرأ المدنيان والابنان « أصحاب ليكة » هنا . وفى (صٓ) بلام مفتوحة بلا ألف وَصْلٍ قبلها ولا همزة بعدها وبفتح التاء للتأنيث وصلا والباقون بألف وصل وإسكان اللّام ـ وهمزة مفتوحة وجر تاء التأنيث .

« بالقسطاس ، وكِسَفاً » مرا فى الإسراء .

قرأ ابن عامر والإخوة ويعقوب وشعبة « نَزَّلَ » بتشديد الزاى « الروحَ الأمينَ » بنصبهما ، والباقون بالتخفيف ورفع الاسمين .

قرأ ابن عامر « أولم تكن » بالتأنيث (آية) بالرفع ، والباقون بالتذكير والنصب .

قرأ المدنيان وابن عامر « فتوكل » بالفاء والباقون بالواو ، ومر « على من تنزل الشياطين . تنزل » لابن كثير .

« ويتبعهم » لنافع .

ياءاتها المضافة :

ثلاث عشرة : « إنى أخاف معا ، ربى أعلم ، بعبادى إنكم ، لى إلا ، لأبى إنه ، ان معى ، ومن معى[1] ، « أجرى إلا » خمسة .

---

(١) من قوله تعالى : ﴿ونجنى ومَنْ مَعِىَ من المؤمنين﴾ الآية ١١٨ .

وزوائدها ست عشرة : أن يكذبون، أن يقتلون، سيهدين، ويسقين، يشفين، يحيين، كذبون، وأطيعون، ثمانية ومر حكم الأمرين .

﴿ســورة النَّمــل﴾

مر السكت على فاتحتها وإمالة الطاء .

قرأ الكوفيون ويعقوب «بشهاب» بالتنوين والباقون بدونه .

ومر «رآها» فى الإمالة، «ويحطمنكم» فى آل عمران، و«واد النمل» فى الوقف .

قرأ ابن كثير «لَيَأْتِيَنَّنِى» بنونين : الأولى مفتوحة مشددة والثانية مكسورة مخففة، والباقون بنون واحدة مكسورة مشددة .

قرأ عاصم وروح «فمكث» بفتح الكاف، والباقون بضمها .

قرأ أبو عمرو والبزى «من سبأ» هنا «ولسبأ» فى سورتها بفتح الهمزة بلا تنوين، وقنبل بإسكانها، والباقون بالجر والتنوين .

قرأ أبو جعفر والكسائى ورويس «أَلايا اسجدوا» بتخفيف اللام ويعقوب على (يا) ويبتدئون «اُسجدوا» بهمزة مضمومة بالأمر، والتقدير : يا هؤلاء اسجدوا فـ (يا) و (اسجدوا) كلمتان، والباقون «أَلَّا يسجدوا» بتشديد اللام فيسجدوا كلمة واحدة .

قرأ الكسائى وحفص «يخفون ويعلنون» بالخطاب، والباقون بالغيب فيهما . ومر «فألقه» فى هاء الكناية «وأتمدوننى» لحمزة ويعقوب فى الإدغام الكبير «وأتانى، وآتيك، ورآه، وكافرين» فى الإمالة و«رَأَتْهُ حَسِبَتْه» و«رآه مستقرا» للأصبهانى فى الهمز المفرد .

قرأ قنبل «ساقيها» هنا – وبالسوق فى (صٓ) «وعلى سوقه» فى الفتح بهمز الألف والواو همزة ساكنة وزَادُوا لَهُ فى حرفى (صٓ) و(الفتح) ضم الهمز قبل الواو، والباقون بلا همز فى الثلاثة .

قرأ الإخوة «لنبيتنَّه ثم لنقولن» بالخطاب فيهما، وضم التاء الثانية من الأول . واللام الثانية من الثانى، والباقون بالنون وفتح التاء .

واللام «مهلك أهله» مر فى الكهف .

قرأ الكوفيون ويعقوب «أنا دمرناهم، أن الناس» بفتح الهمزة، والباقون بالكسر فيهما .

«قدرناها» مر لشعبة .

قرأ البصريان وعاصم «أما يشركون» بالغيب، والباقون بالخطاب .

قرأ أبو عمرو وهشام وروح «يذكرون» بالغيب والباقون بالخطاب، وهم فى الذال على أصلهم .

ومر «الريح» فى البقرة، «ونشرا» فى الأعراف .

قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر «بل أَدْرَكَ» بهمزة قطع مفتوحة وإسكان الدال بلا ألف، والباقون بوصل الهمزة وتشديد الدال ثم ألف .

ومر «أئذا أئنا» فى الهمزتين من كلمة، «وضيق» فى النحل .

قرأ ابن كثير «ولا يسمع الصُّم» هنا، وفى الروم بالياء وفتحها وفتح الميم ورفع الصُّم،

والباقون بالتاء مضمومة وكسر الميم وبنصب الصم .

قرأ حمزة « تهدى العمى » هنا وفى الروم بالتاء مفتوحة وإسكان الهاء بلا ألف ونصب العمى ، والباقون بباء مكسورة وألف بعد الهاء وجر العمى ، ومر الوقف فى بابه .

قرأ حمزة وخلف وحفص « أَتَوْهُ » بقصر الهمزة وفتح التاء والباقون بالمد والضم .

قرأ ابن كثير والبصريان وابن عامر وشعبة ـ بخلاف عنهما ـ « بما يفعلون » بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ الكوفيون « من فزع » بالتنوين ، والباقون بدونه .

قرأ المدنيان والكوفيون « يومئِذ » بفتح الميم والباقون بكسرها .

« بما يعملون » مر فى الأنعام .

ياءاتها المضافة خمس :

إنىء انست ـ أوزعنى أن ، مالى لا ،إِنِّى أُلْقِى ، ليبلونى أأشكر .

وزوائِدها ثلاث :

أتمدوننى ، أتانى الله ، حتى تشهدون ومر حكم الأمرين .

﴿ســـورة القصص﴾

مر السكت على فاتحتها وإمالة الطاء وإظهار النون .

قرأ الإخوة « ويرى » بالياء مفتوحة وفتح الراء وإمالتها « فرعون وهامان وجنودهما » برفع الثلاثة ، والباقون بالنون مضمومة وكسر الراء وفتح الياء ونصب الثلاثة .

قرأ الإخوة « وحزنا » بضم الحاء وإسكان الزاى ، والباقون بفتحها .

« يبطش » مر لأبى جعفر .

قرأ الأبوان وابن عامر « يصدر » بفتح الياء وضم الدال ، والباقون بضم الياء وكسر الدال ، ومر إشمام الصاد .

« وهاتين » فى النساء ، و « لأهله امكثوا » لحمزة فى هاء الكناية .

قرأ عاصم « جذوة » بفتـــح الجيم ، وحمزة وخلف بضمها ، والباقون بكسرها ، « رآها تهتز » مر إمالته وتسهيله .

قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان « الرهب » بفتح الراء والهاء ، وحفص بفتح الراء وإسكان الهاء ، والباقون بضم الراء وإسكان الهاء . ومر « فذانك » فى النساء ، « ورِداً » فى النمل .

قرأ عاصم وحمزة « يصدقنى » برفع القاف ، والباقون بجزمها .

قرأ ابن كثير « قال موسى » بلا (واو) قبل (قال) والباقون بالواو ، ومر « يكون له » فى الأنعام ، « ولا يرجعون » فى البقرة ، « وأئمة » فى الهمزتين من كلمة .

قرأ الكوفيون « سحران » بكسر السين بلا ألف بعدها وإسكان الحاء ، والباقون بألف بعد السين وكسر الحاء .

قرأ المدنيان ورويس يُجْبَى بالتأنيث ، والباقون بالتذكير « فى أمها » مر فى النساء .

قرأ أبو عمرو ـ بخلاف عن السوسى ـ « أفلا تعقلون » بالغيب ، والباقون بالخطاب .

ومر «ثُمَّ هْو» فى البقرة، و«أرأيتم» و«ضياء» فى الهمز المفرد، و«ويكأن»، و«ويكأنه» فى الوقف .

قرأ يعقوب وحفص «لَخَسَفَ بنا» بفتح الخاء والسين، والباقون بضم الخاء وكسر السين .

«ترجعون» مر ليعقوب .

ياءاتها المضافة ثنتا عشرة :

ربى أن، إنى انست، إنى أنا، إنى أخاف، ربى أعلم معا، لعلى معا، إنى أريد، ستجدنى إن، معى ردا، عندى أولم .

وزوائِدها ثنتان : أن يقتلون، أن يكذبون ومر حكم الأمرين .

﴿ســورة العنكبـوت﴾

مر السكت على فاتحتها .

قرأ الإخوة وشعبة ـ بخلاف عنه ـ «أولم تروا» بالخطاب، والباقون بالغيب .

قرأ ابن كثير وأبوعَمرو «النشاءة» هنا وفى النجم . والواقعة بألف بعد الشين، والباقون بإسكان الشين بلا ألف .

قرأ ابن كثير وأبوعمرو والكسائى ورويس «مودة» بالرفع بلا تنوين (بينكم) بالجر، وكذا حمزة وحفص وروح لكن بنصب مودة، والباقون بالنصب فيهما والتنوين، ومر «أئِنكم» فى الهمزتين من كلمة «ورسلنا، وإبراهام» «وسيىء» فى البقرة «ولننجينه، وإنا منجوك» فى الأنعام .

قرأ ابن عامر «إنا منزلون» بتشديد الزاى، والباقون بتخفيفها .

«وثمود» مر فى هود .

قرأ عاصم والبصريان «يدعون» بالغيب، والباقون بالخطاب .

قرأ ابن كثير والإخوة وشعبة «ءاية» بالإفراد، والباقون بالجمع .

قرأ نافع والكوفيون «ويقول» بالياء، والباقون بالنون .

قرأ شعبة «ترجعون» بالغيب، والباقون بالخطاب، ويعقوب على أصله .

قرأ الإخوة «لنثوينهم» بثاء مثلثة ساكنة بعد النون، وإبدال الهمزة ياء، والباقون بباء موحدة وتشديد الواو مع الهمز، وأبوجعفر يبدلها على أصله، «وكأين من» [ذكر فى الهمز المفرد][1] .

قرأ ابن كثير والإخوة وقالون ـ «وليتمتعوا» بإسكان اللام، والباقون بكسرها، «سبلنا» مر لأبى عمرو .

ياءاتها المضافة ثلاث :

ربى إنه، ياعبادى الذين، أرضى واسعة .

وزوائِدها واحدة : فاعبدون . ومر حكم الأمرين .

﴿ســورة الــروم﴾

مر السكت على فاتحتها .

قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان «عاقبة الذين أساءوا» بالرفع، والباقون بالنصب . قرأ أبوعمرو

---

(١) سقطت من الأصل المصور، وما بين القوسين من التقريب .

وروح وشعبة «ترجعون» بالغيب، والباقون بالخطاب، ويعقوب على أصله .

ومر «الميت» معا فى البقرة، «وتخرجون» فى الأعراف .

قرأ حفص «للعالمين» بكسر اللام، والباقون بفتحها، ومر «فارقوا» فى الأنعام «وتقنطون» فى الحجر «وءاتيتم» فى البقرة .

قرأ المدنيان ويعقوب «ليربو» بالتاء وضمها وإسكان الواو، والباقون بالياء وفتحها ونصب الواو .

«تشركون» مر فى يونس .

قرأ روح وقنبل ـ بخلاف عنه ـ «لنذيقهم» بالنون، والباقون بالياء .

مر «الريح» فى البقرة، «وكسفا» فى الإسراء .

قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان وشعبة «أَثَرِ» بقصر الهمزة بلا ألف بعد الثاء، والباقون بمدها وألف، ومر «ولا يسمع الصم» «وتهدى العمى» فى النمل .

قرأ حمزة وشعبة وحفص ـ بخلاف عنه ـ «من ضعف»، و«من بعد ضعف» و«ضعفا» بفتح الضاد، والباقون بضمها .

قرأ الكوفيون «ينفع» بالتذكير والباقون بالتأنيث ـ «يستخفنك» مر لرويس .

﴿سورة لقمان﴾

مر السكت على فاتحتها .

قرأ حمزة «هدى ورحمة» بالرفع، والباقون بالنصب .

«ليضل» مر فى إبراهيم .

قرأ الإخوة ويعقوب وحفص «ويتخذها» بالنصب، والباقون بالرفع ومر «هزوا، وأن أشكر» فى البقرة، وكأن لم، وكأن» للأصبهانى فى الهمز المفرد، «وأذنيه» لنافع «ويا بنى» فى الثلاثة فى هود .

قرأ الابنان وأبو جعفر وعاصم ويعقوب «ولا تُصَعِّر» بتشديد العين بلا ألف، والباقون بالتخفيف وألف .

قرأ المدنيان وأبو عمرو وحفص «نعمه» بفتح العين وهاء مضمومة ضمير تذكير، والباقون بإسكان العين وتاء تأنيث منونة منصوبة .

قرأ البصريان «والبحر» بالنصب، والباقون بالرفع .

ومر «يدعون» فى الحج، «وينزل الغيث» فى البقرة «وبأىٍّ» للأصبهانى .

﴿سورة السجدة﴾

مر السكت على فاتحتها .

قرأ نافع والكوفيون «خلقه» بفتح اللام، والباقون بإسكانها ومر «أئذا، أئنا» فى الهمزتين من كلمة، «ولأَمْلأَنَّ» للأصبهانى .

قرأ حمزة ويعقوب «أخفى» بإسكان الياء، والباقون بفتحها، «أئمة» مر فى الهمزتين من كلمة .

قرأ الأخوان ورويس «لما» بكسر اللام وتخفيف الميم، والباقون بالفتح والتشديد .

﴿ســـورة الأحـــزاب﴾

قرأ أبو عمرو «بما يعملون» معا بالغيب، والباقون بالخطاب .

«اللائى» مر فى الهمز المفرد .

قرأ عاصم «تظاهرون» بضم التاء وتخفيف الظاء ثم ألف وكسر الهاء مخففة، وكذا الإخوة لكن بفتح التاء والهاء وكذا ابن عامر لكن بتشديد الظاء، والباقون كذلك لكن بتشديد الهاء بلا ألف .

قرأ المدنيان وابن عامر وشعبة «الظنونا، والرسولا، والسبيلا» بألف فى الحالين، والبصريان وحمزة بلا ألف فيهما، والباقون بألف فى الوقف دون الوصل .

قرأ حفص «لا مقام» بضم الميم، والباقون بفتحها .

قرأ المدنيان وابن كثير وابن ذكوان بخلاف عنه «لأتوها» بقصر الهمزة، والباقون بمدها .

قرأ رويس «يَسَّالون»[1] بتشديد السين مفتوحة ثم ألف، والباقون بإسكانها بلا ألف .

قرأ عاصم «أسوة» هنا، وفى حَرْفَي الممتحنة بضم الهمزة، والباقون بكسرها .

ومر «الرعب» فى البقرة «ومبينة» فى النساء .

قرأ الابنان «يضعف» بالنون وتشديد العين وكسرها بلا ألف، «العذاب» بالنصب، والبصريان وأبو جعفر بالياء وتشديد العين مفتوحة بلا ألف ورفع العذاب، والباقون كذلك لكن تخفيف العين وألف قبلها .

قرأ الإخوة «ويعمل» بالتذكير «يؤتها» بالياء، والباقون بالتأنيث والنون .

قرأ المدنيان وعاصم «وقرن» بفتح القاف، والباقون بكسرها .

«ولا تبرجن» مرّ لابن كثير .

قرأ الكوفيون وهشام «أن يكون» بالتذكير، والباقون بالتأنيث .

قرأ عاصم «وخاتم» بفتح التاء، والباقون بكسرها، ومر «للنبى إن» وبابه فى الهمزتين من كلمتين، والهمز المفرد، «وتماسوهن» فى البقرة، «وترجى» فى الهمز المفرد .

قرأ البصريان «لا تحل» بالتأنيث والباقون بالتذكير .

«أن تبدل» مر لابن كثير .

قرأ ابن عامر ويعقوب «ساداتنا» بالجمع وكسر التاء والباقون بالإفراد وفتح التاء .

قرأ عاصم والداجونى عن هشام «لعنا كثيرا» بالباء الموحدة، والباقون بالثاء المثلثة .

﴿ســـورة سبأ﴾

قرأ المدنيان وابن عامر ورويس «عالم الغيب» برفع الميم، والباقون بجرها .

والأخوان «علام» بتشديد اللام .

ومر «يعزب» فى يونس، «ومعجزين» فى الحج .

قرأ ابن كثير ويعقوب وحفص «رجز أليم» هنا، وفى الجاثية برفع الميم، والباقون بجرها .

---

(١) من الآية ٢٠ .

قرأ الإخوة «إن يشا يخسف، أو يسقط» بالياء فى الثلاثة، والباقون بالنون فيهن، ومر إدغام «نخسف بهم» للكسائى «وكسفا» لحفص.

قرأ روح من طريق «والطير» برفع الراء، والباقون بفتحها.

قرأ شعبة «الريح» بالرفع، والباقون بالنصب.

ومر جمعه لأبى جعفر.

قرأ المدنيّان وأبو عمرو «منسأته» بإبدال الهمزة ألفا، وابن ذكوان والداجونى عن هشام بإسكان الهمزة، والباقون بهمزة مفتوحة.

قرأ رويس «تبينت» بضم التاء والباء وكسر الياء، والباقون بفتح الثلاثة «لسبأ» مر فى النمل.

قرأ الإخوة وحفص «مسكنهم» بلا ألف إفرادا لكن حمزة وحفص فتحا الكاف، والكسائى وخلف كسراها، وكذا الباقون مع ألف جمعا.

قرأ البصريان «أُكُل» بلا تنوين، والباقون بالتنوين، ومر إسكان الزاى «الكفور» بالنصب، والباقون بياء وفتح العين والدال، وابن كثير وأبو عمرو وهشام بالنصب وحذف الألف وتشديد العين وإسكان الدال، وكذا الباقون لكنهم بالألف والتخفيف.

قرأ الكوفيون «صدّق» بتشديد الدال، والباقون بتخفيفها.

قرأ أبو عمرو والإخوة إذن له بضم الهمزة والباقون بفتحها.

قرأ ابن عامر ويعقوب «فزع» بفتح الفاء والزاى والباقون بضم الفاء وكسر الزاى.

قرأ رويس «لهم جزاء» بالنصب والتنوين «الضعف» بالرفع، والباقون «جزاء» بالرفع بلا تنوين وجر «الضعف».

قرأ حمزة «فى الغرفَة» بإسكان الراء بلا ألف إفرادا، والباقون بضم الرا وألف جمعا.

ومر «معجزين» فى الحج، «ويحشرهم ثم يقول» فى الأنعام، و«ثم تتفكروا» لرويس فى الإدغام الكبير، «والغيوب» فى البقرة.

قرأ أبو عمرو والإخوة وشعبة «التناؤش» بالمد والهمز، والباقون بواو محضة، «وحيل» مر فى البقرة.

ياءاتها المضافة ثلاث: «أجرى إلا، ربى إنَّه، عبادى الشكور.

وزوائدها ثنتان: «كالجواب، نكير» ومر حكم الأمرين.

﴿ســـورة فاطـر﴾

«يشاء إن» مر فى الهمزتين من كلمتين.

قرأ الإخوة وأبو جعفر «غير الله» بجر الراء، والباقون برفعها.

قرأ أبو جعفر «تِذهب» بضم التاء وكسر الهاء «نفسك» بالنصب، والباقون بفتح التاء والهاء والرفع.

«الريح وميتة» مرا فى البقرة.

قرأ يعقوب .. بخلاف عن رويس «ينقص» بفتح الياء وضم القاف، والباقون بضم الياء وفتح القاف.

ومر «يدخلونها» لأبى عمرو فى النساء، «ولؤلؤا» فى الحج.

قرأ أبو عمرو «ويجزى» بياء مضمومة وفتح الزاى «كُلُّ» بالرفع، والباقون بنون مفتوحة وكسر الزاى ونصب «كُلَّ».

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وخلف وحفص «بينة» بلا ألف إفرادا، والباقون بألف جمعا .

قرأ حمزة «ومكر السيىء» بإسكان الهمزة، والباقون بكسرها .

زوائِدها ياء واحدة يكير ومر حكمها .

﴿سورة يس﴾

مر إمالة الياء والسكت والإظهار .

قرأ ابن عامر والإخوة وحفص «تنزيل» بالنصب، والباقون بالرفع «سدّا» مر في الكهف .

قرأ شعبة «فعززنا» بتخفيف الزاى، والباقون بتشديدها .

قرأ أبو جعفر «أأن ذكرتم» بفتح الهمزة الثانية، وهو على أصله فى تسهيلها، والفصل بالألف والباقون بكسرها، وهم على أصلهم فى التسهيل والتخفيف والفصل .

قرأ أبو جعفر ـ بخلاف عن ابن جماز : «ذكرتم» بتخفيف الكاف، والباقون بتشديدها .

قرأ أبو جعفر «إن كانت إلا صيحة واحدة» معا برفع الاسمين، والباقون بنصبهما .

ومر «لما» فى هود، «والميتة، والعيون» فى البقرة، «ومن ثَمَرِهِ» فى الأنعام .

قرأ الإخوة وشعبة «وما عملت» بلا هاء ضمير، والباقون «وما عملته» بالهاء، وابن كثير على أصله بالصلة .

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وروح «والقمر قدرناه» برفع الراء، والباقون بنصبها .

«ذريتهم» مر فى الأعراف .

قرأ حمزة «يخصمون» بفتح الياء وإسكان الخاء وتخفيف الصاد، وأبو جعفر كذلك لكن بتشديد الصاد، وابن كثير وورش وهشام وروح ـ بخلاف عنهما ـ كذلك لكن بإخلاص فتحة الخاء والكسائى ويعقوب وخلف وابن ذكوان وحفص وهشام فى وجهه الآخر كذلك لكن بكسر الخاء وشعبة من طريق كذلك، ومن طريق بكسر الياء أيضا، واختلف أيضا عن أبى عمرو وقالون فروى عنهما اختلاس الفتح، وعن قالون الإسكان والإتمام، وعن أبى عمرو الإتمام .

ومر «مرقدنا» لحفص فى الكهف «وشغل» فى البقرة .

قرأ أبو جعفر «فكهون، وفكهين» حيث وقعا بلا ألف إفرادا، ووافقه حفص وابن عامر ـ بخلاف عنه ـ فى (المطففين)، والباقون بألف جمعا .

قرأ الإخوة «فى ظلل» بضم الظا بلا ألف بين اللامين، والباقون بكسرها، وألف بينهما .

«متكئون» مر .

قرأ أبو عمرو وابن عامر «جبلا» بضم الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام، وابن كثير والأخوة ورويس بضم الجيم والباء وتخفيف اللام،وكذا روح لكن بتشديد اللام، والباقون بكسر الجيم والباء والتشديد .

«مكاناتهم» مر فى الأنعام .

قرأ عاصم وحمزة «ننكسه» بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة، والباقون بفتح الأولى وإسكان الثانية وضم الكاف مخففة .

ومر «أفلا يعقلون» فى الأنعام، «ومشارب» فى الامالة، «ويحزنك» فى آل عمران .

قرأ المدنيان وابن عامر ويعقوب «لتنذر» بالخطاب، والباقون بالغيب .

قرأ رويس «يقدر» هنا، وفى الأحقاف بياء مفتوحة . وإسكان القاف بلا ألف ورفع الراء، ووافقه روح فى الأحقاف، والبزى فى أحد وجهيه، والباقون بياء موحدة وألف بعد القاف وجر الراء منونة فيهما، ووافقهم البزى فى الأحقاف فى الوجه الآخر، مر «كن فيكون، ترجعون» فى البقرة «وبيده» فى هاء الكناية .

ياءاتها المضافة ثلاث : ومالى لا، إنى إذا، إنى ءامنت .

وزوائدهـا ثلاث : «إن يردن الـرحمن، ولا ينقذون، فاسمعون» ومر حكم الأمرين .

﴿سورة الصافات﴾

مر إدغام «والصافات صفا» والاثنين بعده لحمزة مع أبى عمرو .

قرأ عاصم وحمزة «بزينة» بالتنوين، والباقون بدونه .

قرأ شعبة «الكواكب» بالنصب، والباقون بالجر .

قرأ الإخوة وحفص «يسمعون» بتشديد السين والميم والباقون بتخفيفهما .

فاستفتهم مر لرويس .

قرأ الإخوة «بل عجبت» بضم التاء، والباقون بفتحها .

ومر «أئذا، أئنا» معا فى الهمزتين من كلمة .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر وقالون والأصبهانى عن ورش «أوءاباؤنا» هنا، وفى (الواقعة) بإسكان الواو، والأصبهانى ينتقل على أصله، والباقون بفتحها .

ومر «نعم» للكسائى، «ولا تناصرون» لابن كثير وأبى جعفر، ومر «للشاربين» فى الامالة .

قرأ الإخوة «ينزفون» هنا وفى الواقعة بكسر الزاى، ووافقهم عاصم فى (الواقعة) والباقون بفتحها .

«المخلصين» مر فى يوسف .

قرأ حمزة «يزفون» بضم الياء، والباقون بفتحها «يابنى» مر فى (هود) .

قرأ الإخوة «ماذا ترى» بضم التاء وكسر الراء، والباقون بفتحهما وقلب الياء ألفا .

قرأ ابن عامر – بخلاف عنه – «وإن إلياس» بوصل الهمزة، وإذا ابتدأ فتحها، والباقون بقطعها مكسورة .

قرأ الإخوة ويعقوب وحفص «الله ربكم ورب» بنصب الثلاثة، والباقون برفعها .

قرأ نافع وابن عامر ويعقوب «آل ياسين» بالمد وقطع (ال) من (ياسين) كما رسمت وجرها، والباقون بكسر الهمزة وإسكان اللام ووصلها بالتاء، ووافقهم روح من طريق .

قرأ أبو جعفر والأصبهانى عن ورش «اصطفى» بوصل الهمزة خبرا فيبتدىء بها مكسورة، والباقون بقطعها مفتوحة استفهاما .

ياءاتها المضافة ثلاث : «إنى أرى، أنى أذبحك، ستجدنى ان» .

وزوائدها ثنتان : «سيهدين، تردين» ومر حكم الأمرين .

الفكر الأدبى فى كشاف الزمخشرى

للدكتور محمود جمعة أمين (*)

- ٢ -

ثقافة الزمخشرى وأثره ، ومذهبه الاعتزالى :

يروى ابن خلكان أن الزمخشرى لما بلغ سن الطلب رحل إلى بخارى لطلب العلم (١) ، وبخارى منذ الدولة السامانية اشتهرت بالآداب فكانت كما يصفها الثعالبى : « مثابة المجد وكعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ، وموسم فضلاء الدهر (٢) » .

فقد أرسله أبوه إلى بخارى ـ كعبة العلماء ومقصد الأدباء ـ ليثقف العربية وآدابها ، آملا أن يحظى ولده بالمناصب التى يرقاها كل أديب نابغ فى عهد « نظام الملك » الذى كان يرعى العلم والأدب ، ويقرب العلماء ، ويكرم أهل الأدب ، وكان ـ هو نفسه ـ محدثاً يروى الحديث ، ويبنى المدارس لدراسته وتعليمه على ما سبق ذكره .

وقد ورد الزمخشرى بغداد غير مرة ، وأخذ الأدب عن أبى الحسن بن المظفر النيسابورى ، وأبى مضر محمود بن جرير الضبى ، وسمع من أبى سعد الشقانى ، وشيخ الإسلام أبى منصور نصر الحارثى الجنواليقى ، وغيرهم (٣) .

ولكن الصورة الواضحة لنشأته العلمية هى تَلْمَذَتُهُ على أبى مضر الضبى ، الذى كان مُبرَّزاً فى علم اللغة والنحو ، حتى ليلقب بفريد العصر ووحيد الدهر فى النحو واللغة والأدب .

تخرج عليه جماعة من الأكابر فى النحو واللغة ، وهو الذى أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها ، فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتمذهبوا مذهبة (٤) ، وقد عنى كسائر المعتزلة عناية كبيرة باللغة ، وتناولها تناولا استطاع أن يفيد منه فى الناحية الجدلية ، وهو قد درس المنطق والفلسفة ، فليس عجيباً أن يكون تناوله للّغة والنحو على أساس علمى منطقى منظم .

وقد كان لهذه الشخصية المثقفة ثقافة واسعة فى اللغة ، والنحو ، والأدب ، وسائر فروع المعرفة ـ كان لهذه الشخصية الفذة ـ أثر بدا على تلميذه الزمخشرى ، فكان صورة ثانية من أستاذه « الضبى » .

(*) الكاتب : مدرس الأدب والنقد / كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ـ سوهاج ـ جامعة الأزهر .

(١) وفيات الأعيان ، جـ ٢ ص ١٠٧ .

(٢) يتمية الدهر ، جـ ٤ ص ١٠١ .

(٣) أساس البلاغة للزمخشرى ، ص ٥ .

(٤) أنظر معجم الأدباء ، جـ ١٩ ص ١٢٣ ؛ ووفيات الأعيان ، جـ ٤ ص ٢٥٤ ؛ وبغية الوَعاة ، ص ٣٨٨ .

كان « الضبى » داعياً كبيراً لمذهب المعتزلة ذا حَميّة فى نشره وإذاعته ، وهذه الروح المتعصبة المتحمسة بَثَّها فى نفس تلميذه الزمخشرى ، فقد نشأ الزمخشرى متحمساً للاعتزال ، مذيعاً لتعاليمه ، حتى ليروى عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه فى الدخول يقول ـ لمن يأخذ له الإذن : قل له أبو القاسم المعتزلى بالباب (٥) .

وكان أثر أستاذه الضبى فيه من الناحية الأدبية واللغوية واضحاً يعترف له بهما الزمخشرى ، إذ يقول فى قصيدة فى رثائه :

ومـــازال موت المرء يخرب داره ... وموت فريد العصر قد خرب العصرا
وصك بمثل الصخر سمعى نعُيــهُ ... فشبهت بالخنساء إذ فقدت صخرا

ثم يقول :

فقلت لطبعى هات لكـــل ذخيرة ... فمن أجله مازلت أدخر الذخرا
وأبـــرز كريمات القـــوافى ونمرهـــا ... فمنه استفدنا العلم والنظم والنثرا (٦)

حبه للعرب ومقته للشعوبية :

وقد بث هذا الأستاذ فى نفس تلميذه حب العرب والعصبية لهم ، فرأينا الزمخشرى يتناسى أصله الفارسى فيطعن الشعوبية ويفخر بالعرب ، وقد بدا ذلك واضحاً فى قصيدته التى يعدد فيها مفاخر العرب ويذكر شجاعتهم وانتصارهم على الفرس .

وقل : هل فشا فى الأرض غيرُ لسانهم ... لسانٌ قُشُوَّ الضوء واليـــوم شامس
به عج فى أمصارهـــــا كل منبر ... وَطَـــنَّتْ به فى الخافــقين المدارس
على ظهرهـــا لم يخلــق الله أمــة ... تنـــاسيهم فى خصلـــة أو تلابس
تقـايس بين النـاس حتـى إذا انتهى ... إلى العُـرْبِ مِقْيـاسٌ طاح المقُـــايس
أجَـلُّ رسولٍ مِنْهُـمُ (و) وَبِلْسَانِهِـمْ ... أجَـلُّ كتـاب فاعــتبر يا منـــافس
وقـل للشعوبـــيين : إنَّ حديثكـــم ... أضاليـل من شيطانكـــم وَوساوس
لكـــم مذهب فَسْلٌ يُغَـــرُّ بمثلـــه ... أشايب حمقى لا الرجـال الأكايس (٧)

وتلك نظرة من اتسع أفقه العقلى ، وسما تفكيره الوجدانى ، ولعل أسرته الدينية ، وبيئته الإسلامية التى كانت فى نزاع دائم مع من جاورهم من أعداء الإسلام ، ثم ما اتسم به عصر الزمخشرى من معارك بين المسلمين والصليبيين ، وحروب تستعر بينهم باسم الدين ، بالإضافة إلى عربية أستاذه الضبى ، وما امتاز به من خلق فاضل وأدب جم . لعل هذا كله عمّق فى نفس الزمخشرى حب العرب ، والإسلام ، وعِلْمَهَم ، وأدبهم ، ولغتهم ، وأوطانهم . وعلى كل حال فقد ثُقِفَ الزمخشرى ثقافة واسعة فدرس الكلام وعلومه ، والحديث ورواته ، والتفسير وأدواته ،

(٥) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٢٥٥ .

(٦) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٥٧ .

(٧) راجع مخطوطه ديوان الأدب ورقة ٦١ ، ومذهب فَسْلٌ أى غير ناضج .

والأدب وفنونه ، والفقه ، والنحو والعروض ، والبلاغة ، مما جعله يفخر بما حصله من معارف ، وبما ناله من حظ كبير فى تلك الثقافة . وها هو يقول مفاخراً :

ترانى فى علـــم (المُنَــزَّل) عالما — وما أنا فى علم الأحاديث راسفا
فللسنّـــة البـــيضاء فىّ مناجــــح — ويبغى كتاب الله منـــى المعارفـــا
وما أنا من علم الديانات عاطلا — فأحسن حَلـــىْ لم يزل لى شانفـــا
فكم قد حوت يُمْناى منه دفاترا — وكم قد وعت أذناى منه وطائفا
وما للغات العـــرب مثلى مقـــوم — أبَى كل نَدْبٍ متقـــن أن يخالفـــا
وبى يستعيذ النحو من أن يسوسه — نهى لم يجدها الذائقون حصائفـــا
فقل أين خلىّ سيبويـــه كتابـــه — يقل حجر جار الله مَأْوَاىَ حالفا
وما فى رواة الكـــتب راويـــة له — سوى واحد فانظرا فلست مصارفا
وعلمـــا المعـــانى والبيـــان كلاهما — أزف إلى الخطاب منـــه وصائفـــاً
وعلم القوافى والأعاريض شاهد — بفسحة خطوى فيه إذا كنت زاحفا
أقـــرت بى الآداب أصلالها وممن — رأى مشرفيات جحدن المشارفـــا
وديوان منظومـــى يريك بدائعـــاً — وديوان منثورى يريك طرائفـــا [٨]

وقد ألّف فى تلك العلوم جميعها ، وكان الزمخشرى منذ صباه مشغولا بالدرس والبحث ، وقد امتزج بالعلوم العربية والدينية امتزاجا شغل قلبه وملك نفسه ، وكان عزبا لا يصرفه عن التأليف شواغل الآباء بالأبناء .

لهذا فرغ للعلم ، وانكب على البحث ، فانهمرت عليه سحائبه ؛ ومنح الثقافة جهده ، فجادت عليه بأوفر نصيب ، وحبس على التأليف نشاطه ، فكثرت مؤلفاته وتنوعت .

وقد ذكر الذين ترجموا لحياة الزمخشرى [٩] أن مؤلفاته تربو على ثلاثين مؤلفا [١٠] فى فنون : الآداب ، واللغة ، والترجمة ، والحديث ، والتفسير ، والفقه ، والأصول ،والبلاغـــة ، والعروض ، فضلا عن ديوانه الشعرى . وقد خصها بإعزازه وحبه ، واعتبرها أبناءه البررة ، لأنها مبرأة من العقوق والمشاكسة . فقال :

بَنِـــىّ فاعلـــم بنـــات فكـــرى — حصانهم أمـــــة الـــــدراسه
أبنـــــاء صدق لهم نفـــــوس — وصفـــن بالـــفضل والنفـــاسه
حماة عرضى محصّنـــــــــوه — فى كنـــــــف الصون والحراسه
برٌّ صريح بلا عقـــــــــوق — خلـــق صحيـــح بلا شكـــاسه

(٨) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٧٨ ، تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ٥ / ٢١٥ ، ٢٣٨ والكلمات : رسفا تعنى مقيدا والمراد : متخلفا ــ شانفا : مُتَطَلِّعًا ــ وطائفا : الوَطَف : الكثرة ــ النَّدْب : النجيب الذكى الظريف .

(٩) أنباء الرواة ٣ / ٢٦٦ ، وفيات الأعيان ٤ / ٢٥٤ ، معجم الأدباء ١٩ / ١٣٤ ، تاريخ آداب اللغة العربية ٣ / ٤٨ .

(١٠) الحوفى ــ مقدمة أساس البلاغة ، حيث حصر الحوفى مؤلفات الزمخشرى فى (٤٧) سبعة وأربعين مؤلفا بين مخطوط ومطبوع .

ما نَسل قلبـــى كنسل صلبـــــى من قاس ردّ له قيـــــــــــاسه
كم بين ذى مسلك طهـــــــور وســالك مســلك الخساســـه
من ساس أبنـــــاءه فإنـــــا لهـــؤلاء البـنين ساســـه[11]

وقد اتجه الزمخشرى ـ فى بدء حياته بالتأليف ـ إتجاها أدبيا لغويا ، فكان لذلك أثر فى صفاء نفسه ودقة شعوره ، وسمو تفكيره . نرى مصداق ذلك فى كتابه « المفصل فى صنعة الإعراب » ففيه يقول : « ولقد نابنى ما بالمسلمين من الأرب إلى معرفة كلام العرب ، ومابى من الشفقة على أشياعى من حفدة الأدب[12]

رأى الزمخشرى ـ رحمه الله ـ أن الأدب هو الذى يبتغى من أعماله أن يكون بها عند الله وجيها ؛ ولأن العلم بلا عمل كالقوس بلا وتر : « لعمر الله ليس بأديب ولا أريب كل معرب وحافظ غريب . الأديب من أخذ نفسه بآداب الله فهذبها ، ونقح أخلاقه من العقد الشائنة فشذبها ، والأديب الفاضل من لم يكن له أرب ولا وطر إلا أن يكون له عند الله فضل وخطر ، ماغناء من قوى علمه وعمله قد فتر ؟ إن علما بلا عمل كقوس بلا وتر ، حاملها حيران مرتبك فى العماية لا يهتدى وإن كان ابن يَقْن[13] إلى وجه الرماية ... واعلم أن العلم إنما يُتَعلّم لأنه إلى العمل سُلَّم ، كما أن العمل إلى ما عند الله ذريعة ، ولولاهما ما علم علم ولا شرعت شريعة[14] .

وهذا كتاب آخر للزمخشرى يكشف عن الدافع الدينى الذى غلب على تأليفه فى الطور الثانى من حياته وهو كتاب « الفائق فى غريب الحديث » ، يقول الزمخشرى ـ فى مقدمته مبينا مدى العاطفة الدينية التى سيطرت عليه فدفعته إلى تأليف هذا الكتاب قاصداً من ذلك دعوات الناس له ، ورضاهم عنه بعد رضاء الله ـ عز وجل ـ آملا منه ـ سبحانه وتعالى ـ جزيل الثواب ، وغاية الرضوان ـ يقول الزمخشرى :

« وقد صنف العلماء رحمهم الله فى كشف ما عرب من ألفاظه واستبهم ، وبيان ما اعتاص من أغراضه واستعجم ، كتبا تأنقوا فى تصنيفها وتجودوا واحتاطوا ولم يتجوزوا ، وعكفوا هممهم على ذلك وحرصوا ، واغتنموا الاقتدار عليه وافترضوا حتى أحكموا ما شاءوا» ...

ويبدوا أن أشهر مؤلفات الزمخشرى وأعزها لديه كتابا : « الكشاف فى تفسير القرآن الكريم » ، و « الفائق فى غريب الحديث » ، وبهما يرجو أن يكون رسول الله ـ ﷺ ـ شفيعاً له ، وفى ذلك يقول :

فهـــل تتلقـــانى شفاعـــة أحمد وعفـــــــو كريم للإساءة ماحص
وهل يكشف « الكشاف » و «والفائق» العمى إذا تليت يوم القضاء القصائص

(١١) مخطوط ديوان الأدب ورقة ٢٦ .
(١٢) مقدمة شرح المفصل للزمخشرى لابن يعيش ص ٣ جـ ١ أوربا ١٩٨٦ .
(١٣) ابن تقن = هو عمرو بن تقن من قبيلة (عاد) كان يضرب به المثل فى جودة الرمى .
(١٤) مقامات الزمخشرى ص ١٠١ .

يمد الكتاب النور والسنة السنا   متى لخصت فى الجامعين اللخائص[١٥]

وله فى النصائح « أطواق الذهب فى المواعظ والخطب » ، ويهدف الزمخشرى فيه إلى غاية دينية ، فالكتاب كما يدل عليه عنوانه فى المواعظ ، ثم هو مظهر من مظاهر التحول الذى طرأ على حياة الزمخشرى فلونها بلون الزهد ، والتنسك ، والتبتل ، والانقطاع إلى الله عز وجل كما تدل عليه العبارة التى ذكرها فى مقدمته وفيها يدعو ربه قائلا : « وارغب إليك أن تجعل عقيدتى وطويتى وبديهتى ورويتى ، وما خط بنانى وخطر بجنانى ، وكل ما ألفته من أقوالى وكلمى وَأَسَلَةَ مقولى على سن قلمى خالصة لك ومن أجلك ، مطلوبة بها نفحات سجلك ، وأن تفيض على هذه المقالات من البركة والقبول ما يهبها مهب الجنوب ، وأن تحفظ فيها ما أوجبت للجار من حق الذمام والذمار ، لأنها وجدت فى حرمك المطهر ، وولدت فى حجر بيتك المستر[١٦] .

والكتاب يفيض بالعاطفة الدينية ـ فهو ثورة على النفس الإنسانية ونوازعها ، وثورة على الأوضاع الاجتماعية فى عصره ، ونصوصه تومىء إلى غلبة العاطفة الدينية على تأليفه فى الطور الأخير وقد وجه الزمخشرى إلى قراءة ما فيه وتدُّبره قبل أن يولى الإنسان فيندم على ما فات ومجموع تآليفه دالة على سعة علمه ، وتبحُّره فى الأدب ، وقد أولى مؤلفاته عنايته وجهده ودقته ، لذا كانت أحب شىء لربه ، بل كانت متعته فى دنياه ، يقول :

سهرى لتنقيح العلوم أَلَذُّ لى   من وصل غانية وطيب عناقِ
وتمايلى طربا لحل عويصة   أحلى وأشهى من مدامة ساق
وصرير أقلامى على أوراقها   أحلى من (الدوكاة) والعشاق
وألذّ من نقر الفتاةلِدُفّها   نقرى لألْقِى الرمل عن أوراق
أأبيت سهران الدجى وتبيته   نَؤُوماً وتبغى بعد ذاك لحاق ؟![١٧]

مدرسته وتلاميذه :

كان من آثار ثقافة الزمخشرى الواسعة وعلمه الغزير أن تكونت له مدرسة بثت تعاليمه فى معظم أصقاع فارس .

فكان من تلامذته فى (زمخشر) أبو عمرو عامر بن الحسن ، وفى (طبرستان) أبو المحاسن اسماعيل بن عبد الله الطويلى ، وأبو المحاسن عبد الرحيم بن عبد الله البزاز بـ « أبيورد » ، وفى (خوارزم) الموفق بن أحمد بن أبى سعيد المعروف بـ (أخطب خوارزم) لتمكنه من العربية وآدبها وكان أديباً شاعرا[١٨] ، ومن تلامته بخوارزم أيضاً : على بن محمد أبو الحسن الأديب القمرانى

---

(١٥) مخطوط ديوان الأدب ورقة (٦٦) .
(١٦) مقدمة أطواق الذهب ص ٤ ، ٧ مطبعة السعادة ١٣٢٨ .
(١٧) الكشاف ٤ / ٣٠٩ ، ٣١٠ دار الفكر .
(١٨) الأنساب للسمعانى ص ٢٨٨ ، وبغية الوعاة للسيوطى ص ٤٠١ .

« قرأ الأدب على فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشرى ، فصار أكبر أصحابه وأوفرهم حظا من غرائب آدابه » كما يقول ياقوت[١٩] .

ومن تلاميذه بها أيضاً : محمد بن أبى القاسم بن بايجوك أبو الفضل البقالى الخوارزمى « زين المشايخ » النحوى الأديب[٢٠] .

وأخذ عنه العلم : يعقوب بن على بن محمد أبو يوسف البلخى[٢١] ، إمام فى النحو والأدب وتتلمذ عليه : على بن عيسى بن حمزة بن وهاس من أشراف مكة[٢٢] .

وأحب تلاميذ الزمخشرى إليه كان ضياء الدين المكى المتوفى ٥٥٠ هـ[٢٣] .

وممن طلب الإجازة من الزمخشرى « زينب بنت الشعرى » التى أجازت ابن خلكان[٢٤] .

والحافظ أحمد بن محمد السلفى ، وقد كتب إلى الزمخشرى من الإسكندرية وهو يومئذ مجاور بمكة يستجيزه[٢٥] ، وطلبها ـ أيضاً : محمد بن عبد الملك البلخى المعروف برشيد الدين الوطواط وكان شاعراً مجيدا ، وكاتبا بليغاً لا يشق له فى ميدان الفصاحة غبار ، ولا يدرك له فى رهان البلاغة مضمار ، كان من نوادر الزمان وعجائبه ، وأفراد الدهر وغرائبه ، أفضل أهل زمانه فى النظم والنثر ، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب[٢٦] وقد كتب إلى الزمخشرى رسالة يستجيزه فيها ، ومما جاء فيها قوله :

... فإن حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب فى فوائده ، وأكرم من أن تستثقل وطأة طالب لعوائده ، ومع هذا أرجو إشارة تصدر من مجلسه المحروس ، إما بخطه الشريف ؛ فإن فى ذلك شرفا لى يدوم مدى الدهور والأيام ، وفخرا يبقى على مر الشهور والأعوام ، وإما على لسان من يوثق بصدق مقالته ، ويعتمد على تبليغ رسالته من المنخرطين فى سلك خدمته والراقعين فى رياض نعمته ، ورأيه فى ذلك أعلى وأصوب[٢٧] .

وقد أجازه الزمخشرى كما تُنبئنا رسالة الوطواط التى كان قد بعث بها إليه يهنئه فيها بالعيد[٢٨] .

---

(١٩) معجم الأدباء ١٥ / ٦١ .

(٢٠) معجم الأدباء ١٩ / ٥ .

(٢١) معجم الأدباء ٢٠ / ٥٥ .

(٢٢) معجم الأدباء ١٤ / ٨٥ .

(٢٣) تاريخ الأدب ـ بركلمان ٥ / ٢٣٨ .

(٢٤) وفيات الأعيان ١ / ٢٤٧ .

(٢٥) وفيات الأعيان ٢ / ١٠٨ .

(٢٦) معجم الأدباء ١٩ / ٢٩ ومقدمة مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط بقلم محمد أفندى فهمى . مطبعة المعارف ط. أولى ١٣١٥ .

(٢٧) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ٢ / ٢٩ .

(٢٨) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ٢ / ٥٩ .

وقد ظلت أستاذية الزمخشرى فى نفس تلميذه رشيد الدين الوطواط تحتل مكانة الإجلال والتقدير ، حتى بعد وفاته كما تخبرنا الرسالة التى بعث بها الوطواط إلى أحد الفضلاء يستعير منه كتاب أساس البلاغة للزمخشرى(٢٩) .

وليس كل من ذكرت كانوا تلاميذ الزمخشرى فحسب ، وإنما كان غيرهم ممن أجاز وعلم وعكف على قراءة كتبه يتزود منها وإن لم يلقه أو يأخذ عنه مشافهة ، وقد منحهم الزمخشرى حبه ووده ، واستغنى بهم وبمؤلفاته عن النسل والذرية على حد قوله :

وحسبى تصانيفى وحسبى رواتها ... بنين بهم سيقت إلىَّ مطالبى(٣٠)

منزلته الأدبية :

سطع نجم الإمام الزمخشرى واعترف بقدره وعلمه القاصى والدانى ، فليس عجيبا أن يثنى عليه كل من عرفه ، واستفاد بعلمه وما أكثرهم .

فهذا الأمير شبل الدولة أبو الهيجاء مقبل بن عطية البكرى أرسل إليه بهذه الأبيات ، ولم يره :

هذا أديبٌ فاضلٌ ... مثلُ الدَّرَارِى دُرَرُهْ
زمخشرى فاضل ... أنجبه زَمَخْشَرُهْ
كالبحر إن لم أره ... فقد أُتانى خَبَرُهْ(٣١)

وأرسل إليه منتجب الملك أبو جعفر محمد ـ أحد كبراء دولة السلطان السلجوقى سنجر ـ قصيدة وهو فى مكة يقول فيها :

إليك يهزنى الحب المطاع ... ويسكرنى لرؤيتك النزاع
فهل لك يا شقيق النفس علم ... بما أنبأت عنه واطلاع
وأنت لكل منقبة مُعانٍ ... ومن دَرّ العلوم لك ارتضاع
ولما كنت جار الله صارت ... تسير بك الأماكن والبقاع
تضىء بعلمك الدنيا فيضحى ... له فى كل ناحية شعاع(٣٢)

وممن عرف فضله وأدبه الأمير العلوى شريف مكة ابن وهاس ، وسبقت الإشارة إلى ذلك ومدحه ، فقد تتلمذ عليه أثناء جواره بمكة .

ويذكر القفطى : أنه [أى الزمخشرى] قام بخوارزم تضرب إليه أكباد الإبل ، وتحط بفنائه رحال الرجال ، وتُحدَى باسمه مطايا الآمال ، إذ كان فى عصره علّامة الأدب ونسابة العرب ،

---

(٢٩) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ٢ / ٦٧ .
(٣٠) مخطوط ديوان الأدب روقة ٩ .
(٣١) إنباء الرواة فى أنباء النحاة للقفطى جـ ٣ ص ٢٧١ .
(٣٢) إنباء الرواة فى أنباء النحاة للقفطى جـ ٣ ص ٢٧٢ .

وكان أعلم فضلاء العجم بالعربية فى زمانه ، وأكثرهم أنسا واطلاعا على كتبها ، وبه ختم فضلاؤهم (٣٣) .

وينقل ابن الأنبارى رأى ابن الشجرى ــ وهو عالم لغوى ــ فى الزمخشرى فيقول : « وقدم إلى بغداد للحج ، فجاءه شيخنا الشريف ابن الشجرى مهنئا بقدومه ، فلما جالسه أنشده الشريف ابن الشجرى :

كانت مساءلـة الركبـــان تخبرنى عن أحمد بن ذؤاد أطــيب الخبر
حتــى التقينــا فلا والله ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى (٣٤)

ــ وفيه قال رشيد الدين الوطواط :

لقــد حاز جار الله دام جمالـــه فضايـــل فيها لا يشق غبــــاره
تجدد رسم الفضل بعـــدا ندارسه بأيـــــام جار الله فالله جاره (٣٥)

وقد ذكر هو نفسه فأبان عن مدى الحفاوة التى كان يلقاها من الناس فى أى مكان نزل فيه من أرض الله ، فكان كالكعبة يطوف الناس حوله قابسين من نور علمه مغترفين من بحار أدبه فيقول :

ألم تر أنى حيث كنت كعبـــــة يحفــون بى كالطائــفين طوائفـــاً
فشرقيهم يهوى إلى النــــور قابساً وغربيُّهم يسعى إلى البحر غارقـا (٣٦)

ويقول أيضاً : « وإنى فى خوارزم كعبة الأدب (٣٧) » .

وبعد ، فهذا هو الزمخشرى حياة . أما الزمخشرى فكرا أدبيا فهذا ما سأبينه إن شاء الله فى الدراسة الآتية فى الصفحات التالية :

(ب)
« فكر الزمخشرى الأدبى فى كتابه الكشاف »

وبعد هذه الإشارةُ السريعة إلى ثقافة الزمخشرى الواسعة ، ومؤلفاته المتنوعة فى كافة فنون العربية ــ والتى وقفنا فيها على بصره بالعربية ، وحدقه لها ، وقريحته النافذة ، وإحساسه المرهف ، وذوقه النافد ــ أقول بعد هذه الإشارة نعرض لفكره الأدبى من خلال تفسيره للقرآن الكريم فى كتابه (الكشاف) .

---

(٣٣) إنباء الرواة فى أنباء النحاة للقفطى ٣/ ٢٦٦ ، ٢٧٠ .
(٣٤) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى ١/ ٤٧٠ .
(٣٥) مجموعة رسائل الوطواط ٢/ ٢٨ ، ٢٩ .
(٣٦) محظوظ ديوان الأدب ورقة ٧٩ .
(٣٧) محظوظ ديوان الأدب ورقة ٨ .

قلت فيما سبق : إنه قد غلب على تأليفه الأدبى اللغوى العاطفة الدينية لاسيما فى المراحل المتقدمة من حياته ؛ وذلك ليتبين لنا الاتجاه الذى سلكه ، ومدى ما صاحب هذا الاتجاه من إحساس رهيف وذوق أدبى رفيع يتغلغل فى مسالك التنزيل ، ويكشف عن خفاياه ودقائقه وهو يردّ جمال الأسلوب القرآنى إلى المعانى الإضافية للتعبير من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وذكر وحذف وقصر ووصل وفصل ، وما إلى ذلك من خصائص العبارات ، ثم يمضى يصور دقائق الفروق فى الصور البيانية من آى الذكر الحكيم موضحا ما يجرى فيها من جمال فى المعنى وصدق فى التعبير ، فليس تفسير القرآن ـ على حد قوله :

هو معرفة معانية فحسب ، بل هو أيضاً بيان لأسرار إعجازه ، وإن معرفة ذلك لن تتم إلا لمن تمّت له آلة البلاغة ، وملك زمام الفصاحة بأن عرف وجوه الأساليب وخصائصها المعنوية والتعبيرية ، وحذق الأسباب المعينة على تمييز صور الكلام البيانية :

« فالفقيه ـ وإن برز على الأقران فى علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلم ـ وإن برّ أهل الدنيا فى صناعة الكلام ، وحافظ القصص والأخبار ـ وإن كان من ابن القرية [٣٨] أحفظ ، والواعظ ـ وإن كان من الحسن البصرى أوعظ ، والنحوى ـ وإن كان أنحى من سيبويه ، واللغوى ـ وإن نَمَلَكَ اللغات بقوة لحييه ـ لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شىء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع فى عِلْمَيْن مختصين بالقرآن ، وهما : علم المعانى وعلم البيان ، وتمهّل فى ارتيادهما آونة ، وتعب فى التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همّة فى معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ـ ﷺ ـ بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ ، جامعا بين أمرين : تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات ، قد رجع زمانا ورجع إليه ورَدّ ورُدَّ عليه ، فارسا فى علم الإعراب ، مقدما فى حملة الكتاب ، فكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة وَقّادها ، يقظان النفس درّاكا للمحة وإن لَطُفَ شأنها ، منتبها على الرمزة وإن خفى مكانها . لاكزّا جاسيا ، ولا غليظا جافيا ، متصرفا ذا دربة بأساليب النظم والنثر ، مرتاضا غير ريّض بتلقيح بنات الفكر ، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف ، وكيف ينظم ويرصف طالما دفع إلى مضايقة ووقع فى مداحضه ومزالقه [٣٩] » .

تلك كانت خطة الزمخشرى التى وضعها على طريق اتجاهه الأدبى الذى سلكه لتفسير القرآن الكريم . وقد مضى يطبق تلك الخطة على آى الذكر الحكيم جاعلا ـ كما اتضح من النص السابق ـ من علمى المعانى والبيان أهم عدة لمن أراد أن يفسر القرآن الكريم :

---

(٣٨) ابن القرية = هو أيوب بم زيد بن قيس . والقرية = أمه . وكان لسنا خطيبا قتله الحجاج لا تهامه بالميل إلى ابن الأشعث (الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى جـ ١ ص ١٥٣ تهذيب ابن واصل الحموى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ) طبع المطبعة الشرقية للإعلانات بالقاهرة .

(٣٩) مقدمة الكشاف للزمخشرى جـ ١ ص ١٥ ـ ص ١٧ طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

« إذ بدونهما لا تستقيم له الدلالات ، ولا تتضح له الإشارات ولا لطائف ما فى الذكر الحكيم من الجمال البلاغى المعجز الذى عنت له وجوه العرب وخروا له ساجدين[٤٠] » .

وكان قبل أن يتصدى إلى الدرس الأدبى فى القرآن قد أعد نفسه لهذا الجهد العظيم بدراسة واسعة هضم فيها الثقافة الفارسية واستوعبها ، بالإضافة إلى تبحره فى علوم العربية ــ كما أسلفنا ــ كذلك درس الثقافة اليونانية دراسة تَمَثُّلٍ « وكان مؤسسو هذا التراث أنشط من العرب فى متابعة الفكر الإنسانى فى كل مظانه ، وأقدر على فقه الثقافات الأجنبية وتمثلها ، وأصبر على البحث والدرس وكانوا يفرزون هذه العصارات المختلفة عربية الشكل والجوهر ، حتى ليخيل إليك أنهم لم يقرأوا عن التراث العربى . وهذه وظيفة الرواد القوامين على ثقافات الأمم وحضارتها ، والحراس المحافظين على ملامحها وأصالتها[٤١] » .

وكانت عناية الزمخشرى بعلم المعانى أتم وأوسع ، وكان فى البداية يسميه ــ اتباعا لتسمية عبد القاهر الجرجانى ــ بعلم النظم[٤٢] ، أو الأسلوب ، إذ يرى فيه العلم الذى يبرز أسرار الإعجاز القرآنى ، ويبين عن أسرار الجمال فيه .

يقول الزمخشرى عن أسرار الجمال القرآنى : « وهذة الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم وإن بقيت محتجبة فى أكمامها[٤٣] » .

والجدير بالذكر أن أُقرر هنا أنه فى مسألة النظم كان يتبع عبد القاهر الجرجانى ، بل إنه أول من طبق رأى عبد القاهر الجمالى فى إعجاز القرآن تطبيقاً يشهد له بالبراعة ؛ وعرض للأسلوب من وجهة نظر الجرجانى ، من حيث الاهتمام بطرق التعبير وعلاقات النظم وصلات الألفاظ ، نافذاً إلى إستكمال كثير من شعب المعانى الإضافية وهو يَرُوعُنَا بتحليلاته وملكاته العقلية ، وحذقه لأساليب العربية وأسرارها وخصائصها المعنوية والبيانية بما أوتى من الفطنة ودقة الحس ورهافة الشعور ، ولا أبعد عن الصواب إذا قلت :

إن عناية الزمخشرى بهذا الجانب قد فاقت عناية عبد القاهر فكانت أتم وأوسع[٤٤] . فهو إن فسّر أديب ذوّاقة للمعنى وجماله ، وللأسلوب وحلاوته ، وإن عرض للنحو لا يعرضه قواعد جافة وإنما يعرضه عرض من يقدر الجمال معنى ولفظا ، وإن تصدىٰ لقراءة ورجحها على غيرها ؛ فلأنها تحفظ على الأسلوب القرآنى سلاسة ألفاظه وعذوبة معانيه .

---

(٤٠) البلاغة تطور وتاريخ للدكتور / شوقى ضيف ص ٢٢١ طبع دار المعارف .

(٤١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية د / محمد أبو موسى ص ١٢ .

(٤٢) أى تعليق الكلام ببعض وجعل بعضه بسبب من بعض . أوبعبارة أخرى : بيان الروابط والعلاقات بين الجمل وكيف يدعو الكلام بعضة بعضا ويأخذ بعضه بحجز بعض .

(٤٣) الكشاف حـ ١ ص ٢٨٤ .

(٤٤) أنظر البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى ص ٥ د/ محمد أبو موسى . وفيها يقول . « وإذا كان الزمخشرى قد طبق كثيراً مما قرره عبد القاهر الجرجانى فقد أضاف أصولا بلاغية هامة لم يعرض لها عبد القاهر ونمّى كثرا من المسائل » .

ولنعش الآن مع بعض النماذج التطبيقية من خلال تفسيره لآيات الكتاب العزيز لنرى فيها أديباً نقادة ذواقة ، وليتبين لنا فكره الأدبى الذى قاده لإبراز أسرار التنزيل التى هى بالغة من اللطف والخفاء حدًّا يدق عن تفطن العالم الأريب ، ويذل عن تبصر الأديب اللبيب .

وقبل أن نمضى مع نماذجه التفسيرية لندلّ منها على فكره الأدبى أرى من المناسب أن أُذكّر القارىء بأن العمل الأدبى يتكون من عنصرين أساسيين هما :

الشكل والمضمون .

أما الشكل : فهو التعبير أو الأسلوب أو نظم الكلام ، وهو الأداة التى بواسطتها ينقل الأديب فكره وإحساسه المضمر فى النفس إلى الناس وقد وَشَّاهُ بصور الخيال وظلاله ، فيؤثر فى نفوسهم ويدفعهم إلى مشاركته الوجدان فيما أحسّ به إزاء النص الأدبى .

وأما المضمون : فهو الفكرة أو المعنى ، وهى قيمة تظل مضمرة فى النفس خفية مكنونة مستترة حتى يبرزها الأديب فى الصورة التعبيرية الموشاة بصور الخيال من مجاز وتشبيه واستعارة ، حتى تؤثر فى نفوس الناس ، وتحملهم على مشاركته الشعور والأحاسيس والوجدان .

والسؤال الآن : هل اتجه الزمخشرى بفكره إلى هذين العنصرين وعلى ضوئهما مضى يفسر آى الذكر الحكيم ؟

هذا ، ولا ننس أن لله ــ سبحانه ــ المثل الأعلى ، وأن حديثنا عن القرآن له منزلة فوق أدب كل أديب ، وإنما نستخدم تقسيما يُقَرّب إلى بَشَرِيَّتَنا بعض ما يتقاطر علينا من معانى الكتاب العزيز ... وهاك مظاهر فكره الأدبى من خلال تفسيره (الكشاف) التى تجلت فى معالجته للعناصر الأدبية الآتية :

١ ــ قيمة عنصر المعنى فى النص الأدبى :

وقد أبان عن قيمة هذا العنصر وأفصح عن أهميته ، حيث عاش مع النص القرآنى بفكره وقلبه وحسّه ووجدانه ، غائصا فى بحار آياته ليستخرج لآلىء أسراره وكنوز مرماه وأهدافه ، ثم يعود وقد كشف لنا عن معانى نفسية استشفها من باطن النص فمثلا يقول فى قوله ــ تعالى :

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾

الزمر ٥٦ ــ ٥٩

يقول فى قوله ــ تعالى : ﴿ **لو أن الله هدانى** ﴾ : لا يخلو إما أن يريد به الهداية بالإلجاء أو بالإلطاف أو بالوحى ، فالإلجاء خارج عن الحكمة ، ولم يكن من أهل الإلطاف فيلطف به ، وأما الوحى فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدى ، وإنما يقول هذا تحيرا فى امره ، وتعللا بما لا يجدى عليه ، كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين ، ويمضى الزمخشرى قائلا .

وقوله : ﴿ **بلى قد جاءتك آياتى** ﴾ ردّ من الله عليه معناه : بلى قد هديت بالوحى ، فكذبت به ، واستكبرت عن قبوله ، وآثرت الكفر على الإيمان ، والضلالة على الهدى ..

ويبين الزمخشرى لماذا تأخر جواب القرينة الثانية(٤٥) فيقول : « فإن قلت : هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله ـ لو أن الله هدانى ـ ولم يفصل بينهما بآية . قلت : لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن ، وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن ، وأما الثانى فلما فيه من نقص الترتيب وهو التحسر على التفريط فى الطاعة ، ثم التعلل بفقد الهداية ، ثم تمنى الرجعة ، فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ، ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب(٤٦) .

ويُسْفِرُ الزمخشرى عن المعانى النفسية التى تضمنتها آيات سورة (ص) التى تتحدث عن حكومة داود ـ عليه السلام ـ وهى قوله ـ تعالى :

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ ص ٢١ ـ ٢٤

ويقول : « فإن قلت : لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح ؟

قلت : لكونها أبلغ فى التوبيخ من قِبَل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه ، وأعظم أثرا فيه ، وأجلب لاحتشامه وحيائه ، وأدعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أن يُبَادَهَ به صريحا ، مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة . ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا فى سياسة الولد ـ إذا وجدت منه هنة منكرة ـ بأن يعرّض له بإنكارها عليه ولا يصرّح ؟ وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه ، وذلك أزجر له ؛ لأنه ينصب ذلك مثالا لحالة ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة ، مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة(٤٧) » .

ويكشف الزمخشرى عن المعنى الذى تستهدفه آيات سورة النور ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ . النور ٢٣ ـ ٢٥

---

(٤٥) بيان ذلك أن قوله تعالى : « بلى قد جاءتك آياتى » جواب لقوله : « أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين » .

(٤٦) أنظر الكشاف جـ ٣ ص ٤٠٤ ، ص ٤٠٥ .

(٤٧) الكشاف جـ ٣ ص ٣٦٦ .

فيقول : « لو قلبت القرآن كله ، وفتشت عما أوعد به العصاة ، لم تر الله ــ تعالى ــ قد غلّظ فى شىء تغليظه فى إفك عائشة ــ رضوان الله عليها ــ ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد ، والعتاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام ما ركب من ذلك ، واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف فى بابه ، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين فى الدارين جميعا ، وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا ، وأنه يُوَفّيهم جزاءهم الحق الواجب الذى هم أهله ، حتى يعلموا عند ذلك أن الله هو الحق المبين . فأوجز فى ذلك ، وأشبع وفصل ، وأجمل ، وأكد ، وكرر ، وجاء بما لم يقع فى وعيد المشركين عَبَدَةِ الأوثان إلا ما هو دونه فى الفظاعة وما ذاك إلا لأمر [٤٨] » .

ويمضى الزمخشرى فى إظهار معانى هذه الآيات وأثرها على نفوس المحصنات البريئات وما ترمى إليه من علو منزلة رسول الله ــ ﷺ ــ فيقول : إن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ سئل بالبصرة عن هذه الآيات فقال : « من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض فى أمر عائشة ... ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة : بَرّأ يوسف بلسان الشاهد (وشهد) شاهد من أهلها [٤٩] ــ وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ، وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها ــ إنى عبد الله ــ [٥٠] وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام فى كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات » [٥١] .

ويستمر الزمخشرى مع هذه الآيات ، مبرزا ما تحمله من فخامة المعنى ، وعظم المرمى بالموازنة بين تبرئة عائشة وبين تبرئة من ذكر ، ليكشف لنا عما تبطنه الآيات من جليل المعنى ونبل المقصد وهو تحقق عظمة الرسول ــ ﷺ ــ وتقدمه على كل سابق . وذلك قوله :

« فانظر . كَمْ بينها ــ أى عائشة ــ وبين تبرئة أولئك . وما ذاك إلا لإظهار علوّ منزلة رسول الله ــ ﷺ ــ والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم وخيرة الأولين والآخرين وحجة الله على العالمين . ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه ــ ﷺ ــ وتقدم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الإفك وليتأمل كيف غضب الله له فى حرمته وكيف بالغ فى نفى التهمة عن حجابه [٥١] » .

ولعنايته بإبراز عنصر المعنى وقيمته فى النص الأدبى رأيناه يفضل القراءة ويرجحها على غيرها إذا كانت تجرى والنسق المعنوى فى مضمار وتحفظ على الأسلوب القرآنى جماله وقوة معناه . فمثلا

---

(٤٨) الكشاف جـ ٣ ص ٥٦ ، ص ٥٧ . ويريد الزمخشرى بالأمر . الأحاسيس والخلجات النفسية والشعور بالمرارة والآلام التى تعانيها سفوس المحصنات الغافلات .

(٤٩) يوسف ٣٦

(٥٠) مريم ٣٠ .

(٥١) الكشاف فى تفسير الآيات .

يقول فى الآيات التى أجاب بها عاد قوم هود نبيهم هودا فى سورة الشعراء ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ الشعراء ١٣٦ ـ ١٣٨ يقول : « من قرأ خَلق بالفتح فمعناه : أن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم . كما قالوا « أساطير الأولين » . أو معناه ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية نحيا كما حَيَوْا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خُلُق بضمتين وبواحدة فمعناه : ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه[٥٢] » .

ويقول : « فإن قلت : لو قيل « أوعظت » أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد . قلت : ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه ، فهو أبلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ »[٥٣] .

ولذلك فالقراءة المفضلة عنده هى التى تحمل وراءها معنى قويا يخدم التفسير القرآنى ولهذا نراه يفضل قراءة الجماعة ـ لقوة معناها ـ على قراءة أنس بن مالك وذلك فى قوله ـ تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ فيقول : « وقرأ أنس بن مالك » « كشجرة طيبة ثابت أصلها » . فإن قلت : أى فرق بين القراءتين ؟ قلت : قراءة الجماعة أقوى معنى لأن فى قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة . وإذا قلت « مررت برجل أبوه قائم » فهو أقوى معنى من قولك « مررت برجل قائم أبوه » لأن الخبر عنه إنما هو الأب لا الرجل[٥٤] » .

فإذا ما أضاعت القراءة من أسلوب القرآن جماله وقوة معناه رفضها وأباها وآثر غيرها مما يحفظ على القرآن جماله . فيقول فى الآية التى تتحدث عن حرص اليهود والمشركين على الدنيا ومتاعها واليهود أشد حرصا : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ : « فإن قلت : فلم قال « على حياة » بالتنكير ؟ قلت : لأنه أراد حياة مخصوصة وهى الحياة المتطاولة ، ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة « أُبَىّ » « على الحياة » بالتعريف ، ومن الذين أشركوا محمول على المعنى ، لأن معنى « أحرص الناس » أحرص من الناس . فإن قلت : ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس ؟ قلت : بلى ولكنهم أُفْرِدُوا بالذكر لأن حرصهم شديد ... وفيه توبيخ عظيم ، لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعقابه ، ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا ، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم ، فإذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ .

فإن قلت لم زاد حرصهم ـ أى اليهود ـ على حرص المشركين ؟ قلت لأنهم علموا لعلمهم بحال أنهم صائرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك[٥٥] .

وهكذا يمضى الزمخشرى مبينا قيمة المعنى فى النص الأدبى .

(٥٢) الكشاف ٣ / ٥٧ .
(٥٣) الكشاف جـ ٣ ص ١٢٢ .
(٥٤) المصدر نفسه .
(٥٥) الكشاف ٢٠ / ٣٧٦ .
(٥٦) الكشاف ١ / ٢٩٨ .

في الأدب المقارن

طيور وشعراء

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

لعلّ أقرب علاقة ــ فى حياة الإنسان ــ تربط بين «عَالَمِهِ المنظور» «وخياله» هى : الطيور ، ولكم نردد عبارة : «حلّق بخياله» تمثل ــ وبخاصة فى نتاج الشعراء ــ مدى ما يسمو إليه خيالهم ، فيصورونه إبداعاً فى القول ، وجمالا ينثرونه فى «واقعنا» فيشيع فيه الغبطة والإحساس بالجمال .

وسواء لفتت هذه العلاقة بعض الشعراء أم لم تلفت ، فقد يندر أن تمر حياة الشاعر دون أن يكون لها نصيب من التغنى بطير أو أكثر .. وفى الشعر العربى ــ خاصة ــ ذخيرة يمكن أن تمثل ــ وحدها ــ عددا ضخما من الدواوين إذا افترضنا قصرها على الطير خاصة . و «الحمام» واحد من هذه الطيور التى لها نصيب كبير فى ديوان الشعر العربى .

والحمام ــ خاصة ــ وإن لم يكن موضوع هذه الدراسة ــ حَظِىَ برقابة من الإنسان جعلت أمره غير خافٍ عليه ، يقول الإمام الشافعى ــ رضى الله عنه : «أعقل الطير الحمام» .[1]

وكتب ابن القيم ــ رحمه الله ــ يقول : «والحمام يشاكل الناس فى أكثر طباعه ومذاهبه» فما من حسنة فى الإنسان ــ رَجُلًا ــ أو سيئة إلا تجدها فى هذا الحيوان ، وما من حسنة ، أو سيئة فى المرأة من بنى البشر إلا تجدها فى أنثى هذا الحيوان ، وليذهب حَدْسُك فى هذا الواقع إلى أبعد حدوده حتى فيما يطلق عليه الشذوذ الجنسى .

---

(١) انظر : ابن القيم ــ شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص٧١ وما بعدها ط أولى المطبعة الحسينية ١٣٢٣ نشر الخانجى وأخيه .

وفى الحديث الشريف أن النبى ﷺ رأى حمامة تتبع حمامة فقال : « شيطان يتبع شيطانة »[٢].

فأما فى الجانب الأدبى للشعراء فنجد أبا فراس الحمدانى يناجى حمامة ، وكان فى قبضة الأسر ، وقد صَوَّر خاطرُهُ أنها تنوح ، فقال :

أقول ـ وقد ناحتْ بقُربى حمامةٌ : أيا جَارَتا .. هل تشعرين بحالى ؟
معاذ الهوى ، ما ذقتِ طارقةَ النوى ولا خطرتْ منكِ الهمومُ ببال
أيا جارتا ، ما أنْصف الدهرُ بيننا تعالىْ أقاسمك الهمومَ .. تعالِى !

إلا أنه سرعان ما يبدى التجلّد والشموخ ، فيسترسل قائلا :

أَيَضْحك مأسورٌ وتبكى طليقةٌ ويسكت محزون ، ويندب سالى
لقد كنتُ أوْلَى منكِ بالدمع مُقْلةً ولكنَّ دمعى فى الحوادث غالِ

كما تَرِدُ على البال ، بتداعى المعانى ، نفثةٌ أخرى تثير الأسى وتبعثه من مكامنه ، لشاعر آخر لا يحضرنى اسمه ، يقول فيها :

رُبَّ ورقاءَ هَتُوفٍ فى الضحى ذات شجو ، صَدَحَتْ فى فنن
ذكرتْ إلْفاً ، ودهراً سالفا فبكت حزنا ، فهاجت حزنى
فبكائى ، ربما أَرَّقها وبُكاها .. ربما أرقنى
ولقد تشكو .. فما أفهمها ولقد أشكو .. فما تفهمنى
غير أنى ، بالجوى ، أعرفها وهْىَ أيضاً ، بالجوى .. تعرفنى

وإذا ما أجَلْنا النظر ، فى النتاج الشعرى العربى المعاصر ، نجد أصداء لهذه الوجهة ، فى (كروانيات) العقاد و (أندلسية) شوقى ، التى يناجى فيها (نائح الطلح) إبان نفيه فى الأندلس ، فيقول :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشْجَى لواديكَ أم نأْسى لوادينا
ماذا تقصّ علينا غير أن يداً قصت جناحك .. جالتْ فى حواشينا
رمى بنا البينُ أيْكا غيرَ سامرنا أخا الغريب : وظِلاً غير نادينا

وسوف نتوقف مع شاعرنا العربى السورى الراحل السيد/ عمر أبو ريشة ، لنأخذ « بُلْبُلا » من طيوره ، فنقارنه بـ (وقواق) ورد زورث الشاعر الانجليزى ، فأما عمر أبو ريشة فقد أتيح له

---

(٢) نفس المراجع ص٧٢ .

الاتصال بالأدبين : الإنجليزى والفرنسى ، بعد دراسته بالجامعة الأمريكية فى بيروت ، وسفره إلى إنجلترا لدراسة مادتى النسيج والصباغة ، ثم تنقل ـ بحكم عمله فى السلك الدبلوماسى ـ بين دول العالم المختلفة ، كملحق ثقافى لسوريا فى الجامعة العربية ، ثم مندوب لها بمؤتمر اليونسكو ، ثم سفير لسوريا فى البرازيل عام ١٩٥٠ فأتيح له الاحتكاك بالحركة الأدبية فى المهجر الجنوبى ، وأخيراً ، عُيّن سفيراً للجمهورية العربية المتحدة ، فى الهند ..

لقد ذاق عمر أبو ريشة الأمرين ، من هول الفراق ، والبعاد عن (مغانى لبنان) ، التى يناجيها بقوله :

يامغانى لبنان هل هجع السُّـــــمَّار ، والفضَّ عقدهم يامغانى
أيــن نادٍ لنــا سهــرت عليــه والليــالى مطروقــة الأجفــان
غَمَرَتْه المنــى ، فلــيس لنــا ما نتمنــى .. فى ظلــه الجذلان

فأما « ورد زورث » فيعد من الشعراء الطليعيين البارزين الرمانتكيين فى الأدب الانجليزى[3] وقد ظفرت الطيور المغردة ـ بصفة خاصة ـ بمنزلة عزيزة لديه تبدو فى قصيدته : **To The Cuckoo** (إلى الوقواق) التى نقارنها بقصيدة عمر أبى ريشة : « البلبل » .

وقبل أن نقدم قصيدة أبى ريشة نقول :

إن كثيراً من نماذجه العديدة تدلنا على كآبة غامرة توضح الرؤية أمامنا لحالته النفسية الآسية حتى لنكاد نقطع بأن (بلبله) ليس إلا المعادل الموضوعى[4] للشاعر نفسه وذلك حيث يقول ـ عن بلبله الحبيس الذى كلَّله الصمت ، واستسلم لحزن عميق :

حلــم تخلَّــى عنــه فى رغــده هل يقــدر النــوْح على ردِّه ؟
لو يعلم الصيــاد .. ما صيــده لم يجعــل البلبــل فى صيـــده

● ● ●

---

(٣) تمثل الحقبة مابين ١٧٩٨ ـ ١٨٣٠ عصر النهضة الثانية فى الأدب الانجليزى ، بعد عصر النهضة الأولى الذى تمثل فى شكسبير ورفاقه من كبار الشعراء من أمثال : كريستوفر مارلو (١٥٦٣ ـ ١٥٩٣) وإدموند سبنسر (١٥٥٢ ـ ١٥٩٩) وغيرهما .

وكان شكسبير قد غرس بذرة الرومانسية الأولى ، بما بثّه فى مسرحياته وقصائده الطويلة و (سونيتاته) من إبداع وابتكار .. وأينع الغرس فيمن أتى بعده ، على امتداد القرن التاسع عشر ، من أمثال شلى (١٧٩٢ ـ ١٨٢٢) فى قصيدته : **To a Skglark** (إلى قُبرة) ، وجون كيتس (١٧٩٥ ـ ١٨٢١) فى قصيدته : **Ode To a Nightingale** (إلى البلبل) ، ولورد تنيسون (١٨٠٩ ـ ١٨٩٢) فى قصيدته بعنوان : **The Eagle** (النسر) .

(٤) المعادل الموضوعى ، مصطلح نقدى ، استحدثه الشاعر الناقد توماس استيرنز إليوت ، فى نقده لمسرحية شكسبير : (هملت) ، وشاع استعماله بعد ذلك بين النقاد والدارسين .. وهو فى مفهومه يعنى اصطناع ، أو اتخاذ موقف من الأحداث ، يعادل نبض ودلالة المعانى الوجدانية ، التى يُراد التعبير عنها ، بصورة غير مباشرة .

ألفيته ينثر ألحانه ... كأنما ينثر من كبده
وإلفه المشفق ظل له ... باق – كما كان – على عهده
مُدلَّه اللفتات ، مستوحش ... طاو جناحيه ، على وجْده
كم أطبقت منقاره ، عضة ... فمدَّه ، ينقر فى قيده
أسقمه العيش على وفره ... لما رآه .. ليس من كده
وأين مخضل الْجَنَى حوله ... من زنبق الروض ومن روضه

● ● ●

طوى المنى نوحا ، ولكنما ... لم يُغْنه النوح ولم يُجْدِه
فعاف دنياه ، ولم يتخذ ... عُشًّا ، ولم يحمل سوى زهده
كأنه من طول مامضه ... من عبث الدهر ومن كيده
أبى عليه الكبر أن يورث الـ ... أفراخَ ذل القيد من بعده

● ● ●

وتلك قصيدة وردزورث التى نترجمها شعرا فيما يلى ، وهى بعنوان :

الى الوقواق

To The Cuckoo

O blithe new-comer! I have heard,
I hear thee and rejoice
Oh Cuckoo! shall I call thee bird,
Or but a wandering voice?

أيها الوافد الطروب .. سلاما
قد سمعناك .. بين حين وحين
حيث تشدو .. مُغرِّدا مستهاما
ملْء آفاقنا .. بشدْوِ حنين
من قديم ، فى حاضرٍ يتسامى
جَرْسُكَ العذْبُ .. يستثير شجونى

★★★

لستُ أدرى : أطائرا كنت فينا
أم لُهــاةً .. ترنمت فى البطــاح
فوق عُشْبٍ جلستُ .. إذ تأتينا
بازدواج فى الشدْو .. عَبْرَ براح
يتدانى ، مُباعــدا .. يُشجينـــا
فوق تل ، من بعد تلٍّ .. بساح

***

يا أثير الربيـع ، بالزَّهْـوِ .. أهـلا
أنت طير .. أم محض صوتٍ رَفّا
أنت طيـف ، بل أنت سر جَلىَّ
لا نراه .. وحولنـــا قد حَفَّـــا
يا رفيـق الصبا .. بعهـدٍ تولَّـــى
عَهْدِ دَرْس .. ولا تزال الإلْفـــا

***

تتبـدى .. من غير مَسٍّ ولـمْسٍ
فى انطـلاقٍ .. لغابـةٍ أو حقـــل
محض صوت ، أُحار أيَّان تُمْسى
لعيـانى .. بِسَمْتِ طير .. وشكـل
لفـؤاد .. يهفـــو لقُـــرْبٍ وأُنس
دون جدوى .. ما بين دوْح وظل

***

غير أنى .. مازال فى إمكـــــانى
أُرهف السَّمْع .. راضياً مرضيـاً
يغمـر الشدو منك كلَّ كيـــانى
مستعيـداً .. لعهـدىَ « الذهبيـــا »
فى مروج تلـــوح لى فى زمـــانى
تزْدَهِى (الطفل) .. بُكرةً وعشيا

***

إنَّ أرضا تسير فيها .. لعمـــرى
قد تبـــدَّت ، كما ترومُ ، جميلـــه

While I am lying on the grass
Thy twofold shout I hear;
From hill to hill it seems to pass,
At once far off and near

Though babbling only to the vale,
Of sunshine and of flowers,
Thou bringest unto me a tale
Of visionary hours.

Thrice welcome, darling of the Spring!
Even yet thou art to me
No bird, but an invisible thing,
A voice, a mystery;

The same whom in my schoolboy days
I listened to; that cry
Which made me look a thousand ways
In bush, and free, and sky.

To seek thee did I often rove
Through woods and on the green;
And thou wert still a hope, love;
Still longed for, never seen.

And I can listen to thee yet;
Can lie upon the plain
And listen, till I do beget
That golden time again.

O blessèd bird, the earth we pace
Again appears to be
An unsubstantial faery place,
That is fit home for thee.

كأثيـــرٍ أديمُهـــا .. وكسحـــرٍ
كى تراها .. فى الحُسْن مِثل الجميلة

بافتتـان .. تظـل تُسْبـى وتُغْـرِى
لبقـــاءٍ بها .. بكـــل وسيلـــه(*)

(*) وهذه هى الترجمة النثرية للقصيدة :

أيها الوافـــد الجديـــد الطـــروب
لقـــد استمـــعت إلـــيك
فى الماضى والحاضر
آه أيها الوقـــــواق
هل أدعـــوك : طائـــراً ..
أم مجرد صوت متنقّـــل ؟

***

وبينـــا أنـــا أفتـــرش الـــعُشْب
مُنصتـــا لشذوك المزدوج الإيقـــاع
وهـــــو ينساب من تلٍّ إلى تل
ألاحظـــه وهـــو يمرق دفعـــة واحـــدة
قريبا منى ، ثم .. بعيدا عنى

***

ومـــع أنك تصدح فى جنبـــات الـــوادى
بشيرا بشروق الشمس وتفتـــح الأزهـــار
فإنك تبـــعث فى نفسى :
رُؤى أيـــام الطفولـــة الجميلـــة

***

مرحبـــا بك مرارا
يا معشوق الربيـــع
إننـــى مازلت ، حتـــى الآن
أعتقـــد أنك لست بطائـــر

وإنما أنت شىء غير منظـــور
محض صوت ، أو سر غامض

***

ذلك الـــذى كنت أُنصت إليـــه
فى أيـــام الـــدراسة
وأنشده فى ألـــف اتجاه :
فى الأجمـــة ، والخلاء ، والسمـــاء

***

وكم جُسْتُ خلال الغابـــات
والمروج .. بحثـــا عنك ،
وكـــنت تبـــدو لى : أمـــلا ، وحبـــا
أهفـــو إلى التـــوصل إليـــه ، ولاأراه ..

***

هل يمكننـــى أن أواصل الاستماع إلـــيك
وأن أستلقـــى على السهـــل المنـــبسط
وأُنصت .. حتـــر أ -يـــد ..
عهـد الطفولـة الذهبـــى ، مرة أخـــرى ؟

***

إيـــهٍ أيها الطائـــر الميمـــون
إن الأرض التـــى نعـــيش فوقهـــا
تبـــدو لى كعـــالم سحـــرى منظـــور
ليتفـــق وسكنـــاك به ..

وبعد ، فقد اتضحت الرؤية أمامنا الآن ، لحالة الشاعر أبى ريشهالنفسه الأبهية ، على عكس الحال مع الشاعر الانجليزى «ووردزورث» ، فحين تطفح قصيدته (إلى الوقواق) بالبشر والصفاء ، نجد نفسية شاعرنا أبى ريشة تسيل ألما فى قصيدته ... أعْنى قصيدته : (البلبل) ، وقد اتخذ منها ـ فيما يبدو لى ـ (المعادل الموضوعى) لتجربة شعورية خاصة ، مر بها خلال مراحل حياته ، فى محنة ما ، فأراد أن يتخذ من البلبل الأسير ، وسيلة لإطلاق الزفرات الحارة ، الحبيسة فى صدره المثلوم ، وهو القائل :

إن تكشفى سر السراب ، وجدته حلم الرمال الهاجعات على الظما

***

ولا شك أن الحرية تبدو كتاج على رءوس الطلقاء ، لايراه إلا المقيدون فى الأصفاد .

فأما «وردزورث» فقد نظم قصيدته تلك عام ١٨٠٤ ، وهو فى عامه الرابع والثلاثين ، مناجيا الوقواق ، انطلاقا مما يذكره به هذا الطائر ، من ذكريات سعيدة ، بمدارج طفولته بالريف الانجليزى ، فى مقاطعة البحيرات الرائعة فى شمالى انجلترا ، حيث بثت فى نفسه حب الطبيعة البهيجة المغردة من حوله ، قبل التحاقه بجامعة كمبردج للدراسة فيها ..

وقد تفنن فى وصف ماكان يحدثه صوت الوقواق فى نفسه من أثر عميق ، حينما كان يغدو هذا الطائر إلى انجلترا فى بداية فصل الربيع ، ويبعث فى شتى الأنحاء صيحته المزدوجة : (كَوْ .. كَوْ) .. فَيُشْعِر الناس بوشك انصرام فصل الشتاء ، ويستبشرون خيراً بمجىء فصل الربيع ..

وكان وردزورث شغوفا بهذا الطائر العجيب ، الذى يبدو له كصوت بلا جسد ، لأنه يسمعه فحسب ، ولا يكاد يلمح طائره الأثير ، لحرصه على الاختفاء بين الأغصان المتكاثفة ، وكأنه يحاول الاختفاء عن أعين المترصدين له ، من القنّاصة أو العابثين ..

فطائر وردزورث إذن ، طائر حقيقى ، ظفر منه بهذه الأنشودة الجميلة ليخلد اسمه ، وينشر بين الناس ذكره وأهازيجه ، على عكس ما نستنتجه من طائر أبى ريشة الذى تنساب أبياته فى هذه القصيدة بسلاسة وعمق ، بعد أن اتشح الشاعر بوشاح الرمزية للإبانة عن أدق خلجاته ، فقد أتاح له الرمز البلبلى ، أن يمزج به أحاسيسه وانفعالاته ، وحسن اختياره للألفاظ ، أتاح له قدرة التعبير عما يعتمل فى أعماقه ، الأمر الذى جعل لشعره مذاقا خاصا ، وراء الأوزان والقوافى .

ونحن نشارك الرأى الدكتور محمد فتوح أحمد(٥) ، فيما ذهب إليه من أن الأبيات الأربعة الأخيرة من قصيدة أبى ريشة تجعلنا على شبه يقين بأن الشاعر ـ بعد هذه الصورة ـ التى يمكننا اعتبارها قرينة تُعيِّن المقصود ـ لم يكن يتحدث عن بلبل حقيقى ، بل كان يتحدث عن نفسه ،

---

(٥) انظر كتابه (الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر) ص٣٠٨ ط سنة ١٩٧٦ .

وقد قصرت به الأيام عن تحقيق كل مطامحه .. الأمر الذى جعله يجنح إلى الوحدة ، واعتزال حياة المجتمع من حوله ، ليكفى نفسه ، خيره وشره ..

وفى وقائع الحياة الخاصة ، لشاعرنا أبى ريشة ، ما يمكن أن نستدل به على طبيعة المشاعر التى تجاذبته وناوشته ، بعد زواجه ، للمرة الثانية ، فهو الشاعر الذى «قرع باب الحب والزواج ، فى سن السبعين ، مع أنه كان متزوجا ، ومنجبا»[٦] .. وربما تكون هذه المشاعر المتباينة ، هى سر إبداعه لقصيدة (البلبل) ..

وصفوة القول : أن عمر أبو ريشة ، قد أمكنه أن يقدم لنا صورة موحية رائعة ، لبلبله المتخيَّل ، أو الذى يرمز له لمعاناته الشخصية ، بلبل السدود والقيود ، وليس بلبل الوهاد والنجود ، الذى افْتنَّ ووردورث فى تصويره ، فى لوحة صادقة تنبض بالحياة والتفاؤل ..

وكلا الشاعرين ، على تناقض منازعهما النفسية ، قد أجاد فى تصوير خلجاته ومشاعره .

(٦) انظر مقال (المرأة فى حياة عمر أبو ريشة وشعره) بعدد مجلة (الوطن العربى) الصادر فى ١٩٩٠/١١/٢ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د. محمد عبدالحكيم محمد

ورد لمجلة الأزهر أكثر من رسالة تنتقد خيال الشاعر الذى نسب النَّوْح للكتاب العزيز فى قصيدته التى نشرت بعدد رجب بعنون (على هامش الإسراء) وفى الحق أن البيت خلا من العاطفة الإسلامية التى تشيع فيها الثقافة الإسلامية الأمينة ، والتى بها يعرف الإنسان ما يجوز نسبته للكتاب العزيز وما لا يجوز وفى الحق لو أن صاحب القصيدة جعل خاتمة البيت :

وَقَدْ عَلَا رَأسَ ذَا المحراب قرآنُ

لكان أدق تصويراً وتعبيراً ؛ فإن عادة المسلمين أن يكتبوا من آى القرآن الكريم بأعلى المحراب لا بجانبه ، فضلاً عن أن التعبير بالعُلُو مما يناسب الكتاب العزيز .

وتلك فرصة نشكر فيها قُرَّاءنا على يقظتهم ومساهمتهم الجليلة . فلهم من الله حسن الجزاء ومن المجلة جميل الشكر والتقدير .

د . على الخطيب

الأزهر وشيخ الأزهر

كتب الاستاذ أحمد محمد فرج العوامى المحامى بالاستئناف العالى ومجلس الدولة ـ وقد آلمه الهجوم الملوث على الأزهر وشيخه ـ كلمة يبرز فيها حقيقة مقام الأزهر ورجاله وأعمالهم .

كان الأزهر ومازال .. وسيظل بفضل الله صاحب المكانة السامية الرفيعة ومحل تقدير كافة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، لم يعظم رأى المسلمين فى شىء بعد الحرمين الشريفين مثلما عظم فى الأزهر ورجاله .. فعلى مدى عمره المديد .. خصه الله بمنهاج قويم وصراط مستقيم التزمه رجاله الأفذاذ الذين قيضهم الله تعالى لحمل مشاعله وأعلى على أيديهم للأزهر قدره ودوره .

ومن جنبات الأزهر تفجرت الحكمة وازدهرت المعارف الدينية .. على الصحيح الثابت من

كتاب الله وهدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكشفت عن وجه الشريعة الغراء السمح وما أوده الله فيها من عدل واعتدال وتكسرت على عتبات الأزهر كل الدعاوى الزائفة وظل شامخا مستعصيا على الفكر المنحرف أيا كان مصدره والداعون إليه بل كانت له الكلمة العليا والقول الفصل فى كل ما غشا المسلمين وتقبل المسلمون بالرضا والاطمئنان ما أبان أو فسّر وما دفع أو أمر .

ويُعْيِي من يريد تقصى فضل الأزهر ودوره الْمَطْلَب ، فهو فوق كل بيان ودوره أكبر من كل إحاطة .

ولشد ماآذانا .. ماَجُرؤ عليه البعض أخيرا من التعرض للأزهر ورجاله ودوره .. سفهاً وجهالة .. وتجاوزا وافتراء وأيا ما كان مقصدهم .. ونوع نيتهم .. فالأمر جد خطير .. رَكَبَ من تولى كبره مركبا صعباً .. فالأزهر الشامخ أكبر وأجل من صغارات هؤلاء .. فما مقام الأزهر ودوره وجلال أهله من العالمين إلا بمقام الشمس فى وضح النهار .

لم يغب الأزهر لحظة .. والعقول المستنيرة من أبنائه وعلمائه .. تدأب ليل نهار فى مثابرة وإخلاص ـ من حيث لا يدرى هؤلاء أو أغلبهم .. فى الدرس والاستنباط .. وفى الدعوة والافتاء ، ولا يظن أولئك الشانئين أن فشلهم وما ترتب عليه من مآس وما أفرزه من تداعيات ، يمكن إلقاء تبعته على ـــ الرمز الوحيد الباق بريئا من كل عيب ـــ أزهرنا الشريف .

إن عطاءً يزيد على الألف عام .. سخياً موصولًا .. لا ينال منه قلم أو لسان كاره ..

ومقام صاحب الفضيلة .. الإمام الأكبر .. فى الذرا رفعة وسمواً .. وجلالًا وكرامة .. وكل من شرف بالانتساب للأزهر عندنا فوق كل مقام ولو كره الكارهون .

● ● ●

وكتب الشاعر فضيلة الأستاذ جابر محمد الكردى مفتش أول بمنطقة وعظ كفر الشيخ قصيدة بعنوان :

هـــذا دور الأزهـــر

سألـوا فقالـوا : أيـــن دور الأزهـــر ؟ ... قلت اسمعـــوا . كالماء دور الأزهـــر
كالشمس أو كالبـــدر فى عليائـــه ... يهدى الحيـــارى للطريـــق المقمـــر
أو ما سمعتم صوتـــه عنـــد الـــورى ... فى كل نجع فى الشتـــاء المطـــر
عم المدارس والمصانـــع علمُـــه ... والجامعـــات فكـــان غير مقصر
فى كل شبر فوق أرض بلادنـــا ... نور تلألأ من عمامـــة أزهـــرى
فى الشرق أو فى الغـــرب كل رجالـــه ... فى كل قطـــر كالنبـــات المثِمـــر
شرحـوا علـــوم الديـــن أدوا دورهـــم ... فى كل عصر للإلـــه القـــادر
نبنـــى وتهدم فى البنـــاء عصابـــة ... لم يعملـــوا لله قبـــل المحشر
يا شيـخ أزهرنـا سلـــمت من الأذى ... وارتـــد سهـــم الناقـــد المتـــكبر

ما ضر أزهرنا عيونٌ أرمدت ... حتى تعامت عن نفيس الجوهر
هذا بيان للبرية كلهم ... فليقرءوا صحف البيان النيِّر
عاش الإمام وعاش «عسكره» الذى ... حمل اللواء مع الإمام الأكبر
فى كل خطو من خطاك تحية ... منا إليك وفرحة للمنبر
يارمز أزهرنا وملجأ أمة ... باتت تخبَّط كالكفيف المبصر
الصرب يفتك بالألوف وقلما ... نجد النصير لِهرْسك كالمجمر
أرسلت من أسْد الرجال طلائعا ... نعم الأسود ونعم أنت الأزهرى

وبعد :

فإذا كان لمجلة الأزهر من كلمة فإننا نجتزىء ببيان قصير نُعدد فيه فئات عادت الأزهر أشد من عداء الاستعمار له :

فى المقدمة فئة رأت فى الأزهر تأثيره فى جماهير المسلمين ، وكانت هى صاحبة دعوى فرأت أن تقضى على هذا التأثير فى نفوس عامة المسلمين وبخاصة فى مصر لتنفرد بالدعوى فاشتدت فى هدفها عن طريق بث فكرة تقول : الأزهر مقصر فى عمله ، ونحن نتولى العمل الذى كان هو أولى به ، ومضت تقطع الأوصال بين العلماء الأجلاء وأفراد المسلمين ، فشاركت من حيث تدرى ، أو تدرى الفئات الساخرة من الدين وعلمائه والمنتسبين إليه .

وفئة ثانية : تستمد أفكارها منقادة لنفس الهدف لكن كراهةً للدين نفسه .. للدين الإسلامى فقط ؛ لأنها أعجز وأكفّ من أن تتناول أى دين آخر ؛ لأنها تعرف سلفا ما يعنى ذلك ، وهى فى أمرها هذا تتلقى تعليماتها من خارج أعْرَاف (تقاليد) قوميتنا وعروبتنا .

وفئة ثالثة: تجمع بين بعض العاملين فى الإعلام وبعض الفنانين الذين يحلو لهم السخرية بالعلماء .

وفى النهاية من تلك الحصيلة تجد النتيجة واحدة بين الاستعمار ، وأدعياء الدعوة والكارهين للدين النابذين له من شيوعيين وعلمانيين،ثم من أولئك الإعلاميين والفنيين ، والخسارة على مصر وحدها .

د. على الخطيب

دور المرأة فى خدمة السنة

وتلك رسالة وردت إلينا من القارىء/ بدر عبدالحميد ابراهيم ــ مركز إيتاى البارود بالبحيرة ــ يكشف فيها عن دور المرأة المسلمة فى خدمة الأحاديث النبوية بالرواية والتدوين والتمحيص ، فقد استوقفه حديث الناس عن دور الصحابة والتابعين فى خدمة السنة النبوية دون

الإشارة الى دور المرأة فى هذا الصدد ، فأراد أن يبرز لها هذا الدور ، وقد اعتمد فى ذلك على بعض المراجع العلمية المعتمدة «كالإصابة فى تمييز الصحابة ، والطبقات الكبرى» وغيرهما ، يقول فى ذلك

«وتذكر كتب التراجم والطبقات كثيرا من النساء المحدثات اللائى نقلن السنة النبوية المطهرة عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلى رأس هؤلاء أمهات المؤمنين ، ومن غير أمهات المؤمنين كثيرات ، فهن : أم حكيم الخزاعية ، وأنيسة بنت حبيب ، وأم كبشة ، وقتيلة بنت صيفى ، وسلامة بنت حر ، وخليدة بنت قيس ، وغيرهن كثيرات ، ولم تكن أية واحدة منهن تستنكف أن تأخذ الحديث عن ولدها ، أو أخيها ، أو زوجها . فهذه هند بنت معقل تروى عن أبيها معقل بن يسار .

وهذه زينب بنت معاوية (رائطة) تروى عن زوجها ابن مسعود ويذكر التاريخ بإجلال أمهات مثاليات كن خير معلمات لأبنائهن ، فهذه «خيرة» والدة الامام الحسن البصرى يأخذ وَلَدَاها «الحسن وسعيد» عنها الرواية والعلم ، ولا ينسى التاريخ عمرة بنت عبدالرحمن الأنصارية التى كان لها دور بارز فى تدوين السنة ، فحينما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز كتب إلى أبى بكر ابن محمد بن عمرو عامله وقاضيه على المدينة : أنظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه فإنى خفت ذهاب العلماء ثم أمره أن يكتب حديث عمره الأنصارية .

ولعل دور المرأة فى رواية السنة وفى تدوينها لم يقف عند العصور الأولى بل تعداها ، يذكر ابن أبى يُعْلى الفراء فى طبقاته كثيرات ممن أخذن علوم السنة عن إمام أهل السنة «أحمد بن حنبل» ومنهن أخت بشر بن الحارث ، وميمونة بنت الأقرع وخديجة أم محمد ، وحُسْن جارية أحمد بن حنبل ، والعباسة بنت فضل ، وريحانة بنت عمر زوجتا الإمام أحمد بن حنبل وغيرهن .

الدعوة الإسلامية بين نساء نيجيريا

كما وصلتنا رسالة من السيدة/فاطمة الزهراء ــ مديرة مدرسة تعليم المسلمات فى قرية «يليمان تيجانى» ، تتوجه فيها بالشكر لفضيلة الإمام الأكبر على دعمه المشكور لمدرستها بالكتب الإسلامية اللازمة .

وجدير بالذكر أن هذه السيدة من المثقفات الأفريقيات اللاتى حفظن القرآن الكريم ودرسن

علوم الشريعة فى المدرسة الاسلامية ، وقد أنشأت مدرستها بالجهود الذاتية منذ خمس سنوات لمحو أمية الأفريقيات وتزويدهن بما يلزمهن من أمور العبادات والمعاملات .

غير أن المنطقة لازالت تفتقر إلى جهود المسلمين فى بناء مدارس ومستشفيات إسلامية لتعليم وعلاج أبناء المسلمين بعيداً عن مدارس ومستشفيات المبشرين المنتشرة فى أفريقيا .

ردود وتعليقات

ـ القارىء/فاضلى عثمان ـ من بلدية تندلة بالجزائر .

والقارىء/شفورى العربى ـ من ولاية الوادى بالجزائر .

مرحبا بكما صديقين دائمين للمجلة وفى انتظار ما يعنّ لكما من أفكار ومقترحات .

ـ القارىء/منصور محمد سليمان ـ الصيدلى بالأسكندرية .

ظاهرة اهتمام وسائل الاعلام بتأبين ورثاء أهل اللهو والمجون بالقدر الذى لا يحظى به علماء الدين ، أمر قد عمّت به البلوى فى مجتمعاتنا العربية والأمل معقود على الإعلام الإسلامى لتغيير هذه الصورة .

أما عن اقتراحكم لجمع فتاوى فضيلة الإمام الأكبر ــ التى تنشر بالمجلة سنويا ــ فهذا ما أعدت له العدة وسيصدر العدد الأول منها قريبا جدا .

ـ القارىء/أحمد خضير ـ مقرر جمعية العقاد بفوه .

رجاء التوجه بطلبك مباشرة إلى جامعة الدول العربية لترجمة هذا البحث ومجلة الأزهر ــ من جانبها ــ لا تألوا جهداً فى ترجمة مثل هذه الأبحاث بملحقاتها .

ـ القارىء/على خلف عبدالرحيم .. بكلية الشريعة والقانون بأسيوط .

لابد من الجهود الذاتية فى إنشاء معهد ابتدائى أزهرى بقرية القرامطة فى سوهاج ، والأزهر يقوم بدوره فى ضمّه وتزويده بما يلزم للقيام برسالته .

ـ القارىء/سليمان عبدالحميد عبدالله الفقى ــ شيخ معهد قراءات دمنهور بالبحيرة .

اقتراحكم باشتراك كل منطقة أزهرية فى مجلة الأزهر بعدد المعاهد الأزهرية التابعة حتى يطلع عليها الطلاب والمدرسون ، اقتراح وجيه ولكن هذه مسئولية المناطق الأزهرية ، وسبيلها إلى ذلك الاتصال بقسم الاشتراكات فى جريدة الأهرام .

القارىء/إبراهيم خليل إبراهيم ــ بمساكن عثمان ــ شبرا الخيمة ــ القاهرة .

اقتراحك بتخصيص باب ثابت للتعارف بين القراء ونشر صورهم ، ليس فى النية تحقيقه ، فهو يتلائم مع الصحافة الخفيفة وليس مع مجلة الأزهر .

أما اقتراحك لتخصيص باب لإبداعات القراء فقد تحقق وهو هذا الباب الذى أخاطبك من خلاله ونرجو مراعاة الإسناد العلمى فيما تكتبه لنا .

ردود خاصة باشتراكات المجلة

■ إلى الأخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى — بنسخة واحدة شهرية — على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام — قسم الاشتراكات — شارع الجلاء — القاهرة — ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها . وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذ/ عمر البسطويسى على

والأستاذ/ مصطفى عبد المجيد

من منطلق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

كانت لقاءات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى شهر رمضان المعظم بالمواطنين فى محافظات جمهورية مصر العربية .

وقد بدأ اللقاء الفكرى الأول فى القاهرة بميدان الإمام الحسين وكان اللقاء الثانى فى مدينة إسنا بمحافظة أسوان ، وكان اللقاء الثالث فى مدينة طنطا بمحافظة الغربية ، وكان اللقاء الرابع فى مدينة الاسكندرية .

وقد تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى هذه اللقاءات عن الأمور التى تهم المسلمين فى الداخل والخارج وعن الظروف الراهنة ، وأجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات المواطنين ، وكانت لقاءات طيبة مثمرة .

ـ فى إسنا أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الإرهاب فى المجتمع يتطلب التصدى له وعزله تماما عن المجتمع مع النصح والتوجيه بالحسنى وطالب المجتمع بأسره بأن يعمل على عزل هذه الجماعات المنحرفة بعيداً عن مسيرة العمل والبناء والإنتاج .

وقال : إن من تفقه فى الدين هو المنوط به الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومع هذا فليس مطلوباً من العالم أن يفرض رأيه على غيره تحت دعوى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأضاف شيخ الأزهر فى اللقاء الجماهيرى الذى عقد بمدينة إسنا إن اتهام الدولة بالكفر ظلم ، وإن مصر من أشد الدول تدينا وحكامها مسلمون وتطبيق الشريعة الإسلامية أمر واجب ، والأحكام التعزيزية سارية .. ولم يبق سوى بعض الحدود التى تتطلب تهيئة المجتمع أولا لتنفيذها فالأمر ليس سهلا ، وعلى كل من كفر مصر أو حكوماتها أن يتوب ويستغفر الله من ذنبه ، وإلا فهو آثم ومصر على المعصية .

ـ وفى طنطا أكد فضيلة الإمام الأكبر أن النصوص الصريحة للدستور تجعل مصر دولة ليست علمانية ، وطالب بضرورة مواجهة أصحاب الأفكار العلمانية وعدم الاستماع إلى أرائهم التى يروجون لها فيما أسماه بصحائفهم السوداء وفى أجهزة الإعلام .

أوضح شيخ الأزهر أن مفهوم العلمانية يعنى الفصل بين الدين وشئون الحياة ، وأصحاب الفكر العلمانى يرون أن الدين هو عبادة فقط وعلق شيخ الأزهر على هذه النظرة بالتعبير القرآنى : ﴿ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۞ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ

وأضاف فضيلته: إن كانت هناك أديان تنطبق عليها وجهة النظر هذه فالإسلام ليس كذلك ، فهو دين ودولة ، نظَّم شئون الأفراد والمجتمعات ، نظم علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بالإنسان ، وبالمجتمع . وفى فقه الإسلام توجد العبادات والمعاملات والمواريث والشركات وكل ما يدور فى الحياة .

وطالب الشيخ جاد الحق بعدم الاستماع لما يروج من أفكار حول العلمانية ، وقال موجهاً حديثه للشباب : لا تسمعوا لمن يملأون صحفنا بهذه المبادىء السوداء ولا تقرأوا لهم فكرا ، وعودوا إلى علمائكم لتعرفوا منهم القواعد والأصول الصحيحة للدين الإسلامى الحنيف .

وأكد شيخ الأزهر أن الحماية الجماعية للأمة مبدأ إسلامى قررته الشريعة كما قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ سُورَةُ الأَنفَالِ

وحذر فضيلته من خطر السكوت على الجريمة ، أو الانحراف فى المجتمع مؤكدا أن هذا سيؤدى إلى حدوث كارثة حقيقية فى المجتمع ويجعل حل الأزمات ومواجهتها مسألة صعبة إن لم تكن مستحيلة .

وحث شيخ الأزهر المسلمين على ضرورة تعلم فقه العبادات فى الإسلام وتحقيق الإفادة الكاملة من الفلسفة التى شرعت من أجلها .

وفى الاسكندرية أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الدولة لا تحارب التدين ولا تقف فى طريق الدعوة الإسلامية .

وتساءل فضيلته : هل أغلقت الدولة المساجد أو منعت الناس من أداء الفرائض التى أقرها الإسلام مؤكداً أنه لا يوجد مسجد قد أغلق فى وجه المصلين فالمساجد مفتوحة لمن يدرس العلم ويثقف الناس ، ولكن يجب أن نعلم أن المسجد مهمته الدعوة والصلاة وقراءة القرآن ونشر تعاليم الإسلام ولم يكن المسجد أبدا للعدوان وتدبير المنكرات والإخلال بأمن الأمة واستقرارها .

حقيقة الصحوة

وأضاف : إن الدفاع ضد العدوان ليس معناه ضرب الصحوة الإسلامية مشيراً إلى أن الصحوة الدينية عى التوبة التى رددها القرآن وحثنا عليها وهى أن تمتلىء قلوبنا بالوازع الدينى الذى يعصمنا من الأخطاء والتجاوزات وأن يعرف كل منا ما له وما عليه من حقوق وواجبات .

وقال : إن العدوان والقتل وترويع الآمنين لم يكن أبدا علامة من علامات الصحوة الإسلامية . بل إنه يتنافى مع تعاليم ومبادىء الإسلام الحقة .

الإمام الأكبر يشهد ملتقى الفكر الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى الثانى من شهر رمضان المبارك ١٤١٣ هـ ملتقى الفكر الإسلامى الذى أقامته رياسة الجمهورية بالتعاون مع الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف طوال شهر رمضان المعظم .

ألقى فضيلته كلمة جامعة طالب فيها كافة

المسلمين وعلماء الدين بأن يكون سلوكهم بعيداً عن التسويف واللامبالاة .

وأكد فضيلته أن كل مسلم مطالب بأن يراجع نفسه ويحاسبها عما قدم لدينه ولنفسه ولوطنه .

كما أشار فضيلته إلى أن الله ـ تعالى ـ جعل من الإسلام وأحكامه وعباداته وسيلة لقيادة الدنيا بأسرها ، وحث فضيلته كل صاحب ضمير يقظ أن لا يشوه صورة المسلمين ويمسخ توجههم الحضارى بما يفعل ، من قتل وإرهاب وسفك للدماء وترويع للآمنين .

الإمام الأكبر يشهد الاحتفال بذكرى غزوة بدر والعاشر من رمضان

كما شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاحتفال بذكرى غزوة بدر الكبرى والعاشر من رمضان .

حضر الاحتفال نائباً عن السيد رئيس الجمهورية / عمر عبد الآخر محافظ القاهرة وفضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف وعدد من السادة الوزراء والسفراء وكبار رجال الدولة ولفيف من قيادات الدعوة بالأزهر والأوقاف .

الإمام الأكبر يسلم الجوائز للفائزين فى مسابقة (إقرأ) الخيرية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتوزيع جوائز مسابقة (إقرأ) التى أجرتها مؤسسة إقرأ الخيرية ، بلغت قيمة جوائز المسابقة (٤٧) ألف جنيه، أقيم الاحتفال بمركز صالح كامل بجامعة الأزهر وحضره الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر والشيخ صالح كامل رئيس مؤسسه إقرأ الخيرية والأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام أستاذ القانون الدولى بجامعة الأزهر والمشرف على المركز .

هدية الأزهر فى رمضان

بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قامت الشئون الفنية بمكتب فضيلته بإمداد المساجد والهيئات ومراكز الشباب والأفراد بمصحف الأزهر الشريف بأحجامه المختلفة ومجموعات من الكتب الدينية القيمة لوضعها بمكتبات المساجد والهيئات كى يستفيد منها الرواد ، وذلك بمناسبة شهر رمضان المعظم .

أعاده الله على الأمة الإسلامية بالخير واليُمن والبركات .

سلسلة أحاديث الإمام الأكبر عن سمات العقيدة القرآنية

على إمتداد ثلاثين حلقة تابع المواطنون على شاشة (التليفزيون) عقب صلاة التراويح فى ليالى رمضان سلسلة أحاديث (مع القرآن الكريم) لفضيلة الإمام الأكبر .

وفيها تناول فضيلته سمات العقيدة القرآنية فى إظهار القدرة الإلهية فى الآيات الكونية .

وقد نقلت جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة تهنئة فضيلته للمسلمين باستقبال شهر رمضان المعظم وحلول عيد الفطر المبارك .

La Bonne Parole

Par : Sahar Abdallah Guindéya

Abou Horaïra, qu'Allah soit satisfait de lui, a rapporté que le prophète paix soit sur lui a dit : "Que celui qui croit en Allah et au Jour Dernier, prononce une bonne parole ou qu'il garde le silence; que celui que croit en Allah et au Jour Dernier, traite avec égards son voisin) que celui qui croit en Allah et au Jour Dernier, soit généreux evers son hôte."

Le Hadith nous apprend que le foi parfaite en Allah et au Jour Dernier consiste essentiellement à retenir sa langue c'est à dire de ne prononcer que de bonnes paroles, à traiter avec égards le voisin et à remplir les devoirs d'hospitalité evers son hôte. Le prophète paix soit sur lui a montré dans ce Hadith la relation entre la dévotion et le bon comportement du musulman.
la foi en Allah et la croyance au Jour Dernier sont étroitement liés au fait de ne pas prononcer de vains propos et de bien traiter son voisin et son hôte.

La langue malgré sa pétite taille par rapport aux autres membres du corps, joue un rôle capital : elle exprime, en fait ce que le coeur cache et les paroles prononcées traduisent la haine et la méchanceté ou l'amour et la bonté de celui qui parle.

En suivant les recommandations du prophète, tout musulman doit se soucier du bien d'autrui et prendre soin de ne point offenser son frère par ses paroles, c'est pourquoi il vaut mieux garder le silence, pour ne pas risquer de s'attirer la colère divine.

Le silence est donc une vertu qui habitue l'homme à ne pas parler méchamment pour ne pas blesser les autres. Le fait que chacum d'entre nous sera retribué non seulement pour ses actes mais aussi pour ses paroles, montre à quel point il faut retenir sa langue.

Le silence est une vertu car l'homme peut par ses paroles, se tromper, mentir, dire des médisances, être hypocrite, insulter, trahir ses promesses, révéler les secrets d'autrui, les mépriser et mentionner leurs défauts etc...

Certes, tous ces actes pourraient faire du mal aux autres, le silence est donc la solution unique pour mettre fin à tous ces actes répréhensibles.

De même, le Prophète paix soit sur lui nous recommande de bien traiter le voisin, ou en d'autres termes, de l'aider, de partager ses peines et ses joies, de le supporter et de faire de son mieux pour ne point lui nuire.

Il en est de même pour l'hôte : il faut que ce dernier soit bien accueilli et bien traité. Il faut qu'on soit généreux evers lui en remplissant les devoirs d'hospitalité et cela en leur presentant la nourriture et les boissons dans les limites de nos moyens.

Toutes les recommandations du prophète paix soit sur lui dans ce hadith constituent un appel lancé aux musulmans afin que l'entente règne parmi eux. Ainsi toute éventualité de vivre en désaccord sera écartée.

Le prophète recommande aux musulmans de se débarrasser de leurs vices et de se parer des vertus.

Par : Sahar Abdallah Giundéya

Enfin Allah — gloire à Lui — a terminé ce verset par cette belle promesse destinée aux croyants sincères :

[Allah a promis à ceux d'entre eux qui croient et qui accomplissent des actions louables, un pardon et une noble récompense]

"Sourate La Victoire", le sens du verset 29

C'est à dire qu'Allah a promis aux croyants qui ont accompli dans leur vie terrestre des actes louables, d'être indulgent avec eux, de bien les récompenser au Paradis, c'est la rétribution d'Allah qu'Il accorde — gloire à lui — à ceux qu'il à élus et qui la méritent. Ce texte renferme une part des éloges destinés par Allah à son prophète (paix soit sur lui) et à ses compagnous, en récompense pour leurs vertus : où sommes-nous donc nous les musulmans d'aujourd'hui de ces belles qualités?

Nous prions Allah — gloire à lui — de nous indiquer la voie droite — puisqu'il est le plus Généreux des donateurs

Par : Layla Hussein Al Chaféi

de servitude à Allah et de sincérité envers Allah le Tout-Puissant. "Al Aloussy" -(qu'Allah lui accorde Sa miséricorde) dans son interprétation bien documentée -- qu'a transmise Ebn Mardouch, d'après Obay Ebn Ka'ab (qu'Allah soit satisfait de lui) a dit : "Le Messager d'Allah paix soit sur lui a dit à propos du verset. 29 de la Sourate la "Victoire" : [On les reconnaît à leurs visages qui portent les marques de leurs prosternations que c'est la lumière qui éclairera leur front le jour du jugement dernier."

Puis El Aloussy a ajouté "il est très probable que cette lumière soit une marque sur leurs visages ici bas et dans l'au-delà, mais puisque cette lumière est plus visible et plus accomplie dans l'au-delà, le prophète paix soit sur lui l'a notée spécifiquement".

Ensuite Allah -- qu'il soit glorifié a montré que cette belle description qui les concerne se trouve dans l'Ancien Testament ce livre qu'Allah -- qu'il soit glorifié a révélé à Moïse (à lui salut) et où Allah a dit : selon le Coran) dans la Sourate "La Victoire" le sens du verset 29 [Telle est la parabole qui les mentionne dans la Tora et qui les mentionne dans l'Evangile] Ceci veut dire que ce que nous venons de citer à propos de ces croyants sincères ces qualificatifs honorables — est passé en proverbe. Leurs attributs dans l'Ancien Testament -- qu'Allah qu'il soit glorifié à révélé à son prophète Moïse sont là pour servir de bonne direction morale et de lumière pour guider leur communauté.

Quant à leurs qualités dans l'Evangile — ce livre qu'Allah — qu'il soit glorifié -- a révélé à Son Prophète jésus (Issa) (à lui le salut) elles ont été ainsi expliquées par Allah -- gloire à lui dans le sens du verset 29 dela Sourate "La Victoire" :

[Ils sont semblables au grain qui fait sortir sa pousse; puis il devient robuste et se dresse sur sa tige. Il suscite l'admiration du cultivateur, pour mieux vexer les impies]

Les paroles d'Allah -- gloire à lui [Alors il s'est dressé sur sa tiges] veulent dire que la plante s'est épanouie dressée et s'est sur la tiges qui la soutient Quand Allah -- gloire à lui -- dit qu'elle plaît aux cultivateurs, cette phrase veut dire que cette plante épanouie fait plaisir aux experts de la culture à cause de sa vigueur, et de sa belle allure. La description des croyants dans l'Evangile les montre semblables à la plante qui paraît fragile au début faible et dispersée mais qui, ensuite, en poussant s'endurcit et croît jusqu'à devenir si solide et si belle qu'elle plaît aux connaisseurs.

Il en est de même pour le prophète paix soit sur lui et ses compagnons. Ils étaient au début du Message peu mombreux, faibles, puis ils se sont multiplés et sont devenus plus forts jusqu'à ce qu'ils aient atteint un degre de perfection par la grâce d'Allah et son soutien.

Allah (qu'Il sait glorifié) avait raison quand il dît :

[Souvenez vous, lorsque sur la Terre, vous étiez peu nombreux et faibles, craignant que les hommes ne s'emparent de vous. Allah vous a procuré un refuge et vous a assisté de Son secours. Il vous accordé des biens — peut -- être serez — vous reconnaissants !]

Sourate "Le Butin" le sens du verset 26. Les exégètes ont ainsi expliqué ce verset : "c'est un exemple qu'Allah — qu'Il soit glorifée — a donné pour décrire le début de l'Islam, comment il s'est progressivement répandu et s'est renforcé car, le Messager d'Allah paix soit sur lui était seul lorsqu'il annoncé la parole d'Allah, puis ce fut Allah qui l'a appuryé à l'aide de ses compagnons.

"Quant à ces paroles : pour mieux vexer les impies", elles veulent dire qu'Allah -- gloire à Lui — les a créés de la sorte afin qu'ils soient d'une part fermes envers ceux qui insistent à rester athées et d'autre part, miséricordieux envers les croyants et ceux qui obéissent à leur créateur, afin de vexer les pervers qui se sont éloignés de la voie droite, qui ont préféré la fausse route à la droiture l'erreur, à la soumission afin que ces derniers aient le coeur lourd à la vue des nobles qualités des croyants loyaux.

Motowakel" (celui qui se confie en Allah) tu n'es ni cruel, ni dur, ni âpre et tu n'es pas tapageur dans les marchés, c'est-à-dire que tu n'as pas mauvais caractère. Ce n'est pas un prophète qui a le coeur dur ou qui hausse la voix (en parlant avec orgueil, il ne rend pas le mal pour le mal, mais il pardonne et il est indulgent.

Allah ne fera mourir Son prophète paix soit sur lui que lorsque ce dernièr aura fini de corriger les fausses croyances, c'est-à dire celles qui sont mêlées de polythéisme en amenant les hommes à prononcer la profession de foi islamique : "il n'y a point d'autre divinité qu'Allah" c'est par cette formule que le prophète ouvrira les yeux aveugles les oreilles sourdes et les coeurs fermés. Par ailleurs le verset coranique décrit les compagnons du prophète paix soit sur lui comme étant fermes envers les incrédules, et compatissants entre eux. Allah leur fait un compliment merveilleux et un grand honneur, car Allah qu'il soit glorifié — a montré que leur miséricorde n'était pas absolue, que leur dureté n'était pas totale, mais qu'ils étaient compâtissants envers ceux qui suivent le droit chemin, toutefois, ils sont durs envers ceux qui insistent à suivre la fausse voie.

Le verset suivant ressemble également au précédent :

O vous qui croyez : Quiconque d'entre nous rejette sa religion Allah fera bientôt venir des hommes, il les aimera, et eux aussi l'aimeront.Ils seront humbles à l'égard des croyants fiers à l'égard des incrédules. Ils combattront dans le chemin d'Allah, ils ne craindront pas le blâme de celui qui blâme. Ceci est une grâce d'Allah Il la donne à qui Il veut. Allah est présent partout et Il sait.

Sourate la table servie le sens du verset 54

Par ailleurs Allah — qu'il soit glorifié les a décrit en ces termes.

[Tu les vois inclinés, prosternés avec l'espoir de mériter la grâce d'Allah et Son Paradis]

Souate. "La Victoire", le sens du verset 29

C'est-à dire : tu les regardes, tu les trouve toi l'homme sensé — modestes, prosternés, en adoration, veillant à suivre les préceptes divins sans chercher par cela à s'enorgueillir ni à feindre la piété, mais désirant uniquement plaire à leur créateur Allah le Tout -- Puissant — et aspirant à obtenir Sa satisfaction, Son pardon et Sa miséricorde.

Et avec ce que cette description comporte de louange de leur sincérité, de leur désintéressement des jouissances terrestres on voit pas qu'ils n'exécutent les actes de soumission qu'ils n'executent pas les actes de soumission qu'ils accomplissent en convoitant l'un des plaisirs éphémères de ce monde mais ils le font espérant le mérite d'Allah le Très-Haut.

Puis Allah — qu'il soit glorifié — en a fait une troisième description en ces termes.

[On les recommaît à leurs visages qui portent les marques de leurs prostermations.]

Sourate "La Victoire] le sens du verset 24

c'est-à dire que tu remarques comme toute personne raisonnable — les qualités par lesquelles Allah-qu'il soit glorifié les a distingués. Ces qualités se manifestent par une lumière dont Allah-qu'il soit glorifiée — éclaire leurs visages et par une belle sérenité qui couronne leurs fronts, tant ils se prosternent devant leur créateur durant les heures de la nuit et les confins du jour.

Cette phrase nous révèle la pureté, la splendeur et la sérénité qui couronnent leurs visages à force de prières et d'actes de dévotion. Mais ceci ne veut pas dire qu'on les reconnaît grâce à un trait spécifique tel que la tâche située précisement au milieu du front -- comme peuvent l'imaginer certains esprits. Allah — qu'il soit glorifié-a choisi le terme "prosternation" parce que cet acte de dévotion représente le plus haut dégré

Le prophète ... et ses compagnons

Par : Layla Hussein El Chaféi

Selon la Torah, les Evangiles et le Coran, celui qui réfléchit au sujet du Livre Divin découvre que plusieurs de ses versets ont amplement fait l'éloge du prophète paix soit sur lui. Ces mêmes versets ont aussi rendu hommage à ses disciples, à ceux qui ont cru en lui et qui lui ont obéi.

Parmi ces versets sacrés, on trouve : [Mohammad, le prophète d'Allah et ses compagnons sévères envers les incroyants, compatissants les uns envers les autres]. Sourate la "Victoire", le sens du verset Par le début de ce verset, Allah accorde à son messager, notre maître Mohammad paix soit sur lui, le plus noble signe d'honneur.

En effet, son créateur Allah gloire à Lui témoigne en sa faveur en lui reconnaissant cette qualité sublime.

Or Allah — qu'Il soit loué — est le meilleur témoin. Le même témoignage, ainsi que les éloges du prophète paix soit sur lui, et l'allusion à sa noblesse et à son mérite se retrouvent dans plusieurs versets dont nous avons relevé à titre d'exemples [O, prophète ! Nous t'avons envoyé comme témoin, comme annonciateur de bonnes nouvelles, et comme avertisseur qui appelle à la foi avec la permission d'Allah, et comme un flambeau lumineux. Annonce aux croyants la bonne nouvelle : Allah leur réserve un grand bien". Sourate, "Les Factions" le sens des versets 45, 46, 47.

-- [Mohammad n'est le père d'aucun homme parmi vous, mais il est le Messager d'Allah, et le dernier des prophètes. Allah est l'Omniscient] Sourate, "Les Factions" le sens du verset 40.

-- [C'est Lui qui a envoyé son Messager pour guider les hommes avec la vraie religion d'Allah afin de la faire prévaloir sur toute autre religion — Allah suffit comme témoin]. Sourate "La Victoire", le sens du verset 28.

Le Prophète paix soit sur lui a dit dans un hadith qu'il est comparable à une brique, que les prophètes précédents représentent symboliquement un bâtiment dont lui serait la brique qui manque pour compléter le bâtiment érigé par les prophètes précédents. Si bien que dans un des propos tenus par le prophète paix soit sur lui, et vérifiés par Al Bokhary et Moslem, selon Abou Horaïra (qu'Allah soit satisfait de lui), le prophète paix lui dit : "Je ressemble, ainsi que les prophètes qui m'ont précédé, à un bâtiment construit décoréet orné par un homme. Cette construction aurait été complète si la place d'une brique manquante dans un coin avait été comblée — c'est-à-dire sauf qu'il y avait la place d'une brique manquant à l'un de ses côtés. Alors les gens se mirent à faire le tour du bâtiment, à l'admirer et à dire : si seulement l'on mettait cette brique?! Le prophète paix soit sur lui dît alors : "Je suis cette brique et je suis le dernier des prophètes". Al Bokhary a rapporté, dans un hadith authentique, d'après' Ataa (qu'Allah soit satisfait de lui) J'ai dit à Abdallah Ebn Amr qu'Allah soit : satisfait de lui : Dépeints — moi le protrait du Messager d'Allah paix soit sur lui tel qu'il se trouve dans l'Ancien Testament".

Ce dernier répondit : "Certes. Je jure par Allah qu'il est décrit dans l'Ancien Testament, presque comme il est décriet dans le Coran : [O prophète, tu es envoyé comme témoin, comme avertisseur et porteur de la bonne nouvelle; tu es aussi un porte-bonheur pour les illettrés, tu es Mon serviteur et Mon Messager, je t'ai nommé "Al

---

1) Hadith rapporte par Al Bokhary et Moslem

REVUE AL-AZHAR

SHAWAL 1413

Volume 65 -- Partie X

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction

M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

unmakes his felicity in life on earth. For this reason, the Muslim Theism subjects this issue to the norms of value, of morality and of responsibility. Islam as the religion of world affirmation par excellence, naturally seeks to control human life so as to make it actualize the patterns intended for it by its Creator. Hence the Islamic dictum "Religion is indeed man's treatment with his fellows."

The Islamic economic order is an integrated practice based on the concept of human rights as designed by Divine Ordinances. The economic decrees of inheritance are indeed the most precise patterns of individual, familial, and social justice. The legislative injunctions of the Zakat formulate a profound ecumenic protocol that establish the claim of rights of those who are inpoverished destitute from the hands of the affluent. These opulent will seek to actualize the Divine precepts through the concept of Tawhid, by freely pursuing to settle their dues of the Zakat claimed on their wealth. The sovereign status of orphans within the Islamic economic system presents the optimal maxims for the justified preservation and maintainance of monetary and property rights. The prohibition of usury portrays the utmost implementation of social justice in the economic order of Islam. These foregoing characterizations of the Islamic economic system stand unique among the religions and ideologies of the world. The integrated pax economicus of the Islamic Theism is a Divine design aiming to bring about a perpetual settlement in the material conditions of people, for those who are opulent, and for those who are less fortunate.

economic principles and injunctions of the Law of Shariah. The moral reward on that front is directly proportional to the success in seeking the bounty of Allah. The protocol of economic action emerging from the Shariah is to produce the maximum that one can produce, and to trade of the excess of one's requirements, for other commodities and necessities of life. The ethics of Islam distinctly counsels against begging, against parasitic life on the labor of others. Economic endevour is praised and acclaimed, and economic resignation condemned and disclaimed. More than half the Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) fall under the categories, his acquisition, his spenditure, and his disposol of wealth. The Shariah defines categories who are economically dependent on the state or on men, as the physically handicap, advanced old age, destitute and orphan childhood, inpoverished womanhood, advanced disease and mental derangements.

The other articles of Shariah pertain to the Muslim state of consciousness, directed to produce active psychic patterns, and righteous relationships with other individuals, and with the society. These societal inter-relations demand a matrix of economic order in which the whole society upholds. Every Muslim should enter into the lives of others to influence a change for the better; this is in fact the purpose of Islamic shariah, to maintain aproliferative action aiming at human felicity. This conceptual trend of Islamic Shariah is the diametric apposite of Buddist and Christian monastic teachings of retreat and withdrawal from others precisely in order to work for one's self alone. In their understanding, felicity and salvation consist in a state of consciousness which man alone can bring about for himself. On the other hand, the doctrine of Tawhid makes the Muslim conceive the Divine imperatives of activism, to enter into the lives of others, and there to deflect all activities towards the goals prescribed by the Holy Quran, and the Sunnah of the Prophet. This is a mandatory obligation that makes the Muslim the most congenial and communicative member of creation.

The Islamic Shariah gave great attention to the social and economic status of the Ummah. Early Islamic history gives us remarkable exemplification of this view, when Abu Bakr al Siddiq declared an all out war against the tribes that refused to pay the "Zakat" after he was proclaimed Khalifah. These tribes were charged with apostasy from Islam, denying the whole religion by rejecting the payment of "Zakat". The Shariah entails precise injunctions giving concern to every aspect of life of men and women and legislating for that purpose, building the socio-economic system of the Ummah around specific patterns of wealth distribution. Therefore an economic framework is implemented in the Muslim society by virtue of the Shariah on the social level, and by virtue of inherent consciousness of the doctrine of Tawhid on the personal individual level. This is one of the most fundamental features of morality in Islam; indeed as an ideology, Islam has provided to the Muslim Ummah with a divinely structured pattern of economic order by which the material wealth distribution of the individual and of the Ummah could and should be organized.

Mankind has by nature affirmative economic pursuits; indeed a homo economicus, subjecting his life to certain economic patterns of his own deliberate choice, which are definitive of his nature. Islam as a religion provides a dimension which should be realized maximally to pursue human life within the framework of Divine values; i.e. responsibility to nature, to oneself, and to the economic stability of society. This constitutes a commitment of the individual Muslim's conscience for the institution of the economic patterns of the society as prescribed by the Shariah. The economic behaviour of mankind makes or

Tawhid : The Principle of Economic Order (Excerpts from the writings of Ismail Raji Al-Faruqi)

Compiled and Presented

By : Saad Moustafa Moustafa M.D.

The Islamic Theism is fundamentally characterized by its coherent association with the politics and economy of the Ummah. This position of Islam distinguishes its doctrinal teachings from those of all other religions. A common prevelent understanding is that Economic Action is the spirituality of Islam. The existence and integrity of the Ummah are the essencial goals of religious action, and consequently economic and political actions. The very essential relationship of Tawhid to the political and economic order of the Ummah, is a relationship that is constitutive of the essence of Islamic religious experience. The statement of Tawhid "La illaha illa Allah," (there is no god but Allah) asserts that the Ummah of Islam proclaiming that statement is a single Ummah in belief, in brotherhood, in harmony of action, who reckon with one another, enjoining good and prohibiting evil, and who obey the doctrines of Islam, and implement the social, political, and economic ramifications of those doctrines.

The statement of Tawhid purified all religious thought from all doubts regarding the transcendence and unicity of the Divine Being. This accomplishes two main purposes; the acknowledgement that Allah is the sole creator of the universe, and equalizing all men as creatures of Allah, endowed with the same essential qualities of creaturely humanity status. Another axiomatic aspect for the statement of Tawhid means that Allah is the sole and ultimate value, that everything else is an instrument whose value depends upon Allah the final end of all endevour; the only Master whose will is the ought to be. Under this understanding, mankind is the subject, whose vocation and destiny of the service of Allah for the fulfillment of Divine Will, the actualization of value. Tawhid restores to mankind that creation is the material medium in which the Divine Will and values are to be actualized. The Revelation of the holy Quran left nothing without guidance or direction, giving the Islamic theism its norms for action; and action is public, economic, political, societal, and individual. Based on this understanding, Islam establishes its universalist identity.

This universalist identity of the Muslim necessitate that his deeds and actions in all fields of life, become determined by the Law of Islamic Shariah. Some articles of this Law deal with the individual's own person seeking to affect the state body and consciousness. Other articles pertain to the Muslim's conduct, actions, and dealings in society; the majority of which are material in nature, and in order to institute the Shariah in these functions in life, the Muslim must act and think according and in exact compliance with the

- **In Surat (Al-Nabaa, 78, verses, 9-10)** "And we have made your sleep an arrest of your activities and rest for your bodies, and the night (We made) as a curtain and covering; and made the day as a means of subsistence."

These translations of the meanings of the original Arabic texts of the verses of the Holy Quran portray very distinct perception of the phenomena of sleep; and establish cognizance of several fundamental aspects about sleep. The very cardinal aspect is the similarity drawn between the processes of sleep and death. In both, there is an indication of the separation of the soul from the body resulting in a state of unconsciousness, unawareness, and loss of responsive perception. The return of the soul to the body, will reestablish all the conscious faculties, and restore to the body the powers of facultative communication. It can be postulated that the separation of the soul from the body during sleep, and the loss of the normal perceptive responses of consciousness leaves the body in a condition akin to death, and what remains are the normal vegetative physiological processes of the body organs. The conscious perception of auditory, visual senses and the discriminative cognizance of time and space are lost during sleep.

The condition of unconsciousness and the associated phenomena that occur during sleep, result in the revitalization and nourishment of the body. The complex biochemical mechanisms that control normal tissue physiology and function, regain a status of normality away from the physical exertion and external stimuli that strain the body during the period of consciousness. This concept has been successfully utilized in the treatment of some psychological and similar disorders, as a form of sleep therapy. It appears evident that the circadian rhythms of the normal biological processes of the body are intimately related to the body functions during the period of consciousness; and that the biochemical body restitution and restoration mechanisms take place during sleep. These processes of body reconditioning and restorative actions occur during sleep when the stress impact, tension anxiety, and physical strain of the soul upon the body are non-existant. It is therefore imperative to realize that the maximum benefit of sleep is attained when the psychological stability is well conditioned. Situations of worry, fear, anxiety, tension, psychic infringements, excessive greed, and other repercussions of mundane prosaic life, are all factors that impede, disturb and encroach upon the normal vital sleep process.

All existing present day knowledge about the phenomena of sleep are indicated in the Holy Quran. The calmness, and repose, the arrest of activities and body rest, are matters which are well pronounced in the Quranic verses. The concept of the separation of the soul from the body, a situation akin to death is also considered one of the many divine attributes of creation. The meanings inherent in the text of the Holy Book, certainly enlighten mankind to think and wonder on the implications and manifestations of these meanings. The Holy Quran does not aim to explain the intricate laws and mechanisms governing the creation of mankind. Its basic objective is to bring forward the maxims of reality and the fundamentals of truth. The knowledge inherent in the words of the Holy Quran are references and indications for human observation, that mankind may learn, know, and develop the perceptive wisdom of enlightenment. Scientific research is subject to a wide margin of error and wrong interpretations; Divine words of the Holy Quran are the maxims of truth, the aphorisms of reatity to which all other knowledge is related and compared. The text of the Holy Quran is the most prescriptive directory, fountain of knowledge for the enlightenment of mankind.

Glimpses from the Quranic Milieu
The Nature of Sleep

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD., Ph.D.

Sleep as a physiological function of the human body is defined as the normal periodic loss of consciousness which favours recuperation and restoration of vitality following body exhaustion that is entailed - during conscious activity. Human beings spend about one third of their life time in sleep, as an essential process that is necessary to the normal function of the body. Without sleep, mental and physical processes progressively deteriorate. The longer The period of sleep deprivation, the more the individual experiences such reactions as irritability, attention lapses, extreme emotionality, headaches, and psychotic disturbances.

Scientists have only recently assessed precisely how sleep differs from the waking state. They postulate that sleep is not a unitary state, and that several types and levels exist, each with its characteristic physiological parameters. The biological daily changes of the body called "Circadian rhythms" are evident, associated with changes of body temperature, heart rate, blood pressure, and some fundamental metabolic processes. In the normal individual, the greatest slowdown in these processes of biological systems occurs during the state of sleep; and that sleep involves gradual changes in the various Circadian rhythms. The brain shows alterations in the electrical activity which become slow and of higher amplitude during the deep phase of sleep. During that phase, changes in the levels of hormones and other biomolecules take place.

Scientists are still making the effort to understand the reality of the sleep process, and how the body produces chemicals that promote or disturb sleep. How can Circadian rhythms influence external interactions related to attention and concentration. What exactly is consciousness, and what are the exact natures of the phenomena of sleep. These and other enigmas of sleep remain to be the pursuit of scientific research. Men of literature has written meaningful connotations about sleep. "Sleep that knits up the ravelled sleave of care, the death of each day's life, sore labour's bath, balm of hurt minds, chief nourisher in life's feast." (Shakespeare); "Brother of death" (Thomas Browne).

Reciprocal understanding of this scientific knowledge, and philosophic descriptions of sleep may be explained in relation to some meanings of the Holy Quran, concerning sleep. These meanings describe in ornate eloquence, articulate portrayal and allegoric symbolism — the nature of sleep in human life.

- **In Surat (Al-Anfal, 8, Verse 11)** "Remember, He (Allah) coverd you with drowsy sleep to give you calm."
- **In Surat (Al-Furqan, 25, verse, 47)** *"And He Who makes the night as a garment for you, and made sleep as a repose, and makes the day a resurrection."*
- **In Surat (Al-Room, 30, verse, 23)** "And among His signs is the sleep that you take by night and by day, and the quest that you seek out of His Bounty."
- **In Surat (Al-Zumar, 39, verse, 42)** "Allah takes the souls at death, and those that die not during their sleep. Those on whom He has passed the decree of death, He keeps back from returning to life. The other He sends back (to their bodies) for an appointed time. Verily, in this are signs for those who reflect."

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part X
Shawal, 1413, Hijrah

EDITOR : Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1. **Glimpses from The Quranic Milieu The Nature Sleep**
   By : Anas Moustafa El Naggar.
2. **Tawhid : the Principle of Economic Order**
   By : Saad Moustafa Moustafa

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam."

الفهـــــــــرس

الموضوع الصفحة

● الافتتاحية : الطاعة البصيرة

للدكتور على أحمد الخطيب ١٤٨٩

مع الإمام الأكبر

● هذا يوم عيد الفطر

للإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٤٩٤

● فتوى نزول المريض على رأى الأطباء

للإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٤٩٧

● واذكر ربك إذا نسيت

بقلم الشيخ محمد حافظ سليمان .. ١٤٩٩

● قبس من أنوار النبوة

(حصانة وكرامة)

للشيخ / على حامد عبدالرحيم ١٥٠٦

● سعد بن الربيع شهيد غزوة أحد

د. عبدالبصير خليفه حسن ١٥٠٩

● صلح الحديبية (٢)

أ. د. محمد عبد العليم العدوى ١٥١٢

● زكاة الفطر

(وجواز إخراج القيمة)

للشيخ محمود السباعى ١٥٢٣

● الكفاءة فى النكاح (على ضوء الكتاب والسنة)

للدكتورة فاطمة عمر نصيف ١٥٢٧

● حق العمل فى الإسلام

للدكتور / جعفر عبدالسلام ١٥٣٦

● الأكراد (٤)

للأستاذ / ماهر زكريا الشيمى ١٥٤٥

● التابوهات

[المحرمات وماينفع الناس]

للأستاذ / محمد محمد عتريس ١٥٥٠

● الفتـــاوى

إعداد الأستاذ : عبدالمنعم فوده ١٥٥٤

● طرائف ومواقف

إعداد الأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٥٥٨

● باب الشعر والشعراء

● على نهج البردة
للسيدة عائشة التيمورية ١٥٦١

● الأزهر ومواكب الإفك
للشاعر رشاد محمد يوسف ١٥٦٣

باب العلوم الكونية

● الأرقام .. هندية أم عربية
أ. د. أحمد فؤاد باشا ١٥٦٦

● حول سرعة الضوء وتفسير المعارج (٢)
للدكتور محمود عبدالمطلب خشان . ١٥٧١

● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد الدكتورة نجوى السيد أحمد . ١٥٧٧

● من أعلام الأزهر الأستاذ الدكتور (محمد غلاب)
بقلم الأستاذ/ محمود عبدالرازق عقباوى ١٥٨٠

● من روائع الماضى بمجلة الأزهر (الإشاعات والأراجيف)
إعداد الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات ١٥٨٧

● باب اللغة والنقد والأدب

● تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر (١٠)
للشيخ ابراهيم عطوة عوض ١٥٩٢

● الفكر الأدبى فى كشاف الزمخشرى (٢)
للدكتور/ محمود جمعه أمين ١٦٠٣

● فى الأدب المقارن (طيور وشعراء)
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٦١٧

● بين المجلة والقارىء
اعداد الدكتور محمد عبدالحكيم محمد ١٦٢٥

● أنباء وآراء

● أنباء مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر
إعداد الأستاذ/ عمر البسطويسى على والأستاذ مصطفى عبدالمجيد ١٦٣٢

Section Française
Article II: Par Sahar Abdallah Guindéja 1635
Article I: Par Layla Hussein El Chaféi ... 1639

English Section
Articlé II: By: Saad Moustafa Moustafa.. 1643
Articlé I: By Dr. Anas Moustafa El Naggar 1645

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم/ ١٣٤٩ هجرية

رئيس التحرير

د/ على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

المراسلات: باسم مدير التحرير

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت/ ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات

قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

الاحتفاء بالإمام السيوطى

احتفى الأزهر الشريف بالإمام السيوطى إحياء لذكراه بمناسبة مرور خمسمائة عام على وفاته ، فقد ولد - رحمه الله - بعد المغرب من ليلة الأحد مستهل رجب سنة ٨٤٩هـ وتوفى - رحمه الله - سحر ليلة الجمعة ١٩ من جمادى الأولى ٩١١هـ

شارك الأزهر الشريف فى هذا الاحتفاء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) واللجنة الوطنية لـ (اليونسكو) ؛ فكانت لذلك ندوة استغرقت الأيام الثلاثة ١١ - ١٣ - من شوال ١٤١٣ هـ - بمركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر الشريف .

وفى الحق أن الإمام أبا الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الخضيرى الأسيوطى الشافعى ، جدير بالاحتفاء لما أسدى إلى الإسلام ، والمسلمين ، بل والعالم من علم أمين وثقافة رصينة شملت علوما شتى كان له فيها قصب السبق .

نشأ ـ رحمه الله ـ فقيراً ، وعاش فقيراً ، فما نزل الفقر بكرامته ، ولا دفعه إلى كفالة أحد .. حضنته أمه ، وتربى من المال اليسير الذى تركه له أبوه ..

وعاش ـ رحمه الله ـ برًا بأمه التى امتد بها العمر بعده ، فكانت تزور قبره ، وتُعْنَى بضريحه لِبرّه بها ورضاها عنه .

أخلص السيوطى للعلم حتى صار صاحب فنون ، وإماما فى كثير من العلوم ورزق التبحر فى سبعة هى : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى وتشمل (البيان) والبديع .

ويبدو ـ والله أعلم ـ أن السيوطى كان متواضعا للغاية حين ذكر أن «علم الحساب» كان من أعسر العلوم عليه ؛ فإن الرجل كان موهوبا فى الميقات والفرائض ، ولايخفى مالهذين من صلة وثيقة بالحساب ، على أنه بلغ الذروة فى العلوم السبعة المذكورة ، وكملت عنده «أدوات الاجتهاد وحصل علومه» حتى صار «مجتهداً شافعياً» ويعود نبوغه لما بدأ به أول أمره ؛ فقد عنى فى بدايات تلمذته بالتلخيص والاختصار ، الأمر الذى وقف به من العلوم وقفة المتمكن من أصولها وفروعها ، ولم يستطع خصومه أن يثبتوا فى شأنه دعاواهم المختلفة ، فالسيوطى ـ رحمه الله ـ له أهلية تمكنه من تأليف كتبه وسبر علمها ، ومؤلفاته مُحَرَّرة لاتصحيف فيها ، ولاتزال موجودة بخزائن الكتب فى مصر والهند وتركيا وغيرها .

وكان ـ رحمه الله ـ موهوبا فى الحفظ ، سريع الكتابة حاضر البديهة ، صحيح العقيدة ، متواضعا قنوعاً عابداً ، لايقبل جوائز الحكام والملوك[1] مما يكسب شخصيته عفة ووقاراً وكان محبا للرحلة طالبا لها ، فارتحل داخل مصر إلى : المحلة ودمياط والفيوم ، وخارجها : إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور[2] .

وعسير جداً إعطاء رقم إحصائى بعدد أساتذته أو تصانيفه ـ رحمه الله ـ رحمة واسعة .

وبين يدى القارىء تغطية لتلك الندوة على سنة هذه المجلة ، من جلسة الافتتاح إلى اختيار بعض البحوث بفكرة مختصرة عنها ، ثم نشر فصل من البحث بنصه والله الهادى سواء السبيل .

د. على أحمد الخطيب

(١) قبل السيوطى هدية السلطان الغورى تقربا لله تعالى ، فقد كانت الهدية مالا وعبداً ، فرد المال ، وأعتق العبد .

(٢) راجع التعريف بالسيوطى بمقدمة «تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى» للدكتور عبدالوهاب عبداللطيف ـ رحمه الله

الأزهر الشريف

وندوة

الاحتفاء بالإمام السيوطى

١١ ـ ١٣ من شوال ١٤١٣هـ

٣ ـ ٥ إبريل ١٩٩٣م

ندوة الاحتفـــاء

بمرور خمسمائة عام على وفاة الإمام السيوطى

عقدت هذه الندوة المباركة بمركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر وقد شارك فى إقامة هذه الندوة للاحتفاء بهذا العالم الموسوعى ـ إلى جانب الأزهر الشريف ـ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة « الإسيسكو » واللجنة الوطنية لليونسكو .

افتتح الحفل الطيب فى الساعة العاشرة صباحاً بحضور وفود مثلت الكثير من بلاد العالم الإسلامى الذين شرفت بهم القاعة الرئيسية للمركز ، حيث توالت كلمات الافتتاح عقب آيات الكتاب العزيز على الترتيب التالى :

- **كلمة الأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام**

  مقرر عام الندوة ومدير مركز صالح كامل للإقتصاد الإسلامى .
- **كلمة الأستاذ الدكتور/ عبد الفتاح الشيخ .**

  رئيس جامعة الأزهر .
- **كلمة الأستاذ/ فوزى عبد الظاهر .**

  أمين عام اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة
- **كلمة معالى الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز بن عثمان التويجرى**

  مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) .
- **كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق .**

  شيخ الأزهر

وإلى القارىء كلمات الإفتتاح حسب هذا الترتيب :

كلمة أ.د. جعفر عبد السلام

مدير المركز

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

معالى الدكتور عبد العزيز التويجرى مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإسيسكو) الأستاذ الدكتور/ رئيس الجامعة ، الأستاذ فوزى عبد الظاهر رئيس الشعبة القومية المصرية لمنظمة اليونسكو .

أساتذتى وزملائى الأجلاء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وكل عام وأنتم بخير .

وبعد فقد أنعم الله علينا بصيام شهر رمضان الكريم ونحن نقضى شهر العيد جعله الله عيداً سعيداً وأعاده علينا ، ونحن فى حال أفضل مما نحن فيه الآن .

لا شك أن منظمة (الإسيسكو) تقوم بدور بارز فى إحياء الثقافة الإسلامية ، وفى بعث التراث الإسلامى ، ورسم الخطط التربوية والتعليمية التى تنهض بالأمة الإسلامية ، فلن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أمرها من قبل عندما كانت شعوباً تهيم على وجهها لاتلوى على شىء ، لامستقبل لها ؛ بل كانت كما صورها القرآن الكريم ﴿**على شفا حفرة من النار**﴾ ، وتتفق إرادة (الإسيسكو) مع إرادة الأزهر الشريف الذى يقوم بهذا الدور منذ أكثر من ألف سنة ، فسبيلنا واحد ، وطريقنا معروف ، ولقد أحسست عندما اتخذت من فقهاء المسلمين وعلمائهم محوراً أساسياً لأنشطتها ، فكان من حظى أن أحضر ندوتها منذ عامين فى (كوالالامبور) عن الإمام الشافعى ، وهى اليوم تضع فكرة الاحتفاء بالإمام السيوطى ، العالم والفقيه المسلم المصرى .

ولست أريد أن أتحدث عن هذا العالم والإمام الجليل فى كلمة الترحيب التى أبدأ بها هذا الحفل الكريم ، وإنما أريد أن أوضح فكرة أساسية كانت تجمع بين عالمنا الإسلامى ، لقد حضر هذا الجمع الكريم من مختلف أنحاء العالم الإسلامى ليبحثوا فى مناقب هذا الإمام الجليل وليستعرضوا الإسهام العلمى الرائع الذى قام به فى خدمة العلم والدين والفقه الإسلامى .

أقول : إنه فى ظل الخلافة الإسلامية انتشر فكرنا فى مختلف أنحاء الأرض ، وأمكن لكل عالم أن يتنقل بحرية بين ربوع وطنه الكبير ، رغم أنه لم تكن هناك اتصالات ولا مواصلات سريعة ومريحة ، إنما كانت الخيل والبغال والحمير ، ومع ذلك فإن هذه الرابطة الدينية مَكَّنَت من تجاوز الحدود وتخطى المسافات .

لقد مكنتنى هذه الندوة من الاطلاع على بعض مؤلفات هذا العالم المصرى الذى نشأ فى أسيوط ، وتعلم فيما بينها وبين القاهرة ، تعلم من مخطوطات

حاولنا أن نحضرها ، وخطَّ بيده كتبا ومؤلفات حصرناها لذلك ، وعندما وكل إلينا فضيلة الإمام الأكبر أمر تنظيم الندوة هنا حاولنا أن نجعلها « مهرجاناً » يوضح مناقب العالم الجليل والآثار التى أحدثها فى مجالات اللغة والفقـــه والأصول والأحاديث وتفسير القرآن الكريم .

إننا أمام عالم موسوعى لم يترك بابا من أبواب العلوم الإسلامية إلا ولجه وبرع وأثر فيه .

ستجدون حضراتكم بعض مؤلفات هذا الإمام بين أيديكم ، وكذا ماكتب عنه وماتم عمله من رسائل علمية تناولت جوانب من آثاره وكتبه أمام حضراتكم ، وستجدون أمامكم إسهام الأزهر فى تجلية بعض أثاره وتسهيل التعرف بعلمه وفقهه .

حضرات السادة :

لقد قسمنا موضوعات الندوة إلى محاور تناولت : السيرة الثانية للسيوطى ، ثم آثاره فى الفقه والأصول ، وآثاره فى اللغة العربية ، وفى علوم القرآن الكريم ، وكذلك فى علوم السنة المطهرة حيث قدم الباحثون أبحاثاً تغطى هذه الجوانب فى حياة وعمل الإمام السيوطى .

وإذا كان من واجبنا أن نوجه الشكر عميقه إلى (منظمة الإسيسكو) وإلى مديرها العام الدكتوز عبد العزيز التويجرى والعاملين معه فى هذه المنظمة على إسهامهم الكبير فى تنظيم هذه الندوة وفى بعث تراث وفقه الامام السيوطى ، فإن الشكر أوجهه ــ أيضاً ــ لفضيلة الإمام الأكبر الذى تبنى الندوة وكتب لها بحثاً طبعناه عن الإمام السيوطى كفقيه ، وحث المؤسسات التابعة للأزهر على المشاركة الجادة والقوية فى الندوة . كذلك أتوجه بالشكر إلى الشعبة القومية لليونسكو بقيادة الأستاذ فوزى عبد الظاهر على مابذلوه من جهد فى إنجاح هذه الندوة .

كذلك أشكر رئيس جامعة الأزهر ورئيس مجلس إدارة هذا المركز على أداء دوره وواجبه الذى لايتوانى عنه أبداً ، فقد دفع العلماء إلى إخراج ماعندهم لخدمة هذا المهرجان ، وسيدير سيادته ندوة مستديرة يشارك فيها لفيف من الفقهاء والعلماء حيث سيتم مناقشته كتاب السيوطى « الرد على من أخلد إلى الأرض ، وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض » كما وجه إلى عمل كتيب مختصر يجمع مؤلفات السيوطى كلها ، ويؤرخ له ، ويعرف بالجهات التى عاش ومات ودفن فيها ، ويذكر إحدى قصائده فى مدح النيل العظيم « النيلية » .

إننى آمل أن نخرج بنتائج طيبة من هذا المهرجان العلمى فى وقت نحن أحوج مانكون فيه إلى التسلح بالعلم الواسع العميق وإلى الاجتهاد المتواصل فى أمور ديننا لكى نتخلص من المشكلات التى تعوق المسيرة ، وتنال من القوة . لقد نزل علينا الوحى ذات يوم لنقود الإنسانية إلى مراشدها فكانت حضارة الإسلام التى أنقذت العالم من ظلمات الجهل والضلال والفتنة ، وماأحرانا اليوم ونحن ندرس آثار عالمنا السيوطى وإسهاماته ، أن ننفذ إلى لب المشكلات ، وأن نقود العالم من جديد إلى ما يحقق له الخير والحق والعدل .

هل أطمع ان تقوم (منظمة إسيسكو ، والأزهر) بتجميع كل تراث السيوطى وتحقيقه وطبعه ، ونحن على أتم الاستعداد لنكون.إحدى أدوات أداء هذه المهمة ، أحيى كل الحاضرين وأضع كل إمكانيات هذا المركز المتواضع أمام حضراتكم فى كل ما تريدون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأستاذ الدكتور/ رئيس جامعة الأزهر

عبد الفتاح الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والمسلمين
السادة الحضور :
أحييكم بتحية الإسلام .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعـــد ،،

فيسر جامعة الأزهر بأصالتها وعراقتها أن ترحب بكم على أرضها وتساهم معكم فى هذه الدراسات التى تدور حول هذه الظاهرة العلمية التى تفرد بها الإمام السيوطى بن مصر العريقة بتراثها وفكرها الإسلامى المتميز بالأصالة والعمق والموضوعية حيث حماها الأزهر من كل فكر متعصب لا يعتمد على دليل أو منطق .

لقد وُجد السيوطى فى عصر بلغت فيه الأمة الإسلامية من الضعف العلمى مبلَغه بسبب هجْمة المغول على بغداد وفارس وإحراقهم لخزائن الكتب العلمية وسفكهم لدماء العلماء ففروا مذعورين هربا بحياتهم .

وإلى جانب سقوط بغداد وفارس بدأت الممالك الإسلامية الأخرى تنزلق إلى الضعف فهذه الاندلس يُؤْذِن مجدَها بالزوال ، واليمن تنقسم إلى إمارات صغيرة ، والمغرب بدولته الصغيرة يستسلم للضعف والانحلال .

فى هذا الجو الحالِك الظلام تبـزُغ شمس السيوطى ، لتبدد ما حل بالأمة من كساد فكرى فجمع بين جنباته من العلوم ما لم يصل إليه أقرانه فهو المؤرخ والمحدث والمفسر والفقيه والنحوى واللغوى والأديب ، فقد صنف فى كل علم واجتهد وأفتى بكل ذلك ، لمع وأضاء ، وأصبح اسمه يَرِد على كل لسان إن مدحا وإن حقدا .

أيها السادة أنظروا الى السيوطى العالِم المتبحر فى كل هذه العلوم وهو يعز ذلك كلهَّ إلى فضل الله وكرمه حيث يسند ذلك أحدهما : دعاء رجل صالح قال فيه : حُمِلت في حياة أبى إلى الشيخ محمد المجذوب وكان من كبار الأولياء فبرَّك على (أى دعا له بالبركة من الله سبحانه وتعالى) .

والآخر : شربه من ماء زمزم وله أصل فى السنة حيث قال : لما حججت شربت من ماء زمزم لأمور منها أن أصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقينى ، وفى الحديث إلى رتبة الحافظ بن حجر ، وهكذا يكون تواضع العلماء ومع تواضعه هذا كان صاحب ثقة فى نفسه حيث يقول : لو شئت أن أكتب فى كل مسئلة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرَت على ذلك من فضل الله .

كما كان السيوطى ذا باع طويل فى الاجتهاد فنراه ينفرد باجتهادات تخالف مجتهدى مذهبه إذ يرى ما يأتى :

١ ـ أن الترتيب فى الوضوء شرط لا ركن ، ولم أر من سَبَقنى إليه .

٢ ـ أن السواك إنما يكره للصائم بعد العصر لا بعد الزوال .

٣ ـ أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر .

٤ ـ أن من خاف غلبة النوم قبل العِشاء فله أن يصلى العشاء وقت المغرب ثم ينام .

٥ ـ أن أوقات الكراهة لا تصلى فيها تحية المسجد .

٦ ـ أن الجمعة تنعقد بأربعة أنفس أحدهم الإمام .
٧ ـ أن الجمع بين الصلاتين بعذر المرض تقديما وتأخيرا جائز .
٨ ـ أن الوقف على النفس صحيح .
٩ ـ أن فضلات النبى طاهرة .
١٠ ـ أن القتل بالسم يجب فيه القصاص .
١١ ـ أن سباب النبى وغيره من الأنبياء يقتل حتما حدا . ولو تاب لا يسقط عنه الحد كسائر الحدود .
١٢ ـ أن كل ساع فى الأرض بالفساد يقتل .
١٣ ـ وأن شارب الخمر يقتل فى الرابعة .

وقد كان رحمة الله عفيفا كريما ، لا يمد يده لسلطان ، قانعا برزقه ، لا يمد عينه إلى ما سواه . روى أن السلطان الغورى أرسل إليه مرة خصيا وألف دينار فرد الدنانير وأخذ الخصى وأعتقه وجعله خادما فى الحجرة النبوية . وقال لرسول السلطان : لا تعد تأتينا قط بهدية . فإن الله أغنانا عن مثل ذلك .

وجاء فى الطبقات الصغرى للشوكان ما يفيد أنه كان يجتمع بالنبى ـ ﷺ ـ يقظه . وأخبرنى الشيخ عبد القادر الشاذلى أنه رأى بخط الشيخ جلال السيوطى ورقة كتبها لبعض أصحابه حين سأله أن يقضىَ له حاجة عند السلطان الغورى .. قال فيها : يا أخى إنى أرى النبى ـ ﷺ ـ يقظه وأخاف أن أجالس السلطان الغورى فيحتجب عنى عقوبة لى . ولكن اسأل لك النبى فقلت يا سيدى فكم مرة نظرتَ النبى يقظة قال بضعا وسبعين مرة . وقد ألف كتابا أسماه تنوير الحَلَك فى إمكان رؤية النبى والملك .

وكان رضى الله عنه يقول رأيت النبى يقظة فقال لى : يا شيخ الحديث . فقلت : يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا . فقال : نعم . فقلت : من غير عذاب يَسبِق . فقال النبى لك ذلك .

وقد ظل السيوطى طول عمره مشتغلا بالتدريس والفتيا ، متفرغا للعلم والتأليف ، ولكنه حينما تقدمت به السن وأحس بالهرم والضعف هجر الافتاء والتدريس ، واعتزل الناس فى منزَله بالروضة متجردا للعبادة والتصنيف وألف فى ذلك كتابه (التنفيس فى الاعتذار عن الفتيا والتدريس) .

رحم الله هذا الإمام الجليل رحمة واسعة بقدر ما قدم وأعطى لأمته وجزاه عن أمة الاسلام خير الجزاء . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ثم تحدث الأستاذ/ فوزى عبد الظاهر ، أمين عام اللجنة الوطنية المصرية للثقافة والعلوم والتربية :

فتوجه بالشكر لفضيلة الإمام الأكبر لاستضافته الندوة وذكر أن المنظمة قد استنت سنة طيبة فى إحياء ذكرى علماء الإسلام وامتد نشاطها لعقد ندوات تستعرض الأنشطة وتقوم ببيان الإنجازات ونشر أعمال هؤلاء العلماء لتدريب الأجيال على الغوص فى كنوز التراث بما يعطى قاعدة سليمة للنهوض بها .

وقد اتسم منهج الامام السيوطى بالوضوح والقدرة على عرض التراث فى أبسط تعبير وتميز بالتواضع فكان تفسير الجلالين .

وقد حقق الإمام السيوطى التواصل العلمى مع من سبقه من العلماء .

وفى النهاية توجه الأستاذ فوزى بالشكر لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وفضيلة رئيس جامعة الأزهر ، ورئيس المركز والمنظمين للندوة .

كلمة معالى د. عبدالعزيز بن عثمان التويجرى

المدير العام للمنظمة الإســـلامية للتربية والعلوم والثقافة

بمناســـبة
الاحتفاء بذكرى مرور خمسة قرون على وفاة الإمام جلال الدين السيوطى

أصحاب المعالى :

أصحاب السعادة والفضيلة :
حضرات السادة والسيدات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

يسعدنى بادىء ذى بدء أن أتوجه بخالص الشكر إلى فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك ، وإلى حكومته الموقرة وإلى الأزهر الشريف وشيخه الجليل ، على ما قدموه للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، من كريم العون والمساعدة لتنظيم هذه الندوة التى نحتفى فيها بعلم من أعلام الفكر والثقافة الإسلامية ، احتفاءا علميا يليق بما كان له من منزلة عالية ومكانة سامية فى عالم الفكر والثقافة ، وفى دنيا التصنيف والتأليف .

فإليكم جميعا ، وإلى كل من ساهم من قريب أو بعيد فى إقامة هذا الاحتفاء التكريمى للإمام السيوطى أجزل الشكر وأوفره .

حضرات السادة والسيدات :

للمنظمة الإسلامية برنامج خاص للاحتفاء بكبار المفكرين المسلمين ، الذين لهم تأثير فى مسيرة الحضارة الإسلامية ، حيث تختار المنظمة الإسلامية فى كل سنة علما نابهاً ومتفرداً فى علم من العلوم ، تتقصى مدرسته الفكرية وأعلامها وإنتاجها ، وتترجم البحوث والدراسات التى تكتب عنهم إلى اللغتين : الانجليزية والفرنسية ، لتكون مرجعا للباحثين المتخصصين فى مختلف البلاد الإسلامية والغربية على السواء . وقد احتفت المنظمة الإسلامية خلال العشر سنوات الأخيرة بالإمام الغزالى ، وبالإمام مسلم ، وبابن النفيس وبالإمام الطبرى ، وبالإمام الشافعى وبالعلامة التمبكتى .

وتحتفى المنظمة الإسلامية هذا العام بالإمام الكبير جلال الدين السيوطى ، الذى يمثل الفكر الإسلامى بمختلف فروعه المعرفية وفى عصر بلغ فيه هذا الفكر أوج إشعاعه .

ولقد شاء الله أن تكون جمهورية مصر العربية

موطنا للأزهر الشريف ، ومنارا للإسلام ، وملاذا لكل حركة علمية ثقافية تنبض بالحياة ، ومأوى للعلماء والمفكرين والمصنفين ، ومنطلقا لخدمة الإسلام والمسلمين فى مختلف أحقاب التاريخ الإسلامى ومنبعا للعلم والفكر والثقافة ، تتنامى فيها المعارف الإسلامية ، ويتسامى علماؤها مسترشدين بهدى القرآن الكريم والسنة النبوية ، واجتهادات الأئمة الكبار ، يقصدها المسلمون من كل حدب وصوب ، ظمــأى للمعرفـــة ، مستشرقين للعلم ، يكرعون من حيـــاضه ، وينهلون من فيضه ، طلابا يتعلمون ، أو علماء يجيزون ويستجيزون ، فكانت مصر ولا تزال مصدرا للإشعاع الثقافى الذى امتدت آثاره فغمرت العالم بنورها الوهاج ، واستنارت بها مجاهل افريقيا ، ومنائى آسيا ، وأرجاء أوربا . وكان الأزهر الشريف ولا يزال — وهو منبع هذه الحركة وذاك الإشعاع — الجامعة الإسلامية الكبرى ، التى يمتد نفوذها الروحى والفكرى والثقافى إلى آفاق الأرض .

وفى رحاب الأزهر الشريف ، وبين كراسى العلم المبثوثة مصابيح بين أساطينه درس الإمام جلال الدين السيوطى ، الذى نحتفى اليوم بذكرى مرور خمسة قرون على وفاته فكان شاهدا على عظمة عصره ، وتفوق علماء زمانه ، لم يترك علما من العلوم التى تقوم عليها المعرفة إلا درسه ، ولا كتابا من الكتب التى كانت سائدة فى زمانه إلا قرأه واستوعبه ، ولا شيخا من شيوخ العلم والدين الذين امتلأت بهم مصر والبلاد الإسلامية الأخرى إلا قصده واستفاد من علمه ، مما يبرهن — بجلاء — على مدى تنوع المعارف فى عصره الزاهر ، واستيعاب علمائه لمختلف الفنون ، سواء منها الدينية أو الادبية أو اللغوية أو العلمية والمعرفية العامة ، وقدرتهم على التحصيل وتفوقهم فى التبليغ ، مما ساعد الإمام السيوطى على أن يستوعب مختلف العلوم ويحذقها ، ويربط بعضها ببعض ، ليكون منها وحدة معرفية ووعاءاً ثقافيا ، وزادا علميا . ولذلك لم يكن موسوعيا ينقل المعارف من مختلف مصادرها فحسب ، بقدر ما كان متخصصا فى كل علم ، يوحد بين مختلف العلوم ، ليصوغها فى نسق من الفكر والعلم والثقافة بالغ الإحكام والدقة . وتلكم منزلة لا يصل إليها إلا جهابذة العلماء وفطاحل المؤلفين ، والنابهون من رجال الفكر والثقافة .

ولقد عايش الإمام السيوطى الحركة العلمية فى القرن الثامن الهجرى ، الذى كان أغنى حقب تاريخ الحضارة الإسلامية غزارة علم ، ونشاط تأليف وانتشار معارف ، مما ساعد على ظهور طبقات الموسوعيين المتخصصين من أمثال ابن خلدون مؤلف « العبر » والقلقشندى مؤلف « صبح الاعشى » وابن الخطيب مؤلف « الإحاطة » والنويرى مؤلف « نهاية الأرب » وغيرهم من الاعلام ، كالصفدى وابن السبكى ، والسخاوى ، ومن فى طبقتهم العليا . وجاء السيوطى ففاق هؤلاء جميعا باطلاعه الواسع وبغزارة إنتاجه ، فلم يكن السيوطى دارس علم ، وقارىء كتاب ، وناظم متن ، وإنما كانت قراءته بتراث عصره قراءة جديدة تميز بها فى بيئته العلمية وفى محيطه الثقافى ، فهو يحلل ويستوعب ويضفى فهما طريفا ، ورأيا أصيلا ، يصوب ويهذب ، فأفاد وأغنى بحيث أوضح الغامض ، وصحح الخطأ ، وجمع المتفرق ، حتى تجاوز إنتاجه الخمسمائة مؤلف فى مختلف فنون الثقافة الإسلامية ، طبع منها نيف ومائتان ، حفلت

جميعها بمصادر مفقودة لدينا اليوم ، فحفظتها مؤلفاته ، وبذلك وَصَلَنَا الإمام السيوطى بالماضى الذى نجهل بعض جوانبه ، وعرفنا بالكتب التى نفتقد وتلكم مأثرة من مآثر السيوطى ، ومصدر تميزه وتفرده ونبوغه ، وإن مؤلفات السيوطى بالنسبة لمعاصريه وشيوخه حصلت على اقبال عظيم عند الامة الإسلامية لم يحصل عليها غيره ، ولا تكاد تجد مكتبة فى العالم عربية أو غير عربية تخلو من العدد العديد منها ، بخلاف مؤلفات أقرانه وشيوخه . وكان رحمه الله يقول : « لو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية لقدرت على ذلك من فضل الله . » .

وهكذا لم يكن الإمام السيوطى مؤلفا ومصنفا فحسب بقدر ما كان أستاذا متمكنا ، وعالماً متبحرا ، وفقيهاً ضليعاً ، ومحدثاً بليغاً ، يقصد العلماء والطلاب حلقات دروسه ، ويؤمه المتعطشون إلى علمه من مختلف البلاد الإسلامية ، يستنسخون كتبه ، ويحفظون منظوماته فى علوم النحو والعربية ، ومؤلفاته فى التفسير والحديث والطبقات فذاعت شهرته فى العالم الإسلامى الذى لا يزال مدينا لعبقريته ، ولا يزال علماء إفريقيا خاصة يزدادون إعجابا بالسيوطى ، حتى أصبحوا يسمون علماؤهم ب « السيوطيين » الأفارقة .

وعاصر الإمام السيوطى أهم أحداث العالم الاسلامى فسقطت غرناطة قبل وفاته بقليل ، ودخلت بغداد فى اطار الخلافة العثمانية بعد وفاته بقليل كذلك وتنبأ السيوطى بكل ذلك بما له من حس تاريخى ، وقدرة على تحليل الاحداث . وبعد موته سنة إحدى عشرة وتسعمائة انحسر مد الفكر الإسلامى ، وغاضت ينابيع الثقافة الإسلامية وبعد موته دخل العالم الإسلامى مرحلة السبات الطويل والظلام الدامس .

واليوم ، والعالم الإسلامى يتطلع إلى إعادة البناء على أسس ثابتة ويشيد معالم حضارته الإسلامية الجديدة ، نجدها مناسبة للإشادة بالعلماء الأوفياء ، الذين خدموا الثقافة الإسلامية وصانوها ، وحملوا إلينا مشعل المعرفة والعزة والمجد ، فمن الوفاء أن نحتفى بذكرى الإمام جلال الدين السيوطى لنجد السير فيما خططه لنا الأجداد وتلكم ثمرة ذكراه .

حضرات السادة والسيدات :

إن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، إذ تحتفى بالإمام السيوطى تغتنم المناسبة لدراسة آثاره ونشر أعماله ، والاستفادة من تراثه . كما أن العالم الإسلامى وهو يواجه عالما جديدا فى حاجة إلى قراءة جديدة لاعمال السيوطى ، الذى فتح باب الاجتهاد ودعا إلى تطوير المعارف وإذاعتها ونشر التعليم وإشاعة الثقافة .

ويسعدنى أن أجدد الشكر للأزهر الشريف الذى ساعد المنظمة الإسلامية فى الاحتفاء بذكرى الإمام السيوطى ، آملا أن تكون هذه الذكرى مرحلة من مراحل التقدم والتطور ، تستعيد فيها الثقافة الإسلامية دورتها الحضارية فى خدمة الثقافة الانسانية وإثرائها .

كما يسعدنى أن أشكر مجددا حكومة مصر العربية ، منوها بجهودها فى خدمة الفكر والثقافة والعلوم الإسلامية ، وفى مد الإشعاع الإسلامى إلى آفاق الدنيا .

وفقنا الله لكل عمل نافع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة فضيلة الإمـــام الأكبـــر

شيخ الأزهـــر

إن استذكار سيرة العظماء من العلماء إحياء لدورهـم واستظهـاراً لآثارهم العلمية أمر محمود مشكور ؛ لأنه ينبه فينا الاقتداء بهم ، ويذكر الأجيال دائماً بما بلغوا وتركوا من علم ينتفع به .

وقد كان أمراً محموداً أن تسعى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، إلى هذه السنة الحميدة لتستثير فى علماء المسلمين ومفكريهم ما ينبغى أن يكونوا عليه من استذكار لماضيهم الفكرى والعلمى ، ومن إحياءٍ لذكرى أولئك الأمجاد الذين تركوا آثاراً خالدة .

حتى إن من ينظر فى تراث رجل كالجلال السيوطى يظن أنه تراث أجيال لا فرد واحد ، وهذا أمر ينبغى أن نحرص عليه ، وأن نداوم عليه ، حتى نقول لأبنائنا وأجيالنا القادمة : إن هذه الأمة لها رصيدها من الرجال ومن الأعمال التى تفاخر بها الأمم الأخرى .

ولعل فيما اقترحته مع الدكتور / عبد العزيز التويجرى أن يمتد نشاط الاحتفال فيشمل ــ إلى جانب ــ العلوم العربية والإسلامية العلوم العلمية الأخرى. لتعرف الأجيال ماضى هذه الأمة العلمى ، وتعلم أن حضارتها بحق هى أساس الحضارة القائمة الآن فى العالم ؛ فنبوغها فى العلوم كالطب والهندسة والرياضة والعلوم والفلك وغيرها من مستحدثات العلوم ومستجداتها ، أمر موثق ثابت لا يمارى فيه إلا جاحد .

ولعل هؤلاء الذين استفادوا به وأفادوا قد برعوا فى أن يستفيدوا جيداً بها ولازلنا نحن فى مؤخرة الطريق .

وهذا ما ينبغى أن نحرص على أن نتقدم فيه ، وأن نستذكر ما لدينا ، وأن نضيف إليه ما استحدث حتى تتبوأ أمتنا العربية والإسلامية مكانتها العلمية فى كل مجالات العلوم والفنون .

أيها الاخوة : وأنتم تجلسون لتتذاكروا آثار السيوطى ، أرجو ألا تكونوا فى مجلس الحكم ، وإنما فى مجلس الذكر لأولئك الذين قدموا ما بوسعهم من علم أخلصوا له ، وأرجو أن تترفقوا فى أحكامكم ، فلكل دين ، ولكل عصر فكره .

وجزاهم الله خيراً : الجلال السيوطى وغيره ، أن تركوا لنا هذا الميراث الذى نرجو أن نحرص على استظهاره ، وعلى إبرازه للناس فاستفيدوا ولا تضعوا أنفسكم موضع الحكم للتخطئة .

وإن رأيتم ما لم يره فَلْيُلْتمس العذر ، فهذا وقته وكما تحدثنا ــ الآن : قد كان عصره عصر نكسة ، ربما نحن الآن فى أكثر منها . وربما ما نحن فيه ، وما عليه العالم الإسلامى اليوم أمر يدعو إلى اليأس ولكننا ــ بحمد الله ــ لم نيأس ، ولن تبتأس هذه الأمة مادام عمادها قرآن الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ .

وهذا المدد الوافر من علوم الأولين وثقافتهم المختلفة يحدونا إلى أن نستفيد من صنع السيوطى وأمثاله باعتبارهم كانوا موسوعين برزوا فى كثير من فروع العلم وكانوا قدوة للغير فى أن يُلم العالِمُ بطرف من كل علم حتى تتفاعل كافة العلوم فيجد الناس جديداً مفيداً فى آفاق هذه الحياة .

أعمال وبحوث ندوة

الاحتفاء بمرور خمسة قرون على وفاة الإمام السيوطى

إعداد الأستاذ / مصطفى مصطفى دسوقى كسبه(*)

بانتهاء أعمال حفل افتتاح ندوة الاحتفاء بالإمام جلال الدين السيوطى بدأت أعمال الجلسات العلمية لمناقشة البحوث المقدمة بمشاركة كوكبة من علماء الأزهر الشريف والعالم الإسلامى . وعلى مدى ثلاثة أيام نوقشت البحوث فى ست جلسات علمية . كان آخرها مائدة مستديرة لمناقشة كتاب « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض » للإمام السيوطى . علماً بأن البحوث صنفت إلى عدة محاور تشمل : السيرة الذاتية للإمام السيوطى ، وبيان أهم آثاره على كل من علوم القرآن ، والحديث ، وعلمى أصول الفقة والفقه ، واللغة ، وفيما يلى أهم ما اشتملت عليه المحاور :

المحور الأول : السيرة الذاتية للإمام السيوطى :

تناول هذا المحور نسبه ، ونشأته ، وأهم سمات شخصيته ، وأهم مؤلفاته.

المحور الثانى : أثر الإمام السيوطى فى علوم القرآن :

تناول هذا المحور : أهم آثار الإمام فى علوم القرآن . مع بيان منهجه فى التفسير الذى يجمع بين الرواية والدراية .

المحور الثالث : أثر الإمام السيوطى فى علوم الحديث :

تناول هذا المحور أهم آثاره فى علوم الحديث وكذلك أهم تصانيفه فى الحديث والدراسات التى دارت حولها .

المحور الرابع : أثر الإمام السيوطى فى علمى أصول الفقه والفقه :

تناول هذا المحور إسهام السيوطى فى أصول الفقه ودعوته للاجتهاد ،

المحور الخامس : أثر الإمام السيوطى فى علوم اللغة :

تناول هذا المحور إسهامات السيوطى فى أصل اللغة ، والنحو والصرف وكذلك دراساته حول الألفاظ المعربة فى القرآن الكريم ، واستخدامه مصطلح الحديث على الرواية اللغوية .

الخطة التى راعيناها فى عرض البحوث تعنى بتقديم فكرة شاملة للبحث يليها جزء من البحث بنصه ـ نظراً ـ لأن مساحة المجلة لايمكن أن نستوعب هذه البحوث الطيبة لذا قدمنا مختارات منها :

وخير ما نستهل به أعمال وبحوث هذه الندوة بحث[1] لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر حيث يعطينا صورة متكاملة عن سيرة الإمام السيوطى ومؤلفاته .

(*) رئيس قسم الإستشارات بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى ـ جامعة الأزهر .

(١) البحث مصنف فى محور أثر الإمام السيوطى فى علمى أصول الفقه والفقه .

مع الإمام جلال الدين السيوطى

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهـــر

فى معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة وغيره من كتب التراجم أن : عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد بن أبى بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن همام الدين الخضيرى الأصل الطولونى ، المصرى الشافعى «جلال الدين ، أبوالفضل» عالم مشارك فى أنواع من العلوم .

وقد ولد فى مستهل شهر رجب سنة ٨٤٩ هـ ونشأ بالقاهرة يتيما ، وقرأ على جماعة من العلماء بلغت عدتهم أحدا وخمسين عالما ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا إلى نفسه فى روضة المقياس على النيل ، منزويا عن أصحابه ، جميعا ، فألف أكثر كتبه .

وتوفى فى ١٩ من جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ بمنزله بروضة المقياس ، ودفن فى حوش قوصون خارج باب القرافة .

ومن ثم كانت حياته فى الفترة ٨٤٩ ــ ٩١١هـ ــ ١٤٤٥ ــ ١٥٠٥م ، ولقد تحدث عن نفسه مترجما عن مولده ونسبه وسيرته الدراسية وشيوخه ومؤلفاته التى عد منها فى كتابه حسن المحاضرة ثلاثمائة كتاب عدا (ماغَسلَهُ وتاب عنه) فى التفسير والقراءات والحديث والفقه والأجزاء المفردة والعربية والآداب .

وقد عد له (بروكلمان) ٤١٥ مصنفا بين مطبوع ومخطوط و(فلوغل) ٥٦٠ مصنفا ، وذكر له جميل بك العظم (٥٧٦) مصنفا بين كتب كثيرة ورسائل ومقامات .

وفى ذيل الطبقات للشعرانى أن للسيوطى ٤٦٠ من المؤلفات[1]

وقد تحدث الجلال السيوطى عن نشأته التعليمية والعلمية فى كتابه حسن المحاضرة قال :

ونشأت يتيما فحفظت القرآن ولى دون ثمان سنين ، ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك ، وشرعت فى الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين : فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ إلى أن قال وأُجزْت بتدريس العربية فى مستهل سنة ست وستين ، وقد ألفت فى هذه السنة ، فكان أول شىء ألفته شرح الاستعاذة والبسملة ، وأوقفت عليه شيخنا شيخ الإسلام — علم الدين البليقنى — فكتب عليه تقريظا ، ولازمته فى الفقه إلى أن مات ، فلازمت ولده ، فقرأت عليه : من أول التدريب لوالده إلى الوكالة ، وسمعت عليه من أول الحاوى الصغير الى العدد ، ومن أول المنهاج إلى الزكاة ومن أول التنبيه إلى قريب من باب الزكاة ، وقطعة من الروضة من باب القضاء وقطعة من تكملة شرح المنهاج للزركشى ، ومن إحياء الموات إلى الوصايا أو نحوها ، وأجازنى بالتدريس والإفتاء من سنة ست وسبعين ، وحضر تصديرى ، فلما توفى سنة ثمان وسبعين ، لزمت شيخ الإسلام شرف الدين المناوى ، فقرأت عليه قطعة من المنهاج ، وسمعته عليه فى التقسيم ، إلا مجالس فاتتنى ، ثم قال :

... ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع ، على طريقة العرب والبلغاء ، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة ، والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة — سوى الفقه — والنقول التى اطلعت عليها — فيها ، لم يصل إليه ، ولا وقف عليه أحد من أشياخى فضلا عمن دونهم .

وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه ، بل شيخى فيه أوسع نظرا وأطول باعا .

ودون هذه السبعة فى المعرفة : أصول الفقه ، والجدل والتصريف ودونها الإنشاء والتوسل والفرائض ، ودونها القراءات — ولم آخذها عن شيخ — ودونها الطب .

وأما علم الحساب فهو أعسر شىء علىَّ وأبعده عن ذهنى ..

وهو بهذا قد تلقى تلك العلوم على شيوخ أجلاء ، وقرأ كل ما يُسِّر له من الكتب ، ولَقِن معظم العلوم المتداولة فى عهده ، فكان مؤرخا ونحويا ولغويا ومفسرا للقرآن الكريم ، ومشاركا فى علوم البلاغة والبيان وصنف فى كل علم ، وتحدث فى كل فن ، ورحل إلى كثير من الممالك الإسلامية المعروفة فى عصره ودَرَّس وأفتى وناظر

---

(١) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة جـ ٥ ص ١٢١ ومابعدها فى مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٧٧ هـ /١٩٥٨ م .
وحسن المحاضرة جـ ١ ص ١٥٥ ط مصطفى فهمى الكتبى وأخويه ، والتعريف بالسيوطى فى ط الحلبى تحقيق محمد أبوالفضل وتقديم كتابه جامع الأحاديث — للجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير للمرحوم أ . د الشيخ/حسين عبدالمجيد هاشم — الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ووكيل الأزهر الأسبق .

وساجـل ، وخـاصم وخـوصم ، ودَوَّى اسمه وذكره فى الافاق .

وقد قال ــ عن والده وأجداده كما جاء فيما كتبه عن نفسه بكتابه حسن المحاضرة : (أما جدى الأعلى ــ همام الدين ــ فكان من أهل الحقيقة ، ومن مشايخ الطريقة ، ومَنْ دونه ، كانوا من أهل الوجاهة والرياسة : منهم من ولى الحكم ببلده ، ومنهم من ولى الحسبة بها ، ومنهم من كان تاجرا فى صحبة الأمير شيخون . وبنى مدرسة بأسيوط وقف عليها أوقافا ، ومنهم من كان متمولا ولا أعـرف منهم من خدم العلـم حق الخدمـة إلا والدى) .

وفى تعقيب على هذا فى التعريف بجلال الدين السيوطـى من المحقـق لكتـاب حسن المحاضرة الأستاذ/محمد أبوالفضل ــ طبع الحلبى قال : إن والد جلال الديـن السيوطـى ، ولـد بأسيـوط واشتغل بها ، ثم تولى القضاء فيها قبل أن يرحل إلى القاهرة ، وتلقى العلم على شيوخها ، وأجازوه بالتدريس ، وأفتى ودرس سنين كثيرة ، وولى الفقـه بالجامـع الشيخـونى ، وخـطب بالجامـع الطولونى ، وأمَّ بالمستكفى بالله وكان على جانب عظيم من الدين والتحرى فى الأحكام ، وعزة النفس والصيانة ، يغلب عليه حب الانفراد وعدم الاجتماع بالناس وله بعض التعاليق . توفى عام ٨٥٥ هـ .

مصنفات جلال الدين السيوطى :

من يطالع ثبت مؤلفات هذا الجلال فى صنوف من العلم متنوعة يستظهر أنه استفاد وأفـاد : استفـاد بما طالـع واطلـع عليـه من المصنفـات المتنوعات لتلك العلوم العربية والشرعية والعقلية ، وقد رتب بنفسه قدراته فى نوعياتها ــ على نحو ماكتب عن نفسه فى كتابه حسن المحاضرة على الوجه سالف الذكر .

وكتاباته تدل على مدى حبه وشغفه بالعلم ــ كل العلم ــ وتحصيله وعلى أنه واجه فيها قضايا علمية ، لها قدرها فى ساحة العلم والعلماء وله فضل السبق العلمى فى تأصيل بعض العلوم التى لم تكن قد تبلورت ــ فنا مستقلا من قَبْله ــ كعلم أصول اللغة : إذ يقول فى شأنه :

«وقد اخترعت علم أصول اللغة وَوَرَّثْتُه ولم أسبق إليه» .

ولقد كانت فى نشأته مبشرات بنبوغه حيث حفظ القرآن الكريم وأتمه ولم يكن قد أتم الثامنة من عمره ، ثم حفظ العديـد من الكـتب العلميـة النافعة ، وأجيز بتدريس اللغة العربية ولم يتجاوز سنه سبعة عشر عاما ، مما يدل على نبوغه العلمى وتفوقه الثقافى والفكرى ثم أجيز بالإفتاء وهو فى سن السابعة والعشرين .

وجلال الدين السيوطى من العلماء الموسوعيين وهو صوفى ملتزم ، وفى علم العقائد وأصول الدين له جولات وأبحاث عديدة ، وكان من أبرز ما كتب فيه قضية إيمان والدى الرسول ــ ﷺ ــ

حيث كتب «نشر العلمين بأحياء الأبوين» وقد قال فى افتتاح هذا الكتاب : «قد ألفت عدة مؤلفات فى نجاة والدى الرسول صلى الله عليه وسلم وأثبت فيها مسالك للناس فى ذلك وماهم من مقـال ــ حجـج واستـدلال ، مع علمـى بالأحاديث الواردة بما يخالف ذلك وقول كثير من العلماء بمقتضاها «وغيرها من مباحثه التى جاء بعضها فى كتابه الحاوى فى الفتاوى» .

ولقد تبحر فى الدراسات القرآنيـة وعلـوم القرآن بمؤلفات ذائعة شائعة وفتاوى طيبة كما برع

فى الحديث وعلومه ، ووضع فى هذا الشأن من أمهات الكتب مالا مثيل له .

وكانت عنايته باللغة العربية وعلومها بارزة فى أقواله ومؤلفاته فهو يقول فى مقدمة كتابه الأشباه والنظائر النحوية :

«أن العربية على اختلاف أنواعها هى أولى فنونى ، ومبتدأ الأخبار التى كان فى أحاديثها سهرى وشجونى ، طالما أسهرت فى تتبع مواردها عيونى ، وأعملت بدنى فيها أعمال الجد ..»

ويتحدث عن الدافع لتأليف هذا الكتاب ، فيقول فى ذات المقدمة : (واعلم أن الحامل لى على تأليف ذلك الكتاب أنى قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه ، فيما صنف المتأخرون فيه وألفوه من كتب الأشباه والنظائر ..).

وله كذلك مؤلفات فى النحو والصرف والعلوم البلاغية والتاريخ .

الإمام السيوطى والتصوف :

كان مما اهتم الجلال السيوطى بدراسته التصوف وقد قال فى شأنه : «اعلم وفقنى الله وإياك أن علم التصوف فى نفسه علم شريف ، رفيع قدره ، سنى أمره ، لم يزل أئمة الإسلام وهداة الأنام ، قديما وحديثا يرفعون مناره ، ويعلون مقداره ، ويعظون أصحابه ، ويعتقدون فى أربابه ، فإنهم أولياء الله خاصته وصفوته فى خلقه بعد أنبيائه ورسله».

واستدل على أن التصوف هو علم الحقيقة ، بأدلة منها ما أخرجه الشيخان «أن موسى قال للخضر : هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا . قال : إنك لن تستطيع معى صبرا ، ياموسى إنى على علم من الله علمنيه لا ينبغى لك أن تعلمه ، وأنت على علم من الله علمكه لا ينبغى لى أن أعلمه»[٢]

ولقد واجه السيوطى عددا من قضايا التصوف التى وقع فيها انحراف ، مثل قضية الحلول والاتحاد فى رسالة تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد[٣]

وله موقفه من الصوفى ـــ ابن عربى ـــ حيث يرى (ولايته ويحرم النظر فى كتبه) بناء على أن للطرق الصوفية وللمتصوفة أحوال لا يعرفها إلا من فهم مقاصد أهل الطريق فى أقوالهم وإشاراتهم ، وينقل عن ابن عربى أنه نبه إلى تحريم النظر فى كتبه ، وكتب أهل الطريق من أمثاله إذ يقول : «نحن قوم يحرم النظر فى كتبنا» .

أنظر مباحثه فى التصوف فى كتابه الحاوى للفتاوى وغيره لتتابع منهجه فى هذا الفن[٤]

وظائفه :

وقد تولى ـــ كما سلف ـــ التدريس والافتاء كما تولى منصب قاضى القضاه .

مرتبته فى الفقه ومؤلفاته ودعواه الاجتهاد :

حين تحدث فى كتابه حسن المحاضرة عن سيرته الذاتية والعلمية عد سبعة علوم قد تبحر فيها ـــ كما سبق ـــ ومن بينها علم الفقه ثم استثناه قال : وأما الفقه فلا أقول ذلك ـــ أى بلوغه درجة أشياخه الذين أبان أنه وصل إلى درجتهم فيما برعوا فيه ـــ بل شيخى فيه أوسع نظرا وأطول باعا ودون هذه

---

(٢) صحيح البخارى جـ ٢ صـ ٨٨ مع الشرح

(٣) الحاوى للفتاوى .

ط دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان ١٣٩٥ هـ ـــ ١٩٧٥ م. ورسالته تنبيه الغبى بتنزيه ابن عربى مخطوط بمكتبة الأزهر رقم ٦٩٦ ومجاميع رقم ٢٤٦ .

(٤) الحاوى للفتاوى جـ ٢ صـ ١٢٩ ، ١٣٠ وصـ ٣٠٦ و٣٠٧

السبعـــة فى المعرفـــة (أصول الفقـــه والجدل والتصريف .. الخ) .

ومع هذا الذى قرره عن نفسه ــ فى الفقه وأنه لم يصل إلى درجة شيخه فيه فقد ادعى لنفسه الاجتهاد المطلق وأنه المبعوث على رأس المائة التاسعة لتجديد الدين .

وقد أثار هذا الادعاء معاصريه وشغل بال الكثيرين من حوله كما شغله أيضا ، فذهب يدافع عما ادعاه لنفسه فألف المؤلفات الكثيرة التى ضمنها مؤيدات اجتهاده ودفاعه فى مواجهة خصومه .

وقد كان مما قاله فى كتابه «حسن المحاضرة» فى هذا الشأن : «... وقد كملت عندى أدوات الاجتهاد بحمد الله تعالى : أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى ، لا فخرا ، وأى شىء فى الدنيا حتى يطلب تحصيلها فى الفخر ، ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله ، لا بحولى وقوتى ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ما شاء الله لاقوة إلا بالله»

هــذا :

وقد أثارت دعواه الاجتهاد ، وأنه المبعوث المجدد على رأس المائة التاسعة فى الشريعة وعلوم العربية حقد بعض معاصريه ، فأثاروا عليه المطاعن والاتهامات وألـف فى الـرد عليهم الصحائـف العديدة .

ومع هذا : فقد نقل عنه الشعرانى فى الطبقات الصغرى قوله : «ولما بلغت الاجتهاد المطلق لم أخرج فى الإفتاء عن مذهب الأمـام الشافعـى ــ رضى الله عنه ــ كما كان القفال يفتى بعد بلوغه درجة الاجتهاد المطلق بمذهب الإمام الشافعى لا باختياره».

وهذا المسلك منه يدل على ورعه وتوقفه عن المجازفة ، لاسيما وهو ممن يرون البعد عن التعصب المذهبى ، وأن اختلاف المذاهب نعمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى ففى كتابه ــ جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب ــ يرد على المعترضين على وجود المذاهب الأربعة وعلى من يحاول تفضيل بعضهم على بعض أو تخطئة أحد منهم فيقول :

سمعت بعض الجهال يقول : النبى صلى الله عليه وسلم جاء بشرع واحد فمن أين مذاهب أربعة ؟

ومن العجب أيضا من يأخذ فى تفضيل بعض المذاهب على بعض تفضيلا يؤدى إلى تنقيص المفضل عليه وسقوطه ، وربما أدى إلى الخصام بين السفهاء وصارت عصبية وجاهلية ، والعلماء منزهون عن ذلك .

وقد وقع الاختلاف فى الفروع بين الصحابة رضى الله عنهم فما خاصم أحد منهم أحدا ولا عادى أحد أحدا ولا نسب أحد إلى أحد ولا عادى أحد أحدا ولا نسب أحد إلى أحد خطأ ولا قصورا .

وقد تعرض «فى كتابه» جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب إلى دراسة حكم الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر ، وفصله ورد على المانعين للانتقال من مذهب إلى مذهب آخر وأورد أمثلة لمن تحولوا من العلماء نابهى الذكر من مذاهبهم إلى مذاهب أخرى كالإمام أبى ثور فقد كان حنفيا ثم تبع الشافعى حين قدم إلى بغداد ، وكالإمام محمد بن عبدالله بن عبدالحكم الذى كان مالكيا فلما قدم الشافعى مصر انتقل إلى مذهبه .

ومع كل هذا الذى ساقه الجلال مما يشير إلى أنه بعيد عن التعصب المذهبى الفقهى نراه يقرر : أنه إن كان لابد من الترجيح فمذهب الشافعى أولى بالترجيح ، وساق فى كتابه سالف الذكر مؤيدات هذه الأولوية ، وغمز بعض المذاهب الأخرى فى مسائل فرعية .

ولا مراء فى أنه كان الأولى أن ينتهى «الجلال» إلى أن الأولوية تكون للقول الذى تسانده الأدلة الصحيحة النقلية أو القياسية نتيجة للمقدمات التى ساقها .

مؤلفات الجلال السيوطى فى الفقه

لا يمارى من يطلع على التراث الفقهى للجلال السيوطى أنه كان واسع الاطلاع وأنه يعد من مجتهدى المذهب الشافعى ، الحريص على تأييده وتأكيده ، وهو اجتهاد ترجيح فى الأغلب ، لا سيما بعد أن استبعد الفقه وأصوله من العلوم السبعة التى أكد على أنه بلغ منها مبلغ أستاذه فى كل علم منها وليس اجتهاد (افْتِرَاع) لمسائل كغيره من أئمة الاجتهاد المطلق وهذا لا يغض من شأنه فى الفقه وقدرته على التحصيل والتأصيل والاستدلال .

وكان من أهم مؤلفاته :

(أ) الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع فقه الشافعية .

حيث قال فيه :

(.. ولعمرى إن هذا الفن لا يدرك بالتمنى ، ولا ينال بسوف ولعل ، ولو أنى ، ولا يبلغه إلا من كشف عن ساعد الجد وشمر واعتزل أهله وشد المئذر ، وخاض البحار وخالط العجاج ولازم الترداد إلى الأبواب فى الليل الداج يدأب فى التكرار والمطالعة بكرة وأصيلا ..).

وقال :

(.. هذا وطالما جمعت من هذا النوع جموعا وتتبعت نظائر المسائل أصولا وفروعا حتى أوعيت من ذلك مجموعا ، أبديت منه تأليفا لطيفا ، لا مقطوعا فضله ولا ممنوعا ..).

وبعد أن شرح خطة الكتاب وأنه رتبه على كتب سبعة مبينا منهج كل كتاب ومجمل محتوياته أشار إلى أن من النظائر ما يخالف نظيره فى الحكم لمدرك خاص به وهو الفن المسمى ــ بالفروق الذى يستظهر منه الفرق بين النظائر المتحدة تصورا ومعنى المختلفة علة وحكما .

وقال : أعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم ، به يُطَّلَع على حقائق الفقه ومداركه ومآخذه وأسراره ، فى فهمه واستحضاره ويُقتدر على الإلحاق والتخريج ، ومعرفة أحكام المسائل التى ليست بمسطورة والحوادث التى لا تنقضى على مر الزمان ، ولهذا قال بعض أصحابنا : الفقه معرفة النظائر .

وقد وجدت لذلك أصلا من كلام عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما إذ كتب إليه يقول :

(أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له .

لايمنعك قضاء قضيته ، راجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك إن تراجع الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم الفهم فيما يختلج فى صدرك مما لم يبلغك فى الكتاب والسنة .

اعرف الأمثال والأشباه ، ثم قس الأمور عندك فاعمد إلى أحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق فيما ترى .

الحــاوى للفتاوى :

وهو كتاب هام لم يقتصر السيوطى فيه على الفتاوى الفقهية وإنما ضمنه فتاوى عديـدة فى التــفسير والحديث والأصول ، والنحـــو والإعـراب ، وفنـون أخــرى من الــتصوف والعقائد .

تأثر فقه الإمام السيوطى بتصوفه

قد تأثر فقه الجلال السيوطى بالـتصوف ، وأبرز دليل على هذا فتواه فى مسألة رفعت إليه فى رجل حلَف بالطلاق أن أحد الأولياء بات عنده ليلة ــ كذا ــ وحلف آخر بالطلاق ، إن هذا الولى بات عنده فى نفس الليلة فهل يقع طلاق أحدهما ؟

فأفتى السيوطى بأنه لا حنث فى اليمين على أحدهما ، استنادا الى أن ذلك ممكن ، لأن أولياء الله يعطون التبدل ، وهو ظهورهم فى أكثر من مكـــان ، وفى صور متعــــددة ، وأضاف السيوطى ــ فى فتواه ــ أن هذه المسألة وقعت كثيرا ، وأفتى فيها العلماء بعدم الحنث ، واستطرد إلى أن ممن أفتى بهذا مجموعة من العلماء البارزين ومن أشهر الفقهاء ، وأنهم فوق التهم ، منهم :

الشيخ تارج الدين السبكى ، والشيخ ابـن عطاء الله السكندرى ، والسراج ابن المُلَقّن ، والشيخ خليل المالكى شارح المختصر .

وكان نص السؤال الموجه الى السيوطى كما حكاه قال :

(الحمدلله وسلام على عباده الذين اصطفى : رفع إلى سؤال فى رجل حلف بالطلاق أن ولى الله الشيخ عبدالقادر الدشطوطى بات عنده ليلة كذا ، فحلف آخر بالطلاق أنه بات عنده فى تلك الليلة بعينها ، فهل يقع الطلاق على أحدهما أم لا ؟

قال السيوطى : فأرسلت قاصدى إلى الشيخ عبدالقادر فسأله عن ذلك فقال : ولو قال أربعة أنى بت عندهم لصدقوا)(٥)

يقول الجلال السيوطى : فأفتيت بأنه لا يحنث واحد منهما وتقرير ذلك من حيث الفقه : أنه لا يخلو إما أن يقيم كل منهما بينة أولا يقيم أحد منهما بينة ، أو يقيمها واحد منها دون الآخر فالحالان الأولان عدم الحنث فيهما واضح ، لا ينازع فيه أحد ، لأنه لا يمكن تحنيثهما معا ، كما هو ظاهر ، ولا تحنيث واحد معين منهما ، لأنه يكون تحكم وترجيح من غير مرجح .

وأما الحال الثالث : فقد ينازع فيها من يتوهم أن وجود الشخص الواحد فى مكانين مختلفين فى وقت واحد غير ممكن بل هو مستحيل ، وليس كما توهمه هذا المتوهم من الاستحالة فقد نص الأئمة الأعلام على أن ذلك من قسم الجائز الممكن واذا كان ممكنا فظاهر أنه لا يحنث ، لإمكان صدقه والطلاق لا يقع فى الظاهر بالشك .

وهذا أمر لا يحتاج الى تقرير ، وإنما الذى يحتاج إليه إثبات كون هذا المحلوف عليه ممكنا .

وقد وقعت هذه المسألة قديما وأفتى فيها العلماء بعدم الحنث كما أفتيت به واستنادهم فيه إلى كونه ممكنا غير مستحيل . ثم ساق وجوها استدل بها(٦)

(٥) الحاوى للفتاوى جـ ١ صـ ٢١٧ ط دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان ــ ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م .

(٦) الحاوى للفتاوى مرجع سابق جـ ١ صـ ٢١٨

وهذه الفتوى تشير إلى مدى تأثر الجلال السيوطى بالنزعة الصوفية على ما يشير إليه توجيهاته لفتواه ورسالته الأخرى التى عنوانها (الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال) وهى ضمن كتاب : الحاوى للفتاوى .

هــذا :

وجمهور الفقهاء يَنْأَوْن عن ربط الأحكام الشرعية ــ لا سيما فى الحلال والحرام ــ بمثل ذلك الذى قال به السيوطى فى هذه الفتوى وإن ورد فى بعض المذاهب فروع مشابهة لذلك باعتبار أصحابها من أهل الخطوة ، وهو وجه من الأوجه التى استند إليها السيوطى تبريرا لتلك الفتوى .

أصول الفقــه :

للسيوطى فى هذا الفن كتاب الكوكب الساطع فى نظم جمع الجوامع .

وكتاب الرد على من أخلد إلى الأرض ، وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض .

وكتاب مفتاح الجنة فى الاعتصام بالسنة ، وقد استظهر فيه حجية السنة فى التشريع .

هــذا :

وجل ترجيحات السيوطى الفقهية واردة فى كتابيه : الأشباه والنظائر الفقهية والحاوى للفتاوى .

وبعـــد

فإن المتتبع لنشأة الجلال السيوطى وإقباله على العلم والتعليم منذ حداثة السن ، وجلوسه للتدريس فى سن مبكرة أقرب إلى المراهقة ، ومتابعته فى الدرس لأولئك الأمجاد من شيوخ العلم فى عصره ، والدارس لإنتاجه العلمى يخلص إلى أنه ــ رحمه الله ــ قد جد واجتهد منذ طفولته فى حفظ القرآن الكريم وفى حفظ المتون ، وفى الجلوس إلى جهابذة من العلماء الكبار .

وقد مكنه من هذا ذكاؤه واقباله على العلم وقدرته على الاستيعاب والتحصيل ، ومتابعة الدرس والمطالعة وتلك سمات وقدرات ينمو بها الفكر ويثمر ، وقد أهلته ملكاته هذه لتولى التدريس فى الشيخونية ومنصب الإفتاء ومنصب قاضى القضاة وادارة المدرسة البيبرسيه وكل من هذه الوظائف ميدان فسيح للتحصيل والتطبيق العلمى لما حصل من علوم ومعارف . ومن ثم :

فقد خلف السيوطى ــ ثروة من العلم ينتفع بها أهله ، ولقد ذاع ذكره وفكره بين فئات كثيرة من شعوب المسلمين وحبذا لو توافرت الجهود وتكاثرت نحو جمع مأثوراته العلمية فى كل الفنون ، التى افْترع فيها أبكار الفكر واستخرج من بين سطورها الكثير من الحكم وأصل وجمع وفصل فى الأشباه والنظائر فى لغة العرب وفى الفقه ويحقق كل ذلك ــ وهو يُعد بالمئات ــ وُيْنشر ، وعندئذ يتاح علم وفكر هؤلاء الأمجاد لأجيال المسلمين القادمة ، تحصينا وتثقيفا حتى لا تجرفهم التيارات المتسارعة ، والاتصالات التى أنهت المسافات حتى تشابكت الأصوات فى طبقات الهواء ، وتصارعت ، بل وتواثبت وتصايحت : لمن الغلبة اليوم : ؟

نأمل أن تكون ــ بفضل من الله وبرحمته وبقوته ــ للإسلام والمسلمين .

شيخ الأزهر الشريف

«جاد الحق على جاد الحق»

أثـــر الإمام السيوطى فى علوم القرآن

(أ) شخصية السيوطى من خلال كتـــابه
((الإتقان فى علوم القرآن))

الأستاذ الدكتور محمد فاروق النبهان (المغرب)

تمهيـد :

المؤلفات الأولى فى تاريخ العلوم الإسلامية هى المؤلفات فى علم من علوم القرآن ، ولم تكن كلمة (علوم القرآن) معروفة فى ذلك الحين ، واقتصرت الكتابات على تدوين بعض الروايات المتعلقة بتفسير آية ، أو توضيح لفظ ، أو ضبط كيفية أداء ، أو بيان سبب لنزول آية ، أو ضبط ما هو ناسخ ومنسوخ من الآيات ، وظهرت الكتابات الأولى على شكل تديون مسائل وبيان أحكام ، ثم تطورت فيما بعد ونمت وأخذت شكل العلوم المستقلة . ومن أهم ما كتب فى علوم القرآن الكريم كتاب «الإتقان فى علوم القرآن» للإمام السيوطى ، وذكر رحمه الله فى مقدمة كتابه الأسباب التى دفعته إلى تأليف هذا الكتـــاب ، وأهمهـــا : أن المتقدميـــن لم يدونـوا كتاباً شـافياً فى علـوم القـرآن كما دونـوا ذلك بالنسبة لعلوم الحديث ، وما كتبه السابقون عليه لا يفى بالهدف المطلوب وأخذ يبحث عما كتبه السابقون والمعاصرون ليستدرك ما فاتهم حتى تم له وضع كتابه ، وقد اعتمد على المصادر التالية :

مصادر الاتقان :

ذكر السيوطى فى مقدمة كتابه الإتقان مصادره التى اعتمد عليها وأهمها ما يلى :

أولًا ـ الكتب النقلية : وأهمها كتب التفسير لابن جرير وابن كثير وكتب فضائل القرآن لأبى عبيد وابن أبى شيبه وكتب آداب حملة القرآن ..

ثانياً ـ كتب القراءات : وأهمها جمال القراء للسخاوى ، والنشر لابن الجزرى ، وكتب الواسطى ، وابن الأنبارى ، والنحاس ، والدانى .

ثالثاً ـ كتب اللغات والغريب والإعراب : وأهمها مفردات القرآن للراغب ، وغريب القرآن لابن قتيبة ، وإعراب القرآن لأبى البقاء ..

رابعاً ـ كتب الأحكام : وأهمها كتب أحكام القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وأدلة الإحكام ..

خامساً ـ كتب الإعجاز والبلاغة : وأهمها كتب إعجاز القرآن للخطابى ، والرمانى ، والجرجانى ، والباقلانى ، والرازى ، وكتب المجاز فى القرآن .

وهناك كتب أخرى ذكرها السيوطى فى مقدمته ، واعتبرها من الكتب التى رجع إليها ، ولا أظن أنه ترك كتاباً لم يذكره فى مصادره ، من

كتب التفسير والقراءات والأحكام ..

وإلى القارىء نص ما كتبه الباحث فى «منهج السيوطى فى الإتقان» .

منهج السيوطى فى الإتقان :

ويتميز منهجه فى تصنيف كتابه الإتقان بما يلى :

أولًا ـ مقدمته الرائعة التى افتتح بها هذا الكتاب : وتحدث فيها عن علوم القرآن ، وما دون فى هذا العلم ، والمراجع التى اعتمد عليها ، والمصنفات التى كتبت فى هذه العلوم ، وخص كتاب البرهان للزركشى باهتمام وعناية ، ولعل سبب ذلك إنه الأقرب إلى مصنفه ..

ثانياً ـ ذكره فى بداية كل نوع : والمراد به الفصل ، من أفرد ذلك الموضوع بالتصنيف ، مبتدئاً الفقرة الأولى بقوله : أفرده بالتصنيف جماعة ، منهم فلان وفلان ..

ونورد مثالًا لذلك ما ورد فى النوع الثالث والستين فى موضوع الآيات المشتبهات قال :

أفرده بالتصنيف خلق ، أولهم فيما أحسب الكسائى ، ونظمه السخاوى ، وألف فى توجيهه الكرمانى كتابه «البرهان فى متشابه القرآن» وأحسن من «ملاك التأويل» لأبى جعفر بن الزبير ، ولم أقف عليه ، وللقاضى بدر الدين بن جماعة فى ذلك كتاب لطيف سماه «كشف المعانى عن متشابه المثانى» وفى كتابى أسرار التنزيل المسمى «قطف الأزهار فى كشف الأسرار من ذلك الجم الغفير»[(1)] .

ثالثاً ـ وضوح منهجه فى تلخيص الكتب الأخرى : وقد ذكر التلخيص فى عدة مواطن ، وبين المصنفات التى اعتمد عليها فصله ، مثال ذلك ما ورد فى النوع الخامس والثلاثين من الإتقان فى آداب التلاوة ، قال :

«أفرده بالتصنيف جماعة ، منهم النووى فى التبيان ، وقد ذكر فيه وفى شرح التهذب وفى الأذكار جملة من الآداب ، وأنا ألخصها هنا ، وأزيد عليها اضعافها وأفصلها مسألة مسألة ليسهل تناولها»[(2)] .

رابعاً ـ قدرته على نقل أقوال العلماء الذين صنفوا فى هذا العلم : وينقل أقوالهم بدقة وأمانة ، كما يذكر أسماء كتبهم ، وأحياناً يرجح بين الروايات والأقوال ويضعف بعضها ويورد ما يراه هو الأصح .

ويظهر هذا فيما نقله عن القاضى جلال الدين البلقينى حول أقسام القراءة وهى متواتر وآحاد وشاذ ، وبعد أن أورد رأيه قال : وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره ، وأحسن من تكلم فى هذا النوع إمام القراء فى زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزرى ، قال فى أول كتابه النشر» .

ومنهج الترجيح يؤكد استيعاب السيوطى لمادته العلمية ، وتحكمه فيما ينقل ، وقدرته على اختيار الرأى الأرجح ، ناسباً الرأى الراجح لصاحبه ، معترفاً له بالتفوق والتميز والدقة .

ولاشك أن كتاب الإتقان فى علوم القرآن يعتبر من أمهات الكتاب المعتمدة فى الدراسات القرآنية ، وهو من أكثر الكتب مكانة وشهرة ، ولا يمكن لباحث فى علوم القرآن أن يستغنى عنه ، فهو يغنى عن غيره ، وغيره لا يغنى عنه ، ولو لم يكن للسيوطى غير هذا الكتاب لكفاه فخراً .

---

(١) انظر الإتقان حـ٣ صـ٣٣٩ .

(٢) انظر الإتقان حـ١ صـ٢٩٢ .

((ب)) السيوطى فى التفسير

للأستاذ الدكتور / عبدالسلام ابو النيــل
(الكويـت)

وفى هذا المحور «أثر الإمام السيوطى فى علوم القرآن» كتب الدكتور عبدالسلام أبـو النيـل (الكويت) بعنوان : السيوطى فى التفسير : ميزة تفسيره ، أثره فى الدراسات القرآنية : وفى بحثه القيم انتهى إلى ما يأتى نصاً من بحثه :

١ ـ إن تفسيره «الدر المنثور» من أعظم كتب التفسير ، وقد لخصه من كتابه الجامع «ترجمان القرآن» وذلك بحذف الإسناد مع العزو إلى العالم وكتابه ، وأن مراجع هذا التفسير قد أربت على أربعمائة ، اندثر ٤٠٪ منها ، والباقى ، ما بين مطبوع ومخطوط ، وإنه كان ذا طريقة فريدة فى تأليفه ، وكانت له مواقفه مع الأسانيد ، ويتميز هذا التفسير بجمعه الكثير من الكتب السابقـة وخلوصه للتفسير المسند ، ولا يقلل من شأنه عدم رفضه للإسرائيليات ، وللمرويات الضعيفة التى لم ينبه إليها .

وقد طبع هذا التفسير أول مرة بالمطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣١٤ هـ وطبع طبعة ثانية عام ١٤٠٣هـ. وأصولـه موجـودة ومصورة بعـدة أماكن .

٢ ـ لقد كان للسيوطى ـ رحمه الله ـ أثره البالغ على الدراسات القرآنية ، لأن تبحره فى علوم السنة الشريفـة قد أفـاده كثيراً فى علـم التفسير ، حيث إن كثيراً مما يتعلق بالقرآن الكريم ـ كأسبـاب النـزول ، والقـراءات والنــاسخ والمنسوخ ـ يعتمد على الرواية ، فلا غزو أن نجده ـ إذا ـ متبحراً فى علوم التفسير .

كما أن تمكنه فى اللغة ـ مع تضلعه فى علوم الرواية ـ مكن له فى علوم القرآن ، حتى جاء كتابه «الإتقان» مستوعباً كل من سبقوه كجلال الديـن البلقينـى ، والـزركشى ، حتـى ألـف «التحبير فى علوم التفسير ، ثم الإتقان» الذى رجع فيه إلى أكثر من مائة وخمسين مرجعاً ، مخضها فى هذا الكتاب الجامع ، فحفظ لنا كثيراً مما ضاع وكثيراً مما يصعب الحصول عليه .

كما كان له ـ رحمه الله ـ أثره الطيب على رجالات التفسير وطبقاتهم ، إذ يعتبر ـ بحق ـ أول واضع لطبقات المفسرين .

فرحم الله هذا العالم الجليل ونفعنا الله بعلمه .. والحمد لله أولًا وآخراً ..

أثر الإمام السيوطى فى علوم الحديث

(أ) الإمام جلال الدين السيوطى وجهوده فى السنة

للدكتور يحيى إسماعيل (مصر)

للإمام السيوطى أثر بارز فى علوم الحديث ، وقد شملت مؤلفاته فى هذا الجانب ميادين عدة فله :

ألفيه الحديث ، واللمع فى أسباب الحديت ، وتدريب الراوى ، وزهر الرُّبَا على المجتبى ، وتنوير الحوالك على موطأ ملك ، وغير ذلك كثير .

هذا إلى جانب رسائل عدة فى موضوعات بعينها مثل : الأزهار المتناثرة فى الأحاديث المتواترة ، ودرّ الصحابة فيمن دخل مصر من الصحابة وغيرها .

تمهيد

ينقسم علم الحديث ــ عند المتأخرين من العلماء الذين أتوا بعد الخطيب البغدادى ــ إلى علم الحديث رواية ، وعلم الحديث دراية .

ويعنون بالرواية : ما اشتمل على أقوال النبى ــ ﷺ ــ وأفعاله ، وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها .

وبالدراية : أنه علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها ، وأنواعها ، وأحكامها ، وحال الرواة ، وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلق بها .

أما المتقدمون فعلم الحديث عندهم علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول ــ ﷺ ــ من حيث معرفة أحوال رواتها ضبطا وعدالة ، ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً .

ونهج السيوطى النهج الأول ، وحظ السيوطى من علم الحديث رواية أقل من حظه من علم الحديث دراية ، فقد قال ــ عن نفسه فى ذلك : إنه لم يكن من سماع الرواية لاشتغاله بماهو أهم وهو ميدان الدراية ، وله فى هذا المجال العديد من المؤلفات منها كتابان حصل بهما على السبق فى موضوعيهما ، وهما : «ألفية الحديث» و«اللمع فى أسباب الحديث» ونقطتف مماكتبه فضيلته عن كتاب اللمع فى أسباب الحديث .

«اللمع فى أسباب الحديث» :

وقد يَسَّرَ الله تحقيقه ونشره[1] ويدور موضوع هذا الكتاب حول ذكر الأسباب التى من أجلها حدَّث النبى ــ ﷺ ــ بالحديث . فقام ــ رحمه الله ــ بتقسيمه على أبواب الفقه . بلغ فيه اثنى عشر باباً بدأ بالطهارة ثم الصلاة ، ثم الجنازة ، ثم الصيام ، فالحج ، والبيع ، والنكاح ، والجنايات ، والأضحية ، والأطعمة ، وختمه بباب الأوس .

يورد فى كل باب من الأبواب المتقدمة عدداً من الأحاديث المتصلة به ، ذاكراً الحديث أولاً ، ثم يردفه بسبب وروده ، مع حذف الإسناد فى كل ، والاقتصار منه على الصحابى مع عزوه إلى

---

(١) طبعت الطبعة الأولى منه بدار الوفاء عام ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م ، على إثر سرقته وطبعه بغير إذن منى بدار الكتب العلمية بلبنان .

الكتاب الناقل منه إذا كان النص من كتاب من كتب السنة المشتهرة المتداولة ، أما إذا كان الحديث أو سببه من الكتب غير المشهـــورة كالمشيخات والأمالى[٢] فإنه يذكر السند ليحيل القارىء عليه ويخرج من عهدة الإيراد له . وقد بلغت مصادره فيه خمسة وثلاثين مصدراً .

وتتمثل مزايا هذا الكتاب فيما يلى :

أولاً : أنه أول كتاب يحفظه لنا القدر فى هذا الموضوع ، إذ ما سبقه من الكتب فى هذا الموضوع لم نعرف عنها شيئاً سوى أسمائها كمصنف أبى حفص العكبرى ، ومصنف أبى حامد عبدالجليل الجوبارى ، ولم نعرف بهما إلا بحديث السيوطى عنهما[٣] .

ثانياً : أنه يلفت أنظار الباحثين إلى ضرورة العناية بكتب التاريخ على وفق مناهج المحدثين ، حيث إنها تضم أحياناً أسباباً تكشف عن وجوه خفية للرواية قد لا توجد فى غيرها .

ثالثاً : سهولة ترتيبه ، وجودة عبارته ، وخلوه من أى حشو أو تطويل .

أما المآخذ التى يمكن أن تؤخذ على هذا الكتاب **فأهمها** :

١ ــ إهماله لبعض المباحث وعدم إيراد شىء فيها كالحدود ، والجهاد ، والعتق ، وإغفاله أحياناً للحديث مع ذكره لسببه كما فى باب التشهد ، وإن كان يمكن الاعتذار عنه بقبول كلام تلميذه الداودى فى ذلك أنه أخذته المنية قبل أن يكمله .

٢ ــ إيراده لبعض الأحاديث تحت أبواب لا علاقة له بها ، وذلك مثل حديث أنس : سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول : « إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته فيهما الجنة ــ يريد عينيه » .

فقد ذكر هذا الحديث فى باب الجنائز ، وكان الأليق به باب الأدب ، أوالصبر ، أوالرقاق ، أوالطب .

٣ ــ إيثاره التعبير بكلمة الباب يفرغ عن الكتاب ، ثم تفريعه على ذلك بعض الأحاديث . وكان الأنسب أن يرتب على الكتب ثم يفرع عليه الأبواب .

٤ ــ تصديره لباب الطهارة بحديث : إنما الأعمال بالنيات ، وهو لا صلة له بها ظاهرة .

وهى مثالب على تنوعها فإنها لا تنقص من قيمة الكتاب ، ولا تغض من شأن مؤلفه ، إذ السعيد من عدت سقطاته ، أو من زادت حسناته على سيئاته . وبخاصة أن هذا جاء فى موضوع من أدق موضوعات علوم الحديث وأعظمها فائدة له ، إذ منه يتبين المراد من النص من تخصيص عام ، وتقييد مطلق ، وتفصيل مجمل[٤] وذلك مثل ماجاء فى قوله ــ ﷺ ــ فيما أخرجه مسلم فى صحيحه : « صلاة القاعدة على النصف من صلاة القائم » فهو عام فى كل مصلٍّ ، بالنظر إلى سببه الذى ورد عن عبد الله بن عمرو فيما أخرجه عبدالرازق فى مصنفه منه قال : « قدمنا المدينة ،

---

(٢) المشيخات جمع مشيخة ، وهو أن يجمع المصنفون أوالمصنف أحاديث كل شيخ له على انفراده ، وأما الأمالى فهى جمع إملاء ، والإملاء هو أن يقعد عالم حوله تلامذته بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ، ويكتبه التلامذه فيصير كتاباً ويسمونه الإملاء والأمالى .
الإعلام بالتوبيخ ٦٠٥ ، تدريب الراوى ١٣٢/٢ .

(٣) العكبرى هو أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء العكبرى . توفى سنة ٣٩٩ . المنهج الأحمد ٣٩/٢ ، والجوبارى هو أبو سعود عبدالجليل بن محمد بن عبدالواحد بن قتادة الجوبارى ، الحافظ ، وجوبارة محلة بأصبهان . اللباب فى تهذيب الأنساب ٣٠٢/١ . قال الحافظ السيوطى فيه ، ولم يسبق إلى ذلك .
يعنى هذا الفرع من فروع علوم الحديث .

فنالنا وباء من وعك المدينة شديد ، وكان الناس يكثرون أن يصلوا فى سبحتهم جلوساً ، فخرج النبى ــ ﷺ ــ عند الهاجرة وهم يصلون فى سبحتهم جلوساً فقال : «صلاة الجالس نصف صلاة القائم» يتبين أن المعنى خاص بمن قدر على التكلف للقيام فى النافلة وآثر الراحة .

ومثل حديث أبى جحيفة وأبى هريرة الذى أخرجه الترمذى وابن ماجة عن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : «من سنَّ سنةً عُمِل بها بعده كان له أجره ومِثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن سنَّ سُنَةً سيئةً فعُمِل بها من بعده كان عليه وزره ومثل أوزارهم من غير أن ينتقص من أوزارهم شيئاً» .

حيث جاءتِ السنة فيه ــ مع وصفها بالحسنة والسيئة ــ على الإطلاق ، فشملت ما له أصل فى دين الله وما لا أصل له ، فجاء السبب وبين أن المراد بالسنة هنا ما له أصل فى دين الله ، وذلك فيما أخرجه مسلم وأحمد عن جرير ــ رضى الله عنه ــ قال : كنا عند رسول الله ــ ﷺ ــ فى صدر النهار ، قال فجاء قوم حفاةً عراةً ، مجتابى النمار أوالعباء ، متقلدى السيوف ، عامتهم من مضر ، فتمعَّر وجه رسول الله ــ ﷺ ــ لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام ، فصلى ثم خطب فقال : «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدةً» والآية التى فى سورة الحشر ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ تصدق رجل من درهمه ، من ثوبه ، من صاع برّه ، من صاع تمره ، حتى قال ولو بشق تمرة ، قال فجاء رجل من الأنصار بصرةً كادت كفه تعجز عنها ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله ــ ﷺ ــ يتهلل كأنه مذهبة ، فقال رسول الله ــ ﷺ : «من سنَّ سنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سنَّ فى الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقُص من أوزارهم شىء» .

أما عن تفصيل المجمل فذلك فى مثل ما أخرجه الشيخان عن أنس قال : «أمِرَ بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة» .

فالحديث بمنطوقة لا يتفق مع ما عليه جمهور العلماء من تربيع التكبير وتثنية الإقامة . والسبب الذى أخرجه أبو داود فى سننه وأحمد فى مسنده من حديث عبدالله ابن زيد يوضح هذا الإجمال ويكشف عن الأصل الذى بنى عليه الجمهور رأيهم .

قال : لما أمر رسول الله ــ ﷺ ــ بالناقوس يعمل ليضرب للناس لجمع الصلاة ــ وهو له كاره لموافقته للنصارى ــ طاف بى وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً فى يده ، فقلت : يا عبدالله ، أتبيع الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ فقلت ندعو به إلى الصلاة . قال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ فقلت له : بلى . فقال تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً

(٤) عرف الأصوليون التخصص بأنه قصر العام على بعض أفراده والقابل لحكم يثبت لمتعدد ، ومثلوا له بقوله تعالى : ﴿**واقتلوا المشركين**﴾ سورة التوبة آية ٥، وللتخصيص أدوات منها: الشرط، والاستثناء. جمع الجوامع لابن السبكى ٤٢٩/١ .
وعرفوا المطلق بأنه ما دلَّ على الماهية بلا قيد ، أى من غير اعتبار عارض من عوارضها .
وقال ابن الحاجب أنها ما دل على شائع فى جنسه . الغيث الهامع ٤٨٥/١ والمجمل هو ما لم تتضح دلالته . جمع الجوامع ٥٠٠/١ .

رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . قال ثم أستأخر عنى غير بعيد ، ثم قال : ثم تقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أصبحت أتيتُ رسول الله ــ ﷺ ــ فأخبرته بما رأيتُ . فقال : « إنها لرؤية حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به ، فإنه أندى صوتاً منك » .

هذا بالاضافة إلى تحديد أمر النسخ به وبيان الناسخ من المنسوخ وذلك فى مثل حديث أحمد وأبى داود « أفطر الحاجم والمحجوم » .

وما أخرجه البيهقى له من سبب أورده السيوطى فى كتابه هذا عن سمره بن جندب قال : مرَّ رسول الله ــ ﷺ ــ على رجل بين يدى حجام وذلك فى رمضان وهما يغتابان رجلا فقال « أفطرَ الحاجم والمحجوم » .

فقد أزال السبب المذكور القول بالنسخ ، فضلا عن أنه لم يبق تعارضا بين هذه الأحاديث وبين قوله تعـــالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ .

هذا وغيره مما يشهد للحافظ جلال الدين السيوطى بأنه كان فى بعض المؤلفات نسيجاً ، وحده ، وأنه أحفظ للمتون من أقرانه ، وأنه له الباع الطويل فى جمع المتون والاطلاع على كثير من المؤلفات التى لم يطلع عليها علماء عصره وابتكار دقائق المسائل منها ، على ما كان عنده وفيه من هَنَاتٍ لا يخلو منه عامة البشر فجزاه الله عن العمل وأهله خيراً وأمَّله ما كان يتمناه فى الآخرة مثلما أفاء عليه فى الأولى . وصلى الله وسلم على مفجِّر ينابيع الخير فى الوجود وعلى آله وصحبه وسلم .

«ب» جهــود الإمــام السيوطى
فى علوم الحديث دراية

للأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم السيد نجم
(مصـــر)

جعل الإمام السيوطى كتابه «تدريب الراوى» شرحاً «لتقريب النووى» خاصة ولمختصر ابن الصلاح وسائر كتب الفقه عموماً .

وإذا كان النووى ــ رحمه الله ــ جمع فى كتابه «التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير» ــ خمسة وستين نوعاً ــ يبدأ بالصحيح وبيانه ومسائله وماكُتب فيه فى اثنين وخمسين ومائة صفحة ــ حتى ينتهى بالنوع الخامس والستين : معرفة أوطان الرواة وبلدانهم ، فإن السيوطى قد أضاف إلى هذه الأنواع أنواعاً أخرى تصل إلى ثلاثة وتسعين نوعاً منها مايزيدها هو وينشئها إنشاء ، ويقعد لها ، ومنها ماهو متفرق عند الأئمة فى مؤلفاتهم .. ونقطتف من الجزء التالى بنصه :

يقول ــ عقب ما ذكره النواوى فى آخر أنواعه الخامس والستين :

هذا آخر ما أورده المصنــف ــ يعنــى النووى ــ من أنواع علوم الحديث تبعاً لابن الصلاح . وقد بقيت أنـواع أُخر ــ ها أنـا أوردها :

النوع السادس ، والسابع والستون : المعلق والمعنصر ، ويعقب قائلاً تقدم ذكرهما فى نوع المعضل .

النوع الثامن والتاسع والستون : المتواتر والعزيز ويعقب بقوله : تقدماً فى نوع المشهور والغريب وسأبين بعد نهاية الأنواع ما عمله بالنسبة للمتواتر .

النوع السبعون : المستفيض قال أشرت إليه فى نوع المشهور .

النوع الحادى والثانى والسبعون : المحفوظ والمعروف . قال حررتهما فى الشاذ والمنكر وهما من الأنواع التى تركها النووى وابن الصلاح .

النوع الثالث والسبعون : المتروك تقدم فى نوع المنكر وعقيب المقلوب .

النـوع الرابع والسبعـون : معرفـة أَتْبــاع التابعين : ذكره الحاكم فى علوم الحديث عقب معرفة التابعين . وهو يقصد أن الخيرية تتناولهم . كما فى الأحاديث .

النوع السادس والسبعون : رواية الصحابة بعضهم عن بعض ، والتابعين بعضهم عن بعض : قال : هذان ذكـــرهما البلقينـــــى فى محاسن الاصطلاح . وقال أنهما مهمان لأن الغالب رواية التابعين عن الصحابة ، ورواية أتباع التابعين عن التابعين، ومثَّل السيوطى لرواية الصحابة بعضهم عن بعض وهو ما اجتمع فيه أربع من نساء الصحابة أو الصحابيات . وهو ما رواه مسلم ، والترمذى ، والنسائى وابن ماجه من طريق ابن عينية عن الزهرى ، عن عروة ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن حبيبه بنت أم حبيبه ، عن زينب بنت جحش قالت : أتيت رسول الله ــ ﷺ ــ يوماً محمرا وجهه هو يقول : لا إله إلا الله ــ ثلاث مرات ــ ويل للعرب من شرقد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد عشراً قلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم . إذا كثر الخبث .

قال السيوطى : قد وقع فى بعض الأجزاء حديث اجتمع فيه خمسة من الصحابة وهو ما رواه بسنده عن سفيان بن عينيه عن الزهرى ، عن سعيد بن المسّيب عن عبد الله بن عمـرو بن العاص ، عن عثمان بن عفـان ، عن عمـر بن الخطاب ، عن أبى بكر الصديق ، عن بلال . قال : رسول الله ــ ﷺ : الموت كفارة لكل مسلم .

النوع الثامن والسبعون . ما رواه الصحابة عن التابعين عن الصحابة قال السيوطى : هذا النوع زدته أنا وقد ألف فيه الخطيب البغدادى ، وقد أنكر بعضهم وجود ذلك وقال إن رواية الصحابة عن التابعين إنما هى فى الإسرائيليات والموقوفات قال السيوطى : وليس كذلك ، فمن ذلك حديث

سهل بن سعد الساعدى ، عن مروان بن الحكم ، عن زيد بن ثابت أن النبى ــ ﷺ ــ قال : «لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ــ فجاء ابن أم مكتوم . رواه البخارى والترمذى والنسائى .

وتأكيداً لقول السيوطى : حررت قوله فكان كالآتى :

فسهل بن مالك بن خالد الأنصارى الخزرجى الساعدى أبو العباس ، له ولأبيه صحبة . مات ٨٨ هـ وقد جاوز المائة .

ومروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية أبو عبدالملك الأموى المدنى ولى الخلافة فى آخر أربع وستين ومات ٦٥ فى رمضان ، لايثبت له صحبه .

عن زيد بن ثابت بن الضّحاك بن لوزان الأنصارى أبو سعيد ، أو أبو خارجه صحابى مشهور كتب الوحى ، مات ٤٨ ، قيل بعد الخمسين . وهنا تأكد قول السيوطى من رواية الصحابة عن التابعين عن الصحابة .

وحديث السائب بن يزيد عن عبدالرحمن بن عبد الكارىّ ، عن عمر بن الخطاب عن النبى ــ ﷺ ــ من نام عن حزبه أو عن شىء منه فقرأه بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل ، رواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة .

والسائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامه الكندى ، يعرف بابن أخت النّمِر ، صحابى صغير حُجَّ به فى حجة الوداع وهو ابن سبع سنين . مات ٩١ .

وعبد الرحمن بن عبد ، بغير إضافة القارىّ . ذكره العجلى فى تقات التابعين ، واختلف قول الواقدى فيه قال : تارة له صحبه ، وتارة : تابعى ، مات ٨٨ هـ وأما عمر بن الخطاب فمعروف . وذكر فى هذا النوع عدة أحاديث أخر .

ثم ذكر السيوطى : النوع التاسع والسبعين والثمانين ، معرفة من وافقت كنيته اسم أبيه وعكسه ، ذكره شيخ الإسلام فى النخبة وأمثلته كثيرة ، منها أبو إسماعيل إدريس بن إسماعيل الكوفى ، روى عن الأعمش .

النوع الحادى والثمانون : من وافقت كنيته كنية زوجه . وهذا النوع ذكره شيخ الإسلام فى النخبة .

ومن أمثلته أبو أيوب الأنصارى خالد بن زيد وزوجه أم أيوب بنت قيس بن أسد الأنصارية ، وأبو الدَّحداح وزوجه أم الدَّحداح وأبو ذر الغفارى وزوجه ام ذر ، وأبو رافع أسلم مولى النبى ــ ﷺ ــ وزوجه أم رافع سلمى مولاته أيضاً . وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسود وزوجه أم سلمة هند بنت أبى أمية تزوجها بعده النبى ــ ﷺ ــ

النوع الثانى والثمانون : من وافق اسم شيخه أم أبيه ،

النوع الثالث والثمانون : من وافق اسمه اسم أبيه وجده ذكره شيخ الإسلام فى النخبة ومثلها بالحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب .

النوع الرابع والثمانون : معرفة من اتفق اسمه واسم شيخه وشيخ شيخه . ذكره ابن حجر فى النخبة . كعمران ، عن عمران ، عن عمران ، فالأول يعرف القصير ، والثانى أبو رجاء العطاردى ، والثالث ابن حصين الصحابى .

وأضاف إليه السيوطى بقوله : المسلسل بالمحمدية ، فى كل رواته ، أخبرنى محمد بن إبراهيم المالكى الأديب ، إجازة عن محمد بن أحمد

المهدوى ، أنّ محمد بن زيد مشرف أخبره عن الزكى ، محمد بن يوسف البرازنى الحافظ ، ثنا محمد بن أبى عبد الله محمد بن عبدالواحد الدقداق ، ثنا محمد بن علىّ الركانى ، ثنا الحافظ أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد يحيى العبدى ، ثنا أبو منصور محمد بن سعد البارودى ، ثنا محمد بن عبدالله الحضرمى . ثنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن المثنى ، ثنا محمد بن بشر ، ثنا محمد بن جحش عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ «أنه مر فى السوق على رجل وفخذاه مكشوفتان ، فقال له : غط فخذيك فإن الفخذين عورة» .

النوع الخامس والثمانون : معرفة اسم من اتفق اسم شيخه والراوى عنه ، ذكره شيخ الإسلام وقال : هو نوع لطيف لم يتعرض له ابن الصلاح وفائدته رفع اللبس عمن يظن أن فيه تكراراً أوانقلاباً ، ومن أمثلته أن البخارى روى عن مسلم ، وروى عنه ، فشيخه مسلم بن إبراهيم أبو مسلم الفراديس البصرى أو الراوى مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح .

وهكذا تناول السيوطى بقية الأنواع ببراعة فائقة إلى آخرها تدل على اطلاع واسع وتتبع عميق وإلمام بأطراف علوم الحديث وأنواعه فيزيد الأنواع إلى الثالث والتسعين ، فيقول : فى النوع الثانى والتسعين . معرفة من أسند عنه من الصحابة الذين ماتوا فى حياة رسول الله ـــ ﷺ ـــ ويقول : هذ النوع زدته أناة ، وفائدة معرفة ذلك ، الحكم بارسالة إذا كان الرواى تابعياً ، وأرجو أن أجمع فيه مسنداً .

وقال فى النوع الأخير الثالث والتسعين . معرفة الحفاظ ، وصنف فيه جماعة أشهرهم الذهبى ، وقد لخصت طبقاته ، وذيلت عليه من جاء بعده ، ثم أخذ فى سرد ما أراد إضافته .

وأما ما قدمه من الأعمال التى لم يسبق إليها فى التصنيف والجمع والتمثيل إما عقب به بعد قول ابن حجر عن الحديث المتواتر ردا على ابن الصلاح وغيره ممن أنكروه أنه موجود وجود كثرة وانكاره بسبب عدم اطلاع القائلين المذكورين ، قال السيوطى : قد ألفت فى هذا النوع كتاباً لم أسبق إلى مثله : سميته الأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة ، مرتبا على الأبواب ، أوردت فيه كل حديث بأسانيد من خرجه وطرقه ، ثم لخصته فى جزء لطيف سميته قطف الأزهار اقتصرت فيه على عزو كل طريق لمن أخرجها من الأئمة(٥) ثم ساق أحاديث وعدد من رواها من الصحابة قال الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف : واستدرك على السيوطى : أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه نظم المتناثر من الحديث المتواتر(٦) .

وعليه فالسيوطى له فى علوم الحديث الباع الطويل وجمع شمله والزيادة والإضافة وأحصى له أحد الباحثين أربعة وثلاثين مصنفاً فى هذا الفن ولم يكتف الإمام السيوطى بشروحه على علوم الحديث وزياداته عليها بل عمل منظومة على الأثر وهى ألفيته التى صاغ فيها أنواع علوم الحديث صياغة عالم بارع فارس من فرسان الفن وجهابذته وشرحها محمد محفوظ عبدالله الترمسى . وسمى شرحه منهج ذوى النظر : فى شرح منظومة علم الأثر للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى المتوفى ٩١١ هـ(٧) .

---

(٥) تدريب الراوى جـ ٢ ص ١٧٩ النوع الثلاثون المشهور جـ ١ السعادة ـــ وعبدالوهاب عبداللطيف .

(٦) انظر تدريب الراوى جـ ٢ ص ١٧٩ تعليق .

(٧) مصطفى البابى الحلبى ط ٤ عام ١٩٨٥ م .

((جـ)) الرواية عند الإمام السيوطى

للأستاذ الدكتور/ نـور الدين عتـر

(سـوريا)

تمهيد :

من الأعمال التى لها أثر واسع فى المجتمع الإسلامى على مر القرون تكملة الإمام السيوطى لتفسير الإمام المحلى ، فتم هذا التفسير واصبح معروفا باسم : « تفسير الجلالين » وانتشر بين المسلمين إلى عصرنـــا وإلى ما شاء الله ـــ سبحانه ـــ فدراسة هذا العمل الذى قام به السيوطى مهمة ينبغى الاعتناء بها فالباحث يرى أن السيوطى استشهد بالرواية فى هذا التفسير ، وفى بعض هذه الروايات مقال ، وبخاصة ماورد فى بعضها من إسرائيليات .

وفى إطار تحليلى قام الباحث بإحصاء شىء منها ووضع مقترحات بشأنها وأخرى بشأن إخراج التفسير محققا تحقيقا علميا وضع الباحث منهجه ، وإلى القارىء بعض حديث الباحث نقدم له منه الخلاصة ، فالروايات الباطلة فالمقترحات :

الخلاصـــــة

تكملة السيوطى التفسير المختصر لجلال الدين المحلى قدمت للناس كتابا مختصرا وميسرا فى تفسير القرآن ، اشتهر باسم « تفسير الجلالين » وانتشر بين الناس حتى عصرنا انتشارا عظيما ، قل نظيره ، وفاق انتشار كل كتب السيوطى ، مما يجعل له أثرا عمليا هاما فى الحياة الإسلامية ويوجب الاعتناء بدراسته .

ويحتل الاستشهاد بالرواية حجما لا بأس به فى هذا التفسير ، وقد تناول هذا البحث عمل السيوطى فى ذلك بما يلى :

أولًا ـــ أسباب النزول : وهو علم هام لفهم المراد من الآية وكشف اسرارها ، وقد اعتمد السيوطى على أسباب النزول المنبثة فى المصادر وفى مؤلفاته ، وذكر جملة صالحة من أسباب النزول بطريق اختصار الرواية ، أو الاشارة إليها ، وراعى فى ذلك كون الرواية مقبولة ، إلا نذراً يسيرا نبه البحث عليه .

ثانيا ـــ تفسير القرآن بالحديث : وقد استشهد السيوطى فى علمه هذا بالحديث لتفسير القرآن ، وهو يختصر النص ، أويسلك سبيل الاشارة إليه ، ويخرج الأحاديث ويبين صحتها وحسنها ، وربما أغفل ذلك ، وفى بعضه غرابة .

ثالثا ـــ الإسرائيليات : وهى اللون اليهودى والنصرانى من الثقافة والأخبار عن الأمم الماضية .

وقد أورد السيوطى نبذا من الاسرائيليات فى تفسيره غالبها مما يمكن قبوله وبعض قليل منها غريب أوباطل .

وبالتالى فقد شمل البحث بالاحصاء الروايات الباطلة والإسرائيليات التى هى كذلك فى تفسير الجلالين كله ، ونبّه عليها ، فتمم بذلك إفادة قراء هذا الكتاب .

روايات باطلة وإسرائيليات فى تفسير الجلالين :

وفى تفسير الجلالين عدة روايات وإسرائيليات باطلة لا يجوز قبولها ولا تصديقها بحال ، بعضها عند السيوطى وأكثرها وأشدها خطرا عند المحلى ، لغلبة اشتغاله بالفقه ، نذكر ما أحصيناه منه بإيجاز ، حسب ترتيبها فى التفسير ، ليحذرها قارىء البحث ، بل ليحذر القارىء الناس منها ، فَيَقْبِلُوا على تفسير الجلالين وقد عرفوا أمرها ، فتكمل فائدتهم من هذا التفسير ، ويطمئنوا الى ما يحصلونه منه ، بعد هذا التنبيه ، الذى يجعل إفادة القارىء سالمة من الشوائب .

وهذه الروايات والاسرائيليات هى :

١ ــ قوله فيما سبق أن نقلناه : « .. لما نزع ملكه .. » أى ملك سليمان عليه السلام . هذا اشارة إلى قصة طويلة باطلة مستحيلة ، سيأتى ذكرها فى سورة « ص » بايجاز : ٣٤ .

٢ ــ قصة نزول آية : « ومنهم من عاهد الله » التى سبق تفصيل بطلانها .

٣ ــ ما ذكره فى قصة يوسف فى آية : « ولقد همت به » وسبق أن نقدناه (١) .

٤ ــ قصة الغرانيق ، فى آية : « وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ » الآية : ٥٢ من سورة الحج .

فزعمت القصة الباطلة أن النبى ــ ﷺ ــ لما قرأ من سورة النجم : « ومناة الثالثة الأخرى » فألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى .

وهى قصة مكذوبة ليس لها سند يعتمد عليه ، يدل على بطلانها أوجه كثيرة من علم أصول الحديث ، وعلامات الحديث الموضوع ، التى قررها علماء الحديث ، ومن قبلها فقد أدخل الشك على النبوات ، وخالف عقله .

قال الإمام البيهقى : « هى غير ثابتة من جهة النقل » . وذكر عن الإمام ابن خزيمة أن هذه القصة من وضع الزنادقة(٢) .

٥ ــ قصة الصرح الذى دخلته بلقيس ، فى تفسير سورة النمل : الآية : ٤٤ . أن سليمان أراد به أن يرى ساق بلقيس ليكشف عن دعوى الجن أنهما ساقا حمار ؟!! ، وهو قصص متهافت ، يغنى ظهور تهافته عن التطويل فى الردّ عليه . وسياق القصة يقرر أنه أراد تقوية دعوتها إلى الله ، فأراها صنعا عجيبا ، فاستجابت « قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ » . وأين هذا مما زعمته القصة ؟!

٦ ــ ما ذكره فى قصة نكاح النبى ــ ﷺ ــ من السيدة زينب رضى الله عنه ، فى تفسير سورة الأحزاب : الآية : ٣٧ : « وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ... » .

فقال المحلّى : « مظهره من محبتها ، وأن لو فارقها زيد تزوجتها » .

---

(١) الآية : ٢٤ من سورة يوسف . وتفسير الجلالين : ٣١٢ .

(٢) انظر تحقيقا مطولا فى إبطال هذه القصة فى كتاب (هدى القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان) لفضيلة استاذنا الشيخ عبدالله سراج الدين ص ١٥٥ ــ ١٨٢ .

فهذا مأخوذ من آثار غريبة ، تخالف الثابت عن أهل بيت النبى ـ ﷺ ـ أن الله أعلمه أنها ستكون من أزواجه فهو الذى كان فى نفسه عليه الصلاة والسلام ، كما قال على بن الحسين زين العابدين رضى الله عنهما والسدى(١٠) .

بل هى مخالفة لنص القرآن ، لأن الله أبدى أمره بتزوجها وكراهة النبى ـ ﷺ ـ لذلك ، وأنه أمر فرضه الله له أى أحله له . وأين هذا مما ذكره المحلى ؟!

٧ ـ قصة زواج داود عليه السلام فى تفسير الآيات : «وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوّروا المحراب . اذ دخلوا على داود ففزع منهم» الآيات ٢١ ـ ٢٥ من سورة (ص) .

فجعل المحلى الخصوم ملكين «جاءا .. لتنبيه داود عَليه السلام على ماوقع منه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها» .

وللقصة تفاصيل من الاسرائيليات تشهد أنها باطلة ، لأنها منافية لعصمة الأنبياء وعصمة الملائكة ، بل ومناقضة لرفعة العقلاء ، فضلا عن سمو الأنبياء عليهم السلام وحاشا داود من مثل هذا الصنيع ، حتى على اللفظ الذى أوردناه . انما جاءت هذه القصة من تلفيق الخيال الاسرائيلى الذى يريد أن يسوغ لليهودى أن يأتى كل فعل خبيث ، دون تحرج ، عياذا بالله تعالى .

٨ ـ قصة فتنة سليمان عليه السلام فى تفسير قوله تعالى : «اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد» الآيات ٣١ ـ ٣٤ من سورة (ص) ايضا .

فذكر المحلى أن سليمان شغل بتفقد الخيل للجهاد عن صلاة العصر حتى فاتته فأمر بذبح الخيل ، وأنه ابتلى بسلب ملكه لتزوجه إمرأة عشقها وكانت تعبد الصنم فى داره بغير علمه ... الى آخر ما ساقه .

فهنا قصتان من صنع ذوى الخيال والأوهام الباطلة ، مخالفتان عصمة الأنبياء ، منافيتان العقل الصحيح

ونقرر فى الختام أن تفسير الجلالين مهم ومفيد جدا ، لاختصاره وغزراة مادته ، ضفت عليه حواش كثيرة منها حاشيتا الجمل والصاوى رحمهما الله تعالى ، ونحن بهذا البحث نتمم فائدة هذا التفسير ، ونقترح لتحقيق هذا الاتمام لفائدة هذا التفسير مايلى :

١ ـ اعادة طبعه محققا على وفق أصول التحقيق العلمية .

٢ ـ تخريج أحاديثه وبيان حالها من حيث الصحة أوالضعف .

٣ ـ التعليق بما ذكرناه هنا من التحذير من الروايات والاسرائيليات الباطلة .

٤ ـ التعليق بما يحل غوامض الكتاب بايجاز شديد يناسب حجمه وغرض مؤلفيه الامامين الجليلين رحمهما الله تعالى وأجزل مثوبتهما .

وفقنا الله تعالى إلى تلاوة كتابه العزيز حق التلاوة ، ورزقنا علم تفسيره وتأويله والعمل به والحمد لله رب العالمين .

---

(١٠) البداية والنهاية لابن كثير : ٤ : ١٤٧ وانظر تفسيره ايضا ، قد أعددنا ردا مفصلا لهذه الرواية لم ينشر بعد .

((د)) جهود الإمام السيوطى فى علم الرواية

للأستاذ الدكتور / عزت على عطية

اهتم الباحث بكتاب « الجامع الصغير » للإمام السيوطى لاسيما فيما تناوله الشيخ الألبانى فى بعض دراساته ، ورأى أن فى « الجامع » أحاديث موضوعة ، قال الباحث :

أما الشيخ الألبانى فألف صحيح الجامع الصغير ، وضعيف الجامع الصغير ، وفى سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة فى الأمة حكم بوضع أحاديث متعددة من الجامع الصغير .

وبمتابعتنا لبعض دراساته وجدنا أنه يعتمد كلام الإمام الذهبى أو ابن حجر أو ابن الجوزى على الراوى ثم يفيض فى التشنيع على الحديث الذى حكم بوضعه والتشنيع على من يستند إليه أو يعتبره .

والكلام فى هذا المجال يحتاج إلى متابعة لأقوال الأئمة ، واعتمادٍ وردٍّ وترجيح وتضعيف — ولم أجده من فرسان هذا الميدان .

إن له باًعه فى التخريج لكنه فى دراسة الرجال والحكم على السند والمتن لم يكن له الحق فى الدخول فى الميدان .

وأؤيد ما أقوله بمثل :

فى الجامع الصغير :

(شهر رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع إلى الله عز وجل إلا بزكاة الفطر) عزاه إلى ابن شاهين فى الترغيب والضياء المقدس .

وزاد فى الكبير عزوه إلى ابن الجوزى فى الواهيات . والحديث قال عنه المنذرى فى الترغيب والترهيب رواه ابن شاهين وقال : هذا حديث غريب جيد الإسناد .

وأورده ابن الجوزى فى العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية وقال : لا يصح ، فيه محمد بن عبيد البصرى ، مجهول .

وكان على الشيخ الألبانى أن يذكر قول ابن شاهين وحكم ابن الجوزى ويقارن ويرجح .

لكنه اعتمد كلام ابن الجوزى وحده ، وحكم على الحديث بالوضع . وسبب حكمه ما فى لسان الميزان حيث استنبط ابن حجر من كلام ابن الجوزى ترجمة زادها فيه على الميزان فذكر الراوى وشيخه فى السند وتلميذه فيه وكلام ابن الجوزى عليه ثم قال : روى حديث صوم شهر رمضان معلق بين السماء والأرض .. لا يتابع عليه .

وبالبحث فى تهذيب التهذيب وجدنا محمد بن عبيد الذى قال ابن الجوزى مجهول وتابعه ابن حجر ، وجدناه هو بعينه محمد بن عبيد بن حسَّاب الغُبرى شيخ مسلم روى له مسلم عشرين حديثاً ووثقوه .

والدليل على ذلك أن من روى عنه فى سند الحديث ذكره المزى فيمن روى عنه التلاميذ .

ففات ابن حجر الاستدراك على ابن الجوزى وتابعه .

واعتمد الألبانى كلام ابن حجر فحكم بوضع الحديث الذى قال عنه ابن شاهين جيد الإسناد .

من أجل ذلك نقول : إن العلماء فى مجال الحديث لهم مناهج ولهم خبرة ، والتعامل معهم ينبغى أن يكون بالعلم المناسب ، والخبرة المؤهلة ، لتقوم الموافقة أوالمخالفة على منهج مقبول .

والأمل كبير فى أن يُتِمَّ مركز السنة ما قام به الإمام السيوطى فتخرج موسوعة السنة مشتملة على الحديث بأسانيده ومتونه محررة مختصرة مستوعبة لكل ما فى الأصول .

والله ولى التوفيق

الإمام السيوطى وجوامعه

لفضيلة الشيخ/ محمد حسام الدين (*)

مهد الباحث لموضوعه بذكر مايكشف عن تمكن الإمام السيوطى ـ رحمه الله ـ من علوم الحديث وعلوم الرجال ، ودقة رأيه فى فروعها ، وإخلاصه وتحنثه لهذا العلم حتى آخر حياته ، فأورد ماكتبه السيوطى فى أحكام الرواية ، ثم ذكر نبذاً عن الكتب التى صنفها فى باب الحديث ، ثم تحدث بإيجاز عن (جوامعه) وماوجه إليه من نقد فى بعض النقاط ، وعما يمكن أن يكون للإمام السيوطى من وجهة نظر أو عذر ، ونقدم مِنْ البحث فصلين .

١ ـ جوامع السيوطى .

٢ ـ النقد الموجه له .

(*) الباحث : وكيل الأزهر الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية .

جـــوامع الســـيوطى

١ ــ كتابه الحافل : «(جمع الجوامع)» وقد قال فى مقدمته : هذا الكتاب شريف حافل ، ولباب منيف رافل بجميع الأحاديث الشريفة النبوية كافل ، قصدت فيه إلى استيفاء الأحاديث النبوية ، وأرصدته مفتاحاً لأبواب المسانيد العلية ، وقسمته قسمين :

الأول : أسوق فيه لفظ المصطفى بنصه ، وأطوق كل خاتم منه بفصه ، وأتبع متن الحديث بذكر من خرجه من الأئمة أصحاب الكتب المعتبرة ، ومن رواه من الصحابة رضوان الله عليهم من واحد إلى عشرة ، وأكثر من عشرة ، سالكاً طريقه بطرق فيها صحة الحديث وحسنه وضعفه ، مرتبا ترتيب اللغة على حروف المعجم ، مراعيا أول الكلمة فما بعده ، ورمزت للبخارى خ ، ولمسلم م ، ولابن حبان حب وللحاكم فى المستدرك ك . والضياء المقدسى فى المختارة [1] ض . وجميع مافى هذه الكتب الخمسة صحيح ، فالعزو إليها بالصحة ، سوى مافى المستدرك من المتعقب فأنبه عليه ، وكذا ما فى موطأ مالك وصحيح ابن خزيمة ، وأبى عوانة ، وابن السكن ، والمنتقى لابن الجارود ، والمستخرجات فالعزو إليها معلم بالصحة أيضاً .

ورمزت لأبى داود ــ د ــ فما سكت عليه فهو صالح ، ومابين ضعفه نقلته عنه ، وللترمذى ت ، وأنقل كلامه على الحديث ، وللنسائى ن ، ولابن ماجه هـ ، ولأبى داود الطيالسى ط ، ولأحمد حم ، ولزيادات ابنه عم ، ولعبد الرازق عب ، ولسعيد بن منصور ص ، ولابن أبى شيبة ش ، ولأبى يعلى ع ، وللطبرانى فى الكبير ط ، وفى الأوسط طس ، وفى الصغير طص ، فقد رمز له فى عدة مواضع ستأتى ، منها حديث ابن السبيل ، أو شارب الخمر ، وللدارقطنى قط ، ولأبى نعيم فى الحلية حل ، وللبيهقى ق فإن كان فى السنن أطلقت ، وإلا بينته ، وله فى شعب الإيمان هب . وهذه فيها الصحيح والحسن والضعيف فأبينه غالبا .

وكل ما كان فى مسند أحمد فهو مقبول ، فإن الضعيف الذى فيه يقرب من الحسن ، وللعقيلى فى الضعفاء عق ، ولابن عدى فى الكامل عد ، وللخطيب خط ، فإن كان فى تاريخه أطلقته ، وإلا بينته ، ولابن عساكر فى تاريخه كر ، وكل ما عزى لهؤلاء الأربعة أو للحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ، أو الحاكم فى تاريخه ، أو للديلمى فى مسند الفردوس فهو ضعيف ، فليستغنى بالعزو إليها أو إلى بعضها عن بيان ضعفه .

وإذا أطلقت العزو إلى ابن جرير فهو فى تهذيب الآثار ، فإن كان فى تفسيره أو تاريخه بينته .

---

(١) نقلنا هذا النص عن مصورة «لجمع الجوامع» أحضرها الدكتور حسن عباس زكى من المغرب ، وأصدرتها الهيئة العامة للكتاب فى مصر تصويرا . وفى هذه النسخة جاءت عبارة : «(الضياء المقدسى فى الجنان» وهو خطأ ، والصواب : (الضياء المقدسى فى المختارة)» ..

ثم قال : **والثانى** : الأحاديث الفعلية المحضة أو المشتملة على قول أو فعل أو سبب ومراجعة ، أو نحو ذلك مرتبا على مسانيد الصحابة .. أهـ .

قال الشيخ يوسف النبهانى[٢] : رأيت على ظهر كتاب الجامع الكبير ، المسمى بجمع الجوامع[٣] للحافظ السيوطى مانصه : «(قال المؤلف رحمه الله تعالى رحمة واسعة : هذه تذكرة مباركة بأسماء الكتب التى أنهيت مطالعتها على هذا التأليف خشية أن تهجم المنية قبل تمامه على الوجه الذى قصدته ، فيقيض الله تعالى من يذيل عليه فإذا عرف ما أنهيت مطالعته استغنى عن مراجعته ، ونظر ما سواه من : كتب السنة ، الموطأ ، مسند الشافعى ، مسند الطيالسى ، مسند أحمد ، مسند عبد بن حميد ، مسند الحميدى ، مسند ابن أبى عمر والعدنى ، معجم ابن قانع ، فوائد سموية ، المختارة للضياء المقدسى ، طبقات ابن سعد ، تاريخ دمشق لابن عساكر ، معرفة الصحابة للباوردى ، ولم أقف على سوى الجزء الأول منه وانتهى إلى أثناء حرف السين ، المصاحف لابن الأنبارى ، الوقف والابتداء له ، فضائل القرآن لابن الضريمى ، الزهد لابن المبارك ، الزهد لهناد بن السرى ، المعجم الكبير للطبرانى ، المعجم الأوسط له ، الصغير له ، مسند أبى يعلى ، تاريخ بغداد للخطيب ، الحلية لأبى نعيم ، الطب النبوى له ، فضائل الصحابة له ، كتاب المهدى له ، تاريخ بغداد لابن النجار ، الألقاب للشيرازى ، الكنى لأبى أحمد الحاكم ، اعتلال القلوب للخرائطى ، الإبانة لأبى نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزى ، الأفراد للدارقطنى ، عمل يوم وليلة لابن السنى ، الطب النبوى له ، العظمة لأبى الشيخ ، الصلاة لمحمد بن نصر المروزى ، نوادر الأصول للحكيم الترمذى ، الأمالى لأبى القاسم الحسين بن هبة الله بن صصرى ، ذم الغيبة لابن أبى الدنيا ، ذم الغضب له ، مكايد الشيطان له ، كتاب الأخوان له ، قضاء الحوائج له ، المستدرك لأبى عبد الله الحاكم ، السنن الكبرى للبيهقى ، شعب الايمان له ، المعرفة له ، البعث له ، دلائل النبوة له ، الأسماء والصفات له ، مكارم الأخلاق للخرائطى ، مساوى الأخلاق له ، مسند الحارث ابن أبى أسامة ، مسند أبى بكر بن أبى شيبة ، مسند مسدد ، مسند أحمد بن منيع ، مسند اسحاق بن راهويه ، صحيح ابن حبان ، فوائد تمام الخلعيات ، الغيلانيات المخلصات ، البخلاء للخطيب ، الجامع للخطيب ، مسند الشهاب للقضاعى ، تفسير ابن جرير ، مسند الفردوس للديلمى ، مصنف عبدالرزاق ، مصنف ابن أبى شيبة ، الترغيب فى الذكر لابن شاهين ..

وباحصاء هذه الكتب وجدناها ثمانية وستين كتابا ، ومن الواضح أن معظمها مما يعده السيوطى من الضعيف .

٢ ـ الجامع الصغير وقد قال عنه : هذا كتاب أودعت فيه من الكلم النبوية ألوفا ، ومن الحكم المصطفوية صنوفا ، اقتصرت فيه على الأحاديث الوجيزة ، ولخصت فيه من معادن الأثر إبريزة ، وبالغت فى تحرير التخريج ، فتركت القشر ،

---

(٢) فى مقدمة «الفتح الكبير» ص٥ .

(٣) لم نجد هذا النص على ظهر المخطوطة التى بأيدينا ، وهى مخطوطة المغرب التى أحضرها الدكتور حسن عباس زكى ، وصورتها هيئة الكتاب بمصر .

وأخذت اللباب ، وصنته عما تفرد به وضاع وكذاب ، ففاق بذلك الكتب المؤلفة فى هذا النوع كالفائق[٤] ، والشهاب[٥] ، وحوى من الصناعة الحديثية ما لم يودع قبله فى كتاب ، وسميته الجامع الصغير من أحاديث الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، لأنه مقتضب من الكتاب الكبير الذى سميته «(جمع الجوامع)» وقصدت فيه جمع الأحاديث النبوية بأسرها ..أهـ .

٣ ـ «(الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير)» وهما للإمام السيوطى . جمعهما الشيخ النبهانى : وقال[٦] : لقد فرغ السيوطى من تأليف الجامع الصغير سنة ٩٠٧هـ وكانت وفاته سنة ٩١١هـ ، وقد وقع لكتابه هذا ـ يعنى الجامع الصغير ـ القبول التام .

ثم إن مؤلفه ـ رحمه الله تعالى ـ جعل له ذيلا سماه «زيادة الجامع» قال فى خطبته : هذا ذيل على كتابى المسمى بالجامع الصغير من حديث البشير النذير ، وسميته : زيادة الجامع ، رموزه كرموزه ، والترتيب كالترتيب ، وما توفيقى إلا بالله . أهـ . وقد رأيت من الصواب أن أجمعهما فى كتاب ، لأن زيادة الجامع يجب أن تكون به متصلة ... ...

فجمعتهما فى هذا الكتاب ... ... وسميته : الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير أهـ .

نقد الجامع الكبير

انتقد الحافظ عبد الرءوف المناوى[٧] كتاب السيوطى «الجامع الكبير» فقال : «(ومن البواعث على تأليف هذا الكتاب ـ أى الجامع الأزهر ـ أن الحافظ الكبير الجلال السيوطى ادعى أنه جمع فى كتابه «الجامع الكبير» الأحاديث النبوية مع أنه قد فاته الثلث فأكثر ، وهذا فيما وصلت إليه أيدينا بمصر ، ومالم يصل إلينا أكثر ، وفى الأقطار الخارجة عنهما من ذلك أكثر ، فاغتر بهذه الدعوى كثير من الأكابر ، فصار كل حديث يسأله عنه ، أو يريد الكشف عليه يراجع الجامع الكبير فإن لم يجده فيه غلب على ظنه أنه لا وجود له ، فربما أجاب بأنه لا أصل له ، فعظم بذلك الضرر ، لكون النفس إلى الثقة بزعمه الاستيعاب ، وتوهم أن ما زاد على ذلك لا يوجد فى كتاب ، فأردت التنبيه على بعض ما فاته فى هذا المجموع[٨])» .

ولقد وجه هذا النقد إلى الجامع الكبير نظراً لأن الجلال السيوطى نص بأنه «قصد به جمع الأحاديث النبوية بأرسها[٩]» وقال فى مقدمة الجامع الكبير : «هذا كتاب شريف حافل ، ولباب منيف رافل ، بجميع الأحاديث الشريفة النبوية كافل ، قصدت فيه إلى استيفاء الأحاديث النبوية ، وأرصدته مفتاحا لأبواب المسانيد العلية» . أهـ .

---

(٤) قال المناوى : الظاهر أن مراده بالفائق ، كتاب الفائق فى القول الرائق تأليف ابن غنام ، جمع فيه أحاديث من الرقائق على هذا النحو . أهـ .

(٥) قال المناوى : «الشهاب للقاضى أبى عبد الله القضاعى المصرى» أهـ .

(٦) من كلام الشيخ يوسف النبهانى فى مقدمة الكتاب ـ بتصرف .

(٧) صاحب فيض القدير بشرح الجامع الصغير ، ولد بمصر ، وتوفى بها فى سنة ١٠٣١ ويعد خاتمة الحفاظ ، وله الكثير من المصنفات وكتب السنة ، «انظر مقدمة الجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور» مصورة .

(٨) مقدمة : الجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور ص٣ من المصورة .

(٩) انظر مقدمة الجامع الصغير .

وقد علق الحافظ المناوى على هذه العبارة بقوله : « هذا بحسب ما اطلع عليه المؤلف لا باعتبار ما فى نفس الأمر ، لتعذر الاحاطة بها – أى بالأحاديث النبوية – وإنافتها على ما جمعه الجامع المذكور لو تم . وفى تاريخ ابن عساكر عن أحمد : صح من الحديث سبعمائة ألف وكسر ، وقال أبو زرعة كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث .. وقال البخارى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتى ألف حديث غير صحيح ، وقال مسلم : صنفت الصحيح من ثلثمائة ألف حديث إلى غير ذلك .

وقال الشيخ النبهانى – صاحب الفتح الكبير – عدة أحاديث الجامع الكبير من الأحاديث القولية مائة ألف حديث ، ومن الأحاديث الفعلية المحضة ، أو المشتملة على قول أو فعل أو سبب أو مراجعة مثلها[10] . أهـ .

ولم يُوَجَّه النقد إلى الجامع الكبير من جهة كونه يشمل الضعيف بل والموضوع أحيانا .

ذلك لأن الجلال السيوطى رحمه الله قرر أنه راجع لهذا الكتاب مجموعة كبيرة من كتب الحديث – وقد ذكرها كتابا كتابا – ومنها ما له مرتبة الصحة ، ومنها ما يحتوى على الصحيح والحسن والضعيف ، ومنها ما يعتبر أحاديثها من الضعيف جملة .

وأنه جعل العزو إلى هذه الكتب – على مراتبها التى أشرنا إليها – مُعْلِماً بدرجة الحديث .

ولو راجعنا عبارته التى ذكر فيها أسماء مراجعه لهذا الكتاب لوجدنا الكتب التى جمعت الضعيف بل والموضوع من الأحاديث ، تغلب على الكتب التى التزمت الصحيح ، ومعها الأخرى التى ورد بها الصحيح والحسن والضعيف .

ومن ثم فلم يكن غريباً أن نجد فى أحاديث الجامع الكبير – الضعيف والواهى بل والموضوع .

وحجة الجلال السيوطى هنا أنه قصد جمع الأحاديث النبوية بأسرها على ما أوضحناه .

نقد الجامع الصغير

لقد وجه النقد إلى الجامع الصغير من جهتين :

الأولى : الإشارة إلى درجة الحديث بطريقة الرمز لها .

ذلك أنها طريقة غير كافية فى التوضيح وبخاصة فيما اخْتُلِفَ فيه فى أحوال رجاله ، وفيما يكون من الموضوعات ، وتلتمس له الأسباب ، ليرمز إليه بالضعف « ض » .

وممن أشار إلى هذا الوجه من النقد . الحافظ المناوى[11] فى كتابه : « الجامع الأزهر » قال : « اذكر فيه كل حديث ، معقبا له ببيان حال راويه من الرجال ، وهو من أهل الضعف ، أو الكمال ، وهذه طريقة قد اندرست ، ومعالم عفت وانطمست ، وأعرض عنها الطالبون ، واقتصروا على منطوق المتن ومفهومه فيما يقرون ويقربون ، مع أن ذلك هو الأساس الذى عليه يؤصلون ويفرعون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون – فاعتنيت ببيان ذلك بصريح العبارة لا بطريق الرمز والاشارة » .

(١٠) انظر مقدمة الفتح الكبير .

(١١) مقدمة « الجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور » .

وأما الجهة الثانية من جهات النقد : فتتمثل فيما أخذ على « الجامع الصغير » أنه اشتمل على كثير من الأحاديث الموضوعة ، وقد نص الجلال السيوطى نفسه على وضعهـــا فى « الـــلآلىء المصنوعة » .

مع أنه اشترط على نفسه فى الجامع الصغير : أن يبالغ فى تحرير أحاديثه وأن يصونه عما تفرد به وضاع وكذاب[١٢] .

ومما وقع فى هذا الجامع مما وصف بالوضع :

١ ـ « إن الله يحب أن يرى عبده تعبا فى طلب الحلال » .

٢ ـ من أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكى .

٣ ـ لولا النساء لعبد الله حقا حقا .

٤ ـ المهدى من ولد العباس .

٥ ـ عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان فى قلوبكم ، وعليكم بلباس الصوف تجدوا قلة الأكل ، وعليكم بلباس الصوف تعرفون به فى الآخرة ، وإن لباس الصوف يورث القـــلب التفكر ، والتفكر يورث الحكمة ، والحكمة تجرى فى الجوف مجرى الدم ، فمن كثر تفكره قل طعمه ، وكل لسانه ، ورق قلبه ، ومن قل تفكره كثر طعمه ، وعظم بدنه ، وقسا قلبه ، والقلب القاسى بعيد من الجنة ، قريب من النار .

٦ ـ إن الله يحب الشاب الذى يفنى شبابه فى طاعة الله .

٧ ـ إن الله يحب الناسك النظيف .

٨ ـ من ربى صبياً حتى يقول : لا إله إلا الله لم يحاسبه الله عز وجل .

٩ ـ أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ، ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم .

١٠ ـ صلاة بعمامة تعدل خمساً وعشرين صلاة بغير عمامة ، وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بغير عمامة ، إن الملائكة ليشهدون الجمعة معتمين ، ولا يزالون يصلون على أصحاب العمائم حتى تغرب الشمس .

١١ ـ ركعتان بعمامة خير من سبعين ركعة بغير عمامة .

١٢ ـ كان لا يعود مريضاً إلا بعد ثلاث .

١٣ ـ تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز له العرش .

١٤ ـ ربيع أمتى العنب والبطيخ .

١٥ ـ أحبوا العرب لثلاث : لأنى عربى ، والقرآن عربى ، وكلام أهل الجنة عربى .

١٦ ـ البطيخ قبل الطعام يغسل البطن غسلا ، ويذهب بالداء أصلا .

١٧ ـ دفن البنات من المكرمات .

١٨ ـ الجمعة حج الفقراء .

١٩ ـ من سعادة المرء خفة لحيته .

٢٠ ـ من أصيب بمصيبة فى ماله أو جسده وكتمها ، ولم يشكها إلى الناس كان حقاً على الله أن يغفر له .

٢١ ـ إن من السرف أن تأكل ما اشتهيت .

٢٢ ـ كان إذا أشفق من الحاجة أن ينساها جعل فى يده خيطاً ليذكرها .

---

(١٢) انظر مقدمة السيوطى للجامع الصغير .

٢٣ ـ العلم خزائن ، ومفتاحها السؤال ، فاسألوا يرحمكم الله ، فإنه يؤجر فيه أربعة : السائل ، والمعلم ، والمستمع ، والمجيب له .

٢٤ ـ سألت ربى عز وجل أن لا يدخل أحداً من أهل بيتى النار فأعطانيها .

٢٥ ـ سألت الله أن يجعل حساب أمتى إلىَّ لئلا تفتضح عند الأمم ، فأوحى الله إلىّ : يا محمد : بل أنا أحاسبهم فإن كان منهم زلة سترتها عنك لئلا تفتضح عندك .

٢٦ ـ خيار أمتى علماؤها ، وخيار علمائها رحماؤها ، ألا وإن الله يغفر للعالم أربعين ذنباً قبل أن يغفر للجاهل ذنباً واحداً ، ألا وإن العالم الرحيم يجيا يوم القيامة ، وإن نوره قد أضاء يمشى فيه بين المشرق والمغرب كما يضىء الكوكب الدرى .

٢٧ ـ حامل القرآن حامل راية الإسلام ، من أكرمه فقد أكرم الله ، ومن أهانه فعليه لعنة الله .

٢٨ ـ اللحم بالبر مرقة الأنبياء .

٢٩ ـ غسل الإناء ، وطهارة الفناء يورثان الغنى .

٣٠ ـ من أحسن منكم أن يتكلم بالعربية فلا يتكلمن بالفارسية فإنه يورث النفاق .

٣١ ـ ثلاث من أخلاق الإيمان : من إذا غضب لم يدخله غضبه فى باطل ، ومن إذا رضى لم يخرجه رضاه من حق ، ومن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له .

٣٢ ـ لوقيل لأهل النار : إنكم ماكثون فى النار عدد كل حصاة فى الدنيا سنة لفرحوا بها ، ولو قيل لأهل الجنة : إنكم ماكثون فى الجنة عدد كل حصاة فى الدنيا سنة لحزنوا ، ولكنهم خلقوا للأبد والأمد .

٣٣ ـ الأكل مع الخادم من التواضع ، فمن أكل معه اشتاقت له الجنة .

٣٤ ـ من بات على طهارة ثم مات من ليلته مات شهيداً .

٣٥ ـ ركعتان من المتأهل خير من اثنتين من العزب .

٣٦ ـ كان إذا صلى مسح بيده اليمنى على رأسه ويقول : بسم الله الذى لا إله غيره الرحمن الرحيم : اللهم اذهب عنى الهم والحزن .

٣٧ ـ لا يدخل الجنة بخيل .

٣٨ ـ كان إذا سمع المؤذن قال : «حى على الفلاح . قال : اللهم اجعلنا مفلحين» .

٣٩ ـ من زنى زنى به ولو بحيطان داره .

٤٠ ـ وجبت محبة الله على من أغضب فحلم .

وأمثال هذا الذى أوردناه كثير فى الجامع الصغير .

وقد يكون من حجة السيوطى لإيراد هذه الأحاديث الموضوعة أن لها طرقا تَخْرُج بها عن الوضع ، وإن كانت هذه الطرق ضعيفة . أو أنها جاءت من طريق البيهقى فى تصانيفه ، وقد «التزم أن لا يخرج فيها حديثا يعلمه موضوعاً»(١٣) .

كل هذا مما يحتمل أنه استند إليه لكننا يؤخذ على الجلال السيوطى أنه لم ينبه إلى وضع شىء من هذه الأحاديث . علماً بأنه وصفها بالوضع فى كتب أخرى غير «الجامع الصغير» كاللآلىء المصنوعة وغيرها .

---

(١٣) راجع تدريب الراوى ١/٢٨٠ .

خاتمـــة

تحدثنا عن علم الحافظ السيوطى ـ رحمه الله ـ وتبحره ، وتحنثه للحديث حتى استقرت له ملكة الحفظ بمولمامة النقد والتخريج .

ونوهنا بتمكنه من قواعد هذا العلم ، وسبق هذا الامام فى التمييز بين مراتب الرواية .

وعرضنا أشهر مصنفاته فى هذا المجال . وكان اهتمامنا بجوامعه : الجامع الكبير ، والجامع الصغير ، والزيادة على الجامع الصغير .

وانتهى بنا الدرس إلى أنه كان دقيقاً ، عادلا ، واسع المعرفة ، فى تعليقه على الكثير من كتب الحديث ، وتخريجه لها .

لكنه لم يلتزم بالمقبول من الحديث فى جامعه الكبير ، وحجته فى هذا أنـــه قصد به جمع الأحاديث النبوية بأسرها .

وقد أُخِذَ عليه أنه قد أفلتت من مقابـ..ـه واحتياطه فى الجامع الصغير كثير من الأحاديث الواهنة والمتروكة ، بل والموضوعة .

وهو الذى قال عن الجامع الصغير : « (لخصت فيه من معادن الأثر إبريزه ، وبالغت فى تحرير التخريج فتركت القشر ، وأخذت اللباب ، وصنته عما تفرد به وضاع وكذاب) » .

هذا ما يبدو فى ظاهر الأمر ، ولعل للسيوطى حجة فى هذا تدفع عنه تهمة التراخى فى نقد هذه الأحاديث .

ولعله يتابع الحافظ الثقة : أحمد بن صالح فى قوله : « لا يترك حديث رجل حتى يجتمع الجميع على ترك حديثه »[١٤] .

وقد نقل الحافظ السيوطى عن الحافظ أبى الفضل بن طاهر فى شروط الأئمة الستة قوله : « كتاب أبى داود والنسائى ينقسم على ثلاثة أقسام :

الأول : الصحيح المخرج فى الصحيحين .

الثانى : صحيح على شرطهما ، وقد حكى أبو عبد الله بن منده أن شرطهما إخراج أحاديث أقوام لم يجمع على تركهم إذا صح الحديث باتصال الإسناد من غير قطع ولا إرسال ، فيكون هذا القسم من الصحيح ، إلا أنه طريق طويل دون طريق البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، بل طريقه طريق ما ترك البخارى ومسلم من الصحيح ، لما بينا أنهما تركا كثيرا من الصحيح الذى حفظاه .

القسم الثالث : أحاديث أخرجاها ـ أى أبو داود والنسائى ـ من غير قطع منهما بصحتها ، وقد أباناً علتها بما يفهمه أهل المعرفة ، وإنما أودعا هذا القسم فى كتابهما لأنه رواية قوم لها ، واحتجاجهم بها ، فأورداها وبينا سقمها لتزول الشبهة[١٥] ـ وذلك إذا لم يجدا له طريقا غيره ، لأنه أقوى عندهما من رأى الرجال .. أهـ .

---

(١٤) رواه الخطيب البغدادى بسنده . وهذا النص وارد فى علوم الحديث لابن الصلاح ، تحقيق الدكتور نور الدين عنتر ص١١٣ . وأحمد بن صالح . هو أبو صالح المصرى كاتب الليث بن سعد توفى سنة ٢٢٠هـ روى له البخارى وأبو داود والترمذى وابن مالك .

(١٥) راجع هذا النص ـ بشروط الأئمة الستة ، للحافظ أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى المتوفى سنة ٥٠٧هـ ـ تعليق الشيخ زاهد الكوثرى ص ١٣ ، ١٤ ـ مكتبة عاطف ـ بالأزهر .

كما نقل السيوطى عن ابن الصلاح : قال : حكى أبو عبد الله بن منده أنه سمع محمد بن سعد البارودى بمصر يقول : كان من مذهب أبى عبد الله النسائى أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه .

قال الحافظ العراقى : وهذا مذهب متسع .

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر فى نكته على ابن الصلاح : ما حكاه عن البارودى أن النسائى يخرج أحاديث من لم يجمع على تركه ، فإنه أراد بذلك إجماعا خاصا ، وذلك أن كل طبقة من نقاد الرجال لا تخلو من متشدد ومتوسط .

فمن الأولى : شُعْبَةُ ، وسفيان الثورى ؛ وشعبة أشد منه .

ومنَ الثانية : يحيى القطان ، وعبد الرحمن بن مهدى : ويحيى أشد من عبد الرحمن .

ومن الثالثة : يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل : ويحيى أشد من أحمد .

ومن الرابعة : أبو حاتم ، والبخارى ؛ وأبو حاتم أشد من البخارى .

فقال النسائى : لا يترك الرجل عندى حتى يجتمع الجميع على تركه ، فأما إذا وثقه ابن مهدى ، وضعفه يحيى القطان مثلا فإنه لا يترك ؛ لما عرف من تشديد يحيى ، ومن هو مثله فى النقل[١٦] .. أهـ .

ونقول : كذلك نقل الإمام ابن حجر فى شرح النخبة ص٤٠ ـ مقولة الإمام النسائى هذه .

وقد التفت الشيخ يوسف النبهانى إلى ما وجه من نقد إلى الإمام السيوطى فى جامعه الصغير ، فقال : ولا « يخفاك » أن انتخابه الجامع الصغير منه « أى الجامع الكبير » ثم انتخابه الزيادة يقضى بأنه لم يذكر فيه شيئاً من الأحاديث الواهية .. فإذنْ جُلُّ أحاديثهما هى ما بين صحيح وحسن . والضعيف قليل بالنسبة إليهما ، وقد نبه الشراح على كثير من ذلك ، مع أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال كما هو مقرر .[١٧] أهـ .

هذا : وقد اعتذرت من قبل للإمام السيوطى[١٨] بأنه قد يكون من حجته لإيراد هذه الأحاديث التى انتقدت على الجامع الصغير ، أن لها طرقاً تخرج بها عن مرتبة الوضع ، وإن كانت طرقا ضعيفة ، أو أنه رواها عن طريق البيهقى فى تصانيفه . وقد التزم أن لا يخرج فيها حديثا يعلمه موضوعا[١٩] .

وكنا قد أوردنا رأى السيوطى فى الحديث الضعيف الذى يروى من وجوه ضعيفة لا يحصل من مجموعها أنه حسن ، ونقلنا عنه قوله : وأما الضعيف لفسق الراوى أو كذبه فلا يؤثر فيه موافقة غيره له إذا كان الآخر مثله لقوة الضعف وتقاعد هذا الجابر ، نعم يرتقى بمجموع طرقه عن كونه منكراً ، أو لا أصل له ، صرح به شيخ الإسلام ، وقال : بل ربما كثرت الطرق حتى أوصلته إلى درجة المستوى السيء الحفظ .. أهـ[٢٠] .

---

(١٦) من مقدمة : « زهر الربا على المجتبى » ص١٠ ـ جـ١ ـ مصطفى البابى الحلبى مصر .

(١٧) من مقدمة : الفتح الكبير ص٥ . ط مصطفى الحلبى .

(١٨) صفحة ٢٨ من هذه الدراسة .

(١٩) انظر تدريب الراوى ١/٢٨٠ .

(٢٠) صفحة ٨ من هذه الدراسة وتدريب الراوى ١/١٧٧ .

الإمام الحافظ
جلال الدين عبدالرحمن السيوطى
وأثــــره فى أصــــول الفقــــه

للدكتور/ محمد إبراهيم الحفناوى
(الأزهـر)

تناول الباحث علم الأصول عند السيوطى ، وبين أن السيوطى ـ رحمه الله ـ لم يتبحر فى علم الأصول كما تبحر فى علوم الفقه والتفسير وغيرهما من العلوم السبعة التى برز فيها ، ثم وضح الباحث الفرق بين الاجتهاد والقياس .

والاجتهاد لابد منه فى فهم الشريعة حيث أن استنباط الأحكام فى الأدلة لا يكون إلا عن طريقه ، وهو فى نظر جمهور الأصوليين أعم من القياس ؛ لأنه يشمل بذل الجهد فيما لا نص فيه للوصول إلى الحكم .

أما القياس فهو قاصر على إلحاق مالانص فيه على ما فيه نص . فضلا عن أن طرق الاجتهاد متعددة ، وتشمل **بذل الجهد** فى فهم النصوص ، وفى التوفيق بين ما ظاهره التعارض ، وفى التأويل والترجيح ونحو ذلك .

أما القياس فليس له إلا طريقة واحدة هى البحث فى علة الحكم لتعزى هذا الحكم إلى واقعة وجدت فيها علته .

والاجتهاد شيء ضرورى جداً نظراً لنوع الحوادث ، وبابه مفتوح لمن تتوافر فيه الشروط .

ثم الاجتهاد المحتاج إليه فى عصرنا هذا « هو الاجتهاد الجماعى » وذلك نظرا لدقة المواضيع وتنوع الحوادث والوقائع حيث لا يكفى الاجتهاد الفردى مع أنه لا غنى عنه ؛ لأنه هو الذى يثير الطريق أمام الاجتهاد الجماعى .

ثم قام الباحث بعمل دراسة موجزة حول كتاب « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض » وتلك هى دراسته :

دراسة موجزة حول كتـــاب

((الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر))

هذا الكتاب مقطوع بصحته إلى الإمام السيوطى وهو مطبوع يقع فى ١٣٣ صفحة ، وقد استفتحه بالثناء على الله تعالى بما هو أهله . والصلاة والسلام على رسوله ـ ﷺ ـ ثم بين سبب تأليفه الكتاب فقال :

إن الناس قد غلب عليهم الجهل وعمهم ، وأعماهم حب العناد ، وأصمهم ، فاستعظموا دعوى الاجتهاد ، وعدّوه منكراً بين العباد ، ولم يشعر هؤلاء الجهلة أن الاجتهاد فرض من فروض الكفايات فى كل عصر ، وواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة فى كل قطر .

وقد اشتمل هذا الكتاب على أربعة أبواب :

تحدث الشيخ فى الباب الأول عن حكم الاجتهاد ، وأبان أنه من فروض الكفايات ، وساق نصوصاً كثيرة للأئمة تعضد ما ذهب إليه .

أما الباب الثانى فقد تكلم فيه عن مسألة خلو الدهر أو العصر عن مجتهد ، واهتم بنقل أقوال العلماء من كل المذاهب لتأييد ما ذهب إليه من عدم جواز خلو الدهر أو العصر عن مجتهد .

ومن العجب أنه جعل عنوان الباب « ذكر نصوص العلماء على أن الدهر لا يخلو عن مجتهد ، وأنه لا يجوز عقلا أى لا يمكن خلو العصر منه » .

وأرى أنه لو تناول الكلام عن مسألة خلو العصر عن مجتهد عن طريق حصر الأقوال ، وذكر أدلة كل قول لكان ذلك أجدى للقارئ وأنفع للباحث ، ولكنه رحمه الله كان يركز على تأييد ما يراه حقاً بنقل نصوص العلماء ومعلوم أن نصوص العلماء ليست أدلة ، وإنما يستأنس بها فقط لفهم ما يعزّ فهمه .

والحق أن مسألة خلو العصر عن مجتهد تكلم فيها العلماء كثيراً وخلاصة ما يقال فيها :

إنه عند ظهور أشراط الساعة الكبرى مثل خروج الدجال ، وطلوع الشمس من المغرب يجوز أن يخلو الزمان عن مجتهد قائم لله بالحجة لقوله ـ ﷺ ـ : « لا تقوم الساعة على أحد يقول : « الله الله » [1] وقوله ـ ﷺ ـ : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » [2] .

أما قبل أشراط الساعة فقد اختلف العلماء فى جواز خلوا العصر عن مجتهد على قولين [3] :

الأول : يجوز خلو العصر عن مجتهد .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١ / ٧٣ .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ١ / ٤٣٥ .

(٣) راجع أدلة هذين القولين فى كتابنا « تبصير النجباء بحقيقة الاجتهاد والتقليد ، والتلفيق ، والافتاء » .

وهذا قول أكثر العلماء .

الثانى : لا يجوز أن يخلو العصر عن مجتهد .

وهذا هو قول الحنابلة ، وبه جزم أبو إسحاق الإسفرايينى والزبيرى ، ونسبة أبو إسحاق إلى الفقهاء ، وتحمس له جلال الدين السيوطى .

والذى رأيته بعد استعراض أدلة هذين القولين أن النزاع بين العلماء فى هذه المسألة نزاع لفظى فقط حيث لم يتوارد فى النفى ، والإثبات على محل واحد ، فمن قال بجواز خلو الزمان عن مجتهد أراد الخلو عن المجتهد المطلق المستقل الذى يبنى اجتهاده على أصول وقواعد وضعها هو كالأئمة الأربعة .

ومن قال بعدم جواز خلو الزمان عن مجتهد أراد المجتهد المطلق المنتسب أو المجتهد فى المذهب أو المجتهد فى الفتوى .

وبهذا يجمع ويوفق بين القولين .

ولقد توافر المجتهد المطلق المستقل فى القرون الأولى لأنهم كانوا يطلبون العلم للعلم فأعطاهم الله مع العلم نوراً .

أما أكثر العلماء الآن فلم تتوافر فيهم شروط الاجتهاد المطلق مع كثرة الكتب والمراجع وسهولة تداولها ، وذلك نظراً لأن طلب العلم الآن ليس من أجل العلم ، وإنما هو من أجل الوصول إلى كسب دنيوى مع إيمانى المطلق بأن الله عظيم ، وليس من المستحيل أن يظهر من المسلمين الآن من يبلغ درجة الاجتهاد المطلق إن أُكرم العلماء ، وهُيئت لهم حياة معيشية كريمة لا يحملون معها همّاً لطعام أو شراب أو ملبس ، أو مركب فإنهم حينئذ ينصرفون للبحث ، والاجتهاد والنظر ، والاستنباط .

هذا وقد ختم الشيخ الباب بالرد على القائلين بأن المجتهد المطلق قد فقد من قديم ، وانتصر لقوله بأن المجتهد المطلق لم يفقد ، ثم صرح بأنه وصل إلى درجة الاجتهاد المطلق .

أما الباب الثالث فضمنه توجيهات السلف والخلف التى تحث على الاجتهاد ، وتحض عليه ، وتنهى عن التقليد وتذمه ، وساق أسماء عدة كتب تنهى عن التقليد منها :

١ ــ فساد التقليد للمزنى صاحب الإمام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ .

٢ ــ التسديد فى ذم التقليد لابن دقيق العيد رحمه الله .

٣ ــ إبطال التقليد لابن حزم رحمه الله .

وقد تصدى الشيخ فى هذا الباب لمناقشة المجيزين للتقليد ، وتحدث عن نشأته ، وأبان أنه حدث فى القرن الرابع الهجرى .

وقد أطال النفس فى هذا الباب وتحدث فيه حديث العالم الواعى الفاهم .

أما الباب الرابع فجعل عنوانه « فوائد منثورة تتعلق بالاجتهاد » .

وقد ذكر فى هذا الباب سبعاً وأربعين فائدة ، والذى يلفت النظر عند قراءتها أنها كلها ــ عدا اثنين ــ عبارة عن قول من أقوال العلماء المتقدمين ، ولو لم يكن للشيخ فى هذا الباب إلا حصر هذه الفوائد المتناثرة فى بطون الكتب وجمعها فيه لكفى حيث إن فى ذلك تسهيلًا على القارئ والباحث .

هذا والكتاب لا يختلف إثنان فى أنه مفيد فى موضوعه رجع إليه كل من قرأ أو كتب فى هذا الموضوع . وهو فى نظرى عبارة عن موجز جامع لكل جزئيات المسألة ، ولا يمكن لأحد أن يكتب بإطناب فى هذا الموضوع إلا إذا رجع إليه واستفاد منه .

الإمام السيوطى فقيهـــا

للدكتورة / أمينة محمد بن يوسف الجابر
(قطـــر)

ذكرت الباحثة أن البعض درس الفقه فى مذاهبه المختلفة دراسة ألمت بالأصول والفروع وأحاطت بالجزئيات والكليات ، ووقفت على ما كان بين الفقهاء من جدل وحوار ومن ثم نبغ فى الفقه واجتهد فيه ، وكانت له أراؤه ومؤلفاته التى تشهد له ، بالنبوغ والاجتهاد .

كما قامت باستعـــراض منهج السيوطـــى الفقهى ، وبينت أنـه منهج يقـوم على النقـل والعقل ، وذلك قدر يتفق فيه جميع الفقهاء ، لكن الفرق بين فقيه وآخر هو فى فهم النقل (أى النص) ، وفى استعمال العقل ، والبعض كان النقل لديه يحتل مساحة واسعة من فقهه ، ومع هذا كان للعقـل دَوْرُهُ ومنزلتـه فى هذا الفقه .

ومنزلة السيوطى الفقهية تظهرها أربعة أمور وهى : مؤلفاته الفقهية ، وآراؤه الاجتهادية ، ودعوتـه إلى الاجتهاد ، ومحاربتـــه التقليـــد والبدع ، وإلى القارئ منهج السيوطى الفقهى ومنزلته الفقهية من هذا البحث :

منهج السيوطى الفقهى

كلمة المنهج يقصد بها الخطوات المنظمة التى يأخذ بها الباحث أو العالم فى معالجة الموضوعات التى يقوم بدراستها ، أو أن المنهج هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار الكثيرة [1] .

فكل باحث أو عالم لا يستطيع أن يقدم دراسة لموضوع ما أو مشكلة ما إلا إذا اتبع منهجاً وأسلوباً علمياً ، لأن المنهج هو الذى يدل على الخطوات التى يجب السير عليها حتى ينتهى الباحث إلى النتيجة العلمية لدراسته .

وكان علماؤنا منذ القدم لهم منهجهم وأسلوبهم الذى تميزوا به ، وكان السيوطى وهو من الأعلام المجتهدين يأخذ فى كتبه وفتاويه بالمنهج العلمى ، فهو فى مؤلفاته يقسمها إلى كتب أو فصول أو

---

(١) راجع مقدمة فى المنهج للدكتورة / عائشة عبد الرحمن ، ص ١٣ ط. القاهرة .

أبواب . ويقدم لها بمقدمات تشير إلى الموضوع الذى يدرسه وأهميته ومصادره .

وأما منهجه وبخاصة فى دراساته الفقهية ، فإنه أولًا منهج تحرر من المذهبية بمفهومها الضيق ، أى أن يكون الفقيه فيما يقول فيه مقيدًا بآراء المذهب واجتهادات فقهائه ، وهو مع تحرره من هذه المذهبية ـ وإن اعترف بأنه يسير على طريقة الإمام الشافعى [٢] ـ كان يذكر كل آراء فقهاء المذاهب بأدلتها النصية ، والعقلية ، ثم يناقش ويحلل هذه الآراء ويأخذ منها ويرد عليها ، ويصل من هذا إلى الرأى الذى يراه ويدعمه بالأدلة وهو فى مناقشته وتحليله يعول على الأدلة النصية أولًا ثم الأدلة العقلية كالقياس الذى كان يلجأ إليه كثيراً .

ففى موضوع صلاة الضحى ، ذكر أن هناك من أنكر استحبابها ، وتمسك فى هذا ببعض الآثار ، وقد رد السيوطى على موقف المنكرين ، بأن أورد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ما يستدل منها على استحباب هذه الصلاة ، والترغيب فيها ، وأشار إلى الآراء فى عدد ركعاتها ، ثم عقب على هذا كله بقوله :

وقد علمت مما تقدم أنه لم يرد حديث بانحصار صلاة الضحى فى عدد مخصوص ، فلا مستند لقول الفقهاء أن أكثرها اثنتا عشرة ركعة ، وبعد أن ذكر بعض النصوص التى تدل على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يصليها يوماً ركعتين ويوماً أربعاً ، ويوما ستاً ، ويوماً ثمانياً ، توسعة على أمته ، ثم قال : والذى نختاره عدم انحصارها فى اثنتى عشرة ركعة .

فالسيوطى لم يأخذ بما ذهب إليه الفقهاء فى عدد ركعات صلاة الضحى ، فلا دليل لهم على ما أخذوا به ، والذى يختاره أو يراه هو عدم انحصارها فى عدد معين من الركعات ، وهذا ما جاء عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) [٣] .

وكان من منهج السيوطى أن ما لا نقل فيه لديه يجريه على القواعد الفقهية ، ففى مسألة من اقتدى بالإمام مسبوقاً فركع قبل أن يتم الفاتحة ، وشك هل أدرك زمناً يسع الفاتحة ، ولكن اشتغل بشىء آخر ، فهذان أصلان متعاضدان كل منهما يقتضى ما قلناه [٤] .

ومن منهجه أيضاً أنه لا يقضى فى أمر إلا بعد الاطمئنان إلى صحة ما يقول به ، فهو يتريث ويتأنى ولا يعجل فى الحكم ، ففى مسألة المأموم الذى اشتغل عن التشهد الأول بالسجود الذى قبله فلما فرغ من السجود وجد الإمام قد تشهد وقام فما الذى يفعله هل يتشهد ثم يقوم أو يترك التشهد ويقوم ؟

وقال الإمام السيوطى فى الجواب : قد تردد نظرى فى هذه المسألة مرات ، والذى تحرر لى بطريق النظر [٥] أن له ثلاثة أحوال :

الأول : أن يكون هذا البطء القراءة فتأخر لاتمام الفتحة ، وفرغ منها قبل مضى الأركان المعتبرة ، وأخذ فى الركوع وما بعده فلما فرغ من

---

(٢) راجع كتاب الرد على من أخلد إلى الأرض ، ص ٩٨ ، للسيوطى .

(٣) راجع الحاوى للسيوطى جـ ١ ص ٣٩ ـ ٤٧

(٤) نفس المرجع جـ ١ ص ٤٩

(٥) يقصد به الاجتهاد .

السجود قام الإمام من التشهد وهذا حكمه واضح فى التخلف للتشهد وسقوط القراءة عنه إذا قام وقد ركع الإمام ظاهر .

والثانى : أن يكون أطال السجود غفلة وسهواً . وهذا لا سبيل إلى تركه التشهد الأول لأنه لزمه بالمتابعة ، ولكن الأوجه عندى أن يجلس جلوساً قصيراً ، ولا يستوعب التشهد لأنه لا يلزمه بحق المتابعة إلا الجلوس دون ألفاظه ..

والثالث : أن يكون أطال السجود عمدًا ، وهذا أولى من الحال الثانى بتقصير الجلوس ، أما سقوط القراءة فلا سبيل إليه جزماً لأنه غير معذور أصلًا .

فهو فى هذه المسألة تصور لها عدة احتمالات ، وأخذ يقلب الرأى فيها ويحكم لكل حالة بما يناسبها[٦] .

وكان من منهج السيوطى الفقهى أنه يستعين بالقياس لدعم رأيه فهو يقول عن المندوب : إنه تارة يكون بالنص ، وتارة يكون بالقياس[٧] .

كذلك كان من سمات المنهج مراعاة العرف الصحيح ، ففى حديثه عن بعض المهن وكلام الفقهاء فى الكفاءة فى النكاح يقول : رعْى الغنم لم يكن صفة نقص فى الزمن الأول ولكن حدث العرف بخلافه ولا يستنكر ذلك ، فرب حرفة هى نقص فى زمان دون زمان ، وفى بلد دون بلد ، ويشهد لذلك كلام الفقهاء فى الكفاءة فى النكاح وفى المروءة فى الشهادات[٨] .

فمنهج السيوطى الفقهى منهج يقوم على النقل والعقل ، وهذا ما يتفق فيه جميع الفقهاء ، ولكن الفرق بين فقيه وآخر هو فى فهم النقل ، وفى استعمال العقل ، والسيوطى كان النقل لديه يحتل مساحة واسعة من فقهه ، ومع هذا كان للعقل دوره ومنزلته فى هذا الفقه ، كما كان استقراء الآراء من خصائص المنهج الفقهى لدى السيوطى ، بالإضافة إلى اجتهاداته وآرائه التى تدل على أنه مجتهد مطلق[٩] ، فمنهج السيوطى الفقهى يمكن وصفه بأنه منهج استقرائى للنصوص والآراء ، ومنهج وصفى تحليلى ، ومنهج عقلى اجتهادى ، وبهذا المنهج استحق أن يدخل التاريخ من أوسع أبوابه وأن يكون رائداً من رواد التجديد والإصلاح والاجتهاد فى العالم الإسلامى .

منزلة السيوطى الفقهية

لا يختلف الناس فى الحكم على منزلة إنسان إلا إذا كان يتمتع فعلًا بمواهب وقدرات يتفاوتون فى بيان منزلته ، أما الإنسان العادى الذى لا يعرف بموهبة أو طاقة مبدعة فلا يختلف أحد حول الحكم عليه .

والتاريخ منذ القدم شاهد على ذلك لكل العظماء والمصلحين والمفكرين ، فهناك من مَجَّدَهم ، والتمس لأخطائهم الأعذار ، وهناك من حاول تشويه مكانتهم والغض من قدرهم .

والسيوطى لم يسلم من هذا ، لقد أثنى عليه بعض العلماء ثناءًا مستطاباً ، على حين وجه إليه آخرون سهام نقد لاذعة ، ولكن الانصاف يقتضى أن نقرر أن السيوطى من حيث منزلته

---

(٦) راجع الحاوى ، جـ ١ ص ٥

(٧) نفس المرجع ، ص ١٩٢

(٨) راجع الحاوى ، جـ ١ ص ٢٤١

(٩) هذا رأى الباحثة .

الفقية كان مجتهداً مطلقاً . فشروط هذا المجتهد قد تحققت فيه ، فهو يعرف مصادر الاجتهاد وحافظ للسنة وجامع لها وشارح أيضاً . وعلى دراسة دقيقة بطرق الاجتهاد التى تحدث عنها علماء الأصول كالقياس والعرف وسد الذرائع ، وهو مع هذا فقيه فى العربية ومتمكن من أصولها وقواعدها ، كما أنه دارس للتراث الفقهى كله ، ويضاف إلى كل هذا أنه كان على الرغم من عزلته فى العقدين الأخيرين من عمره كان على صلة بواقع عصره ومشكلات مجتمعه ، فهو إذن فقيه مجتهد مطلق كما عبر عن نفسه فى أكثر من كتاب من كتبه (١٠) .

وأوضح دليل يشهد للسيوطى بأنه مجتهد مطلق آراؤه التى قال بها فى كثير من المسائل ، فهى تعبر عن عقلية مستقلة ، ونظر خاص واجتهاد ذاتى ..

وإذا كان السيوطى قد حمل لواء الدعوة إلى الاجتهاد وحارب المقلدين ، فإنه بهذا يدعو غيره إلى أن يجتهد ، وغير معقول أن ينادى بالاجتهاد وهو مقصر فيه أو عاجز عنه ، وإلا خالف قوله فعله ، ولم يكن لما ينادى به ، ويحض عليه ، أثر فى عصره وبعد عصره ..

إن إمامـــاً مجتهداً كالشوكانى (ت : ١٢٥٠ هـ) يعتـرف للسيوطـى بالاجتهاد والنبوغ (١١) ، ويبين أن سبب طعن السخاوى عليه هو بلوغ السيوطى درجة الاجتهاد ودعواه ذلك ، ويقول إن من دأب الناس فى كل زمان ومكان أن يناوىء بعضهم من بلغ مرتبة الاجتهاد ، وأنه قد جرت عادة الله سبحانه كما يدل عليه الاستقراء رفع شأن من عُودِىَ بسبب علمه وتصريحه بالحق ، وانتشار محاسنه بعد موته ، وارتفاع ذكره وانتفاع الناس بعلمه ، وهكذا كان أمر السيوطى ، فإن مؤلفاته انتشرت فى الأقطار ، وسارت بها الركبان إلى الانجاد والأغوار ورفع الله له من الذكر والحسن والثناء الجميل ما لم يكن لأحد من معاصريه والعاقبة للمتقين (١٢) .

إن منزلة السيوطى الفقهية تحددها أمور أربعة :

أولا : مؤلفاته التى غلب الدراسة المقارنة بين فقهاء المذاهب الأربعة .

ثانيا : آراؤه الاجتهادية التى انفرد بها أو رجحها وهى كثيرة ومبثوثة فى كتبه .

ثالثاً : دعوته الملحة إلى الاجتهاد ووضع قيود علمية لمن يجتهد ويفتى .

رابعاً : محاربة التقليد والبدع والخرافات فهى فى جوهرها دعوة لاحتواء العقل ، وفهم الشرع ، والتوسط والاعتدال فى كل شىء .

والخلاصة :

أن السيوطى الفقيه قد كملت عنده آلات الاجتهاد كما يقول ، وألف فى الأصول والفروع ، واجتهد ولم يقلد ، وحض على الاجتهاد . وحارب البدع والمنكرات حتى لا يخرج الناس فى عبادتهم لربهم عن سواء السبيل ، ولكل هذا كان مجتهداً مطلقاً . وكان مصلحاً واستحق أن يكون مجدد القرن التاسع رحمه الله .

---

(١٠) راجع حسن المحاضرة جـ ١ ص ٣٣٩ : والرد على من أخلد إلى الأرض ص ٩٨ .

(١١) راجع إرشاد الفحول ، ص ٢٥٤

(١٢) راجع البدر الطالع جـ ١ ص ٣٣٠

شخصية السيوطى وملامح عصره وبيئته من فتاويه

للأستاذ الدكتور / ناصر سعد الرشيد
(السعودية)

يرى الباحث أن التأليف فى الفتيا من أخطر التآليف على الإطلاق ، لأن أدوات الفتيا وشروطها وأهليتها ليست مثل غيرها ، كما أن الصفات التى يجب أن تتوافر فى المفتى صفات ليست بالضرورة متوافرة فى غيره من المؤلفين ، والسيوطى ممن تنطبق عليه مؤهلات الفتيا ، ويحمل كل مؤهلات المفتى من : علم واجتهاد وبصيرة وورع . ويوضح الدكتور / ناصر سعد الرشيد أن السيوطى حشد مئات المصادر المتنوعة لهذه الفتاوى ونقل مستشهدا تارة ، ومستأنسا تارة أخرى . ويقول الباحث :

ـ لا أبالغ إذا قلت : إننى لم آلف مصنف قبله أو بعده من سلفنا حشد مثلما حشد السيوطى من مصادر ونُقول . ثم استعرض بعد ذلك شخصيته ومنهجه ، وملامح عصره وبيئته من فتاواه : وفيما يلى نماذج من تلك الفتاوى كما وردت فى بحث سماحتـــه : ص ١٣ ، ص ١٥ ، ص ٢٦ ، ص ١٩ .

ملامح عصره وبيئته من فتاويه

كما هو شأن فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من علماء الإسلام جاءت فتاوى السيوطى سجلًا اجتماعياً ووثيقة تاريخية مهمة وشاهداً حضارياً وسأحاول أن أسوق نماذج من هذه الفتاوى تبين هذه الأشياء :

١ ـ عادات التهنئة بالمناسبات كالعيد والعام والشهر والولايات ونحو ذلك هل له أصل فى السنة ؟

كان هذا محل سؤال وجه إلى السيوطى فأجاب عنه برسالة سماها « وصول الأمانى بأصول التهانى » إنتهى فيها إلى قول القمولى فى الجواهر بعد أن استدل لعدد من التهنئات ومشروعيتها : « لم أر لأصحابنا كلاماً فى التهنئة بالعيدين والأعوام والأشهر كما يفعله الناس ورأيت فيما نقل من فوائد الشيخ زكى الدين عبدالعظيم المنذرى أن الحافظ أبا الحسن المقدسى سئل عن التهنئة فى أوائل الشهور والسنين أهو بدعة أم لا ؟ فأجاب بأن الناس لم يزالوا مختلفين فى ذلك والذى أراه إنه مباح ليس بسنة ولا بدعة .

٢ ـ ومن هذا الباب ما سئل عنه السيوطى فيما يتعلق بالمولد النبوى فى شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشرع ؟ وهل هو محمود أم مذموم ؟ وهل يثاب فاعله أو لا ؟ فأجاب السيوطى عن هذا السؤال بما سماه « حسن المقصد فى عمل المولد » وذكر فى إجابته معلومات اجتماعية وتاريخية هامة تتعلق بأحداث المولد وكيفيته وأول من أحدث فعله فقال :

« الجوانب عندى : أن أصل عمل المولد الذى هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة فى مبدأ أمر النبى ﷺ وما وقع فى مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التى يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبى ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف .

البقية صفحة ١٧٠٨

أثر الإمام السيوطى في علوم اللغة

(أ) منهجية الإمام السيوطى فى البحث اللغوى

للأستاذ الدكتور/ على القاسمى
(إيسيسكو)

بين الباحث أن معرفة أصل اللغة وطبيعتها تساعدنا كثيراً على فهم الإنسان ذاته ، وفكره ، وثقافته ، وعليه فإن مسألة (أصل اللغة) تحتل مكانة خاصة فى الدراسات الإنسانية ، للوصول إلى معرفة علمية تتناول أصل اللغة طرق الباحثون الغربيون ثلاثة أبواب رئيسية هى : علم الآثار وعلم الإنسان (الأنثربولوجيا) وعلم اللغة . ولكن أياً منها لم يُفض إلى المعرفة المنشودة .

ثم استعرض النظريات الغربية حول أصول اللغة خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين . وبين أن « هوكت » و « آشر » تمكنا من تحديد الفروق بين لغة الإنسان ولغة الحيوان فى أربع قضايا هى : الإنتاجية[1] ، والإحلال[2] ، وازدواجية النسق[3] ، والاكتساب[4] ، ونظرية هوكت وآشر عن التطور اللغوى تستند إلى ثلاثة أركان :

(ا) نظرية النشوء والارتقاء لدارون وجماعته من علماء التاريخ الطبيعى التى تزعم تطور أنواع حيوانية عليا إلى كائنات شبه بشرية وتطور هذه الأخيرة إلى الإنسان الحديث .

(ب) نتائج أبحاث اللغة حول خصائص لغة الإنسان ولغة الحيوان .

(جـ) فرضيات حول تطور الصيحات الحيوانية إلى لغة إنسانية متكاملة ، يقول الباحث :

إذا كنا نطمئن إلى نتائج علم اللغة الحديث القائمة على الملاحظة والتحليل الموضوعى للتوصل إلى خصائص لغة الإنسان وكيف تختلف عن صيحات الحيوان ، فإننا يمكن أن نقول بشىء من الأطمئنان كذلك : إن تحول تلك الصيحات إلى لغة بشرية بالكيفية التى وصفها « هوكت » و « آشر » هو مجرد إفتراض قائم على الخيال والحدس أكثر من قيامه على معطيات علمية موضوعية ، ناهيك باستناده من حيث الأساس إلى نظرية التطور والنشوء التى تعرضت لانتقادات عديدة أهمها عدم التمييز بين الصفات المكتسبة والجينات المتوارثة واستحالة وراثة الصفات المكتسبة .

وشرح بعد ذلك أصل اللغة فى التراث العربى الإسلامى ، وبين أن الشائع بين الدارسين للتراث اللسانى العربى تنازعته فرقتان : إحداهما تقول إن اللغة توقيف ووحى من الله .

والثانية تقول إنها اصطلاح وتواطؤ بين الناس . ولهذا نجد الإمام السيوطى يعنون الفصل الخاص بهذه المسألة فى كتابه « المزهر فى علوم اللغة » بالشكل التالى : فى بيان واضع اللغة : أتوقيف هى ووحى ، أم اصطلاح وتواطؤ ؟

ومن يمعن النظر فيما كتب عن الموضوع يجد أن هنالك فرقة ثالثة حاولت أن توفق بين الفرقتين المذكورتين .

ثم يدلى السيوطى بدلوه فى الموضوع فيقول .. فيما عنون له الباحث بـ :

منهجية الإمام السيوطى فى بحث أصل اللغة

نستطيع أن نستخلص موقف السيوطى من هذه القضية من الفقرات التى أوردها فى آخر الفصل تحت عنوان فرعى هو « ذكر الآثار الواردة فى أن الله تعالى علم آدم عليه السلام اللغات» حيث يقدم الحجج النقلية وخاصة تلك المستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، مما يكشف عن قناعته بأن اللغة توقيف ووحى . وهذه طريقة غير مباشرة للتعبير عن رأيه . فهو هنا

---

(١) **الإنتاجية** : تعنى أن لغة الإنسان نظام قادر على إنتاج عدد لا محدود من العبارات بعكس لغة الحيوان المحصورة فى صيحات محددة .

(٢) **والإحلال** : يعنى مقدرة الإنسان على أن يحل لغته محل أحداث بعيدة عنه زماناً ومكاناً أو تحل أموراً يتخيلها فى المستقبل عكس الحيوان الذى تقتصر لغته على أمور (آنية) حالية تقع تحت سمعه وبصره .

(٣) **ازدواجية النسق** : وتعنى أن لغة الإنسان تتكون من وحدات صوتية (حروف) يمكن تجزئتها فيتغير مدلول الألفاظ المكونة لها مثل (كاف) الخطاب لمذكر أو لمؤنث ـ بينما لغة الحيوان تتكون من وحدات صوتية محدودة ثابتة لا تتجزأ كصيحة الديك .

(٤) **والاكتساب** : يعنى أن لغة الإنسان تنتقل من الكبار إلى الصغار بالتعليم والتعلم ، وليس كذلك الحيوان .

لا يقـول كما قال ابـن فارس بطريقـة مبـاشرة « أقول : إن لغة العرب توقيف » .

ولكن من يمعن النظر فى كتاب (المزهر) يجد أن السيوطى قد أعرب عن رأيه فى هذه المسألة بطريقة مباشرة واضحة لا لبس فيها ، فهو يفتتح مقدمة الكتاب بالعبارات التالية :

« الحمد لله خالق الألسن واللغات ، واضع الألفـاظ للمعـانى بحسب ما اقتضتـه حِكَمُـهُ البالغات ، الذى علّم آدم الأسماء كلها ، وأظهر بذلك شرف اللغة وفضلها .. » .

وتدبيجه لهذه الافتتاحية لا يدل على حسن اختيـاره للحمدلـة المناسبـة لموضوع الكتـاب فحسب ، وإنما يكشف كذلك عن الأهمية التى يوليها لمسألة أصل اللغة وما يترتب عليها من نتائج أثناء بحث المسائل اللغوية الأخرى لاحقاً ، ولهذا أشار إليها فى تصديره .

النتائج والخلاصة :

يتضح مما تقدم ما يأتى :

١ ـ كان السيوطى مطلعاً على جميع ما كتبه العلماء العرب المتقدمون والمتأخرون مما له علاقة ببحث أصل اللغة مهمـا كان تخصص هؤلاء العلماء : اللسانيين والفقهاء والمفسرين والمحدثين والمؤرخين . وهـذا يدل على إحاطتـه التامـة بالموضوع الذى يتصدى للكتابة فيه ، ومعرفته الشاملة بمصادر البحث ومراجعة .

٢ ـ إن السيوطى فى هذا المبحث من كتابه (المزهر) لم ينتحل أقوال غيره ولم يغير فيها قليلاً هنا وهناك لينسبها لنفسه ، وإنما نقل أقوال العلماء فى تلك المسألة بكل دقة وأمانة ، فذكر الاسم كاملاً فى أغلب الأحيان ، وأشار إلى المصدر الذى استقى منه القول .

٣ ـ لم يقتصر عمل السيوطى على نقل مختلف أقوال العلماء فى هذه المسألة ، وإنما عمد إلى تجميع بعض الأقوال المتقاربة فى فحواها وتلخيصها ، كما عمد فى حالات أخرى إلى اختيار الأهم من تلك الأقوال .

٤ ـ لم يدل السيوطى برأيه بصورة مباشرة فى أصل اللغة فى هذا الفصل من فصول كتابه (المزهر) ، ولو أنه صرح به فى خطبة الكتاب عندما حمد الله (خالق الألسن واللغات) . وهو فى هذا الرأى مجرد تابع لجهور الفقهاء وليس صاحب نظر مبتكر .

٥ ـ فيما عدا العناوين الرئيسية والفرعية فى الفصل المذكور وما ورد من تلخيص لبعض الأقوال ، فإن جميع مادة الفصل منقولة بأكملها من مؤلفات العلماء الآخرين . وفى حالتى ابن فارس وابن جنى فإن السيوطى نقل فصلاً كاملاً من كتاب كل منهما .

ونستخلص من هذه الملاحظات أن السيوطى كان أميناً فى البحث العلمى لم يسرق من أعمال غيره ولم ينتحلها ، ولعل مما يؤيد هذا الرأى ما عرف عن هذا الشيخ الجليل من أمانة وعفة وكرم فى حياته العامة والخاصة . والأمانة كل لا يتجزأ . ويروى أن السلطان الغورى أرسل إلى السيوطى مرة خصّيا وألف دينار ، فأعتق الخصى ورد المال . وقال لرسول السلطان : لا تعد تأتينا قط بهدية ، فإن الله أغنانا عن مثل ذلك . ومن كانت له تلك العفة وذلك الكرم ، لا تمتد يده إلى الأعمال العلمية للآخرين .

* * *

وهذا بحث الأستاذ الدكتور شوقى ضيف :

تطبيق السيوطى لمصطلح الحديث على الرواية اللغوية

للدكتور/ شوقى ضيف

معروف أن السيوطى أغزر العلماء المصريين فى القرنين التاسع والعاشر للهجرة تأليفا فى مختلف العلوم اللغوية والإسلامية والتاريخية ، وخاصة فى الحديث النبوى والتفسير والفقه واللغة والنحو وأصوله وقواعده . وقد عد لنفسه فى كتابه « حسن المحاضرة » ثلاثمائة كتاب ، وعد له بروكلمان أربعمائة وخمسة عشر كتابا بين مطبوع ومخطوط ، وله فى كل علم كتاب أو كتب تعد أساسية فيه .

ومن أهم كتبه اللغوية (كتاب المزهر فى علوم اللغة وأنواعها) وهو فى مجلدين ، وقد افتتحه بتطبيق واسع لمصطلح الحديث على الرواية اللغوية ، وهى محاولة طريفة لعله أول من حاولها بين اللغويين .

ومن قديم عنى علماء الحديث بتوثيقه والتعرف على رواته ، حتى أصبحوا — على مر العصور — يشبهون مدينة يتعارف أهلها جميعا ، وهم مئات ، بل آلاف ، اذ ظل الحديث ينتقل من جيل الى جيل ، ولذلك يلقانا فيه راويه الأول ثم من أخذوه عنه وبعده طبقة بعد طبقة ، ويسمى ذلك سند الحديث ويذكر قبل متنه ، ولأن الحديث يحظى بالمنزلة الثانية بعد القرآن الكريم فى الشريعة الإسلامية بذل علماؤه جهوداً كبيرة فى دراسة متنه ورواته وصفوه من كل زيف وشائبه ، ووضعوا فى ذلك علوما كعلم رواته أو رجاله ، وعلم علله التى تضعفه ، وعلم مصطلحه أو مصطلحاته الذى يناقش صحته ومداها وضعفه ، وتكاثر هذا المصطلح منذ وضع ابن الصلاح مقدمته المشهورة ، والمصطلح يعد فيه بالعشرات . ومنذ القرن الثانى الهجرى يتأثر اللغويون بعلماء الحديث ، إذ نراهم يفحصون أحوال اللغويين جرحا وتعديلا ، وينصون على ذلك فى الرواية عنهم وفى كتب تراجمهم وطبقاتهم ، حتى يتميز الصادقون الموثقون منهم من الوضاعين المزيفين ، بل لقد تدارسوا كتب الأئمة ومعاجمهم ونقدوها ونصوا على ما لا يصح لغويا منها ، وتناقلوا فى كتبهم اللغوية أحيانا بعض ألفاظ من مصطلح الحديث ، غير أنهم لم يعنوا بجمعها ولا بتنسيقها وكان أهم من عنى بذلك فيما نظن السيوطى إذ افتتح بها كتابه « المزهر » ومضى يعرضها عرضا مفصلا من خلال ما ذكره

اللغويـون عنها قبلـه ، محاولا أن يحيـل صورة المصطلح فى الحديث ومباحثه الى صورة لغوية ، واستمر هذا الصنيع طويلا وأول مصطلح يقترضه من مصطلح الحديث لتطبيقه على اللغة مصطلح الصحيح ، ويقول ضابطه من اللغة ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه على حد الصحيح من الحديث وكما أن علمـاء الحديث يعرضون أول من صنف فى صحيح الحديث وهما البخارى ومسلم ويتحدثون عنهما وعن المستدرك عليهما ، كذلك يعرض السيوطى أول من صنف فى جمع اللغة وأهم المعاجم المدونة الصحيحة حتى القاموس المحيط . وينتقل إلى مصطلـح التواتـر وينقل عن ابن الأنبارى ما يماثل رأى المحدِّثين إذ يقول إن أكثر العلماء فى اللغة ذهبوا الى أن شرط التواتر أن يبلغ عدد النقلة فى اللغة حدا لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب كنقلة لغة القرآن وما تواتر من السنة وكلام العرب ، فإنهم انتهوا إلى حد يستحيل معه الاتفاق على الكذب ، ثم يذكر فى التواتر آراء أخرى ، ويقول إن الصحيح هو ماذكـره أولا ، وهـو نفس رأى المحدثين من الفقهاء . ويقابل بين مصطلح التواتر والآحاد فى اللغة ويقول هو ما تفرد بنقله بعض أهل اللغة ، يقول وهو دليل مأخوذ به ، وذلك أن الدليل الدال على أن خبر الواحد حجة فى الشرع يمكن التمسك به فى نقل اللغة آحاداً إذا وجدت الشرائط المعتبرة فى خبر الواحد ، فلعلهم أهملوا ذلك اكتفاء منهم بالأدلة على أنه حجة فى الشرع ، وقال القرافى إنما أهملوا ذلك فى اللغة ، لأن الدواعى الى الكذب متوفـرة فى الحديث لأسبابـه المعروفـة الحاملـة للواضعين على الوضع ، وأما اللغة فالدواعى إلى الكذب فيها بغاية الضعف ، ويرد عليه السيوطى قائلا إن الحق أن أهل اللغة لم يهملوا البحث عن أحوال اللغـات ورواتها جرحـا وتعديـلا ، بل فحصوا عن ذلك وبينوه .

ويتحدث عن مصطلح المرسل فى اللغة ، وهو بالضبط مثل المرسل فى الحديث ما انقطع سنده بين ناقله وراويه الأصلى كأن يروى ابن دريد فى القرن الرابع الهجرى عن أبى زيد اللغوى فى القرن الثانى الهجرى ، والأصل فى الحديث المرسل أنه ضعيف للجهالة بالساقط فيه من الرواة ، وبالمثل المرسل فى اللغة ، للجهل بأحوال الساقط من رواته ، وكما يذكر المحدثون أمثلة للمراسيل فى الحديث يذكر السيوطى أمثلة لها فى اللغة عند ابن دريد فى معجمه الجمهرة وفى أماليه ، ويسوى السيوطى فى اللغة بين المرسل والمنقطع كما صنع بعض علماء الفقه والحديث إذ قالوا انهما يطلقان على ما انقطع سنده على أى وجه ، وبذلك يتماثلان ويلم بمصطلح معرفة الأفراد ، وهو فى اللغة مثل الحديث ما انفرد بروايته عالم من أهل اللغة ولم ينقله أحد غيره ، ويقول السيوطى حكمه القبول إذا كان المنفرد به من أهل الضبط والاتقان مثل أبى زيد والخليل والأصمعى ، ويسوق نبذة منه عند طائفة من اللغويين الثقات . ويذكر مصطلح من تقبل روايته ومن ترد وما يتصل به عند المحدثين من القدح والجرح والتوثيق والتعديل ، ويذكر عن أبى الانبارى أنه يشترط فى ناقل اللغة أن يكون عدلا ، ويقبل نقل العدل الواحد ، ثم يذكر ما روى عن النساء والعبيد والصبيان والمجانين وأهل الأهواء والمجهول من أشعار الشعراء .

ويعرض السيوطى طرق تحمل الرواية اللغوية على ضوء الطرق المعروفة لرواية الحديث النبوى ،

وهى — فى رأيه ستة : أولها السماع من لفظ الشيخ أو العربى ، وهى أعلى الطرق ، ويسوق السيوطى لها أمثلة كثيرة ، ويجعلها مراتب ، أولاها أو أعلاها أن يقول أملى على فلان من مثل ما يتردد فى كتاب الأمالى للقالى من قوله أملى علينا أبو بكر بن دريد ويذكر سنده كاملا والنص الذى يرويه . ويلى ذلك « سمعت » من مثل قول ثعلب فى أماليه : يحكى عن الكسائى ويلى ذلك أن يقول حدثنى أو فلان من مثل قول ثعلب عن أماليه حدثنا ابن الأعرابى ، ويذكر السيوطى السند والنص . ويلى ذلك أخبرنى أو أخبرنا ، ودائما يحسن الإفراد إذا حدث وهو وحده ، والجمع وهو مع غيره . ويلى ذلك أن يقول قال لى فلان . ويلى ذلك أن يقول قال فلان بدون لى . ويلى ذلك أن يقول : عن فلان كقول القالى : أنشدنى أبو عمرو الزاهد عن أبى العباس عن ابن الأعرابى ، وهذه دقة شديدة فى بيان مراتب السماع . والطريق الثانى من طرق الأخذ للرواية اللغوية وتحملها القراءة على الشيخ ، ويقول عند الرواية : قرأت على فلان ، ويسوق من أمثلتها : قال القالى : قرأت على أبى عمر الزاهد قال حدثنا أبو العباس ثعلب عن ابن الأعرابى . والطريق الثالث السماع على الشيخ بقراءة غيره ، ويقول عند الرواية قرىء على فلان وأنا أسمع . والطريق الرابع الإجازة وذلك فى رواية الكتب والأشعار المدونة ، ومن أمثلتها قال ابن دريد أجاز لى عمى عن أبيه عن أبى الكلبى ، ويسوق ما أجاز له روايته ، وخامس الطرق فى الأخذ والتحمل المكاتبة من مثل قول ثعلب فى أماليه بعث إلى المازنى بهذه الأبيات ويذكرها . وسادس الطرق الوجادة مثل قول القالى فى أماليه : قال أبو بكر بن الأنبارى : وجدت فى كتاب أبى عن أحمد بن عبيد عن أبى نصر كان الأصمعى يقول : الجلل : الصغير اليسير ، ولا يقول الجلل : العظيم . وترك السيوطى من طرق التحمل والأخذ فى الحديث النبوى المناولة والإعلام والوصية ، ويبدو أنه لم يجد لها أمثلة عند اللغويين .

وعقب هذه الطرق يتحدث السيوطى عن المصنوع ويريد ما اصطلح عليه المحدثون باسم الموضوع ويهتم فى هذا الفصل بالمنحول من الشعر ، وينقل فيه عن ابن سلام فى كتابه طبقات فحول الشعراء ، ويترجم لأكبر وضاعين للشعر ، وهما وضاع الكوفة حماد الراوية ووضاع البصرة خلف الاحمر ، ويسوق أمثلة متعددة من الشعر الموضوع . ويفتح فصلا لعرض الفصيح يقتبس فيه كثيرا من كتب البلاغة ، وفيه يتحدث عن كتاب الفصيح لثعلب ويقول أنه التزم فيه الفصيح والأفصح مما فى كلام الناس ويذكر عناية علماء اللغة به ونقدهم له وبعض ما فيه من أخطاء ويعرض لرتب الفصيح ويسوق بعض أمثلته — ويعود إلى مصطلحات الحديث النبوى ومحاولة تطبيقها على الرواية اللغوية ، ويبدأ بالضعيف من الرواية اللغوية ويقول انه ما انحط عن درجة الفصيح ، ويقرن به مصطلح « المنكر » ويذكر أنه أضعف منه وأدنى درجة ، ويضم إليهما « المتروك » وهو ما كان يستعمل قديما ثم هجر واستعمل غيره ، ويسوق للمصطلحات الثلاثة الأمثلة وخاصة للضعيف .

ومما نقله السيوطى من مصطلح الحديث وحاول تطبيقه على الرواية اللغوية معرفة المفاريد وهى المسموع الفرد ، وله أحوال أحدها أن يكون فردا ولا نظير له فى الألفاظ المسموعة ، مع

إجماع العرب على النطق به ، وهذا يقبل ويحتج به ، والحال الثانية أن يكون فردا تكلم به واحد من العرب وخالف ما عليه الجمهور فإن كان فصيحا فى عدا ما انفرد به ، فيقبل ، ولا يحكم على الفصيح المخالف للجمهور بالخطأ ما دام القياس يعضده . والحال الثالثة أن يكون فردا تكلم به ولم يسمع من غيره ما يوافقه ولا ما يخالفه فينبغى قبوله إذا ثبتت فصاحته . أما لو جاء شىء من ذلك عن غير فصيح ولا وثيق أو عن متهم فإنه يرد ولا يقبل قوله . ويسوق السيوطى أمثلة من المفاريد فى الجمهرة وغيرها من كتب اللغة .

وكل هذا الذى ذكرناه من تطبيق السيوطى لمصطلح الحديث على الرواية اللغوية أشار إليه السيوطى فى مقدمته للمزهر قائلًا : « هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ، واخترعت تنويعه وتبويبه وذلك علوم اللغة وأنواعها ، وشروط أدائها وسماعها حاكيت به علوم الحديث فى التقاسيم والأنواع ، وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع ، وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ، ويعتنى فى تبيينها بتمهيد المسالك ، غير أن هذا المجموع لم يسبقنى إليه سابق ولا طرق سبيله قبلى طارق » فهو إذن كان يطبق مصطلح الحديث على الرواية اللغوية عن بصيرة ، واستطاع أن يجمع فيها ما وجده عند الأسلاف وأن يضيف إليه ــ كما يقول ــ عجائب وغرائب من الروايات ومن التقسيمات وأن يبوب مواد ذلك كله تبويبات دقيقة ، وهى تبويبات تدل ــ بوضوح ــ على أن السيوطى كان يحظى بملكة علمية خصبة ، وهى تتضح عنده فى جميع مصنفاته لغوية وغير لغوية ، مما ملأ نفوس قارئيه من قديم ــ إعجابا به وإكبارا ــ .

بقية صفحة ١٧٠١

ومن ألطف الوثائق التاريخية والاجتماعية التى احتوت عليها فتاوى الشيخ جلال الدين السيوطى الأسئلة الواردة من بلاد التكرور الموجهة إلى الإمام السيوطى ، هذه الأسئلة سجل وثائقى لبعض الممارسات الاجتماعية والسياسية والتاريخية لتلك البلاد التى ربما جهل الكثير منا معظم تاريخها ، وأحسب أن هذه الأسئلة التكرورية لا يستغنى عنها باحث يحرص على أن يتعرف على تلك المنطقة من العالم الإسلامى فى القرن التاسع الهجرى .

توصيات ندوة

الاحتفاء بمرور خمسمائة عام على وفاة الإمام السيوطى

● أعد أعمال الندوة للنشر بالمجلة إلى جانب محرريها :
(١) الأستاذ مصطفى دسوق كسبة .
(٢) السيدة : يسرية فؤاد على .
(٣) الآنسة سلوى على محمد من موظفى مركز الاقتصاد
الأستاذ / عمر بسطويسى على مكتب الإمام الأكبر .

استجابة لرغبة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) التى شاركت فيها اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة فقد انعقد العزم على إقامة ندوة « الاحتفاء بمرور خمسمائة عام على وفاة الإمام جلال الدين السيوطى » فى رحاب جامعة الأزهر الشريف ، وبمشاركة منه بمركز الاقتصاد الإسلامى التابع لجامعة الأزهر .

وتم إنعقاد الندوة بحمد الله فى الفترة من يوم السبت الموافق ١١ من شوال ١٤١٣هـ ـ ٣ ابريل ١٩٩٣م حتى يوم الاثنين ١٣ شوال ١٤١٣هـ ـ ٥ ابريل ١٩٩٣ ، وأُقيم لها حفل افتتاح رأسه فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ/جاد الحق على جاد الحق ، وشارك فيه معالى الأستاذ الدكتور/عبد العزيز بن عثمان التويجرى المدير العام للايسيسكو ، والأستاذ/فوزى عبد الظاهر رئيس اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة بحضور فضيلة الأستاذ الدكتور/عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر ، والاستاذ الدكتور/جعفر عبد السلام مدير مركز الاقتصاد الاسلامى ، والسادة العلماء والمفكرين المساهمين ببحوثهم فى هذه الندوة ولفيف من كبار أساتذة الجامعات ورجال الفكر بمصر والدول العربية والاسلامية .

وقد انعقدت الندوة فى الأيام المذكورة (ست جلسات بين صباحية ومسائية) وتدارست المحاور الخمسة التى شملتها الأبحاث المقدمة من السادة العلماء والمفكرين ، وهى :

المحور الأول : السيرة الذاتية للإمام السيوطى .

المحور الثانى : أثر الإمام السيوطى فى علوم الفقه .

المحور الثالث : أثر الإمام السيوطى فى علوم القرآن .

المحور الرابع : أثر الإمام السيوطى فى علوم الحديث .

المحور الخامس : أثر الإمام السيوطى فى علمى أصول الفقه والفقه .

وقد أقيمت على هامش الندوة مائدة مستديرة لمناقشة كتاب « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض » للإمام السيوطى ، برئاسة فضيلة الأستاذ الدكتور / عبدالفتاح الشيخ ، وبمشاركة مجموعة من العلماء والمتخصصين .

وعلى ضوء محتويات البحوث التى قدمت والمناقشات والتعقيبات والتدخلات التى جرت بعد كل جلسة، وما استخرج منها من أفكار تتعلق بموضوعات الندوة وما ينبغى الانتهاء إليه من نتائج ، أتفق المشاركون فى ندوة الإمام السيوطى على اصدار التوصيات التالية :

١ ــ تقوم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) باختيار لجنة من المتخصصين تسند اليها وضع قائمة دقيقة لمؤلفات السيوطى وفهرستها ، مع بيان المطبوع منها والمخطوط وأماكن طبعها أو وجودها .

٢ ــ توصى الندوة بالاتصال بمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول فى تركيا لتيسير حصر مخطوطات السيوطى الموجودة فيه وتصويرها . وذلك بتعاون وتنسيق مع الإيسيسكو .

٣ ــ توصى الندوة بتنظيم مسابقات ثقافية يشارك فيها طلاب الجامعات العربية والإسلامية فى مجال الدراسات المتخصصة حول الجوانب المتعلقة بالإمام السيوطى وعطائه الفكرى والعلمى والثقافى ، على أن تخصص جوائز تشجيعية لهذه المسابقات .

٤ ــ انتقاء مختارات من كتب الإمام السيوطى تبث فى السياقات والمناهج الدراسية على مستوى مرحلة التعليم الثانوى .

٥ ــ إنتاج شريط تسجيلى عن حياة السيوطى وبيئته وفكره وتراثه .

٦ ــ اطلاق اسم السيوطى على بعض قاعات البحث بالجامعات والمراكز فى العالم الاسلامى .

٧ ــ توجيه الأقسام العلمية المختصة فى الجامعات العربية والاسلامية الى مزيد الاهتمام بآثار السيوطى فى الدراسات العليا والأطروحات الجامعية .

٨ ــ ترجمة بعض كتب **السيوطى** إلى اللغات العالمية ، ولتكن البداية كتاب (**التحدث** بنعمة الله) .

٩ ــ إخراج أبحاث الندوة فى كتاب تذكارى بمناسبة مرور ٥٠٠ عام على وفاة السيوطى ، وتيسير تداوله ، وترجمة أبحاث مختارة منه الى الانجليزية والفرنسية .

١٠ ــ توصى الندوة ببحث التعاون بين مختلف المؤسسات العلمية والثقافية فى العالم الإسلامى لإحياء الاجتهاد .

١١ ــ تدعو الندوة الى التعاون بين مختلف المؤسسات الإسلامية العاملة فى المجال العلمى والتربوى والثقافى لتفادى التكرار والازدواج فى أنشطتها وتبادل الخبرات وتنسيق الأعمال فيما بينها .

١٢ ــ تهيب الندوة بالجامعات والمؤسسات العلمية والثقافية فى العالم الإسلامى إلى دراسة الجوانب الحضارية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية فى عصر السيوطى من خلال مؤلفاته بصفة عامة ، وفتاويه بصفة خاصة .

وبعد ؛ فنأمل أن نكون قد قدمنا تصوراً شاملًا لهذا الاحتفاء .

.... التحرير

مع

سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور/عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾
وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

للمفسرين فى هذه الآية اتجاهات كلها يحتملها نص الآية ويحتملها موقف المشركين فى مكة .

قيل إن فى هذا التعبير أسلوبا بليغا من الإنكار ، يفيد أنهم لا يرون فى القرآن شيئا من الحق . فهم بهذا الدعاء على أنفسهم آمنون موقنون أنهم لن يصيبهم شىء منه ، وهذا كما تقول للجبان الضعيف : إن كنت ذا قوة فاقتلنى ، وأنت على يقين أنه لا يستطيع قتلا . فهذا إنكار لكون القرآن حقا .

وقيل : إنه إعلان عن كراهية النبى ﷺ ، أى إن كان هذا القرآن هو الحق من عندك الذى لا حق وراءه ، وقد أوحيته إلى محمد ليتعبد به الناس فأنزل علينا هذا العذاب ، فإنا لا نطيق أن نرى محمدا نبيا مطاعا .

وقيل : إنه كلام من قبل السخرية ، يريدون أنه لا يكون حقا أبدا ، فإذا تبعه الناس وقالوا : إن هذا هو الدين ، لا ما عليه العرب من عبادة الأوثان ، فهلاكنا حينئذ خير من سلامتنا ، يريدون أن هذا لا يكون .

وقائل هذه العبارة — فيما يروى — ابو جهل بن هشام ، وعداء أبى جهل للنبى ﷺ معروف .

وقيل : بل هو النضر بن الحارث الذى قال : هى أساطير الأولين ، لو شئنا لقلنا مثل هذا .

وقيل : هم جماعة من قريش كبر عليهم أن يكون محمد — وهو يتيم قريش ويلقبونه ابن أبى كبشة — نبيا ، وهم لا يتبعونه ولو كان ما جاء به هو الحق ، ويفضلون على اتّباعه أن يهلكوا بحجارة يمطرون بها من السماء ، أو بعذاب آخر شديد يفنيهم ، فعنادهم وكبرياؤهم وعتوهم واستعلاؤهم فى الأرض هو ما حملهم على الكفر ، لا اعتقادهم بأن ما جاء النبى به باطل .

« وأمطر علينا » أى : أنزل حجارة كثيرة كالمطر يقال : مطرت السماء وأمطرت ، وهطلت وهتلت وهتنت ، وكلها تعنى أنزلت مطرا كثيرا وهؤلاء طلبوا ان تنزل عليهم الحجارة كثيرة كالمطر ، ومعنى كونها من السماء إنها حجارة من سجيل مسومة ، وهذه تكون من السماء .

ولذا قالوا : أمطر علينا حجارة من السماء مع أن الإمطار لا يكون إلا منها ولعلهم قالوا أكثر من ذلك ، أو هم قد فعلوا ، فإن أسمارهم وأحاديثهم لا تقتصر على جملة أو بضع جمل ، ولكن حكاية ما حدث لا تحكى كل شىء قيل ولا تلتزم بنصه إلا فى عبارات يقصد لفظها .

وجملة من السماء كجملة من عندك تفيد التوكيد ، فقد يكون الإمطار من عَلٍ ، أو من جهة ما ، ولكنه ليس من السماء ، كذلك قد يكون الحق من عند غير الله ، ولكن الحق الذى من الله لا يعتريه باطل ولا شك .

والإمطار بحجارة السجيل من السماء يعنى : استئصال القوم وإفناؤهم نهائيا ، كما حدث لأصحاب الفيل وللكافرين الجاحدين من أتباع الأنبياء السابقين ، والعذاب الأليم ما دون الاستئصال من الأمراض والخسائر والنكبات التى تصيب الناس .

وقد رد القرآن عليهم قولهم هذا بقوله خطابا للنبى ﷺ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم .

أى : ليس هذا من حكمة الله ولا من منطق الصواب أن يعذب قوما وبينهم نبيهم ، وقد أرسل الله محمدا رحمة للعالمين لا عذابا لهم ، وسنة الله مع الأنبياء السابقين الذين عذب قومهم وأُخِذُوا

بذنوبهم مع قوم لوط ، إذ قال له ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ وكما حدث لنوح ومن آمن معه هود/٨١

ومعجزات العذاب ألا تكون لرسالة خالدة أبدية ، لأنها لا ينفعل بها ولا بصدقها إلا الذين يشاهدونها ، ثم تكون قصة يصدقها قوم ، وينكرها آخرون . وقد كذب الأولون بالمعجزات المادية ، وقال الله فيهم : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ .

والآية تشعر بأن عذابا سيصيبهم بعد أن يخرج من بينهم النبى ﷺ وقد أصابهم يوم بدر كما أصابهم القحط ومرت بهم سنون كسنى يوسف .

« وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »

هذا يفيد نفى الاستغفار والتوبة عنهم ، إذ لو **كانوا** يتوبون ويستغفرون ما مسهم العذاب ، وجملة : ﴿ وهم يستغفرون ﴾ حالية ، كما فى الآية : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ .

وروى أن أبا جهل وصحبه بعد أن قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك .. عادوا فندموا واستغفروا » ، فنزلت هذه الآية .

وقيل المراد : وبينهم من يستغفر ، وكان بينهم بعض المسلمين الذين يستغفرون .

وجاء عن ابن عباس قول آخر : وهو أن المراد بالمستغفرين الذين علم الله فيهم أنهم سيسلمون ويستغفرون فهذا تنزيل لما هو محقق الوقوع منزلة الواقع ، كما فى قوله تعالى : أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ١/.

« وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » تحتمل .. ما .. فى .. وما لهم .. أن تكون استفهامية ، وذلك واضح جدا ، فهى للاستفهام الإنكارى ، ولا يفارقه معنى النفى ، والتقدير : أى شىء ثبت لديهم فى أن الله لا يعذبهم وهم يصدون الناس عن حج بيته ، ويدعون أنهم أولياؤه وليسوا أولياءه فولاية البيت ليست بالتوارث ، ولا لذى القوة والجاه ، وهؤلاء كانوا يقولون : نحن أولياء البيت نصد عنه من نشاء وندخل من نشاء : « **وما كانوا أولياءه إن أولياؤه الا المتقون** » فالبيت بيت الله يحج اليه المتقون لعبادة الله وحده ، وهؤلاء حشدوا فيه الأصنام ، وقد عهد الله من قبل لإبراهيم واسماعيل أن يطهرا هذا البيت من الأصنام وكل آثار الشرك ، وقال : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ — وكفار مكة هؤلاء ظلمة ، بسبب شركهم « إن الشرك لظلم عظيم » فلا مسوغ لاستيلائهم على البيت مع هذا الظلم .

وتحتمل « ما » فى « ومالهم » أن تكون نافية ، ولا يختلف المعنى المراد ، ويكون التقدير : ليس لديهم ما يثبت نفى العذاب عنهم وهم على هذه الحالة من الصدَّ عن البيت ، والآية على كلا التقديرين تؤذن بوقوع عذاب اليم .

ولا تعارض بين آية « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » وبين هذه الآية فقد أصابهم العذاب بعد خروج النبى ﷺ والمسلمين من بين أظهرهم ، وقد يكون المراد بالعذاب هنا عذاب الآخرة ، أما صدهم عن المسجد الحرام فواقع من قبل ذلك . كانوا يصدون مسلمى مكة ويمنعوهم من الطواف وإعلان شهادة الإسلام . وقد آذوا رسول الله ﷺ فى غير موقف ، ومعروف أنهم القوا السلا والفرث عليه وهو يصلى ، ولم يجرؤ أحد من المسلمين المستضعفين فى مكة ان يطرحه عنه حتى كانت ابنته فاطمة هى التى طرحته وهى

تبكى لما أصاب أباها ، وآذوا أبا بكر حتى هم بالهجرة فرده ابن الدغنه ، وقال له أنا جار لك ، مثلك لا يخرج ، فأنت تعين الضعيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق فرجع ، وأعلن ابن الدغنة إجارته ، ومع ذلك استمر إيذاؤهم له وتأففهم من عبادته فرد على ابن الدغنة حواره وقال : حسبى جوار الله .

وبعد الهجرة كانوا يعاقبون من أتى الى البيت ويعذبونه وهذا معروف عند غير واحد من الصحابة ، ثم هم صدوا المسلمين عام الحديبية وظلوا يصدون حتى فتحت مكة .

هؤلاء ليسوا أولياء البيت ولا يصلحون لولايته ، إنما أولياؤه هم المتقون من المسلمين فليس — ايضا — كل مسلم يصلح لولاية البيت ، بل حتى يكون المسلم تقيا برا .

« ولكن أكثرهم لا يعلمون » إن هذا ليس من حقهم فقد كانوا يدعون هذا الحق بنسبتهم الى اسماعيل وابراهيم — عليهما السلام — وهذا الادعاء لا يسوغ لهم الولاية وقد قال الله — تعالى لإبراهيم : « لا ينال عهدى الظالمين » ونفى الأكثرية ههنا يعنى نفى الجميع ، كما يراد بالقلة العدم ، وهذا أسلوب معروف فى العربية . ويجوز بقاء الأكثر على ما هو عليه ، إذ كان بينهم قلة تعرف الحق ولا تجهر به إما خوفا وإشفاقا على أنفسهم وعلى الجماعة من التفتت ، وإما ترقبا ليوم يظهر فيه الحق .

قال صاحب المنار : « ومثل هذا الحكم على أكثر الأمم والشعوب واستثناء القليل منهم بعد اطلاق الحكم عليهم من دقائق القرآن فى تحرير الحق » .

« وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » لهذا عطف على ما سبق من نفى أحقيتهم لولاء البيت ، فزيادة على ما سبق هم لا يصلون إلى البيت صلاة صحيحة أو تقبل فى نظر الشرع ، فصلاتهم ليست الا مكاء وتصدية .

والمكاء : هو الصفير من أسماء الأصوات التى على وزن فعال ، كمواء الهر وثغاء الشاة ورغاء الإبل .

والتصدية : هى التصفيق وقيل — أيضا — : المكاء طائر سمى باسم الصوت لكثرة صدوره عنه . وعلى أى حال كانت صلاتهم من قبيل اللهو والبعد عن الخشوع لله .

كانوا فى الجاهلية يطوفون حول الكعبة وهم عارو الأجسام . حتى أبطل النبى ﷺ ذلك فى حجة الوداع ، وكانت نساؤهم يطفن عاريات ولكن تشدد المرأة على حقويها سيورا من الجلد وقد تنفرج هذه السيور فتبدو سوءتها ، وقد حدث هذا لمخربة أم أبى جهل فقالت :

اليوم يبدو بعضه أو كله
وما بدا منه فلا أحله

وكان الطائف بالبيت يشبك يديه وينفخ فيها فتحدث صفيرا .

وكان رسول الله ﷺ إذا قام للصلاة بمكة يجىء رجلان من بنى سهم يقوم أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ، فيصيح أحدهما كالمكاء والآخر يصفق بيديه كتصدية العصافير ليفسد عليه صلاته .

« فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » خطاب موجه للمشركين الذين طلبوا ان يأتيهم الله بالعذاب ، فها هو ذا العذاب ، عذاب يوم بدر ، حيث قتل صناديدهم وأسر كبرائهم ، واستعلى عليهم الذين كانوا يعذبون بمكة بأيديهم .

إنهم يعانونه بسبب كفرهم وما كان لهم أن يستعجلوا هذا العذاب .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

تحقيق فضيلة الشيخ
ابراهيم عطوة عوض

﴿ ســـورة ص ﴾

مر السكت عليها ، والوقف على « لات » ، ومرء « أنزل » في الهمزتين من كلمة « وليكة » في الشعراء .

قرأ الإخوة « فواق » بضم القاف ، والباقون بفتحها .

قرأ أبو جعفر « لتدبروا » بالخطاب وتخفيف الدال ، والباقون بالغيب . والتشديد .

ومر « بالسوق » في النمل ، « والريح » في البقرة .

قرأ أبو جعفر « بنصب » بضم النون والصاد ويعقوب بفتحهما ، والباقون بضم النون ــ وإسكان الصاد .

قرأ ابن كثير « واذكر عبدنا » بالإفراد ، والباقون بألف جمعا .

قرأ المدنيان والحلوانى عن هشام « بخالصة » بلا تنوين ، والباقون بالتنوين ، « واليسع » مر في الأنعام .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « يوعدون » بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ الإخوة وحفص ــ « وغساق » هنا « وغساقا » في النبأ بالتشديد ، والباقون بالتخفيف فيهما .

قرأ البصريان « وَأُخَر من شكله » بضم الهمزة بلا مدّ ، والباقون بفتحها والمد .

قرأ البصريان والإخوة ــ « اتخذناهم » بوصل الهمزة وابتدائها بالكسر خبراً ، والباقون بقطعها مفتوحة استفهاماً .

« سخريا » مر في (المؤمنون) .

قرأ أبو جعفر « إنما أنا نذير » بكسر الهمزة والباقون بفتحها .

قرأ عاصم وحمزة وخلف « فالحق » بالرفع ، والباقون بالنصب .

« لأملأنَّ » مر في الهمز المفرد .

ياءاتها المضافة ست : « ولى نعجة ، إنى أحببت ، بعدى إنك ، لعنتى إلى ، لى من علم ، مسنى الشيطان » .

وزوائدها ثنتان : عقاب وعذاب . ومر حكم الأمرين .

﴿ ســـورة الزمـــر ﴾

مر « امهاتكم » في النساء ، « ويرضه » في ها الكناية ، « وليضل » في (إبراهيم) .

قرأ نافع وابن كثير وحمزة « أمـــن هو » بالتخفيف ، والباقون بالتشديد .

« لكن الذين » مر لأبى جعفر .

قرأ ابن كثير والبصريان «سالما» بألف وكسر اللام ، والباقون بلا ألف إفرادا .

قرأ البصريان «كاشفات ضره ، وممسكات رحمته» بتنوين (كاشفات ، وممسكات) ونصب (ضره ، ورحمته) والباقون بلا تنوين والجر .

«مكاناتكم» مر لشعبة .

قرأ الإخوة «قضى» بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء .

«الموت» بالرفع ، والباقون بفتح القاف والضاد ثم ألف والنصب .

«لاتقنطوا» مر فى (الحجرات) .

قرأ أبو جعفر «ياحسرتاى» بياء بعد الألف ، وفتحها ابن جماز ، وعن ابن وردان الفتح والإسكان ، والباقون بلا ياء .

ومرت الإمالة ، والوقف ، وكذا «وينجى الله» فى الأنعام .

قرأ الإخوة وشعبة «بمفازاتهم» بألف جمعا ، والباقون بلا ألف إفرادا .

قرأ المدنيان وابن ذكوان ـ بخلاف عنه .

«تأمرونى» بتخفيف النون وابن عامر بنونين ، والباقون بالتشديد .

«وجىء ، وسيق» مرا فى البقرة .

قرأ الكوفيون «فتحت» معا هنا ، وفتحت فى (النبأ) ـ بالتخفيف والباقون بالتشديد فى الثلاثة .

ياءاتها المضافة خمس : «إنى أخاف ، إنى أمرت ـ أرادنى الله ، ياعبادى الذين أسرفوا تأمرونى أعبد» .

وزوائدها ثلاث : «ياعبادنا ، فاتقون ، فبشر عباد» . ومر حكم الأمرين .

﴿ ســورة غافــر ﴾

مر إمالة الحاء ، وسكت أبى جعفر فى بابهما ، وكلمات فى (الأنعام) «وَقِهِم» لرويس .

قرأ نافع وابن عامر .

مر «أشد منكم» بالكاف ، والباقون بفتحها بلا ألف .

قرأ المدنيان والبصريان وحفص «يظهر» بضم الياء وكسر الهاء .

«الفساد» بالنصب ، والباقون بفتح الياء والهاء ، ورفع (الفساد) .

«عذت» مر فى حروف قربت مخارجها .

قرأ أبوعمرو وابن عامر ـ بخلاف عنه ـ «قلب» بتنوين الباء والباقون بدونه .

قرأ حفص «فاطلع» بالنصب ، والباقون بالرفع .

ومر «وصد» فى الرعد «ويدخلون» فى النساء .

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وشعبة «ادخلوا» بوصل الهمزة وضم الخاء والابتداء بضم الهمزة ، والباقون بقطعها مفتوحة وكسر الخاء .

قرأ نافع والكوفيون «ينفع» بالتذكير ، وكذا ابن وردان ـ من طريق ـ والباقون بالتأنيث .

قرأ الكوفيون «يتذكرون» بالخطاب ، والباقون بالغيب ، ومر «سيدخلون» فى النساء ، «شيوخا» . و «كن فيكون»(1) فى البقرة .

ياءاتها المضافة ثمان : «إنى أخاف ثلاث ، ذرونى أقتل ، ادعونى أستجب ، لعلى أبلغ ، مالى أدعوكم ، أمرى إلى» .

وزوائدها أربع : «عقاب ، التلاق ، والتناد ، اتبعون» ومر حكم الأمرين .

﴿ سورة فصلت ﴾

مر إمالة الحاء والسكت فى بابهما .

«وائِنكم» فى الهمزتين من كلمة .

قرأ أبو جعفر «سواء للسائِلين» بالرفع ويعقوب بالجر ، والباقون بالنصب .

قرأ ابن عامر والكوفيون وأبو جعفر «نحسات» بكسر الحاء ، والباقون بإسكانها .

قرأ نافع ويعقوب «نحشر» بالنون وفتحها ، وضم الشين .

«أعداء الله» بالنصب ، والباقون بياء مضمومة وفتح الشين ورفع (أعداء) .

ومر «يرجعون ، وأرِنا» فى البقرة ، «واللذين» فى النساء ، «وربأت» فى الحج «ويلحدون» فى الأعراف ، «وأاعجمى» فى الهمزتين من كلمة .

قرأ ابن كثير والبصريان والإخوة وشعبة «من ثمرت» بلا ألف إفرادا ، والباقون بألف جمعا .

ومر «ونأى» فى الإسراء وفى الإمالة ، «وأرأيتم» فى الهمز المفرد .

ياءاتها المضافة ثنتان : «شركائى ، ربى ان» ، ومر حكمهما .

﴿ سورة الشورى ﴾

مر إمالة «الحاء» ومد «عين» وقصرها ، وسَكْت أبى جعفر .

قرأ ابن كثير «يوحى» بفتح الحاء ، والباقون بكسرها .

ومر «يكاد» «ويتفطرن» فى مريم وإبراهام فى البقرة «ونؤته» فى ها الكناية «ويبشر» فى آل عمران .

قرأ الإخوة وحفص ورويس ـ بخلاف عنه ـ «يفعلون» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

«ينزل الغيث» مر فى البقرة .

قرأ المدنيان وابن عامر «بما كسبت» بلا (فَاءٍ) قبل الباء ـ والباقون (بالفاء) قرأ المدنيان وابن عامر «ويعلم الذين» برفع الميم ، والباقون بنصبهما .

«الريح» مر فى البقرة .

قرأ الإخوة «كبير الإثم» هنا ، وفى النجم بكسر الباء بلا ألف ولا همز إفرادا ، والباقون بألف بعد الباء ، ثم همزة مكسورة جمعا .

قرأ نافع وابن ذكوان ـ بخلاف عنه ـ أو «يرسل ، فيوحى» برفع اللام وإسكان الياء والباقون بنصبهما .

زوائدها : ياء واحدة الجوار ، ومر حكمها .

﴿ سورةُ الزَّخرف ﴾

مر إمالة الحاء ، وسكت أبى جعفر «فى أم» مر فى النساء .

قرأ المدنيان والإخوة «إن كنتم» بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها ، ومر «مهدا» فى (طه) «وميتا ، وجزءا» فى البقرة ، «ويخرجون» فى الأعراف .

قرأ الإخوة وحفص «ينشأ» بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين ، والباقون بفتح الياء وإسكان النون والتخفيف .

قرأ المدنيان والابنان ويعقوب «عند الرحمن» بالنون بلا ألف وفتح الدال ، والباقون «عباد» بالباء ثم ألف ورفع الدال .

قرأ المدنيان «أأشْهِدُ واخلفهم» بهمزتين — الأولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة بين بين وإسكان الشين ، وهما فى الفصل وعدمه على أصلهما ، والباقون بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين .

قرأ ابن عامر وحفص «قال أَوَلَوْ» خبرا ، والباقون (قُلْ) أمْراً .

قرأ أبو جعفر «جئناكم» بنون وألف جمعا ، والباقون بتاء مضمومة إفراداً .

قرأ ابن كثير والأبوان «سَقْفا» بفتح السين وإسكان القاف ، والباقون بضمهما ، ومر «يتكئون» لأبى جعفر فى الهمز المفرد ، «ولما» فى هود .

قرأ يعقوب وشعبة — بخلاف عنه — «يقيض» بالياء ، والباقون بالنون .

قرأ المدنيان والابنان وشعبة «إذا جآءانا» بألف بعد الهمزة تثنية ، والباقون بلا ألف إفراداً ومر «أفأنت» فى الهمز المفرد ، «ويذهبن» أو «نرينك» فى آل عمران ، «وسل» فى النقل ، «ورسلنا» فى البقرة ، «ويأيها الساحر» فى الوقف على الرسم .

قرأ يعقوب وحفص «أسورة» بإسكان السين بلا ألف ، والباقون بفتح السين ثم ألف ، ووافقهم رويس من طريق .

قرأ الأخوان «سلفا» بضم السين واللام ، والباقون بفتحهما .

قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم وحمزة «يصدون» بكسر الصاد ، والباقون بضمها ، «أآلهتنا» مر فى الهمزتين من كلمة .

قرأ المدنيان وابن عامر وحفص «تشتهيه» بزيادة (هَا) ضمير بعد الياء ، والباقون بحذفها ، ومر «أورثتموها» فى الإدغام الصغير ، و«ولد» فى مريم و«فأنا أول» فى البقرة .

قرأ أبو جعفر «حتى يلقوا» هنا وفى الطور والمعارج بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف ، [والباقون بضم الياء ، وألف بعد اللام ، وضم القاف فى الثلاثة[1]] .

قرأ ابن كثير والإخوة ورويس «يرجعون» بالغيب ، والباقون بالخطاب ، ويعقوب على أصله .

قرأ عاصم وحمزة «وقيله» بالجر ، والباقون بالنصب .

قرأ المدنيان وابن عامر — «تعلمون» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

ياءاتها المضافة ثنتان : «تحتِى أفلا ، ياعبادى لاخوف» .

وزوايدها ثلاث : «سيهدين ، وأطيعون ، واتبعون» مر حكم الأمرين .

﴿ سورة الدخان ﴾

مر إمالة الحاء وسَكْت أبى جعفر .

قرأ الكوفيون «رب السموات» بالجر ، والباقون بالرفع ، ومر «يبطش» فى الأعراف ،

«وعذت» فى حروف قربت مخارجها ، و «فأسر» فى هود ، «وفكهين» فى يّس .

قرأ ابن كثير وحفص ورويس «يغلى» بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ نافع والابنان ، ويعقوب «فاعتلوه» بضم التاء ، والباقون بكسرها .

قرأ الكسائى «ذق إنك» بفتح الهمزة ، والباقون بكسرها .

قرأ المدنيان وابن عامر «مقام» بضم الميم ، والباقون بفتحها .

ياءاتها المضافة ثنتان : «ترجمون فاعتزلون» ، ومر حكم الأمرين .

﴿ سورة الجاثية ﴾

مر إمالة الحاء وسَكْتُ أبى جعفر .

قرأ الأخوان ويعقوب «ءايات لقوم» معا بكسر التاء نصبا ، والباقون بالرفع .

«الريح» مر فى البقرة .

قرأ المدنيان وابن كثير وأبوعمرو وروح وحفص «يؤمنون» بالغيب ، والباقون بالخطاب «رجز أليم» مر فى سبأ .

قرأ ابن عامر والإخوة «ليجزى قوماً» بالنون ، والباقون بالياء ، وأبو جعفر بضم الياء وفتح الزاى ، والباقون بالفتح وبالكسر .

«ترجعون» مر فى البقرة .

قرأ الإخوة وحفص «سواء» بالنصب ، والباقون بالرفع .

قرأ الإخوة «غشوة» بفتح الغين وإسكان الشين بلا ألف ، والباقون بكسر الغين وألف بعد الشين .

قرأ رويس من طريق «ماكان حجتهم» برفع التاء ، والباقون بفتحها .

قرأ يعقوب « كل أمة » بنصب اللام ، والباقون برفعها .

قرأ حمزة «والساعة» بالنصب ، والباقون بالرفع .

«لا يخرجون» مر فى الإعراف .

﴿ سورة الأحقاف ﴾

مر إمالة الحاء وسَكْتُ أبى جعفر .

قرأ المدنيان وابن عامر ويعقوب والبزى ـ بخلاف عنه ـ «لتنذر» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ الكوفيون «احسانا» بهمزة مكسورة . وإسكان السين بلا همزة ولا ألف .

«كرها» مر فى النساء .

قرأ يعقوب «وفصله» بفتح الفاء وإسكان الصاد بلا ألف ، والباقون بكسر الفاء وألف بعد الصاد .

قرأ الإخوة وحفص «يتقبل ، ويتجاوز» بنون مفتوحة فيهما .

«أحسن» بالنصب ، والباقون بياء مضمومة أحسن بالرفع .

ومر «أفّ لكما» فى الإسراء ، «وأتعداننى» لهشام .

قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم والحلوانى عن هشام «وليوفيهم» بالياء ، والباقون بالنون ، ومر «أذهبتم» فى الهمزتين من كلمة «وأبلغكم» فى الأعراف .

قرأ عاصم وحمزة وخلف ويعقوب «لا يرى» بياء مضمومة «إلا مساكنهم» بالرفع ، والباقون بتاء مفتوحة ونصب مساكنهم ، «يقدر» مر فى يس .

ياءاتها المضافة أربع : «أوزعنى أن ، إنى أخاف ، ولكنى أراكم ، أتعداننى أن» ومر حكمها .

سورة محمد ﷺ

قرأ البصريان وحفص «قتلوا» بضم القاف وكسر التاء بلا ألف ، والباقون بفتحهما وألف بينهما .

«وكأين» مر فى آل عمران ، والهمز المفرد ، والوقف .

قرأ ابن كثير «أسن» بقصر الهمزة ، والباقون بمدها .

«للشاربين» مر فى الإمالة .

قرأ البزى ـ بخلاف عنه ـ «انفا» بالقصر ، والباقون بالمد .

«عسيتم» مر فى البقرة .

قرأ رويس «ان توليتم» بضم التاء والواو وكسر اللام ، والباقون بفتحهن .

قرأ يعقوب «وتقطعوا» بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء مخففة ، والباقون بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة .

قرأ البصريان «وأملى لهم» بضم الهمزة وكسر اللام وأبوعمرو بفتح الياء ويعقوب بإسكانها ، والباقون بفتح الهمزة واللام .

قرأ الإخوة وحفص «إسرارهم» بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها .

«رضوانه» مر لشعبة .

قرأ شعبة «ولنبلونكم حتى نعلم» ونبلو بالياء فى الثلاثة ، والباقون بالنون .

قرأ رويس «ونبلوا أضاركم» بإسكان الواو ، وكذا روح من طريق ، والباقون بفتحها .

ومر «السلم» فى الأنفال «وهأنتم» فى الهمز المفرد .

سورة الفتح

«دائرة السوء» فى التوبة .

قرأ ابن كثير وأبوعمرو «وليؤمنوا بالله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه» بالغيب فى الأربعة ، والباقون بالخطاب «عليه الله» مر فى (هاء) الكناية .

قرأ أبوعمرو والكوفيون ورويس «فسيوتيه» بالياء ، وكذا روح من طريق ، والباقون بالنون .

قرأ الإخوة «ضرا» بضم الضاد ، والباقون بفتحها .

«بل ظننتم» مر .

قرأ الإخوة «كلم الله» بكسر [اللام] بلا ألف ، والباقون «يعملون بصيراً» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

ومر «تطؤهم ، والرؤيا» فى الهمز المفرد ، و«رضوانا» فى آل عمران .

قرأ ابن كثير وابن ذكوان «شطأه» بفتح الطاء والباقون بإسكانها .

قرأ ابن ذكوان والداجونى ـ عن هشام ـ «فأزره» بقصر الهمز ، والباقون بمدها «سوقه» مر فى النمل .

﴿ ســـورة الحُجـــرات ﴾

قرأ يعقوب «لاتقدموا» بفتح التاء والدال ، والباقون بضم التاء وكسر الدال .

قرأ أبوجعفر «الحجرات» بفتح الجيم ، والباقون بضمها ، ومر «فتبينوا» فى النساء «وتفىء إلى» فى الهمزتين من كلمتين .

قرأ يعقوب «بين إخوتكم» بكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة ، والباقون بفتح الهمزة والخاء وبياء ساكنة ، ومر «تلمزوا» فى التوبة «ويتب فأولئك» فى الإدغام الصغير ، «ولا تجسسوا ولا تنابزوا ، ولتعارفوا ، وميتا» فى البقرة .

قرأ البصريان «لا يلتكم» بهمزة ساكنة بين الياء واللام ، وأبوعمرو على أصله فى الإبدال ، والباقون بحذف الهمزة .

قرأ ابن كثير «بما يعملون» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

﴿ ســـورة قٓ ﴾

مر «ائِذا» فى الهمزتين من كلمة «ومتنا» فى آل عمران ، و(ميتا) فى البقرة .

قرأ نافع وشعبة «يقول» بالياء ، والباقون بالنون .

قرأ ابن كثير «يوعدون» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ المدنيان وابن كثير وحمزة وخلف ، «وإدبار» بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها ، ومر «ينادى» فى الوقف على الرسم» و«تشقق» فى الفرقان .

زوائِدها ثلاث : «وعيد» معاً «المناد» ومر حكمها .

﴿ ســـورة الذاريـــات ﴾

مر «والذاريات ذروا» فى الإدغام الكبير ، «ويسرا» فى البَقرة .

قرأ الإخوة وشعبة «مثل ما» بالرفع ، والباقون بالنصب ، ومر «ويمدون وإبراهام» فى البقرة ، «وقال سلم» فى هود .

قرأ الكسائى «الصعقة» باسكان العين .

قرأ أبوعمرو والإخوة «وقدم نوح» بجر الميم ، والباقون بنصبها ، «تذكرون» مر فى الأنعام .

زوائِدها ثلاث : «ليعبدون ، أن يطعمون ، فلا تستعجلون» ومر حكمها .

﴿ ســـورة الطـــور ﴾

مر «فكهين ، وهنيئا ومتكئِين» لأبى جعفر .

قرأ أبوعمرو «وأتبعناهم» بقطع الهمزة وفتحها وإسكان التاء والعين ونون وألف ، والباقون بوصل الهمزة وتشديد التاء وفتح العين وتاء ساكنة بعدها .

قرأ البصريان وابن عامر «ذرياتهم» بألف جمعا ، والباقون بلا ألف ، وأبو عمرو بكسر التاء ، والباقون بضمها «بهم ذريتهم» مر فى الأعراف .

قرأ ابن كثير «ألتناهم» بكسر اللام ، والباقون بفتحها .

وقرأ قنبل ـ من طريق ـ بحذف الهمـزة ، والباقون بإثباتها .

ومر «لالغو فيها ولا تأثيم» فى البقرة «ولؤلؤا» فى الهمز المفرد .

قرأ المدنيان والكسائى «ندعوه انه» بفتح الهمزة ، والباقون بكسرها ، «تأمرهم» مر لأبى عمرو .

قرأ هشام «المسيطرون» هنا ، «وبمسيطر» فى الغاشية : بالسين ، وكذا قنبل وابن ذكوان وحفص ـ بخلاف عنهم ـ والباقــون بالصاد وَأُشَمَّهَا (زايا) خلف عن حمزة وخلاف ـ بخلاف عنه ـ «يَلْقَوْا»(1) مر لأبى جعفر .

قرأ ابن عامر وعاصم «يصعقون» بضم الياء ، والباقون بفتحها .

سورة النجم

مَرّ إمَالَةُ رُءُوس آيَها .

قرأ أبو جعفر وهشام «ماكذب» بالتشديد ، والباقون بالتخفيف .

قرأ الإخوة ويعقوب «أَفَتَمْرونه» بفتح التاء وإسكان الميم بلا ألف ، والباقون بضم التاء وألف بعد الميم .

قرأ رويس «اللات» بتشديد التاء ، والباقون بتخفيفها ، ومر الوقف عليها فى بابه .

قرأ ابن كثير «ومناة» بهمزة بعد الألف ، والباقون بلا همزة ، ومر «ضيزى» ، «وأم لم ينبأ» «والمؤتفكة» فى الهمز المفرد «وكبير الإثم» فى الشورى ، «وأمهاتكم» فى النساء ، «وإبراهام» فى البقرة ، «والنشأة» فى العنكبوت ، «وأنه هو» ، «وربك تتمارى» فى الإدغام الكبير «وعاداً الأولى» فى النقل «وثمود فما» فى هود .

سورة القمر

قرأ أبو جعفر «مستقر» بالجر ، والباقون بالرفع ، «نكر» مَرَّ فى البقرة .

قرأ البصريان والإخوة «خاشعاً بألف بعد الخاء وكسر الشين مخففة ، والباقون بضم الخاء وفتح الشين مشددة بلا ألف ومر «فتحنا» فى الأنعام «وعيون» فى البقرة «وألّتى» فى الهمـزتين من كلمة .

قرأ ابن عامر وحمزة «ستعلمون» بالخطاب ، والباقون بالغيب ، وعن روح ـ من طريق ـ التخيير بينهما .

وقرأ من طريق أيضاً «سيهزم» بنون مفتوحة وكسر الزاى «الْجَمْعَ» بالنصب ، والباقون بياء مضمومة وفتح الزاى ورفع (الْجَمْعُ) .

زوائِدها ثمان : «الداعِ إلى» [إلى الداعِ(2) ، ونذر] ومر حكمها .

سورة الرحمن جل جلاله

قرأ ابن عامر «والحب ذو العصف والريحان» بنصب الثلاثة ، والباقون برفعها إلا الإخوة فبجر (الريحان) ولاخلاف فى جر (العصف) «فبأى» مر فى الهمز المفرد .

قرأ المدنيان والبصريان تخرج بضم الياء وفتح الراء ، والباقون بالعكس .

قرأ حمزة وشعبة ـ بخلاف عنه ـ «المنشَآت» بكسر الشين ، والباقون بفتحها (والإكرام) مر فى الإمالة والراءات .

قرأ الإخوة «سيفرغ» بالياء ، والباقون بالنون «أَيُّهُ الثقلان» مر فى الوقف على الرسم .

قرأ ابن كثير «شواظ» بكسر الشين ، والباقون بضمها .

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وروح و«نحاس» بالجر ، والباقون بالرفع ، وكذا روح – من طريق – «من إستبرق» مر فى النقل .

قرأ الكسائى – بخلاف عنه – «يطمثهن» معا بضم الميم ، والباقون بكسرها .

قرأ ابن عامر ذو الجلال بالواو ، والباقون بالياء .

﴿ ســورة الواقعــة ﴾

«ينزفون» مر فى الصافات .

قرأ الأخوان وأبو جعفر «وحور عين» بجرهما ، والباقون برفعهما ، ومر «عربا» فى البقرة ، «وأئذا ، أئنا» فى الهمزتين من كلمة و«فمالِئون» فى الهمز المفرد .

قرأ المدنيان وعاصم وحمزة «شرب» بضم الشين ، والباقون بفتحها .

«أأنتم» مر فى الهمزتين من كلمة .

قرأ ابن كثير «قدرنا» بتخفيف الدال ، والباقون بتشديدها .

ومر «النشاءة» فى العنكبوت ، «وتذكرون» فى الأنعام ، «وفظلتم تفكهون» فى البقرة «وأئنا» فى الهمزتين من كلمة ، «والمنشِئون» فى الهمز المفرد .

قرأ الإخوة «بموقع» بإسكان الواو بلا ألف ، والباقون بألف بعد الواو .

قرأ رويس وروح بخلاف عنه «فروح» بضم الراء ، والباقون بفتحها .

﴿ ســورة الحــديد ﴾

«تُرْجع الأمور» مر فى البقرة .

قرأ أبوعمرو «أُخِذَ» بضم الهمزة وكسر الخاء (ميثاقكم) بالرفع ، والباقون بفتح الهمزة والخاء والنصب .

قرأ ابن عامر «وكلّ» بالرفع ، والباقون بالنصب .

«فيضاعفه» مر فى البقرة .

قرأ حمزة «أنظرونا» بقطع الهمزة وفتحها وكسر الظاء ، والباقون بوصل الهمزة ، وابتدائِها بالضم وضم الظاء «الأمانى» مر فى البقرة .

قرأ ابن عامر وأبوجعفر ويعقوب «لا تؤخذ» بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

قرأ نافع وحفص ورويس – بخلاف عنه – «نزل» بتخفيف الزاى ، والباقون بتشديدها .

قرأ رويس «تكونوا» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ ابن كثير وشعبة «المصدقين ، والمصدقات» بتخفيف الصاد منهما ، والباقون بتشديدها ، ومر «يضعف» فى البقرة ، «ورضوان» فى آل عمران ، «وبالبخل» فى النساء .

قرأ أبوعمرو «بما أتاكم» بقصر الهمزة ، والباقون بمدها .

قرأ المدنيان وابن عامر «فإن الله الغنى» بلا هو والباقون بـ(هو) ، ومر «رسلنا ، وابراهام» فى البقرة «ورأفة» فى النور .

عنـاية الإسلام بتربيـة الأولاد

بقلم : عبدالمنصف محمود عبدالفتاح

عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إلزموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم»[1] لقد اهتم الإسلام بتربية الطفل تربية حسنة ، وتنشئته تنشئة صالحة ، والأسرة : هى المكان الأول لذلك ، لأنها البيئة الطبيعية لنشوئه ، فرعاية الطفل . والعناية بشأنه : هى أول ما يجب على الوالدين نحوه ، يحسنان تربيته ويقومـان بتعليمـه ، وهما مسئـولان عن ذلك مسئوليـة كاملـة : لا تقـتصر على فتـــرة من الفترات .. فالوالدان عليهما أن يعتنيا بالناحيـة العقلية فى الطفل ، فيهتما بطريقة تفكيره وتذكيره للأشياء وتكوين العـادات العقليـة ليـدرك منها ما يستطيع فهمه وإدراكه .. كما أن عليهما .. أن يهتما بالناحية الوجدانية ، فيهذبا انفعالاته ، ويكونا فيه العادات الوجدانية الصالحة ويحاولا استئصال العادات السيئة : كالثورة لسبب تافه ، فإن هذا يسبب له المتاعب الدائمة ، كما يسببها لمن يتعامل معه عند الكبر ، وعليهما : أن يهتما بصحته باتباع القواعد الصحية فى مأكله وملبسه ومسكنه وان يعتنيا بعلاجه من الامراض فالعقل السليم فى الجسم السليم ، وتربيةَ عقله أيضا : تكون بالتعليم والتهذيب والتثقيـف فالعلـم للأولاد : سلاح يقودهم إلى ذروة النجاح ، وتربية خلقه : تكون بالقدوة الحسنة والسلوك الحميـد ، والنصائـح

(١) رواه الترمذى .

الرشيدة ، ومن أهمل شأن أولاده ، وترك لهم الحبل على الغارب أو قسا عليهم أو أساء المعاملة معهم : فقد تسبب فى خبث نفسوهم ، وفساد قلوبهم وضياع أخلاقهم ، وعليه فى ذلك من المسئولية الاجتماعية : حمل ثقيل ووزر عظيم ، وقد أثبت علم النفس : أن ما يلاقيه الطفل من المعاملة الحسنة أو السيئة فى السنوات الأولى من عمره : سيستمر صداها فى نفسه طوال حياته ، ومن هنا وصى الاسلام : بالرفق مع الأولاد واللطف فى معاملتهم ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعامل الحسن والحسين رضى الله عنهما بمنتهى الرفق والحنان ، عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قبَّل الحسن والحسين بنىْ علىٍّ وعنده الأقرع بن حابس التميمى ، فقال الأقرع : إنَّ لى عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحداً قطُّ ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ»[٢] .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : أتى أبوبكر عائشة وقد أصابتها الحمى ، فقال : كيف أنتِ يابنيَّة ؟ وقبَّل خدَّها»[٣]وروى أن عاملا : دخل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فوجده يداعب أبناءه ويضاحكهم ، فتعجب منه وعتب عليه ! فقال له عمر : كيف أنت مع أهلك ؟ قال : إذا دخلت : سكت الناطق ، فقال له عمر : اعتزل عملنا ، فإنك لا ترفق بأهلك ، فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم» فالطفل : إذا تربى تربية صالحة فى صغره ، وشَبَّ على الفضيلة ، وتعود على العادات الحسنة والصفات الحميدة ، ووجد من أبويه التوجيه السليم ، فلا غرابة : أن تنمو فيه هذه الخصال ، وتزداد حسنا كلما كبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مُرُوُا أولادكم بالصلاة : إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها : إذا بلغوا عشرا ، وفرقوا بينهم فى المضاجع :[٤] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «حَقُّ الولد على الوالد : أن يعلِّمه : الكتابة والسباحة والرماية ، وألَّا يرزقه إلَّا طيباً وقال المرحوم : أحمد شوق :

هذب الطفل فما تدرى غدا
حاله فى الناس من شأن عظيم

ولذا قال بعض الحكماء : إن أهم شيء لمن كان له أولاد : أن يهذبهم ويؤدبهم ، وهذا أنفع له ولهم : من أن يترك لهم ثروة طائلة ، لأن الثروة فى يد الشاب : سلاح يقتل به نفسه وأهله» وقديما قيل : ما ورث الاباء الأبناء : خيرا من الأدب ، وذلك لأنهم بالأدب : يكسبون المال ، وبالجهل يتلفونه . قال على لكميل : «ياكميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالانفاق» وقال مصعب بن الزبير لأبنه : «تعلم العلم ، فإن لم يكن لك جمال : كان لك جمالا ، وإن لم يكن لك مال : كان لك مالا ، فالعلم زينة من لا زينة له ، ومال من لا مال له» .. وروى أن عبدالله بن عامر : خرج من المسجد ذات ليلة : يريد منزله وهو وحده ، فقام إليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه . فقال له عبدالله : ألك حاجة ياغلام ؟

---

(٢)رواه البخارى
(٣)رواه البخارى
(٤) رواه أحمد وأبو داود والحاكم

قال : صلاحك وفلاحك ، رأيتك تمشى وحدك ، فقلت : أتيك بنفسى ، وأعوذ بالله ان طار بجناحك مكروه ، فأخذ عبدالله بيده ، ومشى الى منزله ، ثم دعا له بألف دينار ، وقدمها الى الغلام ، وقال : أستنفق هذه فنعم ما أدبك به أهلك ».. وروى أن صبيا تكلم بن يدى الخليفة المأمون : فأحسن ، فقال له المأمون : ابن من أنت ؟ فقال له الصبى : ابن الأدب يا أمير المؤمنين» وأنشد قول الإمام علىّ كرّم الله وجهه :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا
يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنـــذا
ليس الفتى من يقول : كان أبى

إن الاسلام : لم يكتف بالتوصية بتربية الأطفال فى الصغر ، بل تقدم بها الى ما قبل ذلك ، فقد تدخل لمصلحة الطفل قبل أن يولد ، فللوراثة : تأثيرها العميق فى الصفات الجسمية ، وكثير من الصفات الخلقية ، فقد يرث الصغير بعض الصفات التى قد يصعب عليها التخلص منها فى مستقبل حياته ؛ فقد أثبت علم النفس الحديث : «أن الذكاء والقدرات الخاصة والغرائز كلها تورث ، كما أثبت : أن المزاج : وهو الذى يتوقف على حالة الجهازين العصبى والغدّى . يتأثر أيضا بالوراثة ، والإسلام قد أشار الى هذه الأشياء التى توصل إليها علماء النفس منذ أربعة عشر قرنا ، فوصّى بملاحظتها ، قال رسول الله ﷺ : «تخيروا لنطفكم فإن الْعِرقَ دَسَّاس» وقال عليه الصلاة والسلام : «إيَّاكم وخضراء الدمن» فسأله سائل : وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ فيقول : «المرأة الحسناء فى المنبت السوء». ثم إن الطفل فيه غرائز من الواجب تعهدها ، لتوجهه الى الطريق القويم . فغريزة الخوف : إذا وجهت فى الطفل إلى خشية الله وتقواه ، والحذر من ارتكاب الجريمة والحياء من الاقدام على المنكرات نما الطفل ، ونمت معه هذه الغريزة متجهة به إلى الخير بعيدة عن الشر .. وغريزة حب الاستطلاع . إذا وجهت الى الوقوف على آثار قدرة الله فى الافاق وباهر حكمته ، وعلى مايقع تحت حِسِّ الطفل من المخلوقات والكائنات نشأ الطفل ، وقد جمع الى معرفة الله . العلم بكثير من الكونيات التى تنمى فيه الايمان ، وتقوى فيه اليقين .. وغريزة المنافسة اذا وجهت : الى المسارعة الى الفضائل والمسابقة فى تحصيل العلوم والمعارف كان ذلك أجدى على الطفل ، وعلى المجتمع .. ولو أن الاباء نشَّأوا أولادهم على هذه التعاليم الحكيمة وجنبوهم مخالطة الأشرار والمنحرفين ، وحذَّروهم أشد التحذير من الوقوع فى شراك المخدرات والتدخين لنشأوا أقوياء فى أخلاقهم ، أقوياء فى دينهم وسلوكهم وأعمالهم ، أقوياء فى علومهم ومعارفهم ، أقوياء فى أجسامهم وعقولهم ، أقوياء فى أرواحهم ونفوسهم ، وحينئذ تعتز بهم الأمة ، وتقوى الدولة ، وتستقيم الأمور ، وتصلح الأحوال .. فعلى الوالدين أن يضعا نصب أعينهما ماروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» .

الفكر الأدبي في كشاف الزمخشري

للدكتور محمود جمعة أمين

- ٣ -

٢ - نمو الفكرة وتصاعدها :

وببصيرته الأدبية الثاقبة ونظرته الفكرية الفاحصة مصاحبا حسه الرهيف وذوقه الأدبى الرفيع نظر إلى تطور الشكل الأدبى فحدثنا عن نمو الفكرة وتصاعدها والمعانى التى يتولد بعضها من بعض .

مطبقا ذلك على آى القرآن الكريم يقول فى آيات الحجرات التى يواجه القرآن فيها الصائحين على رسول الله - ﷺ - ينادونه من وراء الحجرات : «فورود الآيات على النمط الذى وردت عليه فيه مالا يخفى على الناظر من بينات إكبار محل رسول الله - ﷺ - وإجلاله»(١) .

ويمضى الزمخشرى بعدد ما تضمنته الآيات من أفكار يسلم بعضها إلى بعض ويتصاعد بعضها إثر بعض : «منها مجيئها على النظم المُسَجَّل - على الصائحين به - بالسفه والجهل لما أقدموا عليه ، ومنها لفظ (الحجرات) وإيقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ، ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذى تبين به ما استنكر عليهم ، ومنها أن شفع ذمهم باستجفائهم ، واستركاك عقولهم ، وقلة ضبطهم لمواضع التمييز فى المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله - ﷺ - وتسلية له ، وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجرفهم وسوء أدبهم - وهلم جرا من أول السورة إلى آخرها . فتأمل :

كيف ابتدىء بإيجاب أن تكون الأمور التى تنتمى إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد .

ثم أردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر ، كأن الأول بساط للثانى ووطاء لذكره .

ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله .

ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطمّ ، وهجنته أتمّ من الصياح برسول الله - ﷺ - فى حال

---

(١) الكشاف جـ٣ صـ٥٥٨ .

خلوته ببعض حرمانه من وراء الجدر ، كما يصاح بأهون الناس قدراً ، لينبه على فظاعة ما أجروا إليه ، وجسروا عليه ؛ لأن من رفع الله قدره عن أن يُجْهَر له بالقول حتى خاطبه جلّة المهاجرين والأنصار بأخى السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذى بلغ من التفاحش مبلغاً .

ومن هذا وأمثاله يُقْتَطَفُ ثمر الألباب ، وتقتبس محاسن الآداب[٢] .

وقد وقف الزمخشرى عند مناقشات إبراهيم ــ عليه السلام ــ لأبيه وقومه ؛ فلحظ أفكاراً مرتبة ومعانى متصاعدة تبدأ بالسؤال اليسير ؛ لتنتهى بإحقاق الحق وإبطال الباطل فأخذ يبين كيف رتب إبراهيم ــ عليه السلام ــ أفكاره ومعانيه .

ولنصغ إليه وهو يفسر قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الشعراء ٦٩ ــ ٧٤ .

يقول الزمخشرى : « وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا : عما يعبدون . سؤال (مقــرر) لا مستفهم .

ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع .

وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا أن يكون حجة .

ثم صوّر المسألة فى نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله ــ عز وجل ــ فعظم شأنه ، وعدد نعمته من لون خلقه وإنشائه إلى حين وفاته ، مع ما يرجّى فى الآخرة من رحمته .

ثم اتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين ، وابتهل إليه ابتهال الأوَّابين .

ثم وصله بذكر يوم القيامة ، وثواب الله وعقابه ، وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرَّة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا[٣] .

تتوالى الأوامر وتتصاعد .

ففى الآيات : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ النور ٣٠ ــ ٣٣ .

يقول : « وما أحسن ما رتب هذه الأوامر حيث أمر أولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ، ثم بالنكاح الذى يحصن به الدين ، ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ، ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء ، وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه »[٤]

كما وقف الزمخشرى يستبطن ترتيب الآيات القرآنية الملائم لطبيعة النفس المتسق مع أحوالها حيث تتوالى الأوامر وتتصاعد حسب الأحوال والمقامات وقف كذلك مع آيات أخر ليرى أن ترتيب الأفكار فيها كان على أساس ما يعنُّ للنفس من خواطر وأفكار فجاءت الجمل مرتبة على وفق ترتيب هذه الخطرات .

---

(٢) الكشاف حـ٣ صـ٥٥٩ .
(٣) الكشاف ١١٨/٣ .
(٤) الكشاف حـ٣ صـ٦٥ .

من ذلك ما يقوله فى قوله تعالى : ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ النساء ـ ١٤٧ إذ يقول : «فإن قلت : لم قدم الشكر على الإيمان ؟ قلت : لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعم العظيمة فى خلقه ، وتعريضه للمنافع فيشكر شكراً مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة النعم آمن به ثم شكر شكرا مُفصَّلا ، فكان الشكر متقدما على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره»[٥] .

٣ ـ دراسة الأسلوب الأدبى فى القرآن الكريم :

كان النظر فى الأساليب الأدبية القرآنية ، واختلاف دلالاتها ، وتنوع مظاهرها موضع اهتمام الزمخشرى وقد عالج تلك الأساليب بأسلوب أدبى رفيع ينَــمّ عن مدى بصره بالعربية ، وحذقه لأساليبها ، وعمقه فى تفهم ما ترمى إليه تلك الأساليب فى القرآن الكريم حيث عرض لأسلوب الالتفات والتعريض والتكرير وغيرها من الأساليب .

وقد رأى أن الأسلوب القرآنى يجرى أحيانا على أسلوب الشعر فى مساءلة الرسوم على عادة الشعراء الجاهليين قبل أن ينزل القرآن

يقول فى تفسير آية الزخرف « وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته ، ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم ، هل جاءت عبادة الأوثان قط فى ملة من ملل الأنبياء ؟ وكفاه نظراً وفحصاً نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه ، وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا ، وهذه الآية فى نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها[٦] .

ثم يقول : «والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال عن الحقيقة كثير . منه : مساءلة الشعراء الديار والرسوم والأطلال وقول من قال : سل الأرض من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؛ فإنها إن لم تجبك حواراً أجابتك اعتبارا»[٧] .

ويقول فى تفسير قوله تعالى : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ :«المعنى عجبوا لإيلاف قريش أو متعلق بما قبله أى فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين[٨] فى الشعر» .

كذلك رأى أن الأسلوب القرآنى يجرى على أسلوب الشعر فى الفاصلة إذ أن الفواصل القرآنية يتحد نغمها الصوتى ، وفى وحدة النغم تأثير يبلغ مداه فى نفس القارىء والسامع . يقول فى آية الأحزاب ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ الأحزاب ٦٧ .

وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر ، وفائدتها الوقوف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن مابعده مستأنف .

ويقول فى قوله تعالى : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ المزمل ـ ٨ ، «فإن قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا ؟ قلت : لأن معنى تبتل : بتّل نفسك ـ أى

---

(٥) الكشاف ١/٥٧٥ .

(٦) الكشاف حـ٣ صـ٤٩٠ .

(٧) الكشاف ٣/٤٩٠ .

(٨) التضمين هو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله لا يصح إلا

انقطع إلى ربك ـ فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل » .

وكذلك رأيناه ـ وهو الشاعر ـ يجيء بالشعر الذى يتضمن معنى الآيات التى يفسرها ، والأمثلة على ذلك كثيرة . من ذلك قوله فى تفسير قول الله ـ عز وجل ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ البقرة ١٦ .

يقول الزمخشرى : « ومعنى اشتروا الضلالة بالهدى : اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة ؛ لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر . ومنه :

أخذت بالجمة رأساً أزعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا حيدرا
كما اشترى المسلم إذْ تَنَصَّرا[٩]

ويقول فى تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾ : « وقعت هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا : أما يستحيى رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت ؟ فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال ، وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب . منه قول أبى تمام :

من مبلغ أفناء يعرب كلها
أنى بنيت الجار قبل المنزل

فالذى سوغ بناء الجار هو مراعاة المشاكلة ، ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار ولله درّ أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأشد مدارجة .

وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه كقوله :

إذا ما استحين الماء يعرض نفسه
كرعن بِسبَتْ فى إناء من الورد[١٠]

ويستشهد ببيت لرؤية بن العجاج ـ وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة ـ على أن اشتقاق البَعُوض من البعض وهو القطع فيقول : « وأنشد رؤبة :

لنعم البيت بيت أبى دثار
إذا ما أخاف بعض القوم بعضا[١١]

يريد أن بيت أبى دثار نعم البيت فى ليالى الصيف إذا خاف بَعْضُ القوم بَعْضَ البعوض أى قطعه .

وفى ختام تفسيره للآية يقول : « **فسبحان من يدرك صورة تلك البعوضة وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ، ولعل فى خلقه ماهو أصغر منها وأصغر** » ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يس ٣٦ ـ ويتمثل بما نظم من شعر فيقول :

---

(٩) الجمة : مجتمع شعر الرأس ، والأزعر : قليل الشعر ، والثنايا الواضحات : الأسنان النظيفة البيضاء اللامعة ، والدردرا : مغارز أسنان الصبى والمراد لثة خالية من الأسنان ، والحيدرا : القصير أو الهالك . والمعنى : أن حالى فى الاستبدال كحال رجل استبدل بالسمين الغث ، وفضل الهالك الردىء على النفيس الغالى ، وهو المسلم الذى استبدل بالإسلام النصرانية واختارها عليه . والمسلم الذى تنصر هو « جبلة بن الأيهم » .

(١٠) الكشاف حـ١ صـ٢٦٣ ، صـ٢٦٤ . والضمير فى « استحين » بمعنى تركن للنوق ، وكر عن أى شربن ، والسبت : الجلود المدبوغة بالقرظ والمراد مشافرها ومعنى البيت : يصف الشاعر كثرة مياه المطر فى طريقه ، وأنه أينما ذهب رأى الماء فكأنه يعرض نفسه عليها فتكرع فيه بمشافرها كأنها الجلود المدبوغة والأرض قد أنبتت الأزهار والأنوار فكأنها لذلك إناء من الورد .

(١١) الكشاف حـ١ صـ٢٦٤ .

وأنشدت لبعضهم :

يامن يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها
والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته
ما كان منه في الزمان الأول[1]

فالأبيات تفسير أدبي للآية الكريمة إذ تكشف عن دقة صنع الله في خلقه «صنع الله الذي أتقن كل شيء» ويستشهد بشعره أيضا عند تفسيره لقول الله عز وجل ﴿ **مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ ويعد هذا من أساليب النظم العالي والنسق الراق فهو من قبيل الالتفات الذي جرى عليه البيان القرآني ففيه نشاط للسامع وإيقاظ للمشاعر وتنبيه الغافل ، وهذه الصفات من أهم خصائص الأسلوب الأدبي .

يقول الزمخشري : «فإن قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟»

قلت : هذا يسمى الالتفات في علم البيان ، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ﴾ وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات حين قال :

تطاول ليلك بالإثمد
ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العاشر الأرمد
وذلك من نبأ جاءني
وخبرته عن أبي الأسود

وذلك على عادة افتنائهم في الكلام وتصرفهم فيه ، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد[12] .

وغير ذلك كثير ، ولكني أكتفي بما ذكرت من أمثلة ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى الكشاف[13] ليرى كثيراً من الشواهد الشعرية مبثوثاً في ثنايا تفسيره لآيات الكتاب العزيز .

بقيت معلومة تجب الاستشارة إليها وهي أن الشعر عنده فن هادف فهو يرى أنه مقبول مالم يدفع إلى معصية

يقول - في الآيات : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٧ .

---

(١٢) الكشاف جـ١ صـ٦٢ - صـ٦٤ . وقد بين الزمخشري بعض هذه الفوائد فقال : «ومما اختص به هذا الموقع أنه لما ذكر الحقيق بالحق وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق الثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : إياك يا من هذه صفاته تخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به» .

(١٣) الإلّ : القرابة ، والسقب : خوار الناقة ، والرأل : ولد النعام ، ومعنى البيت : أنه لا قرابة بينك وبينهم كما أنه لا قرابة بين السقب وولد النعام .

استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ، وتلاوة القرآن ، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر ، وإذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله ، والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد ، والآداب الحسنة ، ومدح رسول الله ﷺ والصحابة وصلحاء الأمة ، ومالا بأس به من المعانى التى لا يتلطخون بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة ، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى :

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ النساء ١٤٨ وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ماهو جواب لقوله تعالى :

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة ١٩٤ .

ويستطرد فيورد رأى من يعتد به ، يشهد له بصلاحه وورعه وتقواه فيقول : وعن عمرو بن عبيد أن رجلا من العلوية قال له : إن صدرى ليجيش بالشعر . فقال : فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام .

والمراد بالمستثنين : عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان : كعب بن مالك وكعب بن زهير ، والذين كانوا ينافحون عن رسول الله ـ ﷺ ـ ويكافحون هجاة قريش .

وعن كعب بن مالك أن النبى ـ ﷺ ـ قال له : « اهجم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل » وكان يقول لحسان : « قل وروح القدس معك »(١٤) .

وهكذا يمضى الزمخشرى يدرس الأساليب الأدبية فى القرآن الكريم مستجليا ما تهدف إليه من روعة بيان ودقة أداء كاشفاً عن حسنها منبهاً إلى مواطن الحسن فى كل أسلوب .

وأسلوب التكرار من الأساليب التى وقف عندها الزمخشرى وقفة تأمل وتدبر ليرد هذا الأسلوب بصوره التى ورد عليها إلى صلته المباشرة بالنفس الإنسانية فقد رأى أن فى التكرير تقريرا للمعانى فى النفوس وتثبيتا لها فى الصدور : « ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد مايراد تحفظه منها ، وكلما زاد ترديده كان أمكن له فى القلب وأرسخ فى الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ... لعل ذلك يفتح أذناً أو يفتّق ذهناً أو يصقل عقلا طال عهده أو يجلو فهماً قد غطى عليه تراكم الصدأ »(١٦)

ولهذا فهو يعرض لتكرار النداء فى سورة غافر مستوحيا اللفظ المكرر وما له من أثر فى استجابة النفس فيقول ـ فى قوله تعالى :

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ غافر ٣٨ : ٣٩ : ٤١ .

يقول : « فإن قلت : لم كرر نداء قومه ؟ قلت : لأن تكرير النداء فيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سِنَةِ الغَفْلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم ، وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة ، فهو يتحزن لهم ، ويتلطف بهم ، ويستدعى بذلك ألا يتهموه ، فإن سرورهم

(١٤) انظر الكشاف حـ٣ صـ١٣٣ ، صـ١٣٤ .

(١٥) هو فى ذلك كغيره من المفسرين .

(١٦) الكشاف حـ٣ صـ١٢٧ .

سروره وغمّهم غمّه ، وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم عليه السلام فى نصيحة أبيه : يا أبت »[١٧]

كذلك يرى فى تكرير آيات الوعيد والتهديد متابعة للنفس وتجديداً للتذكر لها يقول فى آيات القمر : ﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ : فإن قلت : ما فائدة تكرير قوله ﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ قلت : فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادّكارا واتّعاظا ، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه ، وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات ؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة وهذا حكم التكرير كقوله ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ سورة الرحمن . عند كل نعمة عدّها فى (سورة الرحمن) وقوله : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ عند كل آية أوردها فى (سورة المرسلات) ، وكذلك تكرير الأنباء والقصص فى أنفسها ، لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان[١٨] .

وأسلوب الإثارة الشعورية جزء من فكر الزمخشرى الأدبى فى تفسيره القرآن الكريم وأقصد بذلك الأسلوب الذى تستوحيه أحاسيس وخلجات النفس . يقول فى قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ « من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة ، وجَلّ رسول الله ـ ﷺ ـ أن يكون ممتريا »[١٩] **وما يقوله فى الآيات التالية منبىء عن استيحائه واستبطانه الأسرار النفسية فى الآيات** : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ۝١٤٩ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ۝١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١٥٢ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ۝١٥٣ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٥٥ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ۝١٥٦ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٥٧ ﴾ الصافات ١٤٩ ـ ١٥٧ .

إذ يقول : « هذه الآيات صادرة عن سخط عظيم ، وإنكار فظيع ، واستبعاد لأقاويلهم شديد ، وما الأساليب التى وردت عليها إلا ناطقة بتسفيه أحلام قريش وتجهيل نفوسها ، واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر مخطر مثل ذلك على بال ، ويحدث به نفسا ؛ فضلا أن يجعله مُعْتَقَدًا أو يتظاهر به مذهبا »[٢٠]

والأسلوب القصصى له نصيب فى الفكر الأدبى لدى الزمخشرى ، فهو يعرض للأسلوب القصصى ويثبت فى (كشافه) ما أثر من تفاسير قصصية للآيات القرآنية ، ويقر هذه القصص إذا كانت لا تصطدم والعقيدة . فما لا يمس عقيدة ولا يطعن فى عصمة نبىّ كان يتسمح فيه ويورده ولو كان أشبه بالأسطورة والخيال وذلك فى رأيى يرجع إلى ثقافته الأدبية التى تدفعه إلى أن يقف أمام بعض الآيات فيستطرد استطرادات أدبية باحثاً عن الجمال فيها .

فمثلا يقول فى آية الأعراف : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝١٠٧ ﴾ .

---

(١٧) المصدر نفسه صـ٤٢٩ .

(١٨) الكشاف حـ٤ صـ٤٠ ، صـ٤١ .

(١٩) الكشاف حـ١ صـ٤٣٣ .

(٢٠) الكشاف حـ٣ صـ٣٥٥ .

يقول : «روى أنه كان ثعباناً ذكراً[٢١] أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا ، وضع لَحْيَهُ الأسفل فى الأرض ، ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب ، وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك ، وهرب الناس ، وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا ، ودخل فرعون البيت وصاح : ياموسى : خذه وأنا أؤمن بك وأرسل معك بنى إسرائيل . فأخذه موسى فعاد عصا»[٢٢] .

ويقول عند الآية :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ الدهر ١٩ .

وعن المأمون أنه ليلة زفت إليه (بوران) بنت (الحسن بن سهل) وهو على بساط منسوج من ذهب ، وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر إليه منثوراً على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال : لله درّ أبى نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول :

كأن صغرى وكبرى من فواقعها
حصباء در على أرض من الذهب

ويذكر عند قول الله عز وجل ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ المزمل ١٧ . أن رجلا أمى قاحم الشعر كحنك الغراب ، وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة[٢٤] ، فقال : رأيت القيامة والجنة والنار فى المنام ، ورأيت الناس يقادون فى السلاسل إلى النار ، فمن هول ذلك أصبحت كما ترون[٢٥] .

وفى حديثه عن يوسف عليه السلام يقول : وعن النبى ﷺ : «مررت بيوسف فى الليلة التى عرج بى إلى السماء فقلت ـ لجبريل : من هذا ؟ فقال : يوسف . فقيل : يارسول الله كيف رأيته ؟ قال : كالقمر ليلة البدر» ، وقيل : كان يوسف ـ إذا سار فى أزِقَّة مصر ـ يرى تلألُؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها ... وقيل : ورث الجمال من جدتـــه ساره[٢٦] .

ويقول : روى عن النبى ـ ﷺ ـ قال قال سليمان : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ، ولم يقل : إن شاء الله ؛ فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل . والذى نفسى بيده لو قال : إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون[٢٧] . فذلك قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ وهذا ونحوه مما لا بأس به[٢٨] .

أما النقول القصصية التى تطعن عصمة الأنبياء وتجرحها ؛ فإن الزمخشرى يزيفها

---

(٢١) الكشاف حـ٢ صـ٤٩٨ .

(٢٢) الكشاف حـ٢ صـ١٠١ .

(٢٣) الكشاف حـ٤ صـ١٩٩ .

(٢٤) الثَّغامة : قال ابن الأعرابى : الثغامة شجرة تبيض كأنها الثلج وأنشد :

إذا رأيت صلعا فى الهامة
وحدبا بعد اعتدال القامة
وصار رأس الشيخ كالثغامة
فايأس من الصحة والسلامة [لسان العرب مادة ثغم]

(٢٥) الكشاف حـ٤ صـ١٧٨ .

(٢٦) الكشاف حـ٢ صـ٣١٧

(٢٧) وفى القرطبى : «لأطوفن الليلة على تسعين امرأة» والحديث أخرجه الشيخان : البخارى ومسلم عن أبى هريرة ولكنهما لم يذكراه على أنه تفسير للآية .

(٢٨) الكشاف حـ٣ صـ٣٧٤ .

ويرفضها بشدة مثل حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان .

كذلك استطاع الزمخشرى بحسّه الرهيف أن يفرق بين الأسلوب الخشن الغليظ وبين الأسلوب اللين الرقيق ، وأجد له فى هذا المقام إحساسا دقيقاً بمواقع الكلمات وإصابتها ، وتفاعُلا صادقاً مع ما تحتويه كلمات كل أسلوب معتمدا على ذوقه الخاص فى هذا المجال .

يقول فى قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ عبس١٧ «دعاء عليه ، وهو من أشنع دعواتهم ؛ لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها . ﴿وما أكفره﴾ : تعجب من إفراطه فى كفران نعمة الله ، ولا ترى أسلوبا أغلظ منه ، ولا أخشن مسّا ، ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطاً فى المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للأئمة على قصر متنه »(٣٠) .

وما أجمل وأروع مايقوله فى قوله تعالى :

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ﴾ الحجرات ١٧ . إذ يقول : «وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعاريب قد سماه الله (إسلاما) ، ونفى أن يكون كما زعموا (إيمانا) فلما منّوا على رسول الله - ﷺ - ما كان منهم قال الله - سبحانه وتعالى - لرسوله عليه الصلاة والسلام : إن هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حَدَثِهم الذى حق تسميته أن يقال له إسلام ، فقل لهم : لا تعتدّوا علىّ إسلامكم أى حدثكم المسمى عندى إسلاما لا إيمانا ، ثم قال : بل الله يعتدّ عليكم أن أمركم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفقتم له إن صح زعمكم وصدقت دعواكم ، إلا أنكم تزعمون وتدعون ، والله عليم بخلافه ، وفى إضافة الإسلام إليهم ، وإيراد الإيمان غير مضاف مالا يخفى على المتأمل »(٣١) .

كما وازن بين أسلوب وأسلوب من حيث مشابهتهما فى المعنى والهدف ، ودعا إلى النظرة المتثبتة فى النصوص الأدبية والموازنة الدقيقة بين ما تشابه منها حتى يتسنى لدارس الأساليب الأدبية أن يعرف أقواها فيما ترمى إليه .

يقول فى حديث الإفك : «ولو فلّيت القرآن كله وفتّشت عما أوعد به من العصاة لم تر الله - تعالى - قد غلّظ فى شىء تغليظه فى إفك عائشة - رضوان الله عليها - ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف ، واستعظام ماركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة ، كل واحد منها كاف فى بابه ، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القَذَفَةَ ملعونين فى الدارين جميعاً ، وتوعدهم بالعذاب العظيم فى الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذى هم أهله حتى يعلموا عند ذلك أنه الحق المبين ، فأوجز فى ذلك وأشبع وفصل وأجمل ، وأكد وكرر ، وجاء بما لم يقع فى وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ماهو دونه فى الفظاعة وماذاك إلا لأمر(٣٢) .

---

(٢٩) الكشاف حـ٣ صـ٣٦٦ .

(٣٠) الكشاف حـ٤ صـ٢١٩ .

(٣١) الكشاف حـ٣ صـ٥٧١ ، صـ٥٧٢ .

(٣٢) الكشاف حـ٣ صـ٥٦ ، صـ٥٧ .

الفتاوى

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر
إعداد الأستاذ عبدالمنعم فوده

السؤال من السيد/ م.غ.م من رشيد ـ بحيرة :

ما حقيقة إبليس ، هل هو ملك أم جن ؟ حيث إن هناك آيات تدل على أنه ملك وآيات أخرى تدل على أنه جن .

ما الرأى الصحيح والسليم أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد فإبليس من الجن وليس من الملائكة لقول الله تعالى : ﴿**إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾ وإبليس أبو الجن . وقد قال الله تعالى عنه ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ ولا توجد آيات تدل على أن إبليس مَلَكٌ إنما كان يسكن مع الملائكة فلما أمروا بالسجود لآدم كان مأموراً بالسجود معهم بدليل قول الله تعالى ﴿**قال يا إبليس ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك**﴾ والملائكة عباد مكرمون أما إبليس فقال الله له : ﴿**وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين**﴾ وهم مخلوقون من نور وهو مخلوق من نار وهذا هو القول الصحيح .

والله تعالى أعلم

السؤال من السيد/ ع.أ.ف

ما حكم صلاة الرجل فى بيته ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن الصلاة فى المسجد أفضل من الصلا فى غيره وصلاة الرجل فى جماعة أفضل من صلاته منفرداً بسبع وعشرين درجة ، وكل خطوة يخطوها المسلم إلى المسجد يرفع الله بها درجة ويحط بها خطيئة كما جاء فى السنة .

وعلى هذا النحو ؛ فإن صلاة الرجل فى بيته صحيحه إلا أنه يحرم من الثواب الذى يناله المصلى من صلاة الجماعة وعمارة بيوت الله مع صحة الصلاة فى كل من البيت والمسجد مع فارق الأفضلية والحصول على الثواب الكبير بالذهاب إلى المساجد كما جاء فى السنة النبوية الشريفة أن من يتعلق قلبه بالمساجد يظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله والأحاديث كثيرة فى ذلك ..

والله تعالى أعلم

السؤال من السيد / ع.أ.ف

ما حكم من يقول : أنا من محاسيب سيدنا الحسين ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فنفيد بأن سيد الشهداء الحسين بن على رضى الله عنهما - حفيد رسول الله - ﷺ - ابن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها التى قال لها رسول الله - ﷺ - : «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» فحين يقول إنسان أنه من محاسيب سيدنا الحسين ، أى من مريديه ومن محبيه ، ومن منا لا يحب آل البيت - رضوان الله عليهم - ولا شيء فى هذا ولا نبالغ إذا قلنا : نحن من محاسيب سيدنا الحسين ، وكل آل البيت والله أعلم ؟

السؤال من السيد / ع.أ.ف

ما حكم الصلاة فى مسجد الحسين أو السيدة زينب أو السيدة نفيسة ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ...

فنفيد بأن من خصائص ومناقب رسول الله - ﷺ - أن جعل الله له الأرض مسجداً وتربتها طهوراً ولا يوجد فى شرع الله ما يمنع الصلاة فى أى مكان طاهر ، وهل يوجد أماكن أطهر من مثل هذه المساجد بعد المسجد الحرام ومسجد رسول الله - ﷺ - والمسجد الأقصى ، ولا يوجد ما يمنع من الصلاة فى مسجد الحسين والسيدة زينب - رضى الله عنهما - وما شابههما من المساجد التى توجد بها أضرحة حيث إن العامة والخاصة من الناس يعلمون أنهم يتوجهون بعبادتهم لله وحده لا شريك له .

والله تعالى أعلم

السؤال من السيد طارق إبراهيم محمد عبدالفتاح من كندا :

١ - هل التعامل مع البنوك خاصة فى حالة الحصول على قرض لشراء منزل أو سيارة أو غيره حرام أم حلال .

٢ - هل العمل فى المطاعم والفنادق الكبيرة حيث التعامل فى الخمور حرام أم حلال .

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ؟

فنفيد عن الاول بأن القرض بفائدة محرم شرعًا سواء كان هذا القرض عن طريق بنك أو غيره فكل قرض جر نفعًا فهو ربا .. والربا محرم بالكتاب والسنة وعن الثانى نفيد بأن العمل فى الفنادق التى تتعامل بالخمور مع روادها وعملائها محرم شرعاً والواجب على الشاب ، أن يبحث عن عمل آخر يتكسب منه فإذا لم يجد فلا مانع للضرورة من العمل حتى تهيأ له الفرصة لأن يكسب قوته من حلال .. والله أعلم .

مؤلفات السيوطي الطبية

بقلم أ. د. طبيب / السيد الجميلي

تعددت مواهب الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ وقد بلغت شأواً بعيداً شاء بها كثير من أضرابه ومعاصريه ، والحق أن هذا الإمام العلامة الموسوعى قد ظلم من جاء بعده ، إذ أن أحداً لم يستطع ـ منذ القرن التاسع الهجرى ـ أن يجرى فى مضماره ، ؟ حتى يطمع فى غايته ؛ فإنه كان نسيجا وحده ، وحذَيا أقرانه ، وأوحد زمانه .

وجوانب الفضل كثيرة فى عوالم هذا العالِم العامل الورع التقى الرشيد ؛ الذى كان مفسراً مع المفسرين ، وحافظاً من الحفاظ ، وأصولياً مع الأصوليين ، وفقيهاً من جملة الفقهاء ، ونحْويا من النحويين ، وبلاغياً مع البلاغيين ، بل وطبيباً مع الأطباء .

ولكن نعته ـ طبيباً ـ لا يزال موضع نظر كثير من الناس ؛ وذلك معزو إلى أسباب ثلاثة :

الأول : أن تبحره فى العلوم الشرعية واللغوية كان لافتاً للنظر ، صارفاً ذلك عن غيره من الطب وما سواه .

الثانى : أن كتب السيوطى الطبية لا تتعدى ـ إحصاءً ـ ثلاثة كتب أو أربعة على أكثر تقدير ، بينما نراه صنف كثيراً من الكتب فى علم واحد فى كثير من الأحيان .

الثالث : أنه حدث لبس وتوهم من نسبة كتاب « الرحمة فى الطب والحكمة » له ، وقد قيل : إنه لابن أبى بكر الأزرق وقال كثيرٌ من الناس : إنه للشيخ محمد المهدى (وفى رواية المهدوى) ابن على إبراهيم الصبيرى اليمنى الهندى المهجعى المقرى .

هذه الأمور الثلاثة جعلت جانب التصنيف الطبى عند الإمام السيوطى غير محفول به وغير مُعَوَّلٍ عليه وغير مأخوذ مأخذ الجد والاعتبار والتقويم .

هذا فضلاً عن أنه عندما تحدث عن نفسه فى كتابه النفيس « حسن المحاضرة » وذكر أنه رُزِقَ التبحر فى سبعة علوم ، لم يذكر منها « الطب » وليس معنى هذا ـ فى نظرنا ـ أنه لم يصنف فيه ، ولم يدرسه ، ولم يقرأ فيه ؛ إذ أن عدم التبحر ليس معناه الترك والإهمال ؛ لأن غير التبحر أو عدم التبحر لا يمنع ولا يتعارض مع الإحاطة إلى حد كبير .

فضلاً عن أن التبحر فى مصطلح لفظ السيوطى مؤداه معنى فوق ما نتصوره من مدلول إذ إنه يقصد بالتبحر أن لا يدع كتاباً صنف فى موضوعه إلا وقرأه ودرسه بتأن وعمق .

* * *

إن كتاب « تسهيل المنافع فى الطب والحكمة » الذى صنفه إبراهيم بن أبى بكر الأزرق ، والمطبوع بمطبعة صبيح عام ١٩٦٣م كثير الشبه بكتاب « الرحمة فى الطب والحكمة » بل إن نقولاً كثيرة شَتَّى مثبتة فى أثناء « التسهيل » هنا وهناك نادراً ما يخلو منها موضع ، وسواء أشير إلى ذلك أم لا .

لكن أهم ما يلفت النظر أن هناك أخطاءً لغوية دقيقة وردت فى التسهيل وعندنا أن هذه الدقائق المُنْكِرَةَ يتنزه عنها علم السيوطى وإحاطته اللغوية الفذة .

وعلى سبيل المثال نجد فى تسهيل المنافع ص ٧٦ : « فصل فى الماء المالح » ولا يمكن أن يقول السيوطى « المالح » لأن مثله عالماً لغوياً ثبتاً وثقة لا يقع فى مثل هذا الفحش اللغوى ، ومن عجب أن يتكرر نفس الخطأ بعد أربعة أسطر ، وفى السطر الخامس يقول : للاغتسال من الماء المالح .

وهذا يجعلنا نستبعد أن يكون هذا الخطأ من النساخ أو من الطابعين بل يجعلنا نقطع بأنه من المؤلف ـ رحمه الله وعفا عنه ـ .

وفى ص (٨٥) أشار ابن أبى بكر الأزرق إلى الرحمة معزواً للمقرى عنده فقال :

قال المقرى ـ فى « كتاب الرحمة ـ : الحجامة أسلم من الفصد وأنفع لقوله النبى ـ ﷺ ـ الشفاء فى ثلاثة : لعقة من العسل أو شرطة من حجامة ، أو لذعة من نار .. وما أحب أن أكتوى .

* * *

ونقل حاجى خليفة فى كشف الظنون (٤٠٧/١) عن ابن أبى بكر الأزرق قوله : إنه جمع فى كتابه تسهيل المنافع فى الطب والحكمة بين كتابى « شفاء الأجسام » و « كتاب الرحمة » ، ثم زاد عليهما من اللقط[1] لابن الجوزى ، وبرء الساعة ، وتذكرة السويدى وغيرها ، أ هـ .

وفى كشف الظنون (٨٣٦/١) ورد نسب الرحمة فى الطب والحكمة) إلى الشيخ مهدى بن

على بن إبراهيم الصبيرى المقرى المتوفى سنة ٨١٥هـ سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وقال حاجى خليفة : « وهو مختصر لطيف المأخذ مفيد ، ذكره ابن الجزرى فى طبقات القراء » .

تحقيق نسبة كتاب الرحمة فى الطب والحكمة

لما كان ذلك ومن تداخل الأدلة والقرائن وتزاحم الآراء المظنونة مما ألقى سحابات كثيفة ، وظلالا قاتمة على الأمر ، فإننا بحثنا فى مختلف المصادر والمراجع المتوفرة بين أيدينا وقد وجدنا فى (معجم المطبوعات العربية) ليوسف إلياس سركيس (١٠٨٠/١) ذكر كتاب الرحمة فى الطب والحكمة من جملة مؤلفات الإمام السيوطى ، وهو رقم (٤٤) فى القائمة التى رتبها له سركيس . ولكنه فى الحاشية ذكر سركيس أنه : رأى نسخة خطية قديمة معزوة للصبيرى المقرى .

ومن هذا نفهم أن سركيس لم يطمئن إليها ، ودليلنا على ذلك أنه لم يحفل بها ، وأدرج الكتاب ضمن قائمة مؤلفات السيوطى .

ثم إن الصبيرى المقرى مختلف فى تاريخ وفاته اختلافا كبيرا فذكر سركيس أنه توفى سنة ٨١٥ هـ معجم المطبوعات (١١٩٨/٢) لكن حاجى خليفة ذكر وفاته سنة ٨١٤ هـ. وقيل غير ذلك ، كذلك فإن ابن أبى بكر الأزرق توفى سنة ٨١٥ هـ أى فى نفس العام الذى توفى فيه «المقرى» وذكر سنة ٨١٥ هـ تاريخا لوفاته : صاحب هدية العارفين (٢٤/١) وسركيس (٤٢٩) وكشف الظنون (٤٠٧) ، لكن نَدَّ عن ذلك الزركلى فى الاعلام وقال : إنه توفى سنة ٨٩٠ هـ . وهذا الذى قاله الزركلى مرجوع منقوض بما يعارضه من قرائن وأدلة .

مما سلف يتبين أن ابن أبى بكر الأزرق نقل عن الرحمة نقولا واضحة ، وكان ذلك إبَّان حياة الصبيرى المقرى ، بل لم يكن السيوطى عندئذ قد وُلِدَ بعد ، لأن السيوطى وُلدَ سنة تسع وأربعين وثمانمائة .

لذلك فإن الراجح أن يكون الكتاب للصبيرى المقرى حسب هذا التفصيل والتوضيح ، لكن الأمر لا يخلو منِ نظر ومراجعة وحاجة الى مزيد من التمحيص للاتى :

فإن المستقصى المتفحص لكتاب «الرحمة» يجد نفسه أمام أسلوب السيوطى وبراعته ودقة عَرْضِه وتنزهه عن الأخطاء اللغوية والسقطات النحوية التى لا يسلم منها مؤلف إلا فى النادر .

ثم إن الوراقين فى ذلك الوقت كانوا كثيرا ما يُدلِّسون على الناس ، لأجل بيع الكتب الكاسدة بنسبتها إلى مشاهير المؤلفين ضمانا لرواج هذه الكتب ، وهذا من أبشع أنواع التدليس التى راح ضحيتها كثير من الكتب والمؤلفين .

وكما وقع التدليس من الوراقين على المعاصرين لهم ، فلا غرو أن يقع على المتأخرين ، بل إنه يكون على المتأخرين أكثر وأيسر .

كذلك ، فإن كتاب الرحمة ، وكتاب تسهيل المنافع فى منهج التناول والممارسة العلمية يخضع لنفس المنهج الطبى القديم الذى كان معروفا فى تلك العصور سواء من المصطلحات العلمية ، أو طرائق التداوى والمعالجات ، وهى لا تند ولا تبعد كثيرا عن الرازى فى الحاوى ، وابن سينا فى (القانون) ، وابن البيطار فى الأدوية المفردة ، وداود الأنطاكى فى التذكرة ، وابن رسول التركمانى فى المعتمد ، فهؤلاء جميعا متفقون فى أكثر الأحوال تشخيصا وتمحيصا وعلاجا .

ثم إننا لم يتيسر لنا الاطلاع على النسخ المخطوطة لكلا الكتابين ، ولذلك يجعل القرائن المُعَوَّلُ عليها فى هذا الصدد لا تصل إلى درجة القطع والجزم واليقين ، وربما لو عثرنا على نسخة خطية للرحمة مثلا فربما كانت مكتوبة بخط السيوطى (المؤلف) نفسه وهو المعروف للمحققين — فربما كان هذا أقطع للحجة ، وألزم للدليل الراجح .

○ ○ ○

أما كتب السيوطى الطبية التى تفخر بها المكتبة العلمية وهى خير دليل وشاهد على تعمق السيوطى فى الطب والحكمة ، كتابه (مختصر الطب النبوى) وهو مختصر لكتاب الطب النبوى لابن قيم الجوزية .

وقد كان السيوطى بارعا فى مختصراته ، وهى التى لا يستطيع غيره أن يحررها بمثل هذه الكفاءة ، ورحم الله القائل : «نأسف على الإطالة ، لأنه لا وقت للاختصار» .

وهذا المختصر موجود بفهارس المكتبة الأزهرية تحت رقم (٢٠٤ مجاميع) لكننى لم أطلع عليه ولا قرأته .

وله صورة فوتوغرافية ضمن مجموعة فى مجلد كبير تحت رقم (٩٧٩) مجاميع مصورة عن مكتبة القاهرة .

ثم إن كتاب مقامات السيوطى فيه سرد وشرح للنباتات والأعشاب الطبية ، وبعض الخضروات والفواكه ، والزهور والمواد العطرية ونباتات الزينة ، وتحليل وتشريح أجزاء هذه الأشياء تفصيلا لا مزيد عليه .

كذلك له كتاب «زبدة اللبن» وهو يحتوى على فوائد ولطائف وتنبيهات لغوية وحديثية وطبية ، ولكنه مختصر موجز .

أما أهم كتبه الطبية فهو كتاب (غاية الإحساس فى خلق الإنسان) وهو كتاب نفيس قيم ، أشار إليه صاحب كشف الظنون (١١٨٨) وصاحب هدية العارفين (البغدادى) (٥٤٠/١) وبروكلمان فى الأصل الألمانى (١٥٥/٢) .

ويعتبر هذا الكتاب مرجعا فريدا فى التشريح وتسمية أبعاض أجزاء جسم الإنسان بأسمائها اللغوية العربية الفصيحة ، وقد أنجلت فى هذا الكتاب عبقرية السيوطى وعمق درايته بعلم التشريح ، واضطلاعه بدقائق هذا العلم ، فضلا عن فقه اللغة ، والفرق بين أعضاء الجسم المختلفة وهذا الأمر ليس متاحا لأحد غيره بهذه الصورة .

والسيوطى بهذا الكتاب أسدل الستار على هذا العلم فلم يترك زيادة لمستزيد ، إذ إن أحداً بعده لم يحاول ، ولا يستطيع ذلك ، لعلمه اليقينى بأن ما يأتى به سيكون نافلة ، وفضولا من القول لا طائل من ورائه .

وهذا الكتاب توجد منه ثلاث نسخ خطية :

الأولى : مصورة بدار الكتب المصرية برقم (٦٨٩) لغة .

الثانية : مصورة بدار الكتب المصرية برقم (٩٦٠) لغة عن مخطوطة ليون .

الثالثة : المخطوطة الأزهرية ، ضمن مجموعة برقم (١٨٧) لغة

هذه الشخصية الفذة للسيوطى متعددة المواهب ، تتألق فى سماء المجد بما أسدته من علم مفيد نافع نسأل الله أن يجعله فى ميزان حسناته ، وأن ينفعنا به وأن يجعله فرطا لنا فى الموقف يوم نلقاه .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

طرائف ومواقف

للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

.. وتكاثر فى الأموال والأولاد

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : فى تفسير قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَتَكَاثُرٌ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ** ﴾ : يجمع المال من سخط الله ، ويتباهى به على أولياء الله ، ويصرفه فى مساخط الله ، فهو ظلمات بعضها فوق بعض .

وصـــايا

إذا كنت وحدك فاحفظ قلبك ؛ وإذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك ؛ وإذا كنت على المائدة فاحفظ بطنك ؛ وإذا كنت على الطريق فاحفظ عينك ؛ فهذه تورث السلامة .

ســلوا القــاضى

شوهد مؤذن يؤذن من ورقة فى يديه ، فقيل له : أما تحفظ الأذان ؟

قال : سلوا القاضى . فأتوه ، فقالوا : السلام عليكم ، فأخرج دفتراً وتصفحه ثم قال : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الـكتاب والســـنة

كان الشيخ أحمد الرفاعى ـ رضى الله عنه ـ يقول : من لم يزن أقواله ، وأفعاله ، وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره ، لم يُثْبَتْ عندنا فى ديوان الرجال .

رســـالة

من جورج الثانى ملك إنكلترا والغال والسويد والنرويج ، إلى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس .

صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام :

بعد التعظيم والتوقير ؛ فقد سمعنا على الرق العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثركم لنشر العلم فى بلادنا التى يسودها الجهل من أركانها الأربعة .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبانت) على رأس بعثة من بنات أشراف إنكلترا لتتشرف بلثم أهداب العرش ، والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم ، وحماية الحاشية الكريمة ، وحدب من اللواتى سيتوفرن على تعليمهن .

ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل .

أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع

جورج الثانى ، ملك إنكلترا والغال والسويد والنرويج

شعر

قال الشاعر :

من رام عيشا هنيئا يستفيد به
فى دينه ثم فى أخراه إقبالاً
فلينظرن إلى من فوقه أدباً
ولينظرن إلى من دونه إقبالاً

حاكم مؤمن

أرسل سيدنا عمر بن بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى أهل « حمص » ليكتبوا له أسماء الفقراء فكتبوا له فى أول القائمة اسم حاكمهم « سعيد بن عامر » .

ثلاثة مواطن

ثلاثة مواطن : لا يذكر فيها أحدٌ أحدًا .

عند تطاير الكتب ، حتى يعلم كل إنسان « أيؤتى كتابه بيمينه أم بشماله ؟ »

وعند وضع الميزان ، حتى يعلم أيخف أم يثقل ؟

وعند الصراط ، حتى يعلم أيجوز أم يسقط ؟

دعاء

اللهم مُنَّ علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

غــــرور

لصاحب الفضيلة الشيخ / عبدالحميد المسلوت

إعداد وتقديم / الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات

هناك طائفة من الناس لها قياساتها الخاطئة ، وموازينها الفاسدة ، فغالباً ما يتصفون بالغرور والادعاء وليس ذلك ظنهم فى أنفسهم ، والدليل على ذلك أنهم إذا اشتدت عليهم المسألة فتشوا فى داخلهم فلم يجدوا إلا خواء وخلاء .

ولو فقه هؤلاء الناس لعلموا أن الغرور باب من أبواب الشيطان من سلكه باء بالخزى والخسران المبين ، وسوف يفيق على الحقيقة يوم ينقشع عنه ضباب الوهم والغرور .

قال الأستاذ رحمه الله :

غــــرور

من العوارض البارزة والأحداث الظاهرة ما يطوف بالجماعات فيتغلغل فى صفوفها ، ويتمكن بين أفرادها ، ويلم بالأمة فى غزوه المنكر ونزوله الملح ، فتخضع فترة من الزمن لسلطانه ، وتعيش ردحاً من الدهر تترنح تحت وطأته . تتمرد عليه حيناً ، وتخبت له أحياناً . تحاول أن تبعد عنه آنا وتستسلم لغواشيه المطبقة وطوفانه المغرق آنا آخر . حتى إذا قوى منها العزم ، واستحصد لديها الحزم ، ونفذت الإرادة ، استطاعت أن تفلت من آصاره وتتخلص من قيوده .

وإلمام الظواهر التى لا تحب ولا تستساغ ، أمر عادى يتسرب إلى الأفراد ويتفشى فى الجماعات ، ما دامت النوازع الإنسانية ، والأطماع البشرية ، والأهواء والشهوات تضطرم فى النفس وتفور فى الجسد .

ولكن الذى لا ترضاه العقول السليمة ، ولا يطمئن إليه التفكير الصحيح ، ولا تقره شريعة رب العالمين ، أن نقع فريسة للعوارض المهلكة والأدواء القاتلة ، والأمراض النفسية الخبيثة فلا نحاول التمرد عليها والخلوص من أوزارها .

قد يغفل الضمير ، أو تغفو المشاعر الإنسانية ، وتهجع فى النفس قوة المراقبة فيدخل عليها الداء من حيث لا تقدر ، ويتسرب إليها الوهن من حيث لا تشعر . ولكن العاقل الذى يحاسب نفسه لا يلبث أن ينتزعها مما يحل بها من آفة ويتسلط عليها من داء . ولعل هذا أبرز فارق بين البر والفاجر ، فإن البر سريع الإفادة إلى ربه ، كثير الإقلاع عن ذنبه ، شديد الندم على ما يبدو منه من مخالفة ، أما الفاجر فهو دائماً

سادر فى لهوه ، ممعن فى غيه لا يوقظه إلا القوارع المجلجلة والمحن العاصفة .

إن الأفراد والجماعات لا تصاب بعلة مميتة وآفة لعينة مقيتة ، تدمر نظامها وتحطم نتاجها وتفسد أمرها وتضعف الثقة فيها وتعدم التعاون بينها ، مثل آفة (الغرور) فهو أساس كل شر ، ومصدر كل فساد ، وسبب كل هلاك . وما أحبط أعمال الناس وأصارها إلى الإمحال والجدب ، ومكن بينهم العداوة والبغضاء ، ودعا إلى الخصام والشحناء ، وأشاع الذعر والخوف والاضطراب إلا داء الغرور ، حين يستولى على النفوس ويستبد بالقلوب ، فيحول مودتها إلى عداوة ، وصفاءها إلى كدر ، وإخلاصها إلى ضغينة وحسد .

يغتر المرء بجهده وعمله ويخدع جاهلاً فى كفايته وقدرته . ويخيل إليه الوهم الكاذب ، والسراب الخادع ، والعقل الخائر ، والتفكير الضحل ، أن قوته فوق القوى ، وقدرته لا توازيها قدرة . هو فى نفسه عالم يفقه أدق مشاكل العلم وأعقد مسائله ، وهو سياسى يدرك من خفايا السياسة الداخلية والخارجية ما يستعصى على الآخرين ، وهو بين الأدباء أديب بارع الفكر ، رائع الخيال ، هو فى كل شىء أشد الناس فهماً وأصدقهم حكماً وأنفذهم نظراً وأعمقهم غوراً وأسماهم فكراً ، لا يقبل فى ذلك جدلاً ولا مناقشة ، وبهذه الفكرة الخاطئة ، والنظرة الباطلة ، والوهم الكاذب ، لا يمكن أن يلتقى بالناس فى عمل مشترك أو تعاون مفيد . وهل يلتقى فى نظر السقيم الثرى بالثريا أو مجتمع الخامل والعبقرى ؟

ويدعى إلى سلوك طيب يكون له وللناس فيه خير ، فتأبى عليه نفسه ، وينفر طبعه ويداخله الحنق والغضب ، لأن سلوكه فيما يرى أقوم سلوك ، وأدبه أرفع ، ومقامه أسمى من أن يتطاول إليه نصح أو توجيه وقبح الله الغرور .

ويراد على الإحسان فى عمله والإجادة فى إنتاجه ، فيستفزه الغضب وتستثيره الحدة لأن عمله أحكم صنعاً وأدق أداء وأعظم من أن يتطاول إليه متطاول .

ويفسد فى الأرض ، ويستسلم لنزوات الشر ، ودوافع الشر ، ودوافع الإثم وتمتد عينه ويده إلى ما حرم الله عليه ، فإذا وجه إليه نقد أخذه الحقد واستبد به الغرور لأنه عند نفسه فوق أن يخضع لنقدات الناقدين .

وهكذا يدخل الفساد على الأمة ويتسرب إليها الدا ، ويبدأ فيها الشر والعوج ، كل فرد أمة وكل شخص دولة ، فهو مستقل فى رأيه مستبد بفكره ، لا سلطان لأحد عليه ثم يجىء بعد ذلك الضلال فى الرأى والخطأ فى التقدير والتخبط فى السلوك ، لأن ما استقر فى النفوس من الغرور قد أفسدها واظلم آفاتها ، فلم يعد أحد يصغى إلا لما تهتف به شهوته وتضطرم فيه نزوته وينزع إليه هواه .

وهكذا يتداعى بناء المجتمع وتضطرب أركانه ، وتختل موازينه ، وتتضاءل قوته ، وتنحل عروته بما يشيعه الجاهلون من فساد ، وما يأتيه المغرورون من حمق .

إن فى الغرور ادعاء واجتراء : ادعاء يسلب الإنسان وقاره الخلقى وحليته النفسية ، واجتراء يثير فى الأنفس الحقد على الناس والضغينة بينهم فيقطع ما اتصل من أسباب المودة ويفسد ما صلح من عوامل الألفة ، ويهدم ما يقوم من رغبة فى التعاون والجهاد فى هذه الحياة .

ولقد أراد الله تعالى لهذه الأمة القرآنية أن تعيش سليمة من الآفات بريئة من الأدواء والعلل ، وأن تتربى تربية نفسية لا يداخلها شوب من الفساد ، ولا عامل من الانحلال ، فحذرها الله جل شأنه بما شرع من آداب واستن من سنن ، أن تستسلم لداء أو تخضع لآفة . ولقد قال جل شأنه ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ لقمان/٣٣ .

ثم أشار جل شأنه إلى أن مصدر هذه الآفة تأميل فى طول عيش ، أو طمع فى طيبات الحياة وزينة الدنيا ، أو رغبة فى الاستمتاع بنعمة الولد وهكذا فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ لقمان/٣٤ .

يجب أن نعالج ما يعترينا من نقائص ، وما يتفشى بيننا من أوزار ، ويجب أن نربى أنفسنا على ما يلتمع فى تاريخنا من روائع الصور وبارع الأمثلة التى كتبت هذا التاريخ وبنت ذلك المجد ، وليعلم أولئك الذين يخفون إلى الاقتداء فى الشر ويسرعون إلى الاحتذاء فى الضرر ، أن الاتباع فى الخير والاقتداء بمن مضوا من سلفنا الصالح يغرس فينا الفضيلة ويسددنا نحو النهج القويم .

لقد كان عمر بن لخطاب حريصاً أشد الحرص على أن يكسر نخوة نفسه ، وأن يستل داء الغرور من كل يحيط به . فهو الذى أمر المصرى أن يضرب ولد عمرو بن العاص ثم يضع الدرة على صلعة عمرو ليذهب ما عسى أن يكون قد داخله من خيلاء الحكم وكبرياء السلطان . وكان ـ رضى الله عنه ـ يحاول دائماً أن يقتل ما فى نفسه من نخوة ويطرد ما يمكن أن يساورها من وسواس .

يقول عروة بن الزبير : رأيت عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ ، وعلى عاتقه قربة ماء . فقلت : يا أمير المؤمنين إنه لا ينبغى لمثلك هذا . فقال : أنه لما أتتنى الوفود سامعة مطيعة مهادنة دخلت نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها . ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها .

ويروى الأحنف بن قيس : إنه كان بصحبة أمير المؤمنين عمر فجاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن فلاناً ظلمنى فأعدنى عليه . فرفع درته وضرب بها رأسه وقال : تدعون عمر وهو معرض لكم ، حتى إذا شغل فى أمر المسلمين أتيتموه ، تقولون أعدنى .

فانصرف الرجل متذمراً فقال عمر : على بالرجل . فجيء به إليه ، فألقى إليه الدرة وقال له : اقتص ! فقال : بل أدعه الله وإرادة ما عنده . وانصرف .

يقول الأحنف . ثم جاء عمر فدخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين ثم جلس وقال : يا ابن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك الله ، وضالاً فهداك الله ، وذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس فجاء رجل يستعديك على من ظلمه فضربته . ماذا تقول لربك غداً ؟ فجعل يعاتب نفسه أشد المعاتبة .

ويقول رجاء بن حيوة : كنت ليلة عند عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فضعف المصباح ، فقام رجل ليصلحه فقال : اجلس ، فليس من الكرم أن يستخدم المرء ضيفه .

ثم قام بنفسه فأصلح السراج ، فقال : أتقوم إلى السراج وأنت أمير المؤمنين ؟ فقال : قمت وأنا عمر ابن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز ، بمثل هذه السير النقية والأخلاق الطاهرة والآداب الكريمة تعز الجماعات وتسعد الأمم .

من أعلام الأزهر

الشيخ على أحمد الجرجاوى
لا محل للتشكيك فى رحلته إلى بلاد اليابان

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

نشرت مجلة الأزهر الغراء مقالًا لى عن علم من أعلام الأزهر عاش فى زماننا المعاصر هو الشيخ على أحمد الجرجاوى الذى كان أول من دعا إلى الإسلام فى بلاد اليابان(١) .

لقد قام هذا الداعية الإسلامى برحلته فى ٣٠ يونية سنة ١٩٠٦م فى بداية هذا القرن الميلادى فركب البحار وجاب الآفاق حتى وصل إلى بلاد اليابان لا لغرض دنيوى أو لكسب مادى ولكن ليبث دعوة الله وينشر عقيدة الإسلام هناك . بعد أن قطع فى سفره أكثر من إثنى عشر ألف ميل محتملًا ما يعجز عنه الأقوياء من الرجال ، دافعُهُ إلى ذلك إيمانه بتخطى الصعاب ، وروحه الجياشة بالأمل والعمل لخير الإسلام والمسلمين خصوصاً ــ وأنه كما يقول : ينتمى إلى الأزهر الشريف تلك المدرسة الوحيدة فى العالم الإسلامى التى يقصدها الطلاب المسلمون من كل أقطار أمة الإسلام ليكونوا دعاة مرشدين وأئمة صالحين .

ولما أعلن عن عزمه على السفر على صفحات الصحف العربية اليومية والأسبوعية وقتئذ ونقلت عنه الصحف السيارة فى الآستانة والهند وقازان وأفغانستان بين فى إعلانه المشار إليه أنه لا يقبل درهماً واحداً من أحد من الناس على سبيل المساعدة المادية حتى ولا قيمة الاشتراك فى جريدته الإسلامية التى كان يصدرها وقتئذ حتى لا يتهم بأنه اتخذ الرحلة حبالة لصيد الدرهم والدينار لا العمل لوجه الله الكريم(٢).

ولقد أخبرنى والدى رحمه الله وكان صديقاً للشيخ على أحمد الجرجاوى أن ذلك الداعية قام ببيع أربع أفدنة من ميراثه عن والده لتغطية تكاليف رحلته إلى بلاد اليابان .

وعندما عاد إلى مصر قام بتقنين رحلته فى مؤلف له دعاه باسم (الرحلة اليابانية) وفيه سجل جميع وقائع تلك الرحلة ومراحلها المختلفة ،

---

(١) مجلة الأزهر الجزء الثانى عشر ، السنة التاسعة والخمسون ، ذى الحجة سنة ١٤٠٧هـ ــ أغسطس سنة ١٩٨٧م .

(٢) أسس صحيفة الإرشاد الإسلامية التى كان يصدرها ويرعاها فى بداية هذا القرن الميلادى كما عمل رئيساً لجمعية الأزهر العلمية طيلة حياته .

وكيف قام هناك بدعوة الناس أى اليابانيين إلى عقيدة الإسلام وشرح لهم تعاليمه يعاونه فى ذلك :

أولا ـ السيد حسين عبدالمنعم أحد الدعاة المسلمين من بلاد الهند وله إلمام باللغة الإنجليزية إذ كان يقوم بترجمة ما يقوله الشيخ على الجرجاوى فى جلسات المؤتمر من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية عن أركان الإسلام ، وإنه دين المدنية والعدل والمساواة .

ثانياً : المسيو جازنيف وهو يابانى وصاحب المنزل الذى تم تخصيصه حينئذ ليكون مركزاً لدعوة الناس فقد كان يقوم بترجمة كلام الشيخ على الجرجاوى الذى ترجم بالانجليزية إلى اللغة اليابانية أمام من حضر من اليابانيين .

وكان من حصيلة جلسات الدعوة إلى الإسلام التى عقدها ذلك الداعية الأزهرى والتى بلغت ثمانى عشرة جلسة أن اعتنق الإسلام نحو اثنى عشر ألف رجل يابانى على رأسهم الميسو جازنيف السابق الإشار إليه(٣).

التشكيك فى رحلة الجرجاوى إلى اليابان ولمحة عمن سبقه من علماء الإسلام الرحالة ..

مما يؤسف له أن بعض الأوساط العلمية فى العالم العربى فى أيامنا الحالية استبعدت أن يكون الشيخ على الجرجاوى قد قام فعلًا برحلته المشار إليها إلى بلاد اليابان وأثارت الشكوك عليها بدعوى أن السند الوحيد لتلك الرحلة هو ما كتبه الشيخ على الجرجاوى عنها فقط .

وهذا أسلوب غريب ومنطق عجيب فى رد رحلة الشيخ الجرجاوى ، وما سمعنا بهذا الشك يتطرق إلى الرحالة السابقين فى مختلف العصور فى دولة الإسلام ، فقد جابوا العالم ودونوا علومهم ، وكذا ملاحظاتهم فى كتب ودراسات سموها (علوم تقويم البلدان) وهم كثير ، نذكر منهم :

سلمان التاجر صاحب السياحة إلى بلاد الصين عام ٨٥١م والمسعـــودى صاحب «مروج الذهب» الذى رحل إلى إفريقيا والصين حوالى ٣٣٢هـ والمقدس صاحب كتاب .. «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» وصف فيه بلاد الإسلام بعد التطواف بها بلداً بلداً .. وغير هؤلاء كثير تبعهم أئمة فى هذا المجال كابن بطوطة الذى بدأ سياحاته عام ١٣٢٥م من (طنجة) متجولًا فى إفريقيا الشمالية حتى مصر والقسطنطينية والهند وبكين وسيلان وسومطرة وجاوه ، واستغرقت سياحاته أربعة وعشرين عاماً ، ثم استأنف رحلاته بعد إلى الأندلس ، وأوغل فى إفريقيا حتى تمبكتو على نهر النيجر .

فما الذى افتقده الشيخ على الجرجاوى عمن سبقه من الرحالة العرب أو الرحالة المسلمين السابقين حتى توصم رحلته إلى بلاد اليابان بالشك والريبة ؟

أم أنه كثير على واحد من علماء الإسلام ورجال الأزهر اشتهر طيلة حياته بالاستقامة والصلاح والتدين والنزاهة ليقوم برحلة علمية طويلة يدعو فيها إلى الله على بصيرة وإلى عقيدة التوحيد وإلى دين الإسلام فى بلاد الشمس المشرقة .

أما كان الأجدر ، والأثبت علمياً ، أن يقدم الشاك بين يدى أوهامه دليلًا يقطع بأن هذه الرحلة لم تتم ؛ فإن لم يمكن ذلك فقد جازف بتعريض ذاته لما تترفع عنه الأقلام .

(٣) كتاب الرحلة اليابانية تأليف الشيخ على أحمد الجرجاوى ط أولى ١٣٢٥ .

ما كتبته بعض الصحف المصرية خلال الأيام الماضية عن هذه الرحلة مشيدة بصاحبها وإحدى الصحف العربية فى دولة قطر .

١ ــ فقد كتبت جريدة الأخبار القاهرية سنة ١٩٨٦ فى عدد جريدة الجمعة تقول (هكذا قرر الشيخ على أحمد الجرجاوى السفر على نفقته الخاصة إلى اليابان فى عام ١٩٠٦ لنشر تعاليم الإسلام ، وليس الإتجار وإنماء الثروة[٤] .

٢ ــ كما كررت الكتابة عنه وعن رحلته جريدة الأخبار السابق الإشارة إليها سنة ١٩٨٦م وكان مما ذكرته عنه (الشيخ الجرجاوى يرفض قبول التبرعات لتمويل رحلته للدعوة الإسلامية فى اليابان[٥] .

٣ ــ كما ذكرت صحيفة اللواء الإسلامى فى مقال لها خلال شهر شعبان الماضى أن الشيخ على الجرجاوى كان أول من دعا إلى الإسلام فى بلاد اليابان[٦].

٤ ــ وأوردت مجلة الأمة التى كانت تصدر فى قطر خلال الفترة الأولى من الثمانينات فى مقال لها تحت عنوان (لقاء مع القادمين من طوكيو) أن الشيخ على أحمد الجرجاوى شارك فى الدعوة إلى الإسلام هناك ، وإنه أرخ لرحلته هذه فى كتاب أسماه (الرحلة اليابانية) وفيه يذكر كيف دخل عدد من اليابانيين فى هذا الدين وكيف كان ترحيب الحكومة اليابانية به لأنه بوصفه مصريا كان يتبع الدول العثمانية التى هى صديقة لدولة اليابان وقتئذ[٧] .

٥ ــ كما جاء فى عدد آخر من مجلة الأمة السابق الإشارة إليها خلال عام ١٩٨٦م مقال بقلم الأستاذ الدكتور عبدالودود شلبى يشير فيه إلى أنه سبق أن كلف قبل تحرير هذا المقال بثلاث سنوات بالسفر إلى اليابان ممثلًا للأزهر فى افتتاح المركز الإسلامى وهناك سمع الكثيرين يتحدثون عن الشيخ على أحمد الجرجاوى بوصفه أول داعية إسلامى عرفته تلك البلاد فى عصرها الحديث ، وعن دوره فى إسلام الكثير من أبنائها فى مدة لا تزيد عن بضعة أشهر بعد أن قام برحلة شاقة وشيقة لنشر تعاليم الدين الحنيف حيث سجلها فى كتاب سماه (الرحلة اليابانية) وأن ذلك الداعية المسلم قام بتلك الرحلة على نفقته الخاصة ، لا للشهرة وحسن السمعة أو جميل الذكر بل لوجه الله الكريم ، وقد ذكر فى كتابه بعض الأسماء لشخصيات يابانية أسلمت على يديه من الحكام والتجار المعتبرين وذوى الحيثيات مثل المسيو (جازانيف) ثم (اترالكيو) و(أنساتليزيو) و(كورفارى) وغيرهم من العظماء الذين لو كتبت أسماؤهم لاحتاج ذلك إلى مجلد ضخم ومنهم من لم يرد تغيير اسمه الأصلى ولا تغير اسم عائلته فعرفهم أن هذا لا ضرر فيه . ثم يقول الأستاذ الدكتور عبدالودود شلبى (لقد كان الشيخ على الجرجاوى واحداً من هؤلاء الرواد الذين اختاروا التضحية طريقاً إلى الله فى قيامه بالتنقل والترحال بين مختلف الأقطار مسافراً أكثر من اثنى عشر ألف ميل محتملًا ما يعجز عنه أولو

(٤) جريدة الأخبار القاهرية .. جريدة الجمعة بتاريخ ١٧ من ذى الحجة سنة ١٤٠٦هـ ــ ٢٢ أغسطس سنة ١٩٨٦م .

(٥) جريدة الأخبار القاهرية ــ جريدة الجمعة بتاريخ ٢٤ من ذى الحجة سنة ١٤٠٦هـ ــ ٢٩ أغسطس سنة ١٩٨٦ .

(٦) جريدة اللواء الإسلامى بتاريخ ١٢ شعبان سنة ١٤١٣هـ ــ ٤ فبراير سنة ١٩٩٣م .

(٧) مجلة الأمة عدد شعبان سنة ١٤٠٢هـ ــ يونية سنة ١٩٨٢م .

العزم من الرجال دافعة إلى ذلك إيمان بتخطى الصعاب وروح جياشة بالأمل والعمل لخير المسلمين والإسلام ثم يتساءل .

ماذا كان يمكن أن يحدث لمثل هذا الرجل لو ظهر فى أمة غير مسلمة ؟

إن «ليفنجستون» الرحالة الإنجليزى المنصِّر خالد اسمه فى كل صحيفة وكتاب وأقيمت له التماثيل والنُّصُب فى كل مدينة وميدان ، ونحن لا نطالب بمثل هذا التكريم الذى يرفضه الإسلام ، وإنما نطالب علماءنا ومفكرينا بتكريم هذا الرجل على نحو يشجع غيره من الدعاة والرواد ، وهو تكريم يفرضه الإسلام الذى لا يضيع عنده أجر عامل من الرجال أو النساء .

وفى كتاب رحلته ـ رحمه الله ـ يحث الشيخ الجرجاوى العلماء ورثة الأنبياء ونجوم الهداية إلى الترحال لبث الدعوة ، ونشر دين الله ، ويدرك ـ رحمه الله ـ ما يحتاج إليه هذا الجهد من المال فيخاطب الأغنياء ليساعدوا العلماء ، فليس كل عالم يملك ما يستطيع أن يتنازل عنه لهذه الرحلات بل قد لا يملك شيئاً على الاطلاق ، خاصة بعد أن توالت سياسات نالت من أوقات الأزهر جميعاً بداية من حكم محمد على حتى الثلاثينات من هذا القرن ، ولم تثمر اجراءات (جماعة كبار العلماء) فى استرداد أو إقامة هذه الحقوق ، يقول ـ رحمه الله :

أما أنتم أيها الأغنياء والموسرون فإنكم خالفتم سيرة كل ذوى الغنى واليسار من الأمم الأخرى تلك السيرة التى أنتم بها أولى وأحرى .

ماذا عليكم لو فتحتم اكتتاباً لتأليف بعثة دينية تسافر إلى بلاد اليابان وتنشر التعاليم الدينية والعقائد الإسلامية ، على أن المال لديكم لا يوزن بالميزان بل يقال بالقفزات هلا يوجد منكم ألف ولو على وجه التقريب يجود كل واحد بنصف ما يصرفه فى شهواته ليكون بذلك قد خدم دينه ووطنه ونفسه ؟

أما دينه فلأنه سعى فى الدعوة إليه .

وأما وطنه فلأنه بفعله هذا يجعل الأمم الأخرى ترمق المصرى بعين الاعتبار وأما نفسه فلأنه اكسبها فضيلة من أعظم الفضائل[٨] .

وبعـــد :

فمن عرض الوقائع السابق ذكرها يتبين إنه لا محل للشك فى تمام الرحلة اليابانية التى قام بها العالم والداعية المسلم الشيخ على الجرجاوى وكذلك سلامة رحلات من سبقه من الرحالة المسلمين ، لأن الصدق وتبيان الحقيقة خُلق إسلامى أصيل وصبغة ثابتة فى سلوك المسلم المعتاد .

فما بالكم إذا كان ذلك المسلم هو أحد الدعاة وينتمى إلى زمرة العلماء ؟

إن المجتمع الإسلامى قائم عادة على محاربة الظنون وإطراح الريب لأن الحقائق الراسخة وحدها هى التى تظهر وتغلب تحقيقاً لقول رسول الله ـ ﷺ ـ «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[٩] وقد نعى القرآن على أقوام جريهم وراء الظنون التى أفسدت حاضرهم ومستقبلهم قال جل وعلا : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[١٠]

(٨) بتصرف واختصار من كلام الشيخ على أحمد الجرجاوى فى كتابه الرحلة اليابانية ومن مقال الدكتور عبد الودود شلبى .

(٩) صحيح البخارى .

(١٠) سورة النجم ٢٣ .

اللغة والأدب والنقد

المنهج التدريجى وأثره فى تلقى اللغويات

للدكتور عبدالرءوف محمد عثمان

ألا وإن المنهج التدريجى منهج تربوى وعملى يلائم النفس البشرية ويوائمها ، استخدمه القرآن الكريم ، فكان له أعظم الأثر فى تحريم آفتين : الخمر والربا ، فقد حرم كل منهما على أربعة مراحل بدلا من تحريمهما دفعة واحدة فاقتلع بذلك الآفتين من جذورهما ، ونادى به علماء التربية والنفس فى عملية التعلم والتعليم من قديم فقد نادوا بالتدرج من المعلوم إلى المجهول ، وبالتدريج من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المركب الخ .. وأحوج العلوم إلى هذا المنهج هو علم اللغويات (النحو والصرف) ، قد دفعنى إلى هذا البحث أن بعض الأساتذة يفرضون على طلابهم كتبا لاتلائم عقليتهم أو مستواهم الفكرى ناسين أو متناسين هذا المنهج التدريجى ، فعند تناول النحو ـ وهو أنواع ـ يسلك به هذا النهج هكذا .

أولاً ـ النحو الوظيفي* : يعتمد هذا النحو على الوضع الإعرابى الأول للكلمة ويهمل المتممات الناتجة عن البناء أو المحل أو علامات الإعراب الخ ، وفيه إبراز لمقصود الوظائف الإعرابية الأساسية للاسم والفعل والحرف مع إهمال الأوضاع الخاصة المتأنية من وجود الكلمة تحت تأثير عاملين أحيانا ، والغاية منه مساعدة القارىء أو الدارس نحويا ودلاليا ، دون انقطاع فى حبل تفكيره وهو يتابع معنى النص ، وسنتناول هذا النحو بشىء من التفصيل لأهميته بعد أن ننتهى من السرد التدريجى لأنواع النحو .

ثانياً ـ النحو التحليلى** : وهو مظهر من مظاهر النحو التطبيقى ؛ إذْ به يتبين لنا فهم الدارس للقاعدة النحوية ، ولنأخذ مثالا مبسطا للحرف (إنّ) فهو فى النحو الوظيفى حرف يفيد التوكيد ، ولكن النحو التحليلى ينصهر معه على أنه للتوكيد ، وأنه ينصب الاسم ويرفع الخبر ، وأنه مشبه للفعل إذ أنه على ثلاثة أحرف وهى أقل بنية يكون عليها الفعل ولذا ينصب ويرفع كالفعل وهناك نوع من التحليل الصياغى يرد التراكيب إلى أصلها كما فى قوله تعالى : ﴿**أنا أكثر منك مالاً**﴾[1] إذْ أصل التركيب مالى أكثر من مالك ، وقوله جل شأنه ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾[2] أصلها وفجرنا عيون الأرض ، فكان لهذا الأسلوب القرآنى بعد التحويل الأثر البالغ فى تثبيت المعنى ورسوخه فى النفس ، يدرك ذلك كل ذى ذوق سليم .

ونوع آخر من التحليل هو التحليل الإفرادى فعند تحليل الفعل من قوله تعالى «فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله»[3] نجد المعادلة الآتية : ف + س + يكفى + ك + هم = فسيكفيكهم .

ثالثا : النحو الإحصائى : عُنى النحويون بالفعل عناية تامة وركزوا عليه الأضواء ؛ لأن الفعل هو كلمة وجملة فى آن واحد ، من هذا المنطلق إذا أردنا أن نحصى الأفعال فى فاتحة الكتاب مثلا نجد أن الفعل الماضى هو «أنعمت» والمضارع «نعبد ، نستعين» والأمر «اهدنا» وتكون النسبة المئوية للأفعال فى الفاتحة هكذا :

الماضى = ٢٥٪ المضارع = ٥٠٪ الأمر = ٢٥٪ هذا النحو الإحصائى قد يستفاد منه فى صور متقدمة عن هذه التى رأيناها فى فاتحة الكتاب كأن نطلب من الدارس سرد اسم الإشارة أو الموصول فى ديوان الحماسة ، وبالقطع سيستفيد الدارس من هذا المسح الميدانى لما فيه من دقائق ربما لم يألفها من قبل .

وقد دخل النحو الإحصائى ميدانا جديداً عن طريق الحاسوب (الكومبيوتر **Computer**) فأصبح لهذا النوع من النحو قيمة قيّمة .

رابعاً : النحو النصّى :

ونعنى به نحو التراث ، ولقد أحسنت بعض كليات جامعة الأزهر فى جعلها لنحو التراث ولغيره من العلوم نصيبا موفوراً ، بل وخصصت للقسم النصى أستاذاً وللتحديثى أستاذاً آخر للمادة

* المجزى من نحو العربية لكاتب هذا المقال .

** المرجع السابق : المقدمة .

(١) من الآية ٣٤ من سورة الكهف .

(٢) من الآية ١٢ من سورة القمر .

(٣) من الآية ١٣٧ من سورة البقرة .

الواحدة ليتعود الطالب على هذا النوع ، فإن اعتماد الطلاب على المذكرات التى يكتبها الأساتذة ـ مع ما فيها من نفع وفائدة ـ لايجعل الطالب يعتمد على نفسه ، ولا يبذل جهدا فى فهم تراكيب التراث ولكن الجمع بين المذكرة للأستاذ والنص من الكتب القديمة يجعل الطالب ذا فكر واع لما كتبه السابقون ، وذا عقل خلاق بما يكتبه اللاحقون فإذا رجعت إلى حاشية الصبان على شرح الأشمونى فى باب اسم الاشارة ـ مثلا ـ وجدت جدولين أحدهما للمحشّى والآخر للشارح بعدهما تنبيه وخاتمة[٤] وقلما تجد مثل ذلك فى النحو التحديثى ولكى نستفيد من فكرة التدرج نبدأ أولا بما كتب فى مذكرة الأستاذ ، ثم نقرأ الموضوع نفسه فى الكتاب النصى عملا بما ذكره (هربرت سبنسر) فى التدرج من السهل إلى الصعب .

خامسا ـ النحو الفلسفى : الأصل فى النحو أن يكون لتقويم اللسان ولكن بعد أن اختلط النحو بالمنطق ثم بالفلسفة أصبح النحو لتثقيف الجنان كذلك ، ليس هذا فحسب بل أصبح النحو فى بعض المجتمعات من مقاييس الذكاء مما جعل الدارسين والطلاب يرغبون عنه لافيه .

وفى العلاقة بين اللغة والمنطق نذكر هنا سبب ذلك فى أن (علاقة اللغة بالمنطق تظهر فى كون اللغة حاملة للمعنى ، وتعبر عن الفكر الإنسانى ، ومن هنا تنشأ الصلة بينها وبين المنطق باعتبار المنطق يبحث فى قوانين الفكر الذى يعبر عنه باللغة[٥] ، بل إن من مؤرخى الفلسفة من يرجع أن المنطق باعتباره علما ، إنما نشأ فى كنف النحو المعبر عن نظام اللغة ، وأن أرسطو قد تأثر بأبحاث النحويين الإغريق فى وضع منطقه »[٦] .

وهكذا نرى المزج بين النحو والمنطق والفلسفة وتأثر كل من ثلاثتها بالآخر ولقد تمت فكرة المزج هذه ، فاستعمل النحويون مبدأى : التعليل والقياس ؛ مما جعل ابن مضاء القرطبى يثور على النحويين لتحريره مما علق به ، فنراه يحمل عليهم تصورهم الواهم ، فيقول : «أما القول بأن الألفاظ يحدث بعضها بعضا فباطل عقلا وشرعا لايقول به أحد من العقلاء لمعانٍ يطول ذكرها فيما القصد إيجازه »[٧] .

وابن مضاء فى كل ذلك إنما تيكىء على ما أورده ابن جنى فى خصائصه[٨] ومفاده : أن العمل مع الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لالشىء غيره .

لم ينكر ابن مضاء أن النحويين قد بلغوا بصناعتهم الغاية التى يرجونها وهى حفظ كلام العرب من اللحن وصيانته من التعبير إلا أنهم تجاوزوا فيها القدر الكافى فيما أرادوه منها فتوعرت مسالكها ووهنت مبانيها وانحطت عن رتبة الإقناع حجمها حتى قال شاعر فيها :

ترنو بطرف فاتر فاتن   أضعف من حجة نحوى

وكتاب الزجاجى : (الإيضاح فى علل النحو) جد مشهور فتراه يعقد بابا بعنوان (باب القول فى الاسم والفعل والحرف أيها أسبق فى المرتبة والتقدم) وآخر بعنوان (باب القول فى الأفعال أيها

(٤) راجع ذلك فى ص ١٤١ ـ ١٤٦ الجزء الأول ، ط . دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(٥) أنظر ص ١١٩ من كتاب القياسى فى النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكريات لأبى على الفارسى ط . دار الفكر .

(٦) مما ورد فى المنطق الصورى والرياضى ، الطبعة الثانية : ١٩ .

(٧) كتاب الرد على النحاة ص ٨٧ .

(٨) الخصائص ١/ ١١٠

أسبق فى التقدم) وآخر تحت عنوان (باب علة امتناع الأسماء من الجزم) وقبله (باب ذكر علة ثقل الفعل وخفة الاسم) وأخيراً (باب ذكر علة امتناع الأفعال من الخفض)(٩) . ويأخذنا هذا التدرج إلى نهايته فنختمه بنحو هو من الترف العلمى وهو :

سادساً ــ نحو الأحاجى : ويعبر عنه أحيانا بنحو الإلغاز كأن تسأل وتقول والفعل الذى إذا أثبته نفيته وإذا نفيته أثبته والذى يقول فيه المعرى ملغزا

إذا نفيت والله أعلم أثبتت
وإن أثبتت قامت مقام جحود

مشيرا إلى الفعل (كاد) وقد أشير إلى ذلك عند شرح الحديث رقم ٥٩٦ من صحيح البخارى عند قول عمر بن الخطاب «يارسول الله ماكدت أصلى العصر حتى كادت الشمس تغرب ...» قال اليعمرى لفظ (كاد) من أفعال المقاربة فإذا قلت كاد زيد يقوم فهم أنه قارب القيام ولم يقم(١٠) .

وقد تغرق فى الإلغاز فتطلب من محدثك أن يقرأ لك هذا البيت :

إن هنـــد المليحـــة الحسنـــاء
وأى من أضمـــرت لخلّ وفـــاء

فسيقرأ لك البيت على (إنّ) حرف توكيد ونصب فتقول له (إنّ) هنا فعل أمر من (وأى) بدليل أول شطر البيت الثانى (وَأْىْ) بمعنى (وعد) ومنه الحديث القدسى يقول الله تعالى **﴿إنى قد وأيت على نفسى أن أذكـــر من ذكرنى﴾**(١١) فالأمر من وأى (إ) كالأمر من وق (قِ) والأمر من وعى (ع) ثم أُكّد الفعل بالنون فأصبح (إنَّ) وبالطبع سيتغير الإعراب فى البيت تبعا لذلك .

ومن ذلك أن يسألك سائل عن الاسم الذى إذا نكرته عُرِّف ، وإذا عرفته نُكّر ، والإجابة عن هذا الاسم هو الظرف (أمسِ) فهو بهذه الصورة يدل على اليوم الذى قبل يومك أما (الأمس) فهو أى يوم مضى دون تعيين .

هذا التدرج يجب أن يراعيه المرسل للمتلقى الذى أمامه وإلا أصبح النحو شبحاً مخيفاً وعدواً ماثلاً أمام الدارس والمتعلم ، وكما وعدنا : نتناول النحو الوظيفى بشىء من التدرج التفريدى بعد أن تناولناه بالتدرج النوعى وجعلناه الأول لفائدته ونفعه عما سواه . فعند تدريس هذا النحو وعادة يكون للمبتدئين نمزج بين قواعد الإملاء وقواعد النحو وبخاصة فى الهمزات والألف اللينة والألف اليابسة . فالهمزة قد تقع فى أول الكلمة وقد تكون فى الوسط أو الآخر ولكل رسم خاص كما فى كلمة أصدقاء فالهمزة الأولى على ألف دائماً والهمزة الأخيرة مفردة دائما فى جميع حالات الإعراب ولكن يتغير الوضع إذا أصبحت الهمزة وسطا فنقول حضر أصدقاؤنا ، ورأيت أصدقاءنا ، وسلمت على أصدقائنا ، والفعل (يخشى) يختلف عن الفعل (يرمى) وإن كان آخرهما إملائيا ياءلأن العبرة فى النحو بالنطق فآخر الفعل الأول ألف وآخر الفعل الثانى ياء ، والاسمان أو الكلمتان (الفتى والعصا) مع أن آخرها ألف لكن تُكتب

---

(٩) الزجاجى هو أبو القاسم الزجاجى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ وأنظر كتابه الإيضاح فى علل النحو تحقيق د. مازن المبارك ص٨٣ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٧ .

(١٠) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٢ ص٩٨ . ٩٩ ط . دار المعرفة بيروت .

(١١) أنظر المعجم الوسيط ص١٠٠٧ .

الألف فى الأولى ياء ، وتكتب الألف فى الثانية ألفا لأن مثنى الأول فتيان ومثنى الثانى عصوان ، والفعلان سال وسأل مختلفان أو الأول وسطه ألف لينة والثانى وسطه ألف يابسة (الهمزة) دون دخول فى تصنيفها إلى أجوف وإلى مهموز . بهذه الطريقة نكون قد حققنا هدفين فى وقت واحد : تعليم النحو عن طريق الإملاء . ثم نسير بعد ذلك بدراسة الموضوعات المرتبطة دون تشتيت لها ، فندرس الأدوات ، والمرفوعات ، والمفاعيل الخمسة ، والمنصوبات ، والمخفوضات والتوابع ، كل مجموعة على حدة دون تفصيل أو تقصير حتى تكون القاعدة خالصة من كل شائبة ، وياحبذا لو أعطينا الدارس فكرة من أول الطريق عن الفرق بين النحو والصرف وكيف نشأ كل منهما فى عجالة .

وبنفس الطريقة فى التدريج النحوى نسير بفن الصرف بادئين بالأيسر والأعم فائدة .

أولاً ـ صرف البنية : أى بنية الكلمة ، فإذا كان النحو يتناول الحرف الأخير من الكلمة فإن الصرف يتناول كل الكلمة ، ولا نغالى إذا قلنا إن فن الصرف أو صرف البنية هو اللبنات الأولى التى يتركب منها الأسلوب العربى ، فالصرف بمنزلة الابن من أبيه النحو ، بل الابن الوفى ، وإلا فكيف نعرف الموقع الاعرابى للفظ سيارة فى قولك محمد راكب سيارة إلا إذا عرفنا أن لفظ راكب اسم فاعل واسم الفاعل يعمل عمل الفعل ، والصرف هو المسير الذى يعرف به الغث من السمين من الكلام ولذلك عابوا على أبى الطيب المتنبى قوله :

فلا يبرم الأمر الذى هو حالل
ولا يحلل الأمر الذى هو يبرم

لأنه غير فصيح لأن القياس الصرفى فى حلل ويحلل : حالّ ويحلّ بالإدغام[١٢] .

ثانياً : الصرف التراثى : وهو ماتتناوله كتب القدامى مثل الشافية لابن الحاجب وهو كتاب جامع لكل أبواب التصريف إلا قليلاً بترتيب لم يسبقه أحد إليه جمع فيها خلاصة (الكتاب) وزبده المفصل للزمخشرى ، تناول ابن الحاجب فى شافيته ـ فى الجزء الثانى منها ـ بعض قواعد الخط وأنه يختلف باعتبار الأمم وأن اللفظ يدل على الوجود الذهنى والخارجى الخ[١٣] . ولأهميتها شرحها أربع من العلماء هم الرضى ، والجاربردى ، والسيد عبدالله ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، وشرح الرضى جدّ مشهور لما فيه من إفاضة ودقة . إذا فأمامنا أربعة شروح للشافية ومن هذه الشروح يمكننا المقارنة ، ومن هنا تأتى أهمية كتب التراث التى هى من أعظم الكنوز التى نعتز بها .

ثالثاً : (الصرف الفلسفى) : يرى الأستاذ الدكتور كمال بشر أن وضع الصرف يجب أن يكون فى مرحلة وسطى بين علم أصول اللغة وعلم النحو[١٤] ومن ثَمَّ تأتى أهمية دراسة الأصوات ، وقد قسموا الأصوات إلى صائته **(Vowels)** وصامتة **(Constants)** ثم وصلوا إلى مايعرف بالفونيمات والمورفيمات ولكى ندرك الفرق بينها نسوق هذه الأمثلة :

---

(١٢) أنظر المنهال فى أبنية الأفعال لكاتب هذا البحث : المقدمة .

(١٣) أنظر مجموعة الشافية من علمى الصرف والخط بشرح العلامة الجاربردى حاشية ابن جماعة الجزء الثانى ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ط. عالم الكتب . بيروت .

(١٤) دراسات فى علم اللغة ـ القسم الثانى .

(أ) يقول المحمدون : الواو فى الفعل وحدة صوتية (فونيم) والواو فى الجمع وحدة كلامية (مورفيم) إذ الواو فى الفعل من بنية الكلمة أما الواو فى الاسم فهى علامة على رفع الكلمة فهى تدل على معنى .

(ب) يكتبون : الواو هنا كلمة بذاتها إذْ تدل على الجمع وعلى الفاعل إعرابا وهى لجمع المذكر دلالة .

(جـ) قال المحمدان : الألف فى قال وجدة صوتية (فونيم) ، والألف فى المثنى وحدة كلامية (مورفيم)

(د) يكتبان : الألف هنا كلمة بذاتها إذْ تدل على التثنية ، وهى الفاعل إعرابا وهى للتثنية دلالة .

وكما فعلنا بالنحو الوظيفى نتناول هنا صرف البنية فى الأوزان مثلا بالتدرج التفريدى بأن نبدأ بالأوزان الحسابية ثم الأوزان التصغيرية ثم الأوزان التصريفية والمقصود بالأوزان الحسابية أوزان الفعل الثلاثى وأوزان الاسم الثلاثى فهى أولى من غيرها بالبدء ، وفى ذلك يقول ابن جنى : «إن الأصول ثلاثة : ثلاثى ورباعى وخماسى فأكثرها استعمالا وأعدلها تركيبا هو الثلاثى وذلك لأنه حرف يبدأ به وحرف يحشى به وحرف يوقف عليه ...»[(١٥)] .

فبالنسبة للفعل : المفروض حسابيا أن تكون أبواب الفعل الثلاثى تسعة لاستة لأن فتح العين فى الماضى له ثلاث حالات فى المضارع الفتح والضم والكسر وكسر العين فى الماضى له ثلاث حالات فى المضارع وكذلك ضم العين فى الماضى وحسب القسمة العقلية تكون الأبواب ٣×٣=٩ ولكن الواقع خالف القسمة العقلية لأن اللغة تعتمد على السماع والمشافهة فلم يسمع من هذه الأوزان الثلاثة إلا أبواب ستة .

والمفروض حسابيا أن يكون عندنا اثنا عشر وزنا الثلاثى لأن حركات الفاء ثلاثة وهى الفتح والضم والكسر ويجرى ذلك فى العين بزيادة السكون فتكون الأوزان حسب القسمة العقلية ٣×٤=١٢ ولكن الواقع اللغوى غير ذلك فإن أوزان الاسم الثلاثى عشرة[(١٦)] .

ثم تأتى الأوزان التصغيرية وهى محصورة فى أوزان ثلاثة فُعيل وفُعيعل وفُعيعيل كفليس ودريهم ودنينير ، وضع هذه الأمثلة الخليل وقال عليها بينت معاملات الناس ، ثم تنفرج الدائرة لتشمل الأوزان التصريفية وهى لا حصر لها وتختلف عن التصغيرية ، فانت تعلم أن أحيمر ومكيرم وسفيرج يجمعها وزن تصغيرى واحد هو (فعيعل) بينما الوزن التصريفى لها : أفيعل ، ومفيعل وفعيلل على التوالى . وما اتَّبعناه فى النحو والصرف نتبعه فى فن القريض (العروض والقوافى) أو فن العَرُوْفِيَة باستخدام النحت اللغوى وذلك بدمج كلمة العروض وكلمة القافية فى كلمة واحدة إذْ كل منهما يكمل الآخر فالعروفية أخصر وأيسر من العروض والقوافى والحق إن علم العروفية هو ألصق العلوم باللغويات لأن كل منها يتناول البنية الأساسية للتراكيب والأوزان . فياحبذا لو استخدمنا المنهج التدريجى للتشويق بعرض نماذج مختارة من الشعر الرصين

(١٥) الخصائص : ١/٥٥

(١٦) أنظر شذا العرف فى فن الصرف بتصرف

الذى يحرك المشاعر ويذكى الشعور قبل أن نقرع[١٧] آذان الدراسين من أول الأمر بالزحاف والعلل من الخبن والخبل والخزل والحذذ والخزم والشعر الذى نرضاه لهذه النماذج هو الشعر العمودى بعيداً عن فنون الشعر الشعبى من الزجل والمواليا والكان وكان والقوماو بعيداً أيضا عما يسمى بالنثر الإيقاعى والبند والشعر الحر[١٨] .

وإذا كان التدرج هو سمة الطبيعة وديدنها ؛ إذْ الملاحظ أن الثمار أو الفاكهة التى تنضج ببطء دون قسراً ونزع لها عن شجرتها الأم تكون ألذ طعماً وأطيب نكهة وأعبق ريحا ، وإذا فما أحوجنا إلى استعمال هذا المبدأ التدريجى فى خير الثمار ألا وهى ثمار العقل المستأنى والفكر المستنير من نحو وصرف وما إليهما . وقد كثرت الأمثال فى نحو هذا المعنى فنجدهم يقولون : عجلة أكثر تؤدى إلى سرعة أقل : **(More haste, less speed)**

استعجلْ ببطء : **(Make haste slowly)**

وعلى الله قصد السبيل

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ البحر المحيط لأثير الدين أبى عبدالله الشهير بأبى حيان . ط . دار السعادة سنة ١٣٢٨ هـ .

٣ ـ الموجّه الفنى ـ للأستاذ عبدالعليم إبراهيم .

٤ ـ أصول علم النفس ـ للدكتور أحمد عزت راجح .

٥ ـ حاشية الصبان على الأشمونى ـ ط . دار إحياء الكتب العربية .

٦ ـ القياس فى النحو ـ للدكتورة منى إلياس ط. دار الفكر .

٧ ـ الرد على النحاة لابن مضاء .
تحقيق د. شوقى ضيف ثم حققه د. محمد إبراهيم البنا .

٨ ـ الإيضاح فى علل النحو للزجاجى ـ تحقيق د. مازن المبارك .

٩ ـ المعجم الوسيط . توزيع مكتبة الحرمين بالرياض .

١٠ ـ عناصر النظرية النحوية فى كتاب سيبويه للدكتور سعيد حسن بحيرى .

١١ ـ مجموعة الشافية من علمى الصرف والخط بشرح الجاربردى حاشية ابن جماعة الجزء الثانى ط . عالم الكتب بيروت .

١٢ ـ دراسات فى علم اللغة للدكتور كمال بشر ـ القسم الثانى .

١٣ ـ الخصائص لابن جنى ـ الجزء الأول .

١٤ ـ شذا العرف فى فن الصرف . للشيخ أحمد الحملاوى .

١٥ ـ فن التقطيع الشعرى للدكتور صفاء خلوصى .

١٦ ـ المجزى من نحو العربية : للدكتور عبدالرءوف محمد عثمان .

١٧ ـ المنهال فى أبنية الافعال : للدكتور عبدالرءوف محمد عثمان .

(١٧) ومثل ذلك من مصطلحات علم القافية الـرس والتأسيس ، والمجزى ، والنفاذ .

(١٨) فن التقطيع الشعرى للدكتور صفاء خلوصى منشورات مكتبة المثنى بغداد .

العرب فى الوثائق اليونانيــة واللاتينيــة

بــلاد العرب السعيدة

إعداد وتقديم : جمال أبو الوفا

لقد أطلق الكتّاب اليونانيين على شبه الجزيرة العربيـة لفـظ (أرابيـا)... اسما مستقـــى من (أرابوس)

ثم أطلق عليها فيما بعد لقب بلاد العرب السعيدة وأطلق هذا اللفظ على شبه الجزيرة العربية ، لان سكان تلك الجزيرة كانوا أغنياء جداً بتجارتهم الرابحة فى العطـور والأحجـار الكريمة مقابل الذهب والفضة ، ويرجع البعض ثراء تلك الجزيرة إلى اشتغال مواطنيها بتجارة البخور والتوابل ، وتحقق الغنى والثراء لدى العرب لان تجارتهم كانت على أعلى مستوى من الجودة بخلاف غيرهم من التجار .

ويرى الكـاتب الرومـانى بلينيـوس Gaius Plinius Secundus[1]

«إن إطلاق لفظ بلاد العرب السعيدة على شبه الجزيرة العربية لم يكن بسبب ثرائها من تجارة البخور والتوابل فحسب ، بل إلى وجود «بحر العرب» وما يستخرج منه من لؤلؤ ومرجان وغير ذلك مما يكفى حاجة الاستهلاك ثم تصدير الباق منه إلى روما».

وتصديره هذا إلى روما يوضح مدى العلاقة القائمة بين العـرب والغربـيين ثم يوضح نفس الكاتب (بلينيوس) أن الفليسوف (فيثاغورس) الذى كان موجودا حتى نهاية القرن السادس ق.م تقريبا (وديموقريطى) الذى عاش فى بداية القرن الخامس ق.م تقريبا قد زارا مصر ، وشبه الجزيرة العربية وهذا يؤكد لنا نحن العرب أن تلك الجزيرة كان لها أهمية ــ من قبل الغرب ــ قديمة .

* نسبة إلى (أرابوس من هرماؤن) الصادق ، على اعتقاد (سترابون) أن هذا الاسم لم يطلق على شبه الجزيرة العربية أبان عصر الأبطال ، أى عصر هوميروس

1. Pling, Natural History. with an English Translation by H. Rackham. Vols. IV IX by W. H.S.J. Vols. VL. VLL London 1961 XII

الصورة السياسية للملك عند العرب

لم يكن النظام الملكى الذى كان سائدا عند العرب يشبه النظام السائر فى الوقت الحاضر ، إذ كان له وضع خاص به حيث كان الملك يعين من قبل الشعب ويجب أن يقوم بخدمة نفسه أولا ، فخدمة مواطنيه ، لقد وصفه الجغرافى «سترابون» وصفا جميلا عندما يقول عنه معناها «الملك من الشعب».

ونجد فى المصادر اليونانية القديمة : أنه يجب على الملك أن يختار من يساعده فى الحكم ، وهو منصب يشبه منصب الوزير حاليا[٢]

كذلك يقول «سترابون» «يختار الملك واحدا من رفاقه راعيا» وهناك ألقاب كانت شائعة جداً ومحببة لدى العرب وأكثر استعمالا عندهم ، منهما هذا اللقب (ΙΟΦΥ϶ϘϷ) «الاخوة» ومفرده : (SOΦΥ϶ϘϷ) الاخ وقد وجدت عبارة فى نص يونانى معناها «الأُخُوَّة أكثر تبجيلا من الأبناء» وهذا يدلنا على مدى الحب والتفانى للاخُوَّة بين العرب .

إن من أهم الأشياء وأعظمها فى هذا النظام الملكى أن الملك ، وإن كان يختار من يساعده فى الحكم ، إلا أن العبء الأكبر يقع عليه فهو المسئول الأول والأخير أمام الناس عما يحدث أو يشغل مواطنيه .

ومصداق لشىء من هذا القبيل ما جاء فى الكتاب العزيز عن حكم ملكة سبأ حيث نجد الملكة دستورية بمعنى الكلمة لا تقطع فى أمر دون استشارة ، ثم هى على حكمة رصينة فى حفظ حق شعبها وأمنه والبحث عن رفاهيته ثم هى فى النهاية تهتم الى جانب ذلك كله بسلامة الوطن ، فليس عجيبا أن تحوى النصوص اليونانية أنه كان على الملك أن يقدم تقريرا شاملا عن تصرفاته وسلوكياته حتى وصل به الأمر الى أن يقدم تقريرا عن أموره الشخصية ، وعن ممتلكاته الخاصة به فلم يقتصر عمله على شئون المُلك التى تهم مصالح الشعب فقط .

لقد كان حكم الملك فى شبه الجزيرة العربية فى غاية الاستقرار قد نال إعجاب الكتاب والأدباء اليونانيين والرومانيين فصاغوه فى أشعارهم روائع تثير الدهشة من عظمة هذا الحكم .

نجد «سترابون» الجغرافى يستشهد فى كتابه بقول . اثيندوروس اليونانى الذى سكن بتلك الجزيرة ووصف إعجابه الشديد بها وبنظام الحكم فيها فى قوله

"SIηγεlTo ΘανμαΓωV"

«تحكم بأسلوب مثير للدهشة» .

ويستشهد أيضا بقول ذلك الفيلسوف الذى يدلنا على حالة الاستقرار والرقى والتقدم الحضارى بهذه الممالك والملكية فيقول : «وجدت كلا من الرومان ، وكثيرا من الأجانب الآخرين ، يقيمون هناك وأن الأجانب كانوا يشتركون دائما فى ساحات القضاء مع بعضهم البعض ومع

* كان النظام الملكى موجودا فى ثلاث جهات من الجزيرة : ثنتان فى شمالهما : مملكة المناذرة (الحيرة) والغساسنة والأخيرة موالية للغرب ، بينما كانت مملكة المناذرة موالية لفارس ، والمملكة الثالثة كانت فى الجنوب فى اليمن ، وهذه تناوب السلطة عليها الفرس تارة واثيوبيا تارة أخرى .

2. Strabo, Geography, with an English Translation by Horace. L. Jones. (L.C.L) Vols & London 1957 16.4.26.

المواطنين ، ولم يقاضى المواطنون بعضهم البعض بل حرصوا على أن يعــــيشوا فى سلام مع الآخرين»(٣)أحاول ــ هنا ــ من خلال المصادر القديمة ــ أن أوضح نظرة الكتاب اليونانيين والرومان للعرب ، تلك النظرة التى تبين مدى إعجابهم بالحكم الملكى عند العرب ، والعلاقات التى تنظم اتصالاتهم بالآخرين .

السمات السائدة فى حيــاة العـــرب الداخلية :

كانت مساكن العرب عادة من الخيام ولكن الطبيعة القاسية فرضت عليهم أن يتوصلوا إلى بناء أكواخ من الطين لكى يريحوا أنفسهم من مشقة العمل طوال اليوم ، وأيضا ليقوا أنفسهـم من الحيوانات المتوحشة والظروف القاسية للطبيعة أحيانا .

ومع مرور الوقت بنوا بيوتهم من الأحجار ، أما فى مدينة سبأ فى أقصى جنوب شبه الجزيرة العربيـة فكـانت مبـانيها تشبـه مبـانى المصريين القديمة .

وبالنسبة لملابسهم يبدو أن العرب حرصوا على اختيار ملابسهم بصورة تتفق مع ظروف البيئة التى يعـيشونها فيصور المؤرخ هيرودوت زيهم الحربى قائلا فى الكتاب السابع سطر رقم ٦٩ «أنهم كانوا يرتدون عباءات طوقت بأحزمة ، ويحملـون على الجانب الأيمن قوساً انحنـى نحو الخلف»(٤)

ويوضع (بلينيوس) الرومانى المادة التى منها صنع العرب ملابسهم فيقول : كان لدى العرب أشجـار تسمـى **(Cynas)** تشبـه أوراقهـا أليـاف النخيل يصنعون منها الملابس .

أمـا الملابس الصوفية فكانـوا يعـدونها من القطعان (الخراف) التى يتخذ منها الصوف الذى تصنع منه الملابس وهو أفضل انواع الصوف المستخدم فى تلك الملابس .

وكان من عادات العرب أن يمسكوا عصا فى أيديهم وذلك حماية لهم من وحشية الطريق ، أو أى خطر يمكن ان يواجهوه وهذه من العادات التى مازال متأثـرا بها بعض من علمائنـا ومشايخنـا الأفاضل حتى يومنا هذا .

السمات الرئيسية للشخصية العربية

فى مصادرنا اليونانية مصدران من أهم المصادر التى تشهد بعظمة العرب ، هذه الشهادة التى يسوقها لنا المؤرخون اليونان ليست لدافع سياسى أو شخصى أو أدبى ، إنما هى تعبر عما رأوه ولمسوه بأنفسهم عن العرب .

---

(٣) د. حلمى عبدالواحد خضرة ــ العرب فى المصادر اليونانية واللاتينية مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد (٢) المجلد (٥)

(٤) هيرودوت فى مصر . ترجمة وهيب كامل .

Σέβονται δὲ Ἀράβιοι πίστις Ἀνθρώπων ὅμοια τοῖσι μάλιστα

نجد هيرودون فى كتابه الثالث سطر رقم ٨ يقول العبارة معناها : «العرب (يفون بالعهود) فالعهد له قدسية لديهم أكثر من البشر الى حد كبير»(٥)

ويعلق الكاتب الفرنسى «لاجران» **Legrand** فى كتابه : **Herodote , Texte Etagl At Treduit** إن هيرودوت كان من المهتمين (المشتغلين) بطقوس المواثيق بين الجماعات العربية ، ومن الروايات الرائعة التى ذكرها هيرودوت فى نصوصه ما يدل على أن العرب كانوا ملتزمين أشد الالتزام بأحد التقاليد التى سادت بين أهل بابل — إذ يقول عما بعد لقاء الزوجين جنسيا.

ὁ ὁσάκις δ' ἂν , μιχθῇ γυναικὶ τῇ ἑωυτοῦ ἀνὴρ Βαβυλώνιος . περὶ θυμίημα καταγιζόμενον ἵζει, ἑτέρωθι δὲ ἡ γυνὴ τὠυτὸ τοῦτο ποιέει . ὄρθρου δὲ γενομένου λοῦνται καὶ ἀμφότεροι ἄγγεος γὰρ οὐδενὸς ἅψονται πρὶν ἂν λούσωνται ταὐτὰ δὲ ταῦτα καὶ Ἀράβιοι ποιεῦσι

ومعناه بالعربية «فعليهما أن يجلسا أمام النيران ، ويطلقا البخور ثم يغتسلا قبل طلوع الفجر ، ولا يلسما أى إناء قبل إتمام هذه الطقوس» ، هذه الشعيرة أظهرت ان الانسان العربى كان ملتزما باداب ذات أصل دينى ، لا أستبعد أن يكون أمرها متصلا بشريعة ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام .

هناك مواقف أخرى تثير الدهشة والتعجب ، وهى — إن دلت على شىء — فإنما تدل على صدق وأمانة الشخص العربى منذ القدم من بعض تلك المواقف ، يحكى لنا العالم اليونانى «ثيوفراستوس»(٦) وهو عالم نباتات وله خبرة تجارية فى المحاصيل الزراعية .

ὅταν δὲ κομίσωσιν , ἕκαστον σωρεύσαντα τὸν αὑτοῦ καὶ τὴν σμύρναν ὁμοίως καταλιπεῖν τοῖς ἐπὶ φυλακῆς. τιθέναι δὲ ἐπὶ τοῦ σωροῦ πιττάκιον γραφὴν ἔχον τοῦ τε πλήθους τῶν μέτρων καὶ ὅταν δὲ οἱ ἔμποροι παραγένωνται , σκόπειν τὰς γραφάς . ὅστις δ' ἂν αὐτοῖς ἀρέσκῃ μετρησαμένους τιθέναι τὴν τιμὴν εἰς τοῦτο τὸ χωρίον ἔνθεν ἂν ἕλωνται .

«كان أصحاب البخور يضعون كميات من البخور والمر التى يعرضونها للبيع فى حرم المعبد ، فى رعاية حراس المعبد ، ويسجل على (شقافة) (قطعة من الفخار) الكمية والثمن المطلوب ، ليأتى التجار ويطلعوا على الكميات وما يروق لهم يراجعون كميته ويتولون حمله ويضعون الثمن مكانة»

هذه أمانة توفرت لكلا الجانبين .

والله ولى التوفيق

---

5. **Herodote, Texte Etabli et Traduit par. Ph. E. legrand. Paris 1932 - 1954 Tome III. 3.8.P.4.**

6. **The ophrostus. Enquiry into plants with an English Translation by Short. Vols 2. London 1957 IX- IV 5.6.**

عالم المعرفة

تاريخ الكتاب

تأليف : د. الكسندر ستيبتشفيتش
ترجمة : د. محمد م. الأرناؤوط

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

عرض وتقديم: عبير عبد الواحد

لقد أتيحت قراءة هذا الكتاب لكل عربى بفضل من الله ـ تعالى ـ على يدى الدكتور محمد م. الأرناؤوط ، فلم يحرم قارىء العربية من مطالعة هذا الكشف الذى يَعْبُرُ به التاريخ إلى آماد بعيدة يرى بها أضواء المعرفة ـ خافتة أو ثاقبة ـ لهذا العقل الإنسانى فى جوانبه : الروحية والعقلية والفنية ، ويرى خُطَا جهده نحو تسجيل المعرفة فى كتاب ، ويتتبع تطوره حتى يصير ورقًا فاخرًا فى تجليد أنيق ، فشكرًا للدكتور الأرناؤوط على هذا العمل النافع الذى يصل الحلقات الإنسانية فى ميدان عسعس إليه الضوء بعد أن كان يعمه الظلام .

والكتاب من جزأين يجتمعان فى أكثر من خمسمائة صفحة فى أحد عشر فصلا من القطع المتوسط .

« لقد حاولت فى هذا الكتاب أن أصحح الخلل وأن أعطى كل شعب المكانة التى يستحقها » .

تلك كانت أول كلمات سطرها البروفسور اليوغسلافى د/ الكسندر ستيبتشفيتش أستاذ مادة « تاريخ الكتاب والمكتبات » بجامعة « زغرب » فى كتابه الضخم الذى حاول فيه أن يعيد الاعتبار للعرب ولغيرهم من شعوب الشرق الذين كانوا لفترة طويلة من الزمن ضحية تجاهل أوروبى متعمد .

ففى أوروبا صدرت حوالى عشرة كتب بعنوان واحد (تاريخ الكتاب أو ما شابه ذلك) إلا أنها كانت تهمل أو تتجاهل على نحو غريب دور الشرق ، إلى أن صدر أخيراً هذا الكتاب ليعطى الشرق حقه ، وليخصص فصلًا كاملًا عن العرب ودورهم الرائد فى اختراع الكتابة وأدواتها ومواردها وحروفها الثابتة[1] والمتحركة الخ .. إذا ألقينا نظرة فاحصة على محتويات الكتاب نجد المؤلف :

يتناول فى الفصل الأول الحضارات القديمة فى الشرق الأوسط حيث يوضح أن قصة الكتاب تبدأ فى السهول الخصبة للجزء الجنوبى من بلاد « الرافدين » حيث أقام (السومريون) هناك حضارة متقدمة . فالسومريون هم أول من ابتدع الكتابة التصويرية ، وهم الذين طوروها إلى أن حولوها إلى نظام كتابى تُضفى عليه السمات الصوتية . ومن نصوصهم التى تم العثور عليها يتضح لنا أنه كان لهم أدب غنى ومتطور ، وكانوا يعرفون أسس الكثير من المعارف الطبية ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يتمتعون بـ (ميثيولوجيا)[2] غنية جداً . وهم الذين خصوا الكتاب بالدور الذى ارتبط به حتى هذه الأيام ، أى أن يكون الحافظ للانجازات الإنسانية الثقافية و (التكنولوجية)[3] وأن يخدم أيضاً الأهداف الرسمية والتعليمية وغير ذلك من الغايات اليومية .

أما (البابليون) فقد أخذوا كل ما خلفه (السومريون) فى المجال الروحى والمادى وطوروه . ويتحدث المؤلف هنا عن أهم المكتبات المكتشفة فى الشرق الأوسط القديم مثل مكتبة أسرة أغيبى الغنية والمكتبات فى مدينة (شوروباك) و (بورسيبا) ، ويتحدث عن دور (الفينيقيين) فى الكتابة وكيف أنهم أبدعوا أبجدية جديدة بحروف مبسطة جداً لكل صوت ، وعن اليهود وما تركوه من نصوص ، وعن أهمية الكتابة لدى المصريين وتقديرهم العظيم للكتاب ورغبتهم فى تأمين منصب اجتماعى يضمن الامتيازات للكاتب عن طريق معرفة الكتابة والتفوق بها .

وهكذا نلحظ فى هذا الفصل الضوء الذى يحاول المؤلف أن يسلطه على الشرق وعلى أدائه بالنسبة للكتاب والكتابة .

● ● ●

أما الفصل الثانى فيتناول فيه المؤلف بداية الكتابة ومواردها وأدواتها وشكل الكتاب وإنتاجه فى كل من الصين والهند . ومن بين النقاط الهامة التي عرضها المؤلف فى هذا الفصل اكتشاف الصينيين لإنتاج الورق واستمرار إنتاجه حتى منتصف القرن الثانى الميلادى فى الصين أو فى

(١) الساكن .

(٢) علم الأساطير .. علم يبحث الاساطير الاغريقية أو الأبطال الخرافيين عند شعب ما .

(٣) التقنية ويراد بها : الجانب التطبيقى للعلوم .

المناطق المجاورة التى تخضع لتأثيرها الثقافى بشكل مباشر . ويوضح لنا المؤلف : كيف ساهم تطور الأدب والعلم فى الصين ، وانتشار تعاليم (كونفوشيوس) **فى ظهور** مؤلفات مختلفة لم تكن تتفق – دائماً – مع الأفكار **والآراء الدينية للأوساط الحاكمة . كما يوضح لنا الصرامة التى كان ينهجها الحكام الصينيون فى تصفية حساباتهم مع الكتب غير المرغوبة أو الخطرة بالنسبة لهم** تلك التصفية التى قد تصل إلى درجة حرقها ، كذلك يوضح المؤلف التأثير السلبى لذلك على تطور الكتاب والثقافة بشكل عام . ويذكر المؤلف كيف طورت البوذية الفن والأدب ثانية بما يناسبها .

أما بالنسبة للهند فإنه لم يصل إلينا إلا أقل القليل مما كان يُكتب فيها ، لأن المشافهة كانت الطريقة الرئيسية لانتقال النصوص من جيل إلى آخر ، ولأن الطبقة العليا (البراهمة) كانت تعتبر أن من حقها – فقط – أن تعرف النصوص المقدسة ، وأن تتعرف على الانجازات العلمية والفنية ، ولهذا كانت تتجنب تدوين معارفها خشية أن تنتشر فى الطبقات الأدنى ، وبسبب مواد الكتابة التى كانت من لحاء أشجار النخيل والقشرة الرقيقة البيضاء لشجرة (البتولا) وهذه المواد لم تصمد طويلا فى وجه الزمن .

● ● ●

وتناول الكاتب فى الفصل الثالث الكتابة والكتاب فى العالم اليونانى والرومانى ، وأوضح إسهام (الثقافة المينوياسية)[4] المتطورة فى كريت و (الثقافة الميسينية) فى اليونان فى تطوير الكثير من عوامل الحضارة المدنية ، وكيف أنهما تعتبران بهذا بداية الروح الأوروبية فى الفن والأدب والثقافة بشكل عام .

ولقد عرض الكاتب عدة موضوعات هنا من بينها : الكتابة وموادها وأدواتها وشكلها وإنتاج الكتاب وتوزيعه والناشرون والمؤلفات المرجعية ، والمكتبات فى العالم اليونانى والرومانى .. وتتجلى فى هذا الفصل – أمانة الكاتب وموضوعيته حينما أوضح كيف أخذ اليونانيون – من الشعوب المختلفة التى كانت تعيش فى الشرق الأوسط تلك التى أقامت ثقافاتها تحت تأثير كبير لحضارات الهلال الخصيب – الانجازات العلمية والأصول (الميثيولوجية) وفن التصوير الميثيولوجى بالإضافة إلى سلسلة كاملة من العناصر الثقافية التى أدرجوها فى ثقافتهم .

ولقد وصف الكاتب اليونانيين بأنهم كانوا « ليبراليين للغاية » إزاء أفكار فلاسفتهم وأدبائهم . فأفكارهم – حتى حين كانت تهدد بالفعل القيم السائدة فى المجتمع – لم تكن تُلاحق ، باستثناء بعض الحالات النادرة .

أما فى روما فكان الكُتَّاب يعاملون بعنف أشد . فقد كان يُحكم بالإعدام أو الضعفى على كل كاتب يتجرأ على السخرية من ممثلى السلطة ، أو على التشكيك فى المبادىء الأساسية الاجتماعية والأخلاقية التى تقوم عليها الدولة .

● ● ●

ويتحدث المؤلف فى الفصل الرابع عن الكتاب فى أوروبا فى العصر الوسيط . ويوضح كيف تحول الجزء الغربى للامبراطورية الرومانية المنهكة إلى غنيمة مغرية للجرمانيين وبقية الشعوب البربرية ، وكيف ساهموا بفيضانهم المدمر فى القضاء على عالم العصر القديم ، وفى تلاشى التنظيم القديم لإنتاج الكتاب والدور الاجتماعى القديم له ، فبعد أن كان الكتاب – فى العصر القديم – آداة – بالدرجة الأولى – لنقل المعلومات العلمية والأدبية وغيرها ، أصبح فى بداية العصر الوسيط يتحول إلى مادة للتقديس والسحر .. كما أدى الغزو البربرى للامبراطورية الرومانية إلى تدمير النظام المدرسى الذى كانت تقوم عليه ثقافة العصر القديم وبالتالى أدى هذا إلى تراجع الكتابة وانتشار الأمية ، وعودة أوروبا إلى التواصل الشفوى ، وإلى أهمية الرسم كآداة للتواصل .

ولقد كانت الأديرة ذات شأن كبير فى تاريخ الكتاب . ففى هذه الأديرة كان الرهبان ينسخون الكتب وينتجون فى كثير من الأحيان مادة الكتابة – الرق – وكان لكل دير مكتبة . ولكن تعرضت ثقافة الأديرة فى أوروبا إلى أزمة أخذت تبدو بوضوح منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، وانتهت إلى تقلص نشاط النسخ بها .

وقد تناول المؤلف إسهام الملك كارل الكبير – شارلمان – فى إحياء التعليم وتشجيع القراءة والكتابة بشكل عام ، وكيف جمع النساخ الممتازين والرسامين ، وأسس مكتبة مهمة فى القصر كان لها أهمية كبيرة

---

(٤) نسبة إلى كريت المينوية .

ـ بالنسبة لذلك الوقت ـ فى إنقاذ التراث القديم . وهكذا فإن عصر (النهضة الكارولية) يُعتبر من أهم الحلقات التى تربط إنتاج الكتاب العلمى الأدبى فى العصر القديم بعصر التنوير .. ولقد أوضح المؤلف هنا كيف ساهمت (ورش) النسخ فى الجامعات فى إعادة الكتاب مرة ثانية كأداة للتعليم ، ولنقل المعلومات .

كذلك أوضح الحالة البائسة لتجارة الكتب فى أوروبا خلال العصر الوسيط بسبب صعوبة المواصلات بين البلاد بين دير ودير ، ومدينة وأخرى ، إلى قلة الحاجة إلى نقل المعارف والأفكار ـ التى لم تعد كثيرة أصلًا . إلا أن انتشار (الصفحات المسمومة)(*) لـ (إيبلار) كانت مؤشراً لنهضة أوروبية فى القرن الحادى عشر ، ففى هذا الوقت بدأ تنظيم شبكة لإنتاج الكتب وأخذ يستعيد الكتاب بالتدريج مكانته كأداة لنقل المعلومات بسبب العدد الكبير للطلاب والأساتذة فى أوروبا بعد تأسيس الجامعات ، بالإضافة إلى الشريحة الفنية التى أدت طلباتها المتزايدة إلى انعاش شبكة الكتاب وتنقله بشكل أسرع .

وأوضح المؤلف أيضاً كيف كان لظهور الأدب فى اللغات الشعبية ـ ولا سيما منذ القرن الثالث عشر الميلادى ـ نتائج بعيدة المدى فيما يتعلق بتوصيل الكلمة المكتوبة إلى شرائح واسعة من القراء .

ولقد أبرز الكاتب موضوع يُسْر مكافحة الكتاب ذى الأفكار المخالفة للكنيسة فى ذلك الوقت حيث قال : إن مكافحة الكتب غير المرغوبة والخطرة كانت أسهل بكثير مما كانت عليه فى العصر اليونانى ـ الرومانى . وأنه فى هذه الظروف لا يمكن ببساطة أن نتصور وجود مفكرين أحرار يمكن أن يكتبوا مؤلفات يتعارض مضمونها مع ما تسمح به سلطة الكنيسة أو الدير . وخلال العصر الوسيط ، حين بسطت الكنيسة سيطرتها الكاملة على المجال الروحى أصبحت ملاحقة المؤلفات والمؤلفين بشكل خاص تتم عند أبسط انحراف عن التعاليم الرسمية للكنيسة .

● ● ●

أما الفصل الخامس من الكتاب فيتحدث فيه المؤلف عن الكتاب فى الامبراطورية البيزنطية ، حيث أوضح أنه فى الوقت الذى كانت فيه الامبراطوية الرومانية الغربية تتعرض إلى ضربات عنيفة من البرابرة ، كانت الامبراطورية الرومانية الشرقية قد نجحت فى مجابهة العاصفة وأمّنت لنفسها التواصل السياسى والثقافى حتى سقوط القسطنطينية بيد الأتراك العثمانين سنة ١٤٥٣ م . وقد حاول الأباطرة الطموحون للامبراطورية الرومانية الشرقية أن يأخذوا من روما الدور القيادى فى كل ناحية ، فاهتموا بالكتاب والمكتبات . إلا أن الزمن كان قد تغير ، ولذلك فإن القسطنطينية لم تستطع أن تصل أبداً إلى ذلك المستوى السياسى والثقافى الذى كان لروما وقت ازدهارها الكبير .

ساهم الأباطرة البيزنطيون بدورهم فى غروب عصر الثقافة العظيمة للعصر القديم ففى سنة ٥٢٩م أغلق الامبراطور يوستينيان (المدرسة الفلسفية) فى أثينا ، بينما تلاشت خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد الكثير من المدارس والمؤسسات الثقافية . وأدت الصراعات الدينية فى القسطنطينية إلى تناقص اهتمام الأباطرة والمواطنين معاً بالكتاب . وقد برزت أهمية الأديرة التى تأسست منذ القرن التاسع الميلادى كدير جبل أتوس ودير اثناس ففيها كان الرهبان يمارسون أنشطة النسخ والترجمة .. ولقد كانت حالات ملاحقة أو حرق مؤلفات الكُتّاب الوثنيين للعصر القديم نادرة ، لأن المتدينين كانوا غالباً ما يوجهون نقمتهم ضد كتب (الهراطقة) وقد أدى هذا الموقف المتسامح من قبل السلطات الرسمية والدينية إلى إبقاء ما أمكن من تراث العصر القديم . ومما ساعد أيضاً فى إنقاذه توقف حروب (الإيقونات) فى القسطنطينية . وفى سنة (٨٦٣م) وحينما افتتحت الجامعة الامبراطورية صارت بسرعة أحد أهم مراكز النشاط الأدبى والعلمى فى الدولة البيزنطية .. لكن بيزنطة لم تنجح مع ذلك فى رعاية تقاليد العصر القديم فيما يتعلق بالكتاب وذلك بسبب إعراض جمهور المثقفين عن بعض المجالات العلمية ، وعن بعض الفنون الأدبية .. وقد زاد الاهتمام بمؤلفات الثقافة الكلاسيكية اليونانية ـ الرومانية فى نهاية العصر البيزنطى ، أى فى الوقت الذى كان قد نشط فيه بعض المثقفين المعروفين .

(*) كذا ولم يوضح المترجم المراد بالكلمة .

ومع أن هؤلاء لم يؤلفوا كتباً أصيلة سواء فى مجال العلم أو الأدب إلا أنهم قد ساهموا بعملهم فى إحياء ثقافة العصر القديم وبالتحديد فى نسخ مؤلفات العصر القديم وحفظها للأجيال القادمة .

● ● ●

ونصل الآن إلى الفصل الذى يعنينا كثيراً كعرب ومسلمين . الفصل الذى تتجلى فيه إلى حد كبير موضوعية الكاتب وأمانته ، والذى يعتبر بمثابة رد اعتبار للعرب وللمسلمين الذين كانوا لفترة طويلة من الزمن ضحية تجاهل أوروبى متعمد لا يزال مستمرا .. فماذا يقول هنا ؟

لقد أوضح الكاتب أن العرب لم يؤدوا دوراً مهماً فى الشرق الأدنى حتى دخلوا الساحة التاريخية بزخم بعد ظهور النبى محمد – عليه الصلاة والسلام – فقد اعتنقت القبائل العربية التى كانت غالباً فى حالة انقسام ونزاع ، الإسلام الذى منح العرب حيوية ضخمة . فبعد وفاة النبى محمد – عليه الصلاة والسلام – بدأوا فتوحاتهم السريعة والناجحة خارج الجزيرة العربية . وامتزجت الثقافة العربية مع بقايا الثقافات القديمة(٦) فى المناطق التى فتحوها . مما أدى إلى تقبلهم السريع لهذه الثقافات ولإبداعهم ثقافة عربية جديدة .

ويحلل المؤلف ظاهرة ذوبان التراث الثقافى ويرجعها إلى السياسة المتسامحة للحكام العرب إزاء رعيتهم فى المناطق المفتوحة ويصف هؤلاء الحكام بأنهم كانوا مدافعين ومشجعين للعلوم والفنون فى المناطق المفتوحة . وأثمر هذا الاتصال الايجابى بين الثقافات القديمة والثقافة الحديثة عن نتائج خصبة بشكل خاص فى بلاد الفرس ، وعن هذه النقطة يقول المؤلف :

« إن العرب سواء فى بلاد الفرس أو فى البلاد الأخرى ، قد نجحوا فى مد جسر قوى بين ثقافة العصر القديم وثقافة العصر الوسيط ، وحتى ثقافة العصر الحديث ، وذلك بفضل سياستهم الحكيمة إزاء الرعية ، وبفضل اندماج المثقفين والمؤسسات الثقافية فى مسار الثقافة الجديدة التى أبدعها العرب » .

أما بالنسبة للخط العربى فلم يكن مجرد نظام للتعبير عن الأفكار فحسب ، بل كان له مغزى دينى ورمزى عميق بحيث أصبح جزءاً لا يتجزأ من الهوية الدينية والقومية للمسلمين .

ولقد تحدث المؤلف أيضاً عن تعلم العرب لصناعة الورق من الصينيين ووصوله بعد ذلك عبر المغرب إلى أوروبا . وأوضح أنه مع إنتاج الورق بدأت المرحلة الذهبية للكتاب الإسلامى . فقد ازداد عدد المخطوطات كثيراً وتنافس الخلفاء والوزراء والأغنياء على اقتناء الكتب الغالية والنادرة ، وأصبح الخطاطون موضع البحث والتقدير ، ونشطت تجارة الكتب فى كل المدن الإسلامية نشاطاً كبيراً للغاية ، وتطور إنتاج الكتب فى بغداد بشكل لا مثيل له ابتداء من القرن التاسع الميلادى حتى سقوطها بأيدى المغوليين . وفى بغداد شجع الخلفاء العلماء على جمع وترجمة ودراسة مؤلفات الكتاب اليونانيين القدماء . وكان يصل إلى بغداد أيضاً مؤلفات الكتّاب من البلدان المجاورة كالهند وغيرها .

ونتيجة لذلك برزت بسرعة المكتبات الأولى الخاصة ، ثم مكتبات القصور والوزراء والعلماء والمكتبات العامة . وأقام العرب المكتبات الضخمة فى العواصم الإسلامية فى (سمرقند) و (البصرة) و (حلب) و (الموصل) و (دمشق) الخ .

أما المكتبات التى أسست فى مصر فكانت تفوق بضخامتها وأهميتها كل المكتبات الأخرى فى العالم الإسلامى . فقد أصبحت القاهرة فى عهد الأسرة الفاطمية – التى أدت دوراً ايجابياً فى التطور الثقافى – من أكبر المراكز الثقافية للعالم فى ذلك الوقت . بالإضافة إلى هذه المكتبات الكبرى فى بغداد والقاهرة كانت هناك مكتبة الأسرة الأموية فى (قرطبة) بـ (الأندلس) والمكتبات فى (اشبيليه) و (غرناطة) .. ويوضح المؤلف فضل العرب والمسلمين على الثقافة الأوروبية بسبب ترجمتهم للكثير من كتب العلوم والفلسفة اليونانية إلى العربية .. ولا يعتقد المؤلف فى أسطورة إحراق العرب لبقايا مكتبة الأسكندرية الشهيرة(٧) ويقول : « أما اليوم فيشك بحق فى أن يكون العرب هم الذين أحرقوا بقايا مكتبة الأسكندرية » .

---

(٦) لقد امتزجت الثقافة العربية بغيرها مع البقاء على أصولها والمحافظة عليها بدقة ويقين .

(٧) حدث الحرق للمكتبة فترة يوليوس قيصر ٣٠ ق.م .

ومن المؤلفات المرجعية التى ظهرت كنتيجة للازدهار العظيم لإنتاج الكتاب فى العالم الإسلامى يذكر لنا المؤلف كتاب « الفهرست » لابن النديم الذى سجل فيه(٨) كل المؤلفات العربية بالإضافة إلى مؤلفات الأمم الأخرى التى ترجمت إلى العربية ، و« فهرست » الطوسى و« فهرست » ابن خير الاشبيلى فتلك مؤلفات استوعبت أكثر مصنفات العلوم والآداب الإسلامية العربية .

يتناول المؤلف بعد ذلك موضوع الطباعة فيقول :

إنه – على الرغم من أن موقف المسلمين لم يكن مشجعاً لانتشار مهنة الطباعة من الشرق باتجاه الغرب وذلك لأنهم رفضوا لأسباب دينية أن يطبعوا كتبهم المقدسة بوسائل ميكانيكية . إلا أن ظهور الكتب المطبوعة بالقوالب الخشبية فى مصر خلال العصر الوسيط يقدم براهين مقنعة بما فيه الكفاية لتكوين رأى يقول بأن هذه الكتب المطبوعة قد ظهرت بتأثير مباشر أو غير مباشر للتقنية الصينية فى الطباعة بالقوالب الخشبية ، ولذلك فهى تعتبر جسراً مهماً بين الطباعة التى ظهرت أولا فى الشرق الأقصى ، وبين الطباعة التى ظهرت لاحقاً فى أوروبا فى نهاية العصر الوسيط .

وهكذا ومن خلال هذا الفصل أبرز المؤلف العديد من النقاط المضيئة المتعلقة بالعرب من بينها : إبداعهم لثقافة عربية جديدة وتسامحهم مع سكان المناطق التى فتحوها وتشجيعهم للعلوم والفنون ونجاحهم فى مد جسر قوى بين ثقافة العصر القديم والوسيط وحتى الحديث .

وفى الفصل السابع حيث يبدأ الجزء الثانى من الكتاب يتناول المؤلف تاريخ الكتاب فى الشرق الأقصى فى العصر الوسيط فى كل من الصين وكوريا واليابان والهند وعند « الأويغور » الأتراك .. ولقد أوضح المؤلف هنا أن الثقافة الكلاسيكية فى الشرق الأقصى لم تتعرض إلى كارثة من النوع الذى تعرضت له الثقافة اليونانية – الرومانية منذ نهاية العصر القديم . ومع ذلك نجد أن الصين عانت من جمود استمر أربعة قرون نتيجة للحروب الداخلية مع البرابرة على أنه بالرغم من ذلك لم يحدث فى الصين أى انقطاع فى التطور الحضارى .. وقد أدى انتشار البوذية فى الصين وبلاد الشرق الأقصى إلى دفعة قوية فى تطور الفنون الجميلة والكتابة . فقد أدى الطلب الكبير على الكتب البوذية إلى التوصل بسرعة إلى حلول تقنية جديدة قبل أى بلد آخر فى العالم ، مما أثمر إنتاجاً ضخماً للكتاب . وهكذا نجد أن الشرق الأقصى – كان لوقت طويل – المنبع الذى ألهم ثقافات العصر الوسيط من المحيط الهادى إلى البحر المتوسط . وكانت محاولات تطوير إنتاج الكتاب تلقى تأييداً قوياً من الحكام الصينيين فى ذلك الوقت ، الشىء الذى نجده فى البلدان الأخرى للشرق الأقصى .

وفى عهد أسرة (تانغ) وبشكل مؤكد منذ القرن الثامن الميلادى ، بدأ فى الصين نسخ الكتب بواسطة القوالب الخشبية . ولقد كان لمشروع إصدار طبعة نقدية لمؤلفات الكتّاب الكلاسيكية التسعة بواسطة القوالب الخشبية فى عهد (الوزير فنك تاو) أثر كبير على تطور الطباعة فى الصين ، لأنه حوّل الطباعة بالقوالب الخشبية من مهنة لبعض الأفراد إلى عمل من أعمال الدولة . ولقد تعددت الجهات التى تصدر الكتب فى الصين . فصدرت آلاف الكتب فى الطب والزراعة والآداب الخ . ونتيجة لهذا الإنتاج الكبير للكتاب تطورت شبكة منظمة لتوزيع الكتاب فى البلاد . مما أدى إلى بروز المكتبات العامة التى كان من أهمها (المكتبة الامبراطورية) وخلال عهد (أسرة سونغ) فى القرن الحادى عشر الميلادى خطرت للصينى (بى شنغ) فكرة عبقرية ألاوهى طباعة الكتب بحروف خشبية متحركة عوضاً عن القوالب الخشبية . ولكن لم ينل اختراعه الاهتمام المتوقع لأنه كان بعيداً عن الحد الأدنى الذى يضمن بالفعل عملاً سريعاً واقتصادياً ولم يؤد الاختراع إلى نسخ جيدة من النصوص . بعد ذلك ولدت فكرة جديدة فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى باستبدال الحروف المصنوعة من الصلصال المشوى إلى أخرى مصنوعة من الخشب . لكنها لم تلق اهتماماً كبيراً فى الصين .

ولقد كان للصين دور حاسم فى تطور الثقافة والعلم فى كوريا سواء خلال العصر القديم أو الوسيط . وقد أخذ الكوريون من الصينيين النظام (الايدوغرافى) للكتابة واللغة أيضاً . وفى نهاية القرن الرابع للميلاد جاءت من الصين

---

(٨) يبدو أن المؤلف يريد (معظم) أو (أكثر) ، فإن « فهرست » فعلا وثيقة نادرة لمخطوطات كثيرة ، لكننا نشك فى أن يكون صاحبه استطاع أن يسجل فيه كل المؤلفات العربية

أيضاً البوذية التى أثرت بشكل حاسم فى تطور الثقافة الروحية والكتابة والطباعة فى كوريا . ومن هنا يُعتقد أن الكوريين قد تعلموا المهارة الطباعية من الصينيين . ونظراً – لأنه لم يُكتشف حتى اليوم فى الصين أى نص مطبوع بالقوالب الخشبية – فإن بعض الخبراء يعتقدون أن الكوريين قد سبقوا الصينيين فى الطباعة بالقوالب الخشبية .

وقد شهدت الطباعة فى كوريا تطوراً كبيراً خلال القرنين العاشر والحادى عشر للميلاد ، كما تطورت التجارة بالكتب أيضاً ، كنتيجة للتطور الكبير للتعليم فى كوريا .

ولقد أدخل الكوريون تطويراً مهماً على تقنية الطباعة منذ القرن الثالث عشر للميلاد حيث طبعوا الكتب بحروف متحركة من المعدن عوضاً عن الخشب . وخلال العهد الطويل لـ (أسرة يى) حتى سنة ١٩١٢م كانت الطباعة تعتبر احتكاراً للبلاط ولهذا السبب لم تشهد الطباعة تطوراً كبيراً فى كوريا ، أضف إلى ذلك ما تعرضت له الطباعة الكورية من ضربة قوية خلال الحكم اليابانى للبلاد خلال ١٩٥٢ – ١٩٥٨م . فقد دمر اليابانيون – أو أخذوا معهم الأحرف المعدنية – ولذلك فإن الكوريين عادوا بعد الانسحاب اليابانى إلى الطباعة بالقوالب الخشبية رغبة منهم فى بعث النشاط الطباعى بأسرع وقت .

أما بالنسبة لليابان فلقد تطورت ثقافتها تحت تأثير قوى للثقافة الصينية فخلال القرنين الرابع والخامس للميلاد أخذ اليابانيون الكتابة الصينية ، بينما تغلغلت فيها البوذية من الصين خلال القرن السادس للميلاد .. وكان عدد كبير من الدعاة الصينيين يذهبون إلى العاصمة اليابانية (نار) ، وهم يحملون معهم الكتب الصينية ، وبالتحديد الكتب الدينية فى الدرجة الأولى ثم الكتب الطبية والأدبية الخ . كما كانوا يحملون تقنية الطباعة بواسطة القوالب الخشبية . ونظراً للرغبة الكامنة فى تقليد الصينيين فى كل مجال فقد فكر اليابانيون فى أن يقوموا بأنفسهم فى طباعة القوالب الخشبية .

ومن بين الشعوب التى تأثرت بالصين وأخذت منها منجزاتها الثقافية (الأويغور) الذين نقلوا إلى المغوليين – بعد أن أخضعهم جنكيزخان – كتابتهم ومعرفتهم بطباعة الكتب ، بينما قام المغوليون بنقل هذه المعرفة إلى الشعوب الأخرى فى آسيا وأوروبا مع توسع فتوحاتهم .

وعن الهند يقول المؤلف : إنه خلال العصر الوسيط عايشت الهند عصرها الذهبى فى تطور العلم والأدب والرياضيات والهندسة ، وشهد إنتاج الكتاب تطوراً كبيراً ، إلا أن قدوم العرب فى بداية القرن الثامن الميلادى وانتشار الإسلام فى الهند ، كان لهما أثر كبير على مصير الكتاب وتحول أهدافه .

وتطور فى نفس الوقت إنتاج جديد للكتاب فى الهند يرتبط بديانة المسلمين وثقافتهم مع استمرار النشاط التقليدى لنسخ الكتب فى البلاد ، وكما حدث فى البلدان الأخرى حيث تمكن المسلمون من تطوير ثقافة خاصة بهم ، فقد برز فى الهند أيضاً نشاط جديد فى النسخ يشمل نسخ القرآن والمؤلفات التاريخية وغيرها التى كانت تجلد غالباً بشكل فاخر .. ويحدثنا المؤلف بعد ذلك عن مواد الكتابة فى الهند وعن إدخال المسلمين الورق إليها .

● ● ●

ويوضح المؤلف فى الفصل الثامن أن ثقافات أمريكا الوسطى والجنوبية المتطورة ، لم تهتم بتطوير الكتاب بشكل يتناسب مع منجزاتها الثقافية الأخرى وقوتها الاقتصادية ، كما يوضّح أيضاً دور الأسبان والدعاة فى تدمير كل ما أمكنهم من ثقافة الشعوب التى أخضعوها . فعلى سبيل المثال قاموا بإحراق كُتب شعب المايا بدعوى أنها لا تحتوى إلا على الخرافات الكاذبة ، على الرغم من أنها كانت تحتوى على المعارف الفلكية والرياضية والتاريخية .

ويصف المؤلف أولئك المبشرين بأنهم لا يقلون دموية عن المكتشفين ، فلقد قاموا بتدمير الكتب .

● ● ●

وفى الفصل التاسع يتحدث المؤلف عن الإحياء والنهضة حيث يبين أنه فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى بدأ الانبعاث الثقافى فى إيطاليا ، وتمكن رجال الإحياء من العثور على المؤلفات الأدبية والعلمية للعصر القديم فى مكتبات الأديرة والكنائس وغيرها من مكتبات العصر الوسيط ، ثم توجهوا إلى تحريرها ونسخها وترجمتها ودراستها بحماس . وقد أعاد هؤلاء إلى أوروبا ما كانت قد فقدته خلال القرون الطويلة للعصر الوسيط مثل حب الحياة والتفاؤل والرغبة فى اكتشاف الجديد فى العلم . ولقد تناول المؤلف هنا إحياء الثقافة اليونانية فى أوروبا الغربية ، ومكتبات عصر النهضة فى ألمانيا وفرنسا وكرواتيا ، ومساعدة (آل ميدتشى) بفلورنسا للعلماء والفنانين . كما تناول أيضاً

إصلاح الكتابة وكيف توصل رجال الإحياء لخط جديد يُطلق عليه « الخط الإحيائى » يتميز بالبساطة والسهولة ، الأمر الذى يساعد على تحقيق تواصل أسرع وذلك بعد أن كان الخط غير مقروء .

● ● ●

فى الفصل العاشر يقول المؤلف : إنه برزت فى أوروبا مسألة هامة وهى : كيف يمكن تلبية الطلبات المتزايدة على الكتاب حين تزايد بسرعة عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة وعدد الطلاب فى الجامعات . ولقد جاء الحل عن طريق إنتاج الورق الذى انتقل من البلدان الإسلامية إلى أوروبا ، وعن طريق (اختراع جوتنبرج) للطباعة بالأحرف المتحركة فى منتصف القرن الخامس عشر هذا الاختراع الذى حلّ مشكلة الإنتاج الأسرع والأرخص للكتاب ــ أى مشكلة الوسيلة الأكثر فعالية لنشر المعلومات العلمية وغيرها .

ولقد حظى اختراعه بالمساعدة الواسعة ، ولقى حسن التفهم ، لأن الجميع فى ذلك الوقت كانوا واعين للأهمية الكبيرة له .. ولقد أوضح المؤلف هنا تأثير الأسلوب الشرقى ، وبالتحديد الإسلامى على فن التجليد فى إيطاليا منذ نهاية القرن الخامس عشر.. حيث كان فن التجليد الإسلامى ، وخاصة الفارسى ، متطوراً للغاية بالمقارنة مع فن التجليد الأوروبى فى الناحية التقنية ، وخاصة فى الناحية المتعلقة بالتزيينات الدقيقة . وقد أثار الفن الإسلامى إعجاب الحرفيين فى فينسيا وهواة جمع الكتب النفيسة ، ومن إيطاليا انتقل هذا التأثير إلى البلدان الأوروبية الأخرى .. وهكذا بيّن المؤلف فى هذا الفصل دور المسلمين فى نقل إنتاج الورق إلى أوروبا وفى تطوير فن التجليد فى أوروبا .

● ● ●

وفى الفصل الحادى عشر والأخير يتناول المؤلف تاريخ الكتاب وذلك من النهضة إلى الثورة الفرنسية ، حيث أوضح أنه فى غضون مائة سنة تقريباً بعد (اختراع جوتنبرج) انهمرت ملايين النسخ من الكتب على كل البلاد الأوروبية ، وبهذا أصبح الكتاب الوسيلة الأساسية لنشر المعلومات العلمية والتقنية ، وبالتالى العامل الرئيسى فى تطوير العلم والثقافة فى أوروبا الحديثة . أى أنه كانت هناك صلة وثيقة بين التطور الكبير لإنتاج الكتاب وتوسيع شبكة المكتبات العامة ، وبين النهوض الكبير الاقتصادى والسياسى والثقافى الذى عايشته أوروبا فى ذلك الوقت .

ومن بين النقاط الهامة التى تعرض لها المؤلف نقطة الكتاب فى عصر البروتستانتية حيث أوضح أن « لوثر » كان مدركاً للقوة الحاسمة للكلمة المطبوعة منذ بداية كفاحه ضد (بابوات) روما ، وأنه كان للكتاب خلال الحرب العنيفة بين البروتستانت والكاثوليك مركزه المتميز . فقد أصبح الكتاب سلاحاً ماضياً ضد العدو بينما تحولت الكتابات المعارضة إلى أكبر خطر على أصحابها . وأن حركة الإصلاح ثم الحركة المعادية لها قد قدمتا دفعة قوية لتطور الطباعة وإنتاج الكتاب . وبالإضافة إلى هذا أثبتت حركة الإصلاح لغة الشعب كلغة للطقوس الدينية وكلغة للإبداع الأدبى . وهكذا برزت لغة الشعب فى ذلك الوقت بالذات لدى كثير من الشعوب كلغة رئيسية للتواصل بالكتابة . لكن البروتستانتية أدت من ناحية أخرى إلى فناء كميات كبيرة من الكتب ، فخلال (الحرب الفلاحية الدموية) فى الأراضى الألمانية دُمر عدد كبير من مكتبات الأديرة التى كانت تضم مخطوطات نادرة من العصر الوسيط ، ودُمرت أيضاً مكتبات الاقطاعيين .

تحدث المؤلف أيضاً عن تركيب الكتاب المطبوع . فمن حيث المضمون أخذت تقل نسبة الكتب الدينية بالمقارنة مع الكتب الأخرى الأدبية والعلمية والفلسفية وغيرها ، أتت فى المقدمة مؤلفات العلوم الطبيعية ، وأدى اكتشاف مخطوطات العلوم الطبيعية للمؤلفين اليونانيين والرومانيين وترجمة المؤلفات الكثيرة من اللغة العربية إلى توسيع اهتمام أوروبا الحديثة لدراسة عالم النبات والحيوان والإنسان وغيرها من المجالات العلمية .

أما فيما يتعلق بلغة الكتاب فلقد أدرك الطابعون والناشرون أن الكتاب صار له سوق أوسع بين الناس فلم يعد يطلبه ــ فقط ــ المتعلمون الذين كانوا يقرأون باللغة اليونانية واللاتينية ، وأصبحت مؤلفات الكتاب القدماء تطبع بازدياد بعد ترجمتها إلى اللغات الشعبية نظراً للاقبال المتواصل على الرغبة فى قراءتها ممن لا يعرفون لغتها الأصلية .

وأبرز المؤلف مسألة ظهور الأدوات الجديدة للتواصل

بالكتابة وهى الصحف والمجلات ، حيث أدى التعطش إلى المعلومات الجديدة والسريعة للأحداث العنيفة التى أثارت حينذاك اهتماماً كبيراً لدى الجمهور الأوروبى ، كالحروب والثورات الاجتماعية ، واكتشاف البلدان البعيدة إلى ظهور وسيلة جديدة لتسجيل ونقل المعلومات وهى « الإصدارات الدورية » التى تطورت ـ بشكل كبير ـ مع اختراع الطباعة حتى أصبحت من أهم سمات العصر الحديث .

أما بالنسبة لمسألة ملاحقة الكتاب فعلى الرغم من أنها لم تكن ظاهرة جديدة فى تاريخ الكتاب ، إلا أنها لم تصل فى أية فترة أخرى إلى المستوى الذى وصلت إليه فى هذه الفترة بالذات . ففى هذه الفترة لجأت سلطات الدولة والكنيسة إلى اتخاذ سلسلة طويلة من الإجراءات ضد الكتب الخطرة منها : الرقابة الوقائية ، قوائم الكتب الممنوعة ، حرق الكتب ، منع إدخال الكتب إلى البلاد ، تطهير الأعمال (الببلوغرافية)[٩] .

تحدث الكاتب ـ أيضاً ـ عن شكل الكتاب وحجمه وغلافه وتجليده الذى تأثر فى بعض البلدان الأوروبية كفرنسا بالتأثيرات العربية (الأرابيسك) وذلك مثل الكتب التى جُلدت لـ (غروليه) وتعتبر من أجمل الكتب المجلدة فى الفترة التى أعقبت النهضة الأوروبية .

أما بالنسبة للمكتبات فإن الفترة التى شهدت ولادة أوروبا الحديثة هى ذاتها الفترة التى شهدت تأسيس المكتبات العلمية الكبيرة والمكتبات الأخرى . كما تأسس فيها أكبر عدد من المكتبات الوطنية والجامعية .

ويذكر لنا المؤلف أمثلة عن المكتبات الشهيرة فى ألمانيا والنمسا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا وأسبانيا وروسيا ويوغسلافيا ، ويوضح لنا أن التطور الكبير للثقافة الخاصة بالكتب وبروز المكتبات الغنية والمنظمة بشكل جيد كانا من الشروط المسبقة والبالغة الأهمية لتطور العلم والتكنولوجيا .

وبعد : فقد استطاع المؤلف من خلال كتابه هذا ـ أن يعرض للكتاب وتاريخه ومضمونه ، والعناية به وتجليده ومكتباته بالقدر الذى وسعته مراجعه وهَدَتْهُ إليه خطته ، وأبرز للشرق عامة والعرب خاصة جهدهم المنكور فى هذه الدراسة بالإشارة إلى دورهم فى نقل صناعة الورق من أقصى الشرق إلى مركز العالم القديم ، بل إنه أوضح مساهمتهم فى ثقافة الكتاب بشكل عام ، أى فى قيمة الكتابة لدى العرب ومكانة الكتاب لديهم واسهامهم فى المؤلفات (البيبو ـ بيلوغرافية) وتطور المكتبات لديهم .. ومن النقاط المضيئة فى هذا الكتاب عدم تسليم مؤلفه بأسطورة حرق العرب لبقايا مكتبة الأسكندرية واستبعاده لها .. كذلك فلقد أبرز مسألتين جديرتين بالاهتمام وهما :

موقف السلطات ـ رسمية كانت أو دينية ، ديمقراطية كانت أو ديكتاتورية ـ من الكتب وملاحقتها وتأثير ذلك على الكتاب وتطوره وبالتالى على الثقافة بشكل عام ايجاباً أو سلباً .. وتأثير الحروب والغزوات السلبى على الثقافة .. أما من ناحية المنهج فهو يعد ميزة هامة فى هذا الكتاب . فالمؤلف لا يركز على الجانب التقنى لتطور الكتاب بل على مغزى تطور الكتاب عبر التاريخ ليصبح الكتاب بهذا الشكل تاريخاً للثقافة الإنسانية .

وهكذا يبدأ المؤلف بالمحاولات الأولى للكتابة ، وأقدم النصوص والأشكال الأولى للكتاب ، وأدوات الكتابة وموادها ليصل إلى وضع الكتاب فى كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية المعروفة . ومن خلال هذا المصير المشرق أحياناً والمظلم أحياناً نتعرف على أهم الأحداث التاريخية ـ الثقافية ، وعلى أهم التغييرات الفكرية التى تركت أثراً كبيراً فى وسطها وفى محيطها الإقليمى والقارى .. ومن خلال هذا يلح المؤلف على تتبع مكانة الكتاب من وسط إلى طرف . ومن مجتمع إلى آخر حتى أنه يكاد يكون مؤشراً للحكم على أى مجتمع بمدى تخلفه أو تطوره الثقافى .

ولقد كانت ملاحظة د. الأرناؤوط فى محلها حيث رأى أن المؤلف لم يعط المكتبات التى أسست فى العصر العثمانى حقها الذى تستحقه ففى المناطق السلافية الجنوبية لم تؤسس عدة مكتبات كما ذكر المؤلف بل عشرات المكتبات . كما أنها لم تكن متواضعة بالنسبة لمثيلاتها فى القرن ١٥ ـ ١٦ ، الأمر الذى جعل بعض هذه المكتبات من أهم مراكز المخطوطات الشرقية فى يوغسلافيا حتى الآن .

(٩) فن وصف الكتب والمخطوطات أو التعريف بها .

مدى تلازم الوحدة الموضوعية

مع القصيدة العربية

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

من المجازفة ــ فى الأحكام الأدبية ــ الإطلاق القائل : بـ «خلو القصيدة العربية من الوحدة الموضوعية ، وأنها لم تعرف هذه الوحدة إلا فى هذا العصر .. وبدقة أكثر : فى هذا القرن».

وإذا كانت الكلمة الأدبية كثيرا ما تكون فضفاضة التعبير ؛ فإن «الأحكام الأدبية» ينبغى ألا يكون لها نفس المسار ، بل يجب أن تأخذ دقة القانون ؛ لأنها هى التى تبقى فى ذهن المثقفين منذ النشأة حتى نهاية العمر أشبه تماما بالعلامات المرشدة الهادية إلى سواء السبيل ، ونحن ــ نأسى ونأسف ــ فى نفس الوقت ــ لأن كثيرا من مثقفينا صار يعتقد بهذا الإطلاق ويستسلم له ..

لذا نقدم ــ فى بابنا هذا دراسة تستصحب الشعر العربى منذ جاهليته الى يؤمنا هذا ، لنضع أمام أبصارنا مواقع الريادة للوحدة العضوية فى القصيدة العربية ، آملين أن نسوق من الشعر مالا يحتمل ــ بحال ــ إنكار وجودها .

لقد بدأ ريح العاصفة المتهمة للأدب العربى بنفى الوحدة الموضوعية عنه بكتابة بعض الشعراء فى مقدمة ديوانه ــ أوائل هذا القرن ــ يقول :

«هذا شعر ليس نَاظِمُهُ بعْبدِهِ ، ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية ، على غير قصده .. يُقال فيه المعنى الصحيح ، باللفظ الصحيح ، ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد ، ولو أنكره جاره ، وشاتم أخاه ! ودابر المطلع المقطع ، وخالف الختام .. بل يُنظر الى جمال البيت فى ذاته وفى موضعه ، وإلى جمال القصيدة فى تركيبها وفى ترتيبها وفى تناسق معانيها وتوافقها[1] .

(١) مقدمة (ديوان مطران) جـ ١ ص ٣ سنة ١٩٠٨

أى أن هذا الشاعر يعيب على الشعر افتقاد : (الوحدة العضوية الموضوعية) فى معظم قصائده ، كأنما تأتى الأبيات غير متلاحمة فى السياق العام للقصيدة ، وكل بيت يجىء مستقلا بذاته ؛ فلا توجد صلة أو رابطة ، بينه وبين البيت الذى يليه ، أو البيت الذى يسبقه .

ويزيد (العقاد) الشرح والبيان حينما يتحدث عن (الوحدة العضوية) فى القصيدة ، فيقول : «إن القصيدة ينبغى أن تعمَّها (وحدة عضوية)، فتكون جسدا واحدا ، فلا ينتقل الشاعر من فكرة إلى فكرة فى غير نظام ، وأيضا لابد أن يلتحم كل بيت بما قبله وما بعده ، لا يستغنى البيت فى تمام فهمه عن سابقه ولا حقه[٢]»

ومصطلح الوحدة (العضوية) الذى استخدمه العقاد ، من المتعبيرات «البيولوجية» التى جاءت بها عقلية (أرسطو) الذى يقول عنها : «هذه الوحدة المحتومة ، يجب توافرها فى بناء (التراجيديا[٣]) والملحمة فالحبكة فى كل منهما يجب ان تحاكى فعلا واحدا ، يتصف بالتكامل العضوى الذى ينبغى ترتيب أجزائه ، بما يماثل بناء الكائن الحى .. يجب أن يكون كل جزء ضروريا ، ولا يمكن حذفه ، أو نقْلُه من مكانه ، وإلا أصيب الكل العام بالتفكك والاضطراب»[٤]

وسرعان ما انتشرت ظاهرة التجنى على القصيدة العربية ، حتى رأى بعض النقاد أن : «الحركة الدائبة فى حيواتهم (يعنى شعراءنا القدامى) تمثلت فى حركتهم السريعة ، بين معانيهم فى القصيدة الواحدة ، فلا يتلبَّث الشاعر فى معنى يستوفيه ، حتى ينتقل إلى معنى آخر جديد فى سرعة وخفة ، ولذلك صار البيت الواحد هو (الوحدة المعنوية) المستقلة للقصيدة ، ومن ثم أصبحت القصيدة الجاهلية معرضا لمعانى وموضوعات شتى ، لا تربطها رابطة ، سوى خيط نفسى ، يتعلق بذات الشاعر فحسب».

وهذا القول ليس صحيحا على إطلاقه ، فعلى سبيل المثال نجد قصيدة (القاتلة المقتولة) لجليلة بنت مرة ، إحدى شواعر بنى بكر فى الجاهلية ، تلك التى قَتَلَ شقيقُها جسَّاس زوجها كليب بن ربيعة بسبب تعدّيه على حقوق خالته «البسوس» فأصبحت جليلة بين نارين : نار الثُّكل لمصرع الزوج ، ونار توقُّع قتل الشقيق ، أخذاً للثأر .. أو كما عبَّرت هى نفسها عن هذا الموقف العسير ، بأنه يمثل : «ثُكْل العدد وحزن الأبد ، وفقد حليل وقتل أخ عن قليل .. وبين ذيْن غرْسُ الأحقاد ، وتفتت الأكباد » ولم يُقدّر لها موقفها هذا نساء قبيلة كليب فطردنها من المأتم ، وكان أبوها حالما إذ رأى إمكان كرم الصفح ، وإغلاء الديات فقالت جليلة : أمنية مخدوع ، أبِا لُبْدُنِ تدع لك تغلب دم ربها .. ؟!

وأحزنها أن تقول نساء كليب عن رحيلها : رحيل المعتدى وفراق الشامت ، فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ، ثم قالت :

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا
تعجلى باللوم .. حتى تسألى
فإذا أنتِ تَبيَّنْت الذى
يوجب اللوم .. فَلُومِي واعْذِلي

---

(٢) (شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى) للعقاد ص ٢٠٠ ط سنة ١٩٣٧

(٣) أى الفاجعة المأساوية

(٤) (فن الشعر لأرسطو) ترجمة الدكتور إبراهيم حمادة ص ٣٢

إن تكُـنْ أختُ امـرىء لِيـمَتْ
على شَفَقٍ منها .: عليه .. فافعلى
جَلَّ عنـدى فِعْـلُ جَسَّاس فيـا
حَسْرتى عما انجلت .. أو .. تنجلى
فِعْلُ جسّاس على ــ وَجْدى به ــ
قاطـع ظهـرى .. وَمُـدْنٍ أجَلى

★ ★ ★

ياقتيـلا قوَّض الدهـر به
سقْفَ بيتىَّ جميعا .. من عَلِـى
هدم البـيت الـذى استحدثْتُـه
وَانْثَنَـى فى هدْم بيتـى الأوَّل
ليس مَنْ يبكى لَيْوميْن .. كَمَـنْ
إنما يبكـى .. ليـوم ينْجلـى
إننـى قاتلـة .. مقتولـةٌ
ولعـل الله أنْ .. يرتـاحَ لَى

في هذه القصيدة نجد : (الوحدة الموضوعية) فى أجْلى وأروع صورها ، بحيث أصبحت إحدى أوابد الشعر العربى ، التى تتذوقها العصور والشعوب على اختلاف الميول والنزعات ، لصدقها وعمقها وأصالتها .

وفى كثير من قصائد الشعر العربى القديم ، نماذج أخرى كثيرة تتحقق فيها الوحدة الفنية ، بعمق وشمول ، فى أبيات القصيدة مجتمعة ، دون ما تنافر بينها ، أو تفكك فى أجزائها .. وذلك حينما ينساب شعر الشاعر ، كالجدول الرقراق ، دون تزويق أو تنميق ، فى صورة حيَّة للعاطفية الجيّاشة ، والانفعال الحار ، بحيث تظل ، بعد ذلك مركوزة فى وجدان من يتذوقها ، ويعيش فى عَبَقِ أنفاسها .

ونذكر نموذجا لذلك ، موقف الشاعر « تميم بن جميل السدوسى » ، حينما ألقى القبض عليه، لجريمة ارتكبها ، وحُمل موثقا إلى (المعتصم) .. وكان تميم جسيما وسيما ــ كما تذكر الروايات ــ فأحب المعتصم أن يعلم : أين لسانه من منظره ؟.. فدعاه إلى الكلام والدفاع عن نفسه ، قبيل إصدار الحكم عليه ، بعد أن أوقف فى موقف الإعدام ، بين السيف والنطع !

فاهتبل تميم هذه الفرصة الذهبية التى سنحت له ، واحتشد بموهبته الشعرية فى هذا الموقف الرهيب ، وقال للمعتصم : «لقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجَّة ، وساء الظن .. ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما وأسرعهما إلىّ ، أشبههما بك ، وأَوْلاهما بكرمك»

ثم أنشأ يقول ــ على البديهة ــ أبياته الرائعة :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظنـى من حيثما أُتلـفَّت
وأكبر ظنـى أنك اليـوم قاتلى
وأى امـرىء مما قضى الله يَفـلت
ولكـنّ خلفـى صِبْيـة قد تركتهم
وأكبادهـم من حسرة تتفـتت
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطـة
أذود الردى عنهم ، وإنْ متُّ مُوِّتـوا

---

(٥) وتنسب هذه الأبيات أيضا للشاعرة حمدونة الأندلسية .

(٦) وللبحترى قصيدة منفردة عن (الذئب) تعد من بدائعه ، وهى جديرة بإفراد دراسة مقارنة ، بينها وبين ما نظمه كل من الشاعرين : « لامرتين » ودفينى » عن الذئب أيضا ، كل منهما على حدة .

ولبراعة وعفوية أبيات تميم ، التى تفوق بروعتها بلاغة أكبر (المحامين) فى عصرنا الحاضر — تبسم المعتصم ، وقال : «كاد — والله — ياتميم يسبق السيف العذل ، قد وهبتك للصِّبْية ، وغفرت لك الصبوة» وأمر بفك قيوده وخلع عليه .

وكذلك أبيات (المنازى) التى قالها فى واد من وديان الشام(*) ناطقة — بدورهـا — بتـلك الوحدة :

وقانا لفحة الـــرمضاء وادٍ
سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوْحَهُ .. فحنا علينا
حُنُــوَّ المرضعـــات على الفـــطيم
وأرشفنا — على ظمأ — زُلالا
ألَــذَّ من المدامـــة للنـــديم
تروع حصاه حالية العـــذارى
فتلمس جانب العقـــد النـــظيم
يَصُــدُّ الشمس أنَّى وَاجَهَتْنـــا
فيحـــجبها .. ويـــأذن للـــنسيم

والأبيات تنم عن فطرة شاعرية نقية لا يحرص صاحبها على التفلسف وحشد الأفكار والتأملات العقلية .. فقد نظمها (المنازى) قديما ، دون أن يحدثه أحد عن (الوحدة الموضوعية) المستهدفة ، وقد قال أبياته تلك منفعلا بتجربة شعورية مَرَّ بها ، وهو هانىء قرير العين ، بين أحضان الطبيعة الساحرة من حولـه ، قبـل بزوغ المدرسة الرومانسية الأوروبية بقرون عديدة .

و(عينية ابن رزيق البغدادى).. هل نستطيع أن نغفل ذكرها ؟ وهى التى تحتل فى شعرنا العربى أسمى مكانة ، وفيها تتحقق الوحدة الفنية فى أكمل صورها ، ويستهلها بقوله :

لا تعذليـه ؛ فإن العـذل يُولعـه
قد قلت حقا ، ولكنْ ليس يسمعه

وأبيات هذه القصيدة المتفردة ، قد فاضت فيضا ذاتيـا من مخيلـة قائلهـا ، وهـى أشبـــه بالومضات ، أو الزخَّات ، التى أخذت تَتْرَى ، فى موجات ، متعاقبـة متلاحقـة، لتـقيم هذه البنية الراسخة ، وكـأنها الإيـوان الـذى يخلـد على الزمان .. ولا أستطيع أن أورد بعض أبيات منها ، دون سائر الأبيات ، فإن ذلك يُعدُّ بمثابة تمزيق وتقطيع لجسدها الحى وسنعود إليها حين نعالج عصرها .

بل مالنا نذهب بعيدا ، وهذا ناقدنا القديم (ابن قتيبة) يتحدث عن (التكلف فى الشعر ، فيقول عنه : إنه يبدو حين (ترى البيت مقرونا بغير جاره ، ومضموما إلى غير لَفْقه)..

كذلك يقرر (ابن طباطبا) فى (عيار الشعر) أن الشاعر : (ينبغى أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ، ويقف على حُسْنِ تجاورها ، أو قُبْحه .. فيلائم بينها ، لتنتظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها« كما يتضح ذلك فى وصف البحترى لإيوان كسرى(٦)، ووصف المتنبى لبعض المعارك ، الى غير ذلك من النماذج التى نرى فيها الوحدة الفنية واضحة جلية ، مما يتعين معه مواصلة الحديث .

(*) انظر أعداد المقتطف الصادرة فى شهور مايو ويونيو ويوليو سنة ١٩٢٧ من مقال بعنوان : (الشعر ومراميه العالية) نشر على ثلاث حلقات خلال هذه الشهور للأستاذ أنيس المقدسى ، كان قد أعده لإلقائه بالحفل الذى أقيم لتكريم أمير الشعراء (أحمد شوق) فى ذات العام (٦) انظر كتاب (معالم تاريخ الانسانية) تأليف هـ.ج ويلز وترجمة د. عبدالعزيز توفيق جاويد ، المجلد الرابع ص ١٣٨٧ .

الشعر والشعراء

أحمد شوقي

إشراف الأستاذ/ رشـــاد يوسف

نـزول القــرآن الـكريم

من أربعة عشر قرنــاً

للزعيم / عــلال الفــاسى

يأمـــــــة قرآنها دستورهـــــــا ... وزعيمُهـــا كان النبـــــىَّ المرسلا
عُودِى إلى الديـــن الحنيـــف عقيـــدةً ... وشريعـــةً وتخلقـــاً وتعقـــلا
ما فى سِوَى القـــرآن خيـــرٌ يجتبـــى ... أو فى سِوَى الإسلام نَهْـــجٌ يـــتلى
الله خَارَكِ للرسالـــــــة فانهضى ... لتـــواصلى عَمَـــلَ الجدود الأُوَّلا
ميراثُ أحمد دينـــــهُ وكتابـــــه ... لك قدوةٌ تغنـــيك عمـــاً أعمـــلا
قل للذيـــن رضوا ثقافـــة غيرهـــم ... وتصوروا الإسلام عهـــــداً قد خلا
أيليـــقُ أن تبقـــى العروبـــة بيننـــا ... جسداً بلا رُوحٍ ولفظـــا عطـــلا ؟
جَرَّبْتُـــمُ دعـــوات غير محمـــد ... ماذا جنـــيتم ، هل عقـــدتم موصلا ؟
هذى فلسطين الجريحة أصبـــحت ... بيـــــد اليهود أسيرةً لن ترسلا
والقـــدس أولى القبلـــتين يُعِـــدُهُ ... أعـــداءُ أحمد كى يقيمـــوا الهيكـــلا
مسرى النبـــى ومبـــدأ المعـــراج قد ... أضحـــى به ديـــنُ النبـــى معطـــلا
ماذا أتت نهضاتكـــــم ؟ ماذا بَنَتْ ... آراؤكم ؟ ذلاً وَجُبْنـــاً مخجـــلا
عُودُوا إلى الإسلام يُصْلـــحْ شأنكـــم ... وَيُنِلْكُـــمُ نصراً مبينـــاً فى الملا
وبِلَادُنـــا والقُـــدْسُ درَّةُ تاجهـــا ... بيـــد الجهـــاد تُفَكُّ فكـــاً معجـــلا
لا يَنْصُر الإسلامَ إلاَّ مؤمـــــنٌ ... بَاعَ الحيـــاة لربِّـــه مستـــبسلًا
تالله لن تتحـــرروا أو تدركـــوا ... بسوَى الحنيفِـــةِ غايـــة أو منـــزلا

ـ يعد الزعيم المغربى «علال الفاسى» (١٩١٠ ـ ١٩٧٤) من كبار المفكرين والمجاهدين المسلمين الذين عاشوا هموم الأمة الإسلامية ، وعبروا عن شجونها وشئونها أصدق تعبير ، وكانت حياته نضالا من أجلها ، وصراعا مع أعدائها ، وتعبيرا عن خلجات النفوس وأنات المقهورين وتطلعات المجاهدين وآمال المفكرين .

ـ وولد الزعيم «علال الفاسى» بمدينة (فاس) سنة ١٩١٠ ونشأ فى بيت علم ومعرفة ودرس بالقرويين ، وظهرت عليه النجابة منذ الصغر ، وشارك أثناء الدراسة فى حركة تنظيم الطلبة ، وحركة تأسيس المدارس الحرة والنقابات العمالية ، وظل يعمل بالميدان العلمى والمجال السياسى والاجتماعى الإسلامى إلى أن لحق بربه فى سنة ١٩٧٤ .

ـ قاوم الاستعمار فى كل أشكاله وصوره ، وتعرض للسجن والنفى والتعذيب ، ومن أهم مبادئه العودة إلى النبع الصافى إلى القرآن والسنة النبوية ومحاربة البدع والدعوة إلى الحل الإسلامى فى كل مجالات الحياة وفى طليعة إنتاجه الفكرى الإسلامى .

١ ـ مقاصد الشريعة ومكارمها .

٢ ـ المدخل لدراسة النظرية العامة للفقة الإسلامى .

ـ وقد طبع ديوانه الشعرى أخيرا ، وهو يضم العديد من القصائد فى الدين والإصلاح والقومية والوطنية والتأملات والمراثى التى تناولت معظم المناضلين والعلماء والمفكرين والزعماء والشعراء الذين لحقوا بربهم .

نجد فى شعره معايشة التجربة معايشة صادقة تنبىء عن اطلاع واسع على الشعر العربى ، والتراث الحضارى الإسلامى ، وعن إعجاب بأعلامه وعلمائه ، وذلك فى توافق كبير بين روح القرآن ، والعيش الحديث ، اهتم كثيرا بأدب الأطفال والارتقاء به إلى المرتقى الذى يريده الإسلام من حيث التوجيه الصادق والإرشاد السليم ، ولو أتيح لهذا الشاعر الإسلامى أن يتفرغ للشعر والإرشاد ، وألَّا تتوزعه شئون أمته وشجونها لقطع شوطاً بعيداً فى تجديد القصيدة العربية والشعر الإسلامى .

رشاد محمد يوسف

تصويب بصفحة (١٥٥٠)

تقرير الأزهر الشريف لروايته .

والصحيح :

تقرير الأزهر الشريف عن روايته .

وذلك ص ١٥٥٠ سطر داخل الإطار .

فى مناجـــاة الله

للدكتور / عبد الوهاب عزام

تجلى عن جمال الصبح ستر الظلام ، وهبت من مهاجعها الناس والأنعام ، وملأت الآفاق من الطير الأنغام ، وموسيقى تملأ الأرض والسماء ، كأن أوتارها أشعة الضياء ، ومضرابها خفقات الهواء ، تسمعها فى حفيف الأشجار ونشيد الأطيار ، وتبصرها مكتوبة فى أمواج البحار ، وألوان الأزهار ، استيقظت القلوب فى الأشعة الضافية والنسمات الهافية ، والنغمات الشادية ، فتجاوبت النغمات بينها وبين الأرض والسماوات ، فإذا قلبى ينشد هذه الآبيات .

خالـــق الإصبـــاح رب المشرقين ... باسط الليــــل ورب المغــــربين
أنت فى الصبـــح ضيـــاء وجمال ... انت فى الليـــل ضيـــاء وجـــلال
ناشر الشمس خضمـــا من ضيـــاء ... طاوى الـــذرة شمسا فى خفـــاء
ياجليـــا فى دجـــى أسفـــاره ... ياخفيـــا فى ضحـــى أنـــواره
ناظـــم الكـــون البليـــغ المبدعـــا ... محسنـــا مطلعـــه والمقطعـــا
كلّ حرف فيـــه أنظـــار إلـــيك ... كل معنـــى فيـــه برهـــان علـــيك
منك هذا العقـــل هذا الثائـــر ... طالب إيـــاك ساع حائـــر
جاوز الأفـــلاك يسعـــى نحوكا ... يكشف الأستـــار يبغـــى وجهكـــا
منك هذا القـــلب ، هذا الخافـــق ... فى الدياجـــى منك نور خافـــق
ذاكـــر إيّـــاك راج كلّ حين ... خَفْقُـــهُ ذكـــر وشوق وحـــنين
اجْعَلَـــنْ عقلى شهابـــاً ثاقبـــاً ... يصدع الباطـــل حقـــاً صائبـــاً
وَامْـــلأَنْ قلبـــى بحب وصفـــاء ... وَأجنِبَنْـــهُ كل بغض ومـــراء
اجعلـــن وجـــهك قصدى لاسواه ... هَوِّنَـــنْ فى عين قلبـــى ماعـــداه

استغفار

للشاعر / محمد مصطفى الماحى

أستغفـــر الله مما قد جنتـــه يدى من الذنــوب ، ومما خطــه قلمــى
قد أطال عمرى ومـا أجملت فى عملى فَبِتُّ أرهب عقبى زَلَّـة القـدم
هل مرَّ يومٌ على الإنسان دون أذىً تسيغه النفس من فِعْلٍ ومـن كلـم
وكُـلُّ ما جاءه غَصَّتْ به صحـفٌ يلقـى بها اللهَ يوم الحشر والنـدم

***

يارب عفـوك عن عبـدٍ يُؤَرِّقُـهُ خوفُ العقاب ، ومايطوى من السَّدم[1]
وأنت أعلـم بى منـى فمـا قصدت للشر نفسى ، ولا أخفـرت من ذِمَـمِ
ومـا طويت على ضِغْـنٍ ولا إحَـنٍ سريرتى ، أو شفيت النـفس بالنقـم
وأنت أرفـق بى من كلِّ ذى شفـقٍ وأنت أرحـم بى من كلِّ ذى رحـم
وكل جارحـة منـى وجـانحة تستغفـر اليـوم ماجاءت من اللمـم
ولـيس لى من شفيـع أرتجيـه سوى حُبِّ النبـىِّ ففيـه خيـرُ معـتصم
وأنت قابـل توب التائـبين ، وفى منهَـلٍ فضلك إروَاءٌ لكـلِّ ظم
ولـن تضيق بآثامـى ـ وإن عظـمت ما سقت من رحمة ياواسع الكـرم

ديوان الماحى

(١) السَّدم : الهم مع الندم

الصـــومال

للشاعر : محمد عبدالرحمن صان الدين

محنـــة الصومـــال فَاقَتْ كل معقـــول وحـــدٍّ
ما سمعنـــا أن شعبـــاً راح فى نقض وهِـــدِّ
للـــذى قد شاده الأجـــداد فى عزم وجهـــدِ
أتـــراه قد خلا من كل إحســـاس ورشـــدِ
أى شر فيـــه يطغـــى أى حُنـــق أى حقـــد ؟!

**

ذاك شعب ذاب بؤسا فى غيابـــات الكـــروب
بين أهـــوال ، وروع فـــوق جمـــر ولهيـــبَ
نابُـــه فى ذاتـــه غاصت كمسعـــور كَلـــيب[1]
بؤسه من فعلـــه لا فعـــل جبـــار غريب
صار أشباحـــا لجوعَـــى وعـــراة فى الـــدروب

**

سَـــوْرَة الأعـــراق حتمـــا تـــورث العقـــل الجنونـــا[2]
لا يبـــالى فى احتـــدام الغيـــظ قانونـــا ودينـــا
كيّـــف يغـــدو مثـــل هذا الشعب ضمـــن المسلمينـــا ؟!

---

(١) كليب : أصابه داء الكلب وهو جنون الكلاب

(٢) سورة : بالسين أثر الخمر فى العقل والدماغ

إنما الإسلام صفْـــــــحٌ عن خطايـــــا المخطئينـــــا
تخْمِــدُ الحُسنـــــى لهيبـــــا فى صدور الجاهلينـــــــا

**

كم طمــــــوح طامــــــع من غير فكـــــــر مستنيــــــرِ
ساق شعبـــــاً كقطيــــــع نحو شر مستـــــــــطير
ثم ولَّـــــى عنـــــه فى منفــــاه يلهـــــو فى حبـــــور[3]
خامــــــد الوجــــــدان والإحساس معـــــــدوم الضمير
ذل شـــــعب أو زعيــــم لا يبـــــالى بالمصــــــير

**

لست أدرى هل يَدُ التـــــبشير فى الصومـــــال تعمـــــلْ ؟
تســـلب الإنســـان دينـــا فيـــه من جُوع تَعَطَّـــل
لقمـــــة أم شرع ديـــــن عنـــد سطـو الجـوع أفضـــل
ويحـــه من يائـــس يحيـــا على شـــوك وحنظـــل
بين إرهـــاب وجـــوع المَعِـــىُّ العقـــل يجهـــل[4]

**

يابنـــــى الصومـــــال ماذا بعـــــد تدمير البـــــلاد ؟!
واقفـــــرار الأرض من حَـــــبٍّ وأنعـــــام وزاد
وســـواد الشـــعب أمســـى هائمـــــا فى كل واد[5]
هل بلـــغتم بعـــد هذا الجُـــرْم أحـــلامَ الفـــؤاد ؟!
أم غـــدوتم عـــبرة فى كل مذيـــاع ونـــاد ؟!

---

(٣) منفاه : أى بعد هروبه فاشلا إن لم يمت .
(٤) المعى : عاقل ذكى .
(٥) سواد الشعب : عامة الناس .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د. محمد عبدالحكيم محمد

نظرة فى الأدوية

السيد عزت .. ابن سندر .. حمامات القبة؛ القاهرة

نَظَرَ ــ بإخلاص ــ مرجعه الإيمان بالله ــ إلى ظاهرة الإغماء الجماعية لبناتنا فى مدراسهن وَلَمَّا كُنَّ ــ جميعاً تقريباً ــ فى البداية من سن البلوغ الذى تصحبه الدورة الشهرية .. وهى فى بدايتها تصحبها آلام لاتطيقها الصغيرات .. الأمر الذى تسرع معه الأمهات لالتماس الأدوية المعينة لهؤلاء الفتيات بالتخفيف عنهن .

يقول السيد عزت :

نرجو نظرة فاحصة لهذه الأدوية ، فلعل السبب فيها ، جاء دون قصد فى معاييرها أومادتها الخام .. وما إلى ذلك من نسب التركيب ، فكان سببا فى هذه الحالة وكلنا خطَّاء ، وحسبنا أن نكون بأخطائنا أبرياء أمام الله الرحيم الكريم .

د. الخطيب

وللتطرف وجه آخر

لم تكتف رموز الشيوعية والعلمانية فى المجتمعات الإسلامية بما مُنيت به أمتنا من نكسات ومحن هزت أركان العالم الإسلامى نتيجة اعتداءات الصرب والصليبيين واليهود والحاقدين والهندوس والبوذيين على الإسلام وأهله فى مختلف أرجاء العالم .

ولن يغير ذلك من قضاء الله — تعالى — شيئا ، فللإسلام دورة ، ولابد أن يكون ، قال تعالى :

﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ الأنفال الآية : ٧

وهذه رسالة رمز لها الكاتب ب : « ع . ع » يقول فيها :

كلنا يدين الإرهاب ، وكلنا يستنكر بشدة قتل السائحين ، لأنهم دخلوا بلادنا بعهد دولى فأصبحوا فى ذمتنا ومسئوليتنا لايجوز ترويعهم ولا ترويع الآمنين أوتدمير اقتصاد مصر ، فديننا الحنيف هو دين القيمة الذى أنزله رب العالمين ليعلى به الحق وليرفع به من شأن كل القيم الرفيعة .. ولكننا كما ندين الإرهاب باسم الدين فنحن ندين أيضاً الإرهاب ضد الدين هذا الإرهاب الذى يمارسه بعض الكتّاب والصحفيين لحساب نزعتهم فمنهم من يربط الدين بالإرهاب فيصف إرهابياً بأنه كان يقرأ القرآن حتى مطلع الفجر ، وأنه كان دائم التردد على المسجد يواظب على الصلاة وفى نفس الوقت كان يعاشر امرأة ساقطة حتى منتصف الليل أمام زوجته بلاحياء أوخجل !! وينعتون إرهابياً آخر بنعوت التدين من صلاة وقراءة قرآن وغيرها ، ثم يصفونه بأنه لص أحذية أوقد ضُبط فى بيت مشبوه ، ولا أفهم سر هذا الخلط الذى يقوم به بعض الكتّاب بين مفهوم الإرهاب ومفهوم التدين ، مع أن الرئيس محمد حسنى مبارك أجلى هذه النقطة تمام الجلاء ، ولكن مضغة الإسفاف مستمرة فهل يعقل مثلاً أن يكون الشخص متزمتاً فى الدين وفى نفس الوقت لص أحذية أوزان ، اللهم إلا إذا كانوا يريدون القول بأن هؤلاء الإرهابيين لديهم حالة انفصام فى الشخصية ! ولكن نيتهم المبيتة ضد الإسلام لاتخفى على كل ذى لب فكلنا يعلم أن إثبات حالة الانفصام ليست غايتهم ، ولو كانوا أذكياء ماقالوها ، ذلك أن الانفصام مرض ، فأين الذكاء؟ إنما هى سهام مسمومة موجهة ضد الإسلام ذاته ، والذى يربطونه بمفاهيم التخلف والعنف والانحلال والشراسة .. وليس أدل على ذلك من مقولة أحدهم فى إحدى الصحف القومية بكل صراحة وبدون أية مواربة « لا يوجد إسلام معتدل وإسلام متطرف وإنما هو توزيع أدوار » .

ما معنى هذا ..؟ ولحساب من ..؟ ... وهل لهذا الكاتب أدنى معرفة بالإسلام ؟!! لقد طفح — بحقدهم — الكيل فصاروا يهاجمون الإسلام والمتدينيين صراحة فيلعنون الحجاب وعلماء الدين والبرامج والمسلسلات الدينية وكل ماهو إسلامى . فأحدهم على سبيل المثال يقول :

لا أعرف ما الذى دهى (الفنانات) فلقد اصابتهن « شوطة الحجاب » .

وآخر يلعن الشيخ الشعراوى ويصفه بأبشع الصفات .

وثالث يقول إن الوزير صفوت الشريف يغازل المتطرفين فى رمضان فيعرض لهم المسلسلة الدينية فى السابعة مساء ولكن هؤلاء المتطرفين

لايشاهدونها ، لأنهم يؤدون فى ذلك الوقت صلاة التراويح فى المساجد !! أى أنـــه يقصد أن المسلسلات الدينية وكل ماهو إسلامى متطرف وأن الشعب المصرى متطــرف أيضاً . مادام المتطرفون فى نظر الكاتب هم الذين يؤدون صلاة التراويح . وكلنا نعلم بأن ثلاثة أرباع الشعب المصرى يؤدون هذه الصلاة !!.. فى النهاية أود أن أقول لهؤلاء الكتّاب لاتخلطوا الأوراق فالفرق بين مفهوم التدين ومفهوم الإرهاب فرق هائل ، ثم هو واضح وماثل للعيان .. وأن الإرهاب ضد الدين لايقل خطورة عن الإرهاب باسم الدين فكلاهما يتسم بالحماقة والضلال والزيف .. وكلاهما يثير الضغائن والفتن .. وكم كان الرئيس «حسنى مبارك» موفقاً حينما قال : «لا تقولوا الجماعات الإسلامية المتطرفة ولكن قولوا الجماعات المتطرفة ، لأن تلك الجماعات ليس لها علاقة بالإسلام» .

ولقد جاء فى محكم التنزيل قول الحق ـــ جلا جلاله :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ الأنعام الآية : ١٥٢.

وقال سبحانه وتعالى فى :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ التوبه

تقدير وعرفان لمجلة الأزهر

كما وافانا البريد بالعديد من رسائل القراء التى تعكس تقديرهم للدور الريادى الذى تضطلع به «مجلة الأزهر» فى خدمة الإسلام والمسلمين .

ومن ذلك ماكتبه القارىء محمد على هلال ـــ من مساكن نهضة مصر «أنا من أشد المحبين والمتابعين للمجلة والمواظبين على شرائها ، حيث أجد فيها مايشرح صدرى ويهز وجدانى ويغذى عقلى وروحى» .

كما ينوه القارىء محمد أبواليسر عبدالهادى ـــ بكلية التربية النوعية شعبة الإعلام جامعة المنصورة ـــ بالجهد المبذول فى إخراجها وتحريرها وإسنادها بما يتفق ومناهج البحث العلمى ، ويشبه أبوابها المنوعة وموضوعاتها التى تمس الصميم من حاضر المسلمين «بالنهر الثقافى الذى لاينضب» .

ردود وتعليقات

● القارىء محمد على إمام هلال ـ بمديرية الشئون الصحية ببورسعيد ـ مصر .

ليس فى متناول أيدينا تزويدك بكتاب «مراصد الصلاة فى مقاعد الصلاة» الذى نبّه على فضله ، المحدث القسطلانى .

● القارىء خ ـ م ـ ا ـ أبو الروس ـ من الجرايدة . بيلا كفر الشيخ ـ مصر .

كلمتك عن «التشريع الإسلامى بين التعقل والتعبد» تفتقر إلى الاسناد العلمى .

● القارىء رجب سيد عياد البرديسى – من الواسطى بنى سويف صفط الشرقية .

لاخلاف على أهمية العودة إلى المصادر الأصلية للتشريع الإسلامى لإيجاد الحلول الناجحة لمشاكل المسلمين .

● القارىء أحمد سعيد على عبدالقوى – من كرداسة بالجيزة – مصر .

ليس من شك فى أن الدين عند الله الإسلام ، وأن سيدنا محمد – ﷺ – هو خاتم النبيين والمرسلين ، والحديث الذى قال فيه «والذى نفس محمد بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولانصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» حديث صحيح رواه الإمام مسلم ، ولكن !! لا إكراه فى الدين .

● القارىء عمرو سيد عبدالرحمن – يمكن البحث عن الأعداد القديمة من مجلة الأزهر فى «المرتجعات» بإدارة المشتريات بالأزهر بجوار مدينة البعوث الإسلامية القاهرة .

● القارىء جمال أبوالفتوح رجب – من دناصور – الشهداء – المنوفية .

وصلتنا كلمتك عن حياة الإمام مالك وكتابه الموطأ ، ولاريب فى أن مانشرته مجلة الأزهر عن الإمام ملك فى هديتها الشهرية بعددى شوال وذى القعدة – ١٤١٣ هـ – فيه الكفاية .

● القارىء عبدالموجود جابر أحمد – المهندس بأسيوط – منقباد .

مجلة الأزهر يستكتب فيها رئيس التحرير نخبة من الأساتذة والأكاديميين والمتخصصين فى شتى فروع المعرفة ، ولم يقصرها على علماء الأزهر المتخصصين فى علوم الشريعة ، أما إعادة طبع «رسالة فى القصر والجمع» للشيخ محمد أبو الحسن ، فذلك متوقف على ما تسمح به ظروف الطبع وأولويات النشر .

● القارىء ع – م – ع – جابر من قرية الأعلام بالفيوم – مصر .

كلمتك عن «الإحسان» كلمة طيبة ولكن يجب تدعيم الموضوعات الدينية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

● القارىء علاء أحمد الشيخة – بمنشأة الأمراء بالمحلة الكبرى – غربية .

لا أحد يختلف على حاجة المسلمين الملحه إلى أن يعتصموا بحبل الله جميعا لإيجاد قوة تدافع عن دينهم ووجودهم فى وجه الأخطار المحدقة بهم والمخططات المبيتة لهم .

● القارىء وسيم عبدالعليم عزب – بمدرسة أبى صقل الاعدادية بشمال سيناء – العريش .

حقاً ما أكثر المجاهدين والصالحين من المسلمين الذين عاشوا وماتوا فى غير أوطانهم دعاة وفاتحين ، فحققوا بذلك معنى الأمة الواحدة وجعلوا الإسلام وطناً لهم .

● القارىء جاد الرب أحمد محمود – المحاسب بالشركة العربية لتصنيع الأخشاب – مصر .

نشكركم على هذه المتابعة المستنيرة ، وعسى أن نتمكن من عرض اقتراحكم – الذى أسهمتم به فى مجابهة الفكر المنحرف – فى عدد لاحق .

ردود خاصة بإشتراكات المجلة

■ إلى الأخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ـــ بنسخة واحدة شهرية ـــ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ـــ قسم الاشتراكات ـــ شارع الجلاء ـــ القاهرة ـــ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها . وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد : الأستاذ مصطفى عبد المجيد

الأزهر يكرم الإمام السيوطى

برعاية صاحب الفضيلة الإمام الأكبر نظم الأزهر الشريف بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة اليونسكو ندوة علمية عن العالم المصرى الكبير جلال الدين السيوطى بمناسبة مرور خمسمائة عام على وفاته .

ناقشت الندوة التى عقدت بمركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر على مدى ثلاثة أيام عدة أبحاث تناولت السيرة الذاتية للإمام السيوطى وآثاره العلمية فى مجالات القرآن واللغة والحديث والفقة .

شارك فى هذه الندوة علماء من السعودية والإمارات وسوريا والسودان وأندونيسيا وتركيا ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف .

ثلاثون جنيها شهريا لطلاب كلية القرآن الكريم

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على صرف مكافاة شهرية تقدر بثلاثين جنيها لكل طالب من طلاب كلية القرآن الكريم بطنطا

وقد صرح فضيلته بأن هذا القرار يأتى تعبير عن تشجيع الأزهر على الدراسات القرآنية والاهتمام بطلاب الكلية الجديدة .

جدير بالذكر أن كلية القرآن الكريم من الكليات الوليدة التى بدأت عملها فى العام الدراسى الحالى بمقر كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر بطنطا ـ وتقبل الطلاب من خريجى معاهد القراءات التابعة للأزهر .

رسالة لفضيلة الإمام الأكبر من الرئيس التشادى

تسلم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة خطية من الرئيس التشادى إدريس ديبى وذلك

خلال لقاء فضيلته بالسيد / حسين حسن أبجر إمام المسلمين فى تشاد والسيد طاهر جاس المستشار برئاسة الجمهورية التشادية .

قدم الضيفان خلال اللقاء الشكر لفضيلة الإمام الأكبر لما يقدمه الأزهر من جهد لنشر الثقافة الإسلامية بتشاد وغيرها من البلاد الإسلامية .

وقد ناقش فضيلة الإمام الأكبر مع الضيفين موقف المنح الدراسية لطلاب تشاد بمعاهد وجامعة الأزهر ، وإتاحة الفرصة للأئمة التشاديين للمشاركة فى الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر
يفتتح مركز الليزر للعيون

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر صباح يوم الأحد الموافق ٥ شوال ١٤١٣هـ ٢٨ مارس ١٩٩٣م مركز الليزر للعيون بمحافظة الجيزة ، يعد المركز أكبر وأول مركز من نوعه فى مصر وأفريقيا لعلاج حالات قصر النظر والإستكماتزم دون التدخل الجراحى أو التخدير . حضر حفل الافتتاح الدكتور بشر قناوى أستاذ الرمد بجامعة القاهرة والدكتور أحمد برادة أستاذ الرمد بجامعة الأزهر والدكتور مدحت الحناوى أستاذ الرمد بجامعة الأسكندرية والسادة عمداء كليات الطب وأساتذة الرمد بمختلف جامعات مصر .

الإمام الأكبر يشارك فى اجتماعين بجدة بالمملكة العربية السعودية

شارك فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى أعمال الاجتماع السابع للجنة تنسيق العمل الإسلامى ؛ كما شارك فضيلته فى أعمال الإجتماع الثانى لممثلى أجهزة الدعوة الإسلامية بالدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى ، استمرت أعمال الاجتماعين ثلاثة أيام بجدة بالمملكة العربية السعودية وذلك فى الفترة من ٦ : ٨ شوال ١٤١٣هـ ٢٩ : ٣١ مارس ١٩٩٣م .

الأزهر يشرف على تدريس المواد الإسلامية بجمهوريات الكمنولث « الإسلامية »

أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على استعداد الأزهر الشريف للإشراف على تدريس المواد العربية والإسلامية بالجمهوريات الإسلامية بدول الكمنولث الروسى .

كما وافق فضيلته على إيفاد علماء الأزهر لتدريس اللغة العربية بالمعاهد والمدارس بهذه الجمهوريات .

جاء هذا خلال استقبال فضيلته للوفد الروسى برئاسة السيد إسلاخنوف إسلاتبيك رئيس اللجنة القانونية بمجلس الشعب الروسى .

تم خلال اللقاء أيضا بحث سبل دعم العلاقات الثقافية والدينية بين الأزهر وجمهورية روسيا الاتحادية وزيادة المنح الدراسية لأبنائها للدراسة بالأزهر .

وقد أشاد الوفد خلال اللقاء بدور الأزهر الشريف فى نشر تعاليم الدين الإسلامى السمحة والحفاظ على اللغة العربية .

الإمام الأكبر يفتتح الندوة الدولية للتطبيقات الكهربائية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم الإثنين الموافق ١٣ شوال ١٤١٣هـ ١٥ أبريل ١٩٩٣م الندوة الدولية حول ظاهرة التوصيل الكهربائى الفائق وتطبيقاته التى نظمتها كلية العلوم بجامعة الأزهر بالتعاون مع جامعة عين شمس وهيئة الطاقة الذرية .

استمرت أعمال الندوة عشرة أيام شارك فيها علماء من مختلف الجامعات الإسلامية والعربية والأوروبية والأمريكية ، كما اشتركت دول : سويسرا والمجر واليابان ، تم خلال الندوة مناقشة ما يقرب من ٦٠ بحثا فى تطبيقات التوصيل الكهربى الفائق فى ميدان الطب والدفاع والحاسبات ومحطات القوى الكهربية والاندماج النووى وهوائيات الاتصالات الأرضية والفضائية .

الإمام الأكبر يجتمع بمديرى المناطق الأزهرية

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر صباح يوم الأربعاء الموافق ١٥ شوال ١٤١٣هـ ٧ أبريل ١٩٩٣م بمديرى عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية حيث ناقش فضيلته معهم إجراءات امتحانات النقل بالمعاهد الأزهرية ودور المناطق فى الاستعداد لتهيئة المناخ الملائم لأجوائها ومتابعة سيرها بما يكفل انضباطها وتحقيق العدالة والدقة فى التصحيح واختيار أكفأ العناصر للإشراف عليها .

كما ناقش فضيلته موقف المناطق والإجراءات المتخذة تجاه الطلاب الذين انقطعوا عن الدراسة لأكثر من خمسة عشر يوما حرصا على سير الدراسة حتى نهاية العام .

وأكد فضيلته على ضرورة التزام المناطق الأزهرية بتعليمات الإدارة العامة للمكتبات والكتب الدراسية شأن سرعة تسلم الكتب للعام الدراسى القادم منعاً للتكدس لديها .

أنباء العالم الإسلامي

اعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

سرى برى نيتسا قمة مأساة البوسنه فى مطلع عامها الثانى

تقوم قوات الأمم المتحدة العاملة فى أراضى الاتحاد اليوغوسلافى سابقا بالاعداد لعملية إجلاء جماعى لسكان بلدة سرى برى نيتْسا المسلمة المحاصرة فى شرق البوسنه ، لتجنب كارثة إنسانية ، حيث إن هذه البلدة على وشك الانهيار بعد أن اجتازت القوات الصربية الغاشمة ـ التى تحاصرها منذ عام ـ خطوط دفاعية حيوية ، وأشاعت السلطات فى البوسنه أخبارا حول استسلام القلعة الصامدة شريطة إجلاء آمِن للنساء والأطفال والشيوخ والعجائز وذلك على الرغم من تأكيدات القائد المسلم فى سرى برى نيتسا والمسمى عبدالناصر بأنه سيقاتل حتى آخر رجل . وفى حالة سقوط هذا الحصن المنيع فإن المسلمين سيتخلّوْن عن موافقتهم السابقة على خطة السلام التى وضعها الوسيطان الأمريكى والأوروبى والتى قسّمت جمهورية البوسنه إلى عشر مناطق تحكم حكما شبه ذاتى ورغم أن مجلس الأمن قد اتخذ قرارا بالإجماع باعتبار بلدة سرى برى نيتما وما حولها منطقة آمنة تحميها القوات الدولية إلا أن المأمول هو تسليح مسلمى البوسنه للدفاع عن أنفسهم وكذا التنفيذ الفعلى الصارم للحظر المفـــروض على الصرب ، وأن توضع مصالح المسلمين فوق السياسات العقيمة للدول الكبرى وإلا استغلت البلقان كلها فى أوار جحيم لا ينتهى .

الكويت

واصلت اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة جهودها لمساعدة المنكوبين والمحتاجين من مسلمى

البوسنة والهرسك ، كما افتتحت اللجنة مركزا لها فى جيبوتى لرعاية اللاجئين الصوماليين وتفتتح قريبا مركزا آخر لها فى هَارْجِيسَا بالصومال .

الهند

قامت الجامعة الإسلامية فى الهند بترجمة معانى القرآن الكريم ونشر كتب السيرة بأكثر من ١٢ لغة فى البلاد وهو ما أفاد المسلمين وغيرهم من الباحثين .

بروناى

شارك عدد لا بأس به من أبناء بروناى فى المسابقة الدولية لحفظ وتلاوة القرآن الكريم فى مكة المكرمة وكوالا لامبور وجاكارتا وحازوا قصب السبق فى تلك المسابقات الفريدة مكتسبين اعجاب الجميع لحسن التلاوة وعمق الفهم .

وضع المراقب فى منظمة المؤتمر الإسلامى

عقد خبراء من دول منظمة المؤتمر الإسلامى اجتماعا بمقر المنظمة بجدة ؛ لتحديد وضع المراقب لدى المنظمة ؛ نوقش فيه الوضع الأساسى للمراقب والقواعد والإجراءات والشروط الخاصة بقبوله والحقوق والامتيازات والالتزامات المترتبة على ذلك .

مناشدة

ناشدت لجنة العالم الإسلامى بالكويت منظمة المؤتمر الإسلامى دعم قضية شعب (مِنْدِناوه) المسلم فى الفلبين كما دعت للاعتراف بجبهة تحرير مُورو الإسلامية ، وقدمت مشروعا لدعم كفاح شعب (جَامو وكشمير) بهدف دراسة الأصول الاقتصادية والاجتماعية والصحية لهذا الشعب المهضوم وإيواء أيتامه ونشر التعليم الإسلامى فى ربوعه ومناصرته فى المحافل الدولية ، كما تبنَّت مشروع كافل اليتيم فى أوربا الشرقية ؛ لتحاشى تنصير المسلمين هناك .

باريس

طالب المشاركون فى المؤتمر العاشر لاتحاد المنظمات الإسلامية فى باريس دول أوربا منح سكان القارة من المسلمين كافة حقوقهم باعتبارهم جزءً لا يتجزأ من أوربا وشريحة من الشرائح الداخلة فى النسيج المكون لتلك المجتمعات ، كما طالبوا بأن تكون أوربا الموحدة قوة توازن عالمية تضع ما تدعيه أوربا من قيم العدل والخير والجمال موضع التنفيذ دون تفرقة بين أىٍّ من الطبقات خصوصا من المسلمين .

Ainsi, nous voyons que l'Islam est la religion qui préconise la modération. L'homme ne doit pas laisser le matérialisme prédomine dans sa vie an point de l'aveu-gler, ni être emporté par le spiritualisme au point de négliger sa vie matérielle.

On en conclut que le but principal de tout musulman doit-être la mise en pratique de la doctrine du Coran et de la Sunna qui inscitent à la modération et interdisent les excès dans tous les domaines de la vie, même dans notre culte.

Allah, gloire à Lui, a dit (mangez et buvez; ne comettez pas d'excès. Allah n'aime pas ceux qui commettent des excés) Sourate "Al A'raf' le sens du verset 31 (Ne porte pas ta main fermée à ton cou, et ne l'étends pas non plus trop largement, sinon tu te retrouverais honni et misérable) Sourate" Le voyage nocturne) le sens du verset 29.

(Ceux qui, pour leurs dépenses, ne sont ni prodigues, ni avares — car la juste mesure se trouve entre les deux) Sourate "la loi" le sens du verset 67.

(Lorsque tu pries : n'éléve pas la voix; ne prie pas à voix basse; cherche un mode intermédiaire) Sourate "le voyage nocturne" (le sens du verset 110)

Fatma Mohamad Rachad

2 — La deuxième catégorie se compose de ceux qui essayent de jouir de tous les plaisirs de la vie en ce bas monde. Ils font tout leur possible pour gagner plus d'argent et pour étendre leur pouvoir sans se soucier de louer Allah pour Ses bienfaits.

Mais l'Islam refuse aussi la doctrine de ceux qui se passionnent pour la vic, ceux qui n'ont pour but que d'amasser les richesses et d'assouvir leurs plaisirs et leurs instincts sans accorder aucune importance aux valeurs spirituelles.

Le Coran a réprouvé ceux qui amassent des fortunes pour les accumuler sans s'acquiter de verser l'aumône qui représente la part d'Allah dans cette fortune : (Annonce un châtiment douleureux à ceux qui trésaurisent l'or et l'argent sans rien dépenser dans le chemin d'Allah. Le jour où ces métaux seront portés à incandescence dans le feu de la géhenne et qu'ils serviront à marquer leurs fronts, leurs flancs et leurs dos :

Voici ce que vous thésaurisiez; goûtez ce que vous théaurisiez !) (Sourate "l'Immunité", le sens du verset 34 - 35).

3 -- **La troisième catégorie** : C'est celle qui essaye d'équilibrer entre le matérialisme et spiritualité. Ainsi, le musulman qui peut allier les deux conservera sa relation avec son Créateur sans rompre sa relation avec le monde.

l'Islam s'intéressé à la réforme de l'âme. Il a imposé à imposé à l'homme d'organiser matériellement sa vie en fonction des progrès spirituels accomplis.

L'argent qu'il possède et grâce auquel il aide ceux qui sont dans le besoin, sans hypocrisie ni orgueil est honnêtement gagné et dépensé.

L'épouse est pour lui une forme de sécurité, de repos, de tranquillité, de stabilité et de chasteté. L'Envoyé d'Allah (paix soit sur lui) a dit : "Le croyant ne profitera point d'une chose meilleure, après la soumission à Allah, que d'une épouse pieuse qui lui, obéit lorsqu'il demande qui le réjouit lorsqu'il la regarde, qui préserve sa chasteté lorsqu'il s'absente et qui veille à ses biens lorsqu'il est absent.

L'enfant représente pour lui un don de la part d'Allah le Très-Haut, un bienfait qu'Allah lui a octroyé et par lequel il se réjoint. Il mérite la satisfaction de son Seigneur en lui inculquant les enseignements de l'Islam.

Ainsi, le croyant peut à la fois vivre et réagir avec son milieu en étant un membre utile dans sa communauté : Il prend et donne, aide et profite tout en prenant pour guide par la voie d'Allah.

Said Ebn Al Mossayeb nous a rapporté que les trois hommes qui ont été mentionnés dans le Hadith sont : Ali Ebn Abou Taleb, Abdallah Ebn Amr Ebn Al'As et Osman Ebn Mazoun. Ces trois hommes sont venus s'informer auprès des épouses du prophète au sujet du culte que L'Envoyé d'Allah (paix soit sur lui) accomplit au sein de sa maison. Lorsqu'ils furent renseignés, ils jugèrent son culte assez modéré par rapport au leur.

Alors ils ont justifié cela par le fait que le Prophète (paix soit sur lui) a été pardonné par Allah; c'est pour cela qu'il n'a pas besoin de faire davantage. Par contre, les autres en ont besoin pour racheter leurs pêchés. Cependant le prophète (paix soit sur lui) leur a répondu que bien qu'il soit celui d'entre eux qui craint le plus Allah et qui Lui est le plus soumis, pourtant il n'est pas intransigeant dans son culte comme eux, c'est pour cela qu'il leur a expliqué pourtant je jeûne et je rompts mon jeûne, j'accomphis les prières de la nuit mais je dors aussi et je me marie". Ceci prouve que le culte du Prophète (paix soit sur lui) est plus modéré que leur culte; il n'est pas intransigeant comme eux.

La modération dans le culte

Par Fatma Mohamed Rachad

Selon Anas Ibn malek; qu'Allah soit satisfait de lui : un groupe composé de trois hommes est allé s'informer auprès des épouses du Prophète (à lui bénédiction et salut), au sujet du culte du Messager d'Allah. Lorsqu'ils furent renseignés, ils parurent trouver cela insuffisant; alors ils dirent : "où sommes-nous en comparaison du Prophète (à lui bénédiction et salut) à qui Allah a pardonné tous les péchés passés et futurs" ?

Alors l'un d'eux dit : "Quant à moi, je passe toute la nuit en prière". L'autre dit : Je jeûne éternellement et ne rompt jamais le jeûne. Le troisième dit : "Moi, je n'ai aucun commerce avec les femmes et je ne me marie point". Alors L'Envoyé d'Allah (à lui bénédiction et salut) vint à eux et leur dit : "Est-ce vous qui avez dit ceci et cela ? Par Allah ! je suis celui d'entre vous qui craint le plus Allah et qui Lui est le plus soumis et pourtant je jeûne et je rompts mon jeûne, j'accomplis les prières nocturnes mais je dors aussi et je me marie. Celui qui s'écarte de ma tradition n'appartient pas à ma communauté.

Explication du Hadith :

L'Islam invite à former l'homme pieux. Il vise à définir ses relations avec le monde et à développer sa conscience religieuse de par son appartenance à l'Islam.

En considérant la relation qui unit l'homme à la vie terrestre on distinguera trois catégories :

1 — La première est constituée de ceux qui s'efforcent uniquement de développer le côté spirituelle et de se vouer à l'adoration d'Allah. Ils jeûnent sans rompre le jeûne, passent toute la nuit en prières sans dormir, évitent le commerce des femmes et ne se marient jamais. La vie pour eux est semblable à une prison.

Ceci s'applique à ceux qui sont venus après les compagnons du Prophète (à lui bénédiction et salut). Nous devons conserver pour ces derniers une grande estime , ils cherchaient à rivaliser par les actes de dévotion en prenant pour modèle le prophète (à lui bénédiction et salut).

Mais l'Islam a refusé cette doctrine, celle de ceux qui veulent se retirer du monde en abondonnant tout travail en cessant de gagner leur pain quotidier, ils deviennent des fardeaux pour la société. Ainsi ils assurent à l'ennemi, le pouvoir sur leurs pays.

Or, le Coran encourage à l'action qui est toujours alliée à la dévotion : (oui, ceux qui auront cru et qui auront accompli des oeuvres bonnes verront que nous ne laisserons pas perdre la récompense de celui qui fait le bien) (Sourate "La Caverne" sens du verset 30) (Dis : Agissez ! Allah verra vos actions, ainsi que le prophète et les croyants; vous serez ramenés vers Celui qui connaît ce qui est caché et ce qui est apparent. Il vous rappellera ce que vous avez fait) (Sourate "l'Immunité" le sens du verset 105).

Alors, il n'at pas de la Sunna que le musulman ne fasse pas usage de ses capacités et des dons qu'Allah lui a octroyés tels le pouvoir de travailler, la liberté d'esprit et la volonté libre. Au contraire, le prophète (à lui bénédiction et salut) nous a incités fournir des efforts suivis pour me pas laisser les trésors et les richesses enfouis sous la terre.

che de la main, sinon il l'indique avec son bâton, ou sa main, qu'il baisera ensuite. Il invoque Allah, prie et adresse le salut à Son Prophète durant son circuit. A la fin de chaque tour, entre l'angle Yéménite et la Pierre-Noire, il est bon d'invoquer Allah par la formule suivante :

"Seigneurl accorde-nous Tes bienfaits dans ce Monde et Tes bienfaits dans la vie future et préserve nous des tortures de l'enfer". Arrivé à la Pierre Noire, il a terminé la lère étape. Il accomplit de même les 2ème et 3ème étapes. A la 4ème étape et aux suivantes, il ralentit le pas et marche normalement.

En accomplissant ces circuits, le pèlerin ne doit pas toucher le mur de l'Edifice, ni passer par "Hijr-Ismail" ni marcher sur le "chadjrouane" car d'après la tradition cet espace fait partie du Sanctuaire lui-même.

a suivre

Hoda Charawui

Il lui est conseillé de pénétrer dans la mosquée par la Porte de la "Omra", du Salut (Bab es Salam), d'"Abraham" ou d'"Abd Al Aziz Al Saoud" si l'accès en est possible, sinon par n'importe quelle autre Porte. Ces Portes citées sont en face du coin Yéménite du Sanctuaire.

Le pèlerin doit être en état de propreté, corporelle et vestimentaire (Tahara), car le tawaf est assimilé à la prière. En avançant vers le sanctuaire, il prononce la formule sacramentelle de la "Talbia" avec un recueillement plein de piété et d'humilité en ayant l'attitude de "l'itibâa". Cette tenue consiste à se couvrir l'épaule gauche du "rida", puis passer l'autre partie sous le bras droit pour la rejeter sur l'épaule gauche. Cette tenue est exigée seulement pour les hommes, les femmes n'ont pas à se découvrir.

La marche à suivre pour accomplir le "Tawaf" (circumambulation) :

1. Le pèlerin pénètre par le pied droit en disant : "Bismillah (au nom d'Allah) ! Que les salut et la bénédiction d'Allah soient accordés au prophète. Seigneur ! Pardonne mes péchés et ouvre-moi les portes de Ta miséricorde".

   Dès que la kaaba apparait à sa vue, il lève le bras et dit :

   "Il n'y a de divinité qu'Allah, Allah le plus Grand.

   Seigneur! Tu es le Salut, le Salut émane de Toi. Fais nous vivre mon Allah dans le Salut. Seigneur! attribue à ce Sanctuaire encore plus d'honneur, plus de grandeur, de noblesse, de majesté et de dignité. Seigneur! accorde à celui le visite, le vénére et le respecte : la grandeur, l'honneur, la noblesse, la considération et le bien-être".

   Puis il 'avance humblement vers le Sanctuaire, avec la conviction de la grandeur d'Allah, de la crainte de Son châtiment et l'espoir en Sa récompense, il fixe alors son regard sur le Sanctuaire et formule l'intention du Tawaf" dans son coeur.

2. Il se présente de manière à avoir le Sanctuaire à sa gauche, s'arrête devant la Pierre-Noire, du côté du coin Yéménite et formule l'intention d'entreprendre le Tawaf : "Seigneur! je suis venu dans l'intention d'accomplir le Tawaf de la Omra et de faire sept circuits autour de Ta Maison Sacrée. Seigneur! facilite-moi la tâche et daigne l'agréer".

3. Le pèlerin doit embrasser la Pierre-Noire si elle lui est accessible, sinon il la touche de sa main qu'il baisera ensuite, fait le geste de la toucher, s'il ne peut y arriver, puis levant les 2 mains à la hauteur des épaules, il dit :

   "Au nom d'Allah! Allah est le plus Grand Allah soit loué! Seigneur je me présente avec toute ma foi en Toi et en la véracité de Ton livre, fidèle à mon serment et me conformant à la tradition de Ton Prophète Mohammed sur lui le salut et la bénédiction". Il répètera cela au début de chaque circuit.

4. Le pélerin commence alors son Tawaf en ayant à sa gauche la Pierre-Noire. Il accomplit les trois premiers tours à une allure rapide appelée "Raml" - des pas courts et précipités et les quatre autres tours à l'allure ordinaire. Cette accélération des pas concerne seulement les hommes qui en sont capables. Les femmes en sont dispensées. Chaque fois que le pèlerin passe devant le coin Yéménite de la Kaaba il le tou-

---

1) Le Haram : C'est le lieu sacré par excellence, par extension il signifie toute la Zone qui entoure la Kaaba. Cette Zone a été fixée et, déterminée par le Prophète — salut et bénédiction sur lui — elle domine toute la ville de la Mecque et les territoires environnants, interdits aux non-musulmans qui n'y pénètrent sous aucun prétexte. Il y a des repères pour indiquer cette frontière, et les interdictions relatives au Haram commencent à partir de ces repères.

Les Actes interdits durant le pèlerinage :

Ce qu'il faut éviter de faire :

1. Avoir des rapports sexuels ou même se livrer aux actes préliminaires du rapport sexuel, tels que baiser, regards ou attouchements.

2. Ne pas d'un chasser le gibier (à pelage ou à plumes), le blesser, l'immoler, le tuer, indiquer sa place à un chasseur ou endommager ses oeufs. Le "Mohrem" n'a pas le droit de manger d'un gibier tué par lui-même ou que tout autre pèlerin aurait tué.

3. Tuer n'importe quoi à l'exception des 5 nuisibles, qui sont : le corbeau, le faucon, le scorpion, la vipère et le chien enrage.

4. S'abandonner à la perversion avec les amis, aux querelles ou aux discussions polémiques.

5. Se parfumer ou respirer un parfum ou même emporter un parfum qui risque d'être versé.
   Il ne faut même pas utiliser ce qui est parfumé, ni boire ce qui renferme un certain parfum. (tel que boire un thé parfumé à la menthe par exemple).

6. Se tailler les ongles des mains ou des orteils, se raser, se couper les cheveux ou les épiler, ou les faire tomber par frottement.

7. Se frictionner les cheveux ou le corps, ou même utiliser du "henné"

8. Eviter les tissus enduits de parfum.

9. Se vêtir d'un habit cousu, porter une chose ajustée (une bague par exemple) ou porter des sandales couvrant les chevilles (pour les hommes).
10. Se couvrir la tête ou le visage même partiellement (pour les hommes).

11. Couvrir le visage ou les mains pour la femme, sauf, si elle craint de séduire, dans ce seul cas il lui est permis de se voiler le visage.

12. Déraciner les arbres du "Haram" ou son herbe, les couper, les abîmer ou disperser ses oiseaux.

Ce qui est permis lorsqu'on est en état d'Ihram :

Il faut savoir qu'il est toléré de :

1) Se frotter la peau et les cheveux sans causer la chute des cheveux ou la mort d'une vermine.

2) Se laver à condition de ne pas utiliser un produit parfumé ou une pommade qui peut tuer les parasites.

3) Se mettre sous l'ombre d'un arbre, d'un parasol ou d'une tente sans que cela touche la tête ou le visage (pour l'homme) ou le visage seulement (pour la femme).

2ème fondement de la Omra : Le Tawaf ou circumambulation :

Arrivé à La Mecque, le pèlerin s'assure de son logement et de ses bagages puis se rend au "Haram El Charif". Le Noble Sanctuaire "La Kaaba" pour accomplir le "Tawaf".

devra en expiation sacrifier une bête. Ceux qui se trovent en-deçà de ces points, se sacralisent à partir de leur résidence (les mecquois à partir de la Mecque, par exemple). Le pèlerin qui se sacralise est appelé "Mohrem".

Les actes "Sunna" de l'Ihram :

La négligence d'un acte Sunna n'entraine pas de rachat, mais son omission prive le pèlerin d'une récompense importante. Il est recommandé au pélerin de :

1. Se tailler les ongles, alléger les moustaches, de se couper les cheveux de s'épiler les aisselles et le pubis.
2. Se laver comme on se lave de la "djanaba"(4) en formulant l'intention des ablutions pour l'Ihram, Cela est valable même pour la femme menstruée ou accouchée. Celui qui ne trouve pas d'eau ou ne peut se laver, doit faire ses ablutions ou recourir à la lustration pulvérale : "Le Tayamum".
3. S'envelopper, pour l'Ihram, de deux pièces d'étoffe blanche, propre et ne comportant pas de coutures. L'une appelée "ridä" (pèlerine sans capuchon) couvre les épaules. L'autre "izar" (un paréo) entoure la partie inférieure du corps. Il faut qu'elles soient commodes pour celui qui les porte et qu'elles couvrent sa nudité. Il faut porter des sandales sans coutures et qui découvrent les chevilles. La femme portera ses vêtements ordinaires, couvrira sa tête et ne montrera que son visage et ses mains.

Il est conseillé, pour l'homme, que les habits de l'Ihram soient blancs et neufs. La femme peut porter toutes les couleurs, en ayant soin que la coupe de la robe soit ample, que ses vêtements n'adhérent point au corps et que les tissues ne soient ni transparents ni translucides.

4. Se mettre en état d'Ihram après une prière — obligatoire ou surérogatoire — et accomplir 2 rakaas après l'Ihram appelées "Sunna-t-al Ihram".

5. Se diriger vers la Kibla (i.e. La Ka'aba) après s'être vêtu des pagnes de l'Ihram et dire : "Seigneur je voudrais accomplir la Omra facilite-la-moi et accepte ma dévotion. Seigneur mes cheveux, ma peau, mon sang et ma chair se sont sacralisés pour te plaire", puis l'on commence la "Talbia" dont la formule est la suivante : "Labbaika Allahouma Labbaik, Labbaika la Charika Laka Labbaik, Ina Al-Hamda Oualni'mata Laka oual Moulk la Charika Lak". A répéter 3 fois. Ce qui signifie : "Me voici Seigneur, me voici, me voici.

Tu n'as aucun associé. Me voici !
A Toi La Louange, la grâce et la Souveraineté Tu n'as aucun associé !"

Après la "Talbia", le pèlerin invoque Allah et demande la paix pour son Prophète-salut et bénédiction sur lui-puis il implore Allah de lui accorder ce qu'il désire, des biens de ce monde et de l'autre. Le pelerin ne doit pas cesser de répéter la Talbia à haute voix, sans toutefois faire d'effort. La femme n'a pas à élever sa voix : elle prononce la Talbia à voix basse. On doit renouveler la formule sacramentelle ou la "Talbia" à tout changement d'état, par exemple lorsqu'on monte ou descend de voiture, après les prières, à la rencontre de compagnons de voyage, lorsqu'on se réveille ou avant de s'endormir.

Dès qu'il est en état d'Ihram, le pèlerin doit observer rigoureusement l'état de sacralisation. Il ne doit prononcer que des invocations, de même il doit détourner son regard de tout ce qui est illicite et, se montrer charitable pendant son pèlerinage pour que ce dernier soit agréé par Allah. Il doit être affable envers ses compagnons de voyage, leur parler aimablement, les inviter à partager sa nourriture et leur offrir de ses provisions.

Al Hadj ou Grand Pélerinage

par Hoda Cha'raoui

Al Hadj est une forme de grand congrès où se réunissent tous les Musulmans venus des quatre coins du monde, indifféremment de toutes distinctions de race, de couleur et de nationalité. Ces musulmans accomplissent Al-Hadj pour acccomplir un acte de dévotion et pour se concilier la grâce d'Allah.

Les six piliers fondamentaux du Hadj sont :

1 — La sacralisation, ou Al Ihram, accompagnée de la formulation de l'intention

2 — La station à Arafat.

3 — Al Tawaf ou la circumambulation.

4 — Al Sa'y ou le parcours entre Al-Safa et Al-Marwah.

5 — La coupe des cheveux ou le rasage de la tête.

6 — L'accomplissement de tous ces rites dans l'ordre. De plus, il faut savoir que la'Omra (ou Petit Pélerinage est une partie indissociable du Hadj, et que le pélerin qui accomplit Al-Hadj doit aussi faire la'Omra, en choisissant l'un des trois modes suivants : Al Ifrade, Al Tamattou' ou Quiràn.

La sacralisation ou Al-Ihram :

Al Ihram c'est l'intention d'accomplir Al-Hadj ou Al'Omra en respectant certains rites : revêtir deux pièces d'étoffe sans coutures (pour l'homme) et s'ab stenir de faire certaines choses (comme les rapports sexuels) durant la visite pieuse. A partir du moment a formulé l'intention, le pélerin doit prononcer la Talbia(1).

Les stations frontières de l'Ihram :

Ce sont les lieux fixés par la loi, à partir desquels le pèlerin doit observer sa sacralistion, ces lieux varient selon le pays d'où l'on vient; le Prophète — salut et bénédiction sur lui-a fixé les lieux d'où doit commencer l'Ihram comme suit :

1. **Al Jahfa** : Pour les habitants d'Egypte, du Maroc, d'Algérie, de Tunisie et de la Syrie. Ce village, situé entre Mecque et Médine est proche d'un village nommé Rabegh.
2. **Zata-irk** : Pour les habitants de L'Irak et tous les habitants de pays de l'Est.
3. **Dhoul-Holoyafa** : Pour les habitants de Médine.
4. **Ya-lam-lam** : Pour les habitants du Yemen, de l'Inde et du Pakistan.
5. **Karn-El-Manazil** : Pour les habitants de Najd.

Ces lieux frontières sont valables aussi bien pour les habitants de ces contrées, ainsi que pour ceux qui, n'étant pas originaires de ces pays, empruntent la même voie. Le pèlerin ne doit dépasser ces lieux par voie maritime, aérienne ou terrestre avant de s'être sacralisé. Il est permis de se sacraliser avant ces points, de l'endroit où commence le voyage sacré. Celui qui, par négligence, dépasse ces lieux sans sacralisation,

---

1. Formule sacramentelle que le pélerin prononce dès qu'il se sacralise.

REVUE AL-AZHAR

ZULKEIDA 1413

Volume 65 — Partie XI

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction

M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Since the criteria of Tawhid is the essence of religious experience, the principle of human history and knowledge, the inherent process leading to social ethics, values and order, and the building foundations of the family and the Ummah; it becomes by sequential development of human life, the principle of political and economic order. Based on such considerations, the concept of Tawhid becomes the backbone principle of world order. Islamic doctrinal teachings, the quintessence of Tawhid, being well understood and their implications in the cognitive thought and life of human societies will prove to be the superior paradigm for the actualization of social justice, human rights, and rehabilitation of mankind; than any other contemporary ideology.

as Islam did. Maximization of production is a major Islamic issue, every person is expected to produce more than he consumes, to contribute to creation, to render service to humanity. This is the true justification of life on earth; the deeds of man that he will read from his ledger on the day of judgement. This maximization of production must be instituted with ethical patterns of organization and responsibility which does not concede to waste, extravagance; and opposes damage to nature's systems. The "rape of nature" with pollution is the result of molorganization and irresponsibility, defiling the environmental ecology. Everything is threatened by the present day maximization of production of the planned obsolescence of western industrialization. Evidently, the vitium is the dominating ideology which is incapable of providing its adherents with the healthy psychic mechanisms needed for all disciplines of organization and responsibility. It lacks the proper vision, prospective, criterion, nor a conscience with which to control the insatiable appetite for profit. Such abuse of nature runs counter to the principle of Tawhid, and is therefore condemned by every measure of Islamic teachings. The process of maximization of production according to Islamic understanding must be innocent and pure from beginning to end.

Islamic doctrines also demand that production and services must be absolutely free of fault or cheating or deception by advertizing. Under Islam, the producer stands under four principles that should direcly influence his production operation. First, production should not be for the purpose of profit alone, but should aim at provision of beneficial and useful items, profit being a by-product not the only purpose. Second, materials prohibited by the Shariah may not be produced at all, except in circumstances where their need is justified. Third, deceptive processes such as pachaging, advertizing, and the appeal to human vanity, sex, pleasure, ego and contenment should be prohibited, and only restricted to the honest qualification, specification, and beneficial use of the product. Fourth, the producer's commitment to the principle of Tawhid provides the conscience to impose upon itself the code of ethics and truthfulness in production. Violations of this code according to the Shariah become subject to administrative adjudication, and are penalized in proportion to their respective gravity. However, Islamic doctrines allow that the production ought to be a profit making process, and the principle of Tawhid permits profit in production, but requires the realization of the balance of justice to be assigned to the margin of profit. This balance of justice should also include just wages; and Tawhid assumes that every adult worker is entitled to wages that guarantee a livelihood for himself and his dependants. This is essentially the collective responsibility of the Ummah and its leadership, and also constitutes that the Ummah provides the human resources necessary for its needs.

The principle of Tawhid implies the ethics of consumption. This is the proper apprehension of material values, satisfaction of human desires and wants within the limits of needs. The minimum of consuption is subsistence, and its maximum is extravagance and indulgence. Tawhid limits the person to consume according to his needs; the rest of one's wealth should be spent in charity or in reinvestment or in both. Charity is regarded as a high value moral virtue. Islam exhorts its adherents to practice charity, and several verses of the Holy Quran are devoted to encourage Muslims on the path of philanthropy. It is a voluntary act called "Sadaqah", which merits great reward from Allah. Sadaqah, and Zakat which is a wealth sharing annual tax given to the Ummah's constituted authority to be given to specified individuals, according to Quranic text. Zakat and Sadaqah together ought to bring society as close as possible to the ideal of distributive justice among the various population fractions of the community. The concept of Tawhid as the principle of economic order was the system that institutionalized the first paradigm of social economic justice.

Tawhid : The Principle of Economic Order (Part 2)

(Excerpts from the writings of Ismail Raji Al-Faruqi)

Compiled and presented by :
Saad Moustafa Moustafa MD.

The foregoing discussion on the issue of Tawhid as the principle of economic order, has indicated the stand of Islam on the necessity of the material aspects of human life. The Islamic injunctions related to this issue are unique among the religions and ideologies of the world. These injunctions preserve individual rights, and exhort mankind to rise in changing one's material status, to work and seek the abundance in life, to exploit nature, and enjoy the goodness of creation. These divine doctrinal teachings are addressed to all humanity. Religion in that respect is the dimension of earthly life, which is actualised in full when that life is lived morally, with responsibility to nature, to society, and to oneself. With this frame of understanding, Islam declares itself the conscience of human life on this earth. The universal "Pax Islamica" would come to naught unless it brings about a happier life for all; there would be little justification for changing the spiritual state of humankind if the miseries and needs of life on earth continue unchanged.

From this major premise of the implications of Islam to economic order, two main principles follow. The first is that no individual or group may exploit another. The second is that no group may insulate or separate itself from the rest with the view of restricting their economic condition to themselves, be it one of affluence, or of misery. In human history, exploitation and isolationism of more affluent groups, have been the more common phenomena the practice of colonialism, neo-colonialism, imperialism, racialism have had appalling manifestations. This is utterly opposed in Islam whose first ethical code in this respect is that every individual is entitled to the fruits of labour without exploitation. This is the fundamental pin point of justice and human rights. Exploitation and injustice breed hatred which disrupts social stability within national and international world orders. Human history again teaches that empires that were developed in affluence at the expense of exploitation of other human groups, have all suffered a disintegration process and a collapse. The basic Islamic belief regarding the economic fate of individuals, of groups, or of nations, is that it is ultimately in the hands of Allah. Rizq is what Muslims called Allah's disposition of economic condition; and that this is an essence of Divine will and justice; Allah provides each with the measure due with absolutely no injustice. This is a demand for contentment, and praising Allah's provision even if little. It does not condone exploitation, colonialism, isolationism and similar capitalist economic patterns that cause injustice to the value and effort of human groups in favour of their own affluence.

Allah created everything to be subservient to mankind, who is commanded to give all effort to seek Allah's bounty, and promised to acclaim man's accomplishment in the reclamation of the earth, provision of culture and knowledge, and the perpetuation of human efforts in the actualization of Divine Will. This is definitive of man's vicegerency of The Divine Being on Earth, and is constitutive of worship, or religion and of the raison d'etre of creation. No religion, and no ideology has ever exhorted mankind to work as strongly

tion to the scientific criteria of knowledge presently known on this subject. The science of embryonic development and foetal growth is not totally known, and further research will enlighten the human mind seeking reality to further understanding of the latent potential meanings symbolized in the allegoric phrases and words of the Holy Quran.

The thought of mankind should be energized by the dialectic knowledge of the Quranic scripture. Mankind has been ordained as the vicegerent of Allah on earth, and through this function, human activities must exercise conceptive thought to observe, realize, understand, and assimilate knowledge. The fountain of knowledge are the words of the Quran, the final divine message for the enlightenment of mankind. The Holy Book of basic foundation whose verses are optimal "Muhkam". It is the final ultimate summons to mankind, constituting the whole corpus juris of human existence. There is nothing omitted from the Holy Book, it provides a perfect paradigm of ecumenical culture, and expands to encompass all horizons of knowledge, all disciplines of science, all avenues of education, and all dimensions of culture. The Holy Quran is the eternal propagation of the Transcendent Milieu of Allah; its words flow with mercy, blessings, grace, and light. The Light of Eternal Truth.

lar arrangement and organization resulting in the formation of three premordial germ layers, namely the ectoderm, the mesoderm, and the endoderm. The process of organogenesis starts by which all foetal organs and tissues are derived and developed from the germ layers. The ectoderm gives rise to the brain, spinal cord, and skin. The mesoderm forms the sekeleton, the muscles, the heart, the circulatory vessels and the kidneys. The endoderm forms the gastrointestinal tract and its associate organs as liver and pancreas.

The initial germ layer formed is the mesoderm, and the first organ rudiments to appear are the bones of the notochord the bones of skull and face. This is followed by the muscles, the nervous system, the circulatory vessels, and the viscera. Most scientific research in embryology today deals with the genesis of molecular diversity, and the mechanisms by which different biomolecules direct and control cellular division, development, growth, differentiation, and selective function. The enigma of cellular differentiation controlled by molecular diversity in an individual composed of genetically identical cells is today one of the central themes of embryological research. These data of current scientific knowledge on human embryonic development will serve as reference when used to explain the Quranic statements related to human embryonic development. These scientific concepts were not known at the time of the Quranic revelation, nor during the centuries that followed.

In the text of the Holy Quran, several verses address the subject of human foetal development. In these many verses, there is an indication expressed that the initial stage of fertilization is made by an infinitesimal volume of seminal fluid, followed by the implantation mechanism and the processes of organogenesis to end in the full term foetus. These sequences are most uniquely and precisely expressed in two Suras of the Holy Quran.

Surat Al-Haj, 22, verse 5, "O mankind, if you have doubt about resurrection, consider that we have created you out of dust, then from sperm, then from an implant that clings, then out of a chewed lump of flesh, partly formed and partly unformed in order that we manifest to you. We establish in the wombs what we wish for an appointed term; then we bring you out as an infant, then you reach your age of strength. Some of you die, and some are returned to weakness of old age, that he knows nothing of what he had known".

Surat Al-Muminoon 23, verses 12-14 "And we did create man from a quintessence of clay, then we placed him as a gamete in a firm secure lodging. Then we created the gamete into an implant that clings; then we transformed the clinging implant into a chewed lump of flesh; then we fashioned the chewed lump of flesh into bones; and we clothed the bones with flesh; then we developed that into a different creature. So blessed be Allah the Supreme Creator".

These distinct statements of the Holy Quran express with eloquent precision the sequential developmental processes and mechanisms of foetal reproduction. The process of fertilization, subsequent implantation and ultimate organogenesis to the final stage of an infant creature, the most profound manifestation of Divine Omnipotence. These statements were revealed as Divine transcendent words at a time when nothing was known of the scientific intricacies and modalities of cosmic universal organization. The details of current scientific knowledge on the subject of human reproduction explains the precision and subtleness of the statements of the Holy Quran, which lends support and confirma-

Glimpses From The Quranic Milieu. The Quintessence of Clay.

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PHD.

The cultivation and enrichment of religious thought is undoubtly the result of perpetual understanding of the profound relationships between the elements constituting the intricate mechanisms of the creation of the universe. The three monotheistic religions possess their own individual scriptures whose documents of doctrines constitute the foundations of their beliefs. These scriptures are the material transcription of Divine Revelation; directly as in the case of Ibrahim and Moussa, receiving the commandments from the Divine Supreme Being; or indirectly, as in the case of Jesus and Muhammad. Jesus stated that he spoke in the name of the "Father". Muhammad the Prophet of Islam received the Revelation of the Holy Quran transmitted to him by the Archangel Gabriel. The Holy Quran was revealed six centuries after Jesus as the final most comprehensive in detail, addressing all elements of human life, and manifesting for itself a unique character among all Revelations because of its undisputed authenticity. The text of the Holy Quran is the most prescriptive directory, fountain of knowledge for the enlightenment of mankind. The first verses revealed of the Quranic text express the cardinal injunction of acquisition of knowledge by reading and writing. "Read, in the name of thy Lord who created; createdman from an implant that clings. Read, and thy Lord is Most Bountiful. He who taught the use of the pen, taught man that which he knew not." (Surat Alalaq qb, verses 1-5).

Substantial portions of the Holy Quran address issues of creation and the complex intricate mechanisms of the phenomena of nature. Such verses have direct implications in scientific knowledge as it stands today, and certainly provides proof and confirmation for established knowledge of scientific research and discoveries of the wonderous realms of creation. Among the several issues of creation that the Quran addresses is that of human embryonic development and reproduction. For the comprehensive discussion of this subject, a brief review of current scientific knowledge about human embryonic development should be appraised. The starting point of human reproduction is the fertilization of the female ovum by the male sperm. This process takes place at the distal third of the fallopian tube. To ensure fertilization an infinitesmal quantity of spermatic fluid containing many millions of sperms is required. Fertilization is a complex process by which a single sperm penetrates the ovum, and the sperm nucleus will fuse with the ovum nucleus resulting into a fertillized ovum, the Zygote. The specific genetic trait of the sperm that becomes responsible for fertilization, determines the sex of the developing foetus. After fertilization, rapid cellular mitotic divisions take place in the Zygote as it travels along the fallopian tube to reach the uterine cavity where it literally implants itself onto the uterine wall by insertion to cling onto the thickness of the uterine mucosa and muscle. Rapid sequential processes of division, and differentiation take place which develop the clinging implant into a mass of cellular blastomeres. This mass of flesh undergoes extensive cellu-

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part XI

Zu Al-Qida, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH.D.

CONTENTS

1. Glimpses from the Quranic Milieu

The Quintessence of clay.

By : Anas Moustafa El Naggar.

2. Tawhid : The Principle of Economic Order. (Part 2)

By : Saad Moustafa Moustafa.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

- الافتتاحية (الإحتفاء بالإمام السيوطى)
للدكتور (على أحمد الخطيب) ١٦٤٩
- كلمة أ. د. جعفر عبدالسلام ١٦٥٣
- كلمة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر
عبدالفتاح الشيخ ١٦٥٥
- كلمة الأستاذ / فوزى عبدالظاهر
أمين عام اللجنة الوطنية المصرية ١٦٥٦
- كلمة معالى د. / عبدالعزيز التويجرى المدير العام
للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ... ١٦٥٧
- كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٦٦٠
- أعمال وبحوث ندوة الإحتفاء بمرور خمسة قرون على وفاة السيوطى
إعداد الأستاذ / مصطفى مصطفى كسبه ١٦٦١
- مع الإمام جلال الدين السيوطى
للإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٦٦٢
- أثر الإمام السيوطى فى علوم القرآن
للأستاذ الدكتور محمد فاروق النبهان ١٦٧٠
- السيوطى فى التفسير
للأستاذ الدكتور / عبدالسلام أبو النيل ١٦٧٢
- أثر الإمام السيوطى فى علوم الحديث
للدكتور / يحى إسماعيل ١٦٧٣
- جهود الإمام السيوطى فى علوم الحديث دراية
للأستاذ الدكتور / عبدالمنعم السيد نجم ١٦٧٧
- الرواية عند الإمام السيوطى
للأستاذ الدكتور / نور الدين عتر ١٦٨١
- جهود الإمام السيوطى فى علم الرواية
للأستاذ الدكتور / عزت على عطيه ١٦٨٤
- الإمام السيوطى وجوامعه
لفضيلة الشيخ / محمد حسام الدين ١٦٨٥
- الإمام السيوطى وأثره فى أصول الفقه
للدكتور / محمد إبراهيم الحفناوى ١٦٩٤
- الإمام السيوطى فقيها
للدكتورة / أمينة محمد الجابر ١٦٩٧
- شخصية السيوطى وملامح عصره وبيئته
للأستاذ الدكتور / ناصر سعد الرشيد ١٧٠١
- أثر الإمام السيوطى فى علم اللغة
للأستاذ الدكتور / على القاسمى ١٧٠٢
- تطبيق السيوطى لمصطلح الحديث على الرواية اللغوية
للدكتور / شوقى ضيف ١٧٠٥
- مع سورة الأنفال
لفضيلة الدكتور / عبدالجليل شلبى ١٧١١
- تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر
لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطوة عوض ١٧١٥
- عناية الإسلام بتربية الأولاد
بقلم : عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ١٧٢٤
- الفكر الأدبى فى كشاف الزمخشرى
للدكتور / محمود جمعه أمين ١٧٢٧
- الفتاوى إعداد الأستاذ / عبدالمنعم فوده ١٧٣٦
- مؤلفات السيوطى الطبية
بقلم أ. د. طبيب / السيد الجميلى ١٧٣٨
- طرائف ومواقف
للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٧٤٣
- من روائع الماضى بمجلة الأزهر (غرور)
إعداد الأستاذ / عبدالفتاح حسين الزيات ١٧٤٤
- من أعلام الأزهر
للمستشار / محمد عزت الطهطاوى ١٧٤٧
- المنهج التدريجى وأثره فى تلقى اللغويات
للدكتور عبدالرءوف محمد عثمان ١٧٥١
- العرب فى الوثائق اليونانية واللاتينية
إعداد وتقديم / جمال أبو الوفا ١٧٥٨
- تاريخ الكتاب عرض وتقديم / عبير عبدالواحد ١٧٦٢
- مدى تلازم الوحدة الموضوعية مع القصيدة العربية
بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ١٧٧١
- نزول القرآن الكريم للزعيم / علال الفاسى ... ١٧٧٦
- فى مناجاة الله للدكتور / عبدالوهاب عزام ... ١٧٧٨
- استغفار للشاعر / محمد مصطفى الماحى ١٧٧٩
- الصومال للشاعر / محمد عبدالرحمن صان الدين ١٧٨٠
- بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم د. /محمد عبدالحكيم محمد ١٧٨٢
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذ / مصطفى عبدالمجيد ١٧٨٧
- أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير ١٧٩٠

Section Française

Article 2 — par : Fatma Mohamed Rachad 1794
Article 1 — par : Hoda Cha'raoui 1199

English Section

Article 2 : By Saad Moustafa Moustafa, M.D. 1803
Article 1 : By Dr. Anas Moustafa El Naggar 1806

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م
وصدر العدد الأول فى المحرم / ١٣٤٩ هجرية

رئيس التحرير
د/ على أحمد الخطيب
مدير التحرير
على حامد عبد الرحيم
المراسلات : باسم مدير التحرير
ادارة الأزهر بالقاهرة
ت/ ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات
قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

لا « ص » ولا « صلعم » ولكن صلى الله عليه وسلم

فى الكتاب العزيز أَمْرُهُ ـ سبحانه وتعالى ـ للمؤمنين المخلصين وُجُوهَهم لله ـ عز وجل ـ التابعين السلفَ الصالح ، الحريصين على التماس القدوة من النبى ﷺ وصحابته والأئمة التابعين ، النافرين من سيئات البِدَع ، المُعْرِضِينَ عن صراط المغضوب عليهم ، الماقتين للضالين .... إلى هؤلاء المؤمنين الذين ضَمَّتْ قلوبُهم ودماؤُهم وأنفاسُهم وألسنتُهم هذه الشمائل ... إلى أولئك يقول ـ جَلَّ جلاله :

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ الأحزاب ٥٦ صلوا على نبيكم صلاة تامة ؛ وسلموا عليه ، وسلموا له بما يقول انقياداً له ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذَنْ ما قال ـ تعالى : قولوا : (ص) أو (صلعم) .

بئسَتْ ص ، وبئست صلعم ، ومن أقحم على المسلمين ص وصلعم ، فما صَدَرَتْ ص ، ولا أَتَتْنا صلعم عن الأُلى قَنَتُوا لله رب العالمين ،وشهدوا لرسول الله ﷺ بالوحى الأمين ، فقالوا : نشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً ــ عليه الصلاة والسلام ــ عبده ورسوله .

نَعَمْ :

سمعنا عن العرب : البَسْمَلة ، والحَوْقلة ، والدمعزة ، والكبتعة ، والجعفدة ، والطلبقة ، والسَّبْحلة ، والحمدلة، والحسبلة ... وما إليها من (نحت) تلقيناه سماعا .

لكنا لم نسمع عنهم : ص ، ولا صلعم ، يستبدلون (ﷺ) بهما ، وليس لنا أن نقيس ــ هنا ــ هذا على ذاك ، وحتى نسقط اللجاجة ، وننصرف عن حماسة المستمسكين بـ(ص) و(صلعم) تَقَدَّمتُ فذكرت صفات المحبين لله ــ عز وجل ــ ورسوله ــ ﷺ .

ولا على المُصِرِّين عليهما ، وعلى ما سوف يستجد من أمثالهما إلا أن يأتونا ــ بمصدر : ص وصلعم ، ويحدثونا عن إمَامَيْهما صادِقِين مُخلِصِين ... وهيهات ...

كتب (روزنتال) فى مُؤلَّفِهِ : (مناهج المسلمين فى البحث العلمى) نقلا عن العلامة : (عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموى) المتوفى فى (دمشق) عام ٩٨١هـ/١٥٧٣م ، صاحب (المعيد فى أدب المفيد والمستفيد) ، كتب بصدد أدب الناسخ للكتب الشرعية : «وكلما كتب اسمَ الله ــ تعالى ــ أتبعه بالتعظيم ، مثل : تعالى ، أو سبحانه ، أو عز وجل ، أو تقدس ، أو تبارك . ويتلفظ بذلك» .

وكلما كتب اسم النبى ــ ﷺ ــ كتب بعده : (الصلاة عليه والسلام)(١) وجرت عادة السلف والخلف بكتابة (ﷺ) ولعل ذلك لموافقة الأمر فى الكتاب العزيز فى قوله تعالى . صلوا عليه وسلموا تسليما ، ولا يختصر الصلاة فى الكتابة ، ولا يسأم من تكريرها كما يفعله بعضُ المحرومين من كتابة(٢) : صلعم أو صلم أو صم أو صلسم فإن ذلك مكروه كما قال العراقى ، ويقال : إن أَوَّلَ من كتب صلعم قطعت يده» اهـ .

ثم بعد :

لقد كان من أسوأ ما رأته عيناى فى هذا اللون ما فعله ناشر أثيم سمح لنفسه أن يسطو على (تفسير القرآن العظيم) للإمام ابن كثير ــ رحمه الله ، ويحذف منه : ﷺ مستبدلا به ص ... لا وفقه الله ــ تعالى ــ فيما أراده ؛ لقد افتتح ميدان فتنة للناس ؛ فقد تأتى من بعد ذلك أجيال تظن صحة هذا العمل نقلا عن ابن كثير ، وهو منه ــ رحمه الله ــ برىء ؛ فقد كان من أحرص الناس على تدوين : ﷺ .

أليس لنا ــ بعد ــ أن نقول : لعنة الله على هذه الـ(ص) أين حَلَّتْ ، وعلى (صلعم) أين كُتِبَتْ بعد ذكر رسول الله ﷺ (٣) .

د. على أحمد الخطيب

(١) أى : ﷺ قال ابن جماعة : ويصلى هو عليه بلسانه أيضاً ، أى أثناء نسخه .

(٢) أى بكتابته .

(٣) راجع «تراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة» للكاتب ــ هدية الأزهر ــ المحرم ١٤٠٤ص ٤٧ ، ٤٨ .

مع
الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

* فضـل يـوم عرفـات.
* التطرف الدينى وأبعاده.
* نصيحة إلى الشـباب.

فضل يوم عرفات

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
جاد الحق علي جاد الحق

روى أبو يعلى والبزار وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه واللفظ له عن جابر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال :

قال رسول الله ﷺ : « مامن أيام عند الله أفضل من عشر ذى الحجة » . قال : فقال رجل : يا رسول الله هن أفضل أم من عدتهن جهادا فى سبيل الله ؟ قال : هن أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله ، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ، فيباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول : انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين ، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى ، فلم يُر يومٌ أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة .

ورواه البيهقى عن جابر رضى الله عنه بلفظ :

قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم عرفة ، فإن الله تبارك وتعالى يباهى ملائكته فيقول : انظروا إلى عبادى أتونى شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق ، أشهدكم أنى قد غفرت لهم » .

فتقول الملائكة : إن فيهم فلاناً مرهقا ، وفلانا . قال : يقول الله عز وجل : قد غفرت لهم . قال رسول الله ﷺ « مامن يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة » .

ومعنى أن الله ينزل إلى السماء الدنيا : ان الله تبارك وتعالى يتفضل فينزل رحمته ويعمم نعماءه ويغدق من بركاته ، ويزداد بره فى العشر الأول من ذى الحجة ، لاسيما فى يوم عرفة حيث يستجيب الدعوات وينجى ـ سبحانه ـ من عذاب النار الملايين من المسلمين تكرماً كما قال سبحانه :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (١٥٦) الأعراف

و « المرهَّق » الذى سألت عنه الملائكة : هو الذى يرتكب المفاسد ويفعل المحرمات ، و « ضاحين » يعنى بارزين للشمس .

وقد من الله بالمغفرة على كل هؤلاء كما أخبر رسول الله ﷺ ، والوقوف بعرفة هو الركن الأعظم فى الحج لقوله ﷺ الذى رواه أحمد والترمذى : «الحج عرفة» .

ويبدأ الوقوف من بعد زوال اليوم التاسع إلى غروب الشمس ، ويجب أن يقف الحاج جزءاً من النهار ، ولا ينفر إلا بعد الغروب .

ومن فاته الوقوف بعرفة بطل حجه .

وعرفات موقع عبادة ودعاء وتضرع لله سبحانه وقد أثر عن رسول الله ﷺ قوله : «خير الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو على كل شيء قدير» وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» .

ومن الدعاء المأثور : «ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» .

«اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر» .

ويوم عرفة عظيم القدر ، طيب الأثر ، وفى واقعه كان الوقوف فيه أشبه بمؤتمر عام للمسلمين من كل لون ولسان ، تتجمع فيه قوى الخير لتتضامن وتتواصى بالحق وبالصبر .

وفى الوقوف بعرفات إشارة إلى اجتماع قوى الحق والإيمان ، وثباتهم فى وجه الباطل وشحذ عزائمهم لمواجهة صنوف الآثام والعدوان ، إن الموقف فى عرفات يُذَكِّر بيوم المحشر الكبير .

ولقد كانت فيه خطبة رسول الله ﷺ التى تقررت بها الحقوق وأعلنت على الناس حقوق الإنسان ، كل إنسان من قبل أن يعرف الإنسان المعاصر هذه الحقوق أو يتنادى بها، وأبان فيها رسول الله ﷺ الحلال والحرام ، وحذر من الاختلاف ، ودعا إلى التآخى بين المؤمنين ، والتضامن والتعاون حتى ينتصر الحق ويزهق الباطل .

فى يوم عرفة فى حجة الوداع نزل قول الله سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ سورة المائدة

وعندما سمع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ هذه الآية فى هذا الموقف بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟

قال : إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان ، وكأنه ـ رضى الله عنه ـ «استشعر قرب وفاة النبى ﷺ» .

ولقد كانت عبارته الشريفة ﷺ التى قالها فى مسيرة حجة الوداع وعند جمرة العقبة ـ كما جاء فى صحيح مسلم وغيره عن جابر بن عبد الله ـ صريحة واضحة فقد قال «خذوا عنى مناسككم ، فلعلى لا أحج بعد عامى هذا» .

هذا : وقد روى الجماعة ـ إلا البخارى والترمذى ـ عن أبى قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة» وروى أحمد وغيره أن أبا هريرة ـ رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن صوم عرفة بعرفات .

قال الترمذى : قد استحب أهل العلم صيام يوم عرفة إلا بعرفة .

هذا ... وبالله التوفيق .

التطرف الديني وأبعاده

أمنيا .... وسياسيا .... واجتماعيا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..
وبعـد :

فإن من الظواهر الاجتماعية فى هذا العصر ، ظاهرة العنف ، وفرض الرأى بالقوة والتحلل من القيود ، وترك القيم الأخلاقية والدينية ، وقيام صراع مادى ، ومذهبى رهيب فيمـــا بين المجتمعات ..

ومرجع الأمر فى كل هذه الظواهر إلى التغييرات الاجتماعية ، والفكرية والسياسية التى تتابعت خلال هذا القرن ، والقرن الذى سبقه .

فقد ساد العالم منذ أوائل هذا القرن تغييرات اجتماعية وفكرية بالغة النشاط ، وكانت هذه التغييرات فى جملتها وليدة للتحول الصناعى ومرتبطة بالاكتشاف العلمى و « التكنولوجى » ، فضلاً عن التيارات الفكرية التى واكبت هذا التطور وصاحبت الصراع والحروب العالمية ، والحركات السياسية والكوارث العامة فى مختلف أنحاء العالم ..

فكان لهذا كله آثار بعيدة المدى فى مشاعر الإنسان ، وآماله ومعتقداته ، وقيمه ومخاوفه ، وكان له أثر فى بنية المجتمعات ذاتها ..

يضاف إلى هذا : الصراع بين المذاهب الاشتراكية والرأسمالية .. وكذلك الصراع بين المذاهب العقلانية وبين الكنيسة فى أوربا ، وما أدى إليه من تجرد من كثير من القيم وانطلاق دون حدود ..

ومن ثم حدث اختلال فى القيم الإنسانية بصورة عامة أمام هذه العوامل الكثيرة التى عملت

كلها على إيجاد قيم ومبادىء جديدة غير ما كانت تعتنقه الشعوب من قيم وأخلاق موروثة ـ فى جملتها ـ هادئة مستقرة . فكان هذا الخلل مُنطلَقاً للتمرد ، والعنف ، وقاعدة لرفض كل ما تعارف عليه المجتمع ..

ففى أوروبا قامت مذاهب تدعو لترك كل القيم .. وحسبنا من هذه المذاهب ما نادت به الوجودية ، مع آراء فرويد ، ثم كارل ماركس ..

وفى هذا القرن برزت قوى تتصارع على سيادة العالم وتستخدم لهذا الغرض كافة الوسائل وأوضح هذه القوى قوى المعسكر الشرقى ، وقوى المعسكر الغربى .

ولقد نادى الغربيون بحقوق الإنسان ، وحقوق الفرد ، والحرية ، ووضعوها فى مصطلحات معلنة هى : حرية التمتع بالحياة ، وحرية الملكية فى إطار القانون ، وحرية الاجتماع ، وحرية الفكر وحرية القول ، وحرية العقيدة ..

وجرى التصور لدى البعض .. وبناء على هذه الشعارات أن الغرب مقتنع بالمساواة بين الناس ، مقتنع بالحرية للشعوب .

الواقع يشهد بكذب التطبيق :

لكن الواقع العملى شاهد على أن الغرب يحتفظ لنفسه بحق السيادة وتوجيه الشعوب الأخرى فى أفريقيا وآسيا . وحرمانها من حريتها فى تصريف شئونها ..

ومن هنا بدأ الفارق واضحاً بين المبادىء الغربية حال تطبيقها داخل المجتمعات الغربية ذاتها .. وبين سياسة هذه الدول تجاه الشعوب فى آسيا وأفريقيا . وظهر تشبث الغربيين بالسيطرة على الشعوب الأقل منهم تقدماً ، سيطرة تأتى فى أشكال متباينة . عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو فكرية .

أما المبادىء لدى المعسكر الشرقى فتقوم على الصراع المادى ، وعلى إخضاع الفرد لسلطان المجموع ، وعلى إهدار القيم الدينية والأخلاقية ، بدعوى أنها من أهم المعوقات لتقدم الشعوب ..

ولم يكن للشعوب المغلوبة على أمرها إلا أن تقبل نظاماً من النظامين المتصارعين ، النظام الشيوعى أو النظام الغربى ..

أو أن ترفضهما جميعاً حفاظاً على دين ، أو استبقاء لاستقلال وكبرياء قوميين من مثل ما نرى فى اليابان ، وفى أفغانستان قبل أن يعتدى عليها ، وفى السعودية واليمن وغيرهما من البلاد التى ارتبطت الحركات القومية فيها . بتأكيد هويتها الدينية وبخاصة فى صفوف الشعوب الإسلامية ..

القضاء على روابط الأسرة ونتائجه :

ولقد اتسم هذا العصر لدى الغرب بالقضاء تماماً على نظام الأسرة الكبيرة ، أى الأسرة التى تربط بين الأجداد والأحفاد والآباء والأعمام بروابط وثيقة ، حيث تناثرت هذه الأسرة الكبيرة إلى أسر صغيرة محدودة الروابط منفصلة عن جذورها ، فغلبت الأنانية بين أفرادها حتى انحلت عرى المودة وانمحت رابطة الدم .

● وصار انتماء الأفراد إلى النوادى العامة والمؤسسات الأخرى هناك أقوى من انتمائهم إلى الأسرة ..

ومن ثم زالت أو تكاد ــ مشاعر الاحترام والمسئولية فى الأسرة ، وتأثرت بهذا علاقة الأبناء بالآباء ، فأصبحت قيمة الأبوة وقيمة البنوة مجرد اسم ، وتجمدت العواطف الذاتية بين الفروع والأصول .

● وكان هذا نتيجة حتمية لتركيز الغربيين على القيم الاقتصادية والمادية ، دون القيم المعنوية والدينية مما حفز الناس إلى المسارعة نحو تحقيق الأهداف المادية ، دون نظر إلى أى اعتبار آخر ، فضعفت مكانة الدين كما ضعف تأثيره فى حياة الناس .

● وثمة حقيقة واضحة من حقائق القرن العشرين وهى أن نحو ثلث سكان العالم يعيشون اليوم فى ظل مذهب ليس فى مبادئه الأساسية اعتراف بوجود الله ــ أولئك هم الذين يعيشون فى ظل الشيوعية ، أو مشتقاتها .. فالماركسية ــ اللينينية تقرر أنه لا يمكن أن تتفق المادية الجدلية ، والتفسير المادى للتاريخ مع فكرة وجود الله ــ كما أنه من المقررات لدى هذا المذهب أن الدِّين أفيون الشعوب .

الإسلام عقبة كئود أمام هذه التيارات :

كل هذه المثالب والمذاهب تسللت إلى العالم كله ، وبثت سمومها فى مختلف البقاع وتأثرت بها مختلف الشعوب ، ولم تستطع الديانات المعاصرة ــ باستثناء الإسلام ــ أن توقف مد هذه التيارات ، أو أن تحجب شرورها عن المجتمعات ..

ذلك أننا لا نجد ديناً أو مذهباً يقف موقف المقاومة الصلبة ضد هذه التيارات سوى الإسلام ، فهو الديانة الوحيدة التى صمدت فى الشرق أمام تيارات الفساد والإلحاد ، وهو الدين الذى يحتفظ بنقاء الإيمان ، وصفاء العبادة ، وقوة التأثير لكلمات القرآن والسنة النبوية فى قلوب أبنائه ..

ولا تزال الفضائل التى دعا إليها الإسلام فضائل مقدسة ، ولا تزال الرذائل التى نهى عنها أعمالًا بغيضة تشمئز منها نفس المؤمن ، بل نفس كل إنسان سوى ..

وهذا بالرغم من نشاط كثير من الكتاب المسلمين ــ الذين استهوتهم الثقافة الغربية ــ فى الدعوة إلى فلسفات الغرب ، ومذاهبه الفكرية والاجتماعية ، وبالرغم من غرور الغرب بأفكاره وثقافته ، إلا أن روحانية الإسلام ، ونقاء الإيمان ، وقوة الحق فيه تأخذ الآن طريقها إلى الغرب نفسِهِ فى مد جديد .

وإذا نظرنا إلى حال مصر منذ منتصف القرن الماضى وفى هذا القرن رأيناها فى حيرة بين تيارين لاسيما فى ظل الاحتلال البريطانى ..

تيار يدعو إلى التجديد فى كل شىء ، ومقصده الأخذ بالثقافة والنظم الاجتماعية الغربية وإحداث تغيير يحذو حذو الغرب فى مجالات الثقافة والأدب والاجتماع ، بل والرأى الدينى أيضاً ، وبحيث تصير مصر قطعة من أوروبا كما قيل ..

وتيار آخر يتشبث بقيم المجتمع ، وتقاليده وآدابه الموروثة ، ويدعو إلى المحافظة على المنهج التقليدى فى مجالات الثقافة ، والنظم الاجتماعية ، وفى مجالات اللغة والأدب والرأى الدينى ، والفتوى ..

التأثير الغربى ونتائجه :

ولقد انتصر الاتجاه الأول ، وبدأ التغيير فى مصر فى كثير من المجالات الثقافية والدينية والاجتماعية فانزوت الشخصية العربية الإسلامية فى الثقافة وفى نظم التعليم ، وصار للمتغربين اليد الطولى فى التخطيط والتنظيم ، حتى تقطعت أو كادت أوصال الحاضر بالماضى وتراثه حتى كانت سنة ١٩٥٢م بداية لتغيير أشد عمقاً فى الحياة الاجتماعية المصرية ، فقد قوى المجتمع الصناعى وامتدت ساحاته بمصر ، ولهذا المجتمع خصائصه التى يتميز بها عن المجتمع الزراعى وله مشكلاته وتعقيداته الاجتماعية ..

ثم كانت التغييرات الواسعة فى مجالات الأسرة ، والتعليم ، والثقافة ، والفن ، والإعلام ، وفى مجالات التربية والقضاء والتقنين والملكية العامة ، ثم فى مجال التعليم الدينى أيضاً . ثم حدثت تقلبات سياسية واقتصادية أحدثت أزمات عامة ، لا ينبغى إغفالها ..

لقد تواكبت هذه العوامل ، وتشابكت ، وأنتجت شعوراً بعدم الرضا المكتوم فى الصدور لدى قطاعات كبيرة من الناس مما أنتج فى حقيقة الأمر ظاهرة «اللامبالاة» وظواهر أخرى اجتماعية ..

ومما زاد من حدة الأمر أن هذه القطاعات لم تكن لتجد الفرصة للتعبير عن رأيها فيما تراه من المتناقضات ، وما تريده من إصلاح لأن كل ما حدث ويحدث كان بقتضى الإذعان له بكل المعايير القائمة ..

وعلى الجانب الآخر فإن فئات أخرى مُكِّنت من زمام الإعلام والفن وأخذت تعمل على تغيير الفكر الاجتماعى ، والتقاليد المصرية والإسلامية بما لا يتفق أحياناً مع عقيدة هذا المجتمع مما أوقع المواطن فى حيرة بين ما يؤمن به وبين ما يعايشه كرهاً .

بل ولقد عمدت هذه الفئات إلى محاولة تغيير المبادىء الإسلامية ذاتها معطية لنفسها حق الاجتهاد والقول فى الدين على غير دراية .

وشاء الله أن تقع حوادث تزيد من تمكين هذه الفئات ، فمضت على عهدها تَهْتَبِل الفرصة السانحة للعمل على نقض البناء الاجتماعى وإلصاق كل تهمة بالمسلمين والتهوين من شأن العلماء ..

وما تزال وسائل الإعلام المتنوعة على هذا النهج للآن ، الأمر الذى أيقظ فى قلوب الشباب والشعب بوجه عام العاطفة الدينية أو الغيرة على الإسلام الذى وعته مصر منذ دخلت فى دين الله وحافظت عليه وقامت على نشره ..

ثم فشت فى العشرين سنة الأخيرة ظاهرة التحلل الأخلاقى بين الشباب ولم تلتفت إليها — مع ظهورها — الأجهزة المعنية ولم تنهض لمكافحتها إلى أن دوت طلقات التطرف ، مع أن الأمل معقود — فى كل أمة — على شبابها الذى يجب إعداده بدنياً وعقلياً ودينياً حتى ينشأ سوياً قادراً على تحمل أعباء المسئولية والنهوض بها .

إن النوايا الطيبة وحدها لا تصنع الأمم ، كما أن الاقتناع الفطرى الذى لا يترجم إلى برامج عمل لا قيمة له .

وقفة مع النفس

لابد إذن ، أن نقف وقفة تأمل ، نتعرف فيها على ما آل إليه حال شبابنا خاصة ونتعرف على

الأسباب التى أدت إلى هذا التدهور الخلقى والدينى والاجتماعى والاقتصادى ونحدد ما ينبغى أن نفعل لتدارك ما فات ، دون أن نغض الطرف عن تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى بلادنا .. وفى العالم أجمع ..

وإن من يتأمل حال بلادنا اليوم يجد تيارات متناقضة يموج بها المجتمع وهى فى ذات الوقت تتجاذب الشباب سعياً لاحتوائه حتى يفقد السيطرة على نفسه : فهذا غلو فى الدين وتشدد فى فهم أحكامه ، وذاك تيار آخر قد تحلل من الدين ومن القيم الأخلاقية .

ولابد من مواجهة هاتين الظاهرتين أو التيارين معاً . وذلك بالكشف عن مدى الخطر الذى يصيب الدين نفسه ، ويضر بالأمة كلها من جراء الفهم الخاطىء للدين أو التحلل من تعاليمه السمحة الصحيحة ، ولابد كذلك من الكشف عن المفهوم الصحيح للتدين حتى يكون هذا المفهوم فى صفائه ونقائه فى ذاته وفى مصدره عامل جذب لكلا التيارين ومصححاً لمسيرتهما فى الحياة ..

فالتدين بمعنى الالتزام بأحكام الدين والسير على منهاجه أمر مطلوب ومرغوب فيه ، ومحمود عند الله وعند الناس . يعود بالخير والفلاح على أصحابه وعلى المجتمع ، وبهذا يكون التدين ظاهرة إيجابية طالما ظل فى إطار من الفهم الصحيح السديد ، والتمسك الرشيد بالتعاليم الدينية والقيم الأخلاقية ، مما يستوجب أن يُؤَيَّد ويدعم ، فلا يُناهض ولا يُطارد .

ومن ناحية أخرى فإن الإغراق الشديد فى الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها وسوء الفهم لها ، قد يصل بالمرء إلى درجة الغلو المنكور فى الدين ..

وقد نشأ كرد فعل للانحلال الأخلاق فى المجتمع وللتغريب فى الثقافة ومتابعة الأجانب فى أمور الرفاهية . بحيث أحس الشباب أن كل شىء فى وطنه غريب عن عقيدته وتقاليده وأخلاقه وقدراته .

ولقد استشرى الانحلال بين قطاعات كبيرة من الشباب وفقدت الأسرة سيطرتها ، كما انعدم دور المجتمع والمدرسة بصفة عامة ، وذلك ــ فى الأغلب ــ يعود إلى إهمال التربية الدينية كمادة أساسية فى مراحل التعليم المختلفة ، فافتقدها النشء فى المدرسة وحتى الجامعة ومن قبلهما فى البيت بعد انصراف الآباء والأمهات عن الرعاية الحسنة للأولاد .

ولقد زاد الأمر حدة ما تمارسه بعض وسائل الإعلام ، وما ترسخه فى نفوس الشباب من قيم غريبة عن المجتمع لاسيما الأفلام والشرائط التى يساء اختيارها وتقدم عن طريق السينما والتليفزيون وغيرهما .. هذا إلى جانب الظروف الاقتصادية التى تمر بها البلاد منذ عشرين عاماً تقريباً والنظريات المتضاربة فى شأنها وظهور انحرافات فى جانب المعاملات المالية فى صور متعددة ..

وبالجملة : هذه المادية التى أصابت المجتمع ، نانعدم الشعور بالمسئولية لدى قطاع كبير من الناس لاسيما الشباب ، حتى شاع عدم الاكتراث واللامبالاة وطغيان حب الذات والأنانية .

وهذا الفراغ السياسى لدى الشباب بالرغم من التنظيمات الشبابية التى لم تؤد دوراً إيجابياً فى خدمته ثقافياً ، وتدريبه سياسياً ، وإيجاد الصلة والثقة بينه وبين القادة فى القطاعات المختلفة .

وكان الأحرى بالقنوات السياسية القانونية أن تكون مدارس تتربى فيها «كوادر» شبابية مدربة على خدمة البلاد ، فاهمة للظروف التى تمر بها : سياسية واقتصادية واجتماعية ، تنمى لديها الرغبة فى العودة إلى تقاليد المجتمع وقيمه التى استمدها من عقيدته .

وهذه هى مناهل الثقافة الصحيحة قد تاهت فى ضجيج إعلامى كثر فيه مؤخراً العمل للتجريح لا للبناء والتصحيح .

فلم تعد الصحافة تلتفت إلى أمانة الكلمة ، أو ذكر المثل الطيب ، والكلمة الطيبة ، ولكن تلتفت إلى الخبيث من المُثل ، والخبيث من الفكر ، والخبيث من الكلمات ..

ولقد ضرب الله تعالى مثلًا لهذا فى سورة إبراهيم ، بقوله سبحانه :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾

وهذه الحرية التى أفرغت من مضمونها الصحيح ، حتى صارت الدعوة إلى الفساد حرية ، وصار الطعن فى الإسلام وصلاحية شريعته حرية ، ثم صارت المسارعة إلى توزيع الاتهامات على الناس أسبق من نتائج التحقيق الذى تقوم به الجهات المختصة ، بل وأسبق من حكم القضاء الذى يجب أن ينتظره وينزل عنده الجميع .

إننا فى عصر شاعت فيه حروب العقائد والأفكار والإثارة ، وخلق المذاهب والمتاعب بغية السيطرة على الشعوب لاسيما الشباب . وذلك بوسائل علمية حديثة تسعى إلى التأثير على إرادتهم حتى يدمروا مجتمعهم ..

إن إشاعة الفكر المسموم وإذاعته عبر قنوات الإعلام المختلفة من العناصر الهامة لظاهرة الإرهاب التى من أول أهدافها إثارة الفزع والهلع ، وتبنى المذاهب والفكر المخرب الممزق للصفوف ، المستتبع للفرقة والتناحر . وهذا الفكر الذى يتبناه الإرهاب قد يكون منتسباً للدين ، وقد يكون عقيدة دُرِسَتْ ونُسِيَتْ ، فهو تيار يُحْيِى الموات من الفكر العَقَدى ليثير به الخلاف ويوحى إلى أوليائه باتخاذ المندوب واجباً ، والسنة فرضاً ، حتى تثور الشرور ، ويستباح المحظور .

ولقد صار من شأن القائمين على هذه الحروب الفكرية والنفسية استخدام وسائل علمية حديثة تتخفى فى صور مختلفة للتأثير فى بناء الشعوب قصداً للسيطرة عليها وللإرهاب الذى يتخذ وسيلة لفرض النفوذ ، وخلخلة الصفوف للتمكن من الغير ، ثم التحكم فى مصيره ثقافياً واقتصادياً أو سياسياً ..

لابد أن نعرف أبعاد الحرب السياسية والفكرية والاقتصادية الناشبة فى العالم منذ سنين حتى ندرك خطورة الحرب الفكرية الموجهة إلينا عبر الأثير بالإعلام المرئى والمسموع أو المنكر المطبوع .

التطـرف كل لا جـزء

هذه الجولة بين آفاق التطرف والإرهاب قد أوضحت أنه لاينبغى التركيز على ما سمى بالتطرف الدينى فحسب ، وإنما يلزم دراسة التطرف الفكرى بوجه عام ..

والتطرف الدينى بمعنى سوء الفهم للنصوص الذى يؤدى إلى التشدد أمر لا يقره الإسلام وطريق الوقاية منه هو المزيد من الإيضاح لما يثار من قضايا ، بالحوار المباشر أو بطريق الندوات الفكرية المذاعة والمرئية وأن يباشر هذا الحوار المتخصصون فى جو من الموضوعية بالقول الحسن والحجة الواضحة ..

ولقد مر بالأمة الإسلامية فى ماضيها بعض واقعات التطرف الدينى المتزمت ، أو تلك التى أساءت فهما لنصوص الإسلام ، بل كان سوء الفهم حتى فى عهد الرسول ﷺ ..

كما جاء فى السنة الصحيحة من حديث الثلاثة الذين ذهبوا إلى بيوت رسول الله ﷺ يسألون عن عباداته فلما أخبروا بها عدوها قليلة ، فلما التقى بهم الرسول ﷺ أجابهم عما سألوا عنه ، وعما عقبوا به ثم أوضح لهم أن عمله فى العبادة هو سنته التى ينبغى اتباعها ومن رغب عنها فليس من أتباعه ..

ذلك ما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أنس رضى الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط ـ أى ثلاثة أفراد ـ إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ . فلما أخبروا كأنهم تقالوها . « أى عدوها قليلة » وقالوا : أين نحن من النبى ﷺ وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبداً .. وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ؟ فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له . لكنى أصوم وأفطر . وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وبهذا الجواب الواضح من الرسول ﷺ فى الحوار المفيد كان الاقتناع من أولئك النفر بالاتباع لا بالابتداع وهذا ما ينبغى سلوكه الآن ..

والتطرف بذلك المعنى فى واقعنا إنما كان بسبب الفراغ الدينى فى مناهج التعليم فى المراحل المختلفة وفى البيت وفى الحياة الاجتماعية بوجه عام ..

ولا يخفى أن العالم الإسلامى يموج بتيارات ونزعات مختلفة تحيا بها بعض المذاهب العَقَدية التى كانت قد انطمست ، وبعض الآراء الفقهية المندثرة أو تلك التى لا تعتمد على دليل ملزم .

وإن تلك التيارات قد تتسرب إلينا بوسيلة أو بأخرى ، وواجبنا حماية الشباب وحماية كافة أفراد المجتمع منها ..

وخطورة التطرف الدينى بهذا المعنى ينبغى أن تواجه بالحوار الذى تداوم عليه وسائل الإعلام المتنوعة مواجهة موضوعية تتعرف فيها على عناصره ووسائله لتقابلها بما يصحح المفاهيم والمضامين ..

وللوقاية من التطرف بوجه عام ومواجهة أبعاده السلبية ـ أمنياً وسياسياً واجتماعياً ينبغى أن نتعرف على تلك الأبعاد والأسباب ، وأن نفرق بين الأسباب المحلية وتلك الوافدة أو الموفدة ، وأن نتذكر دائماً أن هذه البلاد مستهدفة من القوى الهامة فى هذا العصر ، كل يريد اجتذابها واستمالتها إلى جانبه لموقعها الجغرافى ومكانها القيادى والريادى بين شعوب العالم ، لا سيما أمتها العربية والإسلامية وجيرتها فى أفريقيا وآسيا ..

وبهذا كان حتماً أن نبحث عن الأسباب المباشرة المحلية للتطرف وتلك التى تساق إلينا فى صيغ وأعمال ..

مقترحات للوقاية من التطرف ولمواجهته

وللوقاية من كل ذلك ينبغي أن نفكر ونذكر بما يلي :

١ ـ إعادة صياغة مناهج الدراسة فى التعليم العام مستفيدين من التجارب التى مرت بها البلاد فى الفترات الماضية ، وأن تزداد العناية بمناهج اللغة العربية والدين الإسلامى بدرجة تفى بالتنشئة الصحيحة للصغار والشباب وفى كافة المراحل الدراسية حتى الجامعة مع العناية بتحفيظ قدر مناسب من القرآن الكريم .

٢ ـ تأهيل طلاب المعاهد الأزهرية بحفظ القرآن الكريم جميعه مع مداومة النظر فى المناهج الدراسية حتى تكون مناسبة ، وتدعيم هذه المعاهد وكافة هيئات الأزهر تمكيناً له من أداء رسالته ..

٣ ـ مواجهة المشكلات الاقتصادية ، وما يتبعها من أزمات تضر بآمال الشباب ، مثل أزمة الإسكان وأزمة العمل .

٤ ـ علاج الخلل الإدارى فى بعض أجهزة الدولة الذى يعوق وصول الخدمات لطالبيها .

٥ ـ الوضوح السياسى حتى ينشأ الشباب على بينة من أمر بلاده داخلياً وخارجياً ، وبما لا يضر بمصالح وأمن البلاد ، وحتى لا يقع تحت مؤثرات خارجية وأخبار غير صحيحة تذيعها المصادر التى تعمل على عدم الاستقرار فى مصر .

ولابد أن تأخذ الأحزاب السياسية دورها وتعدل ممارستها ، فلا يكون هدفها الاقتتال وإظهار المثالب واستخدام الكلمات الجارحة الحادة التى تثير ولا تنير ، وإنما عليها أن تعاون على الإيضاح وحسن الممارسة ، وصدق المصارحة

ولابد لوسائل الإعلام المتنوعة أن تباشر حواراً حول التطرف وأبعاده وأسبابه المختلفة وبين كافة التيارات ، حواراً هادفاً ، هادئاً فى كافة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، مبصراً بالمخاطر الحقيقية التى يمثلها التطرف والعنف والإرهاب ، بغض النظر عن الثوب الذى يرتديه ، وهل هو محلى أو وافد أو موفد ، وأن تكف وسائل الإعلام عن إشاعة الفرقة والتنابز بالألقاب والأحقاد فإن الشباب غض القلب والإهاب يتأثر بما يقرأ ويسمع من تقاذف بالتهم وطعن فى الذمم ..

وأن تكف وسائل الإعلام عن تقديم ما يضر بالمجتمع دينياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً ، وأن تكون الكلمة مثمرة لا مدمرة ، فلا يحق لوسيلة إعلامية أن تطعن المجتمع فى دينه أو تقوم بتجريح المجتمع ونشر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وازدراء المتدينين والعلماء ، وقلب الحقائق وتزييف التاريخ .

ولابد للأجهزة الثقافية من مواجهة واقعها الذى لا يتفق مع المأمول منها للمجتمع ..

٦ ـ تطهير المجتمع ممن احترفوا الموبقات والمنكرات والرذائل فأشاعوا الفساد .. والعمل على إذاعة الفضيلة ورعاية الآداب العامة فى المجتمع .. وحجب تلك الموضوعات المثيرة للغرائز والاختلاف ..

وهذا يكون بتخصيص حيز يومى فى الصحف تعالج فيه موضوعات تواجه ما يظهر من انحراف فى السلوك والأخلاق ، نظراً لقلة الصحف والمجلات المتخصصة ..

٧ ـ مواجهة التيارات الخارجية التى تبث العنف

وتعمل على إثارة القلاقل بكشف مصادرها ومقاصدها .

ذلك أن شواهد كثيرة قائمة تؤيد أن تيارات خارجية تسعى لإحداث الاضطرابات وإثارة العنف فى مصر وينبغى أن نضع فى اعتبارنا أن فى إسرائيل مركزى قيادة عالمية لطائفتى الأحمدية القاديانية والبهائية فى حيفا وفى عكا ، وهاتان حركتان قامتا فى الأصل بتأييد الامبريالية العالمية موجهتين ضد الإسلام أصوله وفروعه ، وضد الأمة الإسلامية بوجه عام ، ولاتزال هاتان الطائفتان مجندتين لمهمة إحداث الفرقة بين المسلمين وإفساد عقائدهم .

٨ - التمكين للقضاء ليظل حارساً للعدل ، وتنفيذ أحكامه دون تعطيل أو تأويل ، مع تيسير التقاضى باعتباره خدمة تؤدى من الدولة لاموردأ مالياً ، مع رفع كفاءة القضاة ومعاونيهم ..

٩ - الكف عن نسبة الأخطاء والحوادث والكوارث إلى المتدينين وعن السخرية بهم وبث الأمان والاطمئنان فى قلوب القائمين على الدعوة وإلغاء القوانين التى أقامت القيود على كلمة المسجد ، مع تمكين الجمعيات الدينية من مزاولة أنشطتها فى الدعوة فى تنسيق وتوافق دون تضارب وتناقض .

١٠ - مراجعة القوانين التى أصبحت تمثل ظلماً اجتماعياً مثل قوانين العلاقة بين المالك والمستأجر فى الإسكان والزراعة ، وكذلك القيود فى مجال الزراعة والتجارة والصناعة .

١١ - النزول عند رغبة الأمة باستمداد تشريعاتها من شريعة الإسلام ، الذى تدين به ففيها الغناء والكفاء والحماية والحصانة واتخاذ إجراءات استصدار التشريعات التى تم إعدادها .

١٢ - توفير الرعاية للأسرة وتشجيع الأم على التفرغ لتربية أولادها تربية إسلامية .

١٣ - حث الناس على الرجوع فى أمور الفتوى فى الدين إلى العلماء المتخصصين والأخذ على يد أولئك الذين يتصدون للفتوى بغير علم ، فى الوقت الذى لايجرؤون فيه على احتراف أى علم آخر خوفاً من العقاب الذى رتبه القانون ، والحرص على تكريم العاملين فى مجال العمل الإسلامى والاجتماعى الرشيد .

١٤ - لابد أن نحلل أسباب التطرف بغض النظر عن نوعيته ومظاهره وقنواته ، فإنه يلبس أثواباً عديدة ويلبس لكل حال لبوسها .

ومرة أخرى لانسارع إلى نسبته إلى الدين فنبغض الدين إلى الناس ، ونصرفهم بهذا الترهيب عن التدين ، مع أنه فى ذاته عصمة من الزلل وطاعة لله ونزول على حكمه .

ولابد أن نواجه التطرف الفكرى بالفكر المثمر والحوار البناء الهادف إلى الإيضاح والإفصاح ولنقفَ بحزم ضد مروجى الفتن ، ولنتثبت من الأنباء والأخبار وقبل الاتهام .

ذلك قول الله سبحانه فى سورة الحجرات :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

نصيحة إلى الشباب

تحذير من محظورات الإرهاب

قال أهل اللغة :

رَهَّب ، يُرَهِّب ، ترهيباً = خوفه وأفزعه .

وإرهابى = وصف يطلق على من يسلك سبل العنف والإرهاب لتحقيق أغراضه .

وفى ذم الإرهاب ـ بهذا المعنى ـ والتحذير من الوقوع فى آثامه ، حتى ولو كان على سبيل المزاح ، ففى الحديث الشريف عن عامر بن ربيعة رضى الله عنه أن رجلًا أخذ نَعْلَ رجلٍ فَغَيَّبَها ـ أى أخفاها ـ وهو يمزح ـ فَذُكِرَ ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « لا تروعوا المسلم ، فإن روعة المسلم ظلم عظيم(١).

وفى حديث آخر قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً »(٢).

وفى حديث ثالث « من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله تعالى يوم القيامة »(٣).

وفى حديث رابع : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه ، حتى ينتهى وإن كان أخاه لأبيه وأمه »(٤).

ذلك أن الإسلام حرص كل الحرص فى عقيدته وشريعته على أن تقوم العلاقات الاجتماعية بين الناس على المحبة والمودة والتراحم والتعاطف والتعاون على البر والتقوى والابتعاد عن الإثم والعدوان .

وجاء التوجيه إلى الاحتكام إلى القرآن والسنة عند النزاع صريحاً فقال الله سبحانه فى سورة النساء : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(٥)..

وفى ذات السورة قول الله : ﴿ ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾(٦).

ولقد ضرب الله الأمثال وأمدنا بالحكمة فى حال الاختلاف فعلَّمنا أدب الخلاف فى الرأى ، فلا يُصِرُّ أحد فى كل حال على أنه على صواب دائم وغيره على خطأ واضح ، بل إن كلا من الخطأ والصواب وارد على كل إنسان ..

---

(١) رواه البزار والطبرانى وأبو الشيخ ابن حبان ـ الترغيب والترهيب للمنذرى ط قطر الوطنية جـ ٣ ص ٤٨٤ .

(٢) رواه أبو داود ـ المرجع السابق جـ ٣ ص ٤٨٣ .

(٣) رواه الطبرانى عن عبدالله بن عمر ، ورواه أبو الشيخ من حديث أبى هريرة مرجع سابق جـ ٣ ص ٤٨٤ .

(٤) رواه مسلم ـ مرجع سابق جـ ٣ ص ٤٨٥ .

(٥) من الآية رقم ٥٩ .

(٦) من الآية رقم ٨٣ .

ففى سورة سبأ : ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢٤ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٢٥ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٢٦﴾(٧) .

وإذا كان الدين النصيحة كما جاء فى الحديث الشريف فإن اعتناق الأفكار الخاطئة والتفسيرات المنحرفة للدين وللحياة يؤدى إلى اضطراب أمور المجتمع وعلى المسلم أن يرد الأمور كلها ـ كما أشارت آيات القرآن ـ إلى الله وإلى الرسول وإلى أولى الأمر ـ أى العلماء ـ بدليل قول الله فى سورة النساء : ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾(٨). ذلك أن تلك الأفكار الضالة والمُضلَلة إنما أشاعها وأذاعها أناس منحرفون فكرياً قصدَ الإضرار بالمجتمع الإسلامى ، وشغله عن واقع حاله وقضاياه ، واستمراره فى الإنحدار فى هوة الخلاف والاختلاف بل والاقتتال ، دون مبرر مشروع ، وذلك ما حذر منه الإسلام ففى القرآن الكريم فى سورة الأنفال : ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾(٩).

وفى سورة آل عمران :

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾(١٠) .

وقد روى الإمام مسلم فى صحيحه قول الرسول ـ ﷺ ـ «من خرج على أمتى يضرب برَّهَا وفاجِرَها لايتحاشىَمنْ مُؤمنها ولا يفى لذى عهدة عهده ، فليس منى ولست منه»(١١) .

إن من مظاهر التطرف المرفوض فى الإسلام التعصب للرأى ومحاولة فرضه على الآخرين بالقوة والعنف ، وليس بالحكمة والجدال بالتى هى أحسن كما أمر الله فى كتابه ..

والتزم التشدد دائماً مع أن الدين يسر لا عسر فيه ومحاولة فرض التشدد على الآخرين إثم كبير فلا غلظة فى التعامل ولا خشونة فى الأسلوب . لأن الله امتدح رسوله بلين الجانب والرأفة والرحمة من ذلك قول الله سبحانه : ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾(١٢) ، ثم سوء الظن بالناس والاقبال على الاتهام سواء فى ذلك اتهام فى العقيدة أو السلوك الفكرى أو حتى السياسى ..

وعندئذ يبلغ التطرف غايته حتى لا يعرف المتطرف ألا نفسه ورأيه وفكره وهذا هو العدوان على الإسلام وعلى الناس ولا منجاة له من كل هذا إلا بالتزود بالثقافة الإسلامية الصحيحة من منابعها وبتحصن الشباب بها ضد التطرف والتعصب .

ولاشك فى أن جميع الناس مطالبون بالوقوف فى وجه كل تطرف وعدوان حرصاً على أمن المجتمع وسلامته التزاماً بحكم الله الذى حرم الظلم والآثام والعدوان .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ فيما يروى عن ربه عز وجل : ﴿**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**﴾(١٣) .

شيخ الأزهر
(جاد الحق على جاد الحق)

---

(٧) الآيات ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٨) من الآية رقم ٨٣ .

(٩) من الآية رقم ٤٦ .

(١٠) من الآية رقم ١٠٣ .

(١١) رواه مسلم ـ جمع الفوائد جـ ١ ص ٩١٢ من حديث أبى هريرة .

(١٢) من الآية رقم ١٥٩ من سورة آل عمران .

(١٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه باب تحريم الظلم جـ ١٠ ص ٨ .

مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ
فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

للمفسرين فى توجيه هذه الآية أقوال كلها تحتمل الصحة ، ولا يضر اختلافها فى شىء . قيل : نزلت فى شأن المطعمين يوم بدر ، وكانوا اثنى عشر رجلًا تقاسموا ليطعمن كل واحد منهم المحاربين يوماً ، فكان كل واحد منهم ينحر عشرة جزور فى كل يوم ، ومن هؤلاء المطعمين : أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ، ومنهم النضر بن الحرث ، وحكيم بن حزام ، وزمعة بن الأسود ، وهو ابن خال رسول الله ـــ ﷺ ـــ ومن المستهزئين .

هذا الرأى مقبول مع أن الآية نزلت بعد غزوة بدر ، وجاء الفعل فيها بصيغة المضارع ، لأن هؤلاء المطعمين ــ من بقى منهم ولم يقتل ــ كانوا لا يزالون مصرين على الإنفاق ، وتجهيز المحاربين لقتال المسلمين .

وقيل : نزلت الآية فى أصحاب العير التى كان أبو سفيان يقود قافلتها ، وقد نجا بها ، فلما هال مشركى مكة ما نزل بهم يوم بدر ، صمموا على الانتقام ، فمشى صفوان بن أمية بن خلف ، وعكرمة بن أبى جهل ، وقد قتل أبواهما يوم بدر ، ومشى معهما رجال من قريش ممن أصيبوا فى هذا اليوم. مشوا إلى أبى سفيان ، ومشى هو أيضاً معهم إلى الذين كانت لهم تجارة فى هذه القافلة أن يتنازلوا عن مالهم ليكون معونة لمن يحارب المسلمين ويثأر منهم لقتلى بدر . فقالوا لهم : يامعشر قريش ، إن محمداً قد وتركم وقتل رجالكم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا أن ندرك منه ثأرنا بمن قتلوا يوم بدر ففعلوا؛ لأنهم كانو مغيظين وموتورين .

وعلى هذا القول يكون إنفاق المال استعداداً لغزوة أحد ، ويكون التعبير بالفعل المضارع فى ينفقون على ما هو عليه .

وقيل : إن الآية نزلت فى أبى سفيان وتَهَيُّئِهِ لغزوة أحد إذا إستأجر ألفين من الأحابيش ، واستجاش جماعات من العرب لقتال هذا اليوم ، وأنفق عليهم أربعين أوقية من الذهب ، فأبو سفيان ، على هذا القول هو المعنى بالإنفاق ، وجاء التعبير بالجمع ليكون شاملًا له ولكل من يصنع صنيعة بوجه ما. على أن أبا سفيان إذ أنفق هذا المال لم يكن وحده هو المنفق ، وإن كان أكثر المنفقين عطاء.

وسبيل الله التى يريدون الصد عنها هى الإسلام ، والدعوة إليه ، والسبيل هنا بمعنى الطريق. وهى كذلك فى معظم استعمالاتها ، وتأتى بمعنى القوة والحجة ، كما فى قول الله تعالى

﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء ٩٠] . ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء : ١٤١] . أى سلطاناً وحجة ، وتذكر الكلمة وتؤنث وجاء فى القرآن الكريم : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف ١٠٨] . كما جاء :
وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف ١٤٦].

وطريق الله هو الطريق الذى اختاره الله . وهو الطريق المؤدى إلى رضاه ورحمته ، وهؤلاء يقفون الناس عن السير فيه ، وينفقون الأموال لوقفهم عنه ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾

التعبير بالمضارع لبيان انهم سيستمرون على هذه الحالة من الإنفاق للصد ولكن بعد هذا كله .

بعد إنفاق المال وبذل الجهد لا تكون العاقبة عليهم إلا الحسرة والندم ، إنهم يأسفون ويحزنون لضياع أموالهم بلا فائدة ، ولعدم حصولهم على ما يريدون . وخسارتهم يوم بدر واضحة إذ قتل الملأ منهم . ورصدوا الأموال الطائلة ، أما يوم أحد فقد فاتهم ما كانوا يبغونه وهو قتل رسول الله ـ ﷺ ـ.

وقد نادى أبو سفيان : أفى القتلى محمد ثلاث مرات ؟ فنهى رسول الله أن يجيبه أحد ، فنادى : أفى القوم (القتلى) ابن أبى قحافة ثلاثاً أيضاً ، فلم يجبه أحد ، ثم قال : أفى القوم عمر ثلاثا أيضاً ؟ ولما لم يجبه أحد أقبل على أصحابه وقال : أما هؤلاء فقد قتلوا ، وقد كفيتموهم . فلم يملك عمر نفسه أن صاح به : كذبت والله يا عدو الله ، إنا والله لأحياء ، وقد بقى لك ما يسوؤك .

وفى رواية أخرى أنه قال : هلم إلى يا عمر فجاءه . فقال أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : لا ، وإنه ليسمع كلامك. لم ينل المشركون ما أمّلوا، وظلت الحسرة فى نفوسهم ؛ ولذا استعدوا لحروب أخرى . وقد غلبوا أخيراً بعد جهاد دائب استمر ثمانية أعوام ، فكان إنفاقهم المال حسرة عليهم ثم غلبوا وهذه حسرة وغلبة نالتهم فى الدنيا ، وفى الاخرة لهم عذاب جهنم يصيرون إليها وبئس المصير .. والذين كفروا إلى جهنم يحشرون .

وكان مقتضى سياق الكلام أن يقال : إنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله وسيحزنون ويغلبون . ولكن الآية كررت الإنفاق : ينفقون أموالهم ليصدوا ، فسينفقونها . لأن تكرار الإنفاق يؤذن بسوء تصرفهم ، ويشير إلى توبيخهم على هذا الإنفاق .

ويمكن أن يكون الإنفاق الأول فى ﴿ **ينفقون أموالهم**﴾ للإنفاق يوم بدر ، وأن يكون الإنفاق الثانى ما كان يوم أحد ، وما بعد أحد .

وظاهر من هذا كله ، أن خبر الاسم الموصول هو جملة ﴿ **ينفقون**﴾. وأجاز بعض المفسرين أو آثر أن تكون جملة ﴿ **ينفقون**﴾ بدلًا من كفروا ، وأن تكون حالًا بتقدير : الذين ينفقون أموالهم ليصدوا ، أو الذين كفروا منفقين أموالهم للصد عن سبيل الله ، وعلى كلا التقديرين يكون الخبر هو جملة فسينفقونها ، والفاء تدخل فى خبر الاسم الموصول كما تدخل فى جواب الشرط ؛ لأن الاسم الموصول يشبه الشرط فى عمومه واستقباله . وهذا كثير فى الكلام كقوله ـ تعالى ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة ٢٧٤]

وكقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾

[سورة البروج ١٠]

وعطف على الكلام جملة : ﴿ **والذين كفروا إلى جهنم يحشرون**﴾ بمعنى : من أصروا على الكفر من هؤلاء حتى جاءهم الموت فسوف يساقون إلى نار جهنم ، وتقديم الجار والمجرور على الفعل للمحافظة على رءوس الآى لتكون الآية ملائمة متساوقة مع سوابقها ولواحقها . وهذا لا يمنع ملاحظة القصر فيها ، بمعنى لا يساقون إلا إلى جهنم ، وهو قصر إضافى يعنى عدم سوقهم إلى الجنة .

﴿**ليميز الله الخبيث من الطيب**﴾ أى يفصل الطائفة الخبيثة أو الشىء الخبيث من الطائفة الطيبة أو الشىء الطيب ، والطائفة الخبيثة هم الكفار محاربو الإسلام ، والطائفة الطيبة هم المسلمون أتباع الحق والمبدأ الطيب ، و..أل.. فى الخبيث وفى الطيب للجنس . فالاسم المفرد فيهما بمعنى الجمع . والشىء الخبيث والشىء الطيب ، قد يراد به الصلاح والفساد ، أو المال الطيب الذى أنفقه المسلمون ، والمال الخبيث الذى أنفقه أعداؤهم ، ووصف المالين بالخبث والطيب إنما هو بسبب ما أنفقا فيه . فالمسلمون أنفقوا مالهم لإقامة الحق وعبادة الله ـ وحده ، وهذا عمل طيب . والكفار أنفقوا مالهم لهدم الإسلام ونصر الشرك ، وهذا أخبث الأعمال .

وقرئت الآية «ليُميِّزَ» بتشديد الياء ومصدرها التمييز ، يقال : ماز الشىء عن غيره ميزا وميَّزه عنه تمييزاً ، وصيغة التشديد أبلغ لما تفيده من المبالغة ، كما يقولون : مزَق الورقة ومزَّقها . فيستفاد التكثر والمبالغة .

والجار والمجرور فى «ليميز» متعلق بـ(يحشرون) ، على تقدير يساق الكافرون إلى جهنم ليمتاز أولئك عن هؤلاء . كما قال تعالى : ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [سورة يس ٥٩] أى انفصلوا وحدكم وإذا أريد بالخبيث المال الذى أنفق ، وبالطيب ما أنفقه المسلمون ، فالجار والمجرور متعلق بـ«تكون عليهم حسرة»

﴿**ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا**﴾ أى يضم بعض هؤلاء الكفار إلى بعض ويجمعهم فى جهنم يتلاومون فيها ويتحاجون ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾ [غافر ٤٧] . أو يجمع الكفار وآلهتهم ، فيرونها لا تغنى عنهم شيئاً ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الصافات

والعرب يقولون : سحاب مركوم أى مجموع بعضه إلى بعض . وجيش مركوم ، وركام من الناس والأنعام أى جموع مزدحمة . وتراكمت عليه الديون والخصوم والأحزان .

﴿**أولئك هم الخاسرون**﴾ .. أى هؤلاء الكفار الذين يموتون على كفرهم . هم الخاسرون حقاً ، الكاملو الحظ فى الخسارة ؛ لأنهم خسروا مالهم وحياتهم الآخرة. وقد جمعت لهم الآية علامات التأكيد : تأكيد الخسران والإشارة الدالة على البعد ، وضمير الفصل والحصر بالتعريف باللام ، وفى ذلك كله ما ينبغى أن يكون زاجراً ، وداعياً للتفكير فيما ينفع .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

تحقيق فضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

﴿ سورة المجادلة ﴾

مر إدغام « قد سمع » .

قرأ عاصم « يظاهرون » معاً بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما ، وابن عامر والأخوة وأبو جعفر بفتح الياء وتشديد الظاء ثم ألف وفتح الهاء مخففة ، وكذا الباقون لكن بتشديد الهاء بلا ألف « اللائى » مَرَّ فى الهمز المفرد .

قرأ أبو جعفر « مايكون » بالتأنيث ، والباقون بالتذكير .

قرأ يعقوب « أكثر » بالرفع ، والباقون بالنصب .

قرأ حمزة ورويس « وينتجون » بنون ساكنة بعد الياء وضم الجيم بلا ألف ، كذا قرأ رويس فلا تَنْتَجُوا ، والباقون بتاء ونون مفتوحتين وألف وفتح الجيم « ليحزن » مر لنافع .

قرأ عاصم « المجالس » بألف جمعا ، والباقون بلا ألف إفرادا « قيل » مر فى البقرة .

قرأ المدنيان وابن عامر وعاصم ـ بخلافٍ ـ عن شعبة « انشزوا فانشزوا » بضم الشين فيهما ، والباقون بكسرها « يحسبون » مر فى البقرة .

فيها ياء إضافة واحدة : « ورسلى إن » ومر حكمها .

﴿ سورة الحشر ﴾

« الرعب » مر فى البقرة .

قرأ أبو عمرو « ويخربون » بالتشديد ، والباقون بالتخفيف .

قرأ أبو جعفر وهشام ـ من طريق الحلوانى « يكون » بالتأنيث « دولة » بالرفع ، وهشام من طريق آخر بالتذكير والرفع ، ومن طريق الداجونى بالتذكير والنصب ، وبه قرأ الباقون .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « جدار » بكسر الجيم وألف بعد الدال ، والباقون بضم الجيم والدال بلا

ألف ، ومر «وتحسبهم» فى البقرة ، «وبرىء» فى الهمز المفرد ، «والبارى» فى الإمالة .

ياء الاضافة واحدة : «إنى أخاف» ومر حكمها .

﴿ ســـورة الممتحنـــة ﴾

مَرّ «مرضاتى» فى الإمالة ، «وأنا أعلم» فى البقرة .

قرأ عاصم ويعقوب «يفصل» بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد مخففة ، والأخوة بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة ، وابن عامر ــ سوى الداجونى ــ عن هشام بضم الياء وفتح الفاء والصاد مشددة ، والباقون بضم الياء وإسكان الفاء وفتح الصاد مخففة .

ومر «أسوة» فى الأحزاب ، «وابراهام» فى البقرة «وأن تولوهم» لابن كثير .

قرأ البصريان «ولا تمسكوا» بتشديد السين ، والباقون بتخفيفها «واسئلوا» مر فى النقل .

﴿ من ســـورة الصـــف إلى الملك ﴾

مر «زاغوا» فى الإمالة «وساحر» فى المائِدة ، «وليطفئوا» لأبى جعفر .

قرأ ابن كثير والإخوة وحفص «يُتمّ» بلا تنوين (نُورِه) بالجر ، والباقون بالتنوين والنصب «تنجيكم» مر لابن عامر .

قرأ ابن عامر والكوفيون ويعقوب «أنصار الله» بلا تنوين ويقفون على الراء ويبتدِئون (الله) والباقون بالتنوين ولام الجر ، ويقفون بالألف ، ويبتدئِون لله .

ياءات الإضافة ثنتان : «بعدى اسمه أنصارى إلى» .

ومر «أنصارى ، والتوراة ، والحمار» فى الإمالة ، «وخشب ، ويحسبون» فى البقرة .

قرأ نافع وروح «لَوَّوْا» بتخفيف الواو ، والباقون بتشديدها .

«رأيتهم ، وكأنهم» مرّا للأصبهانى .

قرأ ابن وردان ــ من طريق ــ «استغفرت» بمد الهمزة ، والباقون بلا مد «يفعل ذلك» مر لأبى الحارث .

قرأ أبو عمرو «وأكون» بالواو ونصب النون ، والباقون بالجزم وحذف الواو .

قرأ شعبة «بما يعملون» ــ بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ يعقوب «نجمعكم» بالنون ، والباقون بالياء ، وكذا روح من طريق ومر «نكفر ، وندخله ، ومبينة» فى النساء «ويضعفه ، وبيوتهن» فى البقرة ، «والنبى» فى الهمز المفرد .

قرأ حفص «بالغ» بلا تنوين (أمره) بالجر ، والباقون بالتنوين والنصب واللائى مر فى الهمز المفرد .

قرأ روح ــ بخلاف عنه ــ «وجدكم» بكسر الواو ، والباقون بضمها ، ومر «يسرا» معاً «وعسر» لأبى جعفر ، «وكأين» فى آل عمران والهمز المفرد «ونكرا» فى البقرة «ومبينات ، وندخله» فى النساء «ومرضات» فى الإمالة .

قرأ الكسائى «عرف» بتخفيف الراء والباقون بتشديدها ، ومر «تظاهرا ، وجبريل» فى البقرة ، «ويبدله» فى الكهف .

قرأ شعبة «نصوحا» بضم النون ، والباقون بفتحها «عمران» مر فى الإمالة .

قرأ البصريان وحفص «وكتبه» بضم الكاف و[illegible]ُلف ، والباقون بكسر الكاف وألف بعد التاء .

﴿ من ســـورة الملك إلى الجـــن ﴾

قرأ الأخوان «تَفَوُّتٍ» بتشديد الواو بلا ألف ، والباقون بألف والتخفيف ، ومر «هل ترى» فى فصله ، «وخاسِئا» فى الهمز المفرد ، «وتكـاد تميـز ، وسحقـا ، وسئت ، وقيـل» فى البقـرة «وءامنتم» فى الهمزتين من كلمة .

قرأ يعقوب «تدعون» بإسكان الدال مخففة ، والباقون بفتحها مشددة .

قرأ الكسائى «فسيعلمون من» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

ياءات الإضافة ثنتان : «أهلكنى الله ، معى أو» .

والزوائد ثنتان : «نذير ، ونكير» ومر حكم الأمرين .

﴿ن﴾

مر السكت عليها وإظهارها ، ومر «ءَأَنْ كَانَ» فى الهمزتين من كلمة ، «ويبدلنا» فى الكهف «ولما تخيرون» فى البقرة .

قرأ المدنيان «ليزلقونك» بفتح الياء ، والباقون بضمها .

ومر «أدراك» فى الإمالة ، «وهل ترى» فى نصله .

قرأ البصريان والكسائى «ومن قبله» بكسر القاف وفتح الباء ، والباقون بفتح القاف وإسكان الباء ، «والمؤتفكات ، وبالخاطئة» مر فى الهمز المفرد .

قرأ الإخوة «لا تخفى» بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

«كتابيه ، حسابيه» معاً ، «وماليه وسلطانيه» مررن فى الوقف .

قرأ ابن كثير ويعقوب وابن عامر ـ بخلاف عن ابن ذكوان ـ «يؤمنون ، ويذكرون» بالغيب فيهما ، والباقون بالخطاب .

قرأ المدنيان وابن عامر «سأل» بألف بلا همز ، والباقون بهمزة مفتوحة .

قرأ ورش من طريق سايل بالتسهيل بين بين .

قرأ الكسائى «يعرج» بالتذكير ، والباقون بالتأنيث .

قرأ أبو جعفر والبزى ـ بخلاف عنه ـ «ولا يسأل» ـ بضم الياء ، والباقون بفتحها ، ومر «يومئذ» فى هود ورءوس الآى الأربع من هذه السورة .

قرأ حفص «نزّاعة» بالنصب ، والباقون بالرفع .

«لأماناتهم» مر فى (المؤمنون) .

قرأ يعقوب وحفص «بشهاداتهم» بالجمع، والباقون بالإفراد .

«يلقوا» مر فى الزخرف .

قرأ ابن عامر وحفص «نصب» بضم النون والصاد، والباقون بفتح النون وإسكان الصاد «أن اعبدوا» مر فى البقرة .

قرأ المدنيان وابن عامر وعاصم «وولده» بفتح الواو واللام، والباقون بضم الواو - وإسكان اللام .

قرأ المدنيان «ودّا» بضم الواو، والباقون بفتحها .

قرأ أبو عمرو «مما خطاياهم» بفتح الطاء والياء وألف بعدهما بلا همز ولا يًا والباقون بكسر الطاء ثم ياء ساكنة ثم همزة مفتوحة ثم ألف وتاء مكسورة .

ياءات الإضافة ثلاث :

«دعائى إلا، إنى أعلنت، بيتى مومنا» .

والزوايد : «وأطيعون» مر حكم الأمرين .

﴿من سورة الجن إلى سورة النبأ﴾

قرأ ابن عامر والإخوة وحفص «وأنه تعالى» وما بعدها إلى قوله : «وأنا منّا» بفتح الهمزة من الاثنى عشر، وكذا أبو جعفر فى «وأنه تعالى، وأنه كان» معاً، والباقون بالكسر فيهن «ملئت» مر فى الهمز المفرد .

قرأ نافع وشعبة «وأنه لما» بكسر الهمزة، والباقون بفتحها .

قرأ يعقوب «أن لن تقول» بفتح القاف والواو وتشديدها، والباقون بضم القاف وإسكان الواو .

قرأ الكوفيون ويعقوب وورش - من طريق - «يسلكه» بالياء والباقون بالنون .

قرأ هشام - بخلاف عنه - «لبدا» بضم اللام والباقون بكسرها .

قرأ عاصم وحمزة وأبو جعفر «قل إنما» أمْرًا، والباقون (قال) خبرا .

قرأ رويس «ليعلم» بضم الياء، والباقون بفتحها .

ياء بالإضافة واحدة : «ربى أمدا» ومر حكمها، ومر «أو انقص» فى البقرة، «وناشئة» فى الهمز المفرد .

قرأ أبو عمرو وابن عامر «وَطْئاً» بكسر الواو وفتح الطاء ثم ألف، والباقون بفتح الواو وإسكان الطاء بلا ألف .

قرأ ابن عامر والإخوة ويعقوب وشعبة «رب المشرق» بالجر، والباقون بالرفع .

قرأ حفص من طريق - «تتقون» بكسر النون، والباقون بفتحها .

«ثلثى الليل» مر فى البقرة .

قرأ ابن كثير والكوفيون «ونصفه وثلثه» بنصب الفاء والثاء وضم الهائين، والباقون بالجر وكسر الهائين .

قرأ أبو جعفر ويعقوب وحفص «والرجز» بضم الراء، والباقون بكسرها «تسعة عشر» مر لأبى جعفر .

قرأ نافع وحمزة ويعقوب وخلف وحفص «إذ» بإسكان الذال «أَدْبَرَ» بهمزة مفتوحة وإسكان الدال، والباقون «إذا» بألف بعد الذال «دَبَر» بفتح الدال بلا همزة قبلها .

قرأ المدنيان وابن عامر «مستنفرة» بفتح الفاء[1]، والباقون بكسرها .

قرأ نافع «تذكرون» بالخطاب، والباقون بالغيب، ومر «لا أقسم» في يونس، و «أيحسب» في البقرة قرأ المدنيان «برق» بفتح الراء والباقون بكسرها .

قرأ المدنيان والكوفيون وابن ذكوان – من طريق – «تحبون وتذرون» بالخطاب، والباقون بالغيب فيهما، ومر السكت على نون «من راق»، وإمالة رءوس آى السورة، «وسدى» في بابها .

قرأ يعقوب وحفص وهشام – بخلاف عنه – «يمنى» بالتذكير، والباقون بالتأنيث .

قرأ المدنيان والكسائي وشعبة والحلواني عن هشام ورويس – من طريق – «سلاسلا» بالتنوين، ويقفون بألف، والباقون بلا تنوين، ووقف منهم بالألف أبو عمرو، واختلف عن ابن كثير وابن ذكوان وحفص وروح، والباقون بلا ألف .

قرأ المدنيان وابن كثير والكسائي وخلف وشعبة وهشام – من طريق – «كانت قواريرا» بالتنوين، ويقفون بألف، والباقون بلا تنوين، وكلهم وقف بألف إلا حمزة ورويسا – بخلاف عنه – واختلف عن روح .

قرأ المدنيان والكسائي وشعبة «قواريرا من» بالتنوين، ويقفون بألف بلا تنوين، ويقفون بلا ألف إلا هشاماً من طريق الحلواني فاختلف عنه في الوقف .

قرأ المدنيان وحمزة «عاليهم» بإسكان الياء، والباقون بفتحها .

قرأ ابن كثير والإخوة وشعبة «خُضْر» بالجر، والباقون بالرفع .

قرأ نافع وابن كثير وعاصم «وإستبرق» بالرفع، والباقون بالجر .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر – بخلاف عنه – «يشاءون» بالغيب، والباقون بالخطاب، ومر «فالملقيات ذكراً» لخلاد في الإدغام الكبير، «وعذراً» لروح «ونذراً» في البقرة .

قرأ أبو عمرو وابن وردان وابن جماز – من طريق – وروح كذلك «وُقِّتت» بواو مضمومة، والباقون بهمزة، وخفف ابن وردان وابن جماز – من طريق – القاف، وشددها الباقون .

قرأ المدنيان والكسائي «فقدرنا» بتشديد الدال، والباقون بتخفيفها .

قرأ رويس «انطلقوا إلى ظل» بفتح اللام، والباقون بكسرها .

قرأ الإخوة وحفص «جمالت» بلا ألف بعد اللام، والباقون بألف . وَضَمَّ الجيمَ رويس، وكسرها الباقون، «وعيون» مر في البقرة .

الزوائد «فكيدون» ومر حكمها .

﴿ومن سورة النبأ إلى سورة الأعلى﴾

«فُتِحَتْ» مر في الزمر .

قرأ حمزة وروح «لَبِثِينَ» بلا ألف، والباقون بألف، «وغساقا» مر في (صٓ) .

---

(١) في المصورة بفتح القاف .. والآية هي قوله – تعالى –: ﴿كأنهم حُمُرٌ مستنفرة﴾ بالفاء .

قرأ الكسائى «ولا كذابا» بالتخفيف، والباقون بالتشديد .

قرأ ابن عامر والكوفيون ويعقوب «رب السموات» بجر الباء، والباقون برفعها .

قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب «الرحمن» بالجر والباقون بالرفع، «أئذا أئنا» مرا فى الهمزتين من كلمة .

قرأ الإخوة وشعبة ورويس «ناخرة» بألف، والباقون بلا ألف، واختلف فيه عن الدورى عن الكسائى، ومر «طُوًى» فى (طه)، وإمالة رُءُوسِ آى هذه السورة، وسورة (عبس) .

قرأ المدنيان وابن كثير ويعقوب «أن تزكى» بتشديد الزاى، والباقون بتخفيفها .

قرأ أبو جعفر «منذر من» بالتنوين، والباقون بدونه .

قرأ عاصم «فتنفعَـهُ» بالنصب، والباقون بالرفع .

قرأ المدنيان وابن كثير «له تصدى» بتشديد الصاد، والباقون بتخفيفها، «عنه تلهى» مر لابن كثير .

قرأ الكوفيون «أنَّا صببنا» بفتح الهمزة وكذا رويس وصلا، والباقون بكسرها وكذا رويس بدْأً، وعنه من طريق كسرها فى الحالين .

قرأ ابن كثير والبصريان ـ إلا رويساً ـ من طريق «سجرت» بتخفيف الجيم، والباقون بتشديدها .

قرأ أبو جعفر «قتلت» بالتشديد، والباقون بالتخفيف .

قرأ المدنيان وابن عامر وعاصم ويعقوب «نشرت» بالتخفيف، والباقون بالتشديد .

قرأ المدنيان وابن ذكوان وحفص ورويس وشعبة ـ من طريق ـ «سعرت» بالتشديد، والباقون بالتخفيف .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ورويس من طريق «بطنين» بطاء والباقون بضاد .

قرأ الكوفيون «فعدلك» بتخفيف الدال والباقون بتشديدها .

قرأ أبو جعفر «بل يكذبون» بالغيب، والباقون بالخطاب .

قرأ ابن كثير والبصريان «يوم لا» برفع الميم والباقون بنصبها، ومر «بل ران» لحفص فى السكت، ولغيره فى الإمالة .

قرأ أبو جعفر ويعقوب «تعرف» بضم التاء وفتح الراء «نضرة» بالرفع، والباقون بفتح التاء وكسر الراء ونصب «نضرة» .

قرأ الكسائى «خاتمة» بألف بعد الخاء، بلا ألف بعد التاء، والباقون بكسر الخاء بلا ألف . وبألف بعد التاء، ومر «فكهين» فى (يٓس) «وهل ثوب» فى فَصْلِهِ .

قرأ نافع والابنان والكسائى «ويصلى» بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام، والباقون بفتح الياء وإسكان الصاد والتخفيف .

قرأ ابن كثير والإخوة «لتركبن» بفتح الباء والباقون بضمها، ومر «قُرِىءَ» فى الهمز المفرد، «والقرآن» فى النقل .

قرأ الإخوة «المجيد» بالجر، والباقون بالرفع .

قرأ نافع «محفوظ» بالرفع، والباقون بالجر «لما عليها» مر فى هود .

﴿ومن سُورة الأعلى إلى آخر القرآن﴾

مر إمالة رُءُوسِ آيها .

قرأ الكسائى «قَدَر» بالتخفيف، والباقون بالتشديد .

قرأ أبو عمرو وروح من طريق «بل يؤثرون» بالغيب، والباقون بالخطاب، ومر مَنْ أدْغم .

قرأ البصريان وشعبة «تصلى» بضم التاء، والباقون بفتحها، «آنية» مر فى الإمالة .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس «لا يسمع» بياء مضمومة «لاغية» بالرفع، وكذا نافع لكن بالتاء تأنيثاً، والباقون بتاء مفتوحة ونصب «لاغية»، «بمصيطر» مر فى الطور .

قرأ أبو جعفر «إيابهم» بالتشديد، والباقون بالتخفيف .

قرأ الإخوة «والوتر» بكسر الواو، والباقون بفتحها .

قرأ ابن عامر وأبو جعفر «فقدّر» بتشديد لدال، والباقون بالتخفيف .

قرأ البصريان ــ سوى روح ــ من طريق «يكرمون، ويحضون، ويأكلون ويحبون» بالغيب فى الأربعة، والباقون بالخطاب، وأثبت ألفا بعد الحاء «تحاضون» الكوفيون وأبو جعفر، «وجيىء» مر فى البقرة .

قرأ الكسائى ويعقوب «لا يعذب، ولا يوثق» بفتح الذال والثاء، والباقون بكسرهما .

ياءات الإضافة ثنتان : «ربى أكرمن، ربى أهانن» .

والزوايد أربع : «يسرا، بالواد، أكرمن، وأهانن» ومر حكم الأمرين .

قرأ أبو جعفر «لبدا» بتشديد الباء، والباقون بتخفيفها، ومر «أيحسب» معاً فى البقرة «وأن لم يَرَهُ» فى هاء الكناية .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى «فكّ» بفتح الكاف «رقبة» بالنصب «أطعم» بفتح الهمزة والميم بلا ألف ولا تنوين، والباقون برفع «فك» وجر «رقبة إطعام» بكسر الهمزة ورفع الميم منونة وألف قبلها، ومر «مؤصدة» فى الهمز المفرد، وإمالة رُءُوس آيِ (الشمس والليل والضحى والعلق) .

قرأ المدنيان وابن عامر «فلا يخاف» بالفاء، والباقون بالواو ومر للكسائى، «وللعسرى» لأبى جعفر «ونارا تلظى» لرويس وابن كثير «والعسر يسرا» معاً فى البقرة، «واقرأ» فى الهمز المفرد .

قرأ قنبل ــ بخلاف عنه ــ «أن رآه» بقصر الهمزة، والباقون بمدها ومر إمالته، وامالة «أدراك» فى بابها، «وأرأيت» فى الهمز المفرد، «وتنزل» لابن كثير .

قرأ الكسائى وخلف «مطلع» بكسر اللام، والباقون بفتحها، ومر «البرية» معاً فى الهمز المفرد «وربه، ويره» معاً فى هاء الكناية «ويصدر» فى النساء، «والعاديات ضبحا، فالمغيرات صبحا» فى الإدغام الكبير «وماهيه» فى الوقف على الرسم .

قرأ ابن عامر والكسائى «لترون الجحيم» بضم التاء، والباقون بفتحها .

قرأ ابن عامر والإخوة وأبو جعفر وروح «جمع» بالتشديد، والباقون بالتخفيف، ومر «يحسب» فى (البقرة)، «ومؤصدة» فى الهمز المفرد .

قرأ الإخوة وشعبة «عمد» بضم العين والميم، والباقون بفتحهما .

قرأ ابن عامر «ليلاف» بلا ياء بعد الهمزة، وأبو جعفر بياء ساكنة بلا همزة، والباقون بهمزة مكسورة ثم ياء .

قرأ أبو جعفر «إلافهم» بهمزة مكسورة بلا ياء، والباقون بهمزة وياء ساكنة، ومر «أرأيت، وشانِئك» فى الهمز المفرد، «وعابدون وعابد» فى الإمالة .

ياءات الإضافة : «ولى دين» .

والزوايد : «دين ومر حكم الأمرين» .

قرأ ابن كثير «أبى لهب» بإسكان الهاء والباقون بفتحها .

قرأ عاصم «حمالة» بالنصب، والباقون بالرفع «كفوا» مر فى البقرة .

قرأ رويس ــ بخلاف عنه ــ «النافِثات» بألف بعد النون، وكسر الفاء مخففة، وروح ــ من طريق ــ بضم النون وتخفيف الفـاء ثم ألـف، والباقون بفتح النون، وتشديد الفاء مفتوحة . ثم ألف .

«الناس» مر فى الإمالة .

﴿ باب التكبير ﴾

وهو فى الأصل (سنة التكبير عند ختم القرآن) ولو فى صلاة، ولهم فى ذلك أخبـار، وردت مرفوعة وموقوفة، وقد صح عن ابن كثير التكبير، قال الأصل : وقرأنا به من رواية السوسى عن ابن عمرو وقد كان بعض أئمة القراء يأخذ به عن جميع القراء، وكان بعضهم يأخذ فى كل سورة من جميع القرآن، وأما لفظ التكبير فلم يختلف فى انه (الله أكبر) قبل البسملة ــ وزاد جماعة قبله التهليل عن أبى الحباب عن ابن كثير بأن يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وهو زيادة حسنة ثبتت روايتها، صح سندها، وزاد بعض الآخِذِين عن أبى الحباب بعد ذلك : (ولله الحمد) .

ثم اختلف رواة التكبير : من أى موضع يُبْدَأُ به ؟

فرواه الجمهور من أول (ألم نشرح) أو من آخر (الضحى) على خلاف مَبْنَاهُ : هل التكبير لأول السور أو لآخرها ؟ فا لأكثر على أنه من آخر (الضحى) والأقل على أنه من أول (ألم نشرح) ورواه بعضهم من أول (الضحى)، ولم يروه أحد من آخر (الليل) ومن ذكره كذلك كالشاطبى وغيره أراد به أنه من أول الضحى .

وأما انتهاؤه فمن كان عنده لآخر[٢] السورة كبر حتى ينتهى فيكبر فى آخر السورة، ومن كان عنده لأولها قطع التكبير فى أوّل الناس ولم يكبر فى آخرها، ويتـأتى على التقديريـن ــ حَالَ وصل السورة بالسورة ــ بثمانية أوجه : ممتنع منها وصل الكل مع القطع على البسملة ؛ لأنها لأوائِل السور لا لآخرها، والسبعة الباقية جائزة ؛ فاثنان منها على تقدير أن يكون لآخر السورة، واثنان على تقدير أن يكون لأولها، وثلاثة محتملة على التقديرين ؛ فاللذان على تقدير كونه لآخر السورة أولهما وصل التكبير بآخر السورة، والوقف عليه مع وصل البسملة، واللذان على تقدير كونه لأول السورة أولهما قطعة عن آخر السورة .

(٢) أى فمن كان يقول بالتكبير آخر السورة .. الخ .

ووصله بالبسملة، ووصلها بأول السورة مع(٣) الوقف عليها، ثم الابتداء بأول السورة، والثلاثة الجائزة على التقديرين :

أولها : وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة وأول السورة .

ثانيها : قطعه عن آخر السورة وعن البسملة مع وصل البسملة بأول السورة .

ثالثها : القطع عن آخر السورة وعن البسملة وعن أول السورة .

ويتأتى من الأوجه السبعة على التقديرين خمسة أوجه ، وهى :

الوجهان المختصان بأخذ التقديرين، والثلاثة الأخرى .

ثم إنك إذا وصلت أواخر السور بالتكبير كسرت ما كان آخرهن ساكناً، أو منونا نحو : (فحدث) الله أكبر، (ولخبير) الله أكبر .

وإن كان محركا تركته على حاله، وحذفت همزة الوصل لملاقاته الساكن نحو (الحاكمين) الله أكبر .

وإن كان صلة حذفتها نحو (رَبَّهُ) الله أكبر .

وإذا وصلته بالته[ليل أبقيته على(١) حاله، فإ]ن كان تنوينا أرغمته فى اللام نحو (حاميه) لا إله إلا الله، ويجوز المد للتعظيم، كما مر فى بابه، والقصر على قاعدة المنفصل .

فصل

ورد عن ابن كثير أنه كان إذا انتهى فى آخر الختمة إلى سورة الناس قرأ (الفاتحة)، وإلى (المفلحون) كم أول البقرة . قال أئمتنا : وله فى ذلك دلائل من أخبار وردت عن النبى ﷺ – وآثار وردت عن الصحابة والتابعين، ثم صار العمل على هذا فى أمصار المسلمين فى قراءة ابن كثير وغيرها، ويسمون من يفعل ذلك (الحال المرتحل) أى الذى حل فى قرأته آخر الختمة وارتحل إلى أخرى، وذلك لخبر ابن عباس – رضى الله عنهما – أن رجلا قال : «يارسول الله، أى الأعمال أفضل ؟ قال : الحال المرتحل، قال : وما الحال المرتحل ؟ قال : صاحب القرآن كلما حل ارتحل» وهو على حذف مضاف ، أى : عمل الحال المرتحل .

[الدعاء عقب الختم]

وورد – أيضاً – الدعاء عقَب الختم، وقد روى عن الطبرانى فى معجمه الأوسط عن جابر بن عبد الله قال . قال رسول الله – ﷺ – «من قرأ القرآن كانت له عند الله دعوة مستجابة» فلذا كان بعضهم يستحب أن يكون القارىء هو الداعى، عملا بظاهر الخبر .

وروى أنه – ﷺ – كان يقول عند ختم القرآن : اللهم ارحمنى بالقرآن، واجعله لى إماما ونوراً وهدى ورحمة، اللهم ذكرنى منه ما نسيت، وعلمنى منه ما جهلت، وارزقنى تلاوته آناء الليل والنهار ، واجعله لى حجة يارب العالمين .

تم المختصر بحمد الله
وعونه

---

(٢) ما بين القوسين عن التقريب لبياض بالمصورة .

قبس من أنوار النبوة

كيف حج الرسول صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ قال : « خذوا عنى مناسككم » .
وراه أحمد ومسلم والنسائى

إن الحج إلى بيت الله الحرام رحلة ربانية نورانية ، تهفو إليها القلوب وتحن إليها الأرواح ، تتحطم فيها فوارق الحياة الدنيا ــ فلا فرق بين غنى وفقير ، ولا بين حاكم ومحكوم ، ولا بين سادة وعامة ، يمارسون سلوكاً عملياً فى الصبر واحتمال المشاق ، ويشهدون منافع لهم فى دينهم ودنياهم وأخراهم ، فهم الذين استجابوا لدعوة ربهم حين قال : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران ٩٧] لبوا النداء : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾ [الحج]

وهذه المنافع عامة وواسعة تتناول جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، وقمة المنافع الروحية هى توجيه الناس جميعاً إلى توحيد الله ــ عز وجل ــ وعبادته دون سواه .

وفى مناسك الحج نأخذ عن رسول الله ــ ﷺ ــ عندما أعلم الناس بعزمه على الحج فتجهزوا للخروج معه . وسمع مَنْ حول المدينة فأقبلوا يريدون الحج معه ، ووافاه فى الطريق خلائق لا يحصون . وكانوا بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله مد البصر ، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ــ ﷺ ــ ويعملوا مثل عمله ، فخرج النبى ــ ﷺ ــ من المدينة بعد أن صلى بها الظهر ، فنزل بذى الحُلَيْفَة فصلى بها العصر ركعتين ، ثم بات بها ، وصلى المغرب والعشاء والصبح والظهر ثم اغتسل غسل الإحرام ، ولبس إزاره ورداءه وتطيب . ثم ركب ناقته القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء أَهَلَّ بالحج والعمرة .

وفى بعض الروايات أنه أحرم بالحج فقط ، ثم

ركب ناقته وأَهَلَّ أى : رفع صوته بالتلبية حين استوت على البيداء . قائلا : «لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك» .

ورفع صوته بالتلبية ، وأمرهم أن يرفعوا أصواتهم بها وسار حتى وصل إلى ذى طوى ــ وهى المعروفة بآبار الزهراء ــ ثم اغتسل لدخول مكة فدخلها نهاراً من أعلاها ، ودخل المسجد من باب بنى عبد مناف المسمى بباب السلام . ثم نظر إلى البيت الحرام ورفع يديه مكبراً ، وهو يقول : «اللهم أنت السلام ومنك السلام حَيِّنا رَبَّنا بالسلام . اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة ، وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبراً» .

الطواف بالبيت :

فلما حاذى الحجر الأسود استلمه ولم يزاحم عليه وقد ثبت أنه قبّله ، وثبت أنه استلمه بِمِحْجَن ــ وهو عصا منحنية من إحدى طرفيها ، وروى أنه وضع شفتيه عليه وبكى طويلًا وبدأ الطواف ، ولم يسمع منه دعاء ثابت عند باب الكعبة أو غيره من أركان الكعبة ، سوى دعائه بين الركن اليمانى والحجر الأسود بقوله :

● ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١]. وقد اضطبع أى : اخرج كتفه اليمنى وجعل طرف الرداء فوق كتفه اليسرى ، وأسرع فى الأشواط الثلاثة الأولى . وهو المعروف بالرَّمَل . وبعد الأشواط السبعة اتجه إلى خلف المقام وهو يقول :

● ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [سورة البقرة ١٢٥]. فصلى ركعتين والمقام بينه وبين الكعبة ، قرأ فى الأولى بعد الفاتحة ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ وفى الثانية (سورة الإخلاص) بعد الفاتحة . ثم خرج إلى الصفا بعد استلام الحجر . من الباب المقابل لضلع الكعبة الواقع بين الركن اليمانى والحجر الأسود . وقرأ قوله تعالى :

● ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾ [البقرة : ١٥٨].

ثم قال أبدأ بما بدأ الله به .

ثم صعد على الصفا حتى رأى البيت فاستقبله . وقال : لا إله إلا الله وحده .. ثم نزل إلى المروة فلما وصل إلى بطن الوادى أسرع ــ بين الميلين الأخضرين ــ ولما صعد المروة اتجه إلى البيت ثم قال : كما قال على الصفا . حتى أنهى السبعة .

وفى اليوم الثامن توجه إلى منى وبات بها . ثم سار إلى عرفة ، وضربت له قبة بنمرة فنزل بها حتى إذا زالت الشمس يوم عرفة ركب ناقته وسار إلى بطن الوادى من عرفة ، وخطب الناس ــ وهو فوق ناقته ــ خطبة جامعة قرر فيها قواعد الإسلام ، وهدم قواعد الشرك والجاهلية وقرر تحريم المحرمات من الدماء والأموال والأعراض ، وأوصى بالنساء خيراً ، وحرم الربا الذى كان فى الجاهلية . وأوصى بالاهتمام بكتاب الله الكريم ، وأشهد الله عليهم ثلاث مرات ، وأمرهم بالتبليغ ، ولما أتم خطبته أمر بلالًا أن يؤذن ويقيم الصلاة ، فصلى الظهر ركعتين ــ وكان يوم جمعة ــ وبعد الانتهاء من ركعتى الظهر أقام بلال لصلاة العصر عقبها فصلاها ــ ﷺ ــ ركعتين ــ أيضاً ــ جمع تقديم .

ثم ركب ــ ﷺ ــ ناقته حتى أتى الموقف فوقف عند الصخران ودعا وتضرع إلى الله إلى

غروب الشمس ، وقال : «هنا وقفت وعرفة كلُّها موقف» ونزل عليه القرآن عند الصخرات :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣].

وبعد الغروب أفاض - ﷺ - وهو يوصى الناس بالسكينة وكان يلبى فلما وصل إلى المزدلفة توضأ وضوء الصلاة ، ثم أمر بالأذان ثم صلى المغرب ثم أقام لصلاة العشاء ركعتين بدون أذان جمع تأخير ، ثم قام حتى صلى الصبح . ثم وقف عند (المشعر الحرام) واستقبل القبلة ودعا وذكر الله كثيراً حتى أسفر .

ثم توجه إلى منى وهو يلبى حتى أتى جمرة العقبة وهى التى تلى مكة . فرماها بسبع حصيات بعد طلوع الشمس وقطع التلبية .

ثم رجع إلى منى وخطب الناس خطبة بين فيها حرمة مكة وأمرهم بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله ، وقال : لَعَلِّى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، وأمرهم ألا يرجعوا بعده كفارا ، كما أمرهم بالتبليغ ، وودع الناس . ثم توجه إلى المنحر ، فنحر بمنى ثلاثا وستين بدنه ، وأمر عليًّا أن ينحر ما بقى من المائة ودعا للمحلقين ثلاثا وقصر بعضهم شعره .. ثم دعى للمقصرين . ثم أفاض إلى مكة قبل الظهر فطاف طواف الركن . ولم يسع بعده ؛ لأنه سعى بعد طواف القدوم ، ولم يسرع فى هذا الطواف ولا فى طواف الوداع .

ثم أتى زمزم فشرب منها ثم رجع إلى «منى» فى نفس اليوم فبات بها . وبعد زوال الشمس من اليوم التالى رمى الجمرات الثلاث . فبدأ بالصغرى التى تلى (مسجد الخيف) فرماها بسبع حصيات واحدة بعد الأخرى يكبر مع كل حصاة ، ثم رمى الجمرة الوسطى ، ثم جمرة العقبة .

ولم يتعجل فى يومين بل تأخر حتى أكمل رمى الجمرات أيام التشريق الثلاثة ثم توجه إلى مكة ليلًا فطاف طواف الوداع . وهو آخر أعمال الحج .

قال رسول الله - ﷺ - فيما رواه الطبرانى والبزار عن ابن عمر - رضى الله عنهما : «.. إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خُفًّا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل - عليه السلام - وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة .. وأما وقوفك عشية عرفة ، فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة ، يقول : عبادى جاءونى شعثا من كل فج عميق يرجون جنتى - أو رحمتى - فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر لغفرتها ، أفيضوا مغفورا لكم ولمن شفعتم له وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ، وأما نحرك فمدخور لك عند ربك ، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ، ويمحى عنك بها خطيئة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك ، يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى» .

وقال - ﷺ - تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة . وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة . رواه أحمد والترمذى والنسائى .

نسأل الله - تبارك وتعالى - أن يوفقنا إلى اجتياز مفازات الحياة برواحل الطاعة ، وأن يرضى عنا ، ويغفر لنا ويرحمنا . إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

وأذن فى الناس بالحج

لفضيلة الشيخ : معوض عوض إبراهيم

١ ـ قد ينعم الله بالبلوى

أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يرفع هو وابنه اسماعيل القواعد من البيت ، وإنه لشرف لايُعْدَلُ ، وتكريم لإبراهيم على إيمانه بالله ، وإذعانه لمولاه ومبادرته إلى إنفاذ رُؤياه ، وما أن حدث اسماعيل بما رأى حتى كان أسرع من رجع الصَّدَى ، يقول لأبيه

﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٠٢) ﴾ **الصافات** .

وتجاوزا ـ صلوات الله عليهما ـ مرحلة القول الذى قد يحسنه الذين يقولون مالا يفعلون قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ (١٠٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١١) ﴾ الصافات .

لقد أسلم إبراهيم قلبه لربه ، وأسلم إسماعيل عنقه لأبيه فى طاعة الله ، وكان الذِّبْح العظيم فداءً للذبيح الأول إسماعيل ، شريعة مُتَّبعة فى الأمة الوارثة تجدد ذكرى الإيمان والإذعان لله رب العالمين .

٢ ـ يرفعان القواعد من البيت :

ولم يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت من فراغ ، ولكنهما انطلقا من المكان الذى بوأه الله وكشفه وهيأه بفضله لخليله ، يمضيان أمر الله

الذى حكاه سبحانـه حالًا من الماضى كما قال الشوكانى ــ يستحضر هذه الصورة العجيبة ــ قال تعالى «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا وأجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتكْ ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم» ١٢٧ ــ ١٢٩ ــ البقرة .

ان البيت ههنا باجماع ، هو (الكعبـة) ، والأمر بالبناء أورده البخارى عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ جـ ٦ من (فتح البارى) للإمام ابن حجر فى (كتاب الأنبياء) وفيه «وأن الملك قال لهاجر : لا تخافوا الضيعة ، إن ههنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه» ٣٩٧/٣٩٦ (الفتح) قال ابـن حجـــر فى شرحــــه ص ٤٠٢ (بحذف المفعول ــ البيت) وفى رواية أن جبريل أشار لها إلى البيت ، وهو يومئـذ مدرة[١٠] حمراء فقـال جبريل : هذا بيت الله العتيق ، واعلمى أن إبراهيم وإسماعيل يرفعانه وقد أورد الإمام ابن كثير حديث الإمام البخارى بتمامه وفيه أن إبراهيم قال لابنه إسماعيل . يا إسماعيل إن الله أمرنى بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك وقال : وتعيننى ؟ قال: أعينك ، قال : إن الله أمرنى أن أبنى ههنا ــ وأشار إلى أكمة مرتفعة على ماحولها ... الحديث

إن الأمر للخليل وإسماعيل معا ، إنطلقا إليه جميعا يرفعان القواعد كما قال تعالى ، وقد رد ابن جرير والشوكانى وابن عطية وغيرهم زعم أن عليا ــ رضى الله عنه ــ أفرد إبراهيم بأمر البناء ، وأن إسماعيل كان يرفع الأحجار والأدوات لأبيه وإنه لأوغل فى هذا الزعم وأدخل فى معنى الغرابة زعم أن إسماعيل كان الداعى ، بما فى هذه الآيات وحده ، وابن عطية يقول (زعموا أن إسماعيل كان طفلا ، ونسبوا ذلك لعلى بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ ، ولا يصح شىء من ذلك عنــــــه ، لأن الآية والآثار ترده) جـ ١ ص ٤٤٨/المحرز الوجيز لابن عطية .

وأين العاملون فى شتى ميادين الاستخلاف من الاستعانة بذكر الله على أداء الواجب وتجويده ، وإفراغ الـوسع فيـه على نحو ما صنـع الخليـل وإسماعيل ــ عليهما السلام ــ حتـى لا يُغْنـى النفوس ويُصمَّ الآذان ويصدع الرءوس ذلك الغثاء الذى يسمونه (فنًّا) وتردده أجهزة ووسائل ، لايعز عليها البديل الذى يحفز الهمم ، ويجمع العزائم على معالى الأمور ، ويميـط اللثـام عن الإنسان المخبؤ تحت لسانه ، إن الضراعات الحانية فى الآيات ، قد تقبلها الله الذى ألهمهما إياها ، وثبت إيمانهما وزاده ، وجعل من ذريتهما محسنين من بنى إسرائيل ، وأخرى منهم يلاحقهم غضب الله أين كانوا وإلى آخر الزمان ، وأن بررت وآزرت بَغْيهم فى الأرض المقدسة وما حولها دول كبرى لم تُفدْها عبرة إنهيار الستار الحديدى ، وما العاشر من رمضان منهم ببعيد .

واستجاب الله دعوة إبراهيم وإسماعيل بالأمة المسلمة وبمحمد ــ ﷺ ــ (دعوة إبراهيم) وكان إبـراهيم وملتـه ملء خاطـر سيدنـا رسـول الله ــ ﷺ ــ والله تعالى يقول له :

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ٧٨/الحج

وقال : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ ١٦١/الأنعام

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢٣/النحل) بعد أن أثنى الله ــ سبحانه ــ على خليله بقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ﴾ /النحل)

وخليق بإبراهيم ، أمة الفضائل ، وقمة التوحيد ، أن يضعه الله مَعْلَماً ملتمعا ويجعله أسوة متبعا ، وهو يقول لمصطفاه ، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ الممتحنة/٤ والآية/٦ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾.

٣ ــ وأذن فى الناس بالحج :

لقد أُرِىَ جبريل المناسك لإبراهيم ليكون على بينة من أمره فى عبادته لربه ، كما كان منذ قال الله ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) ﴾ الأنبياء)

قال ابن عطية : وروى عن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ أنه لما فرغ إبراهيم من بناء البيت . ودعا بهذه الدعوات بعث الله جبريل فحج به ، ،

ذكر ذلك أئمة التفسير ورووا عن الصحابة والتابعين أن الشيطان تعرَّض لخليل الرحمن عند المناسك مرات ، وأن الله عصم خليله فلم يجعل عليه من غير ربه سبيلا ، والامام الجصَّاص يذكر فى كتابه (أحكام القرآن) جـ١ ص٨١ عن أبن أبى ليلى ــ بسنده عن عبدالله بن عمر ــ أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : أتى جبريل إبراهيم عليهما السلام فراح به إلى مكة ، ثم مِنَى (وذكر أعمال حج النبى ــ ﷺ ــ وهل أمر الله ببناء البيت إلا ليحجه الناس ، ويلتمسوا ما قرنه الله به من منافع الدين والدنيا ؟؟؟

روى إبن عطية أن ابراهيم ــ عليه السلام ــ لما أُمر بالآذان بالحج قال : (يارب وإذا ناديت فمن يسمعنى ؟!! قيل له نَادِ ياإبراهيم ، فعليك النداء ، وعلينا البلاغ) فصعد على (أبى قبيس) أو على حجر المقام ونادى (ياأيها الناس إن الله أمركم بحج هذا البيت فحجوا) ابن أبى شيبة فى المصنف وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه ، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو عند ابن كثير جـ٢ ، والشوكانى فى (فتح القدير) جـ ٣ والفخر الرازى جـ ٢٣ ــ س ٢٨ .

وإبلاغ صوت الخليل نذكر معه صوت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أعلى الصفا حين نادى قبائل العرب وبطونها ، فلما جاءوه قال لهم : أرأيتم لو أخبرتكم أن وراء هذا الوادى خيلا ... الحديث أخرجه البخارى ومسلم بألفاظ متقاربة .

وصوت عمر الذى سمعه الصحابة وهو يخطب يوم الجمعة على منبر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحمله الله ــ سبحانه ــ إلى سارية بن زُنَيْم وهو يقول له : (ياساريةَ الجبلَ الجبلَ) قالها ثلاثا وبقدر ما عجب لها الصحابة بادر سارية وإنحاز بجيش المسلمين إلى جبل كان منه بقريب ، وكان العدو يوشك أن يأتى على الجيش من شتى جوانبه ، ففتح الله على المسلمين وأظفرهم بعدوهم) الإصابة جـ ٢ ص ٥٢ ــ ٥٣ لابن حجر ..

٤ ـ ولله على الناس حج البيت

يقول العلامة الجصاص فى كتابه أحكام القرآن ، جـ ص ٢٠٣ (هذا ظاهر فى إيجاب الحج على شريطة وجود السبيل ويظاهر هذا الإيجاب قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ـ ١٩٦/البقرة .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ /البقرة .

وإيجاب الإمام الجصاص يرتبط فى الذاكرة بكلام نفيس هو فتح من الله على الإمام ابن قيم الجوزيه فى كتابه القيم (بدائع الفوائد جـ ٢ ص ٤٢ ـ ٤٦ نظر فى قوه تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ قال : تضمنت الآية ثلاثة أمور مرتبة بحسب الوقائع :

أحدهما الموجب لهذا الفرض ، فبدىء بذكر (ولله)

الثانى مؤدى الواجب وهو المُفْتَرَض عليه وهم الناس .

الثالث : النسبة والحق المتعلق به إيجابا ، وبهم وجوبا وهو الحج ... وذكر ـ رحمه الله ـ فائدة مؤداها أن تقديم اسم الله ، يوجب إهتماما وتعظيما لهذه الفريضة ، فليس ما أوجبه الله بمثابة ما أوجبه غيره ...

قال ـ رحمه الله : ومن فوائد الآية وأسرارها أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا ذكر ما يوجبه ويحرمه ذكره : بلفظ الأمر والنهى وهو الأكثر ، أو بلفظ الإيجاب والكتابة والتحريم نحو ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ (١٨٣ البقرة) ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ (٣ المائدة)

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ (١٥١ الأنعام) وفى الحج أتى بهذا النظم الدال على تأكد الوجوب من عشرة أوجه :

أحدهما ــ أنه قدم اسم الله ـ تعالى ـ وأدخل عليه لام الاستحقاق والاختصاص ، ثم ذكر من أوجبه عليهم بصيغة العموم الداخلة عليها حرف عَلَى ، ثم أبدل منه أهل الاستطاعة ، ثم ذكر السبيل فى سياق الشرط إيذانا بأنه يجب الحج على أى سبيل تيسرت من قوت أو مال فعلق الوجوب بحصول ما يسمى سبيلا ، ثم اتبع ذلك بأعظم التهديد بالكفر ، فقال : (ومن كفر) بعدم التزام هذا الواجب وتركه ، ثم عظم الشأن ، وأكد الوعيد بإخباره باستغنائه عنه ، والله تعالى هو الغنى الحميد ولا حاجة به إلى حج أحد .

وذكر الإمام مافى استغناء الله عن هذا من إعراض عنه ، وبغض له ، ويتضاعف سخط الله على هذا ويزيده لفظ (غنى عن العالمين) ، ومن يكون منهم هذا الذى أهدر هذا الحق الذى أوجبه الله على من استطاع إليه سبيلا .

وبقدر ما لامس الإمام بهذا البيان العُقُول فإنه يستثير اليقين بما ودِدْتُ لو قدمه مع أول الآية الكريمة ، وإن كان قد شفى وكفى وهو يقول : (ثم تأمل كيف إفتتح هذا الإيجاب بذكر محاسن البيت ، وعظم شأنه ، مما يدعو النفوس إلى قصده وحجه ، وإن لم يطلب ذلك منها فقال

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (٩٦، ٩٧ سورة آل عمران).

فوصفه بخمس صفات ، أحدها : أنه سبق بيوت الله بالوضع فى الأرض .

ثانيها : أنه مبارك ، والبركة كثرة الخير ودوامه ، وليس فى بيوت العالم أبرك ولا أدوم ولا أنفع منه للخلائق .

ثالثها : أنه هدى ، ووصفه بالمصدر مبالغة حتى كأنه هو نفس الهدى .

رابعها : ما تضمنه من الآيات البينات ، قال : وهى تزيد على أربعين آية ، وعسى أن يعين الله على تتبعها وبيانها .

خامسها : الأمن لداخله .

وفى وصفه بهذه الصفات دون إيجاب قصده ، ما يبعث النفوس على حجة ، وان شطت بالزائرين الديار ، وتناءت بهم الأقطار ، ثم اتبع ذلك بصريح الوجوب المؤكد بتلك التأكيدات ، وهذا يدلك على الإعتناء منه ـ سبحانه ـ بهذا البيت العظيم ، والتنويه بشأنه ، والتعظيم لأمره والرفعة من قدره ، ولو لم يكن له من شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله : ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ (البقرة الآية/١٢٥) لكفى بهذه الإضافة فضلا وشرفا .

وهذه الاضافة هى التى أقبلت بقلوب العالمين إليه ، وسارت نفوسهم حبا له وشوقا إلى رؤيته ، فهو المثابة للمحبين ، يثوبون إليه ، ولا يقضون منه وطرا أبدا ، كلما ازدادوا له زيارة ، ازدادوا له حبا وإليه اشتياقا ، فلا الوصال يشفيهم ، ولا البعاد يُسْليهم ، وتمثل بشعر فيه حرارة الشوق وصدق الحب أذكر منه .

أبت غليات الشوق إلا تقربا
إليك ، فمالى بالبعاد يدان
وما كان بعدى عنك بَعْدَ ملالة
ولى شاهد من مقلتى ولسانى
دعوت اصطبارى عنك بعدك والبكا
فَلَبّى البكا ، والصبر عنك جفانى

وبعد :

فليكن مسك الختام بعد هذا التطواف ، وقفة مع الإمام ابن الجوزى فى كتابه (المدهش) فى علوم القرآن والحديث واللغة وعيون التاريخ والوعظ من ١٤٠ ـ ١٤٥ لقد فرق بين يوم (وأذن فى الناس بالحج) ويوم (ألست بربكم) ١٧٢/الأعراف وقال مع من قال :

لما رأيت مناديهم ألَمَّ بنا
شددت مئزر إحرامى ولبيتُ
وقلت للنفس : جدى الآن واجتهدى
وساعدينى ، فهذا ما تمنيت
لو جئتكم زائرا أمشى على بصرى
لم أقض حقا ، وبعض الحق أديت

وذكر المثبلى حين رأى مكة من بعيد فى حجة فقال :

أبطحاء مكة هذا الذى
أراه عيانا وهذا أنا !!!

ثم غشى عليه فلما أفاق قال :

هذه دارهم وأنت محب
ما بقاء الدموع فى الآفاق

إنه الحب وليس على المحب ملام ـ كما قالوا ـ وأكرم به حين يكون حبا فى الله لما يحب الله وأى سىء أخلق بحب المؤمنين من منزل الوحى ومشرق نور التوحيد ، ومبعث رحمة الله للعالمين صلوات الله عليه .

رسالة الحج بين المسلمين

أ.د/ محمود محمد رسلان

الحج فريضة العمر .. أحد أركان الإسلام الخمسة ومن أهم أحداث العهد المدنى إذ فرض بعد السنة الخامسة من الهجرة جاءت فريضته بالقرآن ، والسنة ، والإجماع :

أما القرآن فقوله سبحانه :﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(1)

وأما السنة فقوله ـ ﷺ ـ :

«بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»(2)

وقد أجمعت الأمة على أنه أحد الأركان الخمسة التى بنى عليها الإسلام وروى أنه لما نزل قول الله سبحانه : «ولله على الناس حج البيت» ، جمع رسول الله ـ ﷺ ـ الناس وخطبهم فقال : «إن الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا» فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون ، وكفرت به خمس ملل ، وقالوا : لا نؤمن به ولا نصلى إليه ولا نحج ، فنزل : «ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين»(3)

ولما أراد الله ـ عز وجل ـ بالناس خيرا ، ونفعا أنزل قوله ـ سبحانه ـ:

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾(4)

---

(1) آل عمران : ٩٧

(2) أخرجه الشيخان ، والترمذى ، والنسائى

(3) راجع تفسير النفى جـ ١ ص ١٧٢ الحلبى

(4) الحج : ٢٧

روى أن الخليل ــ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ــ صعد (أبا قبيس)[٥] فقال : أيها الناس حجوا بيت ربكم ، فأجاب من قدر له أن يحج من الأصلاب والأرحام : بـ «لبيك اللهم لبيك» يأتون مشاة على أقدامهم وركبانا على الإبل الضوامر من كل مكان بعيد .

قـ ـ محمد بن ياسين : قال لى شيخ فى الطواف : من أين أنت ؟ فقلت : من خراسان قال : كم بينكم وبين البيت ؟

قلت : مسيرة شهرين أو ثلاثة ، قال : فأنتم جيران البيت ، فقلت : وأنت من أين جئت ؟ قال : من مسيرة خمس سنوات ، وخرجت وأنا شاب فاكتهلت ، قلت : والله هذه هى الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة الصحيحة ثم أنشد

زر من هويت وإن شطت بك الدار
وحال من دونه حجب وأستار
لا يَمْنَعَنَّك بُعْدٌ عن زيارته
إن المحب لمن يهواه زَوَّار

«ليشهدوا منافع لهم» نكّرَ «منافع» لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة : دينية ودنيوية لا توجد فى غيرها من العبادات الأخرى ، وهذا لأن العبادة شرعت لابتلاء النفس كالصلاة والصوم ، أو بالمال كالزكاة ، وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الأثقال وركوب الأهوال وخلع الأسباب وقطيعة الأصحاب ، وهجر البلاد والأوطان ، وفرقة الأولاد والتنبيه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء ، وتأكيدا لصلة الأخوة ، وتدعيما للصلة الدينية بين مسلمى العالم ، وإدانة الاختلاف ــ بين الأمم على إختلاف أجناسها وألوانها وأقطارها ــ فى وحدة الإسلام ، فرض الله ــ سبحانه وتعالى ــ الحج على من يستطيع إليه سبيلا .

وقد أوجب الشارع الحكيم فى الحج لباسا أبيض غير مخيط عبارة عن إزار ورداء ، فيظهر المؤمنون بلباس واحد مقتدين بقرآن واحد ، وكعبة واحدة فى صعيد واحد

والقصد من الحج : إعلان شوكة الإسلام ، وأثره فى توحيد هذه الجموع الغفيرة التى جاءت من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم فى السفر : برا ، وبحرا ، وجوا .

الحج يمحق الذنوب :

روى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ : «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» رواه الشيخان .

والرفث كناية عن الجماع ، والفسق : العصيان «كيوم ولدته أمه» أى : بلا ذنب .

حجه ﷺ :

عزم ــ ﷺ ــ على الحج فى العام العاشر الهجرى ، وأمر الناس بالجهاز والاستعداد له ، فأسرع الناس إلى المدينة من كل مكان فتجمع منهم عدد كبير بلغ مائة ألف وأربعة وأربعين ألفا ، أو وأربعين وعشرين ألفا[١]

وأحرم ــ ﷺ ــ من ذى الحليفة ، فأخذ فى نداء التوحيد شعار الحج :

«لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك

(٥) جبل بمكة

(١) رحمة للعالمين : للقاضى محمد بن سليمان سلمان المنصور فورى جـ ١ ص ٢٦٦

لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»[٢] ثم توجه إلى مكة وقد انضم إلى هذا الموكب الميمون أفواج المسلمين من أنحاء الجزيرة العربية وكلما مر ـ ﷺ ـ بأكمة ، أو تل كبر ثلاثا ورفع صوته ، ولما قرب من مكة مكث (بذى طُوى) قليلا ، ثم دخل مكة بجموعه الغفيرة من أعلاها ، فطاف بالبيت نهارا ، وأعلن جلال الله ـ تعالى ـ وأفرده ـ سبحانه ـ بالتوحيد والعزة ، وبعد طواف الكعبة ، توجه إلى الصفا والمروة فصعد على قمتها ، فوحد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكبره ، متوجها نحو البيت : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

---

(٢) هذه صيغة التلبية ، وقد يخفى حكمها على بعض المسلمين ، أو ربما يشغلون عنها ببعض أمور الحياة ، ومن ثم يلزم التنويه بشأنها ، وبيان حكمها :

والتلبية من (لبيك) بمنزلة (التهليل) من «لا إله إلا الله» وَأَهَلَّ بالتوحيد من الإهلال وهو رفع الصوت بالتلبية ، ويستحب الاقتصاد على تلبية النبى ـ ﷺ ـ فإن زاد فلا بأس فقد زاد عمر ـ رضى الله عنه :

لبيك ذا النعْماء والفضل الحسن ، لبيك مرهوبا منك ومرغوبا إليك» فقه السنة ٦٢/٥

حكم التلبية : أنها مشروعة ، فعن السيدة أم مسلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «يا آل محمد من حج منكم فليهل ـ أى ليرفع صوته بالتلبية ـ فى حجه أو حجته» رواه الإمام أحمد ، وابن حبان .

ويرى الإمامان : الشافعى وأحمد أنها سنة ، ويستحب اتصالها بالإحرام ، فلو نوى النسك ولم يلبْ صح نسكه وليس عليه شيء .

ويرى الأحناف أن التلبية ، وما فى معناها كالتسبيح ، وسوق الهدى من شروط الإحرام فلو لم يحرم ، ولم يلب أو لم يسق الهدى فلا إحرام له .

فالإحرام عندهم مبنى على أنه مركب من النية ، وعمل من أعمال الحج ، فإذا نوى الإحرام وعمل عملا من أعمال النسك فَسَبَّح أو هَلَّل أو ساق الهدى ولم يلب إنعقد إحرامه ويلزمه بترك التلبية دم .

ومشهور مذهب الإمام مالك أنها واجبة يلزم بتركها أو ترك إتصالها بالإحرام مع طول المدة : دم .

وعن الزيادة فى التلبية أيضا قال نافع :

وكان عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ يزيد فيها فيقول : «لبيك لبيك ، لبيك وسعديك ـ أى إسعادا بعد إسعاد من المساعدة والمرافقة على الشيء ـ والخير بيديك لبيك والرغباء ـ أى الطلب والمسألة ، والمعنى : الرغبة إلى من بيده الخير ـ إليك ، والعمل».

فضل التلبية :

روى ابن ماجة عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ : «ما من محرم يُضْحى يومه ـ أى يظل يومه ـ يلبى حتى تغيب الشمس إلا غابت ذنوبه فعاد كما ولدته أمه». أى مغفوراً له .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ : «ما أهل مهل إلا بُشِّر ، ولا كبر مكبر قط إلا بُشِّر» قال : يانبى الله : بالجنة ؟ قال : «نعم» رواه الطبرانى ، وسعيد بن منصور .

استحباب الجهر بالتلبية :

عن زيد بن خالد : أن النبى ـ ﷺ ـ قال : «جاءنى جبريل عليه السلام فقال : مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية ، فإنها من شعائر الحج».

رواه ابن ماجة ، وأحمد ، وابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وقتها :

يبدأ المحرم بالتلبية من وقتِ الإحرام ، ثم رمى جمرة العقبة يوم النحر ، بأول حصاة ثم يقطعها ، فإن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يزل يلبى حتى بلغ الجمرة . رواه الجماعة .

وهذا مذهب الثورى ، والأحناف والشافعى وجمهور العلماء .

وقال الإمام أحمد وإسحاق : يلبى حتى يرمى الجمرات جميعها ثم يقطعها .

وقال الإمام مالك : يلبى حتى تنزول الشمس من يوم عرفة ثم يقطعها .

هذا بالنسبة لمن أحرم بالحج وحده ، وعلى المسلم أن يتخير أحد هذه الأقوال .

وأما المعتمر فيلبى حتى يستلم الحجر الأسود .

وعن ابن عباس رضى الله عنه : «أن النبى ـ ﷺ ـ كان يمسك عن التلبية فى العمرة إذا استلم الحجر»

رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

راجع فقه السنة جـ ٥ ص ٨٨ وما بعدها .

وفى التاسع من ذى الحجة نزل النبى ـ ﷺ ـ (وادى نمرة) بعد طلوع الشمس ـ ويقع هذا الوادى بين : عرفات ومزدلفة ـ وأتى بعد زوال الشمس من يوم عرفة ، وكانت عرفة قد امتلأت بالناس الذين حرصوا على شهود الحج مع رسول الله ـ ﷺ ـ وكل منهم يكبر ويهلل ، ثم خطب فيهم خطبته المشهورة بخطبة حجة الوداع ، هذه الخطبة الجامعة المانعة ، جمعت بين : المبادىء والأصول التى يضمن العمل بها للمسلمين العزة والنجاح فى الدنيا والآخرة ، وترك العمل بها يورث الخسران والخيبة(٦)

ولما فرغ النبى ـ ﷺ ـ من خطبته نزلت الآية الكريمة «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا»(٧)

ثم أذن للظهر ، فقام فصلى ، ثم أقام فصلى العصر بدون فاصل بينهما ، ثم ركب ـ ﷺ ـ حتى أتى (الموقف) فلم يزل واقفا حتى غاب قرص الشمس ، ودفع ـ ﷺ ـ حتى أتى (المزدلفة) فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا ، ثم اضطجع ـ ﷺ ـ حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتى (المشعر الحرام) فاستقبل القبلة فدعا الله سبحانهٔ وكبره وهلله ، ووحده حتى أسفر النهار ، فدفع قبل أن تطلع الشمس فأتى (بطن محسِّر) حتى أتى (الجمرة الكبرى) فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة وهى مثل حصى الخذف ، رمى من بطن الوادى أى بحيث تكون (منى وعرفات والمزدلفة) عن يمينه ، و(مكة) عن يساره .

ثم إنصرف إلى (المنحر) فنحر ثلاثا وستين بيده ـ ﷺ ـ ثم أعطى عليًا ـ رضى الله عنه ـ ما بقى من المائة لينحرها ، فكان مجموع ما نحره ـ ﷺ ـ فى حجته تلك مائة بدنة .. وكان ذلك بمنى ، وهى منحر منذ عهد إبراهيم الخليل ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ ثم أمر من كل بدنة بقطعة من اللحم ، فجعلت فى قدر فطبخت ، فأكلا ـ أى : رسول الله ـ ﷺ ـ وعلى ـ رضى الله عنه ـ وشربا من مرقها .

ثم ركب رسول الله ـ ﷺ ـ فطاف بالبيت فصلى الظهر بمكة ، واقتدى الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ بفعل رسول الله ـ ﷺ ـ ثم إن الحاج بعد أن يحلق أو يقصر بعد نحره يرجع إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ، وهو الذى يقال له : طواف الزيارة ، فيحل له كل شىء حتى النساء ، أما إذا رمى جمرة العقبة ولم يطف هذا الطواف فإنه يحل له كل شىء ماعدا النساء .

وبعد إعلان التوحيد والعمل به ، وبعد البلاغ والوداع فى جمع غفير من أمته رجع ـ ﷺ ـ المدينة منشرح الصدر قرير العين لما وصل إليه من توفيق الله ـ عز وجل ـ ولما وصل إليه من تبليغ الدعوة ونجاح الرسالة التى قامت على الحب والإخلاص ، والخير ومصلحة الناس أجمعين .

والله ولى التوفيق

المراجع :

(١) حجة الله البالغة : للشاه ولى الله الدهلوى .

(٢) رحمة للعالمين : للقاضى محمد سليمان سلمان المنصور فورى ـ بومباى ـ الهند

(٣) السيرة النبوية لابن هشام .

(٤) فقه السنة : للشيخ سيد سابق الجزء الخامس ط دار الكتاب العربى القاهرة .

---

(٦) سأفرد هذه الخطبة ببحث خاص إن شاء الله تعالى .

(٧) المائدة : ٣ .

صلح الحديبية

-٣-

الإشهاد على الصلح

د/ محمد عبدالعليم العدوى

فرغ رسول الله - ﷺ - من الكتاب وأشهد على الصلح رجالًا من المسلمين ، ورجالًا من المشركين .

من المسلمين :

١ - أبوبكر الصديق
٢ - عمر بن الخطاب
٣ - عثمان بن عفان
٤ - عبدالرحمن بن عوف
٥ - سعد بن أبى وقاص
٦ - أبو عبيدة بن الجراح
٧ - محمد بن مسلمة الأنصارى
٨ - على بن أبى طالب كاتب الصلح

ومن المشركين :

١ - حويطب بن عبدالعزى
٢ - ومكرز حفص بن الأصيف

وكتب ذلك على صدر الكتاب ، فلما كتب الكتاب قال سهيل : يكون عندى وقال رسول الله ﷺ بل عندى ، فاختلفا ، فكتب له نسخة ، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب الأول وأخذ سهيل نسخته ، وكان عنده[1]

---

(١) مغازى الواقدى ح١ ص٦١٢ .

قوموا فانحروا ثم احلقوا :

أقام رسول الله ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوما ويقال : عشرين ليلة وكان عليه الصلاة والسلام ضارباً خيامه فى الحل ويصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصلح وانطلق سهيل بن عمرو وأصحابه ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فانحروا واحلقوا فلم يجبه منهم رجل إلى ذلك ، فقالها رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك يأمرهم .

فلم يفعل واحد منهم ذلك ، فانصرف رسول الله ﷺ حتى دخل على أم سلمة زوجته مغضبا شديد الغضب ، وكانت معه فى سفره ذلك ، **فاضطجع فقالت : مالك يارسول الله ؟ مرارا لايجبنى .. عجباً يا أم سلمة .. انى قلت للناس انحروا واحلقوا مرارا فلم يجبنى أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون فى وجهى .**

ولعل توقف الصحابة رضوان الله عليهم عن المبادرة لأمر رسول الله ﷺ ، ظنهم أن الأمر بذلك للندب ، أو لرجاء نزول الوحى بإبطال الصلح المذكور ، أو تخصيصه بالأذن بدخول مكة أو لاعتقادهم أن الأمر المطلق لايقتضى الفور .

وجلى الله عن المسلمين بأم سلمة :

حيث قالت رضى الله عنها لرسول الله ـ ﷺ ـ : أتحب ذلك ؟ أخرج ثم لاتكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج ﷺ ، فلم يكلم أحداً منهم حتى نحر بدنه (هديه) ودعا حالقه فحلقه .

فلما رأى الصحابة ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا[٢] .

قربوا أوعيتكم :

انصرف رسول الله ﷺ ومن معه من الحديبية ـ قافلين إلى المدينة المنورة سالكين مر الظهران (وادى فاطمة) ثم عسفان وكان المسلمون قد أرملوا[٣] من الزاد ، وذلك لطول مقامهم بالحديبية وإحصارهم فيها ، فشكا الناس إلى رسول الله ﷺ مابهم من شدة الجوع ، وفى الناس ظهر فقالوا لرسول الله ﷺ ننحر منها ، فأذن لهم رسول الله ﷺ .

مشورة عمر بن الخطاب :

وعلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك فأتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، لاتفعلوا فإن يك فى الناس بقية ظهر يكن أمثل ، ولكن ادعهم بأزوادهم ثم ادع الله فيها .

فأمر رسول الله ﷺ ، بالأنطاع فبسطت ، ثم نادى مناديه : من كان عنده بقية من زاد فلينثره على الأنطاع . قال أبو شريح الكعبى : فلقد رأيت من يأتى بالثمرة الواحدة ، وأكثرهم لايأتى بشىء ، ويأتى بالكف من الدقيق والكف من السويق وذلك كله قليل ، فلما اجتمعت أزوادهم وانقطعت موادها ، مشى رسول الله ﷺ إليها فدعا فيها بالبركة ، ثم قال : قربوا أوعيتكم ، فجاءوا بأوعيتهم قال أبو شريح : فأنا حاضر فيأتى الرجل فيأخذ ما شاء من الزاد ، حتى ان الرجل يأخذ ما لا يجد له محملاً ، ثم أذن رسول الله ﷺ بالرحيل ، فلما ارتحلوا مطروا ما شاءوا وهم صائغون ، فنزل رسول الله ونزلوا معه ، فشربوا

(٢) حجة الوداع وعمرات رسول الله ﷺ للكاند هلوى ص٢٧٣ ، زاد المعاد ص٢٩٥ مغازى الواقدى ج٢ ص٦١٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٦٩ .

(٣) أرمل القوم : إذا نفد زادهم (الصحاح ، ص١٨١٣)

من الماء ، فقام رسول الله ﷺ فخطبهم ، فجاء ثلاثة نفر ، فجلس اثنان مع النبى ﷺ ، وذهب واحد معرضا ، فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فتاب ، فتاب الله عليه ، وأما الثالث فأعرض ، فأعرض الله عنه[٤] .

صلح الحديبية كما يصوره القرآن الكريم :

قال البخارى : حدثنا عبدالله بن يوسف : أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ ، كان يسير فى بعض أسفاره — فى منصرفه من الحديبية ، وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلا ، فسأله عمر بن الخطاب عن شىء فلم يجبه رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كل ذلك لا يجيبه ، قال عمر : فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن يكون نزل فىّ قرآن ، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال : لقد أنزلت علىّ الليلة سورة هى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس . ثم قرأ (إنا فتحنا لك فتحاً مبياً) .

جعل سبحانه وتعالى ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة ، وما آل اليه ، كما روى ابن مسعود رضى الله عنه وغيره أنه قال : إنكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية وقال الأعمشى عن أبى سفيان عن جابر رضى الله عنه قال : ما كنا نعد الفتح الا يوم الحديبية ، وقال البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء رضى الله عنه قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا عمر عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : نزلت على النبى ﷺ (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ليلة مرجعه من الحديبية قال النبى ﷺ «لقد أنزلت على الليلة آية احب الى مما على الأرض» ثم قرأها عليهم النبى ﷺ فقالوا : هنيئا مريئا يانبى الله بَيَّن الله عز وجل ما يفعل بك فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه ﷺ (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار حتى بلغ — فوزاً عظيماً)[٥] .

وحقيقة الأمر أن الفتح — فى اللغة — فتح المغلق ، والصلح الذى حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدوداً مغلقاً حتى فتحه الله . وكان من أسباب فتحه صد رسول الله وأصحابه عن البيت وكان فى الصورة الظاهرة ضعفا وهضما للمسلمين ، وفى الباطن عزاً وفتحاً ونصراً ، وكان رسول الله ﷺ ينظر إلى ما وراءه من الفتح العظيم والعز والنصر من وراء ستر رقيق ، وكان يعطى المشركين كل ما سألوه من الشروط التى لم يحتملها أكثر أصحابه ورؤوسهم ، وهى ﷺ يعلم فى ضمن هذا المكروه من محبوب ..

وكان هذا الفتح المبين سببا لما ذكره المولى سبحانه وتعالى من المغفرة لرسول الله ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وهذا من خصائصه ﷺ التى لا يشاركه فيها غيره ..

وليتم نعمته عليه ولهدايته الصراط المستقيم ، ونصره النصر العزيز ، ورضاه به ، ودخوله تحته ولهذا ذكره الله سبحانه جزاء وغاية . وإنما يكون ذلك على فعل قام بالرسول والمؤمنين عند ضمه تعالى ، وفتحه .

---

(٤) مغازى الواقدى ج٢ ص٦١٧ .

(٥) تفسير ابن كثير — سورة الفتح .

ويتم عليك ، ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصراً عزيزاً ، أى بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك ..

ثم يذكر سبحانه وتعالى . كيف جعل الطمأنينة والوفاء فى قلوب أصحابه ﷺ يوم الحديبية حيث استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكم الله ورسوله ، فلما أطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيمانا مع إيمانهم ..

ثم ذكر سبحانه وتعالى أنه لو شاء لانتصر من الكافرين فلا يعلم جنود ربك إلا هو وقد سبق فى غزوة بدر ، كيف نصر الله المؤمنين وخذل الكافرين .. وكيف استجاب دعاءهم وأمدهم بالملائكة مردفين .. ولكنه سبحانه وتعلى شرع لعباده الجهاد والقتال ، لما له فى ذلك من حكمة بالغة وحجة قاطعة ، وبراهين ساطعة ، فالله عليم حكيم .. ولكى يمن على المؤمنين والمؤمنات ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ويمحو خطاياهم وذنوبهم ، فلا يعاقبهم عليها ، بل يعفو ويصفح ويستر ويرحم ويشكر . أما المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات الذين يتهمون الله تعالى فى حكمه ، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه ـ رضى الله عنهم ـ أن يقتلوا ، ويذهبوا بالكلية ، فان الله يعذبهم عذاباً شديداً ، ويجعل دائرة السوء عليهم ويلعنهم ويبعدهم من رحمته .

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾

ثم ذكر سبحانه وتعالى أنه أرسل رسوله محمداً ﷺ شاهداً على الخلق ومبشراً للمؤمنين ، ونذيراً للكافرين .. ليصدق به المؤمنون ويعظموه ويحترموه ويجلوه ويسبحون الله بكرة وأصيلا ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ .

ثم ذكر سبحانه بيعتهم لرسوله ﷺ أكدها بكونها بيعة له سبحانه وتعالى وأن يده تعالى كانت فوق أيديهم ، إذ كانت يد رسول الله ﷺ كذلك وهو رسوله ونبيه ، فالعقد معه عقد مع مرسله ، فمن بايعه فكأنما بايع الله **﴿يد الله فوق أيديهم﴾** فهو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم إسرارهم وإعلانهم ، أما من نكث فيعود وبال نكثة على نفسه . والله غنى عنه وأن للموفى للبيعة أجراً عظيماً .

حال المخلفين من الأعراب :

ثم ذكر سبحانه وتعالى حال من تخلف عنه من الأعراب وظنهم أسوأ الظن بالله أنه يخذل رسوله وأولياءه وجنده ، ويظفر بهم عدوه ، فلن ينقلبوا إلى أهليهم ، وذلك من جهلهم بالله وأسمائه وصفاته ، وما هو أهل أن يعامله به ربه ومولاه .

ويخبر رسوله ﷺ بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المقام فى أهليهم وشغلهم

وتركوا المسير مع رسول الله ﷺ فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا أن يستغفر لهم الرسول ﷺ وذلك قول منهم لاعلى سبيل الاعتقاد بل على وجه التقية والمصانعة (يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم) .

ثم ذكر سبحانه وتعالى : أن من لم يخلص العمل فى الظاهر والباطن معه ، فإن الله تعالى سيعذبه فى السعير ، وإن أظهر للناس مايعتقدون خلاف ما هو عليه فى نفس الأمر وإنه تعالى الحاكم المالك المتصرف فى أهل السموات والأرض ..

ثم يقول تعالى : مخبرا عن الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى عمرة الحديبية ثم طلبوا منه ﷺ أن يتبعوه فى فتح خيبر حيث الغنائم الكثيرة .. لكن الله سبحانه أمر رسوله ﷺ أن يأذن لهم فى ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم ، فقد وعد سبحانه أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لايشاركهم فيها غيرهم من الأعراب .

وأن يقول لهم (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) بمعنى شرع لكم جهادهم وقتالهم ، فلا يزال مستمرا عليهم ولكم النصرة عليهم ثم قال سبحانه : فان تطيعوا «أى تستجيبوا وتنفروا فى الجهاد وتؤدوا الذى عليكم فيه (يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليما) .

ثم ذكر عز وجل : الأعذار فى ترك الجهاد ، فمنها لازم كالعمى ، والعرج المستمر ، وعارض كالمرض ثم قال تبارك وتعالى : مرغياً فى الجهاد والبذل وطاعة الله ورسوله ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾

ومن يتول أى ينكل عن الجهاد ويقبل على المعاش (يعذبه عذاباً أليماً) فى الدنيا بالمذلة وفى الآخرة بالنار والله تعالى أعلم .

لقد رضى الله عن المؤمنين ...

ثم يخبر عز وجل : عن رضاه عن المؤمنين بدخولهم تحت البيعة لرسوله ﷺ ، وأنه سبحانه علم ما فى قلوبهم حيئذ من الصدق والوفاء ، وكمال الانقياد والطاعة ، وإيثار الله ورسوله على ماسواه ، فأنزل الله السكينة والطمأنينه والرضى فى قلوبهم وأثابهم على الرضى بحكمه والصبر لأمره فتحاً قريباً «ومغانم كثيرة يأخذونها» وكان أول الفتح والمغانم فتح خيبر وغنائمها . ثم استمرت الفتوح والمغانم إلى انقضاء الدهر[٦] .

ووعدهم المولى سبحانه وتعالى مغانم كثيرة يأخذونها وأخبرهم أنه عجل لهم هذه الغنيمة وفيها قولان . أحدهما أنه صلح الحديبية والثانى فتح خيبر وغنائمها . ثم قال (وكف أيدى الناس عنكم) فقيل أيدى أهل مكة أن يقاتلوهم وقيل أيدى اليهود .. وقيل هم أهل خيبر وخلفاؤهم والصحيح تناول الآية للجميع .. (ولتكون أية للمؤمنين) .. فمن أيات الله سبحانه كف أيدى أعدائهم عنهم فلم يصلوا اليهم بسوء مع كثرتهم ، وشدة عداوتهم ، وتولى حراستهم فى مشهدهم ومغيبهم .. ثم قال : (ويهديكم صراطاً مستقيماً) فجمع لهم إلى النصر والظفر والغنائم الهداية ، فجعلهم مهديين غانمين .

ثم أخبر عز من قائل : أن الكفار لو قاتلوا أولياء الله لَوَلّى الكفار الأدبار غير منصورين وان هذه سنته فى عباده قبلهم ولا تبديل لسنته .

ثم ذكر عز وجل : أنه سبحانه هو الذى كف

(٦) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ص٣١٢ .

أيدى بعضهم عن بعض بأن أظفر المؤمنين بهم لما له فى ذلك من الحكم البالغة التى منها : أنه كان فيهم رجال ونساء قد آمنوا ، وهم يكتمون إيمانهم ، لم يعلم بهم المسلمون ، فلو سلطكم عليهم ، لأصبتم أولئك بمعرة الجيش ، وكان يصيبكم منهم معرة العدوان والإيقاع بمن لايستحق الايقاع به .

وأخبر سبحانه انهم لوزايلوهم وتميزوا منهم ، لعذب أعداءه عذاباً أليماً فى الدنيا إما بالقتل والأسر ، وإما بغيره ، ولكن دفع عنهم هذا العذاب لوجود هؤلاء المؤمنين بين أظهرهم ، كما كان يدفع عنهم عذاب الاستئصال ، ورسوله بين أظهرهم .

ثم بين سبحانه كيف جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية الجاهلية التى لأجلها صدوا رسوله ﷺ وعباده عن البيت ، وأبوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وأن يكتبوا هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله . مع تحقيقهم صدقه ، وتيقنهم صحة رسالته بالبراهين التى شاهدوها وسمعوا بها فى مدة عشرين سنة .

ثم أخبر سبحانه أنه أنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين .. فكانت السكينة حظ رسوله وحزبه . وحمية الجاهلية حظ المشركين وجندهم . ثم ألزم عباده المؤمنين كلمة التقوى وهى جنس يعم كل كلمة يتقى بها الله وأعلى نوعها كلمة الاخلاص ، وقد فسرت ببسم الله الرحمن الرحيم . وكان المسلمون أحق بها وأهلها (وكان الله بكل شىء عليماً) اى هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر) .

(لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ... الآية)

ثم أخبر سبحانه : أنه صدَّق رسوله رؤياه فى دخولهم المسجد آمنين ، وأنه سيكون ولابد ولكن لم يكن قد آن وقت ذلك فى هذا العام . والله سبحانه علم من مصلحة تأخيره الى وقته ما لم تعلموا أنتم ، لكن أحببتم استعجال ذلك ، والرب تعالى يعلم من مصلحة التأخير وحكمته ما لم تعلموه تعالى يعلم من مصلحة التأخير وحكته ما لم تعلموه فقدم بين يدى ذلك فتحاً قريباً ، توطئة له وتمهيداً .

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ... الآية) :

ثم أخبر عز من قائل . أنه هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فقد تكفل الله لهذا الأمر بالتمام والإظهار على جميع أديان أهل الأرض ، ففى هذا تقوية لقلوبهم ، وبشارة لهم وتثبيت ، وأن يكونوا على ثقة من هذا الوعد الذى لابد أن ينجزه ، فلا تظنوا أن ما وقع من الإغماض والقهر يوم الحديبية نصرة لعدوه ولاتخليا عن رسوله ودينه ، كيف وقد أرسله بدينه الحق ، ووعده أن يظهره على كل دين سواه .

(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ... الآية) :

يخبر تعالى : عن محمد ﷺ أنه رسوله حقا ولا ريب ، ويثنى على أصحابه رضوان الله عليهم ويمدحهم أحسن المدح ، وذكر صفاتهم فى التوراة والإنجيل ، فكان فى هذا أعظم البراهين على د ق من جاء بالتوراة والإنجيل والقرآن .

وأن هؤلاء هم المذكورون فى الكتب المتقدمة بهذه الصفات المشهورة فيهم لاكما يقول الكفار عنهم .. أنهم متغلبون طالبوا ملك ودنيا .

« أشداء على الكفار رحماء بينهم » وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار رحيماً براً بالأخيار .

«تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا» وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة، وهى خير الأعمال . ووصفهم بالإخلاص فيها عز وجل، والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل، وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم، وهو أكبر من الأول، كما قال جل وعلا (ورضوان من الله أكبر) .

«سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ» يعنى السمت الحسن أو الخشوع والخضوع .

فصحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم . خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر اليهم أعجبوه فى سمتهم وهديهم .

قال مالك رضى الله عنه بلغنى ان النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضى الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا .

وصدقوا فى ذلك فان هذه الأمة معظمة فى الكتب المتقدمة، وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم فى الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ولهذا قال سبحانه وتعالى هنا (ذلك مثلهم فى التوراة) ثم قال (ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأة) أى فراخه .

(فآزره) أى شده (واستغلظ) أى شبَّ وطال (فاستوى على سوقه يعجب الزراع) أى فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه .

فهم معه كالشطء مع الزرع (ليغيظ بهم الكفار) ومن هذه الآية انتزع الامام مالك رحمه الله فى رواية عنه بتكفير الروافض ينقصون الصحابة رضى الله عنهم قال لانهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضى الله عنهم فهو كافر لهذه الآية .

ووافقه طائفة من العلماء رضى الله عنهم على ذلك، والاحاديث فى فضلهم كثيرة ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم .

ثم قال تبارك وتعالى (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً)[٧] أى لذنوبهم (وَأَجْرًا عَظِيمًا) أى ثوابا جزيلا ورزقا كريما ووعد الله حق وصدق لايخلف ولا يبدل وكل من اقتفى أثر الصحابة رضى الله عنهم فهو فى حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذى لايلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل .

قال مسلم فى صحيحه .. حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمشى عن ابى صالح عن أبى هريرة رضى الله عته قال : قال رسول الله ﷺ .. لاتسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مقل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه[٨] .

وفى صحيح البخارى قال جابر بن عبدالله .قال لنا رسول الله ﷺ انتم خير أهل الأرض وكنا ـ أى يوم الحديبية ألفا وأربعمائه، ولو كنت أبصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة[٩] .

وفى حديث آخر قال النبى ﷺ : ياأيها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية وقال ابن عبدالبر فى غزواته : مايعدل بدراً أو يقرب منها الا غزوة الحديبية .

---

(٧) من هذه لبيان الجنس .

(٨) تفسير بن كثير جـ٤ تفسير سورة الفتح .

(٩) وقد قطعها عمر رضى الله عند أيام خلافته أنظر طبقات ابن سعد .

وحدة الرسالات الإلهية

بقلم فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان *

كان من رحمة الله بالناس أن أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب لكيلا يضل الإنسان أو يزل ، ولكى يتحصَّن بالإيمان السليم من أخطار الذنوب والعيوب ، وليؤمِّن نفسه من التردى فى مهاوى الفساد والتهلكة ، لذلك فرضت متابعة الدعوة إلى الهداية ، منذ أن بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والله يقول :

﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء ١٦٥].

ورسالات الله كلها فى شتى العصور والدهور واحدة فى العقيدة والهدف ، أما العقيدة فقد كان كل واحد من رسل الله ـ يوحَى إليه ـ بعقيدة التوحيد التى لا تتعارض مع الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها . وأما الهدف فقد كانت رسالاتهم عليهم السلام تنشد الإصلاح لحماية المجتمع من الإلحاد والوثنية وفساد الأخلاق .

قال الله عز وجل :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ (٢٥) ﴾ سورة الأنبياء

وقد أوجب الله على عباده أن يهتدوا بهديه منذ أسكنهم فى أرضه ومكنهم فيها وجعل لهم فيها معايش فقال تعالى :

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة ٣٨] .

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) ﴾ [سورة طه ١٢٣].

وذلك لان الرسالات الإلهية تربى إنساناً لا تستعبده الأهواء ولا تسترقه نزواته وشهواته ليتجه إلى ربه الذى خلقه ورزقه فلا إله غيره ولا رب سواه : ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا (٩٨) ﴾ [سورة طه ٩٨] .

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ (٤) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ (٥) ﴾ الصافات

القرآن يبين لنا أن رسالات الله واحدة

قد أوجب الله على المسلمين ألّا يفرقوا بَيْنَ أحد من رسل الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، وأن يؤمنوا بهم وبكتبهم التى أنزلها الله عليهم ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة ١٣٦] .

* مدير عام إدارة الوعظ والارشاد سابقاً .

وقال جل جلاله :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾

[سورة الشورى ١٣]

وكان لكل نبى شرعة ومنهاج يوحى به إليه لإصلاح قومه ومجتمعه الذى أرسل إليه ، وكانت رسالاتهم واحدة فى الدعوة إلى توحيد الله وطاعته :

وفى هذا ارتباط بين رسالة كل منهم ورسالة خاتمهم سيدنا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وليس بعد رسالة محمد رسالة وليس بعد القرآن كتاب والله يقول :

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ ﴾ [سورة الأنعام ٩٣] . فمن ادعى الوحى أو الرسالة بعد الرسالة المحمدية فهو كذاب أفاك معتد أثيم ، والله يقول : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾

سُورَةُ الرَّعْدِ

والصراع بين رسل الله وبين أعداء الحق موجود من قديم الزمان ، ولكن الحق قوى وله أنصار صدقوا ما عاهدوا الله عليه :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾

[سورة الأعراف ٤٢ ــ ٤٣].

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة غافر ٥١].

«والتوحيد رسالة نوح عليه السلام»

كان نوح عليه السلام يدعو قومه إلى توحيد الله ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم ليلًا ونهاراً سراً وجهارا فمكروا مكراً كبارا وأصروا على عنادهم وكفرهم ، **وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ** ولكن الحق ثابت : وللباطل نهاية : والله يقول .

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة العنكبوت ١٤ ــ ١٥].

وهو الذى كان يقول لقومه : ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [سورة الأعراف ٥٩].

وهود عليه السلام دعا قومه إلى الوحدانية وبيَّن لهم أن الله واحد لا شريك له لا إله إلا هو الرحمن الرحيم فقال لهم كما جاء فى القرآن :

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [سورة الأعراف ٦٥].

وجاء سيدنا صالح بعد هود بدليل قوله تعالى :

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ ﴾ وكان عليه السلام يقول لثمود وقومه : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾ [سورة الأعراف ٧٣].

وقد دعا شعيب عليه السلام قومه إلى الإسلام وعقيدته التوحيد كما كان عليه الرسل عليهم

السلام : وإلى مدين أخاهم شعيبا ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [سورة الأعراف ٨٥].

وإبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً

لقد طلب سيدنا إبراهيم من ربه أن يجعله وابنه إسماعيل عليهما السلام مُسْلِمَيْن لله فقال داعياً ضارعاً خاشعاً : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ . . . . ﴾ [سورة البقرة ١٢٨] .

ويقول الله فى سيدنا إبراهيم عليه السلام تكريماً وتقديراً له ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ سورة البقرة

« يوسف عليه السلام »

ويوسف عليه السلام كان يدعو إلى توحيد الله وهو فى السجن وقد طلب من الله أن يميته على الإسلام ، فقال : رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [سورة يوسف ١٠١] وأما توجيه الدعوة لله لمن كان معه فى السجن فقد حكاه القرآن الكريم فى قوله عز وجل على لسان يوسف عليه السلام : ﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [سورة يوسف : ٣٩].

وكان لوط عليه السلام مؤمناً بالإسلام وكان يدعو إليه قومه ، كما جاء فى القرآن الكريم :

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾

[سورة الشعراء ١٦٠ – ١٦٢]

وقد وصف الله نبيه إسماعيل عليه السلام بأنه كان رسولًا نبياً كما جاء فى القرآن الكريم :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾

[سورة مريم ٥٤]

« إلياس عليه السلام »

وكان إلياس عليه السلام من المرسلين بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [سورة الصافات

وقد لقى كغيره من الرسل من عتاد المجرمين وكبرهم وتكذيبهم ما لقى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة الفرقان ٣١].

والله يقول فى هؤلاء المجرمين :

﴿ يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ

[سورة يس]

وفى قول إلياس لقومه ألا تتقون ؟ دعوة تشمل العقيدة الصحيحة التى جاء بها النبيون من ربهم وهى الإيمان بالله وحده وطاعته فى كل أوامره ومراقبته سراً وعلانية ، وتلك هى مهمة جميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام .

« واليسع عليه السلام »

وكان اليسع عليه السلام من المفضلين على العالمين ، وقد جاء عقب إلياس فسار على منهجه ، ودعا قومه للإيمان بالله وحده والله يقول :

﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة ص

ويقول جل جلاله :

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [سورة

وكانت دعوته إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام كإخوانه من المرسلين عليهم السلام أجمعين فى دعوتهم .

« ويونس عليه السلام من المرسلين

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصافات

والله يقول : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ ﴾ . [سورة النساء

وفى القرآن الكريم سورة باسم نبى الله يونس عليه السلام وكانت رسالته الدعوة إلى التوحيد ، فهو القائل ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك** ﴾ .

وفى قول الله عز وجل : ﴿ **وإن يونس لمن المرسلين** ﴾ أمر صريح بوجوب الإيمان برسالته كما يجب الإيمان برسالة كل رسول من رسل الله .

وزكريا ويحيى عليهما السلام

قال الله عز وجل : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة الأنعام ٨٥]

وقد عاصر زكريا عليه السلام مريم أوالمسيح عليه السلام ، وكان كفيلها ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [سور آل عمران ٣٧] وكانت رسالته قبل ولادة عيسى عليه السلام . وكان كل من زكريا ويحيى من أنبياء بنى إسرائيل الذين أوحى الله إليهم ليقوموا بالدعوة إلى الإيمان بالله ورسله :

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ [سورة مريم ١١] والله يقول ليحيى عليه السلام :

﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة مريم ١٢ — ١٥]

داود وسليمان عليهما السلام فى دعوتهما إلى التوحيد

أوحى الله إلى داود عليه السلام فقال له :

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سور ص : ٢٦] .

ويرسل سليمان عليه السلام ـ خطابا لبلقيس ملكة سبأ فيقول :

﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النمل : ٣١] .

ولما رأت المعجزات واضحة جلية قالت :

﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة النمل : ٤٤] .

لقد أمنت حقا بالدعوة الحقة الى توحيد الله التى جاء بها رسل الله من عند الله فأسلمت لله رب العالمين والله يهدى اليه من يريد على يد رسله الكرام البررة الذين اصطفاهم واجتباهم واختارهم لاضخم الرسالات صلوات الله وسلامه عليهم .

حُجَّة بَالِغَةٌ

ولقد منح الله رسله الحجج البالغة والبراهين الساطعة والمعجزات الخارقة والأدلة الناطقة تأييدا لهم وتثبيتاً لرسالتهم ، وكانت الكتب المنزلة عليهم شِرْعَةً ومنهجاً : والله يقول :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾ [سورة الأنعام ـ ٨٣ ـ ٨٨]

ورسل الله صلوات الله وسلامه عليهم رباهم مولاهم واصطفاهم واجتباهم وأعدهم إعداداً خاصاً فكانوا ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ . وكان سيدنا موسى عليه السلام قد طلب من الله أن يرسل مع أخاه هارون ليكون له من أهله وزيراً ونبياً مرسلًا معه فحقق الله رجاءه وشد به أزره . والله يقول :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة مريم ـ ٥٣].

وعيسى عليه السلام رسول الله لبنى إسرائيل

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾

[سورة الصف ــ ٦]

وفى تاريخ رسل الله نجد الناس صوراً مكررة وصحفاً مصورة والناس هم الناس ، وكل رسول كان حريصاً على إيمان قومه يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة ومع وضوع الأدلة وشهادة البينات ، فقد آمن من آمن وكفر من كفر فغلبت عليه شقوته وسفه نفسه وهذه نماذج قرآنية تقص ما حدث :

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة الشعراء

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة الشعراء

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة الشعراء

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة الشعراء

إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [سورة الشعراء

وكل رسول كان يقول لقومه ، [لا إله إلا الله] وكان يقول : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ، ويقول إن أجرى إلا على رب العالمين ، ومنهم من كان يقول لقومه ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [سورة الشعراء ١٥١ ، ١٥٢]

قالها سيدنا صالح لقساة القلوب وغلاظ الأكباد مع أن الله أكرمهم كثيراً وجعلهم خلفاء من بعد عاد ، وبوَّأهَمْ فى الأرض ولكنهم بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار :!! فذاقوا وبال أمرهم وكان عاقبة أمرهم خسرا !!

وجاء دور الإسلام الخالد

بعد أن علمنا أن رسالات الله واحدة نبين أن الرسول آمن بما أنزل إليه من ربه كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ...﴾

[سورة البقرة ــ ٢٨٥]

ثم لم الخلاف الذى اصطنعه الناس مع علمهم بأن ذلك يجافى روح الإيمان وما أجمل قول القائل :

« موسى وعيسى والنبى
محمد كرهوا الخصام »
« ونهوا عن البغضاء فهى
على بنى الدنيا حرام »
« فلم التفرق يا أخى
ولم الخلاف والانقسام »

ولقد قال موسى عليه السلام لقومه : ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة يونس

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام : ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة المائدة ــ ١١١]. أرأيت كيف كان الإسلام لرسل الله عليهم

السلام ديناً ؟ وكانت رسالتهم وعقيدتهم واحدة ! إنها رسالة الإيمان بالله والاستقامة فى الحياة وتلك هى وحدة الرسالات التى جاءت من عند الله على لسان جميع الأنبياء.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ سورة الحجرات ١٠

ورحم الله القائل :

« الدم والهم والآمال تجمعنا
والدين واللغة الفصحى وماضينا »

وهذا الدين القيم أمل وعمل وعقيدة صحيحة قد وحدت الروابط بين المسلمين ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ٩٢﴾ الأنبياء -

ورضى الله عن المهاجرين والأنصار الذين توحدت كلمتهم وطهرت قلوبهم من كل غل.

وقال الله فيهم : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩﴾

[سورة الحشر - ٩] .

ذلك لأن الإسلام اقتلع جراثيم الجاهلية من الصدور التى تغلغل الإيمان فيها وخالط أرواح المسلمين وامتزج بدماء المتقين يوم كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أسوتهم والقرآن الكريم منهجهم والمحبة صلتهم والمكارم صفتهم والصدق سجيتهم والبر طاعتهم والسماحة خلقهم والله غايتهم وطاعة رسوله لاتفارقهم ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر رسالتهم : ولذلك كرمهم الله تعالى فقال :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ .﴾

[سورة آل عمران - ١١٠] .

« التوجيه الإلهى »

والإسلام قد وجه المسلمين إلى طهارة السلوك ونقاء السيرة ورد النفوس إلى فطرتها السليمة الخيرة ليتعاون المسلمون على البر والتقوى تاركين الإثم والعدوان وليسلكوا طريق التراحم والتناصر والتكافل والتفاهم ليحل الوفاق بينهم محل الشقاق فهم رحماء بينهم كما جاء وصفهم فى القرآن الكريم الخالد المتكامل الشامل .

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١﴾ التوبة -

هذه تعليمات إلهية قد محقت تلكم العادات الجاهلية التى كان أهمها التفاخر بالأنساب والأحساب والتقاتل لأتفه الأسباب ، فكان الإسلام نعمة من الله على البشرية : فقد حارب السلبية وقاوم الأنانية والانتهازية والتهافت الكريه المؤدى إلى الجشع والطمع واغتصاب حق الضعيف ، لأنه دين يدفع المسلمين إلى سمو السلوك الإنسانى ليتحقق العدل الاجتماعى « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ... » .

« الإنسان الذى يريده الإسلام »

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١﴾ [سورة إبراهيم - ٣١]

ومن ثم كان التبذير فى الوقت كالتبذير فى المال :

والإنسان المؤمن حقاً الذى يريده الإسلام هو من يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً : « خيركم من طال عمره وحسن عمله وشركم من طال عمره وساء عمله » لأن العمر فرصة وحيدة للعمل الذى يحقق الأمل فى الدين والدنيا .

الإنسان الذى يريده الإسلام إنسان يرحم نفسه من ارتكاب المعاصى التى تباعد بينه وبين خالقه ورازقه ويرحم والديه وولده الأقربين والناس أجمعين فلا يكون جباراً عصياً ولا فظاً شقياً ، ولا انتهازياً أنانياً !!

الإنسان القوى الذى يريده الإسلام هو الذى يدرك أنه لم يخلق عبثاً ولن يترك سدى ولكنه وجد للعبادة : والعبادة فى نظرى هى كل قول أو فعل يرضى الله .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ الزلزلة ٧ ـ ٨]

﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [سورة المجادلة ـ ٦]

الإنسان الذى يريده الإسلام هو الذى يعمل ليراه الله الذى يعلم سره ونجواه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ : يعمل لينال رحمة الله وهى قريب من المحسنين ، وستكتب للمتقين المخلصين .

الإنسان السوى الذى يريده الإسلام هو الذى يدخر لنفسه عملاً صالحاً نافعاً عند ربه قبل فوات الأوان ليلقاه : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [سورة ال عمران ٣٠]

وبهذا المقياس توزن الأعمال والأعمار ، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ومن إحسان الأعمال إقام الصلاة والإنفاق فى سبيل الله سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال

الإنسان الذى يريده الإسلام فى كل زمان ومكان هو الذى يتلو القرآن ويتدبر آياته وينتفع بتوجيهاته وعظاته : ففى القرآن شفاء لما فى الصدور ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة المائدة

﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [سورة الأنعام ١٥٣]

الإنسان الذى يريده الإسلام ـ ليكون ثروة ضخمة من يستثمر عمره كله بمقياس دقيق ، لأن الوقت المفقود لن يعود ، ولأن ضياع الوقت فى اللهو والعبث معصية كبرى فى حق الأسرة والأمة .

وأما الضمير اليقظ فيأبى ذلك : فلا فوضى ولا استهتار بالعمل فى الحقل أو البيت أو المكتب أو المدرسة أو المصنع أو غير ذلك « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه : وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه » ..

والله يقول : ﴿ قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ المؤمنون

[يتبـع]

حول العمل في الإسلام

- ٢ -

م. جعفر عبد السلام على

المبحث الثالث
حقوق العمال وواجباتهم

إذا كانت الأعمال فى الوقت الحاضر قد تعقدت واختلفت كثيراً عن تلك التى كانت سائدة وقت ظهور الإسلام ، ونزول التشريعات الإسلامية الأساسية ، إلا أن العديد من المبادىء التى يمكن استخلاصها من الشريعة الخالدة تكفى لتنظيم هذه المسألة .

ومن البديهى أن تكون أول وأهم هذه الحقوق هى : حق العامل فى اقتضاء الأجرة ، وقد سلكت مختلف التشريعات خطة لوضع حد أدنى للأجور لا يجوز لصاحب العمل ولا للعامل أن ينزلا عنها ، كما أن هناك العديد من الضمانات الأخرى المرتبطة بالأجرة ، والتى تكفل أن يحصل صاحبها عليها فى وقت مناسب ، لأن الفرض أنه يعيش منها ، وسنرى موقف الإسلام من القضايا المختلفة المتعلقة بالأجرة .

والواقع أنه فضلا عن الأجرة ، فإن للعامل حقوقه فى الإجازة والراحة ، وحق فى ألا يحمل من الأعمال إلا ما يطيق ، عرفها الإسلام ، وعرفتها كذلك النظم والقوانين المعاصرة ، وسنرى كيف نظر الإسلام إلى هذه الحقوق ؟

ولكن الحق لايمكن أن يتكرر دون واجبات تكفل الوجه الثانى لمعادلة العمل ، ولكى يكون هناك توازن بين الحقوق والواجبات ، وسنرى أيضاً كيف نظم الإسلام هذه المعادلة ؟

أولاً : حقوق العمال :

وقد لقى العمال رعاية فى ظل الإسلام ، فكما فرض الشرع عليهم العمل فقد جعل لهم حقوقا منصفة عادلة وهى :

١ ـ حق العامل فى حفظ كرامته انطلاقا من مبدأ تكريم الله للإنسان .

٢ ـ حق العامل فى الراحة والفراغ وعدم تحميله مالا يطيق ، تطبيقاً لقاعدة : « دفع الحرج والمشقة » .

٣ ـ إلغاء الشروط المجحفة فى عقد العمل ، تطبيقاً للمبدأ العام « والقيمة الإسلامية العليا : العدل » .

٤ ـ التعويض عن إضرار العمل تطبيقاً لقاعدة « الغرم على قدر الغنم » .

٥ ـ من حق العمال أن ينظموا نقابات ترعى مصالح المهنة ، وتقيم لهم المشروعات النافعة ، طالما التزمت هذه النقابات بشرع الله ، إذ تصبح حينئذ ضرباً من ضروب التعاون الذى ندب إليه الإسلام ، بيد أن حق الإضراب الذى تقره النظم

الرأسمالية كوسيلة للضغط على أصحاب الأعمال لرفع الأجور هو أمر ليس من الأمور التى أقرها الإسلام ، إذ يتبع الإسلام منهاجاً آخر : ففضلا عن المعايير الدقيقة ، والضمانات التى وضعها لكفالة الأجر العادل ، فإن نزاهة وعدل القضاء الإسلامى المشهود له على مر التاريخ كفيلان بإعادة الأمور إلى نصابها إذا اختلت ، هذا فضلًا عن أن القاعدة الشرعية التى تقضى بأن « دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح » لهى واجبة التطبيق ، لأن فى الإضراب ضرراً على صاحب العمل وعلى العامل وعلى الأمة كلها ، فيجب دفعه ، ولن يضيع حق فى ظل تطبيق سليم لشرع الله .

من ناحية أخرى ، فإن الإضراب قد يحدث اضطرابات تضر بالمصلحة العامة التى تقدم على المصلحة الخاصة .

٦ ــ حق العامل فى الأجر العادل : وهذا أمر يحتاج إلى التفصيل التالى :

لقد بلغ اهتمام الإسلام بالأجر ، بأنه سمى العامل أجيراً تغليباً لعنصر الأجر على عنصر العمل ، لما فى عنصر الأجر من أهمية لحياة العامل وأسرته تفوق أهمية العمل ، بالنسبة لصاحب العمل .

وإذا كان العمل واجباً ، فالأجر العادل هو الحق المقابل لهذا الواجب ، وأجر العمل فى الإسلام أخروى يثاب عليه الإنسان يوم الحساب ، ودنيوى معجل غاية التعجيل إلى درجة قول رسول الله : ﷺ « آتو الأجير أجره قبل أن يجف عرقه »(١) حتى يسعد العامل بثمرة إنتاجه وعمله وترضى نفسه ويقبل على العمل ..

ويوجب الإسلام أن يكون الأجر معلوماً قبل بدء العمل ، لقول رسول الله ــ ﷺ ــ « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه وأعلمه أجره وهو فى عمله »(٢) .

وأجر العامل يحدد بالتراضى سواء أكان صاحب العمل هو الدولة ، أم صاحب مشروع خاص ، وسواء كان عقد العمل فردياً ، أو جماعياً ، وما جاء بعقد العمل ملزم للطرفين ، مالم يكن مجحفاً بأحدهما ، فيرد إلى ما يسمى فى الشريعة الإسلامية « بأجر المثل » وهو لا يختلف عن « أجر التوازن » فى الاقتصاد الرأسمالى (وهو الأجر الذى يتحدد عند التقاء منحنى العرض بمنحنى الطلب فى ظل المنافسة الكاملة) .

فيجب دائماً عند تقدير أجر العامل ، أن يكون الأجر مكافئاً للعمل ، وعلى قدره ، فإن نقص عما يستحقه العامل على عمله ، كان هنا ظلماً للعامل ، وبخساً لحقه ، وهذا : يجعلنا نخالف قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾(٣) ولقوله تعالى فى حديث قدسى : ﴿ **يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** ﴾(٤) ولقوله تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾(٥) . ولذا فيقول أستاذنا الشيخ ابو زهرة : « أنه إذا رضى العامل مضطراً بأجر دون ما يستحقه ، وجب أن يدفع له رب العمل ما يستحقه ، ولا عبرة برضاه بالأجر المنخفض ،

---

(١) رواه ابن ماجه والطبرانى . بلفظ اعطوا .
(٢) رواه البيهقى عن أبى هريرة .
(٣) سورة النحل / ٩٠
(٤) رواه مسلم .
(٥) سورة هود / ٨٥ .

كمن اضطر إلى بيع سلعته بأقل من الثمن الحقيقى ، فإن الإجارة هى بيع المنافع » .

ورغم ضرورة احتواء الحد الأدنى للأجر على هذه العناصر ، إلا أن مقدار الأجر ليس واحداً ، بل يختلف باختلاف نوع العمل ، والجهد المبذول فيه ، ومدى استخدام الآلات والأدوات الفنية فيه ، والوضع الوظيفى والاجتماعى للعامل الذى قد يكون عنصراً إيجابياً عند مراعاة الأعباء والنفقات الضرورية لأداء العمل ، وقد يكون عاملاً سلبياً إذا أخذنا فى الاعتبار « التعويض غير النقدى » الذى يناله من يتولى وظائف أرق .. ويلعب العرف السائد ، وتغير الزمان ، وطروء الحاجات دوراً أساسياً فى تحديد الأجر .

والعامل يحصل على أجره لإشباع حاجات إنسانية محددة ، تختلف باختلاف أسعارها فى السوق الذى يخضع لقانون العرض والطلب ، لذا فالعمل كسائر السلع لا يجوز تحديد أجره بقرارات إدارية مركزية تحكمية ، أى لا يجوز تسعيره ، لأن فى التسعير ظلماً .. وقد روى القاضى أبو يوسف فى كتابة الخراج : أن أبا عبيدة بن الجراح قال لعمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ عندما استخدم بعض الصحابة فى جباية الخراج « أما إن فعلت فاغنهم بالعمالة عن الخيانة » أى : إذا استعملتهم على شىء فأجزل لهم فى العطاء والرزق حتى لا يحتاجون : ويقول الماوردى فى كتابه « الأحكام السلطانية » عن عطاءات الجند . إن تقدير العطاء معتبر بالكفاية ، حتى يستغنى بها الجند عن التماس مادة تقطعه عن حماية البيضة . هذا : وقد كانت رواتب القضاة من الكفاية بحيث تضمن نزاهة وعدالة القاضى ، ومحافظته على مستوى اجتماعى يضمن صيانة هيبته .

وعلى هذا فالأجر النقدى للعامل يجب أن يكون « أجراً حقيقاً » ، يحكمه العرض والطلب ، مع استبعاد المؤثرات الصناعية ، وكل ما يتدخل للإخلال بالسير الطبيعى لقوى السوق ، كالقسامة (أى السمسرة فى مجال العمل) . ويجب أن يزداد الأجر « زيادة حقيقية » كلما زادت الأسعار كذا كلما زادت أرباح صاحب العمل أو تحسن أداء العامل وزادت خبرته ومهارته .

وإذا قل الأجر عن الوفاء باحتياجات العامل الأساسية ، فإن للعامل أن يأخذ من بيت مال المسلمين ما يشبع به الأشياء الضرورية لقول رسول الله ــ ﷺ ــ من ولى لنا شيئاً فلم تكن له امرأة فليتزوج امرأة ، ومن لم يكن له مسكن فليتخذ مسكناً ، ومن لم يكن له مركب ، فليتخذ مركباً ، ومن لم يكن له خادم فليتخذ خادماً(٦) .

« وهذا وإن كان وارداً فى حق موظفى الدولة ، إلا أن العلة التى اقتضت حصول الموظف على ذلك ، وهى تحقيق كفايته للقيام بعمله بأمان واستقرار . تقتضى شمول هذا الحكم للعامل ، وليس معنى ذلك : أن رب العمل ملزم بإعطائه ما يحتاج إليه من نفقات ، ولو كان أكثر مما يستحقه من أجره العادل ، بل معنى ذلك أن على الدولة أن تضمن للعامل هذا الحق ، إذا كان أجره العادل لا يكفيه »(٧) .

« فالإسلام يعمل على إراحة العاملين فى مجتمعه ، وتسهيل أسباب السعادة لهم ، فيعمل على تزويج العاملين الذين لا يستطيعون مؤنة

---

(٦) رواه الطبرانى وأحمد .

(٧) أنظر : الدكتور : مصطفى السباعى : اشتراكية الإسلام ص ١٧٣ .

الزواج ، ويسكنهم فى مساكن تليق بهم إذا لم تكن لهم مساكن ، وكل ذلك - بلا ريب - من بيت مال المسلمين ؛ لأن الراحة التى ينالها العاملون توفر خيراً يعود على الجماعة الإسلامية »[٨] .

وإلزام الدولة بضمان هذه الحقوق للعامل قائم على أساس مسئوليتها عن رعيتها ، والتى قررها الإسلام ، ويبدو ذلك واضحاً فى قول رسول الله - ﷺ -: « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته »[٩] ..

فتوفير مايحتاج إليه الناس ويتطلبونه ، أمر مقرر على الدولة لجميع أبنائها ومنهم العاملون .

وتأسيساً على هذه المسئولية - أيضاً - يكون من واجب الدولة : أن توفر للعاملين كل مايحتاجون إليه من خدمات ، صحية ، وتعليمية ، وغيرها ، وأن ترعاهم رعاية كاملة ، حتى ينشط العامل فى أداء عمله ، ويتفرغ لإتقانه وإحسانه ، مما يعود بالخير على الدولة وعلى جميع أبناء المجتمع .

حق العامل فى الراحة وأداء العبادة وغيرها :

لايستطيع الإنسان - مهما أوتى من قوة ونشاط - أن يواصل مسيرة العمل ، دون أن يأخذ قسطاً من الراحة ، ولذلك نجد من النصوص الشرعية مايوجه الناس ويلفت أنظارهم إلى راحة أبدانهم ، حتى يستطيعوا أن يواصلوا مسيرتهم فى الحياة دون تعب أو ملل ، وحتى إذا ماقام الإنسان لأداء عمله ، قام نشيطاً قوياً يعمل فى همة عالية وعزيمة جادة ، يقول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[١٠] ، ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾[١١] فهذه إشارة إلى أن الليل جعل للهدوء والراحة ، بينما جعل النهار للسعى والعمل وطلب الرزق . وليس معنى ذلك : أنه لايجوز للإنسان أن يعمل بالليل ، وإنما على الإنسان أن يعطى نفسه قدراً من الراحة ، وكذلك على صاحب العمل أن يسمح للعامل بهذا الحق .

وروى عن الرسول - ﷺ -: « إن لربك عليك حقاً ، وإن لبدنك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقاً ، فأعط كل ذى حق حقه »[١٢] .

ويقول الإمام على : « للمؤمن ثلاث ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يجنى معاشه ، وساعة يخلى بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل »[١٣] .

المبحث الرابع
الحماية التعاقدية للعمال
فى الشريعة الإسلامية

إذا كان الإسلام يجعل العمل حقاً وواجباً ، يساوى بين الناس فى الحقوق والالتزامات ، ولايقر أى تمييز بينهم فان ترجمة ذلك عمليا يكون

(٨) راجع : الشيخ محمد أبو زهرة : فى المجتمع الإسلامى : ص ٥٢ .

(٩) رواه البخارى ومسلم .

(١٠) سورة الإسراء : الآية رقم ١٣ .

(١١) سورة النبأ : ١٠ - ١١ .

(١٢) رواه البخارى وغيره .

(١٣) نهج البلاغة جـ ٤ ص ٩٣ .

فى مجال عقود العمل أو عقود إجارة والأشخاص كما يسميها الفقهاء . ومن المقرر أنه إلى جانب تقرير الحقوق تتساوى فيها الإرادات التى تكفل الحياة الكريمة للعمال سواء من حيث طريقة المعاملة أو الأجر الكافى أو رعايته اجتماعياً ... إلخ ، فإنه لصاحب العمل أن تؤدى الأعمال التى يريدها على النحو الذى يرتقى بالعمل الإنتاجى فى المجتمع ، ويدفع بالحياة إلى التقدم .

فى ظل هذا المبدأ كان النبى ﷺ يعمل فى خدمة أصحاب الأعمال فى قريش ، حيث رعى الغنم ، وسافر فى رحلتى الشتاء والصيف ليتاجر لهم ومنهم زوجته خديجة ، وفى ظل هذا المبدأ تعاقد موسى عليه السلام مع صهره شعيب ـ لكى يعمل ساقياً لغنمه مقابل أن يزوجه ابنته .

ربما قلنا أن هذا تحقق فى بيئة لم تكن الفوارق المادية بين أطراف العقود كبيرة ، لذا فإن التساوى بين الكفتين : العامل ، وصاحب العمل ـ يحتاج إلى إعادة نظر فاحصة ، على ضوء تعقد العمليات الإنتاجية ، والقوة الضخمة التى يكون عليها أصحاب الأعمال فى مقابل الضعف الذى يكون فيه العامل ، وقد أدى هذا الضعف ، والخوف من التكتل العمالى ، للتغلب عليه ، إلى مساوىء عديدة فى تنظيم هذه العلاقة التعاقدية فى المجتمعات الحديثة ، مما أفسدها ، وأضر بالعمل كقيمة هامة فى حياة هذه المجتمعات ، وجعل الدولة تتدخل لتنظيم العلاقات العمالية بشكل يختلف مع الغرض الذى تقوم عليه كعلاقة تعاقدية ، وقد استهدفت الدولة أن تقوم هذه العلاقة على أسس عادلة ترعى حقوقاً رئيسية للعامل فى تحديد حد أدنى للأجر ، وفى منحه إجازات أسبوعية وسنوية ورعايته فى حالات العجز والشيخوخة .

ومن المهم أن نعرض هذه العلاقة التعاقدية ، أعنى العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال .

هل تحيطها الشريعة بقيود تفرض على أى من طرفيها ؟

إن الشريعة الإسلامية تبنى العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال على أنها علاقة تعاقدية ، ولكن العقود فى الشريعة ، رغم أنها محكومة بمبدأ سلطان الإرادة ، التى تتيح لها أن تنفق على من تشاء ، إلا أن هذا السلطان ليس مطلقاً ، فهناك القيود التى تفرضها الشريعة على المتعاقدين ، فى هذا المجال . وأرى أن فى بعضها قيوداً عامة تسرى على كافة العقود ، وفى البعض الآخر ، قيوداً خاصة تسرى على عقود العمل بوجه خاص .

ـ فيجب أن تكون إرادة كل طرف فى التعاقد سليمة وخالية من العيوب ، ومن عيوب الرضا الرئيسية فى الفقه الإسلامى : الإكراه والتدليس ، كما أن استغلال الحاجة أو الضعف البين أو الهوى الجامح من المتعاقد يفسد الإرادة .

ـ كذلك يجب أن يكون محل العقد مشروعاً ، لذا فالتعاقد على المعاصى يبطل العقد ، كالتعاقد على القيام بسحر ، أو صنع تماثيل ، أو التعاقد مع شخص لحمل مسكر ، والتعاقد على أعمال القوداة أو العمل فى حالات المتاجرة .

أما عن القيود الخاصة بعقود العمل فيمكن أن نذكر منها · تكليف العامل بجهد فوق طاقته ، لقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

ـ التعاقد على تشغيل النساء فى أعمال لا يصلحن لها : كأن يعرضها للاختلاط الضار بالرجال ، وكذا تشغيلهن ليلاً فى الحانات أو الأندية الليلية .

وهناك وجه آخر لحماية العاملين نجد نصوص الشريعة تكفله ، وبالتالى فهو يكمل النصوص التعاقدية حتى لو لم يرد صراحة فى العقد .

وأول صور الحماية ، مايتصل بالأجر : فالإسلام لا يترك قوى السوق وحدها تتحكم فيه ـ كما رأينا ـ وإنما يمكن التدخل لمنع الظلم ، وحق أى طرف على الآخر فيه ، وقد رأينا أن الرسول ـ ﷺ ـ يلزم صاحب العمل إن كان العامل يعمل فى بيته ، وهى الصورة التى كانت غالباً فى ذلك الوقت بأن يطعمه مما يطعم ويلبسه مما يلبس ، ويسكنه ، من حيث سكن .

كذلك يوجب الإسلام أن يحدد الأجر حتى يقدر العامل مدى كفايته له .

يقول الرسول ـ ﷺ ـ : « من استأجر أجيراً فليسم له أجرته » .

كذلك ويجب دفع الأجر فى الوقت المناسب للعامل ، ومع عدم الانتظار مدة طويلة بعد انتهاء العمل يقول الرسول ـ ﷺ ـ « اعطوا الأجير أجره ، قبل أن يجف عرقه »(١٤) كما يخاصم يوم القيامة ثلاثة ، منهم رجل استأجر أجيراً فاستوفى حقاً ولم يعطيه أجره(١٥) .

كذلك وضع الرسول ـ ﷺ ـ فى الصحيفة وهى الوثيقة الأولى التى وضعت فى الدولة الإسلامية أسس التكافل الاجتماعى ، والتضامن بين كافة أبناء الدولة على اختلاف دياناتهم ، فقد جاء بهذه الوثيقة أن « المؤمنين لا يتركوا مفرحاً ـ أى مثقلا بالدين ـ أن يعطوه فى فداء أو عقل » فلابد أن تمد الجماعة يدها إلى المثقل بالدين ـ سواء لكثرة العيال ـ وهذا المعنى الذى ورد فى القواميس لكلمة مفرح ـ أو بغير ذلك من الأسباب التى يأتى فى مقدمتها العجز عن الكسب لمرض أو شيخوخة ./وقد خصصت الوثيقة حالتى الفداء من الأسر أو إعطاء الدية لأهميتهما ، إنما هى تضع مبدأ عاماً فى التضامن بين أفراد الشعب ، يشمل هاتين الحالتين وغيرها . وتتسع نصوص الصحيفة لتشمل بالتعاون المسلمين وغير المسلمين ، وهذا أيضاً من المبادىء الرئيسية التى تقرها الشريعة .

فقد جاء فى كتاب الخراج لأبى يوسف إن الإسلام لا يجعل الفرد فى كفالة الأسرة أو المجتمع أو الدولة إلا إن عجز عن العمل إما لضعف فيه أو لافتقاد لأسبابه .

على أن عقد العمل من العقود الملزمة للجانبين ، وهو إن كان يعطى للعامل الحق فى أجر مجز فى نفس الوقت يفرض عليه الالتزامات التى يطلبها صاحب العمل والتى تضمن أن تسير العملية الإنتاجية على خير وجه والإسلام يهتم بهذه الزاوية اهتماماً بالغاً فالرسول ـ ﷺ ـ يأمر باتقان العمل ويقول : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »(١٦) ويقول « ومن أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفوراً له »(١٧) ويقبل الرسول يد رجل من أصحابه رآها متورمة ، ويقول : « هذه يد لا تمسها النار »(١٨). كذلك فإن

(١٤) رواه ابن ماجه . والطبرانى .

(١٥) رواه ابن ماجة .

(١٦) رواه البيهقى .

(١٧) رواه الطبرانى .

(١٨) رواه الخطيب فى المتفق .

الواجبات المعتادة فى نصوص عقود العمل الشائعة نجد أسساً لها فى الشريعة الإسلامية ، كالالتزام بالطاعة ، فصاحب العمل يعد من أولى الأمر ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ .

على أن انتهاء عقد العمل يثير أكثر المشاكل فى التعامل اليومى فى مختلف دول العالم ، ذلك أن العامل هو الطرف الأضعف فى الرابطة التعاقدية ، ولا يتسع سوق العمل فى معظم الدول الآن لاستيعاب كافة القوى العاملة ، ومن ثم فقد بدت حاجة ملحة لتدخل الدولة لحماية العامل ، وفرض رقابة على رب العمل فى إنهاء العقد ، حتى لو كان الإنهاء لاخلال العامل بشروط العقد . ونجد أن التشريع المصرى والفرنسى يمنع صاحب العمل من انهاء العقد غير محدد المدة بدون مبرر وصاحب العمل ليس حرا فى تقدير هذا المبرر ، بل إنه يمارس ذلك تحت رقابة الدولة ممثلة فى وزارة العمل التى تستطيع أن ترفض إنهاء العقد ، وهنا تحدث العديد من المشكلات التى رأينا آثاراً سيئة لها على بيئة العمل وعلى حسن أداء العمل بشكل عام . وإذا كانت الشريعة الإسلامية لاتمنع ولى الأمر من التدخل لحماية الطرف الأضعف فى الرابطة التعاقدية إلا أن هذا التدخل يجب أن يكون فى حدود المصلحة العامة وبما لايؤثر على المصالح الرئيسية للطرف الآخر _ صاحب العمل _ وحقه فى إنهاء الرابطة التعاقدية ، طالما لم يتقيد بزمن معين ، على أن يدفع تعويضاً للعامل إن كان لذلك مقتضى . وأساس هذا الحل هو قاعدة «العقد شريعة المتعاقدين » ، وضرورة احترام نصوص العقد مع تطبيق قواعد العدالة والإنصاف التى تقتضى رعاية العامل كطرف ضعيف فى الرابطة التعاقدية .

خاتمــــة

انتهينا إلى أن الإسلام قد عنى عناية تامة بعنصر العمل فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، كما اهتم بحقوق العامل وأنزله فى منزلة العباد القائمين الليل يدعون الله ويبتهلون .

كذلك اعتبر الإسلام العمل حقاً للناس جميعاً ، وواجباً عليهم ، وفى نفس الوقت ، سواء اتخذ الواجب شكل الواجب العينى على كل فرد فى أن يعمل أو الواجب الكفائى على المجتمع كله فى أن يسد مختلف حاجات الأمة إلى مختلف الأعمال اللازمة لسد الحاجات والارتقاء بالجماعة .

وقد رأينا أن الإسلام يرتب حقوقاً للعاملين لاتتصل بالأجر العادل فحسب ، بل تتصل بحد أدنى من الكفاية يوفرها المجتمع وولى الأمر إن كان الأجر لايكفيه ، وذلك فضلًا عن التسوية بين عناصر العلاقة الإنتاجية _ العامل ، ورب العمل فى المنزلة أو فى الحقوق والواجبات . كذلك نجد أن الإسلام يفرض على العمال مجموعة من الالتزامات التى تكفل وضع أفضل السبل للإنتاج وعدم إفشاء أسرار المهنة واحترام أماكن العمل وإتقان العمل .. إلخ .

كما انتهينا إلى أنه من الواجب ترك العلاقة التعاقدية بين العمال وأصحاب الأعمال لمبدأ حرية الإرادة وعدم إجبار أصحاب الأعمال على قبول عاملين لايتعاونون معهم ؛ لأن من شأن ذلك إفساد العمل ، وإساءة العلاقة بين الطرفين كذلك ، فإذا كان لولى الأمر أن يتدخل فى العقود فإن ذلك يجب أن يكون عن طريق القضاء لتعويض عن حق انتهك ، أو لرفع ظلم بين لايرضاه الله أو لتحقيق أحكام قررتها الشريعة وفوتها أحد طرفى العلاقة .

المدارس القرآنية بشمال نيجيريا

للأستاذ/ صابر احمد تعلب

مقدمة :

اهتم المسلمون فى نيجيريا بتعليم اللغة العربية منذ عهد بعيد لإيمانهم بعدم صحة العبادات إلا بها ، فكانوا يرسلون بأبنائهم إلى البلاد العربية ـ وخاصة الأزهر ـ ليحصلوا على الدراسات الإسلامية ، ويقوموا بعد ذلك بنشرها بين أهليهم وذويهم ، وأكثر من اهتم بذلك من أهل نيجيريا سكان الجزء الشمالى الشرقى منها وهم «الْبَرْنَاوِيُّون» والذين مازال لهم بالأزهر رواق خاص يحمل اسمهم حتى اليوم ، حتى عندما خضعت نيجيريا للاستعمار الانجليزى كان النيجريون يلتمسون كل الحيل والوسائل تمكين أبنائهم من الخروج لطلب العلم حتى ان كثيراً منهم كان يصل إلى البلاد التى يقصدونها فى عدة شهور أو سنوات ويصادفون صنوفاً من المصاعب والعقبات إلا أنها لم تكن تثنيهم عن عزمهم الأكيد فى تحقيق رغبتهم الكريمة لطلب العلم .

★ الكاتب بالأمانة الفنية لمجمع البحوث الإسلامية

كان ذلك فى الماضى ، أما بعد الاستقلال فى أوائل الستينيات من هذا القرن فقد بدأت نهضة ثقافية عربية فى جميع أنحاء البلاد ، وذلك لأسباب نفسية وسياسية ، فأنشئت الكليات والمدارس العربية فى جميع عواصم الولايات بنيجيريا ، واستقدم كثير من المدرسين من مصر والسودان للتعليم بها ، وكانت هذه الكليات والعاهد العربية تعتمد على رافد واحد هو المدارس القرآنية ، فعليه تتغذى وإليه يعودُ الفضل فى تخريج المثقفين ثقافة عربية ، فما من عالم أو مثقف إلا وللمدارس القرآنية فضل عليه .

المدارس القرآنية :

مؤسسوها ـ نشأتها ـ مناهجها ـ أنشطتها ـ تمويلها ـ ثمارها .

١ ـ تأسيس المدارس القرآنية :

إن الذين يقومون بتأسيس المدارس القرآنية هم من الذين حصلوا على قدر من التعليم العربى والثقافة الإسلامية ، وهم فى الغالب من خريجى المدارس العربية ، ويبدأون التدريس فى بيوتهم ، ولا يستقلون بمبنى خاص إلا إذا كثر التلاميذ وضاقت بهم دار المعلم .

ويتوقف نجاح المدرسة وكثرة تلاميذها على مدى قدرة المعلم فى أداء مهمته ، وهناك مدارس يتوارث فيها الأبناء عن الآباء مهمتهم التعليمية إذا كان من بين هؤلاء الأبناء من حصل على قدر من التعليم الدينى ، والذى غالباً ما يحصل عليه عن طريق (معلمى الدهاليز) ، وتبدأ هذه المدارس فى أفنية بيوت المعلمين ودهاليزهم ، ثم تتطور إلى مدرسة ذات فصول مما يدفع المعلم للاستعانة ببعض تلاميذه لمساعدته

٢ ـ أهداف المدارس القرآنية :

إن الهدف الرئيسى لإنشاء المدارس القرآنية هو تحفيظ التلاميذ سوراً من القرآن الكريم وذلك عن (طريق التلقين) أوّلا ، ثم يأخذ المدرس تلاميذه بتعليمهم مبادىء القراءة والكتابة لتساعدهم على الحفظ والتحصيل وهناك هدف آخر ألا وهو تزويد التلاميذ بمبادىء العلوم الشرعية ، وقد يزيد بعضهم فيدرس لهم السيرة والتهذيب ومبادىء الحساب .

٣ ـ أنشطة المدارس القرآنية :

أهم ظاهرة لأنشطة المدارس هى : إقامة الحفلات فى المناسبات الدينية والتى غالبا ما تكون محاضرات ومناظرات وتمثيليات ، وكثيراً ما يفيد هذا الأسلوب فى تنمية المعلومات عند التلاميذ والمشاهدين على السواء ، وقد يدفع هذا وسائل الإعلام لتسجيله وإذاعته مما يعود بالنفع على جمهور المسلمين .

٤ ـ تمويل المدارس القرآنية :

ليس للمدارس القرآنية مصدر ثابت لتمويلها ، وإنما تعتمد فى الغالب على (تبرعات) المتبرعين و (صدقات) المحسنين ، وعلى (الإعانات) التى تصرف لهم من وزارة التعليم وهى عادة ليست مرتبات شهرية ، بل إعانة سنوية . كما أن هذه المبالغ المتجمعة من التبرعات والصدقات فى الغالب لا تفى بمتطلبات المدرسة لا سيما إذا كان تلاميذها كثير والأمر كذلك بالنسبة للأساتذة .

وهناك نوع من المدارس القرآنية لا تصل إليه مثل هذه الموارد ؛ فيطلب صاحب المدرسة من التلاميذ دفع مبالغ شهرية قد لا تصل إلى خمس نَيْرات فى الشهر يدفعها كل تلميذ ، وكثيرا ما يعجز التلاميذ عن دفع مثل هذا المبلغ البسيط ؛ فيضطرون إلى القيام ببعض الأعمال التى لا تليق بطالب العلم كحمل أمتعة الناس فى السوق ، وحراسة السيارات وتنظيفها ، وربما لا يجدون شيئاً من ذلك فيلجأون إلى التسول ، وهم يحملون الألواح لتوفير المبلغ المطلوب للمعلم ، كما أنه هو نفسه يستعين بهم فى إنجاز أعماله الشخصية كزراعة أرضه ، وغسل ثيابه ، ورعى ماشيته إلى غير ذلك من الأعمال .

٥ ـ ثمار المدارس القرآنية :

تعتبر المدارس القرآنية الرافد الأساسى الذى تعتمد عليه المدارس العربية المتوسطة ، والأقسام العربية فى الجامعات ، وبفضلها تتخرج أجيال حصلوا على قسط وافر من التعليم العربى والدينى مما يكون له أكبر الأثر فى المجتمع الذى يعيشون فيه ، ويترتب عليه نهضة عربية ودينية تؤثر فى الجيل الحاضر والأجيال التى تليه ، كما أنها تسهم فى تثقيف الشعوب ثقافة عربية بعد أن كانوا يعتمدون كليا على الثقافة الغربية .

وهذه قائمة بأسماء المدارس الموجودة بولاية صكتو بشمال نيجيريا :

١ ـ المدارس التى أسسها رجال ويقومون بالتدريس فيها :

(احصاء رسمى من وزارة التعليم بصكتو ـ نيجيريا)

م	اسم المدرسة	اسم الشيخ	عدد المعلمين	عدد التلاميذ	ملاحظات
١	مدرسة المعلم بخارى بسيفاوا	عبدالله محمد سيفاوا	١٤	١٢٠٠	مدرسة خاصة ببنائها المستقل

م			عدد المعلمات	عدد التلاميذ	ملاحظات
٢	دار العلم مدرسة الدراسات القرآنية	محمد ناصر إبراهيم	٨	٣٠٠	مدرسة خاصة ببنائها المستقل
٣	المدرسة الدهليزية للدراسات الإسلامية	محمد بللو محمد	٤	١٥٠	مدرسة خاصة ببنائها المستقل
٤	مدرسة الدراسات الإسلامية	رفاعى عثمان إسماعيل	٣	١٣٠	مدرسة خاصة ببنائها المستقل
٥	مدرسة تنبيه الأمة	سيد أبو بكر مودى	٦	٢٠٠	مدرسة خاصة ببنائها المستقل
٦	مدرسة وعى القرآن	أبو بكر بوى	٣	١١٥	مدرسة خاصة ببنائها المستقل
٧	مدرسة تحسين قراءة القرآن الكريم	أبوبكر عثمان	٧	٢٥٠	مدرسة خاصة ببنائها المستقل
٨	معهد العلم	على محمد كتاوا	٥	١٨٠	مدرسة خاصة ببنائها المستقل
٩	معهد المرحوم المعلم بابى	الظاهر بالى	٧	٢٨٠	مدرسة خاصة ببنائها المستقل
١٠	معهد المعلم على بابان كراتو	على بابان كراتو	٤	١٧٠	مدرسة دهليزية
١١	معهد المعلم غدنغ	المعلم غدنغ	٢	٨٠	مدرسة دهليزية
١٢	معهد المعلم سـَرِكِ	المعلم سرِكِ	٢	١٠٠	مدرسة دهليزية
١٣	معهد المعلم إبراهيم غدن كناوا	غدن كناوا ابراهيم	٣	١٢٠	مدرسة دهليزية
١٤	معهد المعلم محمد غدن كناوا	غدن كناوا محمد	٤	١٤٠	مدرسة دهليزية
١٥	معهد المعلم شار	شار	٢	٨٠	مدرسة دهليزية

م			عدد المعلمات	عدد التلاميذ	ملاحظات
١٦	م.المعلم على موس	موس	٣	١١٢	مدرسة دهليزية
١٧	معهد المعلم آدم	آدم	٣	٨٥	مدرسة دهليزية
١٨	معهد المعلم نوح	نوح	٢	٧٥	مدرسة دهليزية
١٩	معهد المعلم نكسر	نكسر	٢	٩٠	مدرسة دهليزية
٢٠	معهد المعلم عيسى سردادا	عيسى سردادا	٣	١٢٠	مدرسة دهليزية
٢١	معهد المعلم محمد طنكند	محمد طنكند	١	٦٠	مدرسة دهليزية
٢٢	معهد المعلم آدم غدنقيا	آدم غدنقيا	٢	٨٧	مدرسة دهليزية
٢٣	معهد المعلم عمـــــــر لفـــو		٣	١٢٠	مدرسة دهليزية
٢٤	معهد المعلم على معاذ طاهـــر دلال		٢	٦٥	مدرسة دهليزية
٢٥	معهد المعلم على مجتـــــبى		٢	٧٠	مدرسة دهليزية
٢٦	معهد المعلم على بللو	جبــــارى	٣	١٣٠	مدرسة دهليزية
٢٧	معهد المعلم بللـــو	غــــــادروا	٧	٤٠٠	مدرسة دهليزية
٢٨	معهد المعلم مصطـــفى غرغـــــــى		٦	٣٠٠	مدرسة دهليزية
٢٩	معهد المعلم أميـــــن غـــــرغـــــى		٢	١٠٠	مدرسة دهليزية
٣٠	معهد المعلم أحمـــــــد عمـــر		٤	٢٢٠	مدرسة دهليزية
٣١	معهد المعلم طلحـــــــة		٣	١٦٠	مدرسة دهليزية
٣٢	معهد المعلم يحيـــــــى		٤	٢٠٠	مدرسة دهليزية
٣٣	معهد المعلم شـــــيخ صحـــــابى		٣	٩٧	مدرسة دهليزية
٣٤	معهد المعلم ابراهيـم وبحيـــرى زورى		٢	٨٠	مدرسة دهليزية
٣٥	معهد المعلم أب مينيــــــو		٤	١٣٠	مدرسة دهليزية
٣٦	معهد المعلم بللو محمـــــد غدن كناوا		٣	١٥٠	مدرسة دهليزية

م		عدد المعلمات	عدد التلاميذ	ملاحظات
٣٧	معهد المعلم دونـــــــــــو	٢	٩٥	مدرسة دهليزية
٣٨	معهد المعلم مصطفـــــــى بكتى	١٠	٦٠٠	مدرسة دهليزية
٣٩	معهد المعلم عبد الله ناللــــه	٣	١٨٠	مدرسة دهليزية
٤٠	معهد المعلم أبو بـــــكرنوفاوا	٧	٤٥٠	مدرسة دهليزية
٤١	معهد المعلم أبو بــــكرمى غـــرى	٤	١٧٠	مدرسة دهليزية

٢ ـ المدارس التى أسستها نساء ويدرسن فيها :

م	ا		عدد المعلمات	عدد التلاميذ	ملاحظات
١	مدرســة	مــودى جــوط	٢	٨٥	مدرســة دهليزيــة
٠٢	مدرســة	صفيــة	١	٦٠	مدرســة دهليزيــة
٣	مدرســة	أمينــة	١	٤٤	مدرســة دهليزيــة
٤	مدرســة	حفصــة	٢	٨٠	مدرســة دهليزيــة
٥	مدرســة	بلقيـــس	١	٦٥	مدرســة دهليزيــة
٦	مدرســة	نــادن	٣	١٢٠	مدرســة دهليزيــة
٧	مدرســة	عائشــة يرغنــدى	٢	٨٧	مدرســة دهليزيــة
٨	مدرســة	آســيا	٣	٩٠	مدرســة دهليزيــة
٩	مدرســة	ســعادة	٢	٧٥	مدرســة دهليزيــة
١٠	مدرســة	لبابة مالم[١] نوح	٣	١٠٥	مدرســة دهليزيــة
١١	مدرســة	رملة آدم	٢	٨٠	مدرســة دهليزيــة
١٢	مدرســة	صفيــة	١	٤٠	مدرســة دهليزيــة

(١) مالم ، أى معلّم ...

هذا : ومن الكتب التى يكثر استعمالها للتدريس فى هذه المدارس ما يأتى :

المـــــادة	الكتـــــاب	ملاحظـــــات
الدراسات الإسلامية	المصحف الشريف فى القرآن الكريم الأربعون النووية فى الحديث الشريف الأخضرى والعزية فى الفقه .	لمن كانت أعمارهم تقل عن اثنتى عشرة سنة .
الدراسات العربية	المطالعة العربية الحديثة النحو الواضح (أول وثانى) بعض الكتب فى مبادىء القراءة والكتابة .	
الدراسات الإسلامية	تجويد القرآن الكريم كتاب البرهان فى تجويد القرآن تاريخ المصحف (الوجيز فى تاريخ الكتاب العزيز) التاريخ الإسلامى (دروس فى التاريخ الإسلامى) الفقه (الثمر الدانى ومختصر خليل) السيرة والتهذيب (التربية الإسلامية) الحديث (موطأ الإمام مالك) التفسير (تفسير الجلالين)	لمن زادت أعمارهم على اثنتى عشرة سنة .
الدراسات العربية	النحو (الأجرومية والعشماوية والقطر الأدب/ مقامات الحريرى) البلاغة (البلاغة الواضحة) .	

وبين هذه المدارس تنافس شديد ، وإقبال من الأهالى على إنشائها وإلحاق أولادهم بها إلا أنها فى حاجة ماسة إلى الدعم المادى والأدبى ؛ لا سيما وأنها تواجه حرباً مسعورة رغبة فى القضاء عليها كما يوجد ـ بجانبها حرب أخرى تنطلق عن إرادة إتمام تنصير القارة بختام هذا القرن .

وقد بدأت إيران فى السنتين الأخيرتين تتصل بأصحاب هذه المدارس وتدعو بعضهم إلى زيارة إيران وتمدهم بالمال والتوجيه ، إلا أنها لا تجد إقبالا من أصحاب المدارس وعلل بعض الذين قبل الدعوة لزيارة إيران بأنه فعل ذلك طلبا لعونهم المادى الذى هو فى أشد الحاجة إليه .

هذا وبالله التوفيق ، ، ،..

الفتاوى

الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

اعداد / عبد المنعم فوده

السؤال من م.م.ص.ع. الإبراهيمية شرقية :

١ ـ أنا أقوم بالإمامة فى الصلاة وكلما أردت التبول وقمت بالاستنجاء وأردت الوضوء أشعر بأن شيئاً من البول ينزل ، وقد يحدث هذا أيضاً فى الركوع أو السجود ، وأضطر لهذا بعد الصلاة أن ألمس بأطراف أصابعى حلقة الذكر لأطمئن على عدم نزول البول . أفيدونا أفادكم الله .

٢ ـ هل يجوز الصلاة خلف رجل يتعامل بالربا عن طريق اقراض الناس أو خلف موظف يعمل فى البنك . أفيدونا أفادكم الله ..

الجواب :

بالنسبة للسؤال الأول : بعد البول تنتظر قليلا وتتحرك وتقوم وتقعد حتى تنزل النقطة الهابطة فإذا نزلت تغسل الذكر . وتعصبه من الوسط حتى لا تنزل نقطة وتوالى بين الاستنجاء والوضوء والصلاة . وتتوضأ ثم تصلى ولا تنشغل بعد ذلك بشىء . وما قد يصيب الملابس من النقطة الهابطة مَعْفُوٌّ عنه .

وعن الثانى : الصلاة تجوز خلف البر والفاجر كما أخبر رسول الله ﷺ مادام يحسن المصلى الصلاة، فإذا وجد من هو خير منه يكون أفضل بشرط عدم إثارة الخلاف بين المصلين والله أعلم .

السؤال من السيدة س.م.ع :

أعمل فى شركة قطاع خاص وأستقل سيارة الشركة مع مديرى بصحبة بسائق السيارة إلى مكان العمل وزوجى مسافر للعمل فى بلد عربى ، وعندما علم زوجى بذلك قال لى «تحرمى على ليوم الدين إذا ركبت مع هذا الرجل مرة أخرى» وقد ركبت مع هذا الرجل قبل أن يصلنى الخطاب . وبعد أن وصلنى الخطاب ركبت معه مرة أخرى لظروف طارئة خاصة بالعمل وكتبت لزوجى شارحة له هذا الظرف فقال لى «افعلى ما ترينه صحيحاً» .

وأنا أستعد الآن للسفر إليه . فماذا أفعل هل هذا يعتبر يميناً ، وهل هذه تعتبر طلقة . أفيدونا أفادكم الله ..

الجـواب :

ما قاله هذا الزوج لزوجته يعتبر طلاقاً ، وقد فعلت المحلوف عليه فوقع عليها الطلاق ولزوجها مراجعتها إذا كانت فى العدة[1] ، وكان هذا هو الطلاق الأول أو الثانى أما إذا خرجت من العدة فلا تحل له إلا بعقد ومهر ووكيل وشهود ، وإذا كان الطلاق الثالث فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره وليس محللًا فإذا طلقها الزوج الثانى حلت للزوج الأول بعد الخروج من العدة .

والله تعالى أعلم

السؤال من السيد / س.ع.ج. من محافظة الشرقية :

هل يمكن رفع الجنابة بالاغتسال فقط دون استبدال الملابس بملابس أخرى طاهرة أم أنه ينبغى استبدال الملابس بملابس أخرى طاهرة .

أفيدونا أفادكم الله ..

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فنفيد بأن رفع الجنابة يكون بالاغتسال لعموم البشرة مع مراعاة السنة فى هذا من الوضوء قبله والتدليك وغيره .

فالذى يرفع الجنابة هو الغسل ، وليس شرطاً فى الرفع استبدال الملابس بملابس أخرى ، إلا إذا كان نزول المنى على غير استنجاء ، هذا.. والله أعلم ..

السؤال من السيد ع.ع.ح :

توفيت إلى ـ رحمة الله تعالى ـ عمتى للأم وهى بنت ، تركت قطعة أرض زراعية ورثتها عن أمها جدتى ، وتركت والدها وأخوين شقيقين ، ووالدى أخ للأم ، وكذا أخت لها من الأم . والمطلوب من الذى يرثها ونصيب كل منهم ؟

الجـــواب :

نفيد بأن التركة كلها للأب تعصيباً ولا شىء للأخوة مطلقاً لحجبهم بالأب والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد/ خ.م.ع :

تطرح بعض الشركات استمارات لشراء سلع بالتقسيط .

١ ـ هل شراء السلع بالتقسيط مع زيادة فى فرق السعـــر بين الشراء النقـــدى والشراء بالتقسيط حرام أم حلال .

٢ ـ هل الشراء بهذه الطريقة يعتبر ربا ؟

الجـواب :

الشراء بالتقسيط حلال ، حتى لو كان سعر التأجيل أكبر من سعر القبض ، بشرط ألا يذكر فى العقد فائدة .

ولا تعتبر زيادة الثمن لأجل على الثمن العاجل ربا ، وقد وضع الشوكانى فى ذلك رسالة خاصة بعنوان « شفاء العليل فى حكم البيع بالتأجيل» أو قريباً من هذا العنوان .

(١) والمراد بالعدة : ثلاث حيضات إن كانت من ذوات الحيض ، وثلاثة أشهر إذ كانت لا تحيض أصلًا أو بلغت سن اليأس ، ومدة الحمل إن كانت حاملًا .

الشعر والشعراء

يحرره الأستاذ/ رشاد يوسف

أغنية إلى عرفات

للأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى

عرفات يا أملا به الأيام كمْ تحلو ، ومنه الوحى والإلهام
عرفات والجبل المقدس شرْعة   للمسلمين وكعبة وزمام
عرفات أنت العطر يعبق والهدى والمجد والأنغام والأحلام
موجت سفحك بالبشاشة والشذا وسناك فيه تسبح الآكام
ولديك تجمعنا الدروب على الهدى   ويضىء ما بين الصدور وئام
يا شوق أيامى إليك وحبها   عام نودعه ويقبل عام

عرفات يا حلم الطفولة والصبا   حياك من بعد الغمام غمام
لم يسع نحوك فى الضحى متأثم   ما فيك إلا ساجد قوّام
عرفات قلبى والحنين إليك والأفراح يا عرفات والأنغام
وجررت ذيلى فى رباك مع الورى وأسمت سرح اللحظ حيث أساموا
ووقفت أدعو والدموع تنوشنى   أحقيقة هى أم هى الأحلام
وأفقت من حلمى وبين جوانحى   من نار حبك والزمان ضرام

أألامُ يا عرفات فى حبى وتهيامى وأشواق ، وكيف ألام ؟
لا ، والذى سار الحجيجِ لبيته   ما فى هواه على المحب ملام
أعلامه للمدلجين منائر   ما بعدها لسرى الدجى أعلام
هز الضمائر فاستفاقت من كرى، لم يبق فى دنيا السباق نيام
نسك يعز الدين والدنيا به   وشريعة تحيا بها الأيام
دين الحضارة والمساواة التى   فى ظلها سعد الورى وأقاموا
عيد الضحية والفداء وزمزم   عرفات فيه مشرق بسام
غنتك يا عرفات ورق حمائم   وعليك من وفد الحجيج سلام

قطرات الشوق إلى مكة المكرمة والكعبة المشرفة

الشاعر السورى عبدالعليم أحمد الصافى :

خلفونى مع الدموع وراحوا   ليتهم من وداعهم قد أراحوا
أزْمعوا الحج يا هناهم فطاروا   يسبق الطائراتِ شوقٌ صراح
واشرأبّ الحنين نحو مناه   بخيال تجتاحه الأفراح
إيه يا مكة الطهور سلاما   طبت تقْوى وطاب فيك الصلاح
كل خطو فى أرض مكة ذكر   كل ركن فى ساحها مصباح
إنما الحج والزيارة فرض   ووصول وتوبة وفلاح
لوحة زانها البديع وهامت   فى معانى أسرارها الأرواح
أترانى أُحْظَى برحلة حج   فى حياتى أم فاتنى الإصباح

وللشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين :

فررت إليك يا ربى   من الآثام والريب
أجدّ السير مرتجيا   بمكة منحة الرب
لعل سناك يغمرنى   وأحظى منك بالقرب
إلهى قد أتيتك طارح الأوزار والشوب
أطوّف حول بيتك جائش الوجدان واللب
وأجنحة الدعاء تشق نحوك فاصل الحجب
ألا يارب أنجز وعدك الآتى من الغيب

الشاعرة علية الجعار « الحجيج » :

فى ساحة البيت الحرام تحلقوا
من حوله بالطهر والإحرام
الدين جَمَّع شملهم فتوحدوا
وترابطوا فى ألفة وسلامِ
سرت المحبة والتراحم بينهم
آختهم التقوى بلا أرحام
كل بلا جاه سوى جاه التقى
كل دعا الرحمن فى استرحام
سبحان من جمع القلوب بحبه
فتوثقت بقرابة الإسلام

أغنية

للشاعر ابراهيم محمد نجا

لأنك فى قلبى وملء مشاعرى ... أراك ، وإن طوفت بين الدياجر
أراك بقلبى ، وهْو ظمآن للسنا ... وأنت سناه ؛ بل سنا كل حائر
أراك بفكرى نور معنى مقدس ... يلوح بعيداً عن مدى كل خاطر
وأرنو إلى كل الوجود فلا أرى ... سواك ؛ فأنت الكل فى كل خاطر
بعيد عن الأفهام أنت ، وإن تكن ... قريباً إلى قلب المحب المثابر
أحبَّكَ قلبى حين أدرك نبضه ... بأنك سر النبض سر السرائر
أحبك فوق الحب .. والحب فوقه ... فناء الندى فى قلب ضوء مباكر
فيا أوَّلا من غير بدء ، وآخرا ... بغير انتهاء أو حدود لآخر
أَنِلْنِى وُجُوداً بدؤه الحب ساميا ... وغايته فى الحب أسمى المظاهر
ويا باعث الأنوار فى كل ظلمة ... فتسفر عن صبح من الحب زاهر
أعنى على هذا الظلام بقبسة ... من النور تدعو كل نور مهاجر
ويا عالم الأسرار تعلم أننى ... أنوء بسر ماله من نظائر
حملت أساه ملء نفسى زوابعا ... من النار تشقى فى لظاها مشاعرى
فضيعنى حتى تمنيت صادقا ... خريفا به أفنى ، وتفنى أزاهرى
وعذبنى حتى أحال ترنمى ... أنين الثكالى ، أو نواح المزاهر
أحاول أن أنساه فى كل لحظة ... فيدعو إلى ذكراه كلَّ خواطرى
يلازمنى مثل المصير ، وإن يكن ... على النفس أقسى من جميع المصائر
هو اللفظ والمعنى ، هو الصوت والصدى ، هو الظاهر المحجوب خلف الستائر
ألم يأن لى أن يترك السر عالمى ... فيخضر عمرى كالمروج النواضر
ويا عالم الأسرار تعلم أننى ... صبرت ، فلم أترك مجالا لصابر
وتعلم أنى حينما ثُرتُ ، لم أكن ... أثور على ما شئتَ لى من مقادر
هو الألم الطاغى يزلزل هدأتى ... فتنبض أعماق بصرخة ثائر
وتعلم أنى حين قصرت قَدَّمَتْ ... دموعى نداماتى وشتى معاذرى
وهأنذا قد جئت أرفع توبتى ... إليك ، فأدركنى برحمة غافر
تغنيت ياربى بنورك ظامئا ... إليه ، فبشرنى بأحلى البشائر

مع أبى نواس توبة وزهد

يقول الدكتور شوقى ضيف فى كتابه «تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول» .. «وحين علت سن أبى نواس ووخطه الشيب أخذ يفكر فى الحياة وعواقبها وفى البعث والنشور والموت والفناء ، وكانُ من حين إلى حين ينيب إلى ربه ، مما جعله يردد أنغاماً مختلفة فى الزهد والدعوة إلى الانصراف عن الشهوات ومتاع الحياة الزائلة والإعداد للآخرة بالتقى والعمل الصالح ، وكانت ترفده مواهب فنية أصيلة جعلته يحكم تصاويره ويجرى فيها كثيراً من الطباقات والمقابلات والجناسات البديعة» ص ٢٣٦

إلهنا ما أعدلك　　مليك كل من ملك
لبيّك قد لبيت لك　　لبيك ، إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك
ما خاب عبد أمّلك　　أنت له حيث سلك
لولاك يارب هلك　　لبيك ، إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك
كل نبى وملك　　وكل من أهلّ لك
وكل عبد سألك　　سبّح ، أو لبى فلك
لبيك ، إن الحمد لك
والليل لمّا أن حَلَك　　والسابحات فى الفلك
على مجارى المنسلك　　لبيك ، إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك
يا خاطئا ما أغفلك　　اعْمَل وبادر أجلك
واختم بخير عملك　　لبيك ، إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك

• • •

مع أبى نواس توبة وزهد

يا نفس خافى الله واتئــدى | واسـعى لنفسـك سـعى مجتهـد
يا طالــب الدنيــا ليجمعهــا | جمحـت بـك الآمـال فاقتصـد
لو لم تكــن للـــه متهمـــا | لم تمــس محتاجــا إلى أحـــد
فاقصد ؛ فلست بمدرك أمـــلا | إلا بعـــون الواحــد الصـمـد

● ● ●

أيا من ليــس لى منـه مجيـــر | بعفـوك من عــذابك أسـتجير
أنا العبــد المقــر بكـل ذنــب | وأنت الســيد المولـى الغفــور
فإن عذبتنـــــى فبسوء فعلى | وإن تغفـــر فأنت به جديـــر
أفـر إليك منك ، وأيـــن ألَّا | يفــر إليـك منـك المســتجير
ألا تأتـى القبــور صـبـاح يـوم | فتســمــع ما تخبــرك القبـــور
فإن ســكونها حــرك ينـــادى | كأن بطـــون غائبهــا ظهـــور

● ● ●

يـــارب إن عظمــت ذنوبــى كثـرة | فلقـد علمـت بأن عفــوك أعظــم
إن كان لا يرجــوك إلا محســـن | فبمـن يلـوذ ويسـتجير المجــرم ؟
أدعـــوك رب كما أردت تضــرعـا | فإذا رددت يــدى فمن ذا يرحــم
مالــى إليــك وســيلة إلا الرجـــا | وجميـــل عفــوك ثم أنى مســلــم

● ● ●

ولقد نهـزت مع الغـــواة بدنهـــم | وأسـمت صـرح اللهو حيث أسـاموا
وبلغـــت ما بلـغ امـرؤ بشبابـــه | فإذا عصــــارة كلّ ذاك أثـــــام

● ● ●

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر
أكبر الأشياء عن أصغر عفو الله أصغر
ليس للإنســان إلا ما قضى الله وقدر
ليس للإنسان تدبير بل الله المدبـر

● ● ●

أيارب قد أحسنت عودا وبـــدأة   إلىَّ فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة   فعذرى إقرارى بأن ليس لى عذر

• • •

سبحان عـلام الغيـوب   عجبا لتصريف الخطوب
تعـدو على قطف النفـوس وتجتنـى ثمـر القلـوب
يا نفـس توبـى قبـل أن   لا تستطيعى أن تتوبـى
واسـتغفرى لذنوبـك الرحمـن غفـار الذنـوب
إن الحـوادث كالريـاح عليـك دائمـة الهبـوب
والمـوت شـرع واحـد   والخلق مختلفو الضـروب
والسعى فى طلب التقـى   من خير مكسبة الكسـوب
ولقلمـا ينجـو الفتـى   بتقـاه من لطـخ العيـوب

• • •

إذا ما خلـوت الدهر يوما فلا تقل   خلـوت ، ولكن قل : على رقيب
ولا تحسبن الله يغفـل ساعـة   ولا أن ما يخفى عليـك يغـيب
لهـونا بعمر طـال حتى ترادفت   ذنـوب على آثارهـن ذنـوب

• • •

رويـدا بذى الإجـرام إن ذنوبـه   ستكفيكه عما قليـل فيعطـب
وبادر بمعـروف إذا كنـت قـادراً   زوال اقتـدار أو غنى عنـك يعقب

على ربى عرفات

للشاعر عبدالوارث عسر

أشعثٌ أغبـــرٌ يعفـــر خديـه ذليــــلا على ربى عرفـــــاتِ
خاطـىء جـــاء تائبــاً يسلـم الوجـه لمن لايضن بالرحمـــات
غافـر الذنـب قابـل التـوب لَبَّيْتُ وصليت رَبّ فاقبـل صلاتى
رب سبحانك استويت على العرش وكرسيك احتـوى الكائنـات
وأمرت السمـاء والأرض إذ قلت : ائتيا ، فاستجابتا طائعــات
وخلقـت الزمـان رب تنـزهت عن الأوليـــات والأخـريـات
وخلقـت المكـان سبحانك اللـه عن القاصيـــات والدانيـــات
وخلقت الأبصار ، كيف تدركك الأبصار يا خالق المدى والجهات
أنـــا مثقـــال ذرة من تراب أنــــا لولاك لست أدرك ذاتى
أنـا ـ لولا هـداك ـ عَظْـمٌ ولحم ودمـاء تفـور بالنـــزوات
عذت بالنـور ، نور وجـهك أن تذهب فى كل مذهب أمنيـاتى
ضاربـا فى الحيـاة ألهث منساقـاً وراء كل ما فى الحيـــاة
هب لـى الرفـق والقنـاعة إلا طمعـا فى تـــزود الباقيـــات
عمـلا صالحا به يصعـد الكلـم الطيـب فى ظلـه من الطيبـات
رب هـذا علمـى ولا علـم إلا بك بَـدِّدْ بنـوره ظلمـــاتى
رب هـذا رزقـى ورزقـى من جـودك فابسـطه مربعـاً للعفـــاة
شـرعة الحق والهـدى شرعة السـلام لى عصمـة من العثـرات
وابعـث النـور من هـداك ومن علمـك يجلـو الغياهـب الكالحـات
والسـراج المنيـر خاتـم رسـل اللـه حسـبى من الهـدات الثقـات
وإمامـى القـرآن علـم ونـور وغنـاء عن اليسـريات واليمنيـات

ربـى اللـه لسـت أدعـو سـواه هو أهـل الحنـان أهـل الزكـاة
وعبوديتـى له أعتقتنـى وســمت بى على الغــلاظ الجفــاة
رب أنت الـودود أنت الرحيـم البـر أنت المرجو فى الغاشيـات
أنا مهما أسـرفت لسـت يئوسـا إن رب الهـداة رب الخطـاة
بيـد أن أخـاف عدلك فى الميــزان يهـوى بكفــة السـيئـات
فاكفنــى العــدل يا رحيم وزن لى بموازيـن عفـوك الراجحـات
واعطنى الصـبر والحضـور ونـورا يغمـر القلـب سـاعة السـكرات
واعطنـى يوم يحشـر النـاس جناحيـن حمـى فى ظلالك الـوارفات

تحية الأزهر

م. سيد عبد الرؤف سيد •

أيها الأزهر المبارك جُنْدا   يا شبابا قد جاوز الألف عَدًا
أنت نبع التقى لكل تقى   أنت غيث السماء ، بل أنت أجدى
أنت نيل بجانب النيل يجرى   أنت كَاثَرْتَهُ فأجزلت رفداً
طاب أهلوك سيرة واستقاموا   فأقاموا المعوج شيباً ومرداً
أوغلوا فى القرى مصابيح رشدٍ   لست تحصى من سار فى النور عدا
ليس يجزيهم الصنيعَ قريضى   ضاق شعرى إذا أردتُ وأكدى
إنما الأزهر الكريم شعاع   وَجَّهَ الصينَ هَدْيُهُ والهندا
يمموا وجهه الأغر ، وعادوا   سفراء الهدى ، يؤمون قصدا
ذاك سر أضفاه رب البرايا   والجهاتُ كالناس نحساً وسعداً
ربط المسلمين فى الشرق حتى   صار يدعى أباهم أو جدا
إن من أنكروا رسالة نوح   مثلهم منكروك فى الفضل جحدا
أيها الأزهر الذى عز حصنا   وملاذا لمصر قبلا وبعدا
سل فرنسا ، وقائدًا لفرنسا   من سوى الأزهر الغيور تحدى
من تصدى لكل باغ دخيل   رام غزوا لنا وبطشا وكيدا
سيفه الحق ، كم أطاح خصوما   منذراً بالجهاد قوماً لدا
أيها الأزهر الرحيب جنابا   وسع القاصدين لم يأل جهدا
أنت لولاك ذلّ كل كفيف   عاش بالمَحْبَسَيْنِ عيشا نكدا
أُوصِدَتْ دونه المسالك سدا   وَادَّعَوْا أن ذا نظام أعدا
إنما العلم كالمياه حياة   أى ذنب جنوه يمنع وِرداً
أنت شمس لاتفتأ الدهر سِرا   بارك الله نورها فامتدا
أزهرى أنا ، وذاك فخارى   والوفى الكريم لايتعدى
أيها الأزهر المؤمل أسعف   بجديد يُبِينُ عما استجدا
أنت فينا الرجاء فاعلم وإنا   لك جند نروم هديا ورشدا
ذا بيانى إليك جاء سخيا   عرف الحق صدقه فأمدا ..
أيها الحاكم الرشيد أعِنْهُ   تلق سعدا به وسعدا وسعدا

• موجه عام اللغة العربية ـ سابقاً

(٢) وارث الكنانة = المستعمر

(١) عبده (المقصود محمد عبده)

العلوم الكونية

* أساليب تعليم الرياضيات لتراث المسلمين.
* المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية.
* الجديـــد فى العلم والتقنيـة.

أساليب تعليم الرياضيات لتراث المسلمين

أ.د/ أحمد فؤاد باشا (*)

صنَّف علماء المسلمين مؤلفات كثيرة فى علم الحساب ، وكانت لهم طرق خاصة لإجراء العمليات الحسابية بما يصلح أن يُتَّخذ وسيلة للتعليم فى عصرنا ، ولقد انتبه بعض رجال التربية فى أوروبا إلى قيمة هذه الأساليب المسطورة فى كتب الحساب العربية من منظور تربوى ، فأوصوا بها وباستعمالها عند تعليم المبتدئين . جاء فى مجلة التربية الحديثة : « وهذا ماحدا بنا إلى درس الأساليب المتنوعة المذكورة فى كتب الحساب القديمة بشىء من التوسع والتعمق ، وفعلا قد وجدنا بينها طرقاً عديدة يحسن الاستفادة منها فى التعليم »(١) .

وسوف نعرض فى هذا المقال نماذج متنوعة من هذه الأساليب التعليمية ، عسى أن يجد فيها أهل الاختصاص ما يشجعهم على إعادة البحث فى تراث الأجداد لاستخلاص ما يساعد المعلمين على تلقين الدروس الحسابية بصورة أجدى وأنفع .

مقدمة :

كان العرب يستخدمون طريقتين للحساب فى أمورهم العملية من بيع وشراء وتقسيم للإرث والغنائم وما إلى ذلك . أما الطريقة الأولى فتعرف باسم « الحساب الغبارى » وهو الحساب الذى يحتاج إلى أدوات كالقلم والورق ، وأما الطريقة الثانية فتسمى « الحساب الهوائى » وهو الحساب الذهنى الذى لايحتاج الحاسب فيه إلى أدوات ، وقد وصفه صاحب كشف الظنون بأنه « علم يتعرف منه كيفية حساب الأموال العظيمة فى الخيال بلا كتابة ، وله طرق وقوانين مذكورة فى بعض الكتب الحسابية ، وهذا العلم عظيم النفع للتجار فى الأسفار ، وأهل السوق من العوام الذين لايعرفون الكتابة ، وللخواص إذا عجزوا عن إحضار آلات الكتاب »(٢) ..

ويزخر التراث الإسلامى بالعديد من كتب الحساب التى كان معظمها مراجع رئيسية فى مختلف جامعات العالم مثل « كتاب الحساب » للخوارزمى ، و« كتاب تلخيص أعمال الحساب » لابن البنّاء المراكشى ، « وكتاب مفتاح الحساب » لغياث الدين الكاشى ، و« كتاب الجامع فى أصول الحساب » للحسن بن الهيثم ، « وكتاب المقنع فى الحساب » للقاضى النسوى ، وكتاب « الباهر » للسموْأل ، وكتب « الفخرى » و« الكافى » و« البديع » لأبى بكر الكرخى وغيرها .

* أستاذ الفيزياء ـ علوم القاهرة

(١) راجع :
قدرى حافظ طوقان ، تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، دار الشروق ، بدون تاريخ للنشر ، صـ٥٣ ومابعدها .

(٢) حاجى خليفة ، كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون ، اصطنبول ١٣١٠هـ ، جـ١ ص٤٣٧ ، عن : قدرى حافظ طوقان ، مرجع سابق ، ص٥٢ .

ويكفى ، للتعرف على منهج علماء المسلمين فى تأليف هذه الكتب ، أن نشير إلى ماجاء فى كتاب « الخلاصة فى الحساب » لبهاء الدين العاملى ، حيث يقـول المؤلـف : « أوردت فى هذه الرسائـــل الوجيزة ، بل الجوهـرة العزيـزة ، من نفـائس عرائس قوانين الحساب مالم يجتمع إلى الآن فى رسالة ولا كتاب ، فاعرفها ولا ترخص مهرها ، وامنعها عن من ليس أهلها ، ولا تزفّها إلا على حريص على أن يكون بعلها ، ولا تبذلها لكثيف الطبع من الطلاب لئلا يكون معلقا الدر فى أعناق الكلاب ، فإن كثيراً من مطالبها حرىّ بالصيانة والكتمان ، حقيق بالاستتار عن أهل الزمـان ، فاحفظ وصيتى إليك ، فالله حفيظ عليك » (٣).

ويقع كتاب العاملى هذا فى عشرة أبواب : الأول فى حساب الصحاح ، والثانى فى حساب الكسور ، والثـالث فى استخـراج المجهـولات بالأربعة المتناسبة ، والرابع فى استخراج المجهولات بحساب الخطأيـــن ، والخامس فى استخـــراج المجهولات بالعمل بالعكس (أى العمل بعكس ما أعطاه السائل ، فيبدأ من آخر السؤال للوصول إلى الجواب) ، والسادس فى المساحة ، والسابع فيما يتبع المساحات من وزن الأرض (لإجراء القنوات ومعرفة ارتفاع المرتفعات وعرض الأنهار وأعمـاق الآبار) ، والثامـــن فى استخـــراج المجهولات بطريق الجبر والمقابلة ، والتـاسع فى « قواعد شريفة وفوائد لطيفة لابد للحاسب منها ولا غناء له عنها » ، والعاشر فى « مسائل متفرقة بطرق مختلفة تشحذ ذهن الطالب وتمرنـه على استخراج المطالب » . ولهذه الأعمال والطرق براهين يقول عن بعضها أنه مبتكر وطريف لم يسبق إليه .

ولا يتسع المجال هنا لسرد تفاصيـــل هذه الموضوعات ، رغم أهميتها القصوى فى تطور الفكر الرياضى ، ولكننا سنكتفى بعرض بعض النماذج المنتقـاة ، على سبيـل المثـال لا الحصر ، لعمليات حسابية بسيطة وردت فى كتب الحساب الإسلامية متمشية مع مراحل تطور الحساب .

عمليات الجمع :

استعمل علماء المسلمين طرقا مختلفة لتيسير عملية جمع الأعداد ، منها طريقة تدوين المحفوظات التـى يستخدمهـا الآن بعض معلمـى الحساب الابتدائى .

مثال ذلك عملية إجراء جمع الأعداد ٣٨٨١ و٥٤٥٧٧ و٩٠٤ على النحو الآتى :

٢١١	المحفوظات
٣٨٨١	
٥٤٥٧٧	
٩٠٤	
٥٩٣٦٢	المجموع

والسهولة هنا تكمن فى أن الأعداد المحفوظة (المحفوظات) التى تنقل من مرتبة (خانة) إلى المرتبة التى تليها (الأعلى منها) فى الخطوات الأولية تساعـد على توضيـح فكـرة جميـع الأعـــداد للمبتدئين .

عمليات الضرب :

أوصى علمـاء التربيـة الحديثـة باستخـــدام « خوارزمية الضرب بطريقة الشبكة » فى المدارس

(٣) ولد بهاء الدين العاملى سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٧م وعاش حتى أوائل القرن السابع عشر الميلادى وألف من الكتب والرسائل مايزيد على الخمسين . وقد طبع كتابه « خلاصة الحساب » خلال القرن التاسع عشر فى كلكتا (١٨١٢م) وبرلين (١٨٤٣م) وترجم إلى لغات أوربية لأهميته .

الإبتدائية لسهولة فهمها ، ومقدرة طلاب هذه المرحلة على استيعابها[٤] . وطبقا لهذه الطريقة تجرى عملية حاصل ضرب العددين ٩٤٢ × ٤٥ على سبيل المثال كما هو موضح بالشكل ، حيث يكتب المضروب (العدد ٩٤٢) فوق المستطيل ويكتب المضروب فيه (العدد ٤٥) على جانبه ، ثم تجرى عملية ضرب الأرقام بعضها فى بعض وتسجل الآحاد أعلى القطر والعشرات أسفله . نضرب ٥ فى كل من ٢ و ٤ و ٩ ونضع حواصل الضرب فى مربعات الصف الأول ، ثم نضرب ٤ فى كل من ٢ و ٤ و ٩ ونضع حواصل الضرب فى مربعات الصف الثانى ، ثم نجمع الأعداد كما فى الشكل بين كل قطرين فينتج حاصل الضرب المطلوب وهو ٤٢٣٩٠ .

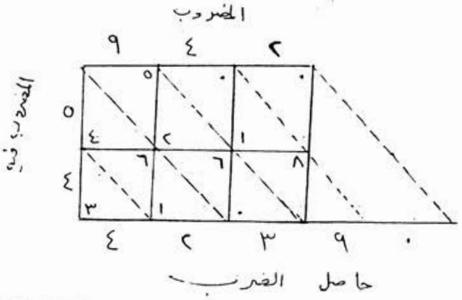

ويرى بعض الباحثين أن السلسلة الغبارية مرتبة على أساس عدد الزوايا التى يضمها كل رقم ، فرقم **1** يتضمن زاوية واحدة ، ورقم **Z** يتضمن زاويتين ، وهكذا على النحو التالى :

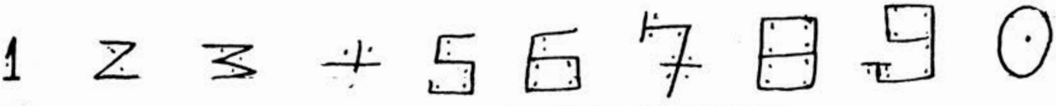

طريقة «الخطأين» لاستخراج مجهول :

لم ينحصر إبداع علماء الحضارة الإسلامية فى تنوع طرق إجراء العمليات الحسابية المختلفة بل نجد أنهم اتبعوا أيضاً طرقا رائدة فى استخراج المجاهيل ، من ذلك طريقة حساب الخطأين التى نوضحها بالمثال التالى :

«أوجد العدد الذى إذا أضيف إليه ثلثاه وثلاثة كان الناتج ١٨» .

لحل هذه المسألة تفرض المجهول ماشئت وتسميه «المفروض الأول ، ثم تتصرف فيه بحسب السؤال ، فإن طابق فهو المطلوب ، وإن لم يطابق وكان الخطأ بالزيادة أو النقصان فهو «الخطأ الأول» . ثم تفرض مجهولًا آخر وهو «المفروض الثانى» ، فإن أخطأ ولم يطابق حصل «الخطأ الثانى» . بعد ذلك اضرب المفروض الأول فى الخطأ الثانى وتسميه «المحفوظ الأول» ، والمفروض الثانى فى الخطأ الأول وتسميه «المحفوظ الثانى» ، فإن كان الخطآن زائديْن أو ناقصيْن فاقسم الفضل (الفرق) بين المحفوظيْن على الفضل بين الخطأين ، وإن اختلفا فمجموع المحفوظيْن على مجموع الخطأين ليخرج المجهول ، أى أن :

ليكن المفروض الأول = ٣ ، وإذا تصرفنا فيه بحسب السؤال ينتج أن :

(٤) كلمة «خوارزمية» نسبة إلى الخوارزمى صاحب المؤلفات الشهيرة فى الجبر والحساب والهندسة فى عصر الحضارة الإسلامية ، والكلمة أصبحت تطلق فى الوقت الحاضر على أية وسيلة يستعان فى إيضاحها بخطوط معينة للتوصل إلى ناتج . راجع فى ذلك : د. أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص٦١ ومابعدها .

$$٨ = ٣ + \frac{٢}{٣} \times ٣ + ٣$$

ويكون الخطأ الأول هو ١٨ − ٨ = ١٠ (سالب)

وإذا فرضنا المفروض الثانى ٦ وتصرفنا فيه بحسب السؤال ينتج أن :

$$١٣ = ٣ + \frac{٢}{٣} \times ٦ + ٦$$

ويكون الخطأ الثانى هو ١٨ − ١٣ = ٥ (سالب)

وعلى هذا فالمحفوظ الأول = ٣ × ٥ = ١٥

والمحفوظ الثانى = ٦ × ١٠ = ٦٠

والفرق بين المحفوظَيْن = ٦٠ − ١٥ = ٤٥

والفرق بين الخطأين = ١٠ − ٥ = ٥

وينتج أن الجواب الصحيح هو $\frac{٤٥}{٥}$ = ٩

وقد نجح الخوارزمى فى تعميم «نظرية الخطأين» لإيجاد جذر المعادلة اس + ب = صفر ، وافترض لحلها قيمتين تخمينيتين للمجهول (س) هما المفروض الأول $\text{هـ}_{١}$ والمفروض الثانى $\text{هـ}_{٢}$ ، كما افترض أن الخطأ فى القيمتين هو $\text{و}_{١}$ ، $\text{و}_{٢}$ على الترتيب ، واستطاع أن يصل بطريقة جبرية إلى حل عام لجذر المعادلة على الصورة[٥].

$$\text{س} = \frac{\text{و}_{١}\,\text{هـ}_{٢} - \text{و}_{٢}\,\text{هـ}_{١}}{\text{و}_{١} - \text{و}_{٢}}$$

حيث يمكن تطبيقها بسهولة لاستخراج قيمة أى مجهول .

وقد تميزت الأمثلة التى أوردها علماء المسلمين فى مؤلفاتهم بأنها تتناول ما كان يقتضيه عصرهم من واقع ما يعايشونه فى حياتهم اليومية من معاملات تجارية وصدقات ورواتب وبيع وشراء وغير ذلك ، ولا شك فى أن اتباع مثل هذا الأسلوب الرائد فى وضع المسائل الرياضية من شأنه أن يعود على الطلاب بكثير من الفوائد ويجعلهم يدركون منذ الصغر أهمية العلوم الرياضية وارتباطها الوثيق بحاة الانسان العملية فى مختلف المجالات .

مما تقدم يتبين أن تراث الحضارة الإسلامية فى مجال العلوم الرياضية يستحق الإهتمام والبحث من قبل المتخصصين فى فنون التربية والتعليم للكشف عن المزيد من النظريات والأفكار والأساليب الرائدة التى أضافها أسلافنا إلى علوم الحساب والجبر والهندسة والمثلثات ، وانتزعوا بفضلها من مؤرخى العلم والحضارة شهادتهم الصريحة بما ابتكروا وأسهموا فى مجال العلوم البحتة والتطبيقية ، وبما وضعوا من أسس تعليمية وتربوية نحن فى أمس الحاجة إلى الاسترشاد بها فى تصحيح مسيرة التعليم؛ ليسهموا بحق فى إعداد أجيال قادرة على الإبداع والمشاركة فى حضارة العصر بنصيب يتناسب مع مجدهم العريق .

---

(٥) لمزيد من الإيضاح يمكن كتابة المعادلتين على النحو التالى :

$\text{أ}\,\text{هـ}_{١} + \text{ب} = \text{و}_{١}$ (١)

$\text{أ}\,\text{هـ}_{٢} + \text{ب} = \text{و}_{٢}$ (٢)

بطرح المعادلة (٢) من المعادلة (١) ينتج أن :

$\text{أ}\,(\text{هـ}_{١} - \text{هـ}_{٢}) = \text{و}_{١} - \text{و}_{٢}$ (٣)

وبضرب المعادلة (١) فى $\text{هـ}_{٢}$ والمعادلة (٢) فى $\text{هـ}_{١}$ ينتج أن :

$\text{أ}\,\text{هـ}_{١}\,\text{هـ}_{٢} + \text{ب}\,\text{هـ}_{٢} = \text{و}_{١}\,\text{هـ}_{٢}$ (٤)

$\text{أ}\,\text{هـ}_{١}\,\text{هـ}_{٢} + \text{ب}\,\text{هـ}_{١} = \text{و}_{٢}\,\text{هـ}_{١}$ (٥)

بطرح المعادلة (٥) من المعادلة (٤) ينتج أن :

$\text{ب}\,(\text{هـ}_{٢} - \text{هـ}_{١}) = \text{و}_{١}\,\text{هـ}_{٢} - \text{و}_{٢}\,\text{هـ}_{١}$ (٦)

بقسمة ٦ على ٣ ينتج أن : $\frac{-\text{ب}}{\text{أ}} = \frac{\text{و}_{١}\,\text{هـ}_{٢} - \text{و}_{٢}\,\text{هـ}_{١}}{\text{و}_{١} - \text{و}_{٢}} = \text{س}$

وهو جذر المعادلة

المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية

أم الله لا تحده سرعة الضوء

للدكتور عبدالرحمن أحمد السمان (*)

بداية كلمة لابد منها :

أعد الاستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبى أستاذ الطبيعة المتفرغ بكلية البنات/ جامعة عين شمس ، مقالا يرد فيه على الأستاذ الدكتور محمود عبدالمطلب خشان الذى قدم نقداً على مقال الدكتور منصور الذى نشر بعددى :رمضان وشوال ١٤١٣ ، ومجلة الازهر ملتزمة بنشر هذا الرد ، لكن « التحرير » بالمجلة فوجىء بنقد آخر للدكتور السمان ، كان ينبغى أن ينشر حتى يستوعب النقد حقه كاملا ثم يلى ذلك نشر رد الدكتور منصور بمشيئة الله ، وهو ــ سبحانه وحده ــ المستعان .

د. الخطيب

كنت شاهدا مع جمع كريم من العقول المتفتحة لجلسات « مؤتمر التوجية الإسلامى للعلوم » المنعقدة فى رحاب جامعة الأزهر خلال الفترة من ٢٧ ربيع الآخر ــ ٢ جمادى الأولى ١٤١٣ هـ[١] والذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية ، ولمست حماسا شديدا من المشاركين على اختلاف تخصصاتهم فى إعادة الأمور إلى نصابها فى عصر تنتشر فيه أمواج العلم بسرعاتٍ عالية ، وتتوالى وسائل الاتصال الإعلامى بما تقوم عليه من تقنيات نقل العلوم إلى جميع أركان المعمورة . ولأن العالم الآن أصبح كتابا مفتوحا ، فإن الفوز بما أودعه الله فيه من أسرار تحظى به الأمم التى نظمت نفسها تخطيطا وتنفيذا ، وحافظت على قوة الدفع العقلية لدى العلماء من أبنائها .

(*) الكاتب : مدرس بكلية العلوم قسم الرياضيات جامعة الأزهر

(١) الموافق ٢٤ ــ ١٩٩٢/١٠/٢٩ .

ويقف الإسلام اليوم على مشارف عصر زاهر ـــ بإذن الله ـــ بعد أن أيقن العالم على اختلاف أنماطه العقدية أن الإسلام منهج علمى أخلاقى متكامل ، ينعم أبناؤه دون غيرهم ببرنامج عمل محدد المعالم ، واضح الأهداف

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

(الآية ٨٩ سورة النحل) .

كما يستقر فى كيان المسلم أن العلم سبب حيوى للنهوض ماديا ومعنويا ، وأنه الوسيلة الوحيدة لبناء العقيدة

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

(سورة يوسف) .

وقد بات مألوفا أن هناك كتابين يتعلم منهما البشر ، أحدهما : مقروء وهو القرآن ، والثانى : منظور وهو الكون بمن فيه ومافيه ،

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سوة النحل)

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة ص

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ سورة يونس

ولقد هدى الله سبحانه وتعالى أناسا من خلقه إلى البحث فى أمور الكون المحسوسة فتوالت الاكتشافات العلمية ، واستقر فى ضمير العلماء صواب المنهج التجريبى الذى أسسه جابر بن حيان رضى الله عنه ، فأصبحت الأفكار مضبوطة بمدى اتفاقها مع التجارب المعملية فى حدود أخطاء مقبولة .

ويمثل قبول الفروق بين عدة قياسات لظاهرة واحدة تسليما بالعجز عن الوصول إلى حقيقة الظاهرة ، ومن الأمثلة البارزة على ذلك : قياسات العلماء لسرعة انتشار الموجات الكهرومغناطيسية (الضوء) . فجميع القياسات تدور حول العدد ٣ × ١٠^١٠ سم/ث ورغم ذلك فإن استخدام هذه القيمة فى التطبيقات الصناعية لم يؤد إلى فشل التطبيقات . وهذا فضل من الله ، كما أن دقة القياس محدودة بمقدرة القائس والميزان والحالة التى عليها عينة القياس ، ولايمكن توفير عين العناصر لإعادة تجربة القياس ، مما يضيف خطأ آخر لامفر من قبوله ، والمأمول دائما أن تتحسن وسائل القياس بدرجة تكفى للوصول إلى حقيقة الظواهر ، فإذا تمكن الإنسان من ذلك فى جميع نواحى الحياة وظن أن الزمام بيده أقام الله القيامة ومتى يحدث ذلك ؟ الله أعلم .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
سورة يونس

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ ﴾ النازعات)

ولايدعى أحد أنه قادر على إقامة القيامة بمشاركته فى التطوير والرقى وتوفير وسائل الراحة المادية والمعنوية للناس أجمعين فهذا بجانب أنه فوق طاقة الأجيال المتعاقبة يقع خارج دائرة التأثير البشرى ، انظر كيف قال الله تعالى ﴿ **أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا** ﴾ فزمام الأمر كله بيد الله .

وانظر إلى دقة القرآن ﴿ اتاها أمْرُنا ﴾ إن الله قيوم السموات والأرض وأمره قائم فى كل مكان ، وكل زمان ، ونافذ فى كل شىء ، والبعض قد يرى رؤية قاصرة ، فيتوهم أن الأمر الصادر عن الله يسرى بسرعة معينة لينفذ ، وهذا خلط بين مكنونات عالم الغيب مع عالم الشهادة .

ونظرا لأننا نتعامل بالأسباب مع الأسباب فيلزمنا توظيف الزمن ، ونختلف عن بعضنا فى سرعة الأداء ، فيظهر لنا ضرورة الاستفادة من السرعة ، وقد ظهر حتى الآن أن حركة الكائنات الأرضية والأجرام السماوية ، ومايصدر عن السراج الوهاج أوغيره من النجوم من إشعاعات ذات سرعة انتقال أو انتشار لاتتجاوز سرعة انتشار الضوء أى أن سرعة انتشار الضوء هى أكبر السرعات فى عالم الشهادة حتى الآن .

أما عَالَم الغيب بشطريه : النسبى والمطلق ، فلا قدرة لمخلوق على معرفة شىء منه إلا بإذن من الله

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة الجن .

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة التغابن .

وكما يقول الإمام الشعراوى[2] بأن الزمن وعاء للغيب ، فالزمن الماضى يغلف واقعات الدهور الماضية عن حواسنا ، فهى فى عالم الغيب رغم وقوعها ، والحاضر يغيب عنا إذا غلفه المكان ، محتويا إياه ساترا عن حواسنا هل تعرف مايدور بخلد محدثك وما يحمله فى قلبه من عواطف أومايحتويه صدره من أسرار ؟ والمستقبل غائب عنا ، لأن الزمن القادم يغلفه بأستاره التى تعجز حواسنا عن كشفها .

وليس منطقيا أن تسحب قوانين عالم الشهادة على أى جانب غيبى للأسباب الآتية :

١ ــ القانون أوالقاعدة هى وصف دقيق لعلاقة بين عدة متغيرات هى عناصر القانون ، وهذا يستدعى العلم بعناصر القانون ابتداء والتحقق من موافقة مايحسب من القاعدة مع النتائج المعملية أوالمشاهدات فإذا قلنا أن أى جسم كتلته ك جم إذا تحرك بسرعة تساوى سرعة الضوء ع تحولت مادته إلى طاقة مقدارها ط يتحدد مقدارها عن القاعدة ط = ك ع^{٢} .

فلا يمكن ترديد العبارة أواستعمالهما دون علم مسبق بمعنى الكتلة ك والسرعة ع والطاقة ط .

٢ ــ تحديد سرعة الأمر الإلهى ــ تحت اسم الأمر الكونى ــ بسرعة قصوى لايتجاوزها هى سرعة الضوء يصطدم بحقيقة ثابتة تؤدى إلى اخفاق الاجتهاد وفساد الفرض .

فمن أمور الله سبحانه وتعالى اصدار الأوامر فإذا كانت الأمور فى تدبيرها ونفاذها فى الكون محددة السرعة لوجدنا ان نفاذ الأمر يتم بعد فترة زمنية مهما كانت قصيرة ــ كما تقول أن أشعة الشمس تصل إلى الأرض بعد ٨ دقائق من بزوغ الشمس ــ وعلى ذلك يكون الأمر الصادر من الله إلى النار عندما ألقى فيها سيدنا إبراهيم

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الآية ٦٩ الأنبياء .

---

(٢) حلقة التليفزيون يومى ١٦ ، ١٧ رمضان ١٤١٣ هـ قبل الإفطار (الموافق ٩ ، ١٠ مارس ١٩٩٣) .

قد تم تنفيذه بعد برهة والخليل داخل النار فهو مصاب منها لامحالة ولكن ذلك لم يحدث ؟ لأن أمر الله للنار بالتحول بردا وسلاما لايحتاج إلى زمن مهما قصر لأنه لايسرى بسرعة محدودة .

٣ ــ الاكتشافات العلمية التى تم الأعداد لها للخروج بنتيجة محددة تمثل ٣٪ مما تم اكتشافه بالفعل (راجع حديث الإمام الشعراوى المشار إليه آنفا) .

وهذا يدعونا إلى البحث بإصرار على اكتشاف ماينفع ويفيد فى الدنيا والاخرة والعالم المسلم يعبد الله على بصيرة ويوقن بأن علم الله علم إحاطة وهيمنة وشمول أما علوم الخلائق جميعها فهى ضئيلة ، وهى منحة من المولى جل وعلا .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة الإسراء

ومن ناحية أخرى فالمعروف علميا أن التعامل مع الكميات الفيزيائية يتطلب تحديد الفراغ الهندسى ومعرفة طبيعته حتى يمكن صياغة المسائل فيه ثم حلها رياضيا والعودة بالنتائج مرة أخرى إلى إطار الفيزياء .

ويقول العلماء : إن الحوادث فى هذا العالم (عالم الشهادة) تقع عند نقاط فراغ رباعى الأبعاد البعد الرابع فيها تخيلى وقد نشأ هذا التصور من تحويلات لورنتز التى تمثل ركيزة أساسية من ركائز النسبية الخاصة ، وقد التبس الأمر على بعض المجتهدين فقالوا إن الزمن شىء لامعنى له عندما رأوا الإحداثى الرابع لأى نقطة فى الفراغ الرباعى تحتوى على الزمن ن مضروبا فى سرعة الضوء ع مضروبا فى وحدة الأعداد التخيلية ت $=\sqrt{-1}$.

والصواب أن الاحداثى الرابع هو عدد تخيلى والزمن كمية حقيقية ذات معنى نعرف بواسطتها الماضى والحاضر والمستقبل .

كان لابد من هذا الإطار قبل التعرض لما جاء فى المقالات الثلاث .

وتقوم الدراسة التى نقدمها حول هذه المقالات على محاور ثلاث هى :

١ ــ المعانى اللغوية للكلمات وتعليق على الاستدلال بالآيات الواردة وأقوال المفسرين فى آيتى السجدة (٥) والحج (٤٧) .

٢ ــ التعليق على المفاهيم الواردة بالمقالات والاستفادة من اجتهادات المفسرين .

٣ ــ مراجعة المعادلات المستخدمة فى الحاسب وتصويب الخطأ فيها ثم الحصول على النتيجة المنتظرة من الحسابات الصحيحة .

أولا : المعانى اللغوية :

(دبر) الأمر ، وفيه : ساسة ونظر فى عاقبته .

(دبر) الحديث رواه عن غيره و(دبر) العبد : عتقه بموته[٣] (المقالـــة الأولى جمادى الآخرة ١٤١٣هـ سبتمبر ١٩٩٢ م من ص ٩٠٤ ــ ٩١٢) .

ص ٩٠٦ يسار سطر ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ذكر المؤلف قوله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم ﴾ الآية ٤٥ من سورة النور ، وقال انها تدل على السرعة .

تعليق : هذه الآية الكريمة تدل على طريقة التحرك وليس على سرعة الكائنات أثناء حركتها لأن الثعبان مثلا وهو زاحف على بطنه ينطلق أحيانا بسرعة تفوق سرعة الإنسان . كما أن ذات الأقدام المائة ليست أسرع الحيوانات فلا علاقة بين عدد الأرجل والسرعة[٤]

(٣) المعجم الوسيط طبعة مجمع اللغة العربية سنة ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦٠ م .

(٤) ص ٢٦ ج ١ .

(الأمر) : الحال والشأن . وفى التنزيل العزيز ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية ١٢٨ سورة آل عمران .

والأَمْر = الحادثة (ج) جمعها : أمور . والأمر الطلب أوالمأمورية وفى التنزيل العزيز وقضى الأمر الآية ٤٤ سورة هود. (ج) أوامر. وأولو الأمر: الرؤساء والعلماء(٥).

اضافة : والأمر (ج) أوامر . هو طلب فعل شيء وعكسه نهى وهو طلب الكف عن الشيء .

يظهر من ذلك أن معنى قوله تعالى ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يسوسه ويعده للتنفيذ وينظر جلا وعلا فى عاقبته تعالى الله عن الشبيه والشريك علوا كبيرا

ص ٩٠٧ سطر ٢٦ يقول المؤلف : ومنذ أن عرف الإنسان هذه القيمة (٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ث) الهائلة لسرعة الضوء وهو يتساءل عن امكانية وجود سرعة تفوق سرعة الضوء ، وجاء الرد عن هذا السؤال نظرياً فى عام **١٩٠٥ م حين أعلن العالم (ألبرت أينشتين) استحالة وجود سرعة أكبر من سرعة الضوء فى النظرية النسبية الخاصة وذلك على مستوى الكون الحالى الملموس والمشاهد لنا .**

التعليق : ثبوت سرعة الضوء هو أحد فروض النظرية النسبية الخاصة وليس حقيقة مطلقة ، وعدم وجود شيء يتحرك بسرعة أكبر من سرعة الضوء فى العالم الملموس والمشاهد لنا لا يعنى أبداً أن عالم الغيب هو أيضاً لا يوجد به ما يتحرك بسرعات أعلى من سرعة الضوء . لأن قوانين عالم الغيب لا يعلمها إلا الله .

ويقول فى ص ٩٠٨ السطر ١٧ يمين « .. ولن يصل البشر إلى قياس سرعة أكبر منها لأنه من المستحيل أن تجد جسما ماديا يتسارع حتى يبلغها ، ومن العبث أن نتحدث عن سرعة أكبر منها فى هذا الكون » .

تعليق : (لن يصل) رجم بالغيب والصواب (لم يصل البشر ..) ، (ومن العبث) ليس هناك ما يمنع من البحث عن ذلك وتوجد الآن نظريات تتخلص من فروض ثبوت سرعة الضوء وتتوقع وجود جسيمات (مثل تايكون) تسير بسرعة أكبر من سرعة الضوء .

ص ٩٠٩ سطر ٤ يسار يذكر المؤلف : قوله تعالى فى القرآن الكريم

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾
سورة السجدة

كما يقول : وطبقا لأقوال جمهور كبير من المفسرين والمفهوم العلمى للنسبية فإننا نثبت فيما يلى أن هذه الآية تحدد مقدار السرعة القصوى فى هذا الكون ويؤيد ذلك النص القرآنى فى قوله تعالى :

﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ الآية ٤٧ من سورة الحج .

تعليق : «معانى الكلمات»(٦).

(اليوم) : زمن مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها ، واليوم : الوقت الحاضر ومنه فى التنزيل العزيز

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الآية ٣ سورة المائدة .

وفى الفلك : مقدار دوران الأرض حول

---

(٥) ص ٢٦٩ الجزء الأول ط ٢ .

(٦) المعجم الوسيط طبعة مجمع اللغة العربية سنة ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م ج ٢ ص ١٠٦٧ .

محورها ومدته أربع وعشرون ساعة (ج) أيام ، وأيام العرب : وقائعهم وأيام الله : نقمه فى الأمم الماضية ونعمه أيضا وبهما فسر قوله عز وجل : ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ الآية ٥ سورة إبراهيم .

(المقدار)[٧] : مقدار الشىء : مثله فى العدد أوالكيل أوالوزن أوالمساحة ، والمقدار : القضاء والحكم (ج) مقادير ، والمقدار : آلة يعين بها ساعات الليل والنهار ، (يقال لها الآن الساعة) .

(السنة)[٨] : مقدار قطع الشمس البروج الاثنى عشر ، وهى السنة الشمسية . والسنة : تمام اثنتى عشرة دورة للقمر ، وهى السنة القمرية .

(والسنة فى عرف الشرع) : كل يوم إلى مثله من القابل من الشهور القمرية . و(السنة فى العرف العام) : كل يوم إلى مثله من القابل من السنة الشمسية .

مصادر التفسير وأقوال المفسريـــن للآيتين الكريمتين :

أولا : الآية (٥) من سورة السجدة :

المصدر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج١٤ ص٨٦ :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾

﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ.. ﴾ قال ابن عباس (رضى الله عنهما) ينزل القضاء والقدر ، وقيل : ينزل الوحى مع جبريل ، وروى عروة بن مرة عن عبدالرحمن ابن سابط .

يدبر أمر الدنيا أربعة : جبريل للرياح والجنود ـــ ميكائيل بالقطر والماء ـــ وعزرائيل ملك الموت ـــ وإسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم .

قيل: إن العرش موضع التدبير ومادون العرش موضوع التفصيل ومادون السموات موضع التصريف .

﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ قال يحيى بن سلام : هو جبريل يصعد إلى السماء بعد نزوله بالوحى .

النقاش : هو المَلَك الذى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض .

ابن شجرة : إنها أخبار أهل الأرض تصعد إليه مع حملتها من الملائكة .

وقيل : أى يرجع ذلك الأمر والتدبير إليه بعد انقضاء الدنيا فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون يوم القيامة .

ثم يستطرد الإمام القرطبى : وعلى الأقوال المتقدمة فالكتابة فى يعرج إلى الملك ولم يجر له ذكر لأنه مفهوم من المعنى ، وقد جاء صريحا فى سورة المعارج ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ .. ﴾ والضمير فى إليه يرجع إلى السماء فى لغة من يذكرها أو على مكان الملك الذى يرجع إليه أو على اسم الله تعالى والمراد إلى الموضع الذى أقره فيه ، وإذا رجعت إلى الله فقد رجعت إلى السماء ، أى إلى سدرة المنتهى فإنه إليها يرتفع مايصعد به من الأرض ومنها ينزل مايهبط به إليها . ثبت معنى ذلك فى صحيح مسلم . والهاء فى (مقداره) راجعة إلى التدبير .

قال مجاهد : والمعنى : كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة من سنى الدنيا ، أى يقضى أمر كل شىء لألف سنة فى يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته ، فإذا أمضت قضى لألف سنة أخرى ، ثم كذلك أبدا .

وقيل الهاء للعروج والمعنى : أنه يدبر أمر الدنيا إلى أن تقوم الساعة ثم يعرج إليه ذلك الأمر فيحكم فيه فى يوم كان مقداره ألف سنة

(٧) المعجم ص ٧١٩ ج ٢ .

(٨) المعجم ج ١ ص ٤٥٦ ..

وقيل المعنى : يدبر أمر الشمس فى طلوعها وغروبها إلى موضعها من الطلوع فى يوم كان مقداره فى المسافة ألف سنة .

قال ابن عباس : المعنى كان مقداره لوساره غير الملك ألف سنة .

الزمخشرى : أى أن جبريل لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم من أيامكم .

عن ابن عباس : أن الملك يصعد فى يوم مسيرة ألف سنة (النزول ألف سنة والصعود ألف سنة) .

عن قتادة : أن الملك ينزل ويصعد فى يوم مقداره ألف سنة اى نزوله خمسمائة ومقدار صعوده خمسمائة .

﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ : أى تحسبون من أيام الدنيا وهذا اليوم عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة من سنى العالم وليس بيوم يستوعب نهارا بين ليلتين لأن ذلك ليس عند الله ، والعرب قد تعبر عن مدة العصر باليوم .

فما قوله تعالى ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فمشكل مع هذه الآية .

وعن ابن عباس : سئل عن ذلك فقال : أيام سماها الله سبحانه وما أدرى ماهى فأكره أن أقول فيها مالا أعلم ، وسئل عنها ابن المسيب فقال لا أدرى .

تكلم العلماء فى ذلك فقيل : أن آية المعارج إشارة إلى يوم القيامة بخلاف هذه الآية والمعنى أن الله تعالى جعله فى صعوبته على الكفار خمسين ألف سنة .

وعن قتادة ومجاهد والضحاك : أراد من الأرض إلى سدرة المنتهى التى فيها جبريل يقول تعالى (ما معناه) : يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة فى يوم واحد من أيام الدنيا .

وقوله (إليه) : يعنى المكان الذى أمرهم الله تعالى أن يعرجوا إليه ، وهذا كقول إبراهيم عليه السلام فى القرآن .

﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ الآية ٩٩ سورة الصافات وأراد الشام ، وقوله تعالى ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ﴾ الآية ١٠٠ سورة النساء . أى المدينة .

تفسير فى ظلال القرآن : سيد قطب الطبعة العاشرة دار الشروق سنة ١٤٠٢ هـ ج٥ ص ٢٨٠١ ومايليها .

هذه السورة المكية (يعنى سورة السجدة) نموذج من نماذج الخطاب القرآن للقلب البشرى بالعقيدة الضخمة التى جاء القرآن ليوقظها فى الفطر ويركزها فى القلوب : عقيدة الدينونة لله الأحد الفرد الصمد خالق الكون والناس ومدبر السموات والأرض ومابينهما ومافيهما من خلائق لايعلمها إلا الله والتصديق برسالة محمد ـــ ﷺ ـــ الموصى إليه بهذا القرآن لهداية البشر إلى الله والاعتقاد بالبعث والقيامة والحساب والجزاء .

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ..﴾ ص ٢٨٠٧

والتعبير يرسم مجال التدبير منظور واسعا شاملا **﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾** ليلقى على الحس البشرى الظلال التى يطيقها ويملك تصورها ويخشع لها . وإلا فمجال تدبير الله أوسع وأشمل من السماء والارض ، ولكن الحس البشرى حسبه الوقوف أمام هذا المجال الفسيح ، ومتابعة التدبير شاملا لهذه الرقعة الهائلة التى لايعرف حتى الأرقام التى تحدد مداها ! ثم يرتفع كل تدبير وكل تقدير بمآله ونتائجه وعواقبه ، يرتفع إليه سبحانه وتعالى فى علاه فى اليوم الذى قدره لعرض مآلات الأعمال والأشياء والأحياء **﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾** .

وليس شيء من هذا كله متروكا سدى ولامخلوقا عبثا إنما يدبر بأمر الله إلى أجل مرسوم يرتفع ، فكل شيء وكل أمر وكل تدبير وكل مآل هو دون مقام الله ذى الجلال ، فهو يرتفع إليه أويرفع بإذنه حين يشاء .

ص ۲۸۰۳ ثم يعرض قضية الألوهية وصفتها فى الوجود : فى خلق السموات والأرض ومابينهما وفى الهيمنة على الكون وتدبير الأمر فى السموات والأرض ورفع الأمر إليه فى النهى والأمر ..

وهذه القضية الثانية تفيد الألوهية وصفتها : صفة الخلق وصفة التدبير ، وصفة الإحسان وصفة الإنعام وصفة العلم وصفة الرحمة وكلها مذكورة فى سياق آيات الخلق والتكوين .

تفسير الجلالين :(٩)

﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض** ﴾ مدة الدنيا ﴿ **ثم يعرج** ﴾ يعرج الأمر والتدبير إليه ﴿ **فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** ﴾ فى الدنيا ، وفى سورة المعارج ﴿ **خمسين ألف سنة** ﴾ وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر ، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا كما جاء فى الحديث .

التعليق للشيخ محمد كريم بن سعيد راجح ﴿ كان مقداره ألف سنة ﴾ المراد بالألف الزمن المتطاول وليس المقصود منه حقيقة العدد ، إذ هو عند العرب منتهى المراتب العددية وأقصى غاياتها وليس هناك مرتبة فوقه إلا مايتفرع منه من إعداد مراتبها .

تفسير المصحف المفسر لمحمد فريد وجدى طبعة دار الشعب ص ٥٤٥ :

﴿ **ثُمَّ يَعْرُجُ إليهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنة** ﴾ أى يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية نازلة آثارها إلى الأرض ثم يصعد إليه ذلك الأمر ويثبت فى علمه فى برهة من الزمان متطاولة ، يريد بذلك بعد مابين التدبير ووقوع أثره ، أى يدبره ويحسب حسابه قبل وقوعه بوقت طويل وقيل يدبر الأمر من يوم خلق الأرض إلى قيام ساعتها ، ثم يرجع إليه الأمر كله جملة فى يوم هو يوم القيامة طويل الأمد مقداره ألف سنة .

يدبر أمر الأرض من سماء جلاله من يوم وجودها إلى ساعة تلاشيها ثم يصعد إليه الأمر كله ليحكم فيه فى يوم هو يوم القيامة مقداره ألف سنة مما تعدون .

صفوة التفاسير (للشيخ محمد على الصابونى ج ٢ ص ٥٠٢) .

﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض** ﴾ أى يدبر الخلائق جميعا والعالم العلوى والسفلى ، لايهمل شأن أحد .

قال ابن عباس : أى ينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض ، وينزل مادبره وقضاه ﴿ ثم يعرج إليه ﴾ أى ثم يصعد إليه ذلك الأمر كله يوم القيامة ليفصل فيه .

﴿ فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ أى فى يوم عظيم ــ هو يوم القيامة ــ طوله ألف سنة من أيام الدنيا لشدة أهواله .

﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة ﴾ أى ذلك المدبر لأمور الخلق هو العالم بكل شيء ، يعلم ماهو غائب عن المخلوقين وماهو شاهد لهم .

– يتبع –

(٩) طبع دار الإيمان بيروت تقديم وتعليق محمد كريم بن سعيد راجح ص ٥٤٤ .

الجديد في العلم والتقنية

اعـــداد : د. نجوى السيد أحمد.

تطهيـــر الميـــــاه بالأشـــعة الشمســـية

اكتشف الباحثون فى مختبرات « سانديا » بولاية نيو مكسيكو طريقة لإزالة كافة المركبات العضوية السامة الموجودة فى المياه من خلال إضافة أشباه النواقل الحساسة للضوء إلى المياه ، وتعريض المياه نفسها لأشعة الشمس .

فعندما تسقط الأشعة فوق البنفسجية (أحد مكونات الأشعة الشمسية) على أشباه النواقل تطلق الإلكترونات من شريط تكافئها وينتج إيونات مشحونة إيجابياً . وتتفاعل الإلكترونات والإيونات مع الماء ، فينحل الأكسجين فيه ، وينتج عن ذلك جذور هيدروكسيلية وشوارد فوق أكسيدية لها قدرة عالية على الأكسدة ، وبإمكانها تفكيك كل المواد العضوية تقريباً ، وتحويلها إلى مواد أولية غير ضارة ، وتصبح المياه صالحة للشرب .

طائـــــرة تعمـــــل بالغـــــاز الطبيعـــى

بدأت فى موسكو سلسلة رحلات اختبارية لطائرة ركاب تعمل بالغاز الطبيعى ، ويمكن أن تستخدم المطارات الحالية دون الحاجة إلى أية مرافق خاصة على الأرض ، وقد صممت الطائرة بحيث يتمكن طاقمها من إعادة تزويدها بالوقود من شاحنة متنقلة تحمل فى خزاناتها أو فوق الجناحين . وتتميز هذه الطائرة بقلة تكاليفها حيث أن الغاز الطبيعى أقل تكلفة من الكيروسين ومتوفر بغزارة .

* باحثة بالمركز القومى للبحوث .

انتـاج سلالــــة من المشمش ذات قيمـة علاجيـة عاليـــة

تمكن خبراء المعهد الوطنى للأبحاث الزراعية بفرنسا من إنتاج سلالة جديدة من المشمش يتميز بمذاقه الخاص وطاقاته الحرارية والغذائية والعلاجية أيضاً ، وبالتحاليل وجد أنه يحتوى على فيتامينات لا توجد فى المشمش العادى وتساعد على تقوية جهاز المناعة الذاتية ضد فيروسات أمراض الشتاء كالأنفلونزا ، وكذلك تنشيط فعالية كرات الدم البيضاء وحيوية خلايا المخ .

مغنــــاطيس هـــــائل فى أعمـــاق الـــكون

اكتشف علماء الفلك الأمريكيين مجموعة كواكب تعطى نحو نصف مليار سنة ضوئية وتعمل كمغناطيس كونى ضخم على بعد ١٥٠ مليون سنة ضوئية من الأرض ، حيث تؤثر بجاذبيتها الفائقة على العديد من المجرات ومن بينها مجرة « درب التبانة » التى تنتمى إليها مجموعتنا الشمسية .

لــدائن جديـــــدة مــــن النبـــــات

نجح علماء الهندسة الوراثية بأمريكا فى انتاج لدائن « مواد بلاستيكية » جديدة من نبات تابع لعائلة شجرة الخردل ، وقد تسنى لهم ذلك بفضل « جينة » معينة من أحد أنواع البكتريا التى لها القدرة على تحويل السكر إلى مادة بلاستيكية بصورة طبيعية ، ثم زرع هذه « الجينة » فى بنية الشجرة المذكورة . ويتميز البلاستيك النباتى الجديد بأن له نفس خصائص البلاستيك العادى المصنع من البترول ، فضلاً عن قابليته للتحلل والتلاشى دون أن يحدث تلوثاً بالبيئة .

جـــــرس للمنـــــــزل بالطاقــــة الشمسيـــة

ابتكرت إحدى الشركات البريطانية جرساً لباب المنزل يعمل بالطاقة الشمسية ، حيث يوجد فى زر الجرس خلية شمسية حساسة تزوده بشحنة كافية من ضوء النهار وتولد طاقة تكفى لتشغيل الجرس ما بين ٤٠ إلى ٥٠ مرة ، والجرس الجديد سهل التركيب ولا يحتاج إلا إلى زوج من الأسلاك لوصل زر الجرس بوحدة الرنين .

فوائـد جديدة للثـوم

أثبت فريق بحثى ألمانى أن نسبة الكولسترول فى الدم تنخفض بنسبة ١٧٪ باستخدام المادة الفعالة فى الثوم ، كما أكد فريق بحثى أمريكى أن الثوم يقلل من خطر النوبات القلبية ، وتناول زيت الثوم يقى

من بعض الأزمات القلبية . كما اثبتت الدراساتُ على الثوم أنه يقلل من مستوى السكر فى الدم ويضعف نمو بعض الجراثيم داخل جسم الإنسان ويساعد على علاج الأمراض الجلدية التى تصيب الأقدام .

تنظيم الغذاء للوقاية من الأمراض

أكد علماء التغذية والمناعة بالولايات المتحدة الأمريكية أن النظام الغذائى من الممكن أن يستخدم كدواء للشفاء أو لمنع الأمراض عن ملايين الناس ، وأن تحديد نظم غذائية معينة قد يمنع الإصابة بمرض القلب . ويزيد من كفاءة جهاز المناعة فى الجسم . ويرفع من قدرته على مقاومة الأمراض .

واتفق العلماء بعد إجراء العديد من الأبحاث على إعداد نظم غذائية تناسب بعض الحالات المرضية للتخلص من بعض الأمراض كالسرطان وأمراض جهاز المناعة المكتسبة ، ومرضى عمليات زراعة الأعضاء .

مضخة صغيرة لمرضى القلب

يقوم الباحثون فى المركز الطبى بمعهد القلب التابع لجامعة بتسبرج بولاية (كاليفورنيا) بإجراء التجارب على الحيوانات لاختبار مضخة صغيرة جديدة يمكنها أن تنقذ أرواح بعض المرضى الذين كان من المستحيل أن تجرى لهم عمليات زرع قلب .

وتتحمل المضخة فى حالة زرعها فى القلب معظم الأعباء عن القلب المريض لتسمح له بأداء بعض الوظائف دون أن يصاب بالإجهاد . والمضخة مصنوعة من التيتانيوم وهى فى حجم بطارية يد صغيرة وتدور بمعدل ١٢ ألف لفة فى الدقيقة الواحدة .

الزجاج المحلى لقياس نسبة الإشعاع

توصلت مجموعة من الباحثين بالمركز القومى للبحوث ومركز تكنولوجيا الإشعاع إلى إنتاج جهاز لقياس الجرعات الإشعاعية يمكن تصنيعه من بعض أنواع الزجاج الذى يدخل الفوسفات فى تركيبته بدرجة أساسية ، ويعتمد عمل هذا المقياس على التغيير فى الصفات الضوئية التى تشير إلى مقدار الإشعاع الساقط عليه .

وهذا النوع من الزجاج يشبه إلى حد كبير عظام الإنسان من حيث قدرته على امتصاص الإشعاع المعروف باسم « إشعاع جاما » ؛ مما يؤهله للاستخدام كمقياس للجرعات الإشاعية للعاملين بجوار المصادر الإشعاعية فى المفاعلات النووية والمشتغلين فى مجال تعقيم بعض المحاصيل الزراعية بالإشعاع .

من أعلام الأزهر

الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد نجا

«١٩١٣/٣/١٢ ـ ١٩٨١/٥/٦»

الأستاذ محمود عبد الرازق عقبان

أستاذ جليل ، وشيخ كبير ، ورائد من رواد العلم والمعرفة فى الأزهر الحديث .

تسنَّم العديد من المناصب الكبرى فى الأزهر الشريف وجامعته ، فكان فيها مثال رجل الدين العظيم ، الذى يؤدى الواجب ، ويتحمل المسئولية ، ويعمل من أجل التقدم العلمى فى هذا الميدان ، ويحرص على تخريج جيل من أجيال العلماء فى جامعة الأزهر يستطيع أن يحمل الأمانة ، ويتحمل العبء ، ويلتزم بالشرف والصدق ، وطهارة اليد واللسان .

كان ـ رحمه الله تعالى ـ من أبرز علماء جيله ، يخالط الناس ويشاركهم بأساءهم ونعماءهم ، ويواسيهم فيما يلم بهم من مكروه ، ويساعدهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وكان خطيبا مفوها ، يتحدث إلى الجماهير فيملكهم ببلاغة لسانه وفصاحة أسلوبه وجمال ألفاظه ؛ فإذا ما اعتلى منبر الخطابة فى أى من بيوت الله أبكى العيون ورقق القلوب ، وأشعر الناس بجلال الله وعظمته .

وكم كان لإبراهيم نجا ـ رحمه الله ـ من مواقف خالدات ، حشدت له ذكريات عاطرات ، يعلمها أصدقاؤه وزملاؤه وتلاميذه ، تخطر ـ حين تخطر ـ فيترحمون عليه ، ويدعون له بالثواب الجزيل .

ولد رحمه الله فى (أبيار) مركز كفر الزيات محافظة الغربية عام ١٩١٣ ، وحفظ القرآن الكريم ، وتلقى العلم فى المعهد الأحمدى بطنطا حتى أنهى دراسته الثانوية .

ثم التحق بكلية اللغة العربية ، إحدى كليات الأزهر الشريف ، وتتلمذ على شيوخها ، وكبار أساتذتها ، فكان من أوائل الخريجين منها فنال الشهادة العالية عام ١٩٣٨ ، ثم التحق بقسم الأستاذية للدراسات العليا شعبة أصول اللغة ، ونال منها شهادة العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراة) عام ١٩٤٤ عن رسالته : (المدرسة البغدادية فى النحو العربى) .

وعين عام ١٩٤٤ مدرسا بتلك الكلية ، ثم رُقِّىَ أستاذا مساعدا عام ١٩٦٣ ، فأستاذا عام ١٩٦٦ ، فرئيساً لقسم أصول اللغة عام ١٩٦٨ .

ثم اختير عميداً لنفس الكلية عام ١٩٦٩ ، فنائباً لرئيس جامعة الأزهر عام ١٩٧٤ ، وظل بهذا المنصب إلى عام ١٩٧٨ حيث أحيل إلى المعاش لبلوغه السن القانونية .

وشغل ـ رحمه الله ـ عضوية كثير من المجالس والهيئات والجمعيات العلمية ، ومن بينها :

(أ) عضوية مجلس الأزهر الأعلى عام ١٩٦٦ .

(ب) عضوية المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٧٦ .

(جـ) عضوية اللجان العلمية المؤلفة لاختيار المرشحين للبعثات الحكومية عام ١٩٧٧ .

عاصر فضيلته العديد من كبار شيوخ الأزهر ، وقدروا فيه خلقه وأدبه وعلمه ، وكان موضع ثقتهم .

مؤلفاته :

وللأستاذ الجليل الدكتور إبراهيم نجا العديد من المؤلفات القيمة التى طبع أغلبها طبعات عدة ، وكانت هى المادة العلمية لطلاب جامعة الأزهر التى يقفون بها على أسرار العربية ، وأصولها ، وفروعها ، واشتقاقاتها ، ولهجاتها ، والمعاجم التى جمعت مادة اللغة العربية على اختلاف أنواعها ومناهجها .

ومن هذه الكتب القيمة نذكر ما يلى : .

١ ـ المدرسة البغدادية فى النحو العربى :

وهى أطروحته لنيل الدكتوراه عام ١٩٤٤ من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر وتمثل دراسة عميقة للمدرسة البغدادية وعلمائها ومؤلفاتها فى النحو العربى .

٢ ـ فقه اللغة العربية : وفق منهج الدراسة للسنة الثالثة بكلية اللغة العربية تحدث فيها عن موضوعات كثيرة منها : فروع الدراسات اللغوية ، وتنوع البحوث فى الدراسات اللغوية عند علماء الغرب وعن التفكير اللغوى عند العرب ، ونشأة اللغة ومميزات اللغة السامية

وفروعها ، وعن العربية وطبقاتها وعوامل نمو اللغة ، والاشتقاق والقلب والنحت والإبدال وتنوع الدلالة التى منها الحقيقة والمجاز والكتابة والاشتراك والتراءف ، وعن الحيوانات والطيور المألوفة فى مصر وأصواتها وعن الحشرات إلخ .

٣ ـ فقه اللغة العربية : وفق منهج الدراسة للسنة الرابعة بنفس الكلية واستطاع أستاذنا الخوض فى مغمار هذا الفن فأخرجه مخرجاً خاصاً يستهويك أسلوبه المغرى الذى لاملل فيه ولا سأم وتعبيره الذى لاكلفة فيه ولاتثاقل ، فتحدث عن النباتات والبقول والأشجار والأزهار والحبوب والفاكهة والظواهر الكونية مثل السماء والخافقيْن والأفق والأجواء والليل والنهار والظلام والضياء والحر والبرد والاعتدال .. الخ .

٤ ـ اللهجات العربية : وفيها يحدثنا فضيلة الدكتور نجا عن أشياء كثيرة احتواها هذا الكتاب من أهمها حديثه عن (مصادر اللهجات العربية) وذلك حيث يقول : إن احتكاك اللهجات العربية ببعضها أدى فى نهاية الأمر إلى تزعم القرشية وصرعها جميع اللهجات إلا أنه قد بقى لكل قبيل بعض الألفاظ التى كانوا يستعملونها فى مخاطبتهم وفى النادر من أشعارهم والذى يرشدنا إلى هذه البقية من اللهجات مصدران :

(أ) القراءات التى رويت فى القرآن الكريم عن أئمة القراء الموثوق بهم .

(ب) ما رواه الثقات فى كتب النحو والأدب واللغة والتاريخ .

٥ ـ التجويد والأصوات : ومن موضوعات هذا الكتاب القيمة موضوع التنغيم ، ويعنى التنغيم : تنويع الأداء للعبارة حسب المقام المقول فيه .

ولا شك أن للتنغيم أثراً هاماً فى اللغات وخاصة التى لا تعتمد على قواعد مضبوطة كاللغات العامية عندنا فإنه يعتمد على التنغيم فى فهم المراد من الجملة فمثلا إذا نطق متكلم باللغة العامية وهى « محمد جه » وهى تحتمل إخبارا بمجيئه واستفهاماً عن مجيئه ، إلا أن تنويع العبارة واختلاف النغم يفهم السامع المراد منها ، فإن ظهر على قسمات وجهه حال أداء هذه الجملة ما يشعر برغبة التعرف عن مجىء محمد أشعر السامع وأفهمه بأنه يقصد من أداء هذه الجملة استفهاماً عن مجيئه أما إذا أدى تلك الجملة بعبارة هادئة ولم يبد على قسمات وجهه بالتحير والمنبىء عن طلب الفهم لحال محمد اتجه ذهن السامع إلى أن إلقاء الكلام بهذه الصورة يقصد منه مؤديه إخبار السامع بأن محمدا قد حضر .

ومن موضوعات هذا الكتاب يتحدث أستاذنا عن (المدّ) ومعناه : الزيادة ، ومنه قوله ـ تعالى : ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ نوح١٢ أى يزدكم ، واصطلاحا : إطالة الصوت بحرف من حروف المد الثلاثة وهو ينقسم إلى قسمين : أصلى وفرعى فالأصلى : هو المعروف عند القراء بالطبيعى لأن صاحب الطبيعة لا ينقصه ولا يزيد عليه وهو يمد بمقدار حركتين كقوله تعالى : ﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ آل عمران٧٢ وحروفه ثلاثة : الألف والواو والياء الساكنات والتى تجانسها الحركة السابقة عليها وهى الفتحة قبل الألف والضمة قبل الواو والكسرة قبل الياء .

والمد الفرعى هو المد الزائد على طبيعة الحرف كوقوع همزة بعد المد كقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الإنسان ٣٠ أو سكون كقوله تعالى : ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ ﴾ الأنعام ٨٠

٦ ـ كتاب المعاجم :

جمع فيه كتب اللغويات المستعملة فتحدث عن :

١ ـ معجم العين للخليل بن أحمد اليحمدى الأزدى الفراهيدى .

٢ ـ التهذيب لأبى منصور محمد بن أحمد بن أزهر الهروى اللغوى المعروف بالأزهرى .

٣ ـ الجمهرة لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد .

٤ ـ البارع لأبى على إسماعيل ابن القاسم بن عبدون بن هارون القالى البغدادى .

٥ ـ المحكم لأبى الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده المرسى الأندلسى .

٦ ـ تاج اللغة وصحاح العربية للإمام أبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى .

٧ ـ لسان العرب لأبى الفضل جمال الدين بن مكرم بن على بن منظور الإفريقى المصرى الخزرجى .

٨ ـ القاموس المحيط للإمام أبى طاهر محمد بن يعقوب قاضى القضاة مجد الدين الصديقى الفيروز بادى الشيرازى اللغوى .

٩ ـ تاج العروس لمحب الدين أبى الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى .

١٠ ـ الجاسوس على القاموس لأحمد فارس ابن يوسف بن منصور الشدياق .

١١ ـ أساس البلاغة لأبى القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشرى .

١٢ ـ مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى .

١٣ ـ المصباح المنير لأحمد بن محمد على المقرى الفيومى .

المعاجم اللبنانية :

١٤ ـ المنجد للأب لويس بن نقولا المعلوف اليسوعى .

١٥ ـ محيط المحيط للمعلم بطرس بن بولس ابن عبد الله البستانى .

٦ ـ أقرب الموارد فى فصيح العربية والشوارد للشيخ سعيد توفيق الشرنوبى .

معاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٧ المعجم الكبير ١٨ المعجم الوسيط . ١٩ المعجم المرتب للأستاذ/ جبران مسعود صدر فى بيروت سنة ١٩٦٤ وقد كتب أستاذنا كلاماً وافياً ونسب كل معجم إلى صاحبة وذكر منزلته العلمية وهدفه ومنهجه .

وفى صفحة ١٢٥ من كتاب المعاجم لأستاذنا تكلم عن منهج ابن منظور فقال : (وقد اتبع [أى ابن منظور] فى سبيل ذلك جمع المواد اللغوية من أمهات الكتب التى أشار إليها وهى تهذيب الأزهرى ومحكم ابن سيده وصحاح الجوهرى وحواشى ابن برى والنهاية لابن الأثير ومع الاستقصاء فى الجمع انتهج تيسير البحث وقد اتبع الطرق الآتية :

١ – ساير طريقة الصحاح فى تجريد الكلمة من الزوائد والاعتماد على الحروف والأصول .

٢ – اتبع نظام القافية فى جعل الحرف الأخير باب الكلمة والأول فصلها «فكتب» تكون فى باب الباء فصل الكاف .

٣ – عنى بضبط الألفاظ اتقاء التصحيف والتحريف الذى وقع فى المعاجم وذلك إما بالضبط بالشكل كقوله فى مادة «رحب» الرُّحب بالضم السعة وفى قوله فى مادة «الرطب» بالفتح ضد اليابس ، والرطب : الناعم رطُب بالضم يرطب رطوبة ورطابة وإما بذكر موازن الكلمة لضبطها كقوله كتأ الليث : الكتأة بوزن فعلة مهموز نبات كالجرجير يؤكل ويطبخ .

٤ – جمع أقوال العلماء فى شرح الألفاظ مع الاختصار .

٥ – رغم هذا الشرح بمأثور كلام العرب ومن القرآن والحديث وفصيح الشعر كقوله فى مادة قيأ القييء مهموز ومنه الاستقاء وهو التكلف لذلك والتقيؤ أبلغ وأكثر وفى الحديث (لو يعلم الشارب قائماً ماذا عليه لاستقاء ما شربه) وقال تقيأت المرأة لزوجها تعرضت له قال الشاعر :

تقيّأت ذات الدلال والخفر
لعابس جافى الدلال مقسعر

٦ – اهتم بنسبة الأبيات إلى قائليها فى غالب الأمر وهو ما نلمسه فى المعجم وفى القليل يترك تلك النسبة .

٧ – عنى بلغات العرب كما فى قوله مادة (قيأ) وحكى ابن الأعرابى رجل قَيُوٌّ كعدو وكقوله فى مادة ترب : التراب والترب والترباء والتورب والتيرب والتوارب والتيراب والتريب ، وجمع التراب : أتربة وتربان عن اللحيانى .

٨ – اهتم بالنوادر والأخبار التى لها صلة بالمادة .

٩ – عنى بقواعد النحو والصرف عناية دقيقة وهذه الأمور ليست من ابتداعه واختراعه ، ولكنه أخذها عن السابقين وأمهات الكتب التى نقل عنها وقد صدر هذا المعجم بمقدمة للسيد أحمد ابن فارس الشدياق أوضح فيها مميزاته وخصائصه ثم شفع بمقدمة المؤلف التى أبان فيها منهجه والكتب التى أخذ عنها وأوضح فيها عيوب المعاجم الأخرى إما لسوء الترتيب وإما لتقصير جمع المواد ثم أعقب ذلك بباب شرح فيه الحروف المقطعة وأبان أنه خالف الكتب الأخرى بتصديرها لتكون أمام نظر الباحث ثم أعقب ذلك بذكر المواد حسب المنهج الذى رسمه الجوهرى فى الصحاح .

وبعد فهذه صفحات مضيئة من حياة أستاذ جليل عاش فى أروقة الأزهر نحو الستين عاما ، طالبا ، ثم مدرسا وأستاذا ، وعميداً ، وموجهاً ، ومسئولا عن التوجيه العلمى فى كلية من أعرق كليات جامعة الأزهر الشريف ، وهى كلية اللغة العربية .

رحمه الله ، وأجزل مثوبته ، كفاء ما قدم لدينه ، وللغة الكتاب الحكيم من أياد بيض خالدات على مر العصور .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

حديث القرآن عن اللغو

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

اعداد وتقديم م . عبد الفتاح حسين الزيات

القرآن كتاب جامع شامل ، أنزله خالق الإنسان وصانعه لمن خلقه وصنعه ؛ ليستقيم عليه أمره ، لذا لم يترك من سلوك الإنسان شاردة ولا واردة إلا أنزل فيها حكما ، ومن ذلك : لَغْو الإنسان بالكلام .

ولغو الكلام من الاستعمالات التى تجرى على الألسنة كثيراً ومعايير الضبط له معدومة ، مما جعل استعماله شائعا بين الخاصة والعامة .

ونظرا لما قد يترتب عليه من آثار . فقد تناوله

القرآن تناولا شاملا موضحاً حقيقته ، مبيناً آثاره حتى يكون المسلم على بينة بخطيئة لسانه ومزالقها التى لا تليق بالمسلم ولاتَحْسُنُ به ثم إن الله ـ سبحانه ، من قبل ذلك وبعده ـ يبغض اللغو ولذلك أنزل فيه آيات ليذكر أولو الألباب .

قال الاستاذ ـ رحمه الله :

ما أكثر الكلام بين الناس ، وما أهون شأنه على الثرثارين الفارغين ، وما أقل الأعمال الطيبة عند هؤلاء ، وخاصة فى المجتمعات الضعيفة المتحللة التى تقنع باجترار الألفاظ وترديد الكلام وتشقيق الأمانى ، وقد راعت هذه الحقيقة كثيراً من المصلحين والحكماء منذ أقدم العصور ، وجسمها أبو العلاء المعرى فى بيت موجع له ، فقال :

لو غربل الناس كيما يعدموا سقطا
لما تَحَصَّلَ شىء فى الغرابيل !!

وللقرآن الكريم حديث عن « اللغو » له عظته وعبرته ، وفيه فائدته وثمرته ؛ ويحسن بنا قبل عرض الحديث القرآنى عن « اللغو » أن نستأنس بمعانى المادة الكثيرة المتقاربة فى معاجم اللغة .

فمما جاء فى لسان العرب عن مادة « اللغو » قوله :

اللغو واللغا : السقط ، وما لا يعتد به من كلام وغيره ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع .

وعن الفراء : ولد الشاة المبيعة يسمى لغواً لأنه نبع لها ، ولا ثمن له مسمى .

وقال الأصمعى : هو الشىء الذى لا يعتد به . وجماع اللغو هو الخطأ إذا كان اللجاج والغضب والعجلة . وكلمة لاغية : فاحشة ، وفى التنزيل العزيز : ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ الغاشية/١١ هو على النسب ، أى كلمة ذات لغو ، وقيل : أى كلمة قبيحة أو فاحشة وقال قتادة : أى باطلا ومأثما . وقال مجاهد : شتما ؛ ونباح الكلب : لغو أيضاً .

وقال الفراء : فى قوله تعالى : ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ فصلت ٢٦ ، قالت كفار قريش : إذا تلا محمد القرآن فالغوا فيه ، أى : اغلطوا فيه يبدل أو ينسى فتغلبوه . وإذا مَرُّوا باللغو[1] : بالباطل . ولغا فلان عن الصواب وعن الطريق : إذا مال عنه .

وفى معجم « مقاييس اللغة » لابن فارس فى مادة « لغو »[2] هذه العبارة : « اللام والغين والحرف المعتل ـ الواو ـ أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على الشىء لا يعتد به ، والآخر على اللهج بالشىء . فالأول اللغو : مالا يعتد به من أولاد الإبل فى الدية ، قال العبدى :

أو مائة تجعل أولادها
لغواً ، وعرض المائة الجلمد

يقال منه : لغا يلغو لَغْواً ، وذلك لغو الإيمان . واللغا هو اللغو بعينه . قال الله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾[1] أى مالم نعقدوه بقلوبكم . والفقهاء يقولون : هو قول الرجل : لا والله ، وبلى والله .

(١) الفرقان : ٧٢ .
(٢) جـ٥ ص٤٥٥ ط الحلبى .

(١) المائدة ٨٩ .

وقوم يقولون : هو قول الرجل ـ لسواد مقبلا : والله إن هذا فلان ، يظنه إياه ، ثم لا يكون كما ظن . قالوا : فيمينه لغو ؛ لأنه لم يتعمد الكذب .

والثانى قولهم : لغى بالأمر ، إذا لهج به ، ويقال : إن اشتقاق اللغة منه ، أى يلهج صاحبها بها .

والقاعدة العامة التى نفهمها من حديث القرآن الكريم عن « اللغو » أن اللغو باطل ، وأمر قبيح مكروه ، لا يليق بالمسلم ولا يحسن منه ، وأن الله يبغض اللغو ويكرهه ، ويبعده عن ساحة عباده المكرمين فى الدنيا والآخرة ، وأن هذا « اللغو » سواء أكان قولا أم عملا من شأن الذين كفروا ، وأن المؤمنين يفرون منه ويعرضون عنه ، وأنهم إذا وقعوا فيه خطأ فإنما يقعون فيه عن طريق السهو والنسيان ، وسرعان ما يتذكرون ويرجعون ، ولذلك لا يحاسبهم الله عليه ولا يؤاخذهم به ، وأن الجنة ـ وهى موطن الراحة والتنعم ـ ليس فيها هذا « اللغو » !... ولتوضيح ذلك نقول :

قال الله تبارك وتعالى فى الآية السادسة والعشرين من سورة فصلت :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

وهذا هو المظهر الأول من مظاهر تنفير القرآن الكريم من اللغو ، إذ جعله عملا من أعمال الذين كفروا التى يتواصون بها ، فهى إذن أدخل فى باب الكُفْران والعناد من غيرها .

ومعنى الآية الكريمة : أن الكفار قالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن الذى يتلوه محمد ، ـ ﷺ ـ وتشاغلوا أثناء تلاوته عنه برفع الأصوات وإحداث الضجات وترديد الهذيان والخرافات ، حتى تخلطوا على القارىء ، وتغلبوه على قراءته ، وبذلك تغلبونه وتنتصرون .. وأى امرىء مسلم يقبل أن يلغو فيكون بمظنة الإضافة إلى حِمى هؤلاء ؟...

وانظر ـ هُديت الصواب ـ إلى الآية التالية للآية السابقة ، تراها إنذاراً مخيفاً لهؤلاء اللاغين ، ووعيداً مفزعاً لهم ، إنها تقول : ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ فصلت ـ ٢٧ .

والله تبارك وتعالى يقول فى الآية الثالثة من سورة المؤمنون : ﴿ **والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾ . وهذا الوصف قيل فى شأن المؤمنين ؛ لأن السورة الكريمة بدأت هكذا ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ ، وبالآية الثالثة هنا يبدأ المظهر الثانى من مظاهر تنفير القرآن من « اللغو » .

ولنتذكر هنا أن اللغو هو مالا يعنى من قول أو عمل ، وأن « اللسان » يقول : إن جِمَاع اللغو هو الخطأ إذا كان اللجاج والغضب والعجلة . فكأن القرآن يقرر حقيقة من حقائق النفس المؤمنة التى لا تكون مؤمنة إلا بها ، وهى إعراضها عن اللعب والهزل والباطل من القول والفعل ، وكل ما توجب المروءة إلغاءه واطراحه ؛ لأن النفس المؤمنة تجد من ميادين العمل المثمر ، والسعى الواجب ما يشغلها عن لغو القول والعمل .

ولنلاحظ كيف وصف الله المؤمنين أولا بالخشوع فى الصلاة ، ثم بالإعراض عن اللغو ، ليجمع لهم بين الفعل والترك الحميدين الشاقين على

الأنفس ، اللذين هما قاعدتا بناء التكليف ؛ لأن هذا التكليف لا يخرج عن الأوامر والنواهى ، والأوامر تطالب بأعمال تؤدى ، والنواهى تحذر من أمور تترك . وإنه لشأن جليل أن يوضع الوصف بالإعراض عن اللغو هنا ، وقبله ذكر الصلاة وبعده ذكر الزكاة !...

ويلحق بهذا الموطن قوله تعالى ـ فى الآية الثانية والسبعين من سورة الفرقان :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾

وهذه آية من آيات فى وصف «عباد الرحمن» ، ومعناها : أن عباد الرحمن هم الذين يتباعدون عن مجالس الكذب والبهتان من القول فلا يشهدونها ولا يقربونها ، تنزها عن مخالطة الشر ومصاحبة أهله ؛ وإذا مروا باللغو ـ وهو كل ما ينبغى أن يلغى ويطرح ـ أو مروا بأهله ، مروا معرضين عنهم ، مرتفعين بأنفسهم عن مشاركتهم ؛ وقد يدرك الذوق البيانى شيئاً من جمع شهادة الزور مع اللغو ؛ فلا يحسبن خاطىء أن أمر اللغو ميسور ، بل إن إتيانه واعتياده من أخطر الأمور .

ويقول الله ـ تعالى ـ فى الآية الخامسة والخمسين من سورة القصص : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾

والحديث عن عباد الله الطيبين . وسلام عليكم ، أى توديع لكم ومتاركة[٣] .

وعن الحسن : هى كلمة حلم من المؤمنين . ﴿ **ولا نبتغى الجاهلين** ﴾ ، أى : لا نريد مخالطتهم أو صحبتهم . وما أشد التعريض حينما يقول القرآن عقب هذه الآية : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ، القصص ـ ٥٦ .

ويقول الله ـ تبارك وتعالى :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ البقرة ٢٢٥ ؛ ويقول ـ أيضاً ـ فى الآية التاسعة والثمانين من سورة المائدة : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾ ، وهنا يأتى الموطن الثالث من مواطن تنفير القران من اللغو ؛ فاللغو من الأيمان والأقسام هو الساقط الباطل الذى لا يعتد به ولا يتعلق به حكم ، ولا عقد معه ؛ ولما كان باطلا ، وليس داخلا فى همة المسلم أو قصده ، وليس مما يحسن به الالتفات إليه أو الاعتماد عليه ، جعله الله لغواً ، وعفا عنه فيما يعفو عنه ، والله غفور حليم .

وقد أفاض المفسرون والفقهاء الحديث عن لغو اليمين ، وتعددت آراؤهم فيه تعدداً مبيناً ، ولكنك تستطيع أن تلمح فيها بسهولة (جامعاً) يجمع بين أغلبها ، وهو عدم القصد لهذه اليمين ، وعدم عقد القلب عليها أو اعتبارها من كسب المرء المراد له ، وإنما هى فلتات اللسان أو هزات الغضب ، أو توابع الخطأ والسهو والنسيان ؛ وإليك ما نعرفه من وجوه اختلاف العلماء فى تحديد اللغو :

عن ابن عباس : هو قول الرجل ـ فى درج كلامه ، واستعجاله فى المحاورة : لا والله ، وبلى والله ، دون قصد لليمين .

---

(٣) استفدنا من الكشاف فى معانى الآيات .

وعن عائشة : أيمان اللغو هي ما كانت في المراء والهزل والمزاح والحديث الذى لا ينعقد عليه القلب .

وعن أبي هريرة : إذا حلف الرجل على شيء لا يظنه إلا أنه إياه ؛ فإذا ليس هو ، فهو اللغو ، وليس فيه كفارة ؛ وروى أن قوماً تراجعوا القول عند الرسول - ﷺ - وهم يرمون بحضرته ، فحلف أحدهم قائلا : لقد أصبت وأخطأت يا فلان ، فإذا الأمر بخلاف ذلك ؛ فقال الرجل : حَنَث يارسول الله ؟ فقال النبى - ﷺ - « أيمان الرماة لغو ، لاحنث فيها ولا كفارة » .

وعن سعيد بن المسيب : هو يمين المعصية ، كالذى يقسم ليشربن الخمر ، أو ليقطعن الرحم ؛ وبره ترك ذلك الفعل ولا كفارة عليه .

وقيل : إن الحجة في ذلك قول الرسول - ﷺ - كما في سنن ابن ماجة : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليتركها ، فإن تركها كفارة » .

وعن ابن عباس : لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان ، وذلك لقول الرسول - ﷺ - كما في صحيح مسلم : « لا يمين في غضب » .

وعن سعيد بن جبير : لغو اليمين تحريم الحلال ، مثل مالى على حرام إن فعلت كذا .

وعن زيد بن أسلم : لغو اليمين دعاء الرجل على نفسه ، مثل أعمى الله بصره ، أذهب الله ماله .

وعن مجاهد : هما الرجلان يتبايعان فيقول أحدهما : والله لا أبيعك كذا . ويقول الآخر : والله لا أشتريه بكذا .

وعن النخعي : هو الرجل يحلف ألا يفعل الشيء ثم ينسى فيفعله .

وعن ابن عبد البر : اللغو أيمان المُكْرَهِ .

وعن ابن العربى : أما اليمين مع النسيان فلا شك في إلغائها ؛ لأنها جاءت على خلاف قصده ، فهى لغو محض .

وقال الضحاك : لغو اليمين هي المكفرة ؛ أى إذا كفرت اليمين سقطت وصارت لغواً .

الأقوال كثيرة كما ترى ، والجامع بين أكثرها أنها غير معتبرة أو مقصودة ، فهى لغو ، ولا يؤاخذ صاحبها عليها ، والله هو ذو المغفرة ، وأقرب الآراء إلى القبول هنا هو القول الأول ، أى ما يحدث في درج الكلام واستعمال المحاورة .

ثم يأتى الموطن الرابع من مواطن تنفير القرآن عن اللغو ، وتصويره له بصورة الشيء المكروه المرغوب عنه . فالجنة وهى دار الثواب والتنعيم ، وهى محل الزينة والمتعة ، تخلو من « اللغو » ، وكأن في هذا إشارة بليغة من القرآن ، ورمزاً دقيقاً للمؤمنين الطالبين لنعيم الجنان ، بأن يتجنبوا لغو القول ولغو العمل ، حتى في لهوهم وتمتعهم وسمرهم ؛ لأن الجنة - وهى مثلهم الأعلى في المتاع والنعيم - خالية من هذا اللغو الذى لا يليق . يقول الله - تبارك وتعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الواقعة

أى لا يسمعون في الجنة شيئاً من اللغو أو التأثيم ، ولكن يقولون ويسمعون : سلاما سلاما ، أى يفشون السلام بينهم ، فيسلمون سلاما بعد سلام . ويقول : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ مريم ٦٢ .

أى : لا يسمعون فضول الكلام وما لا طائل تحته ، ولكن يسلمون سلاما ، ويأتيهم رزقهم فيها رغداً صباحا ومساء ، ويتكلمون كلاماً يسلمون فيه من النقيصة والعيب .

ويقول : ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ الغاشية ١١ ، أى لا تسمع فيها لغواً ، أو كلمة ذات لغو ، أو نفسا تلغو ؛ إذ لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم .

ويقول ــ سبحانه ــ ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ النبأ

أى: لا يكذب بعضهم على بعض ، ولا يكذب بعضهم بعضا . ومن الممكن أن نلحظ من طريق الذوق اقتراب اللغو من الكذب ، إذ اجتمعا فى موطن واحد .

ويقول : ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ الطور ٢٣ ، حتى الخمر فى الجنة ليس فيها لغو : أى يتعاطى المؤمنون ويتبادلون هم وجلساؤهم وإخوانهم كأسا من الخمر لا لغو فى شربها ؛ فلا يتكلمون أثناء تناولها بسقط الحديث أو مالا نفع فيه ، كما يفعل اليوم المجرمون الآثمون المتنادمون على الشراب فى عربدتهم وسفههم ، ولا يأتون إثما كالكذب أو الشتم أو الفواحش ، وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن ، متلذذين بذلك ؛ لأن عقولهم ثابتة ، وهم علماء حكماء .

وهكذا ينزه الله عباده عن اللغو حتى فى الآخرة ، وهى الدار التى لا تكليف فيها .

نعوذ بالله من الخوض فيما لا يعنينا من قول أو عمل

وقد يكون من مقتضيات الحال أن نعرف شيئاً عن استعمال كلمة « اللغو » فى الحديث النبوى الشريف . يقول ابن الأثير ــ فى كتاب النهاية :

« قد تكرر فى الحديث ذكر لغو اليمين ، قيل : هو أن يقول : لا والله ، وبلى والله ، ولا يعقد عليه قلبه .

وقيل : هى التى يحلفها الإنسان ساهياً أو ناسياً .

وقيل : هو اليمين فى الغضب .

وقيل : فى المراء .

وقيل : فى الهزل .

وقيل : اللغو سقوط الإثم عن الحالف إذا كفر عن يمينه . يقال : لغا الإنسان يلغو ، ولغى يلغى ، إذا تكلم بالمُطَّرَحَ من القول وما يعنى وألغى إذا أسقط ... وفيه[٤] : من قال لصاحبه والإمام يخطب : أنصت فقد لغا . والحديث الآخر : « من مس الحصا فقد لغا » ، أى تكلم ، وقيل : عدل عن الصواب ، وقيل : خاب ، والأصل الأول وفيه : والحمولة المائرة لهم لاغية ، أى ملغاة ، لا تعد عليهم ، ولا يلزمون لها صدقة ، فاعلة بمعنى مفعلة ، والمائرة : الإبل التى تحمل الميرة .

ومنه حديث ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أنه ألغى طلاق المكره أى أبطله .

وفى حديث سلمان : « إياكم وملغاة أول الليل ــ الملغاة مفعلة من اللغو والباطل ، يريد السهو فيه ، فإنه يمنع من قيام الليل » .

أما بعد ، فاللغو فى القول والعمل شيء قبيح باطل ، وقد صوره القرآن بصورة منفرة فى جميع أحواله وليس من شأن المسلم أن يألفه أو يميل إليه ، فلنسأل الله أن يأخذ بنواصينا إلى الجد ، وأن يوفقنا لصالح القول والعمل .

المجلد الرابع والعشرون .

(٤) أى فى الحديث الشريف.

طرائف ومواقف

للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

ليس كُلٌّ يَمْلِكُ وليس كُلٌّ يشتهى

فرغ ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ من طعام وليمة فقال : الحمد لله الذى جعلنا نشتهيه .

فقال له صديق : وهل من أحد لا يشتهى مثل هذا ؟

فقال : نعم كثير يملكون ولا يشتهون ، وكثير يشتهون ولا يملكون ، وكثير لا يشتهون ولا يملكون .

أخلاقنا فى بر الوالدين

قيل لعمر بن ذر ، كيف بر ابنك ؟

قال : ما مشيت نهاراً قط إلا مشى خلفى ، ولا ليلًا إلا مشى أمامى ، ولا رقى سطحاً وأنا تحته .

من منازل الحسن البصرى

قال يونس بن عبيد ، وقد سئل : هل تعرف رجلًا يعمل بعمل الحسن البصرى ؟ فقال : رحم الله الحسن ، والله ما أعلم أحداً يقول بقوله ، فكيف يعمل بعمله .

عــزاء

أوصى أحد الملوك أمه عند موته بأن تصنع طعاماً ــ بعد دفنه ــ تدعو إليه من لم يصبه حزن قط ، ففعلت ، فما أتاها أحد . فقال : ما عزانى أحد بمثل ما عزانى ولدى .

ما الذى تشكوه

زار بعضهم نحوياً مريضاً ، فقال : ما الذى تشكوه ؟ قال : حماى حاسية ، نارها حامية ، منها الأعضاء واهية ، والعظام بالية .

فقال : لا شفاك الله بعافية ، ويا ليتها كانت القاضية .

إرشادات منيرة

قال الحسن البصرى ــ رضى الله عنه ــ لبعض طلابه : خذ هذه البطاقة فهى خير لك من ألف كتاب ، وفيها :

● لا تغتر بمكان صالح ، فلا مكان أفضل من الجنة .

● ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أفضل من المصطفى ــ ﷺ ــ ولم ينتفع به الكافرون ولا المنافقون .

● ولا تغتر بكثرة العبادة ، فإن إبليس مكث فيها ما مكث ، ثم انتهى إلى النار .

دعــاء

« اللهم بنورك اهتديت ، وبفضلك استغنيت وبنعمتك أصبحت وأمسيت ، هذه ذنوبى بين يديك ، أستغفرك وأتوب إليك » .

وأنا ضيفك

دعا أعرابى عند الملتزم فقال : اللهم إن لك على حقوقا فتصدق بها علىّ ، وللناس قِبَلى تبعات فتحملها عنى ، وقد أوجبت لكل ضيف قِرىً ، وأنا ضيفك فاجعل قراى الجنة .

أكون شجاعا

قال عربى لجليسه : لقد أعيانى أن أعلم أجبان أنت أم شجاع ؟

فقال :

شجاع إذا ما أمكنتنى فرصة وإلا تكن لى فرصة فجبان .

كيف تود قومك

قال معاوية لعرابة بن أوس : بم سدت قومك ياعرابة ؟

قال : ياأمير المؤمنين ، كنت أحلم عن جاهلهم ، وأعطى سائلهم ، وأسعى فى حوائجهم ؛ فمن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن جاوزنى فهو أفضل منى ، ومن قصر عنى فأنا خير منه .

وفى هذا قال الشاعر محمود الوراق :

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب
وإن كثرت منــه علــىّ الجرائم
وما النـاس إلا واحـد من ثلاثـة
شريف ومشرُوفٌ ومثلى مقـاوم
فأمـا الـذى فوقى فأعـرف قدره
واتبـــع فيـــه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فإن قال صنت عن
إجابتـــــه عرضى وإن لام لائم
أما الذى مثلى فإن زل أو هفا
تفضلت إن الفضل بالحلـم حاكم

نصيحـة

من نصائح الإمام على ــ رضى الله عنه ــ أيها الناس ؛ إياكم وتعلم النجوم ؛ إلا ما يهتدى به فى بر أو بحر ؛ فإنها تدعـو إلى الكهانـة ، والمنجـم كالكاهـن ، والكاهـن كالساحـر ، والساحـر كافر ، والكافر فى النار ، سيروا على اسم الله .

لم لاتزورنا ؟

كتب المنصور العباسى إلى جعفر الصادق قائلا له : لم لاتزُورنا ، كما يزورنا الناس ؟ فأجابه : ليس لنا فى الدنيا ما نخاف عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له !!

فكتب له المنصور : تصحبنا لتنصحنا . فرد الصادق قائلا له : من يطلب الدنيا لا ينصحك ، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك .

العمل لله

روى أن سيدنا عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قال فى إحدى مناسبات الحروب لجرير : سر بقومك إلى القتال ، ولك ربع ما تغنم ، فلما انتصر جرير وجمعت الغنائم اختص نفسه بربْعِها .

فكتب الوالى إلى سيدنا عمر بذلك ، فأجابه : صدق جرير !! لقد قلت ذلك ؛ فإن شاء أن يكون هو وقومه قد قاتلوا على أن ينالوا أجرا ، فأعطوه ما أراد .

وإن يكن إنما قاتل لله ولدينه وحبيبه فهو رجل من المسلمين له مالهم ، وعليه ما عليهم .

فلما قدم الكتاب إلى الوالى أخبر به جريراً .

فقال : صدق أمير المؤمنين ؛ لا حاجة لى بهذا ، بل أنا رجل من المسلمين .

موطنان

قال سعيد بن العاص : موطنان لا أستحى من العِىِّ فيهما :

إذا أنا خاطبت جاهلًا ، وإذا أنا سألت حاجة لنفسى .

اللغة والنقد والأدب

١٩٢٠

الفكر الأدبي في كشاف الزمخشري (٤)

للدكتور/ محمود جمعه أمين *

٤ ـ إيحاءات الألفاظ :

وقد عنى الزمخشرى بإيحاءات الألفاظ فى النص القرآنى ، وبيان قيمتها الأدبية فى إبراز أسرار القرآن الكريم ووجوه إعجازه حيث تنبه لإيحاءات الألفاظ وما تلقيه من خلال ؛ فرأى أن اللفظ « رمز » لمعناه ؛ فالكلمة رمز للفكرة وقيمتها فيما ترمز إليه وتوحى به فليس الفهم الأدبى وقوفاً عند المدلولات اللغوية فى الأساليب الأدبية ، وإنما هو ذهاب وراء هذه الأساليب وبحث فى أضواء كلماتها وتَسَمُّع لمسات إيحاءاتها والناس فى هذا مختلفون كل حسب قدرته[١] .

وقد كان الزمخشرى أديبا مرهف الحس دقيق الشعور نافذا بطبيعته الأدبية إلى ماوراء ظاهر النصوص . وهذه المقدرة تتجلى فى إدراكه لما توحى به الأساليب من المعانى البعيدة عن متن ألفاظها والتى لايتنبه إليها إلا القليل من ذوى الفطنة على حد قوله : « فأسرار التنزيل ورموزه بالغة من اللطف والخفاء حدًّا يدق عن تفطّن العالم ويزل عن تبصره »[٢] . ونعرض هنا لبعض النماذج التى كان يلتفت فيها إلى تلك المعانى البعيدة التى توحى بها ألفاظها .

من ذلك ما توحى به لفظتا (ولدها ، وولده) من الشفقة والحنوّ فى قول الله تعالى : ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾ البقرة ٢٣٣

حيث يقول : « لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافا لها عليه وأنه ليس بأجنبى منها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد »[٣] .

وللفظتى (كسبت واكتسبت) إيحاءات وظلال نفسية يدركها الزمخشرى ، ويفصح عنها حين يعرض لقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ البقرة ٢٨٦ . آخر البقرة فيقول : « فإن قلت : لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب ؟ ويجيب بقوله : فى الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهى منجذبة إليه وأمّارة به كانت فى تحصيله أعمل وأجدّ فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك فى باب الخير وصفت بحالها دلالة فيه على الاعتمال »[٤] .

وكلمة « كل » فى قول الله تعالى : ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ الشعراء ٣٧ . يستشف منها الزمخشرى معنى نفسيا يوحى باضطراب نفسية فرعون فيقول : « فجاء بكلمة الإحاطة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه »[٥] .

* الكاتب مدرس الأدب والنقد كلية الدراسات الإسلامية والعربية/ بنات سوهاج جامعة الأزهر .

(١) انظر البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى د/ محمد أبوموسى صـ٤٧٠ .

(٢) الكشاف حـ٤ صـ١٣١ .

(٣) الكشاف حـ١ صـ٣٧١ .

(٤) الكشاف حـ١ صـ٤٠٨ .

(٥) الكشاف حـ٣ صـ١١٢ .

ويقف عند لفظه « وجه » فى قوله تعالى : ﴿ يخل لكم وجه أبيكم ﴾ وما توحى به هذه الكلمة من فرط حب يعقوب ليوسف ـ عليهما السلام ـ وأخيه « بنيامين » وإيثارهما بمزيد من الحب دون بقية أبنائه وهو ما يشير إليه قولهم « ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين » لهذا كادُوا له ودبروا أمرهم بليل إما أن يقتلوا يوسف أو يطرحوه أرضاً ليظفروا من أبيهم بالمكانة التى يحتلُّها يوسف .

يقول الزمخشرى : « فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه »(٦) .

وبفكر أدبى واع وفهم عقلى مستنير لأسرار الذكر الحكيم أدرك الزمخشرى أن القرآن الكريم كتاب تهذيب وتقويم وأن طريقته فى التهذيب والتقويم هى النفاذ إلى النفس الإنسانية وقيادتها من داخلها وطريقة التلويح والإيحاء طريقة لاتخطىء فى الوصول إلى النفس وإيقاظها والتأثير فيها حتى تستقيم على طريق الجادَّة وأن اللفظ القرآنى غنىٌّ بالإيحاءات التى تُهذِّب النفوس الإنسانية وتُقوِّم الطباع البشرية .

من هذا القبيل مايفصح عنه الزمخشرى عن سر العدول إلى لفظ الإجرام ، وكيف يلوح الله للكافرين بهذا اللفظ « وكذلك نجزى المجرمين » ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب وأنّ كل من أجرم عوقب وقد كرر فقال : « وكذلك نجزى الظالمين » لأن كل مجرم ظالم نفسه »(٧) .

ويقول فى قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ البقرة/١٠ . « وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم »(٨) .

ويمضى الزمخشرى بفكر الأديب وذوْق الناقد البصير فيلحظ مايوحى به التعبير القرآنى من إكبار وإجلال مقام رسول الله ـ ﷺ ـ فى قول الله ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الحجرات/٤ . ويكشف الزمخشرى عما تضمنته هذه الآية من إيحاءات لمعان نفسية كامنة وراء هذا التعبير تتصل بالنبى ـ ﷺ ـ فيقول : « فورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه مالا يخفى على الناظر من بينات إكبار محل رسول الله ـ ﷺ ـ وإجلاله ، منها : مجيئها على النظم المسجل على الصائحين بالسفه والجهل لما أقدموا عليه ، ومنها لفظ الحجرات وإيقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ، ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذى تبين به ما استنكر عليهم ... ومنها أن شفع ذمّهم باستحفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز فى المخاطبات تهويناً للخطب على رسول الله ـ ﷺ ـ تسلية له وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجز فهم وسوء أدبهم(٩)» .

كذلك وقف الزمخشرى عند الألفاظ المؤنثة والمذكرة فأدرك أن اللفظ المؤنث يوحى باللين والرقة والسهولة ، وأن الكلمة المذكرة توحى

---

(٦) الكشاف جـ٢ صـ٣٠٥ .

(٧) الكشاف ٧٩/٢ .

(٨) الكشاف ١٧٨/١ .

(٩) الكشاف جـ٣ صـ٥٥٨ .

بالشدة والجزالة والصلابة ؛ فيقول - فى قول الله - تعالى - من سورة الزمر :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾ ‎/٣٨ .

فإن قلت : لم قيل : كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله « ويخوفونك بالذين من دونه » ؟ قلت : أنّثهن وكنّ إناثا وَهُنَّ اللات والعزى ومناة ... ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة ؛ لأن الأنوثة من باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة ، كأنه قال : الإناث اللاتى هُنَّ اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز »[١٠] .

ويقف عند الإشارة إلى للشمس بلفظ المذكر فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ الأنعام/٧٨ ليبين لنا أن ذلك يوحى بصيانة الله - سبحانه وتعالى - عن شبهة التأنيث وذلك مايوضحه قوله : « وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ، ألا تراهم قالوا فى صفة الله - عز وجل -: « علّام » ولم يقولوا : علامة ، وإن كان العلامة أبلغ ؟ احترازا من علامة التأنيث »[١١] .

٥ - الربط الفنى بين اللفظ والمعنى :

وقد اهتم ببيان ما ينطوى عليه الأسلوب الأدبى من شدة الربط الفنى فى نظم الكلام وقوة العلاقات بين المعانى والألفاظ القرآنية . وهو ما عبر عنه بالنظم ، ومايعبر عنه النقاد بالشكل أو الصورة « فمن مجموع العلاقات بين الألفاظ فى النص الأدبى تتكون الصورة وفيها تظهر البلاغة أو الجمالية »[١٢] .

وللزمخشرى فى ذلك دروس قيّمة وتوجيهات صائبة أراها من أجلّ الدروس المفيدة فى النقد الأدبى فقيهاً يستشرف آفاقاً فنيّة عالية ويلمح منها معانى أدبية رفيعة يحرص عليها كل ناقد ذى بصر ثاقب وحسّ رهيف فى محاولة لإبراز أسرار التنزيل .

خذ مثلا لذلك قوله فى الفرق بين حرفى الجر « فى » و« على » فى قوله - تعالى : ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ/٢٤ . إذ نراه يقول : « فإن قلت : كيف خولف بين حرفى الجر الداخلين على الحق والضلال ؟ قلت : لأن صاحب الحق كأنه مُسْتَعْلٍ على فرس جواد يركضه حيث شاء ، والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك فيه لا يدرى أين يتوجه »[١٣] .

ولنرجع إلى الآيتين الأُولَيَيْن من سورة البقرة : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ فسنجده يحاول الربط بين تأليف الكلام وتعليل روعته البلاغية ملاحظا أن

---

(١٠) الكشاف حـ٣ صـ٣٩٩ .

(١١) الكشاف ٣٢/٢ .

(١٢) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى صـ٢٢ . تعليق وشرح د/ محمد عبد المنعم خفاجى .

(١٣) الكشاف حـ٣ صـ٢٨٩ .

معنى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » أنه « هو الكتاب الكامل » مدخلا هكذا ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر ليدل على أن التركيب يفيد الحصر وواصفا الكتاب بالكامل ليدل على أن اللام فيه للجنس ، وأن المقصود من حصر الجنس حصر الكمال ، يقول : « كأن ماعداه من الكتب فى مقابلته ناقص وأنه هو الذى يستأهل أن يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال »[١٤] .

ويقف عند نفى الريب على سبيل الاستغراق ـ لأن النفى المسلط على النكرة يفيد العموم ـ مع أن هناك من كانوا يرتابون فى القرآن بسبب شركهم .

وينتهى إلى رأى دقيق فى هذه المسألة وهو : أن المنفى ليس هو الارتياب وإنما المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب أن يشك فيه[١٥] .

ويقول : « إن تقديم الريب على الجار والمجرور يفيد أن القرآن حق وصدق لا باطل وكذب كما كان يزعم المشركون ، ولو قدّم الجار والمجرور لأفادة العبارة غير المراد ؛ إذ يدل ذلك على أن كتاباً آخر فيه الريبُ لا هذا الكتاب » .

وبفكر متمكن من امتلاك ناصية البيان يمضى الزمخشرى ليفرق بين تقديم لفظ الجار والمجرور فى آية وتأخيره فى آية أخرى ، فيرى فى تقديم الجار والمجرور فى قوله « لا فيها غول » وجود خمر فى الجنة غير أنها لا تغتال العقول كما تغتالها خمور الدنيا ، « كأنه قيل ليس فيها مافى غيرها من العيب والنقيصة » .

ويتساءل : لم قيل : « هدى للمتقين » والمتقون مهتدون ؟ ويجيب إجابتين : « فذلك إما كما تقول للعزيز المكرَّم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة إلى ماهو ثابت فيه واستدامته .

وإما أنه سماهم متقين لمشارفتهم الاكتساء بلباس التقوى كآية التنزيل (ولا يلدوا إلا فاجراً كافراً) أى صائرا إلى الفجر والكفر . وهو ضرب من المجاز المرسل علاقته ما يؤول إليه الشىء .

ويطيل فى تعلق العبارات بعضها ببعض من الوجهة النحوية الخالصة ولا يلبث أن يقول : « والذى هو أرسخ فى البلاغة عرفا أن يضرب عن هذه المحال النحوية صفحاً وأن يقال : (ألم) جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و (ذلك الكتاب) جملة ثانية و (لا ريب فيه) جملة ثالثة و (هدى للمتقين) رابعة ، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جىء بها متناسقة ، هكذا من غير حرف نسق ، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض . فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة .

بيان ذلك أنه نبَّه أولا على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريراً لجهة التحدى وشداً من أعضاده ، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله ؛ لأنه لا كمال أكمل من الحق واليقين ولا نقص أنقص مِمَّا للباطل والشبهة ... ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر

---

(١٤) الكشاف حـ١ صـ١١١ ، صـ١١٢ .

(١٥) أى أن القرآن الكريم ليس محلا للإنكار أصلا . ولا ينبغى = لأحد أن يشك فيه فالمنفى انبغاء أن يرتاب فيه أحد وإذا نفى هذا فنفى الشك وإثبات اليقين فى صدق القرآن من باب أولى .

بذلك كونه يقينا لا يَحُوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم لم تخل كل واحدة من هذه الأربع ــ بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السوى ــ من نكتة ذات جزالة .

ففى الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه ، وفى الثانية مافى التعريف من الفخامة ، وفى الثالثة مافى تقديم الريب على الجار والمجرور ، وفى الرابعة الحذف ووضع المصدر الذى هو (هدى) موضع الوصف الذى هو هاد ، وإيراده منكرا ، والإيجاز فى ذكر المتقين[١٦] .

ويجىء الأسلوب القرآنى على هذا النمط الأدبى الرفيع يسميه الزمخشرى بعلم محاسن النظم ويبيّن أنه لا يطيق البحث فيه إلا من ارتاض هذا العلم ، وتدرب على ذوق هذا النمط من التعبير الذى تداخل جُمَلَه وتقوم بينها روابط قوية خفيّة وعلاقات وثيقة غامضة لا يستطيع كشفها إلا ذوو البصائر وأرباب الفطن وأصحاب القرائح النيّرة وهو ماعناه الزمخشرى بقوله : «وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم»[١٧] .

وقد رأيته يقف عند كثير من النصوص ليبيّن لنا وجه تلازم النظم فيها وملاءمة الجمل ، وحسن اتساقها ، وجمال نظمها ، وروعة نسقها .

من ذلك قوله ــ معلقا ــ على قوله ــ تعالى :
﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ . (سورة النمل)

يقول الزمخشرى بعد أن درس الآيات وبين تناسبها وتلاؤم ألفاظها ومعانيها : «فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماده ورصافة تفسيره وأخذ بعضه بحجز بعض كأنما أفرغ إفراغاً واحداً ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق[١٨] .

٦ ــ اللفظ وبيان أهميته فى التعبير والأداء :

أولى الزمخشرى عنايته إلى (اللفظ) بالقدر الذى أولاه إلى (المعنى) فنظر إلى (المفردة القرآنية) مُبَيّناً قيمتها فى موضعها إيماناً منه بأن دراسة المفردات من أوجب ما يجب على دارس الأدب بصفة عامة ، ودارس القرآن الكريم ومفسر نصوصه صفة خاصة لأنها مفتاح النص وزمام مافيه من دقيق المعانى وخفىّ الإشارات .

والزمخشرى ــ حينما وقف ليعالج اللفظ فى النص الأدبى فى القرآن الكريم مبيناً أهميته فى التعبير والأداء ــ لم ينظر إلى الكلمة من حيث إنها لفظ مجرد ولكنه وقف عند مفردات النص مشيراً إلى تمكن الكلمة فى سياقها وملاءمتها لصاحبتها وتآخيها وتناسبها ومحاولة الكشف عن الأسس التى سار عليها نسق الجمل والآيات وكيف تترابط وتتوحد حتى كأن بعضها يأخذ بحجز بعض .

(١٦) انظر مقالة الكشاف فى هاتين الآيتين ١/١١٤ ، ١٢٦ .
(١٧) الكشاف حـ٣ صـ١٦٧ .
(١٨) الكشاف حـ٣ صـ١٦٢ .

وقد اجتهد الزمخشرى ما وسعه الاجتهاد فى ربط مدلول الكلمة بسياقها حتى تكون ملائمة له على أحسن وجه من وجوه الملاءمة . فمثلا كلمة (الرحمن) فى قوله تعالى : ﴿من خشى الرحمن بالغيب﴾ النمل/٨٧ـ ٩٠ . لاتتلاءم فى الظاهر مع الخشية ، وإنما يكون التلاؤم ظاهرا لو قال : من خشى الجبار أو القهار ولكن الزمخشرى يدرك وراء هذا التباعد الظاهرى تقارباً خفياً ملائماً أشد الملاءمة وأحسنها فيقول : « فإن قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدّال على سعة الرحمة ؟ قلت : للثناء البليغ على الخاشى ، وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة ، كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشى منه غائب ، ونحوه ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ المؤمنون/٦٠ . فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات[19] .

وبفكر ثاقب بمدلول الكلمة العربية أدرك الزمخشرى أن لكل كلمة فى العربية استعمالها اللغوى ومدلولها الحقيقى ؛ فإذا مانقل القرآن الكريم استعمال الكلمة من المعانى التى هى مختصة بها إلى معنى آخر اجتهد الزمخشرى فى بيان ملاءمة الكلمة لسياقها ، ولماذا آثرها القرآن على غيرها ، وكيف اقتضى كل مقام كلمة بعينها دون سواها .

يقول فى قوله تعالى : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ طه : فإن قلت : قد فرقوا بين العِوج والعَوج ؛ فقالوا : العِوَج بالكسر فى المعانى والعَوَج بالفتح فى الأعيان ، والأرض عين ، فكيف صح فيها المكسور العين ؟ قلت : اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع فى وصف الأرض بالاستواء والملامسة ، ونفى الاعوجاج عنها على أبلغ مايكون وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت فى التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة ، واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأى المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج فى غير موضع لايدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسى ، فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذى دق ولطف عن الإدراك ، اللهم إلا بالقياس الذى يعرفه صاحب التقدير والهندسة . وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعانى فقيل فيه عوج بالكسر[20] .

ويقول معللا ومحللا لماذا آثر القرآن الكريم لفظة « فى » على « اللام » عند ذكر الأصناف الأربعة الأخيرة فى قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة/٦٠ . ولم كرر لفظه « فى » فى قوله « فى سبيل الله » وابن السبيل ؟. يقول الزمخشرى : « فإن قلت : لم عدل عن اللام إلى « فى » فى الأربعة الأخيرة ؟ قلت : للإيـــذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن « فى » للوعاء فنبّه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنّة لها ومصبّا ، وذلك لما فى فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفى فك

(١٩) الكشاف حـ٤ صـ١١ .

(٢٠) الكشاف ٢/٥٥٣

الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ ، ولجمع الغازى الفقير أو المنقطع فى الحج بين الفقر والعبادة ، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال . وفى تكرير « فى » فى قوله « وفى سبيل الله » « وابن السبيل » فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين(٢١) .

وللزمخشرى نظرات صائبة وتوجيهات رائدة وتحليلات رائعة فى حروف الجر يوضح فيها دلالاتها الأدبية توضيح الناقد المتذوق والأديب اللغوى الذى يعرف خصوصيات هذه الحروف .

فمن نظراته الصائبة ووقفاته المتأنيّة مع حروف الجر مستنبطاً سر وضع كل حرف فى موضعه الذى جاء فيه . أقول من تلك النظرات ـ عدا ماتقدم ـ قوله فى تفسيره قول الله تعالى : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة/١٤٣ . حيث يقول : « فإن قلت : هلا قيل : (لكم شهيدا) وشهادته لهم لا عليهم ؟ قلت : لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ البروج/٩ . و﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ المائدة/١١٧ . (٢٢) .

وقد يجره محصوله اللغوى الوفير من اللغة إلى أن يستطرد فيرى فى بناء الكلمة على البناء الذى وردت فيه مما يضفى على المعنى جمالا رائعاً كان لا يوجد إذا وردت على بناء آخر غير الذى وردت فيه ، خذ مثلا قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ العنكبوت/٦٤ . إذ يرى فى لفظ « الحيوان » وإيثار القرآن الكريم هذا البناء على لفظ الحياة زيادة معنى وكما قالوا : زيادة المبنى تدل على زيادة فى المعنى ، يقول الزمخشرى : « وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهى مافى بناء فعلان من الحركة والاضطراب ، والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة فى هذا الموضع المقتضى للمبالغة »(٢٣)

وهاك مثالا آخر وهو آية الشعراء/٩٤ ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ إذ يرى فى بنية لفظة « كبكبوا » وورودها على هذا الشكل بتكرير الباء والكاف مما يعطيها جرسا صوتيا مناسبا لحالهم حين دخولهم النار مع إفادة تكرير كبهم فى جهنم مرة بعد أخرى فيقول : « والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى . كأنه إذا ألقى فى جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فى قعرها »(٢٤) .

وهو يرى فى استعمال القرآن الكريم بناء اسم الفاعل وإيثاره هذا البناء دون صيغة النسب فى آية سورة الحج مما يضفى على المعنى تصويرا جماليا ، وهى الآية التى تتحدث عن الساعة وزلزالها والقيامة وأهوالها .. ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ ﴾ سورة الحج/٢ . فيقول : « فإن قلت : لم قيل : مرضعة دون مرضع ؟ قلت : المرضعة التى هى فى حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبى والمرضع التى من شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع فى حال وصفها به . فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول

(٢١) الكشاف حـ٢ صـ١٩٨ .
(٢٢) الكشاف حـ١ صـ٣١٧ ، صـ٣١٨ .
(٢٣) الكشاف حـ٣ صـ٢١٢ .
(٢٤) الكشاف حـ٣ صـ١١٩ .

إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة »[٢٥] .

كما أن عدول الأسلوب القرآنى عن اسم الفاعل إلى استعمال الفعل فيه مزية نظم وحسن نسق مما لو استعمل اسم الفاعل ، يقول فى آية سورة الملك ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ الملك/١٩ : فإن قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل قابضات ؟ قلت : لأن الأصل فى الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء ، والأصل فى السباحة مدّ الأطـــراف وبسطها ، أما القبض فطارىء على البسط للاستظهار به على التحرك ، فجيء بما هو طارىء غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح[٢٦] .

فالزمخشرى ــ كما ترى ــ يلحظ مافى صيغة المضارع من المعانى الأدبية مشيراً إلى قدرتها على التصوير وإحضار الحديث كأنما تراه الــعين وتسمعه الأذن .

ويلحظ الزمخشرى فى صيغة الجمع لمسة فنية لا يدركها إلا من له بصيرة فى تذوق الأساليب الأدبية وحسّ بمواقع الكلمات العربية وما تؤديه من أجمل معنى بأروع أسلوب وأحسن تعبير ــ فقد يأتى القرآن الكريم بجمع القلة مكان جمع الكثرة ليشير بهذا إلى معنى وقد يعكس فيأتى بجمع الكثرة مكان جمع القلة لغرض مقصود .

والزمخشرى يقف فى هذه المقامات محاولا كشف هذه الإشارات والإفصاح عن تلك الدلالات .

من ذلك مايقوله فى تفسير قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ آل عمران/١٢٣ . يقول : « الأذلة جمع قلة والأذلاء جمع كثرة ، وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا ، وذلتهم ماكان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال المركوب »[٢٧] .

ومنه ما قاله فى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ الفرقان/٧٤ . إذ يقول : وإنما قيل « أعين » دون عيون لأنه أراد أعين المتقين وهى قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[٢٨] سبأ/١٣ .

ويلحظ الزمخشرى ــ كذلك ــ أن الكلمة تقع مفردة مرة وجمعا مرة فى سياق واحد وآيات متحدة فى الغرض فيجتهد فى بيان صيغة الإفراد لموقعها الخاص بها وملاءمة صيغة الجمع لموقعها الخاص بها . خذ مثلا قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ ﴾ ثم يقول ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ المؤمنون/١ ــ ٣ . فأفرد الصلاة فى الاولى وجمعها فى الثانية ويقف الزمخشرى مع الآيتين ليبين لنا سر التوحيد والجمع فيقول : « وحدت ــ يعنى الصلاة ــ أولا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة أى صلاة كانت . وجمعت آخر لتفاد المحافظة على أعدادها ، وهى الصلوات الخمس والوتر والسنن المزتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين

---

(٢٥) الكشاف ٣/٤ .

(٢٦) الكشاف ٤/١٣٨ .

(٢٧) الكشاف حـ١ صـ٤٦١ . ويريد بالمال المركوب = الخيول والجمال إذ كان للمسلمين فرسان وسبعون من الجمال يتعاقبون عليها بينما كان للمشركين أضعاف هذا العدد من الخيول والجمال عشرات المرات . وكان عدد المسلمين ثلثمائة وبضعة عشر وعددهم زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس .

(٢٨) الكشاف حـ٣ صـ١٠٢ .

والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل»[29] .

وهكذا يمضي الزمخشري بفكره الأدبي الواعي وذوقه النقدي البصير وإحساساته المرهفة يقف عند أبنية الكلمة وصياغتها مبيناً سر إيثار بناء على بناء وصياغة على أخرى وقيمة كل ذلك في المعنى ومايوحى به كل مقام من وحى وإشارات .

وبتلك الأدوات ـ أيضاً ـ عرض الزمخشري للألفة المغنوية بين الألفاظ في النص الأدبي وعلاقة كل لفظ مع قرينه ، من ذلك مايقوله في اقتران الناس بالحجارة في الآية ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ سورة البقرة يقول : «فإن قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا ؟ قلت : لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله أندادا وعبدوها من دونه . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ الأنبياء/98 ... ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنهم الشفعاء والشهداء الذين يستنفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم إبلاغا في إيلامهم وإغراقا في تحيرهم . ونحوه مايفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم»[30] .

ويقول في اقتران الأفواه والقلوب في الآية : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ آل عمران/167 : «وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم»[31] ومن ذلك أيضاً ما يقوله في الجمع بين الحذر والأسلحة في آية النساء ﴿ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ النساء/102 . حيث يقول : «فإن قلت : كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ ؟ قلت : جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ الحشر/9 . جعل الإيمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوؤ»[32]

وبعد

فهذا جهدي فيما توصلت إليه لإبراز الفكر الأدبي في كشاف الزمخشري . فإن أك قد وفقت فيما قصدت فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وإن تكن الأخرى فحسبي أنني اجتهدت «ومن اجتهد وأخطأ فله أجر» .

أسأل الله عز وجل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن يثيبني عليه الأجر الجزيل ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ سبأ/47 . وهو حسبي ونعم الوكيل

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿286﴾ البقرة/286 . آمين .

(29) المصدر نفسه صـ27 .
(30) الكشاف جـ1 صـ252 .
(31) الكشاف جـ1 صـ478
(32) الكشاف جـ1 صـ560 .

مدى تلازم الوحدة الموضوعية مع القصيدة العربية

— ٢ —

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

دواعى الشعر فى كل عصر ، وفى العصور القديمة ــ بين كافة الشعوب ــ بصفة خاصة ، تصدر إما عن انفعال عضوى غير مطرد فيتمثل انفعالها فى عارض غير مستديم ، تنتهى دفعته بانتهاء تأثر الشاعر بحدث ما ، أو بذكرى وعاطفة ــ كما يقول شوقى .

وإما عن انفعال أعمق زمنا ينبثق شيئاً فشيئاً ، له جذوره فى واعية الشاعر الباطنة نتيجة تأمل وطول تمعن ، فيأخذ انفعالها المتزن فى التدفق واستدعاء المعانى فى ريث مصحوب بنشاط يعطى الشعر حيويته وروعة تأثيره ، لذا ما أسرع ما يترك عمالقة الشعر ــ القول حين يدب الفتور فى هذا التدفق ، ولا يستعيدون القول إلا إذا عاد نشاطهم سيرته الأولى .

من النوع الأول الصادر عن انفعال مقتصد ، لكنه صادق فى لحظته ، عميق فى كيان صاحبه قول الشاعر الجاهلى المستوغر بن ربيعة بن كعب الذى يقول عنه ابن سلام الناقد : « كان قديما ، وبقى بقاء طويلا » :

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها ... وازددت من عدد السنين مِئينا
مِائَةٌ أتت من بعدها مِائتان لى ... وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بَقَا[1] إلَّا كما قد فاتنا ... يومٌ يكرّ وليلة تحدونا

والوحدة الموضوعية ، ــ أو قل ــ إن شئت : العضوية .. متوفرة فى الأبيات ، حتى إن قيل : إنها منحولة ، فالقائل ــ إن شاء المكابرة ــ ملزم بالقول بوجود الوحدة العضوية فى الشعر العربى من قديم .

---

(١) بقا ــ يقو ، بَقى يبقى من معانيهما : انتظر .

والأبيات مرتبط بعضها ببعض رباطاً يخل بوحدتها لو قدم أحد الأبيات على الآخر ، كذلك من العنت الذى لاتستسيغه لغة الأدب القول بجواز حذف بعضها لما فى هذا الحذف من إزهاق الإحساس بالزمن وما أتته الأيامُ لهذا الشاعر العملاق .

ولا زلنا نجول بين الشعر الجاهلى لنقدم منه نماذج تجسم « الوحدة العضوية » حريصين ـ جد الحرص ـ أن نأخذها غير مقتطعة من قصيد حتى لا يقال : إنها موضوع من مواضيع متعددة ، وفى جولتنا مع « الأعشى الكبير » نجده يعتذر إلى « علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص » فيقول ص (٨١) من ديوانه .

أعَلْقَمُ قد صَيَّرَتْنِى الأمورُ إليكَ ، وما كان لى مَنْكَصُ
كَساكم عُلاثةُ أثوابَهُ وَوَرَّثكُمْ مَجْدَهُ الأحْوَصُ
وكُلُّ أُناسٍ ـ وإن أفْحَلُوا ـ إذا عاينوا فَحْلَكُمْ بَصْبَصُوا
وإن فَحَصَ الناسُ عن سَيِّدٍ فَسَيِّدُكم ـ عنه ـ لايُفْحَصُ
فهل تُنْكَرُ الشمسُ فى ضَوْئها أو القمرُ الباهرُ المُبْرِصُ
فَهَبْ لى ذُنُوبِى ـ فَدَتْكَ النفوس ولازِلْتَ تَنْمَى ولاتَنْقُصُ[1]

مَنْكص عن الأمر : تراجع عنه . أفْحَلُوا : صار لهم فحل ، أى : سيد كريم . البصبصة : التملق . القمر المبرص : إذا اشتد بياضه باشتداد ضوئه .

● ● ●

وللشاعر المخضرم : حُمَيْد بن ثور بن عبد الله بن عامر الهلالى ، أكثر من كنية منها أبو المثنى ، عاش فى الجاهلية ، وقضى شطرا من حياته فى الإسلام ، ونقدم هنا نموذجين من شعره الجاهلى ـ بعد أن نشير إلى أن « ابن خيثمة » ذكره فيمن روى عن رسول الله ـ ﷺ ـ وقد سمع قوله ـ عليه الصلاة والسلام :

« لو لم يكن لابن آدم إلا الصحة والسلامة لكفاه بهما داء قاتلاً » فأخذ حميد ـ رضى الله عنه ـ هذا المعنى وجعله شعراً فى مقطوعة من بيتين تشدهما وحدة عضوية متينة فقال :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحةٍ وحسبُك داء أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا
ولا يَلْبَثُ العصران يوماً وليلة إذا طلبا ـ أن يدركا ـ ماتَيَمَّمَا

---

(١) الأعشى الكبير : أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل ـ ينتهى إلى بكر بن وائل-جاهلى ، نشر شعره فى ديوان المستشرق رودلف جاير **Rudolf Gayer** ، وأتم مجهوده الأستاذ الدكتور محمد حسين ـ جامعة فاروق ـ الإسكندرية فيما بعد ـ ونشرته مكتبة الجماميز فى قطع كبير بلغ ٤٣٢ صفحة ١٩٥٠م .

قال ابن قتيبة : لم يَقُل فى الكِبَرِ شئٌ أحسنُ منه صفحة (ط) من مقدمة الديوان[٢] .

يقول حُميد بن ثور ، وقد ضاق بنصح زوجه له فيما يتلفه من مال ـ أى فى الجاهلية :

لقد أَمَــرَتْ بالبخــلِ أُمُّ محمــدٍ فقلت لها : حُثّى على البخلِ أحمدا[٣]
فإنى امْـــرُؤٌ عَوَّدتُ نفسى عادة وكل امــرىءٍ جار على ما تَعَــوَّدا
أحينَ بدا فى الرأس شيب وأقبلت إلىّ بنو عَيْلان مَثْنىً وموحَــدَا
رجوتِ سِقاطى واعتلالى ونَبْوَتى وراءَك عنى طالقا ، وارْحَلى غدا

ولعلها نفس قرينته التى يَأْسَى لفراقها فى أبيات متينة الربط تحمل وحدتها العضوية مزيجا من لوعة وأسىً عصف بها فى نفسه حَمَامٌ يرسل بندائه إلى قرينته فيثير دموعه [رضى الله عنه] :

إذا نادى قرينتَـــــــهُ حمامٌ جَرَى لِصَبَابتى دَمْــعٌ سفــوحُ
يُرَجّـــعُ بالدعـــاءِ على غصونٍ هتــوفٌ بالضحــى غَرِدٌ فصيــحُ
هفــا لهديلــه منـــى ـ إذا ما تَغَـرَّدَ ساجعــا ـ قلب قريــحُ
فقلت : حمامــةٌ تدعــو حمامــا وكُــلُّ الــحُبِّ نَزّاعٌ طمــوح

إنها أبيات سامقات نجح الشاعر فيها أن يطرح إحساسه ، ويستقبل ـ فى ذات الوقت ـ من معادله الموضوعى ـ الحمام ـ الذى أهاج أساه فطرحه دموعاً تسيل من قلب جريح .

● ● ●

ويبدو أن شاعرنا حُمَيْد كان يتمتع بروح فَكِهَة أضفت على فنه الشعرى مَرَحاً عذبا فقد قيل : إنه بلغه أن واليا على « اليمامة » أُتِىَ بكلب عَقَرَ كَلَباً فاقتص له ، قال حميد فى هذا الوالى المسمى أبى الربيع عبد الله العامرى ـ ص (٧٦) :

شهــدتُ بأن اللهَ حَقٌّ لِقَـــاؤُهُ وأن الربيــعَ العامــرىَّ رقيــعُ
أقاد لنا كلباً بكلب ، ولم يَدَعْ دمــاءَ كلابِ المسلميــنَ تضيــع

وبعد :

فلا زال الشعر الجاهلى ميدانا للبحث عن مصادر الوحدة العضوية بين ثمار العبقرية التى عاشت تحدثنا إلى يومنا هذا .

---

(٢) الديوان من تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى رئيس قسم اللغة العربية بجامعة (عليكَره) بالهند ، نشرته لوزارة الثقافة والإرشاد ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٣٨٤ هـ .

(٣) أى حثى على البخل إنسانا غيرى فذلك أَحْمَدُ لكِ ، ولربما كان (أحمد) اسما لولد لها أو قريب منها . انظر الديوان ص ٧٦ .

الشاعر إبراهيم عبد الحميد عيسى

(فى لا ديوان)

بقلم الشاعرة/جليلة رضا *

إن قارىء شعرى ليعلم جيدا أن الصدق مذهبى فى الحياة ، وإذا كنت قد أحجمت عن كتابة مذكراتى الشخصية رغم رجاء الكثير فذلك لأننى لا أحب أن «لا أقول ما يجب قوله» .

والحقيقة أننى ترددت خشية أن يظن هذا الشاعر أننى أجامله لأنه زميل عزيز ، ناسيا أو جاهلا أننى أتابع نتاجه الشعرى منذ أمد بعيد ، وألتقط قصائده من خلال عشرات الصحف التى ينشر بها . فأنا محبة لجمال ألفاظه المنتقاة فى ذوق ، بيد أنى قلت : إنه لا جدال فى أن الشعراء يحبون أن ينصفهم الناس . فإن أشدنا تواضعا يحس بالغبطة حين يسمع كلمة تقدير ، وأكبر الظن أننا نضاعف جهدنا لنكون أهلا لها .

فليس يخلو أحد منّا من تلك الفترة التى يسائل فيها نفسه :

أترانى أجدت ؟»

بل كيف يوقن الشاعر أنه مُجيد إن لم يسمع ذلك من أحد ؟

وعلى كل فليس فيمن يؤبه له من الشعراء من يطلب مدحا لم يكسبه بفنّه .

فلأقف إذن مع الشعر والشاعر إبراهيم عيسى فى «لا ديوان»!

أجل من المؤسف حقا أن لا يكون لهذا الشاعر الكبير ولو ديوان واحد ![1] وهو الذى ملأ سمع بلاده بأناشيده وألحانه ، وملأ أدراج مكتبه بمئات من قصائده النائمة بعين يقظى،تتوسل إليه كل صباح أن ينضوا عنها ثياب الملل والسآمة !

* * *

بدأ الشاعر إبراهيم عيسى محاولاته الشعرية الأولى وهو فى صباه الباكر ، دون أن يعرف:ما الشعر ؟ فهو ـ إذن ـ شاعر موهوب ، خلق ليكون شاعرا ، فكان شاعرا ، ثم أسيرا بقيوده ، يصارع الزمن الذى يراه يمدُّ على دربه الصخور ، ويلوى من حوله سراديب حياته .. كما يقول فى قصيدته الرائعة «الشاعر والزمان» ومنها :

وتلتفت الأرض نحو الزمان
وتسأل: ماذا بها من بشائر
لمن ضجة العُرس فوق النجوم
لمن فى السماء تدق المزاهر
فغرّد صوت الخلود ونادى
حنانك واستلهمى كل طائر
وبشراك يا أرض إن السماء
تزُفُّ الغناء لميلاد شاعر

---

* الشاعرة جليلة رضا كتبت هذه الدراسة عن الشاعر حين لم يكن له أى ديوان ، ثم توالى بعد ذلك صدور دواوين ثلاثة للشاعر ، فاز أحدهما بجائزة السيد بابطين الأولى فى الشعر .

أجل : (وُلد شاعر) ما أروع هذه الجملة،وما أقساها :

وُلد شاعر ، فغرّد الخلود وعزفت النجوم فرحا لمقدمه ، ولماذا ؟ لأن بريق العبقرية فى مقلتيه ولكن أوهام الشاعر كبيرة وكبيرة ، إنها تدفعه إلى الرغبة فى إصلاح الكون وإسعاد البشر ، ويندهش الزمان ويسأل : من أنت ؟

فقـــلتُ ولكننـــــى شاعــــــر
أريـــد الحيـــاة سلامـــا وحبـــا
لتخضَر كل صـــحارى النفـــوس
وتُـــورق ودّا وحبّــا وخصبــــا

ولكن الدهر يسخر من ذلك الطفل المغرور المدعى الالهام،السادر فى أوهام لا نهاية لها ولا آخر .

ودوّت رياح ونـــادى المنـــادى
خُذُوه وغلُّـــــوه فى عُمْــــرِهِ
ومـــدّوا الصخـــور على دربـــه
ليطـــوى الحنايـــا على سرّه

ومن الملاحظ أن الشاعر يُنْهى أغلب قصائده بالعظة والحكمة وبالأبيات المقنعة ليتسنى للقارىء أن يسترد أنفاسه،ويستريح بعد العاصفة .

أعود فأقول : حاول الشاعر فى صباه أن يكتب الشعر دون معرفة به،ثم صادف أن التقى بشيخ فاضل له دراية كاملة ببحور وأوزان الشعر . فبدأ يسمع منه لأول مرة أسماءها وتفاعيلها ، وهاله الأمر .. وكأنه غارق فى محيط ليس له قرار .

ويقول الشاعر إبراهيم عيسى .. «ولكننى تعلمت وبقى أن أجعل لعقلى إحساسا موسيقيا ولغويا ، يتلقى ويعطى إيقاعات الأوزان التى تعلمتها وبقى ـ أيضا ـ أن أزيد حصيلتى اللغوية وصقل صياغتى الشعرية،وكل هذه الأمور لا سبيل إليها إلا بالقراءة،وقراءة كتب التراث بالذات ..

ومال الشاعر إلى شعر أبى العلاء،وأبى نواس ثم فتن بشعر على محمود طه،وإبراهيم ناجى وأخيرا بالشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل .

وبدأ ينشر الشعر فى الصحف الأدبية،ونال جائزة مسابقة الشعر للشباب التى أقامتها جريدة الزمان عام ١٩٤٩ ومن خلال قصائده العديدة نشرت له جريدة اليقظة العراقية عام ١٩٥١ قصيدة عنوانها «صرخة شعب» قال فيها :

ياساكن القصر مَنْ سوّاك سوّانا
فلست ـ وحدك ـ بين الخلق إنسانا
الخيرُ خيرى،ومن كفّى مغارسُهُ
ومن كفاحى وهبت المجد عنوانا
نحن الأعاصر إن ألقت بصاعقة
لم تبق للظلم تيجانا وسلطانـــا

واطلع عليها المسئولون فى مصر،واستُدعى الشاعر للاستجواب،فلم ينقذه من مخالبهم غير أحداث قهرت ـ بمشيئة الله ـ أمرهم .

ووقفة أمام شعر إبراهيم عيسى تؤكد لنا أننا نواجه شاعرا جمع إلى المقدرة الشعرية الكثير من المشاعر الصافية النبع ، فشعره شعر الروح الرفيع ، شعر الانسان الذى يشعر فيكتب ، ولا يكتب لأنه قادر على الكتابة فحسب بل لأنه يريد أن يصوّر أحاسيسه ويحدد موقفها ويعبّر عن حقيقتها لتتجسد بوضوح وصدق ، إن شعره مرآة قلبه ، وهو قادر على أن ينقل

القارىء بخياله المجنح إلى الدنيا التى يصورها ، فيحلق القارىء معه حيث يريد ، سعيدا حينا ، وشقيا أحيانا .

إنه شعر وجدانى جياش العاطفة (رومانسى) المذهب ، عذب اللفظ ، تطفر موسيقاه من خلال كلماته راقصة غضّة لدنة ، ويبدو ذلك واضحا فى جميع قصائده على اختلاف مضمونها ما بين القلق والحيرة ، واليأس والأمل والثورة والغضب حتى فى أشعاره الوطنية .

● ● ●

ويلفت نظرنا حب الشاعر إبراهيم عيسى للحرية والتغنى بها مرارا ، ومن منّا لا يعشقها ؟

إن الرجل يولد حرا ، فإذا مشى فى الأرض أثقلته الأغلال ، ولكن شاعرنا أصرّ على العثور عليها والفوز بها ، فعانى الكثير ، وارتاد المجهول ، وعانق المحظور .. ولنستمع إليه فى قصيدته «حريتى» وقد خالها فى بادىء الأمر تكمن فى الطبيعة والألحان والنغم :

أردت على الأرض حريتـــــــى
وفى كل درب مضت خطـــوتى

وناجيت فى الفجر بوح الضياء
وقـــلت : لعـــل به جَنّتـــى

وما كدت أمـــلأ كأسى حتـــى
دنـــا الليـــل يعصف بالظُلمـــة

فودَّعت ويلى وعانــــقت ليلى
وكحَّــلْتُ من شجــوه مقلتـــى

لأبحث عن نور حريتـــــــى
فضجَّ الظـــلام بطينيَّتـــــى

لقد عانق الشاعر الطبيعة وامتزج بها فترقرق مع ينابيع النور ، وتغنى مع أسراب الطيور باحثا عن حريته ــ فلم ترها عيناه قط .

● ● ●

ومرّ الشاعر بالتجربة بحثا عن الحرية فعثر على الضياع ، ولكنه مصر على امتلاكها ، فبدونها لن تكون له حياة :

فليتجه إذن إلى الحب ، لعله يظفر بها فى أحضانه :

سمعت حداة الحنين بقلبـــــــى
يقولـــون : فى الـــعشق حريتـــى

فرحت إلى موكب النـــور أشدو
وأسكب أشواق قيثــــــارتى

ولما تحسست فى الحب دربى
لمست القيـــود على خطـــوتى

تطوّقنـــى بدخـــان الخطايــــا
وتلتـــف نشوى على غفلتـــى

ويمضى الشاعر ـ وقد فشل فى العثور على حريته ـ بين الطبيعة والشعر وأحس بالقيود تكبله ، وبسياط الضمير تُدمى إنسانيته ، فيمضى ويواصل غربته ، حائرا متسائلا : أيظل يحمل عِبْء التراب الدنيوى .. ؟ وهو يجرْجر عمره ..

ورُحت أجـــرُّ سنين الحيـــــاة
فتنمـــو بصحرائهـــا غُربتـــى

لقد تعب العمر خلف خطاى
ومـــازلت أسأل عن غايتـــى

قراءة فى كتاب

دكتور / أحمد محمد على

الأدب الإسلامى ضرورة

عرض وتقديم
عادل رفاعى خفاجه

إذا كان المجتمع الإسلامى له عقيدته المتميزة عن عقائد المجتمعات غير الإسلامية ، فلابد أن يصدر عن هذا المجتمع أدب يختلف عن آداب المجتمعات الأخرى ، ولابد أن يتناسق هذا الأدب ويتناغم مع أفراد هذا المجتمع ؛ فيصور أفراحهم ، ويرسم طريق [illegible]هم ويُعَبِّر عن معتقداتهم ويهذب سلوكهم فى إطار من الشريعة .

ولابد أن يتميز هذا الأدب بسمات إسلامية تجعل منه ذلك الأدب المنشود .

ولكن ما السمات والمقومات التى تُمكِّننا ـ عند وجودها ـ أن نقول : ـــ مطمئنين : « إن هذا الأدب أدب إسلامى » ؟

وهل ما يصدر عن أديب مسلم يعد إسلامياً ؟ أم الأدب الإسلامى هو ما يصدر وله سمات ومقومات معينة بغض النظر عن قائله ؟

من هذا المنطلق كان اختيارنا لهذا الكتاب « الأدب الإسلامى ضرورة » للدكتور أحمد محمد على .

وكم نأسف لعدم التعريف بالمؤلِّف ، فالكتاب لا يقدم شيئاً عنه إطلاقاً ، وبذلك فقدنا جانباً له أهميته فى التعريف بالكتاب نفسه ، والقول بأن مادة الكتاب مُغْنِيَةٌ عن هذا التعريف ـ قول لا تستسيغه الدراسات الأدبية ،فنحن نقدم ـ عادة ـ الشاعر ومذهبه وحياته بين يدى شعره .

صدر الكتاب ـ فى طبعته الأولى ـ عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م عن رابطة الجامعات الإسلامية ، وعنيت بطبعه دار الصحوة فى قطع متوسط بلغ مائة وثلاثين صفحة .

يبدأ الكتاب بتقديم للأستاذ الدكتور عبدالقدوس أبو صالح نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامى العالمية ، تتبعها مقدمة المؤلف ثم تتتابع فصول الكتاب الثلاثة ، على النحو التالى :

الفصل الأول : الإسلام والإبداع الأدبى .

الفصل الثانى : قضية الأدب الإسلامى .

الفصل الثالث : الأدب الإسلامى والظواهر الفنية.

فأما الفصل الأول فقد تكلم فيه عن :

أ ـ الإسلام والجمال :

فأوضح أن الجمال الظاهرى ليس مقصوداً

لذاته ، وأن حب الجمال لا يتوقف عند جمال الظاهر وزينة الشكل ، وأن التناسق بين الشكل والجوهر أمر لابد منه لكى يكون الجمال الذى يصطنعه الإنسان محبوباً من الله تعالى .

والجمال فى خلق الله ليس مقصوراً على ما يظهر للحواس ، التى تدرك الجمال فى بعض ما خلق الله وقد لا تراه فى بعضه الآخر ، فيفوتها أن تدرك ما فيه من جمال ؛ فالله ـ تعالى ـ الذى أحسن كل شىء خلقه ـ جعل إحسان الخلق قاسماً مشتركاً بين جميع مخلوقاته ، فما لا تجد فيه متعة للبصر قد تجد فيه متعة للبصيرة .

ولعل أهم ما نلاحظه ونلمسه فى كلام المؤلف رؤيتُهُ أن الجمال فى الإسلام هو ما يقوم على الحق والخير .

فالإسلام لا ينحاز إلى الجمال الظاهر وحده [جمال الجسد أو جمال الحسب] .

والإسلام يفضل للمؤمن المرأة التى تتمتع بجمال الباطن [الإيمان] وتحقق الغاية من النكاح [التناسل] .

وهذا الحق الذى يشيع ويشع من القرآن هو مصدر الجمال ﴿**بالحق أنزلناه وبالحق نزل**﴾ .

وهذا الحق الذى يشع جماله من القرآن هو ما دعا الوليد بن المغيرة إلى أن يقول ـ عندما سمع بعض آيات القرآن : «والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه ، وما يقول هذا بشر» ، ورغم أن قائل هذه العبارة مشرك إلا أن الجمال واضح فيها ، هذا الجمال الذى ينبع من الحق والصدق فلا ينكره أحد .

والجمال فى الإسلام ليس زينة شكلية ، وإنما يكوِّن مع الحق والخير نسيجاً واحداً هو ما نراه فى إبداع الله فى خلقه وفى كلامه .

ب ـ الإسلام والإبداع :

لعله من المعلوم أن تنوع المدارس الفكرية أدى ـ بالتالى ـ إلى تنوع واختلاف التصورات حول الإبداع ، وارجاع ذلك إلى شخصية (المبدع) والمؤثرات التى أثرت فيه وهى مؤثرات متعددة من : ثقافة ، وقيم .. الخ .

والإبداع الأدبى كالإبداع فى أى فن من الفنون .. تقف وراءه موهبة .

وعن المواهب ـ التى هى أساس الإبداع ـ يقول المؤلف ص ٢٦ ، ٢٧ :

«إن الغرائز والطاقات والمواهب والقدرات .. ماهى إلا أدوات النفس فى فجورها وتقواها ، فهل ترك الإسلام هذه الغرائز تعمل عملها بدوافع الضرورات والحاجات والرغبات دون ضابط ولا رابط ؟» .

ثم يتساءل : هل يمكن أن تعمل هذه المواهب والقدرات والاستعدادات بمعزل عن الغرائز والطاقات والحواس ؟ أو أنها لابد أن تنتظمها ـ مع غيرها ـ طريق واحدة نحو غاية واحدة حتى يتحقق الانسجام فى حركة الحياة فى ظل النظام الإسلامى ؟ وإذا لم يُبِح الله ـ سبحانه ـ للعين فى إطار تنظيم الغرائز والرغبات ، أن تنظر إلى حرام فكيف يبيح للموهبة أن تبقى طليقة فتصف هذا الحرام ؟ وهكذا بقية الجوارح ؟

ثم يعرض المؤلف لآراء بعض المتكلمين عن الإبداع مثل : (شوبنهور) ، و(نيتشه) ، و(فرويد) وغيرهم ، ومنهم من قال : «إن الإبداع عمل لا إرادى» . ويرد على هؤلاء ص ٣٠ ، ٣١ . بقوله : ليست القضية فى الإبداع

الفنى إذن أن تتم بتلقائية وعفوية ، وحتى لو أسلمنا بمقولة الإلهام التى يتردد صداها بين المبدعين وعلماء النفس وبعض النقاد فإن هذا الإلهام يحتاج مقدماً إلى رصيد من المواد المتوافرة وإلى تجارب عديدة متراكمة .... فلابد لكل أديب وفنان من تكرار المحاولة مرات ومرات حتى يستقيم له فى الفن طريق » .

وهذا كله يعنى أن الإرادة والوعى أمران لابد منهما فى أى عمل فنى .

ومادام أمر الإبداع يقوم على الإرادة والاختيار فلابد من أن يكون للإسلام توجيه لهذه الطاقة المبدعة ؛ حتى تسير فى طريقها الصحيح ، وحتى تصبح طاقة بناءة تضيف إلى بناء المجتمع الإسلامى لبنة ، بل لبنات . ومن هنا جاء استثناء القرآن الكريم للذين آمنوا وعملوا الصالحات من الشعراء فى قوله تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ــ ٢٢٧].

وهنا نلاحظ أن الكاتب ــ يمر على أخطر قضاياه ــ مرّ الكرام ، بلا تعريف لها ولا تحديد ، فنحن لم نعرف ــ على يديه : ما الإبداع ؟ قبل أن يخوض بنا فى دراسته عن هذا الأمر أو غيره فى عمود كتابه ؛ فكان لزاماً أن أعرف ، ويعرف قارىء الكتاب حقيقة الإبداع قبل أن يتحدث عن الآراء فيه ، كقول القائل : إن الإبداع عمل لا إرادى .. الخ . و « الإبداع يقوم على الإرادة والاختيار » .

فى الحق إن مساس هذه القضايا بالإسلام أمر له أهميته ، تلك الأهمية التى كان من حقها على الكاتب أن تُعَرِّف نفسها لترشد إلى طريقها الصحيح .

جـ ــ الإسلام والكلمة :

جمع الله بين الخلق والبيان فى قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن

ولعل فى ذلك ما يلفت النظر إلى أهمية (البيان)، فالبيان نعمة تأتى فى الأهمية بعد خلق الإنسان .

فبمقدار ما يمتلك الإنسان من ناصية البيان يتبوأ مكانه ، ويصل إلى مالا يصل إليه غيره .

وقديماً انتمى أحد الشعراء إلى أدبه مستغنياً به عما سواه :

إذا انتمى منتم إلى أحد
فإننى منتم إلى أدبى[1]

والكلمة أداة البيان ولها شأن عظيم فى الإسلام والناس محاسبون بما يقولون . وفى حديث أبى هريرة الذى رواه الشيخان : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب »[2] .

وإذا كان هذا هو شأن الكلمة مع العبد ــ أى عبد ــ فما بالنا لو كانت هذه الكلمة صادرة فى أسلوب فنى بليغ !!

يقول المؤلف :

« إذا كان الإسلام ينظر إلى الكلمة هذه النظرة فهل تختلف نظرته إلى كلمة الأديب والشاعر فيتركها حرة طليقة بلا ضابط ولا رابط ؟ إن

(١) العقد الفريد ٢/١٣٠

ذلك لو كان لأحدث خللًا جسيماً فى وجهة الطاقات والملكات . إن من طبيعة توحيد طاقات الإنسان وملكاته نحو غاية واحدة أن يتجه بيان الإنسان وملكاته اللسانية إلى نفس الغاية التى تتجه إليها كل قوى الإنسان وطاقاته ـ وهو العالم الأصغر ـ تحققاً إرادياً كما هو متحقق فى جوانب الكون كله ـ وهو العالم الأكبر ـ تحققاً لا إرادياً . وهكذا تلتقى نظرة الإسلام إلى الإبداع ، ونظرته إلى البيان » .

فالكاتب رأى الإبداع الذى يقوم على الإرادة والاختيار يوجهه الإسلام إلى طريقه الصحيح فيتفادى به الغواية التى ندد الله ـ تعالى ـ بها فى قوله سبحانه : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء ٢٢٤] .

والكلمة ـ أداة البيان ـ ينبغى أن تكون حذرة ، فإن صاحبها محاسب بما يقول ، أى ينبغى أن تكون أمينة داعية إلى الخير .

وهكذا ينتهى اللقاء ـ بهما ـ فى إطار واحد يهدف إلى التوحُّدِ والانسجام فى حركة الحياة .

وأما الفصل الثانى :

فقد تكلم فيه المؤلف عن ضرورة الأدب الإسلامى ، وعن أكثر المصطلحات ملاءمة لهذا الأدب وهما : « الأدب الإسلامى » و « أدب الدعوة الإسلامية » .

وعن هذا اللون من الأدب المعاصر الذى يقتفى أثر الأدب الغربى ، يقول ص ٤٩ :

إن هذا اللون الجديد من الأدب الذى روج له الأدباء والنقاد ودافعوا عنه ودعوا إليه لأنه الأدب الأكثر تعبيراً عن روح العصر وأشواق الإنسان المعاصر قد انغمس فى التصورات اليونانية الوثنية والروح المسيحية والتيارات الفلسفية والمذهبية التى تموج بها الآداب الأوربية قديماً وحديثاً . وإذا نحن أمام أدب غريب عنا فى تصوراته وأخليته ورؤيته للحياة والإنسان والكون والوجود وعالم الغيب وعالم الشهادة .

إن هذا الأدب إذا تحدث عن الألوهية والنبوة والعالم الآخر يقدم لك تصوراً لا علاقة له بالإسلام من قريب ولا من بعيد ، وإذا حدثك عن بداية الخلق أعاد على مسامعك مقولات سفر التكوين ، وإذا تحدث عن هابيل وقابيل وإبراهيم وإسماعيل وبقية الأنبياء الماضين فإنما يقدمها لك فى إطار رؤية الكتاب المقدس ، أو فى إطار أسطورى لا حقيقة له . أما الصليب والمسيح والخطيئة والفداء والصلب والخلاص وبقية مفردات العقيدة المسيحية فهى كثيرة فى أدبنا الحديث بمعانيها المسيحية لا بمعانيها اللغوية[1] . وأما الأساطير اليونانية والبابلية والآشورية والمصرية والفارسية والهندية والصينية ، فحدث ولا حرج .

وهنا وجه الخطر فى القضية .

وتأكيداً لضرورة الأدب الإسلامى :

يقول :

إن المسألة ليست مسألة شكل فنى أفضل ولا لغة تعبير أرقى ولا طريقة تناول أسمى فكل هذا لا خطر فيه ولا خوف منه ، بل ندعو إليه ـ ولكنها قضية محو وإثبات . محو للتصورات الإسلامية وإثبات لتصورات بديلة مناقضة لها تماماً .

وإن شئت فاقرأ للشاعرة نازك الملائكة قصيدة « خمس أغان للألم » من ديوان « شجرة القمر » . وقصيدة « المغرب العربى » من ديوان « أنشودة

المطر » لبدر شاكر السيَّاب وقصيدة « اعترافات » من ديوان « أغانى أفريقيا » لمحمد الفيتورى وقصيدة « عذابات مابين البدء والختام » من ديوان « الهجرة من الجهات الأربع » لنصار عبدالله .

فهل هناك علاقة بين هذه التصورات التى تطغى على الأعمال الأدبية ـ مضامين وصوراً ـ وبين المجتمع الذى تكتب له وتنشر فيه !

ثم ينتقل إلى ارتباط الأدب بالعقيدةفيوضح أن العقيدة ضرورة من ضرورات الوجود الإنسانى ، ويستحيل أن يكون هناك فرد أو مجتمع ليس له عقيدة ما تحدد موقفه من عالم الغيب وعالم الشهادة ، من الحياة والموت ، تحدد علاقته بالقدر ، والحياة وما يجرى فيها ، وتشكل تصوره عن هذا الكون وموقفه منه وعلاقته به ، فالإيمان عقيدة ، والكفر عقيدة .

والعقائد قد تكون سماوية ـ صحيحة أو محرفة ـ وقد تكون أرضية ، ولكنها فى النهاية عقيدة تشكل لأصحابها تصورات معينة .

وأدب أية أمة يكون مصبوغاً بعقيدتها سواء أجاءت هذه الصبغة ظاهرة أم جاءت خفية تسرى فى الأدب فتُحِسُّها ولا تستطيع أن تحددها .

وعن تأثر كثير من الأدباء المسلمين بكتابات الغربيين ، والنقل المباشر لرموز عقيدتهم ، يرى المؤلف أن ذلك هو آفة التغريب فى أدبنا الحديث ويرى أن :

القرآن الكريم يعطى من الحقائق عن عالم الغيب وعالم الشهادة ما يسدد الأساطير والخرافات والأوهام ، ويعطى من البيان وطرق التعبير ما يمكن أن يؤسس مدرسة أدبية تصل إلى أقصى درجات التعبير والتصوير والبيان . وحيث لايوجد كتاب يملك ما يملكه القرآن الكريم من اليقين فى أخباره ، ومن الإعجاز فى بيانه فكيف يدعه الأديب المسلم إلى ما سواه فيستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟!

ويرى المؤلف أن الإبداع الأدبى لابد له أن يستقيم مع قيم المجتمع وعقائده .

فيقول :

والصراع بين المبدعين الذين ينفرون من الضوابط والقيود ودعاة الإصلاح صراع مستمر وسيظل مستمراً ، ووجود الرقابة على الإبداع الأدبى والفنى فى كل بلاد العالم ـ تقريباً ـ دليل على أن المجتمع يريد من المبدعين أدبا ينسجم مع ما تواضع عليه هنا المجتمع من قيم وما تعارف عليه من أخلاق .

ولكن : هل يعنى هذا أن الأديب الإسلامى يتحول إلى واعظ وخطيب ؟

يجيب قائلًا : «إن الأدب الإسلامى أدب أولًا ، قبل أن يكون دعوة للخير وحرباً على الشر ، والإبداع الأدبى يعتمد على الصورة والإيحاء أكثر مما يعتمد على التقرير والمخاطبة والأمر والنهى .

وعن الالتزام فى الأدب الإسلامى :

يرى المؤلف أن الملتزم إسلامياً هو من توافرت فيه صفات :

١ ـ الإيمان .

٢ ـ العمل الصالح .

٣ ـ ذكر الله كثيراً .

٤ ـ الانتصار بعد الظلم وليس مطلق الانتصار .

وهو -فى ذلك يرجع إلى الآية الكريمة : وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ

بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ الشعراء

وليس فى هذا مصادرة لحرية الشاعر والأديب كما يبدو وكما يشاع فالإسلام لا يقول للشاعر : اكتب فى موضوع كذا ، إن للمبدع مطلق الحرية فى تناول ما يشاء من جزئيات حتى يصل إلى قرارها ويكشف لنا خباياها .

وينتقل المؤلف إلى قضية الغموض والوضوح بالفصل الثالث : فهى قضية ليست حديثة فإنها تضرب بجذورها فى أعماق الزمن يقول ص١٠٦ :

«ولست أدرى كيف يكون الغموض ــ الذى يمتدحونه الآن ــ مدحاً ، والبيان والإيضاح ذماً ؟

والقران المعجز واضح بيِّن ــ كما وصفه الله ، تعالى ــ فهل يزعم أحد أن وضوحه منقصة وأن بيانه مزمة ؟

وإذا قيل : إننا نتحدث عن الغموض فى الشعر ، وليس عن الغموض بصفة عامة فإننا نقول : إن الغموض الآن أصبح سمة بارزة ليس فى الشعر وحده ولكن فى الدراسات والأبحاث والمقالات أيضاً .

ولقد بدا ذلك فى كتابات : محمود أمين العالم ، وعبدالعظيم أنيس ، وألبير أديب ، ومصطفى ناصف ، وبعض كتاب مجلة فصول .. وغيرهم وهم يروجون له ويدعون إليه ، فإذا كان الغموض هو الذى يمنح الشعر قيمته ويعطى الأدب مكانته ومنزلته ، فعلى تراثنا العربى كله العفاء».

وبعد :

فتلك رؤية الكاتب وتصوره للأدب الإسلامى .

وما من شك أننا ــ فى أيامنا هذه ــ وقد تنازعت الأهواء بالأديب العربى ، حتى لم يبق له هوية مضيئة الأصول محددة المعالم ــ فى أشد حاجة إلى أدب يُشْرِق بكل مقومات وجودنا : دِيناً وأعرافاً وسلوكاً وقومية .. أدباً يعطى هذه الخصائص ، ويكشف عن جذورها الأصيلة وثمارها الإنسانية الرفيعة .. ويتغلغل بخيره إلى فروع الأدب المختلفة لينبت فى كل منها دوحة وارفة الظلال ، تضوع إنسانيتها فى أنحاء العالم .

إن حاجة العروبة أشد ما تكون إلى أدب إسلامى.. بعد أن عرفت جرائيم الشر فى أدبها المعاصر حتى أعطت بعض رءوسها الأدبية أمثلة نهج عليها وتبعها سلمان رشدى فى لندن ، وأمثلة ذلك واضحة فى «رصيف الزهور» لروائى من شمال أفريقيا .. لا داعى لتحديد بلده (المغاربى).. وآخر فى .. «أولاد حارتنا» بمصر .. بل إن بعضهم أعد رواية مسلسلة أذيعت (براديو لندن) أجرى فيها حواراً على لسان أحد أبطاله فى رواية عن (رفاعة الطهطاوى) يَأْسَىَ فيها على نساء مسلمات لا يغتسلن أبداً .. إلى هذا الحد بلغ السَّفَهُ والمهانة واسترقاق الأديب نفسه للغرب لينال منه ابتسامة رضا عما فعل ، ولو كذب على الناس .

إن أمثلة السقوط المذل للأديب العربى كثيرة .. وإن قابلها أعمال لعمالقة شرفاء .. أقلامهم تأنف من الحطة والضياع .. وتستطيع ــ فى نفس الوقت ــ أن تحطم بحق هذه الأوثان .

إننا بحاجة إلى أدب إسلامى يزداد بهاؤه ، وتقوى أوضاعه أكثر وأكثر .

والله الموفق ،،،

---

(٢) اللفظ هنا أخرجه الإمام مسلم فى الزهد ٤٩ ، ٥٠ صـ٢٢٧٢ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

من الهدى النبوى

تلقت المجلة كلمة من القارىء صلاح أحمد الشورى ـ بجامعة الأزهر :

يحث فيها المسلمين على ضرورة الاستجابة لله ـ تعالى ـ ورسوله ـ ﷺ ـ فى كل ما آتانا به من أقوال وأفعال إن أردنا النصر على الأعداء وسعة الرزق ، وهو يسترشد فى كلمته بحديث المصطفى ـ ﷺ ـ الذى رواه ابن ماجه عن جابر ـ رض الله عنه ـ بقوله :

خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا » .

عذاب القبر ليس أسطورة

تلقت المجلة من القارىء هانى عبدالله كلمة يلفت النظر ويرد ـ فيها ـ على ما نشرته إحدى الصحف الصادرة بتاريخ ١٩٩٢/١٢/٢٨ م تحت عنوان « الثعبان الأقرع » ينكر ـ فيها ـ كاتبها عذاب القبر ويستهزىء بأمره :

ويبدو أن الثعبان الأقرع لم يتوفر على دراسة الموضوع بقدر ما أطلق العنان فى النيل من الإسلام نفسه ، وكان الأجدر به أن يتوفر على دراسة أصيلة ليعلم أن عذاب القبر ونعيمه أمر مقطوع به فى كلتا الشريعتين : الإسلامية والموسوية من قبلها ، ولاعيب على الإسلام أن يقصر أحد المثقفين فى تحصيل العلم ، وماتستدعيه آلاته ، ثم يستقيئه فى الطريق العام .. وليته سأل نفسه :

لم كتب ماكتب ؟.. أللمسلمين ؟ إنهم براء من هذا الغثاء أم للكرملين ؟ لقد أغلق أبوابه ، أم للصهيونية ؟ حتى هذه نشك فى أن تستجيب ، لأنها ـ أولا وأخيرا ـ أحرص على اليهودية من كاتب المقال .

د. الخطيب

الإنفاق وشح النفس

الإنفاق والكرم والسخاء والجود أسماء لصفات كريمة وأخلاق عظيمة تخلق بها الرسل والأنبياء والصالحون ، ولعل أرفع درجات الإنفاق درجة الإيثار التى تخلق بها الأنصار ، وهم من وصفهم الله فى كتابه العزيز بقوله :

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾

(سورة الحشرة الآية : ٩) .

حول هذا المعنى تلقت المجلة كلمة القارىء عماد ميزار عبدالعظيم ـ من قرية الأعلام محافظة الفيوم ـ وفيها يلفت أغنياء المسلمين إلى تحقيق معانى الأخوة والتضامن مع إخوانهم من الفقراء والمساكين ومما جاء فى ذلك قوله : ولعل من الحكمة والرشاد وبواعث الإيمان أن نحسن إلى أصحاب الأجسام النحيلة والوجوه الشاحبة التى ذهب بنضرتها الشقاء ، ولن تنجح الإنسانية فى أى عمل من أعمالها إلا إذا وجهت جزءاً كبيراً من عنايتها نحو هؤلاء المساكين ، فواست جراحهم ووفرت لهم جواً من السعادة ، ومنحتهم حقهم الطبيعى فى الحياة وسهلت لهم سبل العيش .

تصور لنشر الوعى الإسلامى الصحيح

كما تلقت المجلة من القارىء جاد الرب أحمد محمود ـ المحاسب بشركة تصنيع الأخشاب بالقاهرة :

كلمة يضع فيها تصوراً لعقد دورات تثقيفية فى قطاعات الدولة المختلفة ـ تحت إشراف العلماء لنشر الوعى بحقيقة الإسلام وذلك باتباع الخطوات الأتية :

١ ـ تتفاوت الدورة من ثلاثة أشهر إلى ستة أشهر وفقاً لنوعية المؤهلات الدارسة سواء كانت عليا أومتوسطة اوتحت المتوسطة أزهرية أوغير أزهرية .

٢ ـ ألا تزيد فترة الدراسة عن ثلاث ساعات يوميا ولمدة يومين فى الأسبوع ، يمنح الدارسون خلالها تفرغاً إذا كان الدراسة صباحية ، كما يمنح أوائل كل دورة مجموعة من الكتب الدينية تختارها اللجنة المنظمة .

٣ ـ يمكن تمويل هذه الدورات باستصدار قرار من الجهات المسئولة بفرض رسم قدره (واحد فى الألف) مٰن صافى أرباح الشركات عند تقديم الإقرار الضريبى لصالح المشروع .

ردود وتعليقات

● بين الحين والاخر تتلقى المجلة من كتابها رسائل يطلب فيها أصحابها من المجلة موافاتهم بامكانية نشر ماسبق لهم أن وافوا المجلة به من انتاج ورده فى حالة عدم نشره والحقيقة أن هذا الانتاج إما أن يكون قد سبق نشره لكتاب آخرين ـ وإن اختلفت العناوين ـ ، وإما أنه يمكن

للمجلة أن تتناوله فى أعداد لاحقة وفقاً لأولويات النشر ، ومن ثم تنصح المجلة دائماً كتابها الأعزاء بضرورة الاحتفاظ بصورة من الانتاج المرسل بغية الانتفاع به فى مجال آخر حيث ان المجلة ليست ملزمة برده .

● إلى الأستاذ رمضان إبراهيم الأقرع إمام مسجد شركة الكهرباء ـ طنطا ـ اخناواى غربية .

لم تتوقف المجلة عن نشر الخطبة .. لكنها تود الجديد الذى لاترديد فيه لخطب (روتينية) والله الموفق لبحوث رشيدة فى إطار خطب رفيعة المستوى تبرز دور المنبر الإسلامى فى رفع مستوى المسلمين ؛ فأما إعداد مسابقة شهرية فأمر لاتتحمله ميزانية المجلة بحال ، كذلك نشر الموسوعات الإسلامية ضمن هدايا الأزهر يجعل الواحدة من هذه الموسوعات تستغرق عشرات السنين .

● وإلى الطالب النابغة أيمن إسماعيل إبراهيم ـ كفر الشيخ منشأة عباس ـ أولى أصول الدين قسم الدعوة الإسلامية :

نقول : إنه مامن حدث يمر بالأمة الإسلامية ترضى إدارة التحرير بالمجلة أن تقف مُشيحة عنه ، بل إنها تمضى ـ برسالتها ـ فى شأنه على ضوء علمى يقينى لاتستسلم إزاءه لهرج الافتعال ومايتبعه من غثاء وسوف تقرأ ـ فى هذا العدد ـ بذاته مايشبع رغبتك فيما طلبت ثم نشكرك على هذا الهتاف الرقيق بمعهدك العتيق .. (الأزهر).

● القارىء تمام مخلوف ـــ من فرشوط ـ قنا . ج.م.ع .

● والقارىء محمد ابواليسر عبدالهادى ـ من مركز شربين محافظة الدقهلية ج.م.ع .

تلقينا انتاجكم الطيب وعسى أن نتمكن من عرضه فى عدد لاحق .

● القارىء جابر محمد الكردى ـ كفر الشيخ ـ فوه ـ منية الأشراف ج.م.ع . سنراعى ملاحظاتكم بمشيئة الله عند نشر القصيدة .

● القارىء أيمن إسماعيل إبراهيم ـ كفر الشيخ منشأة عباس ـ ج.م.ع .

نرجو أن تتاح لنا مستقبلا فرصة الإعداد للمسابقات الإسلامية الشهرية .

● القارىء محمد حسنى المهدى ـ كفر الشيخ ـ منشأة عباس ج.م.ع .

يمكن موافاة رئيس التحرير بصورة من بحثك المطول عن « الأداب الاجتماعية والخلقية فى سورة الحجرات » حتى يتسنى له النظر فى مدى صلاحيته للنشر .

● القارىء ح . م ـ مركز جرجا محافظة سوهاج ج.م.ع .

أفضل علاج للخروج من محنتك هو اجتناب أصدقاء السوء ، والمداومة على الاستقامة ، والاستماتة فى طلب العلم ، والحرص على طاعة الوالدين .

● القارىء هانى إبراهيم أحمد ـ العدوة ج.م.ع .

مرحباً بابداعاتك فى هذا الباب وبمشيئة الله نكون عند حسن ظن قرائنا ، أما عن اقتراحكم بزيادة عدد صفحات هذا الباب ، فهو أمر محكوم بضغط المادة المقالية على صفحات المجلة .

● **بمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى تلقاها تباعا .**

ردود خاصة باشتراكات المجلة

■ إلى الأخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ــ بنسخة واحدة شهرية ــ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ــ قسم الاشتراكات ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها . وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

أنبـــاء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد : الأستاذ مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يستقبل دبلوماسى آسيا الوسطى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر **الشيخ جاد الحق على جاد الحق** شيخ الأزهر الوفد الدبلوماسى لجمهوريات آسيا الوسطى ، وذلك صباح يوم الاثنين الموافق ١٩ من ذى القعدة ١٤١٣هـ ١٠ من مايو ١٩٩٣م بقاعة الاجتماعات بمكتب فضيلته بالأزهر . وفى بداية اللقاء رحب فضيلته بالوفد الذى ضم سبعة وعشرين عضواً يمثلون خمس جمهوريات ، حيث اطلعهم فضيلته على دور الأزهر الشريف فى الداخل والخارج لنشر تعاليم الدين الإسلامى الحنيف .

وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر على أسئلة السادة أعضاء الوفد ووعد بالنظر فى الطلبات التى تقدم بها أعضاء الوفد والعمل على توفير الامكانات اللازمة لتحقيقها ، وتتمثل هذه الطلبات فى توفير المنح الدراسية بجامعة الأزهر .

حضر اللقاء السيد السفير/ إيهاب سرور مساعد وزير الخارجية ومدير المعهد الدبلوماسى والأستاذ الدكتور/ عبد الله مشعل المدرس بالمعهد .

الإمام الأكبر يشهد حفل ختام الدورة العشرين لتدريب أئمة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر حفل ختام الدورة العشرين لتدريب أئمة ووعاظ العالم الإسلامى بمدينة البعوث الإسلامية وذلك ظهر يوم الأربعاء الموافق ٦ من ذى القعدة ١٤١٣هـ ٢٨ من ابريل ١٩٩٣م وفى كلمة جامعة وجهها فضيلته للخريجين أكد على أن الدعاة مطالبون بتنقية المفاهيم الإسلامية من الخرافات والبدع ، خاصة فى ظل غياب الوعى الدينى ومحاولات خصوم الإسلام للنيل منه وسعيهم لتفتيت وحدة الصف الإسلامى ، كما دعا فضيلته دعاة العالم الإسلامى إلى الحذر والحيطة مما يحاك ويدبر من خصوم الإسلام .

حضر الحفل السيد السفير مساعد وزير الخارجية للعلاقات الثقافية وعدد من سفراء الدول الإسلامية وقيادات الدعوة بالأزهر الشريف .

كما افتتح فضيلته الدورة الحادية والعشرين صباح يوم الأحد الموافق ٢٤ من ذى القعدة

١٤١٣هـ ١٦ من مايو ١٩٩٣م والتى تنظمها اللجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف .

تستمر الدورة ثلاثة أشهر يتلقى فيها الأئمة محاضرات فى فنون الدعوة الإسلامية ومختلف الموضوعات المتعلقة بالدعوة لتأهيلهم لهذه المهمة حتى يكونوا على مستوى مشكلات العصر التى تواجه مجتمعاتهم الإسلامية .

حضر الحفل سفراء الدول المشتركين فى الدورة .

قرار فضيلة الإمام الأكبر ببعثة الأزهر

أصدر فضيلة الإمام الأكبر **الشيخ جاد الحق على جاد الحق** شيخ الأزهر قرارا بتكليف فضيلة الشيخ/ صلاح الدين محمود طه الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر بالإنابة برئاسة بعثة الأزهر الشريف للحج هذا العام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م لكى تقوم بدورها فى التوعية الدينية بين الحجاج وأداء رسالتها فى الأراضى المقدسة للإرشاد الدينى والإسهام فى نشاط بعثة الحج الرسمية لجمهورية مصر العربية .

الإمام الأكبر يستقبل سفيرة الهند بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر **الشيخ جاد الحق على جاد الحق** شيخ الأزهر السيدة/ أرومادانى حوش سفيرة الهند بالقاهرة وذلك يوم الاثنين الموافق ١١ من ذى القعدة ١٤١٣هـ ٣ من مايو ١٩٩٣م بمكتب فضيلته بالأزهر .

بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بالسيدة السفيرة التى أعربت عن سعادتها البالغة للقاء فضيلته مشيرة إلى أن هذا اللقاء يعد الأول بعد تعيينها سفيرة لبلادها فى مصر .

وقد أطلعت السيدة السفيرة فضيلة الإمام الأكبر على حقيقة الأحداث التى وقعت أخيراً بالهند بين المسلمين والهندوس حول مسجد بابرى مؤكدة على أن الحكومة الهندية قد اتخذت موقفاً حاسماً وسريعاً لحماية الأقليات المسلمة هناك .

حضر اللقاء السيد/ سوشيون سنج الوزير المفوض بالسفارة الهندية بالقاهرة والسيد نائب السفيرة والدكتورة عصمت مهدى مديرة المركز الثقافى الهندى بالقاهرة .

ترقيات الأزهر الشريف

تفضل فضيلة الإمام الأكبر **الشيخ جاد الحق على جاد الحق** شيخ الأزهر بالموافقة على ترقية العاملين بالأزهر الشريف من المدرسين والإداريين وغيرهم وعددهم تسعمائة وخمسة وستون موزعين على النحو التالى: مائتان وعشرون للدرجة الأولى وثلثمائة وستة وسبعون للدرجة الثانية ومائتان للدرجة الثالثة وأربعة وسبعون للدرجة الرابعة وخمسة وتسعون للدرجة الخامسة .

وذلك اعتبارا من ١٢ ذى القعدة ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٣/٥/٤م .

أنباء العالم الإسلامي

اعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

مسلمو البوسنة
بين همجية الصرب
وانتهازية الكروات

طالب مجلس الأمن بالوقف الفورى لحوادث القتال فى البوسنه ، وندّد بالهجوم العسكرى الكبير من قبل كروات البوسنه ، وطالب الحكومة الكرواتيه فى زغرب باستخدام نفوذها لوقف القتال ، وهدد باتخاذ مزيد من الإجراءات إن لم تحترم قراراته .

وأكد مجلس الأمن على ضرورة وقف الهجمات التى تُشن على المساجد ، خصوصاً بعد تدمير أربعة منها فى مدينة « بنيالوقا » ، واصفاً الهجمات بأنها عمل بربرى يثير الغضب .

هذا ولازالت المعارك الشرسة مستمرة بين الكروات - حلفاء الأمس - والمسلمين فى مدينة « موتسار » بجانبى البلاد وفى جبال مستشا ، وذلك برغم وقف إطلاق النار الذى بدأ الاثنين ١٩٩٣/٥/١٠ بعد التوقيع عليه فى « أثينا » .

ورغم ادعاءات الكروات بأن الأحوال أهدأ إلا أن هناك أخباراً مؤكدة عن تدمير مدينة « شيبا » حيث فرَّ الآلاف من المسلمين بعد المجازر والمذابح التى ارتكبها الصرب ضدهم على مدى أربعة أيام متوالية .

ومن ناحية أخرى دعت الجماعة الأوربية كلا من « أمريكا وروسيا » لإرسال ٣٠ ألف جندى للمساعدة فى حماية المناطق الست التى أعلنت ملاذات آمنة للمسلمين هناك .

وقال وزير خارجية الدانمارك بعد اجتماع وزراء خارجية الجماعة الأوربية فى بروكسل : إن الجماعة الأوربية من حيث المبدأ ستدعم العمل العسكرى الذى طال انتظاره ، وذلك فى حالة تعرض القوات الدولية للهجوم .

المغرب

اقترحت الجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية بالمغرب زيادة حصص مادة التربية الإسلامية فى الأقسام العلمية بالتعليم الثانوى بمختلف مستوياته .

والمعروف أن مادة التربية الإسلامية إجبارية فى جميع مراحل التعليم بالمغرب .

بون

عُقد المؤتمر السابع للمسلمين فى أوربا فى بون - عاصمة ألمانيا الموحدة - لمناقشة أوضاع المسلمين الذين يعيشون فى أوروبا ، ومايعانونه من مشكلات اقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية .

كما ناقش المؤتمر مستقبل المسلمين فى أوربا ، والوسائل المتاحة لمشاركتهم فى الحياة السياسية ، كذلك تمت مناقشة الأوضاع القانونية لمليون مسلم يعيشون فى ألمانيا .

جدة

اجتمع رئيس البنك الإسلامى بالمسئولين عن شئون الحج بسفارات الدول الإسلامية فى السعودية لبحث سبل الإفادة من مشروع لحوم الهدى والأضاحى الذى أكمل عامه العاشر بنجاح تام ، وأعلن رئيس البنك أن خطة هذا العام تشمل إيصال لحوم هذه الذبائح إلى ثلاثة وعشرين

بلداً إسلاميا فى آسيا وأفريقيا بدءاً من ثانى أيام التشريق .

من أخبار الاقتصاد الإسلامى

عقد مجمع الفقه الإسلامى بجدة بالتعاون مع معهد البحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامى للتنمية ثلاث ندوات فى الفترة من ١٨ إلى ٢٣ شوال الماضى ، شارك فيها نحو ستين المتخصصين فى مجال الفقه والاقتصاد الإسلامى ناقشت الندوة الأولى : (آثار تغيير قيمة العملة) والثانية : (مشكلات البنوك والمصارف الإسلامية والحلول المناسبة لها) . أما الندوة الثالثة فكانت حول : (حُكْم المشاركة فى أسهم الشركات المساهمة التقليدية) .

دبـــى

نظمت اللجنة الإسلامية للإغاثة فى دبى فى (مايو ٩٣) مسابقة تحت شعار (أنا يتيم فهل تعرفنى ؟) تستمر أنشطتها شهراً كاملا .

وفى حديث لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية قال رئيس اللجنة المختصة : إن اللجنة المنبثقة عن جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعى فى دولة الإمارات العربية المتحدة تهدف إلى التعريف بأوضاع الأيتام فى العالم الإسلامى من خلال توجيه القرَّاء ودعوتهم إلى المشاركة فى المسابقة وكسب مزيد من الكُفلاء والتبرعات لحساب أولئك الأيتام .

دمشق

نظمت فى دمشق مسابقة لتلاوة وحفظ القرآن الكريم شارك فيها حفاظ من سوريا وباكستان ولبنان وأفغانستان وإيران ، وأقيمت بمسجد عثمان ابن عفان بالعاصمة السورية .

أوزباكستان

بلغ عدد المساجد فى أوزباكستان خمسة آلاف مسجد بينما كانت قبل الاستقلال فى ظل الحكم الشيوعى ثمانين مسجداً فقط . صرح بذلك الشيخ عبد الغنى عبد الله وزير الشئون الدينية بجمهورية أوزباكستان الإسلامية ، وأضاف أن الوزارة تلقت أكثر من ١٠٠٠ طلب آخر لبناء مساجد جديدة فى القرى والمدن ، وأكد أن الوزارة تشرف على خمسة آلاف مسجد وأكثر من عشرة آلاف امام وخطيب وداعية . كما أننا نسعى لدى الحكومة لتمويل تلك المساجد وصرف رواتب ومكافآت للأئمة والدعاة .

وأوضح أن بالجمهوريـــة ثلاثين مدرسة إسلامية تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس علومه ، وتجويده للأطفال والشباب ، وأنه تم تخصيص بعضها للبنات فقط إيماناً بمبدأ عدم الاختلاط بين الجنسين ، وقال : إننا نسعى لإنشاء جامعة إسلامية فى سمرقند أو طشقند خلال العامين القادمين ، كما قمنا بطباعة أكثر من مائتى كتاب من كتب التراث والدين كلها باللغة الروسية ، مما يوجب علينا إعادة طبعها باللغة العربية فى المستقبل .

القاديانيه حرام

أوصى المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى فى دورته الثانية والثلاثين بنشر الفتاوى الشرعية والقرارات الإسلامية الخاصة بالقاديانيه بمختلف اللغات ، وطالب حكومات الدول الإسلامية بإعلان تكفير القاديانيه ، وخروج أتباعها عن الدين الإسلامى ، وطالب بحظر نشاطاتها الخارجة عن الإسلام عقيدة وشريعة .

بسم الله الرحمن الرحيم
ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ
« مجلة الأزهر »

الأهرام

تأسس سنة ١٨٧٥

السيد/الاستاذ على الخطيب
رئيس التحرير
مجلة الازهر

القاهرة فى ١٩٩٣/٥/٣

بعد التحية

برجاء التكرم بالاحاطه بأن نسبة مبيعات مجلتكم الموقره (الازهر) ١٠٠٪ من الكميه الموزعه أى بدون مرتجعات .

ونظرا لزيادة الطلب على المجلة يرجى التكرم بزيادة الكمية المسلمة لتوزيع الاهرام لتصبح " ٣٠٠٠٠ نسخه " بدلا من " ٢٢٨٠٠ نسخه " حتى نتمكن من تغطية الطلب المتزايد على المجلة بالاسواق .

وتفضلوا بقبول وافر الشكر ،،

المدير العام للتوزيع

ابراهيم نصر

القاهرة : شارع الجلاء — العنوان التلغرافى الأهرام بالقاهرة — تليفون ٧٥٠٠٠٠ — ٧٤٥٦٦٦ — ٧٥٨٣٣٣ تلكس : ٩٢٠٠١ و ٩٢٥٤٤ اهرام

LA REVUE D'AL AZHAR EN 1413 H.

AL MOHARAM 1413

1. L'Islam et le droit de l'homme (à suivre)
   Mme Omayma GAMAL
2. Bref aperçu sur l'assemblage du Coran (à suivre)
   Mme Inès Abdel Fattah AMER

SAFAR 1413

1. L'Islam et le droit de l'homme
   Mme Omayma GAMAL
2. Bref aperçu sur l'assemblage du Coran
   Mme Inès Abdel Fattah AMER

RABEI AL AWAL 1413

1. Les portes du bien
   Mme Leila Hefnawy
   Mme Hoda Hassan
2. Muhammad, le prophète de la Miséricorde
   Mme Omayma GAMAL

RABEI AL SANY 1413

1. Définir l'Islam (à suivre)
   Mme Omayma GAMAL
2. La prierè pour le prophète
   Dr. Zeinab LABIB

GUMADI AL OULA 1413

1. Définir l'Islam
   Mme Omayma GAMAL
2. Le portrait du prophète comme l'on décrit ses contemporains
   Dr. Rokeya GABR

GUMADI AL SANY 1413

1. La vie privée du Messager d'Allah
   Dr. Rokeya GABR
2. La polygamie et sa raison d'être en Islam
   Dr. Zeinab LABIB

RAGAB 1413

1. La conférence Islamique (à suivre)
   Dr. Rokeya GABR
2. L'esclavage dans l'Islam
   Mme Magda Mohamad Salem

SHAABAN 1413

1. La conférence Islamique
   Dr. Rokeya GABR
2. Les minorités musulmanes
   Mme Leila Hussein EL CHAFEI

RAMADAN 1413

1. L'Honnêteté et son mérite dans l'Islam
   Mme Noha Mohamad EL IBIARY
2. Le jeune en Islam
   Dr. Rokeya GABR

SHAWAL 1413

1. Le prophète et ses compagnons selon la Torah, les Evangiles et le Coran.
   Mme Leila Hussein AL CHAFEI
2. La Bonne Parole
   Mme Sahar Abdullah GUINDAYA

ZHOUL KEIDA 1413

1. La modération dans le culte
   Mme Fatma Mohamad RACHAD
2. Al Hadj ou Grand Pélerinage (à suivre)
   Mme Hoda Hussein CHARAOUI

ZHOUL HIDGA 1413

1. Al Hadj ou Grand pélerinage
   Mme Hoda Hussein CHARAOUI
2. Des recommandations prophétiques
   Mme Abir Mohamad ALY

Il est celui qui donne (le Donateur) et celui qui prive, nul ne peut empêcher ce qu'Il a donné, ni donner ce qu'Il a empêché. Il est le Détenteur de la création et du pouvoir. Il est le Tout-Puissant. Si tu présentes une requête à un humain il s'irrite. Mois si tu invoques le Créateur, Il sera satisfait de toi. Il aime ceux qui L'invoquent et se confient à Lui et Il loue ceux qui manifestent L'humilité et la soumission.

Allah, tout Puissant dit : "Ils s'empressaient de faire le bien, ils nous invoquaient avec amour et avec crainte, ils étaient humbles devant nous."

Si tu implores assistance réfugie-toi auprès d'Allah c'est à Lui seul que tu demandes l'aide. Il est le tout Puissant Il possède le pouvoir et la richesse. Allah qu'il soit glorifié — Tout Puissant dit : si Allah te frappe d'un malheur nul autre que lui ne l'écartera de toi. S'Il veut pour toi un bien nul ne détournera de toi. Ses faveurs, Il les accorde à qui Il veut parmi Ses serviteurs. Il est Celui qui pardonne, Il est le Misericordieux.

Comment donc un de Ses serviteurs peut-il te frapper d'un mal qu'Allah ne t'a pas destiné ou comment quelqu'un peut-il te rendre grâce sans la volonté d'Allah ?

ABIR MOHAMED ALY

Des recommandations prophétiques

Abir Mohamed Aly

Selon Abou Abbas Abdallah Ebn Abbas (qu'Allah soit satisfait de lui) a dit. "j'étais un jour derrière le prophète (paix soit sur lui) a dit : O mon enfant, je t'apprendrai quelques préceptes qui te seront utiles : observe les enseignements d'Allah. Il te protège. Observe les enseignements d'Allah tu Le trouveras auprès de toi. Si tu as une requête invoque Allah et si tu implores assistance implore l'assistance d'Allah. Sache que si la communauté s'accorde pour te faire du bien, cela ne te profitera que dans la mesure où Allah l'aurait voulu et si elle s'accorde pour te nuire, elle ne te nuira que dans la mesure où Allah l'aurait voulu. Le destin est pré-établi et tout est fixé d'avance.

le sens du Hadith :

Ebn Abbas (qu'Allah soit satisfait de lui) nous rapporte qu'il était un jour derrière le prophète à lui bénédiction et salut) quand ce dernier lui adressa la parole en attirant son attention sur quelques préceptes qui lui seront utiles ainsi qu'à la communauté musulmane.

Ce sont quelques préceptes simples et faciles à apprendre pourtant ils sont d'une grande importance'. Observe les enseignements d'Allah Il te protège. Observe les enseignements d'Allah en t'acquittant des actes de dévotion, en évitant ce qu'il a prohibé et en t'éloignant de ce qui ne le satisfait pas. Observe les enseignements d'Allah en t'attachant à la piété et en te soumettant à Ses ordres, Allah te protègera, protègera ta famille, tes biens, tes enfants et Il sauvegardera ta religion et ta vie, Allah, tout Puissant a promis l'éternité dans le Paradis pour ceux qui veillent à ne pas trangresser les limites qu'Allah a fixées. Il a dit : Le Paradis sera proche de ceux qui craignent Allah. Voici ce qui vous a été promis ainsi qu'à tout homme qui revient souvent vers Allah, qui respecte Ses commandements, qui redoute le Misécordieux et qui revient vers Lui avec un coeur. Entrez ici en paix. Voici le jour de l'éternité. Si tu observes les enseignements d'Allah, tu obéis à Ses ordres, tu évites ce qu'Il t'a interdit, tu respectes Ses préceptes, tu te rapproches de Lui par l'obéissance et tu lui rends un culte sincère Allah te protègera partout, te soutiendra et t'aidera partout où que tu sois. Tu te réjouiras alors de Sa compagnie, tu t'habitueras à Sa présence auprès de toi et tu te dispenseras de l'aide d'autrui et tu te passeras de leurs services. Une fois que tu auras ressenti le plaisir et la joie auprès d'Allah, tu renonceras à demander l'aide des humains pour n'invoquer que lui, tu n'imploreras que le secours d'Allah. Tu es avec le Riche, pourquoi demandes tu alors au pauvre? Tu es avec Fort, pourquoi as-tu recours aux faibles? Tu es avec Allah, le Créateur - Tout Puissant, pourquoi as-tu besoin de Ses serviteurs?

Si tu as une requêt invoque Allah, Il t'exancera, car Il est auprès de toi [je suis proche, en vérité quand Mes serviteurs t'interrogent à Mon sujet; je réponds à l'appel de celui qui M'invoque quand il M'invoque. Qu'ils répondent donc à Mon appel qu'ils croient en Moi peut-être seront-ils bien dirigés].

10) Tawaf d'Al Wada (a'adieu) :

Lorsque le pèlerin s'apprête à quitter la ville Sainte pour rentrer chez lui ou se rendre à Médine, il se dirige vers le Sanctuaire d'Allah pour y accomplir le Tawaf d'adieu. Il accomplit la circumambulation sans porter les habits de l'Ihram et sans avoir besoin de presser le pas pour les trois premiers tours autour de la Ka'aba. Après avoir accompli deux raka'as près de la "Station d'Abraham" il fixe son regard sur l'Edifice et dit : "Seigneur! Fais que cette visite ne soit pas la dernière à Ton Sanctuaire et Fais que j'y revienne plusieurs fois durant ma vie. En prenant le chemin du retour il dit : "Nous rentrons repentants, adorant Allah, nous prosternant devant Lui et le remerciant". Il faut savoir que celui qui néglige d'effectuer le Tawaf d'adieu doit, en expiation, immoler un bétail.

Le Rachat

Nous avons déjà mentionné que délaisser un des piliers du Hadj l'annule complètement, tel que négliger la Station D'Arafate ou le Tawaf Al-Ifada. Mais, la négligence d'un rite tel que la sacralisation après avoir dépassé la station frontière ou la négligence de la lapidation ou les rapports sexuels après la désacralisation partielle avant le Tawaf Al Ifada (constitutif) impose le rachat de la faute commise par l'Immolation d'une bête. Cette bête doit répondre à toutes les conditions de validité de l'immolation légale. L'offrande sera immolée à la Mecque, à n'importe quel moment. Comme il s'agit d'un rachat expiatoire, il ne peut être consommé par celui qui sacrifie et doit être être distribué aux pauvres. Celui qui ne possède pas d'argent, doit jeûner 3 jours durant le Hadj et 7 jour après son retour.

Mme Hoda Hussein Charaoui

6) Al Sa'y entre Al Safa et Al Marwah :

Après avoir accompli le tawaf Al Ifada et la prière près de la "Station d'Abraḥam", le pèlerin se rend à Zamzam, il boit à satiété. Ensuite, il se dirige vers la colline d'Al Safa pour accomplir les 7 étapes comme cela a été expliqué antérieurement. Il est interdit d'effectuer le Sa'y avant le tawaf.

7) L'Immolation du bétail :

Quiconque jouira d'une vie normale entre le Hadj et la Omra doit sacrificer et nous avons déjà expliqué les conditions du sacrifice ou "Hady". Il est permis de sacrifier après le jet de Jamarates Al'Akaba ou de le remettre après tawaf et le Sa'y. Le temps fixé pour le sacrifice peut se prolonger jusqu'au coucher du soleil du 3ème jour d'Al Eid.

8) Le rasage de la tête ou la coupe des cheveux :

Il est toléré de se couper les cheveux après le lancement des cailloux de la jamarate Al Akaba et la désacralisation partielle. Il est toléré également de se couper les cheveux après l'accomplissement du tawaf constitutif et du Sa'y. Dans ce cas le pèlerin est désacralisé complètement. Le rasage est recommandé aux hommes, tandis que les femmes se coupent une partie des cheveux sans pour cela les découvrir, ni jeter les mèches à terre.

9) Les séjour à Mina et le lancement des cailloux :

Après avoir achevé les actions du jour de l'Immolation comme le jet des Jamarates, le Tawaf et le Sa'y, le pèlerin doit se diriger à Mina pour passer les trois nuits du "Tachrik" (celles du 11, 12 et 13 Dhou-Hidja).

Quand on est pressé, on est autorisé à passer deux nuits seulement, celles du Il et du 12 Dhoul-Hidja, à condition de sortir de Mina avant le coucher du soleil du 2ème jour. Si le soleil se couche et le pèlerin est encore à Mina, il doit y passer la nuit et jeter les jamarates le lendemain et, dans ce cas, il lui est permis de jeter les jamarates avant midi.

Voici comment s'effectuera la lapidation des trois buts al Jamrah Al Koubra. Al Jamrah Al Wousta et Al Jamrah Al Soughra (but majeur, but moyen et but mineur). Chacun de ces trois buts a la forme d'une stèle entourée d'un bassin et symbolise Satan, lui-même. Le 11 Dhoul-Hidja, le pèlerin effectue la lapidation; le temps fixé commence après le déclin du soleil de midi et se prolonge jusqu'au coucher du soleil. Il commence par la 3àme stèle. Jamarah Al Soughra qui se trouve près de la mosquée de Khif (but mineur). Il y jette sept cailloux, l'un après l'autre, accompagnant chacun de la formule "Allahou Akbar". Il lui est conseillé d'être en état de pureté corporelle et vestimentaire et de faire face à la Ka'aba lors de son lancement. Il avance ensuite vers la 2ème stèle Al Jamarah Al Wousta (but moyen) et y jette encore sept cailloux comme il vient de le faire au but précédent. Enfin, il avance vers la lère et dernière stèle (but majeur) pour y jeter encore sept cailloux accompagnant chacun de la formule "Allahou Akbar". Lorsqu'ill a terminé, le pèlerin se retire.

Il faut savoir qu'il n'est pas permis de jeter les jamarates avant midi ou après le coucher du soleil. Le lendemain, le pèlerin recommence ce qu'il a fait la veille, en respectant le temps fixé.

S'il est pressé de rentrer chez lui, il se rend à la Mecque après ces lapidations, avant le coucher du soleil. S'il n'est pas pressé, il passe la nuit à Mina pour accomplir le lendemain après-midi les mêmes lapidations puis il regagne la Mecque.

4. Rester jusqu'au coucher du soleil, à la tombée visible de la nuit, dans un état de prière et d'invocations. Il est souhaitable que le pèlerin soit en état de pureté mineure, qu'il couvre ses parties intimes et qu'il prenne direction vers la Ka'aba durant la station et la priére. Tout sujet de discussion, de controverse, tout préjudice porté à autrui est interdit.
5. Réciter les prières et prononcer les formules d'invocations telles que : glorifications, louanges. Talbia, implorations. Demander le salut pour le Prophète — salut et bénédiction sur lui. Il est recommandé de lire la Sourate (59 "Le Rassemblement") et de dire à voix basse : "Il n'y a de Dieux qu'Allah, l'Unique, sans associé, Toute la Souveraineté est à Lui et toutes les Louanges lui sont dues, C'est Lui qui donne la vie et impose la mort, Lui est vivant et immortel, Il est l'Omnipotent, Tout le bien émane de Ses mains. Il n'y a de divinité qu'Allah, Il est l'Ominiscient, on n'adore que Lui et on ne connait d'autre Allah que lui, Allah grand ! Fais que la lumière soit dans mon coeur, Fais que la lumiére soit dans mon for intérieur, Fais que la lumière soit dans ma vue... Dilate mon coeur de joie, mon Allah , facilite ma tâche.. Louange à toi Ô Allah, autant que nous pouvons l'exprimer et bien plus dignement encore que nous pouvons le faire. Mon Allah, là est le refuge de celui qui veut être sauvé des feux dévorants de l'enfer.. Daigne, mon Allah, me préserver des flammes de l'enfer le Jour de la Résurrection, et, par Ta Miséricorde, Fais-moi entrer au Paradis. Seigneur! c'est Toi qui m'as guidé dans la boone voie de l'Islam! ne l'arrache pas de mon coeur et Fais que je reste dans la voie de l'Islam jusqu'a mon dernier soupir"

3) Présence à Mouzdalifa :

Le jour d'Arafate, après le coucher du soleil, la déferlation commence. Le pèlerin se dirige calmement vers Mouzdalifa pour s'acquitter des deux autres prières : Celle de (Maghrib) qu'il réunit avec celle d'Al-Isha. Il est préférable — lorsque cela est possible — de passer la nuit à Mouzdalifa et de ramasser les cailloux pour la lapidation. Il suffit pourtant de se trouver à Mouzdalifa un certain temps, à condition de ne quitter qu'après minuit.

4) Le jet des Djamarates Al'Akaba :

Après avoir accompli la prière de l'aube le jour de l'immolation — il est préférable que cette prière soit à la mosquée de "El Machaar El Haram" (l'étape sacrée) à Mouzdalifa. Le pélerin se dirige pour jeter les cailloux à Al Akaba Al Kobra ou but majeur.

Cette lapidation comporte le lancement de sept cailloux — ayant chacun la grosseur d'une petite fève — et chaque caillou doit être lancé séparément. Le caillou doit être neuf (i.e. non utilisé auparavant) et doit atteindre le but. Le pèlerin le lance de sa main droite, vise sur la stéle puis cesse la Talbia pour dire en lançant chaque caillou : "Au nom d'Allah! Allah est le plus Grand. J'obéis au Clément et je lapide Satan. Seigneur exauce mon pèlerinage, Pardonne mes péchés et agrée mon effort".

5. Tawaf "Al Ifada".

On le nomme aùssi tawaf du "Hadj" ou tawaf constitutif. C'est un des piliers du pèlerinage et son omission annule le pèlerinage. Le pèlerin l'accomplit d'une manière identique à celui de la Omra expliquée antérieurement. Le temps fixé pour ce tawaf commence dès l'aube du jour d'Al Eid et il est permis en cas d'empêchement de le retarder à condition de l'accomplir aussitôt que la cause aura disparu, mais il ne faut point avoir de rapports sexuels avant de l'avoir exécuté. S'il a eu des rapports, avant l'accomplissement du "tawaf Al Ifada", il doit le rachat (qui sera expliqué ultérieurement).

Puis il dit : "Je commence par ce que Allah a commence . Il quitte Al Safa et se dirige vers Al Marwah et tout le long de ce parcours il ne prononce que des invocations. Lorsqu'il arrive dans la partie qui était autrefois le fond de la vallée — délimitée aujourd'hui par les deux colonnes vertes (ou les "Mailaines El Akhdarine") le pèlerin accélère sa marche. Cette accélération concerne les hommes capables de l'effectuer, les personnes faibles et les femmes en sont exemptées. Quant il les dépasse, il reprend sa marche normale. Lorsqu'il arrive sur le monticule d'Al Marwah, il a terminé le premier parcours.

4. Il doit monter à Al Marwah et répéter ce qu'il avait déjà dit sur Al Safa en se tenant face à la Ka'aba et en priant Allah de lui accorder ce qu'il désire, sans pourtant allonger sa station.

5. Il redescend d'Al Marwah et reprend sa marche dans la vallée dans la direction d'Al Safa, en accélérant toujours le pas entre les colonnes vertes pour reprendre l'allure normale une fois qu'il les a dépassées. Arrivé à Al Safa, il a terminé le 2ème parcours. Il remonte à Al Safa, se tient face à la ka'aba et invoque Allah. Il redescend pour accomplir le 3ème parcours, ne cesse de multiplier les invocations durant le parcours et ainsi de suite jusqu'à l'accomplissement des sept étapes. Il a ainsi teminé le Sa'y" à Al Marwah après avoir fait 4 parcours dans un sens et 3 dans l'autre. Tout le long du trajet le pèlerin ne cesse d'invoquer Allah et d'adresser le salut à Son Prophète — Salut et bénédiction sur lui. Il ne faut point faire de halte durant les trajets que pour accomplir une prière obligatoire et il faut répéter sans cesse cette prière : "Seigneur! Pardonne-nous, Sois Clément et Indulgent et Généreux, détourne Tes yeux de ce que Tu sais car Tu sais ce que nous ignorons. Tu es en effet le Allah Tout-Puissant et Le Bienfaisant".

6. Arrivé au monticule Al Marwah, le pèlerin se fait couper les cheveux. Ainsi il se désacralise car la Omra est ainsi terminée. Il accomplit 2 raka'as qui sont la sunna du Sa'y et reprend sa vie normale. C'est-à-dire sans aucune interdiction des restrictions précédentes (de l'Ihram).

2) La Station d'Arafate :

C'est un des principaux rites du Hadj : sans cette station, le pèlerinage est annulé. Il suffit de se trouver à Arafate dans importe quelle posture : debout, assis, endormi, éveilé ou même en voiture. Le temps fixé commence dès le zénith du 9ème jour de Dhoul-Hidja et se prolonge jusqu'à l'aube du jour du sacrifice. Ce stationnement obéit à une certaine conduite qu'il sied d'observer. Il faut :

1. Se rendre le 9ème jour de Dhoul-Hidja après la prière de l'aube immédiatement à Arafate et il n'est pas permis au pèlerin de jeûner ce jour-là.

2. Reccourcir les deux prières celles de midi (Dhor) et de l'après-midi (Asr) à Arafate, pour les faire réunies au moment du (Dhor) en avançant celle du (Asr). Il est préférable de les accomplir à la mosquée de Namira et que l'Imam prononce deux oraisons avant la prière, même si ce jour n'est pas un vendredi.

3. Il est bon — uniquement pour ceux qui en sont capables — de se diriger dans l'après-midi, vers la montagne de "Rahma" et de prendre place auprès des rochers situés au bas de la colline de "Rahma" où s'est arrêté le Prophète — salut et bénédiction sur lui — si l'on craint la foule, on peut s'arrêter à n'importe quel endroit. Le Prophète-salut et bénédiction sur lui — a dit : "Je me suis arrfté ici, mais tout le territoire d'Arafate est valable pour y faire station". Il ne faut pas escalader la colline, ni faire sortir les femmes de leur tente.

Puis il se dirige vers "Al-Moultazam" — endroit situé entre la Pierre Noire et la porte de la Ka'aba et sous cette Porte même pour faire des invocations ferventes. Il se tient debout, pleure humblement, le corps appliqué contre le mur, du Sanctuaire, les bras levés au dessus de la tête, la joue droite collée au mur du Sanctuaire-dans une attitude de suprême repentir — il dit : "Ô Allah ! Ce Sanctuaire est Ton Sanctuaire! Cette Cité est Ta Cité ! La Securite est Ta securité Cet endroit est celui où l'on implore Ton Secours contre l'enfer! Préserve-moi Seigneur des tortures et du supplice du feu le jour du Jugement dernier et Daigne Seigneur par Ta pure Grâce m'accepter parmi ceux que Tu as aimés".

6. Se rendre après la prière à Zamzam, y boire abondamment et à satiété. Là, tout en buvant, on invoque Allah et l'on fait des voeux. Le Prophète — salut et bénédiction sur lui — a dit que les souhaits faits pendant qu'on boit l'eau de Zamzam sont exaucés. Mais, it est bon de dire :

   "Seigneur! je t'implore de m'accorder la prospérité en cette vie et dans la vie future, de m'attribuer un savoir utile, un avoir immense, une guérison de tout mal et un coeur soumis à Ta Volonté".

3ème fondement : "Le Sa'y" ou la march rituelle :

Après le "Tawaf" le pèlerin se dirige immédiatement pour exécuter le "Sa'y". On appelle "Sa'y" le fait de parcourir sept fois la distance comprise entre les monticules d'Al-Safa et d'Al-Marwah, en souvenir de Hadjer-mère d'Ismail et épouse d'Abraham — qui courait d'un monticule à l'autre, pleine d'angoisse, dans l'espoir de trouver un peu d'eau pour son enfant mourant de soif dans le désert.

Comportement lors du Sa'y :

Il faut :

1. **Etre en état de propreté corporelle et vestimentaire, et de pureté majeure et mineure. Néanmoins, elle n'exige pas un état de pureté mineure comme la circumambulation ou la prière; il est permis à celui qui annule son ablution d'accomplir la marche rituelle du Sa'y. Il faut couvrir les parties intimes de son corps et faire le parcours à pied pour celui qui en est capable.**

2. **Monter sur le monticule d'Al Safa et, face à la Ka'aba, prononcer l'invocation suivante :**

   "Allah est le plus Grand (3 fois) à Lui la Louange! Allah le plus Grand nous a guidés vers le droit chemin, Qu'on Lui rende grâce en tout état de cause! Il n'y a pas d'autre divinité qu'Allah, Il n'a point d'associé, A Lui la Souveraineté et la Louange! Notre vie et notre mort dépendent de Lui. C'est Lui qui détient tout le bien, Il est l'Omniscient! Il n'y a point d'autre divinité qu'Allah. Il n'a point d'associé! Il a tenu Sa promesse et donné la victoire à Son serviteur et vaincu, Lui seul les factions coalisées, Il n'y a point d'autre Allah que Lui. Nous n'adorons que Lui, fidèles à Sa Religion en dépit de la haine des mécréants".

   Là-dessus, il implore Allah de lui accorder les biens qu'il convoite en ce monde et dans la vie future. Il répète cette invocation chaque fois qu'il atteint Al-Safa ou Al-Marwah.

3. Formuler l'intention du "Sa'y" et réciter le verset suivant; "Al-Safa et Al-Marwah font partie des rites prescrits par Allah. Celui qui accomplit le grand ou le petit pèlerinage du Temple ne sera pas blamé(7) s'il effectue la course rituelle entre elles. Quiconque l'accomplit de son plein gré le fait pour son bien; car Allah est le Reconnaissant et l'Omniscient" (2 — La Vache - 150).

Al Hadj ou grand Pélerinage

Mme Hoda Hussein Charaoui

1. Comportement lors du Tawaf :

C'est la conduite à respecter durant le Tawaf (circumambulation) autour de la Kaaba. Il faut :

a. Etre en état de pureté (Tahara) majeure et mineure qui doit être précédée d'ablu tion et qu'il faut conserver jusqu'à la fin du 7ème circuit. A l'issue du Tawaf le pélerin doit accomplir deux raka'as (Sunna du Tawaf) à la "Station d'Abraham". Si le pélerin n'a pas conservé sa tahara durant les circuits, il doit renouveler ses ablutions et recommencer le Tawaf.

b. Couvrir les parties intimes de son corps comme pour la prière : Pour l'homme cette partie à couvrir va du nombril jusqu'aux genoux. Pour la femme, elle concerne tout le corps, à l'exception du visage et des mains.

c. Faire les tours sans interruption, sauf si la prière obligatoire est annoncée. Dans ce cas, il s'arrête pour accomplir la prière en commun pour poursuivre ensiute son Tawaf.

d. Détourner son regard des femmes d'autrui ainsi que de tout ce qui est illicite, se retenir de prononcer des méchancetés. Il faut aussi s'abstenir de causer du tort à autrui, ni en actes ni en paroles. Il est interdit de porter préjudice à son frère musulman surtout lorsqu'on se trouve dans le Sanctuaire d'Allah.

e. Etre sûr du nombre de circuits effectués. Si l'on est dans le doute au sujet du nombre de tours effectués, on doit dissiper tout doute en se basant sur ce dont on est le plus sûr (i.e. continuer à accomplir un autre tour) pour être sûr d'avoir complété les 7 tours.

f. Commencer et finir la circumambulation à la Pierre Noire, en prenant soin que tout le corps se trouve avant l'angle ou est encastrée la Pierre Noire. De sorte que la circumambulation commence et se termine au même endroit (face à la Pierre Noire).

g. Ne pas cesser d'invoquer Allah pendant le "Tawaf" Cette invocation doit être spontanée et, n'a pas de formule spéciale, mais elle est faite selon l'inspiration du moment.

h. Eviter de manger et de boire en marchant. Il faut éviter aussi toute parole superflue et, si l'on parle, c'est pour dire du bien.

i. Ne pas se détourner durant les circuits ou marcher dans le sens inverse de celui des pèlerins.

5. Accomplir deux raka'as après le Tawaf derrière "La Station d'Abraham' : la première avec la Fatiha et la Sourate (109) "Les Mécreants" et la seconde avec la Fatiha et la sourate (112) "La Foi" "Le pèlerin peut aussi réciter les versets du Coran qu'il connait, s'il en est empêché par la foule, qu'il accomplisse ces deux raka'as dans n'importe quel autre endroit du Sanctuaire.

REVUE AL-AZHAR

DHOUL-DIDJA 1413

Volume 65 — Partie XII

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Françaiose et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Index to 1413 Hijrah

Muharam
1. The Divine Message - Anas Moustafa El - Naggar.
2. Tawhid, The Principle of Political Order - Ismail Raji Al - Faruqi.

Safar
1. The Preamble - Anas Moustafa El - Naggar.
2. Tawhid, The Principle of Metaphysics - Ismail Raji Al - Faruqi.

Rabie Al Awal
1. The Guidance - Anas Moustafa El - Naggar.
2. Tawhid, The Principle of Religions Experience - Ismail Raji Al - Faruqi.

Rabie Al Akher
1. Ayat ul Kursi - Anas Moustafa El - Naggar.
2. Tawhid, The Principle of History - Saad Moustafa Moustafa.

Jumadah Al Ulla
1. The Invocation - Anas Moustafa El - Naggar.
2. Tawhid, The Principle of Ethics - Saad Moustafa Moustafa.

Jumadah Al Akhira
1. The Congress on Islamic World - Anas Moustafa El - Naggar.
2. Muslim Education and The New World Order - Sheikh Ahmed Lemu.

Rajab
1. The Plenum of Belief - Anas Moustafa El - Naggar.
2. Tawhid, The Principle of Social Order - Saad Moustafa Moustafa.

Shaban
1. The Path of Forgiveness - Anas Moustafa El - Naggar.
2. Tawhid, The Principle of The Ummah (Part I) - Saad Moustafa Moustafa.

Ramadan
1. The Certainty of Death - Anas Moustafa El - Naggar.
2. Tawhid, The Principle of The Ummah (Part II) - Saad Moustafa Moustafa.

Shawal
1. The Nature of Sleep - Anas Moustafa El - Naggar.
2. Tawhid, The Principle of Economic Order (Part I) - Saad Moustafa Moustafa.

Zu Al - Qidah
1. The Quuintessence of Clay - Anas Moustafa El - Naggar.
2. Tawhid, The Principle of Economic Order (Part II) - Saad Moustafa Moustafa.

Zu Al - Hijah
1. The Credence - Anas Moustafa El - Naggar.
2. The End of TenYears - The Editor.

My sincere thanks and true appreciation are extended to the Rector of Al-Azhar Shiekh Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq, to Dr. Aly Ahmad Al-Khatib chief editor of the Al-Azhar magazine, and to the members of the administrative board, for their unfailing help and constant support. Last but not least, it is a moral obligation to compliment Mrs. Fatimah Muhammad Sirry and her staff for their patient and praiseworthy effort in the preparation of the manuscripts for direct reproduction.

Finally, I trust and pray to Allah to guide with knowledge and wisdom those who will continue to function as editors of the English section of Al-Azhar Magazine. This should contribute to the consolidation of efforts towards the proper understanding of, and adherence to the doctinnal teachings of the Muslim Theism.

Anas Moustafa El - Naggar MD, DMRE, PhD.
Emeritus Professor, Medical Radiation Biology,
Atomic Energy Authority, Egypt.

Editor of English Section
Al-Azhar Magazine
Muharram, 1404 --- 1413, Zu-Al-Hijah, Hijriah
(1983 - 1993)

The End of Ten Years

In the Name of Allah, The Omniscient, The Transcendent, The Sanctuary, and The Equitable, for Him are the most magnificent appellations and attributes; and Prayers and Peace upon the Prophet of Islam Muhammad ibn Abd-Allah.

During the past ten years, I had the honour of function as the editor of the English Section of the Al-Azhar Magazine. This task unlike any other demanded an optimal degree of precision and responsibility. The purpose was to provide to the English speaking global public the salient features of the Muslim Theism, and expound the concepts of Islamic doctrinal teachings. Within that scope of performance, much fruits have been harvested by the grace and providence of Allah. What has been achieved is only a humble increment to the vast body of English Islamic Literature. The main subjects included the Chronology of the Life of the Prophet; the Reign of Khalifat Rassul-Allah, Abu-Bakre Al-Siddiq; and the Reign of Ameer Al-Moumineen, Omar ibn Al-Khattab. Several other monographs, discourses, studies, and articles that dealt with a wide spectrum of subjects. These included many of the Prophet's Hadith and Traditions, doctrines and concepts of the Islamic faith, Tawhid and its implications for human thought and life, features of Islamic paradigms of culture and values, the actualization of human enlightenment freedom ecumenism through the implementation of Divine ordinances and injunctions, and glimpses from the Quranic Milieu.

At the end of ten years, it is Allah's Will that my function comes to an end. A very fertile and copious chapter in my life that I shall always recognize with supreme love and devation; a function to which I have given a great deal, and from which I have learned a greater deal.

Several authors have participated with profound effort and arduous devotion to present their written material to qualify for publication on a subject of such supreme integrity and potific impact on human societies. Those colleagues deserve the recognition of esteem, respect, honour, and genuine praise of acknowledgement for their contributions to the literature published. Special attribution of commendation must be mentioned to some by name; Shiekh Abdel-Hakim Taha Ahmad, Dr Robert Dixon Crane, Dr. Saad Moustafa Moustafa, the Late Mr. Loutfi Ali Sultan, the Late Dr. Ismail Raji Al-Farouqi, and others.

The Divine curriculum does not impede human progress of knowledge and research, nor does it hinder the institution of refinment and civilized enlightenment; but it is the qualified intrinsic and implicit directory for the cultivation of the facultative potentialities of mankind. Humanity has been selectively endowed with intelligent excercise of intellect to unfold the knowledge and mechanisms of the universe, to subject this knowledge to service and achievement of excellence in life. The laws of nature are inseperable from the doctrines of belief, both originate from the same determinant fountainhead. Both are complementary to each other in understanding that the laws of nature in their algorithmic precision, incite the deductive thinking of rational association, accepts with conviction the Unity of Cosmic Universal Power and Intelligence that dominate the whole integrated creation. The divine doctrines of belief are in themselves phenomena of nature, exactly as the physical laws are also phenomena of nature; both are intimately interassociated as foundations in the realm of existence.

The Divine curriculum extends back in history since the time of Adam; starting then with the one single precursor principle of Divine Oness. This "stem maxim" ramified through the ages to constitute axioms of belief and ordinances on the tongues of Apostles. Through the phases of history, the Divine doctrines proliferated into Commandments of Moses, then the elaborate teachings of Jesus Christ. The ultimate final supreme Divine constitution that embraces every detailed aspect of human life came about in the Revelation of the Holy Quran as a Divine message to the last of the Prophets Muhammad, prayers and peace from Allah upon him, and upon all the Apostles and Prophets before him. That was the final comprehensive Divine curriculum revealed to mankind as the reference of everything that concerns human life.

The descriptive ornate eloquence, fecundity of articulate grace, fluency of portrayal and allegoric symbolism are what principally instigate mankind to reflect in deliberation on the intricate disciplined wonders of creation, in order to recognize the milieu of the Divine Omniscience and the profound knowledge of the Absolute.

Glimpses From The Quranic Milieu

The Credence

By : Dr. Anas Moustafa El - Naggar MD, Ph D.

The uninterrupted perpetual procession of credence is deep rooted in the annals of history eversince the creation of mankind. The fundamental elements of belief originate from the facultative function of cognitive thought and the exercise of deliberative intellect of the human mind. The property of deductive rationalism is specific to mankind who has been committed to the aquistion of knowledge by virtue of the innate organized comprehensiveness of his mental faculty. This intellectual cultivation of enlightenment when attained, provides mankind with the profound supreme standing of dignity honor and distinction. This venerable hierarchy in the infinite domain of creation obligates mankind with responsibility and incumbency to live in unison with actuality and objective truths. The infallible dictums and aphorisms of knowledge have been transmitted to mankind over the generations in history through divine transcendent scriptures which remain accessible to human comprehension and understanding.

The conformity with the Divine curriculum is not a voluntary choice of mankind in pursuit of credence, but it is imperative and compelling. It is the kernel of belief, the principle of certainty, and the trust of conviction. All humanity is the creation of Divine Power; and the keys to its intricate complex obscure nature remain resident in the infinite knowledge of the Creator. The Divine curriculum ordained to mankind is the manifesto of belief, the statement of credence, the ordinances and affirmations of faith, the true essence ordained for the felicity, gratification, bliss; and the liberated emancipation of mankind from the degrading ignorance of uncertainty; and the incredulity of agnostic skepticism. Human peace, tranquillity, guidance, organization of ecumenic enlightenment are not attained except by conformity with the Divine curriculum. Divergence from the Divine disciplines in the life of mankind, gravitates humanity to the onerous drudgery of oppressive chaos, the crevices of dark unreality, disillusion, mental disorder, confusing self denial, and renunciative negativism to know, learn or seek the path of certainty and reality. From here came the oblivious perterbation of humanity, intoxicated with frantic antitheistic ideologies of escapism and delusions of grandeur.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part XII
Zu Al - Hijah, 1413, Hijrah

EDTOR : Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, MID., PH.D.

CONTENTS

1. Glimpses From The Quranic Milieu

The Credence

By : Anas Moustafa El-Nagger

2. The End of Ten Years

By : The Editor

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islām".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

الفهرس السنوى
للمجلد الخامس والستين
المقالات (أ)

إعداد :
أبو القاسم عدالكريم عبدالموجود
محمد زكى حسن

حرف الألف

الأبعاد السياسية والاقتصادية	
والاجتماعية لمشكلة الصومال	٨٦١
ـ ابن بسام ولمحاته النقدية	١٠٨
ـ إبراهيم عيسى	١٩٣٣
ـ أبو الحمد أحمد موسى	٥٥٠
(من أعلام الأزهر)	
ـ إبراهيم نجـــا	١٩٠٦
ـ أثر الإمام السيوطى فى علوم اللغة	١٦٧٠
وعلوم القرآن	١٧٠٢
أثر تغير قيمة النقود فى الحقوق والالتزامات	٥٠٣
	٦٦٧
الاجتهاد فى الإسلام من خلال قواعده	٤٩٠
الأصولية العلمية ومقاصد الشريعة الإسلامية	
ـ الاحتفاء بالإمام السيوطى	١٦٤٩
الإحسان إلى الجار	٥٧١
أحسن الناس أتقاهم	٢٤
أحمد شوقى (١٨٦٨ ـ ١٩٣٢) الشاعر	١١٩٨
آدم عبدالله الألورى	٥٥٣
(من أعلام نيجيريا)	
أرض السهول البيضاء	١
	١٥٣
	٢٨٩
الأرقام .. هندية أم عربية	١٥٦٦
الأزهر ومواكب الإفك (شعر)	١٥٦٣
أساس البلاغة	٢٣٥

الاستعداد القتالى أهم ركائز الأمن	١١٩٣
استغاثة فى جوف الكعبة (شعر)	٢٦١
ـ أساليب تعليم الرياضيات	١٨٩١
ـ استغفار (شعر)	١٧٧٩
أسس المنهج القرآنى فى بحث العلوم	٥٢١
الطبيعية (من العلوم الكونية)	
الإسلام أول مقومات الأمة	٩٨٤
الإسلام دين الله	٥٧٥
الإسلام طهارة ونقاء	٥٣٦
الإسلام فى ألمانيا	٧١٢
الإسلام والسلام (من روائع الماضى)	٢٣١
الإسلام والعالم والمسلمون	٣٥٥
الإسلام والمسلمون وجمهوريات حوض الفولجا	٣٥١
(الاتحاد السوفيتى سابقاً)	
الإسلام والمسلمون فى القرم	٨٧٦
الإسلام والنظام العالمى الجديد	٨٨٦
الإشاعات والأراجيف	١٥٨٧
الأشعة فوق البنفسجية	٣٦٦
(من العلوم الكونية)	
الأشهر الحرم	٣٠
الصومال (شعر)	١٧٨٠
ـ أعمال وبحوث ندوة الاحتفاء بذكرى	١٦٦١
وفاة الإمام السيوطى	
ـ أغنية إلى عرفات	١٨٨٢
الأكراد ـ الشعب المسلم وقضية القومية	١١٧١
	١٥٤٥

ـ الأكراد ـ الوطن ـ الجنس ـ الدين ٩٩٦
١٣٩٤
السيد حسن قرون (الشيخ) ٢٠٦
من أعلام الأزهر ٤٩٤
الالقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق ٧٥٠
الله جل جلاله (شعر) ١١٩٩
إلى أمة العرب (شعر) ٩٦
ـ الإمام الحافظ جلال الدين بن عبدالرحمن ١٦٩٤
السيوطى وأثره فى أصول الفقه ١٦٩٧
ـ الإمام الخطيب ٤٠٨
٥٦٩
ـ الأم بين شاعرين ١٤٦١
ـ أنباء العالم الإسلامى ١٢٨
٢٦٥
٤٣٣
٥٨٧
٧٥٩
١١١٩
١٢٩٦
١٤٧١
١٧٩٠
١٩٤٥
أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر ١٢٦
٢٦٣
٤٣١
٥٨٥
٧٥٧
١٢٧٩
١٤٦٩
١٦٣٢
١٧٨٧
١٩٤٣
انتاج الطاقة من المياه ٧٢
(من العلوم الكونية)
الإنسان ومشكلات التلوث البيئى ٢١٥
(من العلوم الكونية) ٣٦١
٧٢٠
١٢٠٧
أهل العقل والحكمة تشغلهم عيوبهم ١٨١
عن عيوب الناس
أهمية الخطابة والدعوة الإسلامية ٤٠٩
الدعاء وآدابه فى الإسلام ١٣٦٤
الإيثار من دروس الهجرة ٥٦
الإيمان بالقدر من جوهر الإيمان ١١٨٤
ـ السيوطى فى التفسير ١٦٧٢
أين التقصير أيها السادة ٩٦٦

حرف الباء

ـ باب الرسول ـ ﷺ ـ (شعر) ٣٩٠
بالهجرة قامت أمة وتأسست دولة ٨
ـ بر الوالدين من أقدس الواجبات ١٠٤٩
بشائر الكتب السابقة أو العمق ٤١
التاريخى لرسالة نبى الإسلام .
بيان بشأن ما يحدث فى فلسطين ١١٦١
فى طرد أهلها من ديارهم
بيان المؤتمر ٨٢٦
مؤتمر مشترك
مجمع البحوث الإسلامية مع الهيئة التأسيسية
للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة
بيان من الأزهر الشريف ٩٦٤
١١٤٨
١٣٢٤
بين الروح والجسد (شعر) ١٤٣٠
بين المجلة والقارىء ١١٠٢
١٢٦٤
١٤٦٥
١٦٢٥
١٩٤٧

حرف التاء

التابوهات والمحرمات وما ينفع الناس ١٥٥٠
ـ تاريخ الكتاب ١٧٦٢
ـ تحقيق القول فى ليلة القدر ١٣٩٩
ـ تحية الأزهر ١٨٨٩
ـ التطبيق الجغرافى ٦٣٠

- تطبيق السيوطى لمصطلح الحديث على الرواية اللغوية ١٧٠٥
- التطرف الدينى وأبعاده ١٨١٤
- تعريف الوفاة ٦١٢
- تعقيب ١٠٠٤
- التفاؤل والتشاؤم ١١٦٤

تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر ١١٧ – ٢٤٤ – ٤١٩ – ٥٧٧ – ١٢٥٣ – ١٤٤٢ – ١٥٩٢ – ١٧١٥ – ١٨٢٩

توصيات مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ٩١٩
- توصيات ندوة الاحتفاء بذكرى وفاة السيوطى ١٧٠٩

حرف الثاء

ثقب الأوزون بين الحقيقة والخيال (من العلوم الكونية) ١٠٩١

الثقوب السوداء بين الحقيقة والخيال (من العلوم الكونية) ٢٢٤

حرف الجيم

الجديد فى العلم والتقنية (من العلوم الكونية) ٧٩ – ٢٢٦ – ٣٧٤ – ٥٣٢ – ٧٢٧ – ١١٠٠ – ١٢١٨ – ١٤٢٧ – ١٥٧٧ – ١٩٠٣

الجهاد باللسان فى عصر النبوة ٣٣١

- جهود الإمام السيوطى فى علوم الحديث دراية ورواية ١٦٧٧ – ١٦٨٤

حرف الحاء

حاضر العالم الإسلامى والتحديات التى تواجه المسلمين (بحث) ٨٣٣

حاضر العالم الإسلامى ونظرة للمستقبل ٨٥٢ – ١٠٠٠

حافظ وزلزال مسِّينا جنوب إيطاليا (شعر) ٧٣٩

حجة الله على العالمين ٧١٠

حسن المعاشرة بين الزوجين ٥٦٩

حديث لفضيلة الأمين العام لجمعية العلماء ببريطانيا ٨٢٣

حديث القرآن عن اللغو ١٩١١

حق العمل فى الإسلام ١٥٣٦ – ١٨٦٥

حول سرعة الضوء وتفسير المعارج ١٤٢٢ – ١٥٧١

حول مهرجان القاهرة السينمائى الدولى السادس عشر ١٢٩٨

حرف الخاء

خصائص القيادة الناجحة ١٢٤٠

خلاصة لبيان من مسلمى البوسنة والهرسك إلى العالم الإسلامى ٨٨٣

حرف الدال

الدروس المستفادة من غزوة حنين وحصار الطائف ٤٩٧ – ٦٦٠

دروس من صوم رمضان ١٣٣١

دفاع عن الأزهر (من روائع الماضى) ١٢٢٢

دورات أدبية عالمية ٧٣١

دور الإعلام العربى فى مواجهة آثار حرب الخليج ٨٨٠

الدور العلمى للدول الإسلامية ٨٥٥

ديوان الماحى (شعر) ٩٤

حرف الذال

ذلك الدين القيم ٩٦١

حرف الراء

الرؤى المسيحية عند اليهود ١٠٩٤
رأى الإسلام فى القتال ٨٦
(من روائع الماضى)
رؤية نقدية لحاضر العالم الإسلامى ٨٤٢
(بحث)
ربيع الروح (شعر) ١٤٣٥
الرحمة وثمارها ٤١٧
رسالة ماجستير من جامعة الأزهر ٥٤٠
كلية اللغة العربية
رسالة الحج بين المسلمين ١٨٤٦
رسول السماء (شعر) ٣٩٢
الرشوة وعواقبها الوخيمة ٧٠٦
الرضاعة الطبيعية ٧٦
رمضان وغربة الإسلام (شعر) ١٤٣٠
ـ الرواية عند الإمام السيوطى ١٦٨١
رياح الفتنة ١٠٠٧

حرف الزاى

ـ زكاة الفط وجواز إخراج القيمة ١٥٢٣
الزلزال (شعر) ١٢٠٢

حرف السين

ساعة الإجابة ٦٥
سالم مولى أبى حذيفة إمام مسجد قباء ٦٧٨
ستون ثانية زلزال القاهرة (شعر) ٧٤١
سعد بن الربيع شهيد غزوة أحد ١٥٠٩
سعيد بن زيد أحد السابقين الأولين ٥٢
السلفية وتحرير المملكة المغربية ١٩٨
سماحة الإسلام فى التعامل مع غير المسلمين ٥٤٦
(من روائع الماضى)
سنين القهر ٢٣٩

حرف الشين

ـ شئون وشجون بالأرض البيضاء ٤٥٧
ـ شجاعة النبى ـ ﷺ ـ ٤١٥
ـ شخصية السيوطى وملامح عصره ١٧٠١
وبيئته من فتاويه
الشرباصى الحسينى (الشيخ) ٨٢
من أعلام الأزهر
شريعتنا والمنظمات الدولية ٩٨٧
١١٧٥
الشعر الخالد والشعر المضاد ٤٠٣
شهر شعبان وليلة النصف منه ١١٥٠
شوقى وزلزال طوكيو (شعر) ٧٣٧

حرف الصاد

الصبر على الشدائد وثمراته ١٢٣٣
الصحابى الإمام المفترى عليه ١٨٩
عثمان بن عفان (رضى الله عنه)
صلاة التراويح ١٣٥٣
الصلاة المشروعة على النبى ﷺ ١٨
الصلاة وموقعها فى الدين ١٢٣٥
صلح الحديبية ١٣٨٣
١٥١٢
١٨٥٠

حرف الضاد

ـ ضوابط التخريج النحوى للنص القرآنى ١٠٥٢

حرف الطاء

ـ الطاعة البصيرة ١٤٨٩
ـ طرائف ومواقف ٨٤
٢٢٩
٣٨١
٥٥٨
٦٩٧
٩٤١
١٠٤٠
١٢٢٠
١٣٩٢
١٥٥٨
١٧٤٢
١٩١٧
طريق للخروج بالأمة وتحقيق أمنها ١٨٤

٣٢٥
طفلان فى محراب مسجد (شعر) ٥٦٣
الطفولة فى مرآة الشعراء ١٠٣
طوائف بهائية بكتاشية ثم جماعة التقريب ١٠٣٦
(من روائع الماضى)
– طيور وشعراء ١٦١٧

حرف الظاء

حرف العين

– العالم الإسلامى من الوجهة الاقتصادية ٨٨٥
– عبدالجليل حسن سالم الديب (الشيخ) ٣٧٧
(من أعلام الأزهر)
– عبدالظاهر عبدالكريم حسين (الشيخ) ١٤١٢
(من أعلام الأزهر)
– عبدالله النديم ٦٩٠
(خطيب الثورة العرابية)
– العرب فى الوثائق اليونانية واللاتينية ١٧٥٨
– عزت شندى موسى (الدكتور) ٩٧
(من أعلام الشعر العربى المعاصر)
عصر يوم عسير ٦٠٩
– عظة منسوبة إلى على بن أبى طالب ١٢٣٧
(كرم الله رضى)
– على أحمد الجرجاوى (الشيخ) ١٧٤٧
(من أعلام الأزهر)
على أحمد الجرجاوى
– على نهج البردة ١٥٦١
– على ربى عرفات ١٨٨٨
– على هامش الإسراء (شعر) ١٠٧٩
على يوسف (الشيخ) ١١٨٩
(من أعلام الأزهر)
عمر ميتا ١٠٣٣
رائد الدعوة الإسلامية فى اليابان)
– عناية الإسلام بتربية الأولاد ١٧٢٤
– عن بناء المساجد بجوار المقابر ١٥

حرف الغين

– الغار ٩٣
– غرور (من روائع الماضى) ١٧٤٤
– الغزو الثقافى استهدف الأمة العربية بضراوة ٣٩٤

حرف الفاء

الفتاوى ١٢
٦٩
١٦٠
٢٠٣
٣(٢
٣٥٨
٥١٨
٦٨٧
٩٣٨
٩٧١
١٠٢١
١١٥٢
١١٨٧
١٣٣٣
١٣٩٠
١٤٩٧
١٥٥٤
١٧٣٦
١٨٧٩
فضل يوم عرفات ١٨١٢
فضيلة الذكر ٣٤٧
الفكر الأدبى فى كشاف الزمخشرى ١٤٥٣
١٦٠٣
١٧٢٧
١٩٢١
فلسطين فى التاريخ ١٢٨١
الفن والأخلاق فى شعر أبى زيد إبراهيم ١٠٧٤
فى تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم ٤٧٦
٩٧٥
فى ذكرى الإسراء – الرسول عند سدرة المنتهى ٩٦٨
فى ذكرى الإسراء والمعراج (شعر) ١٠٨٠
– فى مناجاة الله (شعر) ١٧٧٨

حرف القاف

قبس من أنوار النبوة ٣١٨
٤٨٢
٦٤٥
٩٨١
١١٦٢
١٣٥٠
١٨٣٨
١٥٠٦
قراءة إسلامية فى كتاب الكون ١٤١٨
(من العلوم الكونية)
نراءة فى كتاب «حركة التاريخ ٢٥٣
بين النسبى والمطلق
قراءة فى كتاب الأدب الاسلامى ضرورة ١٩٣٦
القرن الافريقى وعوامل استقراره ٨٥٧
القضية الفلسطينية حاضرها ومستقبلها ٨٧٠
قطرات الشوق إلى مكة ١٨٨٤
قطع غيار بشرية ٧٤٢
القناعة وعمارات الموت ١٠٤٣

حرف الكاف

كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة للسيوطى ١٠٥٩
الكفاءة فى النكاح فى ضوء الكتاب والسنة ١٣٧٣
١٥٢٧
الكلمة أمانة ١١٤٥
كلمة الدكتور عبدالرشيد عبدالعزيز سالم فى ٨٩٩
(مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم)
كلمة الدكتور / عبدالفتاح الشيخ فى ٨٩٦
(مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم)
كلمة الدكتور عبدالله عبدالمسحن التركى ٨٩٢
رئيس رابطة الجامعات الإسلامية
كلمة الرئيس حسنى مبارك فى جلسة ٧٩٣
افتتاح المؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم
كلمة رئيس المجلس الإسلامى الأعلى فى تشاد ٨٢٠
(فى مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم)
كلمة السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية ٨١٠
فى مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم
كلمة السيد المشير عبدالرحمن سوار الذهب ٨٠٠
فى مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم
كلمة شيخ الأزهر إلى المسلمين بالمؤتمر العام ١١٦٠
الخامس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٣٧
كلمة عضو البوسنة والهرسك ٨١٨
فى المؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم
كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى مؤتمر ٨٩٠
مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم
لمة فضيلة الإمام الأكبر فى المؤتمر ٩٤٢
الاقليمى الثانى للفطريات
كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى مؤتمر ٧٩٨
(التوجيه الإسلامى للعلوم)
كلمة معالى الاستاذ كامل الشريف ٨٠٤
الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى
للدعوة والاغاثة
ـ كلمة معالى الدكتور / حامد الغابد ٨١٥
الأمين العام لمنظمة العالم الإسلامى
فى مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم
كلمة وفد بلغاريا ٨٢١
فى مؤتمر (التوجيه الإسلامى للعلوم)
كلوا واشربوا ولا تسرفوا ١٣٦١
كيف بنى محمد الأمة الإسلامية ٣٨٥
(من روائع الماضى)

حرف اللام

لامو مركز الدراسات الإسلامية فى كينيا ٦٧٣
لا (ص) ولا (صلعم) ولكن ﷺ ١٨٠٩

حرف الميم

ـ محمد ـ ﷺ ـ الرسول القدوة ٢٩٦
ـ محمد ـ ﷺ قبل البعثة ٤١٣
ـ ماذا تنتظرون (شعر) ٢٥٩
ـ ماذا فى مساكن النمل ؟ ٢٢٠
(من العلوم الكونية) ١٠٩٥
ـ مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ٨٨٨
المنعقد بقاعة المؤتمرات بجامعة الأزهر فى
٢٤ ـ ١٩٩٢/١٠/٢٩ م
ـ مؤلفات السيوطى الطبية ١٧٣٨

ـ مجتمع التراحم ١٠٤٨
ـ محمد الطيب النجار ١٤٠٩
(من أعلام الأزهر)
ـ محمد غلاب (من أعلام الأزهر) ١٥٨٠
ـ مدى تلازم الوحدة الوطنية مع القصيدة العربية ١٧٧١
١٩٣٠
ـ المدارس القرآنية فى شمال نيجيريا ١٨٧٢
ـ مذابح البوسنة والهرسك ٩٣٣
أندلس جديدة فى أوربا
ـ مرض الايدز (من العلوم الكونية) ٣٧١
المركز القانونى الدولى لمدينة القدس ٨٦٤
مستقبل التربية والتعليم فى البوسنة والهرسك ٩١٣
مسجد الرياض فى لامو ٥١٤
المسلمون فى بورما وكشمير ٨٧٣
المسلمون فى روسيا ٦٠
المسلمون فى مفترق الطرق (من روائع الماضى) ٦٩٩
ـ المشاكل الطبية النسائية ٥٢٩
(من العلوم الكونية) ١٢٢٥
مصر بخير (شعر) ١٢٠٥
مصطفى يونس (من أعلام الأزهر) ١٠٢٤
مع ابن ظفر وبشارات النبوة ٦٨٢
مع أبى نواس ١٨٨٥
معا على طريق الهجرة ٣٤
مع آخر مؤتمر للأزهر ١٢٨٩
مع الإمام جلال الدين السيوطى ١٦٦٢
ـ المعجزة القرآنية فى حساب ٩٠٤
السرعة الضوئية من بحوث التوجيه ١٠٨٣
١٨٩٥
الإسلامى للعلوم (من العلوم الكونية) ١٢١١
ـ المعجم العربى الميسر ٧٣٣
مع الرحمة فى مولد الرحمة ٣٢١
ـ ﷺ ـ
ـ مع سورة الأنفال ٢١
١٧٧
٣١٤
٤٧٢
٦٢٦
١٧١١

١٨٢٥
مع الطفولة من شرق لغرب ١٠٦٣
مع القدوة الحسنة فى شهر رمضان ١٣٦٩
مع نظام الدين بن الحسن النيسابورى ٩٩١
وحديث عن الصلاة معراج المؤمن
مقومات التفسير ١٣٢٦
مقومات الوحدة الوطنية ١١٧٩
مكانة العلم فى الإسلام ٧٠٤
مكانة المسجد الأقصى فى الإسلام ١٢٣١
مناقب السيدة خديجة أول أمهات المؤمنين ٤٧
من أخبار كعب الأحبار فى كتاب ٤٨٥
خير البشر بخير البشر
من أخلاق محمد (ﷺ) ٣٨٩
أذهبوا فأنتم الطلقاء (شعر)
من تاريخ أرض القرآن : قوم عاد ٥٢٦
من التحقيقات اللغوية ١٤٣٩
من حصانة المؤمن استقلال فكره ١٣٢١
من حضارة الإسلام ـ رحلة جواز ٦٤٩
السفر فى العصر الإسلامى
ـ من خصائصه ـ ﷺ ـ فى القرآن ٤٦٨
ـ من صفات الرجولة فى الإسلام ١١٦٩
ـ من كنوز التراث منح المدح لابن سيد الناس ٥٠٩
ـ من لى بمعتصم (شعر) ٥٦٤
ـ من المزارات الدينية الهامة فى مصر ١٢٤٧
مشهد السيدة رقية
ـ المنهج التدريجى وأثره فى تلقى اللغويات ١٧٥١
ـ من هدى النبوة لقارىء القرآن ١٣٤٦
الكريم تحسين الصوت
ـ من وحى الأديان ٥٧٣
ـ من وحى ميلاد الرسول ـ ﷺ ـ ٤١١
ـ من وحى الهجرة ٩٢
ـ من نهج البردة (شعر) ٩٣
ـ مولد المختار ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ٤٦١

حرف النون

ـ ندوة الاحتفاء بذكرى وفاة السيوطى ١٦٥٣
١٦٥٥
١٦٥٧

ـ ندوة علماء الدين والدراسات السكانية	٣١٢
ـ نزول القرآن الكريم من أربعة عشرة قرنا (شعر)	١٧٧٦
ـ النزيف المهبلى (من العلوم الكونية)	٧٢٤
ـ نساء مؤمنات فى ميادين الشرف وساحات الجهاد	٣٣٧
نسب عسير بن عدنان وقحطان	١٠٦٩
نص حوار الإمام الأكبر شيخ الأزهر	١١٠٨
نص كلمة الإمام الأكبر بالمؤتمر العام الخامس للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية	١٣٣٧
ـ نصيحة إلى الشباب	١٨٢٣
نظرتان إلى الزلزال (شعر)	١٢٠٤
نظرة شاملة فى المؤتمر (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم)	٩٠٢
نظرة إلى مستقبل المسلمين (بحث)	٨٣٧
نور على الصحراء (شعر)	٩٥

حرف الهاء

هذا خلق الله أقوى من القنبلة الذرية (من العلوم الكونية)	١٢١٥
هذان المؤتمران للأزهر الشريف	٧٨٥
هذا الملتقى الفلسفى الرابع	٢٤١
ـ هذا يوم عيد الفطر	١٤٩٤
ـ هجرة أبى بكر الصديق (رضى الله عنه)	٣٧
ـ الهجرة الكبرى حدث وذكرى	٢٦

حرف الواو

وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب	١٣٤١
ـ وأذكر ربك إذا نسيت	١٤٩٩
وأذن الفجر (شعر)	٥٦٥
وأذن فى الناس بالحج	١٨٤١
وحدة الأمة سبيلها إلى النصر	٩٢٣٠
وحدة الرسالات	١٨٥٧
وعاد رمضان	١٣٣٨
وقفة مع الدكتور مختار الوكيل فى ديوانه موكب الذكريات	١٢٤٣
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين	٧٠٨

حرف الياء

ـ يا محمد (شعر)	١٤٣٥
ـ يابوسنة المسلمين فى أوربا (شعر)	١٤٣٢
ـ يارحمة الرحمن (شعر)	٥٦١
ـ يارحمة العالمين (شعر)	٣٩١
ـ يا قدس (شعر)	١٠٨١
ـ ياويل مثيرى الفتن	٣٤٣

الفهرس السنوى
للمجلد الخامس والستين
أسماء الكتاب (ب)

إعداد :
سيد أحمد الغرباوى
أيمن سعد زغلول

حرف الألف

– إبراهيم صالح إبراهيم (الشاعر)	٩٥	أحمد رجاء عبدالحميد (الدكتور)
– إبراهيم عطوة عوض (الشيخ)	١١٧	
	٢٤٤	
	٤١٩	
	٥٧٧	
	٧٤٣	أحمد رجب محمد على (الأستاذ)
	٩٢٦	أسماء أبو بكر محمد (باحثة)
	١٠١١	أشرف شعبان أبو الحمد (الأستاذ)
	١٢٥٣	السيد الجميلى (الدكتور)
	١٤٤٢	السيد الصديق حافظ (الاستاذ)
	١٥٩٢	
	١٧١٥	
	١٨٢٩	السيد تقى الدين (الدكتور)
إبراهيم عيسى (الشاعر)	١٤٣٥	
إبراهيم محمد نجا	١٨٨٤	السيد عبدالمقصود عسكر (الشيخ)
أبو الحمد أحمد موسى	٥٥٠	– أمينة محمد بن يوسف الجابر (قطر)
(من أعلام الأزهر)		أحمد شوقى (الشاعر)
أبو عبدالله شرف الدين البوصيرى (الشاعر)	٩٣	
أحمد بن طاحون (الشيخ)	١٨١	– أحمد صالح جولاكوفيتش
	٣٤٣	(عضو وفد البوسنة والهرسك)
أحمد أحمد الناغى (الدكتور)	٢٢٤	أحمد فؤاد باشا (الدكتور)
أحمد الحفناوى (الدكتور)	١٩٨	
أحمد السيد تقى الدين (الأستاذ)	٢٥٣	
	٤٦١	

٧٢٠
٨٨٨
١٢٠٧
١٤١٨
١٥٦٦
١٨٩١
أحمد كمال أبو المجد (الدكتور) ٨٣٧
أحمد مصطفى حافظ (الأستاذ) ٩٧
٢١٠
٤٠٣
٥٤٠
١٠٦٣
١٢٤٠
١٤٦١
١٦١٧
١٧٧١
١٩٣٠
أحمد منصور نفادى ٩٦

حرف الباء

لا يوجد

حرف التاء

توفيق عبدالعزيز عبدالسلام (الشيخ) ١٣٥٣
توفيق محمد شاهين (الدكتور) ٢٣٥
٣٩٤
١٣٦١

حرف الثاء

ثروت محمد يوسف (الشاعر) ١٢٠٥

حرف الجيم

جاد الحق على جاد الحق ١٨ ٨
(الإمام الأكبر شيخ الأزهر) ١٢
١٥
١٨
١٦٠
٢٩٦
٣٠٤ – ٣١٢
٤٦٨
٦١٢
٧٩٨
٨٢٦ – ٨٣٠
٨٩٠
٩٤٢
٩٦٦ – ٩٧١
٩٦٨
٩٧١
١١٠٨
١١٤٨ – ١١٦٠
١٣٢٤ – ١٣٣٧
١٤٩٤ – ١٤٩٧
١٦٦٢
١٨١٢ – ١٨٢٣
– جعفر عبدالسلام على (الدكتور) ٨٦٤
١٠٠٤
١٥٣٦
١٦٥٣ – ١٨٦٥
– جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر (السيوطى) ١٠٥٩
– جليلة رضا (الشاعرة) ١٢٤٣ – ١٩٣٣
– جمال أبو الوفا (الأستاذ) ١٧٥٨
– جمال عبدالعزيز أحمد (الأستاذ) ٣٣٧
١٠٥٢

حرف الحاء

حافظ إبراهيم (الشاعر) ٧٣٩
حامد بن أحمد الرفاعى (الدكتور) ٨٨٦
حامد الغابد (الامين العام لمنظمة العالم الإسلامى) ٨١٥
حامد محمد الفار (الأستاذ) ٣٤
حسن الباشا (الدكتور) ٧٥٠
حسن على العنبيسى (الدكتور) ١٤١٢
حلمى الخولى (الأستاذ) ١١٦٤

حرف الخاء

خليفة عبدالرحيم محمود التونسى (الأستاذ) ٦٩٤

حرف الدال

لا يوجد

حرف الذال

لا يوجد

حرف الراء

رشاد محمد يوسف (الشاعر) ٩٢
٢٥٩
٥٦١
٧٤١
١٤٣٠
١٥٦٣ ـ ١٨٨١
رشدى محمد إبراهيم (الدكتور) ٥٠٩

حرف الذاى

زكى صاوى طوبراق (الدكتور) ٧١٢
الزمخشرى (الإمام) ٢٣٥
زين العابدين متولى (الدكتور) ١٠٩١

حرف السين

سلوى على ١٢٨٩
سمية أحمد خضر ٨١٨
سهير حسن عبدالعال (الدكتور) ٨٦١
سيد عبدالرءوف سيد ١٨٨٩

حرف الشين

شعيب الغياشى (الأستاذ) ٢٤١
ـ شوقى ضيف (الدكتور) ١٧٠٥

حرف الصاد

صابر أحمد تعلب ١٨٧٢
صالح مهدى السامرائى (الدكتور) ١٠٣٣

حرف الضاد

لا يوجد

حرف الطاء

لا يوجد

حرف الظاء

لا يوجد

حرف العين

عائشة التيمورية (الشاعرة) ١٥٦١
عادل رفاعى خفاجة (الأستاذ) ١٠٥٩
١٩٣٦
عبدالبصير حليفة حسن (الدكتور) ١٣٤٦
١٥٠٩
عبدالجليل شلبى (الدكتور) ٢١
١٧٧
٣١٤
٤٧٢
٦٢٦
١٧١١
١٨٢٥
عبدالجواد محمد الحضرى (الأستاذ) ٥٦
عبدالحفيظ فرغلى على القرنى (الأستاذ) ٢٠٦
٤٨٥
٦٨٢
٩٩١
١٠٢٤
١٣٤١
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم (الأستاذ) ٨٤
٢٢٩
٣٨١
٥٥٨
٦٩٧
٩٤١
١٠٤٠
١٢٢٠
١٣٩٢
١٥٥٨
١٧٤٥
١٩١٧
عبدالحكيم عبداللطيف الصعيدى (الدكتور) ١٣٦٤
٩٢٣
١٧٤٤
ـ عبدالرءوف محمد عثمان (الدكتور) ١٧٥١
عبدالرحمن أحمد السمان ١٨٩٥
عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائى (الأستاذ) ١٠٥٩

- عبدالرحمن سوار الذهب (المشير) ٨٠٠
- عبدالرحمن العدوى (الدكتور) ١٤٠٩
- عبدالسلام أبو النيل (الكويت) ١٦٧٢
- عبدالرشيد ربانى (بريطانيا) ٨٢٣
- عبدالرشيد عبدالعزيز سالم (الدكتور) ٨٩٩
- عبدالسلام العبادى (الدكتور) ١٠٠٠
- عبدالصبور مرزوق (الدكتور) ٨٣٣
- عبدالعزيز بن عثمان التويجرى (الدكتــــور) ١٦٥٧

عبدالعزيز عزت عبدالجليل (الدكتور) ٥٢٦

عبدالعزيز غنيم عبدالقادر (الدكتور) ٥٢
٦٧٨

عبدالعليم القبانى (الشاعر) ٣٨٩

عبدالغنى أحمد الحداد (الأستاذ) ١٠٨١

عبدالفتاح الطاهر على (الأستاذ) ١٠٨٠

عبدالفتاح حسين الزيات (الأستاذ)
٢٣١
٣٨٥
٥٤٦
٦٩٩
٩٢٣
١٠٣٦
١٢٢٢
١٣٩٩
١٥٨٧
١٧١٤
١٩١١

عبدالفتاح الرفاعى (المستشار بالاستعلامات) ٨٥٢

عبدالفتاح الشيخ (الدكتور) ٨٩٦
١٦٥٥

عبدالله التركى (الدكتور) ٨٩٢
رئيس رابطة الجامعات الإسلامية

عبدالله نجيب محمد (الدكتور) ١٩٤
٥١٤
٥٦٧٣

عبدالمعبود الجمل (الشيخ) ٤١١
٤١٣
٥٧٣
٥٧٥
٧٠٨
٧١٠

عبدالمقصود نصار (الدكتور) ١٨٩

عبدالمنصف محمد عبدالفتاح (الشيخ) ٤٠٩
٤١٥
٤١٧
٥٦٩
٥٧١
٧٠٤
٧٠٦
١٢٣١
١٢٣٣
١٢٣٥
١٧٢٤

عبدالمنعم إبراهيم البدراوى (الدكتور) ٩٨٧
١١٧٥

عبدالمنعم السيد نجم (الدكتور) ١٦٧٧

عبدالمنعم حافظ فوده (الأستاذ) ٦٩
٢٠٣
٣٥٨
٥١٨
٦٨٧
٩٣٨
١٠٢١
١١٨٧
١٣٩٠
١٥٥٤
١٧٣٦
١٨٧٩

- عبدالمنعم محمد عمر (الأستاذ) ٤٧

عبدالوارث عسر ١٩٨٨

- عبدالوهاب عزام (الدكتور) ١٧٧٨
- عبير عبدالواحد ١٧٦٢
- عزت على عطيه (الدكتور) ١٦٨٤
- عصمت عبدالمجيد (الدكتور) ٨١٠

على أحمد الخطيب (الدكتور) ١

(رئيس تحرير المجلة) ١٥٣، ٢٨٩، ٤٥٧، ٦٠٩، ٧٣٣، ٧٨٥، ٩٦١، ١١٤٥، ١٣٢١، ١٤٨٩، ١٦٤٩

على أحمد عبد الحميد (الأستاذ) ٥٥٠

على حامد عبدالرحيم (مدير التحرير) ٣١٨، ٤٨٢، ٦٤٥، ٩٨١، ١١٦٢، ١٣٥٠، ١٥٠٦

على أحمد السالوس (الدكتور) ١٨٣٨، ٥٠٣، ٦٦٧

ـ على القاسمى (الدكتور) (أسيسكو) ١٧٠٢

عمر بهاء الدين الأميرى (الأستاذ) ٣٩١

عمر البسطويسى (الأستاذ) ٦١٢، ١٦٣٢

حرف الغين

لا يوجد

حرف الفاء

فاطمة عمر نصيف (الدكتورة) ١٣٧٣، ١٥٢٧

فكرى صالح (مفتى بلغاريا) ٨٢١

فوزى الزفزاف (الأستاذ) ١٢٨٩

فوزى عطوى (الأستاذ) ٣٩٢

فوزى محمد طايل (اللواء) ١٨٤

٣٢٥، ٩٢٢

حرف القاف

قسم تحرير مجلة الأزهر ٤٠٨، ٩١٣، ٩١٩، ٣٣، ١٧٠٩

حرف اللام

لجنة القدس والجهاد ١١٦١

حرف الميم

ماهر زكريا الشيمى (الأستاذ) ٩٩٦، ١١٧١، ١٣٩٤، ١٥٤٥

مبروك عطية أحمد أبو زيد (الدكتور) ٣٢١، ١٤٣٩

متولى محمد البساطى (الدكتور) ٨٢

مجاهد توفيق الجندى (الدكتور) ٦٤٩، ١٢٨١

مجدى عبدالحميد بشير (الأستاذ) ١٢٨، ٢٦٥، ٤٣٣، ٥٨٧، ٧٥٩، ١١١٩، ١٢٩٦، ١٤٧١، ١٧٩٠، ١٩٤٥

محرم عمردك (عضو وفد البوسنة والهرسك) ٨٨٣

ـ محمد إبراهيم الحفناوى (الدكتور) ١٦٩٤

محمد أحمد أبو المعاطى (الأستاذ) ١٢٣٧

محمد أحمد الغمراوى (الدكتور) ٤٧٦، ٩٧٥

	محمد أحمد سيد المسير (الدكتور)	٨٤٣		٣٥١
	ـ محمد الأرناؤوطى (الأستاذ)	١٧٦٢		٨٧٦
	محمد التاجى (الأستاذ)	١٠٧٩		١٣٨٣
	محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر سابقا)	٥٤٦		١٥١٢
	محمد بركات (الأستاذ)	٦٥		١٨٥٠
	محمد جمال الدين محفوظ (اللواء)	٣٣١	محمد عبدالله دراز (الدكتور)	٨٦
		٤٩٧	محمد عبداللطيف حسان (الدكتور)	١٥٧١
		٦٦٠	محمد عبدالمنعم ابراهيم (الشاعر)	٥٤٠
		١١٩٣	محمد عبدالمنعم خفاجى	١٨٨٢
	محمد حافظ سليمان (الشيخ)	١٠٤٣	محمد عبدالوهاب جنيدى (الأستاذ)	١٠٣
		١٤٩٩		٧٣١
٧٥٠		١٨٥٧		١٢٢٢
١٢٩٨	محمد حسن أبجر (تشاد)	٨٢٠		١٥٨٧
٧٦	محمد حسنى مبارك (الرئيس)	٤٦١	محمد عزت الطهطاوى (المستشار)	٤١
٣٧١		٧٩٣		٦٩٠
٥٢٩	محمد رجاء الطحاوى (الدكتور)	٨٥٥		١١٨٩
٧٢٤	محمد زين العابدين العزازى (الأستاذ)	٣٠		١٧٤٧
١٢٢٥		٣٤٧	ـ محمد مصطفى الماحى	٩٤
١٢٤٧		١١٨٤		١٧٧٩
٣٥٥		١٣٦٩	ـ محمد معروف الدواليبى (الدكتور)	٤٩٠
١١٧٩	محمد سيد حسان خفاجى (الأستاذ)	١١٦٩	ـ محمد عمر منصور (الدكتور)	٨٨٥
١٧٣٨	محمد شامة (الدكتور)	٥٣٦	محمد فاروق النبهان (المغرب)	١٦٧٠
٢٦١	محمد صابر البرديسى (الأستاذ)	٢٤	ـ محمد كرم شلبى (الدكتور)	٨٨٠
١٢٠٤	محمد صابر عاشور (الشاعر)	٥٦٤	محمد متولى (الدكتور)	٦٣٠
١٤٣٥	محمد عبدالحكيم محمد (الدكتور)	١١٠٢	محمد محمد عتريس إبراهيم (الأستاذ)	١٥٥٠
٥٣٦		١٢٦٤	محمود السباعى (الشيخ)	١٥٢٣
١٠٧٤		١٤٦٥	محمود جمعه أمين خليفة (الدكتور)	١٠٨
١٠٠٧		١٦٢٥		١٤٥٣
١٦٩٧		١٧٨٢		١٦٠٣
٧٣٧		١٩٤٧		١٩٢١
١١٩٩	محمد عبدالرحمن سلامة (الدكتور)	٣٦٦		١٧٢٧
٨١٨	محمد عبدالرحمن صان الدين (الشاعر)	٧٤٢		
			محمود عبدالرازق عقباوى (الأستاذ)	١٥٨٠ ـ ١٩٠٦
		١٢٠٢		
٧٢			محمود محمد رسلان (الدكتور)	٣٧
		١٤٣٢		
٢١٥				١٨٤٦
		١٧٨٠		
٣٦١	محمد عبدالعاطى (الدكتور)	٨٥٧	محيى الدين الصافى (الدكتور)	٨٧٠
٥٢١	محمد عبدالعليم العدوى (الدكتور)	٦٠	مختار الوكيل (الدكتور)	٣٩(
			مصطفى أبو السعود وهدان (الأستاذ)	٢٣٩

مصطفى أحمد الدردير (الشاعر) ٥٦٣
مصطفى صبحى (الشاعر) ١٤٣٠
مصطفى عبدالمجيد (الأستاذ) ١٢٦
٢٦٣
٤٣١
٥٨٥
٧٥٧
١٢٧٩
١٤٦٩
١٦٣٢
١٧٨٧
١٩٤٣
ـ مصطفى مصطفى دسوق كسبة (الأستاذ) ١٦٦١
معوض عوض ابراهيم (الشيخ) ٢٦
٩٨٤
١٣٣٨
١٨٤١
منتصر محمود مجاهد (الأستاذ) ٥٢١
منذر محمد عبدالرحمن (الأستاذ) ٢٢٠
١٠٩٥
١٢١٥
منصور محمد حسب النبى (الدكتور) ٩٠٤
١٠٨٣
١٢١١
منى عمار (الأستاذة) ٨٧٣

حرف النون

ـ ناصر سعد الرشيد (السعودية) ١٧٠١
ـ ناصر محمد عطية (الشاعر) ٥٦٥
نجوى السيد أحمد (الدكتورة) ٧٨
٢٢٦
٣٧٤
٥٣٢
٧٢٧
١١٠٠
١٢١٨
١٤٢٧
١٥٧٧
١٩٠٣
ـ نور الدين عتر (الدكتور) (سوريا) ١٢٨١

حرف الهاء

لا يوجد

حرف الواو

لا يوجد

حرف الياء

يحيى بن عبدالله المعلمى (الفريق) ١٠٦٩
١٢٤٠
يسرية فؤاد على (الأستاذة) ٩٠٢

هدايا المجلة لعام ١٤١٣ هـ

إعداد : سيد أحمد الغرباوى

عنوان الهداية	المؤلــف	شهر الاصدار
١ ـ الهجرة فى فلك التاريخ	السيد حسن قرون (الشيخ)	المحرم
٢ ـ الأزهر فى البوسـنه والهرسك	جمال قطب (الشيخ)	صفر
٣ ـ جوامع السـيرة النبوية جـ ١	أبو محمد على بن أحمد بن سعيد ابن حزم الاندلسى ٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ ط إعداد / أحمد حسن جابر (الشيخ)	ربيع الأول
٤ ـ جوامع السيرة النبوية جـ ٢	أبو محمد ... ابن حزم الاندلسى ٣٨٤ ـ ٤٥٧ هـ	ربيع الآخر
٥ ـ جوامع السيرة النبوية جـ ٣	ابن حزم الاندلسى إعداد / أحمد حسن جابر (الشيخ)	جمادى الأولى
٦ ـ الرسائل الخمس جـ ١	ابن حـــزم الاندلسى إعداد / أحمد حسن جابر (الشيخ)	جمادى الآخرة
٧ ـ فصل المقال فى ظاهرة الزلزال	أحمد فؤاد باشا (الدكتور)	رجب
٨ ـ الرسائل الخمس جـ ٢	ابن حزم الاندلسى ٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ إعداد / أحمد حسن جابر (الشيخ)	شعبان
٩ ـ مدارك المرام فى مسالك الصيام	الحافظ قطب الدين القسطلانى	رمضان
١٠ ـ الإمام مالك جـ ١ حياته ـ آراؤه ـ وفقهه	محمود عبدالمتجلى خليفة (الدكتور)	شوال
١١ ـ الإمام مالك جـ ٢ حياته ـ آراؤه ـ وفقهه	محمود عبدالمتجلى خليفة (الدكتور)	ذو القعدة
١٢ ـ الإمام الخطابى	يوسف الكتانى (الدكتور)	ذو الحجة

فهرس العدد

- الافتتاحية : لا (ص) ولا (صلعم) ولكن « ﷺ »
  للدكتور على أحمد الخطيب ١٨٠٩
- فضل يوم عرفات
  لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٨١٢
- التطرف الدينى وأبعاده
  بقلم فضيلة الإمام الأكبر ١٨١٤
- نصيحة إلى الشباب
  للإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٨٢٣
- مع سورة الأنفال
  للدكتور عبد الجليل شلبى ١٨٢٥
- تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات
  لفضيلة الشيخ إبراهيم عطوة ١٨٢٩
- قبس من أنوار النبوة (كيف حج الرسول ﷺ)
  لفضيلة الشيخ على جاسر عبد الرحيم ١٨٣٨
- وأذن فى الناس بالحج
  لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم ١٨٤١
- رسالة الحج بين المسلمين
  أ.د. محمود محمد رسلان ١٨٤٦
- صلح الحديبية (٣)
  د. محمد عبد العليم العدوى ١٨٥٠
- وحدة الرسالات الإلهية
  بقلم فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ١٨٥٧
- حق العمل فى الإسلام (٢)
  أ.د. جعفر عبد السلام ١٨٦٥
- المدارس القرآنية بشمال نيجيريا
  للأستاذ صابر أحمد تعلب ١٨٧٢
- الفتاوى
  إعداد الأستاذ عبد المنعم فودة ١٨٧٩

● الشعر والشعراء ●

إعداد الأستاذ رشاد يوسف ١٨٨١
- أغنية إلى عرفات
  للأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى ١٨٨٢
- قطرات الشوق إلى مكة المكرمة والكعبة المشرفة ١٨٨٣
- أغنية للشاعر إبراهيم محمد نجا ١٨٨٤
- مع أبى نواس توبة وزهد ١٨٨٥
- على ربى عرفات للشاعر عبد الوارث عسر ١٨٨٨
- تحية الأزهر أ. سيد عبدالرؤف سيد ١٨٨٩

● العلوم الكونية ●

- أساليب تعليم الرياضيات لتراث المسلمين
  أ.د. أحمد فؤاد باشا ١٨٩١
- المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية
  للدكتور عبد الرحمن أحمد السمان ١٨٩٥
- الجديد فى العلم والتقنية
  إعداد : د. نجوى السيد أحمد ١٩٠٣
- من أعلام الأزهر (الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد نجا)
  للأستاذ محمود عبدالرازق عقباوى ١٩٠٦
- من روائع الماضى بمجلة الأزهر (حديث القرآن عن اللغو)
  إعداد : أ. عبد الفتاح حسين الزيات ١٩١١
- طرائف ومواقف
  للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٩١٧

● اللغة والنقد والأدب ●

- الفكر الأدبى فى كشاف الزمخشرى
  للدكتور محمود جمعة أمين ١٩٢١
- مدى تلازم الوحدة الموضوعية مع القصيدة العربية (٢)
  للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٩٣٠
- الشاعر إبراهيم عبدالحميد عيسى فى لا ديوان
  بقلم الشاعرة جليلة رضا ٩٣٣
- قراءة فى كتاب (الأدب الإسلامى ضرورة)
  عرض وتقديم عادل رفاعى خفاجة ١٩٣٦
- بين المجلة والقارىء
  إعداد وتقديم : د. محمد عبد الحكيم محمد ١٩٤٢

● أنباء وآراء ●

- أنباء مكتب الإمام الأكبر
  إعداد الأستاذ / مصطفى عبد المجيد ١٩٤٧
- أنباء العالم الإسلامى
  إعداد : الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ١٩٤٩

Section Français

2. Des recommandation prophétiques
   Mme Abir Mohammad Aly 1954
1. Al Hadj ou grand pélerinage
   Mme Hoda Hussein Charaoui 1960

English Section

2. The End of Ten Years
   By The Editor 1964
1. Glimpses from The Quranic Milieu
   The Credence
   By Anas Moustafa El-Nagger 1966